









# مُقَدِّمَةٌ



العلامة ابن خلدون

كتابٌ قد حوى ذرر المعاني وبجر فوائد للمقتنيه  
فلا تعجب لهاتيك المباني فان البحر كل الدر فيه

طُبعت برخصة مجلس معارف ولاية سوريا الجليلية

بالمطبعة الادبية في بيروت سنة ١٨٧٩

وطُبعت ثانية سنة ١٨٨٦

ثم طُبعت الثالثة بالشكل الكامل سنة ١٩٠٠

الجزء الاول

من

كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر

في

ايام العرب والعجم والبربر

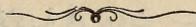
ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر

وهو

تاريخ وحيد عصره العلامة

عبد الرحمن ابن خلدون

المغربي



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَقُولُ الْعَبْدُ الْفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْغَنِيِّ بِلُطْفِهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ خَلْدُونَ  
الْحَضْرَمِيِّ وَفَقَهُ اللَّهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ الْعِزَّةُ وَالْجَبْرُوتُ \* وَبِيَدِهِ الْمُلْكُ وَالْمَلَائِكَةُ \* وَ لَهُ الْأَسْمَاءُ  
الْحُسْنَى وَالنُّعُوتُ \* أَعْلَامُ فَلَا يَغْرُبُ عَنْهُ مَا تُظْهِرُهُ النَّجْوَى أَوْ يُخْفِيهِ السُّكُوتُ \* أُنْقَادُ  
فَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يَفُوتُ \* أَنْشَأَنَا مِنَ الْأَرْضِ نَسَمًا \* وَأَسْتَعْمَرْنَا  
فِيهَا أَجْبَالًا وَأَمَمًا وَبَسَّرْنَا مِنْهَا أَرْزَاقًا وَقَسَمًا \* تَكْدَفُنَا الْأَرْحَامُ وَالْبَيْوتُ \* وَيَكْفُلُنَا  
الرِّزْقَ وَالْقُوتُ \* وَتُبَلِّغُنَا الْأَيَّامَ وَالْوُقُوتُ \* وَتَعْتَوِرُنَا الْأَجَالَ الَّذِي خَطَّ عَلَيْنَا كِتَابَهَا الْمَوْفُوتُ  
وَلَهُ الْبَقَاءُ وَالثَّبُوتُ \* وَهُوَ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ \* وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا  
مُحَمَّدِ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْمَكْتُوبِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ الْمَنْعُوتِ \* الَّذِي تَمَخَّصَ لِفَصَالِهِ  
السُّكُونُ قَبْلَ أَنْ تَتَعَاقَبَ الْأَحَادُ وَالسُّبُوتُ \* وَتَبَيَّنَ زُحْلُ وَالْيَهْمُوتُ <sup>(١)</sup> \* وَعَلَى الْهَوَا وَصَحَابِهِ  
الَّذِينَ لَهُمْ فِي صُحْبَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ الْأَثَرُ الْبَعِيدُ وَاللَّصِيتُ \* وَالشَّمْلُ الْجَمِيعُ فِي مَظَاهِرَتِهِ وَلِعْدُوهُمْ  
السَّمْلُ الشَّتِيتُ \* صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ مَا أَتَصَلَ بِالْإِسْلَامِ جَدُّهُ الْمَنْجُوتُ \* وَأَنْقَطَعَ  
بِالْكُفْرِ حَبْلُهُ الْمَبْتُوتُ \* وَسَلَّمَ كَثِيرًا

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فَنَّ التَّارِيخِ مِنَ الْفَنُونِ الَّتِي تَدَاوَلَهُ الْأُمَمُ وَالْأَجْبَالُ وَتُشَدُّ إِلَيْهِ  
الرُّكُوبُ وَالرَّجَالُ \* وَتَسْمُو إِلَى مَعْرِفَتِهِ السُّرُوقُ وَالْأَغْفَالُ \* وَتَتَنَافَسُ فِيهِ الْمُلُوكُ  
وَالْأَقْيَالُ \* وَتُنَادِي فِي فَهْمِهِ الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَالُ \* إِذْ هُوَ فِي ظَاهِرِهِ لَا يَزِيدُ عَلَى أَخْبَارِ

(١) قوله الیهموت هو النون اي المحوت الذي على ظهره الارض السابعة ويسمى ايضا لوتيا كما في  
الزهر وروح البيان واللبهة ومعلم ان بيته وبين زحل الذي هو في النلك السابع بوتنا بعيدا وقال الشهاب  
المخافجي في حاشيته على البيضاوي انه في اول سورة نون الیهموت بفتح الهمزة النخبة وسكون الهماء وما اشهر  
من انه بالياء المرحدة غلط على ما ذكره الفاضل المحمدي ومثله في روح البيان قوله نصر الهور بني اقره  
المصحح الياني

عَنْ الْأَيَّامِ وَالذُّلُولِ \* وَالسَّوَابِقِ مِنَ الْقُرُونِ الْأُولِ \* تَنَمُّو فِيهَا الْأَقْوَالُ \* وَتُضْرَبُ فِيهَا  
 الْأَمْثَالُ \* وَتُطْرَفُ بِهَا الْأَنْدِيَةُ إِذَا غَضَبَهَا الْأَحْتِفَالُ \* وَتُودَى لِنَا شَأْنِ الْخَلِيقَةِ كَيْفَ  
 نَقَلْتِ بِهَا الْأَحْوَالَ \* وَاتَّسَعَ لِلذُّلُولِ فِيهَا النِّطَاقُ وَالنِّجَالُ \* وَعَمَّرُوا الْأَرْضَ حَتَّى نَادَى  
 بِهِمُ الْأَرْنَجَالُ \* وَحَانَ مِنْهُمْ الرُّوَالُ \* وَفِي بَاطِنِهِ نَظَرٌ وَتَحْقِيقٌ \* وَتَعْلِيلٌ لِلْكَائِنَاتِ  
 وَمُبَادِيئُهَا دَقِيقٌ \* وَعِلْمٌ بِكَيْفِيَّاتِ الْوُقَائِعِ وَأَسْبَابِهَا عَمِيقٌ \* فَهُوَ لِذَلِكَ أَصِيلٌ فِي الْحِكْمَةِ  
 عَرِيقٌ \* وَجَدِيرٌ بِأَنْ يَعُدَّ فِي عُلُوبِهَا وَخَائِقٌ \* وَإِنْ فُحُولَ الْمُؤَرِّخِينَ فِي الْأَسْلَامِ قَدْ  
 اسْتَوْعَبُوا أَخْبَارَ الْأَيَّامِ وَجَمَعُوهَا \* وَسَطَّرُوهَا فِي صَفَحَاتِ الدَّفَاتِرِ وَأَوْدَعُوهَا \* وَخَلَطُوهَا  
 الْمُتَطَفِّلُونَ بِدَسَائِسَ مِنَ الْبَاطِلِ وَهَمُّوا فِيهَا وَابْتَدَعُوهَا \* وَزَخَّرَفَ مِنَ الرَّوَايَاتِ الْمَضْعُفَةَ  
 لَفَقُوهَا وَوَضَعُوهَا \* وَاقْتَفَى نَيْلَ الْأَثَارِ الْكَثِيرِ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ وَاتَّبَعُوهَا \* وَأَدَّوَاهَا إِلَيْنَا كَمَا  
 سَمِعُوهَا \* وَلَمْ يُلَاحِظُوا أَسْبَابَ الْوُقَائِعِ وَالْأَحْوَالَ وَلَمْ يَرَاعُوهَا \* وَلَا رَفَضُوا تَرْهَاتِ  
 الْأَحَادِيثِ وَلَا دَعَوْهَهَا \* فَالتَّحْقِيقُ قَلِيلٌ \* وَطَرَفُ الْأَنْبِيحِ فِي الْغَالِبِ كَبِيلٌ \* وَالْغَلَطُ وَالْوَهْمُ  
 نَسِيبٌ لِلْأَخْبَارِ وَخَلِيلٌ \* وَالْأَقْلِيدُ عَرِيقٌ فِي الْأَدَمِيِّينَ وَسَائِلٌ \* وَالنَّطْفَلُ عَلَى الْفَنَنِ  
 عَرِيسٌ طَوِيلٌ \* وَمَرَعَى الْجَهْلِ بَيْنَ الْأَنَامِ وَخَيْمٌ وَيِيلٌ \* وَالْحَقُّ لَا يَقَاوِمُ سُلْطَانَهُ \* وَالْبَاطِلُ  
 يُقَدِّفُ بِشِهَابِ النَّظَرِ شَيْطَانَهُ \* وَالنَّاقِلُ إِنَّمَا هُوَ يَدِي وَيَنْقُلُ \* وَالْبَصِيرَةُ تَنْقُدُ الصَّحِيحَ  
 إِذَا تَمَقَّلَ \* وَالْعِلْمُ بِجَمَلِهَا صَفَحَاتُ الْقُلُوبِ وَيَصْقُلُ

هَذَا وَقَدْ دَوَّنَ النَّاسُ فِي الْأَخْبَارِ وَأَكْتَرُوا \* وَجَمَعُوا تَوَارِيخَ الْأُمَمِ وَالذُّلُولِ فِي  
 الْعَالَمِ وَسَطَّرُوا \* وَالَّذِينَ ذَهَبُوا بِفَضْلِ الشُّهْرَةِ وَالْإِمَامَةِ الْمَعْتَبَرَةِ \* وَأَسْتَفْرَعُوا دَوَاوِينَ  
 مِنْ قَبْلِهِمْ فِي صُحُفِهِمُ الْمَتَأَخَّرَةِ \* هُمْ قَلِيلُونَ لَا يَسْكَادُونَ بِجَاوِزُونَ عَدَدِ الْأَنَامِ \* وَلَا  
 حَرَكَاتِ الْعَوَامِلِ \* مِثْلُ أَبِي إِسْحَاقَ الرَّطَابِرِيِّ وَأَبْنِ الْمَكْتَبِيِّ وَرَحْمَدِ بْنِ عُمَرَ الْوَاقِدِيِّ  
 وَسَيْفِ بْنِ عُمَرَ الْأَسَدِيِّ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمَشَاهِيرِ \* الَّتِي تَمَيَّزِينَ عَنِ الْجَاهِلِينَ \* وَإِنْ كَانَ  
 فِي كُتُبِ الْمَسْعُودِيِّ وَالوَاقِدِيِّ مِنَ الدُّعَاةِ وَالْمَعْمُورِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ الْأَثْبَاتِ \*  
 وَمَشْهُورٌ بَيْنَ الْحَنَظَلَةِ الثَّقَاتِ \* إِلَّا أَنَّ الْمَقَامَةَ اخْتَصَرْتُمُ بِقَبُولِ أَخْبَارِهِمْ \* وَاقْتِفَاءِ  
 سَائِرِهِمْ فِي التَّصْدِيقِ وَاتِّبَاعِ آثَارِهِمْ \* وَالنَّاقِدُ الْبَصِيرُ قَدْ طَاسَ نَتْسَهُ فِي تَرْيِيفِهِمْ فِيمَا يَنْقَلُونَ  
 أَوْ أَعْتَبَرَهُمْ \* فَلِأَعْمُرَانَ طَبَّاعٍ فِي أَحْوَالِهِ تُرْجَعُ إِلَيْهَا الْأَخْبَارُ \* وَتَحْمَلُ عَلَيْهَا الرَّوَايَاتُ

وَالْأَثَارُ \* ثُمَّ إِنَّ أَكْثَرَ التَّوَارِيخِ لَهَوْلَاءُ عَامَّةُ الْمَنَاجِحِ وَالْمَسَالِكِ \* لِعُمُومِ الدَّلِيلَيْنِ  
 صَدَرَ الْإِسْلَامِ فِي الْأَفَاقِ وَالْمَمَالِكِ \* وَتَنَاوَلَهَا الْبَعِيدُ مِنَ الْغَايَاتِ فِي الْمَاخِذِ وَالْمَتَارِكِ  
 وَمِنْ هَوْلَاءُ مَنْ اسْتَوْعَبَ مَا قَبِلَ الْمَلَّةُ مِنَ الدُّوَلِ وَالْأُمَمِ \* وَالْأَمْرِ الْعَمَمِ \* كَالْمَسْعُودِيِّ  
 وَمَنْ نَحَا مَتَحَاهُ وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَنْ عَدَلَ عَنِ الْإِطْلَاقِ إِلَى التَّقْيِيدِ وَوَقَفَتْ فِي الْعُمُومِ  
 وَالْإِحَاطَةِ عَنِ التَّنَاوُلِ الْبَعِيدِ \* فَفَقِدَ شَوَارِدَ عَصْرِهِ \* وَأَسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ أَفْقِهِ وَفُطْرِهِ \*  
 وَأَقْتَصَرَ عَلَى تَارِيخِ دَوْلَتِهِ وَمِصْرِهِ \* كَمَا فَعَلَ أَبُو حَيَّانَ مُؤَرِّخُ الْأَنْدَلُسِ وَالِدَوْلَةُ الْأُمَوِيَّةِ  
 بِهَا وَابْنُ الرَّفِيقِ مُؤَرِّخُ أُفْرِيقِيَّةِ وَالِدَوْلَةُ الَّتِي كَانَتْ بِالْقَيْرَوَانِ \* ثُمَّ لَمْ يَأْتِ مِنْ بَعْدِ  
 هَوْلَاءُ إِلَّا مَقْلَدٌ \* وَرَبِيدُ الطَّبَعِ وَالْعَمَلِ أَوْ مُتَبَلِّدٌ \* يَسْجُجُ عَلَى ذَلِكَ الْمَنَوَالِ \* وَيَخْتَدِي  
 مِنْهُ بِالْمِثَالِ \* وَيَذْهَبُ عَمَّا أَحَالَتهُ الْأَيَّامُ مِنَ الْأَحْوَالِ \* وَأَسْتَبَدَلَتْ بِهِ مِنْ عَوَائِدِ الْأُمَمِ  
 وَالْأَجْيَالِ \* فَيَجْلِبُونَ الْأَخْبَارَ عَنِ الدُّوَلِ \* وَحِكَايَاتِ الْوَقَائِعِ فِي الْعُصُورِ الْأَوَّلِ \* صَوْرًا  
 قَدْ تَجَرَّدَتْ عَنْ مَوَادِّهَا \* وَصَنَاحًا أَنْتَضَيْتْ مِنْ أَعْمَادِهَا \* وَمَعَارِفَ تُسَنِّكُ الْبُحْبُوحَ  
 بِطَارِفِهَا وَتَلَدِّهَا \* إِنَّمَا هِيَ حَرَادِثٌ لَمْ تَعْلَمْ أَصُولَهَا \* وَأَنْوَاعٌ لَمْ تَعْتَبِرْ أَجْنَاسَهَا \* وَلَا تَحَقَّقَتْ  
 فُصُولَهَا \* يُكْرَرُونَ فِي مَوْضِعَاتِهَا الْأَخْبَارَ الْمُنْتَدَوِلَةَ بِأَعْيَانِهَا \* أَتْبَاءَ لِمَنْ عُنِيَ مِنَ  
 الْمُتَقَدِّمِينَ بِشَأْنِهَا \* وَيُغْنَوْنَ أَمْرَ الْأَجْيَالِ النَّاشِئَةِ فِي دِيَوَانِهَا \* بِمَا أُعْزِزَ عَلَيْهِمْ مِنْ  
 تَرْجُمَانِهَا \* فَتَسْتَعْجِمُ صُحْبَهُمْ عَنْ بَيَانِهَا \* ثُمَّ إِذَا تَعَرَّضُوا لِذِكْرِ الدُّوَلَةِ لَسَقُوا أَخْبَارَهَا نَسْقًا \*  
 مُحَافِظِينَ عَلَى نَقْلِهَا \* وَهَمًّا أَوْ صَدَقًا \* لَا يَتَعَرَّضُونَ لِبِدَائِعِهَا \* وَلَا يَذْهَبُونَ السَّبَبَ الَّذِي  
 رَفَعَ مِنْ رَأْيَتِهَا \* وَأَظْهَرَ مِنْ آيَتِهَا \* وَلَا عِلَّةَ الْوُقُوفِ عِنْدَ غَايَتِهَا \* فَيَبْقَى النَّاطِرُ مُتَطَلِّعًا بَعْدَ  
 إِلَى ائْتِقَادِ أَحْوَالِ مَبَادِيءِ الدُّوَلِ وَمَرَاتِبِهَا \* مُنْتَشَا عَنْ أَسْبَابِ تَرَاخُيْهَا أَوْ تَعَاقُيْهَا \*  
 بَاحِثًا عَنِ الْمُقْبِحِ فِي تَبَايُنِهَا أَوْ تَنَاسُيْهَا \* حَسْبَمَا نَذَرَ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي مُقَدِّمَةِ الْكِتَابِ  
 ثُمَّ جَاءَ آخَرُونَ بِإِفْرَاطِ الْإِخْتِصَارِ \* وَذَهَبُوا إِلَى الْأَكْتِمَاءِ بِأَسْمَاءِ الْمُلُوكِ وَالْإِقْتِصَارِ \*  
 مَقْطُوعَةً عَنِ الْأَنْسَابِ وَالْأَخْبَارِ \* مَوْضِعَةً عَلَيْهَا أَعْدَادُ أَيَّامِهِمْ بِحُرُوفِ الْعُبَارِ \* كَمَا فَعَلَهُ  
 ابْنُ رَشِيقٍ فِي مِيزَانِ الْعَمَلِ \* وَمَنْ أَقْتَفَى هَذَا الْأَثَرَ مِنَ الْعَمَلِ \* وَلَيْسَ يُعْتَبَرُ لَهَوْلَاءُ  
 مَقَالٌ \* وَلَا بَعْدُ لَهُمْ ثُبُوتٌ وَلَا ائْتِقَالٌ \* لِمَا أَذْهَبُوا مِنَ الْفَوَائِدِ \* وَأَخْلَوْا بِالْمَتَاهِبِ  
 الْمَعْرُوفَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ وَالْعَوَائِدِ

وَأَمَّا طَالَعَتْ كُتُبَ الْقَوْمِ \* وَسَهَبَتْ غُرُورَ الْأَمْسِ وَالْيَوْمِ \* نَهَبَتْ عَيْنَ الْقَرِيحَةِ مِنْ

سنة الغفلة والنوم \* وسمت التصنيف من نفسي وأنا المفلس أحسن السوم \* فأنشأت  
في التاريخ كتاباً \* رفعت به عن أحوال الناشئة من الأجيال حجاباً \* وفصنته في  
الأخبار والأخبار باباً باباً \* وأبدت فيه لأولية الدول والعمران عللاً وأسباباً \* وبنته  
على أخبار الأمم الذين عمرُوا الدغرب في هذه الأعصار \* وملاوا أكناف الصواحي  
منه والأمصار \* وما كان لهم من الدول الطوال أو القصار \* ومن سلفت لهم من الملوك  
والأنصار \* وهما العرب والبربر \* إذ هما الجبلان اللذان عرف بالدغرب ما وهما  
وطال فيه على الأحقاب متواهما \* حتى لا يكاد يتصور فيه ما عداهما \* ولا يعرف  
أهله من أجيال الأدميين سواهما \* فهدت مناحيه تهدياً \* وقربته لأفهام العلماء  
والخاصة نقيباً \* وسأكت في ترتيبه وتبويه مسلكاً عربياً \* وأخترت من بين  
المناحي مذهباً عجيباً \* وطريقة مبتدعة وأسلوباً \* وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدن  
وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية ما يعجبك بعلى الكوائن  
وأسبابها \* ويعرفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها \* حتى تنزع من التقليد يدك \*  
وتقف على أحوال ما قبلك من الأيام والأجيال وما بعدك ورثته على مقدمة وثلاثة كتب  
المقدمة في فضل علم التاريخ وتحقيق مذهبيه والإلماع بمعاطب المؤرخين  
الكتاب الأول في العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من  
الملك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم وما لذلك من العلال والأسباب  
الكتاب الثاني في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ مبدأ خلقهم إلى هذا  
العهد وفيه من الإلماع ببعض من عاصرهم من الأمم المشاهير ودولهم مثل النبط  
والسريانيين والفرس وبنو إسرائيل والقبط واليونان والرؤم والترك والأفرنجية  
الكتاب الثالث في أخبار البربر ومواليهم من زنانه وذكر أوليهم وأجيالهم  
وما كان بيدار المغرب خاصة من الملوك والدول ثم كانت الرحلة إلى المشرق  
لأجتماع أنواره \* وقضاء الفرض والسنة في مطافه ومزاره \* والتوقف على آثاره في دواوينه  
وأسفاره \* فزدت ما نقص من أخبار ملوك العجم بتلك الديار \* ودول الترك فيما  
ملكوه من الأقطار \* واتبعت بها ما كتبت في تلك الأسفار \* وأدرجتها في ذكر  
الدعاصر بين تلك الأجيال من أمم النواحي \* وملوك الأمصار والصواحي \* سالماً سبيل

الِاخْتِصَارِ وَالْتَلْخِصِ \* مُفْتَدِيًا بِالْمَرَامِ السَّهْلِ مِنَ الْعَوِيصِ \* دَاخِلًا مِنْ بَابِ الْأَسْبَابِ  
عَلَى الْعُمُومِ إِلَى الْأَخْبَارِ عَلَى الْخُصُوصِ فَاسْتَوْعَبَ أَخْبَارَ الْخَلِيقَةِ اسْتِيعَابًا \* وَذَلِكَ مِنْ  
الْحِكْمِ النَّافِرَةِ صَعَابًا \* وَأَعْطَى لِحَوَادِثِ الدُّوَلِ عِلَالًا وَأَسْبَابًا \* فَأَصْبَحَ لِلْحِكْمَةِ صِرَافًا \*  
وَلِلتَّارِيخِ جِرَابًا

وَلَمَّا كَانَ مُشْتَمَلًا عَلَى أَخْبَارِ الْعَرَبِ وَالْبَرْبِ \* مِنْ أَهْلِ الْمَدَرِ وَالْوَبْرِ \* وَالْإِلْمَاعِ  
بَيْنَ عَاصِرِهِمْ مِنَ الدُّوَلِ الْكَبِيرِ \* وَأَفْصَحَ بِاللِّدِّ كَرْمِي وَالْعَبْرِ \* فِي مُبْتَدَأِ الْأَحْوَالِ وَمَا  
بَعْدَهَا مِنَ الْخَبْرِ \* سَمِيئُهُ كِتَابُ الْعَبْرِ \* وَدِيَوَانُ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبْرِ \* فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ  
وَالْبَرْبِ \* وَمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ \* وَلَمْ أَتْرُكْ شَيْئًا فِي أَوْلِيَةِ الْأَجْيَالِ  
وَالدُّوَلِ \* وَتَعَاصُرِ الْأُمَمِ الْأَوَّلِ \* وَأَسْبَابِ التَّصَرُّفِ وَالْحَوْلِ \* فِي الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ وَالْمِلَالِ \*  
وَمَا يَعْزِضُ فِي الْعُمَرَانِ مِنْ دَوْلَةٍ وَمِلَّةٍ \* وَمَدِينَةٍ وَحِلَّةٍ \* وَعِزَّةٍ وَذَلَّةٍ \* وَكَثْرَةٍ وَقَلَّةٍ \* وَعِلْمٍ  
وَصِنَاعَةٍ \* وَكَسْبٍ وَإِضَاعَةٍ \* وَأَحْوَالٍ مُتَقَلِّبَةٍ مُشَاعَةٍ \* وَبَدْوٍ وَحَضَرٍ \* وَوَاقِعٍ وَمُنَظَرٍ \*  
إِلَّا \* وَأَسْتَوْعَبْتُ جَمَلَةً \* وَأَوْضَحْتُ بَرَاهِينَهُ وَعِلَلَهُ \* فَجَاءَ هَذَا الْكِتَابُ فِدَاءً بِمَا ضَمَّنْتُهُ مِنْ  
الْعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ \* وَالْحِكْمِ الْحُجُوبَةِ الْقَرِيبَةِ \* وَأَنَا مَنِ بَعْدَهَا مُؤَقِّنٌ بِالْقُصُورِ \* بَيْنَ أَهْلِ  
العُصُورِ \* مُعْتَرِفٌ بِالْعِجْزِ عَنِ الْمَضَاءِ \* فِي مِثْلِ هَذَا الْقَضَاءِ \* رَاغِبٌ مِنْ أَهْلِ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ \*  
وَالْمَعَارِفِ الْمُنْتَسِعَةِ الْقَضَاءِ \* فِي النَّظَرِ بَعَيْنِ الْإِنْتِقَادِ لَا بَعَيْنِ الْإِنْزَاءِ \* وَالْتَعَمُّدِ لِمَا  
يَعْتَرُونَ عَلَيْهِ بِالْإِصْلَاحِ وَالْإِغْضَاءِ \* فَالْبِضَاعَةُ بَيْنَ أَهْلِ الْعِلْمِ مُزْجَاةٌ \* وَالْإِعْتِرَافُ  
مِنَ اللُّومِ مَنجَاةٌ \* وَالْحَسَنِيُّ مِنَ الْأَخْوَانِ مُرْتَجَاةٌ \* وَاللَّهُ اسْأَلْ أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً  
لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

وَبَعْدَ أَنْ اسْتَوْقَيْتُ عِلَاجَهُ \* وَأَنْزَتُ مَشْكَاتَهُ لِلْمُسْتَبْصِرِينَ وَأَذَكَيْتُ سِرَاجَهُ \*  
وَأَوْضَحْتُ بَيْنَ الْعُلُومِ طَرِيقَهُ وَمِنَاجَهُ \* وَأَوْسَعْتُ فِي فِضَاءِ الْمَعَارِفِ نِطَاقَهُ وَأَدْرَتُ  
سِيَاجَهُ \* أَنْتَحَيْتُ بِهِذِهِ النُّسخَةَ مِنْهُ <sup>(١)</sup> خِرَانَةَ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الْأِمَامِ الْجَاهِدِ \* الْفَاتِحِ

(١) قوله تخفت بهذه النسخة منه الخ وجد في نسخة بخط بعض فضلاء المغاربة زيادة قبل قوله تخفت  
وبعد قوله وادرت سياجه ونصها التمسك له الكف الذي يلج بعين الاستبصار فنونه . ويلفظ بمداركه  
الشريفة معياره الصحيح وقانونه . ويميز رتبته في المعارف عما دونه . فسرحمت فكري في فضا الوجود . واجلت  
نظري ليل النام واليهود . بين التهايم والعبود . في العلماء الركع والعبود . والخلفاء اهل الكرم والمجد .  
حتى وقف الاختيار بساحة الكمال . وطافت الافكار بموقف الامال . وظفرت ابدي المساعي والاعتقال .

المَاهِدِ \* الْمُتَحَلِّي مِنْدُ خَلْعِ التَّمَامِ \* وَلَوْثِ الْعَمَامِ \* بِجَلَى الْقَانِتِ الرَّاهِدِ \* الْمُتَوَشِّحِ  
 بِزَكَاءِ الْمَنَاقِبِ وَالْحَمَامِدِ \* وَكَرَمِ الشَّمَائِلِ وَالشَّوَاهِدِ \* بِأَجْمَلِ مِنَ الْقَلَائِدِ \* فِي نُحُورِ  
 أَوْلَادِهِ \* الْمُتَتَوَالِ بِأَلْعَزَمِ الْقَوِيِّ السَّاعِدِ \* وَالْجِدِّ الْمُوَاتِي الْمُسَاعِدِ \* وَالنَّجْدِ الطَّارِفِ  
 وَالنَّالِدِ \* ذَوَائِبِ مُلْكِهِمُ الرَّاسِي الْقَوَاعِدِ \* الْكَرِيمِ الْعَمَالِي وَالْمَصَاعِدِ \* جَامِعِ  
 أَشْتَاتِ الْعُلُومِ وَالْفَوَائِدِ \* وَنَاطِلِمِ شَمْلِ الْمَعَارِفِ وَالشُّوَارِدِ \* وَمُطَهِّرِ الْأَيَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ \*  
 فِي فَضْلِ الْمَدَارِكِ الْأَنْسَانِيَّةِ \* بِفِكْرِهِ الْأَنْقَابِ النَّاقِدِ \* وَرَأْيِهِ الصَّحِيحِ الْعَمَاقِدِ \* النَّبِيرِ  
 الْمَذَاهِبِ وَالْعَقَائِدِ \* نُورِ اللَّهِ الْوَاضِحِ الْمَرَّاشِدِ \* وَنِعْمَتِهِ الْعَدْبَةِ الْمَوَارِدِ \* وَطَلْفِهِ الْكَامِنِ  
 بِالْمَرَّاصِدِ لِلشَّدَائِدِ \* وَرَحْمَتِهِ الْكَرِيمَةِ الْمَقَالِدِ \* الَّتِي وَسِعَتْ صَالِحَ الزَّمَانِ الْفَاسِدِ \*  
 وَاسْتَقَامَةَ الْمَائِدِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ \* وَذَهَبَتْ بِالخُطُوبِ الْأَوَائِدِ \* وَخَلَعَتْ عَلَى الزَّمَانِ  
 رَوْنِقَ الشَّبَابِ الْعَائِدِ \* وَجَنَّتِهِ الَّتِي لَا يَبْطُلُهَا انْكَارُ الْجَاهِدِ وَلَا شَبَهَاتُ الْمُعَانِدِ \* ( أمير  
 المومنين ) أَبِي فَارِسِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنِ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ الْمَعْظَمَ الشَّهِيرَ الشَّهِيدَ أَبِي سَالِمِ  
 إِبْرَاهِيمِ ابْنِ مَوْلَانَا السُّلْطَانَ الْمُقَدَّسَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ \* أَبِي الْحَسَنِ ابْنَ السَّادَةِ الْأَعْلَامِ  
 مِنْ مُلُوكِ بَنِي مُرَيْنَ \* الَّذِينَ جَدَّدُوا الدِّينَ \* وَنَهَجُوا السَّبِيلَ لِلْمُهْتَدِينَ \* وَمَحَّوْا آثَارَ الْبُغَاةِ  
 الْمُفْسِدِينَ \* فَأَاءَ اللَّهُ عَلَى الْأُمَّةِ ظِلَالَةً \* وَبَلَّغَهُ فِي نَصْرِ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ أَمَالَهُ \* وَبَعَثَتْهُ  
 إِلَى خِزَانَتِهِمُ الْمَوْفِقَةَ لِطَلْبَةِ الْعِلْمِ بِجَامِعِ الْقَرَوَيْنِ مِنْ مَدِينَةِ فَاسَ حَاضِرَةِ مُلْكِهِمْ  
 وَكَرْسِيِّ سُلْطَانِهِمْ \* حَيْثُ مَقَرَّ الْهَدْيِ \* وَرِيَاضِ الْمَعَارِفِ خِضْلَةَ النَّدَى \* وَفَضَاءِ الْأَسْرَارِ

بمندي المعارف مشرفة فيه غرر الجمال . وحقائق المعلم الوارفة الظلال . عن الربيعين والشمال . فانحنت  
 مطي الافكار في عرضاتها . وجلوت محاسن الانظار على مناصمها . وانحنت بدبوانها مة ضير ابوانها . واطلعت  
 كوكبا وقادا في انفق خزانتها وصوانها . ليكون آية للعقلاء يهتدون بهناره . و يعرفون فضل المدرك  
 الانسانية في اناره . وهي خزانه مولانا السلطان الامام المجاهد . الذبح المائد . الى اخر النعوت المذكورة هنا  
 ثم قال الخليفة امير المومنين المتوكل على رب العالمين ابو العباس احمد ابن مولانا الامير الظاهر المقدس  
 ابي عبدالله محمد ابن مولانا الخليفة المقدس امير المومنين . اني يحيي ابي بكر ابن الخلفاء ارشدين . من  
 ائمة الموجدن الذين جددوا الدين . ونهجو السبل المهتدين . ومحوا اثر البغاه المفسدين من الجسسية  
 والمعتدين . سلاه ابي المحض والفاروق . والنبعة النامية على تلك المغارس الزاكية والعروق . والنور  
 المثلالي من تلك الاشعة والبروق . فاوردته من مودعها الى التلي بحيث مقر الهدى . ورياض المعارف  
 خضلة الندي . الى اخر ما ذكر هنا الا انه لم يقيد الامامة بالفارسية . لكن النسخة المذكورة مختصرة عن هذه  
 النسخة المنقولة من خزانه الكتب الفارسية ولم يقل فيها ثم كانت الرحلة الى المشرق الخ

الرَّبَانِيَّةَ فَيَسِيحُ الْمَدَى \* وَالْأَمَامَةَ الْفَارِسِيَّةَ الْكَرِيمَةَ<sup>(١)</sup> الْعَزِيزَةَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِنَظَرِهَا  
 الشَّرِيفِ \* وَفَضْلِهَا الْعَنِيِّ عَنِ التَّعْرِيفِ \* تَبَسُّطُ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ مَهَادًا \* وَتَنْسَجُ لَهُ فِي جَانِبِ  
 الْقَبُولِ آمَادًا \* فَتَوْضِحُ بِهَا أَدَلَّةً عَلَى رُسُوحِهِ وَأَشْهَادًا \* فِي سُوقِهَا تَنْفُقُ بَضَائِعُ الْكُتَّابِ  
 وَعَلَى حَضْرَتِهَا تُعَكِّفُ رَكَائِبُ الْعُلُومِ وَالْآدَابِ \* وَمِنْ مَدَدِ بَصَائِرِهَا الْمُنِيرَةِ تَنَاجُحُ  
 الْقَرَائِحُ وَالْأَلْبَابِ \* وَاللَّهُ يُوزِعُنَا شُكْرَ نِعْمَتِهَا \* وَيُوفِّرُ لَنَا حَظُوظَ الْمَوَاهِبِ مِنْ رَحْمَتِهَا  
 وَيُعِينُنَا عَلَى حُقُوقِ خِدْمَتِهَا \* وَيَجْعَلُنَا مِنَ السَّابِقِينَ فِي مِيدَانِهَا الْعَحْلِيِّ فِي حَوْمَتِهَا \* وَيُضْفِي  
 عَلَى أَهْلِ إِيَالَتِهَا \* وَمَا أَوْيَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَى حَرَمِ عَمَّالَتِهَا \* لِبُوسِ حَمَائِنِهَا وَحُرْمَتِهَا \*  
 وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَجْعَلَ أَعْمَالَنَا خَالِصَةً فِي وَجْهَتِهَا \* بَرِيَّةً مِنْ شَوَائِبِ الْغَفْلَةِ  
 وَشَهْمَتِهَا \* وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

### المقدمة

في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والاماع لما يعرض للمؤرخين

من المغالط وذكوشي من اسبابها

اعلم ان فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية اذ هو يوقنا  
 على احوال الماضين من الامم في اخلاقهم . والانبيا في سيرهم . والملوك في دولهم  
 وسياستهم . حتى يتم فائدة الافتياء في ذلك لمن يرومه في احوال الدين والدنيا فهو  
 محتاج الى ماخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وثبت بفضيان بصاحبهما الى  
 الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط لان الاخبار اذا اعتمد فيها على مجرد  
 النقل ولم تحكم اصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال في الاجتماع  
 الانساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من  
 العنور ومزلة القدم والحييد عن جادة الصدق وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين  
 وائمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غفلا  
 او سمينا ولم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها باشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة  
 والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الاخبار فضلوا عن الحق

(١) قوله الفارسية اي المنسوبة الى ابي فارس المقدم ذكره اه

وَتَاهُوا فِي بَيْدَاءِ الْوَهْمِ وَالْغَلَطِ وَلَا سِيَّما فِي إِحْصَاءِ الْأَعْدَادِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْعَسَاكِرِ إِذَا  
 عَرَضَتْ فِي الْحِكَايَاتِ إِذْ هِيَ مَظَنَّةُ الْكَيْدِ وَمَطْيَةُ الْهَدْرِ وَلَا بُدَّ مِنْ رَدِّهَا إِلَى  
 الْأَصُولِ وَعَرْضِهَا عَلَى الْقَوَاعِدِ وَهَذَا كَمَا نَقَلَ الْمَسْعُودِيُّ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ فِي  
 جِيُوشِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْصَاهُمْ فِي التَّيِّهِ بَعْدَ أَنْ أجازَ مِنْ يُطْبِقُ  
 حَمَلِ السَّلَاحِ خَاصَّةً مِنْ أبنِ عَشْرِينَ فَمَا قَوْفَهَا فَكَانُوا سِتْمَانَةَ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ وَيَذْهَلُ  
 فِي ذَلِكَ عَنِ تَقْدِيرِ مِصْرَ وَالشَّامِ وَاتَّسَاعِهِمَا لِمِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ مِنَ الْجِيُوشِ لِكُلِّ  
 مَمْلَكَةٍ مِنَ الْمَمَالِكِ حِصَّةً مِنَ الْحَامِيَةِ تَنْسَعُ لَهَا وَتَقُومُ بِوِطْأَنِهَا وَتَضِيقُ عَمَّا قَوْفَهَا  
 تَشْهَدُ بِذَلِكَ الْعَوَائِدُ الْمَعْرُوفَةُ وَالْأَحْوَالُ الْمَالُوفَةُ ثُمَّ إِنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْجِيُوشِ الْبَالِغَةِ  
 إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ يَبْعُدُ أَنْ يَقَعَ بَيْنَهَا زَحْفٌ أَوْ قِتَالٌ لِضِيقِ سَاحَةِ الْأَرْضِ عَنْهَا وَبُعْدِهَا  
 إِذَا اصْطَفَتْ عَنِ مَدَى الْبَصَرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ زَيْدًا فَكَيْفَ يَقْتَتِلُ هَذَانِ الْفَرِيقَانِ  
 أَوْ تَكُونُ غَلَبَةٌ أَحَدِ الصَّفَيْنِ وَشَيْءٌ مِنْ جِوَانِبِهِ لَا يَشْعُرُ بِالْجَانِبِ الْأَخْرَ وَالْحَاضِرِ  
 يَشْهَدُ لِذَلِكَ فَالْمَاضِي أَشْبَهُ بِالْآتِي مِنَ الْمَاءِ بِالْمَاءِ . وَلَقَدْ كَانَ مَلِكُ الْفَرَسِ وَدَوْلَتُهُمْ  
 أَعْظَمُ مِنْ مَلِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكَثِيرٍ يَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ غَلَبِ بَخْتَنَصَرِ لَهُمْ وَالنَّبِيَامِهِ  
 بِأَدَمِهِمْ وَأَسْتِيلَانِهِ عَلَى أَمْرِهِمْ وَتَخْرِبِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَاعِدَةً مَلْتَمِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ وَهُوَ  
 مِنْ بَعْضِ عُمَلِ مَمْلَكَةِ فَارَسَ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ مَرْزَبَانُ الْمَعْرَبِ مِنْ تَخُومِهَا وَكَانَتْ  
 مَمَالِكُهُمْ بِالْعَرَاقِينَ وَخُرَّاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَالْأَبْوَابِ أَوْسَعُ مِنْ مَمَالِكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
 بِكَثِيرٍ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تَبْلُغْ جِيُوشُ الْفَرَسِ قَطُّ مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ وَأَعْظَمُ مَا  
 كَانَتْ جَمُوعُهُمْ بِالْقَادِسِيَّةِ مِائَةَ وَعِشْرِينَ أَلْفًا كُلَّهُمْ مَتَّبِعٌ عَلَى مَا نَقَلَهُ صَيْفٌ قَالَ وَكَانُوا  
 فِي أَتْبَاعِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ مِائَتِي أَلْفٍ وَعَنْ عَائِشَةَ وَالزُّهْرِيِّ فَإِنْ جَمَعُوا رُسُومَ الَّذِينَ زَحَفَتْ  
 بِهِمْ سَعْدٌ بِالْقَادِسِيَّةِ إِنَّمَا كَانُوا سِتِّينَ أَلْفًا كُلَّهُمْ مَتَّبِعٌ وَأَيْضًا فَلَوْ بَلَغَ بَنُو إِسْرَائِيلَ  
 مِثْلَ هَذَا الْعَدَدِ لَأَتَّسَعَ نِطَاقُ مُلْكِهِمْ وَانْفَسَحَ مَدَى دَوْلَتِهِمْ فَإِنَّ الْعَمَالَاتِ وَالْمَمَالِكِ  
 فِي الدُّوَلِ عَلَى نِسْبَةِ الْحَامِيَةِ وَالْقَبِيلِ الْقَائِمِينَ بِهَا فِي قَلْبِهَا وَكَثْرَتِهَا حَسِبًا نَبِينَ فِي فَصْلِ  
 الْمَمَالِكِ مِنَ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَالْقَوْمِ لَمْ تَنْسَعِ مَمَالِكُهُمْ إِلَى غَيْرِ الْأَرْدَنِ وَفِلَسْطِينَ  
 مِنَ الشَّامِ وَالْبِلَادِ يَثْرَبُ وَخَيْرٌ مِنَ الْحِجَازِ عَلَى مَا هُوَ الْمَعْرُوفُ وَأَيْضًا فَالَّذِي بَيْنَ مُوسَى  
 وَإِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ أَرْبَعَةُ أَبَاءَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ فَإِنَّهُ مُوسَى بْنُ عُمَرَ بْنِ بَنِي يَصْهَرِ

بِنِ قَاهَتَ بَفْتَحِ أَلْمَاءِ وَكَسَرِهَا أِبْنُ لَأَوِي بِكَسْرِ أَلْوَاوِ وَفَتْحِهَا أِبْنُ يَعْقُوبَ وَهُوَ إِسْرَائِيلُ  
 اللَّهُ هَكَذَا نَسَبُهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْمَدَّةُ بَيْنَهُمَا عَلَى مَا نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ قَالَ دَخَلَ إِسْرَائِيلُ  
 مِصْرَ مَعَ وُلْدِهِ الْأَسْبَاطِ وَأَوْلَادِهِمْ حِينَ أَتَوْا إِلَى يُوسُفَ سَبْعِينَ نَفْسًا وَكَانَ مَقَامُهُمْ بِمِصْرَ  
 إِلَى أَنْ خَرَجُوا مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى النَّبِيِّ مِائَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً نَتَدَاؤَلَهُمْ مَلُوكُ  
 الْقِبْطِ مِنَ الْفِرَاعِنَةِ وَيَبْعُدُ أَنْ يَتَشَعَّبَ النَّسْلُ فِي أَرْبَعَةِ أَجْيَالٍ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ وَإِنْ  
 زَعَمُوا أَنَّ عَدَدَ تِلْكَ الْجِيُوشِ إِنَّمَا كَانَ فِي زَمَنِ سُلَيْمَانَ وَمِنْ بَعْدِهِ فَبَعِيدٌ أَيْضًا إِذْ لَيْسَ  
 بَيْنَ سُلَيْمَانَ وَإِسْرَائِيلَ إِلَّا أَحَدُ عَشَرَ أَبًا فَإِنَّهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ بْنِ يَسَّاءَ بْنِ عَوْفِدَ  
 وَيُقَالُ أَيْضًا عَوْفِدُ بْنُ بَاعَزَ وَيُقَالُ بُوَعَزُ بْنُ سَلْمُونَ بْنِ نَحْشُونَ بْنِ عَمِينُودَ وَيُقَالُ  
 حَمِينَادَابَ بْنِ رَمَّانَ بْنِ حَصْرُونَ وَيُقَالُ حَسْرُونَ بْنِ بَارَسَ وَيُقَالُ بَرَسَ بْنِ يَهُوذَا بْنِ  
 يَعْقُوبَ وَلَا يَتَشَعَّبُ النَّسْلُ فِي أَحَدِ عَشَرَ مِنَ الْوُلْدِ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْعَدَدِ الَّذِي زَعَمُوهُ اللَّهُمَّ  
 إِلَى الْمِئَتَيْنِ وَأَلْفَافٍ قَرِيبًا يَكُونُ وَأَمَّا أَنْ يَتَجَاوَزَ إِلَى مَا بَعْدَهُمَا مِنْ عُقُودِ الْأَعْدَادِ  
 فَبَعِيدٌ وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الْحَاضِرِ الْمَشَاهِدِ وَالْقَرِيبِ الْمَعْرُوفِ تَجِدُ زَعْمَهُمْ بَاطِلًا وَقَلَمَهُمْ  
 كَاذِبًا وَالَّذِي ثَبَتَ فِي الْأَسْرَائِيلِيَّاتِ أَنَّ جُنُودَ سُلَيْمَانَ كَانَتْ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا خَاصَّةً  
 وَأَنَّ مَقْرَبَاتِهِ كَانَتْ أَلْفًا وَأَرْبَعِمِائَةَ فَرَسٍ مُرْتَبِطَةً عَلَى أَبْوَابِهِ هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ مِنْ  
 أَخْبَارِهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى خَرَافَاتِ الْعَامَّةِ مِنْهُمْ وَفِي أَبْنَامِ سُلَيْمَانَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَمُلْكِهِ  
 كَانَ عَزْفُونَ دَوْلَتِهِمْ وَأَتَسَاعَ مُلْكُهُمْ هَذَا وَقَدْ تَجِدُ السَّكَاةَ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ إِذَا  
 أَفَاضُوا فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَسَاكِرِ الدُّوَلِ الَّتِي لِعَبْدِهِمْ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ وَتَفَاوُضُوا فِي الْأَخْبَارِ  
 عَنْ جِيُوشِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ النَّصَارَى أَوْ أَخَذُوا فِي إِحْصَاءِ أَمْوَالِ الْجَبَايَاتِ وَخَرَجِ  
 السُّلْطَانِ وَنَفَقَاتِ الْمُتْرِفِينَ وَبِضَائِعِ الْأَغْنِيَاءِ الْمُوَسَّرِينَ تَوَلَّوْا فِي الْعَدَدِ وَتَجَاوَزُوا حُدُودَ  
 أَلْمَوَائِدِ وَطَاوَعُوا وَسَاوَسُوا الْأَغْرَابَ فَإِذَا اسْتَبْكَشَفْتَ أَصْحَابَ الدَّوَاوِينِ عَنْ عَسَاكِرِهِمْ  
 وَاسْتَنْبَطْتَ أَحْوَالَ أَهْلِ التَّرْوَةِ فِي بِضَائِعِهِمْ وَفَوَائِدِهِمْ وَاسْتَجَلَيْتَ عَوَائِدَ الْمُتْرِفِينَ فِي  
 نَفَقَاتِهِمْ لَمْ تَجِدْ مِعْشَارَ مَا يَبْدُونُهُ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِوُلُوعِ النَّفْسِ بِالْفَرَاغِ وَسَهْوَةِ التَّجَاوُزِ  
 عَلَى اللِّسَانِ وَالْفَتْنَةِ عَلَى الْمُتَعَقِّبِ وَالْمُنْتَقِدِ حَتَّى لَا يَحْسِبُ نَفْسَهُ عَلَى خَطَأٍ وَلَا عَمْدٍ وَلَا  
 يَطَالِبُهَا فِي الْخَبْرِ بِتَوْسُطٍ وَلَا عَدَالَةٍ وَلَا يُرْجِعُهَا إِلَى بَحْثٍ وَتَفْتِيْشٍ فَيُرْسِلُ عَنَانَهُ وَيَسِيمُ  
 فِي مَرَاتِعِ الْكَيْدِ لِسَانَهُ وَيَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هَذَا وَيَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيَضِلَّ عَنْ

سَبِيلَ اللَّهِ وَحَسْبِكَ بِهَا صَفْقَةٌ خَالِيسَةٌ وَمِنَ الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ لِلْمُؤَرِّخِينَ مَا يَنْقُلُونَهُ كَافَّةً  
فِي أَخْبَارِ التَّبَاعَةِ مُلُوكِ الْيَمَنِ وَجَزِيرَةِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَغْزُونَ مِنْ قُرَاهِمَ بِالْيَمَنِ  
إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَالْبَرْبَرِ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَأَنَّ أَفْرِيقِشَ بْنَ قَيْسِ بْنِ صَيْفِيٍّ مِنْ أَعْظَمِ  
مُلُوكِهِمُ الْأَوَّلِ وَكَانَ لِعَهْدِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ غَزَا أَفْرِيقِيَّةَ وَأَتَمَّنَ فِي  
الْبَرْبَرِ وَأَنَّهُ الَّذِي سَمَّاهُمْ بِهَذَا الْأَسْمِ حِينَ سَمِعَ رَطَانَتَهُمْ وَقَالَ مَا هَذِهِ الْبَرْبَرَةُ فَأَخَذَ  
هَذَا الْأَسْمَ عَنْهُ وَدَعَا بِهِ مِنْ حَيْثُ دُ وَأَنَّهُ أَمَا أَنْصَرَفَ مِنَ الْمَغْرِبِ حَجَرَ هُنَالِكَ قَبَائِلَ  
مِنْ حَمِيرٍ فَأَقَامُوا بِهَا وَأَخْتَلَطُوا بِأَهْلِهَا وَمِنْهُمْ صَنْهَاجَةٌ وَكِتَامَةٌ وَمِنْ هَذَا ذَهَبَ الطَّيْبِيُّ  
وَالْجُرْجَانِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ وَأَبْنُ الْكَلْبِيِّ وَالْبَيْلِيُّ إِلَى أَنَّ صَنْهَاجَةَ وَكِتَامَةَ مِنْ حَمِيرٍ  
وَتَأْتِي بِهِ نَسَابَةُ الْبَرْبَرِ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ أَيْضًا أَنَّ ذَا الْأِذْعَارِ مِنْ مُلُوكِهِمْ  
قَبْلَ أَفْرِيقِشَ وَكَانَ عَلَى عَهْدِ سَالِمَانَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) غَزَا الْمَغْرِبَ وَدَوَّخَهُ وَكَذَلِكَ  
ذَكَرَ مِثْلَهُ عَنْ يَاسِرِ ابْنِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنَّهُ بَلَغَ وَاوَدِي الرَّمْلِ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَلَمْ يَجِدْ  
فِيهِ مَسَاكًا لِكثْرَةِ الرَّمْلِ فَرَجَعَ وَكَذَلِكَ يَقُولُونَ فِي تَبَعِ الْأَخْرِ وَهُوَ أَسْعَدُ أَبُو كَرْبٍ  
وَكَانَ عَلَى عَهْدِ إِسْتِاسَتِ مِنْ مُلُوكِ النُّزَسِ الْكَلْبِيَّةِ أَنَّهُ مَلَكَ الْمَوْصِلَ وَأَذْرَبِجَانَ  
وَلَقِيَ التُّرْكَ فَهَزَمَهُمْ وَأَتَمَّنَ ثُمَّ غَزَاهُمْ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً كَذَلِكَ وَأَنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَغْزَى ثَلَاثَةَ  
مِنْ بَنِيهِ بِلَادَ فَارِسَ وَإِلَى بِلَادِ الصَّغْدِ مِنْ بِلَادِ التُّرْكَ وَرَاءَ النَّهْرِ وَإِلَى بِلَادِ الرُّومِ  
فَمَلَكَ الْأَوَّلَ الْبِلَادَ إِلَى سَمَرْقَنْدَ وَقَطَعَ الْمَفَازَةَ إِلَى الصِّينِ فَوَجَدَ أَخَاهُ الثَّانِيَّ الَّذِي  
غَزَا إِلَى سَمَرْقَنْدَ قَدْ سَبَقَهُ إِلَيْهَا فَأَخَذَهَا فِي بِلَادِ الصِّينِ وَرَجَعَا جَمِيعًا بِالْغَنَائِمِ وَتَرَكُوا بِلَادَ  
الصِّينِ قَبَائِلَ مِنْ حَمِيرٍ فَهَمُّ بِهَا إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَبَلَغَ الثَّلَاثَ إِلَى قِسْطَنْطِينِيَّةَ فَدَرَسَهَا وَدَوَّخَ  
بِلَادَ الرُّومِ وَرَجَعَ وَهَذِهِ الْأَخْبَارُ كُلُّهَا بَعِيدَةٌ عَنِ الصَّحَّةِ عَرَبِيَّةٌ فِي الْوَهْمِ وَالْغَلَطِ  
وَأَشْبَهُ بِأَحَادِيثِ الْقَصَصِ الْمَوْضِعِ. وَذَلِكَ أَنَّ مَلِكَ التَّبَاعَةِ إِنَّمَا كَانَ يَجْزِرَةُ الْعَرَبِ  
وَقَرَارُئِمَ وَكُرْسِيَهُمْ بِصَنْعَاءِ الْيَمَنِ. وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ يُحِيطُ بِهَا الْبَحْرُ مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِهَا فَجَزْرُ  
الْهُذَيْلِ مِنَ الْجَنُوبِ وَبَحْرُ فَارِسَ الْهَابِطُ مِنْهُ إِلَى الْبَصْرَةِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَبَحْرُ السُّوَيْسِ  
الْهَابِطُ مِنْهُ إِلَى السُّوَيْسِ مِنْ أَعْمَالِ مِصْرَ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ كَمَا تَرَاهُ فِي مُصَوِّرِ الْجُغُرَافِيَا  
فَلَا يَجِدُ الْمَلِكُونَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْمَغْرِبِ طَرِيقًا مِنْ غَيْرِ السُّوَيْسِ وَالْمَسْلَكِ هُنَاكَ مَا  
بَيْنَ بَحْرِ السُّوَيْسِ وَالْبَحْرِ الشَّامِيِّ قَدَرُ مَرَحَلَتَيْنِ فَمَا دُونَهُمَا وَيَبْعُدُ أَنْ يَمُرَّ بِهَذَا الْمَسْلَكِ

مَلِكٌ عَظِيمٌ فِي عَسَاكِرِ مَوْثُورَةٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِيرَ مِنْ أَعْمَالِهِ هَذِهِ مُنْتَمِعٌ فِي الْعَادَةِ . وَقَدْ  
كَانَ بَتْلَكِ الْأَعْمَالِ الْعَمَالِقَةَ وَكِنَعَانَ بِالشَّامِ وَالْقَبْطِ بِمِصْرَ ثُمَّ مَلِكُ الْعَمَالِقَةِ مِصْرَ  
وَمَلِكُ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّامِ وَلَمْ يُنْقَلْ قَطُّ أَنَّ التَّبَاعَةَ حَارَبُوا أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ وَلَا  
مَلَكُوا شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَأَيْضًا فَالشَّقَّةُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ بَعِيدَةٌ وَالْأَزُودَةُ  
وَالْعُلُوفَةُ لِلْعَسَاكِرِ كَثِيرَةٌ فَإِذَا سَارُوا فِي غَيْرِ أَعْمَالِهِمْ أَحْتَا جُوا إِلَى أَنْتِهَابِ الزَّرْعِ  
وَالنَّعْمِ وَأَنْتِهَابِ الْبِلَادِ فِيمَا يَمْرُونَ عَلَيْهِ وَلَا يَكْفِي ذَلِكَ لِلْأَزُودَةِ وَالْعُلُوفَةِ عَادَةً وَإِنْ  
نَقَلُوا كَمَا بَاتَتْهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ فَلَا تَنِي لِيَوْمِ الرُّوْحِ لِئِنْ بَقِيَ فَلَا بَدَّ وَأَنْ يَمْرُوا فِي  
طَرِيقِهِمْ كَلْبًا بِأَعْمَالٍ قَدْ مَلَكُوهَا وَدَوَّخُوهَا لِتَكُونَ الْمِيرَةُ مِنْهَا وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ تِلْكَ  
الْعَسَاكِرَ تَمْرُ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَهَيِّجَهُمْ فَتَحْصَلُ لِيَوْمِ الْمِيرَةِ بِالسَّلَامَةِ فَذَلِكَ  
أَبْعَدُ وَأَشَدُّ امْتِنَاعًا فَدَلَّ عَلَيَّ أَنَّ هَذِهِ الْأَخْبَارَ وَاهِيَةٌ أَوْ مَوْضِعَةٌ

وَأَمَّا وَادِي الرَّمْلِ الَّذِي يُجْزُ السَّلَاكُ فَلَمْ يُسْمَعْ قَطُّ ذِكْرُهُ فِي الْمَغْرِبِ دَلَى كَثْرَةِ  
سَالِكِيهِ وَمَنْ يَقْصُ طَرِيقَهُ مِنَ الرُّكَّابِ وَالْقُرَى فِي كُلِّ عَصْرِ وَكُلِّ جِهَةٍ وَهُوَ دَلَى مَا  
ذَكَرُوهُ مِنَ الْعَرَابَةِ تَتَوَقَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهِ . وَأَمَّا غَزْوُهُمْ بِلَادَ الشَّرْقِ وَأَرْضَ التُّرْكِ  
وَإِنْ كَانَ طَرِيقُهُ أَوْسَعُ مِنْ مَسَالِكِ السُّوَيْسِ إِلَّا أَنَّ الشَّقَّةَ هُنَا أَبْعَدُ وَأَمَّ فَارِسَ وَالرُّومَ  
مُعْتَرِضُونَ فِيهَا دُونَ التُّرْكِ وَلَمْ يُنْقَلْ قَطُّ أَنَّ التَّبَاعَةَ مَلَكُوا بِلَادَ فَارِسَ وَلَا بِلَادَ الرُّومِ  
وَإِنَّمَا كَانُوا يُحَارِبُونَ أَهْلَ فَارِسَ عَلَى حُدُودِ بِلَادِ الْعِرَاقِ وَمَا بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ وَالْحِجْرَةِ  
وَالْجَزِيرَةِ بَيْنَ دِجَلَةَ وَالْفَرَاتِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي الْأَعْمَالِ وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ بَيْنَ ذِي الْأَذْعَارِ  
مِنْهُمْ وَكَيْكَاؤُسَ مِنْ مُلُوكِ الْكَيْبَانِيَّةِ وَبَيْنَ تَبَعِ الْأَصْغَرِ أَبِي كَرْبٍ وَيَسْتَأْسِفُ مِنْهُمْ  
أَيْضًا وَمَعَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ بَعْدَ الْكَيْبَانِيَّةِ وَالسَّاسَانِيَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ بِمَجَاوِزَةِ أَرْضِ فَارِسَ  
بِالْغَزْوِ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ وَالتَّبَتِ وَهُوَ مُنْتَمِعٌ عَادَةً مِنْ أَجْلِ الْأُمَمِ الْمُعْتَرِضَةِ مِنْهُمْ  
وَالْحَاجَةِ إِلَى الْأَزُودَةِ وَالْعُلُوفَاتِ مَعَ بَعْدِ الشَّقَّةِ كَمَا مَرَّ فِالْأَخْبَارِ بِذَلِكَ وَاهِيَةٌ مَدْخُولَةٌ  
وَهِيَ لَوْ كَانَتْ صَحِيحَةً النَّقْلِ لِمَكَانِ ذَلِكَ قَادِحًا فِيهَا فَكَيْفَ وَهِيَ لَمْ تُنْقَلْ مِنْ وَجْهِ صَحِيحٍ  
وَقَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي خَبَرِ يَتْرِبَ وَ لَأُوسَ وَالْخَزْرَجِ أَنَّ تَبَعًا الْآخَرَ سَارَ إِلَى الْمَشْرِقِ  
مَحْمُولًا عَلَى الْعِرَاقِ وَبِلَادِ فَارِسَ وَمَا بِلَادُ التُّرْكِ وَالتَّبَتِ فَلَا يَصِحُّ غَزْوُهُمْ إِلَيْهَا بِوَجْهِ  
لِمَا نَقَرَّرَ فَلَا تُثَقَّنَ بِمَا يُلْقَى إِلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ وَتَأَمَّلِ الْأَخْبَارَ وَأَعْرِضْهَا عَلَى الْقَوَائِدِ

الصَّحِيحَةَ يَقَعُ لَكَ تَخْيِصُهَا بِاحْسَنِ وَجْهِ وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى الصَّوَابِ

فعل

وَأَبَدُ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْرَقُ فِي التَّوَهُّمِ مَا يَتَنَاقَلُهُ الْمَفْسِرُونَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْفَجْرِ فِي قَوْلِهِ  
تَعَالَى أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ فَيَجْعَلُونَ لَفْظَةَ إِرْمَ اسْمًا لِمَدِينَةٍ وَصَنَتِ  
بِأَنْهَازَاتِ عِمَادِ أَيِ اسَاطِينِ وَيَنْقُلُونَ أَنَّهُ كَانَ لِعَادِ بْنِ عَوْصِ بْنِ إِرْمَ ابْنَانِ هُمَا شَدِيدٌ  
وَشَدَادٌ مَلَكًا مِنْ بَعْدِهِ وَهَلَكَ شَدِيدٌ نَحَاصُ الْمَلِكِ لَشَدَادٍ وَدَانَتْ لَهُ مَلُوكُهُمْ وَسَمِعَ  
وَصَفَتْ الْجَنَّةَ فَقَالَ لِابْنَيْنِ مِثْلَهَا فَبَنَى مَدِينَةَ إِرْمَ فِي صَحَارَى عَدَنَ فِي مُدَّةِ ثَلَاثِينَ سَنَةً  
وَكَانَ عُمُرُهُ تِسْعِينَ سَنَةً وَأَنَّهَا مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ قُصُرُهَا مِنَ الذَّهَبِ وَاسَاطِينُهَا مِنَ الزَّرْبُجِ  
وَالْيَاقُوتِ وَفِيهَا أَصْنَافُ الشَّجَرِ وَالْأَنْهَارُ الْمَطْرُودَةُ وَلَمَّا تَمَّ بِنَاؤُهَا سَارَ إِلَيْهَا بِأَهْلِ  
مَمْلَكَتِهِ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْهَا عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَوَلِيَتْهُ بَعَثَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صَيِّحَةً مِنَ السَّمَاءِ  
فَهَلَكُوا كُلُّهُمْ . ذَكَرَ ذَلِكَ الطَّبْرِيُّ وَالنَّعَائِيُّ وَالزَّمْخَشَرِيُّ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمَفْسِرِينَ  
وَيَنْقُلُونَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَلَابَةَ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ فَوَقَعَ عَلَيْهَا وَحَمَلٌ  
مِنْهَا مَا قَدَرَ عَلَيْهِ وَبَلَغَ خَبْرُهُ مُعَاوِيَةَ فَأَحْضَرَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ فَبَحَثَ عَنْ كَعْبِ الْأَخْبَارِ وَسَأَلَهُ  
عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ هِيَ إِرْمُ ذَاتِ الْعِمَادِ وَسَيَدْخُلُهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحْمَرٌ أَشَقْرٌ قَصِيرٌ  
عَلَى حَاجِبِهِ خَالٌ وَعَلَى عُنُقِهِ خَالٌ يَخْرُجُ فِي طَلَبِ إِبِلٍ لَهُ ثُمَّ التَفَتَ فَأَبْصَرَ ابْنَ قَلَابَةَ فَقَالَ  
هَذَا وَاللَّهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ . وَهَذِهِ الْمَدِينَةُ لَمْ يُسْمَعْ لَهَا خَبْرٌ مِنْ يَوْمئِذٍ فِي شَيْءٍ مِنْ بَقَاعِ الْأَرْضِ  
وَصَحَارَى عَدَنَ الَّتِي زَعَمُوا أَنَّهَا بَنِيَتْ فِيهَا هِيَ فِي وَسْطِ الْيَمَنِ وَمَا زَالَ عُمُرَانُهُ مُتَعَابًا  
وَالْأَدْلَاءُ تَقْضُ طَرْفَهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ خَبْرٌ وَلَا ذَكَرَهَا أَحَدٌ  
مِنَ الْأَخْبَارِيِّينَ وَلَا مِنَ الْأُمَمِ وَلَوْ قَالُوا إِنَّهَا دُرُسَتْ فِيمَا دُرُسَتْ مِنَ الْآثَارِ لَكَانَ أَشْبَهُ إِلَّا  
أَنَّ ظَاهِرَ كَلَامِهِمْ أَنَّهَا مَوْجُودَةٌ وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ إِنَّهَا دِمَشْقُ بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ قَوْمَ عَادَ مَلَكُوها  
وَقَدْ يَبْهِي الْهَدْيَانَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا غَائِبَةٌ وَإِنَّمَا يَعْتَرُ عَلَيْهَا أَهْلُ الرِّيَاضَةِ وَالسَّحْرِ مَزَاعِمٌ  
كُلُّهَا أَشْبَهُ بِالْخُرَافَاتِ وَالَّذِي حَمَلَ الْمَفْسِرِينَ عَلَى ذَلِكَ مَا أَقْتَضَتْهُ صِنَاعَةُ الْأَعْرَابِ فِي  
لَفْظَةِ ذَاتِ الْعِمَادِ أَنَّهَا صِفَةُ إِرْمَ وَحَمَلُوا الْعِمَادَ عَلَى الْأَسَاطِينِ فَتَعَيَّنَ أَنَّ يَكُونُ بِنَاءً وَرَبَّحَ  
لَهُمْ ذَلِكَ قِرَاءَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ عَادُ إِرْمَ عَلَى الْإِضَافَةِ مِنْ غَيْرِ تَبْوِينٍ ثُمَّ وَقَفُوا عَلَى تِلْكَ  
الْحِكَايَاتِ الَّتِي هِيَ أَشْبَهُ بِالْأَفَاصِيصِ الْمَوْضُوعَةِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَى الْكُذْبِ الْمُنْقُولَةِ

فِي عِدَادِ الْمُضْحِكَاتِ وَالْأَفَاعِدِ هِيَ عِمَادُ الْأَخْبِيَةِ بَلْ الْخِيَامِ وَإِنْ أُرِيدَ بِهَا  
 الْأَسَاطِينُ فَلَا يَدْعُ فِي وَصْفِهِمْ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ بِنَاءٍ وَأَسَاطِينُ عَلَى الْعُمُومِ بِمَا أَشْتَهَرَ مِنْ قُوَّتِهِمْ  
 لِأَنَّهُ بِنَاءٌ خَاصٌّ فِي مَدِينَتِهِ مَعِينَةٌ أَوْ غَيْرَهَا وَإِنْ أَضِيفَتْ كَمَا فِي قِرَاءَةِ ابْنِ الرَّبْرِ فَعَلَى  
 إِضَافَةِ الْفَصِيلَةِ إِلَى الْقَبِيلَةِ كَمَا نَقُولُ قُرَيْشُ كِنَانَةَ وَالْيَاسُ مُضَرٌ وَرَبِيعَةٌ نِزَارٌ وَآيُ  
 ضَرُورَةٌ إِلَى هَذَا النُّحْمَلِ الْبَعِيدِ الَّذِي نُحْمَلَتْ لِتَوْجِيهِهِ لِأَمْتَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ الْوَاهِمَةِ  
 الَّتِي يُزَكُّهُ كِتَابُ اللَّهِ عَنْ مِثْلِهَا لِبُعْدِهَا عَنِ الصِّحَّةِ وَمِنْ الْحِكَايَاتِ الْمَدْخُولَةِ لِلْمَوْزُونِ  
 مَا يَنْقَلُونَهُ كَافَّةً فِي سَبَبِ نَكْبَةِ الرَّشِيدِ لِلْبِرَامِكَةِ مِنْ قِصَّةِ الْعَبَّاسَةِ أُخْبَهُ مَعَ جَعْفَرِ بْنِ  
 يَحْيَى بْنِ خَالِدِ مَوْلَاهُ وَأَنَّهُ لِكَلْفِهِ بِمَكَانِهِمَا مِنْ مُعَاقَرَتِهِ إِيَّاهُمَا الْخَمْرَ أَذِنَ لَهُمَا فِي  
 عَقْدِ النِّكَاحِ دُونَ الْخُلُوعِ حَرْصًا عَلَى أَجْمَاعِهِمَا فِي مَجْلِسِهِ وَأَنَّ الْعَبَّاسَةَ تَحَيَّتْ عَلَيْهِ فِي  
 النَّاسِ الْخُلُوعَ بِهِ لِمَا شَغَفَهَا مِنْ حُبِّهِ حَتَّى وَاقَعَهَا (زَعَمُوا فِي حَالَةِ السُّكْرِ) فَحَمَلَتْ وَوُثِّي  
 بِذَلِكَ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَعْصَبَ وَهَيْبَاتُ ذَلِكَ مِنْ مَنَصِبِ الْعَبَّاسَةِ فِي دِينِهَا وَأَبْوَابِهَا وَجَلَالِهَا  
 وَأَنَّهَا بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلَّا أَرْبَعَةٌ رَجَالٌ هُمْ أَشْرَافُ الدِّينِ وَعَظَمَاءُ  
 الْمِلَّةِ مِنْ بَعْدِهِ وَالْعَبَّاسَةُ بِنْتُ مُحَمَّدِ الْمَهْدِيِّ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ بْنِ مُحَمَّدِ  
 السَّجَّادِ ابْنِ عَلِيِّ أَبِي الْخَلْفَاءِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ تَرْجَمَانَ الْقُرْآنِ ابْنَ الْعَبَّاسِ عَمِّ النَّبِيِّ (صَلَّمَ)  
 ابْنَةُ خَلِيفَةٍ أُخْتُ خَلِيفَةٍ مَخْفُوفَةٌ بِالْمَلِكِ الْعَزِيزِ وَالْخِلَافَةُ النَّبَوِيَّةُ وَنُحْبَةُ الرَّسُولِ وَعُمُومَتُهُ  
 وَإِقَامَةُ الْمِلَّةِ وَنُورُ الْوَحْيِ وَمَهْبِطُ الْمَلَائِكَةِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهَا قَرِيبَةٌ عَهْدٌ بِدَاوَةَ الْعَرُوبِيَّةِ  
 وَسَدَاجَةِ الدِّينِ الْبَعِيدَةِ عَنْ عَوَائِدِ التَّرَفِ وَمَرَاتِعِ الْفَوَاحِشِ فَأَبْنُ يَطْلُبُ الصُّونَ وَالْعِنَافُ  
 إِذَا ذَهَبَ عَنْهَا أَوْ أَيْنَ تُوُجِدُ الطَّهَارَةُ وَالذِّكَاةُ إِذَا فُقِدَا مِنْ بَيْتِهَا أَوْ كَيْفَ تَلْحَمُ لَسَّهَا  
 بِجَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى وَتُدَسُّ شَرَفُهَا الْعَرَبِيُّ بِمَوْلَى مِنْ مَوَالِي الْعَجَمِ بِمِلْكَةِ جَدِّهِ مِنَ الْفُرسِ  
 أَوْ بَوْلَاءِ جَدِّهَا مِنْ عُمُومَةِ الرَّسُولِ وَأَشْرَافِ قُرَيْشٍ وَغَايَتُهُ أَنْ جَدَّتْ دَوْلَتُهُمْ بِضَبْعِهِ  
 وَضَبَعِ أَبِيهِ وَاسْتَخَاصَتْهُمْ وَرَفَقَتْهُمْ إِلَى مَنَازِلِ الْأَشْرَافِ وَكَيْفَ يَسُوعُ مِنَ الرَّشِيدِ أَنْ  
 يَصْهَرَ إِلَى مَوَالِي الْأَعَاجِمِ عَلَى بَعْدِ هَمَّتِهِ وَعَظْمِ آبَائِهِ وَلَوْ نَظَرَ الْمَتَّامِلُ فِي ذَلِكَ نَظَرَ  
 الْمُنْصِفِ وَقَاسَ الْعَبَّاسَةَ بِأَبْنَةِ مَلِكٍ مِنْ عَظَمَاءِ مَلُوكِ زَمَانِهِ لَأَسْتَنْكَفَ لَهَا عَنْ مِثْلِهِ مَعَ  
 مَوْلَى مِنْ مَوَالِي دَوْلَتِهَا وَفِي سُلْطَانِ قُوَّتِهَا وَأَسْتَنْكَرَهُ وَحَجَّ فِي تَكْذِيبِهِ وَأَبْنُ قَدْرُ الْعَبَّاسَةِ  
 وَالرَّشِيدِ مِنَ النَّاسِ وَإِنَّمَا نَكْبُ الْبِرَامِكَةَ مَا كَانَ مِنْ أَسْتَبْدَادِهِمْ عَلَى الدَّوْلَةِ وَاحْتِجَابِهِمْ

أَمْوَالِ الْجَبَايَةِ حَتَّى كَانَ الرَّشِيدُ يَطْلُبُ الْيَسِيرَ مِنَ الْمَالِ فَلَا يَصِلُ إِلَيْهِ فَعَلِبُوهُ عَلَى أَمْرِهِ  
 وَشَارَكُوهُ فِي سُلْطَانِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مَعَهُمْ تَصَرُّفٌ فِي أُمُورِ مَلِكِهِ فَعَظُمَتْ آثَارُهُمْ وَبَعُدَ  
 صِيَتُهُمْ وَعَمَرُوا مَرَاتِبَ الدَّوْلَةِ وَخَطَطَهَا بِالرُّؤْسَاءِ مِنْ وُلْدِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَأَحْتَارَوْهَا عَمَّنْ  
 سِوَاهُمْ مِنْ وَزَارَةٍ وَكِتَابَةٍ وَقِيَادَةٍ وَحِجَابَةٍ وَسَيْفٍ وَقَلَمٍ . يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ يَدَارُ الرَّشِيدِ مِنْ  
 وُلْدِ يَعْجِي بْنِ خَالِدٍ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ رَئِيسًا مِنْ بَيْنِ صَاحِبِ سَيْفٍ وَصَاحِبِ قَلَمٍ زَاخُمُوا فِيهَا  
 أَهْلَ الدَّوْلَةِ بِالْمَنَازِكِ وَدَفَعُوهُمْ عَنْهَا بِالرَّاحِ لِمَكَانِ أَيْبِهِمْ يَعْجِي مِنْ كِفَالَةِ هَارُونَ وَوَلِيَّ  
 عَهْدٍ وَخَلِيفَتَهُ حَتَّى شَبَّ فِي شَجَرِهِ وَدَرَجَ مِنْ عَشِيهِ وَغَلَبَ عَلَى أَمْرِهِ وَكَانَ يَدْعُوهُ يَا أَبَتِ  
 فَتَوَجَّهَ الْإِثْبَارُ مِنَ السُّلْطَانِ إِلَيْهِمْ وَعَظُمَتِ الدَّالَّةُ مِنْهُمْ وَأَنْبَسَطَ الْجَاهُ عِنْدَهُمْ وَأَنْصَرَفَتْ  
 نَحْوُهُمُ الْوُجُوهُ وَخَضَعَتْ لَهُمُ الرِّقَابُ وَقَصُرَتْ عَلَيْهِمُ الْأَمَالُ وَتَخَطَّتْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَفْصَى  
 الْأَنْحُومِ هَدَايَا الْمُلُوكِ وَتَحَفُّ الْأُمَرَاءُ وَتَسَرَّبَتْ إِلَى خِزَانَتِهِمْ فِي سَبِيلِ التَّلْزِفِ وَالْإِسْتِجَالَةِ  
 أَمْوَالِ الْجَبَايَةِ وَأَفَاضُوا فِي رِجَالِ الشَّيْعَةِ وَعَظَمَاءِ الْقِرَابَةِ الْعَطَاءَ وَطَوَّقُوهُمُ الْمَنِينَ وَكَسَبُوا  
 مِنْ يُونَاتِ الْأَشْرَافِ الْمُدْعَمَ وَفَكَوُوا الْعَانِيَّ وَمُدْحُوا بِمَا لَمْ يَمُدِّحْ بِهِ خَلِيفَتَهُمْ وَأَسْنَوْا  
 لِعِفَاتِهِمْ الْجَوَائِزَ وَالصَّلَاتَ وَأَسْتَوْلُوا عَلَى الْقُرَى وَالضَّيَاعِ مِنَ الضَّوَاحِي وَالْأَمْصَارِ فِي  
 سَائِرِ الْمَمَالِكِ حَتَّى أَسْنَوْا الْبَطَانَةَ وَأَحْفَدُوا الْخَاصَّةَ وَأَغْصُوا أَهْلَ الْوَلَايَةِ فَكَشَفَتْ  
 لَهُمْ وُجُوهُ الْمُنَافَسَةِ وَالْحَسَدِ وَدَبَّتْ إِلَى مَهَادِهِمُ الْوَتِيرُ مِنَ الدَّوْلَةِ عَقَارِبُ السَّعَايَةِ حَتَّى  
 لَقِدَ كَانَ بِنُوحِطْبَةِ أَخْوَالِ جَعْفَرٍ مِنْ أَعْظَمِ السَّاعِينَ عَلَيْهِمْ لَمْ تَعْظُمِ لِمَا وَقَرَ فِي نَفْسِهِمْ  
 مِنَ الْحَسَدِ عَوَاطِفُ الرَّحْمِ وَلَا وَزَعَتُهُمْ وَأَصِرَ الْقِرَابَةُ وَقَارَنَ ذَلِكَ عِنْدَ مَخْدُومِهِمْ نَوَاشِيَّ  
 الْغَيْرَةِ وَالْأَسْتِنْكَافِ مِنَ الْحَجْرِ وَالْأَنْفَةِ وَكَانَ الْحَقُودُ الَّتِي بَعَثَتْهَا مِنْهُمْ صَعَارُ الدَّالَّةِ  
 وَانْتَهَى بِهَا الْإِضْرَارُ عَلَى شَأْنِهِمْ إِلَى كِبَائِرِ الْمُخَالَفَةِ كَقَصَصَتِهِمْ فِي يَعْجِي بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ  
 حَسَنِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخِي مُحَمَّدٍ الْمَهْدِيِّ الْمَأْتَبِ بِالنَّهْشِ الزَّكِيَّةِ  
 أَخَارِجَ عَلَى الْمَنْصُورِ وَيَعْجِي هَذَا هُوَ الَّذِي اسْتَنْزَلَهُ الْفَضْلُ بْنُ يَعْجِيٍّ مِنْ بِلَادِ الدَّيْلَمِ  
 عَلَى أَمَانِ الرَّشِيدِ بِخَطِّهِ وَبَدَّلَ لَهُمْ فِيهِ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَدَفَعَهُ  
 الرَّشِيدُ إِلَى جَعْفَرٍ وَجَعَلَ اعْتِقَالَهُ يَدَارِهِ وَإِلَى نَظَرِهِ حَبْسَهُ مُدَّةً ثُمَّ حَمَلَتْهُ الدَّالَّةُ عَلَى  
 تَخْلِيَةِ سَبِيلِهِ وَالْإِسْتِبْدَادِ بِحَلِّ عِقَالِهِ حَرَمًا لِدِمَائِهِمْ أَهْلَ الْبَيْتِ بِزَعْمِهِ وَدَالَّةً عَلَى السُّلْطَانِ  
 فِي حُكْمِهِ . وَسَأَلَهُ الرَّشِيدُ عَنْهُ لَمَّا وَشِيَ بِهِ إِلَيْهِ فَنَظَرَ فِيهِ وَقَالَ أَطْلَقْتُهُ فَأَبَدَى لَهُ وَجْهَهُ

الاستحسان وأسرها في نفسه فأوجد السبيل بذلك على نفسه وقومه حتى ثل عرشهم  
 وأقيمت عليهم ساوئهم وخسفت الأرض بهم وبادرهم وذهبت سلفا ومثلا للآخرين أيامهم  
 ومن تأمل أخبارهم واستقصى سير الدولة وسيرهم وجد ذلك محققا لآخر مبدء الأسباب  
 وأنظر ما نقله ابن عبد ربه في مفاوضة الرشيد عم جده داود بن علي في شأن نكبتهم  
 وما ذكره في باب الشعراء في كتاب العقد في محاوراة الأعمى للرشيد والفضل بن  
 يحيى في سمرهم نتمهم أنه إنما قتلهم الغيرة والمنافسة في الاستبداد من الخليفة فمن  
 دونه وكذلك ما تحيل به أعداؤهم من البطانة فيما دسوه للمغنين من الشعر احتيالا على  
 أسماء الخليفة وتحرىك حقائقهم وهو قوله

لَيْتَ هَذَا أُنْجَزَ تَمَّ مَا تَعَدَّ      وَشَفَّتْ أَنْفُسَنَا مِمَّا نَحَدَّ  
 وَأَسْتَبَدَّتْ مَرَّةً وَاحِدَةً      إِنَّمَا الْعَاجِزُ مَنْ لَا يَسْتَبَدُّ

وإن الرشيد لما سمعها قال إني والله إني عاجز حتى بعثوا بأمثال هذه كل من غيرته  
 وسلطوا عليهم بأس انتقامه نعوذ بالله من غلبة الرجال وسوء الحال وأما ما ثموره  
 به الحكاية من معاورة الرشيد الحمر وأقران سكره بسكر الندمان فحاشا الله ما  
 علمنا عليه من سوء وأين هذا من حال الرشيد وقيامه بما يجب لمنصب الخلافة من  
 الدين والعدالة وما كان عليه من صحابة العلماء والأولياء ومحاوراته للفضيل بن عياض  
 وابن السماك والعمري ومكاتبته سفیان الثوري وبكائه من مواعظهم ودعائه  
 بمكة في طوافه وما كان عليه من العبادة والحفاظة على أوقات الصلوات وشهود  
 الصبح لأول وقتها حكى الطبري وغيره أنه كان يصلي في كل يوم مائة ركعة  
 نافلة وكان يغزو عاما ويحج عاما ولقد زجر ابن أبي مرزب عن مضحكه في سمره حين تعرض  
 له بمثل ذلك في الصلاة لما سمعه يقرأ وما لي لا أعبد الذي فطرني وقال والله ما  
 أدري لم فما تمالك الرشيد أن ضحك ثم التفت إليه مغضبا وقال يا ابن أبي مرزب في  
 الصلاة أيضا إياك وإياك والقرآن والدين ولك ما شئت بعدهما وأيضا فقد كان من  
 العلم والسداجة بمكان اقرب عهده من سلفه المستحلين لذلك ولم يكن بينه وبين  
 جده أبي جعفر بعيد زمن إنما خلفه غلاما وقد كان أبو جعفر بمكان من العلم والدين  
 قبل الخلافة وبعدها وهو القائل لمالك حين أشار عليه بتأليف الموطأ يا أبا عبد الله

أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَعْلَمُ مِنِّي وَمِنْكَ وَإِنِّي قَدْ شَغَلْتَنِي الْخِلَافَةُ فَضَعْتُ أَنْتَ لِلنَّاسِ  
 كِتَابًا يَنْتَفِعُونَ بِهِ تَجَنَّبَ فِيهِ رُخْصَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَشَدَائِدَ ابْنِ عُمَرَ وَوَطْئَهُ لِلنَّاسِ تَوَطُّئَهُ  
 قَالَ مَالِكٌ قَوْلًا لِلَّهِ لَقَدْ عَلِمْتَنِي التَّصْنِيفَ يَوْمَئِذٍ وَلَقَدْ أَدْرَكَهُ ابْنُهُ الْمَهْدِيُّ أَبُو الرَّشِيدِ  
 هَذَا وَهُوَ بَتَوَرَّعٍ عَنِ كَسْوَةِ الْجَدِيدِ لِعِيَالِهِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ يَوْمًا وَهُوَ بِحَجَلِسِهِ  
 بِأَشْرِ الْحَيَّاطِينَ فِي إِزْفَاعِ الْخُلُقَانِ مِنْ ثِيَابِ عِيَالِهِ فَاسْتَنْكَفَ الْمَهْدِيُّ مِنْ ذَلِكَ  
 وَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ كَسْوَةُ هَذِهِ الْعِيَالِ عَامِنَا هَذَا مِنْ عَطَائِي فَقَالَ لَهُ لَكَ ذَلِكَ وَلَمْ  
 يَصُدَّهُ عَنْهُ وَلَا سَمَحَ بِالْإِنْفَاقِ فِيهِ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ فَكَيْفَ يَلِيقُ بِالرَّشِيدِ عَلَى قُرْبِ  
 الْعَهْدِ مِنْ هَذَا الْخُلِيفَةِ وَأَبُوته وَمَا رُبِّيَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ السَّيْرِ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ وَالْتِحَاقِ  
 بِهَا أَنْ يُعَاقَرَ الْخُمْرَ أَوْ يُجَاهَرَ بِهَا وَقَدْ كَانَتْ حَالَةُ الْأَشْرَافِ مِنَ الْعَرَبِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي  
 اجْتِنَابِ الْخُمْرِ مَعْلُومَةً وَلَمْ يَكُنِ الْكُرْمُ شَجَرَتُهُمْ وَكَانَ شُرْبُهَا مَدْمَةً عِنْدَ الْكَثِيرِ  
 مِنْهُمْ وَالرَّشِيدُ وَأَبَاؤُهُ كَانُوا عَلَى تَبَجُّجٍ مِنْ اجْتِنَابِ الْمَدْمُومَاتِ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَالْتِحَاقِ  
 بِالْحَمَامِدِ وَأَوْصَافِ الْكَمَالِ وَتَرْغَاتِ الْعَرَبِ وَأَنْظَرُوا مَا نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ  
 فِي قِصَّةِ جَبْرِئِيلَ بْنِ بَحْتِيشُوعَ الطَّيِّبِ حِينَ أُحْضِرَ لَهُ السَّمَكُ فِي مَائِدَتِهِ فَحَدَّاهُ عَنْهُ ثُمَّ  
 أَمَرَ صَاحِبَ الْمَائِدَةِ بِحَمْلِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ وَفَطَنَ الرَّشِيدُ وَأَرْتَابَ بِهِ وَدَسَّ خَادِمُهُ حَتَّى  
 عَابَهُ بِتَنَاوُلِهِ فَأَعَادَ ابْنُ بَحْتِيشُوعَ لِلْإِعْتِدَارِ ثَلَاثَ قِطْعٍ مِنَ السَّمَكِ فِي ثَلَاثَةِ أَقْدَاحٍ خَلَطَ  
 إِحْدَاهَا بِاللَّحْمِ الْمَعَالِجِ بِالتَّوَابِلِ وَالْبُقُولِ وَالْبُورَادِ وَالْحَلْوَى وَصَبَّ عَلَى الثَّانِيَةِ مَاءً مُنْبَجًا  
 وَعَلَى الثَّلَاثَةِ خُمْرًا صِرْفًا وَقَالَ فِي الْأَوَّلِ وَالثَّانِي هَذَا طَعَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ خَلَطَ السَّمَكُ  
 بِغَيْرِهِ أَوْ لَمْ يَخْلُطْهُ وَقَالَ فِي الثَّلَاثِ هَذَا طَعَامُ ابْنِ بَحْتِيشُوعَ وَدَفَعَهَا إِلَى صَاحِبِ الْمَائِدَةِ  
 حَتَّى إِذَا انْتَبَهَ الرَّشِيدُ وَأَحْضَرَهُ لِلتَّوْبِيخِ أَحْضَرَ ثَلَاثَةَ الْأَقْدَاحِ فَوَجَدَ صَاحِبَ الْخُمْرِ  
 قَدْ اخْتَلَطَ وَأَمَاعَ وَتَمَتَّتْ وَوَجَدَ الْآخَرِينَ قَدْ فَسَدُوا وَتَغَيَّرَتْ رَأْيَتُهُمَا فَكَانَتْ لَهُ فِي ذَلِكَ  
 مَعْدَرَةٌ وَتَبَيَّنَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ حَالَ الرَّشِيدِ فِي اجْتِنَابِ الْخُمْرِ كَانَتْ مَعْرُوفَةً عِنْدَ بَطَانَتِهِ  
 وَأَهْلِ مَائِدَتِهِ وَلَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ أَنَّهُ عَهْدَ بِحَسِّ أَبِي نُوَّاسٍ لِمَا بَلَغَهُ مِنْ أَنَّهُمَا كِهِيَ فِي الدُّعَاةِ  
 حَتَّى تَابَ وَأَقْلَعُ وَإِنَّمَا كَانَ الرَّشِيدُ يَشْرَبُ نَبِيذَ التَّمْرِ عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَفَتَاوَاهِمِهِمْ  
 فِيهَا مَعْرُوفَةٌ وَأَمَّا الْخُمْرُ الصَّرْفُ فَلَا سَبِيلَ إِلَى اتِّهَامِهِ بِهَا وَلَا تَقْلِيدِ الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ فِيهَا  
 فَلَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ يَحِثُّ يُوَاقِعُ مَخْرَمًا مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ عِنْدَ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَلَقَدْ كَانَ

أُولَئِكَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ بِمَنْحَةِ مِنْ أَرْكَابِ السَّرَفِ وَالزَّرْفِ فِي مَلَائِهِمْ وَزِينَتِهِمْ وَسَائِرِ  
 مُتَنَاوَلَاتِهِمْ إِمَّا كَانُوا عَلَيْهِمْ مِنْ خَشْوَتِهِ الدَّادَةِ وَسَدَاجَةِ الدِّينِ الَّتِي لَمْ يَبَارِفُوهَا بَعْدَ فَمَا  
 ظَنُّكَ بِمَا يَخْرُجُ عَنِ الْأَبَاحَةِ إِلَى الْخَطَرِ وَعَنِ الْحَلَّةِ إِلَى الْحُرْمَةِ وَلَقَدْ اتَّفَقَ الْمُؤَرِّخُونَ  
 الطَّبْرِيُّ وَالْمَسْعُودِيُّ وَعَظِيمُهُمْ عَلَى أَنْ يَجْمَعَ مِنْ سَأَفٍ مِنْ خَلَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ  
 إِمَّا كَانُوا يَرِيبُونَ بِالْحَيَاةِ الْخَفِيفَةِ مِنَ الْفَضَّةِ فِي الْمَنَاطِقِ وَالسُّيُوفِ وَاللُّجَمِ وَالسُّرُوجِ  
 وَأَنَّ أَوَّلَ خَلِيفَةِ أَحَدِ الرُّكُوبِ بِحَلِيَّةِ الذَّهَبِ هُوَ الْمُعَزُّ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ ثَامِنُ الْخَلَفَاءِ  
 بَعْدَ الرَّشِيدِ وَهَكَذَا كَانَ حَالُهُمْ أَيْضًا فِي مَلَائِهِمْ فَمَا ظَنُّكَ بِمَشَارِبِهِمْ وَيَتَبَيَّنُ ذَلِكَ  
 بِاتِّمَامِ مِنْ هَذَا إِذَا فَهِمْتَ طَبِيعَةَ الدَّوْلَةِ فِي أَوَّلِهَا مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْغَضَاظَةِ كَمَا نَشْرَحُ فِي  
 مَسَائِلِ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى الصَّوَابِ وَيُنَاسِبُ هَذَا  
 أَوْ قَرِيبٌ مِنْهُ مَا يَقُولُونَهُ كَافَّةً عَنْ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمِ قَاضِي الْمَأْمُونِ وَصَاحِبِهِ وَأَنَّهُ كَانَ  
 يُعَاقِرُ الْأَحْمَرَ وَأَنَّهُ سَكَّرَ لَيْلَةً مَعَ شَرِبِهِ فُدْفِنَ فِي الرِّيْحَانِ حَتَّى أَفَاقَ وَيُنْشِدُونَ عَلَى لِسَانِهِ  
 يَا سَيِّدِي وَأَمِيرَ النَّاسِ كُلِّهِمْ قَدْ جَارَ فِي حُكْمِهِ مَنْ كَانَ يَسْفِينِي  
 إِنِّي غَنَمْتُكَ عَنِ السَّاقِي فَصَبِّرْني كَمَا تَرَانِي سَلِيبَ الْعَقْلِ وَاللِّدِينِ  
 وَحَالُ ابْنِ أَكْثَمِ وَالْمَأْمُونِ فِي ذَلِكَ مِنْ حَالِ الرَّشِيدِ وَشَرَابِهِمْ إِنْمَا كَانَ التَّيْبِدُ  
 وَلَمْ يَكُنْ مَحْظُورًا عِنْدَهُمْ وَأَمَّا السُّكْرُ فَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِمْ وَصَحَابَتُهُ لِلْمَأْمُونِ إِنْمَا كَانَتْ  
 خَلَّةً فِي الدِّينِ وَلَقَدْ ثَبِتَ أَنَّهُ كَانَ يَتَامُ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ وَنُقِلَ فِي فِضَائِلِ الْمَأْمُونِ وَحُسْنِ  
 عَشْرَتِهِ أَنَّهُ أَنْتَبَهَ ذَاتَ لَيْلَةٍ عَطْشَانٌ فَنَقَمَ يَتَحَسَّسُ وَيَأْتَمِسُ الْإِنَاءَ مَخَافَةَ أَنْ يَوْفِظَ يَحْيَى  
 بِنَ أَكْثَمِ وَثَبِتَ أَنَّهُمَا كَانَا يُصَلِّيَانِ الصُّبْحَ جَمِيعًا فَأَبْنُ هَذَا مِنَ الْمَعَاقِرَةِ وَأَيْضًا فَإِنَّ  
 يَحْيَى بْنَ أَكْثَمِ كَانَ مِنْ عَلَيْهِ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَقَدْ أَتَنَى عَلَيْهِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ  
 وَاسْمَاعِيلُ الْقَاضِي وَخَرَجَ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ كِتَابَهُ الْجَامِعَ وَذَكَرَ الْمُزَنِيُّ الْخَافِظُ أَنَّ الْبُخَارِيَّ  
 رَوَى عَنْهُ فِي غَيْرِ الْجَامِعِ فَالْقَدْحُ فِيهِ قَدْحٌ فِي جَمِيعِهِمْ وَكَذَلِكَ مَا يَنْبِزُهُ النُّجَّانُ بِالْمَيْلِ  
 إِلَى الْعِلْمَانِ هَبْتَانًا عَلَى اللَّهِ وَفَرِيَّةً عَلَى الْعُلَمَاءِ وَيَسْتَنْدُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى أَخْبَارِ الْقِصَاصِ  
 الْوَاهِمَةِ الَّتِي لَعَلَّهَا مِنْ أَفْرَاءِ أَعْدَائِهِ فَإِنَّهُ كَانَ مُحْسُودًا فِي كَمَالِهِ وَخَلَّتِهِ لِلسُّلْطَانِ وَكَانَتْ  
 مَقَامُهُ مِنَ الْعِلْمِ وَاللِّدِينِ مَنْزَهًا عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ وَقَدْ ذَكَرَ لِابْنِ حَنْبَلٍ مَا يَرْمِيهِ بِهِ  
 النَّاسُ فَقَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَمَنْ يَقُولُ هَذَا وَأَنْكَرَ ذَلِكَ إِنْكَارًا شَدِيدًا وَأَتَنَى

عَلَيْهِ إِسْمَاعِيلُ الْقَاضِي فَقِيلَ لَهُ مَا كَانَ يُقَالُ فِيهِ فَقَالَ مَعَادُ اللَّهِ أَنْ تَزُولَ عَدَالَةُ مِثْلِهِ  
بِتَكْذِيبِ بَاغٍ وَحَاسِدٍ وَقَالَ أَيْضًا يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ أَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهِ شَيْءٌ  
مِمَّا كَانَ يُرْمَى بِهِ مِنْ أَمْرِ الْعُلَمَاءِ وَلَقَدْ كُنْتُ أَقِفُ عَلَى سِرَائِرِهِ فَأَجِدُهُ شَدِيدَ الْخُوفِ  
مِنَ اللَّهِ لِكُنْهٍ كَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ وَحُسْنُ خَلْقٍ فَرَمِي بِمَا رَمِي بِهِ ابْنُ حَبَّانٍ فِي النِّقَاتِ  
وَقَالَ لَا يُشْتَغَلُ بِمَا يُحْكَى عَنْهُ لِأَنَّ أَكْثَرَهَا لَا يَصِحُّ عَنْهُ وَمِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ  
مَا تَقَلَّهُ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ الْعَقْدِ مِنْ حَدِيثِ الزُّبَيْلِ فِي سَبَبِ إِصْهَارِ الْمَأْمُونِ إِلَى  
الْحُسَيْنِ بْنِ سَهْلِ فِي بَيْتِهِ بُورَانَ وَأَنَّهُ عَتَرَ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي فِي تَطَوُّفِهِ بِسِكَكِ بَغْدَادِ فِي  
زُبَيْلِ مُدَلِّيٍّ مِنْ بَعْضِ السُّطُوحِ بِمَعَالِقِ وَجَدَلِ مَعَارَةَ الْقَتْلِ مِنَ الْحَرِيرِ فَأَعْتَقَدَهُ وَتَنَاوَلَ  
الْمَعَالِقَ فَأَهْتَزَتْ وَذَهَبَ بِهِ صُعْدًا إِلَى مَجْلِسِ سَائِهِ كَذَا وَوَصَفَ مِنْ زِينَةِ فُرْشِهِ وَتَضِيدِ  
ابْنَيْهِ وَجَمَالِ رُؤْيَيْهِ مَا يَسْتَوْفِقُ الطَّرْفَ وَيَمْلِكُ النَّفْسَ وَأَنَّ امْرَأَةً بَرَزَتْ لَهُ مِنْ خَلَلِ  
السُّتُورِ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ رَائِقَةٌ الْجَمَالِ فَتَانَةٌ الْحَمَّاسِينَ فِحْيَتُهُ وَدَعَتْهُ إِلَى الْمُنَادِمَةِ فَلَمْ  
يَزَلْ يُعَاقِرُهَا الْحُمْرَ حَتَّى الصَّبَاحِ وَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ بِمَكَانِهِمْ مِنْ أَنْتِظَارِهِ وَقَدْ شَغَفَتْهُ  
حُبًّا بَعَثَهُ عَلَى الْأَصْهَارِ إِلَى أَبِيهَا وَأَبْنِ هَذَا كُلُّهُ مِنْ حَالِ الْمَأْمُونِ الْمَعْرُوفَةِ فِي دِينِهِ  
وَعِلْمِهِ وَأَقْفَانِهِ سُنَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ آبَائِهِ وَأَخَذَهُ بِسِيرِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ أَرْكَانِ  
الْمِلَّةِ وَمَنَاطِرِهِ الْعُلَمَاءِ وَحِظِهِ لِحُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى فِي صَوَانِيهِ وَأَحْكَامِهِ فَكَيْفَ تَصِحُّ  
عَنْهُ أَحْوَالُ النَّسَاقِ الْمُسْتَهْتَرِينَ<sup>(١)</sup> فِي الطَّوُافِ بِاللَّيْلِ وَطُرُوقِ الْمَنَازِلِ وَغَشْيَانِ السَّمْرِ  
سَبِيلِ عَشَاقِ الْأَعْرَابِ وَأَيْنَ ذَلِكَ مِنْ مَنْصِبِ ابْنَةِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَهْلِ وَشَرَفِهَا وَمَا كَانَ  
بِدَارِ أَبِيهَا مِنَ الصُّونِ وَالْعَنَافِ وَأَمْثَالِ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ كَثِيرَةٌ وَفِي كِتَابِ الْمُؤَرِّخِينَ  
مَعْرُوفَةٌ وَإِنَّمَا يَبْعَثُ عَلَى وَضْعِهَا وَالْحَدِيثُ بِهَا الْأَنْهَمَاكِ فِي اللَّذَاتِ الْحَرَمَةِ وَهَتَكَ فِتَاحِ  
الْمُخَدَّرَاتِ وَيَتَعَلَّقُونَ بِالتَّأْسِيِّ بِالْقَوْمِ فِيمَا يَأْتُونَهُ مِنْ طَاعَةِ لِدَائِمِهِمْ فَلِذَلِكَ تَرَاهُمْ كَثِيرًا مَا  
يَلْحَجُونَ بِأَشْبَاهِ هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَيَبْقَرُونَ عَنْهَا عِنْدَ تَصَحُّهِمْ لِأَوْرَاقِ الدَّوَابِّ وَلَوْ أَنْتَسَوْا بِهِمْ  
فِي غَيْرِ هَذَا مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَصَنَاتِ الْكَمَالِ اللَّائِقَةِ بِهِمْ الْمَشْهُورَةِ عَنْهُمْ لَكَانَ خَيْرًا  
لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَقَدْ عَدَلَتْ يَوْمًا بَعْضُ الْأُمَرَاءِ مِنَ الْأَنْبَاءِ الْمُلُوكِ فِي كَلْفِهِ بِتَعَلُّمِ  
الْغِنَاءِ وَوَلُوعِهِ بِالْأَوْتَارِ وَقُلْتُ لَهُ لَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِكَ وَلَا يَلِيْقُ بِمَنْصِبِكَ فَقَالَ لِي أَفَلَا

(١) المستهتر؛ لشيء بالغ الموضع ولا يبالي بما فعل فيه وشتم له والذي كثرت اباطيله اه قاموس

تَرَى إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ كَيْفَ كَانَ إِمَامَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَرئيسِ الدُّعْيَانِ فِي زَمَانِهِ  
 فَقُلْتُ لَهُ يَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَهَلَا تَأْسَيْتَ بِأَيِّهِ أَوْ أَخِيهِ أَوْ مَا رَأَيْتَ كَيْفَ قَعَدَ ذَلِكَ بِإِبْرَاهِيمَ  
 عَنْ مَنَاصِبِهِمْ فَصَمَّ عَنْ عَذْلِي وَأَعْرَضَ وَاللَّهِ يُهْدِي مَنْ يَشَاءُ. وَمِنَ الْأَخْبَارِ الْوَاهِيَةِ مَا  
 يَذْهَبُ إِلَيْهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ وَالْأَثْبَاتِ فِي الْعَبِيدِيِّينَ خُلَفَاءِ الشَّيْخَةِ بِالْقَيْرَوَانِ  
 وَالْقَاهِرَةِ مِنْ نَفْسِهِمْ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَالطَّعْنِ فِي نَسَبِهِمْ إِلَى إِسْمَاعِيلَ  
 الْأَيْمَانَ بْنِ جَعْفَرٍ الْأَصْدَقِ يَعْتَمِدُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى أَحَادِيثَ لُفِقَتْ لِلْمُسْتَضْعَنِينَ مِنْ  
 خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ تَرْكُلًا لِيَهْمُ بِالْقُدْحِ فِيمَنْ نَاصَهُمْ وَتَفَنَّنًا فِي الذَّمِّاتِ بَعْدُورِهِمْ حَسَبًا  
 نَدَّ كُرُّ بَعْضِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ فِي أَخْبَارِهِمْ وَيَعْمَلُونَ عَنِ النَّفْطِ شَوْهَدِ الْوَأَقْعَاتِ وَأَدَلَّةِ  
 الْأَحْوَالِ الَّتِي أَقْتَضَتْ خِلَافَ ذَلِكَ مِنْ تَكْذِيبِ دَعْوَاهُمْ وَالرَّدِّ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُمْ مَتَّفِقُونَ  
 فِي حَدِيثِهِمْ عَنْ مَبْدَأِ دَوْلَةِ الشَّيْخَةِ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْمُحْتَسِبَ لَمَّا دَعَى بِكْتَامَةَ الرَّزْزِي  
 مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ وَأَشْهَرَ خَبْرَهُ وَعَلَّمَ تَحْوِيمَهُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ وَأَبْنِهِ أَبِي الْقَاسِمِ  
 خَشِيًا عَلَى أَنْفُسِهِمَا فَهَرَبَا مِنَ الْمَشْرِقِ مَحَلَّ الْخِلَافَةِ وَأَجْزَا بَمِصْرَ وَأَنْهَبَا خَرْجًا مِنْ  
 الْأَسْكَندَرِيَّةِ فِي زِيِّ النَّجَّارِ وَنَمِي خَبْرُهُمَا إِلَى عَيْسَى النُّوْشَرِيِّ عَامِلِ مِصْرَ  
 وَالْأَسْكَندَرِيَّةِ فَسَرَّحَ فِي طَلَبِهِمَا الْخِيَالَةَ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَ خَفِي حَالَهُمَا عَلَى تَابِعِهِمَا بِمَا  
 لَبَّسُوا بِهِ مِنَ الْأَشَارَةِ وَالزِّيِّ فَافْتَنُوا إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَنَّ الْمَعْتَضِدَ أَوْعَرَ إِلَى الْأَغَالِبَةِ أُمْرَاءَ  
 أَفْرِيقِيًا بِالْقَيْرَوَانِ وَبَنِي مِدْرَارٍ أُمْرَاءَ سِجْلَمَاسَةَ بِأَخْذِ الْأَفَاقِ عَلَيْهِمَا وَإِذْ كَاءَ الْعِيُونِ  
 فِي طَلَبِهِمَا فَغَثَرَ الْيَشْعُ صَاحِبُ سِجْلَمَاسَةَ مِنْ آلِ مِدْرَارٍ عَلَى خَفِي مَكَانِهِمَا بِلَدِهِمَا وَعَتَقَلَهُمَا  
 مَرَضًا لِلْخَلِيفَةِ هَذَا قَبْلَ أَنْ تَطَهَّرَ الشَّيْخَةُ عَلَى الْأَغَالِبَةِ بِالْقَيْرَوَانِ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ مَا  
 كَانَ مِنْ ظُهُورِ دَعْوَتِهِمْ بِالْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةِ ثُمَّ بِالْيَمَنِ ثُمَّ بِالْأَسْكَندَرِيَّةِ ثُمَّ بِمِصْرَ  
 وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ وَقَاسَمُوا بِبَنِي الْعَبَّاسِ فِي مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ شِقَّ الْأَبْلَمَةِ وَكَادُوا يَلْحِقُونَ  
 عَلَيْهِمْ مَوَاطِنَهُمْ وَيَزِيلُونَ مِنْ أَمْرِهِمْ وَقَدْ أَظْهَرَ دَعْوَتَهُمْ بِبَغْدَادَ وَعَرِاقَهَا الْأَمِيرُ  
 الْبَسَاسِيرِيُّ مِنْ مَوَالِي الدَّبَلَمِ الْمُتَغَلَّبِينَ عَلَى خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي مُغَاضَبَةٍ جَرَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ  
 أُمْرَاءِ الْعَجَمِ وَخَطَبَ لَهُمْ عَلَى مَنَابِرِهَا حَوْلًا كَمَلًا وَمَا زَالَ بَنُو الْعَبَّاسِ يَغْضُونَ بِمَكَانِهِمْ  
 وَدَوْلَتِهِمْ وَمُلُوكِ بَنِي أُمِيَّةٍ وَرَاءَ الْبَحْرِ يَنَادُونَ بِالْوَيْلِ وَالْحَرْبِ مِنْهُمْ وَكَيْفَ يَقَعُ هَذَا كُلُّهُ  
 لِدَعْوِي فِي النَّسَبِ بِكُذْبِ فِي أَنْتَعَالِ الْأَمْرِ وَأَعْتَبِ حَالَ الْقَرْمَطِيِّ إِذْ كَانَ دَعِيًّا فِي

اَنْتِسَابِهِ كَيْفَ تَلَا شَتْ دَعْوَتُهُ وَتَفَرَّقَتْ اَتْبَاعُهُ وَظَاهَرَ سَرِيعًا دَلِي خُبْرَتِهِمْ وَمَكْرَهُمْ فَسَأَتِ  
 عَاقِبَتَهُمْ وَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَوْ كَانَ أَمْرُ الْعَبِيدِ بَيْنَ ذَلِكَ أَعْرِفَ وَلَوْ بَعْدَ مَهْلَةٍ  
 وَمَهْمَا يَكُنْ عِنْدَ أَمْرِي مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا نَخْتِي عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ  
 فَقَدْ اتَّصَتْ دَوْلَتُهُمْ نَحْوًا مِنْ مِائَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَوَلَّيْنَا قَامَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
 وَمَصْلَاهُ وَمَوْطِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَدْفِنُهُ وَمَوْفِقَ الْحَجَّاجِ وَمَهْبِطَ الْمَلَائِكَةِ  
 ثُمَّ أَنْقَرَضَ أَمْرَهُمْ وَشِيعَتَهُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى أُمَّةٍ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُمْ وَالْحُبِّ  
 فِيهِمْ وَأَعْتَقَادِهِمْ بِسَبِّ الْأَمَامِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ وَأَلْفَدَ خَرَجُوا مَرَارًا بَعْدَ  
 ذَهَابِ الدَّوْلَةِ وَدَرُوسِ أَثَرِهَا دَاعِينَ إِلَى بَدْعَتِهِمْ هَاتِفِينَ بِأَسْمَاءِ صِنْيَانٍ مِنْ أَعْقَابِهِمْ  
 بِزَعْمُونِ اسْتَحْقَاقِهِمْ لِلْخِلَافَةِ وَيَذْعِبُونَ إِلَى تَعْيِينِهِمْ بِالْوَصِيَّةِ مِنْ سَلَفِ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأَيْمَةِ  
 وَلَوْ أَنْبَأُوا فِي نَسَبِهِمْ لَمَّا رَكِبُوا أَعْنَاقَ الْأَخْطَارِ فِي الْأَنْصَارِ لَهُمْ فَصَاحِبُ الْبِدْعَةِ لَا  
 يُلَيْسُ فِي أَمْرِهِ وَلَا يُشَبَّهُ فِي بَدْعَتِهِ وَلَا يُكْذَبُ نَفْسُهُ فِيمَا يَتَحَلَّهُ وَانْعَجِبْ مِنَ الْقَازِي  
 أَبِي بَكْرٍ الْبُقْلَانِيِّ شَيْخِ الشُّطْرَانِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ كَيْفَ يَجْتَنِعُ إِلَى دَيْدِ الْعَقَالَةِ الدَّرَجُوحَةِ  
 وَيَرَى هَذَا الرَّأْيَ الضَّعِيفَ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِلْهَادِ فِي الدِّينِ وَالتَّمَعُّقِ  
 فِي الرِّافِضِيَّةِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَافِعٍ فِي صَدْرِ دَعْوَتِهِمْ وَأَيْسَ إِثْبَاتِ نَسَبِهِمْ الَّذِي يُغْنِي  
 عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا فِي كُفْرِهِمْ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى لِنُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شَأْنِ ابْنِهِ إِنَّهُ لَيْسَ  
 مِنْ أَهْلِكَ أَنَّهُ حَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لِفَاطِمَةَ بَعْظَهَا يَا فَاطِمَةُ أَعْمَلِي فَلَنْ أُغْنِيَ عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَمَتَى عَرَفَ امْرُؤٌ قَضِيَّةً أَوْ  
 اسْتَيْقَنَ أَمْرًا وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَصْدَعَ بِهِ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقُّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ وَالْقَوْمُ كَانُوا  
 فِي تَجَالٍ لظُنُونِ الدُّوَلِ بِهِمْ وَتَحْتَ رِقَبَةٍ مِنَ الطُّغَاةِ لِتَوْفُرِ شِيعَتِهِمْ وَأَنْتِشَارِهِمْ فِي الْقَاصِيَةِ  
 بِدَعْوَتِهِمْ وَتَكَرُّرِ خُرُوجِهِمْ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَلَاذَتْ رِجَالَتَهُمْ بِالْإِخْتِفَاءِ وَلَمْ يَكَادُوا  
 يُعْرِفُونَ كَمَا قِيلَ

فَلَوْ تَسَّأَلَ الْأَيَّامَ مَا أَسْمِي مَا دَرَّتْ وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَانِيَا  
 حَتَّى لَقَدْ سَمِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْأَمَامِ جِدِّ عَبِيدِ اللَّهِ الْهَدْيِيِّ بِالْمَكْنُومِ سَمْتَهُ بِذَلِكَ  
 شِيعَتُهُمْ لِمَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ إِخْتِائِهِ حَذَرًا مِنَ الدُّعَابِيِّينَ عَلَيْهِمْ فَتَوَصَّلَ شَيْعَةٌ مِنْ  
 الْعَبَّاسِ بِذَلِكَ عِنْدَ ظُهُورِهِمْ إِلَى الطُّغْنِ فِي نَسَبِهِمْ وَأَزْدَلُّوا بِهِذَا الرَّأْيَ الْقَائِلَ لِلْمُسْتَضْعِفِينَ

مِنْ خُلَفَائِهِمْ وَأَعْجَبَ بِهِ أَوْلِيَاؤُهُمْ وَأَمْرَاءُ دَوْلَتِهِمُ الْمُتَوَلُّونَ حُرُوبِهِمْ مَعَ الْأَعْدَاءِ يَدْفَعُونَ  
 بِهِ عَنِ أَنْفُسِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ مَعْرَةَ الْعَجْزِ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ وَالْمُدَافَعَةِ لِمَنْ غَلِبَهُمْ عَلَى الشَّامِ  
 وَمِصْرَ وَالْحِجَازِ مِنَ الْبُرَيْرِ الْكُتَّامِينَ شِيعَةَ الْعَبِيدِيِّينَ وَأَهْلَ دَعْوَتِهِمْ حَتَّى لَقَدْ اسْتَجَلَّ  
 الْقَضَاءُ بِبَغْدَادَ بِنْفِيهِمْ عَنِ هَذَا النَّسَبِ وَشَهِدَ بِذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ أَعْلَامِ النَّاسِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ  
 الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ وَأَخُوهُ الْمُرْتَضَى وَابْنُ الْمُطْحَاوِيِّ وَمِنْ الْعُلَمَاءِ أَبُو حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيُّ  
 وَالْقُدُورِيُّ وَالصِّمَرِيُّ وَابْنُ الْأَكْفَانِيِّ وَالْأَبُو زُرْدِيُّ وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ النُّعْمَانَ فَمِيقَةُ  
 الشَّيْعَةِ وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَعْلَامِ الْأُمَّةِ بِبَغْدَادَ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ وَذَلِكَ سَنَةَ سِتِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ  
 فِي أَيَّامِ الْقَادِرِ وَكَانَتْ شَهَادَتُهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى السَّمَاعِ لَمَّا اسْتَشْهَرَ وَعُرِفَ بَيْنَ النَّاسِ  
 بِبَغْدَادَ وَغَالِبَهَا شِيعَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ الطَّاعِنُونَ فِي هَذَا النَّسَبِ فَنَقَلَهُ الْأَخْبَارِيُّونَ كَمَا سَمِعُوهُ  
 وَرَوَوْهُ حَسْبَمَا وَعَوَهُ وَاحْتَقُ مِنْ وَرَائِهِ وَفِي كِتَابِ الْمُعْتَضِدِ فِي شَأْنِ عَبِيدِ اللَّهِ إِلَى ابْنِ  
 الْأَعْلَبِ بِالْقَيْرَوَانَ وَابْنِ مِذْرَارٍ بِسَجِلْمَاسَةَ أَصْدَقُ شَاهِدٍ وَأَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَى صِحَّةِ نَسَبِهِمْ  
 فَأَلْمَعْتَضِدُ أَفْعَدُ يَنْسَبُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَالدَّوْلَةَ وَالسُّلْطَانَ سَوْقًا لِلْعَالَمِ يُجْلِبُ إِلَيْهِ  
 بِضَائِعِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَتَلْتَمَسُ فِيهِ ضَوَالَ الْحُكْمِ وَتُعْجَدُ إِلَيْهِ رَكَابُ الرِّوَايَاتِ  
 وَالْأَخْبَارِ وَمَا نَفَقَ فِيهَا نَفَقَ عِنْدَ الْكِفَافَةِ فَإِنْ تَنَزَّهَتْ الدَّوْلَةُ عَنِ التَّعَسُّفِ وَالْمِيلِ وَالْأَفْنِ  
 وَالسُّفْسُفَةِ وَسَلَكَتْ النَّهْجَ الْأَمَّ وَوَلَمْ تَجْرُ (١) عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ نَفَقَ فِي سَوْقِهَا الْإِبْرِيذُ  
 الْخَالِصُ وَاللُّجَيْنُ الْمُصَفَّى وَإِنْ ذَهَبَتْ مَعَ الْأَغْرَاضِ وَالْحَقُودِ وَمَاجَتْ بِسَامِرَةَ الْعَرَبِ  
 الْبَغْيِ وَالْبَاطِلِ نَفَقَ الْبُهْرَجُ وَالزَّرَائِفُ وَالنَّاقِدُ الْبَصِيرُ نَظَرُهُ فِسْطَاسٌ بَحْثُهُ وَمِيزَانٌ وَمُلْتَمَسِيهِ  
 وَمِثْلُ هَذَا وَأَبَعْدُ مِنْهُ كَثِيرًا مَا يَتَنَاجَى بِهِ الطَّاعِنُونَ فِي نَسَبِ أَدْرِيسَ بْنِ أَدْرِيسَ بْنِ  
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (رَضَوَانَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) الْأَمَامِ  
 بَعْدَ أَبِيهِ بِالْمَغْرِبِ الْأَفْصَى وَيَعْرِضُونَ تَعْرِيفُ الْحَدِّ بِالْتَلْظُنِّ فِي الْحِمْلِ الْخُلْفِ عَنْ  
 أَدْرِيسَ الْأَكْبَرِ إِنَّهُ لِرَاشِدٍ مَوْلَاهُمْ فَجَبَّهُمُ اللَّهُ وَأَبَعْدَهُمْ مَا أَجْهَلَهُمْ أَمَّا يَعْلَمُونَ أَنَّ  
 أَدْرِيسَ الْأَكْبَرَ كَانَ إِصْهَارُهُ فِي الْبُرَيْرِ وَأَنَّهُ مُنْذُ دَخَلَ الْمَغْرِبَ إِلَى أَنْ تَوَفَّاهُ اللَّهُ  
 عَزَّ وَجَلَّ عَرِيقٌ فِي الْبَدْوِ وَإِنْ حَالَ الْبَادِيَةِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ غَيْرُ خَافِيَةٍ إِذْ لَا مَكَامِينَ لَهُمْ  
 يَتَأْتَى فِيهَا الرَّيْبُ وَأَحْوَالُ حُرْمِهِمْ أَجْمَعِينَ يَمْرَأَى مِنْ جَارَاتِهِمْ وَمَسْمَعٍ مِنْ جِيرَانِهِمْ  
 لِتَلَاصِقِ الْجُدْرَانَ وَتَطَامُنِ الْبُنْيَانَ وَعَدَمِ الْقَوَاصِلِ بَيْنَ الْمَسَاكِينِ وَقَدْ كَانَ رَاشِدٌ يُتَوَلَّى

(١) قوله ولم تجر بضم الجيم مضارع جاراي لم تمل اه

خِدْمَةَ الْحَرَمِ أَجْمَعَ مِنْ بَعْدِ مَوْلَاهُ بِمَشْهَدٍ مِنْ أَوْلِيَاءِهِمْ وَشِيَعَتِهِمْ وَمُرَاقِبَةٍ مِنْ كَاتِبَتِهِمْ  
 وَقَدْ اتَّفَقَ بَرَابِرَةُ الْعَرَبِ الْأَفْصَى عَامَةً عَلَى بَيْعَةِ أَدْرِيسَ الْأَصْغَرَ مِنْ بَعْدِ أَبِيهِ وَآتَوْهُ  
 طَاعَتَهُمْ عَنْ رِضَى وَإِصْنَاقٍ وَبَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ الْأَخْمَرِ وَخَاضُوا دُونَهُ بِحَارِ الْمَنَايَا فِي  
 حُرُوبِهِ وَعَزَّوَانِهِ وَلَوْ حَدَّثُوا أَنَّنْهُمْ يَدْخُلُ هَذِهِ الرِّبِّيَّةُ أَوْ قُرِعَتْ أَسْمَاعُهُمْ وَلَوْ مِنْ عَدُوِّ  
 كَاشِحٍ أَوْ مُنَافِقٍ مُرْتَابٍ لَتَخَلَّفَ عَنْ ذَلِكَ وَلَوْ بَعْضُهُمْ كَكَلًّا وَاللَّهِ إِنَّمَا صَدَرَتْ هَذِهِ  
 الْكَلِمَاتُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَقْبَالَهُمْ وَمِنْ بَنِي الْأَعْلَبِ عُمَالِهِمْ كَانُوا بِأَفْرَيقِيَّةَ وَوَلَاتِهِمْ  
 وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَّ أَدْرِيسُ الْأَكْبَرُ إِلَى الْمَغْرِبِ مِنْ وَقْعَةِ بَلْخِ الْأَوْعَزِ الْهَادِي إِلَى الْأَعْلَابِيَّةِ  
 أَنْ يَقْعُدُوا لَهُ بِالْمَرَاصِدِ وَيُدْكَوَا عَلَيْهِ الْعَيُونَ فَلَمْ يَنْظُرُوا بِهِ وَخَلَصَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَتَمَّ  
 امْرُؤُهُ وَظَهَرَتْ دَعْوَتُهُ وَظَهَرَ الرَّشِيدُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْ وَاضِحِ مَوْلَاهُمْ وَعَامِلِهِمْ  
 عَلَى الْأَسْكَندَرِيَّةِ مِنْ دَيْسِيَّةِ الشَّيْخِ الْعَلَوِيَّةِ وَإِدَاهَانِهِ فِي تَجَاةِ أَدْرِيسَ إِلَى الْمَغْرِبِ  
 فَقَتَلَهُ وَدَسَّ الشَّمَاخَ مِنْ مَوَالِي الْمَهْدِيِّ أَبِيهِ لِلتَّحْيِيلِ عَلَى قَتْلِ أَدْرِيسَ فَأَظْهَرَ الْحَقَّ بِهِ  
 وَالْبَرَاءَةَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ مَوَالِيهِ فَاشْتَمَلَ عَلَيْهِ أَدْرِيسُ وَخَلَطَهُ بِنَفْسِهِ وَنَاقَلَهُ الشَّمَاخَ فِي  
 بَعْضِ خَلْوَانِهِ سَمَا اسْتَهْلَكَهُ بِهِ وَوَقَعَ خَبْرُ مَهْلِكِهِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ أَحْسَنَ الْمَوَاقِعِ  
 لِمَا رَجَوْهُ مِنْ قَطْعِ أَسْبَابِ الدَّعْوَةِ الْعَلَوِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ وَأَقْتِلَاعِ جُرْثُومَتِهَا وَلَمَّا تَأَدَّى  
 إِلَيْهِمْ خَبْرُ الْحَمْلِ الْخَلْفِ لِأَدْرِيسَ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَّا كَلًّا وَلَا وَإِذَا بِالدَّعْوَةِ قَدْ  
 عَادَتْ وَالشَّيْعَةَ بِالْمَغْرِبِ قَدْ ظَهَرَتْ وَدَوَّلْتُهُمْ بِأَدْرِيسَ بْنِ أَدْرِيسَ قَدْ تَجَدَّدَتْ فَكَانَ  
 ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَنْكِي مِنْ وَقَعِ السَّهَامِ وَكَانَ الْفِشْلُ وَالْهَرَمُ قَدْ نَزَلَا بِدَوْلَةِ الْعَرَبِ عَنْ  
 أَنْ يَسْمُوا إِلَى الْقَاصِيَةِ فَلَمْ يَكُنْ مُنْتَهَى قُدْرَةِ الرَّشِيدِ عَلَى أَدْرِيسَ الْأَكْبَرِ بِمَكَانِهِ مِنْ  
 قَاصِيَةِ الْمَغْرِبِ وَاسْتَمَالَ الْبُرْبُرَ عَلَيْهِ إِلَّا التَّحْيِيلَ فِي إِهْلَاكِهِ بِالسُّمُومِ فَعِنْدَ ذَلِكَ فَرَعُوا  
 إِلَى أَوْلِيَاءِهِمْ مِنَ الْأَعْلَابِيَّةِ بِأَفْرَيقِيَّةِ فِي سِدِّ تِلْكَ الْفُرْجَةِ مِنْ نَاحِيَتِهِمْ وَحَسَمَ الدَّاءَ  
 الْمَتَوَقَّعَ بِالْدَوْلَةِ مِنْ قِبَلِهِمْ وَأَقْتِلَاعَ تِلْكَ الْعُرُوقِ قَبْلَ أَنْ تَشْجَ مِنْهُمْ يُخَاطَبُهُمْ بِذَلِكَ  
 الْمَأْمُونُ وَمَنْ بَعْدَهُ مِنْ خُلَفَائِهِمْ فَكَانَ الْأَعْلَابِيَّةُ عَنْ بَرَابِرَةِ الْمَغْرِبِ الْأَفْصَى أَعْجَزَ  
 وَلَمَثَلِيهَا مِنَ الزُّبُونِ عَلَى مَلُوكِهِمْ أَحْوَجَ لِمَا طَرَقَ الْخِلَافَةَ مِنْ أَنْتَرَاءِ مَمَالِكِ الْعَجَمِ عَلَى  
 سُدَّتِهَا وَأَمْتِطَائِهِمْ صَهْوَةَ التَّغْلِبِ عَلَيْهَا وَتَضَرُّفِهِمْ أَحْكَامَهَا طَوَّعَ أَعْرَاضِهِمْ فِي رِجَالِهَا  
 وَجَبَائِئِهَا وَأَهْلَ خِطَطِهَا وَسَائِرِ نَقْضِهَا وَإِبْرَامِهَا كَمَا قَالَ شَاعِرُهُمْ

خَلِيفَةٌ فِي قَفْصٍ      بَيْنَ وَصِيفٍ وَبَعَا  
يَقُولُ مَا فَالَا لَهُ      كَمَا نَقُولُ الْبَيْعَا

نَحْشِي هُوَلَاءَ الْأُمَرَاءَ الْأَغَالِبَةَ بُوَادِرَ السَّعَايَاتِ وَتَلَوْنَا بِالْمَعَاذِيرِ فَطَوْرًا بِأَحْقَارِ الْمَغْرِبِ  
وَأَهْلِهِ وَطَوْرًا بِالْأَزْهَابِ بِشَأْنِ أَدْرِيسَ الْخَارِجِ بِهِ وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُ مِنْ أَعْقَابِهِ بِخَاطِبُونَهُمْ  
بِتَجَاوُزِهِ حُدُودِ النُّخُومِ مِنْ عَمَلِهِ وَيُنْفِدُونَ سَكَنَتَهُ فِي نُحُفِهِمْ وَهَدَايَاهُمْ وَمُرْتَعَجِ جِبَابَاتِهِمْ  
تَعْرِضًا بِاسْتِفْحَالِهِ وَتَهْوِيلًا بِأَشْتِدَادِ شَوْكَتِهِ وَتَعْظِيمًا لِمَا دَفَعُوا إِلَيْهِ مِنْ مُطَابَنَتِهِ وَمِرَاسِهِ  
وَتَهْدِيدًا بِقَلْبِ الدَّعْوَةِ إِنْ أُجِئُوا إِلَيْهِ وَطَوْرًا يَطْعَمُونَ فِي نَسَبِ أَدْرِيسَ بِمِثْلِ ذَلِكَ  
الطَّعْنَ الْكَاذِبِ تَخْفِيفًا لِنَشَانِهِ لَا يَبَالُونَ بِصِدْقِهِ مِنْ كَلْبِهِ لِبُعْدِ الْمَسَافَةِ وَأَقْنِ عَقُولِ  
مَنْ خَافَ مِنْ صِبْيَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَمَمَالِكِهِمْ الْعَجْمِ فِي الْقَبُولِ مِنْ كُلِّ قَائِلٍ وَالسَّمْعِ لِكُلِّ  
نَاعِقٍ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا دَائِبَهُمْ حَتَّى انْقَضَى أَمْرُ الْأَغَالِبَةِ فَفَرَعَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الشَّنْعَاءَ  
أَسْمَاعِ الْغَوْغَاءِ وَصَرَ عَلَيْهَا بَعْضُ الطَّاعِنِينَ أَذْنَهُ وَأَعْتَدَهَا ذَرِيعَةً إِلَى التَّيْلِ مِنْ خَلْفِهِمْ  
عِنْدَ الْمُنَافَسَةِ وَمَا لَهُمْ فَبِحُجْمِ اللَّهِ وَالْعُدُولِ عَنْ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ فَلَا تَعَارُضَ فِيهَا بَيْنَ  
الْمَقْطُوعِ وَالْمَطْنُونِ وَأَدْرِيسُ وَوَلِدُ عَلَى فِرَاشِ أَبِيهِ وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ عَلَى أَنْ تَنْزِيهِ أَهْلِ  
الْبَيْتِ عَنْ مِثْلِ هَذَا مِنْ عَقَائِدِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرَّجْسَ  
وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا فِرَاشِ أَدْرِيسَ طَاهِرٌ مِنَ الدَّنَسِ وَمُزَنَةٌ عَنِ الرَّجْسِ بِحُجْمِ الْقُرْآنِ  
وَمَنْ أَعْتَقَدَ خِلَافَ هَذَا فَقَدْ بَاءَ بِإِثْمِهِ وَوَلَجَ الْكُفْرَ مِنْ بَابِهِ وَإِنَّمَا أَطْنَبْتُ فِي هَذَا  
الرَّدِّ سَدًّا لِأَبْوَابِ الرَّيْبِ وَدَفَعًا فِي صَدْرِ الْحَاسِدِ لِمَا سَمِعْتَهُ أَذُنَايَ مِنْ قَائِلِهِ الْمُعْتَدِي  
عَلَيْهِمُ الْقَادِحِ فِي نَسَبِهِمْ بِفَرِيقَتِهِ وَيَنْقُلُهُ بِزَعْمِهِ عَنْ بَعْضِ مُؤَرِّخِي الْمَغْرِبِ بِمَنْ  
أَنْحَرَفَ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَأَرْتَابَ فِي الْإِيمَانِ بِسَلْفِهِمْ وَإِلَّا فَالْحَمْلُ مُزَنَةٌ عَنْ ذَلِكَ  
مَعْصُومٌ مِنْهُ وَتَبَيُّ الْعَيْبِ حَيْثُ يَسْتَحِيلُ الْعَيْبُ عَيْبُ الْكُتُبِ جَادَلْتُ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَأَرْجُو أَنْ يُجَادِلُوا عَنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاتَّعَلَّمُ أَنَّ أَكْثَرَ الطَّاعِنِينَ فِي نَسَبِهِمْ إِنَّمَا  
هُمُ الْحَسَدَةُ لِأَعْقَابِ أَدْرِيسَ هَذَا مِنْ مُنْتَمِ إِلَى أَهْلِ الْبَيْتِ أَوْ دَخِيلٍ فِيهِمْ فَإِنْ أَدْعَاةُ  
هَذَا النَّسَبِ الْكَرِيمِ دَعْوَى شَرَفٍ عَرِيضَةٌ عَلَى الْأَمْرِ وَالْأَجْيَالِ مِنْ أَهْلِ الْأَفَاقِ  
فَتَعْرِضُ الشُّهْمَةَ فِيهِ وَلَمَّا كَانَ نَسَبُ بَنِي أَدْرِيسَ هُوَلَاءَ بِمَوَاطِنِهِمْ مِنْ فَارِسَ وَسَائِرِ  
دِيَارِ الْمَغْرِبِ قَدْ بَلَغَ مِنَ الشُّهْرَةِ وَالْوُضُوحِ مَبَاعًا لَا يَبْكَادُ بِحَقِّ وَلَا يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي

ذَكَرَهُ إِذْ هُوَ نَقَلَ الْأُمَّةَ وَالْجَلِيلَ مِنَ الْخُلَافِ عَنِ الْأُمَّةِ وَالْجَلِيلِ مِنَ السَّلَفِ وَبَيْتَ جَدِّهِمْ  
 أَدْرِيسَ مَحْتَضِطٍ فَاسٍ وَمُؤَسَّسِيهَا مِنْ يَوْمِهِمْ وَمَسْجِدَهُ لَصِقَ مَحَلَّتِهِمْ وَدَرُوبِهِمْ وَسَيْفُهُ  
 مِنْتَضِي بِرَأْسِ الْمَأْذَنَةِ الْعُظْمَى مِنْ قَرَارِ بَلَدِهِمْ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ آثَارِهِ الَّتِي جَاوَزَتْ أَخْبَارُهَا  
 حُدُودَ التَّوَاتُرِ مَرَّاتٍ وَكَادَتْ تَلْحَقُ بِالْعَيَانِ فَإِذَا نَظَرَ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ هَذَا النَّسَبِ إِلَى  
 مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ أَمْثَالِهَا وَمَا عَضَدَ شَرَفُهُمُ النَّبَوِيَّ مِنْ جَلَالِ الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ لِسَلَفِهِمْ  
 بِالْمَغْرِبِ وَأَسْتَيْقِنَ أَنَّهُ بَمَعْرُولٍ عَنِ ذَلِكَ وَأَنَّهُ لَا يَبْلُغُ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ وَأَنَّ غَايَةَ  
 أَمْرِ الْمُنتَسِبِينَ إِلَى الْبَيْتِ الْكَرِيمِ مِمَّنْ لَمْ يَحْضُرْ لَهُ أَمْثَالُ هَذِهِ الشَّوَاهِدِ أَنْ يُسَلِّمَ  
 لَهُمْ حَالَهُمْ لِأَنَّ النَّاسَ مُصَدِّقُونَ فِي أَنْسَابِهِمْ وَبَيِّنَ الْعِلْمَ وَالظَّنَّ وَالْيَقِينَ وَالْتِسْلِيمَ  
 فَإِذَا عَلِمَ بِذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ غَضَّ بِرَبْقِهِ وَوَدَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ لَوْ يَرُدُّونَهُمْ عَنْ شَرَفِهِمْ ذَلِكَ  
 سُوقَةً وَوَضْعَاءً <sup>(١)</sup> حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ فَيَرْجِعُونَ إِلَى الْعِنَادِ وَارْتِكَابِ الْجَبَاحِ  
 وَالْبُهْتِ يَمَثُلُ هَذَا الظَّنُّ الْفَائِلُ وَالْقَوْلُ الْمَكْدُوبُ تَعَلُّلًا بِالْمَسَاوِإِ فِي الظَّنِّ وَالْمَشَاهِبَةِ  
 فِي تَطَرُّقِ الْأَحْتِمَالِ وَهَيْبَاتِ لَهُمْ ذَلِكَ فَلَيْسَ فِي الْمَغْرِبِ فِيمَا نَعْلَمُهُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ  
 الْكَرِيمِ مَنْ يَبْلُغُ فِي صِرَاحَةِ نَسَبِهِ وَوُضُوحِهِ مَبَالِغَ أَعْقَابِ أَدْرِيسَ هَذَا مِنْ آلِ  
 الْحَسَنِ وَكِبْرَاهِمُ لِهَذَا الْعَهْدِ بَنُو عِمْرَانَ بَقَاسٍ مِنْ وَلَدِ يَحْيَى الْحَوْطِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى  
 الْعَوَامِ بْنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَدْرِيسَ بْنِ أَدْرِيسَ وَهُمْ نَقَبَاءُ أَهْلِ الْبَيْتِ هُنَاكَ وَالسَّاكُونَ بِبَيْتِ  
 جَدِّهِمْ أَدْرِيسَ وَلَهُمُ السِّيَادَةُ عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ كَقَلَّةٍ حَسِبَمَا فَذَكَرَهُمْ عِنْدَ ذِكْرِ  
 الْأَدَارِسَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَيَلْحَقُ بِهَذِهِ الْمَقَالَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالْمَذَاهِبِ الْفَائِلَةِ مَا  
 يَتَنَاوَلُهُ ضَعْفَةُ الرَّأْيِ مِنْ فُقَهَاءِ الْمَغْرِبِ مِنَ الْقَدْحِ فِي الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ صَاحِبِ دَوْلَةِ  
 الْمُوَحِّدِينَ وَنَسَبَتِهِ إِلَى الشَّعْوَذَةِ وَالتَّلْبِيسِ فِيمَا آتَاهُ مِنَ الْقِيَامِ بِالتَّوْحِيدِ الْحَقِّ وَالْبَغْيِ  
 عَلَى أَهْلِ الْبَغْيِ قَبْلَهُ وَتَكْذِيبِهِمْ لِجَمِيعِ مُدَّعِيَاتِهِ فِي ذَلِكَ حَتَّى فِيمَا يَزْعُمُ الْمُوَحِّدُونَ  
 آتِيَاءَهُ مِنْ أَنْسَابِهِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ وَإِنَّمَا حَمَلَ الْفُقَهَاءُ عَلَى تَكْذِيبِهِ مَا كُنَّ فِي نَفْسِهِمْ  
 مِنْ حَسَدِهِ عَلَى شَأْنِهِ فَإِنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا مِنْ أَنْفُسِهِمْ مَنَافِضَتَهُ فِي الْعِلْمِ وَالْفِتْيَانِ وَفِي الدِّينِ  
 بِرِعْمِهِمْ ثُمَّ أَمْتَارَ عَنْهُمْ بِأَنَّهُ مُتَّبِعُ الرَّأْيِ مَسْمُوعِ الْقَوْلِ مَوْطُؤُ الْعَقِبِ نَفَسُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ  
 وَغَضُّوا مِنْهُ بِالْقَدْحِ فِي مَذَاهِبِهِ وَالتَّكْذِيبِ لِمُدَّعِيَاتِهِ وَأَيْضًا فَكُنَّا يُؤَسُّونَ مِنْ

(١) قوله ووضعا بضم الواو جمع وضع اء

مُلُوكِ الْمُتُونَةِ أَعْدَائِهِ تَجَلَّةً وَكَرَامَةً لَمْ تَكُنْ لَهُمْ مِنْ غَيْرِهِمْ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ السَّدَاجَةِ  
 وَأَتَحَالِ الدِّيَانَةِ فَكَانَ لِحَمَلَةِ الْعِلْمِ بِدَوْلَتِهِمْ مَكَانٌ مِنَ الْوَجَاهَةِ وَالْإِنْتِصَابِ لِلشُّورَى  
 كُلِّ فِي بَلَدِهِ وَعَلَى قَدْرِهِ فِي قَوْمِهِ فَأَصْبَحُوا بِذَلِكَ شِيَعَةً لَهُمْ وَحَرَبًا لِعَدُوِّهِمْ وَتَمَعُوا عَلَى  
 الْمَهْدِيِّ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ خِلَافِهِمْ وَالتَّرْيِيبِ عَلَيْهِمْ وَالْمَنَاصِبَةِ لَهُمْ تَشِيَعًا لِلْمُتُونَةِ وَتَعْصِبًا  
 لِدَوْلَتِهِمْ وَمَكَانَ الرَّجُلِ غَيْرِ مَكَانِهِمْ وَحَالَهُ عَلَى غَيْرِ مُعْتَقَدَاتِهِمْ وَمَا ظَنَنْكَ بِرَجُلٍ نَقَمَ  
 عَلَى أَهْلِ الدَّوَلَةِ مَا نَقَمَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَخَالَفَ اجْتِهَادَهُ فُقَهَائِهِمْ فَنَادَى فِي قَوْمِهِ وَدَعَا إِلَى  
 جِهَادِهِمْ بِنَفْسِهِ فَأَقْتَلَعَ الدَّوَلَةَ مِنْ أُصُولِهَا وَجَعَلَ عَلَيْهَا سَافِلِيهَا أَعْظَمَ مَا كَانَتْ قُوَّةً وَأَشَدَّ  
 شَوْكَةً وَأَعَزَّ أَنْصَارًا وَحَامِيَةً وَسَاقَطَتْ فِي ذَلِكَ مِنْ أَتْبَاعِهِ نَفُوسٌ لَا يُحْصِيهَا إِلَّا خَافِيهَا  
 قَدْ بَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْتِ وَوَقَّوهُ بِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْهَلَاكَةِ وَتَقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِاتِّلَافِ  
 مُهْجِهِمْ فِي إِظْهَارِ تِلْكَ الدَّعْوَةِ وَالتَّعَصُّبِ لِنِلَاكِ الْكِمَامَةِ حَتَّى عَلَتْ عَلَى السَّلَامِ وَدَالَتْ  
 بِالْعَدُوِّينَ مِنَ الدُّوَلِ وَهُوَ بِجَاهِلَةِ مِنَ التَّقَشُّفِ وَالْحَصْرِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَسْكَرَةِ وَالتَّقَلُّ مِنَ  
 الدُّنْيَا حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ وَوَلَّيْسَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْحُظِّ وَالْمَتَاعِ فِي دُنْيَاهُ حَتَّى الْوَالِدِ الَّذِي  
 رَبَّمَا يَخْجَحُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ وَتَخَادَعُ عَنْ تَمَنِّيهِ فَلَبَّتْ شِعْرِي مَا الَّذِي قَصَدَ بِذَلِكَ إِنْ لَمْ  
 يَكُنْ وَجْهَ اللَّهِ وَهُوَ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ حُظٌّ مِنَ الدُّنْيَا فِي عَاجِلِهِ وَمَعَ هَذَا فَلَوْ كَانَ قَصْدُهُ غَيْرَ  
 صَالِحٍ لِمَا تَمَّ أَمْرُهُ وَأَنْفَسَتْ دَعْوَتُهُ سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَأَمَّا إِنْكَارُهُمْ  
 نَسَبَهُ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ فَلَا تَعْضُدُهُ حُجَّةٌ لَهُمْ مَعَ أَنَّهُ إِنْ ثَبِتَ أَنَّهُ أَدْعَاهُ وَأَنْتَسَبَ إِلَيْهِ فَلَا  
 دَلِيلٌ يَقُومُ عَلَى بَطْلَانِهِ لِأَنَّ النَّاسَ مُصَدِّقُونَ فِي أَنْسَابِهِمْ وَإِنْ قَالُوا إِنَّ الرِّئَاسَةَ لَا  
 تَكُونُ عَلَى قَوْمٍ فِي غَيْرِ أَهْلِ جِلْدَتِهِمْ كَمَا هُوَ الصَّحِيحُ حَسْبَمَا يَأْتِي فِي الْفُضْلِ الْأَوَّلِ  
 مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَالرَّجُلُ قَدْ رَأَسَ سَائِرَ الْمَصَامِدَةِ وَدَانُوا بِأَتْبَاعِهِ وَالْإِنْقِيَادَ إِلَيْهِ وَإِلَى  
 عَصَابَتِهِ مِنْ هَزَعَةٍ حَتَّى تَمَّ أَمْرُ اللَّهِ فِي دَعْوَتِهِ فَأَعْلَمَ أَنَّ هَذَا النَّسَبَ الْفَاطِمِيَّ لَمْ يَكُنْ أَمْرُ  
 الْمَهْدِيِّ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ وَلَا أَتَّبَعَهُ النَّاسُ بِسَبَبِهِ وَإِنَّمَا كَانَ أَتْبَاعُهُمْ لَهُ بِعَصَبِيَّةِ الْهَرُغِيَّةِ  
 وَالْمَصْمُودِيَّةِ وَمَكَانِهِ مِنْهَا وَرُسُوخِ شَجَرَتِهِ فِيهَا وَكَانَ ذَلِكَ النَّسَبُ الْفَاطِمِيَّ خَفِيًّا قَدْ  
 دُرِسَ عِنْدَ النَّاسِ وَبَقِيَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ عَشِيرَتِهِ يَتَنَاقَلُونَهُ بَيْنَهُمْ فَيَكُونُ النَّسَبُ الْأَوَّلُ كَأَنَّهُ  
 أَسْلَخَ مِنْهُ وَلَيْسَ جِلْدَةٌ هُوَ لَاءٌ وَظَهَرَ فِيهَا فَلَا يَبْصُرُهُ الْإِنْسَابُ الْأَوَّلُ فِي عَصَبِيَّتِهِ إِذْ هُوَ  
 مَجْهُولٌ عِنْدَ أَهْلِ الْعِصَابَةِ وَمِثْلُ هَذَا وَقَعَ كَثِيرًا إِذَا كَانَ النَّسَبُ الْأَوَّلُ خَفِيًّا وَأَنْظَرُ

قِصَّةَ عَزَّجَةِ وَجَرِيرٍ فِي رِئَاسَةِ بَيْمَلَةَ وَكَيْفَ كَانَ عَزَّجَةُ مِنَ الْأَزْدِ وَلَيْسَ جِلْدَهُ بَيْمَلَةَ  
 حَتَّى تَنَازَعَ مَعَ جَرِيرٍ رِئَاسَتَهُمْ عِنْدَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا هُوَ مَذْكَورٌ تَفْتَهُمُ مِنْهُ  
 وَجْهَ الْحَقِّ وَأَنَّ الْهُدَايَةَ لِلسَّوَابِ وَقَدْ كِدْنَا أَنْ نُخْرِجَ عَنْ غَرَضِ الْكِتَابِ بِالْإِطْنَابِ  
 فِي هَذِهِ الْمَعَالِطِ فَقَدْ زَلَّتْ أَقْدَامُ كَثِيرٍ مِنَ الْأَثْبَاتِ وَالْمُؤَرِّخِينَ الْخَطَّاطِ فِي مِثْلِ هَذِهِ  
 الْأَحَادِيثِ وَالْأَرَآءِ وَعَلَقَتْ أَفْكَارُهُمْ وَنَقَلَهَا عَنْهُمْ الْكَافَّةُ مِنْ ضَعْفَةِ النَّظَرِ وَالْغَفْلَةِ  
 عَنِ الْقِيَاسِ وَتَلَقَّوْهَا هُمْ أَيْضًا كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ بَحْثٍ وَلَا رُويَةٍ وَأَنْدَرَجَتْ فِي مَحْفُوظَاتِهِمْ  
 حَتَّى صَارَ فَنُّ التَّارِيخِ وَهَابِيَا مُخْتَلِطًا وَنَاطِرُهُ مَرْتَبِكًا وَعَدَّ مِنْ مَنَاحِي الْعَالِمَةِ فَإِذَا يُحْتَاجُ  
 صَاحِبُ هَذَا الْفَنِّ إِلَى الْعِلْمِ بِقَوَاعِدِ السِّيَاسَةِ وَطَبَائِعِ الْمَوْجُودَاتِ وَاخْتِلَافِ الْأُمَمِ  
 وَالْبِقَاعِ وَالْأَعْمَارِ فِي السَّيْرِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْعَوَائِدِ وَالنَّجْلِ وَالْمَذَاهِبِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ  
 وَالْإِحَاطَةِ بِالْحَاضِرِ مِنْ ذَلِكَ وَمُمَاتِلَةِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَائِبِ مِنَ الْوَفَاقِ أَوْ بُونَ مَا بَيْنَهُمَا  
 مِنْ الْخِلَافِ وَتَعْلِيلِ الْمَتَمَقِّ مِنْهَا وَالْمُخْتَلَفِ وَالْقِيَامِ عَلَى أُصُولِ الدُّوَلِ وَالْمِلَلِ وَمَبَادِيءِ  
 ظُهُورِهَا وَأَسْبَابِ حُدُوثِهَا وَدَوَاعِي كَوْنِهَا وَأَحْوَالِ الْقَائِمِينَ بِهَا وَأَخْبَارِهِمْ حَتَّى يَكُونَ  
 مُسْتَوْعِبًا لِأَسْبَابِ كُلِّ خَبْرٍ وَحَيْثُ يَنْدِي يَعْزُضُ خَبَرَ الْمَتَقُولِ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الْقَوَاعِدِ  
 وَالْأُصُولِ فَإِنْ وَافَقَهَا وَجَرَى عَلَى مَقْضَاهَا كَانَ صَحِيحًا وَالْأَزِيْفَةُ وَأَسْتَغْنَى عَنْهُ وَمَا  
 اسْتَكْبَرَ الْقَدَمَةَ عِلْمَ التَّارِيخِ إِلَّا لِئِنَّكَ حَتَّى اتَّخَذَهُ الطَّبْرِيُّ وَالتَّبْرَجِيُّ وَأَبْنُ اسْتِخَاقِ  
 مِنْ قَبْلِهِمَا وَأَمْثَالَهُمْ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ وَقَدْ ذَهَلَ الْكَثِيرُ عَنْ هَذَا السِّرِّ فِيهِ حَتَّى صَارَ  
 اتَّخَذَهُ مَجْهَلَةً وَأَسْتَنْخَتِ الْعَوَامُ وَمَنْ لَا رُسُوخَ لَهُ فِي الْمَعَارِفِ مُطَالَعَتَهُ وَحَمَلَهُ وَأَخْلَوْضَ  
 فِيهِ وَالتَّطَفُّلَ عَلَيْهِ فَاخْتَلَطَ الْمَرْعِيُّ بِالْمَلَمَلِ وَاللُّبَابُ بِالْقَشْرِ وَالصَّادِقُ بِالْكَذِبِ وَإِلَى  
 اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ وَمِنَ الْغَلَطِ الْخَطِيءِ فِي التَّارِيخِ الذُّهُولُ عَنْ تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ فِي الْأُمَمِ  
 وَالْأَجْيَالِ بِتَبَدُّلِ الْأَعْمَارِ وَمُرُورِ الْأَيَّامِ وَهُوَ دَاءٌ دَوَى شَدِيدُ الْخَفَاءِ إِذْ لَا يَقَعُ إِلَّا  
 بَعْدَ أَحْقَابٍ مُتَطَوَّلَةٍ فَلَا يَكَادُ يَتَفَطَّنُ لَهُ إِلَّا الْأَحَادُ مِنْ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ وَذَلِكَ أَنَّ  
 أَحْوَالَ الْعَالَمِ وَالْأُمَمِ وَعَوَائِدَهُمْ وَنَجَلَهُمْ لَا تَدُومُ عَلَى وَتَبْرَةٍ وَاحِدَةٍ وَمِنَاجٍ مُسْتَقِرٍّ  
 إِنَّمَا هُوَ اخْتِلَافٌ عَلَى الْأَيَّامِ وَالْأَزْمِنَةِ وَالتَّنْقَالُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ وَكَمَا يَكُونُ ذَلِكَ  
 فِي الْأَشْخَاصِ وَالْأَوَقَاتِ وَالْأَعْمَارِ فَكَذَلِكَ يَقَعُ فِي الْأَفَاقِ وَالْأَقْطَارِ وَالْأَزْمِنَةِ وَالْأَدْوَلِ  
 سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَقَدْ كَانَتْ فِي الْعَالَمِ أُمَّمُ الْفَرَسِ الْأُولَى وَالسِّرِّيَّانِ

وَالنَّبَطُ وَالتَّبَاعَةُ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ وَالْقَبِطُ وَكَانُوا عَلَى أَحْوَالٍ خَاصَّةٍ بِهِمْ فِي دَوْلَتِهِمْ  
وَعَمَّا لِكِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ وَأَصْطِلَاحَاتِهِمْ وَسَائِرُ مَشَارِكِهِمْ مَعَ أَنْبَاءِ  
جَنَسِهِمْ وَأَحْوَالِ أَعْتِمَارِهِمْ لِلْعَالَمِ تَشْهَدُ بِهَا آثَارُهُمْ ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِهِمُ الْفَرَسُ الثَّانِيَةُ  
وَالرُّومُ وَالْعَرَبُ فَبَدَلَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ وَأَنْقَلَبَتْ بِهَا الْعَوَائِدُ إِلَى مَا يُجَانِسُهَا أَوْ يُشَابِهُهَا  
وَإِلَى مَا يُبَايِنُهَا أَوْ يُبَاعِدُهَا ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامُ بِدَوْلَةٍ مَضْرُوبَةٍ أَنْقَلَبَتْ تِلْكَ الْأَحْوَالُ أَجْمَعُ  
أَنْقَلَابَةً أُخْرَى وَصَارَتْ إِلَى مَا أَكْثَرُهُ مُتَعَارَفٌ لِهُذَا الْعَهْدِ يَأْخُذُهُ الْخَلْفُ عَنِ السَّلَفِ  
ثُمَّ دُرِسَتْ دَوْلَةُ الْعَرَبِ وَأَيَّامُهُمْ وَذَهَبَتْ الْأَسْلَافُ الَّذِينَ شَبَدُوا عِزَّهُمْ وَمَهْدُوا  
مُلْكُهُمْ وَصَارَ الْأَمْرُ فِي أَيْدِي سِوَاهُمْ مِنَ الْعَجَمِ مِثْلَ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ وَالْبَرْبَرِ  
بِالْمَغْرِبِ وَالْفَرَنْجِيَّةِ بِالشِّمَالِ فَذَهَبَتْ بِذَهَابِهِمْ أُمَمٌ وَأَنْقَلَبَتْ أَحْوَالُ وَعَوَائِدُ لِسِيَّ شَأْنِهَا  
وَأُغْفِلَ أَمْرُهَا وَالسَّبَبُ الشَّاعِرُ فِي تَبَدُّلِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ أَنَّ عَوَائِدَ كُلِّ جِيلٍ تَابِعَةٌ  
لِعَوَائِدِ سُلْطَانِهِ كَمَا يُقَالُ فِي الْأَمْثَالِ الْحِكْمِيَّةِ النَّاسُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ وَأَهْلُ الْمَلِكِ  
وَالسُّلْطَانُ إِذَا اسْتَوَلُوا عَلَى الدَّوْلَةِ وَالْأَمْرِ فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَفْرَعُوا إِلَى عَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهُمْ  
وَيَأْخُذُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا وَلَا يُغْفِلُونَ عَوَائِدَ جِيلِهِمْ مَعَ ذَلِكَ فَيَقَعُ فِي عَوَائِدِ الدَّوْلَةِ  
بَعْضُ الْمُخَالَفَةِ لِعَوَائِدِ الْجِيلِ الْأَوَّلِ فَإِذَا جَاءَتْ دَوْلَةٌ أُخْرَى مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَزَجَتْ مِنْ  
عَوَائِدِهِمْ وَعَوَائِدِهَا خَالَفَتْ أَيْضًا بَعْضَ الشَّيْءِ وَكَانَتْ لِلأَوَّلَى أَشَدَّ مُخَالَفَةً ثُمَّ لَا يَزَالُ  
التَّدْرِيجُ فِي الْمُخَالَفَةِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْهَبَائِنَةِ بِالْحُمْلَةِ فَمَا دَامَتِ الْأُمَمُ وَالْأَجْبَالُ  
تَتَعَاقَبُ فِي الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ لَا تَزَالُ الْمُخَالَفَةُ فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ وَاقِعَةً وَالْقِيَاسُ  
وَالْحِكَاكَةُ لِلإِنْسَانِ طَبِيعَةٌ مَعْرُوفَةٌ وَمِنَ الْعَلَطِ غَيْرُ مَا مُؤَنَةٌ تُخْرِجُهُ مَعَ الذُّهُولِ وَالْغَفْلَةِ  
عَنْ قَصْدِهِ وَتَوَجُّهُ بِهِ عَنْ مَرَامِهِ قَرِيبًا يَسْمَعُ السَّامِعُ كَثِيرًا مِنْ أَخْبَارِ الْمَاضِينَ وَلَا  
يَتَفَتَّنُ لِمَا وَقَعَ مِنْ تَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ وَأَنْقِلَابِهَا فَيُخْرِجُهَا لِأَوَّلِ وَهَلَّةٍ عَلَى مَا عَرَفَ وَيَقْبِسُهَا  
بِمَا شَهِدَ وَقَدْ يَكُونُ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا كَثِيرًا فَيَقَعُ فِي مَهْوَاتٍ مِنَ الْعَلَطِ فَرَأَى هَذَا الْبَابَ مَا  
يَنْقُلُهُ الْمُؤَرِّخُونَ مِنْ أَحْوَالِ الْعَجَاجِ وَأَنَّ أَبَاهُ كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَعَ أَنَّ التَّعْلِيمَ لِهَذَا  
الْعَهْدِ مِنْ جَمَلَةِ السَّنَائِعِ الْعَمَاشِيَّةِ الْبَعِيدَةِ مِنْ أَعْتِرَازِ أَهْلِ الْعَمَلِيَّةِ وَالْعِلْمِ مُسْتَضْعَفٌ  
مَسْكِينٌ مُنْقَطِعُ الْجِذْمِ <sup>(١)</sup> فَيَتَشَوَّفُ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ أَهْلَ الْحِرْفِ وَالصَّنَائِعِ

الْمَعَاشِيَةَ إِلَى نَيْلِ الرَّتَبِ الَّتِي لَيْسُوا لَهَا بِأَهْلٍ وَيَعُدُّوْنَهَا مِنَ الْمُمَكِّنَاتِ لَهُمْ فَتَذْهَبُ  
 بِهِمْ وَسَاوِسُ الْمَطَامِعِ وَرُبَّمَا انْقَطَعَ حَبْلُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ فَسَقَطُوا فِي مَهْوَاتِ أَهْلِكَ  
 وَالتَّلَفِ وَلَا يَعْلَمُونَ اسْتِحَالَتِهَا فِي حَقِّهِمْ وَأَنَّهُمْ أَهْلُ حِرْفٍ وَصَنَائِعٍ لِلْمَعَاشِ وَأَنَّ التَّعْلِيمَ  
 صَدْرُ الْإِسْلَامِ وَالِدَوْلَتَيْنِ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ وَلَمْ يَكُنِ الْعِلْمُ بِالْجُمْلَةِ صِنَاعَةً إِنَّمَا كَانَ  
 تَقَالِماً لِمَا سَمِعَ مَعَ الشَّارِعِ وَتَعْلِيماً لِمَا جُرِيَ مِنَ الدِّينِ عَلَى جِهَةِ الْبَلَاغِ فَيَكُنْ أَهْلُ  
 الْأَنْسَابِ وَالْعَصَبِيَّةِ الَّذِينَ قَامُوا بِالْمِلَّةِ هُمْ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَعْنَى التَّبْلِيغِ الْخَبْرِيِّ لَا عَلَى وَجْهِ التَّعْلِيمِ الصَّنَاعِيِّ إِذْ هُوَ كِتَابُهُمْ  
 الْمَنْزُولُ عَلَى الرَّسُولِ مِنْهُمْ وَبِهِ هُدَايَاتُهُمْ وَالْإِسْلَامُ دِينُهُمْ فَاتَلَوْا عَلَيْهِ وَقَتَلُوا وَأَخْتَصَمُوا  
 بِهِ مِنْ بَيْنِ الْأَمَمِ وَشَرَفُوا فَيَجْرُصُونَ عَلَى تَبْلِيغِ ذَلِكَ وَتَفْهِيمِهِ لِلْأُمَّةِ لَا تَصُدُّهُمْ عَنْهُ لِأَيْمَةِ  
 الْكِبَرِ وَلَا يَزَعُهُمْ عَادِلُ الْأَلْفَةِ وَيَشْهَدُ لَذَلِكَ بَعَثَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِبَارَ  
 أَصْحَابِهِ مَعَ وَفُودِ الْعَرَبِ يَعْلَمُونَهُمْ حُدُودَ الْإِسْلَامِ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ شَرَائِعِ الدِّينِ  
 بَعَثَ فِي ذَلِكَ مِنْ أَصْحَابِهِ الْعَشْرَةَ مَن بَعَدَهُمْ فَمَا اسْتَقَرَّ الْإِسْلَامُ وَوَسَّجَتْ عُرُوقُ  
 الْمِلَّةِ حَتَّى تَنَاوَلَهَا الْأُمَّةُ الْبَعِيدَةُ مِنْ أَيْدِي أَهْلِهَا وَاسْتَحَالَتْ بِمُرُورِ الْأَيَّامِ أَحْوَالُهَا  
 وَكَثُرَ اسْتِنْبَاطُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ النُّصُوصِ لِتَعَدُّدِ الْوَقَائِعِ وَتَلَاخُفِهَا فَاجْتَبَاهُ  
 ذَلِكَ لِقَانُونَ يَحْفَظُهُ مِنَ الْخَطَايَا وَصَارَ الْعِلْمُ مَلِكَةً يَحْتَاجُ إِلَى التَّعَلُّمِ فَأَصْبَحَ مِنْ جُمَلَةِ  
 الصَّنَائِعِ وَالْحِرْفِ كَمَا بَأْتِي ذِكْرُهُ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ وَاشْتَغَلَ أَهْلُ الْعَصَبِيَّةِ بِالْقِيَامِ  
 بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ فَدَفَعُوا لِعِلْمٍ مِنْ قَامَ بِهِ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَصْبَحَ حِرْفَةً لِلْمَعَاشِ وَشَمَخَتْ  
 أَنْوْفُ الْمُتَرَفِّينَ وَأَهْلُ السُّلْطَانِ عَنِ التَّصَدِّيِّ لِلتَّعْلِيمِ وَأَخْتَصَّ اتِّخَالُهُ بِالْمُسْتَضْعَفِينَ  
 وَصَارَ مُتَّخِلاً مُخْفِراً عِنْدَ أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ وَالْمُلْكِ وَالْحِجَابِ بْنِ يُوسُفَ كَانَ أَبُوهُ مِنْ سَادَاتِ  
 ثَقِيفٍ وَأَشْرَافِهِمْ وَوَكَاؤُهُمْ مِنْ عَصَبِيَّةِ الْعَرَبِ وَمُنَاهِضَةً فَرِيشَ فِي الشَّرْفِ مَا عَلِمَتْ وَلَمْ  
 يَكُنْ تَعْلِيمُهُ الْقُرْآنِ عَلَى مَا هُوَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ أَنَّهُ حِرْفَةٌ لِلْمَعَاشِ وَإِنَّمَا  
 كَانَ عَلَى مَا وَصَّيْنَاهُ مِنَ الْأَمْرِ الْأَوَّلِ فِي الْإِسْلَامِ وَبِئْسَ هَذَا الْبَابُ أَيْضاً مَا يَتَوَّشَّهُ  
 الْمُتَصَفِّوْنَ لِكُتُبِ النَّارِخِ إِذَا سَمِعُوا أَحْوَالَ الْقَضَاةِ وَمَا كُنُوا عَلَيْهِ مِنَ الرَّئِيسَةِ فِي  
 الْحُرُوبِ وَقَوَدِ الْعَسَاكِرِ فَتَرَامَى بِهِمْ وَسَاوِسُ الْعِمَمِ إِلَى مِثْلِ تِلْكَ الرَّتَبِ يَحْسِبُونَ أَنَّ  
 الشَّانَ خِطَّةُ الْقَضَاةِ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ وَيَظُنُّونَ بِأَبْنِ أَبِي عَامِرٍ صَاحِبِ

هشام المستنيد عليه وابن عباد من ملوك الطوائف بأشيلية إذا سمعوا أن آباءهم كانوا قضاة عنهم مثل القضاة لهذا العهد ولا يتفطنون لما وقع في رتبة القضاء من مخالفة العوائد كما نبهه في فصل القضاء من الكتاب الأول وابن أبي عامر وابن عباد كانا من قبائل العرب القائمين بالدولة الأموية بالاندلس وأهل عصبيتها وكان مكانهم فيها معلوما ولم يكن نيلهم لما نالوه من الرئاسة والملك بخطئة القضاء كما هي لهذا العهد بل إنما كان القضاء في الأمر القديم لأهل العصبية من قبيل الدولة ومواليها كما هي الوزارة لعهدنا بالمغرب وانظر خروجهم بالعساكر في الطوائف وتقليدهم عظام الأمور التي لا تقلد إلا لمن له الغنى فيها بالعصبية فيغلط السامع في ذلك ويحصل الأحوال على غير ما هي وأكثر ما يقع في هذا الغلط ضعف البصائر من أهل الاندلس لهذا العهد لفقدان العصبية في مواطنهم منذ أعصار بعيدة ببناء العرب ودولتهم بها وخروجهم عن مملكة أهل العصبية<sup>(١)</sup> من البربر فيقت أنسابهم العربية محفوظة والذريعة إلى العز من العصبية والتناحر مفقودة بل صاروا من جملة الرعايا المتخاذلين الذين تعبدتهم القهر ورئمو للمدلة يحسبون أن أنسابهم مع مخالطة الدولة هي التي يكون لهم بها الغلب والتحكيم فيجد أهل الحرف والصنائع منهم متصددين لذلك ساعين في تبليها فاما من باشر أحوال القبائل والعصبية ودولهم بالعدوة الغربية وكيف يكون التغلب بين الأمم والعشائر فقلما يغاطون في ذلك ويخطئون في اعتباره . ومن هذا الباب أيضا ما يسلكه المؤرخون عند ذكر الدول وتسق ملوكها فيدكرون اسمه وتسبه وآبائه وأمه ونسائه ولقبه وخاتمه وقاضيه وحاجبه ووزيره كل ذلك تقليد لمؤرخي الدولتين من غير تفطن لمقاصدهم والمؤرخون لذلك العهد كانوا يضعون

(١) العصبية بفتحين التعصب وهو ان يذب الرجل عن حريم صاحبه ويشهر عن اناج المجد في نصره منسوبة الى العصبه محرمة وهم افراب الرجل من قبل ابيه لانهم هم الذابون عن حريم من هو منتهاهم وهي بهذا المعنى ممدوحة واما العصبية المذمومة في المحدثات الحجاج الصغير ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية فهي تعصب رجل لقبيلة على رجال لقبيلة اخرى لغير دينانه كما كان يقع بين فيهم سعد على حرام نسبة الى العصبية بمعنى قوم الرجل الذين يتعصبون له ولو من غير اقرار به ظالما كان او مظلوما وفي الفتاوي الحنبلية من موانع قبول الشهادة العدمية وهي ان يبغض الرجل الرجل لانه من بني فلان او من قبيلة كذا والوجه في ذلك ظاهر وهو ارتكاب المحرم في الحديث ليس منا من دعي الى عصبية وهو مرجح للفسق ولا شهاده لمركبه . قاله الاستاذ ابو الوفاء اه

تَوَارِيخَهُمْ لِأَهْلِ الدَّوْلَةِ وَأَبْنَاؤَهَا مُنْتَوُونَ إِلَى سَيْرِ أَسْلَابِهِمْ وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ لِيَقْتَفُوا  
آثَارَهُمْ وَيَسْجُوا عَلَى مَنَاطِقِهِمْ حَتَّى فِي أَصْطِنَاعِ الرِّجَالِ مِنْ خَلْفِ دَوْلَتِهِمْ وَتَقْلِيدِ  
الْخَطِّ وَالْمَرَاتِبِ لِأَبْنَاءِ صَنَائِعِهِمْ وَذَوِيهِمْ وَالْقَضَاءِ أَيْضًا كَانُوا مِنْ أَهْلِ عَصِيَّةِ الدَّوْلَةِ  
وَفِي عِدَادِ الْوُزَرَاءِ كَمَا ذَكَرْنَا لَكَ فَيَحْتَاجُونَ إِلَى ذِكْرِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَأَمَّا حِينَ تَبَايَنَتِ  
الدُّوْلُ وَتَبَاعَدَ مَا بَيْنَ الْعُصْرِ وَوَقَّتِ الْعُرُضُ عَلَى مَعْرِفَةِ الْمُلُوكِ بِأَنْفُسِهِمْ خَاصَّةً وَنَسَبِ  
الدُّوْلِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ فِي قُوَّتِهَا وَعِلْبَتِهَا وَمَنْ كَانَ يَبَاهِضُهَا مِنَ الْأُمَمِ أَوْ يُقَصِّرُ عَنْهَا فَمَا  
الْفَائِدَةُ لِلْمُصَنِّفِ فِي هَذَا الْعَهْدِ فِي ذِكْرِ الْأَبْنَاءِ وَالنِّسَاءِ وَنَقْشِ أَخَاتِمِ وَالْقَلْبِ وَالْقَاضِي  
وَالْوَزِيرِ وَالْحَاجِبِ مِنْ دَوْلَةٍ قَدِيمَةٍ لَا يَعْرِفُ فِيهَا أَصْلَهُمْ وَلَا أَسْمَاءَهُمْ وَلَا مَقَامَاتِهِمْ  
إِنَّمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ التَّقْلِيدُ وَالْعَقْلَةُ عَنْ مَقَاصِدِ الْمُؤَلِّفِينَ الْأَقْدَمِينَ وَالذُّهُولُ عَنْ تَحْوِي  
الْأَغْرَاضِ مِنَ التَّارِيخِ اللَّهُمَّ إِلَّا ذَكَرَ الْوُزَرَاءَ الَّذِينَ عَظُمَتْ آثَارُهُمْ وَعَفَّتْ عَنِ الْمُلُوكِ  
أَخْبَارُهُمْ كَالْحِجَّاجِ وَبَنِي الْمُهَلَّبِ وَالْبَرَامِكَةِ وَبَنِي سَهْلِ بْنِ نُوَيْحٍ وَكَافُورِ الْأَخْشِيدِيِّ  
وَأَبْنِ أَبِي عَامِرٍ وَأَمْثَلِهِمْ فَغَيْرُ نَكِيرِ الْأَلْمَاعِ بِأَبَائِهِمْ وَالْإِشَارَةُ إِلَى أَحْوَالِهِمْ لِانْتِظَامِهِمْ  
فِي عِدَادِ الْمُلُوكِ . وَلَنْذَكُرُ هُنَا فَائِدَةً نَحْنُمُ كَلَامَنَا فِي هَذَا الْفَصْلِ بِهَا وَهِيَ أَنَّ التَّارِيخَ  
إِنَّمَا هُوَ ذِكْرُ الْأَخْبَارِ الْخَاصَّةِ بِعَصْرِ أَوْ جِيلٍ فَمَا ذَكَرَ الْأَحْوَالَ الْعُلَمَاءُ لِلْأَفَاقِ  
وَالْأَجْيَالِ وَالْأَعْصَارِ فَهُوَ أَسْهُلُ الْمَوْزُونِ تَنَبُّي عَلَيْهِ أَكْثَرُ مَقَاصِدِهِ وَتَنَبُّي بِهِ أَجْبَاهُ  
وَقَدْ كَانَ النَّاسُ يُفْرِدُونَهُ بِالْتَأْلِيفِ كَمَا فَعَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ فِي كِتَابِ مَرْوَجِ الذَّهَبِ شَرَحَ  
فِيهِ أَحْوَالَ الْأُمَمِ وَالْأَفَاقِ لِعَهْدِهِ فِي عَصْرِ الثَّلَاثِينَ وَالثَّلَاثِينَ غَرْبًا وَشَرْقًا وَذَكَرَ  
فَعْلَهُمْ وَعَوَائِدَهُمْ وَوَصَفَ الْبُلْدَانَ وَالْجِبَالَ وَالْبَحَارَ وَالْمَمَالِكَ وَالدُّوْلَ وَفَرَّقَ شُعُوبَ  
الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ فَصَارَ إِمَامًا لِلْمُؤَرِّخِينَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ وَأَصْلًا يُعَوَّلُونَ فِي تَحْقِيقِ الْكَثِيرِ  
مِنْ أَخْبَارِهِمْ عَلَيْهِ ثُمَّ جَاءَ الْبُكْرِيُّ مِنْ بَعْدِهِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْمَسَالِكِ وَالْمَمَالِكِ  
خَاصَّةً دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّ الْأُمَمَ وَالْأَجْيَالَ لِعَهْدِهِ لَمْ يَبْقَ فِيهَا كَثِيرٌ أَنْتَقَلَ  
وَلَا عَظِيمٌ تَغَيَّرَ وَأَمَّا هَذَا الْعَهْدُ وَهُوَ آخِرُ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ فَقَدْ أَنْتَقَلَتِ أَحْوَالَ الْمَغْرِبِ  
الَّذِي نَحْنُ شَاهِدُوهُ وَتَبَدَّلَتِ بِالْجُمْلَةِ وَأَعْتَاضَ مِنْ أَجْيَالِ الْبُرَيْرِ أَهْلُهُ عَلَى الْقَدَمِ بِمَا  
طَرَأَ فِيهِ مِنْ لُدُنِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ مِنْ أَجْيَالِ الْعَرَبِ بِمَا كَسَرُوهُمْ وَعَلَيْهِمْ وَانْتَزَعُوا مِنْهُمْ  
عَامَّةَ الْأَوْطَانِ وَشَارَكُوهُمْ فِيمَا بَقِيَ مِنَ الْبُلْدَانِ لِمَلِكِهِمْ هَذَا إِلَى مَا نَزَلَ بِالْعُمَرَانَ

شَرْقًا وَعَرَبًا فِي مُتَّصِفِ هَذِهِ الْمِائَةِ الثَّمَانَةِ مِنَ الطَّاعُونِ الْجَارِفِ الَّذِي تَحَيَّفَ الْأُمَّمَ  
 وَذَهَبَ بِأَهْلِ الْجِيلِ وَطَوَى كَثِيرًا مِنْ مُحَاسِنِ الْعُمَرَانِ وَمَحَاهَا وَجَاءَ لِلدُّوَلِ عَلَى حِينِ  
 هَرَمِهَا وَبُلُوغِ الْعَالِيَةِ مِنْ مَدَاهَا فَقَلَّصَ مِنْ ظِلَالِهَا وَقَلَّ مِنْ حَدِّهَا وَأَوْهَنَ مِنْ سُلْطَانِهَا  
 وَتَدَاعَتْ إِلَى التَّلَاقِي وَالْأَضْحَالِ أَمْوَالُهَا وَانْتَقَضَ عُمَرَانُ الْأَرْضِ بِانْتِقَاضِ الْبَشَرِ  
 نَحَرَتِ الْأَمْصَارُ وَالْمَصَانِعُ وَدُرَسَتْ السُّبُلُ وَالْمَعَالِمُ وَخَلَّتِ الدِّيَارُ وَالْمَنَازِلُ وَضَعُفَتِ  
 الدُّوَلُ وَالْقَبَائِلُ وَتَبَدَّلَ السَّاكِنُ وَكَانَنِي بِالْمَشْرِقِ قَدْ نَزَلَ بِهِ مِثْلُ مَا نَزَلَ بِالْمَغْرِبِ  
 لَكِنَ عَلَى نِسْبَتِهِ وَمِقْدَارِ عُمَرَانِهِ وَكَانَمَا نَادَى لِسَانُ الْكُؤُنِ فِي الْعَالَمِ بِالْأُمُومِ  
 وَالْأَنْقِمَاضِ فَبَادَرَ بِالْإِجَابَةِ وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِذَا تَبَدَّلَتِ الْأَحْوَالُ  
 جُمْلَةً فَكَانَمَا تَبَدَّلَ الْخَلْقُ مِنْ أَصْلِهِ وَتَحَوَّلَ الْعَالَمُ بِأَسْرِهِ وَكَانَهُ خَلْقٌ جَدِيدٌ وَنَشَأَةٌ  
 مُسْتَأَنَفَةٌ وَعَالَمٌ مُحْدَثٌ فَاحْتِاجُ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ يَدُونِ أَحْوَالِ الْخَلْقِ وَالْأَفَاقِ وَأَجْيَالِهَا  
 وَالْعَوَائِدِ وَاللَّحْلِ الَّتِي تَبَدَّلَتْ لِأَهْلِهَا وَيَقْفُو مَسَلَكَ الْمَسْعُودِي لِعَصْرِهِ لِيَكُونَ أَصْلًا يَقْتَدِي  
 بِهِ مَنْ يَأْتِي مِنَ الْمُؤَرِّخِينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنَا ذَا كَرٍّ فِي كِتَابِي هَذَا مَا أَمَكَّنِي مِنْهُ فِي هَذَا  
 الْقَطْرِ الْمَغْرِبِيِّ إِمَّا صَرِيحًا أَوْ مُنْدَرَجًا فِي أَخْبَارِهِ وَتَلَوِيحًا لِإِخْتِصَاصِ قَصْدِي فِي  
 التَّأْلِيفِ بِالْمَغْرِبِ وَأَحْوَالِ أَجْيَالِهِ وَأُمَمِهِ وَذَكَرَ مَمَالِكِهِ وَدَوَلِهِ دُونَ مَا سِوَاهُ مِنْ  
 الْأَفْطَارِ لِعَدَمِ أَطْلَاعِي عَلَى أَحْوَالِ الْمَشْرِقِ وَأُمَمِهِ وَأَنَّ الْأَخْبَارَ الْمُتَنَاقِلَةَ لَا تَقِي كُنْهَ  
 مَا أُرِيدُهُ مِنْهُ وَالْمَسْعُودِي إِنَّمَا اسْتَوْفَى ذَلِكَ لِبُعْدِ رِحْلَتِهِ وَتَقَلُّبِهِ فِي الْبِلَادِ كَمَا ذَكَرَ  
 فِي كِتَابِهِ مَعَ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ الْمَغْرِبَ قَصَرَ فِي اسْتِيفَاءِ أَحْوَالِهِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ  
 عَلَيْهِ وَمَرَدُّ الْعِلْمِ كُلِّهِ إِلَى اللَّهِ وَالْبَشَرِ عَاجِزٌ قَاصِرٌ وَالْأَعْرَافُ مُتَعَيِّنٌ وَاجِبٌ وَمَنْ كَانَ  
 اللَّهُ فِي عَوْنِهِ تَسَرَّتْ عَلَيْهِ الْمَدَاهِبُ وَأُنْجِحَتْ لَهُ الْمَسَاعِي وَالْمَطَالِبُ وَتَحْنُ أَخْذُونَ  
 بِعَوْنِ اللَّهِ فِيمَا رُزِمَاهُ مِنْ أَعْرَاضِ التَّأْلِيفِ وَاللَّهُ الْمُسَدِّدُ وَالْمُعِينُ وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ  
 وَقَدْ بَقِيَ عَلَيْنَا أَنْ نُقَدِّمَ مُقَدِّمَةً فِي كَيْفِيَّةِ وَضْعِ الْحُرُوفِ الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ لُغَاتِ الْعَرَبِ  
 إِذَا عَرَضَتْ فِي كِتَابِنَا هَذَا

إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْحُرُوفَ فِي النُّطْقِ كَمَا يَأْتِي شَرْحُهُ بَعْدُ هِيَ كَيْفِيَّاتُ الْأَصْوَاتِ الْخَارِجَةِ  
 مِنَ الْحَبِيْرَةِ تَعْرِضُ مِنْ نَقْطِيعِ الصَّوْتِ بِقَرَعِ اللَّهَاءِ وَأَطْرَافِ اللِّسَانِ مَعَ الْحَنَكِ وَالْحَنْقِ  
 وَالْأَضْرَاسِ أَوْ بِقَرَعِ الشَّمْثَيْنِ أَيْضًا فَنَتَغَايِرُ كَيْفِيَّاتُ الْأَصْوَاتِ بِتَغَايِرِ ذَلِكَ الْقَرَعِ

وَتَجِيءُ الْحُرُوفُ مُتَمَايِزَةً فِي السَّمْعِ وَتَتَرَكَّبُ مِنْهَا الْكَلِمَاتُ الدَّالَّةُ عَلَى مَا فِي الْأَصْنَافِ  
 وَلَيْسَتْ الْأُمُّ كُلُّهَا مُتَمَاوِيَةً فِي النُّطْقِ بِتِلْكَ الْحُرُوفِ فَقَدْ يَكُونُ لِأُمَّةٍ مِنَ الْحُرُوفِ مَا  
 لَيْسَ لِأُمَّةٍ أُخْرَى وَالْحُرُوفُ الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا الْعَرَبُ هِيَ ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ حَرْفًا كَمَا عَرَفَتْ  
 وَفَجَدَ الْعِبْرَانِيُّنَ حُرُوفًا لَيْسَتْ فِي لُغَتِنَا وَفِي لُغَتِنَا أَيْضًا حُرُوفٌ لَيْسَتْ فِي لُغَتِهِمْ وَكَذَلِكَ  
 الْأَيْفَرَجِيُّ وَالْأَنْزَلِيُّ وَالْبَرْبَرِيُّ وَغَيْرُهُمْ لِأَنَّ مِنَ الْعَجَمِ ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْعَرَبِ  
 اصْطَلَحُوا فِي الدَّلَالَةِ عَلَى حُرُوفِهِمْ الْمَسْمُوعَةَ بِأَوْضَاعِ حُرُوفِ مَكْتُوبَةٍ مُتَمَايِزَةٍ بِأَشْخَاصِهَا  
 كَوْضَعِ أَلِفٍ وَبَاءٍ وَجِيمٍ وَرَاءٍ وَطَاءٍ إِلَى آخِرِ الثَّمَانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ وَإِذَا عَرَضَ لَهُمْ  
 الْحَرْفُ الَّذِي لَيْسَ مِنْ حُرُوفِ لُغَتِهِمْ بَقِيَ مُهْمَلًا عَنِ الدَّلَالَةِ الْكِتَابِيَّةِ مُغْفَلًا عَنِ الْبَيَانِ  
 وَرُبَّمَا يَرْتَمِيهِمْ بَعْضُ الْكُتَّابِ بِشَكْلِ الْحَرْفِ الَّذِي يَكْتَنِفُهُ مِنْ لُغَتِنَا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ  
 وَلَيْسَ يَكْفِي فِي الدَّلَالَةِ بَلْ هُوَ تَغْيِيرٌ لِلحَرْفِ مِنْ أَصْلِهِ وَلَمَّا كَانَ كِتَابَنَا مُشْتَمِلًا عَلَى  
 أَخْبَارِ الْبَرْبَرِ وَبَعْضِ الْعَجَمِ وَكَانَتْ تَعْرُضُ لَنَا فِي أَسْمَائِهِمْ أَوْ بَعْضِ كَلِمَاتِهِمْ حُرُوفٌ  
 لَيْسَتْ مِنْ لُغَةِ كِتَابَتِنَا وَلَا اصْطِلَاحِ أَوْضَاعِنَا اضْطُرَرْنَا إِلَى بَيَانِهِ وَلَمْ نَكْتَفِ بِرِسْمِ  
 الْحَرْفِ الَّذِي يَلِيهِ كَمَا قُلْنَا لَهُ لِأَنَّهُ عِنْدَنَا غَيْرُ وَافٍ بِالدَّلَالَةِ عَلَيْهِ فَأَصْطَلَحْتُ فِي كِتَابِي هَذَا  
 عَلَى أَنْ أَضَعُ ذَلِكَ الْحَرْفَ الْعَجَمِيَّ بِمَا يَبْدُلُ عَلَى الْحَرْفَيْنِ اللَّذَيْنِ يَكْتَنِفَانِهِ لِيَتَوَسَّطَ  
 الْقَارِئُ بِالنُّطْقِ بِهِ بَيْنَ تَخَرُّجِي ذَيْنِكَ الْحَرْفَيْنِ فَفَحْصَلُ تَأْدِيتهُ وَإِنَّمَا اقْتَبَسْتُ ذَلِكَ مِنْ  
 رِسْمِ أَهْلِ الْمُصْحَفِ حُرُوفِ الْأَشْجَامِ كَالصِّرَاطِ فِي قِرَاءَةِ خَلْفٍ فَإِنَّ النُّطْقَ بِصَادِهِ  
 فِيهَا مُعْجَمٌ مُتَوَسَّطٌ بَيْنَ الصَّادِ وَالزَّيِّ فَوَضَعُوا الصَّادَ وَرَسَمُوا فِي دَاخِلِهَا شَكْلَ الزَّيِّ  
 وَدَلَّ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ عَلَى التَّوَسُّطِ بَيْنَ الْحَرْفَيْنِ فَكَذَلِكَ رَسَمْتُ أَنَا كُلَّ حَرْفٍ يَتَوَسَّطُ بَيْنَ  
 حَرْفَيْنِ مِنْ حُرُوفِنَا كَالْكَافِ الْمُتَوَسِّطَةِ عِنْدَ الْبَرْبَرِ بَيْنَ الْكَافِ الصَّرِيحَةِ عِنْدَنَا  
 وَالْجِيمِ أَوِ الْقَافِ مِثْلَ اسْمِ بَلْ كَيْنِ فَأَضَعَهَا كَمَا وَاقَفْتُهَا بِنُقْطَةِ الْجِيمِ وَاحِدَةً مِنْ أَسْئَلِ  
 أَوْ بِنُقْطَةِ الْقَافِ وَاحِدَةً مِنْ فَوْقٍ أَوْ اثْنَتَيْنِ فَيَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ مُتَوَسِّطٌ بَيْنَ الْكَافِ  
 وَالْجِيمِ أَوِ الْقَافِ وَهَذَا الْحَرْفُ أَكْثَرُ مَا يَجِيءُ فِي لُغَةِ الْبَرْبَرِ وَمَا جَاءَ مِنْ غَيْرِهِ فَعَلِي  
 هَذَا الْقِيَاسَ أَضَعُ الْحَرْفَ الْمُتَوَسِّطَ بَيْنَ حَرْفَيْنِ مِنْ لُغَتِنَا بِالْحَرْفَيْنِ مَعًا لِيَعْلَمَ الْقَارِئُ  
 أَنَّهُ مُتَوَسِّطٌ فَيَنْطِقُ بِهِ كَذَلِكَ فَتَكُونُ قَدْ دَلَّلْنَا عَلَيْهِ وَلَوْ وَضَعْنَاهُ بِرِسْمِ الْحَرْفِ الْوَاحِدِ  
 عَنِ جَانِبِهِ لَكُنَّا قَدْ صَرَفْنَاهُ مِنْ تَخَرُّجِهِ إِلَى تَخَرُّجِ الْحَرْفِ الَّذِي مِنْ لُغَتِنَا وَغَيْرِنَا

لُغَةِ الْقَوْمِ فَأَعْلَمَ ذَلِكَ وَاللَّهُ الْمَوْقِقُ لِلصَّوَابِ بِمَنْدِهِ وَفَضْلِهِ

## الكتاب الاول

في طبيعة العمران في الخليقة وما يعرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب  
والمعاش والصنائع والعلوم ونحوها وما لذلك من العلل والاسباب

اعلم انه لما كانت حقيقة التاريخ انه خبر عن الاجتماع الانساني الذي هو  
عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الاحوال مثل التوحش والتانس  
والعصبيات واصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من الملك  
والدول ومراتبها وما يتحمله البشر باعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم  
والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الاحوال. ولما كان الكذب  
متطرقا للخبر بطبيعته وله اسباب تقتضيه. فمنها التشيعات للاراء والمذاهب فان  
النفس اذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التخصيص والنظر  
حتى تبين صدقه من كذبه واذا حارها تشيع لرأي او نخله قيلت ما يوافقها من  
الاخبار لأول وهلة وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد  
والتخصيص فتقع في قبول الكذب ونقله. ومن الاسباب المقتضية للكذب في الاخبار  
ايضا الثقة بالناقلين وتخصيص ذلك يرجع الى التعديل والتجريح. ومنها الذهول عن  
المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عين او سمع وينقل الخبر على ما في  
ظنه وتخمينه فيقع في الكذب. ومنها توهم الصدق وهو كثير وانما يجي في الأكثر  
من جهة الثقة بالناقلين ومنها الجهل بتطبيق الاحوال على اوقائع لأجل ما بداخلها من  
التليس والتصنع فينقلها المخبر كما راها وهي بالتصنع على غير الحقي في نفسه. ومنها  
تقرب الناس في الأكثر لأصحاب الجملة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الاحوال  
واشاعة الذكر بذلك فيستفيض الاخبار بها على غير حقيقة فالنفوس مولعة بمحب  
الثناء والناس متطعمون الى الدنيا واسبابها من جاءه أو ثروة وليسوا في الأكثر براغبين  
في الفضائل ولا متنافسين في أهلها. ومن الاسباب المقتضية له ايضا وهي سابقة على  
جميع ما تقدم الجهل بطبائع الاحوال في العمران فان كل حادث من الحوادث

دَاتَا كَانَ أَوْ فِعْلًا لَا بَدَلَهُ مِنْ طَبِيعَةٍ تَخْصُهُ فِي ذَاتِهِ وَفِيهَا يَعْرِضُ لَهُ مِنْ أَحْوَالِهِ فَإِذَا  
 كَانَ السَّامِعُ عَارِفًا بِطَبَائِعِ الْحَوَادِثِ وَالْأَحْوَالِ فِي الْوُجُودِ وَمَقْتَضِيَاتِهَا أَعَانَهُ ذَلِكَ فِي  
 تَمْحِصِ الْخَبَرِ عَلَى تَمْيِيزِ الصِّدْقِ مِنَ الكَذِبِ وَهَذَا أُنْبِغُ فِي التَّخْصِصِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ  
 يَعْرِضُ وَكَثِيرًا مَا يَعْرِضُ لِلسَّامِعِينَ قَبُولَ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَحِيلَةِ وَيَنْقَلِبُهَا وَتَوَثَّرَ عَنْهُمْ كَمَا  
 نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ عَنِ الْأَسْكَندَرِيِّ لَمَّا صَدَنَتْ دَوَابُّ الْبَحْرِ عَنْ بِنَاءِ الْأَسْكَندَرِيَّةِ وَكَيْفَ  
 اتَّخَذَ صُنْدُوقَ الزُّجَاجِ وَعَاصَ فِيهِ إِلَى قَعْرِ الْبَحْرِ حَتَّى صَوَّرَ تِلْكَ الدَّوَابَّ الشَّيْطَانِيَّةَ الَّتِي  
 رَأَاهَا وَعَمِلَ تَمَائِيلَهَا مِنْ أَجْسَادِ مَعْدِنِيَّةٍ وَنَصَبَهَا حِذَاءَ الْبُنْيَانِ فَفَرَّتْ تِلْكَ الدَّوَابُّ حِينَ  
 خَرَجَتْ وَعَابَتْهَا وَتَمَّ بِنَاؤُهَا فِي حِكَايَةِ طَوِيلَةٍ مِنْ أَحَادِيثِ خُرَافَةِ مُسْتَحِيلَةٍ مِنْ قَبْلِ  
 اتَّخَاذِهِ النَّابُوتَ الزُّجَاجِيَّ وَمُضَادَّةِ الْبَحْرِ وَأَمَاجِهِ بِجُرْمِهِ وَمِنْ قَبْلِ أَنَّ الْمَلُوكَ لَا تَحْمِلُ  
 أَنْفُسَهَا عَلَى مِثْلِ هَذَا الْغُرُورِ وَمَنْ أَعْتَمَدَهُ مِنْهُمْ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلِهَاجَةِ وَأَنْتِقَاضِ  
 الْعُقْدَةِ وَأَجْتِمَاعِ النَّاسِ إِلَى غَيْرِهِ وَفِي ذَلِكَ إِتْلَافُهُ وَلَا يَنْتَظِرُونَ بِهِ رُجُوعَهُ مِنْ غُرُورِهِ  
 ذَلِكَ طَرَفَةٌ عَيْنٍ وَمِنْ قَبْلِ أَنَّ الْجَنَّ لَا يَعْرِفُ لَهَا صُورًا وَلَا تَمَائِيلَ تَخْتَصُّ بِهَا إِنَّمَا هِيَ  
 قَادِرَةٌ عَلَى التَّشْكِيلِ وَمَا يُدْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ الرُّؤُوسِ لَهَا فَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِهِ الشَّعَاعَةُ  
 وَالتَّهْوِيلُ لِأَنَّهُ حَقِيقَةٌ . وَهَذِهِ كُلُّهَا قَادِحَةٌ فِي تِلْكَ الْحِكَايَةِ وَالْقَادِحُ الْحَمِيلُ لَهَا مِنْ  
 طَرِيقِ الْوُجُودِ أَبِينُ مِنْ هَذَا كَلِمَةٌ وَهُوَ أَنَّ الْمُنْعَمَسَ فِي الْمَاءِ وَلَوْ كَانَ فِي الصُّنْدُوقِ  
 يَضِيئُ عَلَيْهِ أَهْوَاءُ النَّفْسِ الطَّبِيعِيِّ وَتَسْخُنُ رُوحَهُ بِسُرْعَةٍ لِقَلْبِهِ فَيَفْقَدُ صَاحِبُهُ أَهْوَاءَ  
 الْبَارِدِ الْمَعْدَلِ لِمَزَاجِ الرِّتَّةِ وَالرُّوحِ الْقَلْبِيِّ وَيَهْلِكُ مَكَانَهُ وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي هَلَاكِ  
 أَهْلِ الْحَمَامَاتِ إِذَا أُطِيقَتْ عَلَيْهِمْ عَنِ أَهْوَاءِ الْبَارِدِ وَالْمُتَدَلِّينَ فِي الْأَبَارِ وَالْمَطَامِيرِ  
 الْعَمِيقَةِ الْمَهْوَى إِذَا سَخِنَ هَوَاؤُهَا بِالْعُقُوبَةِ وَلَمْ تَدْخُلْهَا الرِّيحُ فَتَخْلُجُهَا فَإِنَّ الْمُتَدَلِّ  
 فِيهَا يَهْلِكُ لِحَيْثُ وَهَذَا السَّبَبُ يَكُونُ مَوْتُ الْحُوتِ إِذَا فَارَقَ الْبَحْرَ فَإِنَّ أَهْوَاءَ لَا يَكْفِيهِ  
 فِي تَعْدِيلِ رِئْتِهِ إِذْ هُوَ حَارٌّ بِإِفْرَاطٍ وَالْمَاءُ الَّذِي يَعْدِلُهُ بَارِدٌ وَالْأَهْوَاءُ الَّذِي خَرَجَ إِلَيْهِ  
 حَارٌّ فَيَسْتَوِلِي الْحَارُّ عَلَى رُوحِهِ الْحَيَوَانِيِّ وَيَهْلِكُ دَفْعَةً وَمِنْهُ هَلَاكُ الْمَصْعُوفِينَ وَأَمْثَالِ  
 ذَلِكَ وَمِنْ الْأَخْبَارِ الْمُسْتَحِيلَةِ مَا نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ أَيْضًا فِي تِمَثَالِ الزَّرْزُورِ الَّذِي بِرُومَةِ  
 تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ الزَّرَازِيرُ فِي يَوْمٍ مَعْلُومٍ مِنَ السَّنَةِ حَامِلَةً لِلزَّبْتُونَ وَمِنْهُ يَخْذُونَ زَبْتَهُمْ  
 وَانْظُرْ مَا أَعْبَدَ ذَلِكَ عَنِ الْحَجَرِيِّ الطَّبِيعِيِّ فِي اتَّخَاذِ الزَّبْتِ . وَمِنْهَا مَا نَقَلَهُ الْبَكْرِيُّ

فِي بِنَاءِ الْمَدِينَةِ الْمَسْمُورَةِ ذَاتِ الْأَبْوَابِ مُحِيطٌ بِأَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ مَرَّحَلَةً وَتَشْتَمِلُ عَلَى  
 عَشْرَةِ آلَافِ بَابٍ وَالْمُدُنُ إِنَّمَا اتَّخَذَتْ لِلتَّحْصَنِ وَالْإِعْتِصَامِ كَمَا يَأْتِي وَهَذِهِ خَرَجَتْ  
 عَنْ أَنْ يُحَاطَ بِهَا فَلَا يَكُونُ فِيهَا حِصْنٌ وَلَا مَعْصَمٌ وَكَمَا نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ أَيْضًا فِي حَدِيثِ  
 مَدِينَةِ النُّحَاسِ وَأَنَّهَا مَدِينَةٌ كُلُّ بِنَائِهَا نُحَاسٌ بِصَحْرَاءِ سَجْلَمَاسَةَ ظَفَرَ بِهَا مُوسَى بْنُ نُصَيْرٍ  
 فِي غَزْوَتِهِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَأَنَّهَا مَغْلَقَةُ الْأَبْوَابِ وَأَنَّ الصَّاعِدَ إِلَيْهَا مِنْ أَسْوَارِهَا إِذَا أَشْرَفَ  
 عَلَى الْحَائِطِ صَفَقَ وَرَمَى بِنَفْسِهِ فَلَا يَرْجِعُ آخِرَ الدَّهْرِ فِي حَدِيثِ مُسْتَحِيلٍ عَادَةً مِنْ  
 خُرَافَاتِ الْقُصَاصِ وَصَحْرَاءِ سَجْلَمَاسَةَ قَدْ نَقَضَهَا الرُّكَّابُ وَالْأَدْلَاءُ وَلَمْ يَقِفُوا لِهَيْدِهِ الْمَدِينَةَ  
 عَلَى خَبَرٍ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْأَحْوَالَ الَّتِي ذَكَرُوا عَنْهَا كُلَّهَا مُسْتَحِيلٌ عَادَةً مُتَأَمِّنٌ لِلْأُمُورِ  
 الطَّبِيعِيَّةِ فِي بِنَاءِ الْمُدُنِ وَاخْتِطَاطِهَا وَأَنَّ الْمَعَادِنَ غَايَةَ الْمَوْجُودِ مِنْهَا أَنْ يُصْرَفَ فِي  
 الْأَنِيَّةِ وَالْحَرْتِي (١) وَأَمَّا تَشْيِيدُ مَدِينَةٍ مِنْهَا فَكَمَا تَرَاهُ مِنَ الْإِسْتِحَالَةِ وَالْبُعْدِ وَأَمثالُ  
 ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَتَحْيِصُهُ إِنَّمَا هُوَ بِمَعْرِفَةِ طَبَائِعِ الْعُمَرَانِ وَهُوَ أَحْسَنُ الْوُجُوهِ وَأَوْثَقُهَا  
 فِي تَحْيِصِ الْأَخْبَارِ وَتَمْيِيزِ صِدْقِهَا مِنْ كَذِبِهَا وَهُوَ سَابِقٌ عَلَى التَّحْيِصِ بِتَعْدِيلِ الرُّوَاةِ  
 وَلَا يَرْجِعُ إِلَى تَعْدِيلِ الرُّوَاةِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ الْخَبَرَ فِي نَفْسِهِ مُمَكِّنٌ أَوْ مُمْتَنِعٌ وَأَمَّا  
 إِذَا كَانَ مُسْتَحِيلًا فَلَا فَائِدَةَ لِلنَّظَرِ فِي التَّعْدِيلِ وَالْتَجَرِيعِ وَلَقَدْ عَدَّ أَهْلُ النَّظَرِ مِنَ  
 الْمَطَاعِنِ فِي الْخَبَرِ اسْتِحَالَةَ مَدْلُولِ اللَّفْظِ وَأَوَّلِيهِ بِمَا لَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ وَإِنَّمَا  
 كَانَ التَّعْدِيلُ وَالْتَجَرِيعُ هُوَ الْمَعْتَبَرُ فِي صِحَّةِ الْأَخْبَارِ الشَّرْعِيَّةِ لِأَنَّ مُعْظَمَهَا تَكَالِيفُ  
 إِنْسَانِيَّةٌ أَوْجَبَ الشَّارِعُ الْعَمَلَ بِهَا حَتَّى حَصَلَ الظَّنُّ بِصِدْقِهَا وَسَبِيلُ صِحَّةِ الظَّنِّ النَّقِيَّةُ  
 بِالرُّوَاةِ بِالْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ . وَأَمَّا الْأَخْبَارُ عَنِ الْوَأَقِعَاتِ فَلَا بَدَّ فِي صِدْقِهَا وَصِحَّتِهَا مِنْ  
 اعْتِبَارِ الْمُطَابَقَةِ فَلِذَلِكَ وَجِبَ أَنْ يُنظَرَ فِي إِمكَّانِ وَوُقُوعِهِ وَصَارَ فِيهَا ذَلِكَ أَهْمَ مِنْ  
 التَّعْدِيلِ وَمُقَدِّمًا عَلَيْهِ إِذْ فَائِدَةُ الْأَشْيَاءِ مُقْتَبَسَةٌ مِنْهُ فَقَطْ وَفَائِدَةُ الْخَبَرِ مِنْهُ وَمِنْ الْخَارِجِ  
 بِالْمُطَابَقَةِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَالْقَانُونُ فِي تَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ فِي الْأَخْبَارِ بِأَلِمْكَّانِ  
 وَالْإِسْتِحَالَةِ أَنْ نَنْظُرَ فِي الْأَجْتِمَاعِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي هُوَ الْعُمَرَانُ وَنَمْيِيزَ مَا يَلْتَقِيهِ مِنَ  
 الْأَحْوَالَ لِذَاتِهِ وَبِمَقْتَضَى طَبِيعِهِ وَمَا يَكُونُ عَارِضًا لَا يَعْتَدُّ بِهِ وَمَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْرِضَ  
 لَهُ وَإِذَا فَعَلْنَا ذَلِكَ كَانَ ذَلِكَ لَنَا قَانُونًا فِي تَمْيِيزِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ فِي الْأَخْبَارِ وَالصِّدْقِ

مِنَ الْكُذِبِ بِوَجْهِ بُرْهَانِي لَا مَدْخَلَ لِلشَّكِّ فِيهِ وَحِينَئِذٍ فَإِذَا سَمِعْنَا عَنْ شَيْءٍ مِنْ  
 الْأَحْوَالِ الْوَاقِعَةِ فِي الْعُمُرَانِ عَلِمْنَا مَا تَحْكُمُ بِقَبُولِهِ مِمَّا تَحْكُمُ بِتَرْكِيهِ وَكَانَ ذَلِكَ  
 لَنَا مَعْيَارًا صَحِيحًا يَجْرِي بِهِ الْمُؤَرِّخُونَ طَرِيقَ الصِّدْقِ وَالصَّوَابِ فِيمَا يَقْلُونَهُ وَهَذَا هُوَ  
 غَرَضُ هَذَا الْكِتَابِ الْأَوَّلِ مِنَ تَالِيَيْنَا وَكَانَ هَذَا عِلْمٌ مُسْتَقِيلٌ بِنَفْسِهِ فَإِنَّهُ ذُو مَوْضِعٍ  
 وَهُوَ الْعُمُرَانُ الْبَشَرِيُّ وَالْاجْتِمَاعُ الْإِنْسَانِيُّ وَذَو مَسَائِلٍ وَهِيَ بَيَانُ مَا يَحْقُقُهُ مِنَ الْعَوَارِضِ  
 وَالْأَحْوَالِ لِذَاتِهِ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى وَهَذَا شَأْنٌ كُلُّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ وَضِعِيًّا كَانَ أَوْ  
 عَقْلِيًّا. وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكَلَامَ فِي هَذَا الْغَرَضِ مُسْتَعَدَّتْ الصَّنْعَةُ غَرِيبُ الزَّرْعَةِ عَزِيزُ الْفَائِدَةِ  
 اعْتَرَّ عَلَيْهِ الْبَحْثُ وَأَدَّى إِلَيْهِ الْغَوْصُ وَلَيْسَ مِنْ عِلْمِ الْخَطَابَةِ إِنَّمَا هُوَ الْأَقْوَالُ الْمُقْنَعَةُ  
 النَّافِعَةُ فِي اسْتِنَالَةِ الْجُمْهُورِ إِلَى رَأْيٍ أَوْ صَدِّهِمْ عَنْهُ وَلَا هُوَ أَيْضًا مِنْ عِلْمِ السِّيَاسَةِ  
 الْمَدِينِيَّةِ إِذِ السِّيَاسَةُ الْمَدِينِيَّةُ هِيَ تَدْبِيرُ الْمَنْزِلِ أَوْ الْمَدِينَةِ بِمَا يَجِبُ بِمُقْتَضَى الْأَخْلَاقِ  
 وَالْحِكْمَةِ لِجَمْعِ الْجُمْهُورِ عَلَى مَنَاجٍ يَكُونُ فِيهِ حِفْظُ التَّوَعُّعِ وَبِقَاوُهُ فَقَدْ خَالَفتْ  
 مَوْضِعَهُ مَوْضِعَ هَدْيِ الْفَتَنِ الَّذِينَ رَبَّمَا يُشْبِهَانَهُ وَكَانَهُ عِلْمٌ مُسْتَنْبَطُ النِّسَاءِ وَالْعَمْرِي  
 لَمْ أَقِفْ عَلَى الْكَلَامِ فِي مَنَاجٍ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلِيقَةِ مَا أَدْرِي أَلْعَلَّمْتَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَلَيْسَ  
 الظَّنُّ بِهِمْ أَوْ لَعَلَّمْتَهُمْ كَتَبُوا فِي هَذَا الْغَرَضِ وَاسْتَوْفَوْهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا فَالْعُلُومُ كَثِيرَةٌ  
 وَالْحِكْمَاءُ فِي أَمْرِ النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ مُتَعَدِّدُونَ وَمَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنَ الْعُلُومِ أَكْثَرُ  
 مِمَّا وَصَلَ فَأَيُّنَ عُلُومِ الْفَرَسِ الَّتِي أَمَرَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِحَجْمِهَا عِنْدَ الْفَتْحِ وَأَيُّنَ عُلُومِ  
 الْكِلْدَانِيِّينَ وَالسَّرِيَانِيِّينَ وَأَهْلِ بَابِلَ وَمَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ مِنْ آثَارِهَا وَتَنَاجِيهَا وَأَيُّنَ عُلُومِ  
 الْقَبْطِ وَمَنْ قَبْلَهُمْ وَإِنَّمَا وَصَلَ إِلَيْنَا عُلُومُ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ وَهُمْ بُونَانُ خَاصَّةً لِكُلِّ الْمَأْمُونِ  
 بِإِخْرَاجِهَا مِنْ لُغَتِهِمْ وَأَقْفَادِهِ عَلَى ذَلِكَ بِكَثْرَةِ الْمُتَرْجِمِينَ وَبَدَلِ الْأَمْوَالِ فِيهَا وَلَمْ  
 نَقِفْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عُلُومِ غَيْرِهِمْ وَإِذَا كَانَتْ كُلُّ حَقِيقَةٍ مُتَعَلِّقَةً طَبِيعِيَّةً بِصَلْحٍ أَنْ يُعْبَثَ  
 عَمَّا يَعْزِضُ لَهَا مِنَ الْعَوَارِضِ لِذَاتِهَا وَجَبَّ أَنْ يَكُونَ بِأَعْتِبَارِ كُلِّ مَفْهُومٍ وَحَقِيقَةٍ عِلْمٌ  
 مِنَ الْعُلُومِ يَخْصُهُ لَكِنَّ الْحِكْمَاءُ لَعَلَّمُوا إِنَّمَا لَاحَظُوا فِي ذَلِكَ الْعِنَايَةَ بِالثَّمَرَاتِ وَهَذَا  
 إِنَّمَا ثَمَرَتُهُ فِي الْأَخْبَارِ فَقَطْ كَمَا رَأَيْتَ وَإِنْ كَانَتْ مَسَائِلُهُ فِي ذَاتِهَا وَفِي أَحْصَاصِهَا  
 شَرِيفَةً لَكِنَّ ثَمَرَتَهُ تَصْحِيحُ الْأَخْبَارِ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ فَلِهَذَا هَجَرُوهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَمَا أُوْتِينُمْ  
 مِنَ الْعِلْمِ الْأَقِيلِ. وَهَذَا الْفَرْقُ الَّذِي لَاحَظْنَا النَّظْرُ فِيهِ نَجِدُ مِنْهُ مَسَائِلَ تَجْرِي بِالْعَرَضِ

لِأَهْلِ الْعُلُومِ فِي بَرَاهِينِ عُلُومِهِمْ وَهِيَ مِنْ جِنْسِ مَسَائِلِهِ بِالْمَوْضُوعِ وَالطَّلَبِ مِثْلَ مَا  
 يَذْكُرُهُ الْحُكَمَاءُ وَالْعُلَمَاءُ فِي اثْبَاتِ النُّبُوَّةِ مِنْ أَنَّ الْبَشَرَ مُتَعَاوِنُونَ فِي وُجُودِهِمْ  
 فَيَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى الْحَاكِمِ وَالْوَارِعِ وَمِثْلَ مَا يَذْكُرُ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ فِي بَابِ اثْبَاتِ  
 اللُّغَاتِ أَنَّ النَّاسَ مُخْتَارُونَ إِلَى الْعِبَارَةِ عَنِ الْمَقَاصِدِ بِطَبِيعَةِ التَّعَاوُنِ وَالِاجْتِمَاعِ وَتَبْيَانِ  
 الْعِبَارَاتِ أَخْتِ وَمِثْلَ مَا يَذْكُرُهُ الْفُقَهَاءُ فِي تَعْلِيلِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بِالْمَقَاصِدِ  
 فِي أَنَّ الزَّانَا مَخْطُوطٌ لِلْأَنْسَابِ مُقْسِدٌ لِلنُّوعِ وَأَنَّ الْقَتْلَ أَيْضًا مُقْسِدٌ لِلنُّوعِ وَأَنَّ الظُّلْمَ  
 مُؤَذِّنٌ بِخَرَابِ الْعُمْرَانِ الْمُفْضِي لِفَسَادِ النُّوعِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ  
 فِي الْأَحْكَامِ فَإِنَّهَا كُلُّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْحِفَاظَةِ عَلَى الْعُمْرَانِ فَكَانَ لَهَا النَّظَرُ فِيهَا يَعْرِضُ  
 لَهُ وَهُوَ ظَاهِرٌ مِنْ كَلَامَتِنَا هَذَا فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ الْمُحْتَمِلَةِ وَكَذَلِكَ أَيْضًا يَقَعُ الْبِنَاءُ الْقَلِيلُ  
 مِنْ مَسَائِلِهِ فِي كَلِمَاتٍ مُتَرَفِّقَةٍ لِحُكَمَاءِ الْخَلِيقَةِ لَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْتَوْفُوهُ مِنْ كَلَامِ  
 الْمَوْبِدَّانِ بَهْرَامِ بْنِ بَهْرَامٍ فِي حِكَايَةِ الْبُومِ الَّتِي نَقَلَهَا الْمَسْعُودِيُّ. أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ  
 الْمَلِكَ لَا يَتِمُّ عِزُّهُ إِلَّا بِالشَّرِيعَةِ وَالْقِيَامِ لِلَّهِ بِطَاعَتِهِ وَالتَّصَرُّفِ تَحْتَ أَمْرِهِ وَتَهْنِئِهِ وَلَا  
 قِيَامَ لِلشَّرِيعَةِ إِلَّا بِالْمَلِكِ وَلَا عِزَّ لِلْمَلِكِ إِلَّا بِالرِّجَالِ وَلَا قِيَامَ لِلرِّجَالِ إِلَّا بِالْمَالِ  
 وَلَا سَبِيلَ لِلْمَالِ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَلَا سَبِيلَ لِلْعِمَارَةِ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْعَدْلُ الْمِيزَانُ  
 الْمَنْصُوبُ بَيْنَ الْخَلِيقَةِ نَصَبَهُ الرَّبُّ وَجَعَلَ لَهُ قِيَمًا وَهُوَ الْمَلِكُ. وَمِنْ كَلَامِ أَنْوَشِرَوَانَ  
 فِي هَذَا الْمَعْنَى بَعَيْنِهِ الْمَلِكُ بِالْجُنْدِ وَالْجُنْدُ بِالْمَالِ وَالْمَالُ بِالْخِرَاجِ وَالْخِرَاجُ بِالْعِمَارَةِ  
 وَالْعِمَارَةُ بِالْعَدْلِ وَالْعَدْلُ بِإِصْلَاحِ الْعَمَالِ وَإِصْلَاحُ الْعَمَالِ بِاسْتِقَامَةِ الْوُزَرَءِ  
 وَرَأْسُ الْكُلِّ بِإِفْتِقَادِ الْمَلِكِ حَالَ رَعِيَّتِهِ بِنَفْسِهِ وَاقْتِدَارِهِ عَلَى تَأْدِيبِهَا حَتَّى يَمْلِكَهَا  
 وَلَا تَمْلِكُهُ. وَفِي الْكِتَابِ الْمَنْسُوبِ لِأَرْسَطُو فِي السِّيَاسَةِ الْمُتَدَوَّلِ بَيْنَ النَّاسِ جُزْءٌ  
 صَالِحٌ مِنْهُ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مُسْتَوْفٍ وَلَا مُعْطَى حَقَّهُ مِنَ الْبَرَاهِينِ وَخُتَّاطٌ بغيرِهِ وَقَدْ أَشَارَ  
 فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ إِلَى هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي نَقَلْنَاهَا عَنِ الْمَوْبِدَّانِ وَأَنْوَشِرَوَانَ وَجَعَلْنَا  
 فِي الدَّائِرَةِ الْقَرِيبَةِ الَّتِي أَعْظَمَ الْقَوْلَ فِيهَا هُوَ قَوْلُهُ. الْعَالَمُ بَسْتَانُ سِيَاحَةُ الدَّوْلَةِ الدَّوْلَةُ  
 سُلْطَانٌ تَحِيًّا بِهِ السَّنَةُ السَّنَةُ سِيَاسَةٌ يَسُوسُهَا الْمَلِكُ الْمَلِكُ نِظَامٌ يَعْضُدُهُ الْجُنْدُ  
 الْجُنْدُ أَعْوَانٌ يَكْفُلُهُمُ الْمَالُ الْعَمَالُ رِزْقٌ يَجْمَعُهُ الرِّعِيَّةُ الرِّعِيَّةُ عَيْدٌ يَكْتُمُهُمُ الْعَدْلُ  
 الْعَدْلُ مَا أَوْفَى وَبِهِ قِيَامُ الْعَالَمِ الْعَالَمُ بَسْتَانٌ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى أَوَّلِ الْكَلَامِ. فَهَذَا تَمَّانُ

كَلِمَاتٍ حَكِيمَةٍ سِيَاسِيَّةٍ اِرْتَبَطَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَارْتَدَّتْ اَعْجَازُهَا اِلَى صُدُورِهَا وَاتَّصَلَتْ  
فِي دَائِرَةٍ لَا تَبْعِينَ طَرْفَهَا نَفْرَ بَعُثُورِهِ عَلَيْهَا وَعَظَمَ مِنْ فَوَائِدِهَا . وَانْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ  
كَلَامَنَا فِي فَصْلِ الدُّوَلِ وَالْمَلِكِ وَأَعْطَيْتَهُ حَقَّهُ مِنَ التَّمْصِيحِ وَالتَّفْهِيْمِ عَزَّرْتَ فِي اثْنَانِهِ  
عَلَى تَفْسِيْرِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَتَفْصِيْلِ اِجْمَالِهَا مُسْتَوْفَى يَتِيًّا بِأَوْعَبِ بَيَانٍ وَأَوْضَحِ دَلِيْلِ  
وَبُرْهَانٍ أَطْلَعَنَا اللهُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَعْلِيْمٍ اِرْسَطُو وَلَا اِفَادَةٍ مُوَبَّدَانٍ وَكَذَلِكَ تَجِدُ فِي  
كَلَامِ اَبْنِ الْمُفَفِّعِ وَمَا يَسْتَرْدُّ فِي رِسَالَتِهِ مِنْ ذِكْرِ السِّيَاسَاتِ الْكَثِيْرَةِ مِنْ مَسَائِلِ  
كِتَابِنَا هَذَا غَيْرَ مَبْرَهَنَةٍ كَمَا بَرَهَنَاهُ اِنَّمَا يُجْلِيهَا فِي الذِّكْرِ عَلَى مَنَحَى اَلْخَطَابَةِ فِي اَسْلُوْبِ  
الْتَّرْسُلِ وَبَلَاغَةِ الْكَلَامِ وَكَذَلِكَ حَوَمَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الطَّرْطُوشِي فِي كِتَابِ  
سِرَاجِ الْمُلُوكِ وَبَوَّبَهُ عَلَى اَبْوَابِ تَقْرُبٍ مِنْ اَبْوَابِ كِتَابِنَا هَذَا وَمَسَائِلُهُ لَكِنَّهُ لَمْ  
يُصَادَفْ فِيهِ الرَّمِيَّةُ وَلَا اَصَابَ الشَّاكِلَةَ وَلَا اَسْتَوْفَى الْمَسَائِلَ وَلَا اَوْضَحَ الْاَدْلَةَ اِنَّمَا  
يُؤَبِّبُ الْبَابَ لِلْمَسْئَلَةِ ثُمَّ يَسْتَمَكِّرُ مِنَ الْاَحَادِيْثِ وَالْاَثَارِ وَيَنْقُلُ كَلِمَاتٍ مُتَفَرِّقَةً  
لِحِكْمَاءِ الْفَرَسِ مِثْلَ بَرَزْجَمِهَرِّ وَالْمُوَبَّدَانِ وَحِكْمَاءِ الْهِنْدِ وَالْمَأْتُوْرِ عَنْ دَانِيَالٍ  
وَهَرْمِسَ وَغَيْرِهِمْ مِنْ اَكْبَرِ اَلْخَلِيْقَةِ وَلَا يَكْشِفُ عَنِ التَّحْقِيْقِ فَنَاعًا وَلَا يَرْفَعُ بِالْبُرَاهِيْنِ  
الطَّبِيْعِيَّةِ حِجَابًا اِنَّمَا هُوَ نَقْلٌ وَتَرْكِيْبٌ شَبِيْهُ بِالْمَوْاعِظِ وَكَانَهُ حَوَمَ عَلَى الْغَرَضِ وَلَمْ  
يُصَادَفْهُ وَلَا تَحَقَّقْ فِصْدَهُ وَلَا اَسْتَوْفَى مَسَائِلَهُ وَتَحْنُ اَلْهُمْنَا اللهُ اِلَى ذَلِكَ اَلْهُمَاْمَا وَاعْتَرْنَا  
عَلَى عِلْمٍ جَعَلْنَا بَيْنَ نُسْكَرَةٍ وَجِيْمِيَّةِ خَبْرَهُ فَاِنْ كُنْتُ قَدْ اَسْتَوْفَيْتُ مَسَائِلَهُ وَمَيَزْتُ عَنْ  
سَائِرِ الصَّنَائِعِ اَنْظَارَهُ وَاَنْجَاهَهُ فِتْوَقِيْقُ مِنْ اللهُ وَهَدِيَاةٌ وَاِنْ فَاتِي شَيْءٌ فِي اِحْصَانِهِ  
وَاسْتَبْتَهُ بِغَيْرِهِ فَلِنَاظِرِ اَلْحَقِيْقِ اِصْلَاحُهُ وَاِلَى الْفَضْلِ لِأَنِّي تَهَجَّتْ لَهُ السَّبِيْلُ وَأَوْضَحْتُ  
لَهُ الطَّرِيْقَ وَاللهُ يَهْدِيْ بُنُوْرِهِ مِنْ يَشَاءُ . وَتَحْنُ الْاَنْ نَبِيْنُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا يَعْرِضُ  
لِلْبَشَرِ فِي اَجْمَاعِهِمْ مِنْ اَحْوَالِ الْعُمُرَانِ فِي الْمَلِكِ وَالْكَسْبِ وَالْعُلُوْمِ وَالصَّنَائِعِ يُوْجُوْهُ  
بُرْهَانِيَّةٍ يَتَضَحُّ بِهَا التَّحْقِيْقُ فِي مَعَارِفِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ وَتَنْدَفِعُ بِهَا الْاَوْهَامُ وَتَرْفَعُ  
السُّكُوْكَ . وَتَقُوْلُ لَمَا كَانَ الْاِنْسَانُ مُتَمَيِّزًا عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ بِخَوَاصِّ اَخْتِصَّ بِهَا  
فِيْمَهَا الْعُلُوْمُ وَالصَّنَائِعُ الَّتِي هِيَ نَتِيْجَةُ الْفِكْرِ الَّذِي تَمَيَّزَ بِهِ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ وَشَرَفَ بِوَصْفِهِ عَلَى  
اَلْمَخْلُوْقَاتِ وَمِنْهَا الْحَاجَةُ اِلَى الْحَكْمِ الْوَاِزِعِ وَالسُّلْطَانِ الْقَاهِرِ اِذْ لَا يُمْكِنُ وُجُوْدُهُ  
دُوْنَ ذَلِكَ مِنْ بَيْنِ الْحَيَوَانَاتِ كُلِّهَا اِلَّا مَا يُقَالُ عَنِ النَّحْلِ وَالْجُرَادِ وَهَذِهِ وَاِنْ كَانَ لَهَا

مِثْلُ ذَلِكَ فَبَطَّرِيقِ الْهَامِي لَا يَفْكَرُ وَرَوِيَّةٍ وَمِنْهَا السَّعْيُ فِي الْمَعَاشِ وَالْإِعْتِمَالُ فِي تَحْصِيلِهِ مِنْ وُجُوهِهِ وَأَكْتِسَابِ أَسْبَابِهِ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهِ مِنَ الْإِثْتِقَارِ إِلَى الْغِنَاءِ فِي حَيَاتِهِ وَبَقَائِهِ وَهَدَاهُ إِلَى التَّاسِهِ وَطَلَبِهِ قَالَ تَعَالَى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى وَمِنْهَا الْعُمْرَانُ وَهُوَ التَّسَاكُنُ وَالتَّنَازُلُ فِي مَضْرُوءٍ أَوْ حَلَّةٍ لِلْأَنْسِ بِالْعَشِيرِ وَاقْتِضَاءُ الْحَاجَاتِ لِمَا فِي طِبَاعِهِمْ مِنَ التَّعَاوُنِ عَلَى الْمَعَاشِ كَمَا نَبَّيْنَهُ وَمِنْ هَذَا الْعُمْرَانُ مَا يَكُونُ بَدَوِيًّا وَهُوَ الَّذِي يَكُونُ فِي الضَّوْاحِي وَفِي الْجِبَالِ وَفِي الْحِلَالِ الْمُنْتَجِمَةِ فِي الْقَفَارِ وَأَطْرَافِ الرِّمَالِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ حَضْرِيًّا وَهُوَ الَّذِي بِالْأَمْصَارِ وَالْقُرَى وَالْمَدِينِ وَالْمَدَرِّ لِلْإِعْتِصَامِ بِهَا وَالتَّحْصُنِ بِجُدْرَانِهَا وَلَهُ فِي كُلِّ هَذِهِ الْأَحْوَالِ أُمُورٌ تَعْرُضُ مِنْ حَيْثُ الْاجْتِمَاعُ عُرُوضًا ذَاتِيًّا لَهُ فَلَا جُرْمَ انْحَصَرَ الْكَلَامُ فِي هَذَا الْكِتَابِ فِي سِتَّةِ فُصُولٍ . الْأَوَّلُ فِي الْعُمْرَانِ الْبَشَرِيِّ عَلَى الْجُمْلَةِ وَأَصْنَافِهِ وَقِسْطِهِ مِنَ الْأَرْضِ . وَالثَّانِي فِي الْعُمْرَانِ الْبَدَوِيِّ وَذَكَرَ الْقَبَائِلَ وَالْأُمَمَ الْوَحْشِيَّةَ . وَالثَّلَاثُ فِي الدُّوَلِ وَالْخِلَافَةِ وَالْمَلِكِ وَذَكَرَ الْمَرَاتِبَ السُّلْطَانِيَّةَ وَالرَّابِعُ فِي الْعُمْرَانِ الْحَضْرِيِّ وَالْبُلْدَانَ وَالْأَمْصَارِ . وَالْخَامِسُ فِي الصَّنَائِعِ وَالْمَعَاشِ وَالْكَسْبِ وَوُجُوهِهِ . وَالسَّادِسُ فِي الْعُلُومِ وَأَكْتِسَابِهَا وَتَعَلُّمِهَا . وَقَدْ قَدَّمْتُ الْعُمْرَانَ الْبَدَوِيَّ لِأَنَّهُ سَابِقٌ عَلَى جَمِيعِهَا كَمَا نَبَّيْنُ لَكَ بَعْدَ وَكَذَا تَقْدِيمَ الْمَلِكِ عَلَى الْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ وَأَمَّا تَقْدِيمُ الْمَعَاشِ فَلِأَنَّ الْمَعَاشَ ضَرُورِيٌّ طَبِيعِيٌّ وَتَعَلُّمُ الْعِلْمِ كَمَا لِي أَوْ حَاجِيٌّ وَالطَّبِيعِيُّ أَقْدَمُ مِنَ الْكَمَا لِي وَجَعَلْتُ الصَّنَائِعَ مَعَ الْكَسْبِ لِأَنَّهَا مِنْهُ بَعْضُ الْوُجُوهِ وَهِيَ حَيْثُ الْعُمْرَانُ كَمَا نَبَّيْنُ لَكَ بَعْدَ وَاللَّهُ الْمُؤَفِّقُ لِلصَّوَابِ وَالْمُعِينُ عَلَيْهِ

\*—\*—\*

## الفصل الاول

### من الكتاب الاول

في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات

الاولى في أَنَّ الْاجْتِمَاعَ الْإِنْسَانِيَّ ضَرُورِيٌّ وَيَعْبُرُ الْحُكْمَاءُ عَنْ هَذَا يَقُولُهُمُ الْإِنْسَانُ مَدَنِيٌّ بِالطَّبَعِ أَي لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْاجْتِمَاعِ الَّذِي هُوَ الْمَدِينَةُ فِي أَصْطِلَاحِهِمْ وَهُوَ مَعْنَى الْعُمْرَانِ وَيَبَيِّنُهُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَرَكَّبَهُ عَلَى صُورَةٍ لَا يَبْصَحُ

حَيَاتِهَا وَبِقَاوُهَا إِلَّا بِالْغِذَاءِ وَهَدَاهُ إِلَى النَّاسِ بِفِطْرَتِهِ وَبِمَا رَكَّبَ فِيهِ مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى  
 تَحْصِيلِهِ إِلَّا أَنَّ قُدْرَةَ الْوَاحِدِ مِنَ الْبَشَرِ قَاصِرَةٌ عَنْ تَحْصِيلِ حَاجَتِهِ مِنْ ذَلِكَ الْغِذَاءِ  
 غَيْرَ مُؤَيَّةٍ لَهُ بِمَادَّةِ حَيَاتِهِ مِنْهُ وَلَوْ فَرَضْنَا مِنْهُ أَقَلَّ مَا يُمَكِّنُ فَرَضَهُ وَهُوَ قُوَّةٌ يَوْمٍ مِنْ  
 الْخِطَّةِ مِثْلًا فَلَا يَحْصُلُ إِلَّا بِعِلَاجٍ كَثِيرٍ مِنَ الطَّعْنِ وَالْعَجْنِ وَالطَّبْخِ وَكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ  
 هَذِهِ الْأَعْمَالِ الثَّلَاثَةِ يَحْتَاجُ إِلَى مَوَاعِينِ وَالْآتِ لَا نَتَمُّ إِلَّا بِصِنَاعَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنْ  
 حَدَادٍ وَنَجَّارٍ وَفَآخُورِيِّ وَهَبَّ أَنَّهُ يَا كَلُّهُ حَبًّا مِنْ غَيْرِ عِلَاجٍ فَبُورًا أَيْضًا يَحْتَاجُ فِي تَحْصِيلِهِ  
 أَيْضًا حَبًّا إِلَى أَعْمَالٍ أُخْرَى أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ مِنَ الزَّرْعَةِ وَالْحِصَادِ وَالدَّرَاسِ الَّذِي  
 يُخْرِجُ الْحَبَّ مِنَ غِلَافِ السَّنْبُلِ وَيَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْآتِ مُتَعَدِّدَةً وَصِنَائِعَ  
 كَثِيرَةً أَكْثَرَ مِنَ الْأُولَى بِكَثِيرٍ وَيَسْتَعِينُ أَنْ تَفِي بِذَلِكَ كَلُّهُ أَوْ بَعْضُهُ قُدْرَةُ الْوَاحِدِ  
 وَلَا بُدَّ مِنْ أَجْمَاعِ الْقُدْرِ الْكَثِيرَةِ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِ لِيَحْصَلَ الْقُوَّةُ لَهُ وَلَهُمْ فَيَحْصُلُ  
 بِالْتَّعَاوُنِ قُدْرَةُ الْكَيْفِيَّةِ مِنَ الْحَاجَةِ لِأَكْثَرِ مِنْهُمْ بِأَضْعَافٍ وَكَذَلِكَ يَحْتَاجُ كُلُّ وَاحِدٍ  
 مِنْهُمْ أَيْضًا فِي الدِّفَاعِ عَنِ نَفْسِهِ إِلَى الْأَسْتِعَانَةِ بِأَبْنَاءِ جِنْسِهِ لِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمَّا رَكَّبَ  
 الطَّبَاعَ فِي الْحَيَوَانَاتِ كَلِّهَا وَقَسَمَ الْقُدْرَةَ بَيْنَهَا جَعَلَ حُطُوطَ كَثِيرٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْعَجْمِ  
 مِنَ الْقُدْرَةِ أَكْمَلَ مِنْ حُطِّ الْإِنْسَانِ فَقُدْرَةُ الْفَرَسِ مِثْلًا أَكْثَرُ مِنْ قُدْرَةِ  
 الْإِنْسَانِ وَكَذَا قُدْرَةُ الْحِمَارِ وَالثَّوْرِ وَقُدْرَةُ الْأَسَدِ وَالْفِيلِ أَضْعَافٌ مِنْ قُدْرَتِهِ . وَلَمَّا  
 كَانَ الْعُدْوَانُ طَبِيعِيًّا فِي الْحَيَوَانَاتِ جَعَلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَضْوًا يُخَصُّ بِمُدَافَعَتِهِ مَا  
 يَصِلُ إِلَيْهِ مِنْ عَادِيَةٍ غَيْرِهِ وَجَعَلَ لِلْإِنْسَانِ عَوْضًا مِنْ ذَلِكَ كَلِّهُ الْفِكْرَ وَالْيَدَ فَالْيَدُ مَهِيئَةٌ  
 لِلصَّنَائِعِ بِخِدْمَةِ الْفِكْرِ وَالصَّنَائِعُ تَحْصُلُ لَهُ الْآلَاتُ الَّتِي تُنَوِّبُ لَهُ عَنِ الْجَوَارِحِ  
 الْمَعْدَّةِ فِي سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ لِلدِّفَاعِ مِثْلَ الرِّمَاحِ الَّتِي تُنَوِّبُ عَنِ الْقُرُونِ النَّاطِحَةِ وَالسُّيُوفِ  
 النَّائِبَةِ عَنِ الْمَخَابِ الْجَارِحَةِ وَالْتَّرَاسِ النَّائِبَةِ عَنِ الْبَشَرَاتِ الْجَاسِيَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ  
 وَغَيْرِهِ بِمَا ذَكَرَهُ جَالِينُوسُ فِي كِتَابِ مَنَافِعِ الْأَعْضَاءِ فَالْوَاحِدُ مِنَ الْبَشَرِ لَا يُقَاوِمُ  
 قُدْرَتَهُ قُدْرَةَ وَاحِدٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْعَجْمِ سِيمَا الْمَفْتَرَسَةِ فَهُوَ عَاجِزٌ عَنِ مُدَافَعَتِهَا وَحَدَهُ  
 بِالْحِمْلَةِ وَلَا تَفِي قُدْرَتُهُ أَيْضًا بِاسْتِعْمَالِ الْآلَاتِ الْمَعْدَّةِ لَهَا فَلَا بُدَّ فِي ذَلِكَ كَلِّهِ مِنْ  
 التَّعَاوُنِ عَلَيْهِ بِأَبْنَاءِ جِنْسِهِ وَمَا لَمْ يَكُنْ هَذَا التَّعَاوُنُ فَلَا يَحْصُلُ لَهُ قُوَّةٌ وَلَا غِذَاءٌ وَلَا  
 تَمَّ حَيَاتُهُ لِمَا رَكَّبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى الْغِذَاءِ فِي حَيَاتِهِ وَلَا يَحْصُلُ لَهُ أَيْضًا

دَفَاعٌ عَنْ نَفْسِهِ لِفَقْدَانِ السَّلَاحِ فَيَكُونُ فَرِيْسَةً لِلْحَيَوَانَاتِ وَيُعَاجِلُهُ الْهَلَاكُ عَنْ مَدَى  
 حَيَاتِهِ وَيَبْطُلُ نَوْعُ الْبَشَرِ وَإِذَا كَانَ التَّعَاوُنُ حَصَلَ لَهُ الْقُوَّةُ لِلغِدَاءِ وَالسَّلَاحِ لِلْمُدَافَعَةِ  
 وَتَمَّتْ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي بَقَائِهِ وَحَمِظُ نَوْعِهِ فَإِذَنْ هَذَا الْأَجْتِمَاعُ ضَرُورِي النَّوْعِ الْإِنْسَانِي  
 وَإِلَّا لَمْ يَكْمُلْ وُجُودُهُمْ وَمَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْ اعْتِمَارِ الْعَالَمِ بِهِمْ وَأَسْتِخْلَافِهِ إِيَّاهُمْ وَهَذَا  
 هُوَ مَعْنَى الْعُمُرَانِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ مَوْضُوعًا لِهَذَا الْعِلْمِ وَفِي هَذَا الْكَلَامِ نَوْعُ اثْبَاتِ  
 الْمَوْضُوعِ فِي فَنِّهِ الَّذِي هُوَ مَوْضُوعٌ لَهُ وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وَاجِبًا عَلَى صَاحِبِ الْفَنِّ لِمَا  
 تَقَرَّرَ فِي الصَّنَاعَةِ الْمَنْطِقِيَّةِ أَنَّهُ يُبَسِّ عَلَى صَاحِبِ عِلْمٍ اثْبَاتِ الْمَوْضُوعِ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ  
 فَلَيْسَ أَيْضًا مِنَ الْمَمْنُوعَاتِ عِنْدَهُمْ فَيَكُونُ اثْبَاتُهُ مِنَ التَّبَرُّعَاتِ وَاللَّهُ الْمُتَوَقِّعُ بِفَضْلِهِ  
 ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْأَجْتِمَاعَ إِذَا حَصَلَ لِلْبَشَرِ كَمَا قَرَّرْنَاهُ وَتَمَّ عُمُرَانُ الْعَالَمِ بِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ  
 وَازِعٍ يَدْفَعُ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِمَا فِي طِبَاعِهِمْ الْحَيَوَانِيَّةِ مِنَ الْعُدْوَانِ وَالظُّلْمِ وَلَيْسَتْ  
 السَّلَاحُ الَّتِي جُعِلَتْ دَافِعَةً لِعُدْوَانِ الْحَيَوَانَاتِ الْعَجْمِ عَنْهُمْ كَافِيَةً فِي دَفْعِ الْعُدْوَانِ  
 عَنْهُمْ لِأَنَّهَا مَوْجُودَةٌ لْجَمِيعِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ شَيْءٍ آخَرَ يَدْفَعُ عُدْوَانَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ وَلَا  
 يَكُونُ مِنْ غَيْرِهِمْ لِقُصُورِ جَمِيعِ الْحَيَوَانَاتِ عَنْ مَدَارِكِهِمْ وَإِلْهَامَاتِهِمْ فَيَكُونُ ذَلِكَ الْوَازِعُ  
 وَاحِدًا مِنْهُمْ يَكُونُ لَهُ عَلَيْهِمُ الْعَلْبَةُ وَالسُّلْطَانُ وَالْيَدُ الْقَاهِرَةُ حَتَّى لَا يَبْصُلَ أَحَدٌ إِلَى  
 غَيْرِهِ بَعْدُوَانٍ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْمَلِكِ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ بِهَذَا أَنَّ لِلْإِنْسَانَ خَاصَّةً طَبِيعِيَّةً  
 وَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا وَقَدْ بُوْجِدَ فِي بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ الْعَجْمِ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الْحَكَمَاءُ كَمَا فِي  
 النَّحْلِ وَالْجُرَادِ لِمَا اسْتَفْرَى فِيهَا مِنَ الْحُكْمِ وَالْإِتْقَادِ وَالْإِتْبَاعِ لِرَبِّسٍ مِنْ أَشْخَاصِهَا  
 مُتَمَيِّزٍ عَنْهُمْ فِي خَلْقِهِ وَجِثَانِهِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ مَوْجُودٌ لْغَيْرِ الْإِنْسَانِ بِمَقْتَضَى الْفِطْرَةِ  
 وَالْهُدَايَةِ لَا بِمَقْتَضَى الْفِكْرَةِ وَالسِّيَاسَةِ أُعْطِيَ كُلُّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى وَتَرَى بِدِ الْفَلَاسِفَةِ  
 عَلَى هَذَا الْبُرْهَانِ حَيْثُ يُحَاوِلُونَ اثْبَاتَ النُّبُوَّةِ بِالذَّلِيلِ الْعَقْلِيِّ وَأَنَّهَا خَاصَّةٌ طَبِيعِيَّةٌ  
 لِلْإِنْسَانِ فَيَقْرَرُونَ هَذَا الْبُرْهَانَ إِلَى غَايَةِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْبَشَرِ مِنَ الْحُكْمِ الْوَازِعِ  
 ثُمَّ يَقُولُونَ بَعْدَ ذَلِكَ وَذَلِكَ الْحُكْمُ يَكُونُ بِشَرَعٍ مَفْرُوضٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يَأْتِي بِهِ وَاحِدٌ  
 مِنَ الْبَشَرِ وَأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَمَيِّزًا عَنْهُمْ بِمَا يُودِعُ اللَّهُ فِيهِ مِنْ خَوَاصِ هِدَايَتِهِ  
 لِيَقَعَ السَّلَامُ لَهُ وَالْقَبُولُ مِنْهُ حَتَّى يَتِمَّ الْحُكْمُ فِيهِمْ وَعَالِمِهِمْ مِنْ غَيْرِ انْكَارٍ وَلَا تَرْيِيفٍ  
 وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ لِلْحَكَمَاءِ غَيْرِ بُرْهَانِيَّةٍ كَمَا تَرَاهُ إِذِ الْوُجُودِ وَحَيَاةِ الْبَشَرِ قَدْ نَمَّ مِنْ

دُونَ ذَلِكَ بِمَا بَفَرَضَهُ الْحَاكِمُ لِنَفْسِهِ أَوْ بِالْعَصِيَّةِ الَّتِي يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى قَهْرِهِمْ وَحَمَلِهِمْ عَلَى جَادَتِهِ فَأَهْلُ الْكِتَابِ وَالْمُتَّبِعُونَ لِلْأَنْبِيَاءِ قَلِيلُونَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْجُحُوسِ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ كِتَابٌ فَانْتَهَمُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعَالَمِ وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَتْ لَهُمُ الدُّوَلُ وَالْأَثَارُ فَضْلاً عَنِ الْحَيَاةِ وَكَذَلِكَ هِيَ لَهُمْ هَذَا الْعَهْدِ فِي الْأَقَالِمِ الْمُتَخَرِّفَةِ فِي الشَّمَالِ وَالْجُنُوبِ بِخِلَافِ حَيَاةِ الْبَشَرِ فَوُضِيَ دُونَ وَازِعٍ لَهُمُ الْبَتَّةُ فَإِنَّهُ يَمْتَنِعُ وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ لَكَ غَلَطُهُمْ فِي وَجُوبِ النَّبُوءَاتِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بِعَقْلِي وَإِنَّمَا مَدْرِكُهُ الشَّرْعُ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ مِنَ الْأُمَّةِ وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ وَالْهُدَايَةِ

### المقدمة الثانية

في قسط العمران من الارض والاشارة الى بعض ما فيه

من الاشجار والانهار والاقاليم

اعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ تَبَيَّنَ فِي كُتُبِ الْحُكَمَاءِ النَّاطِرِينَ فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ أَنَّ شَكْلَ الْأَرْضِ كُرْوِيٌّ وَأَنَّهَا مَحْفُوفَةٌ بِعَنْصُرِ الْمَاءِ كَانَهَا عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ عَلَيْهِ فَانْحَسَرَ الْمَاءُ عَنْ بَعْضِ جَوَانِبِهَا لِمَا أَرَادَ اللَّهُ مِنْ تَكْوِينِ الْحَيَوَانَاتِ فِيهَا وَعُمُرَانِهَا بِالنَّوْعِ الْبَشَرِيِّ الَّذِي لَهُ الْخِلَافَةُ عَلَى سَائِرِهَا وَقَدْ يَتَوَقَّعُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْمَاءَ تَحْتَ الْأَرْضِ وَلَيْسَ بِصَاحِبٍ وَإِنَّمَا انْتَحَتْ الطَّبِيعَةُ قَلْبَ الْأَرْضِ وَوَسَطَ كُرْبَتِهَا الَّذِي هُوَ مَرْكَزُهَا وَالْكُلُّ يَطْلُبُهُ بِمَا فِيهِ مِنَ الثَّقَلِ وَمَا عَدَا ذَلِكَ مِنْ جَوَانِبِهَا وَمَا الْمَاءُ الْمُحِيطُ بِهَا فَهُوَ فَوْقَ الْأَرْضِ وَإِنْ قِيلَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا إِنَّهُ تَحْتَ الْأَرْضِ فَبِالْإِضَافَةِ إِلَى جِهَةٍ أُخْرَى مِنْهُ . وَمَا الَّذِي انْحَسَرَ عَنْهُ الْمَاءُ مِنَ الْأَرْضِ فَهُوَ النِّصْفُ مِنْ سَطْحِ كُرْبَتِهَا فِي شَكْلِ دَائِرَةِ احاطَ الْعَنْصُرُ الْمَائِيُّ بِهَا مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا بِجَمْعِ اسْمَيْ الْجَبْرِ الْعَمِيطِ وَيُسَمَّى أَيْضًا لَبْلَابَةً بِتَفْخِيمِ اللَّامِ الثَّانِيَةِ وَيُسَمَّى أَوْفَانُوسَ اسْمَاءً عَجْمِيَّةً وَيُقَالُ لَهُ الْجَبْرُ الْأَخْضَرُ وَالْأَسْوَدُ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الْمُنْكَشَفَ مِنَ الْأَرْضِ لِلْعُمُرَانِ فِيهِ الْفَقَارُ وَالْخِلَافَةُ أَكْثَرُ مِنْ عُمُرَانِهِ وَالْخِلَالِي مِنَ جِهَةِ الْجُنُوبِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ وَإِنَّمَا الْمَعْمُورُ مِنْهُ أَمِيلٌ إِلَى الْجَانِبِ الشَّمَالِيِّ عَلَى شَكْلِ مُسَطَّحٍ كُرْوِيٍّ يَنْتَهِي مِنْ جِهَةِ الْجُنُوبِ إِلَى خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ وَمِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ إِلَى خَطِّ كُرْوِيٍّ وَوَرَاءَهُ الْجِبَالُ الْفَاصِلَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ الْعَنْصُرِيِّ الَّذِي

بَيْنَهُمَا سِدٌّ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهَذِهِ الْجِبَالُ مَائِلَةٌ إِلَى جِهَةِ الْمَشْرِقِ وَتَنْتَهِي مِنَ الْمَشْرِقِ  
 وَالْمَغْرِبِ إِلَى عِنَصْرِ الْمَاءِ أَيْضًا بِقِطْعَتَيْنِ مِنَ الدَّائِرَةِ الْمُحِيطَةِ وَهَذَا الْمُنْكَسِفُ مِنَ  
 الْأَرْضِ قَالُوا هُوَ مِقْدَارُ النِّصْفِ مِنَ الْكُرَّةِ أَوْ أَقَلُّ وَالْمَعْمُورُ مِنْهُ مِقْدَارُ رُبْعِهِ وَهُوَ  
 الْمُنْقَسِمُ بِالْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ وَخَطُّ الْأَسْتِوَاءِ يَقْسِمُ الْأَرْضَ بِنِصْفَيْنِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى  
 الْمَشْرِقِ وَهُوَ طَوْلُ الْأَرْضِ وَأَكْبَرُ خَطِّ فِي كُرَّتِهَا كَمَا أَنَّ مَنْطِقَةَ فَلَكِ الْبُرُوجِ  
 وَدَائِرَةَ مُعَدَّلِ النَّهَارِ أَكْبَرُ خَطِّ فِي فَلَكِ وَمَنْطِقَةُ الْبُرُوجِ مُنْقَسِمَةٌ بِثَلَاثَةِ وَسْتَيْنِ  
 دَرَجَةً وَالِدَّرَجَةُ مِنْ مَسَافَةِ الْأَرْضِ خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ فَرْسَخًا وَالْفَرْسَخُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ  
 ذِرَاعٍ وَالذِّرَاعُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ إصْبَعًا وَالْإصْبَعُ سِتُّ حَبَّاتٍ شَعِيرٍ مَصْفُوفَةٍ مُلْصِقَةٍ  
 بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ظَهْرًا لِبَطْنٍ وَبَيْنَ دَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ الَّتِي تَقْسِمُ الْفَلَكَ بِنِصْفَيْنِ وَتَسَامَتْ  
 خَطُّ الْأَسْتِوَاءِ مِنَ الْأَرْضِ وَبَيْنَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْقُطْبَيْنِ تِسْعُونَ دَرَجَةً لَكِنَّ  
 الْعِمَارَةَ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ أَرْبَعٌ وَسِتُّونَ دَرَجَةً وَالْبَاقِي مِنْهَا خِلَافٌ لَا  
 عِمَارَةَ فِيهِ لِشِدَّةِ الْبَرْدِ وَالْحُمُودِ كَمَا كَانَتْ الْجِهَةُ الْجَنُوبِيَّةُ خِلَافًا كُلُّهَا لِشِدَّةِ الْحَرِّ كَمَا  
 بَيَّنَّ ذَلِكَ كُلُّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . ثُمَّ إِنَّ الْخُبْرَيْنِ عَنْ هَذَا الْمَعْمُورِ وَحُدُودِهِ وَعَمَّا  
 فِيهِ مِنَ الْأَمْصَارِ وَالْمَدُنِ وَالْجِبَالِ وَالنَّجَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالْقَفَارِ وَالرِّمَالِ مِثْلَ بَطْلِيمُوسَ فِي  
 كِتَابِ الْجُغْرَافِيَا وَصَاحِبِ كِتَابِ زَخَارٍ مِنْ بَعْدِهِ فَسَمَوْا هَذَا الْمَعْمُورَ بِسَبْعَةِ أَقْسَامٍ  
 يَسْمُونَهَا الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِحُدُودٍ وَهَمِيَّةٍ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ مُتَسَاوِيَةٍ فِي الْعَرْضِ  
 مُخْتَلِفَةٍ فِي الطُّولِ فَأَلْفِ قَلِيمٍ الْأَوَّلُ أَطْوَلُ مِمَّا بَعْدَهُ وَهَكَذَا الثَّانِي إِلَى آخِرِهَا فَيَكُونُ  
 السَّابِعُ أَقْصَرَ لِمَا أَقْتَضَاهُ وَضَعُ الدَّائِرَةَ النَّاشِئَةَ عَنِ انْحِسَارِ الْمَاءِ عَنِ كُرَّةِ الْأَرْضِ  
 وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ عِنْدَهُمْ مُنْقَسِمٌ بِعِشْرَةِ أَجْزَاءٍ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ  
 عَلَى النَّوَالِي وَفِي كُلِّ جُزْءٍ الْخُبْرُ عَنْ أَحْوَالِهِ وَأَحْوَالِ عُمَرَانِهِ . وَذَكَرُوا أَنَّ هَذَا الْبَحْرَ  
 الْمُحِيطَ يُخْرِجُ مِنْهُ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ فِي الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ الْبَحْرَ الرُّومِيَّ الْمَعْرُوفَ بِبَدَا  
 فِي خَلِيجٍ مُتَضَابِقٍ فِي عَرْضِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا أَوْ نَحْوَهَا مَا بَيْنَ طَنْجَةَ وَطَرِيفَ وَيُسَمَّى  
 الرِّزَاقَ ثُمَّ يَذْهَبُ مُسْرَفًا وَيَنْفَسِحُ إِلَى عَرْضِ سِتِّمِائَةِ مِيلٍ وَنَهَائَتُهُ فِي آخِرِ الْجُزْءِ  
 الرَّابِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ عَلَى أَلْفِ فَرْسَخٍ وَمِائَةِ وَسْتَيْنِ فَرْسَخًا مِنْ مَبْدَأِهِ وَعَلَيْهِ هُنَاكَ  
 سَوَاحِلُ الشَّامِ وَعَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ سَوَاحِلُ الْمَغْرِبِ أُولَئِكَ طَنْجَةُ عِنْدَ الْخَلِيجِ ثُمَّ

افریقیة ثم بركة إلى الاسكندرية ومن جهة الشمال سواحل القسطنطينية عند اخلج  
 ثم البنادقة ثم رومة ثم الافرنجة ثم الاندلس إلى طريف عند الزقاق قبالة طنجة ويسمى  
 هذا البحر الرومي والشامي وفيه جزر كثيرة عامرة كبار مثل افرطس وقبرص  
 وصقلية وميورقة وسردانية قالوا ويخرج منه في جهة الشمال بحراب آخران من  
 خليجين أحدهما مسامت للقسطنطينية يبدأ من هذا البحر متضابقا في عرض رمية  
 السهم ويمر ثلاثة بحار فيتصل بالقسطنطينية ثم ينسحق في عرض أربعة أميال  
 ويمر في جزره ستين ميلا ويسمى خليج القسطنطينية ثم يخرج من فوهة عرضها ستة  
 اميال فيمد بحر نبطس وهو بحر يعرف من هنالك في مذهبه إلى ناحية الشرق فيمر  
 بأرض هرقله وينتهي إلى بلاد الخزرية على ألف وثلاثمائة ميل من فوهته وعليه من  
 الجانبين أمم من الروم والترک وبرجان والرؤس والبحر الثاني من خليجي هذا البحر  
 الرومي وهو بحر البنادقة يخرج من بلاد الروم على سمت الشمال فإذا انتهى إلى  
 سمت الجبل انحرف في سمت المغرب إلى بلاد البنادقة وينتهي إلى بلاد انكلاية  
 على ألف ومائة ميل من مبداه وعلي حافته من البنادقة والروم وغيرهم أمم ويسمى  
 خليج البنادقة قالوا وينسحق من هذا البحر المحيط أيضا من الشرق وعلى ثلاث عشرة  
 درجة في الشمال من خط الاستواء بحر عظيم متسع يمر في الجنوب قليلا حتى ينتهي  
 إلى الأقليم الأول ثم يمر فيه مغربا إلى أن ينتهي في الجزء الخامس منه إلى بلاد  
 الحبشة والزيج وإلى بلاد باب المندب منه على أربعة آلاف فرسخ من مبداه  
 ويسمى البحر الصيني والهندي والحبشي وعليه من جهة الجنوب بلاد الزيج وبلاد  
 مؤبر التي ذكرها امرؤ القيس في شعره ولبسوا من البربر الذين هم قبائل المغرب  
 ثم بلد مقدشو ثم بلد سفالة وأرض الوفواق وأم آخر ليس بعدهم إلا الففار وأخلاقه  
 وعليه من جهة الشمال الصين من عند مبداه ثم الهند ثم السند ثم سواحل اليمن من  
 الاحقاف وزيد وغيرها ثم بلاد الزيج عند نهايته وبعدهم الحبشة قالوا ويخرج من  
 هذا البحر الحبشي بجزان آخران أحدهما يخرج من نهايته عند باب المندب فيبدأ  
 متضابقا ثم يمر مستنجرا إلى ناحية الشمال ومغربا قليلا إلى أن ينتهي إلى الأقليم في  
 الجزء الخامس من الأقليم الثاني على ألف وأربعمائة ميل من مبداه ويسمى بحر

الْقَلْزُومَ وَبَحْرَ السُّوَيْسِ وَبَيْنَ فَسْطَاطِ مِصْرَ مِنْ هُنَاكَ ثَلَاثَ مَرَاحِلَ وَعَلَيْهِ مِنْ  
 جِهَةِ الشَّرْقِ سَوَاحِلُ الْيَمَنِ ثُمَّ الْحِجَازُ وَجَدَّةٌ ثُمَّ مَدِينُ وَائِلَةُ وَفَارَانُ عِنْدَ نَهَائِهِ وَمِنْ  
 جِهَةِ الْغَرْبِ سَوَاحِلُ الصَّعِيدِ وَعَيْدَابُ وَسَوَاكِنُ وَزَيْلُغُ ثُمَّ بِلَادُ الْحَبَشَةِ عِنْدَ مَبْدَآئِهِ  
 وَآخِرُهُ عِنْدَ الْقَلْزُومِ يُسَمَّى الْبَحْرُ الرَّومِيَّ عِنْدَ الْعَرِيشِ وَبَيْنَهُمَا تَحْوُسَتْ مَرَاحِلُ وَمَا  
 زَالَ الْمُلُوكُ فِي الْأَسْلَامِ وَقَبْلَهُ يَرُومُونَ خَرَقَ مَا بَيْنَهُمَا وَلَمْ يَتِمَّ ذَلِكَ وَالْبَحْرُ الثَّانِي مِنْ  
 هَذَا الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ وَيُسَمَّى الْخَلِيجَ الْأَخْضَرَ يُخْرِجُ مَا بَيْنَ بِلَادِ السِّنْدِ وَالْأَحْقَافِ مِنْ  
 الْيَمَنِ وَيَمُرُّ إِلَى نَاحِيَةِ الشَّمَالِ مُغْرَبًا قَلِيلًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْأَبْلَةِ مِنْ سَوَاحِلِ الْبَصْرَةِ  
 فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الثَّانِي عَلَى أَنْ بَعْدَئِهِ فَرَسِخٌ وَأَنْ بَعِينَ فَرَسِخًا مِنْ مَبْدَآئِهِ  
 وَيُسَمَّى بَحْرَ فَارِسَ وَعَلَيْهِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ سَوَاحِلُ السِّنْدِ وَمَكْرَانَ وَكُرْمَانَ وَفَارَسَ  
 وَالْأَبْلَةَ وَعِنْدَ نَهَائِهِ مِنْ جِهَةِ الْغَرْبِ سَوَاحِلُ الْبَحْرَيْنِ وَالْيَمَامَةِ وَعُمَانَ وَالشَّحْرَ وَالْأَحْقَافَ  
 عِنْدَ مَبْدَآئِهِ وَفِيمَا بَيْنَ بَحْرِ فَارِسَ وَالْقَلْزُومِ وَجَزِيرَةُ الْعَرَبِ كَانَتْ دَاخِلَةً مِنَ الْبَرِّ فِي الْبَحْرِ  
 يُحِيطُ بِهَا الْبَحْرُ الْحَبَشِيُّ مِنَ الْجَنُوبِ وَبَحْرُ الْقَلْزُومِ مِنَ الْغَرْبِ وَبَحْرُ فَارِسَ مِنَ الشَّرْقِ  
 وَتَقْضِي إِلَى الْعِرَاقِ بَيْنَ الشَّامِ وَالْبَصْرَةِ عَلَى الْفِ وَخَمْسِمِائَةِ مِيلٍ بَيْنَهُمَا وَهُنَاكَ الْكُوفَةُ  
 وَالْقَادِسِيَّةُ وَبَغْدَادُ وَإِيوَانَ كِسْرَى وَالْحِيرَةُ وَوَرَاءَ ذَلِكَ أُمُّ الْأَعْرَابِ مِنَ التُّرْكِ  
 وَالْخَزَرِّ وَغَيْرِهِمْ وَفِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ بِلَادُ الْحِجَازِ فِي جِهَةِ الْغَرْبِ مِنْهَا وَبِلَادُ الْيَمَامَةِ  
 وَالْبَحْرَيْنِ وَعُمَانَ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ مِنْهَا وَبِلَادُ الْيَمَنِ فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ مِنْهَا وَسَوَاحِلُهُ عَلَى  
 الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ قَالُوا وَفِي هَذَا الْمَعْمُورِ بَحْرٌ آخَرٌ مُنْقَطِعٌ مِنْ سَائِرِ الْبِحَارِ فِي نَاحِيَةِ الشَّمَالِ  
 بَارِضُ الدَّيْلَمِ يُسَمَّى بَحْرَ جَرْجَانَ وَطَبْرِسْتَانَ طُولُهُ أَلْفُ مِيلٍ فِي عَرْضِ سِتِّمِائَةِ مِيلٍ  
 فِي غَرْبِهِ أَذْرَبِيجَانَ وَالدَّيْلَمِ وَفِي شَرْقِيهِ أَرْضُ التُّرْكِ وَخَوَارِزْمَ وَفِي جَنُوبِيهِ طَبْرِسْتَانَ  
 وَفِي شَمَالِيهِ أَرْضُ الْخَزَرِّ وَاللَّانَ . هَذِهِ جَمَلَةٌ الْبِحَارِ الْمَشْهُورَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا أَهْلُ  
 الْجُغْرَافِيَا . قَالُوا وَفِي هَذَا الْجُزْءِ الْمَعْمُورِ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ أَعْظَمُهَا أَرْبَعَةٌ أَنْهَارٌ وَهِيَ النَّيْلُ  
 وَالْفُرَاتُ وَدَجَلَةُ وَنَهْرُ بَلْخِ الْمُسَمَّى جِيحُونَ . فَأَمَّا النَّيْلُ فَبَدَأَهُ مِنْ جَبَلٍ عَظِيمٍ وَرَاءَ حَظِّ  
 الْأَسْتَوَاءِ بِسِتِّ عَشْرَةَ دَرَجَةً عَلَى سَمْتِ الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَيُسَمَّى جَبَلُ  
 الْقَمَرِ وَلَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ جَبَلٌ أَعْلَى مِنْهُ تَخْرُجُ مِنْهُ عَيُونٌ كَثِيرَةٌ فَيَصُبُّ بَعْضُهَا فِي  
 بَحِيرَةٍ هُنَاكَ وَبَعْضُهَا فِي أُخْرَى ثُمَّ تَخْرُجُ أَنْهَارٌ مِنَ الْبَحِيرَتَيْنِ فَتَصُبُّ كُلُّهَا فِي بَحِيرَةٍ

وَاحِدَةٍ عِنْدَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ عَلَى عَشْرِ مَرَاحِلٍ مِنَ الْجَبَلِ وَيَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ الْبَحِيرَةِ نَهْرَانِ  
 يَذْهَبُ أَحَدُهُمَا إِلَى نَاحِيَةِ الشَّمَالِ عَلَى سَمْتِهِ وَيَمُرُّ بِيَلَادِ النَّوْبَةِ ثُمَّ بِلَادِ مِصْرَ فَأَيُّهَا  
 جَاوَزَهَا تَسَعَّبَ فِي شُعَبٍ مُتَقَارِبَةٍ يُسَمَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا خَلِيجًا وَتَصُبُّ كُلُّهَا فِي الْبَحْرِ  
 الرُّومِيِّ عِنْدَ الْأَسْكَندَرِيَّةِ وَيُسَمَّى نَيْلَ مِصْرَ وَعَلَيْهِ الصَّعِيدُ مِنْ شَرْقِيهِ وَالْوَأْحَاتُ  
 مِنْ غَرْبِيهِ وَيَذْهَبُ الْآخَرُ مُنْعَطِفًا إِلَى الْمَغْرِبِ ثُمَّ يَمُرُّ عَلَى سَمْتِهِ إِلَى أَنْ يَصُبَّ فِي  
 الْبَحْرِ الْمَحِيطِ وَهُوَ نَهْرُ السُّودَانَ وَأَمَمَهُمْ كُلُّهُمْ عَلَى ضَمْتِهِ . وَأَمَّا الْفُرَاتُ فَمَبْدَأُهُ مِنْ  
 بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ وَيَمُرُّ جَنُوبًا فِي أَرْضِ الرُّومِ  
 وَمَطْيِيَّةٍ إِلَى مَنبِجٍ ثُمَّ يَمُرُّ بِصَفِينٍ ثُمَّ بِالرَّقَةِ ثُمَّ بِالْكُوفَةِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْبَطْحَاءِ  
 الَّتِي بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَوَأَسِطٍ وَمِنْ هُنَاكَ يَصُبُّ فِي الْبَحْرِ الْحَبَشِيِّ وَتَجَلِبُ إِلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ  
 أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ وَيَخْرُجُ مِنْهَا أَنْهَارٌ أُخْرَى تَصُبُّ فِي دَجَلَةَ . وَأَمَّا دَجَلَةُ فَمَبْدَأُهَا عَيْنٌ  
 بِبِلَادِ خِلَاطٍ مِنْ أَرْمِينِيَّةٍ أَيْضًا وَتَمُرُّ عَلَى سَمْتِ الْجَنُوبِ بِالْمَوْصِلِ وَأَذْرَبِجَانَ وَبَعْدَ ذَلِكَ  
 إِلَى وَاسِطٍ فَتَفْتَرِقُ إِلَى خِلْجَانٍ كُلُّهَا تَصُبُّ فِي بَحِيرَةِ الْبَصْرَةِ وَتُفْضِي إِلَى بَحْرِ فَارَسٍ وَهُوَ  
 فِي الشَّرْقِ عَلَى يَمِينِ الْفُرَاتِ وَيَجَلِبُ إِلَيْهِ أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَفِيمَا  
 بَيْنَ الْفُرَاتِ وَدَجَلَةَ مِنْ أَوْلَاهِ جَزِيرَةُ الْمَوْصِلِ قِبَالَ الشَّامِ مِنْ عُدُوتِي الْفُرَاتِ وَقِبَالَ  
 أَذْرَبِجَانَ مِنْ عُدُوتِ دَجَلَةَ . وَأَمَّا نَهْرُ جَيْخُونَ فَمَبْدَأُهُ مِنْ بَلْخِ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنَ  
 الْأَقْلِيمِ الثَّلَاثِ مِنْ عِيُونِ هُنَاكَ كَثِيرَةٍ وَتَجَلِبُ إِلَيْهِ أَنْهَارٌ عَظَامٌ وَيَذْهَبُ مِنَ الْجَنُوبِ  
 إِلَى الشَّمَالِ فَيَمُرُّ بِبِلَادِ خُرَّاسَانَ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى بِلَادِ خَوَارِزْمَ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنَ  
 الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ فَيَصُبُّ فِي بَحِيرَةِ الْجُرْجَانِيَّةِ الَّتِي بِأَسْفَلِ مَدِينَتِهَا وَهِيَ مَسِيرَةُ شَهْرِ فِي  
 مِثْلِهِ وَإِلَيْهَا يَنْصَبُّ نَهْرُ فَرغانَةَ وَالشَّاشِ الْآتِي مِنَ بِلَادِ التُّرْكِ وَعَلَى غَرْبِي نَهْرِ جَيْخُونَ  
 بِبِلَادِ خُرَّاسَانَ وَخَوَارِزْمَ وَعَلَى شَرْقِيهِ بِلَادُ بَخَارَى وَتُرْمُذُ وَسَمَرْقَنْدُ وَمِنْ هُنَاكَ إِلَى مَا  
 وَرَاءَهُ بِلَادُ التُّرْكِ وَفَرغانَةَ وَالخَزْجِيَّةِ وَأَمَمَ الْأَعَاجِمِ وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ بِطَلِيمُوسُ  
 فِي كِتَابِهِ وَالشَّرِيفُ فِي كِتَابِ زَخَّارٍ وَصَوَّرُوا فِي الْجُغْرَافِيَا جَمِيعَ مَا فِي الْمَعْمُورِ مِنَ  
 الْجِبَالِ وَالْبَحَارِ وَالْأَوْدِيَةِ وَأَسْتَوْفُوا مِنْ ذَلِكَ مَا لَا حَاجَةَ لَنَا بِهِ لِطَوْلِهِ وَلِأَنَّ عَيْنَانَا فِي  
 الْأَكْثَرِ إِنَّمَا هِيَ بِالْمَغْرِبِ الَّذِي هُوَ وَطَنُ الْبَرَبْرِ وَبِالْأَوْطَانِ الَّتِي لِلْعَرَبِ مِنَ  
 الْمَشْرِقِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ

## تكملة لهذه المقدمة الثانية

في ان الربع الشمالي من الارض اكثر عمرا من الربع الجنوبي

وذكر السبب في ذلك

وَمَعْنُ نَرَى بِالْمُشَاهِدَةِ وَالْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ أَنَّ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي مِنَ الْأَقَالِيمِ  
الْمَعْمُورَةِ أَقْلُ عُمْرَانًا مِمَّا بَعْدَهُمَا وَمَا وَجِدَ مِنْ عُمْرَانِهِ فَيَتَحَلَّلُهُ الْخَلَاءُ وَالْقَفَارُ وَالرِّمَالُ  
وَالْبَجَرُ الْهِنْدِيُّ الَّذِي فِي الشَّرْقِ مِنْهُمَا وَأَمُّ هَذَيْنِ الْأَقْلِيمَيْنِ وَأَنَاسِيَهُمَا لَيْسَتْ لَهُمْ  
الكَثْرَةُ الْبَالِغَةُ وَأَمْصَارُهُ وَمُدُنُهُ كَذَلِكَ وَالثَّلَاثُ وَالرَّابِعُ وَمَا بَعْدَهُمَا بِخِلَافِ ذَلِكَ  
فَالْقَفَارُ فِيهَا قَلِيلَةٌ وَالرِّمَالُ كَذَلِكَ أَوْ مَعْدُومَةٌ وَأَمْمَهَا وَأَنَاسِيَهَا تَجُوزُ الْخُدَّ مِنَ الْكَثْرَةِ  
وَأَمْصَارُهَا وَمُدُنُهَا تَجُوزُ الْخُدَّ عِدَدًا وَالْعُمْرَانُ فِيهَا مُنْدَرِجٌ مَا بَيْنَ الثَّلَاثِ وَالسَّادِسِ  
وَالْجُنُوبُ خَالِيَةٌ كُلُّهَا وَقَدْ ذَكَرْتُ كَثِيرًا مِنَ الْحُكْمَاءِ أَنَّ ذَلِكَ لِإِفْرَاطِ الْحَرِّ وَقِلَّةِ  
مِيلِ الشَّمْسِ فِيهَا عَنِ سَمْتِ الرُّؤُوسِ فَلَنُوضِحَ ذَلِكَ بِزُهَانِهِ وَيَبِينُ مِنْهُ سَبَبُ كَثْرَةِ  
الْعِمَارَةِ فِيمَا بَيْنَ الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ مِنْ جَانِبِ الشَّمَالِ إِلَى الْخَامِسِ وَالسَّابِعِ . فَنَقُولُ إِنَّ  
قُطْبِي الْفَلَكَ الْجَنُوبِيَّ وَالشَّمَالِيَّ إِذَا كَانَا عَلَى الْأَفْقِ فَهَذَا دَائِرَةٌ عَظِيمَةٌ تَقْسِمُ الْفَلَكَ  
بِنِصْفَيْنِ هِيَ أَعْظَمُ الدَّوَائِرِ الْمَكْرَمَةِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَتُسَمَّى دَائِرَةَ مُعَدَّلِ  
النَّهَارِ وَقَدْ تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْهَيْئَةِ أَنَّ الْفَلَكَ الْأَعْلَى مُتَحَرِّكٌ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى  
الْمَغْرِبِ حَرَكَةً يَوْمِيَّةً يَحْرُكُ بِهَا سَائِرَ الْأَفْلَاكِ فِي جَوْفِهِ قَهْرًا وَهَذِهِ الْحَرَكَةُ مُحَسَّوسَةٌ  
وَكَذَلِكَ تَبَيَّنَ أَنَّ الْكَوْكَبَ فِي أَفْلَاكِهَا حَرَكَةً مُخَالَفَةً لِهَذِهِ الْحَرَكَةِ وَهِيَ مِنَ الْمَغْرِبِ  
إِلَى الْمَشْرِقِ وَتَخْتَلِفُ أَمَادُهَا بِاخْتِلَافِ حَرَكَةِ الْكَوْكَبِ فِي الشَّرْعَةِ وَالْبُطْءِ وَمَكَرَاتِ  
هَذِهِ الْكَوْكَبِ فِي أَفْلَاكِهَا تُوَازِيهَا كَلِمًا دَائِرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى تَقْسِمُ  
بِنِصْفَيْنِ وَهِيَ دَائِرَةُ فَلَكَ الْبُرُوجِ مُنْقَسِمَةٌ بِأَثْنِي عَشَرَ بُرْجًا وَهِيَ عَلَى مَا تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ  
مُقَاطَعَةٌ لِدَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ عَلَى نَقْطَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ مِنَ الْبُرُوجِ هُمَا أَوَّلُ الْحَمَلِ وَأَوَّلُ  
الْمِيزَانِ فَتَقْسِمُهَا دَائِرَةُ مُعَدَّلِ النَّهَارِ بِنِصْفَيْنِ نِصْفٌ مَائِلٌ عَنِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ إِلَى الشَّمَالِ  
وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ الْحَمَلِ إِلَى آخِرِ السُّنْبُلَةِ وَنِصْفٌ مَائِلٌ عَنْهُ إِلَى الْجَنُوبِ وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ  
الْمِيزَانِ إِلَى آخِرِ الْحُوتِ وَإِذَا وَقَعَ الْقُطْبَانِ عَلَى الْأَفْقِ فِي جَمِيعِ نَوَاحِي الْأَرْضِ كَانَ

عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ خَطٌّ وَاحِدٌ يُسَمَّى دَائِرَةَ مُعَدَّلِ النَّهَارِ يَمُرُّ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ  
 وَيُسَمَّى خَطَّ الْأَسْتَوَاءِ وَوَقَعَ هَذَا الْخَطُّ بِالرَّصَدِ عَلَى مَا زَعَمُوا فِي مَبْدَأِ الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ  
 مِنَ الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ وَالْعُمُرَانُ كُلُّهُ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ يَرْتَفِعُ عَنْ آفَاقِ هَذَا الْعَمُورِ  
 بِالْتَدْرِجِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ أَرْتِفَاعُهُ إِلَى أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ دَرَجَةً وَهَذَا يَنْقَطِعُ الْعُمُرَانُ  
 وَهُوَ آخِرُ الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ وَإِذَا أَرْتَفَعَ عَلَى الْأَفَقِ تَسْعِينَ دَرَجَةً وَهِيَ الَّتِي بَيْنَ الْقُطْبِ  
 وَدَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ عَلَى الْأَفَقِ وَبَقِيَ سِتَّةٌ مِنَ الْبُرُوجِ فَوْقَ الْأَفَقِ وَهِيَ الشَّمَالِيَّةُ وَسِتَّةٌ  
 سَمَتْ الْأَفَقِ وَهِيَ الْجَنُوبِيَّةُ وَالْعِمَارَةُ فِيمَا بَيْنَ الْأَرْبَعَةِ وَالسِّتِّينَ إِلَى التَّسْعِينَ مَمْنَعَةٌ لِأَنَّ  
 الْحَرَّ وَالْبَرْدَ جَمِيدًا لَا يَحْضُرَانِ مُتَرَجِّجِينَ لِبُعْدِ الزَّمَانِ بَيْنَهُمَا فَلَا يَحْضُرُ التَّكُونُ إِذَا  
 الشَّمْسُ تَسَامَتْ الرُّؤُوسَ عَلَى خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ فِي رَأْسِ الْحَمَلِ وَالْمِيزَانِ ثُمَّ تَمِيلُ عَنِ  
 الْمُسَامَةِ إِلَى رَأْسِ السَّرْطَانِ وَرَأْسِ الْجُدِيِّ وَيَكُونُ نِهَائِيَّةً مِثْلَهَا عَنْ دَائِرَةِ مُعَدَّلِ  
 النَّهَارِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ثُمَّ إِذَا أَرْتَفَعَ الْقُطْبُ الشَّمَالِيُّ عَنِ الْأَفَقِ مَالَتْ دَائِرَةُ مُعَدَّلِ  
 النَّهَارِ عَنِ سَمْتِ الرُّؤُوسِ بِمِقْدَارِ أَرْتِفَاعِهِ وَأَخْفَضَ الْقُطْبُ الْجَنُوبِيُّ كَذَلِكَ بِمِقْدَارِ  
 مُتَسَاوٍ فِي الثَّلَاثَةِ وَهُوَ الْمَسْمُومِيُّ عِنْدَ أَهْلِ الْمَوْاقِفِ عَرْضَ الْبَلَدِ وَإِذَا مَالَتْ دَائِرَةُ  
 مُعَدَّلِ النَّهَارِ عَنِ سَمْتِ الرُّؤُوسِ عَلَتْ عَلَيْهَا الْبُرُوجُ الشَّمَالِيَّةُ مُنْدَرَجَةً فِي مِقْدَارِ عُلُوِّهَا  
 إِلَى رَأْسِ السَّرْطَانِ وَأَخْفَضَتْ الْبُرُوجَ الْجَنُوبِيَّةَ مِنَ الْأَفَقِ كَذَلِكَ إِلَى رَأْسِ الْجُدِيِّ  
 لِأَنَّهَا فِي الْجَانِبَيْنِ فِي أَفْقِ الْأَسْتَوَاءِ كَمَا فَلَنَاهُ فَلَا يَزَالُ الْأَفَقُ الشَّمَالِيُّ يَرْتَفِعُ حَتَّى  
 يَصِيرَ أَعْبَدَ الشَّمَالِيَّةِ وَهُوَ رَأْسُ السَّرْطَانِ فِي سَمْتِ الرُّؤُوسِ وَذَلِكَ حَيْثُ يَكُونُ عَرْضُ  
 الْبَلَدِ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ فِي الْحِجَازِ وَمَا بَلِيهِ وَهَذَا هُوَ الْمِيلُ الَّذِي إِذَا مَالَ رَأْسُ السَّرْطَانِ  
 عَنِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ فِي أَفْقِ الْأَسْتَوَاءِ أَرْتَفَعَ بِأَرْتِفَاعِ الْقُطْبِ الشَّمَالِيِّ حَتَّى صَارَ مُسَامَةً  
 فَإِذَا أَرْتَفَعَ الْقُطْبُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ نَزَلَتْ الشَّمْسُ عَنِ الْمُسَامَةِ وَلَا تَزَالُ  
 فِي الْأَخْفَاضِ إِلَى أَنْ يَكُونَ أَرْتِفَاعُ الْقُطْبِ أَرْبَعًا وَسِتِّينَ وَيَكُونُ الْأَخْفَاضُ الشَّمْسِ عَنِ  
 الْمُسَامَةِ كَذَلِكَ وَالْأَخْفَاضُ الْقُطْبِ الْجَنُوبِيِّ عَنِ الْأَفَقِ مِثْلَهَا فَيَنْقَطِعُ التَّكُونُ لِإِفْرَاطِ  
 الْبَرْدِ وَالْحَمْدِ وَطُولِ زَمَانِهِ غَيْرِ مُتَرَجِّجٍ بِالْحَرِّ ثُمَّ إِنَّ الشَّمْسَ عِنْدَ الْمُسَامَةِ وَمَا  
 يَقَارِبُهَا تَبَعَتْ الْأَشِعَّةَ قَائِمَةً وَفِيمَا دُونَ الْمُسَامَةِ عَلَى زَوَايَا مُنْفَرَجَةٍ وَحَادَّةٍ وَإِذَا كَانَتْ  
 زَوَايَا الْأَشِعَّةَ قَائِمَةً عَظُمَ الضَّوْءُ وَانْتَشَرَ بِخِلَافِهِ فِي الْمُنْفَرَجَةِ وَالْحَادَّةِ فَلِهَذَا يَكُونُ

الْحَرُّ عِنْدَ الْمَسَامَةِ وَمَا يَقْرُبُ مِنْهَا أَكْثَرَ مِنْهُ فِيمَا بَعْدَ لِأَنَّ الصَّوءَ سَبَبُ الْحَرِّ وَالسَّخِينِ  
 ثُمَّ إِنَّ الْمَسَامَةَ فِي خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ تَكُونُ مَرَّتَيْنِ فِي السَّنَةِ عِنْدَ تَقَطُّبِي الْحَمَلِ  
 وَالْمِيزَانِ وَإِذَا مَالَتْ فَغَيْرُ بَعِيدٍ وَلَا يَكَادُ الْحَرُّ يَعْتَدِلُ فِي آخِرِ مِيلَانِ عِنْدَ رَأْسِ السَّرَطَانِ  
 وَالْجُدِيِّ إِلَّا أَنْ صَعَدَتْ إِلَى الْمَسَامَةِ فَتَبْقَى الْأَشْعَةُ الْقَائِمَةُ الزَّوَايَا تَلُحُّ عَلَى ذَلِكَ  
 الْأَفْقِ وَيَطُولُ مُكْثَرًا أَوْ يَدُومُ فَيَسْتَعِلُّ الْهَوَاءُ حَرَارَةً وَيَفْرِطُ فِي شِدَّتِهَا وَكَذَا مَا  
 دَامَتْ الشَّمْسُ تُسَامَتْ مَرَّتَيْنِ فِيمَا بَعْدَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ إِلَى عَرْضِ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ فَإِنَّ  
 الْأَشْعَةَ مُلْحَةً عَلَى الْأَفْقِ فِي ذَلِكَ يَقْرِبُ مِنَ الْحَاحِيهَا فِي خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ وَإِفْرَاطُ الْحَرِّ  
 يَفْعَلُ فِي الْهَوَاءِ تَجْفِيفًا وَيَسَاءً يَمْنَعُ مِنَ التَّكْوِينِ لِأَنَّهُ إِذَا أَفْرَطَ الْحَرُّ جَنَّتِ الْمَيَاهُ  
 وَالرُّطُوبَاتُ وَفَسَدَ التَّكْوِينُ فِي الْمَعْدِنِ وَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ إِذِ التَّكْوِينُ لَا يَكُونُ  
 إِلَّا بِالرُّطُوبَةِ ثُمَّ إِذَا مَالَ رَأْسُ السَّرَطَانِ عَنِ السَّمْتِ الرُّؤُوسِ فِي عَرْضِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ  
 فَمَا بَعْدَهُ نَزَلَتْ الشَّمْسُ عَنِ الْمَسَامَةِ فَيَصِيرُ الْحَرُّ إِلَى الْإِعْتِدَالِ أَوْ يَمِيلُ عَنْهُ مِيلًا  
 قَلِيلًا فَيَكُونُ التَّكْوِينُ وَيَتَزَايِدُ عَلَى التَّدْرِيجِ إِلَى أَنْ يَفْرِطَ الْبَرْدُ فِي شِدَّتِهِ لِقَلَّةِ  
 الصَّوءِ وَكَوْنِ الْأَشْعَةِ مَنْفَرَجَةً الزَّوَايَا فَيَنْقُصُ التَّكْوِينُ وَيَفْسُدُ بِيَدِ أَنْ فَسَادَ التَّكْوِينِ  
 مِنْ جِهَةِ شِدَّةِ الْحَرِّ أَعْظَمُ مِنْهُ مِنْ جِهَةِ شِدَّةِ الْبَرْدِ لِأَنَّ الْحَرَّ أَسْرَعَ تَأْثِيرًا فِي التَّجْفِيفِ  
 مِنْ تَأْثِيرِ الْبَرْدِ فِي الْجَمْدِ فَذَلِكَ كَانَ الْعُمُرَانُ فِي الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ قَلِيلًا وَفِي  
 الثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ وَالْخَامِسِ مُتَوَسِّطًا لِإِعْتِدَالِ الْحَرِّ بِنُقْصَانِ الصَّوءِ وَفِي السَّادِسِ وَالسَّابِعِ  
 كَثِيرًا لِنُقْصَانِ الْحَرِّ وَأَنَّ كَيْفِيَّةَ الْبَرْدِ لَا تَوَثُرُ عِنْدَ أَوَّلِهَا فِي فَسَادِ التَّكْوِينِ كَمَا  
 يَفْعَلُ الْحَرُّ إِذْ لَا تَجْفِيفَ فِيهَا إِلَّا عِنْدَ الْإِفْرَاطِ بِمَا يَعْضُ لَهَا حَيْثُ نَدِي مِنَ الْيَبْسِ كَمَا بَعْدَ  
 السَّابِعِ فَلِهَذَا كَانَ الْعُمُرَانُ فِي الرَّبْعِ الشَّمَالِيِّ أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَمِنْ هُنَا أَخَذَ  
 الْحُكَمَاءُ خِلَافَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ وَمَا وَرَاءَهُ وَأُورِدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ مَعْمُورٌ بِالشَّاهِدَةِ  
 وَالْأَخْبَارِ الْمُتَوَاتِرَةِ فَكَيْفَ يَتِمُّ الْبُرْهَانُ عَلَى ذَلِكَ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُمْ لَمْ يَرِيدُوا امْتِنَاعَ  
 الْعُمُرَانِ فِيهِ بِالْكَلِمَةِ إِنَّمَا أَدَّاهُمُ الْبُرْهَانُ إِلَى أَنَّ فَسَادَ التَّكْوِينِ فِيهِ قَوِيٌّ بِإِفْرَاطِ  
 الْحَرِّ وَالْعُمُرَانُ فِيهِ إِمَّا مَمْتَنِعٌ أَوْ مُمَكِّنٌ أَقْوَمٌ وَهُوَ كَذَلِكَ فَإِنَّ خَطَّ الْأَسْتَوَاءِ وَالَّذِي  
 وَرَاءَهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ عُمُرَانٌ كَمَا نَقِلُ فَهُوَ قَلِيلٌ جِدًّا . وَقَدْ زَعَمَ ابْنُ رُشْدٍ أَنَّ خَطَّ  
 الْأَسْتَوَاءِ مُعْتَدِلٌ وَأَنَّ مَا وَرَاءَهُ فِي الْجَنُوبِ بِمِثَابَةِ مَا وَرَاءَهُ فِي الشَّمَالِ فَيَعْمُرُ مِنْهُ مَا

عمر من هذا والذي قاله غير ممنوع من جهة فسار الكونين وإنما امتنع فيما وراء  
خط الاستواء في الجنوب من جهة أن العنصر المائي عمر وجه الأرض هناك إلى  
الحد الذي كان مقابله من الجهة الشمالية قابلاً للتكوين ولما امتنع المعتدل لعيبه  
الماء تبعه ما سواه لأن العمران متدرج وياخذ في التدرج من جهة الوجود لا من  
جهة الامتناع وأما القول بامتناعه في خط الاستواء فيردّه النقل المتواتر والله  
أعلم. وانزسّم بعد هذا الكلام صورة الجغرافيا كما رسمها صاحب كتاب زخار ثم  
ناخذ في تفصيل الكلام عليها إلى آخره

### تفصيل الكلام على هذه الجغرافيا

إعلم أن الحكماء قسموا هذا المعمور كما تقدم ذكره على سبعة أقسام من  
الشمال إلى الجنوب يسمون كل قسم منها إقليماً فانقسم المعمور من الأرض كله على  
هذه السبعة الأقاليم كل واحد منها أخذ من الغرب إلى الشرق على طوله . فالأول  
منها ما من المغرب إلى المشرق مع خط الاستواء بحده من جهة الجنوب وليس  
وراءه هناك إلا القفار والرّمال وبعض عمارة إن صحّت فهي كلاً عمارة ويكفي من  
جهة شمالية الإقليم الثاني ثم الثالث كذلك ثم الرابع والخامس والسادس والسابع  
وهو آخر العمران من جهة الشمال وليس وراء السابع إلا الخلاء والقفار إلى أن  
ينتهي إلى البحر المحيط كالحال فيما وراء الإقليم الأول في جهة الجنوب إلا أن  
الخلاء في جهة الشمال أقل بكثير من الخلاء الذي في جهة الجنوب . ثم إن أزمينة  
الليل والنهار تتفاوت في هذه الأقاليم بسبب ميل الشمس عن دائرة معدل النهار  
وارتفاع القطب الشمالي عن آفاقها فيتفاوت قوس الليل والنهار لذلك وينتهي طول  
الليل والنهار في آخر الإقليم الأول وذلك عند حلول الشمس برأس الجدي ليل  
وبرأس السرطان النهار كل واحد منهما إلى ثلاث عشرة ساعة وكذلك في آخر  
الإقليم الثاني مما يلي الشمال فينتهي طول النهار فيه عند حلول الشمس برأس السرطان  
وهو منقلبها الصفي إلى ثلاث عشرة ساعة ونصف ساعة ومثله أطول الليل عند منقلبها  
الشتوي برأس الجدي ويبقى للأفصر من الليل والنهار ما يبقى بعد الثلاث عشرة ونصف  
من جملة أربع وعشرين الساعة الزمانية لجموع الليل والنهار وهي دورة الفلك الكاملة

وَكذلكَ فِي آخِرِ الْأَقْلِيمِ الثَّلَاثِ مِمَّا بَلِي الشَّمَالِ أَيْضًا بِتَمَيَّانٍ إِلَى أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَاعَةً وَفِي  
 آخِرِ الرَّابِعِ إِلَى أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَاعَةً وَنِصْفِ سَاعَةٍ وَفِي آخِرِ الْخَامِسِ إِلَى خَمْسِ عَشْرَةَ  
 سَاعَةً وَفِي آخِرِ السَّادِسِ إِلَى خَمْسِ عَشْرَةَ سَاعَةً وَنِصْفِ وَإِلَى آخِرِ السَّابِعِ إِلَى سِتِّ  
 عَشْرَةَ سَاعَةً وَهَنَالِكَ يَنْقَطِعُ الْعُمُرَانُ فَيَكُونُ تَفَاوُتُ هَذِهِ الْأَقْلِيمِ فِي الْأَطْوَلِ مِنْ لَيْلِهَا  
 وَنَهَارِهَا بِنِصْفِ سَاعَةٍ لِكُلِّ إِقْلِيمٍ يَزِيدُ مِنْ أَوَّلِهِ فِي نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ إِلَى آخِرِهِ فِي  
 نَاحِيَةِ الشَّمَالِ مُوزَعَةً عَلَى أَجْزَاءِ هَذَا الْبُعْدِ . وَأَمَّا عَرْضُ الْبُلْدَانِ فِي هَذِهِ الْأَقْلِيمِ وَهُوَ  
 عِبَارَةٌ عَنْ بُعْدِ مَا بَيْنَ سَمْتِ رَأْسِ الْبَلَدِ وَدَائِرَةِ مُعَدَّلِ النَّهَارِ الَّذِي هُوَ سَمْتُ رَأْسِ خَطِّ  
 الْأَسْتِوَاءِ وَيَمْتَلِئُهُ سِوَاهُ يُخْفِضُ الْقُطْبُ الْجَنُوبِيُّ عَنْ أَفْقِ ذَلِكَ الْبَلَدِ وَيَرْتَفِعُ الْقُطْبُ  
 الشَّمَالِيُّ عَنْهُ وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَبْعَادٍ مُتَسَاوِيَةٍ تُسَمَّى عَرْضُ الْبَلَدِ كَمَا مَرَّ ذَلِكَ قَبْلُ .  
 وَالْمُتَكَلِّمُونَ عَلَى هَذِهِ الْجِزْرِ أَفْيَا قَسَمُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقْلِيمِ السَّبْعَةِ فِي طَوْلِهِ  
 مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ بِعَشْرَةِ أَجْزَاءٍ مُتَسَاوِيَةٍ وَيَدْكُرُونَ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كُلُّ  
 جُزْءٍ مِنْهَا مِنَ الْبُلْدَانِ وَالْأَمْصَارِ وَالْجِبَالِ وَالْأَنْهَارِ وَالْمَسَافَاتِ بَيْنَهَا فِي الْمَسَالِكِ وَتَحْنُ  
 الْأَن نَوْجُزُ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ وَنَدَّ كَرُّ مَشَاهِيرِ الْبُلْدَانِ وَالْأَنْهَارِ وَالْبَحَارِ فِي كُلِّ جُزْءٍ مِنْهَا  
 وَنَحَازِي بِذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ نَزْهَةِ الْمُشْتَقِّ الَّذِي أَلْفَهُ الْعُلُويُّ الْأَدْرِيسِيُّ الْحَمُودِيُّ  
 إِمْلِكِ صِقْلِيَّةٍ مِنَ الْأَفْرَنْجِ وَهُوَ زَخَارُ بْنُ زَخَارٍ عِنْدَ مَا كَانَ نَازِلًا عَلَيْهِ بِصِقْلِيَّةٍ بَعْدَ  
 خُرُوجِ صِقْلِيَّةٍ مِنْ إِمَارَةِ مَالِقَةَ وَكَانَ تَأْلِفُهُ لِلْكِتَابِ فِي مُتَنَصِّفِ الْمِائَةِ السَّادِسَةِ  
 وَجَمَعَ لَهُ كِتَابًا جَمَّةً لِلْمَسْعُودِيِّ وَأَبْنِ خَرْدَازِيهِ وَالْحَوْفَلِيِّ وَالْقَدْرِيِّ وَأَبْنِ إِسْحَاقَ  
 الْمَنْجَمِ وَبَطْلِيمُوسَ وَغَيْرِهِمْ وَبَدَأُ مِنْهَا بِالْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ إِلَى آخِرِهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
 وَتَعَالَى بَعْصَمْنَا بِمَنِّهِ وَفَضْلِهِ

الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ \* وَفِيهِ مِنْ جِهَةِ غَرْبِيهِ الْجَزَائِرُ الْخَالِدَاتُ الَّتِي مِنْهَا بَدَأَ بَطْلِيمُوسُ  
 بِأَخْذِ أَطْوَالِ الْبِلَادِ وَوَلَسَتْ فِي بَسِيطِ الْإِقْلِيمِ وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْبَحْرِ الْمَحِيطِ جُزْءٌ  
 مُتَكَثِّرَةٌ أَكْبَرُهَا وَأَشْهَرُهَا ثَلَاثٌ وَيُقَالُ إِنَّهَا مَعْمُورَةٌ وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ سَفَانِينَ مِنْ  
 الْأَفْرَنْجِ مَرَّتْ بِهَا فِي أَوَاسِطِ هَذِهِ الْمِائَةِ وَقَاتَلُوهُمْ فَغَنِمُوا مِنْهُمْ وَسَبَّوْا وَبَاعُوا بَعْضَ  
 أَسْرَاهُمْ بِسِوَا حِلِّ الْمَغْرِبِ الْأَفْصَى وَصَارُوا إِلَى خِدْمَةِ السُّلْطَانِ فَلَمَّا تَعَلَّمُوا اللِّسَانَ  
 الْعَرَبِيَّ أَخْبَرُوا عَنْ حَالِ جَزَائِرِهِمْ وَأَمْنِهِمْ يَحْفَرُونَ الْأَرْضَ لِلزَّرْعَةِ بِالْقُرُونِ وَأَنَّ

الْحَدِيدُ مَفْقُودٌ بَارِزٌ مِنْهُمْ وَعَيْنُهُمْ مِنَ الشَّعِيرِ وَمَاشِيَتُهُمُ الْمَعَزُ وَقَتْلَهُمْ بِالْحِجَارَةِ يَزْمُونَهَا  
 إِلَى خَلْفِ وَعِبَادَتُهُمُ السُّجُودُ لِلشَّمْسِ إِذَا طَلَعَتْ وَلَا يَعْرِفُونَ دِينًا وَلَا تَبْلَغُهُمْ دَعْوَةٌ  
 وَلَا يُؤَفِّقُهُ عَلَى مَكَانٍ هَذِهِ الْجَزَائِرُ إِلَّا بِالْعُثُورِ لَا بِالْقَصْدِ إِلَيْهَا لِأَنَّ سَفَرَ السُّنَنِ فِي الْبَحْرِ  
 إِنَّمَا هُوَ بِالرِّيَّاحِ وَمَعْرِفَةُ جِهَاتِ مَهَايِمِهَا وَإِلَى أَيْنٍ يُوصَلُ إِذَا مَرَّتْ عَلَى الْأَسْتِقَامَةِ مِنَ  
 الْبِلَادِ الَّتِي فِي مَمَرِ ذَلِكَ الْمَهَبِّ وَإِذَا اخْتَلَفَ الْمَهَبُّ وَعُلِمَ حَيْثُ يُوصَلُ عَلَى الْأَسْتِقَامَةِ  
 حُودِي بِهِ الْقُلُوعُ مَخَاذَةً يَحْمِلُ السَّفِينَةُ بِهَا عَلَى قَوَائِنٍ فِي ذَلِكَ مُخَصَّصَةً عِنْدَ النُّوَائِبِ  
 وَالْمَلَا حِينَ الَّذِينَ هُمْ رُؤَسَاءُ السُّنَنِ فِي الْبَحْرِ وَالْبِلَادِ الَّتِي فِي حَافَاتِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ  
 وَفِي عُدُوتِهِ مَكْتُوبَةٌ كَلِمًا فِي صَحِيفَةٍ عَلَى شَكْلِ مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي الْوُجُودِ وَفِي وَضْعِهَا  
 فِي سَوَاحِلِ الْبَحْرِ عَلَى تَرْتِيبِهَا وَمَهَابُ الرِّيَّاحِ وَمَمَرَاتُهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا مَرْسُومٌ مَعَهَا فِي تِلْكَ  
 الصَّحِيفَةِ وَيُسَمُّونَهَا الْكِنَاصَ وَعَلَمِيًّا يَعْتَمِدُونَ فِي أَسْفَارِهِمْ وَهَذَا كُلُّهُ مَفْقُودٌ فِي الْبَحْرِ  
 الْحَيْطِ فَلِذَلِكَ لَا تَلِجُ فِيهِ السُّنُنُ لِأَنَّهَا إِنِ غَابَتْ عَنْ مَرَأَى السَّوَاحِلِ فَقَلَّ أَنْ تَهْتَدِيَ  
 إِلَى الرُّجُوعِ إِلَيْهَا مَعَ مَا يَتَعَقَّدُ فِي جَوْهَرِ هَذَا الْبَحْرِ وَعَلَى سَطْحِ مَائِهِ مِنَ الْأَبْجَرَةِ الْمَمَانِعِ  
 لِلْسُّنَنِ فِي مَسِيرِهَا وَهِيَ لِبُعْدِهَا لَا تُدْرِكُهَا أَضْوَاءُ الشَّمْسِ الدَّنِعْكَسَةُ مِنْ سَطْحِ الْأَرْضِ  
 فَتَحْلَلُهَا فَلِذَلِكَ عَسَرَ الْأَهْتِدَاءُ إِلَيْهَا وَصَعِبَ الْوُقُوفُ عَلَى خَبَرِهَا . وَأَمَّا الْجُزْءُ الْأَوَّلُ مِنْ  
 هَذَا الْأَقْلِيمِ فَفِيهِ مَصَبُ النَّيْلِ الْآتِي مِنْ مَبْدَأِهِ عِنْدَ جَبَلِ الْقَهْمَرِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَيَسْمَى  
 نَيْلَ السُّودَانَ وَيَذْهَبُ إِلَى الْبَحْرِ الْحَيْطِ فَيَصُبُّ فِيهِ عِنْدَ جَزِيرَةِ أُولَيْكُ وَعَلَى هَذَا النَّيْلِ  
 مَدِينَةٌ سَلَا وَتَكْرُورُ وَعَانَةُ وَكُلُّهَا لِهَذَا الْعَهْدِ فِي مَمْلَكَةِ مَلِكٍ مَالِيٍّ مِنْ أُمَّةِ السُّودَانَ وَإِلَى  
 بِلَادِهِمْ تُسَافِرُ تِجَارَةُ الْمَغْرِبِ الْأَفْصَى وَبِالْقُرْبِ مِنْهَا مِنْ شَمَالِهَا بِلَادٌ لِمَتُونَةَ وَسَائِرُ  
 طَوَائِفِ الْمَشْأَمِينَ وَمَفَاوِزُ يَجُولُونَ فِيهَا وَفِي جَنُوبِ هَذَا النَّيْلِ قَوْمٌ مِنَ السُّودَانَ يُقَالُ لَهُمْ  
 لِمَلَمٌ وَهُمْ كُنَّازٌ وَيَكْتَوُونَ فِي وُجُوهِهِمْ وَأَصْدَاغِهِمْ وَأَهْلُ عَانَةَ وَالْتَكْرُورِ يُغِيرُونَ  
 عَلَيْهِمْ وَيَسْبُونُهُمْ وَيَبِعُونُهُمْ لِلتَّجَارِ فَيَجْلِبُونَهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ وَكُلُّهُمْ عَامَّةٌ رَقِيقُهُمْ وَلَيْسَ  
 وَرَاءَهُمْ فِي الْجَنُوبِ عَمْرَانٌ يُعْتَبَرُ إِلَّا الْآنَسِيُّ أَقْرَبُ إِلَى الْحَيَوَانَ الْعُجْمِ مِنَ النَّاطِقِ يَسْكُونُ  
 الْفَيْفِي وَالْكُهُوفَ وَيَأْكُلُونَ الْعُشْبَ وَالْحَبُوبَ غَيْرَ مَهْيَاةٍ وَرَبَّمَا يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا  
 وَلَيْسُوا فِي عِدَادِ الْبَشَرِ . وَفَوَآكِهِ بِلَادُ السُّودَانَ كُلُّهَا مِنْ قُصُورِ صَحْرَاءِ الْمَغْرِبِ مِثْلِ  
 تَوَاتٍ وَتَكْدَرَارِينَ وَوُزْكَالَانَ . فَكَانَ فِي عَانَةَ فِيمَا يُقَالُ مَلِكٌ وَدَوْلَةٌ لِقَوْمٍ مِنَ الْعَلَوِيِّينَ

يُعْرَفُونَ بِبَنِي صَالِحٍ وَقَالَ صَاحِبُ كِتَابِ زَخَّارٍ إِنَّهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ  
 الْحَسَنِ وَلَا يُعْرَفُ صَالِحٌ هَذَا فِي وُلْدِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ وَقَدْ ذَهَبَتْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ وَصَارَتْ غَانَةَ لِسُلْطَانِ مَالِي وَفِي شَرْفِي هَذَا الْبَلَدِ فِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنَ الْإِفْلِيمِ بَلَدٌ  
 كُوْكُو عَلَى نَهْرٍ يَنْسُجُ مِنْ بَعْضِ الْجِبَالِ هُنَاكَ وَيَمْرُ مَعْرَبًا فَيَعُوضُ فِي رِمَالِ الْجُزْءِ الثَّانِي  
 وَكَانَ مَلِكُ كُوْكُو قَائِمًا بِنَفْسِهِ ثُمَّ اسْتَوْلَى عَلَيْهَا سُلْطَانُ مَالِي وَأَصْبَحَتْ فِي مَمْلَكَتِهِ  
 وَخَرَبَتْ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ أَجْلِ فِتْنَةٍ وَقَعَتْ هُنَاكَ نَذْرُهَا عِنْدَ ذِكْرِ دَوْلَةِ مَالِي فِي مَحَلِّهَا  
 مِنْ تَارِيخِ النَّزْرِ وَفِي جَنُوبِي بَلَدِ كُوْكُو بِلَادُ كَاتَمٍ مِنْ أُمَّمِ السُّودَانِ وَبَعْدَهُمْ وَنَعَارَةُ  
 عَلَى ضَنْةِ النَّيْلِ مِنْ شَمَالِيهِ وَفِي شَرْفِي بِلَادِ وَنَعَارَةُ وَكَاتَمِ بِلَادُ زَعَاوَةَ وَتَاجِرَةَ الْمُتَّصِلَةَ  
 بِأَرْضِ النَّوْبَةِ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ وَفِيهِ يَمْرُ نَيْلٍ مُصْرٍ ذَاهِبًا مِنْ مَبْدَأِهِ  
 عِنْدَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ إِلَى النَّبْرِ الرَّومِيِّ فِي الشَّمَالِ وَيَخْرُجُ هَذَا النَّيْلُ مِنْ جَبَلِ الْقَمَرِ  
 الَّذِي فَوْقَ خَطِّ الْأَسْتَوَاءِ بِسِتِّ عَشْرَةَ دَرَجَةً وَاخْتَلَفُوا فِي ضَبْطِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ فَضَبَطَهَا  
 بَعْضُهُمْ بِفَتْحِ الْقَافِ وَالْمِيمِ نِسْبَةً إِلَى قَمَرِ السَّمَاءِ لِشِدَّةِ بَيَاضِهِ وَكَثْرَةِ ضَوْؤِهِ وَفِي  
 كِتَابِ الْمُشْتَرِكِ لِيَأْقُوتِ بَضْمِ الْقَافِ وَسُكُونِ الْمِيمِ نِسْبَةً إِلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْهِنْدِ  
 وَكَذَا ضَبَطَهُ ابْنُ سَعِيدٍ فَيَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْجَبَلِ عَشْرُ عِيُونٍ تَجْتَمِعُ كُلُّ خَمْسَةٍ مِنْهَا فِي بَحِيرَةٍ  
 وَبَيْنَهُمَا سِتَّةُ أَمْيَالٍ وَيَخْرُجُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْبَحِيرَتَيْنِ ثَلَاثَةُ أَنْهَارٍ تَجْتَمِعُ كُلُّهَا  
 فِي بَطِيحَةٍ وَاحِدَةٍ فِي أَسْفَلِهَا جَبَلٌ مُعْتَرِضٌ يَشُقُّ الْبَحِيرَةَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ وَيَنْقَسِمُ مَاؤُهَا  
 بِقِسْمَيْنِ فَيَمْرُ الْعَرَبِيُّ مِنْهُ إِلَى بِلَادِ السُّودَانِ مُعْرَبًا حَتَّى يَصُبَّ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَيَخْرُجُ  
 الشَّرْفِيُّ مِنْهُ ذَاهِبًا إِلَى الشَّمَالِ عَلَى بِلَادِ الْحَبْشَةِ وَالنَّوْبَةِ وَفِيهَا بَيْنَهُمَا وَيَنْقَسِمُ فِي أَعْلَى  
 أَرْضِ مُصْرٍ فَيَصُبُّ ثَلَاثَةً مِنْ جَدَاوِلِهِ فِي الْبَحْرِ الرَّومِيِّ عِنْدَ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَرَشِيدِ  
 وَدَمِيَاطٍ وَيَصُبُّ وَاحِدٌ فِي بَحِيرَةٍ مُلْحَةٌ قَبْلَ أَنْ يَتَّصِلَ بِالْبَحْرِ فِي وَسْطِ هَذَا الْإِفْلِيمِ  
 الْأَوَّلِ وَعَلَى هَذَا النَّيْلِ بِلَادُ النَّوْبَةِ وَالْحَبْشَةِ وَبَعْضُ بِلَادِ الْوَأَحَاتِ إِلَى أُسْوَانَ وَحَاضِرَةَ  
 بِلَادِ النَّوْبَةِ مَدِينَتُهُ دَنْقَلَةٌ وَهِيَ فِي غَرْبِي هَذَا النَّيْلِ وَبَعْدَهَا عَلَوَةٌ وَبِلَاقٌ وَبَعْدَهُمَا جَبَلُ  
 الْجِنَادِلِ عَلَى سِتَّةِ مَرَاجِلٍ مِنْ بِلَاقٍ فِي الشَّمَالِ وَهُوَ جَبَلٌ عَالٍ مِنْ جِهَةِ مُصْرٍ وَمُنْخَفِضٌ  
 مِنْ جِهَةِ النَّوْبَةِ فَيَنْفُذُ فِيهِ النَّيْلُ وَيَصُبُّ فِي مَهْوَى بَعِيدٍ صَبًّا هَائِلًا فَلَا يُمْكِنُ أَنْ  
 تَسْلُكَهُ الْمَرَآكِبُ بَلْ يَحُولُ الْوَسْقُ مِنْ مَرَآكِبِ السُّودَانِ فَيُحْمَلُ عَلَى الظُّهْرِ إِلَى بَلَدِ

اسْوَانَ قَاعِدَةَ الصَّعِيدِ إِلَى فَوْقِ الْجَنَادِلِ وَبَيْنَ الْجَنَادِلِ وَأَسْوَانَ اثْنَتَا عَشْرَةَ مَرَّحَلَةً  
 وَالْوَالِحَاتُ فِي غَرْبِهَا عَدْوَةُ النَّيْلِ وَهِيَ الْآنَ خَرَابٌ وَبِهَا آثَارُ الْعِمَارَةِ الْقَدِيمَةِ . وَفِي وَسْطِ  
 هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْهُ بِلَادُ الْحُبْشَةِ عَلَى وَادٍ يَأْتِي مِنْ وَرَاءِ حُطِّ الْأَسْتَوَاءِ  
 ذَاهِبًا إِلَى أَرْضِ النَّوْبَةِ فَيَصُبُّ هُنَاكَ فِي النَّيْلِ الْهَابِطِ إِلَى مِصْرَ وَقَدْ وَهَمَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ  
 النَّاسِ وَزَعَمُوا أَنَّهُ مِنْ نَيْلِ الْقَمَرِ وَبَطْلِيمُوسُ ذَكَرَهُ فِي كِتَابِ الْجُغْرَافِيَا وَذَكَرَ أَنَّهُ  
 يَأْسُ مِنْ هَذَا النَّيْلِ . وَإِلَى وَسْطِ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ يَنْتَهِي بَحْرُ الْهِنْدِ الَّذِي  
 يَدْخُلُ مِنْ نَاحِيَةِ الصِّينِ وَيَعْمُرُ عَامَةً هَذَا الْإِقْلِيمِ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ الْخَامِسِ فَلَا يَبْقَى فِيهِ  
 عُمُرَانُ إِلَّا مَا كَانَ فِي الْجَزَائِرِ الَّتِي فِي دَاخِلِهِ وَهِيَ مُتَعَدِّدَةٌ يُقَالُ تَنْتَهَى إِلَى أَلْفِ جَزِيرَةٍ  
 أَوْ فِيمَا عَلَى سَوَاحِلِهِ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ وَلَيْسَ مِنْهَا فِي هَذَا الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ إِلَّا طَرْفٌ مِنْ  
 بِلَادِ الصِّينِ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ وَفِي بِلَادِ الْيَمَنِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِيمَا  
 بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ الْهَابِطَيْنِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ وَهَمَا بَحْرُ قَلْزَمٍ وَبَحْرُ  
 فَارَسَ وَفِيمَا بَيْنَهُمَا جَزِيرَةُ الْعَرَبِ وَتَشْتَمِلُ عَلَى بِلَادِ الْيَمَنِ وَبِلَادِ الشَّعْرِ فِي شَرْقِيهَا  
 عَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ وَعَلَى بِلَادِ الْحِجَازِ وَالْيَمَامَةِ وَمَا بَيْنَهُمَا كَمَا نَذَرْنَا فِي  
 الْإِقْلِيمِ الثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ فَأَمَّا الَّذِي عَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ مِنْ غَرْبِيهِ فَبَلَدٌ زَالِعٌ مِنْ  
 اطْرَافِ بِلَادِ الْحُبْشَةِ وَبِحَالَاتِ الْبَحْجَةِ <sup>(١)</sup> فِي شِمَالِي الْحُبْشَةِ مَا بَيْنَ جَبَلِ الْعَلَاقِي فِي أَعَالِي  
 الصَّعِيدِ وَبَيْنَ بَحْرِ الْقَلْزَمِ الْهَابِطِ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ وَتَحْتَ بِلَادِ زَالِعٍ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ  
 فِي هَذَا الْجُزْءِ خَالِجٌ بَابِ الْمَنْدَبِ يَصْبِقُ الْبَحْرُ الْهَابِطُ هُنَاكَ بِمُزَاحِمَةِ جَبَلِ الْمَنْدَبِ  
 الْمَائِلِ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ مُمْتَدًّا مَعَ سَاحِلِ الْيَمَنِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ فِي  
 طُولِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيلاً فَيَضِيقُ الْبَحْرُ بِسَبَبِ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَصِيرَ فِي عَرْضِ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ  
 أَوْ تَحْوَاهَا وَيُسَمَّى بَابَ الْمَنْدَبِ وَعَلَيْهِ تَمْرٌ مَرَاكِبُ الْيَمَنِ إِلَى سَاحِلِ السُّوَيْسِ قَرِيبًا  
 مِنْ مِصْرَ وَتَحْتَ بَابِ الْمَنْدَبِ جَزِيرَةٌ سَوَاكِرٌ وَدَهْلُكٌ وَقُبَالَتِهِ مِنْ غَرْبِيهِ بِحَالَاتِ الْبَحْجَةِ  
 مِنْ أَمْرِ السُّودَانِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَمِنْ شَرْقِيهِ فِي هَذَا الْجُزْءِ تِهَائِمُ الْيَمَنِ وَهِيَ عَلَى سَاحِلِهِ  
 بَلَدٌ عَلِيُّ بْنُ يَعْقُوبَ وَفِي جِهَةِ الْجَنُوبِ مِنْ بَلَدِ زَالِعٍ وَعَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ مِنْ غَرْبِيهِ قُرَى  
 بَرَبَرٍ يَتَلَوُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَيَنْعَطِفُ مِنْ جَنُوبِيهِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ السَّادِسِ وَيَلِكُهَا هُنَاكَ مِنْ

(١) ويقال أيضا أبحاة وإما زالع في زيلع ١٠

جَهَةٌ شَرْقِيًّا بِلَادَ الزُّنُجِ ثُمَّ بِلَادَ سَفَالَةَ مِنْ سَاحِلِهِ الْجَنُوبِيِّ بِلَادَ الْوُفُوقِ مُتَّصِلَةً إِلَى  
 آخِرِ الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ عِنْدَ مَدْخَلِ هَذَا الْبَحْرِ مِنَ الْبَحْرِ الْحَمِيطِ . وَأَمَّا  
 جَزَائِرُ هَذَا الْبَحْرِ فَكَثِيرَةٌ . مِنْ أَعْظَمِهَا جَزِيرَةُ سَرَنْدِيبَ مَدُورَةٌ الشَّكْلِ . وَبِهَا  
 الْجَبَلُ الْمَشْهُورُ يُقَالُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَعْلَى مِنْهُ وَهِيَ قِبَالَةُ سَفَالَةَ . ثُمَّ جَزِيرَةُ الْقَمَرِ وَهِيَ  
 جَزِيرَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ تَبْدَأُ مِنْ قِبَالَةِ أَرْضِ سَفَالَةَ وَتَذْهَبُ إِلَى الشَّرْقِ مُنْحَرَفَةً بِكَثِيرٍ إِلَى  
 أَنْ تَقْرُبَ مِنْ سَوَاحِلِ أَعَالِي الصِّينِ وَيَحْتَفُّ بِهَا فِي هَذَا الْبَحْرِ مِنْ جَنُوبِهَا جَزَائِرُ الْوُفُوقِ  
 وَمِنْ شَرْقِيَّهَا جَزَائِرُ السِّيْلَانِ إِلَى جَزَائِرِ آخَرَ فِي هَذَا الْبَحْرِ كَثِيرَةٌ الْعَدَدِ وَفِيهَا أَنْوَاعُ  
 الطَّيِّبِ وَالْأَفَاوِيهِ وَفِيهَا يُقَالُ مَعَادِنُ الذَّهَبِ وَالزُّمُرُودِ وَعَامَةٌ أَهْلِهَا عَلَى دِينِ النَّجُوسِيَّةِ  
 وَفِيهِمْ مُلُوكٌ مُتَعَدِّدُونَ وَهَذِهِ الْجَزَائِرُ مِنْ أَحْوَالِ الْعُمَرَانَ عَجَائِبُ ذِكْرُهَا أَهْلُ الْجُغْرَافِيَا  
 وَعَلَى الضَّفَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ بِلَادُ الْيَمَنِ كُلُّهَا  
 فَمِنْ جِهَةِ بَحْرِ الْقَنْزُومِ بَلَدٌ زَيْدٌ وَالْمَهْجَمُ وَنِهَامَةُ الْيَمَنِ وَبَعْدَهَا بَلَدٌ صَعْدَةُ مَقَرُّ الْإِمَامَةِ  
 الزُّبَيْدِيَّةِ وَهِيَ بَعِيدَةٌ عَنِ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ وَعَنِ الْبَحْرِ الشَّرْقِيِّ وَفِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ مَدِينَةُ عَدَنَ  
 وَفِي شَمَالِهَا صَعَاءُ وَبَعْدُهَا إِلَى الْمَشْرِقِ أَرْضُ الْأَحْقَافِ وَظَفَّارٌ وَبَعْدَهَا أَرْضُ  
 حَضْرَمُوتَ ثُمَّ بِلَادُ الشَّخْرِ مَا بَيْنَ الْبَحْرِ الْجَنُوبِيِّ وَبَحْرِ فَارِسَ . وَهَذِهِ الْقِطْعَةُ مِنَ الْجُزْءِ  
 السَّادِسِ هِيَ الَّتِي أَنْكَشَفَتْ عَنْهَا الْبَحْرُ مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا الْإِقْلِيمِ الْوُسْطَى وَبِنَكْشَفِ  
 بَعْدَهَا قَلِيلٌ مِنَ الْجُزْءِ التَّاسِعِ وَأَكْثَرُ مِنْهُ مِنَ الْعَاشِرِ فِيهِ أَعَالِي بِلَادِ الصِّينِ وَمِنْ مَدِينَةِ  
 الشَّهِيرَةِ خَانِكُو وَقِبَالَتِهَا مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ جَزَائِرُ السِّيْلَانِ وَقَدْ نَقَدَمَ ذِكْرُهَا وَهَذَا آخِرُ  
 الْكَلَامِ فِي الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَلِي التَّوْفِيقَ بِمَنْهِ وَفَضْلِهِ

الْإِقْلِيمِ الثَّانِي \* وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِالْأَوَّلِ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ وَقِبَالَةُ الْمَغْرِبِ مِنْهُ فِي الْبَحْرِ  
 الْحَمِيطِ جَزَيْرَتَانِ مِنَ الْجَزَائِرِ الْخَالِدَاتِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنْهُ  
 فِي الْجَانِبِ الْأَعْلَى مِنْهُمَا أَرْضُ قَنْوَرِيَّةٌ وَبَعْدَهَا فِي جِهَةِ الشَّرْقِ أَعَالِي أَرْضِ غَانَةَ ثُمَّ مَجَالَاتُ  
 زِغَاوَةَ مِنَ السُّودَانَ وَفِي الْجَانِبِ الْأَسْفَلِ مِنْهُمَا صَخْرَةٌ نِسْرٌ مُتَّصِلَةٌ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الشَّرْقِ  
 ذَاتُ مَفَاوِزٍ تَسْلُكُ فِيهَا الشَّجَارُ مَا بَيْنَ بِلَادِ الْمَغْرِبِ وَبِلَادِ السُّودَانَ وَفِيهَا مَجَالَاتُ  
 الْمَلْشَمِينَ مِنْ صِنْهَاجَةَ وَهُمْ شُعُوبٌ كَثِيرَةٌ مَا بَيْنَ كَرْوَلَةَ وَلِمْتُونَةَ وَمَسْرَاتَةَ وَلِمَطَّةَ  
 وَوَرِيكَةَ وَعَلَى سَمْتِ هَذِهِ الْمَفَاوِزِ شَرْقًا أَرْضُ فِرَانَ ثُمَّ مَجَالَاتُ أَرْكَازَ مِنْ قِبَالِ

البربر ذاهبة إلى أعالي الجزء الثالث على سمتها في الشرق وبعدها من هذا الجزء الثالث  
 وهي جهة الشمال منه بقية أرض وذان وعلى سمتها شرقاً أرض سنترية وتسمى الواحات  
 الداخلة وفي الجزء الرابع من أعلاه بقية أرض الباهويين ثم يعترض في وسط هذا  
 الجزء بلاد الصعيد حافات النيل الذاهب من مبدئه في الإقليم الأول إلى مصبه في  
 البحر فيمر في هذا الجزء بين الجبلين الحاجرين وهما جبل الواحات من غربيه وجبل  
 المقطم من شرقيه وعليه من أعلاه بلد أسنا وأزمنت وتبصل كذلك حافاته إلى  
 أسبوط وقوص ثم إلى صول ويفترق النيل هناك على شعبين ينتهي الأيمن منهما في هذا  
 الجزء عند الأهون والأيسر عند دلاص وفيما بينهما أعالي ديار مصر وفي الشرق من  
 جبل المقطم صحارى عذاب ذاهبة في الجزء الخامس إلى أن تنتهي إلى بحر السويس  
 وهو بحر القلزم الهابط من البحر الهندي في الجنوب إلى جهة الشمال وفي عدوته  
 الشرقية من هذا الجزء أرض النجاز من جبل يلمم إلى بلاد يرب في وسط النجاز  
 مكة شرقها الله وفي ساحلها مدينة جدة ثقال بلد عذاب في العدوة الغربية من هذا  
 البحر وفي الجزء السادس من غربيه بلاد نجد أعلاها في الجنوب وبثالة وجرش إلى  
 عكاظ من الشمال وتحت نجد من هذا الجزء بقية أرض النجاز وعلى سمتها في الشرق  
 بلاد نجران وخيبر وتحتها أرض اليمامة وعلى سمت نجران في الشرق أرض سبا ومأرب  
 ثم أرض السحير وينتهي إلى بحر فارس وهو البحر الثاني الهابط من البحر الهندي  
 إلى الشمال كما مر ويذهب في هذا الجزء بالبحر إلى الغرب فيمر ما بين شرقيه  
 وجوفيه قطعة مثلثة عليها من أعلاه مدينة قلات وهي ساحل السحير ثم تحتها على ساحله  
 بلاد عمان ثم بلاد البحرين وهجر منها في آخر الجزء وفي الجزء السابع في الأعلى من  
 غربيه قطعة من بحر فارس تتصل بالقطعة الأخرى في السادس ويغمر بحر الهند جانبه  
 الأعلى كله وعليه هناك بلاد السند إلى بلاد مكران ويقابلها بلاد الطوران وهي من  
 السند أيضاً فيتصل السند كله في الجانب الغربي من هذا الجزء وتحول المفاوز بينه  
 وبين أرض الهند ويمر فيه نهره الآتي من ناحية بلاد الهند ويصب في البحر الهندي  
 في الجنوب وأول بلاد الهند على ساحل البحر الهندي وفي سمتها شرقاً بلاد بلهرا وتحتها  
 في الجانب الأسفل أرض كابل وبعدها شرقاً إلى البحر المحيط بلاد القنوج ما بين

قَسْمِيرَ الدَّاخلَةِ وَقَسْمِيرَ الخَارِجَةِ عِنْدَ آخِرِ الإِقليمِ وَفِي الجُزءِ التَّاسِعِ ثُمَّ فِي الجَنابِ  
 العَرَبِيِّ مِنْهُ بِلادُ الهِنْدِ الأَقصى وَبِتَّصِلُ فِيهِ إِلى الجَنابِ الشَّرْقِيِّ فَيَتَّصِلُ مِنْ أَعْلَاهُ إِلى  
 العَابِثِ وَتَبْقَى فِي أَسْفَلِ ذَلِكَ الجَنابِ قِطْعَةٌ مِنْ بِلادِ الصِّينِ فِيهَا مَدِينَةُ شِيعُونَ ثُمَّ تَنْصِلُ  
 بِلادَ الصِّينِ فِي الجُزءِ العَاشِرِ كِلَهُ إِلى البَحْرِ المُحيطِ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ رَبِّهِ سُبْحانَهُ  
 التَّوْفِيقُ وَهُوَ وَلِيُّ الفَضْلِ وَالكَرَمِ

الإِقليمُ الثَّالثُ \* وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِالثَّانِي مِنْ جِهَةِ الشَّمالِ فِي الجُزءِ الأوَّلِ مِنْهُ وَعَلَى  
 نَعْوِ الثَّالثِ مِنْ أَعْلَاهُ جَبَلٌ دَرَنٌ مُعْتَرِضٌ فِيهِ مِنْ غَرْبِيهِ عِنْدَ البَحْرِ المُحيطِ إِلى الشَّرْقِ  
 عِنْدَ آخِرِهِ وَيَسْتَكُنُّ هَذَا الجَبَلُ مِنَ البَرَبْرِ أُمَّمٌ لا يُخَصِّبُهُمُ إِلا خالِقُهُمْ حَسَبًا يَأْتِي  
 ذِكْرُهُ وَفِي القِطْعَةِ الَّتِي بَيْنَ هَذَا الجَبَلِ وَالإِقليمِ الثَّانِي وَعَلَى البَحْرِ المُحيطِ مِنْهَا رِباطُ  
 ماسَةَ وَبِتَّصِلُ بِهِ شَرْقًا بِلادُ سُوسِ وَنَوَلُ وَعَلَى سَمْتِهَا شَرْقًا بِلادُ دَرَعَةَ ثُمَّ بِلادُ سِجِلْماسَةَ  
 ثُمَّ قِطْعَةٌ مِنْ صَحْرَاءِ نِسْتَرِ المُقارَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاها فِي الإِقليمِ الثَّانِي وَهَذَا الجَبَلُ مُطَّلٌ  
 عَلَى هَذِهِ البِلادِ كِلَها فِي هَذَا الجُزءِ وَهُوَ قَابلُ الثَّنابِيا وَالْمَسالِكِ فِي هَذِهِ الناحِيَةِ العَرَبِيَّةِ  
 إِلى أَنْ يَسامِتَ وادي مَلوِيَّةَ فَتَكثُرُ ثَنابِياهُ وَمَسالِكُهُ إِلى أَنْ يَنْتَهِيَ وَفِي هَذِهِ الناحِيَةِ  
 مِنْهُ أُمَّمٌ المَصامِدَةُ ثُمَّ هِنْتانَةُ ثُمَّ تَيْمَمَلَكُ ثُمَّ كَدَمِيوُهُ ثُمَّ مَسْكَورَةُ وَهِيَ آخِرُ المَصامِدَةِ  
 فِيهِ ثُمَّ قَابلُ صَنهاكَةَ وَهِيَ صَنهاجَةُ وَفِي آخِرِ هَذَا الجُزءِ مِنْهُ بَعْضُ قَابلِ زَنانَةَ وَبِتَّصِلُ  
 بِهِ هُنالِكَ مِنْ جَوْفِيهِ جَبَلُ أُوْرَاسِ وَهُوَ جَبَلٌ كُتامةٌ وَبَعْدَ ذَلِكَ أُمَّمٌ أُخْرَى مِنَ البَرابِرَةِ  
 نَدَّ كُرْهُمُ فِي أَمَّا كِبِهِمْ ثُمَّ إِنَّ جَبَلَ دَرَنَ هَذَا مِنْ جِهَةِ غَرْبِيهِ مُطَّلٌ عَلَى بِلادِ المَغْرِبِ  
 الأَقصى وَهِيَ فِي جَوْفِيهِ فِي الناحِيَةِ الجَنوبِيَّةِ مِنْهَا بِلادُ مَراكِشَ وَأَعْمامَتَ وَتادالا وَعَلَى  
 البَحْرِ المُحيطِ مِنْهَا رِباطُ أَسْفَى وَمَدِينَةُ سَلاَ وَفِي الجُوفِ عَن بِلادِ مَراكِشَ بِلادُ فاسِ  
 وَمَكْناسَةَ وَتازا وَقَصْرُ كُتامةٌ وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي تُسَمَّى المَغْرِبَ الأَقصى فِي عَرَفِ أَهْلِها  
 وَعَلَى ساحِلِ البَحْرِ المُحيطِ مِنْها بِلدانُ أَصِيلاَ وَالعَرابِشِ وَفِي سَمْتِ هَذِهِ البِلادِ شَرْقًا بِلادُ  
 المَغْرِبِ الأَوْسَطِ وَقاعِدَتُها تَلْمَسانُ وَفِي سِواحِها عَلَى البَحْرِ الرُّومِيِّ بِلدُ هِنينَ وَوَهْرانَ  
 وَالجَزائِرَ لِأَنَّ هَذَا البَحْرَ الرُّومِيَّ يَخْرُجُ مِنَ البَحْرِ المُحيطِ مِنْ خَلِيجِ طَنْجَةَ فِي الناحِيَةِ  
 العَرَبِيَّةِ مِنَ الإِقليمِ الرَّابِعِ وَيَذْهَبُ مُشَرِّقًا فَيَنْتَهِيَ إِلى بِلادِ السَّامِ فَإِذا خَرَجَ مِنْ  
 الخَلِيجِ المُتَضابِقِ عَنرَ بَعِيدِ انْفِسَحَ جَنوبًا وَشَمالًا فَدَخَلَ فِي الإِقليمِ الثَّالثِ وَالخامِيسِ

فَلِهَذَا كَانَ عَلَى سَاحِلِهِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثُ الْكَثِيرُ مِنْ بِلَادِهِ ثُمَّ يَتَّصِلُ بِبِلَادِ  
 الْجَزَائِرِ مِنْ شَرْفِهَا بِلَادُ بَجَايَةَ فِي سَاحِلِ الْبَحْرِ ثُمَّ قَسَنْطِينِيَّةُ فِي الشَّرْقِ مِنْهَا وَفِي آخِرِ  
 الْجُزْءِ الْأَوَّلِ وَعَلَى مَرَحَلَةٍ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ فِي جَنُوبِ هَذِهِ الْبِلَادِ وَمُرْتَفَعًا إِلَى جَنُوبِ  
 الْمَغْرِبِ الْأَوْسَطِ بَلَدٌ أَشِيرٌ ثُمَّ بَلَدُ الْمَسِيلَةِ ثُمَّ الرَّابِعُ وَقَاعِدَتُهُ بِسُكْرَةَ تَحْتَ جَبَلِ أُوْرَاسِ  
 الْمَتَّصِلِ بِدَرَنْ كَمَا مَرَّ وَذَلِكَ عِنْدَ آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ وَالْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ  
 هَذَا الْإِقْلِيمِ عَلَى هَيْئَةِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ثُمَّ جَبَلُ دَرَنْ عَلَى نَحْوِ الثَّلَاثِ مِنْ جَنُوبِهِ ذَاهِبًا فِيهِ  
 مِنْ غَرْبٍ إِلَى شَرْقٍ فَيَقْسِمُهُ بِقَطْعَتَيْنِ وَيَعْمُرُ الْبَحْرَ الرَّوْمِيَّ مَسَافَةً مِنْ شِمَالِهِ فَالْقِطْعَةُ  
 الْجَنُوبِيَّةُ عَنْ جَبَلِ دَرَنْ غَرْبُهَا كُلُّهُ مُفَاوِزٌ وَفِي الشَّرْقِ مِنْهَا بَلَدٌ عُدَامِسُ وَفِي سَمْتِهَا شَرْفًا  
 أَرْضُ وَدَانَ الَّتِي بَقِيَّتْهَا فِي الْإِقْلِيمِ الثَّانِي كَمَا مَرَّ وَالْقِطْعَةُ الْجَنُوبِيَّةُ عَنْ جَبَلِ دَرَنْ مَا  
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَحْرِ الرَّوْمِيِّ فِي الْغَرْبِ مِنْهَا جَبَلُ أُوْرَاسِ وَتَسَّةُ وَالْأَوْبَسُ وَعَلَى سَاحِلِ  
 الْبَحْرِ بَلَدٌ بُونَةُ ثُمَّ فِي سَمْتِ هَذِهِ الْبِلَادِ شَرْفًا بِلَادُ أْفْرِيقِيَّةَ فَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مَدِينَةُ  
 تُونِسُ ثُمَّ السُّوسَةُ ثُمَّ الْمَهْدِيَّةُ وَفِي جَنُوبِ هَذِهِ الْبِلَادِ تَحْتَ جَبَلِ دَرَنْ بِلَادُ الْجُرِيدِ  
 تَوَزْرُ وَفَقْصَةُ وَنَفْرَاوَةُ وَفِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ السُّوَاكِ مَدِينَةُ الْقَيْرَوَانِ وَجَبَلٌ وَسَلَاتٌ وَسَيْطَلَةُ  
 وَعَلَى سَمْتِ هَذِهِ الْبِلَادِ كُلِّهَا شَرْفًا بَلَدٌ طَرَابُلُسُ عَلَى الْبَحْرِ الرَّوْمِيِّ وَبِأَرْضِهَا فِي الْجَنُوبِ  
 جَبَلٌ دُمُرٌ وَنَقْرَةٌ مِنْ قِبَائِلِ هَوَارَةَ مُتَّصِلَةٌ بِجَبَلِ دَرَنْ وَفِي مُقَابَلَةِ عُدَامِسِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا  
 فِي آخِرِ الْقِطْعَةِ الْجَنُوبِيَّةِ وَآخِرُ هَذَا الْجُزْءِ فِي الشَّرْقِ سَوِيْقَةُ ابْنِ مَشْكُورَةَ عَلَى الْبَحْرِ  
 وَفِي جَنُوبِهَا مَجَالَاتُ الْعَرَبِ فِي أَرْضِ وَدَانَ وَفِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ يَمْرُؤٌ يَصُغَّرُ  
 فِيهِ جَبَلُ دَرَنْ إِلَّا أَنَّهُ يَنْعَطِفُ عِنْدَ آخِرِهِ إِلَى الشَّمَالِ وَيَذْهَبُ عَلَى سَمْتِهِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ  
 فِي الْبَحْرِ الرَّوْمِيِّ وَيُسَمَّى هُنَاكَ طَرْفُ أُوْتَانَ وَالْبَحْرُ الرَّوْمِيُّ مِنْ شِمَالِهِ يَعْمُرُ طَائِفَةً  
 مِنْهُ إِلَى أَنْ يَضَاقَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَبَلِ دَرَنْ فَالَّذِي وَرَاءَ الْجَبَلِ فِي الْجَنُوبِ وَفِي الْغَرْبِ  
 مِنْهُ بَقِيَّةُ أَرْضِ وَدَانَ وَمَجَالَاتُ الْعَرَبِ فِيهَا ثُمَّ زَوَيْلَةُ ابْنِ خَطَّابٍ ثُمَّ رِمَالٌ وَفَقَارٌ إِلَى  
 آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّرْقِ وَفِيمَا بَيْنَ الْجَبَلِ وَالْبَحْرِ فِي الْغَرْبِ مِنْهُ بَلَدٌ سَرْتٌ عَلَى الْبَحْرِ ثُمَّ  
 خَلَاةٌ وَفَقَارٌ يَجُولُ فِيهَا الْعَرَبُ ثُمَّ أَجْدَابِيَّةٌ ثُمَّ بَرْقَةُ عِنْدَ مُنْعَطِفِ الْجَبَلِ ثُمَّ طَلْمَسَةُ عَلَى  
 الْبَحْرِ هُنَاكَ ثُمَّ فِي شَرْقِ الْمُنْعَطِفِ مِنَ الْجَبَلِ مَجَالَاتُ هَيْبٍ وَرُوحَاةٌ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
 وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ وَفِي الْأَعْلَى مِنْ غَرْبِهِ صَحَارَى بَرْفِيْقٍ وَأَسْفَلُ مِنْهَا

بلادُ هَيْبٍ وَرُوحَةَ ثُمَّ يَدْخُلُ الْبَحْرَ الرُّومِيَّ فِي هَذَا الْجُزْءِ فَيَغْمُرُ طَائِفَةً مِنْهُ إِلَى الْجَنُوبِ  
 حَتَّى يَزَاحِمَ طَرَفَهُ الْأَعْلَى وَيَبْقَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ آخِرِ الْجُزْءِ قِفَارٌ تَجُولُ فِيهَا الْعَرَبُ وَعَلَى سَمْتِهَا  
 شَرْقًا بِلَادُ الْيَوْمِ وَهِيَ عَلَى مَصَبِ أَحَدِ الشَّعْبَيْنِ مِنَ النَّيْلِ الَّذِي يَمُرُّ عَلَى الْأَهْوَانِ مِنْ  
 بِلَادِ الصَّعِيدِ فِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الثَّانِي وَيَصُبُّ فِي بَحِيرَةِ فَيَوْمٍ وَعَلَى سَمْتِهِ شَرْقًا  
 أَرْضُ مِصْرَ وَمَدِينَتُهَا الشَّهْبَرَةُ عَلَى الشَّعْبِ الثَّانِي الَّذِي يَمُرُّ بِدَلَّاصٍ مِنْ بِلَادِ الصَّعِيدِ  
 عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ الثَّانِي وَيَفْتَرِقُ هَذَا الشَّعْبُ اقْتِرَافَةً ثَانِيَةً مِنْ تَحْتِ مِصْرَ عَلَى شِعْبَيْنِ  
 آخَرَيْنِ مِنْ شَطْنُوفٍ وَزَفِّي وَيَقْسِمُ الْأَيْمَنُ مِنْهُمَا مِنْ قَوْمِ شِعْبَيْنِ آخَرَيْنِ وَيَصُبُّ  
 جَمِيعُهُمَا فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ فَعَلَى مَصَبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ هَذَا الشَّعْبِ بِلَادُ الْأَسْكَندَرِيَّةِ وَعَلَى  
 مَصَبِ الْوَسْطِيِّ بِلَادُ رَشِيدٍ وَعَلَى مَصَبِ الشَّرْقِيِّ بِلَادُ دِمِيَاطٍ وَبَيْنَ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ وَبَيْنَ  
 هَذِهِ السَّوَاخِلِ الْبَحْرِيَّةِ أَسَافِلُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ كَثِيرًا مَحْشُورَةٌ عُمُرَانًا وَقَلْحًا وَفِي الْجُزْءِ  
 الْخَامِسِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ بِلَادُ الشَّامِ وَأَكْثَرُهَا عَلَى مَا أَصِفُ وَذَلِكَ لِأَنَّ بَحْرَ الْقَلْزَمِ  
 يَنْتَهِي مِنَ الْجَنُوبِ وَفِي الْغَرْبِ مِنْهُ عِنْدَ السُّوَيْسِ لِأَنَّهُ فِي مَرِّهِ مُبْتَدِيٌّ مِنَ الْبَحْرِ الْهِنْدِيِّ  
 إِلَى الشَّمَالِ يَنْعَطِفُ أَخِذًا إِلَى جِهَةِ الْغَرْبِ فَيَكُونُ قِطْعَةً مِنْ أَنْعَافِهِ فِي هَذَا الْجُزْءِ  
 طَوِيلَةً فَيَنْتَهِي فِي الطَّرْفِ الْغَرْبِيِّ مِنْهُ إِلَى السُّوَيْسِ وَعَلَى هَذِهِ الْقِطْعَةِ بَعْدَ السُّوَيْسِ  
 فَارَانٌ ثُمَّ جَبَلُ الطُّورِ ثُمَّ أَيْلَةُ مَدِينِ ثُمَّ الْحَوْرَاءُ فِي آخِرِهَا وَمِنْ هُنَاكَ يَنْعَطِفُ بِسَاحِلِهِ  
 إِلَى الْجَنُوبِ فِي أَرْضِ الْحِجَازِ كَمَا مَرَّ فِي الْأَقْلِيمِ الثَّانِي فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْهُ وَفِي  
 النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ غَمَرَتْ كَثِيرًا مِنْ غَرْبِيَّةِ  
 عَلَيْهِمَا الْفُرْمَا وَالْعَرِيشُ وَقَارَبَ طَرَفُهَا بِلَادَ الْقَلْزَمِ فَيَضَاقُ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ هُنَاكَ وَيَبْقَى شِبْهُ  
 الْبَابِ مُفْضِيًّا إِلَى أَرْضِ الشَّامِ وَفِي غَرْبِي هَذَا الْبَابِ فَحْصُ التِّيهِ أَرْضٌ جَرْدَاءٌ لَا تَنْبُتُ  
 كَانَتْ تَحْتَ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ وَقَبْلَ دُخُولِهِمْ إِلَى الشَّامِ أَرْبَعِينَ  
 سَنَةً كَمَا قَصَّهُ الْقُرْآنُ وَفِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي هَذَا الْجُزْءِ طَائِفَةٌ مِنْ  
 جَزِيرَةِ فَيْرُصَ وَبَقِيَّتُهَا فِي الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ كَمَا نَذَرْتُهَا وَعَلَى سَاحِلِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ عِنْدَ  
 الطَّرْفِ الْمَتَضَاقِ بِبَحْرِ السُّوَيْسِ بِلَادُ الْعَرِيشِ وَهُوَ آخِرُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَعَسْقَلَانُ  
 وَبَيْنَهُمَا طَرَفُ هَذَا الْبَحْرِ ثُمَّ تَحْطُ هَذِهِ الْقِطْعَةُ فِي أَنْعَافِهَا مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْأَقْلِيمِ  
 الرَّابِعِ عِنْدَ طَرَابُلسَ وَعَزَّةَ وَهُنَاكَ يَنْتَهِي الْبَحْرُ الرُّومِيُّ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ وَعَلَى هَذِهِ

الْقِطْعَةَ أَكْثَرُ سَوَاحِلِ الشَّامِ فِي شَرْقِهِ غَزَّةٌ ثُمَّ عَسْقَلَانُ وَبِأَنْحِرَافٍ يَسِيرٍ عَنْهَا إِلَى  
الشَّمَالِ بَلَدٌ قَيْسَارِيَّةٌ ثُمَّ كَذَلِكَ بَلَدٌ عَكَاةٌ ثُمَّ صُورٌ ثُمَّ صَيْدَاءُ ثُمَّ يَنْعَطِفُ الْبَحْرُ إِلَى الشَّمَالِ  
فِي الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيُقَابِلُ هَذِهِ الْبِلَادَ السَّاحِلِيَّةَ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ جَبَلٌ  
عَظِيمٌ يُخْرُجُ مِنْ سَاحِلِ أَيْلَةَ مِنْ بَحْرِ الْقَلْزُومِ وَيَذْهَبُ فِي نَاحِيَةِ الشَّمَالِ مُنْحَرِفًا إِلَى الشَّرْقِ  
إِلَى أَنْ يُجَاوِزَ هَذَا الْجُزْءَ وَيُسَمَّى جَبَلُ اللَّكَّامِ وَكَأَنَّهُ حَاجِزٌ بَيْنَ أَرْضِ مِصْرَ وَالشَّامِ  
فِي طَرَفِهِ عِنْدَ أَيْلَةَ الْعَقَبَةِ الَّتِي يَمُرُّ عَلَيْهَا الْحِجَابُ مِنْ مِصْرَ إِلَى مَكَّةَ ثُمَّ بَعْدَهَا فِي  
نَاحِيَةِ الشَّمَالِ مَدِينُ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عِنْدَ جَبَلِ السَّرَاةِ يَتَّصِلُ مِنْ عِنْدِ  
جَبَلِ اللَّكَّامِ الْمَدْكُورِ مِنْ شَمَالِ الْعَقَبَةِ ذَاهِبًا عَلَى سَمْتِ الشَّرْقِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ قَلِيلًا وَفِي  
شَرْقِهِ هُنَاكَ بَلَدُ الْحَجَرِ وَدِيَارُ نَمُودٍ وَتِمَاءُ وَدُومَةُ الْجُنْدَلِ وَهِيَ أَسْفَلُ الْحِجَابِ وَفَوْقَهَا  
جَبَلُ رِضْوَى وَحِصُونُ خَيْبَرَ فِي جِهَةِ الْجَنُوبِ عَنْهَا وَفِيمَا بَيْنَ جَبَلِ السَّرَاةِ وَبَحْرِ الْقَلْزُومِ  
صَحْرَاءُ تَبُوكَ وَفِي شَمَالِ جَبَلِ السَّرَاةِ مَدِينَةُ الْقُدْسِ عِنْدَ جَبَلِ اللَّكَّامِ ثُمَّ الْأَرْضُ ثُمَّ  
طَبْرِيَّةٌ وَفِي شَرْقِيهَا بِلَادُ الْغُوزِ إِلَى أَدْرَعَاتٍ وَفِي سَمْتِهَا شَرْقًا دُومَةُ الْجُنْدَلِ آخِرُ هَذَا  
الْجُزْءِ وَهِيَ آخِرُ الْحِجَابِ . وَعِنْدَ نَعَطْفِ جَبَلِ اللَّكَّامِ إِلَى الشَّمَالِ مِنْ آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ  
مَدِينَةُ دِمَشْقَ مُقَابِلَةَ صَيْدَاءَ وَبَيْرُوتَ مِنَ الْقِطْعَةِ الْبَحْرِيَّةِ وَجَبَلُ اللَّكَّامِ يَعْطُرُ بَيْنَهَا  
وَبَيْنَهَا وَعَلَى سَمْتِ دِمَشْقَ فِي الشَّرْقِ مَدِينَةُ بَعْلَبَكْ ثُمَّ مَدِينَةُ حَمَصَ فِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ آخِرُ  
الْجُزْءِ عِنْدَ مُنْقَطَعِ جَبَلِ اللَّكَّامِ وَفِي الشَّرْقِ عَنِ بَعْلَبَكْ وَحَمَصَ بَلَدٌ تَدْمُرُ وَبَحَالَاتُ  
الْبَادِيَةِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ أَعْلَاهُ بَحَالَاتُ الْأَعْرَابِ تَحْتَ بِلَادِ نَجْدِ  
وَالْيَمَامَةِ مَا بَيْنَ جَبَلِ الْعُرْجِ وَالصَّمَانِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ وَهَجْرٌ عَلَى بَحْرِ فَارِسَ وَفِي أَسْفَلِ هَذَا  
هَذَا الْجُزْءِ تَحْتَ الْبَحَالَاتِ بَلَدُ الْحَيْرَةِ وَالْقَادِسِيَّةِ وَمَعَايِضُ الْفُرَاتِ . وَفِيمَا بَعْدَهَا شَرْقًا  
مَدِينَةُ الْبَصْرَةِ وَفِي هَذَا الْجُزْءِ يَنْتَهِي بَحْرُ فَارِسَ عِنْدَ عِبَادَانَ وَالْأَيْلَةَ مِنْ أَسْفَلِ الْجُزْءِ  
مِنْ شَمَالِهِ وَيَصُبُّ فِيهِ عِنْدَ عِبَادَانَ نَهْرٌ رِجَالَةٌ بَعْدَ أَنْ يَنْقَسِمَ بِمَجْدُولَ كَثِيرَةً وَتَخْلُطُ  
بِهِ جَدَاوِلُ أُخْرَى مِنَ الْفُرَاتِ ثُمَّ تَجْتَمِعُ كُلُّهَا عِنْدَ عِبَادَانَ وَتَصُبُّ فِي بَحْرِ فَارِسَ وَهَذِهِ  
الْقِطْعَةُ مِنَ الْبَحْرِ مُتَّسِعَةٌ فِي أَعْلَاهُ مُتَضَاقِقَةٌ فِي آخِرِهِ فِي شَرْقِيَّةِ وَضَيْقَةٌ عِنْدَ مُنْتَهَاهُ  
مُضَاقِقَةٌ لِلْحَدِّ الشَّمَالِيِّ مِنْهُ وَعَلَى عُدُومِهَا الْغُرْبِيَّةُ مِنْهُ أَسْفَلُ الْبَحْرَيْنِ وَهَجْرٌ وَالْأَحْسَاءُ وَفِي  
غُرْبِهَا أَخْطَبُ وَالصَّمَانُ وَبَقِيَّةُ أَرْضِ الْيَمَامَةِ وَعَلَى عُدُومِهَا الشَّرْقِيَّةِ سَوَاحِلُ فَارِسَ مِنْ

أَعْلَاهَا وَهُوَ مِنْ عِنْدِ آخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الشَّرْقِ عَلَى طَرَفِ قَدِ امْتَدَّ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ مُشْرِقًا  
 وَوَرَاءَهُ إِلَى الْجَنُوبِ فِي هَذَا الْجُزْءِ جِبَالُ الْفَنَصِ مِنْ كُرْمَانَ وَتَحْتَ هِرَازِ بِلَادِ فَارِسَ  
 مِثْلَ سَابُورَ وَدَارَ أَبْجُزْدَ وَنَسَاوَ إِصْطَخَرَ وَالشَّاهِجَانَ وَشِيرَازَ وَهِيَ قَاعِدَتُهَا كُلُّهَا وَتَحْتَ بِلَادِ  
 فَارِسَ إِلَى الشَّمَالِ عِنْدَ طَرَفِ الْبَحْرِ بِلَادُ خُودَسْتَانَ وَمِنْهَا الْأَهْوَاؤُ وَتَسْتُرُ وَصَدَى وَسَابُورُ  
 وَالسُّوسُ وَرَامَ هِرْمُزُ وَغَيْرُهَا وَأَرْجَانُ وَهِيَ حَدُّ مَا بَيْنَ فَارِسَ وَخُودَسْتَانَ جِبَالُ الْأَكْرَادِ  
 مَمْتَصِلَةٌ إِلَى نَوَاحِي أَصْبَهَانَ وَبِهَا مَسَاكِينُهُمْ وَبِجَالَانَهُمْ وَرَاءَهَا فِي أَرْضِ فَارِسَ وَتَسْمَى  
 الرُّسُومُ وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ فِي الْأَعْلَى مِنْهُ مِنَ الْغَرْبِ بَقِيَّةُ جِبَالِ الْفَنَصِ وَبِهَا مِنْ  
 الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ بِلَادُ كُرْمَانَ وَمَكْرَانَ وَمِنْ مَدِينَتِهَا الرُّودَنُ وَالشَّيرِجَانُ وَجِيرْفَتُ وَيَزْدُ شِيرُ  
 وَالْبَهْرَجُ وَتَحْتَ أَرْضِ كُرْمَانَ إِلَى الشَّمَالِ بَقِيَّةُ بِلَادِ فَارِسَ إِلَى حُدُودِ أَصْبَهَانَ وَهِيَ  
 أَصْبَهَانَ فِي طَرَفِ هَذَا الْجُزْءِ مَا بَيْنَ غَرْبِهِ وَشَمَالِهِ ثُمَّ فِي الْمَشْرِقِ عَنْ بِلَادِ كُرْمَانَ وَبِلَادِ  
 فَارِسَ أَرْضُ سِجِسْتَانَ وَكُوهَسْتَانَ فِي الْجَنُوبِ وَأَرْضُ كُوهَسْتَانَ فِي الشَّمَالِ غَرْبًا وَبِتَوْسِطِ  
 بَيْنَ كُرْمَانَ وَفَارِسَ وَبَيْنَ سِجِسْتَانَ وَكُوهَسْتَانَ وَفِي وَسَطِ هَذَا الْجُزْءِ الْمَفَاوِزُ الْعَظِيمَةُ  
 الْقَلِيلَةُ الْمَسَالِكُ لِصُعُوبَتِهَا وَمِنْ مَدِينِ سِجِسْتَانَ بَسْتُ وَالطَّاقُ وَأَمَّا كُوهَسْتَانَ فِهَا مِنْ بِلَادِ  
 خُرَّاسَانَ وَمِنْ مَشَاهِيرِ بِلَادِهَا سَرْخَسُ وَفُوهَسْتَانَ آخِرُ الْجُزْءِ وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ غَرْبِهِ  
 وَجَنُوبِهِ بَجَالَاتُ الْأَنْجَلِخِ مِنْ أُمَّةِ التُّرْكِ مَمْتَصِلَةٌ بِأَرْضِ سِجِسْتَانَ مِنْ غَرْبِهَا وَبِأَرْضِ كَابِلِ  
 الْهِنْدِ مِنْ جَنُوبِهَا وَفِي الشَّمَالِ عَنْ هَذِهِ الْجَبَالَاتِ جِبَالُ الْغُورِ وَبِلَادِهَا وَقَاعِدَتُهَا غَزَنَةُ  
 فَرُضَةُ الْهِنْدِ وَفِي آخِرِ الْغُورِ مِنَ الشَّمَالِ بِلَادُ أَسْتَرَابَادَ ثُمَّ فِي الشَّمَالِ غَرْبًا إِلَى آخِرِ  
 الْجُزْءِ بِلَادُ هَرَاتِ أَوْسَطُ خُرَّاسَانَ وَبِهَا اسْفَرَايُنُ وَقَاشَانُ وَبُوشَنُجُ وَمَرُؤُ الرُّودِ وَالطَّالِقَانُ  
 وَالْجُوزْجَانُ وَتَنْتَهِي خُرَّاسَانَ هُنَالِكَ إِلَى نَهْرِ جِيمُونُ وَعَلَى هَذَا النَّهْرِ مِنْ بِلَادِ خُرَّاسَانَ  
 مِنْ غَرْبِهِ مَدِينَةٌ بَلُخُ وَفِي شَرْقِيَّةِ مَدِينَتِهِ تَرُمْدُ وَمَدِينَةٌ بَلُخُ كَانَتْ كُرْسِيَّ مَمْلَكَةِ التُّرْكِ  
 وَهَذَا النَّهْرُ نَهْرُ جِيمُونُ مَخْرَجُهُ مِنْ بِلَادِ وَجَارِي فِي حُدُودِ بَدَخْشَانَ مِمَّا بَلِي الْهِنْدُ وَيَخْرُجُ  
 مِنْ جَنُوبِ هَذَا الْجُزْءِ وَعِنْدَ آخِرِهِ مِنَ الشَّرْقِ فَيَنْعَطِفُ عَنْ قُرْبٍ مَغْرِبًا إِلَى وَسَطِ الْجُزْءِ  
 وَيَسْمَى هُنَالِكَ نَهْرُ خَرَنْدَابُ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَمُرَّ بِخُرَّاسَانَ وَيَذْهَبُ عَلَى سَمْتِهِ  
 إِلَى أَنْ يَصُبَّ فِي بَحِيرَةِ خُوزَرَمَ فِي الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ كَمَا نَذَكُرُهُ وَيَمِدُّهُ عِنْدَ انْعِطَافِهِ  
 فِي وَسَطِ الْجُزْءِ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ خَمْسَةَ أَنْهَارٍ عَظِيمَةٍ مِنْ بِلَادِ الْخَتَلِ وَالْوَحْشِ

مِنْ شَرْفِيهِ وَأَنْهَارُ أُخْرَى مِنْ جِبَالِ الْبَتَمِ مِنْ شَرْفِيهِ أَيْضًا وَجَوْفِي الْجَبَلِ حَتَّى يَتَسَعَ  
 وَيَعْظُمُ بِمَا لَا كِنَاءَ لَهُ وَمِنْ هَذِهِ الْأَنْهَارِ الْخَمْسَةِ الْمَمْدُودَةِ نَهْرٌ وَخَشَابٌ يَخْرُجُ مِنْ بِلَادِ  
 التَّبْتِ وَهِيَ بَيْنَ الْجُنُوبِ وَالشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فَيَمُرُّ بِمَغْرَبِهَا بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّمَالِ إِلَى  
 أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ قَرِيبًا مِنْ شَمَالِ هَذَا الْجُزْءِ يَعْتَرِضُهُ فِي طَرِيقِهِ جَبَلٌ عَظِيمٌ  
 يَمُرُّ مِنْ وَسَطِ الْجُنُوبِ فِي هَذَا الْجُزْءِ مُشْرِقًا بِأَنْحِرَافٍ إِلَى الشَّمَالِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ إِلَى  
 الْجُزْءِ التَّاسِعِ قَرِيبًا مِنْ شَمَالِ هَذَا الْجُزْءِ فَيَجُوزُ بِلَادَ التَّبْتِ إِلَى الْقِطْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَيَحُولُ بَيْنَ التُّرْكِ وَبَيْنَ بِلَادِ الْخُتَلِ وَلا يَسُفِرُ فِيهِ إِلَّا سَمَكٌ وَاحِدٌ فِي وَسَطِ  
 الشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ جَعَلَ فِيهِ الْفُضْلُ بْنُ يَحْيَى سُدًّا وَبَنَى فِيهِ بَابًا كَسَدَ بَاجُوجَ وَمَاجُوجَ  
 فَإِذَا خَرَجَ نَهْرٌ وَخَشَابٌ مِنْ بِلَادِ التَّبْتِ وَأَعْتَرَضَهُ هَذَا الْجَبَلُ فَيَمُرُّ تَحْتَهُ فِي مَدَى بَعِيدٍ  
 إِلَى أَنْ يَمُرَّ فِي بِلَادِ الْوُخْشِ وَيَصُبُّ فِي نَهْرِ جَيْمُونٍ عِنْدَ حُدُودِ بَلْخِ ثُمَّ يَمُرُّ هَاطِطًا  
 إِلَى التُّرْمُذِ فِي الشَّمَالِ إِلَى بِلَادِ الْجُوزْجَانَ وَفِي الشَّرْقِ عَنِ بِلَادِ الْغُورِ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ  
 نَهْرِ جَيْمُونٍ بِلَادُ النَّاسَانَ مِنْ خُرَّاسَانَ وَفِي الْعُدُوتِ الشَّرْقِيَّةِ هُنَاكَ مِنَ النَّهْرِ بِلَادُ الْخُتَلِ  
 وَكَثْرَتُهَا جِبَالٌ وَبِلَادُ الْوُخْشِ وَبِحُدُودِهَا مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ جِبَالُ الْبَتَمِ تَخْرُجُ مِنْ طَرَفِ  
 خُرَّاسَانَ غَرْبِي نَهْرٍ جَيْمُونٍ وَتَذْهَبُ مُشْرِقَةً إِلَى أَنْ يَتَّصِلَ طَرَفُهَا بِالْجَبَلِ الْعَظِيمِ الَّذِي  
 خَلَقَهُ بِلَادُ التَّبْتِ وَيَمُرُّ تَحْتَهُ نَهْرٌ وَخَشَابٌ كَمَا قُلْنَا فَتَتَّصِلُ عِنْدَ بَابِ الْفُضْلِ بْنِ يَحْيَى  
 وَيَمُرُّ نَهْرٌ جَيْمُونٍ بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَأَنْهَارُ أُخْرَى تَصُبُّ فِيهِ مِنْهَا نَهْرُ بِلَادِ الْوُخْشِ يَصُبُّ  
 فِيهِ مِنَ الشَّرْقِ تَحْتَ التُّرْمُذِ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ وَنَهْرٌ بَلْخِ يَخْرُجُ مِنْ جِبَالِ الْبَتَمِ مَبْدَأُهُ عِنْدَ  
 الْجُوزْجَانَ وَيَصُبُّ فِيهِ مِنْ غَرْبِيهِ وَعَلَى هَذَا النَّهْرِ مِنْ غَرْبِيهِ بِلَادُ أَمِدٍ مِنْ خُرَّاسَانَ وَفِي  
 شَرْفِي النَّهْرِ مِنْ هُنَاكَ أَرْضُ الصَّغْدِ وَأَسْرُوشَنَةُ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ وَفِي شَرْفِيهَا أَرْضُ  
 فِرْغَانَةَ أَيْضًا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَكُلُّ بِلَادِ التُّرْكِ تَحُوزُهَا جِبَالُ الْبَتَمِ إِلَى شَمَالِهَا وَفِي  
 الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ غَرْبِهِ أَرْضُ التَّبْتِ إِلَى وَسَطِ الْجُزْءِ وَفِي جَنُوبِهَا بِلَادُ الْهِنْدِ وَفِي  
 شَرْفِيهَا بِلَادُ الصِّينِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي أَسْفَلِ هَذَا الْجُزْءِ شَمَالًا عَنِ بِلَادِ التَّبْتِ بِلَادُ  
 الْخَزْجِيَّةِ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَشَمَالًا وَيَتَّصِلُ بِهَا مِنْ غَرْبِهَا أَرْضُ  
 فِرْغَانَةَ أَيْضًا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَمِنْ شَرْفِيهَا أَرْضُ التَّغْرَعْرِ مِنَ التُّرْكِ إِلَى الْجُزْءِ شَرْقًا  
 وَشَمَالًا . وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ فِي الْجُنُوبِ مِنْهُ جَمِيعًا بَقِيَّةُ الصِّينِ وَأَسَافِلُهُ وَفِي الشَّمَالِ بَقِيَّةُ

بلاد النغر غر ثم شرقاً عنهم بلاد خرخير من الترك أيضاً إلى آخر الجزء شرقاً وفي  
 الشمال من أرض خرخير بلاد كتمان من الترك وقبالتها في البحر المحيط جزيرة  
 الياقوت في وسط جبل مستدير لا منقذ منه إليها ولا مسلك والصعود إلى أعلاه من  
 خارجه صعب في الغاية وفي الجزير قيات قتالة وحصى من الياقوت كثيرة فيحتال أهل  
 تلك الناحية بما يلهمهم الله إليه وأهل هذه البلاد في هذا الجزء التاسع والعاشر فيما  
 وراء خراسان والجمال كلها بحالات للترك أم لا تحصى وهم ظواغن رحالة أهل ابل  
 وشاء وبقر وخيل للنتاج والركوب والأكل وطوائفهم كثيرة لا يخصيهم إلا  
 خالقهم وفيهم مسلمون مما يلي بلاد النهر نهر جيحون ويعزون الكفار منهم الدائنين  
 بالحبوسية فيبيعون رقيقهم لمن يليهم ويخرجون إلى بلاد خراسان والهند والعراق  
 الأقليم الرابع \* يتصل بالثالث من جهة الشمال والجزء الأول منه في غربيه  
 قطعة من البحر المحيط مستطيلة من أوله جنوباً إلى آخره شمالاً وعليها في الجنوب  
 مدينة طنجة ومن هذه القطعة تحت طنجة من البحر المحيط إلى البحر الرومي في خليج  
 متضايق بمقدار اثني عشر ميلاً ما بين طرف والجزيرة الخضراء شمالاً وقصر النجاز  
 وسبته جنوباً ويذهب مشرقاً إلى أن ينتهي إلى وسط الجزء الخامس من هذا الأقليم  
 ويتفسخ في ذهابه بتدرج إلى أن يعمر الأربعة الأجزاء وأكثر الخامس من هذا  
 الأقليم الثالث والخامس كما سنذكره ويسمى هذا البحر الشامي أيضاً وفيه  
 جزائر كثيرة أعظمها في جهة الغرب يابسة ثم ما يرفه ثم مرفقة ثم سردانية ثم صقلية  
 وهي أعظمها ثم بلوس ثم اقريطس ثم قبرص كما نذكرها كلها في أجزاءها التي وقعت  
 فيها ويخرج من هذا البحر الرومي عند آخر الجزء الثالث منه وفي الجزء الثالث من  
 الأقليم الخامس خليج البنادقة يذهب إلى ناحية الشمال ثم يتعطف عند وسط الجزء  
 من جوفه ويمر مغرباً إلى أن ينتهي في الجزء الثاني من الخامس ويخرج منه أيضاً في  
 آخر الجزء الرابع شرقاً من الأقليم الخامس خليج القسطنطينية يمر في الشمال  
 متضيقاً في عرض رمية السهم إلى آخر الأقليم ثم يفضي إلى الجزء الرابع من الأقليم  
 السادس ويتعطف إلى بحر نيطس ذاهباً إلى الشرق في الجزء الخامس كله ونصف  
 السادس من الأقليم السادس كما نذكر ذلك في أماكنه وعند ما يخرج هذا البحر

الرُّومِيُّ مِنَ الْبَحْرِ الْحَمِيطِ فِي خَلِيجٍ طَنْجَةَ وَيَنْسَحُ إِلَى الْإِفْلِيمِ الْآلِثِ بَقِيَ فِي الْجَنُوبِ  
عَنْ الْخَلِيجِ قِطْعَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِيهَا مَدِينَةٌ طَنْجَةَ عَلَى جَمْعِ الْبَحْرَيْنِ وَبَعْدَهَا  
مَدِينَةٌ سَبْتَةٌ عَلَى الْبَحْرِ الرُّومِيِّ ثُمَّ قَطَاوُنٌ ثُمَّ بَادِيسٌ ثُمَّ يَغْمُرُ هَذَا الْبَحْرُ بَقِيَّةَ هَذَا الْجُزْءِ  
شَرْقًا وَيَخْرُجُ إِلَى الثَّلَاثِ وَكَثُرَ الْعِمَارَةُ فِي هَذَا الْجُزْءِ فِي شِمَالِهِ وَشَمَالِ الْخَلِيجِ مِنْهُ  
وَهِيَ كَلْبًا بِلَادُ الْأَنْدَلُسِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهَا مَا بَيْنَ الْبَحْرِ الْحَمِيطِ وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ أَوْلَاهَا طَرِيفٌ  
عِنْدَ جَمْعِ الْبَحْرَيْنِ وَفِي الشَّرْقِ مِنْهَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ الْجَزِيرَةُ الْخَضْرَاءُ ثُمَّ  
مَالِقَةٌ ثُمَّ الْمَنْقَبُ ثُمَّ الْمَرْيَّةُ وَتَحْتَ هَذِهِ مِنْ لَدُنِ الْبَحْرِ الْحَمِيطِ غَرْبًا وَعَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُ  
شَرِيشٌ ثُمَّ كَبَلَةٌ وَقِبَالَتُهَا فِيهِ جَزِيرَةٌ فَادَسٌ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ شَرِيشَ وَكَبَلَةَ إِشْبِيلِيَّةٌ ثُمَّ  
أَسْتَجَّةٌ وَقَرْطُبَةٌ وَمَدِيلَةٌ ثُمَّ غَرْطَاةٌ وَجِيَانٌ وَابْدَةٌ ثُمَّ وَادِيَاشُ وَبَسْطَةٌ وَتَحْتَ هَذِهِ  
شَنْتَمَرِيَّةٌ وَشَابُ عَلَى الْبَحْرِ الْحَمِيطِ غَرْبًا وَفِي الشَّرْقِ عَنْهُمَا بَطْلَيْسُ وَمَارِدَةٌ وَيَابِرَةٌ  
ثُمَّ غَافِقُ وَيَرْجَالَةٌ ثُمَّ قَاعَةٌ رِيَاخٌ وَتَحْتَ هَذِهِ أَشْبُونَةٌ عَلَى الْبَحْرِ الْحَمِيطِ غَرْبًا وَعَلَى نَهْرِ  
بَاجَةٍ وَفِي الشَّرْقِ عَنْهَا شَنْتَرِينٌ وَمَوْزِيَّةٌ عَلَى النَّهْرِ الْمُدْ كُورٌ ثُمَّ فَنْطَرَةُ السَّيْفِ وَيَسَامَتْ  
أَشْبُونَةٌ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ جَبَلُ الشَّارَاتِ يَبْدَأُ مِنَ الْمَغْرِبِ هُنَاكَ وَيَذْهَبُ مُشْرِقًا مَعَ  
آخِرِ الْجُزْءِ مِنْ شَمَالِهِ فَيَنْتَهِي إِلَى مَدِينَةِ سَالِمٍ فِيمَا بَعْدَ النِّصْفِ مِنْهُ وَتَحْتَ هَذَا الْجَبَلِ  
طَلْبِيرَةٌ فِي الشَّرْقِ مِنْ فُورَنَةٍ ثُمَّ طَلْبِيلَةٌ ثُمَّ وَادِي الْحِجَارَةِ ثُمَّ مَدِينَةُ سَالِمٍ وَعِنْدَ أَوَّلِ  
هَذَا الْجَبَلِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَشْبُونَةَ بَلَدٌ قَلْمَرِيَّةٌ وَهَذِهِ غَرْبِيَّةُ الْأَنْدَلُسِ . وَأَمَّا شَرْقِي الْأَنْدَلُسِ  
فَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ مِنْهَا بَعْدَ الْمَرْيَّةِ قَرْطَاجِنَةٌ ثُمَّ لَفْتَةٌ ثُمَّ دَانِيَّةٌ ثُمَّ بَلَسِيَّةٌ إِلَى  
طَرْطُوشَةَ آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّرْقِ وَتَحْتَهَا شِمَالًا لِيُورْقَةَ وَشَقُورَةَ ثُنَاخِمَانَ بَسْطَةٌ وَقَاعَةٌ رِيَاخٌ  
مِنْ غَرْبِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ مَرْسِيَّةٌ شَرْقًا ثُمَّ شَاطِبَةٌ تَحْتَ بَلَسِيَّةِ شِمَالًا ثُمَّ شَقْرُثٌ ثُمَّ طَرْطُوشَةٌ  
ثُمَّ طَرْكُونَةُ آخِرِ الْجُزْءِ ثُمَّ تَحْتَ هَذِهِ شِمَالًا أَرْضٌ مُنْجَالَةٌ وَرِيدَةٌ مُتَخِمَانٌ لَشَقُورَةَ  
وَطَلْبِيلَةَ مِنَ الْغَرْبِ ثُمَّ أَفْرَاعَةٌ شَرْقًا تَحْتَ طَرْطُوشَةَ وَشِمَالًا عَنْهَا ثُمَّ فِي الشَّرْقِ عَنْ مَدِينَةِ  
سَالِمٍ قَاعَةُ أَيُوبَ ثُمَّ سِرْقِسْطَةَ ثُمَّ لَارِدَةَ آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَشِمَالًا . وَالْجُزْءُ الثَّانِي مِنْ هَذَا  
الْإِفْلِيمِ غَسَرَ الْمَاءَ جَمِيعَهُ إِلَّا قِطْعَةً مِنْ غَرْبِيَّةِ فِي الشَّمَالِ فِيهَا بَقِيَّةُ جَبَلِ الْبُرْنَاتِ وَمَعْنَاهُ  
جَبَلُ الثَّنَائِيَا وَالسَّالِكُ يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْ آخِرِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنَ الْإِفْلِيمِ الْخَامِسُ يَبْدَأُ مِنَ  
الْطَّرَفِ الْمُنْتَهِي مِنَ الْبَحْرِ الْحَمِيطِ عِنْدَ ذَلِكَ الْجُزْءِ جَنُوبًا وَشَرْقًا وَيَمُرُّ فِي الْجَنُوبِ

بِأَنْحَرافٍ إِلَى الشَّرْقِ فَيَخْرُجُ فِي هَذَا الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ مُنْحَرَفًا عَنِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنْهُ إِلَى  
هَذَا الْجُزْءِ الثَّانِي فَيَقَعُ فِيهِ قِطْعَةٌ مِنْهُ تُقْضِي ثَمَانِيًا إِلَى الْبَرِّ الْمُتَّصِلِ وَتُسَمَّى أَرْضَ  
عَشْكَونِيَّةٍ وَفِيهِ مَدِينَةٌ خَرِيدَةٌ وَقَرْقَسُونَةٌ وَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
مَدِينَةٌ بَرَسْلُونَةٌ ثُمَّ أَرْبُونَةٌ وَفِي هَذَا الْبَحْرِ الَّذِي عَمَّرَ الْجُزْءُ جَزَائِرَ كَثِيرَةً وَالْكَثِيرُ  
مِنْهَا غَيْرُ مَسْكُونٍ لِصِغَرِهَا فِي غَرْبِيهِ جَزِيرَةُ سِرْدَانِيَّةٍ وَفِي شَرْقِيهِ جَزِيرَةُ صَقْلِيَّةٍ مُتَّسِعَةٌ  
الْأَقْطَارُ يُقَالُ إِنْ دَوَّرَهَا سَبْعُمِائَةٍ مِيلَ وَبِهَا مَدُنٌ كَثِيرَةٌ مِنْ مَشَاهِيرِهَا سَرْفُوسَةٌ  
وَبَلْرَمٌ وَطَرَابِغَةٌ وَمَازَرٌ وَمَسِينِي وَهَذِهِ الْجَزِيرَةُ تُقَابِلُ أَرْضَ أَفْرِيْقِيَّةٍ وَفِيهَا بَيْنَهُمَا جَزِيرَةُ  
أَعْدُوشٍ وَمَالِطَةٌ وَالْجُزْءُ الثَّلَاثُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مَعْمُورٌ أَيْضًا بِالْبَحْرِ إِلَّا ثَلَاثَ قِطْعٍ  
مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهَا أَرْضُ فُلُورِيَّةٍ وَالْوَسْطَى مِنْ أَرْضِ أَبْكِيرِدَةٍ وَالشَّرْقِيَّةُ  
مِنْ بِلَادِ الْبِنَادِقَةِ وَالْجُزْءُ الرَّابِعُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مَعْمُورٌ أَيْضًا بِالْبَحْرِ كَمَا مَرَّ وَجَزَائِرُهُ  
كَثِيرَةٌ وَأَكْثَرُهَا غَيْرُ مَسْكُونٍ كَمَا فِي الثَّلَاثِ وَالْمَعْمُورُ مِنْهَا جَزِيرَةُ بَلُونَسٍ فِي النَّاحِيَةِ  
الْغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ وَجَزِيرَةُ أَفْرِيْطَشٍ مُسْتَطِيلَةٌ مِنْ وَسْطِ الْجُزْءِ إِلَى مَا بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ  
مِنْهُ وَالْجُزْءُ الْخَامِسُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ عَمَّرَ الْبَحْرَ مِنْهُ مِائَةٌ كَبِيرَةٌ بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالْغَرْبِ  
يَنْتَهِي الضَّلْعُ الْغَرْبِيُّ مِنْهَا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّمَالِ وَيَنْتَهِي الضَّلْعُ الْجَنُوبِيُّ مِنْهَا إِلَى  
نَحْوِ الثَّلَاثِينَ مِنَ الْجُزْءِ وَيَبْقَى فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْجُزْءِ قِطْعَةٌ نَحْوَ الثَّلَاثِ يَمُرُّ الشَّمَالِي  
مِنْهَا إِلَى الْغَرْبِ مُنْعَطِفًا مَعَ الْبَحْرِ كَمَا قُلْنَا وَفِي النِّصْفِ الْجَنُوبِيِّ مِنْهَا أَسْفَلُ الشَّامِ  
وَيَمُرُّ فِي وَسْطِهَا جَبَلُ الْبِكَامِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الشَّامِ فِي الشَّمَالِ فَيَنْعَطِفُ  
مِنْ هُنَاكَ ذَاهِبًا إِلَى الْقَطْرِ الشَّرْقِيِّ الشَّمَالِيِّ وَيُسَمَّى بَعْدَ انْعِطَافِهِ جَبَلُ السَّلْسِلَةِ وَمِنْ  
هُنَاكَ يَخْرُجُ إِلَى الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَيَجُوزُ مِنْ عِنْدِ مُنْعَطِفِهِ قِطْعَةٌ مِنْ بِلَادِ الْجَزِيرَةِ إِلَى  
جِهَةِ الشَّرْقِ وَيَقُومُ مِنْ عِنْدِ مُنْعَطِفِهِ مِنْ جِهَةِ الْمَغْرِبِ جِبَالٌ مُتَّصِلَةٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ إِلَى  
أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى طَرَفٍ خَارِجٍ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ مُتَأَخِّرٍ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الشَّمَالِ  
وَبَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ ثَمَانِيًا تُسَمَّى الدُّرُوبُ وَهِيَ الَّتِي تُقْضِي إِلَى بِلَادِ الْأَرَمَنِ وَفِي هَذَا الْجُزْءِ  
قِطْعَةٌ مِنْهَا بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَبَيْنَ جَبَلِ السَّلْسِلَةِ فَأَمَّا الْجِهَةُ الْجَنُوبِيَّةُ الَّتِي قَدَّمْنَا أَنْ فِيهَا  
أَسْفَلُ الشَّامِ وَإِنَّ جَبَلُ الْبِكَامِ مُعْطَرِضٌ فِيهَا بَيْنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَآخِرِ الْجُزْءِ مِنَ  
الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ فَعَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ بَلَدٌ أَنْطَرُطُوسَ فِي أَوَّلِ الْجُزْءِ مِنَ الْجَنُوبِ مُتَّحِمَةٌ

لِعَزَّةَ وَطَرَابُلسَ عَلَى سَاحِلِهِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ فِي شَمَالِ أَنْطَرطُوسَ جَبَلَةً ثُمَّ اللَّادِقِيَّةَ  
 ثُمَّ اسْكَنْدَرُونَةَ ثُمَّ سَلُوقِيَّةَ وَبَعْدَهَا شَمَالًا بِلَادُ الرُّومِ وَأَمَّا جَبَلُ الْأَكْكَامِ الْمَعْتَرِضُ  
 بَيْنَ الْبَحْرِ وَآخِرِ الْجُزْءِ بِحَافَاتِهِ فَيَصَاقِبُهُ مِنْ بِلَادِ الشَّامِ مِنْ أَعْلَى الْجُزْءِ جَنُوبًا مِنْ غَرْبِيهِ  
 حُصْنُ الْحَوَانِي وَهُوَ لِلْحَشِيشَةِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ وَيَعْرِفُونَ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْفِدَاوِيَّةِ وَيُسَمَّى مَصِيَّاتٍ  
 وَهُوَ قِبَالَةُ أَنْطَرطُوسَ وَقِبَالَةُ هَذَا الْحُصْنِ فِي شَرْقِ الْجَبَلِ بَلَدٌ سَلْمِيَّةٌ فِي الشَّمَالِ عَنِ  
 حُصْنِ فِي الشَّمَالِ وَفِي مَصِيَّاتٍ بَيْنَ الْجَبَلِ وَالْبَحْرِ بَلَدٌ أَنْطَاكِيَّةٌ وَيُقَالُ بِهَا فِي شَرْقِ الْجَبَلِ  
 الْمَعْرَةَ وَفِي شَرْفِهَا الْمِرَاعَةَ وَفِي شَمَالِ أَنْطَاكِيَّةِ الْمَصِيصَةَ ثُمَّ أَذَنَةٌ ثُمَّ طَرَسُوسُ آخِرُ  
 الشَّامِ وَيَحَاطِ بِهَا مِنْ غَرْبِ الْجَبَلِ قَسْرِينَ ثُمَّ عَيْنُ زُرْبَةَ وَقِبَالَةُ قَسْرِينَ فِي شَرْقِ  
 الْجَبَلِ حَلْبٌ وَيُقَابِلُ عَيْنَ زُرْبَةَ مِنْجَ آخِرِ الشَّامِ وَأَمَّا الدَّرُوبُ فَعَنْ يَمِينِهَا مَا  
 بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ بِلَادُ الرُّومِ الَّتِي هِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ لِلتُّرْكْمَانَ وَسَاطِئِهَا  
 أَبُو عَثْمَانَ وَفِي سَاحِلِ الْبَحْرِ مِنْهَا بَلَدٌ أَنْطَاكِيَّةٌ وَالْعَلَايَا وَأَمَّا بِلَادُ الْأَرَمَنِ الَّتِي بَيْنَ  
 جَبَلِ الدَّرُوبِ وَجَبَلِ السَّلْسَلَةِ فَمِنْهَا بَلَدٌ مَرْعَشٌ وَمَلَطِيَّةٌ وَالْمَعْرَةَ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ الشَّمَالِيِّ  
 وَيَخْرُجُ مِنَ الْجُزْءِ الْخَامِسِ فِي بِلَادِ الْأَرَمَنِ نَهْرٌ حَيْحَانٌ وَنَهْرٌ سِيحَانٌ فِي شَرْقِيهِ فَيَمُرُّ بِهَا  
 حَيْحَانٌ جَنُوبًا حَتَّى يَتَجَاوَزَ الدَّرُوبَ ثُمَّ يَمُرُّ بِطَرَسُوسَ ثُمَّ بِالْمَصِيصَةِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ هَاطِطًا  
 إِلَى الشَّمَالِ وَمُغْرَبًا حَتَّى يَصُبَّ فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ جَنُوبَ سَلُوقِيَّةَ وَيَمُرُّ نَهْرٌ سِيحَانٌ  
 مُوَازِيًا لِلنَّهْرِ حَيْحَانٌ فَيَحَاطِزُ الْمَعْرَةَ وَمَرْعَشَ وَيَتَجَاوَزُ جِبَالَ الدَّرُوبِ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ  
 ثُمَّ يَمُرُّ بِعَيْنِ زُرْبَةَ وَيَجُوزُ عَنْ نَهْرِ حَيْحَانٍ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الشَّمَالِ مُغْرَبًا فَيَخْتَلِطُ بِنَهْرِ  
 حَيْحَانٍ عِنْدَ الْمَصِيصَةِ وَمِنْ غَرْبِهَا وَأَمَّا بِلَادُ الْجُزْءِ الْوَالِيَّةِ الَّتِي يُحِيطُ بِهَا مَنَعُطُفُ جَبَلِ الْأَكْكَامِ  
 إِلَى جَبَلِ السَّلْسَلَةِ فِي جَنُوبِهَا بَلَدُ الرَّافِضَةِ وَالرَّقَّةَ ثُمَّ حُرَّانَ ثُمَّ سَرُوجَ وَالرَّهَاءَ ثُمَّ نَصِيبِينَ  
 ثُمَّ سَمِيسَاطَ وَأَمْدَ تَحْتَ جَبَلِ السَّلْسَلَةِ وَآخِرُ الْجُزْءِ مِنْ شِمَالِهِ وَهُوَ أَيْضًا آخِرُ الْجُزْءِ مِنْ  
 شَرْقِيهِ وَيَمُرُّ فِي وَسَطِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ نَهْرُ الْفُرَاتِ وَنَهْرٌ دِجْلَةٌ يَخْرُجَانِ مِنَ الْإِقْلِيمِ  
 الْخَامِسِ وَيَمُرُّانِ فِي بِلَادِ الْأَرَمَنِ جَنُوبًا إِلَى أَنْ يَتَجَاوَزَا جَبَلِ السَّلْسَلَةِ فَيَمُرُّ نَهْرُ الْفُرَاتِ  
 مِنْ غَرْبِي سَمِيسَاطَ وَسَرُوجَ وَيَعْرِفُ إِلَى الشَّرْقِ فَيَمُرُّ بِقُرْبِ الرَّافِضَةِ وَالرَّقَّةَ وَيَخْرُجُ  
 إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ وَيَمُرُّ دِجْلَةٌ فِي شَرْقِ أَمْدَ وَيَنْعَطِفُ قَرِيبًا إِلَى الشَّرْقِ فَيَخْرُجُ قَرِيبًا  
 إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مِنْ غَرْبِيهِ بِلَادُ الْجُزْءِ الْوَالِيَّةِ وَفِي

الشَّرْقِ مِنْهَا بِلَادُ الْعِرَاقِ مُتَّصِلَةٌ بِهَا تَنْتَهِي فِي الشَّرْقِ إِلَى قُرْبِ آخِرِ الْجُزْءِ وَيَعْتَرِضُ  
 مِنْ آخِرِ الْعِرَاقِ هُنَاكَ جَبَلٌ أَصْبَهَانَ هَابِطًا مِنْ جَنُوبِ الْجُزْءِ مُنْحَرِفًا إِلَى الْغَرْبِ فَإِذَا  
 أَنْتَهَى إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ مِنْ آخِرِهِ فِي الشَّمَالِ يَذْهَبُ مُغْرَبًا إِلَى أَنْ يُخْرَجَ مِنَ الْجُزْءِ  
 السَّادِسِ وَيَتَّصِلَ عَلَى سَمْتِهِ بِجَبَلِ السَّلْسِلَةِ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ فَيَنْقَطِعُ هَذَا الْجُزْءُ السَّادِسُ  
 بِقِطْعَتَيْنِ غَرْبِيَّةٍ وَشَرْقِيَّةٍ فِي الْغَرْبِيَّةِ مِنْ جَنُوبِهَا تَخْرُجُ الْفُرَاتُ مِنَ الْخَامِسِ وَفِي شَمَالِهَا  
 تَخْرُجُ دِجْلَةٌ مِنْهُ أَمَّا الْفُرَاتُ فَأَوَّلُ مَا يُخْرَجُ إِلَى السَّادِسِ يَمُرُّ بِقَرْفَيْسِيَا وَيَخْرُجُ مِنْ  
 هُنَاكَ جَدُولٌ إِلَى الشَّمَالِ يَنْسَابُ فِي أَرْضِ الْجَزِيرَةِ وَيَغُوصُ فِي نَوَاحِيهَا وَيَمُرُّ مِنْ  
 قَرْفَيْسِيَا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الْجَنُوبِ فَيَمُرُّ بِقُرْبِ الْخَابُورِ إِلَى غَرْبِ الرَّحْبَةِ وَيَخْرُجُ  
 مِنْهُ جَدَاوِلٌ مِنْ هُنَاكَ يَمُرُّ جَنُوبًا وَيَبْقَى صَفَيْنِ فِي غَرْبِهِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ شَرْقًا وَيَنْقَسِمُ  
 بِشُعُوبٍ فَيَمُرُّ بَعْضُهَا بِالْكُوفَةِ وَبَعْضُهَا بِقَصْرِ ابْنِ هَبِيرَةَ وَبِالْجَامِعَيْنِ وَتَخْرُجُ جَمِيعًا فِي  
 جَنُوبِ الْجُزْءِ إِلَى الْإِفْلِيمِ الثَّلَاثِ فَيَغُوصُ هُنَاكَ فِي شَرْقِ الْحَيْرَةِ وَالْقَادِسِيَّةِ وَيَخْرُجُ  
 الْفُرَاتُ مِنَ الرَّحْبَةِ مُشْرَقًا عَلَى سَمْتِهِ إِلَى هَيْتٍ مِنْ شَمَالِهَا يَمُرُّ إِلَى الزَّابِ وَالْأَنْبَارِ مِنْ  
 جَنُوبِهَا ثُمَّ يَصُبُّ فِي دِجْلَةٍ عِنْدَ بَغْدَادَ . وَأَمَّا نَهْرُ دِجْلَةٍ فَإِذَا دَخَلَ مِنَ الْجُزْءِ الْخَامِسِ  
 إِلَى هَذَا الْجُزْءِ يَمُرُّ بِجَزِيرَةِ ابْنِ عُمَرَ عَلَى شَمَالِهَا ثُمَّ بِالْمَوْصِلِ كَذَلِكَ وَتَكَرَّرَتْ وَتَنْتَهِي  
 إِلَى الْحُدَيْثَةِ فَيَنْعَطِفُ جَنُوبًا وَتَبْقَى الْحُدَيْثَةُ فِي شَرْقِهِ وَالزَّابُ الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ كَذَلِكَ  
 وَيَمُرُّ عَلَى سَمْتِهِ جَنُوبًا وَفِي غَرْبِ الْقَادِسِيَّةِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى بَغْدَادَ وَيَخْتَلِطُ بِالْفُرَاتِ  
 ثُمَّ يَمُرُّ جَنُوبًا عَلَى غَرْبِ جَرَجَرِيَا إِلَى أَنْ يُخْرَجَ مِنَ الْجُزْءِ إِلَى الْإِفْلِيمِ الثَّلَاثِ فَتَنْتَشِرُ  
 هُنَاكَ شُعُوبُهُ وَجَدَاوِلُهُ ثُمَّ يَجْتَمِعُ وَيَصُبُّ هُنَاكَ فِي بَحْرِ فَارِسَ عِنْدَ عِبَادَانَ وَفِيمَا بَيْنَ  
 نَهْرِ أَدِجْلَةٍ وَالْفُرَاتِ قَبْلَ جَمْعِهِمَا بِبَغْدَادَ هِيَ بِلَادُ الْجَزِيرَةِ وَيَخْتَلِطُ بِنَهْرِ دِجْلَةٍ بَعْدَ  
 مُفَارَقَتِهِ بِبَغْدَادَ نَهْرٌ آخَرٌ يَأْتِي مِنَ الْجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْهُ وَيَنْتَهِي إِلَى بِلَادِ النَّهْرَوَانَ  
 قِبَالَ بَغْدَادَ شَرْقًا ثُمَّ يَنْعَطِفُ جَنُوبًا وَيَخْتَلِطُ بِدِجْلَةٍ قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى الْإِفْلِيمِ الثَّلَاثِ وَبَقِيَ  
 مَا بَيْنَ هَذَا النَّهْرِ وَبَيْنَ جَبَلِ الْعِرَاقِ وَالْأَعَاجِمِ بِلَدِ جُلُولَاءَ وَفِي شَرْقِهَا عِنْدَ الْجَبَلِ بِلَدِ حُلُوانَ  
 وَصَيْمِرَةَ . وَأَمَّا الْقِطْعَةُ الْغَرْبِيَّةُ مِنَ الْجُزْءِ فَيَعْتَرِضُهَا جَبَلٌ بَدَأَ مِنْ جَبَلِ الْأَعَاجِمِ مُشْرَقًا  
 إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَيَسْمَى جَبَلُ شَهْرُزُورَ وَيَقْسِمُهَا بِقِطْعَتَيْنِ فِي الْجَنُوبِ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
 الصُّغْرَى بِلَدُ خَوَنْجَانَ مِنَ الْغَرْبِ وَالشَّمَالِ عَنَ أَصْبَهَانَ وَتَسْمَى هَذِهِ الْقِطْعَةُ بِلَدِ الْهَلُوسِ

وَفِي وَسْطِهَا بَلَدٌ مَهَاوِنْدٌ وَفِي شِمَالِهَا بَلَدٌ شَهْرُ زُورٍ غَرْبًا عِنْدَ مَلْتَقَى الْجَبَلَيْنِ وَالِدَيْنُورُ شَرْقًا  
 عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي الْقِطْعَةِ الصُّغْرَى الثَّانِيَةِ طَرْفٌ مِنْ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةٍ قَاعِدَتُهَا الْمَرَاغَةُ  
 وَالَّذِي يُقَابِلُهَا مِنْ جَبَلِ الْعِرَاقِ يُسَمَّى بَارِيَا وَهُوَ مَسَاكِنٌ لِلْأَكْرَادِ وَالزَّابِ الْكَبِيرِ  
 وَالصُّغِيرِ الَّذِي عَلَى دِجَالَةِ مِنْ وَرَائِهِ وَفِي آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ بِلَادٌ أَدْرِييَجَانُ  
 وَمِنْهَا تَبْرِيْزُ وَالْبَيْدَقَانُ وَفِي الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنْ بَحْرِ نِيطَشَ  
 وَهُوَ بَحْرٌ أَخْزَرٌ وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ مِنْ غَرْبِهِ وَجَنُوبِهِ مُعْظَمُ بِلَادِ الْهَلُوسِ  
 وَفِيهَا هَمْدَانُ وَقَزْوِينُ وَبَقِيَّتُهَا فِي الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَفِيهَا هُنَالِكَ أَصْهَانَ وَيُحِيطُ بِهَا مِنْ  
 الْجَنُوبِ جَبَلٌ يُخْرُجُ مِنْ غَرْبِهَا وَيَمُرُّ بِالْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ إِلَى  
 الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَتَّصِلُ بِجَبَلِ الْعِرَاقِ فِي شَرْقِيهِ الَّذِي مَرَّ ذِكْرُهُ هُنَالِكَ وَإِنَّهُ مُحِيطٌ  
 بِبِلَادِ الْهَلُوسِ فِي الْقِطْعَةِ الشَّرْقِيَّةِ وَيَهْبِطُ هَذَا الْجَبَلُ الْخَمِيسُ بِأَصْهَانَ مِنَ الْإِقْلِيمِ  
 الثَّلَاثِ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ وَيَخْرُجُ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ السَّابِعِ فَيُحِيطُ بِبِلَادِ الْهَلُوسِ مِنْ شَرْقِهَا  
 وَتَحْتَهُ هُنَالِكَ قَاشَانَ ثُمَّ قُمْ وَيَنْعَطِفُ فِي قُرْبِ النُّصْفِ مِنْ طَرِيقِهِ مُغْرَبًا بَعْضَ الشَّيْءِ ثُمَّ  
 يَرْجِعُ مُسْتَدِيرًا فَيَذْهَبُ مُسْتَرْقًا وَمُنْحَرَفًا إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ  
 وَيَشْتَمِلُ عَلَى مُنْعَطِفِهِ وَأَسْتِدَارَتِهِ عَلَى بَلَدِ الرَّيِّ فِي شَرْقِيهِ وَبَدَأُ مِنْ مُنْعَطِفِهِ جَبَلٌ  
 آخَرٌ يَمُرُّ غَرْبًا إِلَى آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ وَمِنْ جَنُوبِهِ مِنْ هُنَالِكَ قَزْوِينُ وَمِنْ جَانِبِهِ الشَّمَالِيِّ  
 وَجَانِبِ جَبَلِ الرَّيِّ الْمُتَّصِلِ مَعَهُ ذَاهِبًا إِلَى الشَّرْقِ وَالشَّمَالِ إِلَى وَسْطِ الْجُزْءِ ثُمَّ إِلَى  
 الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ بِلَادِ طَبْرَسْتَانَ فِيمَا بَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ وَبَيْنَ قِطْعَةٍ مِنْ بَحْرِ طَبْرَسْتَانَ  
 وَيَدْخُلُ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ فِي هَذَا الْجُزْءِ فِي نَحْوِ النُّصْفِ مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِيهِ وَيَعْتَرِضُ  
 عِنْدَ جَبَلِ الرَّيِّ وَعِنْدَ أَنْعَاطِهِ إِلَى الْغَرْبِ جَبَلٌ مُتَّصِلٌ يَمُرُّ عَلَى سَمْتِهِ مُسْتَرْقًا وَبِالْمُحْرَافِ  
 قَلِيلٍ إِلَى الْجَنُوبِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ غَرْبِهِ وَيَبْقَى بَيْنَ جَبَلِ الرَّيِّ وَهَذَا  
 الْجَبَلِ مِنْ عِنْدِ مَبْدَأِهَا بِلَادُ جُرْجَانَ فِيمَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ وَمِنْهَا بِسْطَامُ وَوَرَاءَ هَذَا الْجَبَلِ  
 قِطْعَةٌ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِيهَا بَقِيَّةُ الْمَفَازَةِ الَّتِي بَيْنَ فَارَسَ وَخُرَّاسَانَ وَهِيَ فِي شَرْقِيِّ قَاشَانَ  
 وَفِي آخِرِهَا عِنْدَ هَذَا الْجَبَلِ بَلَدٌ اسْتِرَابَادُ وَحَافَاتُ هَذَا الْجَبَلِ مِنْ شَرْقِيهِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
 بِلَادُ نِسَابُورَ مِنْ خُرَّاسَانَ فِي جَنُوبِ الْجَبَلِ وَشَرْقِ الْمَفَازَةِ بَلَدُ نِسَابُورَ ثُمَّ مَرُّ الشَّاهِجَانَ  
 آخِرِ الْجُزْءِ وَفِي شِمَالِهِ وَشَرْقِيِّ جُرْجَانَ بَلَدُ مَهْرَجَانَ وَخَازِرُونَ وَطُوسٌ آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا

وَكُلُّ هَذَا تَحْتَ الْجَبَلِ وَفِي الشَّمَالِ عَنْهَا بِلَادٌ نَسَا وَيُحِيطُ بِهَا عِنْدَ زَاوِيَةِ الْجَزَيْنِ الشَّمَالِ وَالشَّرْقِ  
 مَنَاوِزٌ مَعْطَلَةٌ. وَفِي الْجَزءِ الثَّامِنِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ وَفِي غَرْبِيهِ نَهْرٌ يُحْيُونَ ذَاهِبًا مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى  
 الشَّمَالِ فِي عُدُوْتِهِ الْغَرْبِيَّةِ رَمَمٌ وَأَمَلٌ مِنْ بِلَادِ خِرَاسَانَ وَالظَّاهِرِيَّةِ وَالْمَجْرَجَانِيَّةِ مِنْ بِلَادِ  
 خُوَارِزْمٍ وَيُحِيطُ بِالزَّوِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهُ جَبَلٌ اسْتَرَابَادُ الدُّعْرَضِ فِي الْجَزءِ السَّابِعِ  
 قَبْلَهُ وَيَخْرُجُ فِي هَذَا الْجَزءِ مِنْ غَرْبِيهِ وَيُحِيطُ بِهَذِهِ الزَّوِيَةِ وَفِيهَا بَقِيَّةُ بِلَادِ هَرَازَةَ وَأَجْوَزَخَانَ  
 حَتَّى يَتَّصِلَ بِجَبَلِ الْبَتَمِ كَمَا ذَكَرْنَا هُنَاكَ وَفِي شَرْقِي نَهْرٍ جِيحُونَ مِنْ هَذَا الْجَزءِ وَفِي الْجَنُوبِ  
 مِنْهُ بِلَادُ بَخَارَى ثُمَّ بِلَادُ الصَّغْدِ وَقَاعَدَتُهَا سَمَرْقَنْدٌ ثُمَّ سَرْدَارَا وَأُشْنَهُ وَمِنْهَا حَجَنْدَةُ آخِرُ الْجَزءِ  
 شَرْقَا وَفِي الشَّمَالِ عَنْ سَمَرْقَنْدِ وَسَرْدَارَا وَأُشْنَهُ أَرْضٌ يُبْلَقُ <sup>(١)</sup> ثُمَّ فِي الشَّمَالِ عَنْ إِبْلَاقِ أَرْضِ  
 الشَّاشِ إِلَى آخِرِ الْجَزءِ شَرْقَا وَيَأْخُذُ قِطْعَةً مِنَ الْجَزءِ التَّاسِعِ فِي حُنُوبِ تِلْكَ الْقِطْعَةِ بَقِيَّةُ أَرْضِ  
 فَرَعَانَةَ وَيَخْرُجُ مِنْ تِلْكَ الْقِطْعَةِ الَّتِي فِي الْجَزءِ التَّاسِعِ نَهْرُ الشَّاشِ يَمُرُّ مُعْتَرِضًا فِي الْجَزءِ  
 الثَّامِنِ إِلَى أَنْ يَنْصَبَ فِي نَهْرٍ جِيحُونَ عِنْدَ مَخْرَجِهِ مِنْ هَذَا الْجَزءِ الثَّامِنِ فِي شِمَالِهِ إِلَى الْإِقْلِيمِ  
 الْخَامِسِ وَيَتَخَلَطُ مَعَهُ فِي أَرْضِ إِبْلَاقِ نَهْرٌ يَأْتِي مِنَ الْجَزءِ التَّاسِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ مِنْ مَنُغُومِ  
 بِلَادِ التَّبْتِ وَيَتَخَلَطُ مَعَهُ قَبْلَ مَخْرَجِهِ مِنَ الْجَزءِ التَّاسِعِ نَهْرُ فَرَعَانَةَ وَعَلَى سَمْتِ نَهْرِ الشَّاشِ  
 جَبَلٌ جَبْرَاغُونَ يَبْدَأُ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَيَنْعَطِفُ شَرْقًا وَمُنْحَرَفًا إِلَى الْجَنُوبِ حَتَّى  
 يَخْرُجَ إِلَى الْجَزءِ التَّاسِعِ مُحِيطًا بِأَرْضِ الشَّاشِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ فِي الْجَزءِ التَّاسِعِ فَيُحِيطُ  
 بِالشَّاشِ وَفَرَعَانَةَ هُنَاكَ إِلَى جَنُوبِهِ فَيَدْخُلُ فِي الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ وَبَيْنَ نَهْرِ الشَّاشِ رَطْرَفٌ  
 هَذَا الْجَبَلِ فِي وَسْطِ هَذَا الْجَزءِ بِلَادُ فَارَابَ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ أَرْضِ بَخَارَى وَخُوَارِزْمِ مَنَاوِزٌ مَعْطَلَةٌ  
 وَفِي زَاوِيَةِ هَذَا الْجَزءِ مِنَ الشَّمَالِ وَالشَّرْقِ أَرْضٌ حَجَنْدَةُ وَفِيهَا بَلَدٌ اسْمُهُ جَبَابُ وَطَرَازُ  
 وَفِي الْجَزءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي غَرْبِيهِ بَعْدَ أَرْضِ فَرَعَانَةَ وَالشَّاشِ أَرْضُ الْخَزَلِيَّةِ  
 فِي الْجَنُوبِ وَأَرْضُ الْخَلِيجَةِ فِي الشَّمَالِ وَفِي شَرْقِ الْجَزءِ كُلِّهِ أَرْضُ الْكَيْمِيَّةِ وَيَتَّصِلُ  
 فِي الْجَزءِ الْعَاشِرِ كُلِّهِ إِلَى جَبَلٍ قَوْيَا آخِرُ الْجَزءِ شَرْقًا وَعَلَى قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ  
 هُنَاكَ وَهُوَ جَبَلُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهَذِهِ الْأُمَّةُ كُلُّهَا مِنْ شُعُوبِ التُّرْكِ أَنْتَهَى  
 الْإِقْلِيمِ الْخَامِسُ \* الْجَزءُ الْأَوَّلُ مِنْهُ أَكْثَرُهُ مَعْمُورٌ بِالْمَاءِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ جَنُوبِهِ  
 وَشَرْقِهِ لِأَنَّ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ بِهَذِهِ الْجِهَةِ الْغَرْبِيَّةِ دَخَلَ فِي الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَالسَّادِسِ

(١) في المشترك اقليم ابلق متصل باقليم الشاش لا فصل بينهما وهو بكر المهزلة وسكون اليا بعدها

وَالسَّابِعُ عَنِ الدَّائِرَةِ المَحِيْطَةِ بِالْاِقْلِيمِ فَاَمَّا الْمُنْكَشِفُ مِنْ جَنُوْبِهِ فَقِطْعَةٌ عَلٰى شَكْلِ  
 مِثْلِكَ مُتَّصِلَةٌ مِنْ هُنَالِكَ بِالْاَنْدَلُسِ وَعَالِيَهَا بَقِيَّتُهَا وَيُحِيْطُ بِهَا الْبَحْرُ مِنْ جِهَتَيْنِ كَمَا هُمَا ضَالِعَانِ  
 مَحِيْطَانِ بِزَاوِيَةِ الْمِثْلِكَ فَبَيْنَمَا مِنْ بَقِيَّةِ غَرْبِ الْاَنْدَلُسِ سَعِيْرٌ عَلٰى الْبَحْرِ عِنْدَ اَوَّلِ الْجُزْءِ  
 مِنَ الْجَنُوْبِ وَالْغَرْبِ وَسَمَنَكَةٌ شَرْقًا عَنْهَا وَفِي جَوْفِهَا سَمُوْرَةٌ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ سَلْمَنَكَةَ  
 اَبْلَةٌ اَخْرَجَتْ الْجَنُوْبِ وَاَرْضُ قَسْتَالِيَّةٍ شَرْقًا عَنْهَا وَفِيهَا مَدِيْنَةٌ شَقُوْنِيَّةٌ وَفِي شَمَالِهَا اَرْضُ لِيُوْنِ  
 وَبَرْغَشَتْ ثُمَّ وَّرَاءَهَا فِي الشَّمَالِ اَرْضُ جَلِيْقِيَّةٍ اِلَى زَاوِيَةِ الْقِطْعَةِ وَفِيهَا عَلٰى الْبَحْرِ المَحِيْطِ  
 فِي اَخْرِ الضَّلْعِ الْغَرْبِيِّ بَلَدٌ شَتِيَاقُو وَمَعْنَاهُ يَعْقُوْبُ وَفِيهَا مِنْ شَرْقِ بِلَادِ الْاَنْدَلُسِ مَدِيْنَةٌ  
 شَطِيْبِيَّةٌ عِنْدَ اَخْرِ الْجُزْءِ فِي الْجَنُوْبِ وَشَرْقًا عَنْ قَسْتَالِيَّةٍ وَفِي شَمَالِهَا وَشَرْقَهَا وَشَقْمَةٌ وَبَنْبَلُوْنَةٌ  
 عَلٰى سَمْتِهَا شَرْقًا وَشَمَالًا وَفِي غَرْبِ بَنْبَلُوْنَةَ قَسْطَالَةَ ثُمَّ نَاجِزَةٌ فَبَيْنَهَا وَبَيْنَ بَرْغَشَتْ  
 وَبَعْتَرِضُ وَسَطُ هَذِهِ الْقِطْعَةِ جَبَلٌ عَظِيْمٌ مَحَازٍ لِلْبَحْرِ وَالضَّلْعِ الشَّمَالِيِّ الشَّرْقِيِّ مِنْهُ وَعَلٰى  
 قُرْبٍ وَيَتَّصِلُ بِهِ وَبَطْرِفِ الْبَحْرِ عِنْدَ بَنْبَلُوْنَةَ فِي جِهَةِ الشَّرْقِ الَّذِي ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلِ اَنْ  
 يَتَّصِلَ فِي الْجَنُوْبِ بِالْبَحْرِ الرُّومِيِّ فِي الْاِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَبَصِيْرٌ حَجْرًا عَلٰى بِلَادِ الْاَنْدَلُسِ  
 مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ وَتَنَازِيَةٌ لَهَا اَبْوَابٌ تُفْضِي اِلَى بِلَادِ عَشْكُوْنِيَّةٍ مِنْ اُمَّمِ الْفَرَنْجِ فَمِنْهَا مِنْ  
 الْاِقْلِيمِ الرَّابِعِ بَرْشَلُوْنَةُ وَاَرْبُوْنَةُ عَلٰى سَاحِلِ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَخَرِيْدَةٌ وَقَرْشُوْنَةُ وَرَاءَهُمَا  
 فِي الشَّمَالِ وَمِنْهَا مِنْ الْاِقْلِيمِ الْخَامِسِ طَلُوْشَةُ شَدَالًا عَنْ خَرِيْدَةَ . وَاَمَّا الْمُنْكَشِفُ فِي  
 هَذَا الْجُزْءِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ فَقِطْعَةٌ عَلٰى شَكْلِ مِثْلِكَ مُسْتَطِيْلٌ زَاوِيَتُهُ الْحَادَةُ وَرَاءَ  
 الْبُرْزَانِ شَرْقًا وَفِيهَا عَلٰى الْبَحْرِ المَحِيْطِ عَلٰى رَاسِ الْقِطْعَةِ الَّتِي يَتَّصِلُ بِهَا جَبَلُ الْبُرْزَانِ بَلَدٌ  
 نِيُوْتَةٌ وَفِي اَخْرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ اَرْضٌ بَنْطُو مِنْ  
 الْفَرَنْجِ اِلَى اَخْرِ الْجُزْءِ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ اَرْضٌ عَشْكُوْنِيَّةٌ وَفِي  
 شَمَالِهَا اَرْضٌ بَنْطُو وَبَرْغَشَتْ وَقَدْ ذَكَرْنَا هُمَا وَفِي شَرْقِ بِلَادِ عَشْكُوْنِيَّةٍ فِي شَمَالِهَا  
 قِطْعَةٌ اَرْضٌ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ دَخَلَتْ فِي هَذَا الْجُزْءِ كَالْفَرَسِ مَائِلَةٌ اِلَى الشَّرْقِ قَلِيْلًا  
 وَصَارَتْ بِلَادُ عَشْكُوْنِيَّةٍ فِي غَرْبِهَا دَاخِلَةٌ فِي جُوْنٍ مِنَ الْبَحْرِ وَعَلٰى رَاسِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
 شَمَالًا بِلَادُ جِنُوَّةٍ وَعَلٰى سَمْتِهَا فِي الشَّمَالِ جَبَلٌ نَيْتِ جُوْنٍ وَفِي شَمَالِهَا وَعَلٰى سَمْتِهَا اَرْضٌ  
 بَرْغُوْنَةٌ وَفِي الشَّرْقِ عَنْ طَرْفِ جِنُوَّةٍ الْخَارِجِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ طَرْفٌ اَخْرَجَ  
 مِنْهُ يَبْقَى بَيْنَهُمَا جُوْنٌ دَاخِلٌ مِنَ الْبَرِّ فِي الْبَحْرِ فِي غَرْبِهِ نَيْشٌ وَفِي شَرْقِهِ مَدِيْنَةُ رُوْمَةٌ

الْعُظْمَى كُرَيْبِي مَلِكِ الْإِفْرَنْجَةِ وَمَسْكِنِ الْبَابَا بَطْرِكِهِمُ الْأَعْظَمِ وَفِيهَا مِنَ الْمَبَانِي  
 الصَّخْمَةِ وَالْهَيْكَلِ الْهَائِلَةِ وَالْكَنَائِسِ الْعَادِيَةِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ الْأَخْبَارِ وَمِنْ عَجَائِبِهَا  
 النَّهْرُ الْجَارِي فِي وَسْطِهَا مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ مَفْرُوشٌ قَاعُهُ بِبِلَاطِ النُّحَاسِ وَفِيهَا  
 كَنِيسَةٌ بَطْرُسَ وَبُولُسَ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ وَهُمَا مَدْفُونَانِ بِهَا وَفِي الشَّمَالِ عَنْ بِلَادِ  
 رُومَةَ بِلَادُ أْفَرَنْصِيصَةَ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ وَعَلَى هَذَا الطَّرْفِ مِنَ الْبَحْرِ الَّذِي فِي جَنُوبِهِ  
 رُومَةَ بِلَادُ نَابِلِ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْهُ مُتَّصِلَةٌ بِبِلَادِ قَلُورِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ الْفَرَنْجِ وَفِي شَمَالِهَا  
 طَرْفٌ مِنْ خَلِيجِ الْبِنَادِقَةِ دَخَلَ فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مَغْرَبًا وَمُحَادِيًا لِلشَّمَالِ  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَأَنْتَهَى إِلَى نَحْوِ الثَّلَاثِ مِنْهُ وَعَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنْ بِلَادِ الْبِنَادِقَةِ دَخَلَ فِي هَذَا  
 الْجُزْءِ مِنْ جَنُوبِهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ وَمِنْ شَمَالِهِ بِلَادُ إِنْكَلَابَةَ فِي الْإِقْلِيمِ  
 السَّادِسِ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي غَرْبِهِ بِلَادُ قَلُورِيَّةٍ بَيْنَ خَلِيجِ الْبِنَادِقَةِ  
 وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ يُحِيطُ بِهَا مِنْ شَرْقِيهِ يَصِلُ مِنْ بَرِّهَا فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ فِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ  
 فِي جُونِ بَيْنَ طَرْفَيْنِ خَرَجَا مِنَ الْبَحْرِ عَلَى سَمْتِ الشَّمَالِ إِلَى هَذَا الْجُزْءِ فِي شَرْقِي بِلَادِ  
 قَلُورِيَّةٍ بِلَادُ أَنْكَبَرِدَةَ فِي جُونِ بَيْنَ خَلِيجِ الْبِنَادِقَةِ وَالْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَيَدْخُلُ طَرْفٌ مِنْ  
 هَذَا الْجُزْءِ فِي الْجُونِ فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَفِي الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَيُحِيطُ بِهِ مِنْ شَرْقِيهِ خَلِيجُ  
 الْبِنَادِقَةِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ ذَاهِبًا إِلَى سَمْتِ الشَّمَالِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ إِلَى الْقَرْبِ مُحَادِيًا لِآخِرِ  
 الْجُزْءِ الشَّمَالِيِّ وَيَخْرُجُ عَلَى سَمْتِهِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ جَبَلٌ عَظِيمٌ يُؤَارِزُهُ وَيَدْهَبُ مَعَهُ  
 إِلَى الشَّمَالِ ثُمَّ يَغْرِبُ مَعَهُ فِي الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ قِبَالَ خَلِيجِ فِي شَمَالِيهِ  
 فِي بِلَادِ إِنْكَلَابَةَ مِنْ أُمَّمِ اللَّمَّانِيِّينَ كَمَا نَذَكُرُ وَعَلَى هَذَا الْخَلِيجِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ هَذَا  
 الْجَبَلِ مَا دَامَا ذَاهِبِينَ إِلَى الشَّمَالِ بِلَادُ الْبِنَادِقَةِ فَذَا ذَهَبَا إِلَى الْمَغْرِبِ فَبَيْنَهُمَا بِلَادُ  
 حَرَوَايَا ثُمَّ بِلَادُ الْأَلْمَانِيِّينَ عِنْدَ طَرْفِ الْخَلِيجِ . وَفِي الْجُزْءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ  
 قِطْعَةٌ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ خَرَجَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ مُضْرَسَةً كُلُّهَا بِقِطْعٍ مِنَ  
 الْبَحْرِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى الشَّمَالِ وَبَيْنَ كُلِّ ضَرْسَيْنِ مِنْهَا طَرْفٌ مِنَ الْبَحْرِ فِي الْجُونِ بَيْنَهُمَا  
 وَفِي آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا قِطْعٌ مِنَ الْبَحْرِ وَيَخْرُجُ مِنْهَا إِلَى الشَّمَالِ خَلِيجُ الْفُسْطَنْطِينِيَّةِ يَخْرُجُ  
 مِنْ هَذَا الطَّرْفِ الْجَنُوبِيِّ وَيَدْهَبُ عَلَى سَمْتِ الشَّمَالِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ فِي الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ  
 وَيَنْعَطِفُ مِنْ هُنَاكَ عَنْ قُرْبِ مُشْرِقًا إِلَى بَحْرِ نِيطَشَ فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ وَبَعْضُ الرَّابِعِ

قِبَلَهُ وَالسَّادِسِ بَعْدَهُ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ كَمَا نَذَرْنَا وَبَلَدِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي شَرْقِي هَذَا  
 الْخَلِيجِ عِنْدَ آخِرِ الْجُزْءِ مِنَ الشَّمَالِ وَهِيَ الْمَدِينَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي كَانَتْ كُرْسِيَّ الْقِيَاصِرَةِ  
 وَبِهَا مِنْ آثَارِ الْبِنَاءِ وَالصُّخَّامَةِ مَا كَثُرَتْ عَنْهُ الْأَحَادِيثُ وَالْقِطْعَةُ الَّتِي مَا بَيْنَ الْبَحْرِ  
 الرَّوْمِيِّ وَخَلِيجِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَفِيهَا بِلَادٌ مَقْدُونِيَّةٌ الَّتِي كَانَتْ لِلْيُونَانِيِّينَ  
 وَمِنْهَا أَيْدَاءُ مُلْكِهِمْ وَفِي شَرْقِي هَذَا الْخَلِيجِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنْ أَرْضِ بَاطُوسَ  
 وَأَظْنَهَا لِهَذَا الْعَهْدِ مَجَالَاتٌ لِلتُّرْكَمَانَ وَبِهَا مُلْكُ ابْنِ عُثْمَانَ وَقَاعِدَتُهُ بِهَا بَرِصَةٌ وَكَانَتْ  
 مِنْ قِبَلِهِمْ لِلرُّومِ وَعَلَيْهِمْ عَلَيْهَا الْأُمَمُ إِلَى أَنْ صَارَتْ لِلتُّرْكَمَانَ . وَفِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ  
 مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ مِنْ غَرْبِيهِ وَجَنُوبِيهِ أَرْضُ بَاطُوسَ وَفِي الشَّمَالِ عَنْهَا إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ  
 بِلَادٌ عُمُورِيَّةٌ وَفِي شَرْقِي عُمُورِيَّةٍ نَهْرٌ قَبَائِبُ الَّذِي يُمِدُّ الْفُرَاتَ وَيَخْرُجُ مِنْ جَبَلٍ هُنَاكَ  
 وَيَذْهَبُ فِي الْجَنُوبِ حَتَّى يَخَالِطَ الْفُرَاتَ قَبْلَ وُصُولِهِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ إِلَى مَرِّهِ فِي الْأَقْلِيمِ  
 الرَّابِعِ وَهُنَاكَ فِي غَرْبِيهِ آخِرُ الْجُزْءِ فِي مَبْدَأِ نَهْرِ سِيحَانَ ثُمَّ نَهْرُ جِيحَانَ غَرْبِيهِ الْذَّاهِبِينَ  
 عَلَى سَمْتِهِ وَتَدْرُكُهُمَا فِي شَرْقِيهِ هُنَاكَ مَبْدَأُ نَهْرِ دَجَلَةَ الذَّاهِبِ عَلَى سَمْتِهِ وَفِي  
 مُؤَاوَزَتِهِ حَتَّى يَخَالِطَهُ عِنْدَ بَغْدَادَ وَفِي الزَّوَايَةِ الَّتِي بَيْنَ الْجَنُوبِ وَالشَّرْقِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ  
 وَرَاءَ الْجَبَلِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْهُ نَهْرُ دَجَلَةَ بَلَدٌ مِيَاقَارِيَيْنَ وَنَهْرُ قَبَائِبُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ يُقْسِمُ  
 هَذَا الْجُزْءَ قِطْعَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا غَرْبِيَّةٌ جَنُوبِيَّةٌ وَفِيهَا أَرْضُ بَاطُوسَ كَمَا قُلْنَا وَآسَافِلَهَا  
 إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَمَالًا وَوَرَاءَ الْجَبَلِ الَّذِي يَبْدَأُ مِنْهُ نَهْرُ قَبَائِبُ أَرْضُ عُمُورِيَّةٍ كَمَا  
 قُلْنَا وَالْقِطْعَةُ الثَّانِيَّةُ شَرْقِيَّةٌ شَمَالِيَّةٌ عَلَى الثُّلُثِ فِي الْجَنُوبِ مِنْهَا مَبْدَأُ دَجَلَةَ وَالْفُرَاتَ وَفِي  
 الشَّمَالِ بِلَادُ الْبَيْلِقَانَ مُتَّصِلَةٌ بِأَرْضِ عُمُورِيَّةٍ مِنْ وَرَاءِ جَبَلِ قَبَائِبُ وَهِيَ عَرِيضَةٌ وَفِي  
 آخِرِهَا عِنْدَ مَبْدَأِ الْفُرَاتِ بَلَدٌ حَرَّشَنَةٌ وَفِي الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ قِطْعَةٌ مِنْ بَحْرِ  
 نِيطِشِ الَّذِي يُمِدُّ خَلِيجَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ . وَفِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ فِي جَنُوبِهِ  
 وَغَرْبِهِ بِلَادُ أَرْمِينِيَّةٍ مُتَّصِلَةٌ إِلَى أَنْ تَجَاوَزَ وَسَطَ الْجُزْءِ إِلَى جَانِبِ الشَّرْقِ وَفِيهَا بِلْدَانُ  
 أَرْدَنَ فِي الْجَنُوبِ وَالغَرْبِ وَفِي شَمَالِهَا تَفْلَيْسُ وَدَيْبِلُ وَفِي شَرْقِ أَرْدَنَ مَدِينَةُ خَلَاطُ ثُمَّ  
 بَرْدَعَةُ فِي جَنُوبِهَا بِأَنْحَرِافٍ إِلَى الشَّرْقِ مَدِينَةُ أَرْمِينِيَّةٍ وَمِنْ هُنَاكَ مَخْرَجُ بِلَادِ أَرْمِينِيَّةِ  
 إِلَى الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ وَفِيهَا هُنَاكَ بَلَدُ الْمَرَّانَةِ فِي شَرْقِي جَبَلِ الْأَكْرَادِ الْمَسْمُومِ بِأَرْمِي  
 وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْهُ وَيَتَاخَرُ بِلَادُ أَرْمِينِيَّةٍ فِي هَذَا الْجُزْءِ وَفِي الْأَقْلِيمِ

الرَّابِعَ قِبَلَهُ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ فِيهَا بِلَادُ أَدْرَبِجَانَ وَآخِرُهَا فِي هَذَا الْجُزْءِ شَرْقًا بِلَادُ أَرْدَابِيلَ  
عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ بَحْرِ طَبْرَسْتَانَ دَخَلَتْ فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ السَّابِعِ وَيُسَمَّى بَحْرَ  
طَبْرَسْتَانَ وَعَلَيْهِ مِنْ شِمَالِهِ فِي هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مِنْ بِلَادِ أَخْزَرٍ وَهُمْ التُّرْكَمَانَ وَيَبْدَأُ  
مِنْ عِنْدِ آخِرِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ الْبَحْرِيَّةِ فِي الشَّمَالِ جِبَالٌ يُتَّصِلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ عَلَى سَمْتِ الْغَرْبِ  
إِلَى الْجُزْءِ الْخَامِسِ فَتَمُرُّ فِيهِ مُنْعَطِفَةً وَمُحِيطَةً بِبِلَادِ مِيْفَارَقِينَ وَيَخْرُجُ إِلَى الْإِقْلِيمِ  
الرَّابِعِ عِنْدَ أَمْدٍ وَيَتَّصِلُ بِجِبَالِ السَّلسَلَةِ فِي آسَافِلِ الشَّامِ وَمِنْ هُنَاكَ يَتَّصِلُ بِجِبَالِ اللَّكَّامِ  
كَمَا مَرَّ وَبَيْنَ هَذِهِ الْجِبَالِ الشَّمَالِيَّةِ فِي هَذَا الْجُزْءِ ثَابِتًا كَلَّأَبْوَابٍ تُفْصِي مِنَ الْجَانِبَيْنِ  
فِي جَنُوبِيَّهَا بِلَادُ الْأَبْوَابِ مُتَّصِلَةٌ فِي الشَّرْقِ إِلَى بَحْرِ طَبْرَسْتَانَ وَعَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْبِلَادِ  
مَدِينَةٌ بَابُ الْأَبْوَابِ وَتَتَّصِلُ بِلَادُ الْأَبْوَابِ فِي الْغَرْبِ مِنْ نَاحِيَةِ جَنُوبِيَّهَا بِبِلَادِ أَرْمِينِيَّةِ  
وَبَيْنَهُمَا فِي الشَّرْقِ وَبَيْنَ بِلَادِ أَدْرَبِجَانَ جَنُوبِيَّةِ بِلَادِ الزَّابِ مُتَّصِلَةٌ إِلَى بَحْرِ طَبْرَسْتَانَ  
وَفِي شِمَالِ هَذِهِ الْجِبَالِ قِطْعَةٌ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِي غَرْبِهَا مَمْلَكَةٌ السَّرِيرِ فِي الزَّوِيَةِ  
الْغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْهَا وَفِي زَاوِيَةِ الْجُزْءِ كُلِّهِ قِطْعَةٌ أَيْضًا مِنْ بَحْرِ نِيطِشِ الَّذِي يَمُدُّهُ  
خَلِيجُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ وَيَحْتَفُّ بِهَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ نِيطِشِ بِلَادِ السَّرِيرِ وَعَلَيْهَا  
مِنْهَا بِلَادُ أَطْرَابَرِيدَةَ وَتَتَّصِلُ بِلَادُ السَّرِيرِ بَيْنَ جِبَالِ الْأَبْوَابِ وَالْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ  
إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ شَرْقًا إِلَى جَبَلِ حَاجِزٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَرْضِ أَخْزَرٍ وَعِنْدَ آخِرِهَا مَدِينَةٌ صُولُ  
وَوَرَاءَ هَذَا الْجَبَلِ الْحَاجِزِ قِطْعَةٌ مِنْ أَرْضِ أَخْزَرٍ تَنْتَهِي إِلَى الزَّوِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ  
مِنْ هَذَا الْجُزْءِ مِنْ بَحْرِ طَبْرَسْتَانَ وَآخِرِ الْجُزْءِ شَمَالًا . وَالْجُزْءُ السَّابِعُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ  
غَرْبِيَّةٌ كُلُّهُ مَعْمُورٌ بِبَحْرِ طَبْرَسْتَانَ وَخَرَجَ مِنْ جَنُوبِهِ فِي الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ الْقِطْعَةُ الَّتِي  
ذَكَرْنَا هُنَاكَ أَنَّ عَلَيْهَا بِلَادَ طَبْرَسْتَانَ وَجِبَالِ الدَّيْلَمِ إِلَى قَزْوِينَ وَفِي غَرْبِ تِلْكَ الْقِطْعَةِ  
مُتَّصِلَةٌ بِهَا الْقِطْعَةُ الَّتِي فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَتَّصِلُ بِهَا مِنْ شِمَالِهَا  
الْقِطْعَةُ الَّتِي فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ شَرْقِهَا أَيْضًا وَيُنْكَشِفُ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ عِنْدَ زَاوِيَتِهِ  
الشَّمَالِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ يَصُبُّ فِيهَا نَهْرٌ أَثَلٌ فِي هَذَا الْبَحْرِ وَيَبْقَى مِنْ هَذَا الْجُزْءِ فِي نَاحِيَةِ  
الشَّرْقِ قِطْعَةٌ مُنْكَشِفَةٌ مِنَ الْبَحْرِ هِيَ بِمَجَالَاتِ الْغَزْرِ مِنْ أُمَّمِ التُّرْكِ يُحِيطُ بِهَا جَبَلٌ مِنْ جِهَةِ  
الْجَنُوبِ دَاخِلٌ فِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ وَيَذْهَبُ فِي الْغَرْبِ إِلَى مَا دُونَ وَسَطِهِ فَيَنْعَطِفُ إِلَى  
الشَّمَالِ إِلَى أَنْ يَلْقَى بَحْرَ طَبْرَسْتَانَ فَيَحْتَفُّ بِهِ ذَاهِبًا مَعَهُ إِلَى بَقِيَّتِهِ فِي الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ

ثُمَّ يَنْعَطِفُ مَعَ طَرَفِهِ وَيُفَارِقُهُ وَيُسَمَّى هُنَالِكَ جَبَلِ سِيَاهٍ وَيَذْهَبُ مُغْرَبًا إِلَى الْجُزْءِ  
 السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ ثُمَّ يَرْجِعُ جَنُوبًا إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ  
 وَهَذَا الطَّرَفُ مِنْهُ وَهُوَ الَّذِي اعْتَرَضَ فِي هَذَا الْجُزْءِ بَيْنَ أَرْضِ السَّرِيرِ وَأَرْضِ الْخُزَرِ  
 وَأَتَصَلَّتْ بِأَرْضِ الْخُزَرِ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ وَالسَّابِعِ حَافَاتُ هَذَا الْجَبَلِ الْمُسَمَّى جَبَلِ  
 سِيَاهٍ كَمَا سَيَأْتِي. وَالْجُزْءُ الثَّامِنُ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ كُلُّهُ مَجَالَاتٌ لِلْعُزْرِ مِنْ أُمَّمِ  
 التُّرْكِ وَفِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْهُ بَحِيرَةٌ خَوَارِزْمِ الَّتِي يَصُبُّ فِيهَا نَهْرٌ يَجِيحُونَ دَوْرَهَا  
 ثَلَاثُمِائَةَ مِيلٍ وَيَصُبُّ فِيهَا أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَرْضِ هَذِهِ الْمَجَالَاتِ وَفِي الْجِهَةِ الشَّمَالِيَّةِ  
 الشَّرْقِيَّةِ مِنْهُ بَحِيرَةٌ عَرُوعُونَ دَوْرَهَا أَرْبَعُمِائَةَ مِيلٍ وَمَاوَهَا حُلُوٌّ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ جَبَلٌ مِرْعَارٌ وَمَعْنَاهُ جَبَلُ التَّلْجِ لِأَنَّهُ لَا يَدُوبُ فِيهِ وَهُوَ مُتَّصِلٌ بِآخِرِ الْجُزْءِ  
 وَفِي الْجَنُوبِ عَنِ بَحِيرَةِ عَرُوعُونَ جَبَلٌ مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ لَا يَنْبَتُ شَيْئًا يُسَمَّى عَرُوعُونَ وَبِهِ  
 سُمِّيَتِ الْبَحِيرَةُ وَيَنْجَلِبُ مِنْهُ وَمِنْ جَبَلِ مِرْعَارِ شِمَالِي الْبَحِيرَةِ أَنْهَارٌ لَا تَخْصُرُ عَدْتَهَا فَتَصْبُ  
 فِيهَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ. وَفِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ بِلَادُ أَرْكَسَ مِنْ أُمَّمِ التُّرْكِ فِي  
 غَرْبِ بِلَادِ الْعُزْرِ وَشَرْقِ بِلَادِ الْكِيمَا كِيَّةِ وَيَحْتَفِلُ بِهِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ آخِرُ الْجُزْءِ  
 جَبَلٌ قُوقِيًا أَلْحَيْطِ بِأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ يَعْتَرِضُ هُنَالِكَ مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَنْعَطِفَ  
 أَوَّلَ دُخُولِهِ مِنَ الْجُزْءِ الْعَاشِرِ وَقَدْ كَانَ دَخَلَ إِلَيْهِ مِنْ آخِرِ الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِقْلِيمِ  
 الرَّابِعِ قَبْلَهُ وَأَحْتَفَّ هُنَالِكَ بِالْبَحْرِ أَلْحَيْطِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ فِي الشَّمَالِ ثُمَّ انْعَطَفَ مُغْرَبًا  
 فِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ إِلَى مَا دُونَ نِصْفِهِ وَأَحَاطَ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى هُنَا بِبِلَادِ  
 الْكِيمَا كِيَّةِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ فَذَهَبَ فِيهِ مُغْرَبًا إِلَى آخِرِهِ  
 وَبَقِيَتْ فِي جَنُوبِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ قِطْعَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ إِلَى الْغَرْبِ قَبْلَ آخِرِ بِلَادِ الْكِيمَا كِيَّةِ  
 ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ فِي شَرْقِيَّةِ وَفِي الْأَعْلَى مِنْهُ وَأَنْعَطَفَ قَرِيبًا إِلَى الشَّمَالِ وَذَهَبَ  
 عَلَى سَمْتِهِ إِلَى الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ وَفِيهِ السُّدُّ هُنَالِكَ كَمَا نَذَرْنَا  
 وَبَقِيَتْ مِنْهُ الْقِطْعَةُ الَّتِي أَحَاطَ بِهَا جَبَلٌ قُوقِيًا عِنْدَ الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ  
 مُسْتَطِيلَةٌ إِلَى الْجَنُوبِ وَهِيَ مِنْ بِلَادِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ  
 أَرْضٌ يَأْجُوجَ مُتَّصِلَةٌ فِيهِ كُلُّهُ إِلَّا قِطْعَةً مِنَ الْبَحْرِ عَمَّرَتْ طَرَفًا فِي شَرْقِيَّةِ مِنْ جَنُوبِهِ  
 إِلَى شِمَالِهِ إِلَّا الْقِطْعَةَ الَّتِي يَفْصَلُهَا إِلَى جِهَةِ الْجَنُوبِ وَالْغَرْبِ جَبَلٌ قُوقِيًا حِينَ مَرَّ فِيهِ وَمَا

سَوَى ذَلِكَ فَارْضُ يَا جُوجَ وَمَا جُوجَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ  
 الْإِقْلِيمِ السَّادِسُ . فَالْجُزءُ الْأَوَّلُ مِنْهُ عَمْرُ الْبَحْرِ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِهِ وَأَسْتَدَارَ شَرْقًا  
 مَعَ النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ ثُمَّ ذَهَبَ مَعَ النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ إِلَى الْجُنُوبِ وَأَنْتَهَى قَرِيبًا مِنَ النَّاحِيَةِ  
 الْجَنُوبِيَّةِ فَأُنْكَشِفَ قِطْعَةٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ فِي هَذَا الْجُزءِ دَاخِلَةٌ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ وَفِي  
 الزَّوَايَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ كَالْجُونِ فِيهِ وَيَنْفَسِحُ طَوِيلًا وَعَرْضًا وَهِيَ  
 كُلُّهَا أَرْضُ بَرِيطَانِيَّةٍ وَفِي بَابِهَا بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ وَفِي الزَّوَايَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا  
 الْجُزءِ بِلَادُ صَاقِسَ مُتَّصِلَةٌ بِبِلَادِ بِنطَوَالِيٍّ مَرَّ ذِكْرُهَا فِي الْجُزءِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنَ الْإِقْلِيمِ  
 الْخَامِسِ . وَالْجُزءُ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ دَخَلَ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ مِنْ غَرْبِهِ وَشَمَالِهِ فَمِنْ غَرْبِهِ  
 قِطْعَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ أَكْبَرُ مِنْ نِصْفِ الشَّمَالِ مِنْ شَرْقِ أَرْضِ بَرِيطَانِيَّةٍ فِي الْجُزءِ الْأَوَّلِ  
 وَاتَّصَلَتْ بِهَا الْقِطْعَةُ الْأُخْرَى فِي الشَّمَالِ مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ وَانْفَسَحَتْ فِي النِّصْفِ  
 الْغَرْبِيِّ مِنْهُ بَعْضُ الشَّيْءِ وَفِيهِ هُنَاكَ قِطْعَةٌ مِنْ جَزِيرَةٍ أَنْكَلَتَرَا وَهِيَ جَزِيرَةٌ عَظِيمَةٌ  
 مُسْتَمْلَةٌ عَلَى مَدَنٍ وَبِهَا مَلِكٌ ضَخْمٌ وَبَقِيَّتُهَا فِي الْإِقْلِيمِ السَّابِعِ وَفِي جَنُوبِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ  
 وَحَزْبِهَا فِي النِّصْفِ الْغَرْبِيِّ مِنْ هَذَا الْجُزءِ بِلَادُ أَرْمُنْدِيَّةٍ وَبِلَادُ أَفْلَادَشَ مُتَّصِلِينَ بِهَا  
 ثُمَّ بِلَادُ إِفْرَسِيَّةٍ جَنُوبًا وَعَرَبًا مِنْ هَذَا الْجُزءِ وَبِلَادُ بَرَعُونِيَّةٍ شَرْقًا عَنْهَا وَكُلُّهَا لِأَمَمِ  
 الْأَفْرَنْجِيَّةِ وَبِلَادُ اللَّمَانِيِّينَ فِي النِّصْفِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْجُزءِ جَنُوبَهُ بِلَادُ أَنْكَالِيَّةٍ ثُمَّ  
 بِلَادُ بَرَعُونِيَّةٍ شَمَالًا ثُمَّ أَرْضُ لَهْوِيكَةَ وَشَطُونِيَّةَ وَعَلَى قِطْعَةِ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ فِي الزَّوَايَةِ  
 الشَّمَالِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ أَرْضُ أُفْرِيَّةٍ وَكُلُّهَا لِأَمَمِ اللَّمَانِيِّينَ . وَفِي الْجُزءِ الثَّلَاثِ مِنْ هَذَا  
 الْإِقْلِيمِ فِي النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ بِلَادُ مَرَاتِيَّةٍ فِي الْجُنُوبِ وَبِلَادُ شَطُونِيَّةٍ فِي الشَّمَالِ وَفِي النَّاحِيَةِ  
 الشَّرْقِيَّةِ بِلَادُ أَنْكُوِيَّةٍ فِي الْجُنُوبِ وَبِلَادُ بَلُونِيَّةٍ فِي الشَّمَالِ يَعْطُرُ بَيْنَهُمَا جَبَلٌ بَلَوَاطِ  
 دَاخِلًا مِنَ الْجُزءِ الرَّابِعِ وَيَمُرُّ مَعْرَبًا بِأَنْحَرَا فِ إِلَى الشَّمَالِ إِلَى أَنْ يَقِفَ فِي بِلَادِ  
 شَطُونِيَّةٍ آخِرِ النِّصْفِ الْغَرْبِيِّ . وَفِي الْجُزءِ الرَّابِعِ فِي نَاحِيَةِ الْجُنُوبِ أَرْضُ جَنُوبِيَّةٍ وَتَحْتَهَا  
 فِي الشَّمَالِ بِلَادُ الرُّوسِيَّةِ وَيَقْصُلُ بَيْنَهُمَا جَبَلٌ بَلَوَاطِ مِنْ أَوَّلِ الْجُزءِ غَرْبًا إِلَى أَنْ  
 يَقِفَ فِي النِّصْفِ الشَّرْقِيِّ وَفِي شَرْقِ أَرْضِ جَنُوبِيَّةِ بِلَادُ جَرْمَانِيَّةٍ وَفِي الزَّوَايَةِ الْجَنُوبِيَّةِ  
 الشَّرْقِيَّةِ أَرْضُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَمَدِينَتُهَا عِنْدَ آخِرِ الْخَلِيجِ الْخَارِجِ مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ وَعِنْدَ  
 مَدْفَعِهِ فِي بَحْرِ نِيطَسَ فَيَقَعُ قِطْعَةٌ مِنْ بَحْرِ نِيطَسَ فِي أَعَالِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا

الْجُزءُ وَبُعدُهَا أَخْلِيحُ وَبَيْنَهُمَا فِي الزَّوَايَةِ بَلَدٌ مَسِينَاهُ وَفِي الْجُزءِ الْخَامِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ  
 السَّادِسِ ثُمَّ فِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ عِنْدَ بَحْرِ نِيطَشٍ يَتَّصِلُ مِنَ الْخَلِيجِ فِي آخِرِ الْجُزءِ  
 الرَّابِعِ وَيَخْرُجُ مِنْ سَمْتِهِ مُشْرِقًا فَيَمُرُّ فِي هَذَا الْجُزءِ كَلَّهُ وَفِي بَعْضِ السَّادِسِ عَلَى طُولِ  
 أَلْفٍ وَثَلَاثِينَ مِيلًا مِنْ مَبْدَاهُ فِي عَرْضِ سِتِّمِائَةِ مِيلٍ وَيَبْقَى وَرَاءَ هَذَا الْبَحْرِ فِي  
 النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزءِ فِي غَرْبِهَا إِلَى شَرْقِهَا بَرٌّ مُسْتَطِيلٌ فِي غَرْبِهِ هَرَفَلِيَّةٌ عَلَى  
 سَاحِلِ بَحْرِ نِيطَشٍ مُتَّصِلَةٌ بِأَرْضِ أَلْبَلْقَانِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ وَفِي شَرْقِهِ بِلَادُ الْأَلْبَانِيَّةِ  
 وَقَاعِدَتُهَا سَوْتَلِي عَلَى بَحْرِ نِيطَشٍ وَفِي شِمَالِ بَحْرِ نِيطَشٍ فِي هَذَا الْجُزءِ غَرْبًا أَرْضُ تَرْخَانَ  
 وَشَرْقًا بِلَادُ الرُّوسِيَّةِ وَكُلُّهَا عَلَى سَاحِلِ هَذَا الْبَحْرِ وَبِلَادُ الرُّوسِيَّةِ مُحِيطَةٌ بِبِلَادِ تَرْخَانَ  
 مِنْ شَرْقِهَا فِي هَذَا الْجُزءِ مِنْ شِمَالِهَا فِي الْجُزءِ الْخَامِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّابِعِ وَمِنْ غَرْبِهَا  
 فِي الْجُزءِ الرَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ . وَفِي الْجُزءِ السَّادِسِ فِي غَرْبِهِ بَقِيَّةُ بَحْرِ نِيطَشٍ  
 وَيَنْحَرِفُ قَلِيلًا إِلَى الشَّمَالِ وَيَبْقَى بَيْنَهُ هُنَاكَ وَبَيْنَ آخِرِ الْجُزءِ شِمَالًا بِلَادُ قَائِيَّةٍ وَفِي  
 جَنُوبِهِ مُنْقَسِعًا إِلَى الشَّمَالِ بِمَا ائْتَرَفَ هُوَ كَذَلِكَ بَقِيَّةُ بِلَادِ الْأَلْبَانِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ آخِرَ  
 جَنُوبِهِ فِي الْجُزءِ الْخَامِسِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزءِ مُتَّصِلُ أَرْضِ الْخَزَرِ وَفِي  
 شَرْقِهَا أَرْضُ بَرْطَاسٍ وَفِي الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ أَرْضُ بَلْغَارَ وَفِي الزَّوَايَةِ الشَّرْقِيَّةِ  
 الْجَنُوبِيَّةِ أَرْضُ بَلْجَرٍ يَجُوزُهَا هُنَاكَ قِطْعَةٌ مِنْ جَبَلٍ سِيَاكُوهُ الْمُنْعَطِفِ مَعَ بَحْرِ الْخَزَرِ  
 فِي الْجُزءِ السَّابِعِ بَعْدَهُ وَيَذْهَبُ بَعْدَ مَفَارِقَتِهِ مَغْرِبًا فَيَجُوزُ فِي هَذِهِ الْقِطْعَةِ وَيَدْخُلُ إِلَى  
 الْجُزءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِقْلِيمِ الْخَامِسِ فَيَتَّصِلُ هُنَاكَ بِجَبَلِ الْأَبْوَابِ وَعَلَيْهِ مِنْ هُنَاكَ  
 نَاحِيَةُ بِلَادِ الْخَزَرِ . وَفِي الْجُزءِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مَا جَارَهُ  
 جَبَلٌ سِيَاهُ بَعْدَ مَفَارِقَتِهِ بَحْرَ طَبْرَسْتَانَ وَهُوَ قِطْعَةٌ مِنْ أَرْضِ الْخَزَرِ إِلَى آخِرِ الْجُزءِ غَرْبًا  
 وَفِي شَرْقِهَا الْقِطْعَةُ مِنْ بَحْرِ طَبْرَسْتَانَ الَّتِي يَجُوزُهَا هَذَا الْجَبَلُ مِنْ شَرْقِهَا وَشِمَالِهَا وَوَرَاءَ  
 جَبَلِ سِيَاهُ فِي النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ أَرْضُ بَرْطَاسٍ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْجُزءِ  
 أَرْضُ شَحْرَبَ وَيَخْتَاكَ وَهِيَ أُمَّةُ التُّرْكِ . وَفِي الْجُزءِ الثَّامِنِ وَالنَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنْهَا كَلِّهَا  
 أَرْضُ الْجُوجِ مِنَ التُّرْكِ فِي النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ غَرْبًا وَالْأَرْضُ الْمُنْتَهَى وَشَرْقُ الْأَرْضِ الَّتِي  
 يُقَالُ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ خَرَّبَاهَا قَبْلَ بِنَاءِ السُّدِّ وَفِي هَذِهِ الْأَرْضِ الْمُنْتَهَى مَبْدَأُ نَهْرٍ  
 الْأَثَلِ مِنْ أَعْظَمِ أَنْهَارِ الْعَالَمِ وَتَمَرُهُ فِي بِلَادِ التُّرْكِ وَمَصْبُهُ فِي بَحْرِ طَبْرَسْتَانَ فِي الْإِقْلِيمِ

الْخَامِسَ فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْهُ وَهُوَ كَثِيرُ الْأَنْعَاطِ يُخْرَجُ مِنْ جَبَلٍ مِنَ الْأَرْضِ الْمُنْتَهَى  
 مِنْ ثَلَاثَةِ بِنَايِعَ تَجْتَمِعُ فِي نَهْرٍ وَاحِدٍ وَيَمُرُّ عَلَى سَمْتِ الْغَرْبِ إِلَى آخِرِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا  
 الْأَقْلِيمِ فَيَنْعَطِفُ شَمَالًا إِلَى الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ فَيَمُرُّ فِي طَرَفِهِ بَيْنَ  
 الْجَنُوبِ وَالْمَغْرِبِ فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ السَّابِعِ وَيَذْهَبُ مَغْرِبًا غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ  
 يَنْعَطِفُ ثَانِيَةً إِلَى الْجَنُوبِ وَيَرْجِعُ إِلَى الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ وَيَخْرُجُ مِنْهُ  
 جَدُولٌ يَذْهَبُ مَغْرِبًا وَيَصُبُّ فِي بَحْرِ نِيطْسٍ فِي ذَلِكَ الْجُزْءِ وَيَمُرُّ هُوَ فِي قِطْعَةٍ بَيْنَ الشَّمَالِ  
 وَالشَّرْقِ فِي بِلَادِ بَلْعَارٍ فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ السَّادِسِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ ثَالِثَةً  
 إِلَى الْجَنُوبِ وَيَنْفِذُ فِي جَبَلٍ سِبَاهَ وَيَمُرُّ فِي بِلَادِ الْخَزَرِ وَيَخْرُجُ إِلَى الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ  
 فِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْهُ فَيَصُبُّ هُنَاكَ فِي بَحْرِ طَبْرِسْتَانَ فِي الْقِطْعَةِ الَّتِي أَنْكَشَتْ مِنْ  
 الْجُزْءِ عِنْدَ الزَّوَايَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ وَالْجُزْءِ النَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ  
 مِنْهُ بِلَادُ خَفْشَاخَ مِنَ التُّرْكِ وَهُمْ فَبَجَاقُ وَبِلَادُ السَّرْكَسِ مِنْهُمْ أَيْضًا وَفِي الشَّرْقِ مِنْهُ  
 بِلَادُ يَأْجُوجَ يَقْضَلُ بَيْنَهُمَا جَبَلٌ فَوْقِيًّا الْخَيْطُ وَقَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ بَدَأَ مِنَ الْبَحْرِ الْخَيْطِ  
 فِي شَرْقِ الْأَقْلِيمِ الرَّابِعِ وَيَذْهَبُ مَعَهُ إِلَى آخِرِ الْأَقْلِيمِ فِي الشَّمَالِ وَيَفَارِقُهُ مَغْرِبًا  
 وَيَأْتِي حَرَّافَ إِلَى الشَّمَالِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الْجُزْءِ النَّاسِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ الْخَامِسِ فَيَرْجِعُ إِلَى  
 سَمْتِهِ الْأَوَّلِ حَتَّى يَدْخُلَ فِي هَذَا الْجُزْءِ النَّاسِعِ مِنَ الْأَقْلِيمِ مِنْ جَنُوبِهِ إِلَى شَمَالِهِ  
 بِأَنْحَرِافٍ إِلَى الْمَغْرِبِ وَفِي وَسْطِهِ هُنَا السُّدُّ الَّذِي بَنَاهُ الْأَيْسْكَندَرُ ثُمَّ يَخْرُجُ عَلَى سَمْتِهِ  
 إِلَى الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ وَفِي الْجُزْءِ النَّاسِعِ مِنْهُ فَيَمُرُّ فِيهِ إِلَى الْجَنُوبِ إِلَى أَنْ يَلْقَى الْبَحْرَ  
 الْخَيْطِ فِي شَمَالِهِ ثُمَّ يَنْعَطِفُ مَعَهُ مِنْ هُنَاكَ مَغْرِبًا إِلَى الْأَقْلِيمِ السَّابِعِ إِلَى الْجُزْءِ  
 الْخَامِسِ مِنْهُ فَيَتَّصِلُ هُنَاكَ بِقِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْخَيْطِ فِي غَرْبِهِ وَفِي وَسْطِ هَذَا الْجُزْءِ  
 النَّاسِعِ هُوَ السُّدُّ الَّذِي بَنَاهُ الْأَيْسْكَندَرُ كَمَا قُلْنَا وَأَصْحِيحٌ مِنْ خَبَرِهِ فِي الْقُرْآنِ  
 وَقَدْ ذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَرْدَاذِبَةَ فِي كِتَابِهِ فِي الْجُغْرَافِيَا أَنَّ الْوَاتِقَ رَأَى فِي مَنَامِهِ  
 كَانَ السُّدَّ أَنْتَحَى فَاتَّبَعَهُ فَرَعًا وَبَعَثَ سَلَامًا أَلْتَرَجْمَانَ فَوَقَّفَ عَلَيْهِ وَجَاءَ بِخَبَرِهِ وَوَصَّاهُ  
 فِي حِكَايَةِ طَوْلِيَّةٍ لَيْسَتْ مِنْ مَقَاصِدِ كِتَابِنَا هَذَا وَفِي الْجُزْءِ الْعَاشِرِ مِنْ هَذَا الْأَقْلِيمِ  
 بِلَادُ مَأْجُوجَ مُتَّصِلَةٌ فِيهِ إِلَى آخِرِهِ عَلَى قِطْعَةٍ مِنْ هُنَاكَ مِنَ الْبَحْرِ الْخَيْطِ أَحَاطَتْ بِهِ  
 مِنْ شَرْقِهِ وَشَمَالِهِ مُسْتَطِيلَةٌ فِي الشَّمَالِ وَعَرِيضَةٌ بَعْضُ الشَّيْءِ فِي الشَّرْقِ

الْإِفْلِيمِ السَّابِعُ \* وَالْبَحْرُ الْمُحِيطُ قَدْ عَمَّرَ عَامَتَهُ مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ إِلَى وَسَطِ الْجَزْءِ  
 الْخَامِسِ حَيْثُ يَتَّصِلُ بِجِبَلٍ فَوْقِيَا الْمُحِيطِ بِبَاجُوجٍ وَمَاجُوجٍ . فَالْجَزْءُ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي  
 مَعْمُورَانِ بِالْمَاءِ إِلَّا مَا أَنْكَشَفَ مِنْ جَزِيرَةٍ أَنْكَشَفَتِهَا النَّارُ مَعْمُورًا فِي الثَّانِي وَفِي الْأَوَّلِ  
 مِنْهَا طَرَفٌ أَنْعَطَفَ بِالْمَحْرَافِ إِلَى الشَّمَالِ وَبَقِيَّتُهَا مَعَ قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ مُسْتَدِيرَةٌ عَلَيْهِ  
 فِي الْجَزْءِ الثَّانِي مِنَ الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ وَهِيَ مَذْكُورَةٌ هُنَاكَ وَالْحِجَازُ مِنْهَا إِلَى الْبَرِّ فِي  
 هَذِهِ الْقِطْعَةِ سَعَةٌ اثْنِي عَشَرَ مِيلاً وَوَرَاءَ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ فِي شَمَالِ الْجَزْءِ الثَّانِي جَزِيرَةٌ  
 رَسَلَانِدَةٌ مُسْتَطِيلَةٌ مِنَ الْغَرْبِ إِلَى الشَّرْقِ . وَالْجَزْءُ الثَّلَاثُ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ مَعْمُورٌ  
 أَكْثَرُهُ بِالْبَحْرِ إِلَّا قِطْعَةً مُسْتَطِيلَةً فِي جَنُوبِهِ وَتُسَبِّحُ فِي شَرْقِهَا وَفِيهَا هُنَاكَ مَتَّصِلٌ أَرْضَ  
 فَلُونِيَّةٍ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا فِي الثَّلَاثِ مِنَ الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ وَأَنَّهَا فِي شَمَالِهَا وَفِي الْقِطْعَةِ مِنَ  
 الْبَحْرِ الَّتِي تَعْمُرُ هَذَا الْجَزْءَ ثُمَّ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهَا مُسْتَدِيرَةٌ فَسِيحَةٌ وَتَتَّصِلُ بِالْبَرِّ مِنْ  
 بَابٍ فِي جَنُوبِهَا يُفْضِي إِلَى بِلَادِ فَلُونِيَّةٍ وَفِي شَمَالِهَا جَزِيرَةٌ بَرَعَايِبَةٌ (وَفِي نَسْخَةِ بَوَاقِعَةٍ)  
 مُسْتَطِيلَةٌ مَعَ الشَّمَالِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ . وَالْجَزْءُ الرَّابِعُ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ شَمَالُهُ  
 كُلُّهُ مَعْمُورٌ بِالْبَحْرِ الْمُحِيطِ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَى الْمَشْرِقِ وَجَنُوبُهُ مُنْكَشَفٌ وَفِي غَرْبِهِ  
 أَرْضٌ قِيْمَارِكُ مِنَ التُّرْكِ وَفِي شَرْقِهَا بِلَادٌ طُسْتُ ثُمَّ أَرْضُ رَسَلَانَ إِلَى آخِرِ الْجَزْءِ شَرْقًا  
 وَهِيَ دَائِمَةٌ التَّلُوجِ وَعَمْرَانُهَا قَلِيلٌ وَتَتَّصِلُ بِبِلَادِ الرُّوسِيَّةِ فِي الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ وَفِي  
 الْجَزْءِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ مِنْهُ وَفِي الْجَزْءِ الْخَامِسِ مِنْ هَذَا الْإِفْلِيمِ فِي النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ  
 بِلَادُ الرُّوسِيَّةِ وَتَنْتَهِي فِي الشَّمَالِ إِلَى قِطْعَةٍ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ الَّتِي يَتَّصِلُ بِهَا جِبَلٌ  
 فَوْقِيَا كَمَا ذَكَرْنَا مِنْ قَبْلُ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْهُ مَتَّصِلٌ أَرْضَ الْقِمَانِيَّةِ الَّتِي عَلَى  
 قِطْعَةٍ بِحَرِّ نِيطِشٍ مِنَ الْجَزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْإِفْلِيمِ السَّادِسِ وَتَنْتَهِي إِلَى بُحَيْرَةِ طَرْمِي  
 مِنْ هَذَا الْجَزْءِ وَهِيَ عَذْبَةٌ تَنْجَلِبُ إِلَيْهَا أَنْهَارٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْجِبَالِ عَنِ الْجَنُوبِ وَالشَّمَالِ  
 وَفِي شَمَالِ النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجَزْءِ أَرْضُ التَّنَارِيَّةِ مِنَ التُّرْكِ (وَفِي نَسْخَةِ التَّرْكَانِ)  
 إِلَى آخِرِهِ . وَفِي الْجَزْءِ السَّادِسِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْغَرْبِيَّةِ الْجَنُوبِيَّةِ مَتَّصِلٌ بِلَادُ الْقِمَانِيَّةِ وَفِي  
 وَسَطِ النَّاحِيَةِ بُحَيْرَةٌ عَثُورٌ عَذْبَةٌ تَنْجَلِبُ إِلَيْهَا الْأَنْهَارُ مِنَ الْجِبَالِ فِي النُّوَاحِي الشَّرْقِيَّةِ  
 وَهِيَ جَامِدَةٌ دَائِمًا لِسِدَّةِ الْبَرْدِ إِلَّا قَلِيلًا فِي زَمَنِ الصَّيْفِ وَفِي شَرْقِ بِلَادِ الْقِمَانِيَّةِ بِلَادٌ

الرُّوسِيَّةَ الَّتِي كَانَ مَبْدَأُهَا فِي الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ  
 الْخَامِسِ مِنْهُ وَفِي الزَّوَايَةِ الْجَنُوبِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ بَقِيَّةُ أَرْضِ بُلْغَرِ الَّتِي كَانَ  
 مَبْدَأُهَا فِي الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ الشَّمَالِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْهُ  
 وَفِي وَسْطِ هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنْ أَرْضِ بُلْغَرِ مُنْعَطَفُ نَهْرِ آئِلِ الْقِطْعَةِ الْأُولَى إِلَى الْجَنُوبِ  
 كَمَا مَرَّ وَفِي آخِرِ هَذَا الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ شِمَالِهِ جَبَلٌ فَوْقِيًّا مُتَّصِلٌ مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ  
 وَفِي الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي غَرْبِهِ بَقِيَّةُ أَرْضِ يَخْنَكِ مِنْ أُمَّهِ التُّرْكِ وَكَانَ  
 مَبْدَأُهَا مِنَ النَّاحِيَةِ الشَّمَالِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ قِبَلَهُ وَفِي النَّاحِيَةِ الْجَنُوبِيَّةِ  
 الْغَرْبِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ وَيَخْرُجُ إِلَى الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ مِنْ فَوْقِهِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ  
 بَقِيَّةُ أَرْضِ سُحْرَبِ ثُمَّ بَقِيَّةُ الْأَرْضِ الْمُنْتَدَةِ إِلَى آخِرِ الْجُزْءِ شَرْقًا وَفِي آخِرِ الْجُزْءِ مِنْ  
 جِهَةِ الشَّمَالِ جَبَلٌ فَوْقِيًّا مُحِيطٌ مُتَّصِلًا مِنْ غَرْبِهِ إِلَى شَرْقِهِ . وَفِي الْجُزْءِ الثَّامِنِ مِنْ هَذَا  
 الْإِقْلِيمِ فِي الْجَنُوبِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ مِنْهُ مُتَّصِلٌ الْأَرْضِ الْمُنْتَدَةِ وَفِي شَرْقِهَا الْأَرْضُ الْمَحْفُورَةُ  
 وَهِيَ مِنَ الْعُجَابِ خَرَقٌ عَظِيمٌ فِي الْأَرْضِ بَعِيدُ الْمَهْوَى فَيَسِيحُ الْأَفْطَارُ مُمْتَنِعٌ الْأُصُولُ  
 إِلَى قَعْرِهِ يَسْتَدِلُّ عَلَى عُمُرَانِهِ بِالِدُخَانِ فِي النَّهَارِ وَالنِّيرَانِ فِي اللَّيْلِ تَضِيءُ وَتَخْفَى وَرُبَّمَا  
 رُئِيَ فِيهَا نَهْرٌ يُسَمُّهَا مِنَ الْجَنُوبِ إِلَى الشَّمَالِ وَفِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ الْبِلَادُ  
 الْخَرَابُ الْمُتَاخِةُ لَلسُّدِّ وَفِي آخِرِ الشَّمَالِ مِنْهُ جَبَلٌ فَوْقِيًّا مُتَّصِلًا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ  
 وَفِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنْ هَذَا الْإِقْلِيمِ فِي الْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنْهُ بِلَادُ خَفْشَاخِ وَهُمْ قَفِجِيُّ  
 يَجُوزُهَا جَبَلٌ فَوْقِيًّا حِينَ يَنْعَطِفُ مِنْ شِمَالِهِ عِنْدَ النَّجْرِ الْمُحِيطِ وَيَذْهَبُ فِي وَسْطِهِ إِلَى  
 الْجَنُوبِ بِانْحِرَافٍ إِلَى الشَّرْقِ فَيَخْرُجُ فِي الْجُزْءِ التَّاسِعِ مِنَ الْإِقْلِيمِ السَّادِسِ وَيَمُرُّ  
 مُعْتَرِضًا فِيهِ وَفِي وَسْطِهِ هُنَالِكَ سُدٌّ بِأَجُوجِ وَمَأْجُوجِ وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي النَّاحِيَةِ الشَّرْقِيَّةِ  
 مِنْ هَذَا الْجُزْءِ أَرْضَ يَأْجُوجِ وَرَاءَ جَبَلٍ فَوْقِيًّا عَلَى النَّجْرِ قَلِيلَةَ الْعَرْضِ مُسْتَطِيلَةً أَحَاطَتْ  
 بِهِ مِنْ شَرْقِهِ وَشِمَالِهِ . وَالْجُزْءُ الْعَاشِرُ عَمَرُ النَّجْرِ جَمِيعُهُ . هَذَا آخِرُ الْكَلَامِ عَلَى الْجُغْرَفِيَا  
 وَأَقْلِيمِهَا السَّبْعَةِ وَفِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِبَابِ الْعَالَمِينَ

## المقدمة الثالثة

في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء في الوان البشر

والكثير في احوالهم

قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الْمَعْمُورَ مِنْ هَذَا الْمُنْكَشَفِ مِنَ الْأَرْضِ إِنَّمَا هُوَ وَسَطُهُ لِإِفْرَاطِ  
الْحَرِّ فِي الْجَنُوبِ مِنْهُ وَالْبَرْدِ فِي الشَّمَالِ . وَلَمَّا كَانَ الْجَبَابِثُ مِنَ الشَّمَالِ وَالْجَنُوبِ  
مُتَضَادِّينِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَجَبَ أَنْ تَنْدَرِّجَ الْكَيْفِيَّةُ مِنْ كِلَيْهِمَا إِلَى الْوَسْطِ فَيَكُونُ  
مُعْتَدِلًا فَالْأَقْلِيمُ الرَّابِعُ أَعْدَلُ الْعُمُرَانِ وَالَّذِي حَافَاتُهُ مِنَ الثَّلَاثِ وَالْخَامِسُ أَقْرَبُ إِلَى  
الْإِعْتِدَالِ وَالَّذِي يَلِيهِمَا وَالثَّانِي وَالسَّادِسُ بَعِيدَانِ مِنَ الْإِعْتِدَالِ وَالْأَوَّلُ وَالسَّابِعُ  
أَبْعَدُ بكَثِيرٍ فَلِهَذَا كَانَتْ الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ وَالْمَبَانِي وَالْمَلَابِسُ وَالْأَقْوَاتُ وَالْفَوَاكِهِ بَلْ  
وَالْحَيَوَانَاتُ وَجَمِيعُ مَا يَتِمُّكَونُ فِي هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الثَّلَاثَةِ الْمَتَوَسِّطَةِ مَخْصُوصَةً بِالْإِعْتِدَالِ  
وَسُكَّانِهَا مِنَ الْبَشَرِ أَعْدَلُ أَجْسَامًا وَالْوَانَا وَأَخْلَاقًا وَأَدْبَانًا حَتَّى الثُّبُوتِ فَإِنَّمَا تَوْجَدُ  
فِي الْأَكْثَرِ فِيهَا وَلَمْ تَقَفْ عَلَى خَبَرِ بَعْثَةِ فِي الْأَقَالِيمِ الْجَنُوبِيَّةِ وَلَا الشَّمَالِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ  
الْأَنْبِيَاءَ وَالرُّسُلَ إِنَّمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ أَكْمَلُ النَّوعِ فِي خَلْقِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ قَالَ تَعَالَى كُنْتُمْ  
خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ وَذَلِكَ لِتَمِّمِ الْقَوْلُ بِمَا بَيَّنَّاهُمْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاهْلُ  
هَذِهِ الْأَقَالِيمِ أَكْمَلُ لَوْجُودِ الْإِعْتِدَالِ لَهُمْ فَتَجِدُهُمْ عَلَى غَايَةِ مِنَ التَّوَسُّطِ فِي مَسَاكِينِهِمْ  
وَمَلَابِسِهِمْ وَأَقْوَاتِهِمْ وَصَنَائِعِهِمْ يَتَّخِذُونَ الْبَيْوتَ الْمُنَجَّدَةَ بِالْحِجَارَةِ الْمُنْمَقَةِ بِالصَّنَاعَةِ  
وَيَتَنَاقَشُونَ فِي اسْتِجَادَةِ الْأَلَاتِ وَالْمَوَاعِينِ وَيَدْبَحُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى الْغَايَةِ وَتَوْجَدُ لَدَيْهِمْ  
الْمَعَادِنَ الطَّبِيعِيَّةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَدِيدِ وَالنَّحَاسِ وَالرِّصَاصِ وَالْقَصْدِيرِ  
وَيَتَصَرَّفُونَ فِي مَعَامَلَاتِهِمْ بِالْقَدْرَيْنِ الْعَزِيزَيْنِ وَيَبْعُدُونَ عَنِ الْإِنْخِرَافِ فِي عَامَّةِ أَحْوَالِهِمْ  
وَهُؤُلَاءِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالشَّامِ وَالْحِجَازِ وَالْيَمَنِ وَالْعِرَاقِينَ وَالْمِنْدِ وَالسِّنْدِ وَالصِّينِ  
وَكَذَلِكَ الْأَنْدَلُسُ وَمَنْ قَرِيبَ مِنْهَا مِنَ الْفَرَنْجِيَّةِ وَالْجَلَالِقَةِ وَالرُّومِ وَالْيُونَانِيِّينَ وَمَنْ كَانَ  
مَعَ هَؤُلَاءِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُمْ فِي هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الْمُعْتَدِلَةِ وَلِهَذَا كَانَ الْعِرَاقُ وَالشَّامُ أَعْدَلُ  
هَذِهِ كُلِّهَا لِأَنَّهَا وَسَطٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِبَاتِ . وَأَمَّا الْأَقَالِيمُ الْبَعِيدَةُ مِنَ الْإِعْتِدَالِ مِثْلَ الْأَوَّلِ  
وَالثَّانِي وَالسَّادِسِ وَالسَّابِعِ فَأَهْلُهَا أَبْعَدُ مِنَ الْإِعْتِدَالِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ فَيَنَاقِشُهُمُ بِالطِّينِ

وَالْقَصَبَ وَأَفْوَاهَهُمْ مِنَ الذَّرَّةِ وَالْعُشْبِ وَمَلَابِسَهُمْ مِنْ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ يَخْصِفُونَهَا عَلَيْهِمْ  
أَوْ الْجُلُودَ وَكَثُرَتْ عَرَايَا مِنَ اللَّبَاسِ وَفَوَاكِهِ بِأَدَمِ وَأَدَمَهَا غَرِيبَةُ التَّكْوِينِ مَائِلَةٌ  
إِلَى الْأَنْحِرَافِ وَمَعَامِلَاتِهِمْ بَغَيْرِ الْحَجْرَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ مِنْ نَحَاسٍ أَوْ حَدِيدٍ أَوْ جُلُودٍ  
يَقْدِرُوهَا لِلْمَعَامِلَاتِ وَأَخْلَاقَهُمْ مَعَ ذَلِكَ قَرِيبَةٌ مِنْ خَلْقِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ حَتَّى لِيُنْقَلُ  
عَنْ الْكَثِيرِ مِنَ السُّودَانِ أَهْلُ الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ أَنَّهُمْ يَسْكُنُونَ الْكَهْفَ وَالْغِيَاضَ  
وَيَأْكُلُونَ الْعُشْبَ وَأَنَّهُمْ مَتَوَحِّشُونَ غَيْرُ مُسْتَأْنِسِينَ يَأْكُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَكَذَا الصَّقَالِبَةُ  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ لِبُعْدِهِمْ عَنِ الْأَعْتِدَالِ يَقْرُبُ عَرَضُ أَمْرِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ مِنْ  
عَرَضِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ وَيَعْدُونَ عَنِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِمِقْدَارِ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ أَحْوَالُهُمْ فِي  
الدِّيَانَةِ أَيْضًا فَلَا يَعْرِفُونَ نَبُوَّةَ وَلَا يَدِينُونَ بِشَرِيعَةٍ إِلَّا مَنْ قَرَّبَ مِنْهُمْ مِنْ جَوَانِبِ  
الْأَعْتِدَالِ وَهُوَ فِي الْأَقْلِ النَّادِرُ مِثْلَ الْحَبَشَةِ الْجَوَارِينِ اللَّيْمِنِ الدَّائِنِينَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ  
فِيمَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَمَا بَعْدَهُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَمِثْلُ أَهْلِ مَالِي وَكُوكُو وَالتَّكْرُورِ الْجَوَارِينِ  
لِأَرْضِ الْمَغْرِبِ الدَّائِنِينَ بِالْإِسْلَامِ لِهَذَا الْعَهْدِ يُقَالُ إِنَّهُمْ دَانُوا بِهِ فِي الْمِائَةِ السَّابِعَةِ  
وَمِثْلُ مَنْ دَانَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ مِنْ أُمَّةِ الصَّقَالِبَةِ وَالْإِفْرَنْجِيَّةِ وَالتُّرْكِ مِنَ الشَّمَالِ وَمَنْ سَوَى  
هُؤُلَاءِ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْأَقَالِيمِ الْمُنْعَرَفَةِ جَنُوبًا وَشِمَالًا فَالَّذِينَ مَجْهُولٌ عِنْدَهُمُ وَالْعِلْمُ مُنْقُودٌ  
بَيْنَهُمْ وَجَمِيعَ أَحْوَالِهِمْ بَعِيدَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ قَرِيبَةٌ مِنْ أَحْوَالِ الْبَهَائِمِ وَيَخْلُقُ مَا  
لَا تَعْلَمُونَ وَلَا يَعْتَرِضُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ بُوْجُودُ الْيَمْنِ وَحَضْرَتُوتِ وَالْأَحْقَافِ وَبِلَادِ  
الْحِجَازِ وَالْيَمَامَةِ وَمَا يَلِيهَا مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ فِي الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالتَّنَائِي فَإِنَّ جَزِيرَةَ  
الْعَرَبِ كُلَّهَا أَحَاطَتْ بِهَا الْبَحَارُ مِنْ الْجِهَاتِ الثَّلَاثِ كَمَا ذَكَرْنَا فَكَانَ لِرُطُوبَتِهَا أَثَرٌ فِي  
رُطُوبَةِ هَوَائِهَا فَفَقَصَ ذَلِكَ مِنَ الْيَبَسِ وَالْأَنْحِرَافِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ الْحَرُّ وَصَارَ فِيهَا بَعْضُ  
الْأَعْتِدَالِ بِسَبَبِ رُطُوبَةِ الْبَحْرِ . وَقَدْ تَوَهَّمَ بَعْضُ النَّسَابِينَ مِمَّنْ لَا عِلْمَ لَدَيْهِ بِطَبَائِعِ  
الْكَاثِنَاتِ أَنَّ السُّودَانَ هُمُ وُلْدُ حَامٍ بِنِ نُوحٍ اخْتَصَمُوا بِلَوْنِ السُّودِ لِدَعْوَةِ كَانَتْ عَلَيْهِ  
مِنْ أَبِيهِ ظَهَرَ أَثَرُهَا فِي لَوْنِهِ وَفِيمَا جَعَلَ اللَّهُ مِنَ الرَّقِّ فِي عَقْبِهِ وَيَنْقُلُونَ فِي ذَلِكَ حِكَايَةَ  
مَنْ خُرَافَاتِ الْقَصَاصِ وَدَعَا نُوحٍ عَلَى ابْنِهِ حَامٍ فَدَوَّقَ فِي التَّوْرَةِ وَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ  
السُّودِ وَإِنَّمَا دَعَا عَلَيْهِ بِأَنْ يَكُونَ وُلْدُهُ عبيدًا لَوْلَادِ إِخْوَتِهِ لِأَخِيَرِ وَفِي الْقَوْلِ بِنِسْبَةِ  
السُّودِ إِلَى حَامٍ غَفْلَةٌ عَنِ طَبِيعَةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَأَثَرِهِمَا فِي الْهَوَاءِ وَفِيمَا يَتَكَوَّنُ فِيهِ

مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا اللَّوْنَ سَمَلَ أَهْلِ الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي مِنَ مَزَاجِ هَوَائِهِمْ  
 لِلْحَرَارَةِ الْمُتَضَاعِفَةِ بِالْجَنُوبِ فَإِنَّ الشَّمْسَ تُسَامَتُ رُؤُوسُهُمْ مَرَّتَيْنِ فِي كُلِّ سَنَةٍ قَرِيبَةً  
 أَحَدَاهُمَا مِنَ الْأُخْرَى فَيَطُولُ الْمَسَامَتَةُ عَامَةً الْفُصُولِ فَيَكْثُرُ الضَّوْءُ لِأَجْلِهَا وَيُلْحِقُ  
 الْقَيْظُ الشَّدِيدَ عَلَيْهِمْ وَتَسْوَدُّ جُلُودُهُمْ لِإِفْرَاطِ الْحَرِّ وَنَظِيرُ هَذَيْنِ الْأَقْلِيمَيْنِ مِمَّا يَقَابِلُهُمَا  
 مِنَ الشَّمَالِ الْأَقْلِيمُ السَّابِعُ وَالسَّادِسُ سَمَلَهُمَا أَيْضًا الْبَيَاضُ مِنَ مَزَاجِ هَوَائِهِمْ  
 لِلبَرْدِ الْمَفْرُطِ بِالشَّمَالِ إِذِ الشَّمْسُ لَا تَزَالُ بِأَفْقِهِمْ فِي دَائِرَةِ مَرَأَى الْعَيْنِ أَوْ مَا قَرَّبَ  
 مِنْهَا وَلَا تَرْتَبِعُ إِلَى الْمَسَامَتَةِ وَلَا مَا قَرَّبَ مِنْهَا فَيَضَعُفُ الْحَرُّ فِيهَا وَيَشَدُّ الْبَرْدُ عَامَةً  
 الْفُصُولِ فَيَبْيُضُّ الْوَأْنُ أَهْلُهَا وَتَنْتَهِي إِلَى الزُّعُورَةِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ مَا يَقْتَضِيهِ مَزَاجُ الْبَرْدِ  
 الْمَفْرُطِ مِنْ زُرْقَةِ الْعُيُونِ وَبَرَشِ الْجُلُودِ وَصُهُوبَةِ الشُّعُورِ وَتَوَسَّطَتْ بَيْنَهُمَا الْأَقْلِيمُ  
 الثَّلَاثَةُ الْخَامِسُ وَالرَّابِعُ وَالثَّلَاثُ فَكَانَ لَهَا فِي الْأَعْتِدَالِ الَّذِي هُوَ مَزَاجُ الْمَتَوَسِّطِ  
 حَظٌّ وَافِرٌ وَالرَّابِعُ أَبْلَغُهَا فِي الْأَعْتِدَالِ غَايَةَ لِنَهَائَتِهِ فِي التَّوَسُّطِ كَمَا قَدَمْنَاهُ فَكَانَ لِأَهْلِهِ  
 مِنَ الْأَعْتِدَالِ فِي خَلْقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ مَا أَفْتَضَاهُ مَزَاجُ هَوَائِهِمْ وَتَبِعَهُ مِنْ جَانِبِيهِ الثَّلَاثُ  
 وَالْخَامِسُ وَإِنْ لَمْ يَبْلُغَا غَايَةَ التَّوَسُّطِ لِمِيلِ هَذَا قَلِيلًا إِلَى الْجَنُوبِ أَلْحَارَ وَهَذَا قَلِيلًا إِلَى  
 الشَّمَالِ الْبَارِدِ إِلَّا أَنَّهُمَا لَمْ يَنْتَهِيَا إِلَى الْأَنْحِرَافِ وَكَانَتِ الْأَقْلِيمُ الْأَرْبَعَةُ مُنْحَرَفَةً وَأَهْلُهَا  
 كَذَلِكَ فِي خَلْقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ فَلِأَوَّلِ وَالثَّانِي لِلْحَرِّ وَالسَّوَادِ وَالسَّابِعُ لِلْبَرْدِ وَالْبَيَاضِ وَيُسَمَّى  
 سُكَّانُ الْجَنُوبِ مِنَ الْأَقْلِيمَيْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي بِأَسْمِ الْجَبَشَةِ وَالزَّرْنَجِ وَالسُّودَانَ سَمَاءً  
 مُتَرَادِفَةً عَلَى الْأَمْرِ الْمُتَغَيِّرَةِ بِالسَّوَادِ وَإِنْ كَانَ اسْمُ الْجَبَشَةِ مُخْتَصًّا مِنْهُمْ بِمَنْ تَجَاهَ  
 مَكَّةَ وَالْيَمَنَ وَالزَّرْنَجِ بِمَنْ تَجَاهَ بَحْرَ الْهِنْدِ وَلَيْسَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ لَهُمْ مِنْ أَجْلِ أَنْتِسَابِهِمْ  
 إِلَى أَدَمِي أَسْوَدٍ لَا حَامٍ وَلَا غَيْرِهِ وَقَدْ نَجَدُ مِنَ السُّودَانَ أَهْلَ الْجَنُوبِ مَنْ يَسْكُنُ  
 الرَّبْعَ الْمُعْتَدِلِ أَوْ السَّابِعَ الْمُنْحَرِفِ إِلَى الْبَيَاضِ فَيَبْيُضُّ الْوَأْنُ أَهْلُهَا عَقَابِهِمْ عَلَى التَّدْرِيجِ  
 مَعَ الْأَيَّامِ وَبِالْعَكْسِ فَيَمَنْ يَسْكُنُ مِنْ أَهْلِ الشَّمَالِ أَوْ الرَّابِعِ بِالْجَنُوبِ فَتَسْوَدُّ  
 الْوَأْنُ عَقَابِهِمْ وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّوْنَ تَابِعٌ لِمَزَاجِ الْهَوَاءِ قَالَ ابْنُ سِينَا فِي  
 أَرْجُوزَتِهِ فِي الطَّبِّ

بِالزَّرْنَجِ حَرٌّ غَيْرُ الْأَجْسَادِ حَتَّى كَسَا جُلُودَهَا سَوَادًا  
 وَالصِّقْلُ أَكْتَسَبَتِ الْبَيَاضَ حَتَّى غَدَّتْ جُلُودَهَا بَيَاضًا

وَأَمَّا أَهْلُ الشَّمَالِ فَلَمْ يَسْمُوا بِأَعْتَابِ الْوَأْتِهِمْ لِأَنَّ الْبَيَاضَ كَانَ لَوْنًا لِأَهْلِ تِلْكَ اللَّغَةِ  
 الْوَأَضِعَةَ لِلْأَسْمَاءِ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ غَرَابَةٌ تَحْمَلُ عَلَى اعْتِبَارِهِ فِي التَّسْمِيَةِ لِمُؤَافَقَتِهِ وَعَاقِبَتِهِ  
 وَوَجَدْنَا سُكَّانَهُ مِنَ التُّرْكِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالطُّغْرُغُرِ وَالْخَزَرِ وَاللَّانِ وَالْكَنْدَرِ مِنَ الْأَفْرَجَةِ  
 وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ أَسْمَاءَ مُتَفَرِّقَةً وَأَجْبَالًا مُتَعَدِّدَةً مُسَمَّيْنَ بِأَسْمَاءِ مَتْنُوعَةٍ وَأَمَّا أَهْلُ  
 الْأَقَالِيمِ الثَّلَاثَةِ الْمُتَوَسِّطَةِ أَهْلُ الْإِعْتِدَالِ فِي خَلْقِهِمْ وَخَلْقِهِمْ وَسَيْرِهِمْ وَكَافَّةُ الْأَحْوَالِ  
 الطَّبِيعِيَّةِ لِلْإِعْتِمَارِ لَدَيْهِمْ مِنَ الْمَعَاشِ وَالْمَسَاكِينِ وَالصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ وَالرَّئِاسَاتِ  
 وَالْمَلِكِ فَكَانَتْ فِيهِمْ النُّبُوَاتُ وَالْمَلِكُ وَالذُّوُلُ وَالشَّرَائِعُ وَالْعُلُومُ وَالْبِلْدَانُ وَالْأَمْصَارُ  
 وَالْمَبَانِي وَالْفِرَاسَةُ وَالصَّنَائِعُ الْفَائِقَةُ وَسَائِرُ الْأَحْوَالِ الْمُعْتَدِلَةِ وَأَهْلُ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ الَّتِي  
 وَفَّقْنَا عَلَى أَخْبَارِهِمْ مِثْلَ الْعَرَبِ وَالرُّومِ وَفَارِسَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْيُونَانَ وَأَهْلَ السِّنْدِ  
 وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ . وَلَمَّا رَأَى النَّسَابُونَ اخْتِلَافَ هَذِهِ الْأُمَمِ بِسِمَاتِهَا وَشِعَارِهَا حَسِبُوا ذَلِكَ  
 لِأَجْلِ الْأَنْسَابِ فَعَمِلُوا أَهْلَ الْجَنُوبِ كَلِمَهُ السُّودَانَ مِنْ وُلْدِ حَامٍ وَأَزْتَابُوا فِي الْوَأْتِهِمْ  
 فَتَكَلَّفُوا نَقْلَ تِلْكَ الْحِكَايَةِ الْوَاهِيَةِ وَجَعَلُوا أَهْلَ الشَّمَالِ كَلِمَهُ أَوْ أَكْثَرَهُمْ مِنْ وُلْدِ  
 يَافِثَ وَأَكْثَرَ الْأُمَمِ الْمُعْتَدِلَةِ وَأَهْلَ الْوَسْطِ الْمُتَحَمِّلِينَ لِلْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَالْمَلِكِ  
 وَالشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْمَلِكِ مِنْ وُلْدِ سَامٍ وَهَذَا الزَّعْمُ وَإِنْ صَادَفَ الْحَقُّ فِي أَنْسَابِ  
 هَؤُلَاءِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِقِيَاسٍ مُطَوَّرٍ إِنَّمَا هُوَ إِخْبَارٌ عَنِ الْوَأَقِيعِ لَا أَنَّ تَسْمِيَةَ أَهْلِ الْجَنُوبِ  
 بِالسُّودَانَ وَالْحَبْشَانَ مِنْ أَجْلِ أَنْتِسَابِهِمْ إِلَى حَامِ الْأَسْوَدِ . وَمَا آدَاهُمْ إِلَى هَذَا الْعَلْطِ  
 إِلَّا اعْتِقَادُهُمْ أَنَّ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْأُمَمِ إِنَّمَا يَقَعُ بِالْأَنْسَابِ فَقَطْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّ التَّمْيِيزَ  
 لِلْجِيلِ أَوْ الْأُمَّةِ يَكُونُ بِالنَّسَبِ فِي بَعْضِهِمْ كَمَا لِلْعَرَبِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْفَرَسِ وَيَكُونُ  
 بِالْجِهَةِ وَالسَّمَةِ كَمَا لِلزَّنَجِ وَالْحَبْشَةِ وَالصَّقَالِبَةِ وَالسُّودَانَ وَيَكُونُ بِالْعَوَائِدِ وَالشُّعَارِ  
 وَالنَّسَبِ كَمَا لِلْعَرَبِ . وَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالِ الْأُمَمِ وَخَوَاصِرِهِمْ وَمُمَيِّزَاتِهِمْ  
 فَتَعَمِيمُ الْقَوْلِ فِي أَهْلِ جِهَةٍ مُعَيَّنَةٍ مِنْ جَنُوبٍ أَوْ شَمَالٍ بِأَنَّهُمْ مِنْ وُلْدِ فُلَانٍ الْمَعْرُوفِ  
 لَمَّا شَمَلَهُمْ مِنْ نَجَلَةٍ أَوْ لَوْنٍ أَوْ سَمَةٍ وَجِدَتْ لِنِلكِ الْأَبِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْأَغْلِبِ الَّتِي أَوْقَعَ  
 فِيهَا الْعَقْلَةَ عَنِ طَبَائِعِ الْأَكْوَانِ وَالْجِهَاتِ وَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا تُتَبَدَّلُ فِي الْأَعْقَابِ وَلَا يَجِبُ  
 اسْتِمْرَارُهَا سَنَةَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ بِغَيْبِهِ  
 وَأَحْكَمُ وَهُوَ الْمَوْلَى الْمَنْعُمُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ

## المقدمة الرابعة

في اثر الهواء في اخلاق البشر

قَدْ رَأَيْنَا مِنْ خُلُقِ السُّودَانِ عَلَى الْعُمُومِ الْخِفَّةَ وَالطَّيْسَ وَكَثْرَةَ الطَّرَبِ فَجَدُّهُمْ  
 مُوَلَعِينَ بِالرَّقْصِ عَلَى كُلِّ تَوْقِعٍ مَوْصُوفِينَ بِالْحَمَقِ فِي كُلِّ فُطْرٍ وَالسَّبَبُ الصَّحِيحُ فِي  
 ذَلِكَ أَنَّهُ تَقَرَّرَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنَّ طَبِيعَةَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ هِيَ انْتِشَارُ الرُّوحِ  
 الْحَيَوَانِيِّ وَتَنْفِيسِهِ وَطَبِيعَةُ الْحُزَنِ بِالْعَكْسِ وَهُوَ انْقِبَاضُهُ وَتَكَاثُرُهُ . وَتَقَرَّرَ أَنَّ الْحَرَارَةَ  
 مُفْسِدَةٌ لِلْهَوَاءِ وَالْبَخَارِ مُخْلِجَةٌ لَهُ زَائِدَةٌ فِي كَيْتِهِ وَلِهَذَا يَجِدُ الْمُنْتَشِي مِنَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ  
 مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ وَذَلِكَ بِمَا يَدْخُلُ بَخَارُ الرُّوحِ فِي الْقَلْبِ مِنَ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ الَّتِي تَبْعَثُهَا  
 سُورَةُ الْخَمْرِ فِي الرُّوحِ مِنْ مَزَاجِهِ فَيَنْفَسِي الرُّوحُ وَتَجِيءُ طَبِيعَةُ الْفَرَحِ وَكَذَلِكَ نَجِدُ  
 الْمُنْتَعَمِينَ بِالْحَمَامَاتِ إِذَا تَنَفَّسُوا فِي هَوَائِهَا وَاتَّصَلَتْ حَرَارَةُ الْهَوَاءِ فِي أَرْوَاحِهِمْ فَتَسَخَّتْ  
 لِذَلِكَ حَدَثَ لَهُمْ فَرَحٌ وَرُبَّمَا انْبَعَثَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ بِالْغِنَاءِ النَّاشِئِ عَنِ السُّرُورِ . وَلَمَّا  
 كَانَ السُّودَانُ سَاكِنِينَ فِي الْإِقْلِيمِ الْحَارِّ وَاسْتَوَلَى الْحَرُّ عَلَى أَمْزَجَتِهِمْ وَفِي أَصْلِ  
 تَكْوِينِهِمْ كَانَ فِي أَرْوَاحِهِمْ مِنَ الْحَرَارَةِ عَلَى نِسْبَةِ أَبْدَانِهِمْ وَإِقْلِيمِهِمْ فَتَكُونُ أَرْوَاحُهُمْ  
 بِالْقِيَاسِ إِلَى أَرْوَاحِ أَهْلِ الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ أَشَدَّ حَرًّا فَتَكُونُ أَكْثَرَ تَفْسِيًّا فَتَكُونُ  
 أَسْرَعَ فَرَحًا وَسُرُورًا وَأَكْثَرَ انْتِسَاطًا وَيَجِيءُ الطَّيْسُ عَلَى أَثَرِ هَذِهِ وَكَذَلِكَ يَلْقَى بِهِمْ  
 قَلِيلًا أَهْلُ الْبِلَادِ الْبَحْرِيَّةِ لَمَّا كَانَ هَوَائُهَا مُتَضَاعِفَ الْحَرَارَةِ بِمَا يَنْعَكِسُ عَلَيْهِ مِنْ  
 أَضْوَاءِ بَسِيطِ الْبَحْرِ وَأَشْعَتِهِ كَانَتْ حِصَّتُهُمْ مِنْ تَوَابِعِ الْحَرَارَةِ فِي الْفَرَحِ وَالْخِفَّةِ مَوْجُودَةً  
 أَكْثَرَ مِنْ بِلَادِ التَّلُولِ وَالْجِبَالِ الْبَارِدَةِ وَقَدْ يَسِيرًا مِنْ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْبِلَادِ الْجَزِيرِيَّةِ  
 مِنَ الْإِقْلِيمِ الثَّلَاثِ لِتَوْفُرِ الْحَرَارَةِ فِيهَا وَفِي هَوَائِهَا لِأَنَّهَا عَرِيقَةٌ فِي الْجَنُوبِ عَنِ الْأَرْيَافِ  
 وَالتَّلُولِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ أَيْضًا بِأَهْلِ مِصْرَ فَإِنَّهَا مِثْلُ عَرْضِ الْبِلَادِ الْجَزِيرِيَّةِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا  
 كَيْفَ غَلَبَ الْفَرَحُ عَلَيْهِمْ وَالْخِفَّةُ وَالْعَفْلَةُ عَنِ الْعَوَاقِبِ حَتَّى انْتَهَمَ لَا يَدْخُرُونَ أَقْوَاتِ  
 سَنَتِهِمْ وَلَا شَهْرِهِمْ وَعَامَةً مَا كَلِمَتِهِمْ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ . وَلَمَّا كَانَتْ فَاسٌ مِنْ بِلَادِ الْمَغْرِبِ  
 بِالْعَكْسِ مِنْهَا فِي التَّوَعُّلِ فِي التَّلُولِ الْبَارِدَةِ كَيْفَ تَرَى أَهْلَهَا مُطْرَقِينَ إِطْرَاقَ الْحُزَنِ  
 وَكَيْفَ أَفْرَطُوا فِي نَظَرِ الْعَوَاقِبِ حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيَدْخُرُ قَوْتَ سَنَتَيْنِ مِنْ حُبِّ

الْحِنْطَةَ وَيَبَاكِرُ الْأَسْوَاقَ لِشِرَاءِ قُوتِهِ لِيَوْمِهِ مَخَافَةً أَنْ يُرْزَأَ شَيْئًا مِنْ مَدْخَرِهِ وَتَتَّبِعَ ذَلِكَ فِي الْأَقَالِمِ وَالْبِلْدَانِ تَجِدُ فِي الْأَخْلَاقِ أَثْرًا مِنْ كَيْفِيَّاتِ الْهَوَاءِ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ وَقَدْ تَعَرَّضَ الْمَسْعُودِيُّ لِلتَّبَحُّثِ عَنِ السَّبَبِ فِي خِيفَةِ السُّودَانَ وَطَيْبِيهِمْ وَكَثْرَةِ الطَّرَبِ فِيهِمْ وَحَاوَلَ تَعْلِيلَهُ فَلَمْ يَأْتِ بِشَيْءٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهُ نَقَلَ عَنِ جَالِينُوسَ وَيَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيِّ أَنَّ ذَلِكَ لُضْعَفِ أَدْمَعَتِهِمْ وَمَا نَشَأَ عَنْهُ مِنْ ضَعْفِ عُقُولِهِمْ وَهَذَا كَلَامٌ لَا مَحْصَلَ لَهُ وَلَا بُرْهَانَ فِيهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

### المقدمة الخامسة

في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع وما ينشأ عن ذلك

من الآثار في ابدان البشر واخلاقهم

اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأَقَالِمَ الْمُعْتَدِلَةَ لَيْسَ كُلُّهَا يُوْجَدُ بِهَا الْخِصْبُ وَلَا كُلُّ سُكَّانِهَا فِي رَغْدٍ مِنَ الْعَيْشِ بَلْ فِيهَا مَا يُوْجَدُ لِأَهْلِ خِصْبِ الْعَيْشِ مِنَ الْحُبُوبِ وَالْأَدَمِ وَالْحِنْطَةِ وَالْفَوَاكِهِ لِزَكَاءِ الْمَنَابِتِ وَعَنْدَالِ الطَّيْنَةِ وَوُفُورِ الْعُمُرَانِ وَفِيهَا الْأَرْضُ الْحَرَّةُ الَّتِي لَا تُنْبِتُ زَرْعًا وَلَا عَشْبًا بِالْجُمْلَةِ فَسُكَّانُهَا فِي شَطَفٍ مِنَ الْعَيْشِ مِثْلُ أَهْلِ الْحِجَازِ وَجَنُوبِ الْيَمَنِ وَمِثْلِ الْمُلْتَمِثِينَ مِنْ صِنْهَاجَةِ السَّاكِنِينَ بِصَحْرَاءِ الْمَغْرِبِ وَأَطْرَافِ الرَّمَالِ فِيمَا بَيْنَ الْبَرْبَرِ وَالسُّودَانَ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ يَفْقَدُونَ الْحُبُوبَ وَالْأَدَمَ جُمْلَةً وَإِنَّمَا أَغْذِيَتُهُمْ وَأَقْوَاتُهُمْ الْأَلْبَانُ وَاللَّحُومُ وَمِثْلُ الْعَرَبِ أَيْضًا الْجَائِلِينَ فِي الْقَفَارِ فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا يَأْخُذُونَ الْحُبُوبَ وَالْأَدَمَ مِنَ التَّلُولِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ فِي الْأَحْيَائِنِ وَتَحْتَ رِبْقَةٍ مِنْ حَامِيَتِهَا وَعَلَى الْأَقَالِمِ لِقَلَّةِ وَجْدِهِمْ فَلَا يَتَوَصَّلُونَ مِنْهُ إِلَى سَدِّ الْخَلَّةِ أَوْ دُونِهَا فَضِلًّا عَنِ الرِّغْدِ وَالْخِصْبِ وَتَجِدُهُمْ يَقْتَصِرُونَ فِي غَالِبِ أَحْوَالِهِمْ عَلَى الْأَلْبَانِ وَتَعْوِضُهُمْ مِنَ الْحِنْطَةِ أَحْسَنَ مَعَاضٍ وَتَجِدُ مَعَ ذَلِكَ هَؤُلَاءِ الْأَنْفَاقِدِينَ لِلْحُبُوبِ وَالْأَدَمِ مِنْ أَهْلِ الْقَفَارِ أَحْسَنَ حَالًا فِي جَسْمِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ مِنْ أَهْلِ التَّلُولِ الْمُتَمَسِّسِينَ فِي الْعَيْشِ فَأَلْوَانُهُمْ أَصْفَى وَأَبْدَانُهُمْ أَتْقَى وَأَشْكَالُهُمْ أَتَمُّ وَأَحْسَنُ وَأَخْلَاقُهُمْ أَبْعَدُ مِنَ الْأَنْحِرَافِ وَأَذْهَانُهُمْ أَثْقَبُ فِي الْمَعَارِفِ وَالْأِدْرَاكَاتِ هَذَا أَمْرٌ تَشْهَدُ لَهُ التَّجْرِبَةُ فِي كُلِّ جِيلٍ مِنْهُمْ فَكَثِيرٌ مَا بَيْنَ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ فِيمَا وَصَنَاهُ وَبَيْنَ الْمُتَمَثِّمِينَ وَأَهْلِ التَّلُولِ يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ خَبِرَهُ

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ إِنَّ كَثْرَةَ الْأَعْدِيَةِ وَكَثْرَةَ الْأَخْلَاطِ الْفَاسِدَةِ الْعَفِيَةِ  
 وَرُطُوبَاتِهَا تَوْلَدُ فِي الْجِسْمِ فَضَلَاتٍ رَدِيَّةً تَنْشَأُ عَنْهَا بَعْدَ إِفْطَارِهَا فِي غَيْرِ نَسَبَةٍ وَتَبَعُ  
 ذَلِكَ أَنْكَسَافُ الْأَلْوَانِ وَقُبْحُ الْأَشْكَالِ مِنْ كَثْرَةِ اللَّحْمِ كَمَا فَلَنَاهُ وَتُعْطِي الرُّطُوبَاتُ  
 عَلَى الْأَذْهَانِ وَالْأَفْكَارِ بِمَا يَصْعَدُ إِلَى الدِّمَاغِ مِنْ أُجْرَتِهَا الرَّدِيَّةِ فَتُحْيِي الْبِلَادَةَ  
 وَالْعَفْلَةَ وَالْإِنْعِرَافُ عَنِ الْأَعْتِدَالِ بِالْجُمْلَةِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي حَيَوَانِ الْقَفْرِ وَمَوَاطِنِ  
 الْجَدْبِ مِنَ الْغَزَالِ وَالنَّعَامِ وَالْمَهْيَا وَالزَّرَافَةِ وَالْحَمْرُ الْوَحْشِيَّةِ وَالْبَقَرِ مَعَ أَهْلِهَا مِنْ  
 حَيَوَانِ الثَّلُوثِ وَالْأَزْيَافِ وَالْمَرَاعِي الْخُضْبَةِ كَيْفَ تَجِدُ بَيْنَهَا بَوْنًا بَعِيدًا فِي صَفَاءِ أَدِيمِهَا  
 وَحُسْنِ رَوْتِهَا وَأَشْكَالِهَا وَتَنَاسُبِ أَعْضَائِهَا وَحِدَةِ مَدَارِكِهَا فَالْغَزَالُ أَخْوَالُ الْمَعَزِ وَالزَّرَافَةُ  
 أَخْوَالُ الْبَعِيرِ وَالْحِمَارُ وَالْبَقَرُ أَخْوَالُ الْحِمَارِ وَالْبَقَرُ وَالْبَوْنُ بَيْنَهَا مَا رَأَيْتَ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَجْلِ  
 أَنَّ الْخُضْبَ فِي الثَّلُوثِ فَعَلَ فِي أَيْدَانِ هَذِهِ مِنَ الْفَضَلَاتِ الرَّدِيَّةِ وَالْأَخْلَاطِ الْفَاسِدَةِ مَا  
 ظَهَرَ عَلَيْهَا أَثَرُهُ وَالْجَوْعُ لِحَيَوَانِ الْقَفْرِ حَسَنٌ فِي خَلْقِهَا وَأَشْكَالِهَا مَا شَاءَ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي  
 الْآدَمِيِّينَ أَيْضًا فَإِنَّا نَجِدُ أَهْلَ الْأَقَالِيمِ الْخُضْبَةَ الْعَيْشَ الْكَثِيرَةَ الزَّرْعَ وَالْفَرْعَ  
 وَالْأَدَمِ وَالْفَوَاكِهِ يَتَّصِفُ أَهْلُهَا غَالِبًا بِالْبِلَادَةِ فِي أَذْهَانِهِمْ وَالْحُشُونَةِ فِي أَجْسَامِهِمْ وَهَذَا  
 شَأْنُ الْبَرِّ الْمُنْعَمِّينَ فِي الْأَدَمِ وَالْحَنْظَلَةِ مَعَ الْمُتَقَشِّينَ فِي عَيْشِهِمْ الْمَقْتَصِرِينَ عَلَى  
 الشَّعِيرِ أَوْ الذَّرَّةِ مِثْلَ الْمَصَادِمَةِ مِنْهُمْ وَأَهْلُ عِمَارَةِ وَالسُّوسِ فَتَجِدُ هَؤُلَاءِ أَحْسَنَ  
 حَالًا فِي عَقُولِهِمْ وَجُسُومِهِمْ وَكَذَا أَهْلُ بِلَادِ الْمَغْرِبِ عَلَى الْجُمْلَةِ الْمُنْعَمِّينَ فِي الْأَدَمِ  
 وَالْبَرِّ مَعَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ الْمَفْقُودِ بِأَرْضِهِمْ السَّمْنَ جُمْلَةً وَغَالِبَ عَيْشِهِمْ الذَّرَّةَ فَتَجِدُ  
 لِأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ ذِكَا الْعُقُولِ وَخَفَةِ الْأَجْسَامِ وَقَبُولِ التَّعْلِيمِ مَا لَا يَجُودُ لِغَيْرِهِمْ  
 وَكَذَا أَهْلُ الصُّوْحِي مِنَ الْمَغْرِبِ بِالْجُمْلَةِ مَعَ أَهْلِ الْخُضْرِ وَالْأَمْصَارِ فَإِنَّ الْأَمْصَارَ  
 وَإِنْ كَانُوا كَثِيرِينَ مِثْلَهُمْ مِنَ الْأَدَمِ وَنَخْبِيِّينَ فِي الْعَيْشِ إِلَّا أَنْ اسْتَعْمَلْتَهُمْ إِيَّاهَا  
 بَعْدَ الْعِلَاجِ بِالطَّبَخِ وَالْتَلَطِيفِ بِمَا يَخَاطُونَ مَعَهَا فَيَذْهَبُ لِدَاكِ غَلْظُهَا وَيَبْرُقُ قَوَامُهَا وَعَامَةً  
 مَا كَلِمَتُهُمْ لِحُومِ الضَّانِّ وَالِدَجَاجِ وَلَا يَغْبَطُونَ السَّمْنَ مِنْ بَيْنِ الْأَدَمِ لِتَفَاهَتِهِ فَتَنْقَلُ  
 الرُّطُوبَاتُ لِدَاكِ فِي أَعْدِيَّتِهِمْ وَيَخْفُ مَا تَوَدُّ بِهِ إِلَى أَجْسَامِهِمْ مِنَ الْفَضَلَاتِ الرَّدِيَّةِ  
 فَلِذَلِكَ تَجِدُ جُسُومَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ الطَّيِّفِ مِنَ جُسُومِ الْبِلَادَةِ الْخُشْبِيِّينَ فِي الْعَيْشِ وَكَذَلِكَ  
 تَجِدُ الْمَعُودِينَ بِالْجَوْعِ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادَةِ لِأَفْضَلَاتِ فِي جُسُومِهِمْ غَايِظَةً وَلَا لَطِيفَةً. وَأَعْلَمُ

أَنَّ أَثْرَ هَذَا الْخُصْبِ فِي الْبَدَنِ وَأَحْوَالِهِ يَظْهَرُ حَتَّى فِي حَالِ الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ فَجَدُّ  
 الْمُتَقَشِّفِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَوْ الْحَاضِرَةِ مِمَّنْ يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِالْجُوعِ وَالْتَجَانِّي عَنِ الْمَلَاذِ  
 أَحْسَنَ دِينًا وَإِقْبَالًا عَلَى الْعِبَادَةِ مِنْ أَهْلِ التَّرَفِ وَالْخُصْبِ بَلْ نَجِدُ أَهْلَ الدِّينِ قَلِيلِينَ  
 فِي الْمَدِينِ وَالْأَمْصَارِ لِمَا بَعَثَهَا مِنَ الْقِسَاوَةِ وَالْغَفْلَةِ الْمُتَمَلِّئَةِ بِالْإِكْثَارِ مِنَ الْخَمَانِ  
 وَالْأَدَمِ وَبَابِ الْبَرِّ وَيَخْتَصُّ وَجُودَ الْعِبَادِ وَالزُّهَادِ لِلذِّكِّ بِالْمُتَقَشِّفِينَ فِي غَدَائِهِمْ مِنْ  
 أَهْلِ الْبُؤَادِي وَكَذَلِكَ نَجِدُ هُوَلَاءَ الْخُصْبِينَ فِي الْعَيْشِ الْمُنْعَمِينَ فِي طَيِّبَاتِهِ مِنْ أَهْلِ  
 الْبَادِيَةِ وَمِنْ أَهْلِ الْخَوَاصِرِ وَالْأَمْصَارِ إِذَا نَزَلَتْ بِهِمُ السَّنُونَ وَأَخَذْتَهُمُ الْجَمَاعَاتُ  
 يُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْهَلَاكُ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ مِثْلَ بَرَابِرَةِ الْمَغْرِبِ وَأَهْلِ مَدِينَةِ فَاسٍ وَمِصْرَ  
 فِيمَا يَبْتَغُونَ لَامِثِلَ الْعَرَبِ أَهْلَ الْقَفْرِ وَالصَّحْرَاءِ وَلَا مِثْلَ أَهْلِ بِلَادِ النَّخْلِ الَّذِينَ غَالِبُ  
 عَيْشِهِمُ التَّمْرُ وَلَا مِثْلَ أَهْلِ أَفْرِيْقِيَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّذِينَ غَالِبُ عَيْشِهِمُ الشَّعِيرُ وَالرِّبْتُ  
 وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ غَالِبُ عَيْشِهِمُ الذَّرَّةُ وَالرِّبْتُ فَإِنَّ هُوَلَاءَ وَإِنْ أَخَذْتَهُمُ السَّنُونَ  
 وَالْجَمَاعَاتُ فَلَا تَنَالُ مِنْهُمْ مَا تَنَالُ مِنْ أَوْلَئِكَ وَلَا يَكْثُرُ فِيهِمُ الْهَلَاكُ بِالْجُوعِ بَلْ وَلَا  
 يَنْدُرُ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ الْمُنْعَمِينَ فِي الْخُصْبِ الْمُتَعَوِّدِينَ لِلْأَدَمِ  
 وَالسَّمْنِ خُصْرًا تَكْتَسِبُ مِنْ ذَلِكَ أَمْعَاؤُهُمْ رُطُوبَةً فَوْقَ رُطُوبَتِهَا الْأَصْلِيَّةِ الْمَرَاجِيَةِ  
 حَتَّى تَجَاوِزَ حَدَهَا فَإِذَا خُولِفَ بِهَا الْعَادَةُ بِقَلَّةِ الْأَقْوَاتِ وَفِقْدَانِ الْأَدَمِ وَاسْتِعْمَالِ  
 الْخُشْنِ غَيْرِ الْمَأْلُوفِ مِنَ الْغِذَاءِ أَسْرَعَ إِلَى الْمَعَايِيسِ وَالْإِتْكَاشِ وَهُوَ ضَعِيفٌ فِي  
 الْغَايَةِ فَيُسْرِعُ إِلَيْهِ الْمَرَضُ وَفِيهِكَ صَاحِبُهُ دَفْعَةً لِأَنَّهُ مِنَ الْمُقَاتِلِ فَالْهَالِكُونَ فِي  
 الْجَمَاعَاتِ إِنَّمَا قَتَلَهُمُ الشَّبَعُ الْمُعْتَادُ السَّابِقُ لِالْجُوعِ الْحَادِثِ الْأَحْقُ. وَأَمَّا الْمُتَعَوِّدُونَ  
 لِقَلَّةِ الْأَدَمِ وَالسَّمْنِ فَلَا تَرَالُ رُطُوبَتُهُمُ الْأَصْلِيَّةُ وَاقِفَةً عِنْدَ حَدِّهَا مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ  
 وَهِيَ قَابِلَةٌ لِجَمِيعِ الْأَغْذِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ فَلَا يَقَعُ فِي مَعَانِمِهِمْ تَبَدُّلُ الْأَغْذِيَةِ بِنِسْ وَلَا انْحِرَافُ  
 فَيَسْتَمُونَ فِي الْغَالِبِ مِنَ الْهَلَاكِ الَّذِي يَعْضُ لِعَيْرِهِمْ بِالْخُصْبِ وَكَثْرَةِ الْأَدَمِ فِي  
 الْمَاكِيلِ وَأَصْلُ هَذَا كُلِّهِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْأَغْذِيَةَ وَأَتْنَالَفَهَا أَوْ تَرَكَهَا إِنَّمَا هُوَ بِالْعَادَةِ  
 فَمَنْ عَوَّدَ نَفْسَهُ غَدَاءً وَلَا يَمَمَهُ تَنَاوَلَهُ كَانَ لَهُ مَأْلُوفًا وَصَارَ الْخُرُوجُ عَنْهُ وَالتَّبَدُّلُ بِهِ دَاءً  
 مَا لَمْ يَخْرُجْ عَنْ غَرَضِ الْغِذَاءِ بِالْجُمْلَةِ كَالسَّمُومِ وَالْيَتُوعِ <sup>(١)</sup> وَمَا أَفْرَطَ فِي الْإِنْحِرَافِ

١ قال في القاموس الينوع كصور او تنور نبات له لبن دار مسهل محرق مقطع والمشهور منه سبعة

فَمَا مَا وَجِدَ فِيهِ التَّغْدِي وَالْمَلَأَمَةَ فَيَصِيرُ غَدَاءً مَا لَوْفًا بِالْعَادَةِ فَإِذَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ  
 نَفْسَهُ بِاسْتِعْمَالِ اللَّبَنِ وَالْبَقْلِ عِوَضًا عَنِ الْخِنْطَةِ حَتَّى صَارَ لَهُ دَيْدَانًا فَقَدْ حَصَلَ لَهُ ذَلِكَ  
 غَدَاءً وَاسْتَعْنَى بِهِ عَنِ الْخِنْطَةِ وَالْحُبُوبِ مِنْ غَيْرِ شَكِّ وَكَذَا مِنْ عَوْدِ نَفْسِهِ الصَّبْرَ عَلَى  
 الْجُوعِ وَالْإِسْتِعْنَاءِ عَنِ الطَّعَامِ كَمَا يُنْقَلُ عَنْ أَهْلِ الرِّيَاضِيَّاتِ نَائِبًا لِسَمْعِ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ  
 أَخْبَارًا غَرِيبَةً يَكَادُ يَنْكُرُهَا مَنْ لَا يَعْرِفُهَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ الْعَادَةُ فَإِنَّ النَّفْسَ إِذَا أَلْفَتْ  
 شَيْئًا صَارَ مِنْ جِبَلَتِهَا وَطَبِيعَتِهَا لِأَنَّهَا كَثِيرَةُ التَّلَوُّنِ فَإِذَا حَصَلَ لَهَا اعْتِيَادُ الْجُوعِ  
 بِالتَّدْرِيجِ وَالرِّيَاضَةِ فَقَدْ حَصَلَ ذَلِكَ عَادَةً طَبِيعِيَّةً لَهَا وَمَا يَتَوَهَّمُهُ الْأَطِبَاءُ مِنْ أَنَّ  
 الْجُوعَ مَهْلِكٌ فَلَيْسَ عَلَى مَا يَتَوَهَّمُونَهُ إِلَّا إِذَا حُمِلَتِ النَّفْسُ عَلَيْهِ دَفْعَةً وَفُطِحَ عَنْهَا الْغَدَاءُ  
 بِالْكَيْلِيَّةِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَحْسِمُ الْمَعَاءَ وَيَبَالُغُ الْمَرَضُ الَّذِي يُخْشَى مَعَهُ أَهْلَاكَ وَأَمَّا إِذَا  
 كَانَ ذَلِكَ الْقَدْرُ تَدْرِيجًا وَرِيَاضَةً بِإِقْلَالِ الْغَدَاءِ شَيْئًا شَيْئًا كَمَا يَفْعَلُهُ الْمُتَصَوِّفُ  
 فَهُوَ بِمَعَزَلٍ عَنِ أَهْلَاكَ وَهَذَا التَّدْرِيجُ ضَرُورِيٌّ حَتَّى فِي الرَّجُوعِ عَنْ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ  
 فَإِنَّهُ إِذَا رَجَعَ بِهِ إِلَى الْغَدَاءِ الْأَوَّلِ دَفْعَةً خِيفَ عَلَيْهِ أَهْلَاكَ وَإِنَّمَا يَرْجِعُ بِهِ كَمَا  
 بَدَأَ فِي الرِّيَاضَةِ بِالتَّدْرِيجِ وَلَقَدْ شَاهَدْنَا مَنْ بَصُرَ عَلَى الْجُوعِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَصَلَاً  
 وَأَكْثَرَ. وَحَضَرَ أَشْيَاخُنَا بِمَجْلِسِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ وَقَدْ رُفِعَ إِلَيْهِ أَمْرَانِ مِنَ أَهْلِ  
 الْجَزِيرَةِ الْخَضْرَاءِ وَرَنَدَةَ حَبَسْنَا أَنْفُسَهُمَا عَنِ الْأَكْلِ حُمْلَةً مُنْذُ سَنِينَ وَسَاعَ أَمْرُهُمَا  
 وَوَقَعَ اخْتِبَارُهُمَا فَصَحَّ شَأْنُهُمَا وَاتَّصَلَ عَلَى ذَلِكَ حَالُهُمَا إِلَى أَنْ مَاتَا وَرَأَيْنَا كَثِيرًا مِنْ  
 أَصْحَابِنَا أَيْضًا مَنْ يَقْتَصِرُ عَلَى حَلِيبِ شَاةٍ مِنَ الدَّعَزِ يَلْتَمِعُ تَدْبِيهَا فِي بَعْضِ النَّهَارِ أَوْ عِنْدَ  
 الْإِفْطَارِ وَيَكُونُ ذَلِكَ غَدَاءَهُ وَاسْتَدَامَ عَلَى ذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَغَيْرُهُمْ كَثِيرٌ  
 وَلَا يُسْتَكْرَهُ ذَلِكَ. وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجُوعَ أَصْلَحُ لِلْبَدَنِ مِنْ إِكْثَارِ الْأَغْذِيَّةِ بِكُلِّ وَجْهِ لِمَنْ  
 قَدَّرَ عَلَيْهِ أَوْ عَلَى الْإِقْلَالِ مِنْهَا وَإِنْ لَمْ يَأْتِرْ فِي الْأَجْسَامِ وَالْعُقُولِ فِي صَفَائِهَا وَصَلَاحِهَا  
 كَمَا قُلْنَا وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ بِأَثَارِ الْأَغْذِيَّةِ الَّتِي تَحْصُلُ عَنْهَا فِي الْجُسُومِ فَقَدْ رَأَيْنَا الْمُتَغَدِّينَ  
 بِلُحُومِ الْحَيَوَانَاتِ الْفَاحِرَةِ الْعَظِيمَةِ الْجَثْمَانِ تَنْشَأُ أَجْيَالُهُمْ كَذَلِكَ وَهَذَا مُشَاهِدٌ فِي أَهْلِ  
 الْبَادِيَةِ مَعَ أَهْلِ الْخَاضِرَةِ وَكَذَا الْمُتَغَدُّونَ بِالْبَانَ الْإِبِلِ وَلُحُومِهَا أَيْضًا مَعَ مَا يُؤْتَرُ فِي

الشهرم واللاعبة والمرطشيا والمهودانة والمازربون والفجلشت والعشر وكل البومعات اذا استعملت في  
 خير وجهها هلكت اه

أَخْلَافَهُمْ مِنَ الصَّبْرِ وَالْإِحْتِمَالِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى حَمْلِ الْأَثْقَالِ الْمَوْجُودِ ذَلِكَ لِلْإِبِلِ  
وَتَلَسُّ أَمْعَاؤُهُمْ أَيْضًا عَلَى نِسْبَةِ أَمْعَاءِ الْإِبِلِ فِي الصَّحَّةِ وَالْفَالِطِ فَلَا يَطْرُقُهَا الْوَهْنُ وَلَا  
يَنَالُهَا مِنْ مَدَارِ الْأَغْذِيَةِ مَا يَنَالُ غَيْرَهُمْ فَيَشْرَبُونَ الْيَتَوَعَاتِ لِاسْتِطْلَاقِ بَطُونِهِمْ غَيْرَ  
مَحْجُوبَةٍ كَالْحَنْظَلِ قَبْلَ طَبْخِهِ وَالْدِرْيَاسِ وَالْقَرْيُونِ وَلَا يَنَالُ أَمْعَاءُهُمْ مِنْهَا ضَرَرٌ وَهِيَ لَوْ  
تَنَالُهَا أَهْلُ الْحَضَرِ الرَّفِيقَةِ أَمْعَاؤُهُمْ بِمَا نَشَأَتْ عَلَيْهِ مِنْ لَطِيفِ الْأَغْذِيَةِ لَكَانَ الْمَلَائِكَةُ  
اسْتَرَعَ إِلَيْهِمْ مِنْ طَرَفَةِ الْعَيْنِ لِمَا فِيهَا مِنَ السَّمِيَةِ وَمِنْ تَأْثِيرِ الْأَغْذِيَةِ فِي الْأَبْدَانِ مَا  
ذَكَرَهُ أَهْلُ الْفَلَاحَةِ وَشَاهَدَهُ أَهْلُ التَّجْرِبَةِ أَنَّ الدَّجَاجَ إِذَا عُدَّتْ بِالْحُبُوبِ الْمَطْبُوخَةِ  
فِي بَعْرِ الْإِبِلِ وَاتَّخَذَ بَيْضُهَا ثُمَّ حَضَنْتَ عَلَيْهِ جَاءَ الدَّجَاجُ مِنْهَا أَعْظَمَ مَا يَكُونُ وَقَدْ  
يَسْتَعْنُونَ عَنْ تَعْدِيَّتِهَا وَطَبْخِ الْحُبُوبِ بِطَرَحِ ذَلِكَ الْبَعْرِ مَعَ الْبَيْضِ الْمَحْضَنِ فَيَحْيِيهِ  
دَجَاجُهَا فِي غَايَةِ الْعَظَمِ وَأَمثالُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ فَإِذَا رَأَيْتَ هَذِهِ الْأَنَارَ مِنَ الْأَغْذِيَةِ فِي  
الْأَبْدَانِ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْجُوعَ أَيْضًا آثَارًا فِي الْأَبْدَانِ لِأَنَّ الضِّدَّيْنِ عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ فِي  
التَّأْثِيرِ وَعَدَمِهِ فَيَكُونُ تَأْثِيرُ الْجُوعِ فِي نَقَاءِ الْأَبْدَانِ مِنَ الزِّيَادَاتِ الْفَاسِدَةِ وَالرُّطُوبَاتِ  
الْمُخْتَلِطَةِ الْمُخْلَلَةِ بِالْجِسْمِ وَالْعَقْلِ كَمَا كَانَ الْعِذَاءُ مُؤَثِّرًا فِي وُجُودِ ذَلِكَ الْجِسْمِ  
وَاللَّهُ حَيِّطٌ بِعِلْمِهِ

### المقدمة السادسة

في اصناف المدركين من البشر بالنظرة او الرياضة

ويتقدمه الكلام في الوحي والرويا

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَصْطَفَى مِنَ الْبَشَرِ أَشْخَاصًا فَضَّلَهُمْ بِمِطَابِهِ وَقَطَرَهُمْ عَلَى مَعْرِفَتِهِ  
وَجَعَلَهُمْ وَسَائِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عِبَادِهِ يُعَرِّفُونَهُمْ بِمَصَالِحِهِمْ وَيُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى هِدَايَتِهِمْ  
وَيَأْخُذُونَ بِحُجْرَانِهِمْ عَنِ النَّارِ وَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى طَرِيقِ النِّجَاةِ وَكَانَ فِيمَا يَأْتِيهِ إِلَيْهِمْ مِنَ  
الْمَعَارِفِ وَيُظْهِرُهُ عَلَى السَّنَنِ مِنَ الْخَوَارِقِ وَالْأَخْبَارِ الْكَائِنَاتِ الْمَغِيبَةِ عَنِ الْبَشَرِ  
الَّتِي لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَتِهَا إِلَّا مِنَ اللَّهِ بِوَسْاطَتِهِمْ وَلَا يَعْلَمُونَهَا إِلَّا بِتَعْلِيمِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ قَالَ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَا وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ وَعَلَّمَ أَنْ خَبَرَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ  
خَاصِيَّتِهِ وَضُرُورَتِهِ الصِّدْقُ لِمَا يَتَبَيَّنُ لَكَ عِنْدَ بَيَانِ حَقِيقَةِ النُّبُوَّةِ وَعَلَامَةِ هَذَا الصِّنْفِ

مِنَ الْبَشَرِ أَنْ تُوَجَدَ لَهُمْ فِي حَالِ الْوَحْيِ غَيْبُهُ عَنِ الْحَاضِرِينَ مَعَهُمْ مَعَ غَطِيطٍ كَانَتْهَا  
 غَشِيَةٌ أَوْ إِغْمَاءٌ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ وَلَيْسَتْ مِنْهُمَا فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ اسْتِعْرَاقٌ  
 فِي لِقَاءِ الْمَلِكِ الرَّوحَانِيِّ بِإِذْرَافِهِمُ الْمُنَاسِبَ لَهُمُ الْخَارِجَ عَنِ مَدَارِكِ الْبَشَرِ بِالْكَلِمَةِ  
 ثُمَّ يَنْزِلُ إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ إِمَّا بِسَمَاعِ دَوِيِّ مِنَ الْكَلَامِ فَيَتَفَهَمُهُ أَوْ بِتَمَثُّلٍ لَهُ  
 صُورَةٌ سَخِضٌ يُخَاطَبُهُ بِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ تَنْجَلِي عَنْهُ تِلْكَ الْحَالُ وَقَدْ وَعَى مَا  
 الْوَحْيِ إِلَيْهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الْوَحْيِ أَحْيَانًا يَا بُنَيَّ مِثْلَ صَلَافَةِ  
 الْجُرْسِ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيَّ فَيَفْضُمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلِكُ رَجُلًا  
 فِي كَلِمَتِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ وَيَدْرِكُهُ أَثْنَاءَ ذَلِكَ مِنَ الشَّدَّةِ وَالْغَطِّ مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ فِي  
 الْحَدِيثِ كَانَ مِمَّا يَعَالَجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةٌ وَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ  
 الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْضُمُ عَنْهُ وَإِنْ جَبِنَهُ لِيَتَفَصَّدَ عَرَقًا وَقَالَ تَعَالَى إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا تَقْبَلُهُ  
 وَلِاجْلِ هَذِهِ الْغَايَةِ فِي تَنْزِيلِ الْوَحْيِ كَانَ الْمَشْرُكُونَ يَرْمُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِالْجُنُونِ وَيَقُولُونَ  
 لَهُ رَيْئٌ أَوْ تَابِعٌ مِنَ الْجِنِّ وَإِنَّمَا لَيْسَ عَلَيْهِمْ بِمَا شَاهَدُوهُ مِنْ ظَاهِرِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ وَمَنْ  
 يُضِلُّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ عَلَّمَهُمْ أَيْضًا أَنَّهُ يُوجَدُ لَهُمْ قَبْلَ الْوَحْيِ خُلُقُ الْخَيْرِ  
 وَالزَّكَاةِ وَمُجَانَبَةُ الْمُدْمُومَاتِ وَالرَّجْسِ أَجْمَعٍ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْعَصْمَةِ وَكَأَنَّهُ مَفْطُورٌ  
 عَلَى التَّنْزِهِ عَنِ الْمُدْمُومَاتِ وَالْمُنَافَرَةِ لَهَا وَكَأَنَّهُا مُنَافِيَةٌ لِجَبَلَتِهِ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ حَمَلَ  
 الْحِجَارَةَ وَهُوَ غُلَامٌ مَعَ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ لِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ فَجَعَلَهَا فِي إِزَارِهِ فَانْكَشَفَ فَسَقَطَ  
 مَغْشِيًا عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَتَرَ بِإِزَارِهِ وَدُعِيَ إِلَى مُجْتَمَعٍ وَلِيمَةٍ فِيهَا عُرْسٌ وَلَعِبٌ فَاصَابَهُ  
 غَشِيَةُ النَّوْمِ إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَمْ يُخْضِرْ شَيْئًا مِنْ شَأْنِهِمْ بَلْ نَزَّهَهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ  
 كُلِّهِ حَتَّى إِنَّهُ بِجَبَلَتِهِ يَنْزَهُهُ عَنِ الْمَطْعُومَاتِ الْمُسْتَكْرَهَةِ فَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ لَا يَقْرُبُ الْبَصَلَ وَالثُّومَ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ إِنِّي أَنُجِجِي مَنْ لَا تَنَاجُونَ وَأَنْظُرُ  
 لِمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِحَالِ الْوَحْيِ أَوَّلَ مَا فَجَّأَتْهُ  
 وَأَرَادَتْ اخْتِبَارَهُ فَقَالَتْ أَجْعَلْنِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ تَوْبِكَ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ ذَهَبَ عَنْهُ فَقَالَتْ  
 إِنَّهُ مَلَكٌ وَلَيْسَ بِشَيْطَانٍ وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لَا يَقْرُبُ النِّسَاءَ وَكَذَلِكَ سَأَلَتْهُ عَنْ أَحَبِّ التِّيَابِ  
 إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهُ فِيهَا فَقَالَ الْبَيَاضُ وَالْخُضْرَةُ فَقَالَتْ إِنَّهُ الْمَلِكُ يَعْنِي أَنَّ الْبَيَاضَ وَالْخُضْرَةَ  
 مِنَ الْوَانِ الْخَيْرِ وَالْمَلَأَمَكَةِ وَالسَّوَادُ مِنَ الْوَانِ الشَّرِّ وَالشَّيَاطِينِ وَأَمثالِ ذَلِكَ .

وَمِنْ عَلَامَتِهِمْ أَيْضًا دَعَاؤُهُمْ إِلَى الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِنَافِ وَقَدْ  
 اسْتَدَلَّتْ حَدِيثُهُ عَلَى صِدْقِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ وَكَذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَحْتَاجَ فِي  
 أَمْرِهِ إِلَى دَلِيلٍ خَارِجٍ عَنِ حَالِهِ وَخُلُقِهِ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ هِرْقَلَ حِينَ جَاءَهُ كِتَابُ  
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلَامِ أَحْضَرَ مَنْ وَجَدَ يَبْلُغُهُ مِنْ فُرَيْشٍ وَفِيهِمْ  
 أَبُو سَفْيَانَ لَيْسَا لَهُمْ عَنِ حَالِهِ فَكَانَ فِيمَا سَأَلَ أَنْ قَالَ بِمِ يَأْمُرُكُمْ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ  
 بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّلَاةِ وَالْعِنَافِ إِلَى آخِرِ مَا سَأَلَ فَأَجَابَهُ فَقَالَ إِنْ يَكُنْ مَا نَقُولُ  
 حَقًّا فَهُوَ نَبِيٌّ وَسَيَمُوكُ مَا تَحْتَ قَدَمَيْ هَاتَيْنِ وَالْعِنَافُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ هِرْقَلُ <sup>(١)</sup> هُوَ الْعَصْمَةُ  
 فَأَنْظُرْ كَيْفَ أَخَذَ مِنَ الْعَصْمَةِ وَالِدُهَا إِلَى الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ دَلِيلًا عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ وَلَمْ  
 يَحْتَجِ إِلَى مُعْجَزَةٍ قَدَلَّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ . وَمِنْ عَلَامَتِهِمْ أَيْضًا أَنْ يَكُونُوا  
 ذَوِي حَسَبٍ فِي قَوْمِهِمْ وَفِي الصَّحِيحِ مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَفِي رِوَايَةٍ  
 أُخْرَى فِي ثَرْوَةٍ مِنْ قَوْمِهِ اسْتَدْرَكَهُ الْخَاكِمُ عَلَى الصَّحِيحِينَ وَفِي مَسْئَلَةِ هِرْقَلَ لِأَبِي  
 سَفْيَانَ كَمَا هُوَ فِي الصَّحِيحِ قَالَ كَيْفَ هُوَ فِيكُمْ فَقَالَ أَبُو سَفْيَانَ هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ فَقَالَ  
 هِرْقَلُ وَالرُّسُلُ تَبْعُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا وَمَعْنَاهُ أَنْ تَكُونَ لَهُ عَصَبَةٌ وَسُوكَةٌ تَمْنَعُهُ  
 عَنِ أَدَى الْكُفْرَانِ حَتَّى يَبْلُغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَيَتِمَّ مُرَادُ اللَّهِ مِنْ إِكْمَالِ دِينِهِ وَمِلَّتِهِ . وَمِنْ  
 عَلَامَتِهِمْ أَيْضًا وَفُوعُ الْخَوَارِقِ لَهُمْ شَاهِدَةٌ بِصِدْقِهِمْ وَهِيَ أَفْعَالُ هِجْرِ الْبَشَرِ عَنْ مِثْلِهَا  
 فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ مُعْجَزَةٌ وَلَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ مَقْدُورِ الْعِبَادِ وَإِنَّمَا نَفَعُ فِي غَيْرِ مَحَلٍّ قُدْرَتِهِمْ  
 وَالنَّاسِ فِي كَيْفِيَّةِ وَفُوعِهَا وَدَلَالَتِهَا عَلَى تَصْدِيقِ الْإِنْبِيَاءِ خِلَافَ مَا لَمْ تَكُنْ مَكْمُونًا بِنَاءً عَلَى  
 الْقَوْلِ بِالْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ قَائِلُونَ بِأَنَّهَا وَاقِعَةٌ بِقُدْرَةِ اللَّهِ لَا بِفِعْلِ النَّبِيِّ وَإِنْ كَانَتْ أَفْعَالُ  
 الْعِبَادِ عِنْدَ الْمُعْتَرِثَةِ صَادِرَةً عَنْهُمْ إِلَّا أَنَّ الْمُعْجَزَةَ لَا تَكُونُ مِنْ جِنْسِ أَفْعَالِهِمْ وَلَيْسَ  
 لِلنَّبِيِّ فِيهَا عِنْدَ سَائِرِ الْمُتَكَلِّمِينَ إِلَّا التَّحَدِّيُّ بِهَا بِإِذْنِ اللَّهِ وَهُوَ أَنْ يَسْتَدِلَّ بِهَا  
 الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ وَفُوعِهَا عَلَى صِدْقِهِ فِي مَدْعَاهُ فَإِذَا وَقَعَتْ تَنْزَلَتْ مِثْلَ الْقَوْلِ  
 الصَّرِيحِ مِنْ اللَّهِ بِأَنَّهُ صَادِقٌ وَتَكُونُ دَلَالَتُهَا حِينَئِذٍ عَلَى الصِّدْقِ قَطْعِيَّةً فَالْمُعْجَزَةُ الدَّالَّةُ  
 بِمَجْمُوعِ الْخَارِقِ وَالتَّحَدِّيِّ وَلِذَلِكَ كَانَ التَّحَدِّيُّ جُزْأً مِنْهَا وَعِبَارَةٌ الْمُتَكَلِّمِينَ صِفَةً  
 نَفْسَهَا وَهُوَ وَاحِدٌ لِأَنَّهُ مَعْنَى الذَّاتِيِّ عِنْدَهُمُ وَالتَّحَدِّيُّ هُوَ الْفَارِقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْكِرَامَةِ

(١) فِوَالَةُ الذِّي اشْرَالِيه هِرْقَلُ الظَاهِرُ أَبُو سَفْيَانَ

وَالسَّحَرُ إِذْ لَا حَاحَةَ فِيهِمَا إِلَى التَّصْدِيقِ فَلَا وُجُودَ لِلتَّحْدِي إِلَّا إِنْ وُجِدَ اتِّفَاقًا وَإِنْ  
 وَقَعَ التَّحْدِي فِي الْكِرَامَةِ عِنْدَ مَنْ يُحْزِئُهَا وَكَانَتْ لَهَا دَلَالَةٌ فَإِنَّمَا هِيَ عَلَى الْوَلَايَةِ وَهِيَ  
 غَيْرُ النَّبُوءَةِ وَمِنْ هُنَا مَعَ الْأُسْتَاذِ أَبُو اسْحَقٍ وَغَيْرُهُ وَوُقُوعُ الْخَوَارِقِ كِرَامَةً قَرَارًا مِنْ  
 الْإِلْتِبَاسِ بِالنَّبُوءَةِ عِنْدَ التَّحْدِي بِالْوَلَايَةِ وَقَدْ أَرَيْنَاكَ الْمَعْيَاةَ بَيْنَهُمَا وَإِنَّهُ يَتَّحَدَى  
 بِغَيْرِ مَا يَتَّحَدَى بِهِ النَّبِيُّ فَلَا لَيْسَ عَلَى أَنْ النَّقْلَ عَنِ الْأُسْتَاذِ فِي ذَلِكَ لَيْسَ صَرِيحًا  
 وَرَبَّمَا حَمَلَ عَلَى انْكَارِ لَأَنَّ نَفَعَ خَوَارِقُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُمْ بِنَاءً عَلَى اخْتِصَاصِ كُلِّ مَنْ  
 الْفَرِيقَيْنِ بِخَوَارِقِهِ . وَأَمَّا الْمُعْتَزَلَةُ فَالْمَانِعُ مِنْ وُقُوعِ الْكِرَامَةِ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْخَوَارِقَ  
 لَيْسَتْ مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ وَأَفْعَالُهُمْ مُعْتَادَةٌ فَلَا فَرْقَ وَأَمَّا وَفُوعُهَا عَلَى يَدِ الْكَاذِبِ تَلْيِيسًا  
 فَهُوَ مُحَالٌ أَمَا عِنْدَ الْأَشْعَرِيَّةِ فَلِأَنَّ صِفَةَ نَفْسِ الْمُعْجِزَةِ التَّصْدِيقِ وَالْهُدَايَةَ فَلَوْ وَقَعَتْ  
 بِخِلَافِ ذَلِكَ انْقَلَبَ الدَّلِيلُ شَهْمَةً وَالْهُدَايَةُ ضَلَالَةً وَالتَّصْدِيقُ كَذِبًا وَأَسْتَحَالَتِ الْحَقَائِقُ  
 وَانْقَلَبَتْ صِفَاتُ النَّفْسِ وَمَا يَلْزَمُ مِنْ فَرْضِ وَفُوعِهِ الْحِمَالُ لَا يَكُونُ مُمَكِّنًا وَأَمَّا عِنْدَ  
 الْمُعْتَزَلَةِ فَلِأَنَّ وُقُوعَ الدَّلِيلِ شَهْمَةً وَالْهُدَايَةَ ضَلَالَةً فَيَبِيحُ فَلَا يَقَعُ مِنَ اللَّهِ . وَأَمَّا الْحُكَمَاءُ  
 فَالْخَارِقُ عِنْدَهُمْ مِنْ فِعْلِ النَّبِيِّ وَلَوْ كَانَ فِي غَيْرِ مَحَلِّ الْقُدْرَةِ بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِهِمْ فِي  
 الْأَيْجَابِ الذَّائِقِ وَوُقُوعِ الْحَوَادِثِ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ مُتَوَقِّفٌ عَلَى الْأَسْبَابِ وَالشَّرْطِ  
 الْحَادِثَةِ مُسْتَنَدَةٌ آخِرًا إِلَى الْوَاجِبِ الْفَاعِلِ بِالذَّاتِ لَا بِالِاخْتِيَارِ وَإِنَّ النَّفْسَ النَّبَوِيَّةَ  
 عِنْدَهُمْ لَهَا خَوَاصُّ ذَاتِيَّةٌ مِنْهَا صُدُورُ هَذِهِ الْخَوَارِقِ بِقُدْرَتِهِ وَطَاعَةِ الْعُنَاصِرِ فِي التَّكْوِينِ  
 وَالنَّبِيُّ عِنْدَهُمْ مَجْبُولٌ عَلَى التَّصْرِيفِ فِي الْأَكْوَانِ مَهْمَا تَوَجَّهَ إِلَيْهَا وَأَسْتَجْمَعَ لَهَا بِمَا جَعَلَ  
 اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَالْخَارِقُ عِنْدَهُمْ يَقَعُ لِلنَّبِيِّ سِوَاهُ كَانَ لِلتَّحْدِي أَمْ لَمْ يَكُنْ وَهُوَ شَاهِدٌ  
 بِصِدْقِهِ مِنْ حَيْثُ دَلِيلُهُ عَلَى تَصْرِيفِ النَّبِيِّ فِي الْأَكْوَانِ الَّذِي هُوَ مِنْ خَوَاصِّ النَّفْسِ  
 النَّبَوِيَّةِ لَا بِأَنَّهُ يَنْزِلُ مِنْزَلَةَ الْقَوْلِ الصَّرِيحِ بِالتَّصْدِيقِ فَلِذَلِكَ لَا يَكُونُ دَلِيلًا عَلَيْهَا عِنْدَهُمْ  
 قَطْعِيَّةً كَمَا هِيَ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ وَلَا يَكُونُ التَّحْدِي جُزْأً مِنَ الْمُعْجِزَةِ وَلَمْ يَصِحَّ  
 فَارِقًا لَهَا عَنِ السَّحَرِ وَالْكِرَامَةِ وَفَارِقَهَا عِنْدَهُمْ عَنِ السَّحَرِ أَنَّ النَّبِيَّ مَجْبُولٌ عَلَى أَفْعَالِ  
 الْخَيْرِ مَصْرُوفٌ عَنْ أَفْعَالِ الشَّرِّ فَلَا يَأْتِي الشَّرَّ بِخَوَارِقِهِ وَالسَّاحِرُ عَلَى الضَّدِّ فَافْعَالُهُ كُلُّهَا  
 شَرٌّ وَفِي مَقَاصِدِ الشَّرِّ وَفَارِقَهَا عَنِ الْكِرَامَةِ أَنَّ خَوَارِقَ النَّبِيِّ مُخَصَّصَةٌ كَالصُّعُودِ إِلَى  
 السَّمَاءِ وَالنُّفُوزِ فِي الْأَجْسَامِ الْكَثِيفَةِ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَتَكْلِيمِ الْمَلَائِكَةِ وَالطَّيْرَانِ

فِي الْهُوَاءِ وَخَوَارِقِ الْوَلِيِّ دُونَ ذَلِكَ كَثِيرٌ الْقَلِيلِ وَالْحَدِيثِ عَنِ بَعْضِ الْمُسْتَقْبَلِ  
 وَأَمثَالِهِ مِمَّا هُوَ قَاصِرٌ عَنِ تَصْرِيفِ الْأَنْبِيَاءِ وَيَأْتِي النَّبِيَّ بِجَمِيعِ خَوَارِقِهِ وَلَا يَقْدِرُ هُوَ  
 عَلَى مِثْلِ خَوَارِقِ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ فَرَّرَ ذَلِكَ الْمُتَصَوِّفَةَ فِيمَا كَتَبُوهُ فِي طَرِيقَتِهِمْ وَلَقَبُوهُ عَمَّنْ  
 أَخْبَرَهُمْ وَإِذَا تَفَرَّرَ ذَلِكَ فَأَعْلَمُ أَنَّ أَعْظَمَ الْمُعْجَزَاتِ وَأَشْرَفَهَا وَأَوْضَحَهَا دِلَالَةُ الْقُرْآنِ  
 الْكَرِيمِ الْمُنَزَّلِ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ الْخَوَارِقَ فِي الْعَالَمِ نَقَعُ  
 مُعَايِرَةَ لِلْوَحْيِ الَّذِي يَتَلَقَّاهُ النَّبِيُّ وَيَأْتِي بِالْمُعْجِزَةِ شَاهِدَةً بِصِدْقِهِ وَالْقُرْآنُ هُوَ بِنَفْسِهِ  
 الْوَحْيُ الْمُدْعَى وَهُوَ الْخَارِقُ الْمُعْجِزُ فَشَاهِدُهُ فِي عَيْنِهِ وَلَا يَفْتَقِرُ إِلَى دَلِيلٍ مُعَايِرٍ لَهُ  
 كَسَائِرِ الْمُعْجَزَاتِ مَعَ الْوَحْيِ فَهُوَ أَوْضَحُ دِلَالَةً لِاتِّحَادِ الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ فِيهِ وَهَذَا  
 مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا وَآتَى مِنَ آيَاتٍ مَا مِثْلُهُ  
 أَمِنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَهُ وَحِيًّا أُوحِيَ إِلَيَّ فَإِنَّا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ  
 تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْمُعْجِزَةَ مَتَى كَانَتْ بِهِ إِذِهِ الْمِثَابَةِ فِي الْوُضُوحِ وَقُوَّةِ  
 الدَّلَالَةِ وَهُوَ كَوْنُهَا نَفْسَ الْوَحْيِ كَانَ الصِّدْقُ لَهَا أَكْثَرَ لَوْضُوحًا فَكَثُرَ الْمَصْدَقُ  
 الْمُؤْمِنُ وَهُوَ النَّاتِعُ وَالْأَمَّةُ

ولنذكر الان تفسير حقيقة النبوة على ما شرحه كثير من المحققين

ثم نذكر حقيقة الكهانة ثم الرؤيا ثم شان العرافين

وغير ذلك من مدارك الغيب فنقول

اعْلَمْ . أَرْشَدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنَا نُشَاهِدُ هَذَا الْعَالَمَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا عَلَى هَيْئَةٍ  
 مِنَ التَّرْتِيبِ وَالْإِحْكَامِ وَرَبَطَ الْأَسْبَابَ بِالسَّبَبَاتِ وَأَتَّصَلَ الْأَكْوَانُ بِالْأَكْوَانِ  
 وَاسْتَحَالَ بَعْضُ الْمَوْجُودَاتِ إِلَى بَعْضٍ لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ فِي ذَلِكَ وَلَا تَنْتَهِي غَايَاتُهُ وَأَبْدَأَ  
 مِنْ ذَلِكَ بِالْعَالَمِ الْمَحْسُوسِ الْجُمْمَانِيِّ وَأَوَّلًا عَالَمِ الْعُنَاصِرِ الْمَشَاهِدَةِ كَيْفَ تَدْرُجُ صَاعِدًا  
 مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْمَاءِ ثُمَّ إِلَى الْهُوَاءِ ثُمَّ إِلَى النَّارِ مُتَّصِلًا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا  
 مُسْتَعِدٌّ إِلَى أَنْ يَسْتَحِيلَ إِلَى مَا يَلِيهِ صَاعِدًا وَهَابِطًا وَيَسْتَحِيلُ بَعْضُ الْأَوْقَاتِ وَالصَّاعِدُ  
 مِنْهَا الْطُفَّ مِمَّا قَبْلَهُ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى عَالَمِ الْأَفْلَاكِ وَهُوَ الْطُفُّ مِنَ الْكُلِّ عَلَى  
 طَبَقَاتٍ أَتَّصَلَ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ عَلَى هَيْئَةٍ لَا يُدْرِكُ الْحِسُّ مِنْهَا إِلَّا الْحَرَكَاتِ فَقَطْ وَبِهَا

مَهْتَدِي بَعْضُهُمْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَقَادِيرِهَا وَأَوْضَاعِهَا وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ وُجُودِ الذَّوَاتِ الَّتِي لَهَا  
 هَذِهِ الْأَثَارُ فِيهَا ثُمَّ أَنْظُرْ إِلَى عَالَمِ التَّكْوِينِ كَيْفَ ابْتَدَأَ مِنَ الْمَعَادِنِ ثُمَّ النَّبَاتِ ثُمَّ  
 الْحَيَوَانَ عَلَى هَيْئَةٍ بَدِيعَةٍ مِنَ التَّدْرِيجِ آخِرُ أَفْقِ الْمَعَادِنِ مُتَّصِلٌ بِأَوَّلِ أَفْقِ النَّبَاتِ مِثْلَ  
 الْحَشَائِشِ وَمَا لَا يَبْدُرُ لَهُ وَآخِرُ أَفْقِ النَّبَاتِ مِثْلَ النَّخْلِ وَالْعُكْرَمِ مُتَّصِلٌ بِأَوَّلِ أَفْقِ  
 الْحَيَوَانَ مِثْلَ الْحَزْرُونَ وَالصَّدَفِ وَلَمْ يَوْجَدْ لِهَمَا إِلَّا قُوَّةَ اللمسِ فَقَطُّ وَمَعْنَى الْأَتْصَالِ  
 فِي هَذِهِ الْمُكُونَاتِ أَنَّ آخِرَ أَفْقِ مِنْهَا مُسْتَعِدٌّ بِالْأَسْتِعْدَادِ الْغَرِيبِ لِأَنَّ يَصِيرُ أَوَّلُ  
 أَفْقِ الَّذِي بَعْدَهُ وَاسْتَعْمَلَ عَالَمَ الْحَيَوَانَ وَتَعَدَّدَتْ أَنْوَاعُهُ وَانْتَهَى فِي تَدْرِيجِ التَّكْوِينِ  
 إِلَى الْإِنْسَانِ صَاحِبِ الْفِكْرِ وَالرُّوْيَةِ تَرْتَفِعُ إِلَيْهِ مِنْ عَالَمِ الْقُدْرَةِ الَّذِي اجْتَمَعَ فِيهِ الْحُسْنُ  
 وَالْإِدْرَاكُ وَلَمْ يَنْتَهَ إِلَى الرُّوْيَةِ وَالْفِكْرِ بِالْفِعْلِ وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ أَفْقِ مِنَ الْإِنْسَانِ  
 بَعْدَهُ وَهَذَا غَايَةُ شَهُودِنَا ثُمَّ إِنَّا نَجِدُ فِي الْعَوَالِمِ عَلَى اخْتِلَافِهَا آثَارًا مُتَنَوِّعَةً فِي عَالَمِ الْحُسْنِ  
 آثَارٌ مِنْ حَرَكَاتِ الْأَفْلَاكِ وَالْعَنَاصِرِ وَفِي عَالَمِ التَّكْوِينِ آثَارٌ مِنْ حَرَكَةِ الشَّمْسِ وَالْإِدْرَاكِ  
 تَشْهَدُ كُلُّهَا بِأَنَّ لَهَا مَوْثِرًا مَبِينًا لِلْأَجْسَامِ فَهُوَ رُوحَانِيٌّ وَيَتَّصِلُ بِالْمُكُونَاتِ لَوْجُودِ  
 اتِّصَالِ هَذَا الْعَالَمِ فِي وُجُودِهَا وَلِذَلِكَ هُوَ النَّفْسُ الْمُدْرِكَةُ وَالْمَحْرُكَةُ وَلَا يَدْفُوقُهَا مِنْ  
 وُجُودِ آخِرٍ يُعْطِيهَا قُوَّةَ الْإِدْرَاكِ وَالْحَرَكَةِ وَيَتَّصِلُ بِهَا أَيْضًا وَيَكُونُ ذَاتَهُ إِدْرَاكًا  
 صِرْفًا وَتَعْقُلًا مُخْتَصًّا وَهُوَ عَالَمُ الْمَلَائِكَةِ فَوَجِبَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ يَكُونَ لِلنَّفْسِ اسْتِعْدَادٌ  
 لِلْإِنْسِلَاخِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَلَائِكِيَّةِ لِيَصِيرَ بِالْفِعْلِ مِنْ جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ وَقْتًا مِنْ  
 الْأَوْقَاتِ فِي لَمْحَةٍ مِنَ اللَّمَحَاتِ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ تَكْمُلَ ذَاتُهَا الرُّوحَانِيَّةَ بِالْفِعْلِ كَمَا  
 تَدْكُرُهُ بَعْدَ وَيَكُونُ لَهَا اتِّصَالٌ بِالْأَفْقِ الَّذِي بَعْدَهَا شَأْنُ الْمَوْجُودَاتِ الْمُرْتَبَةِ كَمَا  
 قَدَّمَاهُ فَلَهَا فِي الْأَتْصَالِ جِهَتَا الْعُلُوِّ وَالسُّفْلِ وَهِيَ مُتَّصِلَةٌ بِالْبَدَنِ مِنْ أَسْفَلِ مِنْهَا وَتَكْتَسِبُ  
 بِهِ الْمَدَارِكَ الْحُسِّيَّةَ الَّتِي تَسْتَعِدُّ بِهَا لِلْحُصُولِ عَلَى التَّعْقُلِ بِالْفِعْلِ وَمُتَّصِلَةٌ مِنْ جِهَةِ الْأَعْلَى  
 مِنْهَا بِأَفْقِ الْمَلَائِكَةِ وَهِيَ تَكْتَسِبُ بِهِ الْمَدَارِكَ الْعِلْمِيَّةَ وَالْعِبَادِيَّةَ فَإِنَّ عَالَمَ الْخَوَادِثِ  
 مَوْجُودٌ فِي تَعَقُّلَاتِهِمْ مِنْ غَيْرِ زَمَانٍ وَهَذَا عَلَى مَا قَدَّمَاهُ مِنَ التَّرْتِيبِ الْمُحْكَمِ فِي الْوُجُودِ  
 بِاتِّصَالِ ذَوَاتِهِ وَقُوَّاهُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ غَائِبَةٌ عَنِ الْعِيَانِ  
 وَأَثَارُهَا ظَاهِرَةٌ فِي الْبَدَنِ فَكَأَنَّهُ وَجَمِيعِ أَجْزَائِهِ مُجْتَمِعَةٌ وَمُفْتَرِقَةٌ لِأَنَّ النَّفْسَ وَلِقَوَاهَا  
 أَمَا الْفَاعِلِيَّةُ فَالْبَطْشُ بِالْيَدِ وَالْمَشْيُ بِالرَّجْلِ وَالْكَلَامُ بِاللِّسَانِ وَالْحَرَكَةُ الْكَلْبِيَّةُ

بِالْبَدَنِ مُتَدَاعٍ وَأَمَّا الْمُدْرَكَةُ وَإِنْ كَانَتْ قُوَى الْإِدْرَاكِ مَرْتَبَةً وَمُرْتَبَةً إِلَى الْقُوَى  
 الْعُلْيَا مِنْهَا وَمِنَ الْمَفْكُورَةِ الَّتِي يَعْبُرُ عَنْهَا بِالنَّاطِقِيَّةِ فَقُوَى الْحَسَنِ الظَّاهِرَةِ بِالْإِتِهَانِ مِنَ  
 السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَسَائِرِهَا يَرْتَقِي إِلَى الْبَاطِنِ وَأَوَّلُهُ الْحَسَنِ الْمَشْتَرِكُ وَهُوَ قُوَى تَدْرِكُ  
 الْحَسُوسَاتِ مُبْصِرَةٌ وَمَسْمُوعَةٌ وَمَلْمُوسَةٌ وَغَيْرِهَا فِي حَالَةٍ وَاحِدَةٍ وَبِذَلِكَ فَارَقَتْ قُوَى  
 الْحَسَنِ الظَّاهِرِ لِأَنَّ الْحَسُوسَاتِ لَا تَزْدَحِمُ عَلَيْهَا فِي الْوَقْتِ الْوَاحِدِ ثُمَّ يُؤَدِّيهِ الْحَسَنِ  
 الْمَشْتَرِكُ إِلَى الْخَيَالِ وَهِيَ قُوَى تُمَثِّلُ الشَّيْءَ الْحَسُوسَ فِي النَّفْسِ كَمَا هُوَ مُجْرَدٌ عَنِ  
 الْمَوَادِّ الْخَارِجَةِ فَقَطُّ وَآلَةُ هَاتَيْنِ الْقُوَتَيْنِ فِي تَصَرُّفِهِمَا الْبَطْنُ الْأَوَّلُ مِنَ الدِّمَاغِ  
 مُقَدَّمُهُ لِلأُولَى وَمُؤَخَّرُهُ لِلثَّانِيَةِ ثُمَّ يَرْتَقِي الْخَيَالُ إِلَى الْوَاهِمَةِ وَالْحَافِظَةُ فَالْوَاهِمَةُ لِإِدْرَاكِ  
 الْمَعَانِي الْمُتَعَلِّقَةِ بِالشَّخْصِيَّاتِ كَعِدَاوَةِ زَيْدٍ وَصَدَاقَةِ عَمْرٍو وَرَحْمَةِ الْآبِ وَأَقْرَاسِ  
 الذَّبِّ وَالْحَافِظَةُ لِإِيْدَاعِ الْمُدْرَكَاتِ كُلِّهَا مُخَيَّلَةٌ وَهِيَ لَهَا كَالْخِزَانَةِ تَحْفَظُهَا لَوْفَتْ  
 الْحَاجَةَ إِلَيْهَا وَآلَةُ هَاتَيْنِ الْقُوَتَيْنِ فِي تَصَرُّفِهِمَا الْبَطْنُ الْمُؤَخَّرُ مِنَ الدِّمَاغِ وَأَوَّلُهُ لِلأُولَى  
 وَمُؤَخَّرُهُ لِلْآخَرَى ثُمَّ يَرْتَقِي جَمِيعُهُمَا إِلَى قُوَى الْفِكْرِ وَآلَةُ الْبَطْنِ الْأَوْسَطِ مِنَ الدِّمَاغِ وَهِيَ الْقُوَى  
 الَّتِي يَفْعُ بِهَا حَرَكَةَ الرُّوِيَّةِ وَالتَّوَجُّهَ نَحْوَ الْعَقْلِ فَتَحْرِكُ النَّفْسَ بِهَا دَائِمًا لِمَا رُكِبَ فِيهَا  
 مِنَ النُّزُوعِ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ دَرَكِ الْقُوَى وَالْإِسْتِعْدَادِ الَّذِي لِلبَشَرِيَّةِ وَتَخْرُجُ إِلَى الْفِعْلِ  
 فِي تَعَقُّلِهَا مُتَشَبِّهَةً بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى الرُّوحَانِيِّ وَتَصِيرُ فِي أَوَّلِ مَرَاتِبِ الرُّوحَانِيَّاتِ فِي  
 إِدْرَاكِهَا بَعْدَ الْآلَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ فِيهِ مُتَحَرِّكَةٌ دَائِمًا وَمُتَوَجِّهَةٌ نَحْوَ ذَلِكَ وَقَدْ تَنْسَلِخُ  
 بِالْمَلَائِكَةِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ وَرُوحَانِيَّتِهَا إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنَ الْأَفْقِ الْأَعْلَى مِنْ غَيْرِ أَنْ كُنْتَابَ  
 بَلْ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْجَبَلَةِ وَالْفِطْرَةِ الْأُولَى فِي ذَلِكَ وَالتَّمُوسُ الْبَشَرِيَّةِ عَلَى ثَلَاثَةِ  
 اصْنَافٍ صَنَفٌ عَاجِزٌ بِالتَّطَبُّعِ عَنِ الْوُصُولِ فَيَنْقَطِعُ بِالْحَرَكَةِ إِلَى الْجِهَةِ السُّهْلَى نَحْوَ  
 الْمُدْرَاكِ الْحَسِّيَّةِ وَالْخَيَالِيَّةِ وَتَرْكِبُ الْمَعَانِي مِنَ الْحَافِظَةِ وَالْوَاهِمَةِ عَلَى فَوَائِنٍ مَحْصُورَةٍ  
 وَتَرْتَبُ خَاصًّا يَسْتَفِيدُونَ بِهِ الْعُلُومَ التَّصَوُّرِيَّةَ وَالتَّصَدِيقِيَّةَ الَّتِي لِلْفِكْرِ فِي الْبَدَنِ وَكُلِّهَا  
 خَيَالِيٌّ مُنْحَصَرٌ نَطَاقُهُ إِذْ هُوَ مِنْ جِهَةٍ مَبْدَأِهِ يَنْتَهِي إِلَى الْأَوَّلِيَّاتِ وَلَا يَتَجَاوَزُهَا وَإِنْ  
 فَسَدَ فَسَدَ مَا بَعْدَهَا وَهَذَا هُوَ فِي الْأَعْلَبِ نِطَاقِ الْإِدْرَاكِ الْبَشَرِيِّ الْجِسْمَانِيِّ وَإِلَيْهِ يَنْتَهِي  
 مَدَارِكُ الْعُلَمَاءِ وَفِيهِ تَرْسُخُ أَقْدَامِهِمْ وَصَنَفٌ مُتَوَجِّهٌ بِتِلْكَ الْحَرَكَةِ الْفِكْرِيَّةِ نَحْوَ الْعَقْلِ  
 الرُّوحَانِيِّ وَالْإِدْرَاكِ الَّذِي لَا يَنْتَقِرُ إِلَى الْآلَاتِ الْبَدَنِيَّةِ بِمَا جَعَلَ فِيهِ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ

لِذَلِكَ فَيَسَّعُ نِطَاقُ إِدْرَاكِهِ عَنِ الْأَوَّلِيَّاتِ الَّتِي هِيَ نِطَاقُ الْإِدْرَاكِ الْأَوَّلِ الْبَشَرِيِّ  
وَيَسَّرُ فِي فِضَاءِ الْمَشَاهِدَاتِ الْبَاطِنِيَّةِ وَهِيَ وَجْدَانُ كُلِّهَا نِطَاقُ لَهَا مِنْ مَبْدَاهَا وَلَا مِنْ  
مُنْتَهَاهَا وَهَذِهِ مَدَارِكُ الْعُلَمَاءِ الْأَوْلِيَاءِ أَهْلِ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ وَالْمَعَارِفِ الرَّبَّانِيَّةِ وَهِيَ  
الْحَاصِلَةُ بَعْدَ الْمَوْتِ لِأَهْلِ السَّعَادَةِ فِي الْبَرْزَخِ وَصِنْفٌ مَقْطُورٌ عَلَى الْإِنْسِلَاخِ مِنَ  
الْبَشَرِيَّةِ جَمَلَةٌ جِسْمَانِيَّتَيْهَا وَرُوحَانِيَّتَيْهَا إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنَ الْأَفْقِ الْأَعْلَى لِيَصِيرَ فِي لَحْمَةٍ  
مِنَ الْأَلْحَمَاتِ مَلَكًا بِالنَّعْلِ وَيَحْضُلُ لَهُ شَهْرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى فِي أَفْقِهِمْ وَسَمَاعِ الْكَلَامِ  
النَّفْسَانِيِّ وَالْحُطَابِ الْإِلَهِيِّ فِي تِلْكَ اللَّحْمَةِ وَهِيَ لِوَلَدِ الْأَنْبِيَاءِ صَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ  
جَعَلَ اللَّهُ لَهُمُ الْإِنْسِلَاخَ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ فِي تِلْكَ اللَّحْمَةِ وَهِيَ حَالَةُ الْوَحْيِ فَطَرَهُ فَطَرَهُمُ اللَّهُ  
عَلَيْهَا وَجَبَلَهُ صَوْرَهُمْ فِيهَا وَزَيَّنَهُمْ عَنْ مَوَانِعِ الْبَدَنِ وَعَوَائِقِهِ مَا دَامُوا مُلَابِسِينَ لَهَا بِالْبَشَرِيَّةِ  
بِمَا رُكِبَ فِي غَرَائِزِهِمْ مِنَ الْقَصْدِ وَالِاسْتِقَامَةِ الَّتِي يُحَادِثُونَ بِهَا تِلْكَ الْوَجْهَةَ وَرُكُزَ فِي  
طَبَائِعِهِمْ رَغْبَةً فِي الْعِبَادَةِ تَكْتَفِي بِتِلْكَ الْوَجْهَةِ وَأَسْبِغُ نَحْوَهَا فَمَنْ يَتَوَجَّهُونَ إِلَى ذَلِكَ  
الْأَفْقِ بِذَلِكَ النَّوْعِ مِنَ الْإِنْسِلَاخِ مَتَى شَاءَ وَابْتَلَاكَ النُّظْرَةَ الَّتِي فَطَرُوا عَلَيْهَا لَا بِأَكْتِسَابِ  
وَلَا صِنَاعَةٍ فَلِذَا تَوَجَّهُوا وَأَسْلَخُوا عَنْ شَرِيَّتِهِمْ وَتَلَقَّوْا فِي ذَلِكَ الْمَلَائِكَةِ الْأَعْلَى مَا يَتَلَقَّوْنَهُ  
عَاجِبًا بِهِ عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْزَلًا فِي فُؤَادِهَا لِحِكْمَةِ التَّبْلِيغِ لِلْعِبَادَةِ فَتَارَةً يَسْمَعُ أَحَدُهُمْ دَوِيًّا  
كَأَنَّهُ رَزَمَ مِنَ الْكَلَامِ يَأْخُذُ مِنْهُ الْمَعْنَى الَّذِي الْوَحْيُ إِلَيْهِ فَلَا يَقْضِي الدَّوِيَّ إِلَّا وَقَدْ  
وَعَاهُ وَفَهِمَهُ وَتَارَةً يَتَمَثَّلُ لَهُ الْمَلَكُ الَّذِي يُبْقِي إِلَيْهِ رَجُلًا فَيُكَلِّمُهُ وَيَبْعِي مَا يَقُولُهُ  
وَالْتَقَى مِنَ الْمَلَكِ وَالرُّجُوعُ إِلَى الْمَدَارِكِ الْبَشَرِيَّةِ وَفَهِمَهُ مَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ كُلُّهُ كَأَنَّهُ فِي  
لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ بَلْ أَقْرَبَ مِنْ لَحْمٍ الْبَصَرِ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي زَمَانٍ بَلْ كُلُّهَا نَفْعٌ جَمِيعًا فَيُظْهِرُ  
كَأَنَّهَا سَرِيعَةٌ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ وَحْيًا لِأَنَّ الْوَحْيَ فِي اللُّغَةِ الْإِسْرَاعُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَوَّلَى وَهِيَ  
حَالَةُ الدَّوِيِّ هِيَ رُتْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ غَيْرِ الْمُرْسَلِينَ عَلَى مَا حَقَّقُوهُ وَالثَّانِيَّةُ وَهِيَ حَالَةُ تَمَثُّلِ  
الْمَلَكِ رَجُلًا يُخَاطَبُ هِيَ رُتْبَةُ الْأَنْبِيَاءِ الْمُرْسَلِينَ وَلِذَلِكَ كَانَتْ أَكْمَلَ مِنَ الْأَوَّلَى وَهَذَا  
مَعْنَى الْحَدِيثِ الَّذِي فَسَّرَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَحْيَ لَمَّا سَأَلَهُ الْخَارِثُ بْنُ  
هَشَامٍ وَقَالَ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ فَقَالَ أَحْيَانًا يَأْتِيَنِي مِثْلَ صَلَاةِ الْجُرْسِ وَهُوَ أَشَدُّ  
عَلَيَّ فَيَقْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ مَا قَالَ وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ فَيُكَلِّمُنِي فَأَعْيِي مَا يَقُولُ  
وَإِنَّمَا كَانَتْ الْأَوَّلَى أَشَدَّ لَانِبَاءِهَا مَبْدَأُ الْخُرُوجِ فِي ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ

فَيَعْسُرُ بَعْضُ الْعُسْرِ وَلِذَلِكَ لَمَّا عَاجَ فِيهَا عَلَى الْمَدَارِكِ الْبُشْرِيَّةِ اخْتَصَّتْ بِالسَّمْعِ وَصَعِبَ  
 مَا سِوَاهُ وَعِنْدَ مَا يَتَكَرَّرُ الْوَحْيُ وَيَكْثُرُ التَّلَقِّيُ يَسْهَلُ ذَلِكَ الْإِتِّصَالُ فَعِنْدَ مَا يُعْرَجُ  
 إِلَى الْمَدَارِكِ الْبُشْرِيَّةِ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِهَا وَخُصُوصًا الْأَوْضَحَ مِنْهَا وَهُوَ إِدْرَاكُ الْبَصَرِ وَفِي  
 الْعِبَارَةِ عَنِ الْوَحْيِ فِي الْأَوَّلَى بَصِيغَةَ الْمَاضِي وَفِي الثَّانِيَةِ بَصِيغَةَ الْمَضَارِعِ لَطِيفَةٌ مِنَ  
 الْبَلَاغَةِ وَهِيَ أَنَّ الْكَلَامَ جَاءَ مَجْبِيءٌ التَّمْثِيلِ لِحَالَتِي الْوَحْيِ فَمَثَلُ الْحَالَةِ الْأَوَّلَى  
 بِالْمَدْوِيِّ الَّذِي هُوَ فِي الْمُتَعَارَفِ غَيْرُ كَلَامٍ وَأَخْبَرَ أَنَّ الْفَهْمَ وَالْوَحْيَ يَتَّبِعُهُ غَيْبُ انْقِضَائِهِ  
 فَنَاسَبَ عِنْدَ تَصَوُّرِ انْقِضَائِهِ وَانْفِصَالِهِ الْعِبَارَةَ عَنِ الْوَحْيِ بِالْمَاضِي الْمَطَابِقِ لِلِانْقِضَاءِ  
 وَالْإِنْقِطَاعِ وَمَثَلُ الْمَلِكِ فِي الْحَالَةِ الثَّانِيَةِ بِرَجُلٍ يُخَاطَبُ وَيَتَكَلَّمُ وَالْكَلامُ يُسَاوِفُهُ  
 الْوَحْيُ فَنَاسَبَ الْعِبَارَةَ بِالْمَضَارِعِ الْمُقْتَضِي لِلتَّجَدُّدِ . وَعَلِمَ أَنَّ فِي حَالَةِ الْوَحْيِ كَلِمًا  
 صُعُوبَةً عَلَى الْجُمَّلَةِ وَشِدَّةً قَدْ أَشَارَ إِلَيْهَا الْقُرْآنُ قَالَ تَعَالَى إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا  
 وَقَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ مِمَّا يُعَانِي مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةٌ وَقَالَتْ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ  
 الشَّدِيدِ الْبُرْدِ فَيُنْصَمُ عَنْهُ وَإِنْ جَمِينَهُ لِيَتَفَصَّدَ عِرْقًا . وَلِذَلِكَ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْهُ فِي تِلْكَ  
 الْحَالَةِ مِنَ الْعَيْبَةِ وَالْغَطِيطِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْوَحْيَ كَمَا قَرَرْنَا مُفَارَقَةَ  
 الْبُشْرِيَّةِ إِلَى الْمَدَارِكِ الْمَلَائِكِيَّةِ وَتَلَقَّى كَلَامَ النَّفْسِ فَيُحَدِّثُ عَنْهُ شِدَّةٌ مِنْ مُفَارَقَةِ  
 الذَّاتِ ذَاتِهَا وَأَنْسِلَاحِهَا عَنْهَا مِنْ أَفْقِهَا إِلَى ذَلِكَ الْأَفْقِ الْآخَرَ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْغَطِّ الَّذِي  
 عَبَّرَ بِهِ فِي مَبْدَأِ الْوَحْيِ فِي قَوْلِهِ فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَانِي فَقَالَ أَقْرَأْ فَقُلْتُ  
 مَا أَنَا بِقَارِيءٍ وَكَذَا ثَانِيَةً وَثَالِثَةً كَمَا فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ بَفِضِي الْأَعْتِيَادَ بِالتَّنْزِيلِ فِيهِ  
 شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى بَعْضِ السُّهُولَةِ بِالْقِيَاسِ إِلَى مَا قَبْلَهُ وَلِذَلِكَ كَانَ تَنْزِيلُ نَجْمِ الْقُرْآنِ  
 وَسُورِهِ وَآيِهِ حِينَ كَانَ بِمَكَّةَ أَقْصَرَ مِنْهَا وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ وَأَنْظُرْ إِلَى مَا نَقَلَ فِي نُزُولِ  
 سُورَةِ بَرَاءةٍ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَأَنَّهَا نُزِلَتْ كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَسِيرٌ عَلَى نَاقَتِهِ  
 بَعْدَ أَنْ كَانَ بِمَكَّةَ يَنْزَلُ عَلَيْهِ بَعْضُ السُّرُورَةِ مِنْ قِصَارِ الْمَفْصِلِ فِي وَفْتٍ وَيَنْزَلُ الْبَاقِي  
 فِي حِينٍ آخَرَ وَكَذَلِكَ كَانَ آخِرُ مَا نَزَلَ بِالْمَدِينَةِ آيَةُ الدِّينِ وَهِيَ مَا هِيَ فِي الطُّولِ بَعْدَ  
 أَنْ كَانَتْ الْآيَةُ تَنْزَلُ بِمَكَّةَ مِثْلَ آيَاتِ الرَّحْمَنِ وَالذَّارِيَاتِ وَالْمُدَّثَّرِ وَالضُّحَى  
 وَالْفَلَقِ وَأَمْثَالِهَا وَأَعْتَبَرْنَا مِنْ ذَلِكَ عَلَامَةً تُمَيِّزُهَا بَيْنَ الْمَكِّيِّ وَالْمَدِينِيِّ مِنَ السُّورِ  
 وَالْآيَاتِ وَاللَّهُ الْمُرْشِدُ إِلَى الصَّوَابِ . هَذَا مُحْصَلُ أَمْرِ النُّبُوَّةِ وَمَا الْكُهَانَةُ فِيهَا أَيْضًا

مِنْ خَوَاصِّ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا فِي جَمِيعِ مَا مَرَّ أَنَّ النَّفْسَ  
 الْإِنْسَانِيَّةَ اسْتَعْدَادًا لِلِانْسِلَاحِ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الرُّوحَانِيَّةِ الَّتِي فَوْقَهَا وَأَنَّهُ يَحْصُلُ مِنْ  
 ذَلِكَ لَحْمَةٌ لِلْبَشَرِ فِي صِنْفِ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا فُطِرُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ وَتَقَرَّرَ أَنَّهُ يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ  
 غَيْرِ اكْتِسَابٍ وَلَا اسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَدَارِكِ وَلَا مِنَ النُّصُورَاتِ وَلَا مِنَ الْأَفْعَالِ  
 الْبَدَنِيَّةِ كَلَامًا أَوْ حَرَكَةً وَلَا بِأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ إِنَّمَا هُوَ انْسِلَاحٌ مِنَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى الْمَلَكَائِيَّةِ  
 بِالْفِطْرَةِ فِي لِحْظَةٍ أَقْرَبَ مِنْ لَحْمِ الْبَصْرِ وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَكَانَ ذَلِكَ الْاسْتَعْدَادُ  
 مَوْجُودًا فِي الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ فَيُعْطَى النِّقْسِيمَ الْعَقْلِيَّ وَإِنَّ هُنَا صِنْفًا آخَرَ مِنَ الْبَشَرِ نَاقِصًا  
 عَنْ رُتْبَةِ الصَّنْفِ الْأَوَّلِ نَقْصَانُ الضِّدِّ عَنْ ضِدِّهِ الْكَمَالِ لِأَنَّ عَدَمَ الْاسْتِعَانَةِ فِي ذَلِكَ  
 الْأِدْرَاكِ ضِدُّ الْاسْتِعَانَةِ فِيهِ وَشَتَانُ مَا بَيْنَهُمَا فَإِذَا أُعْطِيَ تَقْسِيمُ الْوُجُودِ إِلَى هُنَا صِنْفًا  
 آخَرَ مِنَ الْبَشَرِ مَفْطُورًا عَلَى أَنْ تَتَحَرَّكَ قُوَّتُهُ الْعَقْلِيَّةُ حَرَكَتَهَا الذِّكْرِيَّةَ بِالْإِرَادَةِ  
 عِنْدَمَا يَبْعَثُهَا التَّرْوِيعَ لِذَلِكَ وَهِيَ نَاقِصَةٌ عَنْهُ بِالْجُبْلَةِ عِنْدَمَا يَعُوقُهَا الْحُجُزُ عَنْ ذَلِكَ تَشَبُّهُ  
 بِأُمُورٍ جَزَائِيَّةٍ مَحْسُوسَةٍ أَوْ مَتَخَبِّلَةٍ كَالْأَجْسَامِ الشَّنَافَةِ وَعِظَامِ الْحَيَوَانَاتِ وَسَجْعِ  
 الْكَلَامِ وَمَا سَنَحَ مِنْ طَيْرٍ أَوْ حَيَوَانٍ فَيَسْتَدِيمُ ذَلِكَ الْإِحْسَاسَ أَوْ التَّخِيلُ مَسْتَعِينًا بِهِ  
 فِي ذَلِكَ الْانْسِلَاحِ الَّذِي يَقْصِدُهُ وَيَكُونُ كَالْمَشْبَعِ لَهُ وَهَذِهِ الْقُوَّةُ الَّتِي فِيهِمْ مَبْدَأُ  
 لِذَلِكَ الْأِدْرَاكِ هِيَ الْكِهَانَةُ وَلَكِنْ هَذِهِ النَّفُوسُ مَفْطُورَةٌ عَلَى النِّقْصِ وَالْقُصُورِ عَنِ  
 الْكَمَالِ كَانِ إِدْرَاكُهَا فِي الْجُزْئِيَّاتِ أَكْثَرَ مِنَ الْكَمَالِيَّاتِ وَلِذَلِكَ تَكُونُ الْحَيْخِلَةُ فِيهِمْ  
 فِي غَايَةِ الْقُوَّةِ لِأَنَّهَا أَلَّةُ الْجُزْئِيَّاتِ فَتَنْفِذُ فِيهَا نَفُوزًا تَامًا فِي نَوْمٍ أَوْ بَقْظَةٍ وَتَكُونُ عِنْدَهَا  
 حَاضِرَةٌ عَنِيدَةٌ مُخَضَّرَةٌ أَلْحِيَّةٌ وَتَكُونُ لَهَا كَالْمِرَاةِ تَنْظُرُ فِيهَا دَائِمًا وَلَا يَقْوَى الْكَاهِنُ  
 عَلَى الْكَمَالِ فِي إِدْرَاكِ الْمَعْقُولَاتِ لِأَنَّ وَحْيَهُ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَرْزَعُ أَحْوَالِ  
 هَذَا الصَّنْفِ أَنْ يَسْتَعِينَ بِالْكَلامِ الَّذِي فِيهِ السَّجْعُ وَالْمُوزَانَةُ لِشَتَلِ بِهِ عَنِ الْحَوَاسِ  
 وَيَقْوَى بَعْضُ الشَّيْءِ عَلَى ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ النَّاتِضِ فَيَهْجِسُ فِي قَلْبِهِ عَنْ تِلْكَ الْحَرَكَةِ وَالَّذِي  
 يُشِيرُهَا مِنْ ذَلِكَ الْأَجْنَبِيِّ مَا يَقْدِفُهُ عَلَى لِسَانِهِ فَرُبَّمَا صَدَقَ وَوَأَفْقَ الْحَقُّ وَرُبَّمَا كَذَبَ  
 لِأَنَّهُ يُسَمِّمُ نَقْصَهُ بِأَمْرِ أَجْنَبِيِّ عَنِ ذَاتِهِ الْمُدْرِكَةِ وَمُبَايِنٍ لَهَا غَيْرِ مُلَائِمٍ فَيَعْرُضُ لَهُ  
 الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ جَمِيعًا وَلَا يَكُونُ مَوْثُوقًا بِهِ وَرُبَّمَا يَفْزَعُ إِلَى الظُّنُونِ وَالْتِحَدِيثَاتِ  
 حِرْصًا عَلَى الظَّنِّ بِالْإِدْرَاكِ بِزَعْمِهِ وَمُؤْمِنًا عَلَى السَّائِلِينَ وَأَصْحَابِ هَذَا السَّجْعِ هُمْ

الْخُصُوصُونَ بِأَسْمِ الْكُهَّانِ لِأَنَّهُمْ أَرْفَعُ سَائِرِ أَصْنَافِهِمْ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 فِي مَثَلِهِ هَذَا مِنْ سَجْعِ الْكُهَّانِ جَعَلَ السَّجْعَ مُخْتَصًّا بِهِمْ بِمُقْتَضَى الْإِضَافَةِ وَقَدْ قَالَ لِابْنِ  
 صَيَّادٍ حِينَ سَأَلَهُ كَاشِفًا عَنْ حَالِهِ بِالْأَخْبَارِ كَيْفَ يَأْتِيكَ هَذَا الْأَمْرُ قَالَ يَا بُنَيَّ صَادِقًا  
 وَكَاذِبًا فَقَالَ خَلَطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ يَعْنِي أَنَّ النَّبُوَّةَ خَاصَّتْهَا الصِّدْقُ فَلَا يَعْتَرِبُهَا الْكُذِبُ  
 بِجَهَالِ لِأَنَّهَا اتَّصَلَ مِنْ ذَاتِ النَّبِيِّ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى مِنْ غَيْرِ مُشِيعٍ وَلَا اسْتِعَانَةٍ بِأَجْنَبِيٍّ  
 وَالْكُهَّانَةُ لِمَا أَحْتَاجَ صَاحِبُهَا بِسَبَبِ عِزِّهِ إِلَى الْاسْتِعَانَةِ بِالتَّصَوُّرَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ كَانَتْ  
 دَاخِلَةً فِي إِدْرَاكِهِ وَالتَّبَسُّتُ بِالْإِدْرَاكِ الَّذِي تَوَجَّهَ إِلَيْهِ فَصَارَ مُخْتَلِطًا بِهَا وَطَرَفَةً  
 الْكُذِبِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ فَامْتَنَعَ أَنْ تَكُونَ نَبُوَّةً وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنْ أَرْفَعُ مَرَاتِبَ الْكُهَّانَةَ  
 حَالَةَ السَّجْعِ لِأَنَّ مَعْنَى السَّجْعِ أَخَذَ مِنْ سَائِرِ الْمَغِيبَاتِ مِنَ الْمَرَيَّاتِ وَالْمَسْمُوعَاتِ  
 وَتَدَلُّ خَفَةِ الْمَعْنَى عَلَى قُرْبِ ذَلِكَ الْإِتِّصَالِ وَالْإِدْرَاكِ وَالْبَعْدُ فِيهِ عَنِ الْعِجْزِ بَعْضُ  
 الشَّيْءِ وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ هَذِهِ الْكُهَّانَةُ قَدْ انْقَطَعَتْ مِنْذُ زَمَنِ النَّبُوَّةِ بِمَا وَقَعَ  
 مِنْ شَأْنِ رَجْمِ الشَّيَاطِينِ بِالشُّهْبِ بَيْنَ يَدَيْ الْبَعْتَةِ وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ لِمَنْعِهِمْ مِنْ خَيْرِ  
 السَّمَاءِ كَمَا وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ وَالْكُهَّانُ إِنَّمَا يَتَعَرَّفُونَ أَخْبَارَ السَّمَاءِ مِنَ الشَّيَاطِينِ فَطَلَّتِ  
 الْكُهَّانَةُ مِنْ يَوْمِئِذٍ وَلَا يَقُومُ مِنْ ذَلِكَ دَلِيلٌ لِأَنَّ عُلُومَ الْكُهَّانِ كَمَا تَكُونُ مِنَ الشَّيَاطِينِ  
 تَكُونُ مِنْ نَفْسِهِمْ أَيْضًا كَمَا قَرَّرْنَاهُ وَأَيْضًا فَالْآيَةُ إِنَّمَا دَلَّتْ عَلَى مَنْعِ الشَّيَاطِينِ مِنْ  
 نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْ أَخْبَارِ السَّمَاءِ وَهُوَ مَا يَتَعَلَّقُ بِخَبَرِ الْبَعْتَةِ وَلَمْ يَمْنَعُوا مِمَّا سِوَى ذَلِكَ وَأَيْضًا  
 فَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْانْقِطَاعُ بَيْنَ يَدَيْ النَّبُوَّةِ فَقَطُّ وَلَعَلَّهَا عَادَتْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا كَانَتْ  
 عَلَيْهِ وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ لِأَنَّ هَذِهِ الْمَدَارِكُ كُلُّهَا تَخْمَدُ فِي زَمَنِ النَّبُوَّةِ كَمَا تَخْمَدُ  
 الْكُوكُبُ وَالسُّرُجُ عِنْدَ وُجُودِ الشَّمْسِ لِأَنَّ النَّبُوَّةَ هِيَ النُّورُ الْأَعْظَمُ الَّذِي يَخْفَى مَعَهُ  
 كُلُّ نُورٍ وَيَذْهَبُ وَقَدْ زَعَمَ بَعْضُ الْكُهَّانِ أَنَّهَا إِنَّمَا تَوْجَدُ بَيْنَ يَدَيْ النَّبُوَّةِ ثُمَّ تَنْقَطِعُ  
 وَهَكَذَا كُلُّ نَبُوَّةٍ وَقَعَتْ لِأَنَّ وُجُودَ النَّبُوَّةِ لَا يَدُلُّهُ مِنْ وَضْعِ فَلِكِي يَقْتَضِيهِ فِي تَمَامِ  
 ذَلِكَ الْوَضْعِ تَمَامَ نَلِكِ النَّبُوَّةِ الَّتِي دَلَّ عَلَيْهَا وَتَقْصُرُ ذَلِكَ الْوَضْعُ عَنِ التَّمَامِ يَقْتَضِي  
 وَجُودَ طَبِيعَةٍ مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ الَّذِي يَقْتَضِيهِ نَاقِصَةٌ وَهُوَ مَعْنَى الْكَاهِنِ عَلَى مَا قَرَّرْنَاهُ  
 فَقَبْلَ أَنْ يَتِمَّ ذَلِكَ الْوَضْعُ الْكَامِلُ يَقَعُ الْوَضْعُ النَّاقِصُ وَيَقْتَضِي وَجُودَ الْكَاهِنِ إِذَا  
 وَاحِدًا أَوْ مُتَعَدِّدًا فَإِذَا تَمَّ ذَلِكَ الْوَضْعُ تَمَّ وَجُودُ النَّبِيِّ بِكَمَالِهِ وَانْقَضَتْ الْأَوْجَاعُ

الدالة على مثل تلك الطبيعة فلا يوجد منها شيء بعد وهذا بناء على أن بعض الوضع  
 الفلكي يقتضي بعض أثره وهو غير مسلم فلعل الوضع إنما يقتضي ذلك الأثر بهيئته  
 الخالصة ولو نقص بعض أجزائها فلا يقتضي شيئاً إلا أنه يقتضي ذلك الأثر ناقصاً كما  
 قالوه ثم إن هؤلاء الكهان إذا عاينوا زمن النبوة فإنهم عارفون بصدق النبي ودلالة  
 معجزته لأن لهم بعض الوجدان من أمر النبوة كما لكل إنسان من أمر اليوم  
 ومعنوية تلك النسبة موجودة للكاهن بأشد مما للنائم ولا يصدقهم عن ذلك ويوقعهم  
 في الكذب إلا قوة المطامع في أنها نبوة لهم فيقعون في العناد كما وقع لأمية  
 بن أبي الصلت فإنه كان يظن أن يتبأ وكذا وقع لابن صياد ولمسلم وغيرهم فإذا  
 غلب الإيمان وانقطعت تلك الأماني آمنوا أحسن إيمان كما وقع لطائفة الأسدي  
 وسواد بن قارب وكان لهما في الفتوحات الإسلامية من الآثار الشاهدة بحسن  
 الإيمان. وأما الرؤيا مخفية عنها مطالعة النفس الناطقة في ذاتها الروحية لحة من صور  
 الواقعات فإنها عندما تكون روحانية تكون صور الواقعات فيها موجودة بالفعل كما  
 هو شأن الذوات الروحية كلها وتصير روحانية بأن تجرد عن المواد الجسمانية  
 والمدارك البدنية وقد يقع لها ذلك لحة بسبب النوم كما نذكر فتفتس بها علم ما  
 يتشوف إليه من الأمور المستقبلة وتعود به إلى مداركها فإن كان ذلك الاقتباس  
 ضعيفاً وغير جلي بالحكاية والمثال في الخيال لتخلصه فيحتاج من أجل هذه الحكاية  
 إلى التعبير وقد يكون الاقتباس قوياً يستغنى فيه عن الحكاية فلا يحتاج إلى تعبير  
 لخلوصه من المثال والخيال والسبب في وقوع هذه اللحة للنفس أنها ذات روحانية  
 بالقوة مستكملة بالبدن ومداركه حتى تصير ذاتها تعقلاً محضاً ويكمل وجردها  
 بالفعل فتكون حينئذ ذاتاً روحانية مدركة بغير شيء من الآلات البدنية إلا أن  
 نوعها في الروحانيات دون نوع الملائكة أهل الأفق الأعلى على الذين لم يستكملوا  
 ذواتهم بشيء من مدارك البدن ولا غيره فهذا الاستعداد حاصل لها ما دامت في البدن  
 ومنه خاص كالذي للولياك ومنه عام للبشر على العموم وهو أمر الرؤيا. وأما الذي  
 للإنبياء فهو استعداد بالإنسلاخ من البشرية إلى الملكية المحضة التي هي أعلى  
 الروحانيات ويخرج هذا الاستعداد فيهم متكرراً في حالات الوحي وهو عندما

يَعْرِجُ عَلَى الْمَدَارِكِ الْبَدَنِيَّةِ وَيَقَعُ فِيهَا مَا يَقَعُ مِنَ الْأِدْرَاكِ شَبِيهَا بِحَالِ النَّوْمِ شَبِيهَا  
بَيْنًا وَإِنْ كَانَ حَالُ النَّوْمِ أَدْوَنَ مِنْهُ بِكَثِيرٍ فَلِأَجْلِ هَذَا التَّشْبِيهِ عَنِ الشَّارِعِ عَنِ الرُّوْيَا  
بِأَنَّهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ وَفِي رِوَايَةٍ ثَلَاثَةٌ وَأَرْبَعِينَ وَفِي رِوَايَةٍ  
سَبْعِينَ وَلَيْسَ الْعَدَدُ فِي حَمِيْعِهَا مَقْصُودًا بِالذَّاتِ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْكَثْرَةُ فِي تَفَاوُتِ هَذِهِ  
الْمَرَاتِبِ بِدَلِيلِ ذِكْرِ السَّبْعِينَ فِي بَعْضِ طُرُقِهِ وَهُوَ لِتَكْثِيرِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَمَا ذَهَبَ  
إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ فِي رِوَايَةِ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ مِنْ أَنَّ الْوَحْيَ كَانَ فِي مَبْدَأِهِ بِالرُّوْيَا سِتَّةَ أَشْهُرٍ  
وَهِيَ نِصْفُ سَنَةٍ وَمُدَّةُ النَّبُوءَةِ كُلُّهَا بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ ثَلَاثَ وَعِشْرُونَ سَنَةً فَنِصْفُ السَّنَةِ  
مِنْهَا جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ فَكَلَامُ بَعِيدٌ مِنَ التَّحْقِيقِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا وَقَعَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ آيِنَ لَنَا أَنَّ هَذِهِ الْمُدَّةَ وَقَعَتْ لِعَبْرَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا  
يُعْطَى نِسْبَةً زَمَنِ الرُّوْيَا مِنْ زَمَنِ النَّبُوءَةِ وَلَا يُعْطَى حَقِيقَتَهَا مِنْ حَقِيقَةِ النَّبُوءَةِ وَإِذَا تَبَيَّنَ  
لَكَ هَذَا مِمَّا ذَكَرْنَاهُ أَوْلَا عَلِمْتَ أَنَّ مَعْنَى هَذَا الْجُزْءِ نِسْبَةُ الْأَسْتِعْدَادِ الْأَوَّلِ الشَّامِلِ  
لِلْبَشَرِ إِلَى الْأَسْتِعْدَادِ الْقَرِيبِ الْخَالِصِ بِصِنْفِ الْأَنْبِيَاءِ الْفَطْرِيِّ لَهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ  
إِذْ هُوَ الْأَسْتِعْدَادُ الْبَعِيدُ وَإِنْ كَانَ عَامًّا فِي النَّسْرِ وَمَعَهُ عَوَاقِقُ وَمَوَانِعُ كَثِيرَةٌ مِنْ  
حُصُولِهِ بِالْفِعْلِ وَمِنْ أَعْظَمِ تِلْكَ الْمَوَانِعِ الْحَوَاسُ الظَّاهِرَةُ فَفَطَرَ اللَّهُ الْبَشَرَ عَلَى ارْتِفَاعِ  
حِجَابِ الْحَوَاسِ بِالنَّوْمِ الَّذِي هُوَ جَبَلِيٌّ لَهُمْ فَتَتَعَرَّضُ النَّفْسُ عِنْدَ ارْتِفَاعِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ  
مَا تَشْتَوِي إِلَيْهِ فِي عَالَمِ الْحَقِّ فَتَدْرِكُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ مِنْهُ لَحْمَةً يَكُونُ فِيهَا الظُّفْرُ  
بِالْمَطْلُوبِ وَلِذَلِكَ جَعَلَهَا الشَّارِعُ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ فَقَالَ لَمْ يَبْقَ مِنَ النَّبُوءَةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ  
قَالُوا وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الرُّوْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تَرَى لَهُ  
وَمَا سَبَبُ ارْتِفَاعِ حِجَابِ الْحَوَاسِ بِالنَّوْمِ فَعَلَى مَا أَصْنَعُ لَكَ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ  
إِنَّمَا ادْرَاكُهَا وَأَفْعَالُهَا بِالرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ الْجِسْمَانِيِّ وَهُوَ بِخَارِ لَطِيفٍ مَرَكُزُهُ بِالْبَحْيُوفِ  
الْأَيْسَرِ مِنَ الْقَلْبِ عَلَى مَا فِي كُتُبِ التَّشْرِيحِ لِجَالِينُوسَ وَغَيْرِهِ وَيَتَبَعَثُ مَعَ الدَّمِ فِي  
الشَّرْيَانَاتِ وَالْعُرُوقِ فَيُعْطِي الْحَسَّ وَالْحَرَكَةَ وَسَائِرَ الْأَفْعَالِ الْبَدَنِيَّةِ وَيَرْتَعِعُ لَطِيفُهُ إِلَى  
الدِّمَاغِ فَيَعْدِلُ مِنْ بَرْدِهِ وَتَمَّ أَفْعَالُ الْقُوَى الَّتِي فِي بَطُونِهِ فَالْنَّفْسُ النَّاطِقَةُ إِنَّمَا تَدْرِكُ  
وَتَعْقِلُ بِهَذَا الرُّوحِ الْبَحْيُورِيِّ وَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ لِمَا أَفْتَضَتْهُ حِكْمَةُ التَّكْوِينِ فِي أَنَّ  
اللطيف لا يُؤْتِرُ فِي الْكثيفِ وَلَمَّا لَطَفَ هَذَا الرُّوحُ الْحَيَوَانِيُّ مِنْ بَيْنِ الْمَوَادِّ الْبَدَنِيَّةِ

صَارَ مَحَلًّا لِأَثَارِ الذَّاتِ الْمُبَايِنَةِ لَهُ فِي جِسْمَانَيْتِهِ وَهِيَ النَّفْسُ النَّاطِقَةُ وَصَارَتْ أَثَارُهَا  
حَاصِلَةً فِي الْبَدَنِ بِوَسْاطَتِهِ وَقَدْ كُنَّا قَدَمْنَا أَنَّ إِدْرَاكِهَا عَلَى نَوْعَيْنِ إِدْرَاكِ بِالظَّاهِرِ وَهُوَ  
الْحَوَاسُ الْخَمْسُ وَإِدْرَاكِ بِالْبَاطِنِ وَهُوَ الْقُوَى الدِّمَاغِيَّةُ وَأَنَّ هَذَا الْإِدْرَاكِ كُلَّهُ  
صَارَفُ لَهَا عَنْ إِدْرَاكِهَا مَا فَوْقَهَا مِنْ ذَوَاتِهَا الرُّوحَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ مُسَعَّدَةٌ لَهُ بِالْفِطْرَةِ وَلَمَّا  
كَانَتْ الْحَوَاسُ الظَّاهِرَةُ جِسْمَانِيَّةً كَانَتْ مُعْرَضَةً لِلْوَسْنِ وَالْفَشَلِ بِمَا يَدْرِكُهَا مِنَ التَّعَبِ  
وَالكَلَالِ وَتَغْشَى الرُّوحَ بِكَثْرَةِ التَّصَرُّفِ بِحَقِّ اللَّهِ هَاطِبَ الْأَتِحَادِ لِمَجْدَامِ لَتَجْرُدُ الْإِدْرَاكِ  
عَلَى الصُّورَةِ الْكَمَلَةِ وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِإِتِّخَاسِ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ مِنَ الْحَوَاسِ  
الظَّاهِرَةِ كُلِّهَا وَرُجُوعِهِ إِلَى الْحَسِّ الْبَاطِنِ وَيُعِينُ عَلَى ذَلِكَ مَا يَغْشَى الْبَدْنَ مِنَ الْبَرْدِ  
بِاللَّيْلِ فَتَطْلُبُ الْحَرَارَةَ الْغَرِيزِيَّةَ أَعْمَاقَ الْبَدَنِ وَتَذْهَبُ مِنْ ظَاهِرِهِ إِلَى بَاطِنِهِ فَتَكُونُ  
مُشْبَعَةً مَرَكِبًا وَهُوَ الرُّوحُ الْحَيَوَانِيُّ إِلَى الْبَاطِنِ وَلِذَلِكَ كَانَ النَّوْمُ لِلبَشَرِ فِي الْغَالِبِ  
إِنَّمَا هُوَ بِاللَّيْلِ فَإِذَا اتَّخَسَ الرُّوحُ عَنِ الْحَوَاسِ الظَّاهِرَةِ وَرَجَعَ إِلَى الْقُوَى الْبَاطِنَةِ  
وَخَذَتْ عَنِ النَّفْسِ شَوَاطِلُ الْحَسِّ وَمَوَانِعُهُ وَرَجَعَتْ إِلَى الصُّورَةِ الَّتِي فِي الْحَافِظَةِ تَمَثَّلُ  
مِنْهَا بِالْتَّرَكِيبِ وَالتَّخْلِيلِ صُورٌ خَيَالِيَّةٌ وَأَكْثَرُ مَا تَكُونُ مُعْتَادَةً لِأَنَّهَا مُنْتزَعَةٌ مِنْ  
الْمُدْرَكَاتِ الْمُتَعَاهِدَةِ قَرِيبًا ثُمَّ يَنْزِلُهَا الْحَسُّ الْمُشْتَرِكُ الَّذِي هُوَ جَامِعُ الْحَوَاسِ  
الظَّاهِرَةِ فَيَدْرِكُهَا عَلَى أَنْحَاءِ الْحَوَاسِ الْخَمْسِ الظَّاهِرَةِ وَرُبَّمَا التَّنَبَّتِ النَّفْسُ لِقَتَّةً إِلَى  
ذَاتِهَا الرُّوحَانِيَّةِ مَعَ مُنَازَعَتِهَا الْقُوَى الْبَاطِنِيَّةِ تَدْرِكُ بِإِدْرَاكِهَا الرُّوحَانِيَّةِ لِأَنَّهَا مَفْطُورَةٌ  
عَلَيْهِ وَتَقْتَسِمُ مِنْ صُورِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي صَارَتْ مُتَعَلِّقَةً فِي ذَاتِهَا حِينَئِذٍ ثُمَّ يَأْخُذُ الْخَيَالُ  
تِلْكَ الصُّورَ الْمُدْرَكَةَ فَيَمَثِّلُهَا بِالْحَقِيقَةِ أَوْ الْمَحَاكَاةِ فِي الْقَوَابِلِ الْمَعْبُودَةِ وَالْمَحَاكَاةِ  
مِنْ هَذِهِ هِيَ الْاِحْتِيَاجَةُ لِلتَّعْبِيرِ وَتَصَرُّفِهَا بِالْتَّرَكِيبِ وَالتَّخْلِيلِ فِي صُورِ الْحَافِظَةِ قَبْلَ أَنْ  
تَدْرِكَ مِنْ تِلْكَ اللَّحْمَةِ مَا تَدْرِكُهُ هِيَ أَضْغَاتُ أَحْلَامٍ وَفِي الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الرُّؤْيَا ثَلَاثُ رُّؤْيَا مِنْ اللَّهِ وَرُّؤْيَا مِنَ الْمَلِكِ وَرُّؤْيَا مِنَ الشَّيْطَانِ وَهَذَا  
التَّفْصِيلُ مُطَابِقٌ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فَالْجُلِّيُّ مِنَ اللَّهِ وَالْمَحَاكَاةُ الدَّاعِيَّةُ إِلَى التَّعْبِيرِ مِنَ الْمَلِكِ  
وَأَضْغَاتُ الْأَحْلَامِ مِنَ الشَّيْطَانِ لِأَنَّهَا كُلُّهَا بَاطِلٌ وَالشَّيْطَانُ يَنْبُوعُ الْبَاطِلِ هَذِهِ حَقِيقَةُ  
الرُّؤْيَا وَمَا يُسَبِّحُهَا وَبُشْبُهَاتُهَا مِنَ النَّوْمِ وَهِيَ خَوَاصُّ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ مُوجُودَةٌ فِي الْبَشَرِ  
عَلَى الْعُمُومِ لَا يَخْلُوعُنَهَا أَحَدٌ مِنْهُمْ بَلْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ رَأَى فِي نَوْمِهِ مَا صَدَرَ

لَهُ فِي بَقْطَنِهِ مَرَارًا غَيْرَ وَاحِدَةٍ وَحَصَلَ لَهُ عَلَى الْقَطْعِ أَنَّ النَّفْسَ مُدْرَكَةٌ لِلْغَيْبِ فِي النَّوْمِ  
وَلَا بَدَّ وَإِذَا جَازَ ذَلِكَ فِي عَالَمِ النَّوْمِ فَلَا يَمْتَنِعُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّ الذَّاتَ  
الْمُدْرَكَةَ وَاحِدَةً وَخَوَاصِّهَا عَامَةٌ فِي كُلِّ حَالٍ وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى الْحَقِّ بِنَهْ وَفَضْلِهِ  
فَصَلِّ \* وَوُفُوعُ مَا يَقَعُ لِلْبَشَرِ مِنْ ذَلِكَ غَالِبًا إِنَّمَا هُوَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا قُدْرَةٍ عَلَيْهِ  
وَإِنَّمَا تَكُونُ النَّفْسُ مُتَشَوِّفَةً لِذَلِكَ الشَّيْءِ فَيَقَعُ لَهَا بِتِلْكَ اللَّحْمَةِ فِي النَّوْمِ لِأَنَّهَا تَقْصِدُ  
إِلَى ذَلِكَ فَتَرَاهُ وَقَدْ وَقَعَ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ وَغَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الرِّيَاضَاتِ ذَكَرُ  
أَسْمَاءُ تَذَكَّرُ عِنْدَ النَّوْمِ فَتَكُونُ عَنْهَا الرُّؤْيَا فِيمَا يَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ وَيَسْتَوْهَمُهَا الْحَالُومِيَّةُ  
وَذَكَرَ مِنْهَا مَسْلَمَةٌ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ حَالُومَةٌ سَمَّاهَا حَالُومَةُ الطَّمَاعِ التَّامِّ وَهُوَ أَنْ يُقَالَ  
عِنْدَ النَّوْمِ بَعْدَ فِرَاقِ السَّرِّ وَصِحَّةِ التَّوَجُّهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الْأَعْجَمِيَّةُ وَهِيَ تَمَاسُ بَعْدَ  
أَنْ يَسُودَ وَغَدَاسُ نَوْفِنَا غَادَسُ وَيَذَكَّرُ حَاجَتَهُ فَإِنَّهُ يَرَى الْكَشْفَ عَمَّا يَسْأَلُ عَنْهُ  
فِي النَّوْمِ \* وَحِكْمِي إِنْ رَجُلًا فَعَلَ ذَلِكَ بَعْدَ رِيَاضَةٍ لَيْالٍ فِي مَا كَلَّمَهُ وَذَكَرَهُ  
فَتَمَثَّلَ لَهُ شَخْصٌ يَقُولُ لَهُ أَنَا طَبَّاعُكَ التَّامُّ فَسَأَلَهُ وَأَخْبَرَهُ عَمَّا كَانَ يَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ وَقَدْ  
وَقَعَ لِي أَنَا مَهْدِيهِ الْأَسْمَاءُ مَرَّءٍ عَجِيبَةٍ وَأَطْلَعْتُ بِهَا عَلَى أُمُورٍ كُنْتُ أَتَشَوَّفُ عَلَيْهَا مِنْ  
أَحْوَالِي وَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَلِيلٍ عَلَى أَنَّ الْقَصْدَ لِلرُّؤْيَا يُعَدِّثُهَا وَإِنَّمَا هَذِهِ الْحَالُومَاتُ تُعَدِّثُ  
اِسْتِعْدَادًا فِي النَّفْسِ لَوْفُوعِ الرُّؤْيَا فَإِذَا قَوِيَ اِلْتِمَادُ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى حُصُولِ مَا  
يُسْتَعَدُّ لَهُ وَلِلشَّخْصِ أَنْ يَنْعَلُ مِنَ اِلْتِمَادِ مَا أَحَبَّ وَلَا يَكُونُ دَلِيلًا عَلَى اِيقَاعِ  
الْمُسْتَعَدِّ لَهُ فَالْقُدْرَةُ عَلَى اِلْتِمَادِ غَيْرُ الْقُدْرَةِ عَلَى الشَّيْءِ فَاعْلَمْ ذَلِكَ وَتَدَبَّرْهُ فِيمَا  
تَجِدُ مِنْ أَمْثَالِهِ وَاللَّهُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

فصل \* ثُمَّ إِنَّا تَجِدُ فِي النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ أَشْخَاصًا يُخْبِرُونَ بِالْكَائِنَاتِ قَبْلَ وُفُوعِهَا  
بِطَبِيعَةٍ فِيهِمْ يَتَمَيَّزُ بِهَا صِنْفُهُمْ عَنْ سَائِرِ النَّاسِ وَلَا يَرْجِعُونَ فِي ذَلِكَ إِلَى صِنَاعَةٍ وَلَا  
يَسْتَدْلُونَ عَلَيْهِ بِأَثَرٍ مِنَ النُّجُومِ وَلَا مِنْ غَيْرِهَا إِنَّمَا تَجِدُ مَدَارَ كَهَمِهِمْ فِي ذَلِكَ بِمَقْتَضَى  
فِطْرَتِهِمْ الَّتِي فَطَّرُوا عَلَيْهَا وَذَلِكَ مِثْلُ الْعَرَافِينَ وَالنَّاظِرِينَ فِي الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ كَالْمَرَايَا  
وَطَسَاسِ الْمَاءِ وَالنَّاظِرِينَ فِي قُلُوبِ الْحَيَوَانَاتِ وَأَكْبَادِهَا وَعِظَامِهَا وَأَهْلِ الزَّجْرِ فِي الطَّيْرِ  
وَالسَّبَاعِ وَأَهْلِ الطَّرِيقِ بِالْحَصَى وَالْحُبُوبِ مِنَ الْحِنْطَةِ وَالنَّوَى وَهَدِيهِ كُلِّهَا مَوْجُودَةٌ فِي  
عَالَمِ الْإِنْسَانِ لَا يَسْعُ أَحَدًا سَجْدَهَا وَلَا أَنْكَارَهَا وَكَذَلِكَ الْعَجَائِبُ يُلْقَى عَلَى السَّنَنِ

كلمات من الغيب فيخبرون بها وكذلك النائم والحيث لأول موته أو نومه يتكلم  
بالغيب وكذلك أهل الرياضيات من المتصوفة لهم مدارك في الغيب على سبيل  
الكرامة معروفة . ونحن الآن نتكلم عن هذه الإدراكات كلها ونبتدئ منها  
بالكفانية ثم نأتي عليها واحدة واحدة إلى آخرها ونقدم على ذلك مقدمة في أن النفس  
الإنسانية كيف تستعد لإدراك الغيب في جميع الأصناف التي ذكرناها وذلك أنها  
ذات روحانية موجودة بالقوة إلى الفعل بالبدن وأحواله وهذا أمر مدرك لكل  
أحد وكل ما بالقوة فله مادة وصورة . وصورة هذه النفس التي بها يتم وجودها هو عين  
الإدراك والعقل فهي توجد أولاً بالقوة مستعدة للإدراك وقبول الصور الكلية  
والتجزئية ثم يتم نشؤها ووجودها بالفعل بمصاحبة البدن وما يعدها بوزود مدركاتها  
المحسوسة عليها وما تنتزع من تلك الإدراكات من المعاني الكلية فتتعقل الصور  
مرة بعد أخرى حتى يحصل لها الإدراك والتعقل بالفعل فتم ذاتها وتبقى النفس  
كالهوى والصور متعاقبة عليها بالإدراك واحدة بعد واحدة وذلك بعد الصبي في أول  
نشأته لا يقدر على الإدراك الذي لها من ذاتها لا بنوم ولا بكشف ولا بغيرهما وذلك  
أن صورتها التي هي عين ذاتها وهي الإدراك والتعقل لم يتم بعد بل لم يتم لها انتزاع  
الكليات ثم إذا تمت ذاتها بالفعل حصل لها ما دامت مع البدن نوعان من الإدراك  
إدراك بالآلات الجسمي تؤديه إليها المدارك البدئية وإدراك بذاتها من غير واسطة  
وهي محجوبة عنه بالانغماس في البدن والحواس وبشواغلها لأن الحواس أبداً جاذبة  
لها إلى الظاهر بما فطرت عليه أولاً من الإدراك الجسماني ورُبما تنغمس من الظاهر  
إلى الباطن فيرتفع حجاب البدن لحظة إما بالخاصية التي هي للإنسان على الإطلاق  
مثل النوم أو بالخاصية الموجودة لبعض البشر مثل الكفانية والطرق أو بالرئاسة  
مثل أهل الكشف من الصوفية فتلفت حينئذ إلى الذوات التي فوقها من الملائكة  
لما بين أفعالهم من الاتصال في الوجود كما قررنا قبل وتلك الذوات روحانية  
وهي إدراك محض وعقول بالفعل وفيها صور الموجودات وحققها كما مر فينبغي  
فيها شيء من تلك الصور وتفتس منها علوماً ورُبما دُفعت تلك الصور المدركة إلى  
الخيال فيصرفه في القوالب المعتادة ثم يرجع الحس بما أدركت إما مجرداً أو في

قَوْلِهِ فَيُخْبِرُ بِهِ . هَذَا هُوَ شَرْحُ اسْتِعْدَادِ النَّفْسِ لِهَذَا الْإِدْرَاكِ الْعَيْبِيِّ . وَلَزَجَّحَ إِلَى  
 مَا وَعَدْنَا بِهِ مِنْ بَيَانِ أَصْنَافِهِ . فَأَمَّا النَّاطِرُونَ فِي الْأَجْسَامِ الشَّنَافَةِ مِنَ الْمَرَايَا وَطَسَاسِ  
 الْمِيَاهِ وَقُلُوبِ الْحَيَوَانَاتِ وَأَكْبَادِهَا وَعِظَامِهَا وَأَهْلِ الطَّرِيقِ بِالْحَصَى وَالنَّوَى فَكَلِمَتُهُمْ مِنْ  
 قَبِيلِ الْكَلْبَانِ إِلَّا أَنَّهُمْ أَضَعَتْ رُبَّةً فِيهِ فِي أَصْلِ خَلْقِهِمْ لِأَنَّ الْكَلْبَانَ لَا يَحْتَاجُ فِي  
 رَفْعِ حِجَابِ الْحُسْنِ إِلَى كَثِيرٍ مَعَانَةٍ وَهُؤُلَاءِ يُعَانُونَهُ بِأَنْحِصَارِ الْمَدَارِكِ الْحَسِيَّةِ كُلِّهَا فِي  
 نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنْهَا وَأَشْرَفُهَا الْبَصَرُ فَيَعَكُفُ عَلَى الْمَرْئِيِّ الْبَسِيطِ حَتَّى يَبْدُو لَهُ مُدْرَكَةً  
 الَّتِي يُخْبِرُ بِهِ عَنْهُ وَرُبَّمَا يَظُنُّ أَنَّ مَشَاهِدَةَ هُؤُلَاءِ لِمَا يَرُونَهُ هُوَ فِي سَطْحِ الْمِرَاةِ وَلَيْسَ  
 كَذَلِكَ بَلْ لَا يَزَالُونَ يَنْظُرُونَ فِي سَطْحِ الْمِرَاةِ إِلَى أَنْ يَغِيبَ عَنِ الْبَصَرِ وَيَبْدُو فِيمَا بَيْنَهُمْ  
 وَبَيْنَ سَطْحِ الْمِرَاةِ حِجَابٌ كَأَنَّهُ غَمَامٌ . يَتَمَثَّلُ فِيهِ صُورُهُ هِيَ مَدَارِكُهُمْ فَيَشِيرُونَ إِلَيْهِمْ  
 بِالْمَقْصُودِ لِمَا يَتَوَجَّهُونَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ مِنْ نَفْيٍ أَوْ إِثْبَاتٍ فَيُخْبِرُونَ بِذَلِكَ عَلَى نَحْوِ مَا  
 ادْرَكَوهُ وَأَمَّا الْمِرَاةُ وَمَا يَدْرِكُ فِيهَا مِنَ الصُّورِ فَلَا يَدْرِكُونَهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ وَإِنَّمَا يَنْشَأُ  
 لَهُمْ بِهَا هَذَا النَّوْعُ الْآخَرُ مِنَ الْإِدْرَاكِ وَهُوَ نَفْسَانِي لَيْسَ مِنْ إِدْرَاكِ الْبَصَرِ بَلْ  
 يَتَشَكَّلُ بِهِ الْمُدْرَكُ النَّفْسَانِي لِلْحُسْنِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا بَعْضُ النَّاطِرِينَ  
 فِي قُلُوبِ الْحَيَوَانَاتِ وَأَكْبَادِهَا وَلِلنَّاطِرِينَ فِي الْمَاءِ وَالطَّسَاسِ وَأَمثالُ ذَلِكَ . وَقَدْ  
 شَاهَدْنَا مِنْ هُؤُلَاءِ مَنْ يُشْغَلُ الْحُسْنُ بِالْجُورِ فَقَطَّطَهُمُ بِالْعَزَائِمِ لِلِاسْتِعْدَادِ ثُمَّ يُخْبِرُ كَمَا  
 ادْرَكَ وَيَزَعْمُونَ أَنَّهُمْ يَرُونَ الصُّورَ مُتَشَخِّصَةً فِي الْهَوَاءِ تَحْكِي لَهُمْ أَحْوَالَ مَا يَتَوَجَّهُونَ  
 إِلَى إِدْرَاكِهِ بِالْمِثَالِ وَالْإِشَارَةِ وَغَيْبَةً هُؤُلَاءِ عَنِ الْحُسْنِ أَخْفَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْعَالَمِ  
 أَبُو الْغُرَائِبِ . وَأَمَّا الزَّجْرُ وَهُوَ مَا يَحْدُثُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ مِنَ التَّكَلُّمِ بِالْغَيْبِ عِنْدَ  
 سُبُوحِ طَائِرٍ أَوْ حَيَوَانَ وَالْفِكْرُ فِيهِ بَعْدَ مَغِيبِهِ وَهِيَ قُوَّةٌ فِي النَّفْسِ تَبْعَتْ عَلَى الْحُرْصِ  
 وَالْفِكْرِ فَيَا زَجْرٌ فِيهِ مِنْ مَرْئِيٍّ أَوْ مَسْمُوعٍ وَتَكُونُ قُوَّتُهُ الْخَيْمَلَةُ كَمَا قَدَّمْنَا قُوَّةَ  
 فَيَعْتَمِدُ فِي الْبَحْثِ مُسْتَعِينًا بِمَا رَأَى أَوْ سَمِعَهُ فَيُؤَدِّ بِذَلِكَ إِلَى إِدْرَاكِ مَا كَمَا تَعَلَّهُ الْقُوَّةُ  
 الْخَيْمَلَةُ فِي النَّوْمِ وَعِنْدَ رُكُودِ الْحَوَاسِ نَتَوَسَّطُ بَيْنَ الْحَسُوسِ الْمَرْئِيِّ فِي يَقْظَتِهِ وَتَجْمَعُهُ  
 مَعَ مَا عَقَلْتَهُ فَيَكُونُ عَنْهَا الرُّوْيَا . وَأَمَّا الْجَانِبِينَ فَذَوُوهُمْ الْمُنَاطِقَةُ ضَعِيفَةُ التَّعْلُقِ بِالْبَدَنِ  
 لِنَسَادِ أَمْرِ جَنَّتِهِمْ غَالِبًا وَضَعْفِ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ فِيهَا فَتَكُونُ نَفْسُهُ غَيْرَ مُسْتَعْرِفَةٍ فِي  
 الْحَوَاسِ وَلَا مُنْغَمَسَةٍ فِيهَا بِمَا شَغَلَهَا فِي نَفْسِهَا مِنَ الْمِ الْقُصِّ وَمَرْضِهِ وَرُبَّمَا زَاخَمَهَا عَلَى

التعلق به روحانية اخرى شيطانية تشبث به وتضعف هذه عن ممانعتها فيكون عنه  
التخبط فاذا اصابه ذلك التخبط اما لفساد مزاجه من فساد في ذاتها او لمزاجته من  
النفوس الشيطانية في تعلقه غاب عن حسه جملة فادرك لحة من عالم نفسه وانطبع  
فيها بعض الصور وصرفها اخیال وربما نطق عن لسانه في تلك الحال من غير ارادة  
اللفظ وادراك هؤلاء كلهم مشوب فيه الحق بالباطل لانه لا يحصل لهم الاتصال  
وان فقدوا الحس الا بعد الاستعانة بالتصورات الاجنبية كما قررناه ومن ذلك يحيى  
الكذب في هذه المدارك واما العرافون فهم المتعلقون بهذا الادراك وليس لهم  
ذلك الاتصال فيسلطون الفكر على الامر الذي يتوجهون اليه وياخذون فيه بالظن  
والتخمين بناء على ما يتوهمونه من مبادئ ذلك الاتصال والادراك ويدعون بذلك  
معرفة الغيب وليس منه على الحقيقة هذا تحصيل هذه الامور وقد تكلم عليها المسعودي  
في مروج الذهب فما صادف تحقيقا ولا اصابة ويظهر من كلام الرجل انه كان  
بعيدا عن الرسوخ في المعارف فينقل ما سمع من اهله ومن غير اهله وهذه الادراكات  
التي ذكرناها موجودة كلها في نوع البشر فقد كان العرب يفزعون الى الكهان  
في تعرف الحوادث ويتنافرون اليهم في الخصومات ليعرفوهم بالحق فيها من ادراك  
غيرهم وفي كتب اهل الادب كثير من ذلك واشتهر منهم في الجاهلية شق بن انمار  
بن نزار وسطيح بن مازن بن غسان وكان يدرج كما يدرج الثوب ولا عظم فيه الا  
الجمجمة ومن مشهور الحكايات عنهما تاويل رؤيا ربيعة بن مضر وما اخبراه به  
ملك الحبشة لليمن وملك مضر من بعدهم وظهور النبوة المحمدية في قرينش ورؤيا  
المؤبدان التي اولها سطيح لما بعث اليه بها كسرى عبد المسيح فآخبره بشأن النبوة  
وخراب ملك فارس وهذه كلها مشهورة وكذلك العرافون كان في العرب منهم كثير  
وذكرتهم في اشعارهم قال

فقلت لعراف اليمامة داوني فانك ان داوتني لطيب

وقال الآخر

جعلت لعراف اليمامة حكمه وعرف تجد ان هما شيفاني  
فقالا شناك الله والله ما لنا بما حملت منك الضلوع يدان

وَعَرَفَ الْإِمَامَةَ هُوَ رَبَاحُ بْنُ عَجَلَةَ وَعَرَفَ نَجْدَ الْأَبْلَقِ الْأَسَدِيِّ . وَمِنْ هَذِهِ الْمَدَارِكِ  
 الْغَيْبِيَّةِ مَا يَصْدُرُ لِبَعْضِ النَّاسِ عِنْدَ مَفَارِقَةِ الْيَقْظَةِ وَالتَّبَاسِخِ بِالنَّوْمِ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى  
 الشَّيْءِ الَّذِي يَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ بِمَا يُعْطِيهِ غَيْبُ ذَلِكَ الْأَمْرِ كَمَا يُرِيدُ وَلَا يَقَعُ ذَلِكَ إِلَّا فِي  
 مَبَادِي النَّوْمِ عِنْدَ مَفَارِقَةِ الْيَقْظَةِ وَذَهَابِ الْأَخْتِبَارِ فِي الْكَلَامِ فَيَتَكَلَّمُ كَأَنَّهُ مُجْمُولٌ  
 عَلَى النُّطْقِ وَغَايَتُهُ أَنْ يَسْمَعَهُ وَيَفْهَمَهُ وَكَذَلِكَ يَصْدُرُ عَنِ الْمَقْتُولِينَ عِنْدَ مَفَارِقَةِ نُوْمِهِمْ  
 وَأَوْسَاطِ أَيْدِيهِمْ كَلَامٌ بِمِثْلِ ذَلِكَ . وَقَدْ بَاغَنَا عَنْ بَعْضِ الْجَبَابِرَةِ الظَّالِمِينَ أَنَّهُمْ  
 قَتَلُوا مِنْ سُجُونِهِمْ أَشْخَاصًا لِيَتَعَرَّفُوا مِنْ كَلَامِهِمْ عِنْدَ الْقَتْلِ عَوَاقِبَ أُمُورِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ  
 فَأَعْلَمُوهُمْ بِمَا يَسْتَشْعِرُ . وَذَكَرَ مُسَلِّمَةٌ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ لَهُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ أَنَّ أَدَمًا إِذَا  
 جُعِلَ فِي دَنٍّ مَمْلُوءٍ بِدِهْنِ السَّمْسِمِ وَمَكَثَ فِيهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا بَعْدَى الْبَلْتَيْنِ وَالْجُوزِ  
 حَتَّى يَذْهَبَ لَحْمُهُ وَلَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا الْعُرُوقُ وَشَوُّونُ رَأْسِهِ فَيَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ الدَّهْنِ  
 نَجِينٌ يَجِفُّ عَلَيْهِ الْهُوَاءُ يُجِيبُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يُسْأَلُ عَنْهُ مِنْ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ الْخَاصَّةِ  
 وَالْعَامَّةِ وَهَذَا فِعْلٌ مِنْ مَنَاقِبِ أَعْمَالِ السَّحَرَةِ لَكِنْ يَفْهَمُ مِنْهُ عَجَائِبُ الْعَالَمِ الْإِنْسَانِيِّ  
 وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَاوِلُ حُصُولَ هَذَا الْمَدْرَكِ الْغَيْبِيِّ بِالرِّيَاضَةِ فَيَجَاوِلُونَ بِالْمُجَاهَدَةِ مَوَنًا  
 صِنَاعِيًّا بِإِمَانَةٍ جَمِيعِ الْقُوَى الْبَدَنِيَّةِ ثُمَّ يَمْحُو أَثَارَهَا الَّتِي تَلَوَّنَتْ بِهَا النَّفْسُ ثُمَّ تُغْدِيهَا  
 بِالذِّكْرِ لِتَزْدَادَ قُوَّةً فِي نَشْئِهَا وَيَحْضُلُ ذَلِكَ بِجَمْعِ الْفِكْرِ وَكَثْرَةِ الْجُوعِ وَمِنَ الْمَعْلُومِ  
 عَلَى الْقَطْعِ أَنَّهُ إِذَا نَزَلَ الْمَوْتُ بِالْبَدَنِ ذَهَبَ الْحَسُّ وَحُجَابُهُ وَأَطَاعَتِ النَّفْسُ عَلَى الدَّعِيَّاتِ  
 وَمِنْ هَؤُلَاءِ أَهْلُ الرِّيَاضَةِ السَّحَرِيَّةِ يَرْتَضُونَ بِذَلِكَ لِيَحْضُلَ لَهُمُ الْإِطْلَاعُ عَلَى الدَّعِيَّاتِ  
 وَالتَّصَرُّفَاتِ فِي الْعَوَالِمِ وَأَكْثَرُ هَؤُلَاءِ فِي الْأَقَالِمِ الْمُتَخَرِّفَةِ جَنُوبًا وَشَمَالًا خُصُوصًا بِأَدَا  
 الْهِنْدِ وَيَسَدُونَ هُنَاكَ الْحُوكِيَّةَ وَلَهُمْ كِتَابٌ فِي كَيْفِيَّةِ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ كَثِيرَةٌ وَالْأَخْبَارُ  
 عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ غَرِيبَةٌ . وَأَمَّا الْمُتَصَوِّفَةُ فَرِيضَتُهُمْ دِينِيَّةٌ وَعَرِيَّةٌ عَنْ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ  
 الْمَدْمُومَةِ وَإِنَّمَا يَقْضُونَ جَمْعَ الْهَمَّةِ وَالْإِقْبَالَ عَلَى اللَّهِ بِالْكَلِمَةِ لِيَحْضُلَ لَهُمُ أَذْوَاقُ  
 أَهْلِ الْعِرْفَانِ وَالتَّوْحِيدِ وَيَزِيدُونَ فِي رِيضَتِهِمْ إِلَى الْجَمْعِ وَالْجُوعِ التَّغْدِيَّةِ بِالذِّكْرِ  
 فِيهَا تَمُّ وَجْهَتِهِمْ فِي هَذِهِ الرِّيَاضَةِ لِأَنَّهُ إِذَا نَشَأَتِ النَّفْسُ عَلَى الذِّكْرِ كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى  
 الْعِرْفَانِ بِاللَّهِ وَإِذَا عَرَّيَتْ عَنِ الذِّكْرِ كَانَتْ شَيْطَانِيَّةً وَحُصُولُ مَا يَحْضُلُ مِنْ مَعْرِفَةِ  
 الْغَيْبِ وَالتَّصَرُّفِ لِهَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَرَضِ وَلَا يَكُونُ مَقْصُودًا مِنْ أَوَّلِ

الْأَمْرُ لِأَنَّهُ إِذَا قُصِدَ ذَلِكَ كَانَتْ الْوَجْهَةُ فِيهِ لِغَيْرِ اللَّهِ وَإِنَّمَا هِيَ لِقَصْدِ التَّصَرُّفِ  
 وَالْإِطْلَاعِ عَلَى الْغَيْبِ وَأَخْسِرُ بِهَا صَقَّةً فَإِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ شَرِكٌ قَالَ بَعْضُهُمْ مَنْ أَثَرُ  
 الْعَرْفَانِ لِلْعَرْفَانِ فَقَدْ قَالَ بِالثَّانِي فِيهِمْ يَقْضُونَ بِوَجْهَتِهِمُ الْمَعْبُودَ لِأَلِشْيِ سِوَاهُ وَإِذَا  
 حَصَلَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ مَا يَحْصُلُ فِي الْعَرَضِ وَغَيْرِ مَقْصُودٍ لَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَقْرَأُ مِنْهُ إِذَا  
 عَرَّضَ لَهُ وَلَا يَحْفَلُ بِهِ وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِذَاتِهِ لِغَيْرِهِ وَحُصُولِ ذَلِكَ لَهُمْ مَعْرُوفٌ  
 وَيَسْمَعُونَ مَا يَقَعُ لَهُمْ مِنَ الْغَيْبِ وَالْحَدِيثِ عَلَى الْخَوَاطِرِ فِرَاسَةً وَكَشْفًا وَمَا يَقَعُ لَهُمْ مِنَ  
 التَّصَرُّفِ كَرَامَةً وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ بِتَكْبِيرٍ فِي حَقِّهِمْ وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى إِنْكَارِهِ الْأَسْنَادُ  
 أَبُو اسْحَقَ الْأَسْزَرِينِيُّ وَأَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْمَالِكِيُّ فِي آخِرِينَ فِرَارًا مِنَ التَّبَاسِ  
 الْمُعْجَزَةِ بِغَيْرِهَا وَالْمَوْعَلُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ حُصُولُ التَّنْفِيقَةِ بِالتَّحْدِي فَبُؤَ كَافٍ .  
 وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنْ فِيكُمْ مَحْدَثِينَ وَإِنْ  
 مِنْهُمْ عَمْرٌ وَقَدْ وَقَعَ الصَّحَابَةَ مِنْ ذَلِكَ وَقَائِعٍ مَعْرُوفَةٌ تُشْهَدُ بِذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِ عَمْرٍ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا سَارِيَةَ الْجَبَلُ وَهُوَ سَارِيَةُ بْنُ زَيْنِمٍ كَانَ قَائِدًا عَلَى بَعْضِ جِيُوشِ الْمُسْلِمِينَ  
 بِالْعِرَاقِ أَيَّامَ الْفَتْوحَاتِ وَتَوَرَّطَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي مُعْتَرِكٍ وَهَمَّ بِالْإِهْزَامِ وَكَانَ بَقْرِيَهُ  
 جَبَلٌ يُحْتَجُّ إِلَيْهِ فَرَفَعَ لِعَمْرٍ ذَلِكَ وَهُوَ يَخْطُبُ عَلَى الْمَنْبَرِ بِالْمَدِينَةِ فَنَادَاهُ يَا سَارِيَةَ الْجَبَلُ  
 وَسَمِعَهُ سَارِيَةَ وَهُوَ بِمَكَانِهِ وَرَأَى شَخْصَةً هُنَاكَ وَالْقِصَّةُ مَعْرُوفَةٌ وَقَعَتْ مِثْلَهُ أَيْضًا لِأَبِي  
 بَكْرٍ فِي وَصِيَّتِهِ عَائِشَةُ ابْنَتُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي شَأْنِ مَا تَحَلَّاهَا مِنْ أَوْسَقِ التَّمَرِ مِنْ  
 حَدِيثِهِ ثُمَّ تَبَهَّأَ عَلَى جَدَاذِهِ لِيُخَوِّزَهُ عَنِ الْوَرْتَةِ فَقَالَ فِي سَبَاقِ كَلَامِهِ وَإِنَّمَا هُمَا  
 أَخَوَاكَ وَأَخْتَاكَ فَقَالَتْ إِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءُ فَمَنْ الْأُخْرَى فَقَالَ إِنْ ذَا بَطْنٌ بِنْتُ خَارِجَةَ أَرَاهَا  
 جَارِيَةً فَكَانَتْ جَارِيَةً وَقَعَ فِي الْمَوْطَأِ فِي بَابِ مَا لَا يَجُوزُ مِنَ النَّجْلِ وَمِثْلُ هَذِهِ  
 الْوَقَائِعِ كَثِيرَةٌ لَهُمْ وَلِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَأَهْلِ الْإِقْتِدَاءِ إِلَّا أَنْ أَهْلَ التَّصَوُّفِ  
 يَقُولُونَ إِنَّهُ يَقُولُ فِي زَمَنِ النُّبُوَّةِ إِذْ لَا يَبْقَى لِلْمُرِيدِ حَالَةٌ بِحُضْرَةِ النَّبِيِّ حَتَّى إِذَا قِيلَ لَهُمْ يَقُولُونَ  
 إِنْ الْمُرِيدُ إِذَا جَاءَ لِلْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ يَسْلُبُ حَالَهُ مَا دَامَ فِيهَا حَتَّى يَبْكَرِقَهَا وَاللَّهُ يَرْزُقُنَا  
 الْهَدْيَاةَ وَيُرْشِدُنَا إِلَى الْحَقِّ

وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُرِيدِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ قَوْمٌ بِهَالِيلٍ مَعْتَوُونَ أَشْبَهَ بِالْحَبَّانِينَ مِنَ  
 الْعُقَلَاءِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ قَدْ صَحَّتْ لَهُمْ مَقَامَاتُ الْوِلَايَةِ وَأَحْوَالُ الصِّدِّيقِينَ وَعَلِمَ ذَلِكَ مِنْ

أَحْوَالِهِمْ مَنْ يَفْهَمُ عَنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الذَّوْقِ مَعَ أَنَّهُمْ هَيَّرَ مُكَلِّفِينَ وَبَقَعَ لَهُمْ مِنَ الْأَخْبَارِ  
 عَنِ الْمَغِيبَاتِ مَجَابِلَ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَقِيدُونَ بِشَيْءٍ فَيُطْلِقُونَ كَلَامَهُمْ فِي ذَلِكَ وَيَأْتُونَ مِنْهُ  
 بِالْعَجَائِبِ وَرُبَّمَا بَنَكَرُ الْقَهْمَاءُ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَقَامَاتِ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ سَقُوطِ  
 التَّكْلِيفِ عَنْهُمْ وَالْوَلَايَةِ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِالْعِبَادَةِ وَهُوَ غَلَطٌ فَإِنَّ فَضْلَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ  
 يَشَاءُ وَلَا يَتَوَقَّفُ حُصُولُ الْوَلَايَةِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَلَا غَيْرِهَا وَإِذَا كَانَتِ النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةَ  
 ثَابِتَةً الْأَوْجُودِ فَاللَّهُ تَعَالَى يُخْضِعُهَا بِمَا شَاءَ مِنْ مَوَاهِبِهِ وَهُوَ لَا الْقَوْمُ لَمْ تَعْدَمْ نَفْسَهُمْ  
 النَّاطِقَةَ وَلَا فَسَدَتِ كَحَالِ الْمَجَانِينِ وَإِنَّمَا فَقَدَ لَهُمُ الْعَقْلَ الَّذِي يَنْطَبِ بِهِ التَّكْلِيفُ  
 وَهِيَ صِنَةٌ خَاصَّةٌ لِلنَّسِ وَهِيَ عُلُومٌ ضَرُورِيَّةٌ لِلْإِنْسَانِ يَشْتَدُّ بِهَا نَظَرُهُ وَيَعْرِفُ أَحْوَالَ  
 مَعَاشِهِ وَأَسْتِقَامَةَ مَنْزِلِهِ وَكَأَنَّهُ إِذَا مَيَّزَ أَحْوَالَ مَعَاشِهِ وَأَسْتِقَامَةَ مَنْزِلِهِ لَمْ يَبْقَ لَهُ عَذْرٌ  
 فِي قَبُولِ التَّكْلِيفِ لِإِصْلَاحِ مَعَادِهِ وَلَيْسَ مَنْ فَقَدَ هَذِهِ الصِّنَةَ بِفَاقِدٍ لِنَفْسِهِ وَلَا ذَاهِعٌ  
 عَنِ حَقِيقَتِهِ فَيَكُونُ مُوجِدًا لِحَقِيقَتِهِ مَعْدُومَ الْعَقْلِ التَّكْلِيفِيِّ الَّذِي هُوَ مَعْرِفَةُ الْمَعَاشِ  
 وَلَا اسْتِحْصَالَهُ فِي ذَلِكَ وَلَا يَتَوَقَّفُ اصْطِفَاءُ اللَّهِ عِبَادَهُ لِمَعْرِفَةِ عَلَى شَيْءٍ مِنَ التَّكْلِيفِ  
 وَإِذَا صَحَّ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ رُبَّمَا يَلْتَسُّ حَالَ هَؤُلَاءِ بِالْمَجَانِينِ الَّذِينَ تَفْسُدُ نَفْسُهُمْ  
 النَّاطِقَةُ وَيَتَحَقَّقُونَ بِالْبَهَائِمِ وَرَكَ فِي تَمْيِيزِهِمْ عِلَامَاتٌ مِنْهَا أَنَّ هَؤُلَاءِ الْبَهَائِلِ لَا تَعْبُدُ لَهُمْ  
 وَجِهَةً أَصْلًا وَمِنْهَا أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ عَلَى الْبَلَهِ مِنْ أَوَّلِ نَشَأَتِهِمْ وَالْمَجَانِينُ بَعْرَضٌ لَهُمْ  
 الْحَنُونُ بَعْدَ مَدَّةٍ مِنَ الْعُمُرِ لِعَوَارِضِ بَدَنِيَّةٍ طَبِيعِيَّةٍ فَإِذَا عَرَضَ لَهُمْ ذَلِكَ وَفَسَدَتِ نَفْسُهُمْ  
 النَّاطِقَةُ ذَهَبُوا بِالْحَيْمَةِ وَمِنْهَا كَثْرَةُ تَصَرُّفِهِمْ فِي النَّاسِ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ لِأَنَّهُمْ لَا يَتَوَقَّفُونَ  
 عَلَى إِذْنِ لِعَدَمِ التَّكْلِيفِ فِي حَقِّهِمْ وَالْمَجَانِينُ لَا تَصَرَّفُ لَهُمْ وَهَذَا فَضْلٌ أَنْتَهَى بِنَا  
 الْكَلَامِ إِلَيْهِ وَاللَّهُ الْمُرْشِدُ لِلصَّوَابِ

وَقَدْ يَزْعَمُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ هُنَا مَدَارِكَ لِلْغَيْبِ مِنْ دُونِ غَيْبَةٍ عَنِ الْحِسِّ فَهَنَّهُمْ  
 الْمُتَجَمِّعُونَ الْقَائِلُونَ بِالِدَّلِيلَاتِ النُّجُومِيَّةِ وَمَقْتَضَى أَوْضَاعِهَا فِي الْفَلَكَ وَآثَارِهَا فِي النَّعَاصِرِ  
 وَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْأَمْتِزَاجِ بَيْنَ طَبَاعِهَا بِالْتَنَازُلِ وَيَتَأَدَّى مِنْ ذَلِكَ الْمَزَاجِ إِلَى الْهَوَاءِ  
 وَهُوَ لَا الْمُتَجَمِّعُونَ لَيْسُوا مِنَ الْغَيْبِ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا هِيَ ظُنُونٌ حَدْسِيَّةٌ وَتَحْمِينَاتٌ مَبْنِيَّةٌ  
 عَلَى التَّأَثِيرِ النُّجُومِيَّةِ وَحُصُولِ الْمَزَاجِ مِنْهُ لِلْهَوَاءِ مَعَ مَزِيدِ حَدْسٍ يَقِفُ بِهِ النَّظَرُ عَلَى  
 تَفْصِيلِهِ فِي الشَّخْصِيَّاتِ فِي الْعَالَمِ كَمَا قَالَهُ بَطْنِيمُوسُ وَتَحْنُ نَبِيْنٌ بَطْلَانٌ ذَلِكَ فِي مَحَلِّهِ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَهُوَ لَوْ ثَبِتَ فَعَالِيَهُ حَدْسٌ وَتَحْمِينٌ وَلَيْسَ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ فِي شَيْءٍ . وَمِنْ  
 هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مِنَ الْعَامَّةِ اسْتَنْبَطُوا لِاسْتِخْرَاجِ الْغَيْبِ وَتَعَرُّفِ الْكَائِنَاتِ صِنَاعَةَ سَمَّوْهَا خَطَّ  
 الرَّمْلِ نِسْبَةً إِلَى الْمَادَّةِ الَّتِي يَضَعُونَ فِيهَا عَمَلَهُمْ وَمَحْضُولُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَنَّهُمْ صَيَّرُوا  
 مِنَ النُّقْطِ أَشْكَالًا ذَاتَ أَرْبَعِ مَرَاتِبٍ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ مَرَاتِبِهَا فِي الرُّوْجِيَّةِ وَالْفَرْدِيَّةِ  
 وَأَسْتَوَانِهَا فِيهِمَا فَكَانَتْ سِتَّةَ عَشَرَ شَكْلًا لِأَنَّهَا إِنْ كَانَتْ أَرْوَجًا كَلَّمَا أَوْ أَفْرَادًا  
 كَلَّمَا فَشَكْلَانِ وَإِنْ كَانَ الْفَرْدُ فِيهِمَا فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطَّ فَارْبَعَةٌ أَشْكَالٍ وَإِنْ  
 كَانَ الْفَرْدُ فِي مَرْتَبَتَيْنِ فَسِتَّةُ أَشْكَالٍ وَإِنْ كَانَ فِي ثَلَاثِ مَرَاتِبٍ فَارْبَعَةٌ أَشْكَالٍ  
 جَاءَتْ سِتَّةَ عَشَرَ شَكْلًا مَبْزُورًا كَلَّمَا بِأَسْمَائِهَا وَأَنْوَاعِهَا إِلَى سُعُودٍ وَمُحُوسٍ شَأْنُ  
 الْكُؤَاكِبِ وَجَعَلُوا لَهَا سِتَّةَ عَشَرَ بَيْتًا طَبِيعِيَّةً بِرِعْمِهِمْ وَكَانَتْهَا الْبُرُوجُ الْإِثْنَا عَشَرَ الَّتِي  
 لِلْفَلَكَ وَالْأَوْتَادِ الْأَرْبَعَةَ وَجَعَلُوا لِكُلِّ شَكْلٍ مِنْهَا بَيْتًا وَخَطُوطًا وَدَلَالَةً عَلَى صِنْفٍ  
 مِنْ مَوْجُودَاتِ عَالَمِ الْغَائِضِ يَخْتَصُّ بِهِ وَاسْتَنْبَطُوا مِنْ ذَلِكَ فَنَاءً حَادِثًا مِنْ النِّجَامَةِ  
 وَنَوْعَ قَضَائِهِ إِلَّا أَنَّ أَحْكَامَ النِّجَامَةِ مُسْتَنْدَةٌ إِلَى أَوْضَاعٍ طَبِيعِيَّةٍ كَمَا يَزْعُمُ بَطْلِيمُوسُ  
 وَهَذِهِ إِنَّمَا مُسْتَنْدَهَا أَوْضَاعٌ تَحْكِيمِيَّةٌ وَهَوَاءُ اتِّفَاقِيَّةٌ وَلَا دَلِيلَ يَقُومُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا  
 وَيَزْعُمُونَ أَنَّ أَصْلَ ذَلِكَ مِنَ النُّبُوءَاتِ الْقَدِيمَةِ فِي الْعَالَمِ وَرُبَّمَا نَسَبُوهَا إِلَى دَانِيَالٍ أَوْ  
 إِلَى آدْرِيسَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا شَأْنُ الصَّنَائِعِ كَلَّمَا وَرُبَّمَا يَدْعُونَ مَشْرُوعِيَّتَهَا وَيَحْتَجُونَ  
 بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ نَبِيٌّ يَخْطُ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَلِكَ وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ  
 عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ خَطِّ الرَّمْلِ كَمَا يَزْعُمُهُ بَعْضُ مَنْ لَا تَحْصِيلَ لَدَيْهِ لِأَنَّ مَعْنَى الْحَدِيثِ كَانَ  
 نَبِيٌّ يَخْطُ فَيَأْتِيهِ الْوَحْيُ عِنْدَ ذَلِكَ الْخَطِّ وَلَا اسْتِحْطَالَهُ فِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عَادَةً لِبَعْضِ  
 الْأَنْبِيَاءِ فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ ذَلِكَ النَّبِيُّ فَهُوَ ذَاكَ أَيُّ فَهُوَ صَحِيحٌ مِنْ بَيْنِ الْخَطِّ بِمَا عَضَدَهُ  
 مِنَ الْوَحْيِ لِذَلِكَ النَّبِيِّ الَّذِي كَانَتْ عَادَتُهُ أَنْ يَأْتِيَهُ الْوَحْيُ عِنْدَ الْخَطِّ وَأَمَّا إِذَا أَخَذَ  
 ذَلِكَ مِنَ الْخَطِّ مَجْرَدًا مِنْ غَيْرِ مَوَافَقَةٍ وَحْيٍ فَلَا وَهَذَا مَعْنَى الْحَدِيثِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . فَإِذَا  
 أَرَادُوا اسْتِخْرَاجَ مَغِيبِ بَرِعْمِهِمْ عَمَدُوا إِلَى قِرطَاسٍ أَوْ رَمْلِ أَوْ دَقِيقٍ فَوَضَعُوا النُّقْطَ  
 سَطْرًا عَلَى عَدَدِ الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ ثُمَّ كَرَّرُوا ذَلِكَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فَنَجِي سِتَّةَ عَشَرَ  
 سَطْرًا ثُمَّ يَطْرَحُونَ النُّقْطَ أَرْوَجًا وَيَضَعُونَ مَا بَقِيَ مِنْ كُلِّ سَطْرِ زَوْجًا كَانَ أَوْ فَرْدًا  
 فِي مَرْتَبَتِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ فَنَجِي أَرْبَعَةَ أَشْكَالٍ يَضَعُونَهَا فِي سَطْرِ مُثَالِيَةٍ ثُمَّ يُولَدُونَ مِنْهَا

أَرْبَعَةَ أَشْكَالٍ أُخْرَى مِنْ جَانِبِ الْعَرَضِ بِاعْتِبَارِ كُلِّ مَرْتَبَةٍ وَمَا قَابِلَهَا مِنَ الشَّكْلِ  
 الَّذِي بِإِزَائِهِ وَمَا يَجْتَمِعُ مِنْهُمَا مِنْ زَوْجٍ أَوْ فَرْدٍ فَتَكُونُ ثَمَانِيَةَ أَشْكَالٍ مَوْضُوعَةٍ فِي  
 سَطْرٍ ثُمَّ يُولَدُونَ مِنْ كُلِّ شَكْلَيْنِ شَكْلًا تَحْتَهُمَا بِاعْتِبَارِ مَا يَجْتَمِعُ فِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ  
 مِنْ مَرَاتِبِ الشَّكْلَيْنِ أَيْضًا مِنْ زَوْجٍ أَوْ فَرْدٍ فَتَكُونُ أَرْبَعَةَ أُخْرَى تَحْتَهُمَا ثُمَّ يُولَدُونَ  
 مِنَ الْأَرْبَعَةِ شَكْلَيْنِ كَذَلِكَ تَحْتَهُمَا مِنَ الشَّكْلَيْنِ شَكْلًا كَذَلِكَ تَحْتَهُمَا ثُمَّ مِنْ هَذَا  
 الشَّكْلِ الْخَامِسِ عَشَرَ مَعَ الشَّكْلِ الْأَوَّلِ شَكْلًا يَكُونُ آخِرَ السِّتَةِ عَشَرَ ثُمَّ يَحْكُمُونَ  
 عَلَى الْخَطِّ كُلِّهِ بِمَا افْتَضَتْهُ أَشْكَالُهُ مِنَ السُّعُودَةِ وَالنُّحُوسَةِ بِالنَّاتِ وَالنَّظَرِ وَالْحُلُولِ  
 وَالْإِمْتِرَاجِ وَالِدَّلَالَةِ عَلَى أَصْنَافِ الْمَوْجُودَاتِ وَسَائِرِ ذَلِكَ تَحْكُمًا غَرِيبًا وَكَثُرَتْ  
 هَذِهِ الصَّنَاعَةُ فِي الْعُمُرَانِ وَوُضِعَتْ فِيهَا التَّلَايِفُ وَاشْتَهَرَ فِيهَا الْأَعْلَامُ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ  
 وَالْمُتَأَخِّرِينَ وَهِيَ كَمَا رَأَيْتَ تَحْكُمُ وَهَوَى وَالتَّحْقِيقُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نُصَبَ  
 فِكْرِكَ أَنْ الْغُيُوبَ لَا تَدْرِكُ بِصِنَاعَةِ الْبَيِّنَةِ وَلَا سَبِيلَ إِلَى تَعْرِفِهَا إِلَّا لِلْخَوَاصِّ مِنَ الْبَشَرِ  
 الْمَنْطُورِينَ عَلَى الرَّجُوعِ مِنْ عَالَمِ الْحِسِّ إِلَى عَالَمِ الرُّوحِ وَلِذَلِكَ يُسَمَّى الْمُنْجِمُونَ هَذَا  
 الصِّنْفَ كُلَّهُمْ بِالزُّهْرِ بَيْنَ نِسْبَةٍ إِلَى مَا نَقَضِيهِ دِلَالَةَ الزُّهْرَةِ بِرُغْمِهِمْ فِي أَصْلِ مَوَالِيدِهِمْ  
 عَلَى إِدْرَاكِ الْغَيْبِ فَأَلْخَطُ وَغَيْرُهُ مِنْ هَذِهِ إِنْ كَانَ النَّاطِرُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْخَاصِيَةِ  
 وَقَصَدَ هَذِهِ الْأُمُورَ الَّتِي يَنْظُرُ فِيهَا مِنَ الثَّقُطِ أَوْ الْعِظَامِ أَوْ غَيْرِهَا إِشْغَالَ الْحِسِّ لِتَرْجِعَ  
 النَّفْسُ إِلَى عَالَمِ الرُّوحَانِيَّاتِ لِحُظَّةٍ مَا فَهَوْ مِنْ بَابِ الطَّرْقِ بِالْحُصَى وَالنَّظَرِ فِي قُلُوبِ  
 الْحَيَوَانَاتِ وَالْمَرَايَا الشَّفَافَةِ كَمَا ذَكَرْنَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا قَصَدَ مَعْرِفَةَ  
 الْغَيْبِ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَإِنَّمَا تَفِيدُهُ ذَلِكَ فَهَدَى مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ .  
 وَالْعَلَامَةُ لِهَذِهِ الْفِطْرَةِ الَّتِي فَطَرَ عَلَيْهَا أَهْلُ هَذَا الْإِدْرَاكِ الْغَيْبِيِّ أَنَّهُمْ عِنْدَ تَوْجُّهِهِمْ  
 إِلَى تَعْرِفِ الْكَائِنَاتِ بِعَتْرِهِمْ خُرُوجَ عَنْ حَالَتِهِمْ الطَّبِيعِيَّةِ كَالْتَنَابُؤِ وَالْتَمَطُّ  
 وَمَبَادِيءِ الْغَيْبَةِ عَنِ الْحِسِّ وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ عَلَى اخْتِلَافِ وُجُودِهَا فِيهِمْ  
 فَمَنْ لَمْ تُوَجِدْ لَهُ هَذِهِ الْعَلَامَةَ فَلَيْسَ مِنْ إِدْرَاكِ الْغَيْبِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ سَاعٍ فِي  
 تَنْفِيقِ كَذِبِهِ

وَمِنْهُمْ طَوَائِفٌ يَصْعُقُونَ قَوَائِينَ لَا سُنْحِرَاجَ الْغَيْبِ لَيْسَتْ مِنَ الطُّورِ الْأَوَّلِ الَّذِي  
 هُوَ مِنْ مَدَارِكِ النَّفْسِ الرُّوحَانِيَّةِ وَلَا مِنَ الْحُدْسِ الْمُبْنِيِّ عَلَى تَأْثِيرَاتِ النُّجُومِ كَمَا

زَعَمَهُ بَطْلِيمُوسُ وَلَا مِنَ الظَّنِّ وَالْمُخَمِّينَ الَّذِي يُحَاوِلُ عَلَيْهِ الْعَرَاْفُونَ وَإِنَّمَا هِيَ مَعَالِطُ  
 يَجْعَلُونَهَا كَالْمَضَائِدِ لِأَهْلِ الْعُقُولِ الْمُسْتَضْعَنَةِ وَلَسْتُ أَذْكَرُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا ذَكَرَهُ  
 الْمُصَنِّفُونَ وَوَلَجَ بِهِ الْخَوَاصُّ مِنْ تِلْكَ الْقَوَائِنِ الْحِسَابِ الَّذِي يُسَدُّونَهُ حِسَابَ النَّيْمِ وَهُوَ  
 مَذْكَورٌ فِي آخِرِ كِتَابِ السِّيَاسَةِ الْمُنَسُوبِ لِأَرِسْطُو يُعْرَفُ بِهِ الْغَالِبُ مِنَ الْمَغْلُوبِ فِي  
 الْمُتَحَارِبِينَ مِنَ الْمُلُوكِ وَهُوَ أَنْ تُحْسَبَ الْحُرُوفُ الَّتِي فِي اسْمٍ أَحَدِهِمَا بِحِسَابِ الْجَمَلِ  
 الْمُضْطَلَحِ عَلَيْهِ فِي حُرُوفِ أُبْجَدٍ مِنَ الْوَاحِدِ إِلَى الْأَلْفِ أَحَادًا وَعَشْرَاتٍ وَمِثْنٍ وَالْوُفَا  
 فَإِذَا حَسِبْتَ الْأِسْمَ وَتَحَصَّلَ لَكَ مِنْهُ عَدَدٌ فَاحْسِبِ اسْمَ الْآخِرِ كَذَلِكَ ثُمَّ اطْرَحْ مِنْ كُلِّ  
 وَاحِدٍ مِنْهُمَا تِسْعَةً تِسْعَةً وَأَحْظِ بَقِيَّةَ هَذَا وَبَقِيَّةَ هَذَا ثُمَّ انْظُرْ بَيْنَ الْعَدَدَيْنِ الْبَاقِيَيْنِ  
 مِنْ حِسَابِ الْأِسْمَيْنِ فَإِنْ كَانَ الْعَدَدَانِ مُخْتَلِفَيْنِ فِي الْكَمِيَّةِ وَكَانَا مَعًا زَوْجَيْنِ أَوْ  
 فَرْدَيْنِ مَعًا فَصَاحِبُ الْأَقَلِّ مِنْهُمَا هُوَ الْغَالِبُ وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمَا زَوْجًا وَالْآخَرُ فَرْدًا  
 فَصَاحِبُ الْأَكْثَرِ هُوَ الْغَالِبُ وَإِنْ كَانَ مَتَسَاوِيَيْنِ فِي الْكَمِيَّةِ وَهُمَا مَعًا زَوْجَانِ  
 فَالْمَطْلُوبُ هُوَ الْغَالِبُ وَإِنْ كَانَ مَعًا فَرْدَيْنِ فَالطَّالِبُ هُوَ الْغَالِبُ وَيُقَالُ هُنَاكَ بَيْتَانِ فِي  
 هَذَا الْعَمَلِ اشْتَهَرَا بَيْنَ النَّاسِ وَهُمَا

أَرَى الزَّوْجَ وَالْأَفْرَادَ يَسْمَوْنَ أَقْلًا وَأَكْثَرَهُمَا عِنْدَ التَّحَالُفِ غَالِبٌ

وَيُعْلَبُ مَطْلُوبٌ إِذَا الزَّوْجُ يَسْتَوِي وَعِنْدَ اسْتِوَاءِ الْفَرْدِ يُعْلَبُ طَالِبٌ

ثُمَّ وَضَعُوا الْمَعْرِفَةَ مَا بَقِيَ مِنَ الْحُرُوفِ بَعْدَ طَرْحِهَا بِتِسْعَةٍ قَانُونًا مَعْرُوفًا عِنْدَهُمْ فِي طَرْحِ  
 تِسْعَةٍ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ جَمَعُوا الْحُرُوفَ الدَّالَّةَ عَلَى الْوَاحِدِ فِي الْمَرَاتِبِ الْأَرْبَعِ وَهِيَ (أ)  
 الدَّالَّةُ عَلَى الْوَاحِدِ وَ (ي) الدَّالَّةُ عَلَى الْعَشْرَةِ وَهِيَ وَاحِدٌ فِي مَرْتَبَةِ الْعَشْرَاتِ وَ (ق)  
 الدَّالَّةُ عَلَى الْمِائَةِ لِأَنَّهَا وَاحِدٌ فِي مَرْتَبَةِ الْمِئَتِينَ وَ (ش) الدَّالَّةُ عَلَى الْأَلْفِ لِأَنَّهَا وَاحِدٌ  
 فِي مَرْتَبَةِ الْأَلْفِ وَلَيْسَ بَعْدَ الْأَلْفِ عَدَدٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ بِالْحُرُوفِ لِأَنَّ الشَّيْنَ هِيَ آخِرُ  
 حُرُوفِ أُبْجَدٍ ثُمَّ رَبُّوا هَذِهِ الْأَحْرَفَ الْأَرْبَعَةَ عَلَى نَسْقِ الْمَرَاتِبِ فَسَكَانَ مِنْهَا كَلِمَةٌ  
 رُبَاعِيَّةٌ وَهِيَ (اَيْقِش) ثُمَّ فَعَلُوا ذَلِكَ بِالْحُرُوفِ الدَّالَّةِ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ  
 وَأَسْقَطُوا مَرْتَبَةَ الْأَلْفِ مِنْهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ آخِرَ حُرُوفِ أُبْجَدٍ فَكَانَ مَجْمُوعُ حُرُوفِ  
 الْإِثْنَيْنِ فِي الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ ثَلَاثَةَ حُرُوفٍ وَهِيَ (ب) الدَّالَّةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْآحَادِ  
 وَ (ك) الدَّالَّةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْعَشْرَاتِ وَهِيَ عِشْرُونَ وَ (ر) الدَّالَّةُ عَلَى اثْنَيْنِ فِي الْمِئَتِينَ

وَهِيَ مَائَتَانِ وَصَيَّرُوها كَلِمَةً وَاحِدَةً ثَلَاثِيَّةً عَلَى نَسَقِ الْمَرَاتِبِ وَهِيَ بَكْرُتُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ  
 بِالْحُرُوفِ الدَّالَّةِ عَلَى ثَلَاثَةِ فَنَشَأَتْ عَنْهَا كَلِمَةٌ جَلَسَ وَكَذَلِكَ إِلَى آخِرِ حُرُوفِ أُبْجَدٍ  
 وَصَارَتْ تِسْعَ كَلِمَاتٍ نِهَائِيَّةٍ عَدَدِ الْأَحَادِ وَهِيَ اِبْقَشُ بَكْرُ جَلَسَ دَمَتْ هَنْتَ وَصَحَّ زَعَدُ  
 حَنْظُ طَضَعُ مُرْتَبَةٌ عَلَى تَوَالِي الْأَعْدَادِ وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا الَّذِي هِيَ فِي مَرْتَبَتِهِ  
 فَأَلْوَحِدِ لِكَلِمَةِ اِبْقَشِ وَالْاِثْنَانِ لِكَلِمَةِ بَكْرٍ وَالثَّلَاثَةِ لِكَلِمَةِ جَلَسَ وَكَذَلِكَ إِلَى التَّاسِعَةِ  
 الَّتِي هِيَ طَضَعُ فَتَكُونُ لَهَا التَّسْعَةُ فَإِذَا أَرَادُوا طَرَحَ الْأِسْمِ بِتِسْعَةِ نَظَرُوا كُلَّ حَرْفٍ  
 مِنْهُ فِي أَيِّ كَلِمَةٍ هُوَ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَأَخَذُوا عَدَدَهَا مَكَانَهُ ثُمَّ جَمَعُوا الْأَعْدَادَ  
 الَّتِي يَأْخُذُونَهَا بَدَلًا مِنْ حُرُوفِ الْأِسْمِ فَإِنْ كَانَتْ زَائِدَةً عَلَى التَّسْعَةِ أَخَذُوا مَا فَضَلَ  
 عَنْهَا وَإِلَّا أَخَذُوهُ كَمَا هُوَ ثُمَّ يَفْعَلُونَ كَذَلِكَ بِالِاسْمِ الْآخِرِ وَيَنْظُرُونَ بَيْنَ الْخَارِجِينَ  
 بِمَا قَدَمْنَاهُ وَالسِّرِّ فِي هَذَا بَيْنَ ذَلِكَ أَنَّ الْبَاقِي مِنْ كُلِّ عَقْدٍ مِنْ عَقُودِ الْأَعْدَادِ يَطْرَحُ  
 تِسْعَةً إِنَّمَا هُوَ وَاحِدٌ فَكَأَنَّهُ يَجْمَعُ عَدَدَ الْعُقُودِ خَاصَّةً مِنْ كُلِّ مَرْتَبَةٍ فَصَارَتْ أَعْدَادُ  
 الْعُقُودِ كَأَنَّهَا أَحَادٌ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ وَالْعَشْرِينَ وَالْمِائَتَيْنِ وَالْأَلْفَيْنِ وَكُلُّهَا اِثْنَانِ  
 وَكَذَلِكَ الثَّلَاثَةُ وَالْثَلَاثُونَ وَالْثَلَاثِمِائَةُ وَالْثَلَاثَةُ الْأَلْفُ كُلُّهَا ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ فَوُضِعَتْ  
 الْأَعْدَادُ عَلَى التَّوَالِي دَالَّةً عَلَى أَعْدَادِ الْعُقُودِ لِأَنَّهَا غَيْرُ وَجُعِلَتْ حُرُوفُ الدَّالَّةِ عَلَى أَصْنَافِ  
 الْعُقُودِ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ الْأَحَادِ وَالْعَشْرَاتِ وَالْمِئِينَ وَالْأَلْفِ (١) وَصَارَ عَدَدُ الْكَلِمَةِ  
 الْمَوْضُوعِ عَلَيْهَا نَائِبًا عَنْ كُلِّ حَرْفٍ فِيهَا سِوَاهُ دَلَّ عَلَى الْأَحَادِ أَوِ الْعَشْرَاتِ أَوِ الْمِئِينَ  
 فَيُؤْخَذُ عَدَدُ كُلِّ كَلِمَةٍ عَوَضًا مِنَ الْحُرُوفِ الَّتِي فِيهَا وَتَجْمَعُ كُلُّهَا إِلَى آخِرِهَا كَمَا قُلْنَا  
 هَذَا هُوَ الْعَمَلُ الْمَتَدَاوِلُ بَيْنَ النَّاسِ مِنْذُ الْأَمْرِ الْقَدِيمِ وَكَانَ بَعْضُ مَنْ لَقِينَاهُ مِنْ شَيْوَحْنَا  
 مَرَى أَنَّ الصَّحِيحَ فِيهَا كَلِمَاتٌ أُخْرَى تِسْعَةً مَكَانَ هَذِهِ وَمَتَوَالِيَةٌ كَتَوَالِيَهَا وَيَفْعَلُونَ  
 بِهَا فِي الطَّرْحِ بِتِسْعَةٍ مِثْلَ مَا يَفْعَلُونَهُ بِالْأُخْرَى سِوَاهُ وَهِيَ هَذِهِ اِرْبُ يَسْقُكُ جَزَلُطُ مَدُوصُ  
 هَفُ تَحْدُنُ عَشُ خَعُ تَضَطُ تِسْعُ كَلِمَاتٌ عَلَى تَوَالِي الْعَدَدِ وَلِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا  
 الَّذِي فِي مَرْتَبَتِهِ فِيهَا الثَّلَاثِيُّ وَالرُّبَاعِيُّ وَالْثَّنَائِيُّ وَلَيْسَتْ جَارِيَةً عَلَى أَصْلِ مَطْرُودٍ كَمَا  
 تَرَاهُ لَكِنِّ كَانَ شَيْوَحْنَا يَنْقَلِبُونَهَا عَنْ شَيْخِ الْعَرَبِ فِي هَذِهِ الْمَعَارِفِ مِنَ السِّيَمِيَاءِ  
 وَأَسْرَارِ الْحُرُوفِ وَالنَّجَامَةِ وَهُوَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ الْبَنَاءِ وَيَقُولُونَ عَنْهُ أَنَّ الْعَمَلَ بِهَذِهِ

(١) قوله والالوف فيه نظر لان الحروف ليس فيها ما يزيد عن الالف كما سبق في كلامه

الكَلِمَاتِ فِي طَرَحِ حِسَابِ النِّيمِ أَسْحَ مِنْ الْعَمَلِ بِكَلِمَاتِ اِبْقَشِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ كَيْفَ  
 ذَلِكَ وَهَذِهِ كُلُّهَا مَدَارِكُ اللَّغَيْبِ غَيْرَ مَعْرُوفٍ إِلَى أَرْسَطَاوٍ عِنْدَ الْمُحَقِّقِينَ لِمَا فِيهِ مِنَ  
 الْأَرَآءِ الْبَعِيدَةِ عَنِ التَّحْقِيقِ وَالْبَرْهَانِ يَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ تَصْنَعُهُ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ  
 الْأَرْسُوحِ اه٠ وَمِنْ هَذِهِ الْقَوَانِينِ الصَّنَاعِيَّةِ لِاسْتِخْرَاجِ الْغُيُوبِ فِيمَا يَزْعُمُونَ الزَّايِرَةَ  
 الْمَسْمُوءَةَ بِزَيْرِجَةِ الْعَالِمِ الْمَعْرُوفِ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ سَيِّدِي أَحْمَدَ السَّبْقِيِّ بْنِ أَعْلَامِ  
 الْمَتَّصِفَةِ بِالْمَغْرِبِ كَانَ فِي آخِرِ الْمِائَةِ السَّادِسَةِ بِمَرَاكِسَ وَعَلَيْهِ أَبِي يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ  
 مِنْ مُلُوكِ الْمُوَحِّدِينَ وَهِيَ عَرَبِيَّةٌ الْعَمَلِ صِنَاعَةٌ وَكَثِيرٌ مِنَ الْخَوَاصِّ يُوَلَّعُونَ بِإِقَادَةِ  
 الْغَيْبِ مِنْهَا بِعَمَلِهَا الْمَعْرُوفِ الْمَعْلُومِ فَيَحْضِرُونَ بِذَلِكَ عَلَى حَلِّ رَدِّهِ وَكَشْفِ غَامِضِهِ  
 وَصُورَتِهَا الَّتِي يَقَعُ الْعَمَلُ عِنْدَهُمْ فِيهَا دَائِرَةٌ عَظِيمَةٌ فِي دَاخِلِهَا دَوَائِرٌ مُتَوَازِيَةٌ لِلْأَفْلَاقِ  
 وَالْعُنَاصِرِ وَالْمَكُونَاتِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الْكَائِنَاتِ وَالْعُلُومِ  
 وَكُلُّ دَائِرَةٍ مَقْسُومَةٌ بِأَقْسَامٍ فَلِكُلِّهَا إِمَّا الْبُرُوجُ وَإِمَّا الْعُنَاصِرُ أَوْ غَيْرُهُمَا وَخُطُوطُ  
 كُلِّ قِسْمٍ مَارَةٌ إِلَى الْمَرْكَزِ وَيُسَمُّونَهَا الْأَوْتَارَ وَعَلَى كُلِّ وَتَرٍ حُرُوفٌ مُتَبَاعَةٌ مَوْضُوعَةٌ  
 فِيهَا بِرُشُومٍ <sup>(١)</sup> الزَّمَامِ الَّتِي هِيَ أَشْكَالُ الْأَعْدَادِ عِنْدَ أَهْلِ الدَّوَابِّ وَالْحِسَابِ بِالْمَغْرِبِ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ وَمِنْهَا بِرُشُومِ الْغُبَارِ الْمُتَعَارَفَةِ فِي دَاخِلِ الزَّايِرَةِ وَبَيْنَ الدَّوَابِّ أَسْمَاءُ الْعُلُومِ  
 وَمَوَاضِعُ الْأَكْوَانِ وَعَلَى ظَاهِرِ الدَّوَابِّ جَدُولٌ مُمَكِّتٌ الْبُيُوتِ الْمُتَقَطِّعَةَ طُولًا وَعَرْضًا  
 يَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسَةِ وَخَمْسِينَ بَيْتًا فِي الْعَرْضِ وَمِائَةٍ وَوَاحِدٍ وَثَلَاثِينَ فِي الطُّولِ جَوَانِبُ مِنْهُ  
 مَعْمُورَةٌ الْبُيُوتُ تَارَةٌ بِالْعَدَدِ وَأُخْرَى بِالْحُرُوفِ وَجَوَانِبُ خَالِيَةٌ الْبُيُوتُ وَلَا تَعْلَمُ نِسْبَةً  
 تِلْكَ الْأَعْدَادِ فِي أَوْضَاعِهَا وَلَا الْقِسْمَةَ الَّتِي عَيَّنَتِ الْبُيُوتِ الْعَامِرَةَ مِنَ الْخَالِيَةِ وَحَافَاتِ  
 الزَّايِرَةِ آيَاتٌ مِنْ عَرُوضِ الطُّوِيلِ عَلَى رُؤْيِ الْأَمِّ الْمَنْصُوبَةِ تَتَضَمَّنُ صُورَةَ الْعَمَلِ  
 فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَطْلُوبِ مِنْ تِلْكَ الزَّايِرَةِ إِلَّا أَنَّهَا مِنْ قِبَلِ الْإِلْفَازِ فِي عَدَمِ الْوُضُوحِ  
 وَالْجَلَاءِ وَفِي بَعْضِ جَوَانِبِ الزَّايِرَةِ بَيْتٌ مِنَ الشَّعْرِ مَنْسُوبٌ لِبَعْضِ أَكْبَرِ أَهْلِ الْخُدَّانِ  
 بِالْمَغْرِبِ وَهُوَ مَالِكُ بْنُ وَهَيْبٍ مِنْ عُلَمَاءِ أَشْمَلِيَّةٍ كَانَ فِي الدَّوَلَةِ الْأَمْتُونِيَّةِ وَنَشَأَ الْبَيْتُ  
 سُؤَالَ عَظِيمٍ الْخَلْقِ حَزَتْ فَصْنٌ إِذْ ذُنُ غَرَائِبِ شَكَّ ضَبْطُهُ الْخُدَّ مَثَلًا  
 وَهُوَ الْبَيْتُ الْمَتَدَاوِلُ عِنْدَهُمْ فِي الْعَمَلِ لِاسْتِخْرَاجِ الْجَوَابِ مِنَ السُّؤَالِ فِي هَذِهِ الزَّايِرَةِ

(١) قوله برشوم أي موضوعة بضم راء جمع رشم باشين المعجمة اه٠

وَغَيْرَهَا فَإِذَا أَرَادُوا اسْتِخْرَاجَ الْجَوَابِ عَمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ مِنَ الْمَسَائِلِ كَتَبُوا ذَلِكَ السُّؤَالَ  
 وَقَطَعُوهُ حُرُوفًا ثُمَّ أَخَذُوا الطَّلَعَ لِذَلِكَ الْوَقْتِ مِنْ بُرُوجِ الْفَلَكَ وَدَرَجَاتِهَا وَعَمَدُوا إِلَى  
 الزَّايِرَةِ ثُمَّ إِلَى الْوَتْرِ الْمَكْتَنَفِ فِيهَا بِالْبُرْجِ الطَّلَعَ مِنْ أَوَّلِهِ مَرًّا إِلَى الْمَرْكَزِ  
 ثُمَّ إِلَى مِحْيَطِ الدَّائِرَةِ قِبَالَةَ الطَّلَعَ فَيَأْخُذُونَ جَمِيعَ الْحُرُوفِ الْمَكْتُوبَةِ عَلَيْهِ مِنْ أَوَّلِهِ  
 إِلَى آخِرِهِ وَالْأَعْدَادَ الْمَرْسُومَةَ بَيْنَهُمَا وَيَصَيِّرُونَهَا حُرُوفًا بِحِسَابِ الْجَمَلِ وَقَدْ يَنْقَلُونَ  
 أَحَادَهَا إِلَى الْعَشْرَاتِ وَعَشْرَاتِهَا إِلَى الْمِئِينَ وَبِالْعَكْسِ فِيهِمَا كَمَا يَقْتَضِيهِ قَانُونُ الْعَمَلِ  
 عِنْدَهُمْ وَيَضَعُونَهَا مَعَ حُرُوفِ السُّؤَالَ وَيُضَيِّفُونَ إِلَى ذَلِكَ جَمِيعَ مَا عَلَى الْوَتْرِ الْمَكْتَنَفِ  
 بِالْبُرْجِ الثَّلَاثِ مِنَ الطَّلَعَ مِنَ الْحُرُوفِ وَالْأَعْدَادِ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى الْمَرْكَزِ فَقَطْ لَا  
 يَتَجَاوَزُونَهُ إِلَى الْحَيْطِ وَيَفْعَلُونَ بِالْأَعْدَادِ مَا فَعَلُوهُ بِالْأَوَّلِ وَيُضَيِّفُونَهَا إِلَى الْحُرُوفِ  
 الْآخَرَى ثُمَّ يَقْطَعُونَ حُرُوفَ الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْعَمَلِ وَقَانُونُهُ عِنْدَهُمْ وَهُوَ بَيْتُ مَالِكِ  
 بْنِ وَهَيْبِ الْمَتَّقِمِ وَيَضَعُونَهَا نَاحِيَةً ثُمَّ يَضْرِبُونَ عِدَدَ دَرَجِ الطَّلَعَ فِي أَسِّ الْبُرْجِ  
 وَأُسُفُهُ عِنْدَهُمْ هُوَ بَعْدَ الْبُرْجِ عَنِ آخِرِ الْمَرَاتِبِ عَكْسًا مَا عَلَيْهِ الْأَسُّ عِنْدَ أَهْلِ صِنَاعَةِ  
 الْحِسَابِ فَإِنَّهُ عِنْدَهُمْ الْبَعْدُ عَنِ أَوَّلِ الْمَرَاتِبِ ثُمَّ يَضْرِبُونَهُ فِي عِدَدِ آخِرِ بِسْمُونَةِ الْأَسِّ  
 الْأَكْبَرِ وَالدَّوْرَ الْأَصْلِيَّ وَيَدْخُلُونَ بِمَا تَجَمَّعَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ فِي بَيْتِ الْجَدُولِ عَلَى قَوَانِينِ  
 مَعْرُوفَةٍ وَأَعْمَالٍ مَذْكُورَةٍ وَأَدْوَارٍ مَعْدُودَةٍ وَيَسْتَخْرِجُونَ مِنْهَا حُرُوفًا وَيَسْقِطُونَ أُخْرَى  
 وَيَقَالُونَ بِمَا مَعَهُمْ فِي حُرُوفِ الْبَيْتِ وَيَنْقَلُونَ مِنْهُ مَا يَنْقَلُونَ إِلَى حُرُوفِ السُّؤَالَ وَمَا  
 مَعَهَا ثُمَّ يَطْرَحُونَ تِلْكَ الْحُرُوفَ بِأَعْدَادٍ مَعْلُومَةٍ بِسْمُونَةِ الْأَدْوَارِ وَيُخْرِجُونَ فِي كُلِّ دَوْرٍ  
 الْحَرْفَ الَّذِي يَنْتَهِي عِنْدَهُ الدَّوْرُ وَيَعَاوِدُونَ ذَلِكَ بَعْدَ الْأَدْوَارِ الْمَعِينَةِ عِنْدَهُمْ لِذَلِكَ  
 فَيَخْرِجُ آخِرَهَا حُرُوفٌ مُتَقَطِعَةٌ وَتَوَافَقٌ عَلَى التَّوَالِي فَتَصِيرُ كَلِمَاتٌ مَنْظُومَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ  
 عَلَى وَزْنِ الْبَيْتِ الَّذِي يُقَابَلُ بِهِ الْعَمَلُ وَرَوِيهِ وَهُوَ بَيْتُ مَالِكِ ابْنِ وَهَيْبِ الْمَتَّقِمِ  
 حَسَبَمَا نَدَّ كُرُ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي فَصْلِ الْعُلُومِ عِنْدَ كَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ بِهَذِهِ الزَّايِرَةِ وَقَدْ رَأَيْنَا  
 كَثِيرًا مِنَ الْخَوَاصِّ يَتَهافتُونَ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْغَيْبِ مِنْهَا بِتِلْكَ الْأَعْمَالِ وَيَحْسِبُونَ أَنَّ مَا  
 وَقَعَ مِنْ مُطَابَقَةِ الْجَوَابِ لِلسُّؤَالَ فِي تَوَافُقِ الْخِطَابِ دَلِيلٌ عَلَى مُطَابَقَةِ الْوَاقِعِ وَلَيْسَ  
 ذَلِكَ بِصَحِيحٍ لِأَنَّهُ قَدْ مَرَّ لَكَ أَنَّ الْغَيْبَ لَا يُدْرِكُ بِأَمْرِ صِنَاعِي الْبَتَّةِ وَإِنَّمَا الْمُطَابَقَةُ  
 الَّتِي فِيهَا بَيْنَ الْجَوَابِ وَالسُّؤَالَ مِنْ حَيْثُ لَا إِفْهَامَ وَالتَّوَافُقُ فِي الْخِطَابِ حَتَّى يَكُونَ

الْجَوَابُ مُسْتَقِيمًا أَوْ مُوَافِقًا لِلسُّؤَالِ وَوُقُوعُ ذَلِكَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي تَكْسِيرِ الْحُرُوفِ  
 الْمُجْتَمِعَةِ مِنَ السُّؤَالِ وَالْأَوْتَارِ وَالِدُخُولِ فِي الْجَدْوَلِ بِالْأَعْدَادِ الْمُجْتَمِعَةِ مِنْ ضَرْبِ  
 الْأَعْدَادِ الْمَفْرُوضَةِ وَاسْتِخْرَاجِ الْحُرُوفِ مِنَ الْجَدْوَلِ بِذَلِكَ وَطَرَحِ أُخْرَى وَمَعَاوِدَةٍ  
 ذَلِكَ فِي الْأَدْوَارِ الْمَعْدُودَةِ وَمَقَابِلَهُ ذَلِكَ كُلُّهُ بِحُرُوفِ الْبَيْتِ عَلَى التَّوَالِي غَيْرِ مُسْتَنَكِرٍ  
 وَقَدْ يَقَعُ الْأَطْلَاعُ مِنْ بَعْضِ الْأَذْكَيَاءِ عَلَى تَنَاسُبِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فَيَقَعُ لَهُ مَعْرِفَةٌ  
 الْجَهُولِ فَاتْتَنَسَبُ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ هُوَ سَبَبُ الْحُصُولِ عَلَى الْجَهُولِ مِنَ الْمَعْلُومِ الْخَاصِلِ  
 لِلنَّاسِ وَطَرِيقُ لِحْصُولِهِ سَيِّمًا مِنْ أَهْلِ الرِّيَاضَةِ فَإِنَّهَا تُفِيدُ الْعَقْلَ قُوَّةً عَلَى الْقِيَاسِ وَزِيَادَةً  
 فِي الْفِكْرِ وَقَدْ مَرَّ تَعْلِيلُ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ وَهَذَا الْمَعْنَى يَنْسَبُونَ هَذِهِ الزَّايِرَةَ  
 فِي الْغَالِبِ لِأَهْلِ الرِّيَاضَةِ فَهِيَ مَسْئُوبَةٌ لِلسَّبَبِ وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى أُخْرَى مَسْئُوبَةٌ لِسَهْلِ  
 بِنِ عَبْدِ اللَّهِ وَآمِرِي إِنَّهَا مِنَ الْأَعْمَالِ الْغَرِيبَةِ وَالْمَعَانَةِ الْعَجِيبَةِ وَالْجَوَابُ الَّذِي  
 يَخْرُجُ مِنْهَا فَالسِّرُّ فِي خُرُوجِهِ مَنْظُومًا يَظْهَرُ لِي إِنَّهَا هُوَ الْمَقَابِلَةُ بِحُرُوفِ ذَلِكَ الْبَيْتِ  
 وَهَذَا يَكُونُ النَّظْمُ عَلَى وَزْنِهِ وَرَوِيهِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّا وَجَدْنَا أَعْمَالًا أُخْرَى لَهُمْ فِي مِثْلِ  
 ذَلِكَ اسْقَطُوا فِيهَا الْمَقَابِلَةَ بِالْبَيْتِ فَلَمْ يَخْرُجْ الْجَوَابُ مَنْظُومًا كَمَا تَرَاهُ عِنْدَ الْكَلَامِ  
 عَلَى ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَضَيَّقُوا مَدَارِكُهُمْ عَنِ التَّصْدِيقِ بِهَذَا الْعَمَلِ وَنُقُوذِهِ  
 إِلَى الْمَطْلُوبِ فَيُنْكِرُ صِحَّتَهَا وَيَحْسِبُ أَنَّهَا مِنَ التَّخِيلَاتِ وَالْإِبْهَامَاتِ وَأَنَّ صَاحِبَ  
 الْعَمَلِ بَهَا ثَبِتُ حُرُوفِ الْبَيْتِ الَّذِي يَنْظُمُهُ كَمَا يُرِيدُ بَيْنَ أُنْتَاءِ حُرُوفِ السُّؤَالِ وَالْأَوْتَارِ  
 وَيَنْعَلُ تِلْكَ الصَّنَاعَاتِ عَلَى غَيْرِ نِسْبَةٍ وَلَا قَانُونَ ثُمَّ يَجِيءُ بِالْبَيْتِ وَيَوْمُ أَنْ الْعَمَلُ جَاءَ  
 عَلَى طَرِيقَةٍ مُنْضَبِطَةٍ وَهَذَا الْحَسْبَانُ تَوْهُمٌ فَاسِدٌ حَمَلٌ عَلَيْهِ الْقُصُورُ عَنْ فَهْمِ التَّنَاسُبِ بَيْنَ  
 الْمَوْجُودَاتِ وَالْمَعْدُومَاتِ وَالْتِفَافُوتِ بَيْنَ الْمَدَارِكِ وَالْعُقُولِ وَإِكْنٍ مِنْ شَأْنِ كُلِّ  
 مَدْرِكٍ إِنْكَارًا مَا لَيْسَ فِي طَوْقِهِ إِدْرَاكُهُ وَيَكْفِينَا فِي رَدِّ ذَلِكَ مُشَاهَدَةُ الْعَمَلِ بِهِ  
 الصَّنَاعَةِ وَالْحَدْسُ الْقَطْعِيُّ فَإِنَّهَا جَاءَتْ بِعَمَلٍ مُطَرَّدٍ وَقَانُونٍ صَحِيحٍ لَا مَرَّةً فِيهِ عِنْدَ مَنْ  
 يَبْأَشِرُ ذَلِكَ مِمَّنْ لَهُ ذِكَاؤٌ وَحَدْسٌ وَإِذَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَعَايَاةِ فِي الْعَدَدِ الَّذِي هُوَ  
 أَوْضَحُ الْوَاضِحَاتِ يَعْسُرُ عَلَى الْفَهْمِ إِدْرَاكُهُ لِبَعْدِ النِّسْبَةِ فِيهِ وَخَفَاءُهَا فَمَا ظَنَنْتُكَ بِمِثْلِ  
 هَذَا مَعَ خَفَاءِ النِّسْبَةِ فِيهِ وَغَرَابَتِهَا فَلَنْدُ كُرُ مَسْئَلَةٍ مِنَ الْمَعَايَاةِ يَتَضَيَّقُ لَكَ بِهَا شَيْءٌ مِمَّا  
 ذَكَرْنَا مِثَالَهُ لَوْ قِيلَ لَكَ خُذْ عِدَدًا مِنَ الدَّرَاهِمِ وَاجْعَلْ بِإِزَاءِ كُلِّ دِرْهَمٍ ثَلَاثَةً مِنْ

الفلوس ثم أجمع الفلوس التي أخذت واشتر بها طائرًا ثم اشتري بالدرهم كلها طيورًا  
 يسعر ذلك الطائر فكم الطيور المشتراة بالدرهم فجوابه أن تقول هي تسعة لأنك  
 تعلم أن فلوس الدرهم أربعة وعشرون وأن الثلاثة ثمنها وأن عدة ثمان الواحد  
 ثمانية فإذا جمعت الثمن من الدرهم إلى الثمن الآخر فكان كله ثمن طائر فهي  
 ثمانية طيور عدة ثمان الواحد وتزيد على الثمانية طائرًا آخر وهو المشتري بالفلوس  
 المأخوذة أولاً وعلى سعره اشتريت بالدرهم فتكون تسعة فانت ترى كيف خرج  
 لك الجواب المضمّر يسر التناسب الذي بين أعداد المسئلة والوهم أول ما يأتي  
 إليك هذه وأمثالها إنما يجعله من قبيل الغيب الذي لا يمكن معرفته وظهر أن التناسب  
 بين الأمور هو الذي يخرج مجهولها من معلومها وهذا إنما هو في الواقع الحاصلة في  
 الوجود أو العلم وأما الكائنات المستقبلة إذا لم تعلم أسباب وقوعها ولا يثبت لها  
 خبر صادق عنها فهو غيب لا يمكن معرفته وإذا تبين لك ذلك فالأعمال الواقعة  
 في الزاوية كلها إنما هي في استخراج الجواب من الفاظ السؤال لأنها كما رأيت  
 استنباط حروف على ترتيب من تلك الحروف بعينها على ترتيب آخر وسر ذلك إنما  
 هو من تناسب بينهما يطالع عليه بعض دون بعض فمن عرف ذلك التناسب تبسّر عليه  
 استخراج ذلك الجواب بتلك القوانين والجواب يدل في مقام آخر من حيث موضوع  
 الفاظه وتراكيبه على وقوع أحد طرفي السؤال من نفي أو إثبات وليس هذا من  
 المقام الأول بل إنما يرجع لمطابقة الكلام لما في الخارج ولا سبيل إلى  
 معرفة ذلك من هذه الأعمال بل البشر محجوبون عنه وقد استأثر الله بعلمه والله  
 يعلم وأنتم لا تعلمون



## الفصل الثاني

في العمران البدوي والامم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الاحوال وفيه فصول وتمهيدات

### الفصل الاول

في ان احيال البدو والحضر طبيعية

إِغْلَمَ أَنَّ اٰخْتِلَافَ الْاٰجِيَالِ فِي اٰحْوَالِهِمْ اِنَّمَا هُوَ بِاٰخْتِلَافِ نَحْلِهِمْ مِنَ الْمَعَاشِ  
فَإِنَّ اٰجْتِمَاعَهُمْ اِنَّمَا هُوَ لِلتَّعَاوُنِ عَلَى تَحْصِيلِهِ وَالْاِبْتِدَاءِ بِمَا هُوَ ضَرُورِيٌّ مِنْهُ وَتَسْطِيطُ قَبْلَ  
الْحَاجِي وَالْكَمَالِي فَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعْمِلُ الْفَلْحَ مِنَ الْغِرَاسَةِ وَالزَّرْعَةَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَحِلُ  
الْقِيَامَ عَلَى الْحَيَوَانِ مِنَ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ وَالْمَعْزِ وَاللَّحْلِ وَالذُّودِ لِنَتَاجِهَا وَاسْتِخْرَاجِ فِضْلَاتِهَا  
وَهَؤُلَاءِ الْقَائِمُونَ عَلَى الْفَلْحِ وَالْحَيَوَانِ تَدْعُوهُمْ الضَّرُورَةُ وَلَا بَدَّ اِلَى الْبَدْوِ لِأَنَّهُ مَتَّسِعٌ لِمَا  
لَا يَتَّسِعُ لَهُ الْاَحْوَالُ مِنَ الْمَزَارِعِ وَالْفُنْدِ وَالْمَسَارِحِ لِلْحَيَوَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَكَانَ  
اٰخْتِصَاصُ هَؤُلَاءِ بِالْبَدْوِ أَمْرًا ضَرُورِيًّا لَهُمْ وَكَانَ حِينَئِذٍ اٰجْتِمَاعُهُمْ وَتَعَاوُنُهُمْ فِي حَاجَاتِهِمْ  
وَمَعَاشِهِمْ وَعُمُرَانِهِمْ مِنَ الْقُوَّةِ وَالسَّكَنِ وَالذَّفءِ اِنَّمَا هُوَ بِالْمَقْدَارِ الَّذِي يَحْفَظُ الْحَيَاةَ  
وَيَحْصِلُ بَاقِيَ الْعَيْشِ مِنْ غَيْرِ مَزِيدٍ عَلَيْهِ لِلتَّحْمِيلِ عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ ثُمَّ إِذَا اتَّسَعَتْ اٰحْوَالُ  
هَؤُلَاءِ الْمُنتَحِلِينَ لِلْمَعَاشِ وَحَصَلَ لَهُمْ مَا فَوْقَ الْحَاجَةِ مِنَ الْغِنَى وَالرَّفءِ دَعَاهُمْ ذَلِكَ  
إِلَى السُّكُونِ وَالذَّفءِ وَتَعَاوَنُوا فِي الزَّائِدِ عَلَى الضَّرُورَةِ وَاسْتَكْتَرُوا مِنَ الْأَقْوَاتِ  
وَالْمَلَابِسِ وَالتَّنَاقُ فِيهَا وَتَوَسَّعَ الْبُيُوتُ وَاٰخْطَطَ الْمَدُنُ وَالْأَمْصَارُ لِلتَّخْضُرِ ثُمَّ تَزِيدُ  
اٰحْوَالُ الرَّفءِ وَالذَّفءِ فَتَحِيَّ عَوَائِدُ التَّرَفِ الْبَالِغَةِ مَبَالِغًا فِي التَّنَاقُ فِي عِلَاجِ الْقُوَّةِ  
وَاسْتِجَادَةِ الْمَطَابِخِ وَانْتِقَاءِ الْمَلَابِسِ الْفَاحِشَةِ فِي أَنْوَاعِهَا مِنَ الْحَرِيرِ وَالذَّبْيَاجِ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ وَمَعَالَةِ الْبُيُوتِ وَالصُّرُوحِ وَإِحْكَامِ وَضْعِهَا فِي تَنْجِيدِهَا وَالْاِتِّبَاءِ فِي الصَّنَائِعِ فِي  
الْخُرُوجِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى النُّعْلِ إِلَى غَايَتِهَا فَيَتَّخِذُونَ الْقُصُورَ وَالْمَنَازِلَ وَيَجْرُونَ فِيهَا الْمِيَاهَ  
وَيَعَالُونَ فِي صَرْحِهَا وَبَالِغُونَ فِي تَنْجِيدِهَا وَيَخْتَلِفُونَ فِي اسْتِجَادَةِ مَا يَتَّخِذُونَهُ لِمَعَاشِهِمْ  
مِنْ مَلْبُوسٍ أَوْ فَرَّاشٍ أَوْ آنِيَةٍ أَوْ مَاعُونٍ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْحَضَرُ وَمَعْنَاهُ الْخَاضِرُونَ أَهْلُ  
الْأَمْصَارِ وَالْبُلْدَانِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يَنْتَحِلُ فِي مَعَاشِهِ الصَّنَائِعَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَحِلُ التِّجَارَةَ

وَتَكُونُ مَكَاسِبُهُمْ أَنَّى وَأَرْفَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ لِأَنَّ أَحْوَالَهُمْ زَائِدَةٌ عَلَى الضَّرُورِيِّ  
وَمَعَاشِهِمْ عَلَى نِسْبَةِ وَجَدِهِمْ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ أَجْيَالَ الْبَدْوِ وَالْحَضَرَ طَبِيعِيَّةٌ لَا بَدَّ مِنْهَا كَمَا قُلْنَا

## الفصل الثاني

في ان جيل العرب في الخلقة طبيعي

قَدْ قَدَّمْنَا فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ أَنَّ أَهْلَ الْبَدْوِ هُمُ الْمُنْتَحِلُونَ لِلْمَعَاشِ الطَّبِيعِيِّ مِنَ الْقَلْحِ  
وَالْقِيَامِ عَلَى الْأَنْعَامِ وَأَنَّهِمْ مُقْتَصِرُونَ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنَ الْأَقْوَاتِ وَالْمَالِيسِ وَالْمَسَاكِينِ  
وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَالْعَوَائِدِ وَمُقْتَصِرُونَ عَمَّا فَوْقَ ذَلِكَ مِنْ حَاجِيٍّ أَوْ كَمَا لِي يَتَّخِذُونَ  
الْبَيْوتَ مِنَ الشَّعْرِ وَالْوَبْرِ أَوْ الشَّجَرِ أَوْ مِنَ الطِّينِ وَالْحِجَارَةِ غَيْرَ مُجَدِّدَةٍ إِنَّمَا هُوَ قَصْدُ  
الْأَسْتِظْلَالِ وَالْكِنِّ لِأَمَّا وَرَاءَهُ وَقَدْ يَأْوُونَ إِلَى الْغَيْرَانِ وَالْكُهُوفِ وَأَمَّا أَقْوَاتُهُمْ  
فَيَتَنَاوَلُونَ بِهَا سِيرًا بِعِلَاجٍ أَوْ بغيرِ عِلَاجِ الْبَتَّةِ إِلَّا مَا مَسَّتْهُ النَّارُ فَمَنْ كَانَ مَعَاشُهُ مِنْهُمْ  
فِي الزَّرَاعَةِ وَالْقِيَامِ بِالْقَلْحِ كَانَ الْمَقَامُ بِهِ أَوْلَى مِنَ الظَّنِّ وَهَوْلَاءُ سُكَّانِ الْمَدْرِ  
وَالْقُرَى وَالْجِبَالِ وَهُمْ عَامَّةُ الْبُرْبُرِ وَالْأَعَاجِمِ وَمَنْ كَانَ مَعَاشُهُ فِي السَّائِمَةِ مِثْلَ الْغَنَمِ  
وَالْبَقَرِ فَهُمْ ظُعْنٌ فِي الْأَغْلَبِ لِأَنَّ بِيَادِ الْمَسَارِحِ وَالْمِيَاهِ حَيَوَانَاتِهِمْ فَالْتَقَلُّبُ فِي الْأَرْضِ  
أَصْلَحَ بِهِمْ وَيَسْمُونَ شَاوِبَةً وَمَعْنَاهُ الْقَائِمُونَ عَلَى الشَّاءِ وَالْبَقَرِ وَلَا يُعْدُونَ فِي الْقَفْرِ  
لِقُدْرَانِ الْمَسَارِحِ الطَّبِيعِيَّةِ وَهَوْلَاءُ مِثْلُ الْبُرْبُرِ وَالثَّرَكِ وَإِخْوَانِهِمْ مِنَ التَّرْكَمَانِ وَالصَّكَّابَةِ  
وَأَمَّا مَنْ كَانَ مَعَاشِهِمْ فِي الْأَيْلِ فَهُمْ أَكْثَرُ ظُعْنًا وَأَبْعَدُ فِي الْقَفْرِ مَجَالًا لِأَنَّ مَسَارِحَ  
التَّلُولِ وَنَبَاتَهَا وَشَجَرَهَا لَا يَسْتَعْفِي بِهَا الْأَيْلُ فِي قَوَامِ حَيَاتِهَا عَنْ مَرَاعِي الشَّجَرِ بِالْقَفْرِ  
وَوُرُودِ مِيَاهِهِ الْمَلْحَةِ وَالتَّقَلُّبِ فَصَلَّ الشِّتَاءُ فِي نَوَاحِيهِ فَرَارًا مِنْ أَدَى الْبُرْدِ إِلَى دِفْءِ  
هَوَائِهِ وَطَلَبًا لِمَا خِصَّ النَّتَاجُ فِي رِمَالِهِ إِذَا الْأَيْلُ أَضْعَبُ الْحَيَوَانَاتِ فَصَالًا وَمَخَاضًا  
وَأَحْوَجًا فِي ذَلِكَ إِلَى الدِّفْءِ فَاضْطُرُّوا إِلَى إِبْعَادِ الشُّجْعَةِ وَرُبَّمَا زَادَتْهُمْ الْحَمَامِيَّةُ عَنِ  
التَّلُولِ أَيْضًا فَأَوْعَلُوا فِي الْقِفَارِ نَفْرَةً عَنِ الضَّعَةِ مِنْهُمْ فَكَانُوا لِذَلِكَ أَشَدَّ النَّاسِ تَوْحُشًا  
وَيَنْزِلُونَ مِنْ أَهْلِ الْحَوَاضِرِ مِثْلَةَ الْوَحْشِ غَيْرِ الْمَقْدُورِ عَلَيْهِ وَالْمُقْتَرِسِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ  
الْعَجْمِ وَهَوْلَاءُ هُمُ الْعَرَبُ وَفِي مَعْنَاهُمْ ظُعُونُ الْبُرْبُرِ وَزَنَاتُهُ بِالْمَغْرِبِ وَالْأَكْرَادُ وَالثَّرْكَمَانُ  
وَالثَّرَكُ بِالْمَشْرِقِ إِلَّا أَنَّ الْعَرَبَ أَبْعَدُ شُجْعَةً وَأَشَدُّ بَدَاوَةً لِأَنَّهَا مَخْتَصِنَةٌ بِالْقِيَامِ عَلَى

الْأَبْلِ فَقَطَّ وَمَوْلَاءَ يَقُومُونَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الشَّيَاحِ وَالْبَقَرِ مَعَهَا فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ جِبِلَّ الْعَرَبِ  
طَبِيعِي لَا بَدَّ مِنْهُ فِي الْعُمُرَانِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الثالث

في ان البدو اقدم من الحضرة وسابق عليه وان البادية اصل العمران  
والامصار مدد لها

قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْبَدُوَّ هُمُ الْمُقْتَصِرُونَ عَلَى الضَّرُورِيِّ فِي أَحْوَالِهِمِ الْعَاجِزُونَ عَمَّا  
فَوْقَهُ وَأَنَّ الْحَضَرَ الْمُعْتَنُونَ بِحَاجَاتِ التَّرْفِ وَالْكَمَالِ فِي أَحْوَالِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَلَا  
شَكَّ أَنَّ الضَّرُورِيَّ أَقْدَمُ مِنَ الْحَاجِيِّ وَالْكَمَالِيِّ وَسَابِقٌ عَلَيْهِ وَلِأَنَّ الضَّرُورِيَّ أَصْلُ  
وَالْكَمَالِيِّ فِرْعٌ نَاشِئٌ عَنْهُ فَالْبَدُوُّ أَصْلٌ لِلْمَدْنِ وَالْحَضَرَ وَسَابِقٌ عَلَيْهِمَا لِأَنَّ أَوَّلَ  
مَطَالِبِ الْإِنْسَانِ الضَّرُورِيَّ وَلَا يَنْتَهِي إِلَى الْكَمَالِ وَالتَّرْفِ إِلَّا إِذَا كَانَ الضَّرُورِيُّ  
حَاصِلًا مُخْشَوْنَةَ الْبِدَاوَةِ قَبْلَ رِقَّةِ الْحَضَارَةِ وَلِهَذَا تَجِدُ التَّمَدُّنَ غَايَةَ الْبَدُوِّيِّ يَجْرِي إِلَيْهَا  
وَيَنْتَهِي بِسَعْيِهِ إِلَى مُقْتَرِحِهِ مِنْهَا وَمَتَى حَصَلَ عَلَى الرِّيَاشِ الَّذِي يُحْصِلُ لَهُ بِهِ أَحْوَالُ  
التَّرْفِ وَعَوَائِدِهِ عَاجَ إِلَى الدَّعَةِ وَأَمَكَّنَ نَفْسَهُ إِلَى قِيَادِ الْمَدِينَةِ وَهَكَذَا شَأْنُ الْقَبَائِلِ  
الْمُتَبَدِّيَةِ كُلِّهِمْ وَالْحَضَرِيُّ لَا يَتَشَوَّفُ إِلَى أَحْوَالِ الْبَادِيَةِ إِلَّا لِضُرُورَةٍ تَدْعُوهُ إِلَيْهَا  
أَوْ لِنَقْصِيرٍ عَنْ أَحْوَالِ أَهْلِ مَدِينَتِهِ وَمِمَّا يَشْهَدُ لَنَا أَنَّ الْبَدُوَّ أَصْلُ الْحَضَرَ وَمُتَقَدِّمٌ  
عَلَيْهِ أَنَا إِذَا فَتَشْنَا أَهْلَ مِصْرَ مِنَ الْأَمْصَارِ وَجَدْنَا أَوْلِيَّةَ أَكْثَرِهِمْ مِنَ أَهْلِ الْبَدُوِّ الَّذِينَ  
يُنَاجِيَةُ ذَلِكَ الْمِصْرَ وَعَدَلُوا إِلَى الدَّعَةِ وَالتَّرْفِ الَّذِي فِي الْحَضَرَ وَذَلِكَ بَدَلٌ عَلَى أَنَّ  
أَحْوَالِ الْحَضَارَةِ نَاشِئَةٌ عَنْ أَحْوَالِ الْبِدَاوَةِ وَأَنَّهَا أَصْلٌ لَهَا فَتَفْهَمُهُ . ثُمَّ إِنَّ كُلَّ  
وَاحِدٍ مِنَ الْبَدُوِّ وَالْحَضَرَ مُتَفَاوِتُ الْأَحْوَالِ مِنْ جِنْسِهِ قَرَبٌ حَتَّى أَعْظَمُ مِنْ حَتَّى وَقَبِيلَةٌ  
أَعْظَمُ مِنْ قَبِيلَةٍ وَمِصْرٌ أَوْسَعُ مِنْ مِصْرٍ وَمَدِينَةٌ أَكْثَرُ عُمْرَانًا مِنْ مَدِينَةٍ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ  
وُجُودَ الْبَدُوِّ مُتَقَدِّمٌ عَلَى وُجُودِ الْمَدْنِ وَالْأَمْصَارِ وَأَصْلٌ لَهَا بِمَا أَنَّ وُجُودَ الْمَدْنِ  
وَالْأَمْصَارِ مِنْ عَوَائِدِ التَّرْفِ وَالدَّعَةِ الَّتِي هِيَ مُتَأَخِّرَةٌ عَنْ عَوَائِدِ الضَّرُورَةِ الْمَعَاشِيَّةِ  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ

## الفصل الرابع

في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضرة

وَسَبِيهِ اَنَّ النَّفْسَ اِذَا كَانَتْ عَلَى الْفِطْرَةِ الْاُولَى كَانَتْ مَتَهِيئَةً لِقَبُولِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا  
وَيَنْطَبِعُ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ اَوْ شَرٍّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَاَبَوَاهُ  
يَهُودَانِهِ اَوْ نَصْرَانِيَةً اَوْ يَحْيَسَانِيَةً وَبِقَدْرِ مَا سَبَقَ لِيَهَا مِنْ اَحَدِ الْخَلْقَيْنِ تَبَعْدُ عَنِ الْاٰخَرِ  
وَ يَصْعَبُ عَلَيْهَا اَكْتِسَابُهُ فَصَاحِبُ الْخَيْرِ اِذَا سَبَقَتْ اِلَى نَفْسِهِ عَوَائِدُ الْخَيْرِ وَحَصَّاتُ  
لَهَا مَلَائِكَتُهُ بَعْدَ عَنِ الشَّرِّ وَصَعِبَ عَلَيْهِ طَرِيقُهُ وَكَذَا صَاحِبُ الشَّرِّ اِذَا سَبَقَتْ اِلَيْهِ  
اَيْضًا عَوَائِدُهُ وَاَهْلُ الْحَضَرِ لِكَثْرَةِ مَا يَعْنُونَ مِنْ فُنُونِ الْمَلَائِكَةِ وَعَوَائِدِ التَّرَفِ وَالْاِقْبَالِ  
عَلَى الدُّنْيَا وَالْعُكُوفِ عَلَى شَهَوَاتِهِمْ مِنْهَا وَقَدْ تَلَوْتُ اَنْفُسَهُمْ بِكَثِيرٍ مِنْ مَذْمُومَاتِ  
الْخَلْقِ وَالشَّرِّ وَبَعْدَتْ عَلَيْهِمْ طُرُقُ الْخَيْرِ وَمَسَالِكُهُ بِقَدْرِ مَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى  
لَقَدْ ذَهَبَتْ عَنْهُمْ مَذَاهِبُ الْحِشْمَةِ فِي اَحْوَالِهِمْ فَتَجِدُ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ يَقْدَعُونَ فِي اقْوَالِ  
الْفَحْشَاءِ فِي مَجَالِسِهِمْ وَبَيْنَ كِبَرَانِهِمْ وَاَهْلُ مَحَارِمِهِمْ لَا يَصُدُّهُمْ عَنْهُ وَاِزَاعُ الْحِشْمَةِ  
لَمَّا اخَذْتَهُمْ بِهِ عَوَائِدُ السُّوءِ فِي التَّظَاهُرِ بِالْفَوَاحِشِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَاَهْلُ الْبَدْوِ وَاِنْ  
كَانُوا مُقْبِلِينَ عَلَى الدُّنْيَا مِثْلَهُمْ اِلَّا اِنَّهُ فِي الْمَقْدَارِ الصَّرُورِيِّ لَا فِي التَّرَفِ وَلَا فِي شَيْءٍ  
مِنْ اَسْبَابِ الشُّهُواتِ وَاللَّذَاتِ وَدَوَاعِيهَا فَعَوَائِدُهُمْ فِي مَعَامَلَاتِهِمْ عَلَى نَسَبَتِهَا وَمَا يَحْصُلُ  
فِيهِمْ مِنْ مَذَاهِبِ السُّوءِ وَمَذْمُومَاتِ الْخَلْقِ بِالنِّسْبَةِ اِلَى اَهْلِ الْحَضَرِ اَقْلُ بِكَثِيرٍ فَهُمْ  
اَقْرَبُ اِلَى الْفِطْرَةِ الْاُولَى وَاَبْعَدُ عَمَّا يَنْطَبِعُ فِي النَّفْسِ مِنْ سُوءِ الْمَلَائِكَاتِ بِكَثْرَةِ  
الْعَوَائِدِ الْمَذْمُومَةِ وَفَتْحِهَا فَيَسْهَلُ عَلَيْهِمْ عَنِ عِلَاجِ الْحَضَرِ وَهُوَ ظَاهِرٌ وَقَدْ يَتَوَضَّحُ فِيهَا  
بَعْدَ اَنْ الْحَضَرَةُ هِيَ نِهَآئَةُ الْعُمُرَانِ وَخُرُوجِهِ اِلَى الْفَسَادِ وَنِهَآئَةُ الشَّرِّ وَالْبَعْدُ عَنِ الْخَيْرِ  
فَقَدْ تَبَيَّنَ اَنَّ اَهْلَ الْبَدْوِ اَقْرَبُ اِلَى الْخَيْرِ مِنْ اَهْلِ الْحَضَرِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ وَلَا  
يُعْتَرِضُ عَلَيْهِ ذَلِكَ بِمَا وَرَدَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ مِنْ قَوْلِ الْحُجَّاجِ لِسَلْمَةَ بِنِ الْاَكْوَعِ  
وَقَدْ بَلَغَهُ اَنَّهُ خَرَجَ اِلَى سَكْنَى الْبَادِيَةِ فَقَالَ لَهُ اَزْتَدَدْتَ عَلَى عَقِيْبِكَ تَعَرَّبْتَ فَقَالَ لَا  
وَالْكَنَّ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَذِنَ لِي فِي الْبَدْوِ فَاَعْلَمُ اَنَّ الْهَجْرَةَ اَقْتَرَضْتَ  
اَوَّلَ الْاِسْلَامِ عَلَى اَهْلِ مَكَّةَ لِيَكُوْنُوْا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَيْثُ حَلَّ مِنَ  
الْمَوَاطِنِ يَنْصُرُوْنَهُ وَيُظَاهِرُوْنَهُ عَلَى اَمْرِهِ وَيَحْرَسُوْنَهُ وَلَمْ تَكُنْ وَاجِبَةً عَلَى الْاَعْرَابِ

اهل البادية لأن أهل مكة يمسهم من عصبية النبي صلى الله عليه وسلم في المظاهرة  
 والحراسة ما لا يمس غيرهم من بادية الأعراب وقد كان المهاجرون يستعيدون بالله  
 من التعرب وهو سكنى البادية حيث لا تجب الهجرة وقال صلى الله عليه وسلم في  
 حديث سعد بن أبي وقاص عند مرضه بمكة اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا  
 تردهم على أعقابهم ومعناه أن يوفقهم لملازمة المدينة وعدم التحول عنها فلا يرجعوا  
 عن هجرتهم التي ابتدأوا بها وهو من باب الرجوع على العقب في السعي إلى وجه من  
 الوجوه وقيل أن ذلك كان خاصاً بما قبل الفتح حين كانت الحاجة داعية إلى الهجرة  
 لقلّة المسلمين وأما بعد الفتح وحين كثرت المسلمون وأغزوا وتكفل الله لنبيه  
 بالعضمة من الناس فإن الهجرة ساقطة حينئذ لقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد  
 الفتح وقيل سقطت إنشائها عن يسلم بعد الفتح وقيل سقطت وجوبها عن أسلم وهاجر  
 قبل الفتح والكل يجمعون على أنها بعد الوفاة ساقطة لأن الصحابة أفرقوا من يومئذ  
 في الآفاق وانتشروا ولم يبق إلا فضل السكنى بالمدينة وهو هجرة فقول الحجاج  
 سلمة حين سكن البادية ارتدّت على عقبيك تعربت نعى عليه في ترك السكنى  
 بالمدينة بالإشارة إلى الدعاء المأثور الذي قدمناه وهو قوله لا تردهم على أعقابهم  
 وقوله تعربت إشارة إلى أنه صار من الأعراب الذين لا مهاجرون وأجاب سلمة  
 بإنكار ما الزمه من الأمرين وإن النبي صلى الله عليه وسلم أذن له في البدو ويكون  
 ذلك خاصاً به كشهادة خزيمة وعتاق أبي بردة أو يكون الحجاج إنما نعى عليه  
 ترك السكنى بالمدينة فقط لعلمه بسقوط الهجرة بعد الوفاة وأجاب سلمة بأن  
 اعتناكم لإذن النبي صلى الله عليه وسلم أولى وأفضل فما آثره به وأخصه إلا لمعنى  
 علمه فيه وعلى كل تقدير فليس دليلاً على مذمة البدو الذي عبر عنه بالتعرب لأن  
 مشروعية الهجرة إنما كانت كما علمت لمظاهرة النبي صلى الله عليه وسلم وجراسته  
 لا لمذمة البدو فليس في النعي على ترك هذا الواجب دليل على مذمة التعرب والله  
 سبحانه أعلم وبه التوفيق

## الفصل الخامس

في ان اهل البدو اقرب الى الشجاعة من اهل الحضرة  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الْحَضَرِ الْقَوَا جُنُوبَهُمْ عَلَى مَهَادِ الرَّاحَةِ وَالِدَعَةِ وَالنَّعْسِ  
فِي النَّعِيمِ وَالزَّفَرِ وَوَكَلُوا أَمْرَهُمْ فِي الْمُدَافَعَةِ عَنْ أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ إِلَى الْوَيْهَمِ وَالْحَاكِمِ  
الَّذِي يُسَوِّغُهُمْ وَالْحَاكِمَةَ الَّتِي تَوَلَّى حِرَاسَتَهُمْ وَأَسْتَنَامُوا إِلَى الْأَسْوَارِ الَّتِي تَحُوطُهُمْ  
وَالْحَرْزِ الَّذِي يَحُولُ دُونَهُمْ فَلَا تَمِيحُهُمْ هَيْعَةٌ وَلَا يَنْفِرُهُمْ صَيْدُ فِهْمٍ غَارُونَ أَمْنُونَ  
قَدْ الْقَوَا السَّلَاحَ وَتَوَلَّى عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ الْأَجْيَالُ وَتَنَزَّلُوا مَنَزِلَةَ النِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ الَّذِينَ  
هُمْ عِيَالٌ عَلَى أَبِي مَتَوَاهُمْ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ خُلُقًا يَنْزِلُ مَنَزِلَةَ الطَّبِيعَةِ وَأَهْلُ الْبَدْوِ لَتَفَرُّهُمْ  
عَنْ الْمُجْتَمَعِ وَتَوَحُّشِهِمْ فِي الضَّوَاكِي وَبُعْدِهِمْ عَنِ الْحَاكِمَةِ وَاتِّبَادِهِمْ عَنِ الْأَسْوَارِ  
وَالْأَبْوَابِ فَأَمْنُونَ بِالْمُدَافَعَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ لَا يَكْلُونَهَا إِلَى سِوَاهُمْ وَلَا يَتَّقُونَ فِيهَا بَعْضَهُمْ  
فَهُمْ دَائِمًا يَحْمِلُونَ السَّلَاحَ وَيَتَلَفَتُونَ عَنْ كُلِّ جَانِبٍ فِي الطَّرِيقِ وَيَتَجَافُونَ عَنِ الْهَجُوعِ  
إِلَّا غَرَارًا فِي الْمَجَالِسِ وَعَلَى الرَّحَالِ وَفَوْقَ الْأَقْتَابِ وَيَتَوَجَّسُونَ لِلنَّبَاتِ وَالْمُهَيْعَاتِ  
وَيَتَفَرَّدُونَ فِي الْفَقْرِ وَالْبَيْدَاءِ مُدْلِينَ بِأَنْفُسِهِمْ وَاثِقِينَ بِأَنْفُسِهِمْ قَدْ صَارَ لَهُمُ الْبَأْسُ خُلُقًا  
وَالشَّجَاعَةُ سَجِيَّةً يَرْجِعُونَ إِلَيْهَا مَتَى دَعَاهُمْ دَاعٍ أَوْ اسْتَفْرَجَهُمْ صَارِخٌ وَأَهْلُ الْحَضَرِ مَهْمَا  
خَاطَبُوهُمْ فِي الْبَادِيَةِ أَوْ صَاحَبُوهُمْ فِي السَّفَرِ عِيَالٌ عَلَيْهِمْ لَا يَمْلِكُونَ مَعَهُمْ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ  
أَنْفُسِهِمْ وَذَلِكَ مُشَاهِدٌ بِالْعِيَانِ حَتَّى فِي مَعْرِفَةِ النَّوَاحِي وَالْجِهَاتِ وَمَوَارِدِ الْمِيَاهِ وَمَشَارِعِ  
السُّبُلِ وَسَبَبُ ذَلِكَ مَا شَرَحْنَاهُ وَأَصْلُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ ابْنُ عَوَائِدِهِ وَمَا لَوْفُهُ لَا ابْنَ طَبِيعَتِهِ  
وَمَزَاجِهِ فَالَّذِي أَلْفَهُ فِي الْأَحْوَالِ حَتَّى صَارَ خُلُقًا وَمَلَكَةً وَعَادَةً تَنْزِلُ مَنَزِلَةَ الطَّبِيعَةِ  
وَالْحَبْلَةِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الْأَدَمِيِّينَ تَجِدُهُ كَثِيرًا صَحِيحًا وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ

## الفصل السادس

في ان معاناة اهل الحضرة للاحكام مفسدة لباس فيهم ذاهبة بالمنفعة منهم  
وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ مَالِكٌ أَمْرٍ نَفْسِهِ إِذِ الرُّؤْسَاءُ وَالْأَمْرَاءُ الْمَالِكُونَ لِأَمْرِ  
النَّاسِ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى غَيْرِهِمْ مِنْ الغَالِبِ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِي مَلَكَةٍ غَيْرِهِ وَلَا يَدَّ  
فَإِنَّ كَانَتْ الْمَلَكَةُ رَفِيقَةً وَعَادِلَةً لَا يَعَانِي مِنْهَا حُكْمٌ وَلَا مَنَعٌ وَصَدَّقَ كَانِ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ

يَدَهَا مُدْلِينَ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ شَجَاعَةٍ أَوْ جَبْنٍ وَاتَّقِينَ بَعْدَ الْوَأَزَعِ حَتَّى صَارَ لَهُمْ  
الْإِدْلَالُ جُبَيْلَةً لَا يَعْرِفُونَ سِوَاهَا وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ الْمَأْكُكَةُ وَأَحْكَامُهَا بِالْقَهْرِ وَالسُّطُورَةِ  
وَالْإِخَافَةِ فَتَكْسِرُ حَيْثُئِدٍ مِنْ سُورَةِ بِأَسْمِهِمْ وَتَذْهَبُ الْمُنْعَةُ عَنْهُمْ لِمَا يَكُونُ مِنْ  
التَّكَاسُلِ فِي النُّفُوسِ الْمُضْطَّهِدَةِ كَمَا نَبَّيْنَهُ وَقَدْ نَهَى عُمَرُ سَعْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ  
مِثْلِهَا لَمَّا أَخَذَ زُهْرَةُ بْنُ حُوْبَةَ سَلَبَ الْجَالِنُوسِ وَكَانَتْ قِيَمَتُهُ خَمْسَةَ وَسَبْعِينَ أَلْفًا مِنْ  
الذَّهَبِ وَكَانَ اتَّبَعَ الْجَالِنُوسِ يَوْمَ الْقَارِيسِيَّةِ فَقَتَلَهُ وَأَخَذَ سَلَبَهُ فَأَنْزَعَهُ مِنْهُ سَعْدٌ وَقَالَ  
لَهُ هَلَّا أَنْتَظَرْتُ فِي اتِّبَاعِهِ إِذْنِي وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ يَسْتَأْذِنُهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ تَعَمُّدًا إِلَى  
مِثْلِ زُهْرَةَ وَقَدْ صَلَّى بِمَا صَلَّى بِهِ وَبَقِيَ عَلَيْكَ مَا بَقِيَ مِنْ حَرْبِكَ وَتَكْسِرُ فَوْقَهُ وَتَفْسِدُ  
قَلْبَهُ وَأَمْضَى لَهُ عُمَرُ سَلَبَهُ وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ الْأَحْكَامُ بِالْعِقَابِ فَمَذْهَبَةٌ لِلْبَأْسِ بِالْكَلِيَّةِ  
لِأَنَّ وَقْعَ الْعِقَابِ بِهِ وَلَمْ يُدَافِعْ عَنْ نَفْسِهِ بِكُنْسِيَةِ الْمَذَلَّةِ الَّتِي تَكْسِرُ مِنْ سُورَةِ بِأَسْمِهِ  
بِلاَ شَكٍّ وَأَمَّا إِذَا كَانَتْ الْأَحْكَامُ تَأْدِيبِيَّةً وَتَعْلِيمِيَّةً وَأَخَذَتْ مِنْ عَهْدِ الصَّبَا أَثَرًا  
فِي ذَلِكَ بَعْضَ الشَّيْءِ لِمَرْبَاهِ عَلَى الْخِيفَةِ وَالِاتِّقْيَارِ فَلَا يَكُونُ مُدْلًا بِبَأْسِهِ وَلِهَذَا نَجِدُ  
الْمُتَوَحِّشِينَ مِنَ الْعَرَبِ أَهْلَ الْبُدُوِّ أَشَدَّ بِأَسًا مِمَّنْ تَأْخُذُهُ الْأَحْكَامُ وَنَجِدُ أَيْضًا الَّذِينَ  
يَعَانُونَ الْأَحْكَامَ وَمَلَكَتْهَا مِنْ لَدُنْ مَرْبَاهِمُ فِي التَّأْدِيبِ وَالتَّعْلِيمِ فِي الصَّنَائِعِ وَالْعُلُومِ  
وَالدِّرْيَابَاتِ يُقْصِصُ ذَلِكَ مِنْ بِأَسْمِهِمْ كَثِيرًا وَلَا يَكَادُونَ يَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ عَادِيَةً  
بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ وَهَذَا شَأْنُ طَلِبَةِ الْعِلْمِ الْمُتَحَلِّينَ لِلْقِرَاءَةِ وَالْأَخْذِ عَنِ الْمَشَائِخِ  
وَالْأَيْمَةِ الْمُمَارِسِينَ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّأْدِيبِ فِي تَجَالِسِ الْوُقَارِ وَالْمُجِيبَةِ فِيهِمْ هَذِهِ الْأَحْوَالُ  
وَذَهَابُهَا بِالْمُنْعَةِ وَالْبَأْسِ وَلَا تَسْتَنْكِرُ ذَلِكَ بِمَا وَقَعَ فِي الصَّحَابَةِ مِنْ أَخْذِهِمْ بِأَحْكَامِ  
الدِّينِ وَالتَّشْرِيعَةِ وَلَمْ يُنْقِصْ ذَلِكَ مِنْ بِأَسْمِهِمْ بَلْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ بِأَسًا لِأَنَّ الشَّارِعَ  
صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لَمَّا أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ عَنْهُ دِينَهُمْ كَانَ وَارِعَهُمْ فِيهِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لِمَا  
نُبِي عَلَيْهِمْ مِنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ وَلَمْ يَكُنْ بِتَعْلِيمٍ صِنَاعِيٍّ وَلَا تَأْدِيبٍ تَعْلِيمِيٍّ إِنَّمَا  
هِيَ أَحْكَامُ الدِّينِ وَآدَابُهُ الْمُتَمَلِّقَةُ تَقْلًا يَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهَا بِمَا رَسَخَ فِيهِمْ مِنْ عَقَائِدِ  
الْإِيمَانِ وَالتَّصَدِيقِ فَلَمْ تَنْزَلْ سُورَةُ بِأَسْمِهِمْ مُسْتَحْكِمَةً كَمَا كَانَتْ وَلَمْ تَخْدِشْهَا أَظْفَارُ  
التَّأْدِيبِ وَالحُكْمِ قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ لَمْ يُؤَدِّ بِهِ الشَّرْعَ لَا أَدَبَهُ اللَّهُ حَرِصًا  
عَلَى أَنْ يَكُونَ الْوَأَزَعُ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْ نَفْسِهِ وَبِقِيْنًا بِأَنَّ الشَّارِعَ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ الْعِبَادِ

وَلَمَّا تَنَاقَصَ الدِّينُ فِي النَّاسِ وَأَخَذُوا بِالْأَحْكَامِ الْوَارِثَةِ ثُمَّ صَارَ الشَّرْعُ عِلْمًا وَصِنَاعَةً  
يُؤَخَذُ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّادِيْبِ وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى الْحَضَارَةِ وَخُلِقَ الْإِنْقِيَادُ إِلَى الْأَحْكَامِ  
نَقَصَتْ بِذَلِكَ سُورَةُ الْبَأْسِ فِيهِمْ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْأَحْكَامَ السُّلْطَانِيَّةَ وَالتَّعْلِيمِيَّةَ مُفْسِدَةٌ  
لِلْبَأْسِ لِأَنَّ الْوَارِثَةَ فِيهَا ذَاتِي وَهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ السُّلْطَانِيَّةَ وَالتَّعْلِيمِيَّةَ مِمَّا  
تُوَثِّرُ فِي أَهْلِ الْحَوَاضِرِ فِي ضَعْفِ نَفْسِهِمْ وَخَضِ الشُّوْكَةَ مِنْهُمْ بِعَمَانَتِهِمْ فِي وِلْدِيهِمْ  
وَكَهْلِهِمْ وَابْتَدَأَ بِمَعْرَلٍ مِنْ هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ لِبُعْدِهِمْ عَنِ أَحْكَامِ السُّلْطَانِ وَالتَّعْلِيمِ  
وَالْآدَابِ وَهَذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي كِتَابِهِ فِي أَحْكَامِ الدُّعْمِيِّينَ وَالتَّمْتَعِيِّينَ  
أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤَدَّبِ أَنْ يَضْرِبَ أَحَدًا مِنَ الصَّبِيَّانِ فِي التَّعْلِيمِ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَسْوَاطٍ نَقَلَهُ  
عَنْ شَرِيحِ الْقَاضِي وَاجْتَمَعَ لَهُ بَعْضُهُمْ بِمَا وَقَعَ فِي حَدِيثِ بَدَأَ الْوَحْيِ مِنْ شَأْنِ الْغَطِّ وَأَنَّهُ  
كَانَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَلَا يَصْلُحُ شَأْنُ الْغَطِّ أَنْ يَكُونَ دَلِيلًا عَلَى ذَلِكَ لِبُعْدِهِ  
عَنِ التَّعْلِيمِ الْمُتَعَارَفِ وَاللَّهُ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

### الفصل السابع

في ان سكنى البدو لا تكون الا للقبائل اهل العصبية

إِعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ رَكَّبَ فِي طِبَائِعِ الْبَشَرِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَهَدَيْنَاهُ  
النَّجْدَيْنِ وَقَالَ فَأَنْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا وَالشَّرُّ أَقْرَبُ لِخَلَالِ الْيَدِ إِذَا أَهْمَلِي فِي مَرَعِي  
عَوَائِدِهِ وَلَمْ يَهْدِيهِ الْإِقْتِدَاءُ بِالدِّينِ وَعَلَى ذَلِكَ الْجَمُّ الْغَنِيُّرُ إِلَّا مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ وَمِنْ  
أَخْلَاقِ الْبَشَرِ فِيهِمُ الظُّلْمُ وَالْعُدْوَانُ بَعْضُ عَلَى بَعْضٍ فَمَنْ أَمْتَدَّتْ عَيْنُهُ إِلَى مَتَاعِ  
أَخِيهِ فَقَدْ أَمْتَدَّتْ يَدُهُ إِلَى أَخِيهِ إِلَّا أَنْ يَصُدَّهُ وَارِثٌ كَمَا قَالَ

وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْبِ النَّفْسِ فَإِنْ تَجِدَ ذَا عِنْفَةٍ فَلَعَلَّةٍ لَا يَظْلِمُ

فَأَمَّا الْمَدُنُ وَالْأَمْصَارُ فَعُدْوَانُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ تَدْفَعُهُ الْحُكْمُ وَالِدَوْلَةُ مِمَّا قَبَضُوا  
عَلَى أَيْدِي مَنْ تَحْتَهُمْ مِنَ الْكُفَّاتِ أَنْ يَمْتَدَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ أَوْ يَعْدُو عَلَيْهِ فِهِمْ  
مَكْبُوحُونَ بِحِكْمَةِ الْقَهْرِ وَالسُّلْطَانِ عَنِ التَّظْلَمِ إِلَّا إِذَا كَانَ مِنَ الْحَاكِمِ بِنَفْسِهِ وَأَمَّا  
الْعُدْوَانُ الَّذِي مِنْ خَارِجِ الْمَدِينَةِ فَيَدْفَعُهُ سِيَاحُ الْأَسْوَارِ عِنْدَ الْغَفْلَةِ أَوْ الْغَرْوِ لِيَلَّا  
أَوْ الْعَجْزِ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ نَهَارًا أَوْ يَدْفَعُهُ زُرْدِيَادُ الْحَامِيَةِ مِنْ أَعْوَانِ الدُّوَلَةِ عِنْدَ الْأَسْتِعْدَادِ  
وَالْمَقَاوِمَةِ وَأَمَّا أَحْيَاءُ الْبَدْوِ فَيَزِعُ بَعْضُهُمْ عَنِ بَعْضٍ مَسَاخِيهِمْ وَكِبَرَاؤُهُمْ بِمَا وَفَّرَ فِي

نَفْسِ الْكَافَّةِ لَهُمْ مِنَ الْوَقَارِ وَالتَّجَلَّةِ وَأَمَّا حَالِهِمْ فَأَيَّمَا يَدُورُ عَنْهَا مِنْ خَارِجِ حَامِيَةٍ  
الْحَيِّ مِنْ أُنْجَادِهِمْ وَتِيَانِهِمْ الْمَعْرُوفِينَ بِالشَّجَاعَةِ فِيهِمْ وَلَا يَصْدُقُ دَفَاعِهِمْ وَذِيَادُهُمْ  
إِلَّا إِذَا كَانُوا عَصِيَّةً وَأَهْلَ نَسَبٍ وَاحِدٍ لَأَنَّهُمْ بِذَلِكَ تَشْتَدُّ شَوْكَتُهُمْ وَيَخْشَى جَانِبَهُمْ  
إِذْ نَعْرَةٌ كُلِّ أَحَدٍ عَلَى نَسَبِهِ وَعَصِيَّتِهِ أَمُّهُ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ مِنَ الشَّفَقَةِ  
وَالنُّعْرَةِ <sup>(١)</sup> عَلَى ذَوِي أَرْحَامِهِمْ وَفُرْبَاهُمْ مَوْجُودَةً فِي الطَّبَائِعِ الْبَشَرِيَّةِ وَبِهَا يَكُونُ  
التَّعَاوُدُ وَالتَّنَاصُرُ وَتَعْظُمُ رَهْبَةُ الْعَدُوِّ لَهُمْ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِيمَا حَكَاهُ الْقُرْآنُ عَنْ إِخْوَةِ  
يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ قَالُوا لِأَيِّهِ لَمَّا أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَتَحَنُّنُ عَصَبِهِ إِنَّا إِذَا الْخَاسِرُونَ  
وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَتَوَهَّمُ الْعُدُوَانُ عَلَى أَحَدٍ مَعَ وُجُودِ الْعِصْبَةِ لَهُ وَأَمَّا الْمَجْتَرِدُونَ فِي  
أَسْمَائِهِمْ فَقَلَّ أَنْ تُصِيبَ أَحَدًا مِنْهُمْ نَعْرَةٌ عَلَى صَاحِبِهِ فَإِذَا أَظْلَمَ الْجَوُّ بِالشَّرِّ يَوْمَ  
الْحَرْبِ تَسَلَّلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِغِيِّ النِّجَاةِ لِنَفْسِهِ خِيفَةً وَأَسْتِحْشَاشًا مِنَ التَّخَاذُلِ فَلَا  
يَقْدِرُونَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَلَى سَكْنَى الْقَفْرِ لِمَا أَنَّهُمْ حِينَئِذٍ طُعْمَةٌ لِمَنْ يَلْتَهُمُ مِنْ  
الْأُمَّمِ سِوَاهُمْ وَإِذَا تَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي السُّكْنَى الَّتِي تَحْتَاجُ لِلْمُدَافَعَةِ وَالْحِمَايَةِ فَبِمِثْلِهِ  
يَتَبَيَّنُ لَكَ فِي كُلِّ أَمْرٍ يَحْمِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ مِنْ نُبُوَّةٍ أَوْ إِقَامَةِ مَلِكٍ أَوْ دَعْوَةٍ إِذْ بُلُوغُ  
الغَرَضِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِنَّمَا يَتِمُّ بِالْقِتَالِ عَلَيْهِ لِمَا فِي طَبَائِعِ الْبَشَرِ مِنَ الْأَسْتِعْصَاءِ وَلَا  
بَدَّ فِي الْقِتَالِ مِنَ الْعِصْبَةِ كَمَا ذَكَرْنَا أَنْفًا فَاتَّخِذْهُ إِمَامًا تَقْتَدِي بِهِ فِيمَا نُورِدُهُ عَلَيْكَ  
بَعْدَ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ

### الفصل الثامن

في ان العصبة انما تكون من الالتحام بالنسب او ما في معناه

وَذَلِكَ أَنَّ صَلَاةَ الرَّحِمِ طَبِيعِيٌّ فِي الْبَشَرِ إِلَّا فِي الْأَقْلِ وَوَيْنَ صَاتِبِهَا النُّعْرَةُ عَلَى ذَوِي  
الْقُرْبَى وَأَهْلِ الْأَرْحَامِ أَنْ يَنَالَهُمْ ضَيْمٌ أَوْ تُصِيبَهُمْ هَالِكَةٌ فَإِنَّ الْقُرْبَى يَجِدُ فِي نَفْسِهِ  
عِضَاضَةً مِنْ ظَلَمِ قَرِيبِهِ أَوْ الْعِبَادَاءِ عَلَيْهِ وَيُودُّ لَوْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَصِلُهُ مِنَ الْمَعَاطِبِ  
وَالْمَهَالِكِ تَزَعُّهُ طَبِيعِيَّةٌ فِي الْبَشَرِ مُذْ كَانُوا فَإِذَا كَانَ النَّسَبُ الْمُتَوَاصِلُ بَيْنَ الْمُتَنَاصِرِينَ  
قَرِيبًا جَدًّا بِحَيْثُ حَصَلَ بِهِ الْإِتِّحَادُ وَالْإِلْتِحَامُ كَانَتْ الْوَصْلَةُ ظَاهِرَةً فَاسْتَدْعَتْ ذَلِكَ  
بِعَجْرَدِهَا وَوُضُوحِهَا وَإِذَا بَعَدَ النَّسَبُ بَعْضُ الشَّيْءِ قَرِيبًا تَنَوَّسِي بَعْضُهَا وَبَقِيَ مِنْهَا شُمْرَةٌ

(١) النعرة والنعار بالضم فهما والنعير الصراخ والصياح في حرب او شر كما في القاموس

فَتَحْمِلُ عَلَى النَّصْرَةِ لِدَوِي نَسَبِهِ بِالْأَمْرِ الْمَشْهُورِ مِنْهُ فِرَارًا مِنَ الْغَضَاظَةِ الَّتِي يَتَوَهَّمُهَا فِي  
نَفْسِهِ مِنْ ظُلْمٍ مَنْ هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الْوَلَاءُ وَالْخَلْفُ إِذْ نَعْرَةٌ كُلُّ  
أَحَدٍ عَلَى أَهْلِ وَلَائِهِ وَخَلْفِهِ لِلْإِلْفَةِ الَّتِي تَلْحَقُ النَّفْسَ مِنْ أَهْتِضَامِ جَارِهَا أَوْ قَرِيبِهَا أَوْ  
تَسْلِبِهَا بِوَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ النَّسَبِ وَذَلِكَ لِأَجْلِ اللُّحْمَةِ الْحَاصِلَةِ مِنَ الْوَلَاءِ مِثْلَ لُحْمَةِ النَّسَبِ  
أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا وَمِنْ هَذَا تَفْهَمُ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا  
تَصَلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ بِمَعْنَى أَنَّ النَّسَبَ إِنَّمَا فَاذَنْتُهُ هَذَا الْإِتِّحَامُ الَّذِي يُوجِبُ صَلَاةَ  
الْأَرْحَامِ حَتَّى تَنْفَعِ الْمُنَاصَرَةَ وَالنَّعْرَةَ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ مُسْتَعْنَى عَنْهُ إِذِ النَّسَبُ أَمْرٌ وَهَمِي  
لَا حَقِيقَةٌ لَهُ وَنَفْعُهُ إِنَّمَا هُوَ فِي هَذِهِ الْوَصَلَةِ وَالْإِتِّحَامِ فَإِذَا كَانَ ظَاهِرًا وَاضِحًا حَمَلَ  
النَّفْسُ عَلَى طَبِيعَتِهَا مِنَ النَّعْرَةِ كَمَا قُلْنَا وَإِذَا كَانَ إِنَّمَا يَسْتَفَادُ مِنَ الْخَبَرِ الْبَعِيدِ ضَعْفَ  
فِيهِ الْوَهْمُ وَذَهَبَتْ فَاذَنْتُهُ وَصَارَ الشُّغْلُ بِهِ مَجَانًا وَمِنْ أَعْمَالِ اللَّهِ الْمَنْهِي عَنْهُ وَمِنْ  
هَذَا الْإِعْتِمَارِ مَعْنَى قَوْلِهِمُ النَّسَبُ عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ وَجْهَالَةٌ لَا تَضُرُّ بِمَعْنَى أَنَّ النَّسَبَ إِذَا  
خَرَجَ عَنِ الْوُضُوحِ وَصَارَ مِنْ قَبِيلِ الْعُلُومِ ذَهَبَتْ فَاذَنْتُهُ الْوَهْمُ فِيهِ عَنِ النَّفْسِ وَأَنْتَفَتِ  
النَّعْرَةُ الَّتِي تَحْمِلُ عَلَيْهَا الْعَصِيَّةَ فَلَا مَنْفَعَةَ فِيهِ حِينَئِذٍ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل التاسع

في ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب

ومن في معانم

وَذَلِكَ لِمَا أَخْتَصَّوْا بِهِ مِنْ نَكِدِ الْعَيْشِ وَشَطَفِ الْأَحْوَالِ وَسُوءِ الْمَوَاطِنِ حَمَاتِهِمْ  
عَلَيْهَا الصَّرُورَةُ الَّتِي عَيَّنَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْقِسْمَةَ وَهِيَ لِمَا كَانَ مَعَاشِهِمْ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الْإِبِلِ  
وَتِنَاجِيهَا وَرِعَايَتِهَا وَالْإِبِلُ تَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْحُشِ فِي الْقَفْرِ لِرِعِيَّتِهَا مِنْ شَجَرِهِ وَتِنَاجِيَّتِهَا فِي  
رِمَالِهِ كَمَا تَقَدَّمَ وَالْقَفْرُ مَكَانُ الشُّطْفِ وَالسَّغْبِ فَصَارَ لَهُمْ الْفَأُ وَعَادَةً وَرَبِيتَ فِيهِ  
أَجْبَالُهُمْ حَتَّى تَمَكَّنَتْ خَلْقًا وَجِبَلَةً فَلَا يَنْزِعُ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَمِ أَنْ يُسَاهِمَهُمْ فِي  
حَالِهِمْ وَلَا يَأْتِسُ بِهِمْ أَحَدٌ مِنَ الْأَجْبَالِ بَلْ لَوْ وَجَدَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ السَّبِيلَ إِلَى الْفِرَارِ مِنْ  
حَالِهِ وَامْتِنَهُ ذَلِكَ لِمَا تَرَكَهُ فِيؤْمِنُ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِ ذَلِكَ مِنْ اخْتِلَاطِ أَنْسَابِهِمْ وَفَسَادِهَا  
وَلَا تَزَالُ بَيْنَهُمْ مَحْفُوظَةٌ صَرِيحَةٌ وَأَعْتَبَرُ ذَلِكَ فِي مُضَرٍّ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِبَانَةَ وَتَقِيفَ وَبَنِي  
أَسَدٍ وَهَذِيلٍ وَمَنْ جَاوَرَهُمْ مِنْ خِزَاعَةٍ لِمَا كَانُوا أَهْلَ شَطْفٍ وَمَوَاطِنَ غَيْرِ ذَاتِ زَرْعٍ

وَلَا ضَرَعَ وَبَعَدُوا مِنْ أَرْيَافِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمَعَادِنِ الْأَدَمِ وَالْحُجُوبِ كَيْفَ كَانَتْ  
 أَسَابِهِمْ صَرِيحَةً مَحْفُوظَةً لَمْ يَدْخُلْهَا اخْتِلَاطٌ وَلَا عُرِفَ فِيهَا شَوْبٌ . وَأَمَّا الْعَرَبُ الَّذِينَ  
 كَانُوا بِالْتَّلُولِ وَفِي مَعَادِنِ الْخُصْبِ لِلْمَرَاعِي وَالْعَيْشِ مِنْ حِمَارٍ وَكِهْلَانٍ مِثْلَ لَحْمٍ وَجُدَامٍ  
 وَغَسَّانٍ وَطَيِّبٍ وَفُضَاعَةٍ وَإِيَادٍ فَاخْتَلَطَتْ أَسَابِهِمْ وَتَدَاخَلَتْ شُعُوبُهُمْ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ  
 يَوْمِيهِمْ مِنْ اخْتِلَافِ عِنْدِ النَّاسِ مَا تَعْرِفُ وَإِنَّمَا جَاءَهُمْ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْعَجْمِ وَمَخَالَطَتِهِمْ  
 وَهُمْ لَا يَعْتَبِرُونَ الْمُحَافَظَةَ عَلَى النَّسَبِ فِي يَوْمِيهِمْ وَشُعُوبِهِمْ وَإِنَّمَا هَذَا لِلْعَرَبِ فَقَطْ .  
 قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ تَعَلَّمُوا النَّسَبَ وَلَا تَكُونُوا كَنْبَطِ السُّوَادِ إِذَا سئِلَ أَحَدُهُمْ  
 عَنْ أَصْلِهِ قَالَ مِنْ قَرْيَةٍ كَذَا هَذَا أَيْ مَا حَقِيَ هُوَ لِأَنَّ الْعَرَبَ أَهْلَ الْأَرْيَافِ مِنَ الْأَزْدِ حَامٍ  
 مَعَ النَّاسِ عَلَى الْبَلَدِ الطَّيِّبِ وَالْمَرَاعِي الْخُصْبَةِ فَكَثُرَ الْاِخْتِلَاطُ وَتَدَاخَلَتْ الْأَنْسَابُ  
 وَقَدْ كَانَ وَقَعَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ الْاِتِّمَاءُ إِلَى الْمَوَاطِنِ فَيُقَالُ جُنْدٌ فَنَسْرِينَ جُنْدٌ  
 دِمَشْقَ جُنْدِ الْعَوَاحِمِ وَانْتَقَلَ ذَلِكَ إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَكُنْ لِأَطْرَاحِ الْعَرَبِ أَمْرٌ بِالنَّسَبِ  
 وَإِنَّمَا كَانَ لِاِخْتِصَامِهِمْ بِالْمَوَاطِنِ بَعْدَ الْفَتْحِ حَتَّى عُرِفُوا بِهَا وَصَارَتْ لَهُمْ عَلَامَةٌ  
 زَائِدَةٌ عَلَى النَّسَبِ يَتَمَيِّزُونَ بِهَا عِنْدَ أَمْرَائِهِمْ ثُمَّ وَقَعَ الْاِخْتِلَاطُ فِي الْخَوَاصِرِ مَعَ الْعَجْمِ  
 وَغَيْرِهِمْ وَفَسَدَتْ الْأَنْسَابُ بِالْجُمْلَةِ وَفُقِدَتْ ثَمَرَتُهَا مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَأَطْرَحَتْ ثُمَّ تَلَاشَتْ  
 الْقِبَائِلُ وَدُنِرَتْ فَدُنِرَتْ الْعَصَبِيَّةُ بِدُنُورِهَا وَبَقِيَ ذَلِكَ فِي الْبَدْوِ كَمَا كَانَ وَاللَّهُ وَارِثُ  
 الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَِا

### الفصل العاشر

في اختلاط الانساب كيف يقع

اعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ الْبَيِّنِ أَنَّ بَعْضًا مِنْ أَهْلِ الْأَنْسَابِ يَسْقُطُ إِلَى أَهْلِ نَسَبٍ آخَرَ بِقَرَابَةِ  
 إِلَيْهِمْ أَوْ حِلْفٍ أَوْ وِلَاءٍ أَوْ لِفِرَارٍ مِنْ قَوْمِهِ بِجِنَايَةِ أَصَابِهَا فَيُدْعَى بِنَسَبِ هُوَ لِأَنَّ وَيُعَدُّ  
 مِنْهُمْ فِي ثَمَرَاتِهِ مِنَ الثُّعْرَةِ وَالْقَوْدِ وَحَمْلِ الدِّيَاكِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَإِذَا وُجِدَتْ ثَمَرَاتُ  
 النَّسَبِ فَكَأَنَّهُ وَجِدَ لِأَنَّهُ لَا مَعْنَى لِكُونِهِ مِنْ هُوَ لِأَنَّ وَمِنْ هُوَ لِأَنَّ الْاِجْرِيَانَ أَحْكَامِهِمْ  
 وَأَحْوَالِهِمْ عَلَيْهِ وَكَأَنَّهُ اتَّحَمَ بِهِمْ ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ بَتَنَاسَى النَّسَبَ الْأَوَّلَ بِطَوْلِ الزَّمَانِ وَيَذْهَبُ  
 أَهْلُ الْعِلْمِ بِهِ فَيَحْفَى عَلَى الْأَكْثَرِ وَمَا زَالَتْ الْأَنْسَابُ تَسْقُطُ مِنْ شَعْبٍ إِلَى شَعْبٍ وَيَلْتَحِمُّ  
 قَوْمٌ بِآخَرِينَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ وَالْعَجْمِ . وَانظُرْ خِلَافَ النَّاسِ فِي نَسَبِ

أَلِ الْمُنْدَرِ وَغَيْرِهِمْ يَتَبَيَّنُ لَكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَمِنْهُ شَأْنُ بَيْعَةِ فِي عَرْجَةِ بْنِ هُرَيْثَةَ لَمَّا  
 وَلاَهُ عُمَرُ عَلَيْهِمْ فَسَأَلُوهُ الْإِعْفَاءَ مِنْهُ وَقَالُوا هُوَ فِينَا لَزِيْقٌ أَيْ دَخِيلٌ وَاصِيْقٌ وَطَلَبُوا  
 أَنْ يُؤْتِيَ عَلَيْهِمْ جَرِيْرًا فَسَأَلَهُ عُمَرُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ عَرْجَةُ صَدَقُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا  
 رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ أَصَبْتُ دَمًا فِي قَوْمِي وَحَقَّتْ بِهِمْ وَأَنْظَرُ مِنْهُمْ كَيْفَ اخْتَلَطَ عَرْجَةُ بِبَيْعَةِ  
 وَلَيْسَ جِلْدَتُهُمْ وَدُعَايُ بَنِيهِمْ حَتَّى تَرْتَشِعَ لِلرَّئِيسَةِ عَلَيْهِمْ لَوْلَا عِلْمُ بَعْضِهِمْ بِوَشَائِحِهِ  
 وَلَوْ غَفَلُوا عَنْ ذَلِكَ وَأَمَّتْ الزَّمَانُ لَتَنَوَّسِي بِالْجَمَلَةِ وَعَدَّ مِنْهُمْ بِكُلِّ وَجْهِ وَمَذْهَبٍ فَافْتَمَهُ  
 وَأَعْتَبَنِي سِرَّ اللَّهِ فِي خَلِيقَتِهِ وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلِمَا قَبْلَهُ مِنَ الْعَهْدِ وَاللَّهُ  
 الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ بِمَنْهٍ وَفَضْلُهُ وَكَرَمِهِ

### (١) الفصل الحادي عشر

في ان الرئاسة لا تزال في نصابها المخصوص من اهل العصبية

إِعْلَمُ أَنَّ كُلَّ حَيٍّ أَوْ بَطْنٍ مِنَ الْقَبَائِلِ وَإِنْ كَانُوا عَصَابَةً وَاحِدَةً لِنَسَبِهِمُ الْعَامِّ  
 فَمِنْهُمْ أَيْضًا عَصَبِيَّاتٌ أُخْرَى لِأَسْبَابٍ خَاصَّةٍ هِيَ أَشَدُّ اتِّعَامًا مِنَ النَّسَبِ الْعَامِّ لَهُمْ مِثْلُ  
 عَشِيرٍ وَاحِدٍ أَوْ أَهْلِ بَيْتٍ وَاحِدٍ أَوْ إِخْوَةٍ بَنِي أَبِي وَاحِدٍ لَمْ يَمِثْلُ بَنِي الْعَمِّ الْأَقْرَبِينَ أَوْ  
 الْأَبْعَدِينَ فَمِنْهُمْ أَيْضًا عَصَبِيَّاتٌ أُخْرَى لِأَسْبَابٍ خَاصَّةٍ هِيَ أَشَدُّ اتِّعَامًا مِنَ النَّسَبِ الْعَامِّ لَهُمْ مِثْلُ  
 الْأَبْعَدِينَ فَمِنْهُمْ أَيْضًا عَصَبِيَّاتٌ أُخْرَى لِأَسْبَابٍ خَاصَّةٍ هِيَ أَشَدُّ اتِّعَامًا مِنَ النَّسَبِ الْعَامِّ لَهُمْ مِثْلُ  
 النَّسَبِ الْعَامِّ وَالنُّعْرَةُ تَقَعُ مِنْ أَهْلِ نَسَبِهِمُ الْمَخْصُوصِ وَمِنْ أَهْلِ النَّسَبِ الْعَامِّ إِلَّا أَنَّهُمْ  
 فِي النَّسَبِ الْخَاصِّ أَشَدُّ اقْتِرَابًا لِلْحِمَّةِ وَالرَّئِيسَةِ فِيهِمْ إِنَّمَا تَكُونُ فِي نِصَابٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
 وَلَا تَكُونُ فِي الْكُلِّ وَلَمَّا كَانَتِ الرَّئِيسَةُ إِنَّمَا تَكُونُ بِالْغَلْبِ وَجِبَّ أَنْ تَكُونَ عَصَبِيَّةً  
 ذَلِكَ النَّصَابُ أَقْوَى مِنْ سَائِرِ الْعَصَابِ لِيَقَعَ الْغَلْبُ بِهَا وَتَمَّ الرَّئِيسَةُ لِأَهْلِهَا فَإِذَا وَجِبَ  
 ذَلِكَ تَعَيَّنَ أَنَّ الرَّئِيسَةَ عَلَيْهِمْ لَا تَزَالُ فِي ذَلِكَ النَّصَابِ الْمَخْصُوصِ بِأَهْلِ الْغَلْبِ  
 عَلَيْهِمْ إِذْ لَوْ خَرَجَتْ عَنْهُمْ وَصَارَتْ فِي الْعَصَابِ الْأُخْرَى النَّازِلَةِ عَنْ عَصَابَتِهِمْ فِي  
 الْغَلْبِ لَمَّا تَمَّتْ لَهُمُ الرَّئِيسَةُ فَلَا تَزَالُ فِي ذَلِكَ النَّصَابِ مُتَنَاقِلَةً مِنْ فَرْعٍ مِنْهُمْ إِلَى  
 فَرْعٍ وَلَا تَمْتَقِلُ إِلَّا إِلَى الْأَقْوَى مِنْ فُرُوعِهِ لِمَا قُلْنَا مِنْ سِرِّ الْغَلْبِ لِأَنَّ الْإِجْتِمَاعَ  
 وَالْعَصَبِيَّةَ بِمِثَابَةِ الْمِرْجَحِ لِلْمَتَكُونِ وَالْمِرْجَحُ فِي الْمَتَكُونِ لَا يَصْلُحُ إِذَا نَكَفَاتِ

(١) هذا الفصل ساقط من النسخ الفارسية وموجود في النسخة الترنسية وثابته اولى ليطابق كلامه

الْعُنَاصِرُ فَلَا بَدَّ مِنْ غَلْبَةِ أَحَدِهَا وَإِلَّا لَمْ يَتِمَّ التَّكْوِينُ فِهَذَا هُوَ سِرُّ اسْتِرَاطِ الْغَلْبِ فِي  
 الْعَصِيَّةِ وَمِنْهُ تَعَيَّنَ اسْتِحْرَارُ الرَّئِيسَةِ فِي النَّصَابِ الْخُصُوصِ بِهَا كَمَا قَرَّرْنَاهُ

### الفصل الثاني عشر

في ان الرئاسة على اهل العصية لا تكون في غير نسبهم

وَذَلِكَ أَنَّ الرَّئِيسَةَ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْغَلْبِ وَالْغَلْبُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ  
 فَلَا بَدَّ فِي الرَّئِيسَةِ عَلَى الْقَوْمِ أَنْ تَكُونَ مِنْ عَصِيَّةٍ غَالِبَةٍ لِعَصِيَّاتِهِمْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً  
 لِأَنَّ كُلَّ عَصِيَّةٍ مِنْهُمْ إِذَا أَحَسَّتْ بِغَلْبِ عَصِيَّةِ الرَّئِيسِ لَهُمْ أَقْرَبُوا بِالْإِدْعَانِ وَالْإِتْبَاعِ  
 وَالسَّاقِطُ فِي نَسَبِهِمْ بِالْجُمْلَةِ لَا تَكُونُ لَهُ عَصِيَّةٌ فِيهِمْ بِالنَّسَبِ إِنَّمَا هُوَ مُلْصَقٌ لَزِيْقٌ  
 وَغَايَةُ النَّعْصَبِ لَهُ بِالْوَلَاءِ وَالْحَلْفِ وَذَلِكَ لَا يُوجِبُ لَهُ غَلْبًا عَلَيْهِمْ الْبَتَّةَ وَإِذَا فَرَضْنَا أَنَّهُ  
 قَدِ اتَّخَمَ بِهِمْ وَاخْتَلَطَ وَنُوبِي عَهْدُهُ الْأَوَّلُ مِنَ الْإِلْتِصَاقِ وَلَيْسَ جَلْدَتُهُمْ وَدُعِي  
 بِنَسَبِهِمْ فَكَيْفَ لَهُ الرَّئِيسَةُ قَبْلَ هَذَا الْإِلْتِمَامِ أَوْ لِأَحَدٍ مِنْ سَلَفِهِ وَالرَّئِيسَةُ عَلَى الْقَوْمِ  
 إِنَّمَا تَكُونُ مُتَنَاقِلَةً فِي مَنبَتٍ وَاحِدَةٍ تَعَيَّنَ لَهُ الْغَلْبُ بِالْعَصِيَّةِ فَالْأَوْلِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ لِهَذَا  
 الْمُلْصَقِ قَدْ عُرِفَ فِيهَا التَّصَافَهُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَمَنْعَهُ ذَلِكَ الْإِلْتِصَاقُ مِنَ الرَّئِيسَةِ حِينَئِذٍ  
 فَكَيْفَ تُنْقَلَتْ عَنْهُ وَهُوَ عَلَى حَالِ الْإِلْتِصَاقِ وَالرَّئِيسَةُ لَا بَدَّ وَأَنْ تَكُونَ مَوْزُونَةً عَنْ  
 مُسْتَحَقِّهَا لِمَا قُلْنَا مِنْ التَّغَلُّبِ بِالْعَصِيَّةِ وَقَدْ يَبْشَوْنَ كَثِيرٌ مِنَ الرُّؤْسَاءِ عَلَى الْقَبَائِلِ  
 وَالْعَصَائِبِ إِلَى أَنْسَابٍ يَلْتَجُونَ بِهَا إِمَّا لِحُضُوصِيَّةٍ فَضِيلَةٍ كَانَتْ فِي أَهْلِ ذَلِكَ النَّسَبِ مِنْ  
 شَجَاعَةٍ أَوْ كَرَمٍ أَوْ ذِكْرِ كَيْفَ اتَّفَقَ فَيَنْزِعُونَ إِلَى ذَلِكَ النَّسَبِ وَيَتَوَرَّطُونَ بِالِدَعْوَى فِي  
 شُعُوبِهِ وَلَا يَعْلَمُونَ مَا يُوقِعُونَ فِيهِ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْقَدَحِ فِي رِئَاسَتِهِمْ وَالطَّعْنِ فِي شَرَفِهِمْ  
 وَهَذَا كَثِيرٌ فِي النَّاسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَمِنْ ذَلِكَ مَا يَدْعِيهِ زَنَاتُهُ جُمْلَةً أَنَّهُمْ مِنَ الْعَرَبِ وَمِنْهُ  
 أَدْعَاؤُ أَوْلَادِ رَبَّابِ الْمَعْرُوفِينَ بِالْحِجَازِيِّينَ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَحَدِ شُعُوبِ زُعْبَةَ أَنَّهُمْ مِنْ  
 بَنِي سُلَيْمٍ ثُمَّ مِنَ الشَّرِيدِ مِنْهُمْ لِحَقِّ جَدِّهِمْ بَنِي عَامِرٍ تِجَارًا يَصْنَعُ الْحِرْجَانَ (١) وَاخْتَلَطَ  
 بِهِمْ وَاتَّخَمَ بِنَسَبِهِمْ حَتَّى رَأَسَ عَلَيْهِمْ وَيَسْمُونَهُ الْحِجَازِيَّ . وَمِنْ ذَلِكَ أَدْعَاؤُ بَنِي عَبْدِ  
 الْقَوِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ تُوْجِبِينَ أَنَّهُمْ مِنْ وُلْدِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَغْبَةً فِي هَذَا  
 النَّسَبِ الشَّرِيفِ وَغَلَطًا بِاسْمِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَطِيَّةِ بْنِ عَبْدِ الْقَوِيِّ وَلَمْ يَعْلَمْ دُخُولَ أَحَدٍ

(١) قوله الحرجان بكسر الحاء جمع حرج بنحيتين نعل الموقى اه

مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ إِلَى الْمَغْرِبِ لِأَنَّهُ كَانَ مُنْذُ أَوَّلِ دَوْلَتِهِمْ عَلَى دَعْوَةِ الْعُلُوِّيِّينَ أَعْدَائِهِمْ  
 مِنَ الْأَدَارِسَةِ وَالْعَبِيدِيِّينَ فَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ سِبْطِ الْعَبَّاسِ أَحَدٌ مِنْ شَيْعَةِ الْعُلُوِّيِّينَ . وَكَذَلِكَ  
 مَا يَدْعِيهِ أَبْنَاءُ زِيَانَ مُلُوكِ تَلَمَّسَانَ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْوَاحِدِ أَنَّهُمْ مِنْ وُلْدِ الْقَاسِمِ بْنِ  
 أَدْرِيسَ ذَهَابًا إِلَى مَا اسْتَهْرَ فِي نَسَبِهِمْ أَنَّهُمْ مِنْ وُلْدِ الْقَاسِمِ فَيَقُولُونَ بِلِسَانِهِمْ الزَّنَاتِي  
 أَنْتَ الْقَاسِمُ أَيُّ بَنُو الْقَاسِمِ ثُمَّ يَدْعُونَ أَنَّ الْقَاسِمَ هَذَا هُوَ الْقَاسِمُ بْنُ أَدْرِيسَ أَوْ الْقَاسِمُ  
 بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَدْرِيسَ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ صَحِيحًا فَعَايَةَ الْقَاسِمِ هَذَا أَنَّهُ فَرَّ مِنْ مَكَانِ  
 سُلْطَانِهِ مُسْتَجِرًا بِهِمْ فَكَيْفَ نَبِمَ لَهُ الرِّئَاسَةُ عَلَيْهِمْ فِي بَادِيَتِهِمْ وَإِنَّمَا هُوَ غَلَطٌ مِنْ قِبَلِ  
 أَسْمِ الْقَاسِمِ فَإِنَّهُ كَثِيرُ الْوُجُودِ فِي الْأَدَارِسَةِ فَتَوَهَّمُوا أَنَّ قَاسِمِهِمْ مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ وَهُمْ  
 غَيْرُ مُتَحَاجِينَ لِذَلِكَ فَإِنَّ مَنَالَهُمْ لِلْمَلِكِ وَالْعِزَّةَ إِنَّمَا كَانَ بَعْضِيَّتِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ بَادِعًا  
 عُلُوِيَّةً وَلَا عَبَّاسِيَّةً وَلَا شَيْءٌ مِنَ الْأَنْسَابِ وَإِنَّمَا يَحْمِلُ عَلَى هَذَا الْمُتَقَرَّرُ بُونَ إِلَى الْمُلُوكِ  
 بِمَنَازِعِهِمْ وَمَدَاهِيهِمْ وَبِشْتَهَرِ حَتَّى يَبْعُدَ عَنِ الرَّدِّ وَلَقَدْ بَلَغَنِي عَنْ بَعْرَاسِنَ بْنِ زِيَانَ  
 مُؤْتَلِ سُلْطَانِهِمْ أَنَّهُ لَمَّا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ أَنْكَرَهُ وَقَالَ بَلَغْتَهُ الزَّنَاتِيَّةُ مَا مَعْنَاهَا مَا الدُّنْيَا  
 وَالْمَلِكُ فَلِنَاهُمَا بِسُيُوفِنَا لَا بِهَذَا النَّسَبِ وَأَمَّا نَعْمَهُمَا فِي الْأَخْرَةِ فَمَرْدُودٌ إِلَى اللَّهِ  
 وَأَعْرَضَ عَنِ التَّقَرُّبِ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا يَدْعِيهِ بَنُو سَعْدِ شَيْخِ بْنِ يَزِيدَ  
 مِنْ زُعْبَةَ أَنَّهُمْ مِنْ وُلْدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَنُو سَلَامَةَ شَيْخِ بْنِ بَدَلْتَنَ  
 مِنْ تُوْجِينِ أَنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمٍ وَالزُّوَاوِدَةُ شَيْخِ رِيَّاحِ أَنَّهُمْ مِنْ أَعْقَابِ الْبَرَامِكَةِ وَكَذَا  
 بَنُو مَهْنَأُ أَمْرَاءُ طَبِيٍّ بِالْمَشْرِقِ يَدْعُونَ فِيمَا بَلَغْنَا أَنَّهُمْ مِنْ أَعْقَابِهِمْ وَامْتِثَالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ  
 وَرِئَاسَتُهُمْ فِي قَوْمِهِمْ مَانِعَةٌ مِنْ أَدْعَاءِ هَذِهِ الْأَنْسَابِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ بَلْ تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونُوا  
 مِنْ صَرِيحِ ذَلِكَ النَّسَبِ وَأَقْوَى عَصِيَّاتِهِ فَاعْتَبَرَهُ وَاجْتَنَبَ الْمَغَالِطَ فِيهِ وَلَا تَجْعَلْ مِنْ  
 هَذَا الْبَابِ الْخَاقَ مَهْدِيٍّ الْمُوَحَّدِينَ بِنَسَبِ الْعُلُوِيَّةِ فَإِنَّ الْمَهْدِيَّ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَنَاتِ  
 الرِّئَاسَةِ فِي هَرَاتِ قَوْمِهِ وَإِنَّمَا رَأَسَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ اسْتِهَارِهِ بِالْعِلْمِ وَالْدِّينِ وَدُخُولِ  
 قَبَائِلِ الْمَصَامِدَةِ فِي دَعْوَتِهِ وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْمَنَاتِ الْمُتَوَسِّطَةِ فِيهِمْ وَاللَّهُ  
 عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ

## الفصل الثالث عشر

في ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل العصبية

او يكون لغيرهم بالمجاز والشبه

وَذَلِكَ أَنَّ الشَّرْفَ وَالْحَسَبَ إِنَّمَا هُوَ بِالْخِلَالَ وَمَعْنَى الْبَيْتِ أَنْ يَعُدَّ الرَّجُلُ فِي أَبِيهِ  
 أَشْرَافًا مَذْكُورِينَ يَكُونُ لَهُ بَوْلَادَتِهِمْ إِبَاهُ وَالْأَنْسَابُ إِلَيْهِمْ تَجَلَّةٌ فِي أَهْلِ جِلْدَتِهِ لِمَا  
 وَقَرَّ فِي نَفْسِهِمْ مِنْ تَجَلَّةِ سَلْفِهِ وَشَرَفِهِمْ بِمِخْلَاهِمُ وَالنَّاسُ فِي نَسَبِهِمْ وَتَنَاسُلِهِمْ مَعَادِنُ  
 قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسُ مَعَادِنُ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا  
 فَفَقِهُوا فَمَعْنَى الْحَسَبِ رَاجِعٌ إِلَى الْأَنْسَابِ وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ ثَمَرَةَ الْأَنْسَابِ وَفَائِدَتَهَا إِنَّمَا هِيَ  
 الْعَصَبِيَّةُ لِلنُّعْرَةِ وَالتَّنَاصُرِ فَحَيْثُ تَكُونُ الْعَصَبِيَّةُ مَرْهُوبَةً وَالْمَنْبَتُ فِيهَا زَكِيٌّ مَحْمِيٌّ  
 تَكُونُ فَائِدَةُ النَّسَبِ أَوْضَحَ وَتَمَرَّتْهَا أَقْوَى وَتَعْدِيدُ الْأَشْرَافِ مِنَ الْأَبَاءِ زَائِدٌ فِي فَائِدَتِهَا  
 فَيَكُونُ الْحَسَبُ وَالشَّرْفُ أَصْلَبِينَ فِي أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ لَوْجُودِ ثَمَرَةِ النَّسَبِ وَتَفَاوُتِ الْبُيُوتِ  
 فِي هَذَا الشَّرْفِ بِتَفَاوُتِ الْعَصَبِيَّةِ لِأَنَّهُ سِرُّهَا وَلَا يَكُونُ لِمَنْفَرِدِينَ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ  
 بَيْتٌ إِلَّا بِالْحِجَازِ وَإِنْ تَوَهَّمُوهُ فَرُخِرْفُ مِنَ الدَّعَاوَى وَإِذَا أُعْتَبِرَتْ الْحَسَبُ فِي أَهْلِ  
 الْأَمْصَارِ وَجَدْتَ مَعْنَاهُ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ بَعْدُ سَلْفًا فِي خِلَالِ الْخَيْرِ وَمِخْلَاطَةِ أَهْلِهِ مَعَ  
 الرُّكُونِ إِلَى الْعَافِيَةِ مَا اسْتَطَاعَ وَهَذَا مُغَايِرٌ لِسِرِّ الْعَصَبِيَّةِ الَّتِي فِي ثَمَرَةِ النَّسَبِ وَتَعْدِيدِ  
 الْأَبَاءِ لَكِنَّهُ يُطْلَقُ عَلَيْهِ حَسَبٌ وَبَيْتٌ بِالْحِجَازِ لِعَلَّاقَةِ مَا فِيهِ مِنْ تَعْدِيدِ الْأَبَاءِ  
 الْمُتَعَاقِبِينَ عَلَى طَرِيقَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْخَيْرِ وَمَسَالِكِهِ وَلَيْسَ حَسَبًا بِالْحَقِيقَةِ وَعَلَى الْإِطْلَاقِ  
 وَإِنْ ثَبَتَ أَنَّهُ حَقِيقَةٌ فِيهِمَا بِالْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ فَيَكُونُ مِنَ الْمَشْكُوكِ الَّذِي هُوَ فِي  
 بَعْضِ مَوَاضِعِهِ أَوْلَى وَقَدْ يَكُونُ لِبَيْتِ شَرَفٍ أَوَّلٌ بِالْعَصَبِيَّةِ وَالْخِلَالَ ثُمَّ يَسْلَخُونَ مِنْهُ  
 لِنَهَابِهَا بِالْحَضَارَةِ كَمَا تَقَدَّمَ وَيَخْتَلِطُونَ بِالْعَمَارِ وَيَبْقَى فِي نَفْسِهِمْ وَسَوَاسُ ذَلِكَ الْحَسَبِ  
 يَعُدُّونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَشْرَافِ الْبُيُوتَاتِ أَهْلِ الْعَصَائِبِ وَلَيْسُوا مِنْهَا فِي شَيْءٍ لِنَهَابِ  
 الْعَصَبِيَّةِ جَمَلَةً وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ النَّاشِئِينَ فِي بُيُوتِ الْعَرَبِ أَوْ الْعَجَمِ لِأَوَّلِ  
 عَهْدِهِمْ مُوسُوسُونَ بِذَلِكَ وَأَكْثَرُ مَا رَسَخَ الْوَسْوَاسُ فِي ذَلِكَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنَّهُ كَانَ  
 أَمَّهُمْ بَيْتٌ مِنْ أَعْظَمِ بُيُوتِ الْعَالَمِ بِالْمَنْبَتِ أَوَّلًا لِمَا تَعَدَّدَ فِي سَلْفِهِمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ  
 مِنْ لَدُنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُوسَى صَاحِبِ مِلَّتِهِمْ وَشَرِيْعَتِهِمْ ثُمَّ بِالْعَصَبِيَّةِ ثَانِيًا وَمَا

أَنَّهُمُ اللَّهُ بِهَا مِنَ الْمَلِكِ الَّذِي وَعَدَهُمْ بِهِ ثُمَّ اسْلَخُوا مِنْ ذَلِكَ أَجْمَعَ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ  
 الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَكُتِبَ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءُ فِي الْأَرْضِ وَأَنْفَرُوا بِالْإِسْتِعْبَادِ لِلْكَفَرِ  
 الْأَقَا مِنَ السِّنِينَ وَمَا زَالَ هَذَا أَلَوْ سَوَّاسٌ مُصَاحِبًا لَيْسَ فَعَدَّهُمْ يَقُولُونَ هَذَا هَارُونِي هَذَا  
 مِنْ نَسْلِ يُوْشَعَ هَذَا مِنْ عَقَبِ كَالِبِ هَذَا مِنْ سَيْطِ يَهُوذَا مَعَ ذَهَابِ الْعَصِيَّةِ وَرُسُوحِ الذَّلِّ  
 فِيهِمْ مِنْذُ أَحْقَابِ مَطَاوِلَةٍ وَكَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَغَيْرِهِمُ الْمُنْقَطِعِينَ فِي أَسَابِهِمْ  
 عَنِ الْعَصِيَّةِ يَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْهَدْيَانِ . وَقَدْ غَلَطَ أَبُو الْوَلِيدِ بْنِ رُشْدٍ فِي هَذَا لَمَّا ذَكَرَ  
 الْحَسَبَ فِي كِتَابِ الْخُطَابَةِ مِنْ تَلْخِصِ كِتَابِ الْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَالْحَسَبُ هُوَ أَنْ يَكُونَ مِنْ  
 قَوْمٍ قَدِيمٍ نَزَلَهُمْ بِالْمَدِينَةِ وَلَمْ يَتَعَرَّضْ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَلَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي يَنْفَعُهُ  
 قَدِيمُ نَزَلَهُمْ بِالْمَدِينَةِ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ عَصَابَةٌ يَرْهَبُ بِهَا جَانِبَهُ وَتَحْمِلُ غَيْرَهُمْ عَلَى الْقَبُولِ  
 مِنْهُ فَكَأَنَّهُ أَطْلَقَ الْحَسَبَ عَلَى تَعْدِيدِ الْأَبَاءِ فَقَطَّ مَعَ أَنَّ الْخُطَابَةَ إِنَّمَا هِيَ اسْتِمَالَةٌ مِنْ  
 بُوْنُرِ اسْتِمَالَتِهِ وَهِيَ أَهْلُ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ وَمَا مِنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ الْبَتَّةَ فَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلَا  
 يَقْدِرُ عَلَى اسْتِمَالَةِ أَحَدٍ وَلَا يَسْتِمَالُ هُوَ وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ مِنْ أَلْخَصْرِ يَهْدِيهِ الْمَثَابَةُ إِلَّا  
 أَنْ ابْنَ رُشْدٍ رَافِيَ فِي جَبَلٍ وَبَلَدٍ وَلَمْ يَمَارِسُوا الْعَصِيَّةَ وَلَا أَسُوا أَحْوَالَهَا فَبَقِيَ فِي أَمْرِ  
 الْبَيْتِ وَالْحَسَبِ عَلَى الْأَمْرِ الْمَشْهُورِ مِنْ تَعْدِيدِ الْأَبَاءِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَمْ يَرَأِ فِيهِ  
 حَقِيقَةَ الْعَصِيَّةِ وَسِرَّهَا فِي خَلْقِيَّةِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

### الفصل الرابع عشر

فِي إِنْ الْبَيْتِ وَالشَّرَفِ لِلْمَوَالِي وَاهْلِ الْأَصْطِنَاعِ إِنَّمَا هُوَ بِمَوَالِيهِمْ لَا بِأَسَابِهِمْ  
 وَذَلِكَ أَنَّ قَدَمَنَا أَنْ الشَّرَفَ بِالْأَصَالَةِ وَالْحَقِيقَةَ إِنَّمَا هُوَ لِأَهْلِ الْعَصِيَّةِ فَإِذَا أَصْطَنَعَ  
 أَهْلُ الْعَصِيَّةِ قَوْمًا مِنْ غَيْرِ نَسَبِهِمْ أَوْ اسْتَرْفُوا الْعِبْدَانَ وَالْمَوَالِيَّ وَأَتَّخَمُوا بِهِ كَمَا قُلْنَا  
 ضَرَبَ مَعَهُمْ أَوْلِيكَ الْمَوَالِيَّ وَالْمُصْطَنِعُونَ بِنَسَبِهِمْ فِي تِلْكَ الْعَصِيَّةِ وَلَيْسُوا جَلَدَتْهَا  
 كَانَهَا عَصَبَتَهُمْ وَحَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْإِنْتِظَامِ فِي الْعَصِيَّةِ مَسَاهِمَةٌ فِي نَسَبِهَا كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ  
 تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَسَوَاءٌ كَانَ مَوْلَى رِقٍّ أَوْ مَوْلَى أَصْطِنَاعٍ وَحَلْفٍ  
 وَلَيْسَ نَسَبٌ وَلَادَتِهِ يَنْفَعُ لَهُ فِي تِلْكَ الْعَصِيَّةِ إِذْ هِيَ مَبَايِنَةٌ لِذَلِكَ النَّسَبِ وَعَصِيَّةٌ ذَلِكَ  
 النَّسَبِ مَقْوودَةٌ لِذَهَابِ سِرِّهَا عِنْدَ اتِّخَامِ هَذَا النَّسَبِ الْآخَرَ وَفُقْدَانِهِ أَهْلَ عَصِيَّتِهَا  
 قَيْصِرُ مِنْ هَوْلَاءِ وَيَنْدَرُجُ فِيهِمْ فَإِذَا تَعَدَّدَتْ لَهُ الْأَبَاءُ فِي هَذِهِ الْعَصِيَّةِ كَانَ لَهُ يَنْبَغُ

شَرَفٌ وَبَيْتٌ عَلَى نَسَبِهِ فِي وِلَايَتِهِمْ وَأَصْطِنَاعِهِمْ لَا يَتَجَاوَزُهُ إِلَى شَرَفِهِمْ بَلْ يَكُونُ  
 آدُونَ مِنْهُمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَهَذَا شَأْنُ الْمَوَالِي فِي الدُّوَلِ وَالْخِدْمَةِ كُلِّهِمْ فَإِنَّهُمْ إِنَّمَا  
 يَشْرَفُونَ بِالرُّسُوخِ فِي وِلَايَةِ الدُّوَلَةِ وَخِدْمَتِهَا وَتَعَدُّ الْأَبَاءَ فِي وِلَايَتِهَا أَلَا تَرَى إِلَى مَوَالِي  
 الْأَنْزَاكِ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَإِلَى بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ قَبْلِهِمْ وَبَنِي نُوبَخْتٍ كَيْفَ أَدْرَكُوا  
 الْبَيْتَ وَالشَّرْفَ وَبَنُو الْعَجْدِ وَالْأَصَالَةَ بِالرُّسُوخِ فِي وِلَايَةِ الدُّوَلَةِ فَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى  
 بْنِ خَالِدٍ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ بَيْتًا وَشَرَفًا بِالْإِنْسَابِ إِلَى وِلَايَةِ الرَّشِيدِ وَقَوْمِهِ لَا بِالْإِنْسَابِ  
 فِي الْفَرَسِ وَكَذَا مَوَالِي كُلِّ دَوْلَةٍ وَخِدْمَتِهَا إِنَّمَا يَكُونُ لَهُمُ الْبَيْتُ وَالْحَسَبُ بِالرُّسُوخِ  
 فِي وِلَايَتِهَا وَالْأَصَالَةَ فِي أَصْطِنَاعِهَا وَيَضْمَحِلُّ نَسَبُهُ الْأَقْدَمُ مِنْ غَيْرِ نَسَبِهَا وَيَبْقَى مَعْنَى لَا  
 عِبْرَةَ بِهِ فِي أَصَالَتِهِ وَتَجْدِيدِهِ وَإِنَّمَا الْمَعْتَبَرُ نَسَبُهُ وَوِلَايَتُهُ وَأَصْطِنَاعُهُ إِذْ فِيهِ سِرُّ الْعَصِيَّةِ  
 الَّتِي بِهَا الْبَيْتُ وَالشَّرْفُ فَكَانَ شَرَفُهُ مُشْتَقًّا مِنْ شَرَفِ مَوَالِيهِ وَبِنَاؤُهُ مِنْ بِنَائِهِمْ فَلَمْ  
 يَنْفَعَهُ نَسَبُ وِلَادَتِهِ وَإِنَّمَا بَنَى تَجْدِيدَهُ نَسَبُ الْوِلَايَةِ فِي الدُّوَلَةِ وَلِحُكْمِ الْأَصْطِنَاعِ فِيهَا  
 وَالرَّبِّيَّةِ وَقَدْ يَكُونُ نَسَبُهُ الْأَوَّلُ فِي لِحْمَةِ عَصَبِيَّتِهِ وَدَوْلَتِهِ فَإِذَا ذَهَبَتْ وَصَارَ وِلَاؤُهُ  
 وَأَصْطِنَاعُهُ فِي أُخْرَى لَمْ تَنْفَعَهُ الْأَوَّلَى لِدَهَابِ عَصَبِيَّتِهَا وَانْتَفَعُ بِالثَّانِيَةِ لَوْجُودِهَا وَهَذَا  
 حَالُ بَنِي بَرْمَكٍ إِذِ الْمَنْقُولُ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْفَرَسِ مِنْ سَدَنَةِ نُيُوتِ النَّارِ عِنْدَهُمْ  
 وَلَمَّا صَارُوا إِلَى وِلَايَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ لَمْ يَكُنْ بِالْأَوَّلِ اعْتِبَارًا وَإِنَّمَا كَانَ شَرَفُهُمْ مِنْ حَيْثُ  
 وِلَايَتِهِمْ فِي الدُّوَلَةِ وَأَصْطِنَاعُهُمْ وَمَا سِوَى هَذَا قَوْمٌ نُوسُوسُ بِهِ النَّفْسُ الْجَانِحَةَ وَلَا  
 حَقِيقَةَ لَهُ وَالْوُجُودُ شَاهِدٌ بِمَا قُلْنَا وَإِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ

### الفصل الخامس عشر

في ان نهاية الحسب في العقب الواحد اربعة اباء

اعلم ان العالم العنصري بما فيه كائن فاسد لا من ذواته ولا من احواله  
 فالمكونات من المعادن والنبات وجميع الحيوانات الانسان وغيره كائنة فاسدة  
 بالمعابنة وكذلك ما يعرض لها من الاحوال وخصوصا الانسانية فالعلوم تنشأ  
 تدرس وكذا الصنائع وامثالها والحسب من العوارض التي تعرض للادميين فهو كائن  
 فاسد لا محالة وليس يوجد لاحد من اهل الخليفة شرف متصل في ابائه من لدن ادم  
 اليه الا ما كان من ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة به وحياطة على السر فيه

وَأَوَّلُ كُلِّ شَرَفٍ خَارِجِيَّةٌ كَمَا قِيلَ وَهِيَ الْخُرُوجُ عَنِ الرَّئِيسَةِ وَالشَّرَفِ إِلَى الضَّعْفِ  
 وَالْإِبْتِدَالِ وَعَدَمِ الْحَسَبِ وَمَعْنَاهُ أَنَّ كُلَّ شَرَفٍ وَحَسَبٍ فَعَدَمُهُ سَابِقٌ عَلَيْهِ شَأْنٌ كُلُّ  
 مُحَدَّثٍ ثُمَّ إِنَّ نَهَائِيَّتَهُ فِي أَرْبَعَةِ آبَاءٍ وَذَلِكَ أَنَّ بَابِي الْمُجْتَدِ عَالِمٌ بِمَا عَانَاهُ فِي بِنَائِهِ وَحَافِظٌ  
 عَلَى الْخِلَالِ الَّتِي هِيَ أَسْبَابُ كَوْنِهِ وَبِقَائِهِ وَأَبْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ مُبَاشِرٌ لِأَبِيهِ فَقَدْ سَمِعَ مِنْهُ ذَلِكَ  
 وَأَخَذَهُ عَنْهُ إِلَّا أَنَّهُ مُقْصِرٌ فِي ذَلِكَ تَقْصِيرَ السَّمِيعِ بِالشَّيْءِ عَنِ الْمَعَانِي لَهُ ثُمَّ إِذَا جَاءَ  
 الثَّلَاثُ كَانَ حَظُّهُ الْإِفْتِنَاءَ وَالتَّقْلِيدَ خَاصَّةً فَقَصَرَ عَنِ الْإِنْبَائِيِّ تَقْصِيرَ الْمُقَلِّدِ عَنِ الْمُجْتَدِ  
 ثُمَّ إِذَا جَاءَ الرَّابِعُ قَصَرَ عَنِ طَرِيقَتِهِمْ جُمْلَةً وَأَضَاعَ الْخِلَالَ الْحَافِظَةَ لِبِنَاءِ مُجَدِّهِمْ  
 وَأَحْتَقَرَهَا وَتَوَهَّمَ أَنَّ ذَلِكَ الْبَيَانُ لَمْ يَكُنْ بِمَعَانَاةٍ وَلَا تَكْلُفٍ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ وَجِبَ  
 لَهُمْ مِنْذُ أَوَّلِ النَّشْأَةِ بِمَجَرَّدِ انْتِسَابِهِمْ وَلَيْسَ بِعَصَابَةٍ وَلَا بِخِلَالٍ لِمَا يَرَى مِنَ الْعَجَلَةِ  
 بَيْنَ النَّاسِ وَلَا يَعْلَمُ كَيْفَ كَانَ حَدُوثُهَا وَلَا سَبَبُهَا وَيَتَوَهَّمُ أَنَّهُ النَّسَبُ فَقَطْ فَيَزْبَأُ بِنَفْسِهِ  
 عَنِ أَهْلِ عَصَبِيَّتِهِ وَيَرَى الْفَضْلَ لَهُ عَلَيْهِمْ وَثُوقًا بِمَا رَبِّي فِيهِ مِنْ اسْتِنْبَاعِهِمْ وَجَهْلًا بِمَا  
 أَوْجَبَ ذَلِكَ الْإِسْتِنْبَاعُ مِنَ الْخِلَالِ الَّتِي مِنْهَا التَّوَاضُعُ لَهُمْ وَالْإِخْتِاطُ بِجَمَاعِهِمْ فَلَوْ بِهِمْ  
 فَيَحْتَقِرُهُمْ بِذَلِكَ فَيَنْعَصُونَ عَلَيْهِ وَيَحْتَقِرُونَهُ وَيَدِيلُونَ مِنْهُ سِوَاهُ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمَنْبِتِ  
 وَمِنْ فُرُوعِهِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الْعَقَبِ لِإِلَّا دَعَانِ لِعَصَبِيَّتِهِمْ كَمَا قُلْنَا بَعْدَ الْوُثُوقِ بِمَا يَرْضُونَهُ  
 مِنْ خِلَالِهِ فَتَنْمُو فُرُوعٌ هَذَا وَتَدْوِي فُرُوعٌ الْأَوَّلُ وَيَنْهَدِمُ بِنَاءُ بَيْتِهِ هَذَا فِي الْمَلُوكِ  
 وَهَكَذَا فِي بِيُوتِ الْقَبَائِلِ وَالْأَمْرَاءِ وَأَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ أَجْمَعِ ثُمَّ فِي بِيُوتِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ  
 إِذَا انْحَطَّتْ بِيُوتُ نَشَأَتْ بِيُوتٌ أُخْرَى مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ إِنْ يَشَاءُ يَذْهَبُكُمْ وَيَأْتِ  
 بِمُخْلَقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ وَأَشْتَرَاطُ الْأَرْبَعَةِ فِي الْأَحْسَابِ إِنَّمَا هُوَ فِي  
 الْقَالِبِ وَالْإِفْقَدِ يَدْتَرُ الْبَيْتُ مِنْ دُونِ الْأَرْبَعَةِ وَيَبْلَاشِي وَيَنْهَدِمُ وَقَدْ يَتَّصِلُ أَمْرُهَا إِلَى  
 الْحَامِسِ وَالسَّادِسِ إِلَّا أَنَّهُ فِي انْحِطَاطِ وَذَهَابِ وَأَعْتَابِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ قَبْلِ الْأَجْيَالِ  
 الْأَرْبَعَةِ بَانَ وَمُبَاشِرٌ لَهُ وَمُقَلِّدٌ وَهَادِمٌ وَهُوَ أَقْلٌ مَا يُمْكِنُ وَقَدْ أَعْتَبَرْتَ الْأَرْبَعَةَ فِي  
 نَهَائِيَّةِ الْحَسَبِ فِي بَابِ الْمَدْحِ وَالثَّنَاءِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا الْكَرِيمُ ابْنُ  
 الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ ابْنُ الْكَرِيمِ يَوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ إِشَارَةً  
 إِلَى أَنَّهُ بَلَغَ الْعُلَايَةَ مِنَ الْمُجْتَدِ وَفِي التَّوْرَةِ مَا مَعْنَاهُ إِنَّ اللَّهَ رَبُّكَ طَائِقٌ غَيُورٌ مُطَالِبٌ  
 بِذُنُوبِ الْأَبَاءِ لِلْبَنِينَ عَلَى الثَّوَالِثِ وَالرَّوَابِعِ وَهَذَا يُدَلُّ عَلَى أَنَّ الْأَرْبَعَةَ الْأَعْقَابِ غَايَةٌ

فِي الْأَنْسَابِ وَالْحَسَبِ . وَفِي كِتَابِ الْأَغَانِي فِي أَخْبَارِ عَزِيفِ الْغَوَانِي أَنْ كَسِرَى قَالَ  
 لِلنُّعْمَانِ هَلْ فِي الْعَرَبِ قَبِيلَةٌ نَتَشَرَّفُ عَلَى قَبِيلَةٍ قَالَ نَعَمْ قَالَ يَا أَيُّ شَيْءٍ قَالَ مَنْ كَانَ لَهُ  
 ثَلَاثَةُ آبَاءٍ مُتَوَالِيَةً رُؤَسَاءَهُ ثُمَّ اتَّصَلَ ذَلِكَ بِكَمَالِ الرَّابِعِ فَأَلْبَيْتُ مِنْ قَبِيلَتِهِ وَطَلَبَ ذَلِكَ  
 فَلَمْ يَجِدْهُ إِلَّا فِي آلِ حَذِيفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ وَهُمْ بَيْتُ قَيْسٍ وَال ذِي الْجَدَيْنِ بَيْتُ  
 شَيْبَانَ وَالْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ كِنْدَةَ وَالْحَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ وَالْقَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ  
 الْمَنْقَرِيُّ مِنْ بَنِي قَيْمٍ جَمَعَ هَؤُلَاءِ الرَّهْطَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ عَشَائِرِهِمْ وَأَقْعَدَ لَهُمْ  
 الْحُكْمَ وَالْعَدُولَ فَقَامَ حَذِيفَةُ بْنُ بَدْرِ ثُمَّ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ لِقَرَابَتِهِ مِنَ النُّعْمَانِ ثُمَّ  
 بِسْطَامُ بْنُ قَيْسٍ بْنُ شَيْبَانَ ثُمَّ حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ ثُمَّ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ وَخَطَبُوا وَتَنَزَّهُوا فَقَالَ  
 كِسْرَى كُلُّهُمْ سَيِّدٌ يَصْلُحُ لِمَوْضِعِهِ وَكَانَتْ هَذِهِ الْبَيِّنَاتُ هِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي الْعَرَبِ  
 بَعْدَ بَنِي هَاشِمٍ وَمَعَهُمْ بَيْتُ بَنِي الذُّيَّانِ مِنْ بَنِي الْحَرْثِ بْنِ كَعْبِ الْيَمَنِيِّ وَهَذَا كُلُّهُ يَدُلُّ  
 عَلَى أَنَّ الْأَزْبَعَةَ الْآبَاءَ نِهَآيَةَ فِي الْحَسَبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل السادس عشر

في ان الام الوحشية اقدر على التغلب من سواها

اعلم انه لما كانت البداوة سببا في الشجاعة كما قلنا في المقدمة الثالثة لا  
 جرم كان هذا الجليل الوحشي اشد شجاعة من الجليل الاخر فهم اقدر على التغلب  
 وانتزاع ما في ايدي سواهم من الأمم بل الجليل الواحد يختلف احواله في ذلك  
 باختلاف الأعصار فكلما تزولوا الأرياف وتفنقوا النعيم والفوا عوائد الخصب في  
 المعاش والنعيم نقص من شجاعتهم بمقدار ما نقص من توحشهم وبدونهم واعتبر  
 ذلك في الحيوانات العجم بدواجن الطيباء والبقر الوحشية والحمر إذا زال توحشها  
 بمخالطة الأدميين وأخصب عيشها كيف يختلف حالها في الانتهاض والشدّة حتى في  
 مشيتها وحسن أدبها وكذلك الأدمي المتوحش إذا انس وألف وسببه أن تكون  
 السجاياء والطباع إنما هو عن المألوفات والعوائد وإذا كان القلب للأدمي إنما يكون  
 بالأقدام والبسالة فمن كان من هذه الأجيال أعزق في البداوة وأكثر توحشا  
 كان أقرب إلى التغلب على سواه إذا تقاربا في العدد وتكافأا في القوة العصبية وانظر  
 في ذلك شأن مضر مع من قبلهم من حمير وكهلان السابقين إلى الملك والنعيم ومع

رَبِيعَةَ الْمُتَوَطِّنِينَ أَرْيَافَ الْعِرَاقِ وَنَعِيمِهِ لَمَّا بَقِيَ مُضَرٌّ فِي بَدَاوَتِهِمْ وَتَقَدَّمَهُمُ الْآخَرُونَ  
إِلَى خَسْبِ الْعَيْشِ وَغَضَارَةِ النَّعِيمِ كَيْفَ أَرْهَفَتْ الْبِدَاوَةُ حَدَمَهُمْ فِي التَّغْلِبِ فَغَلَبُوهُمْ عَلَى  
مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَأَنْزَعُوهُ مِنْهُمْ وَهَذَا حَالُ بَنِي طِيٍّ وَبَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ وَبَنِي سُلَيْمِ  
بْنِ مَنصُورٍ وَمَنْ بَعَدَهُمْ لَمَّا تَأَخَّرُوا فِي بَادِيَتِهِمْ عَنْ سَائِرِ قَبَائِلِ مُضَرَ وَالْيَمَنِ وَلَمْ يَتَلَبَّسُوا  
بِشَيْءٍ مِنْ دُنْيَائِهِمْ كَيْفَ أَمْسَكَتْ حَالُ الْبِدَاوَةِ عَلَيْهِمْ قُوَّةَ عَصَبِيَّتِهِمْ وَلَمْ تَخْلِفْهَا مَذَاهِبُ  
الْتَّرَفِ حَتَّى صَارُوا أَغْلَبَ عَلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ وَكَذَا كُلُّ حَيٍّ مِنَ الْعَرَبِ بِلِي نَعِيًا وَعَيْشًا  
خَصَبًا دُونَ الْحَيِّ الْآخَرِ فَإِنَّ الْحَيَّ الْمُبْتَدِيَءَ يَكُونُ أَغْلَبَ لَهُ وَأَقْدَرَ عَلَيْهِ إِذَا تَكَافَأَا  
فِي الْقُوَّةِ وَالْعَدَدِ سَنَةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ

### الفصل السابع عشر

في ان الغاية التي تجري اليها العصبية هي الملك

وَذَلِكَ لِأَنَّ قَدَمَنَا أَنَّ الْعَصَبِيَّةَ بِهَا تَكُونُ الْحِمَايَةَ وَالْمُدَافَعَةَ وَالْمُطَالَبَةَ وَكُلُّ أَمْرٍ  
يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ وَقَدَمْنَا أَنَّ الْأَدَمِيِّينَ بِالطَّبِيعَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ يَحْتَاجُونَ فِي كُلِّ أَجْتِمَاعٍ إِلَى  
وِازِعٍ وَحَاكِمٍ يَزَعُ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ فَلَا يَدَّ أَنْ يَكُونَ مُتَغَلِّبًا عَلَيْهِمْ بِتِلْكَ الْعَصَبِيَّةِ  
وَالْأَلَمُ نَتَمَّ قُدْرَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا التَّغْلِبُ هُوَ الْمَلِكُ وَهُوَ أَمْرٌ زَائِدٌ عَلَى الرَّئِيسَةِ لِأَنَّ  
الرَّئِيسَةَ إِنَّمَا هِيَ سُودْدٌ وَصَاحِبُهَا مُتَبَوِّعٌ وَلَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ قَهْرٌ فِي أَحْكَامِهِ وَأَمَّا الْمَلِكُ  
فَهُوَ التَّغْلِبُ وَالْحُكْمُ بِالْقَهْرِ وَصَاحِبُهَا مُتَبَوِّعٌ وَلَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ قَهْرٌ فِي أَحْكَامِهِ وَأَمَّا  
الْمَلِكُ فَهُوَ التَّغْلِبُ وَالْحُكْمُ بِالْقَهْرِ وَصَاحِبُ الْعَصَبِيَّةِ إِذَا بَلَغَ إِلَى رُتْبَةِ طَلَبٍ مَا فَوْقَهَا  
فَإِذَا بَلَغَ رُتْبَةَ السُّودْدِ وَالْإِتْبَاعِ وَوَجَدَ السَّبِيلَ إِلَى التَّغْلِبِ وَالْقَهْرِ لَا يَتْرُكُهُ لِأَنَّهُ  
مَطْلُوبٌ لِلنَّفْسِ وَلَا يَتِمُّ أَقْدَارُهَا عَلَيْهِ إِلَّا بِالْعَصَبِيَّةِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا مُتَبَوِّعًا فَالتَّغْلِبُ الْمَلِكِيُّ  
غَايَةُ الْعَصَبِيَّةِ كَمَا رَأَيْتُمْ أَنَّ الْقَبِيلَ الْوَاحِدَ وَإِنْ كَانَتْ فِيهِ بِيُوتَاتٌ مُفْتَرِقَةٌ وَعَصَبِيَّاتٌ  
مُعَدَّةٌ فَلَا يَدَّ مِنْ عَصَبِيَّةٍ تَكُونُ أَقْوَى مِنْ جَمِيعِهَا تَغْلِبُهَا وَتَسْتَنْبِعُهَا وَتَلْتَمِحُ جَمِيعَ الْعَصَبِيَّاتِ  
فِيهَا وَتَصْبِرُ كَأَنَّهَا عَصَبِيَّةٌ وَاحِدَةٌ كَبْرَى وَإِلَّا وَقَعَ الْإِفْتِرَاقُ الْمُفْضِي إِلَى الْإِخْتِلَافِ  
وَالْتَنَازُعِ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ثُمَّ إِذَا حَصَلَ التَّغْلِبُ  
بِتِلْكَ الْعَصَبِيَّةِ عَلَى قَوْمِهَا طَلَبَتْ بِطَبْعِهَا التَّغْلِبَ عَلَى أَهْلِ عَصَبِيَّةٍ أُخْرَى بَعِيدَةٍ عَنْهَا فَإِنْ  
كَافَأَتْهَا أَوْ مَانَعَتْهَا كَانُوا أَقْتَالًا وَأَنْظَارًا وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا التَّغْلِبُ عَلَى حَوَازِنِهَا

وَقَوْمَهَا شَانَ الْقَبَائِلِ وَالْأُمَمِ الْمَفْتَرِقَةِ فِي الْعَالَمِ وَإِنْ غَلَبَتْهَا وَأَسْتَبَعَتْهَا فَتَحَمَّتْ بِهَا أَيْضًا  
 وَزَادَتْ قُوَّةً فِي التَّغَلُّبِ إِلَى قُوَّتِهَا وَطَلَبَتْ غَايَةَ مِنَ التَّغَلُّبِ وَالتَّحْكُمِ أَعْلَى مِنَ الْغَايَةِ  
 الْأُولَى وَابْعَدَ وَهَكَذَا دَائِمًا حَتَّى تُكْفَى بِقُوَّتِهَا قُوَّةَ الدَّوْلَةِ فِي هَرَمِهَا وَلَمْ يَكُنْ لَهَا  
 مُمَانِعٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ أَهْلُ الْعَصَبِيَّاتِ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا وَانْتَزَعَتْ الْأَمْرَ مِنْ يَدِهَا وَصَارَ  
 الْمَلِكُ أَجْمَعٌ لَهَا وَإِنْ أَنْهَتْ قُوَّتُهَا وَلَمْ يَقْرَنْ ذَلِكَ هَرَمُ الدَّوْلَةِ وَإِنَّمَا قَارَنَ حَاجَتَهَا  
 إِلَى الْأَسْتِظْهَارِ بِأَهْلِ الْعَصَبِيَّاتِ انْتِظَمَتْهَا الدَّوْلَةُ فِي أَوْلِيَائِهَا اسْتِظْهَرُ بِهَا عَلَى مَا بَعْنَ مِنْ  
 مَقَاصِرِهَا وَذَلِكَ مَلِكٌ آخَرُ دُونَ الْمَلِكِ الْمُسْتَبِدِّ وَهُوَ كَمَا وَقَعَ لِلتُّرْكِ فِي دَوْلَةِ بَنِي  
 الْعَبَّاسِ وَاصْنَهَا جَهَّ وَزَنَانَةٌ مَعَ كِتَابَةِ وَلِبنِي حَمْدَانَ مَعَ مُلُوكِ الشَّيْبَعَةِ مِنَ الْعُلُوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ  
 فَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ الْمَلِكَ هُوَ غَايَةُ الْعَصِيَّةِ وَأَنَّهَا إِذَا بَلَغَتْ إِلَى غَايَتِهَا حَصَلَ لِلْقَبِيلَةِ الْمَلِكُ  
 إِمَّا بِالْأَسْتِظْهَارِ أَوْ بِالْمُظَاهَرَةِ عَلَى حَسَبِ مَا يَسَعُهُ الْوَقْتُ الْمُقَارِنُ لِذَلِكَ وَإِنْ عَاقَبَهُ  
 عَنْ بُلُوغِ الْغَايَةِ عَوَائِقُ كَمَا نَبَّيْنَهُ وَقَفَتْ فِي مَقَامِهَا إِلَى أَنْ يَقْضِي اللَّهُ بِأَمْرِهِ

### الفصل الثامن عشر

في ان من عوائق الملك حصول الترف وانغاس القبيل في النعيم

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْقَبِيلَ إِذَا غَلَبَتْ بِعَصَبِيَّتِهَا بَعْضَ الْغَلَبِ اسْتَوْلَتْ عَلَى النِّعْمَةِ بِمِقْدَارِهِ  
 وَشَارَكَتْ أَهْلَ النِّعَمِ وَالْخِصْبِ فِي نِعْمَتِهِمْ وَخِصْبِهِمْ وَضَرَبَتْ مَعَهُمْ فِي ذَلِكَ بِسَهْمٍ وَحِصَّةٍ  
 بِمِقْدَارِ غَلَبِهَا وَاسْتِظْهَارِ الدَّوْلَةِ بِهَا فَإِنْ كَانَتِ الدَّوْلَةُ مِنَ الْقُوَّةِ بِحَيْثُ لَا يَطْمَعُ أَحَدٌ  
 فِي انْتِزَاعِ أَمْرِهَا وَلَا مِشَارَكَتِهَا فِيهِ أَذَعْنَ ذَلِكَ الْقَبِيلَ لَوْلَايَتِهَا وَالْقَنُوعَ بِمَا يَسُوعُونَ  
 مِنْ نِعْمَتِهَا وَيُسْرَ كُونَ فِيهِ مِنْ جَبَابَتِهَا وَلَمْ تَسْمُ أَمَالَهُمْ إِلَى شَيْءٍ مِنْ مَنَازِعِ الْمَلِكِ وَلَا  
 اسْبَابِهِ إِنَّمَا هَمَّتْهُمْ النِّعَمُ وَالْكَسْبُ وَخِصْبُ الْعَيْشِ وَالسُّكُونُ فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ إِلَى  
 الدَّيَّةِ وَالرَّاحَةِ وَالْأَخْذِ بِمَذَاهِبِ الْمَلِكِ فِي الْمَبَانِي وَالْمَلَايسِ وَالْأَسْتِكْثَارِ مِنْ ذَلِكَ  
 وَالتَّنَاقُ فِيهِ بِمِقْدَارِ مَا حَصَلَ مِنَ الرِّيَاشِ وَالتَّرْفِ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ تَوَابِعِ ذَلِكَ فَتَذْهَبُ  
 خَشُونَةُ الْبِدَاوَةِ وَتَضَعُفُ الْعَصَبِيَّةُ وَالْبَسَالَةُ وَيَتَنَعَّمُونَ فِيمَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنَ الْبَسْطَةِ وَتَنْشَأُ  
 بَنُوهُمْ وَأَعْقَابُهُمْ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مِنَ التَّرَفِ عَنْ خِدْمَةِ أَنْفُسِهِمْ وَوِلَايَةِ حَاجَاتِهِمْ  
 وَيَسْتَنَكِفُونَ عَنْ سَائِرِ الْأُمُورِ الضَّرُورِيَّةِ فِي الْعَصَبِيَّةِ حَتَّى يَصِيرَ ذَلِكَ خُلُقًا لَهُمْ  
 وَسَجِيَّةً فَتَنْقُصُ عَصَبِيَّتَهُمْ وَبَسَالَتَهُمْ فِي الْأَجْيَالِ بَعْدَهُمْ بِتَعَاقُبِهَا إِلَى أَنْ تَنْقَرُضَ الْعَصَبِيَّةُ

فِيَا ذُنُونِ بِالْأَنْقِرَاضِ وَعَلَى قَدَرٍ تَرَفِيهِمْ وَنِعْمَتِهِمْ يَكُونُ إِشْرَافُهُمْ عَلَى الْفَنَاءِ فَضْلًا عَنْ الْمَلِكِ فَإِنَّ عَوَارِضَ التَّرَفِ وَالْفَرَقِ فِي النِّعَمِ كَأَسْرَمٍ مِنْ سَوْرَةِ الْعَصِيَّةِ الَّتِي بِهَا التَّغْلِبُ وَإِذَا أَنْقَرَضَتْ الْعَصِيَّةُ فَصَرَ الْقَبِيلُ عَنِ الْمُدَافَعَةِ وَالْحِمَايَةِ فَضْلًا عَنِ الْمَطْلَبَةِ وَالنِّعْمَتِ الْأَمِّ سِوَاهُمْ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ التَّرَفَ مِنْ عَوَاقِقِ الْمَلِكِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ

### الفصل التاسع عشر

في ان من عوائق الملك المذلة للقبيل والانتقياذ الى سواهم

وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَذَلَّةَ وَالْإِنْتِقِيَادَ كَأَسْرَمٍ لِسَوْرَةِ الْعَصِيَّةِ وَشِدَّتِهَا فَإِنَّ أَنْقِيَادَهُمْ وَمَذَلَّتَهُمْ دَلِيلٌ عَلَى فِدَائِنِهَا فَمَا رَأَوْا لِلْمَذَلَّةِ حَتَّى عَجَزُوا عَنِ الْمُدَافَعَةِ فَأَوْلَى أَنْ يَكُونَ عَاجِزًا عَنِ الْمَقَاوِمَةِ وَالْمَطْلَبَةِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا دَعَاهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مَلِكِ الشَّامِ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ لَهُمْ مَلَكَهَا كَيْفَ عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ وَقَالُوا إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا أَيْ يَخْرُجَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهَا بِضَرْبٍ مِنْ قُدْرَتِهِ غَيْرَ عَصِيئِينَ وَتَكُونُ مِنْ مُعْجِزَاتِكَ يَا مُوسَى وَلَمَّا عَزَمَ عَلَيْهِمْ جُؤَاوَارُنُكُجُوا الْعِصْيَانَ وَقَالُوا لَهُ أَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَقَاتَلَا وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا أَسْوَأَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعِجْزِ عَنِ الْمَقَاوِمَةِ وَالْمَطْلَبَةِ كَمَا تَقْتَضِيهِ الْآيَةُ وَمَا يُؤْتِرُ فِي تَفْسِيرِهَا وَذَلِكَ بِمَا حَصَلَ فِيهِمْ مِنْ خَلْقِ الْإِنْتِقِيَادِ وَمَا رَأَوْا مِنَ الذُّلِّ الْقَبْطِ أَحْقَابًا حَتَّى ذَهَبَتِ الْعَصِيَّةُ مِنْهُمْ جُمْلَةً مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا حَقَّ الْإِيمَانِ بِمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مُوسَى مِنْ أَنَّ الشَّامَ لَهُمْ وَأَنَّ الْعِمَالِقَةَ الَّذِينَ كَانُوا بِأَرِيحَا فَرِيستَهُمْ بِحُكْمٍ مِنَ اللَّهِ قُدْرَةً لَهُمْ فَاقْصَرُوا عَنْ ذَلِكَ وَعَجَزُوا تَعْوِيلًا عَلَى مَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعِجْزِ عَنِ الْمَطْلَبَةِ لَمَّا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ خَلْقِ الْمَذَلَّةِ وَطَعَنُوا فِيهَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ نَبِيِّهِمْ مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِالتَّيِّبِ وَهُوَ أَنَّهُمْ تَاهَوْا فِي قَفْرِ مِنَ الْأَرْضِ مَا بَيْنَ الشَّامِ وَمِصْرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً لَمْ يَأْوُوا فِيهَا الْعُمَرَانَ وَلَا نَزَلُوا مِصْرًا وَلَا خَالَطُوا بَشَرًا كَمَا فَصَّهَ الْقُرْآنُ غِلْظَةَ الْعِمَالِقَةَ بِالشَّامِ وَالْقَبْطِ بِمِصْرَ عَلَيْهِمُ الْعِجْزُ عَنْ مَقَاوِمَتِهِمْ كَمَا زَعَمُوهُ وَيُظْهِرُ مِنْ مَسَاقِ الْآيَةِ وَمَقْهُومِهَا أَنَّ حِكْمَةَ ذَلِكَ الَّتِي مَقْصُودَةٌ وَهِيَ فَنَاءُ الْجِيلِ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ قَبْضَةِ الذُّلِّ وَالْقَهْرِ وَالْقُوَّةِ وَتَخَلَّفُوا بِهِ وَأَفْسَدُوا مِنْ عَصِيئَتِهِمْ حَتَّى نَشَأَ فِي ذَلِكَ الَّتِي جِيلٌ آخَرَ عَزِيزٌ لَا يَعْرِفُ الْأَحْكَامَ وَالْقَهْرَ وَلَا يُسَامُ بِالْمَذَلَّةِ فَنَشَأَتْ بِذَلِكَ عَصِيَّةٌ آخَرَى أَقْتَدَرُوا بِهَا

عَلَى الْمُطَالِبَةِ وَالْتِغْلِبِ وَيَظْهَرُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْأَرَبِينَ سَنَةَ أَقَلِّ مَا يَأْتِي فِيهَا فَنَاهُ  
جَيْلَ وَنَشَأَهُ جَيْلَ آخَرَ سُبْحَانَ الْحَكِيمِ الْعَلِيمِ وَفِي هَذَا أَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَى شَأْنِ الْعَصَبِيَّةِ  
وَأَنَّهَا هِيَ الَّتِي تَكُونُ بِهَا الْمُدَافَعَةُ وَالْمَقَاوِمَةُ وَالْحِمَايَةُ وَالْمُطَالِبَةُ وَأَنَّ مِنْ فَقْدِهَا عِزَّ  
عَنْ جَمِيعِ ذَلِكَ كُلِّهِ وَيُلْحَقُ بِهَذَا الْفَصْلِ فِيمَا يُوجِبُ الْمَدْلَةَ لِلْقَبِيلِ شَأْنُ الْمَغَارِمِ  
وَالضَّرَائِبِ فَإِنَّ الْقَبِيلَ الْعَارِمِينَ مَا أَعْطُوا الْيَدَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى رَضُوا بِالْمَدْلَةِ فِيهِ لِأَنَّ  
فِي الْمَغَارِمِ وَالضَّرَائِبِ ضِيًّا وَمَدْلَةً لَا تَحْتَمِلُهَا النَّفْسُ الْإِيَّاهُ إِلَّا إِذَا اسْتَهْوَتْهُ عَنْ الْقَتْلِ  
وَالتَّلْفِ وَأَنَّ عَصَابَتَهُمْ حِينَئِذٍ ضَعِيفَةٌ عَنِ الْمُدَافَعَةِ وَالْحِمَايَةِ وَمَنْ كَانَتْ عَصَابَتُهُ لَا  
تَدْفَعُ عَنْهُ الضَّمِيمَ فَكَيْفَ لَهُ بِالْمَقَاوِمَةِ وَالْمُطَالِبَةِ وَقَدْ حَصَلَ لَهُ الْإِتْقَادُ لِلذُّلِّ وَالْمَدْلَةِ  
عَائِقَةٌ كَمَا قَدَّمَاهُ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنُ الْحَرْثِ لَمَّا رَأَى سِكَّةَ  
الْمَحْرَثِ فِي بَعْضِ دُورِ الْأَنْصَارِ مَا دَخَلَتْ هُدَيْهِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهُمُ الذُّلُّ فَهُوَ دَلِيلٌ  
صَرِيحٌ عَلَى أَنَّ الْمَعْرَمَ مُوجِبٌ لِلذُّلَّةِ هَذَا إِلَى مَا يَصْحَبُ ذُلَّ الْمَغَارِمِ مِنْ خُلُقِ الْمَكْرُ  
وَالْخُدَيْعَةِ بِسَبَبِ مَلَكَةِ الْقَهْرِ فَإِذَا رَأَيْتَ الْقَبِيلَ بِالْمَغَارِمِ فِي رِبْقَةٍ مِنَ الذُّلِّ فَلَا  
تَطْمَعَنَّ لَهَا بِمُلْكٍ آخَرَ الدَّهْرِ وَمِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ لَكَ غَلْطُ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ زَنَانَةَ بِالْمَغْرِبِ  
كَانُوا شَاوِيَةً يُودُونَ الْمَغَارِمَ لِمَنْ كَانَ عَلَى عَهْدِهِمْ مِنَ الْمُلُوكِ وَهُوَ غَاظٌ فَاحِشٌ كَمَا  
رَأَيْتَ إِذْ لَوْ وَقَعَ ذَلِكَ لَمَّا اسْتَتَبَ لَهُمْ مَلِكٌ وَلَا تَمَّتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ وَأَنْظُرْ فِيمَا قَالَهُ شَهْرُ بَرَّازٍ  
مَلِكُ الْبَابِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ رَبِيعَةَ لَمَّا أَطَّلَّ عَلَيْهِ وَسَأَلَ شَهْرُ بَرَّازٍ أَمَانَهُ عَلَى أَنْ  
يَكُونَ لَهُ فَقَالَ أَنَا الْيَوْمَ مِنْكُمْ يَدِي فِي أَيْدِيكُمْ وَصَعْرِي مَعَكُمْ فَمَرَحَبًا بِكُمْ وَبَارِكْ  
اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ وَجَزَيْتُنَا إِلَيْكُمْ النَّصْرُ لَكُمْ وَالْقِيَامُ بِمَا تُحِبُّونَ وَلَا نُدَلُّونَا بِالْحِزْبِيَّةِ فَتَوْهُونَا  
لِعَدُوِّكُمْ فَأَعْتَبِرْ هَذَا فِيمَا قَدَّمَاهُ فَإِنَّهُ كَافٍ

### الفصل العشرون

في ان من علامات الملك التنافس في الخلال الحميدة وبالعكس

لَمَّا كَانَ الْمَلِكُ طَبِيعِيًّا لِلْإِنْسَانِ لِمَا فِيهِ مِنْ طَبِيعَةِ الْإِجْتِمَاعِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَكَانَ  
الْإِنْسَانُ أَقْرَبَ إِلَى خِلَالِ الْخَيْرِ مِنْ خِلَالِ الشَّرِّ بِأَصْلِ فِطْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ النَّاطِقَةِ الْعَاقِلَةِ  
لِأَنَّ الشَّرَّ إِنَّمَا جَاءَهُ مِنْ قِبَلِ الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةِ الَّتِي فِيهِ وَأَمَّا مِنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ فَهُوَ  
إِلَى الْخَيْرِ وَخِلَالِهِ أَقْرَبُ وَالْمَلِكُ وَالسِّيَاسَةُ إِنَّمَا كَانَا لَهُ مِنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ لِأَنَّهُمَا

لِلْإِنْسَانِ خَاصَّةً لَا لِلْحَيَوَانَ فَإِذَا خَلَالَ الْخَيْرُ فِيهِ هِيَ الَّتِي تَنْسَبُ السِّيَاسَةَ وَالْمُلْكَ إِذَا  
الْخَيْرُ هُوَ الْمُنَاسِبُ لِلْسِّيَاسَةِ وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْمَجْدَ لَهُ أَصْلٌ مِنْ بِنَى عَلَيْهِ وَاتَّحَقَّقَ بِهِ  
حَقِيقَتُهُ وَهُوَ الْعَصِيَّةُ وَالْعَشِيرُ وَفَرَعٌ يَتِمُّمْ وَجُودَهُ وَيَكْمَلُهُ وَهُوَ الْخِلَالُ وَإِذَا كَانَ  
الْمُلْكُ غَايَةً لِلْعَصِيَّةِ فَهُوَ غَايَةُ فِرْعَوْنِهَا وَمَتَمِّمَاتِهَا وَهِيَ الْخِلَالُ لِأَنَّ وَجُودَهُ دُونَ مَتَمِّمَاتِهِ  
كَوَجُودِ شَخْصٍ مَقْطُوعِ الْأَعْضَاءِ أَوْ ظُهُورِهِ عُرْيَانًا بَيْنَ النَّاسِ وَإِذَا كَانَ وَجُودُ الْعَصِيَّةِ  
فَقَطُّ مِنْ غَيْرِ انْتَهَى الْخِلَالُ الْحَمِيدَةَ نَقَصًا فِي أَهْلِ الْبُيُوتِ وَالْأَحْسَابِ فَمَا ظَنُّكَ  
بِأَهْلِ الْمُلْكِ الَّذِي هُوَ غَايَةُ لِكُلِّ مَجْدٍ وَنَهَايَةُ لِكُلِّ حَسَبٍ وَأَيْضًا فَالسِّيَاسَةَ وَالْمُلْكَ  
هِيَ كِفَالَةُ الْخَلْقِ وَخِلَافَةُ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ لِتَنْفِيذِ أَحْكَامِهِ فِيهِمْ وَأَحْكَامُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ  
وَعِبَادِهِ إِنَّمَا هِيَ بِالْخَيْرِ وَمُرَاعَاةِ الْمَصَالِحِ كَمَا تَشْهَدُ بِهِ الشَّرَائِعُ وَأَحْكَامُ الْبَشَرِ إِنَّمَا  
هِيَ مِنَ الْجَهْلِ وَالشَّيْطَانِ بِخِلَافِ قُدْرَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَقُدْرِهِ فَإِنَّهُ فَاعِلٌ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ مَعًا  
وَمُقَدِّرُهُمَا إِذْ لَا فَاعِلَ سِوَاهُ فَمَنْ حَصَلَتْ لَهُ الْعَصِيَّةُ الْكُفَيْلَةُ بِالْقُدْرَةِ وَأُوَسِّتَ مِنْهُ  
خِلَالَ الْخَيْرِ الْمُنَاسِبَةِ لِتَنْفِيذِ أَحْكَامِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ فَقَدْ تَهَيَّأَ لِلْخِلَافَةِ فِي الْعِبَادِ وَكِفَالَةِ  
الْخَلْقِ وَوُجِدَتْ فِيهِ الصَّلَاحَةُ لِذَلِكَ وَهَذَا الْبُرْهَانُ أَوْثَقُ مِنَ الْأَوَّلِ وَأَصَحُّ مِنْهُ فَقَدْ  
تَبَيَّنَ أَنَّ خِلَالَ الْخَيْرِ شَاهِدَةٌ بِوَجُودِ الْمُلْكِ لِمَنْ وَجِدَتْ لَهُ الْعَصِيَّةُ فَإِذَا نَظَرْنَا فِي  
أَهْلِ الْعَصِيَّةِ وَمَنْ حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الْغَلْبِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّوَاحِي وَالْأُمَمِ فَوَجَدْنَاهُمْ  
يَتَنَافَسُونَ فِي الْخَيْرِ وَخِلَالِهِ مِنَ الْبُكْرَمِ وَالْعَفْوِ عَنِ الزَّلَّاتِ وَالْإِحْتِمَالِ مِنْ غَيْرِ الْقَادِرِ  
وَالْفَرَى لِلضُّيُوفِ وَحَمَلِ الْكُلِّ وَكَسْبِ الْمُعْدِمِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ  
وَبَدَلِ الْأَمْوَالِ فِي صَوْنِ الْأَعْرَاضِ وَتَعْظِيمِ الشَّرِيعَةِ وَإِجْلَالِ الْعُلَمَاءِ الْخَامِلِينَ لَهَا  
وَالْوُقُوفِ عِنْدَ مَا يَحْدِدُونَهُ لَهُمْ مِنْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكٍ وَحَسَنِ الظَّنِّ بِهِمْ وَأَعْتِقَادِ أَهْلِ الدِّينِ  
وَالتَّبَرُّكِ بِهِمْ وَرَغْبَةِ الدُّعَاءِ مِنْهُمْ وَالْحَيَاءِ مِنَ الْأَكْبَارِ وَالْمَسَائِحِ وَتَوْقِيرِهِمْ وَإِجْلَالِهِمْ  
وَالْإِنْقِيَادَ إِلَى الْحَقِّ مَعَ الدَّاعِي إِلَيْهِ وَإِنصَافِ الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَالتَّبَدُّلِ فِي  
أَحْوَالِهِمْ وَالْإِنْقِيَادَ لِلْحَقِّ وَالنَّوَاضِعِ لِلْمَسْكِينِ وَاسْتِمَاعِ شِكْوَى الْمُسْتَعِثِّينَ وَالتَّوَدُّدِ  
بِالشَّرَائِعِ وَالْعِبَادَاتِ وَالْقِيَامِ عَلَيْهَا وَعَلَى أَسْبَابِهَا وَالتَّجَافِي عَنِ الْغَدْرِ وَالْمَكْرِ وَالْخُدَيْعَةِ  
وَنَقْضِ الْعَهْدِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ عَلِمْنَا أَنَّ هَذِهِ خُلِقَ السِّيَاسَةَ قَدْ حَصَلَتْ لَدَيْهِمْ وَاسْتَحَقُّوا بِهَا  
أَنْ يَكُونُوا سَاسَةً لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ أَوْ عَلَى الْعُمُومِ وَأَنَّهُ خَيْرٌ سَاقَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِمْ

مَنَاسِبَ لِعَصَبِيَّتِهِمْ وَعَلَيْهِمْ وَلَيْسَ ذَلِكَ سُدَى فِيهِمْ وَلَا وَجِدَ عَيْشًا مِنْهُمْ وَالْمَلِكُ أُنْسَبُ  
 الْمَرَاتِبِ وَالْخَيْرَاتِ لِعَصَبِيَّتِهِمْ فَعَلِمْنَا بِذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَأْذَنَ لَهُمْ بِالْمَلِكِ وَسَاقَةَ إِلَيْهِمْ  
 وَبِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ إِذَا تَأْذَنَ اللَّهُ بِإِنْقِرَاضِ الْمَلِكِ مِنْ أُمَّةٍ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ يَكْبَلَ  
 الْمَدْمُومَاتِ وَالْفِتَالِ الرَّذَائِلِ وَسُلُوكِ طُرُقِهَا فَتَفْقِدُ الْفُضَائِلَ السِّيَاسِيَّةَ مِنْهُمْ جُمْلَةً وَلَا  
 تَزَالُ فِي انْتِقَاصِ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الْمَلِكُ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَيَتَبَدَّلَ بِهِ سِوَاهُمْ لِيَكُونَ نَعِيماً  
 عَلَيْهِمْ فِي سَلْبِ مَا كَانَ اللَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ مِنَ الْمَلِكِ وَجَعَلَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَإِذَا  
 أَرَدْنَا أَنْ نُهَيِّئَ قَرْيَةً أَمْرًا مَرْتَفِعًا فِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا حَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَا هَا تَدْمِيرًا وَاسْتَقْرَى  
 ذَلِكَ وَتَبَعَهُ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةَ تَحْدٌ كَثِيرًا مِمَّا قُلْنَاهُ وَرَسَمْنَاهُ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ  
 وَعَلِمْنَا أَنَّ مِنْ خِلَالِ الْكَمَالِ الَّتِي يَتَنَافَسُ فِيهَا الْقَبَائِلُ الْوَالْعَصَبِيَّةِ وَتَكُونُ شَاهِدَةً  
 لَهُمْ بِالْمَلِكِ إِكْرَامِ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْأَشْرَافِ وَأَهْلِ الْأَحْسَابِ وَأَصْنَافِ التِّجَارِ  
 وَالْعُرْبَاءِ وَإِنْزَالِ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ إِكْرَامَ الْقَبَائِلِ وَأَهْلِ الْعَصَبِيَّاتِ وَالْعَشَائِرِ  
 لِيَمُنَّ بِنَاهِضِهِمْ فِي الشَّرَفِ وَيَجَادِبَهُمْ حَبْلَ الْعَشِيرِ وَالْعَصَبِيَّةِ وَيُشَارِكُهُمْ فِي اتِّسَاعِ  
 الْجَاهِ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ يَحْمِلُ عَلَيْهِ فِي الْأَكْثَرِ الرِّغْبَةَ فِي الْجَاهِ أَوْ الْخِيفَةَ مِنْ قَوْمِ  
 الْمُكْرَمِ أَوْ النَّاسِ مِثْلَهَا مِنْهُ وَأَمَّا أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُمْ عَصَبِيَّةٌ نَتَقَى وَلَا جَاهٌ  
 يُرْتَجَى فَيَنْدَفِعُ الشُّكُّ فِي شَأْنِ كِرَامَتِهِمْ وَيَتَحَصَّصُ الْقَصْدُ فِيهِمْ أَنَّهُ لِلتَّجْدِ وَالْفِتَالِ  
 الْكَمَالِ فِي الْخِلَالِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى السِّيَاسَةِ بِالْكُلِّيَّةِ لِأَنَّ إِكْرَامَ أَقْتَالِهِ وَأَمْثَالِهِ  
 ضَرُورِيٌّ فِي السِّيَاسَةِ الْخَاصَّةِ بَيْنَ قَبِيلِهِ وَنُظَرَائِهِ وَإِكْرَامَ الطَّارِئِينَ مِنْ أَهْلِ الْفُضَائِلِ  
 وَالْخُصُوصِيَّاتِ كَمَالٌ فِي السِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ فَالصَّالِحُونَ لِلدِّينِ وَالْعُلَمَاءُ لِلجَاهِ إِلَيْهِمْ فِي  
 إِقَامَةِ مَرَامِ الشَّرِيعَةِ وَالتَّجَارُ لِلتَّرْغِيبِ حَتَّى تَعَمَّ الْمُنْعَفَةُ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَالْعُرْبَاءُ مِنْ  
 مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَإِنْزَالِ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْأَنْصَافِ وَهُوَ مِنَ الْعَدْلِ فَيَعْلَمُ بِوُجُودِ  
 ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ عَصَبِيَّتِهِ أَنْتِمَّاءُ وَهُمُ السِّيَاسَةُ الْعَامَّةُ وَهِيَ الْمَلِكُ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ تَأْذَنَ بِوُجُودِهَا  
 فِيهِمْ لِوُجُودِ عِلْمَاتِهَا وَلِهَذَا كَانَ أَوَّلُ مَا يَذْهَبُ مِنَ الْقَبِيلِ أَهْلَ الْمَلِكِ إِذَا تَأْذَنَ اللَّهُ  
 تَعَالَى بِسَلْبِ مَلِكِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ إِكْرَامَ هَذَا الصَّنْفِ مِنَ الْخَلْقِ فَإِذَا رَأَيْتَهُ قَدْ ذَهَبَ  
 مِنْ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ فَاعْلَمْ أَنَّ الْفُضَائِلَ قَدْ أَخَذَتْ فِي الذَّهَابِ عَنْهُمْ وَأَرْتَقَبَ زَوَالَ الْمَلِكِ  
 مِنْهُمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل الحادي والعشرون

في انه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها اوسع  
وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ أَقْدَرُ عَلَى التَّغَلُّبِ وَالْإِسْتِدَارِ كَمَا قُلْنَا وَاسْتِعْبَادِ الطَّوَائِفِ  
لِقُدْرَتِهِمْ عَلَى نَحَارِبَةِ الْأَمَمِ سِوَاهُمْ وَلَا يَنْزِلُونَ مِنَ الْأَهْلِينَ مِنْزِلَةَ الْمُفْتَرَسِ مِنَ  
الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ وَهَوْلَاءَ مِثْلِ الْعَرَبِ وَزَنَاتَهُ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنَ الْأَكْرَادِ وَالْتَرَكْمَانَ  
وَأَهْلِ اللَّثَامِ مِنْ صَهَابَةِ وَأَيْضًا فِهْوَلَاءَ الْمُتَوَحِّشُونَ لَيْسَ لَهُمْ وَطَنٌ يَرْتَفُونَ مِنْهُ وَلَا  
بَلَدٌ يَجْعُونَ إِلَيْهِ فَنَسَبَةُ الْأَقْطَارِ وَالْمَوَاطِنِ إِلَيْهِمْ عَلَى السُّوَاءِ فَهَلْهَذَا لَا يَقْتَصِرُونَ عَلَى  
مَلَكَةِ فُطْرِهِمْ وَمَا جَاوَرَهُمْ مِنَ الْبِلَادِ وَلَا يَقْنُونَ عِنْدَ حُدُودِ أَقْفِهِمْ بَلْ يَطْفَرُونَ إِلَى  
الْأَقْلِيمِ الْبَعِيدَةِ وَيَتَغَابُونَ عَلَى الْأَمَمِ النَّائِيَةِ وَتَنْظُرُ مَا يُحْكِي فِي ذَلِكَ عَنْ عَمْرِ رَضِي  
اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا بُويعَ وَقَامَ يُعْرِضُ النَّاسَ عَلَى الْعِرَاقِ فَقَالَ إِنْ الْحِجَازَ لَيْسَ لَكُمْ بَدَارٌ  
إِلَّا عَلَى النُّجْعَةِ وَلَا يَقْوَى عَلَيْهِ أَهْلُهُ إِلَّا بِذَلِكَ أَيْنَ الْقُرَاءِ الْمُهَاجِرُونَ عَنْ مَوْعِدِ اللَّهِ  
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ الَّتِي وَعَدَ كُمْ اللَّهُ فِي الْكِتَابِ أَنْ يُورِثَكُمُوهَا فَقَالَ لِيُظْهِرَهُ عَلَى  
الَّذِينَ كَلَّهُ وَتَوَكَّرَهُ الْمُشْرِكُونَ وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ أَيْضًا بِحَالِ الْعَرَبِ السَّالِمَةِ مِنْ قَبْلُ مِثْلَ  
التَّبَاعَةِ وَحَمِيرَ كَيْفَ كَانُوا يَخْطُونَ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى الْمَغْرِبِ مَرَّةً وَإِلَى الْعِرَاقِ وَالْهِنْدِ  
أُخْرَى وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِغَيْرِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَمَمِ وَكَذَا حَالِ الْمَلْتَمِينِ مِنَ الْمَغْرِبِ لَمَّا  
نَزَعُوا إِلَى الْمَلِكِ طَفَرُوا مِنَ الْإِقْلِيمِ الْأَوَّلِ وَجَعَلَتْهُمْ مِنْهُ فِي جِوَارِ السُّودَانَ إِلَى  
الْإِقْلِيمِ الرَّابِعِ وَالْخَامِسِ فِي مَمَالِكِ الْأَنْدَلُسِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ وَهَذَا شَأْنُ هَذِهِ الْأَمَمِ  
الْوَحْشِيَةِ فَلِذَلِكَ تَكُونُ دَوْلَتُهُمْ أَوْسَعَ نَطَاقًا وَأَبْعَدَ مِنْ مَرَكَزِهَا نَهَابَةً وَاللَّهُ يُقَدِّرُ  
الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ لَا شَرِيكَ لَهُ

## الفصل الثاني والعشرون

في ان الملك اذا ذهب عن بعض الشعوب من امة فلا بد من

عوده الى شعب آخر منها ما دامت لهم العصية

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ إِنَّمَا حَصَلَ لَهُمْ بَعْدَ سُورَةِ الْعَلْبِ وَالْإِدْعَانَ لَهُمْ مِنْ  
سَائِرِ الْأَمَمِ سِوَاهُمْ فَيَتَعَيَّنُ مِنْهُمْ الْمُبَاشِرُونَ لِلْأَمْرِ الْحَامِلُونَ سَرِيرَةَ الْمَلِكِ وَلَا يَكُونُ

ذَلِكَ لَجَمْعِهِمْ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكَثْرَةِ الَّتِي يَضِيقُ عَنْهَا نِطاقُ الْمُرَاحَمَةِ وَالْغَيْرَةِ الَّتِي  
تَجْدَعُ أَنْوْفَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُتَطَوِّلِينَ لِلرُّبُوبَةِ فَإِذَا تَعَيَّنَ أَوْلِيكَ الْقَائِمُونَ بِالدَّوْلَةِ أَنْغَمَسُوا  
فِي النِّعَمِ وَغَرَّقُوا فِي بَحْرِ التَّرَفِ وَالْخِصْبِ وَاسْتَعْبَدُوا إِخْوَانَهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْحَيْلِ وَانْتَقَوْهُمْ  
فِي وُجُوهِ الدَّوْلَةِ وَمَذَاهِبِهَا وَبَقِيَ الَّذِينَ بَعَدُوا عَنِ الْأَمْرِ وَكَبَّحُوا عَنِ الْمَشَارِكَةِ فِي ظِلِّ  
مِنْ عِزِّ الدَّوْلَةِ الَّتِي شَارَكُوهَا بِنِسْبَتِهِمْ وَبِمَنْجَاةٍ مِنَ الْهَرَمِ لِبَعْدِهِمْ عَنِ التَّرَفِ وَأَسْبَابِهِ  
فَإِذَا اسْتَوَلَتْ عَلَى الْأَوَّلِينَ الْأَبْيَامُ وَأَبَادَ غَضْرَاءَهُمْ الْهَرَمُ فَطَبَخْتَهُمْ الدَّوْلَةُ وَأَكَلَ الدَّهْرُ  
عَلَيْهِمْ وَشَرِبَ بِمَا أَرْهَفَ النِّعَمِ مِنْ حَدِّهِمْ وَاسْتَقَتَّ غَرِيزَةُ التَّرَفِ مِنْ مَائِهِمْ وَبَلَّغُوا  
غَايَتَهُمْ مِنْ طَبِيعَةِ التَّمَدُّنِ الْإِنْسَانِيِّ وَالتَّغْلِبِ السِّيَاسِيِّ (شعر)

كِدودُ الْقَرْزِ يَنْسُجُ ثُمَّ يَفْتِي بِمَرْكَزِ نَسْجِهِ فِي الْأِنْعِكَاسِ

كَانَتْ حِينَئِذٍ عَصِيَّةَ الْأَخْرِيْنَ مَوْفُورَةً وَسُورَةً عَلَيْهِمْ مِنَ الْكَبِيرِ مَحْفُوظَةً وَشَارَتَهُمْ  
فِي الْغَلْبِ مَعْلُومَةً فَتَسْمُوا مَا لَهُمْ إِلَى الْمَلِكِ الَّذِي كَانُوا مَمْنُوعِينَ مِنْهُ بِالْقُوَّةِ الْعَالِيَةِ مِنْ  
جِنْسِ عَصِيَّتِهِمْ وَتَرْتَفِعُ الْمُنَازَعَةُ لِمَا عُرِفَ مِنْ غَلْبِهِمْ فَيَسْتَوْلُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَيَصِيرُ  
إِلَيْهِمْ وَكَذَا يَتَّفِقُ فِيهِمْ مَعَ مَنْ بَقِيَ أَيْضًا مُنْتَبِذًا عَنْهُ مِنْ عَشَائِرِ أُمَّتِهِمْ فَلَا يَزَالُ الْمَلِكُ  
مُحِبًّا فِي الْأُمَّةِ إِلَى أَنْ تَنْكَسِرَ سُورَةُ الْعَصِيَّةِ مِنْهَا أَوْ يَفْتِي سَائِرَ عَشَائِرِهَا سَنَةَ اللَّهِ فِي  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ وَاعْتَبِرْ هَذَا بِمَا وَقَعَ فِي الْعَرَبِ لَمَّا أَنْقَرَضَ  
مَلِكُ عَادِ قَامَ بِهِ مِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ مِنْ تَمُودَ وَمِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ الْعَمَالِقَةُ وَمِنْ  
بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ مِنْ حَمِيرٍ أَيْضًا وَمِنْ بَعْدِهِمْ إِخْوَانُهُمْ التَّبَاعَةُ مِنْ حَمِيرٍ أَيْضًا وَمِنْ بَعْدِهِمْ  
الْأَذْوَاهُ كَذَلِكَ ثُمَّ جَاءَتِ الدَّوْلَةُ لِمُضَرَ وَكَذَا الْفُرْسُ لَمَّا أَنْقَرَضَ أَمْرُ الْكِنِيَّةِ مَلِكُ  
مِنْ بَعْدِهِمْ السَّاسَانِيَّةَ حَتَّى تَأْذَنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِهِمْ أَجْمَعٍ بِالْإِسْلَامِ وَكَذَا الْيُونَانِيُّونَ  
أَنْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَأَنْتَقَلَ إِلَى إِخْوَانِهِمْ مِنَ الرُّومِ وَكَذَا الْبَنْبُرُ بِالْمَغْرِبِ لَمَّا أَنْقَرَضَ  
أَمْرُ مَغْرَاوَةَ وَكِتَامَةَ الْمُلُوكِ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ رَجَعَ إِلَى صَنْهَاجَةَ ثُمَّ الْمَلْتَمِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ  
مَنْ بَقِيَ مِنْ شُعُوبِ زَنَانَةَ وَهَكَذَا سَنَةَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَخَلْقِهِ وَأَصْلُ هَذَا كُلِّهِ إِنَّمَا  
يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَهِيَ مُتَفَاوِتَةٌ فِي الْأَجْيَالِ وَالْمَلِكِ يُخْلَقُ التَّرَفُ وَيُذْهِبُهُ كَمَا سَنَدُ كَرُهُ  
بَعْدَ إِذَا أَنْقَرَضَتْ دَوْلَةٌ فَإِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْأَمْرَ مِنْهُمْ مَنْ لَهُ عَصِيَّةٌ مَشَارِكَةٌ لِعَصِيَّتِهِمْ  
الَّتِي عُرِفَ لَهَا التَّسْلِيمُ وَالْإِنْقِيَادُ وَأُونِسَ مِنْهَا الْغَلْبُ لِحَمِيعِ الْعَصِيَّاتِ وَذَلِكَ إِنَّمَا يَوْجَدُ

فِي النَّسَبِ الْقَرِيبِ مِنْهُمْ لِأَنَّ تَفَاوُتَ الْعَصِيَّةِ بِحَسَبِ مَا قَرَّبَ مِنْ ذَلِكَ النَّسَبِ الَّتِي هِيَ فِيهِ أَوْ بَعْدَ حَتَّى إِذَا وَقَعَ فِي الْعَالَمِ تَبْدِيلٌ كَبِيرٌ مِنْ تَحْوِيلِ مَلَّةٍ أَوْ ذَهَابِ عُمُرَانِ أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ قُدْرَتِهِ تَحْيِينِيْدٍ يَخْرُجُ عَنْ ذَلِكَ الْحَيْلِ إِلَى الْحَيْلِ الَّذِي يَأْذَنُ اللَّهُ بِقِيَامِهِ بِذَلِكَ التَّبْدِيلِ كَمَا وَقَعَ لِمُضَرِّ حِينَ غَلَبُوا عَلَى الْأَمَمِ وَالِدُّوْلِ وَأَخَذُوا الْأَمْرَ مِنْ أَيْدِي أَهْلِ الْعَالَمِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مَكْبُوحِينَ عَنْهُ أَحْقَابًا

### الفصل الثالث والعشرون

في ان المغلوب مولع ابدًا بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه  
ونخلته وسائر احواله وعوائده

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ أَبَدًا تَعْتَقِدُ الْكَمَالَ فِي مَنْ غَلَبَهَا وَأَنْقَادَتِ إِلَيْهِ إِمَّا لِنَظَرِهِ بِالْكَمَالِ بِمَا وَفَّرَ عِنْدَهَا مِنْ تَعْظِيمِهِ أَوْ لِمَا تُغَالِبُهُ بِهِ مِنْ أَنَّ أَنْقِيَادَهَا لَيْسَ لِعَلْبٍ طَبِيعِيٍّ إِنَّمَا هُوَ لِكَمَالِ الْغَالِبِ فَإِذَا غَالَطَتْ بِذَلِكَ وَاتَّصَلَتْ لَهَا أَعْتِقَادًا فَأَنْخَلَتْ جَمِيعَ مَذَاهِبِ الْغَالِبِ وَتَشَبَّهَتْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْإِقْتِدَاءُ أَوْ لِمَا تَرَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ أَنَّ غَلَبَ الْغَالِبِ لَهَا لَيْسَ بِعَصِيَّةٍ وَلَا قُوَّةَ بَأْسٍ وَإِنَّمَا هُوَ بِمَا أَنْخَلَتْهُ مِنَ الْعَوَائِدِ وَالْمَذَاهِبِ تُغَالِطُ أَيْضًا بِذَلِكَ عَنِ الْغَلْبِ وَهَذَا رَاجِعٌ لِلأَوَّلِ وَلِذَلِكَ تَرَى الْمَغْلُوبَ يَتَشَبَّهُ أَبَدًا بِالْغَالِبِ فِي مَلْبَسِهِ وَمَرْكَبِهِ وَسِلَاحِهِ فِي اتِّخَاذِهَا وَأَشْكَالِهَا بَلْ وَفِي سَائِرِ أَحْوَالِهِ وَانْظُرْ ذَلِكَ فِي الْأَبْنَاءِ مَعَ آبَائِهِمْ كَيْفَ يَجِدُهُمْ مُتَشَبِّهِينَ بِهِمْ دَائِمًا وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَعْتِقَادِهِمُ الْكَمَالَ فِيهِمْ وَانْظُرْ إِلَى كُلِّ قَطْرٍ مِنَ الْأَفْطَارِ كَيْفَ يَغْلِبُ عَلَى أَهْلِهِ زِيَّ الْحَامِيَةِ فَجُنْدُ السُّلْطَانِ فِي الْأَكْثَرِ لِأَنَّهُمْ الْغَالِبُونَ لَهُمْ حَتَّى أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ أُمَّةٌ مُجَاوِرَةً أُخْرَى وَلَهَا الْغَلْبُ عَلَيْهَا فَيَسْرِي إِلَيْهِمْ مِنْ هَذَا التَّشْبُهِ وَالْإِقْتِدَاءِ حَظٌّ كَبِيرٌ كَمَا هُوَ فِي الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ مَعَ أُمَّةِ الْجَلَالَةِ فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ يَتَشَبَّهُونَ بِهِمْ فِي مَلَابِسِهِمْ وَشَارَاتِهِمْ وَالْكَثِيرِ مِنْ عَوَائِدِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ حَتَّى فِي رَسْمِ التَّمَاثِيلِ فِي الْجُدْرَانِ وَالْمَصَانِعِ وَالْبُيُوتِ حَتَّى لَقَدْ يَسْتَشْعِرُ مِنْ ذَلِكَ النَّاطِرُ بَعِينَ الْحِكْمَةَ أَنَّهُ مِنْ عِلَامَاتِ الْأَسْتِيْلَاءِ وَالْأَمْرُ لِلَّهِ وَتَأَمَّلْ فِي هَذَا سِرَّ قَوْلِهِ الْعَامَّةُ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ فَإِنَّهُ مِنْ بَابِهِ إِذِ الْمَلِكُ غَالِبٌ لِمَنْ تَحْتَ يَدِهِ وَالرَّعِيَّةُ مُقْتَدُونَ بِهِ لِأَعْتِقَادِ الْكَمَالِ فِيهِ أَعْتِقَادَ الْأَبْنَاءِ بِآبَائِهِمْ وَالْمُتَعَلِّمِينَ بِمُعَلِّمِيهِمْ وَاللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ وَبِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التَّوْفِيقُ

## الفصل الرابع والعشرون

في ان الامة اذا غلبت وصارت في ملك غيرها اسرع اليها الفناء

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا يَحْصُلُ فِي النُّفُوسِ مِنَ التَّكَاسُلِ إِذَا مَلَكَ دَرْهَا عَلَيْهِا  
وَصَارَتْ بِالْإِسْتِعْبَادِ إِلَهَ لِسِوَاهَا وَعَالَةً عَلَيْهِمْ فَيَقْصُرُ الْأَمَلُ وَيَضْعُفُ التَّنَاسُلُ وَالْإِعْتَارُ  
إِنَّمَا هُوَ عَنْ جِدَّةِ الْأَمَلِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْهُ مِنَ النَّشَاطِ فِي الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةِ فَإِذَا ذَهَبَ الْأَمَلُ  
بِالتَّكَاسُلِ وَذَهَبَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الْأَحْوَالِ وَكَانَتِ الْعُصْبِيَّةُ ذَاهِبَةً بِالْغَلَبِ الْحَاصِلِ  
عَلَيْهِمْ تَنَاقَصَ عُمْرَانِهِمْ وَتَلَاشَتْ مَكَاسِبُهُمْ وَسَاعَيْهِمْ وَعَجَزُوا وَعَنِ الْمُدَاعَاةِ عَنْ  
أَنْفُسِهِمْ بِمَا حَخَّضَ الْغَلْبُ مِنْ شَوْكَتِهِمْ فَأَصْبَحُوا مُعَلِّينَ لِكُلِّ مُتَغَلِّبٍ وَطَعْمَةً لِكُلِّ  
أَكَلٍ وَسِوَاءِ كَانُوا حَاصِلُوا عَلَى غَايَتِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ أَمْ لَمْ يَحْصُلُوا. وَفِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ سِرَّهُ آخِرُ  
وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ رَيْسُ طَبْعِهِ بِمُقْتَضَى الْأَسْتِخْلَافِ الَّذِي خَلَقَ لَهُ وَالرَّيْسُ إِذَا غَلَبَ عَلَى  
رِئَاسَتِهِ وَكَبَّحَ عَنْ غَايَةِ عِزِّهِ تَكَاسَلَ حَتَّى عَنْ شَبَعِ بَطْنِهِ وَرِي كَبِيدِهِ وَهَذَا مَوْجُودٌ فِي  
أَخْلَاقِ الْإِنْسَانِيَّةِ. وَلَقَدْ يُقَالُ مِثْلُهُ فِي الْحَيَوَانَاتِ الْمُنْتَرِسَةِ وَإِنَّهَا لَا تَسْفِدُ إِلَّا إِذَا كَانَتْ  
فِي مَلَكَهَ الْأَدَمِيِّينَ فَلَا يَزَالُ هَذَا الْقَبِيلُ الْمَمْلُوكُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فِي تَنَاقُصٍ وَأَضْمَحَلَالٍ  
إِلَى أَنْ يَأْخُذَهُمُ الْفَنَاءُ وَالْبَقَاءُ لِلَّهِ وَحَدُهُ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي أُمَّةِ الْفَرَسِ كَيْفَ كَانَتْ قَدَمَاتٍ  
أَعْلَمَ كَثْرَةً وَلَمَّا فَنِيَتْ حَامِيَتُهُمْ فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ بَقِيَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ وَأَكْثَرُ مِنَ الْكَثِيرِ  
يُقَالُ إِنَّ سَعْدًا أَحْصَى مَا وَرَاءَ الْمَدَائِنِ فَكَانُوا مِائَةَ أَلْفٍ وَسَبْعَةَ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا مِنْهُمْ  
سَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ أَلْفًا رَبُّ بَيْتٍ وَلَمَّا تَخَصَّصُوا فِي مَلَكَهَ الْعَرَبِ وَقَبْضَةَ الْقَهْرِ لَمْ يَكُنْ  
بِقَاوِمٍ إِلَّا قَلِيلًا وَدَثِرُوا كَأَنَّ لَمْ يَكُونُوا وَلَا تَحْسَبَنَّ أَنَّ ذَلِكَ لَطَمٌ نَزَلَ بِهِمْ أَوْ عَدْوَانٌ  
شَمَلَهُمْ فَمَلَكَهَ الْإِسْلَامُ فِي الْعَدْلِ مَا عَلِمَتْ وَإِنَّمَا هِيَ طَبِيعَةٌ فِي الْإِنْسَانِ إِذَا غَلَبَ  
عَلَى أَمْرِهِ وَصَارَ إِلَهَ لغيرِهِ وَلِهَذَا إِنَّمَا تُدْعَى لِلرَّقِّ فِي الْغَالِبِ أُمَّهُ السُّودَانِ لِنَقْصِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ فِيهِمْ وَفُرُوبِهِمْ مِنْ عَرْضِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ كَمَا قَالْنَاهُ أَوْ مَنْ يَرْجُو بِأَنْتِظَامِهِ  
فِي رِبْقَةِ الرَّقِّ حُصُولَ رُتْبَتِهِ أَوْ إِفَادَةَ مَالٍ أَوْ عِزٍّ كَمَا يَقَعُ لِمَالِكِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ  
وَالْعُلُوجِ مِنَ الْجَلَالِقَةِ وَالْإِفْرَنْجَةِ فَإِنَّ الْعَادَةَ جَارِيَةً بِاسْتِخْلَاصِ الدَّوْلَةِ لِيُسْمِيَ قَلَا يَأْتُونَ  
مِنَ الرَّقِّ لِمَا يَأْمُونُهُ مِنَ الْجَاهِ وَالرُّتْبَةِ بِأَصْطِفَاءِ الدَّوْلَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ  
وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الخامس والعشرون

في ان العرب لا يتعابون الا على البسائط

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بِطَبِيعَةِ التَّوْحُشِ الَّذِي فِيهِمْ أَهْلُ انْتِهَابٍ وَعَيْثُ يَنْتَهَبُونَ مَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ مُغَالَبَةٍ وَلَا رُكُوبِ خَطَرٍ وَيَفْرُونَ إِلَى مُتَجَعِّمِهِمْ بِالْقَفْرِ وَلَا يَدْهَبُونَ إِلَى الْمَزَاحِمَةِ وَالْمَحَارِبَةِ إِلَّا إِذَا دَفَعُوا بِذَلِكَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ فَكُلُّ مَعْقِلٍ أَوْ مُسْتَضْعَبٍ عَلَيْهِمْ فَهُمْ تَارِكُوهُ إِلَى مَا يَسْهُلُ عَنْهُ وَلَا يَعْزُضُونَ لَهُ وَالْقَبَائِلُ الْمُحْتَمِنَةُ عَلَيْهِمْ بِأَوْعَارِ الْجِبَالِ بِمَنْجَاةٍ مِنْ عَيْثِهِمْ وَفَسَادِهِمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَنْمُونَ إِلَيْهِمْ الْهَضَابَ وَلَا يَرْكَبُونَ الصَّعَابَ وَلَا يَحَاوِلُونَ الْخَطَرَ وَأَمَّا الْبَسَائِطُ فَمَتَى اقْتَدَرُوا عَلَيْهَا بِفَقْدَانِ الْحَامِيَةِ وَضَعْفِ الدَّوَلَةِ فِيهَا نَهَبُ لَهُمْ وَطَعْمَةٌ لَا كِلِيمُ يَرُدُّونَ عَلَيْهَا الْغَارَةَ وَالنَّهْبَ وَالزَّحْنَ لِمَهْوَلَتِهَا عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ يُصْبِحَ أَهْلُهَا مُغْلَبِينَ لَهُمْ ثُمَّ يَتَعَاوَرُونَهُمْ بِاخْتِلَافِ الْإَيْدِي وَانْحِرَافِ السِّيَاسَةِ إِلَى أَنْ يَنْقَرِضَ عُمُرُهُمْ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِهِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ لَا رَبَّ غَيْرَهُ

## الفصل السادس والعشرون

في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الحراب

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أُمَّةٌ وَحْشِيَّةٌ بِاسْتِحْكَامِ عَوَائِدِ التَّوْحُشِ وَأَسْبَابِهِ فِيهِمْ فَصَارَ لَهُمْ خُلُقًا وَجِبِلَّةً وَكَانَ عِنْدَهُمْ مَلْدُودًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَنْ رِبْقَةِ الْحُكْمِ وَعَدَمِ الْإِقْتِيَادِ السِّيَاسَةِ وَهَذِهِ الطَّبِيعَةُ مُنَافِيَةٌ لِلْعُمُرَانِ وَمُنَافِضَةٌ لَهُ فَعَايَةُ الْأَحْوَالِ الْعَادِيَةِ كَلَهَا عِنْدَهُمُ الرَّحْلَةَ وَالتَّغْلِبُ وَذَلِكَ مُنَاقِضٌ لِلسُّكُونِ الَّذِي بِهِ الْعُمُرَانُ وَمُنَافٍ لَهُ فَالْحَجَرُ مَثَلًا إِنَّمَا حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ لِنَصْبِهِ أَنَا فِي الْقَدْرِ فَيَنْقُلُونَهُ مِنَ الْمَبَانِي وَيُحْرَبُونَ عَلَيْهَا وَيَعْدُونَهُ لِذَلِكَ وَالْحَشْبُ أَيْضًا إِنَّمَا حَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ لِيَعْمَرُوا بِهِ خِيَامَهُمْ وَيَتَخَذُوا الْأَوْتَادَ مِنْهُ لِيَبْنُوا بِهِمْ فَيُخْرِجُونَ السَّقْفَ عَلَيْهِ لِذَلِكَ فَصَارَتْ طَبِيعَةُ وَجُودِهِمْ مُنَافِيَةً لِلْبِنَاءِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْعُمُرَانِ هَذَا فِي حَالِهِمْ عَلَى الْعُمُومِ وَأَيْضًا فَطَبِيعَتُهُمْ انْتِهَابُ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَأَنْ رَزَقَهُمْ فِي ظِلَالِ رِمَاحِهِمْ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ فِي أَخْذِ أَمْوَالِ النَّاسِ حِدٌّ يَنْتَهَوْنَ إِلَيْهِ بَلْ كَلَّمَا أَمْتَدَّتْ أَعْيُنُهُمْ إِلَى مَالٍ أَوْ مَتَاعٍ أَوْ مَاعُونٍ انْتَهَبُوهُ فَإِذَا تَمَّ اقْتِدَارُهُمْ عَلَى ذَلِكَ بِالْتَّغْلِبِ وَالْمَلِكِ بَطَلَتْ السِّيَاسَةُ فِي حِفْظِ أَمْوَالِ النَّاسِ وَخَرِبَ الْعُمُرَانُ وَأَيْضًا فَلِأَنَّهُمْ

يُكَفُون عَلَى أَهْلِ الْأَعْمَالِ مِنَ الصَّنَائِعِ وَالْحِرَفِ أَعْمَالُهُمْ لَا يَرُونَ لَهَا قِيمَةً وَلَا  
قِسْطًا مِنَ الْأَجْرِ وَالثَّمَنِ وَالْأَعْمَالُ كَمَا سَنَدُ كُرُهُ هِيَ أَصْلُ الْمَكْسَبِ وَحَقِيقَتُهَا  
وَإِذَا فَسَدَتِ الْأَعْمَالُ وَصَارَتْ مِجَانًا ضَعُفَتِ الْأَمَالُ فِي الْمَكْسَبِ وَانْقَبَضَتِ الْأَيْدِي  
عَنِ الْعَمَلِ وَابْتَدَعَ السَّاكِنُ وَفَسَدَ الْعُمُرَانُ وَأَيْضًا فَأَنْهَمُ لَيْسَتْ لَهُمْ عِنَايَةٌ بِالْأَحْكَامِ  
وَزَجَرَ النَّاسِ عَنِ الْمَفَاسِدِ وَدَفَاعِ بَعْضِهِمْ عَنِ بَعْضِ إِنَّمَا هُمُومُهُمْ مَا يَأْخُذُونَهُ مِنْ  
أَمْوَالِ النَّاسِ نَهْبًا أَوْ غَرَامَةً فَإِذَا تَوَصَّلُوا إِلَى ذَلِكَ وَحَصَلُوا عَلَيْهِ أَعْرَضُوا عَمَّا بَعْدَهُ  
مِنْ تَسَدِيدِ أَحْوَالِهِمْ وَالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِهِمْ وَقَهَرَ بَعْضُهُمْ عَنِ أَغْرَاضِ الْمَفَاسِدِ وَرُبَّمَا  
فَرَضُوا الْعُقُوبَاتِ فِي الْأَمْوَالِ حِرْصًا عَلَى تَحْصِيلِ الْفَائِدَةِ وَالْحَيَاةِ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنْهَا  
كَمَا هُوَ شَأْنُهُمْ وَذَلِكَ لَيْسَ بِمَعْنٍ فِي دَفْعِ الْمَفَاسِدِ وَزَجَرَ الْمُتَعَرِّضِ لَهَا بَلْ يَكُونُ  
ذَلِكَ زَانِدًا فِيهَا لِاسْتِسْهَالِ الْغُرْمِ فِي جَانِبِ حُصُولِ الْغَرَضِ فَتَبْقَى الرَّعَابِيَا فِي مَلَكْتِهِمْ  
كَأَنَّهَا فَوْضَى <sup>(١)</sup> دُونَ حُكْمٍ وَالْفَوْضَى مَهْلِكَةٌ لِلْبَشَرِ مُفْسِدَةٌ لِلْعُمُرَانِ بِمَا ذَكَرْتَاهُ مِنْ  
أَنْ وُجُودِ الْمَلِكِ خَاصَّةً طَبِيعِيَّةً لِلْإِنْسَانِ لَا يَسْتَقِيمُ وُجُودُهُمْ وَاجْتِمَاعُهُمْ إِلَّا بِهَا  
وَتَقَدَّمَ ذَلِكَ أَوَّلَ الْفَضْلِ وَأَيْضًا فَهْمُ مُتَنَافِسُونَ فِي الرَّئَاسَةِ وَقَلَّ أَنْ يَسْلَمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ  
الْأَمْرَ لِغَيْرِهِ وَلَوْ كَانَ أَبَاهُ أَوْ أَخَاهُ أَوْ كَبِيرَ عَشِيرَتِهِ إِلَّا فِي الْأَقْلِ وَعَلَى كُرْهِهِ مِنْ  
أَجْلِ الْحَيَاةِ فَيَتَعَدَّدُ الْحُكْمُ مِنْهُمْ وَالْأَمْرَاءُ وَتَخْتَلِفُ الْأَيْدِي عَلَى الرَّعِيَّةِ فِي الْحَيَاةِ  
وَالْأَحْكَامِ فَيَفْسُدُ الْعُمُرَانُ وَيَنْقُضُ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ الْوَأُفْدُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ لَمَّا  
سَأَلَهُ عَنِ الْحِجَاجِ وَارَادَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ عِنْدَهُ بِحَسَنِ السِّيَاسَةِ وَالْعُمُرَانِ فَقَالَ تَرَكْتَهُ يَظْلِمُ  
وَحَدَهُ وَانظُرْ إِلَى مَا مَلَكَوهُ وَتَعَلَّبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْأَوْطَانِ مِنْ لَدُنِ الْحَيَاقَةِ كَيْفَ تَقْوُضُ  
عُمُرَانُهُ وَاقْفَرُ سَاكِنُهُ وَبَدَلَتْ الْأَرْضُ فِيهِ غَيْرَ الْأَرْضِ فَالْيَمْنُ قَرَارُهُمْ خَرَابٌ إِلَّا  
قَلِيلًا مِنَ الْأَمْصَارِ وَعِرَاقِ الْعَرَبِ كَذَلِكَ قَدْ خَرَبَ عُمُرَانُهُ الَّذِي كَانَ لِلْفَرَسِ أَجْمَعِ  
وَالشَّامِ لِهَذَا الْعَهْدِ كَذَلِكَ وَأَفْرِيقِيَّةُ وَالْمَغْرِبُ لَمَّا جَازَ إِلَيْهَا بَنُو هِلَالٍ وَبَنُو سُلَيْمٍ مِنْذُ  
أَوَّلِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ وَتَمَرَسُوا بِهَا ثَلَاثًا مِائَةً وَخَمْسِينَ مِنَ السِّنِينَ قَدْ لَحِقَ بِهَا وَعَادَتْ  
بَسَاطَتُهَا خَرَابًا كَلْبًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مَا بَيْنَ السُّودَانَ وَالْبَحْرِ الرَّثْوِيِّ كُلَّهُ عُمُرَانًا تَشْهَدُ  
بِذَلِكَ آثَارُ الْعُمُرَانِ فِيهِ مِنَ الْمَعَالِمِ وَتَمَائِيلِ الْبِنَاءِ وَشَوَاهِدِ الْقُرَى وَالْمَدَرِ وَاللَّهِ

ومها يعزى الى سيدنا علي لانصلح الناس فوضى لاسرعة لهم ولا سرعة اذا جهالم سادوا

يَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

## الفصل السابع والعشرون

في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة او ولاية

او اثر عظيم من الدين على الجملة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ خُلِقُوا التَّوْحُشَ الَّذِي فِيهِمْ أَصْعَبُ الْأُمَمِ انْقِيادًا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لِلغَلْظَةِ وَاللَّانَةِ وَبَعْدَ الْهَمَّةِ وَالْمَنَافَسَةِ فِي الرِّئَاسَةِ فَقَلَّمَا تَجَمَّعَ أَهْوَاؤُهُمْ فَإِذَا كَانَ الدِّينُ بِالنَّبُوَّةِ أَوْ الْوَالِيَةِ كَانَ الْوِزَاعُ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَذَهَبَ خَلْقُ الْكَبِيرِ وَالْمَنَافَسَةُ مِنْهُمْ فَسَهَلَ انْقِيَادُهُمْ وَاجْتِمَاعُهُمْ وَذَلِكَ بِمَا يَسْمَلُهُمْ مِنَ الدِّينِ الْمَذْهَبِ لِلغَلْظَةِ وَاللَّانَةِ الْوِزَاعِ عَنِ التَّجَاسُدِ وَالتَّنَافُسِ فَإِذَا كَانَ فِيهِمُ النَّبِيُّ أَوْ الْوَلِيُّ الَّذِي يَبْعَثُهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ يَذْهَبُ عَنْهُمْ مَذْمُومَاتُ الْأَخْلَاقِ وَيَأْخُذُهُمْ بِمَحْمُودِهَا وَيُؤَلِّفُ كَلِمَتَهُمْ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ تَمَّ اجْتِمَاعُهُمْ وَحَصَلَ لَهُمُ التَّغَلُّبُ وَالْمَلِكُ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ أَسْرَعَ النَّاسُ قَبُولًا لِلْحَقِّ وَالْهُدَى لِسَلَامَةِ طِبَاعِهِمْ مِنْ عَوَجِ الْمَلِكَاتِ وَبِرَاءَتِهَا مِنْ ذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ خَلْقِ التَّوْحُشِ الْقَرِيبِ الْمَعَانَاةِ الْمَتَّعِيَّةِ لِقَبُولِ الْخَيْرِ بِبَقَائِهِ عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى وَبَعْدَهُ عَمَّا يَنْطَبِعُ فِي النُّفُوسِ مِنْ قَبِيحِ الْعَوَائِدِ وَسُوءِ الْمَلِكَاتِ فَإِنَّ كُلَّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ تَقَدَّمَ

## الفصل الثامن والعشرون

في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَكْثَرُ بِدَاوَةٍ مِنْ سَائِرِ الْأُمَمِ وَأَبْعَدُ مَجَالًا فِي الْفَقْرِ وَأَغْنَى عَنِ حَاجَاتِ التَّلَوُّلِ وَجُبُوبِهَا لِاعْتِيَادِهِمُ الشُّطْفَ وَخَشُونَةَ الْعَيْشِ فَاسْتَعْنَوْا عَنْ غَيْرِهِمْ فَصَعِبَ انْقِيَادُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ لِإِيْلَافِهِمْ ذَلِكَ وَلِلتَّوْحُشِ وَرَأْسِهِمْ مُتَحَاجٌّ إِلَيْهِمْ غَالِبًا لِلْعَصِيَّةِ الَّتِي بِهَا الْمُدَافَعَةُ فَكَانَ مُضْطَرًّا إِلَى إِحْسَانِ مَلِكِيَّتِهِمْ وَتَرْكِ مُرَاعَمَتِهِمْ لِمَا لَا يَخْتَلِ عَلَيْهِ شَأْنُ عَصَبِيَّتِهِ فَيَكُونُ فِيهَا هَلَاكُهُ وَهَلَاكُهُمْ وَسِيَاسَةَ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ نَقَضِي أَنْ يَكُونَ السَّائِسُ وَارِعًا بِالْقَهْرِ وَالْإِلَامَ تَسْتَقِيمُ سِيَاسَتُهُ وَأَيْضًا فَإِنَّ مِنَ طَبِيعَتِهِمْ كَمَا قَدَّمَاهُ أَخَذَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ خَاصَّةً وَالتَّجَافِيَّ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ مِنَ

الْأَحْكَامَ بَيْنَهُمْ وَدَفَاعَ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ فَإِذَا مَلَكَوْا أُمَّةً مِنَ الْأُمَّةِ جَعَلُوا  
 غَايَةَ مُلْكِهِمُ الْإِنْتِفَاعَ بِأَخْذِ مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَتَرْكُوا مَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ بَيْنَهُمْ  
 وَرُبَّمَا جَعَلُوا الْعُقُوبَاتِ عَلَى الْمَفْسَدِ فِي الْأَمْوَالِ حِرْصًا عَلَى تَكْثِيرِ الْحَيَاتِ وَتَحْصِيلِ  
 الْفَوَائِدِ فَلَا يَكُونُ ذَلِكَ وَازِعًا وَرُبَّمَا يَكُونُ بَاعِنًا بِحَسَبِ الْأَعْرَاضِ الْبَاعِثَةِ عَلَى الْمَفْسَدِ  
 وَأَسْتِهَانَةً مَا يُعْطِي مِنْ مَالِهِ فِي جَانِبِ غَرَضِهِ فَتَنَمُّو الْمَفْسَدِ بِذَلِكَ وَيَقَعُ تَخْرِبُ  
 الْعُمَرَانَ فَتَبْقَى تِلْكَ الْأُمَّةُ كَأَنَّهَا فَوْضَى مُسْتَظِلَّةٌ أَيْدِي بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فَلَا يَسْتَقِيمُ  
 لَهَا عُمُرَانٌ وَتَخْرِبُ سَرِيعًا شَأْنَ الْفَوْضَى كَمَا قَدَمْنَا فَبَعْدَتْ طِبَاعُ الْعَرَبِ لِذَلِكَ كُلِّهِ  
 عَنْ سِيَاسَةِ الْمَلِكِ وَإِنَّمَا يَصِيرُونَ إِلَيْهَا بَعْدَ انْقِلَابِ طِبَاعِهِمْ وَتَبَدُّلِهَا بِصِغَةِ دِينِيَّةٍ  
 تَمَحُّو ذَلِكَ مِنْهُمْ وَتَجْعَلُ الْوَازِعَ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَتَحْمِلُهُمْ عَلَى دَفَاعِ النَّاسِ بَعْضِهِمْ  
 عَنْ بَعْضٍ كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ بِدَوْلَتِهِمْ فِي الْمَلَّةِ أَمَا شَيْدَ لَهُمُ الدِّينِ أَمْرٌ  
 السِّيَاسَةِ بِالشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِهَا الْمُرَاعِيَةِ لِمَصَالِحِ الْعُمَرَانِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَتَتَابَعِ فِيهَا  
 الْخُلَفَاءُ عَظَمَ حِينَئِذٍ مُلْكُهُمْ وَقَوِي سُلْطَانُهُمْ كَانِ رُسْمٌ إِذَا رَأَى الْمُسْلِمِينَ  
 يَجْتَمِعُونَ لِلصَّلَاةِ يَقُولُ أَكُلَ عُمُرٍ كَبِدِي يُعَلِّمُ الْكِلَابَ الْأَدَابَ ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ  
 انْقَطَعَتْ مِنْهُمْ عَنِ الدُّوَلَةِ أَجْيَالٌ نَبَدُوا الدِّينَ فَنَسُوا السِّيَاسَةَ وَرَجَعُوا إِلَى فِقْرِهِمْ وَجَهَلُوا  
 شَأْنَ عَصِيَّتِهِمْ مَعَ أَهْلِ الدُّوَلَةِ بِيَعْدِهِمْ عَنِ الْإِنْقِيَادِ وَإِعْطَاءِ النُّصْفَةِ فَتَوَحَّشُوا كَمَا  
 كَانُوا وَلَمْ يَبْقَ لَهُمْ مِنْ اسْمِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ جِنْسِ الْخُلَفَاءِ وَمِنْ جِبِلِهِمْ وَلَمَّا ذَهَبَ  
 أَمْرُ الْخِلَافَةِ وَانْحَى رَسْمُهَا انْقَطَعَ الْأَمْرُ جَمْلَةً مِنْ أَيْدِيهِمْ وَعَلَبَ عَلَيْهِمُ الْعَجَمُ دُونَهُمْ  
 وَأَقَامُوا فِي بَادِيَةٍ فَقَارَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ الْمَلِكَ وَلَا سِيَاسَتَهُ بَلْ قَدْ يَجْهَلُ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ  
 قَدْ كَانُوا لَهُمْ مُلْكٌ فِي الْقَدِيمِ وَمَا كَانَ فِي الْقَدِيمِ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَّةِ فِي الْحَقِيقَةِ مَا كَانَ  
 لِأَجْيَالِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ وَدَوْلٍ عَادٍ وَثَمُودٍ وَالْعَالِقَةِ وَحَمِيرٍ وَالتَّبَاعَةِ شَاهِدَةٌ بِذَلِكَ ثُمَّ  
 دَوْلَةُ مِصْرَ فِي الْإِسْلَامِ بَنِي أُمَيَّةَ وَبَنِي الْعَبَّاسِ لَكِنِ بَعْدَ عَهْدِهِمْ بِالسِّيَاسَةِ لَمَّا  
 نَسُوا الدِّينَ فَرَجَعُوا إِلَى أَصْلِهِمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَقَدْ يَحْصُلُ لَهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ عُلْبٌ  
 عَلَى الدُّوَلِ الْمُسْتَضْعَفَةِ كَمَا فِي الْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَلَا يَكُونُ مَالُهُ وَعَايَتُهُ إِلَّا لَخْوِبِ  
 مَا يَسْتَوْلُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْعُمَرَانِ كَمَا قَدَمْنَا وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مِنْ يَشَاءُ

## الفصل التاسع والعشرون

في ان البوادي من القبائل والعصائب مغلوبون لاهل الامصار

قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْبَادِيَةَ نَاقِضٌ عَنِ عُمَرَ بْنِ الْحَوَاضِرِ وَالْأَمْصَارِ لِأَنَّ الْأُمُورَ  
الضَّرُورِيَّةَ فِي الْعُمَرَانِ لَيْسَ كُلُّهَا مَوْجُودَةً لِأَهْلِ الْبَدْوِ وَإِنَّمَا تُوجَدُ لَدَيْهِمْ فِي مَوَاطِنِهِمْ  
أُمُورُ الْقَلْعِ وَمَوَادُّهَا مَعْدُومَةٌ وَمُعْظَمُهَا الصَّنَائِعُ فَلَا تُوجَدُ لَدَيْهِمْ فِي الْكَلْبِيَّةِ مِنْ تِجَارٍ  
وَحَيَاطٍ وَحَدَادٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ مِمَّا يُقِيمُ لَهُمْ ضَرُورِيَّاتِ مَعَاشِهِمْ فِي الْقَلْعِ وَغَيْرِهِ وَكَذَا  
الدَّنَائِرُ وَالدِّرَاهِمُ مَفْقُودَةٌ لَدَيْهِمْ وَإِنَّمَا بِأَيْدِيهِمْ أَعْوَابُهَا مِنْ مَعَلِّ الزَّرْعَةِ وَأَعْيَانِ  
الْحَيَوَانِ أَوْ فَضْلَاتِهِ الْبَنَانِ وَأَبَارًا وَأَشْعَارًا وَإِهَابًا مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْأَمْصَارِ فَيَعْوِضُونَ مِنْهَا  
عَنْهُ بِالْدَّنَائِرِ وَالدِّرَاهِمِ إِلَّا أَنَّ حَاجَتَهُمْ إِلَى الْأَمْصَارِ فِي الضَّرُورِيِّ وَحَاجَةُ أَهْلِ  
الْأَمْصَارِ إِلَيْهِمْ فِي الْحَاجِيِّ وَالْكَمَالِيِّ فِهِمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى الْأَمْصَارِ بِطَبِيعَةِ وَجُودِهِمْ  
فَمَا دَامُوا فِي الْبَادِيَةِ وَلَمْ يَحْضُرْ لَهُمْ مَلِكٌ وَلَا أَسْتِيلَاءٌ عَلَى الْأَمْصَارِ فِهِمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى  
أَهْلِهَا وَيَتَصَرَّفُونَ فِي مَصَالِحِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ مَتَى دَعَوْهُمْ إِلَى ذَلِكَ وَطَلَبُوهُمْ بِهِ وَإِنْ كَانَ  
فِي الْمَصْرِ مَلِكٌ كَانَ خُضُوعُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ لِعَلْبِ الْمَلِكِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَصْرِ مَلِكٌ  
فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ رِئَاسَةٍ وَنَوْعٍ أَسْتَبْدَادٍ مِنْ بَعْضِ أَهْلِهِ عَلَى الْبَاقِينَ وَإِلَّا انْتَقَضَ عُمَرَانُهُ  
وَذَلِكَ الرَّئِيسُ يَحْمِلُهُمْ عَلَى طَاعَتِهِ وَالسَّعْيِ فِي مَصَالِحِهِ إِمَّا طَوْعًا يَبْدُلُ الْمَالَ لَهُمْ مَتَى  
يُبْدِي لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ فِي مَصْرِهِ فَيَسْتَقِيمُ عُمَرَانُهُمْ وَإِمَّا كَرْهًا  
إِنْ تَمَّتْ قُدْرَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَلَوْ بِالْغَرِيبِ بَيْنَهُمْ حَتَّى يَحْضُرَ لَهُ جَانِبٌ مِنْهُمْ يَغْلِبُ بِهِ  
الْبَاقِينَ فَيَضْطُرُّ الْبَاقُونَ إِلَى طَاعَتِهِ بِمَا يَتَوَقَّعُونَ لِذَلِكَ مِنْ فِسَادِ عُمَرَانِهِمْ وَرُبَّمَا لَا يَسْعَمُهُمْ  
مُفَارَقَةُ تِلْكَ النُّوَاحِي إِلَى جِهَاتٍ أُخْرَى لِأَنَّ كُلَّ الْجِهَاتِ مَعْمُورٌ بِالْبَدْوِ الَّذِينَ غَلَبُوا  
عَلَيْهَا وَمَنَعُوهَا مِنْ غَيْرِهَا فَلَا يَجِدُ هُوَ لَاءٌ مُجْمًا إِلَّا طَاعَةَ الْمَصْرِ فِهِمْ بِالضَّرُورَةِ مَغْلُوبُونَ  
لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَاللَّهُ فَاهِرٌ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْقَهَّارُ

## الفصل الثالث من الكتاب الاول

في الدول العامة والملك والخلافة والمراتب السلطانية وما يعرض في ذلك  
كله من الاحوال وفيه قواعد ومتمات

### الفصل الاول

في ان الملك والدولة العامة انما يحصلان بالقبيل والعصبة

وَذَلِكَ اَنَا قَرَّرْنَا فِي الْفَصْلِ الْاَوَّلِ اَنَّ الْمَغَالِبَةَ وَالْمُمَانَعَةَ اِنَّمَا تَكُونُ بِالْعَصَبَةِ لِمَا  
فِيهَا مِنَ الثَّرَةِ وَالتَّدَامُرِ وَاسْتِجَانَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ دُونَ صَاحِبِهِ . ثُمَّ اِنَّ الْمَلِكَ مَنْصِبٌ  
شَرِيفٌ مَلْدُودٌ يَسْتَمِيلُ عَلَى جَمِيعِ الْخَيْرَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالشَّهَوَاتِ الْبَدَنِيَّةِ وَالْمَلَاذِ النَّفْسَانِيَّةِ  
فَيَقَعُ فِيهِ التَّنَافُسُ غَالِبًا وَقَالَ اَنْ يَسْلِمَهُ اَحَدٌ لِصَاحِبِهِ اِلَّا اِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ فَتَقَعَ الْمُنَازَعَةُ  
وَتُنْفِضِي اِلَى الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ وَالْمَغَالِبَةِ وَشَيْءٌ مِنْهَا لَا يَقَعُ اِلَّا بِالْعَصَبَةِ كَمَا ذَكَرْنَا اَنْفَاءً  
وَهَذَا الْاَمْرُ بَعِيدٌ عَنِ اَفْهَامِ الْجُمْهُورِ بِالْجَمَلَةِ وَمَتَنَاسُونَ لَهُ لِاَنَّهُمْ نَسُوا عَهْدَ تَمْهِيدِ الدَّوْلَةِ  
مُنْذُ اَوَّلِهَا وَطَالَ اَمْدُ مَرَبَاتِهِمْ فِي الْحَضَارَةِ وَتَعَاقِبِهِمْ فِيهَا جَيْلًا بَعْدَ جَيْلٍ فَلَا يَعْرِفُونَ مَا  
فَعَلَ اللهُ اَوَّلَ الدَّوْلَةِ اِنَّمَا يَذَرُكَونَ اَصْحَابَ الدَّوْلَةِ وَقَدْ اسْتَحْكَمَتْ صَبْغَتُهُمْ وَوَقَعَ  
التَّسْلِيمُ لَهُمْ وَالِاسْتِغْنَاءُ عَنِ الْعَصَبَةِ فِي تَمْهِيدِ اَمْرِهِمْ وَلَا يَعْرِفُونَ كَيْفَ كَانَ الْاَمْرُ  
مِنْ اَوَّلِهِ وَمَا لَبِي اَوَّلُهُمْ مِنَ الْمَتَاعِبِ دُونَهُ وَخُصُوصًا اَهْلُ الْاِنْدُلُسِ فِي نِسْيَانِ هَذِهِ  
الْعَصَبَةِ وَانْزِعَاطِهَا طُولَ الْاَمْدِ وَاسْتِغْنَاءِهَا فِي الْغَالِبِ عَنِ قُوَّةِ الْعَصَبَةِ بِمَا تَلَاشَى وَطَنُهُمْ  
وَخَلَا مِنَ الْعَصَابِ وَاللهُ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

### الفصل الثاني

في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت فقد تستغني عن العصبة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ اَنَّ الدَّوْلَةَ الْعَامَّةَ فِي اَوَّلِهَا يَصْعُبُ عَلَى النُّفُوسِ الْاِنْتِقَادُ لَهَا اِلَّا  
بِقُوَّةٍ قَوِيَّةٍ مِنَ الْعَلْبِ لِلْعَرَابَةِ وَاَنَّ النَّاسَ لَمْ يَأْتُوا مَلِكُهَا وَلَا اَعْتَادُوهُ فَاِذَا اسْتَقَرَّتْ  
الرِّئَاسَةُ فِي اَهْلِ النَّصَابِ الْخُصُوصِ بِالْمَلِكِ فِي الدَّوْلَةِ وَتَوَارَثُوهُ وَاَحَدًا بَعْدَ اٰخَرَ فِي  
اَعْتَابِ كَثِيرِينَ وَدَوَّلٍ مُتَعَابِقَةٍ نَسِيَتْ النُّفُوسُ شَأْنَ الْاَوَّلِيَّةِ وَاسْتَحْكَمَتْ لِاهْلِ ذَلِكَ  
النَّصَابِ صَبْغَةَ الرِّئَاسَةِ وَرَسَخَ فِي الْعَقَائِدِ دِينَ الْاِنْتِقَادِ لَهُمْ وَالتَّسْلِيمِ وَقَاتَلَ النَّاسُ مَعَهُمْ

عَلَى أَمْرِهِمْ فَيَتَأَلَّمُونَ عَلَى الْعُقَايِدِ الْإِيمَانِيَّةِ فَلَمْ يَحْتَجُوا حِينَئِذٍ فِي أَمْرِهِمْ إِلَى كَبِيرِ عَصَابَةٍ  
بَلْ إِنْ كَانَ طَاعَتَهَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ لَا يُبَدَّلُ وَلَا يَعْلَمُ خِلَافَهُ وَلَا أَمْرٌ مَا يُوضَعُ الْكَلَامُ فِي  
الْإِمَامَةِ آخِرَ الْكَلَامِ عَلَى الْعُقَايِدِ الْإِيمَانِيَّةِ كَأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ عُقُودِهَا وَيَكُونُ اسْتِظْهَارُهُمْ  
حِينَئِذٍ عَلَى سُلْطَانِهِمْ وَدَوْلَتِهِمْ الْمَخْصُوصَةِ إِمَّا بِالْمَوَالِي وَالْمُضْطَّعِينَ الَّذِينَ نَشَاوُوا فِي  
ظِلِّ الْعَصَبِيَّةِ وَغَيْرِهَا وَإِمَّا بِالْعَصَائِبِ الْخَارِجِينَ عَنْ نَسَبِهَا الدَّاخِلِينَ فِي وِلَايَتِهَا وَمِثْلُ  
هَذَا وَقَعَ لِنَبِيِّ الْعَبَّاسِ فَإِنَّ عَصَبِيَّةَ الْعَرَبِ كَانَتْ فَسَدَتْ لِعَهْدِ دَوْلَةِ الْمُعْتَصِمِ وَابْنِهِ  
الْوَائِقِ وَاسْتِظْهَارُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِتْمَا كَانَ بِالْمَوَالِي مِنَ الْعَجَمِ وَالْتِرَاكِ وَالِدَيْلِ وَالسُّجُوقِيَّةِ  
وغيرِهِمْ ثُمَّ تَغَلَّبَ الْعَجَمُ الْأَوْلِيَاءُ عَلَى النَّوَاحِي وَتَقَلَّصَ ظِلُّ الدَّوْلَةِ فَلَمْ تَكُنْ تُعَدُّ أَعْمَالَ  
بَعْدَادَ حَتَّى زَحَفَ إِلَيْهَا الدَّيْلَمُ وَمَا كُوهَا وَصَارَ الْخِلَافُ فِي حُكْمِهِمْ ثُمَّ انْقَرَضَ أَمْرُهُمْ  
وَمَلَكَ السُّجُوقِيَّةُ مِنْ بَعْدِهِمْ فَصَارُوا فِي حُكْمِهِمْ ثُمَّ انْقَرَضَ أَمْرُهُمْ وَزَحَفَ آخِرُ النَّبَارِ  
فَقَتَلُوا الْخَلِيفَةَ وَحَمَّوْا رَسْمَ الدَّوْلَةِ وَكَذَلِكَ صَنَهَجَةٌ بِالْمَغْرِبِ فَسَدَتْ عَصَبِيَّتُهُمْ مِنْذُ الْمِائَةِ  
الْخَامِسَةِ أَوْ مَا قَبْلَهَا وَاسْتَمَرَّتْ لَهُمُ الدَّوْلَةُ مُتَقَلِّصَةً الظِّلِّ بِالْمَهْدِيَّةِ وَبِحَايَةِ وَالْقَلْعَةِ  
وَسَائِرِ ثَعُورِ أَفْرِيقِيَّةٍ وَرَبَّمَا انْتَزَى بِتِلْكَ الثَّعُورِ مَنْ نَارَعَهُمُ الْمَلِكُ وَاعْتَصَمَ فِيهَا وَالسُّلْطَانُ  
وَالْمَلِكُ مَعَ ذَلِكَ مُسْلِمٌ لَهُمْ حَتَّى تَأْذَنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ وَجَاءَ الْمُوَحِّدُونَ بِقُوَّةِ  
قُوَّةٍ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فِي الْمَصَامِدَةِ فَحَمَّوْا آثَارَهُمْ وَكَذَلِكَ دَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ لَمَّا فَسَدَتْ  
عَصَبِيَّتُهَا مِنَ الْعَرَبِ اسْتَوْلَى مُلُوكُ الطَّوَائِفِ عَلَى أَمْرِهَا وَاقْتَسَمُوا خِطْبَتَهَا وَتَنَافَسُوا بَيْنَهُمْ  
وَتَوَزَّعُوا مَمَالِكَ الدَّوْلَةِ وَانْتَزَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى مَا كَانَ فِي وِلَايَتِهِ وَشَمِعَ بِأَنفِهِ وَبَلَّغَهُمْ  
شَأْنَ الْعَجَمِ مَعَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فَتَلَقَّبُوا بِالْقَابِ الْمَلِكِ وَلَبَسُوا شَارَتَهُ وَأَمْنُوا مِمَّنْ يَقْبِضُ  
ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُغَيِّرُهُ لِأَنَّ الْأَنْدَلُسَ لَيْسَ بِدَارِ عَصَائِبٍ وَلَا قِبَائِلٍ كَمَا سَنَدُّ كَرُهُ  
وَاسْتَمَرَّتْ لَهُمْ ذَلِكَ كَمَا قَالَ ابْنُ شَرَفٍ

مِمَّا يَزْهَدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ      أَسْمَاءُ مُعْتَصِمٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدٍ  
الْقَابُ مَمْلُوكَةٌ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا      كَأَلْهَرٍ يَحْكِي انْتِفَاحًا صُورَةَ الْأَسَدِ

فَاسْتِظْهَرُوا عَلَى أَمْرِهِمْ بِالْمَوَالِي وَالْمُضْطَّعِينَ وَالطَّرَاقَ عَلَى الْأَنْدَلُسِ مِنْ أَهْلِ الْعُدُوةِ  
مِنْ قِبَائِلِ الْبَرْبَرِ وَزَنَاتِهِ وَغَيْرِهِمْ أَفْتِدَاءً بِالدَّوْلَةِ فِي آخِرِ أَمْرِهَا فِي الْاسْتِظْهَارِ بِهِمْ حِينَ  
ضَعُفَتْ عَصَبِيَّةُ الْعَرَبِ وَأَسْتَبَدَّ ابْنُ أَبِي عَامِرٍ عَلَى الدَّوْلَةِ فَكَانَ لَهُمْ دَوْلَةٌ عَظِيمَةٌ

اسْتَبَدَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِجَانِبٍ مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَحَظُّ كَبِيرٍ مِنَ الْمَلِكِ عَلَى نِسْبَةِ الدَّوْلَةِ  
 الَّتِي أَقْتَسَمُوهَا وَلَمْ يَزَالُوا فِي سُلْطَانِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى جَازَ إِلَيْهِمُ الْبَحْرُ الْمُرَاطُونَ أَهْلُ  
 الْعَصِيَّةِ الْقَوِيَّةِ مِنْ لَمْتُونَةَ فَاسْتَبَدُّوا بِهِمْ وَأَزَالُوهُمْ عَنْ مَرَكَزِهِمْ وَحَمَّوْا أَثَرَهُمْ وَلَمْ يَقْتَدِرُوا  
 عَلَى مَدْفَعَتِهِمْ لِنَقْدَانِ الْعَصِيَّةِ لَدَيْهِمْ فَيَبْذِرُ الْعَصِيَّةُ بِيَكُونِ تَمَيُّدِ الدَّوْلَةِ وَحِمَايَتِهَا مِنْ  
 أَوْلَهَا وَقَدْ ظَنَّ الطَّرْطُوشِيُّ أَنَّ حَامِيَةَ الدُّوْلِ بِإِطْلَاقِ هُمْ الْجُنْدِ أَهْلُ الْعَطَاءِ الْمَفْرُوضِ  
 مَعَ الْإِهْلَةِ ذَكَرَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ سِرَاجَ الْمَمْلُوكِ وَكَلَامُهُ لَا يَتَنَاوَلُ تَأْسِيسَ  
 الدُّوْلِ الْعَامَّةِ فِي أَوْلَهَا وَإِنَّمَا هُوَ مُخْصُوصٌ بِالدُّوْلِ الْأَخِيرَةِ بَعْدَ التَّمَيُّدِ وَاسْتِقْرَارِ  
 الْمَلِكِ فِي النَّصَابِ وَاسْتِحْكَامِ الصِّبْغَةِ لِأَهْلِهِ فَالرَّجُلُ إِنَّمَا أَدْرَكَ الدَّوْلَةَ عِنْدَ هَرَمِهَا  
 وَخَلَقَ جِدَّتِهَا وَرُجُوعَهَا إِلَى الْأَسْتِظْهَارِ بِالْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ ثُمَّ إِلَى الْمُسْتَعْدِمِينَ مِنْ  
 وَرَائِهِمْ بِالْأَجْرِ عَلَى الْمُدَافَعَةِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَدْرَكَ دَوْلَ الطَّوَائِفِ وَذَلِكَ عِنْدَ اخْتِلَالِ بَنِي  
 أُمِيَّةٍ وَأَتْرَاضِ عَصِيْبَتِهَا مِنَ الْعَرَبِ وَاسْتِبْدَادِ كُلِّ أَمِيرٍ يَقْطُرُهُ وَكَانَ فِي إِيَالَةِ الْمُسْتَعِينِ  
 بَنِ هُوْدٍ وَأَبْنِهِ الْمُظْفَرَ أَهْلُ سِرْفَسْطَةَ وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ لَهُمْ مِنْ أَمْرِ الْعَصِيَّةِ شَيْءٌ لِاسْتِبْدَاءِ  
 التَّرَفِ عَلَى الْعَرَبِ مِنْذُ ثَلَاثِمِائَةٍ مِنَ السِّنِينَ وَهَلَاكِهِمْ وَلَمْ يَرَ إِلَّا سُلْطَانًا مُسْتَبِدًّا بِالْمَلِكِ  
 عَنْ عَشَائِرِهِ قَدْ اسْتَحْكَمَتْ لَهُ صِبْغَةُ الْأَسْتِبْدَادِ مِنْذُ عَهْدِ الدَّوْلَةِ وَبَقِيَةِ الْعَصِيَّةِ فَهِيَ  
 لِذَلِكَ لَا يَنَازِعُ فِيهِ وَيَسْتَعِينُ عَلَى أَمْرِهِ بِالْأَجْرَاءِ مِنَ الْمُرْتَزِقَةِ فَاطَّاقَ الطَّرْطُوشِيُّ الْقَوْلَ  
 فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَتَفَتَّنْ لِكَيْفِيَّةِ الْأَمْرِ مِنْذُ أَوَّلِ الدَّوْلَةِ وَإِنَّهُ لَا يَتِيمٌ إِلَّا لِأَهْلِ الْعَصِيَّةِ  
 فَتَفَتَّنَ أَنْتَ لَهُ وَأَفْهَمَ سِرَّ اللَّهِ فِيهِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَنْ يَشَاءُ

### الفصل الثالث

فِي أَنَّهُ قَدْ يَحْدِثُ لِبَعْضِ أَهْلِ النَّصَابِ الْمَلِكِيِّ دَوْلَةٌ تَسْتَعِينُ مِنَ الْعَصِيَّةِ  
 وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ لِعَصِيَّةٍ غَلْبٌ كَثِيرٌ عَلَى الْأَمْرِ وَالْأَجْبَالِ وَفِي نَفْسِ الْقَائِمِينَ  
 بِأَمْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْقَاصِبَةِ إِذْعَانٌ لَهُمْ وَاتِّقَادٌ فَإِذَا نَزَعَ إِلَيْهِمْ هَذَا الْخَارِجُ وَأَنْتَبَدَّ عَنْ  
 مَقَرِّ مَلِكِهِ وَمَنْبَتِ عِزِّهِ اشْتَمَلُوا عَلَيْهِ وَقَامُوا بِأَمْرِهِ وَظَاهَرُوهُ عَلَى شَأْنِهِ وَعَنُوا بِتَمَيُّدِ  
 دَوْلَتِهِ يَرْجُونَ اسْتِقْرَارَهُ فِي نَصَابِهِ وَتَنَاوُلَهُ الْأَمْرَ مِنْ يَدِ أَعْيَاصِهِ وَجَزَاءَهُ لَهُمْ عَلَى مَظَاهِرَتِهِ  
 بِأَصْطِفَائِهِمْ لِرُتَبِ الْمَلِكِ وَخِطَطِهِ مِنْ وَزَارَةٍ أَوْ قِيَادَةٍ أَوْ وِلَايَةٍ تَعْرِ وَلَا يَطْمَعُونَ فِي  
 مَشَارَكَتِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ سُلْطَانِهِ تَسْلِيمًا لِعَصِيَّتِهِ وَاتِّقَادًا لِمَا اسْتَحْكَمَ لَهُ وَلِقَوْمِهِ مِنْ

صَبَغَةَ الْعَلْبِ فِي الْعَالَمِ وَعَقِيدَةَ إِيْمَانِيَّةٍ اسْتَقَرَّتْ فِي الْأَذْعَانِ لَهُمْ فَلَوْ رَامُوهَا مَعَهُ أَوْ  
 دُونَهُ لَزَلَتْ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا وَهَذَا كَمَا وَقَعَ لِلْأَدَارِسَةِ بِالْمَغْرِبِ الْأَفْصَى وَالْعَبِيدِيْنَ  
 بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَمَضَرَ لَمَّا أَنْتَبَدَ الطَّالِبِيُّونَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْقَاصِيَةِ وَابْتَدَعُوا عَنْ مَقَرِّ  
 الْخِلَافَةِ وَسَمَّوْا إِلَى طَلَبِيَّهَا مِنْ أَيْدِي بَنِي الْعَبَّاسِ بَعْدَ أَنْ اسْتَحْكَمَتْ الصَّبَغَةُ لِبَنِي عَبْدِ  
 مَنَافٍ لِبَنِي أُمَيَّةٍ أَوْلَا ثُمَّ لِبَنِي هَاشِمٍ مِنْ بَعْدِهِمْ نَحَرَجُوا بِالْقَاصِيَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَدَعَا  
 لِأَنْفُسِهِمْ وَقَامَ بِأَمْرِهِمُ الْبَرَابِرَةُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى فَأَوْرَثَهُ وَوَعِيْلَةَ لِلْأَدَارِسَةِ وَكْتَامَةَ  
 وَصَنْهَاجَةَ وَهَوَارَةَ لِلْعَبِيدِيْنَ فَشَدُّوا دَوْلَتَهُمْ وَهَدُّوا بِعَصَائِبِهِمْ أَمْرَهُمْ وَأَقْتَطَعُوا مِنْ  
 مَمْلَكِ الْعَبَّاسِيْنَ الْمَغْرِبِ كَلَّةً ثُمَّ أَفْرِيقِيَّةً وَلَمْ يَزَلْ ظِلُّ الدَّوْلَةِ يَتَقَاصُ وَظِلُّ الْعَبِيدِيْنَ  
 يَمْتَدُّ إِلَى أَنْ مَلَكَوا مِصْرَ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ وَقَاسَمَهُمْ فِي الْمَمَالِكِ الْأَسْلَابِيَّةِ شِقَّ  
 الْأَبْلَمَةِ وَهُوَ لَأَيُّ الْبَرَابِرَةِ الْقَائِمُونَ بِالدَّوْلَةِ مَعَ ذَلِكَ كَلِمَتُهُمْ مَسْلُحُونَ لِلْعَبِيدِيْنَ أَمْرَهُمْ  
 مُدْعِنُونَ لِمَلِكِيَّتِهِمْ وَإِنَّمَا كَانُوا يَتَنَافَسُونَ فِي الرُّثْبَةِ عِنْدَهُمْ خَاصَّةً تَسْلِيماً لِمَا حَصَلَ مِنْ  
 صَبَغَةِ الْمَلِكِ لِبَنِي هَاشِمٍ وَلَمَّا اسْتَحْكَمَ مِنَ الْعَلْبِ لِقَرْنِشٍ وَمَضَرَ عَلَى سَائِرِ الْأُمَمِ فَلَمْ  
 يَزَلْ الْمَلِكُ فِي أَعْقَابِهِمْ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتْ دَوْلَةُ الْعَرَبِ بِأَسْرِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لِمَنْ عَقَّبَ بِحُكْمِهِ

### الفصل الرابع

في ان الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين

اما من نبوة اودعرة حق

وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَلِكَ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِالْتَّغْلِبِ وَالتَّغْلِبُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصَبِيَّةِ وَاتِّفَاقِ  
 الْأَهْوَاءِ عَلَى الْمَطْلَبَةِ وَجَمْعِ الْقُلُوبِ وَتَأْيِيفِهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِمَعُونَةِ اللَّهِ فِي إِقَامَةِ دِينِهِ  
 قَالَ تَعَالَى لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا آتَيْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَسِرُّهُ أَنَّ الْقُلُوبَ إِذَا  
 تَدَاعَتْ إِلَى أَهْوَاءِ الْبَاطِلِ وَالْمِيلِ إِلَى الدُّنْيَا حَصَلَ التَّنَافُسُ وَفَشَا الْخِلَافُ وَإِذَا انْتَصَرَتْ  
 إِلَى الْحَقِّ وَرَفِضَتْ الدُّنْيَا وَالْبَاطِلَ وَأَقْبَلَتْ عَلَى اللَّهِ اتَّحَدَتْ وَجَبَتْهَا فَذَهَبَ التَّنَافُسُ وَقَلَّ  
 الْخِلَافُ وَحَسُنَ التَّعَاوُنُ وَالتَّعَاوُدُ وَاتَّسَعَ نِطَاقُ الْكَلِمَةِ لِذَلِكَ فَعَظُمَتِ الدَّوْلَةُ كَمَا  
 نَبَّيْنُ لَكَ بَعْدَ إِِنْ شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَبِهِ التَّوْفِيقُ لِرَبِّ سِوَاهُ

## الفصل الخامس

في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية  
التي كانت لها من عددها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ أَنَّ الصَّبْغَةَ الدِّينِيَّةَ تَذْهَبُ بِالتَّنَافُسِ وَالتَّحَاسُدِ الَّذِي  
فِي أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ وَتُفَرِّدُ الْوَجْهَةَ إِلَى أَحَقِّهَا إِذَا حَصَلَ لَهُمُ الْأَسْتِبْصَارُ فِي أَمْرِهِمْ  
لَمْ يَقِفْ لَهُمْ شَيْءٌ لِأَنَّ الْوَجْهَةَ وَاحِدَةً وَالْمَطْلُوبُ مُتَسَاوٍ عِنْدَهُمْ وَهُمْ مُسْتَمْتِعُونَ  
عَلَيْهِ وَأَهْلُ الدَّوْلَةِ الَّتِي هُمْ طَالِبُهَا وَإِنْ كَانُوا أَضْعَافَهُمْ فَأَعْرَاضَهُمْ مُتَبَايِنَةٌ بِالْبَاطِلِ  
وَتَضَادُّهُمْ لِتَقْبَلُ الْمَوْتَ حَاصِلٌ فَلَا يَقَاوِمُونَهُمْ وَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ بَلْ يَغْلِبُونَ  
عَلَيْهِمْ وَيَعَاجِلُهُمُ الْفَنَاءُ بِمَا فِيهِمْ مِنَ التَّرَفِ وَالذَّلِّ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَهَذَا كَمَا وَقَعَ  
لِلْعَرَبِ صَدَرَ الْإِسْلَامِ فِي الْفَتْوحَاتِ فَكَانَتْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِينَ بِالْقَادِسِيَّةِ وَالْبِرْمُوكِ  
بِضِعْفَةِ وَثَلَاثِينَ أَلْفًا فِي كُلِّ مَعْسَكٍ وَجُمُوعُ فَارَسَ مِائَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا بِالْقَادِسِيَّةِ  
وَجُمُوعُ هِرَاقِلَ عَلَى مَا قَالَهُ الْوَأَقِدِيُّ أَرْبَعَمِائَةَ أَلْفٍ فَلَمْ يَقِفْ لِلْعَرَبِ أَحَدٌ مِنَ الْجَانِبِينَ  
وَهَزَمُوهُمْ وَغَلِبُوهُمْ عَلَى مَا بَأْيَدِيهِمْ وَأَعْتَبِرَ ذَلِكَ إِضْغَافًا دَوْلَةً لِمَتُونَةَ وَدَوْلَةَ الْمُوحِدِينَ  
كَانَ فَقْدَ بِالْمَغْرِبِ مِنَ الْقَبَائِلِ كَثِيرٌ مِمَّنْ يَقَاوِمُهُمْ فِي الْعُدَدِ وَالْعَصَبِيَّةِ أَوْ يَشْفُ عَلَيْهِمْ  
إِلَّا أَنَّ الْأَجْتِمَاعَ الدِّينِيَّ ضَاعَفَ قُوَّةَ عَصَبِيَّتِهِمْ بِالْأَسْتِبْصَارِ وَالْإِسْمَانَةِ كَمَا قُلْنَا فَلَمْ  
يَقِفْ لَهُمْ شَيْءٌ وَأَعْتَبِرَ ذَلِكَ إِذَا حَالَتْ صِبْغَةُ الدِّينِ وَفَسَدَتْ كَيْفَ يَنْتَقِضُ الْأَمْرُ  
وَيَصِيرُ الْغَلْبُ عَلَى نِسْبَةِ الْعَصَبِيَّةِ وَحَدَهَا دُونَ زِيَادَةِ الدِّينِ فَتَغْلِبُ الدَّوْلَةُ مَنْ كَانَ تَحْتَ  
يَدَيْهَا مِنَ الْعَصَابِ الْمُكَافِئَةِ لَهَا أَوْ الزَّائِدَةِ الْقُوَّةِ عَلَيْهَا الَّذِينَ غَلِبَتْهُمْ بِمُضَاعَفَةِ الدِّينِ  
لِقُوَّتِهَا وَلَوْ كَانُوا أَكْثَرَ عَصَبِيَّةً مِنْهَا وَأَشَدَّ بَدَاوَةً وَأَعْتَبِرَ هَذَا فِي الْمُوحِدِينَ مَعَ زِنَانَةَ  
لَمَّا كَانَتْ زِنَانَةُ أُبْدَى مِنَ الْمَصَامِدَةِ وَأَشَدَّ تَوْحُشًا وَكَانَ لِلْمَصَامِدَةِ الدَّعْوَةُ الدِّينِيَّةُ  
بَاتِّبَاعِ الْمَهْدِيِّ فَلَبَسُوا صِبْغَتَهَا وَتَضَاعَفَتْ قُوَّةُ عَصَبِيَّتِهِمْ بِهَا فَغَلَبُوا عَلَى زِنَانَةَ أَوْلًا  
وَأَسْتَبَعَوْهُمْ وَإِنْ كَانُوا مِنْ حَيْثُ الْعَصَبِيَّةِ وَالْبَدَاوَةُ أَشَدَّ مِنْهُمْ فَلَمَّا خَلَوْا مِنْ تِلْكَ  
الصَّبْغَةِ الدِّينِيَّةِ انْتَقَضَتْ عَلَيْهِمْ زِنَانَةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَغَلِبُوهُمْ عَلَى الْأَمْرِ وَانْتَزَعُوهُ  
مِنْهُمْ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ

## الفصل السادس

في ان الدعوة الدينية من غير عصبية لانهم  
 وهذا لما قدمناه من ان كل امر تحمل عليه الكفاة فلا بد له من العصبية وفي  
 الحديث الصحيح كما مر ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه واذا كان هذا في  
 الانبياء وهم اولى الناس بخرق العوائد فما ظنك بغيرهم ان لا تخرق له العادة في  
 الغلب بغير عصبية وقد وقع هذا لابن قسي شيخ الصوفية وصاحب كتاب خلع النعلين  
 في التصوف ثار بالاندلس داعيا الى الحق وسمي اصحابه بالمرابطين قيل دعوة  
 المهدي فاستتب له الامر قليلا لشغل لمتونه بما دهمهم من امر الموحدون ولم تكن  
 هناك عصابات ولا قبائل يدفعونه عن شانه فلم يلبث حين استولى الموحدون على  
 المغرب ان اذعن لهم ودخل في دعوتهم وتابعهم من معقله بخصن اركش وامكنهم  
 من ثغره وكان اول داعية لهم بالاندلس وكانت ثورته تسمى ثورة المرابطين  
 ومن هذا الباب احوال الثوار القامين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء فان كثيرا  
 من المتخيلين للعبادة وسلوك طرق الدين يذهبون الى القيام على اهل الجور من  
 الامراء داعين الى تغيير المنكر والنهي عنه والامر بالمعروف ورجاء في الثواب  
 عليه من الله فيكثر اتباعهم والمتلثثون بهم من الغوغاء والدهماء ويعبر ضون انفسهم  
 في ذلك للمهالك واكثرهم يهلكون في هذا السبيل ما زورين غير ما جورين لان  
 الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم وانما امر به حيث تكون القدرة عليه قال صلى  
 الله عليه وسلم من راي منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فليسانه فان لم  
 يستطع فليقله واحوال الملوك والدول راسخة قوية لا يزحزحها ويهدم بناءها الا  
 المطالبة القوية التي من وراءها عصبية القبائل والعشائر كما قدمناه وهكذا كان  
 حال الانبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم الى الله بالعشائر والعصابات وهم  
 المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء لكنه انما جرى الامور على مستقر العادة  
 والله حكيم عليم فاذا ذهب احد من الناس هذا المذهب وكان فيه محقا قصر به  
 الانفراد عن العصبية فطاح في هوة الهلاك واما ان كان من المتلثسين بذلك في

طَلَبَ الرَّئِيسَةَ فَاجْدَرُ أَنْ تَعُوْقَهُ الْعَوَائِقُ وَتَنْقَطِعَ بِهِ الْمَهَالِكُ لِأَنَّهُ أَمْرُ اللَّهِ لَا يَتِمُّ إِلَّا  
 بِرِضَاهُ وَإِعَانَتِهِ وَالْإِخْلَاصَ لَهُ وَالنَّصِيحَةَ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَا يَشْكُ فِي ذَلِكَ مُسْلِمٌ وَلَا يَرْتَابُ  
 فِيهِ ذُو بَصِيرَةٍ وَأَوَّلُ ابْتِدَاءِ هَذِهِ النَّزْعَةِ فِي الْمَلَةِ بَعْدَادَ حِينَ وَقَعَتْ فِتْنَةُ طَاهِرٍ  
 وَقَتْلَ الْأَمِينِ وَأَبْطَأَ الدَّامُونُ بِخُرَاسَانَ عَنْ مَقْدَمِ الْعِرَاقِ ثُمَّ عَهْدَ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى  
 الرَّضِيِّ مِنْ آلِ الْحُسَيْنِ فَكَشَفَ بَنُو الْعَبَّاسِ عَنْ وَجْهِ النَّكِيرِ عَلَيْهِ وَتَدَاعَوْا لِلْقِيَامِ  
 وَخَلَعَ طَاعَةَ الدَّامُونِ وَالْأَسْتِبدَالِ مِنْهُ وَبُويعَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ فَوَقَعَ الْهَرَجُ  
 بِبَعْدَادَ وَانْطَلَقَتْ أَيْدِي الزُّعْرَةِ مِنْهَا مِنَ الشُّطَارِ وَالْحَرْبِيَّةِ عَلَى أَهْلِ الْعَاقِبَةِ وَالصُّونِ  
 وَقَطَعُوا السَّبِيلَ وَأَمْتَلَتِ أَيْدِيهِمْ مِنْ نَهَابِ النَّاسِ وَبَاعُوهَا عِلَاقِيَّةً فِي الْأَسْوَاقِ وَاسْتَعْدَى  
 أَهْلُهَا الْحِكْمَامَ فَلَمْ يَعْذُوهُمْ فِتْوَاةً مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلَاحِ عَلَى مَنَعِ الْفَسَاقِ وَكَفَّ  
 عَادِيَتَهُمْ وَقَامَ بِبَعْدَادَ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِخَالِدِ الدُّرْيُوسِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ  
 وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَاجَابَهُ خَلْقٌ وَقَاتَلَ أَهْلَ الزُّعْرَةِ فَعَابَهُمْ وَأَطْلَقَ يَدَهُ فِيهِمْ  
 بِالضَّرْبِ وَالتَّنْكِيلِ ثُمَّ قَامَ مِنْ بَعْدِهِ رَجُلٌ آخَرٌ مِنْ سَوَادِ أَهْلِ بَعْدَادَ يُعْرَفُ بِسَهْلِ  
 ابْنِ سَلَامَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَيُكْنَى أَبَا حَاتِمٍ وَعَلِقَ مُصْحَفًا فِي عُنُقِهِ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْأَمْرِ  
 بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْعَمَلِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 فَاتَّبَعَهُ النَّاسُ كَافَّةً مِنْ بَيْنِ شَرِيفٍ وَوَضِيْعٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَمَنْ دُونَهُمْ وَنَزَلَ قَصْرَ  
 طَاهِرٍ وَأَخَذَ الدِّيُونَ وَطَافَ بِبَعْدَادَ وَمَنَعَ كُلَّ مَنْ أَخَافَ الْمَارَةَ وَمَنَعَ الْحَفَارَةَ  
 لِأَوْلِيَاكِ الشُّطَارِ وَقَالَ لَهُ خَالِدُ الدُّرْيُوسُ أَنَا لَا أَعِيبُ عَلَى السُّلْطَانِ فَقَالَ لَهُ سَهْلٌ لِكُنِّي  
 أَقَاتِلْ كُلَّ مَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ كَثِيرًا مِنْ كَانَ ذَلِكَ سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ  
 وَجَهَّزَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ الْعَسَاكِرَ فَعَلَبَهُ وَأَسْرَهُ وَأَنْحَلَ أَمْرَهُ سَرِيعًا وَذَهَبَ وَجَمًّا  
 بِنَفْسِهِ ثُمَّ أَقْتَدَى بِهَذَا الْعَمَلِ بَعْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمَوْسُوسِينَ يَأْخُذُونَ أَنْفُسَهُمْ بِإِقَامَةِ الْحَقِّ  
 وَلَا يَعْرِفُونَ مَا يَخْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي إِقَامَتِهِ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَلَا يَشْعُرُونَ بِمَغْبَةِ أَمْرِهِ وَمَالَ  
 أَحْوَالِهِمُ وَالَّذِي يَخْتَاجُ إِلَيْهِ فِي أَمْرٍ هَوْلَاءُ أَمَّا الْمَدَاوِةُ إِنْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْجُبُونِ وَإِمَا  
 التَّنْكِيلِ بِالْقَتْلِ أَوْ الضَّرْبِ إِنْ أَحْدَثُوا هَرْجًا وَإِمَا إِذَاعَةَ الشُّخْرِيَّةِ مِنْهُمْ وَعَدُّهُمْ  
 مِنْ جُمْلَةِ الصَّاعِينَ وَقَدْ يَنْسَبُ بَعْضُهُمْ إِلَى الْفَاطِمِيِّ الْمُنْتَظَرِ إِمَابَانَهُ هُوَ أَوْ بَابَهُ دَاعٍ  
 لَهُ وَلَيْسَ مَعَ ذَلِكَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ أَمْرِ الْفَاطِمِيِّ وَلَا مَا هُوَ وَأَكْثَرُ الْمُنْتَظَرِينَ لِمِثْلِ هَذَا

تَجِدُهُمْ مُوسُوسِينَ أَوْ مَجَانِينَ أَوْ مُلَسِّينَ يَطْلُبُونَ بِمِثْلِ هَذِهِ الدَّعْوَةِ رِئَاسَةً أَمْتَلَاتَ  
بِهَا جَوَانِحَهُمْ وَعَجَزُوا عَنِ التَّوَصُّلِ إِلَيْهَا بِشَيْءٍ مِنْ أَسْبَابِهَا الْعَادِيَةِ فَيَحْسِبُونَ أَنَّ هَذَا  
مِنْ الْأَسْبَابِ الْبَالِغَةِ بِهِمْ إِلَى مَا يُؤْمَلُونَهُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا يَحْسِبُونَ مَا يَنَالُهُمْ فِيهِ مِنَ  
الْهَلَكَةِ فَيُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْقَتْلُ بِمَا يُعْدِنُونَهُ مِنَ الْفِتْنَةِ وَتَسْوَةِ سَاقِيَةِ مَكْرِهِمْ وَقَدْ كَانَ  
لِأَوَّلِ هَذِهِ الْمَائَةِ خَرَجَ بِالسُّوسِ رَجُلٌ مِنَ الْمُتَّصِفَةِ يُدْعَى التُّوبَدْرِيَّ عَمِدًا إِلَى  
مَسْجِدِ مَاسَةَ بِسَاحِلِ الْبَحْرِ هُنَاكَ وَزَعَمَ أَنَّهُ الْفَاطِمِيُّ الْمُنتَظَرُ تَلِيمَسًا عَلَى الْعَامَّةِ هُنَاكَ  
بِمَا مَلَاقُوا بِهِمْ مِنَ الْخُدَّانِ بِأَنْتِظَارِهِ هُنَاكَ وَإِنَّ مِنْ ذَلِكَ الْمَسْجِدِ يَكُونُ أَصْلُ دَعْوَتِهِ  
فَتَهَافَّتَ عَلَيْهِ طَوَائِفُ مِنْ عَامَّةِ الْبَرْبَرِ تَهَافَّتَ الْفَرَّاشِ ثُمَّ خَشِيَ زُؤْسًا وَهُوَ اتَّسَاعَ  
نَطَاقِ الْفِتْنَةِ فَدَسَّ إِلَيْهِ كَبِيرُ الْمَصَاصِدَةِ يَوْمَئِذٍ عَمْرُ السَّكْسِيوِيِّ مَنْ قَتَلَهُ فِي  
فِرَاشِهِ وَكَذَلِكَ خَرَجَ فِي غِمَارِهِ أَيْضًا لِأَوَّلِ هَذِهِ الْمَائَةِ رَجُلٌ يُعْرَفُ بِالْعَبَّاسِ  
وَأَدْعَى مِثْلَ هَذِهِ الدَّعْوَةِ وَاتَّبَعَ نَعِيقَهُ الْأَرْدَلُونَ مِنْ سَفَهَاءِ تِلْكَ الْقَبَائِلِ وَأَعْمَارِهِمْ  
وَزَحَنَتْ إِلَى بَادِسَ مِنْ أَمْصَارِهِمْ وَدَخَلَهَا عُنُودٌ ثُمَّ قُتِلَ لِأَرْبَعِينَ يَوْمًا مِنْ ظُهُورِ  
دَعْوَتِهِ وَمَضَى فِي أَهْلَالِكِينَ الْأَوْلِيَاءِ وَآمَثَلَ ذَلِكَ كَثِيرٌ وَالْغَلَطُ فِيهِ مِنَ الْغَفْلَةِ  
عَنْ أَعْيَابِ الْعَصِيَّةِ فِي مِثْلِهَا وَأَمَّا إِنْ كَانَ التَّلَيْسُ فَأَحْرَى أَنْ لَا يَتِمَّ لَهُ أَمْرٌ وَإِنْ  
بُيُوءَ بِأَيْمِهِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لِأَرْبَ غَيْرِهِ  
وَلَا مَعْبُودَ سِوَاهُ

### الفصل السابع

في ان كل دولة لها حصة من الممالك والاطوان لا تزيد عليها  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ عِصَابَةَ الدَّوْلَةِ وَقَوْمَهَا الْقَائِمِينَ بِهَا الْمُتَمَهِّدِينَ لَهَا لَا بُدَّ مِنْ  
تَوْزِيْعِهِمْ حِصَصًا عَلَى الْمَمَالِكِ وَالتُّغُورِ الَّتِي تُصِيرُ إِلَيْهِمْ وَيَسْتَوْلُونَ عَلَيْهَا لِحِمَايَتِهَا مِنْ  
الْعُدُوِّ وَإِمْضَاءِ أَحْكَامِ الدَّوْلَةِ فِيهَا مِنْ جِبَابِيَّةٍ وَرَدْعٍ وَعَبْرَ ذَلِكَ فَإِذَا تَوَزَعَتِ الْعِصَابُ  
كُلُّهَا عَلَى التُّغُورِ وَالْمَمَالِكِ فَلَا بُدَّ مِنْ نَفَادِ عَدَدِهَا وَقَدْ بَلَغَتْ الْمَمَالِكُ حَيْثُ يُنْزَلُ إِلَى  
حَدِّ يَكُونُ تَعَرُّاَ للدَّوْلَةِ وَتَحْمَاَ لوطِنِهَا وَنِطَاقَاَ لِمَرْكَزِ مَلِكِهَا فَإِنْ تَكَفَّلَتِ الدَّوْلَةُ بَعْدَ  
ذَلِكَ زِيَادَةً عَلَى مَا بِيَدِهَا بَقِيَ دُونَ حَامِيَّةٍ وَكَانَ مَوْضِعًا لِانْتِهَازِ الْفُرْصَةِ مِنَ الْعُدُوِّ  
وَالعِبَاوِرِ وَيَعُودُ وَبَالُ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ بِمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ التَّجَاسُرِ وَخَرْقِ سِيَاحِ الْهَيْبَةِ

وَمَا كَانَتْ الْعَصَابَةُ مَوْفُورَةً وَلَمْ يَنْفَدْ عَدُّهَا فِي تَوَزُّعِ الْحِصَصِ عَلَى الثُّغُورِ وَالنَّوَاحِي  
 بَقِي فِي الدَّوْلَةِ قُوَّةٌ عَلَى تَنَاوُلِ مَا وَرَاءَ الْغَايَةِ حَتَّى يَنْفَسِحَ نِطَاقُهَا إِلَى غَايَتِهِ وَالْعِلَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ  
 فِي ذَلِكَ هِيَ قُوَّةُ الْعَصِيَّةِ مِنْ سَائِرِ الْقُوَى الطَّبِيعِيَّةِ وَكُلُّ قُوَّةٍ يَصْدُرُ عَنْهَا فِعْلٌ مِنَ الْأَنْعَالِ  
 فَشَأْنُهَا ذَلِكَ فِي فِعْلِهَا وَالدَّوْلَةُ فِي مَرْكَزِهَا أَشَدُّ مِمَّا يَكُونُ فِي الطَّرْفِ وَالنِّطَاقِ وَإِذَا  
 انْتَهتْ إِلَى النِّطَاقِ الَّذِي هُوَ الْغَايَةُ عَجَزَتْ وَاقْصُرَتْ عَمَّا وَرَاءَهُ شَأْنُ الْأَشِعَّةِ وَالْأَنْوَارِ  
 إِذَا انْبَعَثَتْ مِنَ الْمَرَكَزِ وَالِدَوَائِرِ الْمُنْفَسِحَةِ عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ مِنَ النَّقْرِ عَلَيْهِ ثُمَّ إِذَا  
 أَدْرَكَهَا أَهْرَمٌ وَالضُّعْفُ فَإِنَّمَا تَأْخُذُ فِي التَّنَائِصِ مِنْ جِهَةِ الْأَطْرَافِ وَلَا يَرَالُ الْمَرْكَزُ  
 مَحْفُوظًا إِلَى أَنْ يَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِ الْأَمْرِ جُمْلَةً فَيُنْبِذُ يَكُونُ انْقِرَاضُ الْمَرْكَزِ  
 وَإِذَا غَلَبَ عَلَى الدَّوْلَةِ مِنْ مَرْكَزِهَا فَلَا يَنْفَعُهَا بَقَاءُ الْأَطْرَافِ وَالنِّطَاقِ بَلْ تَضْمَحِلُ لَوْفَتِهَا  
 فَإِنَّ الْمَرْكَزَ كَالْقَلْبِ الَّذِي تَبِعَتْ مِنْهُ الرُّوحُ فَإِذَا غَلَبَ عَلَى الْقَلْبِ وَمَلَكَ أَهْرَمَ جَمِيعِ  
 الْأَطْرَافِ وَانْظُرْ هَذَا فِي الدَّوْلَةِ الْفَارِسِيَّةِ كَانَ مَرْكَزُهَا الْمِدَائِنُ فَلَمَّا غَلَبَ الْمُسْلِمُونَ  
 عَلَى الْمِدَائِنِ انْقَرَضَ أَمْرُ فَارِسَ أَجْمَعٍ وَلَمْ يَنْفَعِ يَزْدَجُرْدَ مَا بَقِيَ بِيَدِهِ مِنْ أَطْرَافِ  
 مَمْلَكِهِ وَبِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ الدَّوْلَةُ الرُّومِيَّةُ بِالشَّامِ لَمَّا كَانَ مَرْكَزُهَا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَعَالِمُهُمُ  
 الْمُسْلِمُونَ بِالشَّامِ تَحَيَّزُوا إِلَى مَرْكَزِهِمُ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَلَمْ يَصْرَهُمُ انْتِزَاعُ الشَّامِ مِنْ  
 أَيْدِيهِمْ فَلَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ مُتَّصِلًا بِهَا إِلَى أَنْ تَأَذَّنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِهِ وَانْظُرْ أَيْضًا شَأْنَ  
 الْعَرَبِ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ لَمَّا كَانَتْ عَصَائِبُهُمْ مَوْفُورَةً كَيْفَ غَلَبُوا عَلَى مَا جَاوَرَهُمْ مِنَ  
 الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمِصْرَ لِاسْرِعِ وَقْتُ ثُمَّ تَجَاوَزُوا ذَلِكَ إِلَى مَا وَرَاءَهُ مِنَ السِّنْدِ وَالْحَبْشَةِ  
 وَأَفْرِيْقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ ثُمَّ إِلَى الْأَنْدَلُسِ فَلَمَّا تَفَرَّقُوا حِصَصًا عَلَى الْمَمَالِكِ وَالنُّغُورِ وَنَزَلُوها  
 حَامِيَةً وَنَفَدَ عَدْدُهُمْ فِي تِلْكَ التَّوْزِيعَاتِ أَقْصَرُوا عَنِ الْفَتْوحَاتِ بَعْدَ وَانْتَهَى أَمْرُ الْإِسْلَامِ  
 وَلَمْ يَتَجَاوَزْ تِلْكَ الْحُدُودَ وَمِنْهَا تَرَاجَعَتِ الدَّوْلَةُ حَتَّى تَأَذَّنَ اللَّهُ بِانْقِرَاضِهَا وَكَذَا كَانَ  
 حَالُ الدُّوَلِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ كُلِّ دَوْلَةٍ عَلَى نِسْبَةِ الْقَائِمِينَ بِهَا فِي الْقَلَّةِ وَالْكَثْرَةِ وَعِنْدَ  
 نَفَادِ عَدْدِهِمْ بِالتَّوْزِيعِ يَنْقَطِعُ لَهُمُ الْفَتْحُ وَالْإِسْتِبْلَاءُ سَنَةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ

## الفصل الثامن

في ان عظم الدولة واتساع نطاقها وطول امدها على نسبة القائمين بها

في القلة والكثرة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَأَهْلِ الْعَصِيَّةِ هُمُ الْحَامِيَةُ الَّذِينَ  
يَنْزِلُونَ بِمَمَالِكِ الدَّوْلَةِ وَأَقْطَارِهَا وَيَنْقَسِمُونَ عَلَيْهَا فَمَا كَانَ مِنَ الدَّوْلَةِ الْعَامَّةِ قَبِيلَهَا  
وَأَهْلُ عِصَابَتِهَا أَكْثَرَ كَانَتْ أَقْوَى وَأَكْثَرَ مَمَالِكِ وَأَوْطَانًا وَكَانَ مَلَكَهَا أَوْسَعَ لِلذَّكَ  
وَأَعْتَبَرَ ذَلِكَ بِالدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَمَّا آتَتْ اللَّهُ كَلِمَةَ الْعَرَبِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَكَانَ عَدَدُ  
الْمُسْلِمِينَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ آخِرِ غَزَوَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةَ أَلْفٍ وَعَشْرَةَ  
أَلْفٍ مِنْ مُضَرَ وَقَحْطَانَ مَا بَيْنَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ إِلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الْوَفَاةِ  
فَلَمَّا تَوَجَّهُوا لِطَلَبِ مَا فِي أَيْدِي الْأُمَمِ مِنَ الْمَلِكِ لَمْ يَكُنْ دُونَهُ حِمِيٌّ وَلَا وَزَرَ فَاَسْتَبِيحَ  
حِمِيَّ فَارِسٍ وَالرُّومِ وَأَهْلَ الدَّوْلَتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ فِي الْعَالَمِ الْعَهْدِيَّ وَالتُّرْكَ بِالْمَشْرِقِ  
وَالْإِفْرِجِيَّةِ وَالْبَرْبَرِ بِالْمَغْرِبِ وَالْقُوطِ بِالْأَنْدَلُسِ وَخَطُّوا مِنَ الْحِجَازِ إِلَى السُّوسِ الْأَقْصَى  
وَمِنَ الْيَمَنِ إِلَى التُّرْكَ بِالْقُصَى الشَّمَالِ وَاسْتَوَلُوا عَلَى الْأَقَالِيمِ السَّبْعَةِ ثُمَّ أَنْظَرُ بَعْدَ ذَلِكَ  
دَوْلَةً صَنَهَاجَةَ وَالْمُوحِدِينَ مَعَ الْعَبِيدِيِّينَ قَبْلَهُمْ لَمَّا كَانَ كِتَابَةُ الْقَائِمِينَ بِدَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ  
أَكْثَرَ مِنْ صَنَهَاجَةَ وَمِنَ الْمَصَامِدَةِ كَانَتْ دَوْلَتُهُمْ أَعْظَمَ فَمَلَكَوا أFRِيقَةَ وَالْمَغْرِبَ  
وَالشَّامَ وَمُضَرَ وَالْحِجَازَ ثُمَّ أَنْظَرُ بَعْدَ ذَلِكَ دَوْلَةَ زَبَانَةَ لَمَّا كَانَ عَدَدُهُمْ أَقَلَّ مِنَ الْمَصَامِدَةِ  
فَقَصَرَ مَلَكَهُمْ عَنِ مَلِكِ الْمُوحِدِينَ لِقُصُورِ عَدَدِهِمْ عَنِ عَدَدِ الْمَصَامِدَةِ مِنْذُ أَوَّلِ أَمْرِهِمْ  
ثُمَّ أَعْتَبَرَ بَعْدَ ذَلِكَ حَالَ الدَّوْلَتَيْنِ لِهَذَا الْعَهْدِ لَزَانَتَهُ بَنِي مُرَيْنَ وَبَنِي عَبْدِ الْوَادِ كَانَتْ  
دَوْلَتُهُمْ أَقْوَى مِنْهَا وَأَوْسَعَ نِطَاقًا وَكَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمُ الْعَلْبُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى . يُقَالُ إِنْ  
عَدَدُ بَنِي مُرَيْنَ لِأَوَّلِ مَلَكَهُمْ كَانَ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ وَإِنْ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ كَانُوا أَلْفًا إِلَّا  
أَنَّ الدَّوْلَةَ بِالرَّفْهِ وَكَثْرَةِ التَّابِعِ كَثُرَتْ مِنْ أَعْدَادِهِمْ وَعَلَى هَذِهِ النِّسْبَةِ فِي أَعْدَادِ  
الْمُتَعَلِّبِينَ لِأَوَّلِ الْمَلِكِ يَكُونُ اتِّسَاعُ الدَّوْلَةِ وَقُوَّتُهَا وَأَمَّا طَوْلُ أَمْدِهَا أَيْضًا فَعَلَى تِلْكَ  
النِّسْبَةِ لِأَنَّ عُمُرَ الْخَدَاثِ مِنْ قُوَّةِ مَزَاجِهِ وَمَزَاجِ الدُّوْلِ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَصِيَّةِ فَإِذَا كَانَتْ  
الْعَصِيَّةُ قُوَّةً كَانَ الْمَزَاجُ تَابِعًا لَهَا وَكَانَ أَمْدُ الْعُمُرِ طَوِيلًا وَالْعَصِيَّةُ إِنَّمَا هِيَ بِكَثْرَةِ  
الْعَدَدِ وَوُفُورِهِ كَمَا قُلْنَاهُ وَالسَّبَبُ الصَّحِيحُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النِّقْصَ إِنَّمَا يَبْدُو فِي الدَّوْلَةِ مِنْ

الْأَطْرَافِ فَإِذَا كَانَتْ مَمَالِكُهَا كَثِيرَةً كَانَتْ أَطْرَافُهَا بَعِيدَةً عَن مَرْكَزِهَا وَكَثِيرَةً وَكُلُّ نَقْصٍ يَقَعُ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ زَمَنٍ فَتَكْثُرُ أَرْزَامُنِ النِّقْصِ لِكَثْرَةِ الْمَمَالِكِ وَاخْتِصَاصِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِنَقْصٍ وَزَمَانٍ فَيَكُونُ أَمْدُهَا أَطْوَلَ الدُّوَلِ لِأَبْنُو الْعَبَّاسِ أَهْلُ الْمَرْكَزِ وَلَا بَنُو أُمَيَّةِ الْمُسْتَبِدِّينَ بِالْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَنْقُصْ أَمْرُ جَمِيعِهِمْ إِلَّا بَعْدَ الْأَرْبَعِمِائَةِ مِنَ الْهَجْرَةِ وَدَوْلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ كَانَ أَمْدُهَا قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً وَدَوْلَةُ صَهْبَاحَةَ دُونَهُمْ مِنْ لَدُنْ تَقْلِيدِ مَعَزِ الدُّوَلَةِ أَمْرًا فَرِيقِيَّةً لِالْحَكِيمِ بْنِ زَيْرِي فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ إِلَى حِينِ اسْتِيْلَاءِ الْمُوَحِّدِينَ عَلَى الْقَاعَةِ وَبِجَابَةِ سَنَةِ سَبْعِ وَخَمْسِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ وَدَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ تَنَاهَزَ مِائَتَيْنِ وَسَبْعِينَ سَنَةً وَهَذَا كَذَا نَسَبُ الدُّوَلِ فِي أَعْمَارِهَا عَلَى نِسْبَةِ الْقَائِمِينَ بِهَا سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ

### الفصل التاسع

في ان الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافُ الْأَرْكَاءِ وَالْأَهْوَاءِ وَأَنَّ وَرَاءَ كُلِّ رَأْيٍ مِنْهَا وَهَوَى  
عَصَبِيَّةً تَمَانِعُ دُونَهَا فَيَكْثُرُ الْاِتِّفَاقُ عَلَى الدُّوَلَةِ وَالخُرُوجُ عَلَيْهَا فِي كُلِّ وَتَتْ وَإِنْ  
كَانَتْ ذَاتَ عَصَبِيَّةٍ لِأَنَّ كُلَّ عَصَبِيَّةٍ مَمَّنْ تَحْتَ يَدِهَا تَطُنُّ فِي نَفْسِهَا مَنَعَةً وَقُوَّةً وَأَنْظُرُ  
مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَالْمَغْرِبِ مِنْذُ أَوَّلِ الْإِسْلَامِ وَلِهَذَا الْعَهْدِ فَإِنَّ سَاكِنِي هَذِهِ  
الْأَوْطَانَ مِنَ الْبَرْبَرِ أَهْلُ قِبَائِلٍ وَعَصَبِيَّاتٍ فَلَمْ يُغْنِ فِيهِمُ الْعَلْبُ الْأَوَّلُ الَّذِي كَانَ لِأَبْنِ  
أَبِي سَرْحٍ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْإِفْرِيقِيَّةِ شَيْئًا وَعَاوَدُوا بَعْدَ ذَلِكَ النُّورَةَ وَالرِّدَّةَ مَرَّةً بَعْدَ  
أُخْرَى وَعَظُمَ الْاِئْتِخَانُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِمْ وَلَمَّا اسْتَقَرَّ الدِّينُ عِنْدَهُمْ عَادُوا إِلَى النُّورَةِ  
وَالخُرُوجِ وَالْاِخْتِذِ بِيَدِي الْخَوَارِجِ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ أَزْدَتِ الْبَرَابِرَةَ  
بِالْمَغْرِبِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً وَلَمْ تَسْتَقِرَّ كَلِمَةُ الْإِسْلَامِ فِيهِمْ إِلَّا لِعَهْدِ الْوَالِيَةِ مُوسَى  
بْنِ نَصِيرٍ فَمَا بَعْدَهُ وَهَذَا مَعْنَى مَا يُنْقَلُ عَنْ عُمَرَ أَنَّ أَفْرِيقَةَ مُفَرَّقَةٌ لِقُلُوبِ أَهْلِهَا إِشَارَةً  
إِلَى مَا فِيهَا مِنْ كَثْرَةِ الْعَصَائِبِ وَالْقِبَائِلِ الْحَامِلَةِ لَهُمْ عَلَى عَدَمِ الْإِذْعَانِ وَالْاِئْتِيَادِ وَلَمْ  
يَكُنِ الْعِرَاقُ لِذَلِكَ الْعَهْدِ بِتِلْكَ الصَّفَةِ وَلَا الشَّامُ إِنَّمَا كَانَتْ حَامِيَّتَهُمَا مِنْ فَارَسِ  
وَالرُّومِ وَالْكَافَةِ دَهْمًا أَهْلُ مَدُنٍ وَأَمْصَارٍ فَلَمَّا عَلِمَهُمُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَأَنْزَعُوهُ  
مِنْ أَيْدِيهِمْ لَمْ يَبْقَ فِيهَا مَمَانِعٌ وَلَا مَشَاقِقٌ وَالْبَرْبَرُ قِبَائِلُهُمْ بِالْمَغْرِبِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ

تُحْصَى وَكُلُّهُمْ بَادِيَةٌ وَأَهْلُ عَصَابٍ وَعَشَائِرٍ وَكَلَّمَا هَلَكْتَ قَبِيلَةٌ عَادَتِ الْأُخْرَى  
مَكَانَهَا وَإِلَى دِينِهَا مِنَ الْخِلَافِ وَالرِّدَّةِ فَطَالَ أَمْرُ الْعَرَبِ فِي تَمَهِيدِ الدَّوْلَةِ بِوَطْنِ  
أَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ وَكَذَلِكَ كَانَ الْأَمْرُ بِالشَّامِ لِعَهْدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ فِيهِ مِنْ قَبَائِلِ  
فَلَسْطِينِ وَكَمَعَانَ وَبَنِي عَيْصُو وَبَنِي مَدْيَنَ وَبَنِي لُوطٍ وَالرُّومِ وَالْيُونَانَ وَالْعَمَالِقَةَ وَكَرْبَكِشَ  
وَالنَّبْطَ مِنْ جَانِبِ الْجَزِيرَةِ وَالْمَوْصِلَ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً وَنَوْعًا فِي الْعَصَبِيَّةِ فَصَعِبَ عَلَى  
بَنِي إِسْرَائِيلَ تَمَهِيدُ دَوْلَتِهِمْ وَرُسُوحُ أَمْرِهِمْ وَأَضْطَرَبَ عَلَيْهِمُ الْمَلِكُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى  
وَسَرَى ذَلِكَ الْخِلَافُ إِلَيْهِمْ فَأَخْتَلَفُوا عَلَى سُلْطَانِهِمْ وَخَرَجُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَلِكٌ  
مُوَطَّدٌ سَائِرًا يَا مَعْ إِلَى أَنْ غَلَبَهُمُ الْفَرَسُ ثُمَّ يُونَانُ ثُمَّ الرُّومُ آخِرُ أَمْرِهِمْ عِنْدَ الْجِلَاءِ  
وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَبَعَكَسٍ هَذَا أَيْضًا الْأَوْطَانُ الْخَالِيَةُ مِنَ الْعَصَبِيَّاتِ يَسْهُلُ تَمَهِيدُ  
الدَّوْلَةِ فِيهَا وَيَكُونُ سُلْطَانُهَا وَازْعًا لِقَلَّةِ الْهَرَجِ وَالْإِتْقَاضِ وَلَا تَحْتَاجُ الدَّوْلَةَ فِيهَا إِلَى  
كَثِيرٍ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ كَمَا هُوَ الشَّانُ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ لِهَذَا الْعَهْدِ إِذْ هِيَ خُلُوٌّ مِنَ الْقَبَائِلِ  
وَالْعَصَبِيَّاتِ كَانَ لَمْ يَكُنِ الشَّامُ مَعْدِنًا لَهُمْ كَمَا قُلْنَا هُناكَ مِصْرَ فِي غَايَةِ الدَّعَةِ وَالرُّسُوحِ  
لِقَلَّةِ الْخَوَارِجِ وَأَهْلِ الْعَصَابِ إِنَّمَا هُوَ سُلْطَانٌ وَرَعِيَّةٌ وَدَوْلَتُهَا قَائِمَةٌ بِمَلُوكِ التُّرِكِ  
وَعَصَائِبِهِمْ يَغْلِبُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَيَتَقَلُّ الْأَمْرُ فِيهِمْ مِنْ مَنْبَتٍ إِلَى مَنْبَتٍ  
وَالْخِلَافَةُ مَسْمُومَةٌ لِلْعَبَّاسِيِّ مِنَ أَعْقَابِ الْخُلَفَاءِ بَعْدَادَ وَكَدَشَانِ الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَإِنَّ  
عَصَبِيَّةَ ابْنِ الْأَحْمَرِ سُلْطَانِهَا لَمْ تَكُنْ لِأَوَّلِ دَوْلَتِهِمْ بِقُوَّةٍ وَلَا كَانَتْ كِرَاتٍ إِنَّمَا يَكُونُ  
أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الْعَرَبِ أَهْلُ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ يَقْوَامُونَ ذَلِكَ الْقِلَّةَ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ  
الْأَنْدَلُسِ لَمَّا انْقَرَضَتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ مِنْهُمْ وَمَلَكَهُمْ الْبَرْبَرُ مِنَ الْمُتُونَةِ وَالْمُوحِدِينَ  
سَمَّوْا مَلَكَتِهِمْ وَنَقَلَتْ وَطَانَتَهُمْ عَلَيْهِمْ فَأَشْرَبَتْ الْقُلُوبُ بَغْضَاءَهُمْ وَأَمَكَنَ الْمُوحِدُونَ  
وَالسَّادَةَ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ كَثِيرًا مِنَ الْحُصُونِ لِلطَّاعِيَّةِ فِي سَبِيلِ الْأَسْتِظْهَارِ بِهِ عَلَى شَأْنِهِمْ  
مِنْ تَمَلُّكِ الْحَضْرَةِ مَرَاكِشَ فَاجْتَمَعَ مَنْ كَانَ بَقِيَ بِهَا مِنْ أَهْلِ الْعَصَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ مَعَادِنُ  
مِنْ بُيُوتِ الْعَرَبِ تَجَافَى بِهِمُ الْمَنْبَتُ عَنِ الْحَضْرَةِ وَالْأَمْصَارِ بَعْضُ الشَّيْءِ وَرَسَّخُوا فِي  
الْعَصَبِيَّةِ مِثْلَ ابْنِ هُوْدٍ وَابْنِ الْأَحْمَرِ وَابْنَ مَرْدَنِشَ وَأَمْثَالِهِمْ فَقَامَ ابْنُ هُوْدٍ بِالْأَمْرِ  
وَدَعَا بِدَعْوَةِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِالْمَشْرِقِ وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَى الْخُرُوجِ عَلَى الْمُوحِدِينَ  
فَنَبَذُوا إِلَيْهِمُ الْعَهْدَ وَآخَرَجُوهُمْ وَأَسْتَقَلَّ ابْنُ هُوْدٍ بِالْأَمْرِ فِي الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ سَمَّا ابْنُ

الْأَحْمَرِ لِلْأَمْرِ وَخَالَفَ ابْنَ هُوْدٍ فِي دَعْوَتِهِ فَدَعَا هُوْلَاءَ لِابْنِ أَبِي حَنْصِصٍ صَاحِبِ أَفْرِيقِيَّةٍ  
 مِنَ الْمُؤَحَّدِينَ وَقَامَ بِالْأَمْرِ وَتَنَاوَلَهُ بَعْصَابَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْ قَرَابَتِهِ كَانُوا يُسَدُّونَ الرُّؤْسَاءَ وَلَمْ  
 يَحْتَجِ لِأَكْثَرِ مِنْهُمْ لِقَلَّةِ الْعَصَابِ بِالْأَنْدَلُسِ وَإِنَّمَا سَطَانٌ وَرَعِيَّةٌ ثُمَّ اسْتَظْهَرَ بَعْدَ  
 ذَلِكَ عَلَى الطَّاعِيَةِ بِمَنْ يُعِزُّ إِلَيْهِ الْبَحْرَ مِنْ أَعْيَاصِ زَنَانَةَ فَصَارُوا مَعَهُ عَصَبَةً عَلَى  
 الْمَشَافِرَةِ وَالرُّيَاطِ ثُمَّ سَمَا لِصَاحِبِ مِنْ مَلُوكِ زَنَانَةَ أَمَلٌ فِي الْأَسْتِيْلَاءِ عَلَى الْأَنْدَلُسِ  
 فَصَارَ أَوْلَيْكَ الْأَعْيَاصُ عَصَابَةُ ابْنِ الْأَحْمَرِ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ مِنْهُ إِلَى الْإِنْتِزَالِ  
 أَمْرُهُ وَرَسَخَ وَآلَفَتْهُ النَّفُوسُ وَعِجَزَ النَّاسُ عَنْ مُطَالَبَتِهِ وَوَرَّتْهُ أَعْقَابُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ فَلَا تَظُنُّ  
 أَنَّهُ يَغْيِرُ عَصَابَةَ فَلَيْسَ كَذَلِكَ وَقَدْ كَانَ مَبْدَأُهُ بَعْصَابَةً إِلَّا أَنَّهَا قَلِيلَةٌ وَعَلَى قَدَرِ الْحَاجَةِ  
 فَإِنَّ فَطَرَ الْأَنْدَلُسِ لِقَلَّةِ الْعَصَابِ وَالْقَبَائِلِ فِيهِ يُغْنِي عَنْ كَثْرَةِ الْعَصَبَةِ فِي التَّغْلِبِ  
 عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

### الفصل العاشر

في ان من طبيعة الملك الانفراد بالجد

وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ كَمَا قَدَمْنَاهُ إِنَّمَا هُوَ بِالْعَصَبَةِ وَالْعَصَبِيَّةِ مُتَأَلِّفَةٌ مِنْ عَصَبَاتٍ  
 كَثِيرَةٍ تَكُونُ وَاحِدَةً مِنْهَا أَقْوَى مِنَ الْأُخْرَى كُلُّهَا فَتَغْلِبُهَا وَتَسْتَوْلِي عَلَيْهَا حَتَّى تُصَيِّرَهَا  
 جَمِيعًا فِي ضَمْنِهَا وَبِذَلِكَ يَكُونُ الْأَجْمَاعُ وَالْغَلْبُ عَلَى النَّاسِ وَالذُّوْلُ وَسِرُّهُ أَنَّ الْعَصَبِيَّةَ  
 الْعَامَّةَ لِلْقَبِيلِ هِيَ مِثْلُ الْمَزَاجِ لِلْمَتَكُونِ وَالْمَزَاجُ إِنَّمَا يَكُونُ عَنِ الْعُنَاصِرِ وَقَدْ تَبَيَّنَ  
 فِي مَوْضِعِهِ أَنَّ الْعُنَاصِرَ إِذَا اجْتَمَعَتْ مِتْكَافِئَةٌ فَلَا يَقَعُ مِنْهَا مَزَاجٌ أَصْلًا بَلْ لَا بَدَّ مِنْ  
 أَنْ تَكُونَ وَاحِدَةً مِنْهَا هِيَ الْغَالِبَةُ عَلَى الْكُلِّ حَتَّى تَجْمَعَهَا وَتَوْلَفَهَا وَتُصَيِّرَهَا عَصَبِيَّةً  
 وَاحِدَةً شَامِلَةً لِجَمِيعِ الْعَصَابِ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي ضَمْنِهَا وَتِلْكَ الْعَصَبِيَّةُ الْكُبْرَى إِنَّمَا  
 تَكُونُ لِقَوْمٍ أَهْلُ بَيْتٍ وَرِئَاسَةٍ فِيهِمْ وَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ رِئِيسًا لَهُمْ غَالِبًا  
 عَلَيْهِمْ فَيَتَعَيَّنُ رِئِيسًا لِلْعَصَبِيَّاتِ كُلِّهَا لِغَلْبِ مَبْنِيَّتِهِ لِحَمِيَّتِهَا وَإِذَا تَعَيَّنَ لِذَلِكَ فَمِنْ الطَّبِيعَةِ  
 الْحَيَوَانِيَّةِ خَلْقُ الْكِبَرِ وَالْإِنْفَةِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ مِنَ الْمَسَاهِمَةِ وَالْمَشَارِكَةِ فِي اسْتِتْبَاعِهِمْ  
 وَالتَّحْكُمِ فِيهِمْ وَيَجِيئُ خَلْقُ التَّأَلُّهِ الَّذِي فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ مَعَ مَا تَقْتَضِيهِ السِّيَاسَةُ مِنْ  
 انْفِرَادِ الْحَاكِمِ لِفَسَادِ الْكُلِّ بِاخْتِلَافِ الْحُكْمِ لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتْ  
 فَتَجْدَعُ حِينَئِذٍ أَنْوْفُ الْعَصَبِيَّاتِ وَتَفْلَحُ شَكَائِهِمْ عَنْ أَنْ يَسْمُوا إِلَى مَشَارِكَتِهِ فِي التَّحْكُمِ

وَأُفْرِعُ عَصِيبتَهُمْ عَنْ ذَلِكَ وَيَنْفَرِدُ بِهِ مَا اسْتَطَاعَ حَتَّى لَا يَبْرُكَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِي الْأَمْرِ لَا نَافَةَ وَلَا حَمْلًا فَيَنْفَرِدُ بِذَلِكَ الْحَجْدُ بِكَلْبَتِهِ وَيَدْفَعُهُمْ عَنْ مَسَاهِمَتِهِ وَقَدْ يَتِمُّ ذَلِكَ لِلأَوَّلِ مِنْ مُلُوكِ الدَّوْلَةِ وَقَدْ لَا يَتِمُّ إِلَّا لِلثَّانِي وَالثَّالِثِ عَلَى قَدْرِ مُمَانَعَةِ الْعَصِيبَاتِ وَقُوَّتِهَا إِلَّا أَنَّهُ أَمْرٌ لَا بَدَمَ فِي الدَّوْلَةِ سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الحادي عشر

في ان من طبيعة الملك الترف

وَذَلِكَ أَنَّ الأُمَّةَ إِذَا تَغَلَّبَتْ وَمَلَكَتْ مَا بِأَيْدِي أَهْلِ الْمُلْكِ قَبْلَهَا كَثُرَ رِيَاسُهَا وَنِعْمَتُهَا فَتَفَكَّرُوا عَوَائِدُهُمْ وَيَتَجَاوَزُونَ ضَرُورَاتِ العَيْشِ وَخَشُونَتِهِ إِلَى نَوَافِلِهِ وَرَقَّتِهِ وَزِينَتِهِ وَيَذْهَبُونَ إِلَى اتِّبَاعِ مَنْ قَبْلَهُمْ فِي عَوَائِدِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَتَصِيرُ لِنِلكِ النَوَافِلِ عَوَائِدُ ضَرُورِيَّةٌ فِي تَحْصِيلِهَا وَيَنْزِعُونَ مَعَ ذَلِكَ إِلَى رِقَّةِ الأَحْوَالِ فِي المَطَاعِمِ وَالْمَلَائِسِ وَالنُّرُشِ وَالْأَنِيبَةِ وَيَتَفَاخَرُونَ فِي ذَلِكَ وَيَفَاخِرُونَ فِيهِ غَيْرُهُمْ مِنَ الأُمَمِ فِي أَكْلِ الطَّيِّبِ وَنِسِ الأَنِيبِ وَرُكُوبِ الفَارِهِ وَبِنَاعِي حَلْفِهِمْ فِي ذَلِكَ سَلَفَهُمْ إِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ وَعَلَى قَدْرِ مَلَكَتِهِمْ يَكُونُ حَظُّهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَتَرَفُّهُمْ فِيهِ إِلَى أَنْ يَبْلُغُوا مِنْ ذَلِكَ الغَايَةَ الَّتِي لِلدَّوْلَةِ إِلَى أَنْ تَبْلُغَهَا بِحَسَبِ قُوَّتِهَا وَعَوَائِدِ مَنْ قَبْلَهَا سَنَةَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الثاني عشر

في ان من طبيعة الملك الدعة والسكون

وَذَلِكَ أَنَّ الأُمَّةَ لَا يَحْصِلُ لَهَا الْمُلْكُ إِلَّا بِالْمُطَابَئَةِ وَالْمُطَابَئَةُ غَايَتُهَا الغَلْبُ وَالْمُلْكُ وَإِذَا حَصَلَتْ الغَايَةُ انْقَضَى السَّعْيُ إِلَيْهَا (قال الشاعر)  
عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ  
فَإِذَا حَصَلَ الْمُلْكُ أَقْصَرُوا عَنِ المَتَاعِ الَّتِي كَانُوا يَتَمَكَّلُونَ بِهَا فِي طَلِبِهِ وَأَثَرُوا الرِّاحَةَ وَالسُّكُونَ وَالدَّعَاةَ وَرَجَعُوا إِلَى تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ الْمُلْكِ مِنَ المَبَانِي وَالْمَسَاكِينِ وَالْمَلَائِسِ فَيَبْنُونَ القُصُورَ وَيَجْرُونَ المِيَاهَ وَيَغْرَسُونَ الرِّيَاضَ وَيَسْتَمْتَعُونَ بِأَحْوَالِ الدُّنْيَا وَيُؤْتِرُونَ الرِّاحَةَ عَلَى المَتَاعِ وَيَتَأْتِقُونَ فِي أَحْوَالِ المَلَائِسِ وَالْمَطَاعِمِ وَالْأَنِيبَةِ وَالنُّرُشِ مَا اسْتَطَاعُوا وَيَأْتِقُونَ ذَلِكَ وَيُورِثُونَهُ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَجِبَالِهِمْ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ يَتَزَايَدُ فِيهِمْ

إِلَى أَنْ يَتَذَكَّرَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الثالث عشر

في انه اذا تحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة

اقبلت الدولة على الهرم

وَيَبَانُهُ مِنْ وُجُوهِهِ . الْأَوَّلُ أَنَّهَا تَقْتَضِي الْأَنْفِرَادَ بِالْمَجْدِ كَمَا قُلْنَا هُ وَنَهْمَا كَانِ  
الْمَجْدُ مُشْتَرِكًا بَيْنَ الْعَصَابَةِ وَكَانَ سَعِيهِمْ لَهُ وَاحِدًا كَانَتْ هِمَّتُهُمْ فِي التَّقَلُّبِ عَلَى الْغَيْرِ  
وَالذَّبِّ عَنِ الْحُوزَةِ أَسْوَةً فِي طُمُوحِهَا وَقُوَّةِ شِكَايِمِهَا وَرَمَاهُمْ إِلَى الْعَزِّ جَمِيعًا يَسْتَطِيبُونَ  
الْمَوْتَ فِي بِنَاءِ مَجْدِهِمْ وَيُؤْتِرُونَ الْهَلَاكَةَ عَلَى فُسَادِهِ وَإِذَا أَنْفَرَدَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ بِالْمَجْدِ  
فَرَحَّ عَصَبِيَّتُهُمْ وَكَبَّحَ مِنْ أَعْتَبَتِهِمْ وَأَسْتَأْتَرَ بِالْأَمْوَالِ دُونَهُمْ فَمَكَاسَلُوا عَنِ الْغَزْوِ وَفَسَلِ  
رُبْحَهُمْ وَرَنِمُوا الْمَدَلَّةَ وَالْإِسْتِعْبَادَ ثُمَّ رُبِّي الْجِيلَ الثَّانِي مِنْهُمْ عَلَى ذَلِكَ يَحْسِبُونَ مَا يَنَالُونَهُ  
مِنَ الْعَطَاءِ أَجْرًا مِنَ السُّلْطَانِ لَيْسَ لَهُمْ عَنِ الْحِمَايَةِ وَالْمَعُونَةِ لَا يَجْرِي فِي عُقُولِهِمْ سِوَاهُ وَقَلَّ  
أَنْ يَسْتَأْجِرَ أَحَدٌ نَفْسَهُ عَلَى الْمَوْتِ فَيَصِيرُ ذَلِكَ وَهَنًا فِي الدَّوْلَةِ وَخَضًا مِنَ الشُّوْكَةِ  
وَتَقْيِيلٍ بِهِ عَلَى مَنَاحِي الضَّعْفِ وَالْهَرَمِ لِنَسَادِ الْعَصِيَّةِ بِذَهَابِ الْبَأْسِ مِنْ أَهْلِهَا . وَالْوَجْهُ  
الثَّانِي أَنَّ طَبِيعَةَ الْمَلِكِ تَقْتَضِي التَّرَفَ كَمَا قَدَّمْنَا فَتَكْثُرُ عَوَائِدُهُمْ وَتَزِيدُ نَفَقَاتِهِمْ  
عَلَى أَعْطِيَاتِهِمْ وَلَا يَبِي دَخْلُهُمْ بِخَرْجِهِمْ فَالْفَقِيرُ مِنْهُمْ يَهْلِكُ وَالتَّرَفُ يَسْتَعْرِقُ عَطَاءَهُ  
بِتَرْفِهِ ثُمَّ يَزْدَادُ ذَلِكَ فِي أَجْيَالِهِمُ الْمَتَأَخَّرَةِ إِلَى أَنْ يَقْصُرَ الْعَطَاءُ كُلُّهُ عَنِ التَّرَفِ  
وَعَوَائِدِهِ وَتَمَسَّهُمُ الْحَاجَةُ وَتَطَالِبُهُمْ مَلُوكُهُمْ بِمَحْصَرِ نَفَقَاتِهِمْ فِي الْغَزْوِ وَالْخُرُوبِ فَلَا  
يَجِدُونَ وِلِجَةً عَنْهَا يَفِوَعُونَ بِهِمُ الْعُقُوبَاتُ وَيَنْتَزِعُونَ مَا فِي أَيْدِي الْكَثِيرِ مِنْهُمْ يَسْتَأْتِرُونَ  
بِهِ عَلَيْهِمْ أَوْ يُؤْتِرُونَ بِهِ أَبْنَاءَهُمْ وَصَنَائِعَ دَوْلَتِهِمْ فَيُضْعَفُونَهُمْ لِذَلِكَ عَنِ إِقَامَةِ أَحْوَالِهِمْ  
وَيُضْعَفُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ بِضَعْفِهِمْ وَأَيْضًا إِذَا كَثُرَ التَّرَفُ فِي الدَّوْلَةِ وَصَارَ عَطَاؤُهُمْ  
مُقْصَرًا عَنِ حَاجَاتِهِمْ وَنَفَقَاتِهِمْ أَحْتِاجُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ الَّذِي هُوَ السُّلْطَانُ إِلَى الزِّيَادَةِ  
فِي أَعْطِيَاتِهِمْ حَتَّى يَسُدَّ خَلْلَهُمْ وَيُزِيحَ عَلَيْهِمُ وَالْحِبَايَةُ مَقْدَارُهَا مَعْلُومٌ وَلَا تَزِيدُ وَلَا  
تَنْقُصُ وَإِنْ زَادَتْ بِمَا يَسْتَحْدِثُ مِنَ الْمَكُوسِ فَيَصِيرُ مَقْدَارُهَا بَعْدَ الزِّيَادَةِ مَحْدُودًا  
فَإِذَا وَزَعَتْ الْحِبَايَةُ عَلَى الْأَعْطِيَاتِ وَقَدْ حَدَثَتْ فِيهَا الزِّيَادَةُ لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمَا حَدَثَ مِنْ  
تَرْفِهِمْ وَكَثْرَةِ نَفَقَاتِهِمْ تَقْصُرُ عَدَدُ الْحِمَايَةِ حِينَئِذٍ عَمَّا كَانَ قَبْلَ زِيَادَةِ الْأَعْطِيَاتِ ثُمَّ

يَعْظُمُ التَّرْفُ وَتَكْثُرُ مَقَادِيرُ الْأَعْظِيَّاتِ لِذَلِكَ فَيَنْقُصُ عَدَدُ الْحَامِيَةِ وَثَالِثًا وَرَابِعًا إِلَى  
 أَنْ يَعُودَ الْعَسْكَرُ إِلَى أَقَلِّ الْأَعْدَادِ فَتَضَعُ الْحِمَايَةَ لِذَلِكَ وَتَسْقُطُ قُوَّةُ الدَّوْلَةِ وَيَتَجَسَّرُ  
 عَلَيْهَا مَنْ يَجَاوِزُهَا مِنَ الدُّوَلِ أَوْ مَنْ هُوَ تَحْتَ يَدَيْهَا مِنَ الْقَبَائِلِ وَالْعَصَائِبِ وَيَأْذَنُ اللَّهُ  
 فِيهَا بِالْإِنْفَاءِ الَّذِي كَتَبَهُ عَلَى خَلْقَتِهِ وَأَيْضًا فَالتَّرْفُ مُفسِدٌ لِلخَلْقِ بِمَا يَحْصُلُ فِي النَّفْسِ مِنْ  
 الْوَانِ الشَّرِّ وَالسَّفْسَافَةِ وَعَوَائِدِهَا كَمَا يَأْتِي فِي فَصْلِ الْحِزَارَةِ فَتَذْهَبُ مِنْهُمْ خِلَالَ  
 الْخَيْرِ الَّتِي كَانَتْ عِلْمَةً عَلَى الْمَلِكِ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ وَبِتَصْفُونَ بِمَا يُنَاقِضُهَا مِنْ خِلَالَ الشَّرِّ  
 فَيَكُونُ عِلْمَةً عَلَى الْإِدْبَارِ وَالْإِنْقِرَاضِ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فِي خَلْقَتِهِ وَتَأْخُذُ  
 الدَّوْلَةُ مَبَادِي الْعَطَبِ وَتَتَضَعُ أَحْوَالَهَا وَتَنْزِلُ بِهَا أَمْرَاضٌ مُزْمِنَةٌ مِنَ الْهَرَمِ إِلَى أَنْ  
 يَقْضَى عَلَيْهَا الْوَجْهُ الثَّلَاثُ أَنْ طَبِيعَةَ الْمَلِكِ تَقْتَضِي الدَّعَةَ كَمَا ذَكَرْنَا وَإِذَا تَأَخَّذُوا  
 الدَّعَةَ وَالرَّاحَةَ مَا لَمْ نَأْمُرْ وَخَلَقْنَا صَارَ لَهُمْ ذَلِكَ طَبِيعَةً وَجِيلَةً شَأْنُ الْعَوَائِدِ كُلِّهَا وَإِذَا بَلَغَتْهَا  
 قَرَّبَنِي أَجْيَالَهُمْ الْخَادِثَةَ فِي غَضَارَةِ الْعَيْشِ وَمِهَادِ التَّرْفِ وَالدَّعَةِ وَبِنَقْلِ خُلُقِ التَّوْحُشِ  
 وَيَنْسَوْنَ عَوَائِدَ الْبِدَاوَةِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا الْمَلِكُ مِنْ شِدَّةِ الْبَأْسِ وَتَعُوذُ الْإِنْفِرَاسِ وَرُكُوبِ  
 الْبَيْدَاءِ وَهَدَايَةِ الْقَمَرِ فَلَا يَفْرَقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السُّوقَةِ مِنَ الْحَضَرِ إِلَّا فِي التَّقَافَةِ وَالشَّارَةِ  
 فَتَضَعُ حِمَايَتَهُمْ وَيَذْهَبُ بِأَسْمِهِمْ وَتَنْخَضُ شَوْكَتُهُمْ وَيَعُودُ وَبَالَ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ بِمَا  
 لُبَّسُ مِنَ ثِيَابِ الْهَرَمِ ثُمَّ لَا يَزَالُونَ يَتَلَوَّنُونَ بِعَوَائِدِ التَّرْفِ وَالْحِزَارَةِ وَالسُّكُونِ وَالدَّعَةِ  
 وَرَوَّةِ الْحَاشِيَةِ فِي جَمِيعِ أَحْرَالِهِمْ وَبِنَعْمَسُونَ فِيهَا وَهُمْ فِي ذَلِكَ يَبْعُدُونَ عَنِ الْبِدَاوَةِ  
 وَالْحَشُونَةِ وَيَنْسَلِخُونَ عَنْهَا شَيْئًا فَيْشَيْئًا وَيَنْسَوْنَ خُلُقَ الْبَسَالَةِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا الْحِمَايَةُ وَالْمُدَافَعَةُ  
 حَتَّى يَعُودُوا عِيَالًا عَلَى حَامِيَةٍ أُخْرَى إِنْ كَانَتْ لَهُمْ وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الدُّوَلِ الَّتِي أَخْبَارَهَا  
 فِي الصُّحُفِ لَدَيْكَ تَجِدُ مَا فَاتَهُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ صَحِيحًا مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ وَرُبَّمَا يَحْدُثُ فِي الدَّوْلَةِ  
 إِذَا طَرَقَهَا هَذَا الْهَرَمُ بِالتَّرْفِ وَالرَّاحَةِ أَنْ يَتَخَيَّرَ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ أَنْصَارًا وَشِيعَةً مِنْ غَيْرِ  
 جِلْدَتِهِمْ مِمَّنْ تَعُوذُ الْحَشُونَةَ فَيَتَّخِذُهُمْ جُنْدًا يَكُونُ أَصْبَرَ عَلَى الْحَرْبِ وَأَقْدَرَ عَلَى مَعَانَاةِ  
 الشَّدَائِدِ مِنَ الْجُوعِ وَالسُّطْفِ وَيَكُونُ ذَلِكَ دَوَاءً لِلدَّوْلَةِ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي عَسَاهُ أَنْ  
 يَطْرُقَهَا حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ فِيهَا بِأَمْرِهِ وَهَذَا كَمَا وَقَعَ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ فَإِنْ غَالِبَ  
 جُنْدُهَا الْمَوَالِي مِنَ التُّرْكِ فَتَتَخَيَّرُ مَلُوكُهُمْ مِنْ أَوْلِيَّكَ الْمَمَالِكِ الَّتِي تَجَاوِزُ بَيْنَ إِلَيْهِمْ فُرْسَانًا  
 وَجُنْدًا فَيَكُونُونَ أَجْرًا عَلَى الْحَرْبِ وَأَصْبَرَ عَلَى السُّطْفِ مِنْ أَبْنَاءِ الْمَمَالِكِ الَّذِينَ

كَانُوا قَبْلَهُمْ وَرَبُّوا فِي مَاءِ النَّعِيمِ وَالسُّلْطَانَ وَظِلِّهِ وَكَذَلِكَ فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ بِأَفْرَيقِيَّةَ  
فَإِنَّ صَاحِبَهَا كَثِيرًا مَا يَتَّخِذُ أَجْنَادَهُ مِنْ زَنَانِهِ وَالْعَرَبِ وَيَسْتَكْبِرُ مِنْهُمْ وَيَبْرِكُ أَهْلَ  
الدَّوْلَةِ الْمُتَعَوِّدِينَ لِلتَّرَفِ فَتَسْتَحِدُّ الدَّوْلَةَ بِذَلِكَ عُمَرًا آخَرَ سَالِمًا مِنَ الْهَرَمِ وَاللَّهِ  
وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا

### الفصل الرابع عشر

في ان الدولة لها اعمار طبيعية كما للاشخاص

اعْلَمْ أَنَّ الْعُمَرَ الطَّبِيعِيَّ لِلْأَشْخَاصِ عَلَى مَا زَعَمَ الْأَطْبَاءُ وَالْمُتَجَمِّمُونَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ  
سَنَةً وَهِيَ سِنُو الْقَمَرِ الْكُبْرَى عِنْدَ الْمُتَجَمِّمِينَ وَيَخْتَلِفُ الْعُمَرُ فِي كُلِّ جَيْلٍ بِحَسَبِ  
الْقِرَانَاتِ فَيَزِيدُ عَنْ هَذَا وَيَنْقُصُ مِنْهُ فَتَكُونُ أَعْمَارُ بَعْضِ أَهْلِ الْقِرَانَاتِ مِائَةً تَامَةً  
وَبَعْضِهِمْ خَمْسِينَ أَوْ ثَمَانِينَ أَوْ سَبْعِينَ عَلَى مَا نَقَضِيهِهِ أَدِلَّةُ الْقِرَانَاتِ عِنْدَ النَّظَرِيِّينَ فِيهَا  
وَأَعْمَارُ هَذِهِ الْمَلَّةِ مَا بَيْنَ السِّتِينَ إِلَى السَّبْعِينَ كَمَا فِي الْحَدِيثِ وَلَا يَزِيدُ عَلَى الْعُمَرِ  
الطَّبِيعِيِّ الَّذِي هُوَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ إِلَّا فِي الصُّورِ النَّادِرَةِ وَعَلَى الْأَوْضَاعِ الْغَرِيبَةِ مِنْ  
الْفَلَكَ كَمَا وَقَعَ فِي شَأْنِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ عَادَ وَتَمُودَ وَأَمَّا أَعْمَارُ  
الدُّوَلِ أَيْضًا وَإِنْ كَانَتْ تَخْتَلِفُ بِحَسَبِ الْقِرَانَاتِ إِلَّا أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي الْغَالِبِ لَا تَعْدُو  
أَعْمَارَ ثَلَاثَةِ أَجْيَالٍ وَالْجَيْلُ هُوَ عُمَرُ شَخْصٍ وَاحِدٍ مِنَ الْعُمَرِ الْوَسْطِ فَيَكُونُ  
أَرْبَعِينَ الَّذِي هُوَ أَنْتَهَاءُ النُّمُوِّ وَالنُّشُوءِ إِلَى غَايَتِهِ قَالَ تَعَالَى حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ  
أَرْبَعِينَ سَنَةً وَهَذَا فَلْنَا إِنَّ عُمَرَ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ هُوَ عُمَرُ الْجَيْلِ وَيُؤَيِّدُهُ مَا ذَكَرْنَاهُ  
فِي حِكْمَةِ التَّبِيهِ الَّذِي وَقَعَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْأَرْبَعِينَ فِيهِ فَنَاءُ الْجَيْلِ  
الْأَحْيَاءِ وَنَشَأُ جَيْلٍ آخَرَ لَمْ يَهْدُوا الذَّلَّ وَلَا عَرَفُوهُ فَدَلَّ عَلَى اعْتِبَارِ الْأَرْبَعِينَ فِي  
عُمَرِ الْجَيْلِ الَّذِي هُوَ عُمَرُ الشَّخْصِ الْوَاحِدِ وَإِنَّمَا فَلْنَا أَنَّ عُمَرَ الدَّوْلَةِ لَا يَعْدُو فِي الْغَالِبِ  
ثَلَاثَةَ أَجْيَالٍ لِأَنَّ الْجَيْلَ الْأَوَّلَ لَمْ يَزَلْوا عَلَى خُلُقِ الْبِدَاوَةِ وَخَشُونَتِهَا وَتَوْحُّشِهَا مِنْ  
شَظْفِ الْعَيْشِ وَالْبَسَالَةِ وَالْإِفْتِرَاسِ وَالْإِسْتِرَاكِ فِي الْمَجْدِ فَلَا تَزَالُ بِذَلِكَ سُورَةُ الْعَصِيَّةِ  
مَحْفُوظَةً فِيهِمْ فَحَدُّهُمْ مَرْهَفٌ وَجَانِبُهُمْ مَرْهُوبٌ وَالنَّاسُ لَهُمْ مَعْلُوبُونَ وَالْجَيْلُ الثَّانِي  
تَحَوَّلَ حَالُهُمْ بِالْمَلِكِ وَالتَّرَفِ مِنَ الْبِدَاوَةِ إِلَى الْحَضَارَةِ وَمِنْ الشَّظْفِ إِلَى التَّرَفِ  
وَالنَّحِيبِ وَمِنْ الْإِسْتِرَاكِ فِي الْمَجْدِ إِلَى انْفِرَادِ الْوَاحِدِ بِهِ وَكَسَلِ الْبَاقِينَ عَنْ

السعي فيه ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة فنكسر سورة العصية بعض  
الشيء وأؤس منهم المماناة والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما أدر كوا الحيل  
الأول وبأشروا أحوالهم وشاهدوا أعزازهم وسعيهم إلى العجد وبرايتهم في المدافعة  
والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكليّة وإن ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء  
من مراجعة الأحوال التي كانت للحيل الأولى أو على ظن من وجودها فيهم وأما  
الحيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويقدون حلاوة العز  
والعصية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ فيهم الترف غايته بما تنقوه من النعيم  
وغضارة العيش فيصرون عيالاً على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين  
للمدافعة عنهم وتسقط العصية بالجملة وينسرن الحماية والمدافعة والمطالبة  
ويلبسون على الناس في الشارة والزّي ورؤوب الحيل وحسن النقافة يؤهون بها وهم  
في الآكثر أجبن من النسوان على ظهورها فإذا جاء المطالب لهم لم يقاوموا  
مدافعتهم فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل العجدة ويستكثر  
بالموالي ويصطنع من يعني عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن الله بأنقراضها فتذهب  
الدولة بما حملت فهدية كما تراه ثلاثة أجيال فيها يكون هرم الدولة وتخلها  
ولهذا كان أنقراض الحسب في الجيل الرابع كما مر في أن العجد والحسب إنما هو  
أربعة آباء وقد آتيناك فيه بزمان طبيعي كاف ظاهر مبني على ما مهدناه قبل من  
المقدمات فتأمل فلن تعدو وجه الحق إن كنت من أهل الإنصاف وهذو الأجيال  
الثلاثة عمرها مائة وعشرون سنة على مامر ولا تعدو الدول في الغالب هذا العمر بتقريب  
قبله أو بعده إلا إن عرض لها عرض آخر من فقدان المطالب فيكون الهرم حاصلاً  
مستولياً والطالب لم يحضرها ولو قد جاء الطالب لَمَا وجد مدافعاً فإذا جاء آجاءهم  
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فهذا العمر للدولة بمثابة عمر الشخص من التزيد  
إلى سن الوقوف ثم إلى سن الرجوع ولهذا يجري على السنة الناس في المشهور أن  
عمر الدولة مائة سنة وهذا معناه فأعني به واتخذ منه قانوناً يصحح لك عدد الآباء في  
عمود النسب الذي ترده من قبل معرفة السنين الماضية إذا كنت قد استربت في  
عدهم وكانت السنون الماضية منذ أولهم محصلة لديك فعد لكل مائة من السنين

ثَلَاثَةٌ مِنَ الْآبَاءِ فَإِنَّ نَفَدَتْ عَلَى هَذَا الْقِيَاسِ مَعَ نُفُودِ عَدَدِهِمْ فَهُوَ صَحِيحٌ وَإِنْ نَقَصَتْ عَنْهُ  
بِحِيلٍ فَقَدْ غَلَطَ عَدَدُهُمْ بِزِيَادَةٍ وَاحِدَةٍ فِي عُمُودِ النَّسَبِ وَإِنْ زَادَتْ بِمِثْلِهِ فَقَدْ سَقَطَ وَاحِدٌ  
وَكَذَلِكَ تَأْخُذُ عَدَدُ السِّنِينَ مِنْ عَدَدِهِمْ إِذَا كَانَ مُحْصَلًا لَدَيْكَ فَتَأْمَلُهُ تَجِدُهُ فِي الْغَالِبِ  
صَحِيحًا وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ

## الفصل الخامس عشر

في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة

اعلم ان هذه الاطوار طبيعية للدول فان الغلب الذي يكون به الملك انما هو  
بالعصبة وبما يتبعها من شدة البأس وتعود الافتراس ولا يكون ذلك غالباً الا مع  
البداوة فطور الدولة من اولها بداوة ثم اذا حصل الملك تبعه الرفه واتسع الاحوال  
والحضارة انما هي تفنن في الترف واحكام الصنائع المستعملة في وجوه ومداهيه  
من المطابخ والملابس والمباني والفرش والابنية وسائر عوائد المنزل واحواله  
فالكل واحد منها صنائع في استجداته والتائق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضاً  
وتتكثر باختلاف ما تنزع اليه النفوس من الشهوات والملاذ والتعمير باحوال  
الترف وما تتلون به من العوائد فصارت طور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة  
ضرورة لضرورة تبعية الرفه للملك واهل الدول ابداً يقلدون في طور الحضارة  
واحوالها للدولة السابقة قبلهم فاحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب ياخذون ومثل هذا  
وقع للعرب لما كان الفتح وملكوا فارس والروم واستخدموا بناتهم وابنائهم ولم  
يكنوا لذلك العهد في شيء من الحضارة فقد حكى انه قدم له المرفق فكانوا  
يحسبونه رقاء وعثروا على الكافور في خزائن كسرى فاستعملوه في عجينهم ملحاً ومثال  
ذلك كثير فلما استعبدوا اهل الدول قبلهم واستعملوه في مهنهم وحاجات منازلهم  
واختاروا منهم المهرة في امثال ذلك والقومة عليهم افادوهم علاج ذلك والقيام  
على عمله والتفنن فيه مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفنن في احواله فبلغوا الغاية  
في ذلك وتطوروا بطور الحضارة والترف في الاحوال واستجدت المطاعم والمشارب  
 والملابس والمباني والاسلحة والفرش والابنية وسائر المعونات والحرفي وكذلك  
احوالهم في ايام المباشرة والولايم واليالي الاعراس فأتوا من ذلك وراء الغاية وأنظر

مَا نَقَلَهُ الْمَسْعُودِيُّ وَالطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُمَا فِي أَعْرَاسِ الْمَأْمُونِ بِبُورَانَ بِنْتِ الْحَسَنِ  
 بْنِ سَهْلٍ وَمَا بَدَلَ أَبُوهَا حَاشِيَةَ الْمَأْمُونِ حِينَ وَافَاهُ فِي خُطْبَتِهَا إِلَى دَارِهِ بِفَمِ الصُّلْحِ  
 وَرَكِبَ إِلَيْهَا فِي السَّنِينَ وَمَا أَنْتَقَى فِي أَمَلَا كَيْهَا وَمَا نَحَلَهَا الْمَأْمُونُ وَأَنْتَقَى فِي عَرَسِيهَا  
 نَقَفَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْعَجَبِ فَمَنْهُ أَنْ الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ نَثَرَ يَوْمَ الْأَمَلَاكِ فِي الصَّبِيحِ الَّذِي  
 حَضَرَهُ حَاشِيَةَ الْمَأْمُونِ فَثَنَرَ عَلَى الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنْهُمْ بِنَادِقِ الدَّمَكِ مَثْوُوثَةً دَلَى  
 الرَّقَاعِ بِالصَّبَاغِ وَالْعَقَارِ مَسْوُوعَةً لِمَنْ حَصَلَتْ فِي يَدِهِ بِقَعِ إِبْكَلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَمَا  
 آدَاهُ إِلَيْهِ الْإِتْفَاقُ وَالْبَحْثُ وَفَرَّقَ عَلَى الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ بَدْرَ الدَّنَانِيرِ فِي كُلِّ بَدْرَةٍ عَشْرَةٌ  
 الْأَفْ وَفَرَّقَ عَلَى الطَّبَقَةِ الثَّلَاثَةِ بَدْرَ الدَّرَاهِمِ كَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أَنْتَقَى عَلَى مَقَامَةِ الْمَأْمُونِ  
 بِدَارِهِ اضْعَافَ ذَلِكَ وَمَنْهُ أَنَّ الْمَأْمُونِ أَعْطَاهَا فِي مَهْرِهَا لَيْلَةً زَفَافِيهَا أَلْفَ حَصَاةٍ مِنْ  
 الْيَاقُوتِ وَأَوْقَدَ شُمُوعَ الْعَنْبَرِ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِائَةَ مِنْ وَهُوَ رَطْلٌ وَثَلَاثَانِ (١)

وَبَسَطَ لَهَا فُرُشًا كَانَ الْخَصِيرُ مِنْهَا مَسْجُوجًا بِالذَّهَبِ مُكَلَّلًا بِاللُّدِّ وَالْيَاقُوتِ وَقَالَ  
 الْمَأْمُونُ حِينَ رَأَاهُ قَاتِلَ اللَّهِ أَبَا نُوَاسٍ كَأَنَّهُ أَبْعَرَ مَذَا حَيْثُ يَقُولُ فِي صِنَةِ الْخَمْرِ  
 كَانَ صُغْرَى وَكِبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ  
 وَأَعَدَّ بِدَارِ الطَّبَخِ مِنَ الْخُطْبِ لِلَّيْلَةِ الْوَلِيمَةِ نَقَلَ مِائَةَ رَازِبَيْنِ بَعْلًا مِدَّةَ عَامٍ كَامِلٍ  
 ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَفِي الْخُطْبِ لِلْيَمَانِيِّينَ وَأَوْقَدُوا الْجُرَيْدَ يَصُبُّونَ عَلَيْهِ الزَّيْتَ  
 وَأَوْعَزَ إِلَى النُّوَاتِيَةِ بِإِحْضَارِ السُّنَنِ لِإِجَارَةِ الْخَوَاصِّ مِنَ النَّاسِ بِدَجَلَةَ مِنْ بَعْدَادَ إِلَى  
 قُصُورِ الْمَلِكِ بِمَدِينَةِ الْمَأْمُونِ لِحُضُورِ الْوَلِيمَةِ فَكَانَتْ الْحَرَاقَاتُ (٢) الْمَعْدَةُ لِذَلِكَ  
 ثَلَاثِينَ أَلْفًا أَجَازُوا النَّاسَ فِيهَا أُخْرِيَاتٍ مَهَارِهِمْ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذَا وَأَمْثَالِهِ وَكَذَلِكَ عَرَسُ  
 الْمَأْمُونِ بْنِ ذِي النُّونِ بِطَيْلِطَةَ نَقَلَهُ ابْنُ سَامٍ فِي كِتَابِ الذَّخِيرَةِ وَأَبْنُ حَيَّانَ بَعْدَ أَنْ  
 كَانُوا كُلُّهُمْ فِي الطُّورِ الْأَوَّلِ مِنَ الْبِدَاوَةِ عَاجِزِينَ عَنْ ذَلِكَ جُمْلَةً لِفَقْدَانِ أَسْبَابِهِ  
 وَالْقَائِمِينَ عَلَى صَنَائِعِهِ فِي غَضَاظَتِهِمْ وَسَدَاجَتِهِمْ يَذْكُرُ أَنَّ الْحَجَّاجَ أَوْلَمَ فِي اخْتِنَانِ  
 بَعْضِ وُلْدِهِ فَأَسْتَحْضَرَ بَعْضَ الدَّهَاقِينَ يَسْأَلُهُ عَنْ وِلَامِ الْفَرَسِ وَقَالَ أَخْبِرْنِي بِأَعْظَمِ  
 صَنِيعِ شَهَدْتُهُ فَقَالَ لَهُ نَعَمْ أَيُّهَا الْأَمِيرُ شَهَدْتُ بَعْضَ مَرَّازِبَةٍ كِسْرَى وَقَدْ صَنَعَ لِأَهْلِ

(١) قوله وثلثان الذي كتب في اللغة ان المن رطل وقيل رطلان ولم يوجد في النسخة التونسية لئذان

(٢) الحرقاوات بالفتح جمع حرقاة سفينة فيها مراعي نار برمي بها العدو اه مختار

فَارَسَ صَنِيعًا أَحْضَرَ فِيهِ صِحَافَ الذَّهَبِ عَلَى أُخُوْتَةِ الْفِضَّةِ أَرْبَعًا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَتَحْمَلُهُ  
 أَرْبَعُ وَصَائِفٍ وَيَجْلِسُ عَلَيْهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ النَّاسِ فَإِذَا طَعِمُوا أَتَبِعُوا أَرْبَعَتَهُمُ الْمَائِدَةَ  
 بِصِحَافِهَا وَوُصَفَافِهَا فَقَالَ الْحَجَّاجُ يَا غُلَامُ انْحَرِ الْجُزْرَ وَأَطْعِمِ النَّاسَ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يَسْتَقِلُّ  
 بِهَذِهِ الْأَهْبَةِ وَكَذَلِكَ كَانَتْ . وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَعْطِيَهُ بِنِي أُمِيَّةَ وَجَوَائِزَهُمْ فَإِنَّمَا كَانَ  
 أَكْثَرُهَا الْإِبِلَ أَخَذًا بِمَذَاهِبِ الْعَرَبِ وَبَدَاؤَتِهِمْ ثُمَّ كَانَتْ الْجَوَائِزُ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 وَالْعَبِيدِيَّينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَا عَلِمْتَ مِنْ أَحْمَالِ الْمَالِ وَتَحْوِثِ الثِّيَابِ وَإِعْدَادِ الْخَيْلِ بِمَرَاكِبِهَا  
 وَهَكَذَا كَانَ شَأْنُ كِتَابَةِ مَعَ الْأَغَالِيَةِ بِأَفْرِيقِيَّةَ وَكَذَا بِنِي طَفَّحٍ بِمِصْرَ وَشَأْنُ لِمَتُونَةَ  
 مَعَ مُلُوكِ الطُّوَانِفِ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْمُوحِدِينَ كَذَلِكَ وَشَأْنُ زَنَانَةَ مَعَ الْمُوحِدِينَ وَهَلُمَّ  
 جَرًّا تَنْتَقِلُ الْخِضَارَةُ مِنَ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ إِلَى الدُّوَلِ الْخَالِفَةِ فَانْتَقَلَتْ خِضَارَةُ الْفُرْسِ لِلْعَرَبِ  
 بِنِي أُمِيَّةَ وَبِنِي الْعَبَّاسِ وَانْتَقَلَتْ خِضَارَةُ بِنِي أُمِيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى مُلُوكِ الْمَغْرِبِ مِنَ  
 الْمُوحِدِينَ وَزَنَانَةَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَانْتَقَلَتْ خِضَارَةُ بِنِي الْعَبَّاسِ إِلَى الدَّيْلَمِ ثُمَّ إِلَى التُّرْكِ ثُمَّ  
 إِلَى السُّلْجُوقِيَّةِ ثُمَّ إِلَى التُّرْكِ الْمَمَالِكِ بِمِصْرَ وَالتُّرْكِ بِالْعِرَاقَيْنِ وَعَلَى قَدْرِ عِظَمِ الدَّوْلَةِ  
 يَكُونُ شَأْنُهَا فِي الْخِضَارَةِ إِذَا أُمُورُ الْخِضَارَةِ مِنْ تَوَاعِيحِ التَّرْفِ وَالتَّرْفِ مِنْ تَوَاعِيحِ  
 التَّرْوَةِ وَالنِّعْمَةِ وَالتَّرْوَةِ وَالنِّعْمَةِ مِنْ تَوَاعِيحِ الْمَلِكِ وَمَقْدَارًا مَا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ أَهْلُ الدَّوْلَةِ  
 فَعَلَى نِسْبَةِ الْمَلِكِ يَكُونُ ذَلِكَ كُلُّهُ فَاعْتَبِرْهُ وَتَفَهَّمْهُ وَتَأَمَّلْهُ تَجِدْهُ صَحِيحًا فِي الْعُمُرَانِ  
 وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل السادس عشر

في ان الترف يزيد الدولة في اولها قوة الى قوتها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْقَبِيلَ إِذَا حَصَلَ لَهُمُ الْمَلِكُ وَالتَّرْفُ كَثُرَ النَّاسِلُ وَالْوَلَدُ  
 وَالْعُمُومِيَّةُ فَكَثُرَتِ الْعِصَابَةُ وَأَسْتَكْتَرُوا أَيضًا مِنَ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ وَرَبِيَّتِ أَجْيَالِهِمْ  
 فِي جَوْ ذَلِكَ النِّعَمِ وَالرِّفَةِ فَازْدَادُوا بِهِ عَدَدًا إِلَى عَدَدِهِمْ وَقُوَّةً إِلَى قُوَّتِهِمْ بِسَبَبِ  
 كَثْرَةِ الْعِصَابِ حِينَئِذٍ بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ فَإِذَا ذَهَبَ الْجَيْلُ الْأَوَّلُ وَالتَّانِي وَأَخَذَتِ الدَّوْلَةُ  
 فِي الْهَرَمِ لَمْ تَسْتَقِلَّ أَوْلِيَاكُ الصَّنَائِعِ وَالْمَوَالِي بِأَنْفُسِهِمْ فِي تَأْسِيسِ الدَّوْلَةِ وَتَمْيِيدِ  
 مَلِكِهَا لِأَنَّهِنَّ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ إِنَّمَا كَانُوا عِيَالًا عَلَى أَهْلِهَا وَمَعُونَةً لَهَا فَإِذَا  
 ذَهَبَ الْأَصْلُ لَمْ يَسْتَقِلَّ الْفَرْعُ بِالرُّسُوخِ فَيَذْهَبُ وَبِتَلَاشَى وَلَا تَبْقَى الدَّوْلَةُ عَلَى حَالِهَا

مِنَ الْقُوَّةِ وَأَعْتَبَ هَذَا بِمَا وَقَعَ فِي الدَّوْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ كَانَ عَدَدُ الْعَرَبِ كَمَا قُلْنَا  
 لِعَهْدِ النَّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ مِائَةً وَخَمْسِينَ أَلْفًا وَمَا يُقَارِبُهَا مِنْ مُضَرٍّ وَفَخَطَانٍ وَلَمَّا بَلَغَ التَّرَفُ  
 مِبَالِغَهُ فِي الدَّوْلَةِ وَتَوَفَّرَ نَحْوُهُمْ بِتَوْفُرِ النِّعْمَةِ وَأَسْتَكْرَرُ الْخُلَفَاءُ مِنَ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ  
 بَلَغَ ذَلِكَ الْعَدَدُ إِلَى أضعافِهِ يُقَالُ إِنَّ الْمُعْتَصِمَ نَازَلَ عُمُورِيَّةً لَمَّا أَفْتَنَحَهَا فِي تِسْعِمِائَةِ  
 أَلْفٍ وَلَا يَبْعُدُ مِثْلُ هَذَا الْعَدَدِ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا إِذَا أَعْتَبَرْتَ حَامِيَتَهُمْ فِي الثُّغُورِ الدَّائِيَةِ  
 وَالْقَاصِيَةِ شَرْفًا وَعَرَبًا إِلَى أَلْحَبِّ الْحَمَلِينَ سَرِيرِ الْمَلِكِ وَالْمَوَالِي وَالْمُصْطَنِعِينَ وَقَالَ  
 الْمَسْعُودِيُّ أَحْصَى بَنُو الْعَبَّاسِ ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَاصَّةً أَيَّامَ الْمَأْمُونِ لِإِلَاقَةِ تَفَاقِ عَلَيْهِمْ  
 فَكَانُوا ثَلَاثِينَ أَلْفًا بَيْنَ ذِكْرَانٍ وَإِنَّا فَانظُرْ مِبَالِغَ هَذَا الْعَدَدِ لِأَقَلِّ مِنْ مِائَتِي سَنَةٍ  
 وَأَعْلَمُ أَنَّ سَبِيهَ الرَّفْعَةَ وَالنَّعِيمِ الَّذِي حَصَلَ لِلدَّوْلَةِ وَرَبِّي فِيهِ أَجْيَاهُمْ وَإِلَّا فَعَدَدُ الْعَرَبِ  
 لِأَوَّلِ الْفَتْحِ لَمْ يَبْلُغْ هَذَا وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ

### الفصل السابع عشر

فِي أَطْوَارِ الدَّوْلَةِ وَاخْتِلَافِ أَحْوَالِهَا وَخَلَقَ أَمَلُهَا بِاخْتِلَافِ الْأَطْوَارِ  
 إِعْلَمُ أَنَّ الدَّوْلَةَ تَتَقَلَّبُ فِي أَطْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ وَحَالَاتٍ مُتَجَدِّدَةٍ وَيَكْتَسِبُ الْقَائِمُونَ  
 بِهَا فِي كُلِّ طَوْرٍ خُلُقًا مِنْ أَحْوَالِ ذَلِكَ الطَّوْرِ لَا يَكُونُ مِثْلَهُ فِي الطَّوْرِ الْأَخْرَ لِأَنَّ  
 الْخَلْقَ تَابَعَ بِالطَّبَعِ لِمَزَاجِ الْحَالِ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَحَالَاتِ الدَّوْلَةِ وَأَطْوَارِهَا لَا تَعْدُو فِي  
 الْغَالِبِ خَمْسَةَ أَطْوَارٍ. الطَّوْرُ الْأَوَّلُ طَوْرُ الظَّفَرِ بِالْبُغْيَةِ وَعَلَبِ الْمُدَافِعِ وَالْمَمَانِعِ  
 وَالْأَسْتِيْلَاءِ عَلَى الْمَلِكِ وَأَنْتِزَاعِهِ مِنْ أَيْدِي الدَّوْلَةِ فِي هَذَا الطَّوْرِ أَسْوَةٌ قَوْمِهِ فِي  
 اكْتِسَابِ الْمَجْدِ وَجَبَابَةِ الْمَالِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنِ الْحُوزَةِ وَالْحِمَايَةِ لَا يَنْفَرِدُ دُونَهُمْ بِشَيْءٍ  
 لِأَنَّ ذَلِكَ هُوَ مُقْتَضَى الْعَصِيَّةِ الَّتِي وَقَعَ بِهَا الْعَلْبُ وَهِيَ لَمْ تَزَلْ بَعْدَ مَجَالِهَا. الطَّوْرُ الثَّانِي  
 طَوْرُ الْأَسْتِبْدَادِ عَلَى قَوْمِهِ وَالْإِنْتِزَاعِ دُونَهُمْ بِالْمَلِكِ وَكِبْهِمْ عَنِ التَّطَوُّلِ الْمُسَاهِمَةِ  
 وَالْمُشَارَكَةِ وَيَكُونُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ فِي هَذَا الطَّوْرِ مَعْنِيًا بِأَصْطِنَاعِ الرِّجَالِ وَاتِّخَاذِ  
 الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنْ ذَلِكَ لِجَدْعِ أَنْوْفِ أَهْلِ عَصِيَّتِهِ وَعَشِيرَتِهِ الْمُقَامِسِينَ  
 لَهُ فِي نِسْبَةِ الْأَضَارِ بَيْنَ فِي الْمَلِكِ بِمِثْلِ سَهْمِهِ فَهُوَ يَدَافِعُهُمْ عَنِ الْأَمْرِ وَيَصُدُّهُمْ عَنِ  
 مَوَارِدِهِ وَيُرُدُّهُمْ عَلَى أَعْتَابِهِمْ أَنْ يُخْلَصُوا إِلَيْهِ حَتَّى يَقْرَأَ الْأَمْرَ فِي نِصَابِهِ وَيُنْفِرِدَ أَهْلُ  
 بَيْتِهِ بِمَا يَبْنِي مِنْ مَجْدِهِ فَيُعَانِي مِنْ مُدَافِعَتِهِمْ وَمُغَالَبَتِهِمْ مِثْلَ مَا عَانَاهُ الْأَوَّلُونَ فِي طَلَبِ

الْأَمْرَ أَوْ أَشَدَّ لَانَ الْأَوَّلِينَ دَافِعُوا الْأَجَانِبَ فَكَانَ ظَهْرًاؤُهُمْ عَلَى مُدَافَعَتِهِمْ أَهْلَ  
 الْعَصِيَّةِ بِأَجْمَعِهِمْ وَهَذَا يُدَافِعُ الْأَقْرَبَ لَا يُظَاهِرُهُ عَلَى مُدَافَعَتِهِمْ إِلَّا الْأَقْلُ مِنَ  
 الْأَبَاعِدِ فَيَرْكَبُ صَعْبًا مِنَ الْأَمْرِ . الطُّورُ الثَّلَاثُ طُورُ الْفِرَاقِ وَالِدَعَةُ لِتَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ  
 الْمَلِكِ مِمَّا تَنْزِعُ طَبَاغَ الْبَشْرِ إِلَيْهِ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَالِ وَتَخْلِيدِ الْأَنْوَارِ وَبَعْدَ الصَّيْتِ  
 فَيَسْتَفْرِغُ وَسْعَهُ فِي الْجَبَايَةِ وَضَبَطِ الدُّخْلِ وَالْخُرُوجِ وَإِحْصَاءِ النِّقَاتِ وَالْقَصْدِ فِيهَا  
 وَتَشْيِيدِ الْمَبَانِي الْحَاذِلَةِ وَالْمَصَانِعِ الْعَظِيمَةِ وَالْأَمْصَارِ الْمُنْتَسِعَةِ وَالْهَيَاكِلِ الْمُرْتَنَعَةِ  
 وَاجَازَةِ الْوُفُودِ مِنْ أَشْرَافِ الْأُمَمِ وَوُجُوهِ الْقَبَائِلِ وَبِتِ الْعَرُوفِ فِي أَهْلِهِ هَذَا مَعَ  
 التَّوَسُّعَةِ عَلَى صَنَاعِهِ وَحَاشِيَتِهِ فِي أَحْوَالِهِمْ بِالْمَالِ وَالنَّجَاهِ وَأَعْتِرَاضِ جُنُودِهِ وَإِدْرَارِ  
 أَرْزَاقِهِمْ وَإِنصَافِهِمْ فِي أَعْطِيَاتِهِمْ بِكُلِّ هَيْلَالٍ حَتَّى يَظْهَرَ أَثَرُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ فِي مَلَاسِمِهِمْ  
 وَشُكْمِهِمْ وَشَارَاتِهِمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ فِيبَاهِي بِهِمِ الدُّوَلِ الْمُسَالِمَةِ وَيَرْهَبُ الدُّوَلِ الْمُحَارِبَةَ  
 وَهَذَا الطُّورُ آخِرُ أَطْوَارِ الْأَسْتِبْدَادِ مِنْ أَصْحَابِ الدُّوَلَةِ لِأَنَّهُمْ فِي هَذِهِ الْأَطْوَارِ كَلَّهَا  
 مُسْتَقْبِلُونَ بَارَأَتِهِمْ بَانُونَ لِعَزِيمِهِمْ مُوضِحُونَ الطَّرِيقَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ . الطُّورُ الرَّابِعُ طُورُ  
 الْقَنُوعِ وَالْمُسَالَمَةِ وَيَكُونُ صَاحِبُ الدُّوَلَةِ فِي هَذَا قَانِعًا بِمَا بَنَى أَوَّلُهُ سَلِيمًا لِإِنظَارِهِ  
 مِنَ الْمُلُوكِ وَقَاتِلَهُ مُقَدِّمًا لِلْمَاضِينَ مِنْ سَلْفِهِ فَيَتَّبِعُ آثَارَهُمْ حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ وَيَقْتَفِي  
 طَرِيقَهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَاهِجِ الْأَقْتِدَاءِ وَيَرَى أَنَّ فِي الْخُرُوجِ عَنْ تَقْلِيدِهِمْ فِسَادَ أَمْرِهِ وَأَنَّهُمْ  
 أَبْصَرُوا بِمَا بَنَوْا مِنْ مَجْدِهِ . الطُّورُ الْخَامِسُ طُورُ الْإِسْرَافِ وَالتَّبْدِيرِ وَيَكُونُ صَاحِبُ  
 الدُّوَلَةِ فِي هَذَا الطُّورِ مُتْلِفًا لِمَا جَمَعَ أَوَّلُهُ فِي سَبِيلِ الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَاذِ وَالْبُكْرَمِ عَلَى  
 بَطَانَتِهِ وَفِي جَبَالِسِهِ وَاصْطِنَاعِ أَخْدَانِ السُّوءِ وَخَضْرَاءِ الدَّمَنِ وَتَقْلِيدِهِمْ عَظِيمَاتِ الْأُمُورِ  
 الَّتِي لَا يَسْتَقْبِلُونَ بِحَمَالِيهَا وَلَا يَعْرِفُونَ مَا يَأْتُونَ وَيَدْرُونَ مِنْهَا مُسْتَفْسِدِ الْكِبَارِ الْأَوْلِيَاءِ  
 مِنْ قَوْمِهِ وَصَنَائِعِ سَلْفِهِ حَتَّى يَطْفَغُوا عَلَيْهِ وَيَتَّخِذُوا عَنْ نُصْرَتِهِ مُضِيعًا مِنْ جُنْدِهِ  
 بِمَا انْفَقَ مِنْ أَعْطِيَاتِهِمْ فِي شَهَوَاتِهِ وَحَبَّ عَنْهُمْ وَجَهَ مَبَاشَرَتَهُ وَتَقْدِيرَهُ فَيَكُونُ خَيْرًا  
 لِمَا كَانَ سَلْفُهُ يُوَسِّسُونَ وَهَادِمًا لِمَا كَانُوا يَبْنُونَ وَفِي هَذَا الطُّورِ تَحْصُلُ فِي الدُّوَلَةِ طَبِيعَةُ  
 الْهَرَمِ وَيَسْتَوِلِي عَلَيْهَا الْمَرَضُ الْمَزْمُنُ الَّذِي لَا تَكَادُ تَخْلُصُ مِنْهُ وَلَا يَكُونُ لَهَا مَعَهُ  
 بُرٌّ إِلَى أَنْ تَنْقَرِضَ كَمَا بُيِّنَتْ فِي الْأَحْوَالِ الَّتِي نَسَرَدُهَا وَاللَّهُ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

## الفصل الثامن عشر

في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في اصلها  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأَثَارَ إِنَّمَا تَخْدُثُ عَنِ الْقُوَّةِ الَّتِي بِهَا كَانَتْ أَوَّلًا وَعَلَى قَدَرِهَا  
يَكُونُ الْأَثَرُ فَمِنْ ذَلِكَ مَبَانِي الدَّوْلَةِ وَهِيَ كُلُّهَا الْعَظِيمَةُ فَإِنَّمَا تَكُونُ عَلَى نِسْبَةِ قُوَّةِ  
الدَّوْلَةِ فِي أَصْلِهَا لِأَنَّهَا لَا تَنُمُ إِلَّا بِكَثْرَةِ الْفَعْلَةِ وَاجْتِمَاعِ الْأَيْدِي عَلَى الْعَمَلِ بِالتَّعَاوُنِ  
فِيهِ فَإِذَا كَانَتِ الدَّوْلَةُ عَظِيمَةً فَسِيحَةَ الْجَوَائِبِ كَثِيرَةٌ الْمَالِكِ وَالرَّعَايَا كَانَ الْفَعْلَةُ  
كَثِيرِينَ جِدًّا وَحُشِرُوا مِنْ أَفَاقِ الدَّوْلَةِ وَأَقْطَارِهَا فَتَمَّ الْعَمَلُ عَلَى عَظَمِ هِيَ كُلِّهِ الْأَثَرِ  
إِلَى مَصَانِعِ قَوْمِ عَادٍ وَتَمُودَ وَمَا قَصَهُ الْقُرْآنُ عَنْهُمَا وَانظُرْ بِالْمُشَاهَدَةِ إِيوَانَ كَسْرِي  
وَمَا أَقْتَدَرَ فِيهِ الْفَرَسُ حَتَّى إِنَّهُ عَزَمَ الرَّشِيدُ عَلَى هَدْمِهِ وَتَخْرِيْبِهِ فَتَمَكَّأَ دَعْنَهُ وَسَرَعَ  
فِيهِ ثُمَّ أَدْرَكَهُ الْعُجُزُ وَقِصَّةُ اسْتِشَارَتِهِ لِجَيِّ بْنِ خَالِدٍ فِي شَأْنِهِ مَعْرُوفَةٌ فَانظُرْ كَيْفَ  
تَقْتَدِرُ دَوْلَةٌ عَلَى بِنَاءٍ لَا تَسْتَطِيعُ أُخْرَى عَلَى هَدْمِهِ مَعَ بَوْنِ مَا بَيْنَ الْهَدْمِ وَالتَّبْنَاءِ فِي السُّهُولَةِ  
تَعْرِفُ مِنْ ذَلِكَ بَوْنَ مَا بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ وَانظُرْ إِلَى بِلَاطِ الْأَوْلِيْدِ بِدِمَشْقَ وَجَامِعِ بَنِي أُمِيَّةَ  
بِقَرْطَبَةَ وَالْقَنْظَرَةَ الَّتِي عَلَى وَادِيهَا وَكَذَلِكَ بِنَاءُ الْحَنَائِيَا لِجَلْبِ الْمَاءِ إِلَى قَرْطَابَةَ فِي  
الْقَنَاةِ الرَّابِئَةِ عَلَيْهَا وَاتَّارَ شَرْشَالَ بِالْمَغْرِبِ وَالْأَهْرَامِ بِمِصْرَ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ الْأَثَارِ  
الْمَائِلَةِ لِلْعِيَانِ يُعْلَمُ مِنْهُ اخْتِلَافُ الدُّوَلِ فِي الْقُوَّةِ وَالضُّعْفِ وَاعْلَمْ أَنَّ تِلْكَ الْأَفْعَالَ  
لِلْأَقْدَمِينَ إِنَّمَا كَانَتْ بِالْهَيْئَاتِ وَاجْتِمَاعِ الْفَعْلَةِ وَكَثْرَةِ الْأَيْدِي عَلَيْهَا فَبِذَلِكَ شَبِّدَتْ  
تِلْكَ الْهَيْئَاتِ كُلَّهَا وَالْمَصَانِعُ وَلَا تَتَوَهَّمُ مَا تَتَوَهَّمُ الْعَامَّةُ أَنَّ ذَلِكَ لِعِظَمِ أَحْسَامِ الْأَقْدَمِينَ  
عَنْ أَحْسَامِنَا فِي أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا فَلَيْسَ بَيْنَ الْبَشَرِ فِي ذَلِكَ كَبِيرٌ بَوْنٌ كَمَا نَحْدُ بَيْنَ  
الْهَيْئَاتِ كُلِّهَا وَالْأَثَارِ وَاقْتَدِرْ وَلِعِ الْقِصَاصُ بِذَلِكَ وَتَعَالَوْا فِيهِ وَسَطَّرُوا عَنْ عَادٍ وَتَمُودَ وَالْعَمَالِقَةَ  
فِي ذَلِكَ أَخْبَارًا عَرَبِيَّةً فِي الْكُذِبِ مِنْ أَعْرَبِهَا مَا يَحْكُونُ عَنْ عَوْجِ بْنِ عِنَاقٍ (١) رَجُلٌ  
مِنَ الْعَمَالِقَةِ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الشَّامِ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ لِيَطُولُهُ يَتَنَاوَلُ السَّمَكَ  
مِنَ الْبَحْرِ وَيَسُوْبُهُ إِلَى السَّمْسِ وَيَزِيدُونَ إِلَى جَهْلِهِمْ بِأَحْوَالِ الْبَشَرِ الْجَهْلَ بِأَحْوَالِ  
الْكُوكِبِ لِمَا اعْتَقَدُوا أَنَّ لِلشَّمْسِ حَرَارَةً وَأَنَّهَا شَدِيدَةٌ فِيمَا قَرُبَ مِنْهَا وَلَا يَعْلَمُونَ

(١) قوله ابن عناق الذي في القاموس في باب المجهول عن عوق بالواو والمشهور على السنة الناس

عنى بالنون قاله نصر الهوربي

انَّ الْحَرَّ هُوَ الضَّوُّهٗ وَاِنَّ الضَّوُّهٗ فَيَمَّا قَرَبَ مِنَ الْاَرْضِ كَثُرَ لِانْعِكَاسِ الْاَشْعَةِ  
 مِنْ سَطْحِ الْاَرْضِ بِمُقَابَلَةِ الْاَضْوَاءِ فَتَنْضَاعِفُ الْحَرَارَةُ هُنَا لِاجْلِ ذَلِكَ وَاِذَا تَجَاوَزَتْ  
 مَطَارِحَ الْاَشْعَةِ الْمُنْعِكِسَةِ فَلَا حَرَّ هُنَاكَ بَلْ يَكُونُ فِيهِ الْبَرْدُ حَيْثُ تَجَارِي السَّحَابُ  
 وَاِنَّ الشَّمْسَ فِي نَفْسِهَا لَا حَارَةً وَلَا بَارِدَةً وَاِنَّمَا هِيَ جِسْمٌ بَسِطٌ مُضِيءٌ لَا مَزَاجَ لَهُ  
 وَكَذَلِكَ عُوْجُ بَنُ عِنَاقٍ هُوَ فَيَمَّا ذَكَرُوهُ مِنَ الْعَمَالِقَةِ اَوْ مِنَ الْكِنَعَانِيِّينَ الَّذِيْنَ  
 كَانُوْا فَرِيْسَةً مِنْ بَنِي اِسْرَائِيْلَ عِنْدَ فَتْحِهِمْ الشَّامَ وَاَطْوَالَ بَنِي اِسْرَائِيْلَ وَجِسْمَانِهِمْ لِذَلِكَ  
 الْعَهْدِ قَرِيْبَةٌ مِنْ هِيَا كَلِنَا يَشْهَدُ لِذَلِكَ اَبْوَابُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَاِنَّهَا وَاِنْ خُرِبَتْ  
 وَجِدَّتْ لَمْ تَزَلْ اَلْمُحَافَظَةُ عَلٰى اَشْكَالِهَا وَمَقَادِيْرِ اَبْوَابِهَا وَكَيْفَ يَكُوْنُ التَّفَاوُتُ بَيْنَ  
 عُوْجٍ وَبَيْنَ اَهْلِ عَصْرِهِ هَذَا الْمِقْدَارِ وَاِنَّمَا مَثَارُ عَظَمِهِمْ فِي هَذَا اَنْهُمْ اسْتَعْظَمُوْا اَنْتَارَ  
 الْاَمْرِ وَلَمْ يَفْهَمُوْا حَالَ الدُّوْلِ فِي الْاَجْتِمَاعِ وَالتَّعَاوُنِ وَمَا يَحْصُلُ بِذَلِكَ وَبِالْهِنْدَامِ مِنْ  
 الْاَنْتَارِ الْعَظِيْمَةِ فَصَرَفُوْهُ اِلَى قُوَّةِ الْاَجْسَامِ وَشَدَّتْهَا بِعَظَمِ هِيَا كَلِنَا وَلَيْسَ الْاَمْرُ كَذَلِكَ  
 وَقَدْ زَعَمَ الْمَسْعُوْدِيُّ وَنَقَلَهُ عَنِ الْفَلَاسِفَةِ مَرْعَمًا لَا مُسْتَنَدَ لَهُ اِلَّا التَّحْكُمُ وَهُوَ اَنَّ  
 الطَّبِيْعَةَ الَّتِيْ هِيَ جِبَلَةٌ لِالْاَجْسَامِ لَمَّا بَرَأَ اللهُ الْخَلْقَ كَانَتْ فِي تَمَامِ الْكُرَّةِ وَنِهَابَةِ الْقُوَّةِ  
 وَالكَمَالِ وَكَانَتْ الْاَعْمَارُ اَطْوَالَ وَالْاَجْسَامُ اَقْوَى لِكَمَالِ تِلْكَ الطَّبِيْعَةِ فَاِنْ طَرُوْءُ  
 الْمَوْتِ اِنَّمَا هُوَ بِاِنْحِلَالِ الْقُوَى الطَّبِيْعِيَّةِ فَاِذَا كَانَتْ قُوَّةٌ كَانَتْ الْاَعَارُ اَزِيْدُ فَكَانَ  
 الْعَالَمُ فِي اَوْلِيَّهٖ تَشَاؤُهُ تَامَ الْاَعْمَارُ كَامِلَ الْاَجْسَامِ ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَتَنَاقَصُ لِنُقْصَانِ الْمَادَّةِ  
 اِلَى اَنْ بَلَغَ اِلَى هَذِهِ الْحَالِ الَّتِيْ هُوَ عَلَيْهَا ثُمَّ لَا يَزَالُ يَتَنَاقَصُ اِلَى وَقْتِ الْاِنْحِلَالِ  
 وَاَنْقِرَاضِ الْعَالَمِ وَهَذَا رَاْيٌ لَا وَجْهَ لَهُ اِلَّا التَّحْكُمُ كَمَا تَرَاهُ وَلَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ طَبِيْعِيَّةٌ  
 وَلَا سَبَبٌ بُرْهَانِيٌّ وَنَحْنُ نَشَاهِدُ مَسَاكِنَ الْاَوَّلِيْنَ وَاَبْوَابِهِمْ وَطُرُقَهُمْ فَيَمَّا اَحْدَثُوْهُ مِنْ  
 الْبَنِيَانِ وَالْهِيَآكِلِ وَالْدِيَارِ وَالْمَسَاكِنِ كَدِيَارِ مَمْدُودِ الْمَنجُوْتَةِ فِي الصَّلْدِ مِنَ الصَّخْرِ يُوْتَا  
 صِغَارًا وَاَبْوَابِهَا ضَيْقَةٌ وَقَدْ اَشَارَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِلَى اَنَّهَا دِيَارُهُمْ وَنَعَى عَنْ اسْتِعْمَالِ  
 مِيَاهِهِمْ وَطَرَحَ مَا عُجِنَ بِهِ وَاَهْرَقَ وَقَالَ لَا تَدْخُلُوْا مَسَاكِنَ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا اَنْفُسَهُمْ اِلَّا  
 اَنْ تَكُوْنُوْا بَاكِيْنَ اَنْ يُصِيْبِكُمْ مَا اَصَابَهُمْ وَكَذَلِكَ اَرْضُ عَادٍ وَمِصْرَ وَالشَّامَ وَسَائِرِ  
 بَقَاعِ الْاَرْضِ شَرْقًا وَغَرْبًا وَاَلْحَقْ مَا قَرَّرْنَاهُ وَمِنْ اَنْتَارِ الدُّوْلِ اَيْضًا حَالِهَا فِي الْاَعْرَاسِ  
 وَالْوَلَايِمِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي وِلِيْمَةِ بُورَانَ وَصَنِيْعِ الْحَجَّاجِ وَاَبْنِ ذِي النُّونِ وَقَدْ مَرَّ

ذَلِكَ كُلُّهُ وَمِنْ آثارِهَا أَيْضًا عَطَايَا الدُّوَلِ وَأَنَّهَا تَكُونُ عَلَى نَسَبِهَا وَيَطْهَرُ ذَلِكَ  
 فِيهَا وَلَوْ أَشْرَفَتْ عَلَى الْهَرَمِ فَإِنَّ الْهَرَمَ الَّتِي لِأَهْلِ الدَّوَلَةِ تَكُونُ عَلَى نَسَبِهِ قُوَّةٌ مَلَكَهُمْ  
 وَعَلَيْهِمْ لِلنَّاسِ وَالْهَرَمُ لَا تَزَالُ مُصَاحِبَةً لَهُمْ إِلَى انْقِرَاضِ الدَّوَلَةِ وَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ بِجَوَائِزِ  
 ابْنِ ذِي يَزَنَ لَوْفِدِ فَرَيْشٍ كَيْفَ أَعْطَاهُمْ مِنْ أَرْطَالِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْأَعْبَدِ  
 وَالْوَصَائِفِ عَشْرًا عَشْرًا وَمِنْ كَرَشِ الْعَنْبَرِ وَاحِدَةً وَأَضَعَتْ ذَلِكَ بَعْشَرَةَ أَمْثَالِهِ  
 لِعَبْدِ الْمُطَّلَبِ وَإِنَّمَا مَلَكَهُ يَوْمَئِذٍ قَرَارَةُ الْيَمَنِ خَاصَّةً تَحْتَ اسْتِبْدَادِ فَارَسٍ وَإِنَّمَا حَمَلَهُ  
 عَلَى ذَلِكَ هِمَّةٌ نَفْسُهُ بِمَا كَانَ لِقَوْمِهِ التَّبَاعَةَ مِنَ الْمَلِكِ فِي الْأَرْضِ وَالْعَلَبِ عَلَى الْأُمَمِ  
 فِي الْعَرِاقَيْنِ وَالْهِنْدِ وَالْمَغْرِبِ وَكَانَ الصَّنَاجِيُّونَ بِأَفْرِيقِيَّةٍ أَيْضًا إِذَا أَجَازُوا الْوَفْدَ مِنْ  
 أُمَّرَاءِ زَنَانَةَ الْوَأْفِدِينَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّمَا يُعْطَوْنَهُمُ الْمَالَ أَحْمَالًا وَالْكَسَاءَ مُخَوَّنًا مَمْلُوءَةً  
 وَالْحَمَلَاتِ جَنَائِبَ عَدِيدَةً وَفِي تَارِيخِ ابْنِ الرَّقِيقِ مِنْ ذَلِكَ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ وَكَذَلِكَ  
 كَانَ عَطَاءُ الْبَرَامِكَةِ وَجَوَائِزُهُمْ وَتَفَقُّهُمُ وَكَانُوا إِذَا كَسَبُوا مُعْدِمًا فَإِنَّمَا هُوَ الْوَلَايَةُ  
 وَالنِّعْمَةُ آخِرُ الدَّهْرِ لَا الْعَطَاءُ الَّذِي يَسْتَنْفِدُهُ يَوْمٌ أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ وَأَخْبَارُهُمْ فِي ذَلِكَ  
 كَثِيرَةٌ مَسْطُورَةٌ وَهِيَ كُلُّهَا عَلَى نَسَبَةِ الدُّوَلِ جَارِيَةٌ هَذَا جَوْهَرُ الصِّقْلِيِّ الْبُكَاتِبِ  
 قَائِدِ جَيْشِ الْعَبِيدِيِّينَ لَمَّا أَرْحَلَّ إِلَى فَتْحِ مِصْرَ اسْتَعَدَّ مِنَ الْقَبْرِ وَأَنَّ بِالْفِ حَمَلٍ مِنَ  
 الْمَالِ وَلَا تَنْتَهِي الْيَوْمَ دَوْلَةٌ إِلَى مِثْلِ هَذَا وَكَذَلِكَ وَجَدَ بِحَطِّ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ  
 عَبْدِ أَحْمَدِ عَمَلٌ بِمَا يَحْمَلُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ بِبَغْدَادَ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ مِنْ جَمِيعِ النَّوَاحِي  
 نَقَلَتْهُ مِنْ جَرَابِ الدَّوَلَةِ (غلات السواد) سَبْعٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ  
 وَثَمَانِمِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَمِنَ الْحَلَلِ الْبَجْرَانِيَّةِ مِائَتًا حَلَّةً وَمِنَ طِينِ الْخَتَمِ مِائَتَانِ وَأَرْبَعُونَ  
 رِطْلًا (كسكر) أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَسِتُّمِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (كورد حلة)  
 عِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَثَمَانِيَةَ دَرَاهِمٍ (حلوان) أَرْبَعَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ  
 وَثَمَانِمِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ (الاهواز) خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَرَّةً وَمِنَ السُّكَّرِ ثَلَاثُونَ  
 أَلْفَ رِطْلٍ (فارس) سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ وَمِنَ مَاءِ الْوَرْدِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ  
 قَارُورَةَ وَمِنَ الزَّيْتِ الْأَسْوَدِ عِشْرُونَ أَلْفَ رِطْلٍ (كرمان) أَرْبَعَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ  
 دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِائَتًا أَلْفَ دِرْهَمٍ وَمِنَ الْمَتَاعِ الْيَمَانِيِّ خَمْسِمِائَةَ تَوْبٍ وَمِنَ التَّمْرِ عِشْرُونَ  
 أَلْفَ رِطْلٍ (مكران) أَرْبَعُمِائَةَ أَلْفَ دِرْهَمٍ مَرَّةً (السند وما يليه) أَحَدَ عَشَرَ أَلْفَ

أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَخَمْسِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَمِنْ الْعُودِ الْإِنْدِيِّ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ رِطْلًا  
 (سجستان) أَرْبَعَةُ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ الثِّيَابِ الدَّعِينَةِ ثَلَاثُمِائَةِ تَوْبٍ وَمِنْ  
 أَلْفَانِيدِ عَشْرُونَ رِطْلًا (خراسان) ثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ نَقْرِ  
 أَلْفِضَةِ أَلْفًا نَقْرَةً وَمِنْ الْبَرَاذِينِ أَرْبَعَةُ أَلْفٍ وَمِنْ الرَّقِيقِ أَلْفُ رَأْسٍ وَمِنْ الْمَتَاعِ  
 عَشْرُونَ أَلْفَ تَوْبٍ وَمِنْ الْأَهْلِيَاخِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ رِطْلٍ (جرجان) اثْنَا عَشَرَ أَلْفِ  
 أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ الْإِبْرِيَسِمِ أَلْفُ شَقَّةٍ (فوس) أَلْفِ أَلْفِ مَرَّتَيْنِ وَخَمْسِمِائَةِ  
 مِنْ نَقْرِ أَلْفِضَةِ (طبرستان والروبان ونهاوند) سِتَّةُ أَلْفِ أَلْفِ مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ  
 وَمِنْ الْفَرَشِ الطَّبْرِيِّ سِتْمِائَةِ قِطْعَةٍ وَمِنْ الْأَكْسِيَةِ مِائَتَانِ وَمِنْ الثِّيَابِ خَمْسِمِائَةِ تَوْبٍ  
 وَمِنْ الْمَتَادِيلِ ثَلَاثُمِائَةِ وَمِنْ الْجَمَامَاتِ ثَلَاثُمِائَةِ (الري) اثْنَا عَشَرَ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ  
 مَرَّتَيْنِ وَمِنْ الْعَسَلِ عَشْرُونَ أَلْفَ رِطْلٍ (همدان) أَحَدَ عَشَرَ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ  
 مَرَّتَيْنِ وَثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ وَمِنْ رُبِّ الرُّمَانِ أَلْفَ رِطْلٍ وَمِنْ الْعَسَلِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رِطْلٍ  
 (ما بين البصرة والحكوفة) عَشْرَةُ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَسَبْعُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ  
 (ماسبدان والدينار<sup>(١)</sup>) أَرْبَعَةُ أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ (شهرزور) سِتَّةُ أَلْفِ  
 أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَسَبْعُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ (الموصل وما يليها) أَرْبَعَةُ وَعِشْرُونَ أَلْفَ  
 أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ الْعَسَلِ الْأَيْضِ عَشْرُونَ أَلْفَ رِطْلٍ (اذريجان) أَرْبَعَةُ  
 أَلْفِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ (الجزيرة وما يليها من أعمال الفرات) أَرْبَعَةُ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ  
 أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ وَمِنْ الرَّقِيقِ أَلْفُ رَأْسٍ وَمِنْ الْعَسَلِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ زِقٍ وَمِنْ  
 الْبِزَاةِ<sup>(٢)</sup> عَشْرَةٌ وَمِنْ الْأَكْسِيَةِ عَشْرُونَ (ارمينية) ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ  
 مَرَّتَيْنِ وَمِنْ الْبَسْطِ<sup>(٣)</sup> الْخَمْسُونَ عَشْرُونَ وَمِنْ الزَّقَمِ خَمْسِمِائَةٍ وَثَلَاثُونَ رِطْلًا وَمِنْ  
 الْمَسَايِخِ السُّورِ مَا هِيَ عَشْرَةُ أَلْفِ رِطْلٍ وَمِنْ الصُّوْنَجِ عَشْرَةُ أَلْفِ رِطْلٍ وَمِنْ  
 الْبِغَالِ مِائَتَانِ وَمِنْ الْمَهْرَةِ ثَلَاثُونَ (فندسين) أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَمِنْ الزَّيْتِ أَلْفُ  
 حِمْلٍ (دمشق) أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَعِشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ (الاردن) سَبْعَةٌ  
 وَتِسْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ (فلسطين) ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَعَشْرَةُ أَلْفِ دِينَارٍ وَمِنْ

(١) قوله والدينار والظاهر انها الدينور وفي الترجمة التركية مادنار وور بن اه (٢) قوله ومن  
 ابراة في التركية ومن السكر عشرة صناديق اه (٣) وفي نسخة النقط

الزَيْتِ ثَلَاثُمِائَةَ أَلْفِ رِطَلٍ (مصر) أَلْفُ أَلْفِ دِينَارٍ وَتِسْعُمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَعِشْرُونَ  
 أَلْفَ دِينَارٍ (برقة) أَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ (افريقية) ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ  
 مَرَّتَيْنِ وَمِنَ الْبُسْطِ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ (اليمن) ثَلَاثُمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَسَبْعُونَ أَلْفَ دِينَارٍ  
 سِوَى الْمَتَاعِ (الحجاز) ثَلَاثُمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ أَنْتَهَى . وَامَّا الْأَنْدَالُسُ فَأَلَّذِي ذَكَرَهُ  
 الثَّقَاتُ مِنْ مُؤَرِّخِيهَا أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّاصِرَ خَافَ فِي يَبُوتِ أُمُورِهِ خَمْسَةَ أَلْفِ أَلْفِ  
 أَلْفِ دِينَارٍ مُكَرَّرَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَكُونُ جُمْلَتُهَا بِالْقِنَاطِيرِ خَمْسُمِائَةَ أَلْفِ قِنَاطِرٍ .  
 وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ تَوَارِيخِ الرَّشِيدِ أَنَّ النُّحْمُولَ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ فِي أَيَّامِهِ سَبْعَةَ أَلْفِ  
 قِنَاطِرٍ وَخَمْسُمِائَةَ قِنَاطِرٍ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي نَسَبِ الدُّوَلِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَلَا  
 تُنْكِرَنَّ مَا لَيْسَ بِمَعْرُودٍ عِنْدَكَ وَلَا فِي عَصْرِكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْثَالِهِ فَتَضَيِّقَ حَوْصَلَتَكَ عِنْدَ مُلْتَقَطِ  
 الْمُمَكِّنَاتِ فَكَثِيرٌ مِنَ الْخَوَاصِّ إِذَا سَمِعُوا أَمْثَالَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ عَنِ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ  
 بَادَرُوا بِالْإِنْكَارِ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنَ الصَّوَابِ فَإِنَّ أَحْرَالَ التُّوجُرِدِ وَالْعُمَرَانَ مُتَفَاوِتَةً وَمَنْ  
 أَدْرَكَ مِنْهَا رُتْبَةً سُمِّيَ أَوْ وَسَطِي فَلَا يَحْضُرُ الْمَدَارِكَ كُلَّهَا فِيهَا وَنَحْنُ إِذَا اعْتَبَرْنَا مَا  
 يُنْقَلُ لَنَا عَنْ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَبَنِي أُمَيَّةٍ وَالْعَبِيدِيَّةِ وَنَاسَبْنَا الصَّحِيحَ مِنْ ذَلِكَ وَالَّذِي  
 لَا شَكَّ فِيهِ بِالَّذِي أَنْشَأَهُ مِنْ هَذِهِ الدُّوَلِ الَّتِي هِيَ أَقَلُّ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا وَجَدْنَا بَيْنَهَا بُونَاً  
 وَهُوَ لَمَّا بَيْنَهَا مِنَ التَّفَاوُتِ فِي أَصْلِ قُوَّتِهَا وَعُمُرَانِ مَمَالِكِهَا فَلَا تَأْتِي كُلُّهَا جَارِيَةً عَلَى  
 نِسْبَةِ الْأَصْلِ فِي الْقُوَّةِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَلَا يَسْعُنَا إِنْكَارُ ذَلِكَ عَنْهَا إِذْ كَثِيرٌ مِنْ هَذِهِ  
 الْأَحْوَالِ فِي غَايَةِ الشُّهُورَةِ وَالْوُضُوحِ بَلْ فِيهَا مَا يَلْحَقُ بِالْمُسْتَفْضِيِّ وَالْمَتَوَاتِرِ وَفِيهَا  
 الْمَعَايِنُ وَالْمَشَاهِدُ مِنْ آثَارِ الْبِنَاءِ وَغَيْرِهِ فَخُذْ مِنَ الْأَحْوَالِ الْمُنْقُولَةَ مَرَاتِبَ الدُّوَلِ  
 فِي قُوَّتِهَا أَوْ ضَعْفِهَا وَضَخَامَتِهَا أَوْ صِغَرِهَا وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِمَا نَقَصُهُ عَلَيْكَ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ  
 الْمُسْتَظْرَفَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ وَرَدَ بِالْمَغْرِبِ الْعَهْدِ السُّلْطَانِ أَبِي عَنَانَ مِنْ مُلُوكِ بَنِي مُرَيْنَ  
 رَجُلٌ مِنْ مَشِيخَةِ طَنْجَةَ يُعْرَفُ بِأَبْنِ بَطُوطَةَ <sup>(١)</sup> كَانَ رَجُلٌ مِنْ عَشْرِينَ سَنَةً قَبْلَهَا  
 إِلَى الْمَشْرِقِ وَتَقَلَّبَ فِي بِلَادِ الْعِرَاقِ وَالْيَمَنِ وَالْهِنْدِ وَدَخَلَ مَدِينَةَ دَهْلِي حَاضِرَةَ مَلِكِ  
 الْهِنْدِ وَهُوَ السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ شَاهٍ وَأَصَلَ بِمَالِكِهَا لِذَلِكَ الْعَهْدِ وَهُوَ فَيَرُوزْجُوهُ وَكَانَ لَهُ مِنْهُ  
 مَسْكَانٌ وَاسْتَعْمَلَهُ فِي خِطَّةِ الْقَضَاءِ بِمَدَهَبِ الْمَالِكِيَّةِ فِي عَمَلِهِ ثُمَّ انْقَلَبَ إِلَى الْمَغْرِبِ

(١) كان ابتداء رحلة ابن بطوطة سنة ٧٢٥ وانتهى ما سنة ٧٥٤ وهي عجيبة ومختصرة ٧ كرايس اه

وَاتَّصَلَ بِالسُّلْطَانِ أَبِي عَنَّانٍ وَكَانَ يُحَدِّثُ عَنْ شَأْنِ رِجَالِهِ وَمَا رَأَى مِنَ الْعَجَائِبِ  
 بِمَالِكِ الْأَرْضِ وَأَكْثَرُ مَا كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ دَوْلَةِ صَاحِبِ الْهِنْدِ وَيَأْتِي مِنْ أَحْوَالِهِ  
 بِمَا يَسْتَعْرِبُهُ السَّامِعُونَ مِثْلَ أَنْ مَلَكَ الْهِنْدُ إِذَا خَرَجَ إِلَى السَّنَةِ أَحْصَى أَهْلَ مَدِينَتِهِ  
 مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ وَفَرَضَ لَهُمْ رِزْقَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ تَدْفَعُ لَهُمْ مِنْ عَطَائِهِ وَأَنَّهُ  
 عِنْدَ رُجُوعِهِ مِنْ سَنَرِهِ يَدْخُلُ فِي يَوْمٍ مَشْهُودٍ يَبْرُزُ فِيهِ النَّاسُ كَافَّةً إِلَى صَحْرَاءِ الْبَلَدِ  
 وَيَطُوفُونَ بِهِ وَيُنْصَبُ أَمَامَهُ فِي ذَلِكَ الْحَقْلِ مَنَجْنِيقَاتٌ عَلَى الظَّاهِرِ تُرْمَى بِهَا شُكَاكِرُ  
 الدَّرَاهِمِ وَالذَّنَانِيرِ عَلَى النَّاسِ إِلَى أَنْ يَدْخُلَ أَيَّوَانَهُ وَأَمثال هَذِهِ الْحِكَايَاتِ فَتَنَاحِي  
 النَّاسُ بِتَكْذِيبِهِ وَلَقِيتُ أَيَّامُنِي وَزِيرَ السُّلْطَانِ فَارِسَ بْنَ وَرْدَارِ الْبَعِيدِ الصَّبِيحِ  
 فَقَاوَضْتُهُ فِي هَذَا الشَّأْنِ وَأَرَيْتُهُ إِنْكَارَ أَخْبَارِ ذَلِكَ الرَّجُلِ لِمَا اسْتَفْضَأَ فِي النَّاسِ  
 مِنْ تَكْذِيبِهِ فَقَالَ لِي الْوَزِيرُ فَارِسُ إِيَّاكَ أَنْ تَسْتَنْكَرَ مِثْلَ هَذَا مِنْ أَحْوَالِ الدُّوَلِ  
 بِمَا أَنَّكَ لَمْ تَرَهُ فَتَكُونُ كَأَنَّ الْوَزِيرَ النَّاشِئَ فِي السَّجْنِ وَذَلِكَ أَنَّ وَزِيرًا أَعْتَقَلَهُ  
 سُلْطَانُهُ وَمَكَثَ فِي السَّجْنِ سِنِينَ رَبِي فِيهَا أَبْنُهُ فِي ذَلِكَ الْحَبْسِ فَلَمَّا أَدْرَكَ وَعَقَلَ  
 سَأَلَ عَنِ اللُّحْمَانِ الَّتِي كَانَ يَتَغَذَّى بِهَا فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ هَذَا لَحْمُ الْغَنَمِ فَقَالَ وَمَا الْغَنَمُ فَيَصِفُهَا  
 لَهُ أَبُوهُ بِشَيْئَاتِهَا وَنُعُوتِهَا فَيَقُولُ يَا أَبَتِ تَرَاهَا مِثْلَ الْفَارِ فَيَنْكُرُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ أَيْنَ الْغَنَمُ  
 مِنَ النَّارِ وَكَذَا فِي لَحْمِ الْأَيْلِ وَالْبَقَرِ إِذْ لَمْ يَعْلَمِ فِي مَحْسَبِهِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ إِلَّا الْفَارَ  
 فَيَحْسَبُهَا كُلِّهَا أَبْنَاءَ جَنَسِ الْفَارِ وَلِهَذَا كَثِيرًا مَا يَعْتَرِي النَّاسُ فِي الْأَخْبَارِ كَمَا يَعْتَرِيهِمْ  
 الْوَسْوَاسُ فِي الزِّيَادَةِ عِنْدَ قَصْدِ الْإِغْرَابِ كَمَا قَدَّمَ نَاهُ أَوَّلَ الْكِتَابِ فَلْيَرْجِعْ  
 الْإِنْسَانُ إِلَى أَصُولِهِ وَلْيَكُنْ مَهَيِّمًا عَلَى نَفْسِهِ وَمُمَيِّزًا بَيْنَ طَبِيعَةِ الْمُحْتَمَلِ وَالْمُتَمَنِّعِ  
 بِصَرِيحِ عَقْلِهِ وَمُسْتَقِيمِ فِطْرَتِهِ فَمَا دَخَلَ فِي نِطَاقِ الْإِمْكَانِ قَبْلَهُ وَمَا خَرَجَ عَنْهُ رَفْضُهُ  
 وَلَيْسَ مُرَادُنَا الْإِمْكَانَ الْعَقْلِيَّ الْمَطْلُوقَ فَإِنَّ نِطَاقَهُ أَوْسَعُ شَيْءٍ فَلَا يُفْرَضُ حَدًّا بَيْنَ  
 الْوَاقِعَاتِ وَإِنَّمَا مُرَادُنَا الْإِمْكَانَ بِحَسَبِ الْمَادَّةِ الَّتِي لِلشَّيْءِ فَإِنَّا إِذَا نَظَرْنَا أَصْلَ الشَّيْءِ  
 وَجِنْسَهُ وَصَنَفَهُ وَمَقْدَارَ عَظَمِهِ وَقُوَّتِهِ أَجْرَيْنَا الْحُكْمَ مِنْ نِسْبَةِ ذَلِكَ عَلَى أَحْوَالِهِ  
 وَحَكَمْنَا بِالْإِمْتِنَاعِ ذَلِكَ مَا خَرَجَ مِنْ نِطَاقِهِ وَقَوْلُ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ  
 وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل التاسع عشر

في استظهار صاحب الدولة على قومه واهل عصبته بالموالي والمصطنعين  
 اعلم ان صاحب الدولة انما يتسم امره كما قلناه بقومه فهم عصبته وظهوراؤه  
 على شأنه وبهم يقارع الخوارج على دولته ومنهم يقدّم أعمال مملكته ووزارة دولته  
 وحباية أمواله لانهم اعوانه على الغلب وشركاؤه في الأمر ومساهموه في سائر مهماته  
 هذا ما دام الطور الأول للدولة كما قلناه فإذا جاء الطور الثاني وظهر الاستبداد  
 عنهم والانفراد بالحمد وادفعهم عنه بالمرح صاروا في حقيقة الأمر من بعض  
 أعدائه واحتاج في مدافعهم عن الأمر وصددهم عن المشاركة إلى اولياء آخرين من  
 غير جلدتهم يستظرون بهم عليهم ويتولاهم دونهم فيكونون أقرب إليه من سائرهم  
 وأخص به قربا واصطناعا وأولى ايثارا وجاهلا لما انهم يستميئون دونه في مدافعة  
 قومه عن الأمر الذي كان لهم والرغبة التي انموها في مشاركتهم فيستخلصهم صاحب  
 الدولة ويخصهم بزيد التكرمة والايثار ويقسم لهم مثل ما للكثير من قومه ويقدمهم  
 جليل الأعمال والولايات من الوزارة والقيادة والحبابة وما يختص به لنفسه وتكون  
 خالصة له دون قومه من القاب المملكية لانهم حينئذ اولياؤه الاقربون ونصحاؤه  
 المخلصون وذلك حينئذ مؤذن باهتضام الدولة وعلامة على المرض المزمن فيها انفساد  
 العصبية التي كان بناء الغلب عليها ومرض قلوب اهل الدولة حينئذ من الامتهان وعداوة  
 السلطان فيضطغنون عليه ويتربصون به الدوائر ويعود وبال ذلك على الدولة ولا يطمع  
 في برئها من هذا الداء لانه ما مضى بنا كد في الاعقاب إلى ان يذهب رسمها واعتبر  
 ذلك في دولة بني أمية كيف كانوا انما يستظفرون في حروبهم وولاية أعمالهم  
 برجال العرب مثل عمرو بن سعد بن ابي وقاص وعبد الله بن زياد بن ابي سفيان  
 والحجاج بن يوسف والمهلب بن ابي صفرة وحالد بن عبد الله القسري وابن هبيرة  
 وموسى بن نصير وبلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري ونصر بن سيار ومثاهلهم  
 من رجال العرب وكذا صدر من دولة بني العباس كان الاستظهار فيها ايضا  
 برجال العرب فلما صارت الدولة للانفراد بالحمد وكبح العرب عن التطاول  
 للولايات صارت الوزارة للجم والصنائع من البرامكة وبني سهل بن نوبخت وبني

طَاهِرٌ ثُمَّ بَنِي بُؤَيْبَةَ مَوَالِي التُّرْكِ مِثْلَ بَعَا وَوَصِيفٍ وَأَنْلَمِشَ وَبَا كِنَاكَ وَأَبْنُ طُولُونَ  
وَأَبْنَاءَهُمْ وَعَبْرَ هَوْلَاءَ مِنْ مَوَالِي الْعَجَمِ فَتَكُونُ الدَّوْلَةُ لِعَبْرٍ مِنْ مَهْدَاهَا وَالْعَبْرُ لِعَبْرٍ مِنْ  
اجْتِنَابِهِ سَنَةَ اللَّهُ فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل العشرون

في احوال الموالى والمصطنعين في الدول

اعْلَمُ أَنَّ الْمُصْطَنَعِينَ فِي الدُّوَلِ يَتَفَاوَتُونَ فِي الْأَتْحَامِ بِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ يَتَفَاوَتُ  
قَدِيمُهُمْ وَحَدِيثُهُمْ فِي الْأَتْحَامِ بِصَاحِبِهَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَقْصُودَ فِي الْعَصِيَّةِ مِنْ  
الْمُدَافَعَةِ وَالْمُعَايَلَةِ إِنَّمَا يَتِمُّ بِالنَّسَبِ لِأَجْلِ التَّنَاصُرِ فِي ذَوِي الْأَرْحَامِ وَالقُرْبَى وَالْتِحَاطِ  
فِي الْأَجَابِ وَالْبَعْدَاءِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَالْوَلَايَةَ وَالْمُخَاطَبَةَ بِالرِّقِّ أَوْ بِالْحَلْفِ تُنَزَّلُ مَنْزِلَةً  
ذَلِكَ لِأَنَّ أَمْرَ النَّسَبِ وَإِنْ كَانَ طَبِيعِيًّا فَإِنَّمَا هُوَ وَهْمِيٌّ وَالْمَعْنَى الَّذِي كَانَ بِهِ الْأَتْحَامُ  
إِنَّمَا هُوَ الْعِشْرَةُ وَالْمُدَافَعَةُ وَطُولُ الْمَمَارَسَةِ وَالصُّحْبَةُ بِالْمَرْبِيِّ وَالرِّضَاعُ وَسَائِرُ  
أَحْوَالِ الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ وَإِذَا حَصَلَ الْأَتْحَامُ بِذَلِكَ جَاءَتِ النُّعْرَةُ وَالْتِنَاصُرُ وَهَذَا مُشَاهِدٌ  
بَيْنَ النَّاسِ وَأَعْتَبِرْ مِثْلَهُ فِي الْأَصْطِنَاعِ فَإِنَّهُ يُحَدِّثُ بَيْنَ الْمُصْطَنَعِ وَمَنْ اصْطَنَعَهُ نِسْبَةً  
خَاصَّةً مِنَ الْوَصْلَةِ تُنَزَّلُ هُدَى الْمَنْزِلَةَ وَتَوَكَّدُ اللَّحْمَةَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَسَبٌ فَتَمَرَاتُ  
النَّسَبِ مَوْجُودَةٌ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْوَلَايَةُ بَيْنَ الْقَبِيلِ وَبَيْنَ أَوْلِيَائِهِمْ قَبْلَ حُصُولِ الْمَلِكِ  
لَهُمْ كَانَتْ عُرُوقَهَا أَوْشَجَّ وَعَقَائِدُهَا أَصْحَحَّ وَنَسَبُهَا أَمْحَرَّ لَوْجِهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُمْ قَبْلَ  
الْمَلِكِ أَسْوَةٌ فِي حَالِهِمْ فَلَا يَتَمَيَّزُ النَّسَبُ عَنِ الْوَلَايَةِ إِلَّا عِنْدَ الْأَقْلِ مِنْهُمْ فَيَتَنَزَّلُونَ  
مِنْهُمْ مَنْزِلَةَ ذَوِي قَرَابَتِهِمْ وَأَهْلِ أَرْحَامِهِمْ وَإِذَا اصْطَنَعُوهُمْ بَعْدَ الْمَلِكِ كَانَتْ مَرْتَبَةُ  
الْمَلِكِ مُمَيَّزَةً لِلسَّيِّدِ عَنِ الْمَوْلَى وَلِأَهْلِ الْقَرَابَةِ عَنِ أَهْلِ الْوَلَايَةِ وَالْأَصْطِنَاعِ لِمَا  
تَفْتَضِيهِ أَحْوَالُ الرَّئِيسَةِ وَالْمَلِكِ مِنْ تَمَيُّزِ الرَّتَبِ وَتَفَاوُتِهَا فَتَمَيَّزُ حَالَتَهُمْ وَيَتَنَزَّلُونَ  
مَنْزِلَةَ الْأَجَابِ وَيَكُونُ الْأَتْحَامُ بَيْنَهُمْ أَوْضَعْفَ وَالْتِنَاصُرُ لِذَلِكَ أَعَدَّ وَذَلِكَ أَنْقَضَ  
مَنْ الْأَصْطِنَاعِ قَبْلَ الْمَلِكِ أَلَوْجُهُ النَّبَاتِيُّ أَنَّ الْأَصْطِنَاعَ قَبْلَ الْمَلِكِ يَبْعُدُ عَهْدَهُ عَنِ  
أَهْلِ الدَّوْلَةِ بِطُولِ الزَّمَانِ وَيُخْفِي شَأْنَ تَاكُ اللَّحْمَةِ وَيُظَنُّ بِهَا فِي الْأَكْثَرِ النَّسَبُ  
فَيَقْوَى حَالُ الْعَصِيَّةِ وَأَمَّا بَعْدَ الْمَلِكِ فَيَقْرُبُ الْعَهْدُ وَيَسْتَوِي فِي مَعْرِفَتِهِ الْأَكْثَرُ فَتَقْبَلُ  
اللَّحْمَةُ وَتَمَيَّزُ عَنِ النَّسَبِ فَتَضَعُ الْعَصِيَّةُ بِالنَّسَبِ إِلَى الْوَلَايَةِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَ

الدَّوْلَةَ وَاعْتَبَرَ ذَلِكَ فِي الدُّوْلِ وَالرَّئِيسَاتِ تَجِدُهُ فَكُلُّ مَنْ كَانَ أَصْطِنَاعُهُ قَبْلَ حُصُولِ  
الرَّئِيسَةِ وَالْمَلِكِ لِمُصْطَنَعِهِ تَجِدُهُ أَشَدَّ التَّحَامًا بِهِ وَأَقْرَبَ قَرَابَةً إِلَيْهِ وَيَنْزِلُ مِنْهُ مَنَزَلَةٌ  
ابْنَانِهِ وَإِخْوَانِهِ وَذَوِي رَحْمِهِ وَمَنْ كَانَ أَصْطِنَاعُهُ بَعْدَ حُصُولِ الْمَلِكِ وَالرَّئِيسَةِ لِمُصْطَنَعِهِ  
لَا يَكُونُ لَهُ مِنَ الْقَرَابَةِ وَاللَّحْمَةِ مَا لِلأَوَّلِينَ وَهَذَا مُشَاهِدٌ بِالْعِيَانِ حَتَّى إِنَّ الدَّوْلَةَ فِي  
آخِرِ عُمْرِهَا تَرْجِعُ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْأَجَانِبِ وَأَصْطِنَاعِهِمْ وَلَا يَبْنِي لَهُمْ مَجْدٌ كَمَا بَنَاهُ  
الْمُصْطَنِعُونَ قَبْلَ الدَّوْلَةِ لِقُرْبِ الْعَهْدِ حِينَئِذٍ بِأَوْلِيَّتِهِمْ وَمُشَارَفَةِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْإِنْقِرَاضِ  
فَيَكُونُونَ مَنخَطِينَ فِي مَهَاوِي الضَّعَةِ وَإِنَّمَا يَحْمِلُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ عَلَى أَصْطِنَاعِهِمْ  
وَالْعُدُولِ إِلَيْهِمْ عَنِ أَوْلِيَاءِهَا الْأَقْدَمِينَ وَصَنَائِعِهَا الْأَوَّلِينَ مَا يَعْتَرِفُهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ  
الْعَزَّةِ عَلَى صَاحِبِ الدَّوْلَةِ وَقِلَّةِ الْخُضُوعِ لَهُ وَنَظَرِهِمَا يَنْظُرُهُ بِهِ قَبِيلُهُ وَأَهْلُ سَبِيلَتَا كِدِّ  
اللَّحْمَةِ مِنْهُ الْعُصُورِ الْمُتَطَوِّلَةِ بِالْمَرْبِيِّ وَالْإِتِّصَالِ بِأَبَائِهِ وَسَلَفِ قَوْمِهِ وَالْإِنْتِظَامِ مَعَ  
كِبَرَاءِ أَهْلِ بَيْتِهِ فَيَحْضُلُ لَهُمْ بِذَلِكَ دَالَّةٌ عَلَيْهِ وَأَعْتَزَّازُ فَيُنَافِرُهُمْ بِسَبَبِهَا صَاحِبُ الدَّوْلَةِ  
وَيَعْدِلُ عَنْهُمْ إِلَى اسْتِعْمَالِ سِوَاهُمْ وَيَكُونُ عَهْدُ اسْتِخْلَاصِهِمْ وَأَصْطِنَاعِهِمْ قَرِيبًا فَلَا  
يَبْلُغُونَ رُتَبَ الْمَجْدِ وَيَبْقُونَ عَلَى حَالِهِمْ مِنَ الْخَارِجِيَّةِ وَهَكَذَا شَأْنُ الدُّرُولِ فِي آخِرِهَا  
وَأَكْثَرُ مَا يُطْلَقُ اسْمُ الصَّنَائِعِ وَالْأَوْلِيَاءِ عَلَى الْأَوَّلِينَ وَأَمَّا هَؤُلَاءِ الْمُحْدَثُونَ فَحَدْمٌ  
وَأَعْوَانٌ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ

### الفصل الحادي والعشرون

فيما يعرض في الدول من حجب السلطان والاستبداد عليه

إِذَا اسْتَقَرَّ الْمَلِكُ فِي نِصَابٍ مُعَيَّنٍ وَمَنْبَتٍ وَاحِدٍ مِنَ الْقَبِيلِ الْقَائِمِينَ بِالدَّوْلَةِ  
وَأَتَّفَقُوا بِهِ وَدَفَعُوا سَائِرَ الْقَبِيلِ عَنْهُ وَتَدَاوَلَهُ بَنُوهُمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ بِحَسَبِ التَّرْشِيحِ  
فَرُبَّمَا حَدَثَ التَّغَلُّبُ عَلَى الْمَنْصُوبِ مِنْ وُزَرَاءِهِمْ وَحَاشِيَتِهِمْ وَسَبَبُهُ فِي الْأَكْثَرِ وِلَايَةُ  
صَبِيٍّ صَغِيرٍ أَوْ مُضْعَفٍ مِنْ أَهْلِ الْمَنْبَتِ يَتَرَشَّحُ لِلوِلَايَةِ بَعْدَ أَبِيهِ أَوْ يَتَرَشَّحُ ذَوِيهِ  
وَخَوْلِهِ وَيُوَاسُّ مِنْهُ الْعَجْزُ عَنِ الْقِيَامِ بِالْمَلِكِ فَيَقُومُ بِهِ كَقَلْبِهِ مِنْ وُزَرَاءِ أَبِيهِ وَحَاشِيَتِهِ  
وَمَوَالِيهِ أَوْ قَبِيلِهِ وَيُورِثِي بِحِفْظِ أَمْرِهِ عَلَيْهِ حَتَّى يُوَسَّسَ مِنْهُ الْأَسْتِبْدَادُ وَيَجْعَلُ ذَلِكَ  
ذَرِيعَةً لِلْمَلِكِ فَيَحْجُبُ الصَّبِيَّ عَنِ النَّاسِ وَيَعُودُهُ إِلَيْهَا تَرَفًا أَحْوَالِهِ وَيَسْمِيَهُ فِي مَرَاعِيهَا  
مَتَى أَمْكَنَهُ وَيُنْسِيهِ النَّظَرَ فِي الْأُمُورِ السُّلْطَانِيَّةِ حَتَّى يَسْتَبِدَّ عَلَيْهِ وَهُوَ بِمَا عُودَهُ يُعْتَقَدُ

أَنَّ حَظَّ السُّلْطَانِ مِنَ الْمَلِكِ إِنَّمَا هُوَ جُلُوسُ السَّرِيرِ وَإِعْطَاءُ الصَّنْفَةِ وَخِطَابُ التَّهْوِيلِ  
 وَالْقُعُودُ مَعَ النِّسَاءِ خَلْفَ الْحِجَابِ وَأَنَّ الْحُلَّ وَالرَّبْطَ وَالْأَمْرَ وَالنَّهْيَ وَمُبَاشَرَةَ الْأَحْوَالِ  
 الْمُلْكِيَّةِ وَتَفْقُدهَا مِنَ النَّظَرِ فِي الْحَيْشِ وَالْمَالِ وَالنُّعُورِ إِنَّمَا هُوَ لِلْوَزِيرِ وَيَسْلَمُ لَهُ فِي  
 ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَسْتَحْكِمَ لَهُ صِبْغَةَ الرَّئِيسَةِ وَالِاسْتِبْدَادَ وَيَتَحَوَّلَ الْمَلِكُ إِلَيْهِ وَيُؤْتَرُ  
 بِهِ عَشِيرَتَهُ وَأَبْنَاءَهُ مِنْ بَعْدِهِ كَمَا وَقَعَ لِبَنِي بُوَيْهٍ وَالتُّرْكِ وَكَافُورِ الْأَخْشِيدِيِّ وَغَيْرِهِمْ  
 بِالْمَشْرِقِ وَالْمَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ بِالْأَنْدَلُسِ وَقَدْ يَتَفَنَّيَنَّ ذَلِكَ الْحَجُورُ الْمَغْلَبُ لِشَأْنِهِ  
 فَيَحَاوِلُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ رِبْقَةِ الْحَجْرِ وَالِاسْتِبْدَادِ وَيُرْجِعُ الْمَلِكَ إِلَى نِصَابِهِ وَيَضْرِبُ  
 عَلَى أَيْدِي الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَيْهِ إِمَّا يَقْتُلُ أَوْ يَرْفَعُ عَنِ الرُّبُوبَةِ فَقَطُّ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ فِي النَّادِرِ  
 الْأَقْلِ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ إِذَا أَخَذَتْ فِي تَغْلِبِ الْوُزَرَاءِ وَالْأَوْلِيَاءِ اسْتَمَرَّتْ لَهَا ذَلِكَ وَقَلَّ أَنْ  
 تَخْرُجَ عَنْهُ لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُوْجَدُ فِي الْأَكْثَرِ عَنْ أَحْوَالِ التَّرَفِ وَسِنَاةِ أَبْنَاءِ الْمَلِكِ  
 مُغْمَسِينَ فِي نَعِيمِهِ قَدْ نَسُوا عَهْدَ الرُّجُولَةِ وَأَلْفُوا أَخْلَاقَ الدَّيَّانِ وَالْأَظَارِ وَرَبَّوْا عَلَيْهَا  
 فَلَا يَنْزِعُونَ إِلَى رِئَاسَةٍ وَلَا يَعْرِفُونَ اسْتِبْدَادًا مِنْ تَغْلِبِ إِنَّمَا هُمْ فِي الْقَنُوعِ بِالْإِبْهَةِ  
 وَالتَّنْفُسِ فِي اللَّذَاتِ وَأَنْوَاعِ التَّرَفِ وَهَذَا التَّغْلِبُ يَكُونُ لِلْمَوَالِي وَالْمُصْطَفِعِينَ عِنْدَ  
 اسْتِبْدَادِ عَشِيرَةِ الْمَلِكِ عَلَى قَوْمِهِمْ وَأَنْفَرَادِهِمْ بِهِ دُونِهِمْ وَهُوَ عَارِضٌ لِلدَّوْلَةِ ضَرُورِيٌّ  
 كَمَا قَدِمْنَا وَهَذَانِ مَرَضَانِ لَا بُرَى لِلدَّوْلَةِ مِنْهُمَا إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ  
 مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

### الفصل الثاني والعشرون

فِي أَنَّ الْمُتَغَلِّبِينَ عَلَى السُّلْطَانِ لَا يَشَارِكُونَهُ فِي الْقَبْلِ الْخَاصِّ بِالْمَلِكِ  
 وَذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ حَصَلَ لِأَوْلِيهِ مَدْ أَوَّلِ الدَّوْلَةِ بَعْضِيَّةَ قَوْمِهِ وَعَصَبِيَّةَ  
 الَّتِي اسْتَبْعَتَهُمْ حَتَّى اسْتَحْكَمَتْ لَهُ وَقَوْمِهِ صِبْغَةَ الْمَلِكِ وَالتَّغْلِبَ وَهِيَ لَمْ تَزَلْ بَاقِيَةً  
 وَبِهَا اسْتَحْفَظَ رَسْمَ الدَّوْلَةِ وَبَقَاؤَهَا وَهَذَا الْمُتَغْلِبُ وَإِنْ كَانَ صَاحِبَ عَصَبِيَّةٍ مِنْ قَبِيلِ  
 الْمَلِكِ أَوْ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعِ فَعَصَبِيَّتُهُ مُنْدرِجَةٌ فِي عَصَبِيَّةِ أَهْلِ الْمَلِكِ وَتَابِعَةٌ لَهَا وَلَيْسَ  
 لَهُ صِبْغَةٌ فِي الْمَلِكِ وَهُوَ لَا يَحَاوِلُ فِي اسْتِبْدَادِهِ أَنْتِزَاعَ تَمَرَاتِهِ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ  
 وَالْحُلِّ وَالْعَقْدِ وَالْإِبْرَامِ وَالنَّقْضِ يَوْمَ فِيهَا أَهْلُ الدَّوْلَةِ أَنَّهُ مُتَصَرِّفٌ عَنْ سُلْطَانِهِ  
 مُنْذَرٌ فِي ذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ لِأَحْكَامِهِ فَهِيَ يَتَجَافَى عَنْ سِمَاتِ الْمَلِكِ وَشَارَاتِهِ

وَأَلْقَاهُ جُرْبَهُ وَيُعَدُّ نَفْسَهُ عَنِ التَّهْمَةِ بِذَلِكَ وَإِنْ حَصَلَ لَهُ الْأَسْتِبْدَادُ لِأَنَّهُ مُسْتَرٌ فِي  
 اسْتِبْدَادِهِ ذَلِكَ بِالْحِجَابِ الَّذِي ضَرَبَهُ السُّلْطَانُ وَأَوَّلُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ عَنِ الْقَبِيلِ مِنْدُ  
 أَوَّلِ الدَّوْلَةِ وَمَغَالَطَ عَنْهُ بِالْتَّيَابَةِ وَلَوْ تَعَرَّضَ لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لَنَفَسَهُ عَلَيْهِ <sup>(١)</sup> أَهْلُ الْعَصِيَّةِ  
 وَقَبِيلُ الْمَلِكِ وَحَاوَلُوا الْأَسْتِنَارَ بِهِ دُونَهُ لِأَنَّهُ لَمْ تَسْتَحْكِمْ لَهُ فِي ذَلِكَ صِبْغَةً تَحْمَلُهُمْ  
 عَلَى التَّسَامِيحِ لَهُ وَالْإِنْقِيَادِ فِيهِ لِكُلِّ أَوَّلٍ وَهَلَّةٍ وَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ هَذَا لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ النَّاصِرِ  
 بْنِ مَنْصُورِ بْنِ أَبِي عَامِرٍ حِينَ سَمَا إِلَى مُشَارَكَةِ هِشَامٍ وَأَهْلٍ بَيْتِهِ فِي لَقَبِ الْخِلَافَةِ وَلَمْ  
 يَقْبَعْ بِمَا قَبِعَ بِهِ أَبُوهُ وَأَخُوهُ مِنَ الْأَسْتِبْدَادِ بِالْحُلِّ وَالْعَقْدِ وَالْمَرَاسِمِ الْمُتَتَابِعَةِ فَطَلَبَ  
 مِنْ هِشَامٍ خَلِيْفَتِهِ أَنْ يَعْبُدَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ فَنَفَسَ ذَلِكَ عَلَيْهِ بَنُو مَرْوَانَ وَسَائِرُ قُرَيْشٍ وَبَايَعُوا  
 لِأَبْنِ عَمِّ الْخَلِيْفَةِ هِشَامٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْجُبَّارِ بْنِ النَّاصِرِ وَخَرَجُوا عَلَيْهِمْ وَكَانَ فِي ذَلِكَ  
 خَرَابٌ دَوْلَةَ الْعَامِرِ بَيْنَ وَهَلَكَ الْمُؤَيَّدِ خَلِيْفَتِهِمْ وَأَسْتَبْدَلَ مِنْهُ سِوَاهُ مِنْ أَعْيَاصِ الدَّوْلَةِ  
 إِلَى آخِرِهَا وَآخَلَّتْ مَرَاسِمُ مُلْكِهِمْ وَاللَّهُ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل الثالث والعشرون

في حقيقة الملك واصنافه

الْمَلِكُ مَنْصِبٌ طَبِيعِيٌّ لِلْإِنْسَانِ لِأَنَّا قَدْ بَيَّنَّا أَنَّ الْبَشَرَ لَا يُمْكِنُ حَيَاتُهُمْ وَوُجُودُهُمْ  
 إِلَّا بِاجْتِمَاعِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ عَلَى تَحْصِيلِ قُوَّتِهِمْ وَضُرُورِيَّاتِهِمْ وَإِذَا اجْتَدَعُوا دَعَتِ الضَّرُورَةُ  
 إِلَى الْمَعَامَلَةِ وَأَقْتَضَتْ الْحَاجَاتِ وَمَدَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَدَهُ إِلَى حَاجَتِهِ بِأَخْذِهَا مِنْ  
 صَاحِبِهَا لِمَا فِي الطَّبِيعَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ مِنَ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَيَمَانَعُهُ الْآخَرُ  
 عَنْهَا بِمُقْتَضَى الْغَضَبِ وَالْإِنْفَةِ وَمُقْتَضَى الْقُوَّةِ الْبَشَرِيَّةِ فِي ذَلِكَ فَيَقَعُ التَّنَازُعُ الْمُنْضِي  
 إِلَى الْمَقَاتَلَةِ وَهِيَ تُؤَدِّي إِلَى الْهَرْجِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ وَإِذْهَابِ النُّفُوسِ الْمُنْضِي ذَلِكَ إِلَى  
 انْقِطَاعِ النَّوْعِ وَهُوَ مِمَّا خَصَّهُ الْبَارِي سُبْحَانَهُ بِالْمُحَافَظَةِ فَاسْتَحَالَ بَقَاؤُهُمْ فَوْضَى دُونَ  
 حَاكِمٍ يَنْزِعُ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ وَاحْتِاجُوا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِلَى الْوِازِعِ وَهُوَ الْحَاكِمُ  
 عَلَيْهِمْ وَهُوَ بِمُقْتَضَى الطَّبِيعَةِ الْبَشَرِيَّةِ الْمَلِكُ الْقَاهِرُ الْمُنْتَحَكِّمْ وَلَا بَدَّ فِي ذَلِكَ مِنَ  
 الْعَصِيَّةِ لِمَا قَدَّمَ مِنْ أَنَّ الْمَطَالِبَاتِ كُلَّهَا وَالْمُدْفَعَاتِ لَا تَنْتُمُ إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ وَهَذَا الْمَلِكُ  
 كَمَا تَرَاهُ مَنْصِبٌ شَرِيفٌ تَوَجَّهَ نَحْوَهُ الْمَطَالِبَاتِ وَيَحْتَاجُ إِلَى الْمُدْفَعَاتِ وَلَا يَنْتُمُ شَيْءٌ

(١) قوله لنفسه بفتح اللام والنون وكسر الفاء يقال نفس عليه الشيء كقوله لم يره اهلا له ك في القاموس

مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالْعَصَبِيَّاتِ كَمَا مَرَّ وَالْعَصَبِيَّاتُ مُتَّفَاوِتَةٌ وَكُلُّ عَصِيَّةٍ فَلَهَا تَحَكُّمٌ وَتَغَلُّبٌ  
 عَلَى مَنْ يَلِيهَا مِنْ قَوْمِهَا وَعَشِيرِهَا وَلَيْسَ الْمَلِكُ لِكُلِّ عَصِيَّةٍ وَإِنَّمَا الْمَلِكُ عَلَى الْحَقِيقَةِ  
 لِمَنْ يَسْتَعْبِدُ الرَّعِيَّةَ وَيَجْبِي الْأَمْوَالَ وَيَبْعَثُ الْبُعُوثَ وَيَحْمِي الثُّغُورَ وَلَا تَكُونُ فَوْقَ يَدِهِ  
 يَدٌ قَاهِرَةٌ وَهَذَا مَعْنَى الْمَلِكِ وَحَقِيقَتُهُ فِي الْمَشْهُورِ فَمَنْ قَصَّرَتْ بِهِ عَصِيَّتُهُ عَنْ بَعْضِهَا  
 مِثْلَ حِمَايَةِ الثُّغُورِ أَوْ جِبَايَةِ الْأَمْوَالِ أَوْ بَعَثَ الْبُعُوثَ فَهُوَ مَلِكٌ نَاقِصٌ لَمْ تَمِّ حَقِيقَتُهُ كَمَا  
 وَقَعَ لِكَثِيرٍ مِنْ مُلُوكِ الْأَرَبِ فِي دَوْلَةِ الْأَعْلَبَةِ بِالْقَيْرَوَانِ وَلِمُلُوكِ الْعَجَمِ صَدَرَ الدَّوْلَةِ  
 الْعَبَّاسِيَّةِ وَمَنْ قَصَّرَتْ بِهِ عَصِيَّتُهُ أَيْضًا عَنِ الْأَسْتِعْلَاءِ عَلَى جَمِيعِ الْعَصَبِيَّاتِ وَالضَّرْبِ  
 عَلَى سَائِرِ الْأَيْدِي وَكَانَ فَوْقَهُ حُكْمٌ غَيْرُهُ فَهُوَ أَيْضًا مَلِكٌ نَاقِصٌ لَمْ تَمِّ حَقِيقَتُهُ وَهَؤُلَاءِ  
 مِثْلُ أَمْرَاءِ النَّوَاحِي وَرُؤَسَاءِ الْجِهَاتِ الَّذِينَ يَجْمَعُهُمْ دَوْلَةٌ وَاحِدَةٌ وَكَثِيرًا مَا يُوْجَدُ هَذَا  
 فِي الدَّوْلَةِ الْمُنْتَسَعَةِ النَّطَاقِ اعْنِي تَوْجُدُ مُلُوكٍ عَلَى قَوْمِهِمْ فِي النَّوَاحِي الْقَاصِيَةِ يَدِينُونَ  
 بِطَاعَةِ الدَّوْلَةِ الَّتِي جَمَعْتَهُمْ مِثْلَ صَنْهَاجَةَ مَعَ الْعَبِيدِيِّينَ وَزَنَانَةَ مَعَ الْأَمْوِيِّينَ تَارَةً وَالْعَبِيدِيِّينَ  
 تَارَةً أُخْرَى وَمِثْلَ مُلُوكِ الْعَجَمِ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَمِثْلَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ مِنَ الْفَرَسِ مَعَ  
 الْأَسْكَندَرِ وَقَوْمِهِ الْيُونَانِيِّينَ وَكَثِيرٍ مِنْ هَؤُلَاءِ فَاعْتَبِرْهُ تَجِدُهُ وَاللَّهُ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ

### الفصل الرابع والعشرون

في ان ارهاق الحد مضر بالملك ومفسد له في الاكثر

اعْلَمْ أَنَّ مَصْلَحَةَ الرَّعِيَّةِ فِي السُّلْطَانِ لَيْسَتْ فِي ذَاتِهِ وَجِسْمِهِ مِنْ حُسْنِ شَكْلِهِ  
 أَوْ مَلَاحَةِ وَجْهِهِ أَوْ عِظَمِ جِسْمَانِهِ أَوْ اتِّسَاعِ عِلْمِهِ أَوْ جُرْدَةِ خَطِّهِ أَوْ ثِقُوبِ ذَهَبِهِ وَإِنَّمَا  
 مَصْلَحَتُهُمْ فِيهِ مِنْ حَيْثُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِمْ فَإِنَّ الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ مِنَ الْأُمُورِ الْإِضَافِيَّةِ وَهِيَ  
 نِسْبَةٌ بَيْنَ مُنْتَسِبِينَ حَقِيقَةَ السُّلْطَانِ أَنَّهُ الْمَالِكُ لِلرَّعِيَّةِ الْقَائِمُ فِي أُمُورِهِمْ عَلَيْهِمْ فَالسُّلْطَانُ  
 مِنْ لَه رَعِيَّةٌ وَالرَّعِيَّةُ مِنْ لَهَا سُلْطَانٌ وَالصِّفَةُ الَّتِي لَهُ مِنْ حَيْثُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِمْ هِيَ الَّتِي تُسَمَّى  
 الْمَلَكَتِيَّةَ وَهِيَ كَوْنُهُ يَمْلِكُهُمْ فَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْمَلَكَتِيَّةَ وَتَوَابَعَهَا مِنَ الْجُودَةِ بِمَسْكَانِ  
 حَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنَ السُّلْطَانِ عَلَى أُمَّتِ الْوُجُوهِ فَإِنَّهَا إِنْ كَانَتْ جَمِيلَةً صَالِحَةً كَانَتْ ذَلِكَ  
 مَصْلَحَةً لَهُمْ وَإِنْ كَانَتْ سَيِّئَةً مُتَعَسِّفَةً كَانَتْ ذَلِكَ ضَرَرًا عَلَيْهِمْ وَالْأَكْثَرُ لَهُمْ وَيَعُودُ  
 حُسْنُ الْمَلَكَتِيَّةِ إِلَى الرَّفْعِ فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ قَاهِرًا بَاطِشًا بِالْعُقُوبَاتِ مُنْقَبِحًا عَنْ  
 عَوْرَاتِ النَّاسِ وَتَعْدِيدِ ذُنُوبِهِمْ تَمْلِكُهُمُ الْخَوْفُ وَالذُّلُّ وَلَاذُوا مِنْهُ بِالْكَذِبِ وَالْمَكْرِ

وَالْحَدِيعةَ فَتَخَلَّقُوا بِهَا وَفَسَدَتْ بَصَائِرُهُمْ وَأَخْلَقُوهُمْ وَرُبَّمَا خَذَلُوهُ فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ  
 وَالْمُدَافَعَاتِ فَفَسَدَتْ الْحَدَايَةُ بِفَسَادِ النِّيَّاتِ وَرُبَّمَا أَجْعَمُوا عَلَى قِتْلِهِ لِذَلِكَ فَتَسُدُّ الدُّوْلَةُ  
 وَتُجْرَبُ السِّيَاحُ وَإِنْ دَامَ أَمْرُهُ عَلَيْهِمْ وَقَهَرَهُ فَسَدَتْ الْعَصِيبةُ لِمَا قَانَاهُ أَوْلَا وَفَسَدَ السِّيَاحُ  
 مِنْ أَصْلِهِ بِالْعَجْزِ عَنِ الْحِمَايَةِ وَإِذَا كَانَ رَفِيقًا بِهِمْ مُتَجَاوِزًا عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ اسْتَنَامُوا إِلَيْهِ  
 وَلَا ذُوَابَهُ وَأَشْرَبُوا مَحَبَّتَهُ وَأَسْتَمَتُوا دُونَهُ فِي مُحَارَبَةِ أَعْدَائِهِ فَأَسْتَقَامَ الْأَمْرُ مِنْ كُلِّ  
 جَانِبٍ وَأَمَّا تَوَابِعُ حُسْنِ الْمَالِكَةِ فَهِيَ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ وَالْمُدَافَعَةُ عَنْهُمْ فَالْمُدَافَعَةُ بِهَا  
 تَنْمُو حَقِيقَةُ الْمَلِكِ وَأَمَّا النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ وَالْإِحْسَانُ لَهُمْ فَمِنْ جَمَالَةِ الرَّفْقِ بِهِمْ وَالنَّظَرِ  
 لَهُمْ فِي مَعَاشِهِمْ وَهِيَ أَصْلُ كَبِيرٍ مِنَ التَّحَبُّبِ إِلَى الرَّعِيَّةِ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَلَّمَا تَكُونُ مَلَكَتُ  
 الرَّفْقِ فِي مَنْ يَكُونُ يُقَطِّعُ شَدِيدَ الذِّكَاةِ مِنَ النَّاسِ وَأَكْثَرُ مَا يُوجَدُ الرَّفْقُ فِي  
 الْعَفْلِ وَالْمَتَعَفَّلِ وَأَقَلُّ مَا يَكُونُ فِي الْبِقِظِ لِأَنَّهُ يَكْفُلُ الرَّعِيَّةَ فَوْقَ طَاقَتِهِمْ لِنُفُوزِ  
 نَظَرِهِ فِيهَا وَرَاءَ مَدَارِكِهِمْ وَأَطْلَاعِهِ عَلَى عَوَاقِبِ الْأُمُورِ فِي مَبَادِيهَا بِالرَّعِيَّةِ فَيَهْلِكُونَ  
 لِفَلِيكٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِيرُوا عَلَى سَبْرٍ أَضَعْتِكُمْ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ اشْتَرَطَ الشَّارِعُ  
 فِي الْحَاكِمِ قَلَّةَ الْإِفْرَاطِ فِي الذِّكَاةِ وَمَا أَخَذَهُ مِنْ قِصَّةِ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَنِيَانَ لَمَّا عَزَلَهُ  
 عُمَرُ عَنِ الْعِرَاقِ وَقَالَ لَهُ لِمَ عَزَلْتَنِي يَا أَمِيرَ الدُّوْنَيْنِ الْعَجْزِ أَمْ لِحَيَانَةٍ فَقَالَ عُمَرُ لَمْ  
 أَعَزَلْكَ لِوَاحِدَةٍ مِنْهُمَا وَلِكَيْ تَكْرَهْتَ أَنْ أَمْلَ فَضَلَ عَقْلِكَ عَنِ النَّاسِ فَأَخَذَ مِنْ  
 هَذَا الْحَاكِمِ لَا يَكُونُ مُفْرَطُ الذِّكَاةِ وَالْكَبَيْسِ مِثْلُ زِيَادِ بْنِ أَبِي سَنِيَانَ وَعُمَرُ وَ  
 بِنُ الْعَاصِ لِمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ مِنَ التَّعَسُّفِ وَسُوءِ الْمَالِكَةِ وَهَمَلِ الْوُجُودِ عَلَى مَا لَيْسَ فِي  
 طَبَعِهِ كَمَا يَأْتِي فِي آخِرِ هَذَا الْكِتَابِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْعَالَمِينَ وَتَقَرَّرَ مِنْ هَذَا أَنَّ الْكَبَيْسَ  
 وَالذِّكَاةَ عَيْبٌ فِي صَاحِبِ السِّيَاسَةِ لِأَنَّهُ إِفْرَاطٌ فِي الْفِكْرِ كَمَا أَنَّ الْبَلَادَةَ إِفْرَاطٌ فِي  
 الْجُمُودِ وَالطَّرْفَانَ مَذْمُومَانِ مِنْ كُلِّ صِنْفِ إِنْسَانِيَّةٍ وَالْحَمُودُ هُوَ التَّوَسُّطُ كَمَا فِي الْكُرَمِ  
 مَعَ التَّبْدِيرِ وَالْبُخْلِ وَكَمَا فِي الشَّجَاعَةِ مَعَ الْهُجُوعِ وَالْجُبْنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ  
 الْإِنْسَانِيَّةِ وَلِهَذَا يُوصَفُ الشَّدِيدُ الْكَبَيْسُ بِصِفَاتِ الشَّيْطَانِ يُقَالُ شَيْطَانٌ وَمَشَيْطَانٌ  
 وَأَمثال ذلك والله يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ

## الفصل الخامس والعشرون

في معنى الخلافة والامامة

لَمَا كَانَتْ حَقِيقَةُ الْمَلِكِ أَنَّهُ الْإِجْتِمَاعُ الصَّرُورِيُّ لِلبَشَرِ وَمُقْتَضَاهُ التَّغَلُّبُ وَالْقَهْرُ  
الَّذَانِ هُمَا مِنْ آثَارِ الْغَضَبِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ كَانَتْ أَحْكَامُ صَاحِبِهِ فِي الْعَالِبِ جَائِزَةً عَنِ  
الْحَقِّ مُجْحَفَةً بِمَنْ تَحْتَ يَدِهِ مِنَ الْخَلْقِ فِي أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ لِحَمَلِهِ إِيَّاهُمْ فِي الْعَالِبِ عَلَى  
مَا لَيْسَ فِي طَوْفِهِمْ مِنْ أَغْرَاضِهِ وَشَهْوَاتِهِ وَيَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْمَقَاصِدِ مِنَ الْخَلْفِ  
وَالسَّلَفِ مِنْهُمْ فَتَعَسَّرُ طَاعَتُهُ لِذَلِكَ وَتَجِيءُ الْعَصِيَّةُ الْمُفْضِيَةُ إِلَى الْوَجْهِ وَالْقَتْلُ فَوْجَبَ  
أَنْ يُرْجَعَ فِي ذَلِكَ إِلَى قَوَانِينِ سِيَاسِيَّةٍ مَفْرُوضَةٍ يُسَلِّمُهَا الْكَافَّةُ يَنْقَادُونَ إِلَى أَحْكَامِهَا  
كَمَا كَانَ ذَلِكَ لِلْفَرَسِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ وَإِذَا خَلَّتِ الدَّوْلَةُ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ السِّيَاسَةِ  
لَمْ يَسْتَبِأْ أَمْرُهَا وَلَمْ يَتِمَّ اسْتِبْلَاؤُهَا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ فَإِذَا كَانَتْ  
هَذِهِ الْقَوَانِينُ مَفْرُوضَةً مِنَ الْعُقَلَاءِ وَأَكْبَارِ الدَّوْلَةِ وَبَصْرَائِنَا كَانَتْ سِيَاسَةً عَقْلِيَّةً وَإِذَا  
كَانَتْ مَفْرُوضَةً مِنَ اللَّهِ بِشَارِعٍ يُقَرَّرُهَا وَيُشْرَعُهَا كَانَتْ سِيَاسَةً دِينِيَّةً نَافِعَةً فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْخَلْقَ لَيْسَ الْمَقْصُودُ بِهِمْ دُنْيَاهُمْ فَقَطُّ فَإِنَّهَا كَلَّمَا عَثُ  
وَبَاطِلٌ إِذْ غَابَتْهَا الْمَوْتُ وَالْفَنَاءُ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَسْبِمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا فَأَلْمَقْصُودُ  
بِهِمْ إِنَّمَا هُوَ دِينُهُمُ الْمَقْضِيُّ بِهِمْ إِلَى السَّعَادَةِ فِي آخِرَتِهِمْ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي  
السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ فَجَاءَتْ الشَّرَائِعُ بِحَمَلِهِمْ عَلَى ذَلِكَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ مِنْ  
عِبَادَةٍ وَمَعَامَلَةٍ حَتَّى فِي الْمَلِكِ الَّذِي هُوَ طَبِيعِيٌّ لِلْإِجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ فَأَجْرَتْهُ عَلَى  
مِنَاجِ الدِّينِ لِيَكُونَ الْكُلُّ مُحَوَّطًا بِنَظَرِ الشَّارِعِ فَمَا كَانَ مِنْهُ بِمُقْتَضَى الْقَهْرِ وَالتَّغَلُّبِ  
وَإِهْمَالِ الْقُوَّةِ الْعَصِيَّةِ فِي مَرْعَاهَا فَجُورٌ وَعُدْوَانٌ وَمَذْمُومٌ عِنْدَهُ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى  
الْحِكْمَةِ السِّيَاسِيَّةِ وَمَا كَانَ مِنْهُ بِمُقْتَضَى السِّيَاسَةِ وَأَحْكَامِهَا فَمَذْمُومٌ أَيْضًا لِأَنَّهُ نَظَرٌ  
بِغَيْرِ نُورِ اللَّهِ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ لِأَنَّ الشَّارِعَ أَعْلَمُ بِمَصَالِحِ  
الْكَافَّةِ فِيهَا هُوَ مُغَيَّبٌ عَنْهُمْ مِنْ أُمُورِ آخِرَتِهِمْ وَأَعْمَالِ الْبَشَرِ كُلِّهَا عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي  
مَعَادِهِمْ مِنْ مَلِكٍ أَوْ غَيْرِهِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ عَلَيْكُمْ  
وَأَحْكَامُ السِّيَاسَةِ إِنَّمَا تُطْلَعُ عَلَى مَصَالِحِ الدُّنْيَا فَقَطُّ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنْ حَيَاةِ الدُّنْيَا  
وَمَقْصُودُ الشَّارِعِ بِالنَّاسِ صَلَاحَ آخِرَتِهِمْ فَوْجَبَ بِمُقْتَضَى الشَّرَائِعِ حَمْلَ الْكَافَّةِ

عَلَى الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فِي أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَجَتْهُمْ وَكَانَ هَذَا الْحُكْمُ لِأَهْلِ الشَّرِيعَةِ  
وَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَمَنْ قَامَ فِيهِ مَقَامَهُمْ وَهُمْ الْخُلَفَاءُ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَعْنَى اخْتِلَافِهِ  
وَأَنَّ الْمَلِكَ الطَّبِيعِيَّ هُوَ حَمَلُ الْكَفَافَةِ عَلَى مُقْتَضَى الْغَرَضِ وَالشَّهْوَةِ وَالسِّيَاسِيِّ هُوَ حَمَلُ  
الْكَفَافَةِ عَلَى مُقْتَضَى النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ فِي جَلْبِ الْمَصَالِحِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ وَالْخِلَافَةِ  
هِيَ حَمَلُ الْكَفَافَةِ عَلَى مُقْتَضَى النَّظَرِ الشَّرْعِيِّ فِي مَصَالِحِهِمُ الْآخِرَوِيَّةِ وَالذُّنُوبِيَّةِ الرَّاجِعَةِ  
إِلَيْهَا إِذَا أَحْوَالُ الدُّنْيَا تَرَجَّعَ كُلُّهَا عِنْدَ الشَّارِعِ إِلَى اعْتِبَارِهَا بِمَصَالِحِ الْآخِرَةِ فَهِيَ فِي  
الْحَقِيقَةِ خِلَافَةٌ عَنِ صَاحِبِ الشَّرْعِ فِي حِرَاسَةِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا بِهِ فَأَفْهَمَ ذَلِكَ  
وَأَعْتَبِرْهُ فِيمَا نُورِدُهُ عَلَيْكَ مِنْ بَعْدِ وَاللَّهُ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ

### الفصل السادس والعشرون

في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه

وَإِذْ قَدْ بَيَّنَّا حَقِيقَةَ هَذَا الْمَنْصِبِ وَأَنَّ نِيَابَةَ عَنْ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ فِي حِنْطِ الدِّينِ  
وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا بِهِ تَسْمَى خِلَافَةً وَإِمَامَةً وَالْقَائِمُ بِهِ خَلِيفَةٌ وَإِمَامًا فَأَمَّا تَسْمِيَتُهُ إِمَامًا  
فَقَسَمِيهَا بِإِمَامِ الصَّلَاةِ فِي اتِّبَاعِهِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِهِ وَلِهَذَا يُقَالُ الْأِمَامَةُ الْكُبْرَى وَأَمَّا  
تَسْمِيَتُهُ خَلِيفَةً فَلِكُونِهِ يَخْلُفُ النَّبِيَّ فِي أُمَّتِهِ فَيُقَالُ خَلِيفَةُ بِإِطْلَاقٍ وَخَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ  
وَأَخْتَلَفَ فِي تَسْمِيَتِهِ خَلِيفَةَ اللَّهِ فَأَجَارَهُ بَعْضُهُمْ أُقْتَبَاسًا مِنَ الْخِلَافَةِ الْعَامَّةِ الَّتِي لِلرَّادِمِينَ  
فِي قَوْلِهِ تَعَالَى إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً وَقَوْلِهِ جَعَلَكُمْ خُلَافَةَ الْأَرْضِ وَمَنْعَ  
الْجُمُورِ مِنْهُ لِأَنَّ مَعْنَى الْآيَةِ لَيْسَ عَلَيْهِ وَقَدْ نَهَى أَبُو بَكْرٍ عَنْهُ لَمَّا دُعِيَ بِهِ وَقَالَ لَسْتُ  
خَلِيفَةَ اللَّهِ وَلَكِنِّي خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِأَنَّ الْأِسْتِخْلَافَ إِنَّمَا هُوَ  
فِي حَقِّ الْعَائِبِ وَأَمَّا الْحَاضِرُ فَلَا تَمَّ إِنْ نَصَّبَ الْإِمَامُ وَاجِبٌ قَدْ عُرِفَ وَجُوبُهُ فِي  
الشَّرْعِ بِاجْتِمَاعِ الْأَصْحَابِ وَالتَّابِعِينَ لِأَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ  
وَفَاتِهِ بَادَرُوا إِلَى بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَسْلِيمِ النَّظَرِ إِلَيْهِ فِي أُمُورِهِمْ وَكَذَلِكَ فِي  
كُلِّ عَصْرٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَلَمْ تُذْرَكِ النَّاسُ فَوْضَى فِي عَصْرِ مِنَ الْأَعْصَارِ وَأَسْتَقَرَّ ذَلِكَ  
اجْتِمَاعًا دَالًّا عَلَى وَجُوبِ نَصْبِ الْإِمَامِ وَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُ النَّاسِ إِلَى أَنَّ مَدْرَكَهُ وَجُوبَهُ  
الْعَقْلُ وَأَنَّ الْاجْتِمَاعَ الَّذِي وَقَعَ إِنَّمَا هُوَ فِضَاءٌ بِحُكْمِ الْعَقْلِ فِيهِ قَالُوا وَإِنَّمَا وَجِبَ  
بِالْعَقْلِ لِضَرُورَةِ الْاجْتِمَاعِ لِلشَّرِّ وَأَسْتِحْالَةِ حَيَاتِهِمْ وَوُجُودِهِمْ مُتَفَرِّدِينَ وَمِنْ ضَرُورَةِ

الْأَجْتِمَاعِ التَّنَازُعِ لِأَزْدِ حَامِ الْأَغْرَاضِ فَمَا لَمْ يَكُنِ الْحَاكِمُ الْوَازِعَ أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى  
 الْمَرْجِ الْمُوْذِنِ بِهَلَاكِ الْبَشَرِ وَانْقِطَاعِهِمْ مَعَ أَنْ حِظَّ النَّوْعَ مِنْ مَقَاصِدِ الشَّرْعِ  
 الضَّرُورِيَّةِ وَهَذَا الْمَعْنَى بَعِيْنَهُ هُوَ الَّذِي لَحَظَهُ الْحَكَمَاءُ فِي وُجُوبِ النُّبُوتِ فِي الْبَشَرِ  
 وَقَدْ نَبَّهْنَا عَلَى فِسَادِهِ وَأَنَّ أَحَدِي مَقْدَمَاتِهِ أَنَّ الْوَازِعَ إِنَّمَا يَكُونُ بِشَرْعٍ مِنْ اللَّهِ تَسْلَمُ  
 لَهُ الْكِفَاةُ تَسْلِيمِ إِيْمَانٍ وَاعْتِقَادٍ وَهُوَ غَيْرُ مُسَلِّمٍ لِأَنَّ الْوَازِعَ قَدْ يَكُونُ بِسُطُوْرَةِ الْمَلِكِ  
 وَقَهْرِ أَهْلِ الشُّوْكَةِ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ شَرْعٌ كَمَا فِي أُمِّ الْعَجُوسِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُ  
 كِتَابٌ أَوْ لَمْ تَبْلُغْهُ الدَّعْوَةُ أَوْ تَقُولُ يَكْفِي فِي رَفْعِ التَّنَازُعِ مَعْرِفَةُ كُلِّ وَاحِدٍ بِخَرِيْبِ  
 الظُّلْمِ عَلَيْهِ بِحُكْمِ الْعَقْلِ فَادْعَاؤُهُمْ أَنْ ارْتِفَاعِ التَّنَازُعِ إِنَّمَا يَكُونُ بِوُجُودِ الشَّرْعِ  
 هُنَاكَ وَنَصَبِ الْإِمَامِ هُنَا غَيْرُ صَحِيْحٍ بَلْ كَمَا يَكُونُ يَنْصَبُ الْإِمَامَ يَكُونُ بِوُجُودِ  
 الرُّوْسَاءِ أَهْلِ الشُّوْكَةِ أَوْ بِامْتِنَاعِ النَّاسِ عَنِ التَّنَازُعِ وَالتَّنْظَامِ فَلَا يَنْهَضُ دَلِيْلُهُمْ  
 الْعَقْلِيُّ الْمَبْنِيُّ عَلَى هِدْيَةِ الْمَقْدَمَةِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مَدْرَكَ وُجُوبِهِ إِنَّمَا هُوَ بِالشَّرْعِ وَهُوَ  
 الْإِجْمَاعُ الَّذِي قَدِمْنَا وَوَقَدْ شَدَّ بَعْضُ النَّاسِ فَقَالَ بَعْدَهُمْ وَجُوبُ هَذَا النَّصَبِ رَأْسًا لَا  
 بِالْعَقْلِ وَلَا بِالشَّرْعِ مِنْهُمْ الْأَصَمُّ مِنَ الْمَعْتَرَلَةِ وَبَعْضُ الْخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ وَالْوَاجِبُ  
 عِنْدَهُ هُوَ لَا إِنَّمَا هُوَ امْتِصَاءُ الْحُكْمِ الشَّرْعِ فَإِذَا تَوَاطَأَتِ الْأُمَّةُ عَلَى الْعَدْلِ وَتَنَفِيْذِ  
 أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ يَحْتَجْ إِلَى إِمَامٍ وَلَا يَجِبُ نَصْبُهُ وَدَوْلَاءٌ نَحْجُوجُونَ بِالْإِجْمَاعِ  
 وَالَّذِي حَمَاهُمْ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ إِنَّمَا هُوَ الْفِرَارُ عَنِ الْمَلِكِ وَمَذَاهِبِهِ مِنَ الْأَسْطِطَالَةِ  
 وَالْعُغْلَبِ وَالْأَسْتِمْتَاعِ بِالْدُنْيَا لَمَّا رَأَوْا الشَّرِيْعَةَ مُمْتَلِئَةً بِذِمِّ ذَلِكَ وَالنَّعْيِ عَلَى أَهْلِ  
 وَمُرْغَبَةٍ فِي رَفْضِهِ وَاعْلَمَ أَنَّ الشَّرْعَ لَمْ يَذِمَّ الْمَلِكَ لِذَاتِهِ وَلَا حَظَرَ الْقِيَامَ بِهِ وَإِنَّمَا ذَمَّ  
 الْمَفَاسِدَ النَّاشِئَةَ عَنْهُ مِنَ الْقَهْرِ وَالظُّلْمِ وَالتَّمَتُّعِ بِالذَّلَاتِ وَلَا شَكَّ أَنَّ فِي هِدْيَةِ مَفَاسِدِ  
 مَحْظُورَةٍ وَهِيَ مِنْ تَوَابِعِهِ كَمَا أَتَيْتُ عَلَى الْعَدْلِ وَالنِّصْفَةِ وَإِقَامَةِ مَرَامِ الْدِيْنِ وَالذَّبِّ  
 عَنْهُ وَأَوْجِبُ بِإِزَائِيهَا الثُّوَابَ وَهِيَ كُلُّهَا مِنْ تَوَابِعِ الْمَلِكِ فَإِذَا إِنَّمَا وَقَعَ الذَّمُّ لِلْمَلِكِ  
 عَلَى صِفَةٍ وَحَالَ دُونَ حَالَ أُخْرَى وَلَمْ يَذِمَّهُ لِذَاتِهِ وَلَا طَلَبَ تَرْكَهُ كَمَا ذَمَّ الشُّهُوَةَ  
 وَالْعُضْبَ مِنَ الْمَكْلَفِيْنَ وَلَيْسَ مُرَادُهُ تَرْكُهُمَا بِالْكُلِّيَّةِ لِذِيْعَابَةِ الضَّرُورَةِ إِلَيْهَا وَأَمَّا  
 الْمُرَادُ تَصْرِيْفُهُمَا عَلَى مَقْتَضَى الْحَقِّ وَقَدْ كَانَ لِدَاوُدَ وَسَلِيْمَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ  
 عَلَيْهِمَا الْمَلِكُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُغَيِّرِهِمَا وَهُمَا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَكْرَمِ الْخَلْقِ عِنْدَهُ

ثُمَّ نَقُولُ لَهُمْ إِنَّ هَذَا الْفِرَارَ عَنِ الْمَلِكِ بَعْدَ وَجُوبِ هَذَا النَّصْبِ لَا يُغْنِيكُمْ شَيْئًا لِأَنَّكُمْ  
 مُوَافِقُونَ عَلَى وَجُوبِ إِقَامَةِ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَذَلِكَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ وَالشُّوْكَةِ  
 وَالْعَصِيَّةِ مُقْتَضِيَةٌ بِطَبْعِهَا لِلْمَلِكِ فَيَحْصُلُ الْمَلِكُ وَإِنْ لَمْ يَنْصَبْ إِمَامًا وَهُوَ عَيْنُ مَا قَرَّرْتُمْ  
 عَنْهُ وَإِذَا تَقَرَّرَ أَنَّ هَذَا النَّصْبَ وَاجِبٌ بِاجْتِمَاعِ هُوَ مِنْ فُرُوضِ الْكِفَايَةِ وَرَاجِعٌ  
 إِلَى اخْتِيَارِ أَهْلِ الْعَقْدِ وَالْحُلِّ فَيَتَعَيَّنُ عَلَيْهِمْ نَصْبُهُ وَيَجِبُ عَلَى الْخَلْقِ جَمِيعًا طَاعَتَهُ لِقَوْلِهِ  
 تَعَالَى أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَأَمَّا شُرُوطُ هَذَا الْمَنْصَبِ فَهِيَ  
 أَرْبَعَةٌ الْعِلْمُ وَالْعَدَالَةُ وَالْكَفَايَةُ وَسَلَامَةُ الْحَوَاسِّ وَالْأَعْضَاءِ مِمَّا يُؤْتِرُ فِي الرَّأْيِ  
 وَالْعَمَلِ وَاخْتَلَفَ فِي شَرْطِ خَامِسٍ وَهُوَ النَّسَبُ الْقُرَشِيُّ فَأَمَّا اشْتِرَاطُ الْعِلْمِ فَظَاهِرٌ لِأَنَّهُ  
 إِنَّمَا يَكُونُ مَنْفَعًا لِأَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى إِذَا كَانَ عَالِمًا بِهَا وَمَا لَمْ يَعْلَمْهَا لَا يَصِحُّ تَقْدِيمُهُ  
 لَهَا وَلَا يَكْفِي مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا لِأَنَّ التَّقَايِدَ نَقْضُ وَالْإِمَامَةَ تَسْتَدْعِي  
 الْكَمَالَ فِي الْأَوْصَافِ وَالْأَحْوَالِ وَأَمَّا الْعَدَالَةُ فَلِأَنَّهُ مَنْصَبٌ دِينِي يَنْظَرُ فِي سَائِرِ  
 الْمَنَاصِبِ الَّتِي هِيَ شَرْطٌ فِيهَا فَكَانَ أَوْلَى بِاشْتِرَاطِهَا فِيهِ وَلَا خِلَافَ فِي انْتِفَاءِ الْعَدَالَةِ فِيهِ  
 بِسِقِّ الْجَوَارِحِ مِنْ أَرْكَابِ الْحَظُورَاتِ وَأَمْثَالِهَا وَفِي انْتِفَائِهَا بِالْبِدْعِ الْإِعْتِقَادِيَّةِ  
 خِلَافٌ وَأَمَّا الْكِفَايَةُ فَهِيَ أَنْ يَكُونَ جَرِيئًا عَلَى إِقَامَةِ الْحُدُودِ وَافْتِحَامِ الْخُرُوبِ بِصِرَا  
 بِهَا كِفَايَا يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَيْهَا عَارِفًا بِالْعَصِيَّةِ وَأَحْوَالَ الدَّمَاءِ قَوِيًّا عَلَى مُعَانَاةِ السِّيَاسَةِ  
 لِيَصِحَّ لَهُ بِذَلِكَ مَا جُعِلَ إِلَيْهِ مِنْ حِمَايَةِ الدِّينِ وَجِهَادِ الْعَدُوِّ وَإِقَامَةِ الْأَحْكَامِ وَتَدْبِيرِ  
 الْمَصَالِحِ وَأَمَّا سَلَامَةُ الْحَوَاسِّ وَالْأَعْضَاءِ مِنَ النَّقْصِ وَالْعَطَلَةِ كَالجُنُونِ وَالْعَمَى وَالْعَمَمِ  
 وَالْخَرَسِ وَمَا يُؤْتِرُ فَقَدُهُ مِنَ الْأَعْضَاءِ فِي الْعَمَلِ كَتَقَدِّدِ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ وَالْأَنْثَيْنِ  
 فَتَشْتَرِطُ السَّلَامَةُ مِنْهَا كُلِّهَا لِتَأْتِيرَ ذَلِكَ فِي تَمَامِ عَمَلِهِ وَتَقَامِهِ بِمَا جُعِلَ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ  
 إِنَّمَا يَسِينُ فِي الْمَنْظَرِ فَقَطْ كَقَدِّدِ أَحَدَى هَذِهِ الْأَعْضَاءِ فَشَرَطُ السَّلَامَةِ مِنْهُ شَرْطُ  
 كَمَالٍ وَلِيُحَقِّقَ بِنَقْدَانِ الْأَعْضَاءِ الْمَنْعُ مِنَ التَّصَرُّفِ وَهُوَ ضَرْبَانِ ضَرْبٌ يُحَقِّقُ بِهِذِهِ فِي  
 اشْتِرَاطِ السَّلَامَةِ مِنْهُ شَرْطٌ وَجُوبٌ وَهُوَ الْقَهْرُ وَالْحُجْرُ عَنِ التَّصَرُّفِ جُمْلَةً بِالْأَسْرِ وَشِبْهِهِ  
 وَضَرْبٌ لَا يُحَقِّقُ بِهِذِهِ وَهُوَ الْحُجْرُ بِاسْتِئْذَانٍ بَعْضُ أَعْوَانِهِ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ عَصِيَانٍ وَلَا مُشَاقَّةٍ  
 فَيَنْتَقِلُ النَّظْرُ فِي حَالِ هَذَا الْمُسْتَوْلي فَإِنْ جَرَى عَلَى حُكْمِ الدِّينِ وَالْعَدْلِ وَحَمِيدِ  
 السِّيَاسَةِ جَازَ قَرَارُهُ وَإِلَّا اسْتَنْصَرَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ يَفِضُ يَدَهُ عَنِ ذَلِكَ وَيَدْفَعُ عَلَيْهِ

حَتَّى يَفْعَلَ فِعْلَ الْخَلِيفَةِ وَأَمَّا النَّسَبُ الْقُرَشِيُّ فَلِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ يَوْمَ السَّقِينَةِ دَلَى ذَلِكَ  
 وَاحْتَجَّتْ فُرَيْشٌ عَلَى الْأَنْصَارِ لَمَّا هُمَا يَوْمَئِذٍ بَيْعَةَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ وَقَالُوا مَنَا أَمِيرٌ  
 وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَئِمَّةُ مِنْ فُرَيْشٍ وَبَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ أَوْصَانًا بِأَنْ يُحْسِنَ إِلَى حُسَيْنِكُمْ وَتَجَاوَزَ عَنْ مُسَيِّئِكُمْ وَلَوْ كَانَتْ الْإِمَارَةُ فِيكُمْ  
 لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِكُمْ فَحَجُّوا الْأَنْصَارَ وَرَجَعُوا عَنْ قَوْلِهِمْ مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ  
 وَعَدَلُوا عَمَّا كَانُوا هُمَا بِهِ مِنْ بَيْعَةِ سَعْدٍ لِذَلِكَ وَتَبَتِ أَيْضًا فِي الصَّحِيحِ لَا يُزَالُ هَذَا  
 الْأَمْرُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنْ فُرَيْشٍ وَأَمْثَالِ هَذِهِ الْأَدَلَّةِ كَثِيرَةٌ إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا ضَعُفَ أَمْرُ  
 فُرَيْشٍ وَتَلَاشَتْ عَصَائِبُهُمْ بِمَا تَأَلَّهُمْ مِنَ التَّرَفِ وَالنِّعَمِ وَبِمَا أَنْفَقْتَهُمُ الدَّوْلَةُ فِي سَائِرِ  
 أَقْطَارِ الْأَرْضِ عَجَزُوا بِذَلِكَ عَنْ حَمْلِ الْخِلَافَةِ وَتَغَلَّبَتْ عَلَيْهِمُ الْأَعَاجِمُ وَصَارَ الْحُلُّ  
 وَالْعَقْدُ لَهُمْ فَاسْتَبَهَ ذَلِكَ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ حَتَّى ذَهَبُوا إِلَى تَفْيِ اشْتِرَاطِ الْقُرَشِيَّةِ  
 وَعَوَّلُوا عَلَى ظَوَاهِرِ فِي ذَلِكَ مِثْلَ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْمَعُوا وَاطِيعُوا وَإِنْ وُلِّيَ  
 عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ذُو رِيْبَةٍ وَهَذَا لَا يَقُومُ بِهِ حُجَّةٌ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ خَرَجَ مَخْرَجَ التَّمَثِيلِ  
 وَالغَرَضُ لِلْمُبَاغَةِ فِي إِجْبَابِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَمِثْلَ قَوْلِ عُمَرَ لَوْ كَانَ سَلِمٌ مَوْلَى حَدِيفَةَ  
 حَيًّا لَوَلَّيْتُهُ أَوْ لَمَّا دَخَلْتَنِي فِيهِ الظَّنُّ وَهُوَ أَيْضًا لَا يُفِيدُ ذَلِكَ لِمَا عَلِمْتَ أَنَّ مَدْمَبَ  
 الصَّحَابِيِّ لَيْسَ بِحُجَّةٍ وَأَيْضًا فَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَعَصِيَّةُ الْوَلَاءِ حَاصِلَةٌ لِسَالِمٍ فِي فُرَيْشٍ  
 وَهِيَ الْفَائِدَةُ فِي اشْتِرَاطِ النَّسَبِ وَلَمَّا اسْتَعْظَمَ عُمَرُ أَمْرَ الْخِلَافَةِ وَرَأَى شُرُوطَهَا كَانَهَا  
 مَفْقُودَةٌ فِي ظَنِّهِ عَدَلَ إِلَى سَالِمٍ لِتَوْفُرِ شُرُوطِ الْخِلَافَةِ عِنْدَهُ فِيهِ حَتَّى مِنَ النَّسَبِ الْمَفِيدِ  
 لِلْعَصِيَّةِ كَمَا نَدَّ كُرُّهُ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْأَصْرَاحَةُ النَّسَبِ فَرَأَاهُ غَيْرَ مُخْتَاجٍ إِلَيْهِ إِذِ الْفَائِدَةُ  
 فِي النَّسَبِ إِنَّمَا هِيَ الْعَصِيَّةُ وَهِيَ حَاصِلَةٌ مِنَ الْوَلَاءِ فَكَانَ ذَلِكَ حَرَصًا مِنْ عُمَرَ رِضَى اللَّهُ  
 عَنْهُ عَلَى النَّظَرِ لِلْمُسْلِمِينَ وَتَقْلِيدِ أَمْرِهِمْ لِمَنْ لَا تَلْحَقُهُ فِيهِ لِأَمَّةٌ وَلَا عَلَيْهِ فِيهِ عَهْدَةٌ  
 وَمِنَ الْقَائِلِينَ بِتَفْيِ اشْتِرَاطِ الْقُرَشِيَّةِ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَلْقَائِيُّ لَمَّا أُدْرِكَ عَلَيْهِ عَصِيَّةُ  
 فُرَيْشٍ مِنَ التَّلَاشِي وَالْأَضْحَالَالِ وَأَسْتَبْدَادِ مُلُوكِ الْعَجَمِ مِنَ الْخُلَفَاءِ فَاسْقَطَ شَرْطَ  
 الْقُرَشِيَّةِ وَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِرَأْيِ الْخَوَارِجِ لِمَا رَأَى عَلَيْهِ حَالِ الْخُلَفَاءِ لِعَهْدِهِ وَبَقِيَ  
 الْجُمْهُورُ عَلَى الْقَوْلِ بِاشْتِرَاطِهَا وَصِحَّةِ الْإِمَامَةِ لِلْقُرَشِيِّ وَلَوْ كَانَ عَاجِزًا عَنِ الْقِيَامِ بِأُمُورِ  
 الْمُسْلِمِينَ وَرُدَّ عَلَيْهِمْ سَقُوطُ شَرْطِ الْكِفَايَةِ الَّتِي يَقْوَى بِهَا عَلَى أَمْرِهِ لِأَنَّهُ إِذَا ذَهَبَتْ

الشوكه بدهاب العصبية فقد ذهب الكفاية وإذا وقع الإخلال بشرط الكفاية  
 تطرق ذلك أيضا إلى العلم والدن وسقط اعتبار شروط هذا المنصب وهو خلاف  
 الاجتماع. ولنتكلم الآن في حكمة اشتراط النسب ليتحقق به الصواب في هذه  
 المذاهب فنقول: إن الأحكام الشرعية كلها لا بد لها من مقاصد وحكم تستدل  
 عليها وتشرع لأجلها ونحن إذا بحثنا عن الحكمة في اشتراط النسب القرشي ومقصد  
 الشارع منه لم يقتصر فيه على التبرك بوصلة النبي صلى الله عليه وسلم كما هو في  
 المشهور وإن كانت تلك الوصلة موجودة والتبرك بها حاصلًا لكن التبرك ليس من  
 المقاصد الشرعية كما علمت فلا بد إذن من المصلحة في اشتراط النسب وهي  
 المقصودة من مشروعيتها وإذا سبرنا وقسمنا لم نجد إلا اعتبار العصبية التي تكون  
 بها الحماية والمطالبة ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن  
 إليه اللمة وأهلها وينتظم حبل الألفة فيها وذلك أن قریشًا كانوا عصبه مضر وأصحابهم  
 وأهل الغلب منهم وكان لهم على سائر مضر العزة بالكثرة والعصبية والشرف  
 فكان سائر العرب يعرفهم بذلك ويستكفون عنهم فلو جعل الأمر في سواهم  
 لتوقع افتراق الكلمة بدخالفتهم وعدم انقيادهم ولا يقدر غيرهم من قبائل مضر  
 أن يرددهم عن الخلاف ولا يحماهم على الكثرة فتمتفرق الجماعة وتختلف الكلمة  
 والشارع محذّر من ذلك حريص على اتفانهم ورفع النزاع والشقاق بينهم ليحصل  
 اللحمة والعصبية وحسن الحماية بخلاف ما إذا كان الأمر في قریش لأنهم قادرون  
 على سوق الناس بعصا الغلب إلى ما يراد منهم فلا يخشى من أحد من خلاف عليهم  
 ولا فرقة لأنهم كفيلون حينئذ يدفعها ومنع الناس منها فأشترط تسبهم القرشي  
 في هذا المنصب وهم أهل العصبية القوية ليكون أبلغ في انتظام اللمة واتفاق  
 الكلمة وإذا انتظمت كلمتهم انتظمت بانتظامها كلمة مضر أجمع فأذن لهم  
 سائر العرب وأنقادت الأمم سواهم إلى أحكام اللمة ووظمت جنودهم قاصية البلاد  
 كما وقع في أيام الفتوح واستمر بعدها في الدولتين إلى أن أضحل أمر الخلافة  
 وتلاشت عصبية العرب ويعلم ما كان لقریش من الكثرة والغلب على بطون مضر  
 من مارس أخبار العرب وسيرهم ونفطن لذلك في أحوالهم. وقد ذكر ذلك ابن إسحاق

فِي كِتَابِ السَّيْرِ وَغَيْرِهِ فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ أَشْتَرِاطَ الْقُرْشِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ لِدَفْعِ الزَّنَازِعِ بِمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَالغَلْبِ وَعَلِمْنَا أَنَّ الشَّارِعَ لَا يَخْصُ الْأَحْكَامَ بِحِيلٍ وَلَا عَصْرٍ وَلَا أُمَّةً عَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْكِنَايَةِ فَرَدَدْنَا إِلَيْهَا وَطَرَدْنَا الْعِلْمَةَ الْمُشْتَمَلَةَ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنَ الْقُرْشِيَّةِ وَهِيَ وُجُودُ الْعَصِيَّةِ فَاشْتَرَطْنَا فِي الْقَائِمِ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْمٍ أُولِي عَصِيَّةٍ قَوِيَّةٍ غَالِبَةٍ عَلَى مَنْ مَعَهَا لِعَصْرِهَا لِيَسْتَنْبِعُوا مِنْ سِوَاهُمْ وَتَجْتَمِعَ الْكَلِمَةُ عَلَى حَسَنِ الْحَدَايَةِ وَلَا يَعْلَمُ ذَلِكَ فِي الْأَفْطَارِ وَالْأَفَاقِ كَمَا كَانَ فِي الْقُرْشِيَّةِ إِذِ الدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ كَانَتْ عَامَةً وَعَصِيَّةُ الْعَرَبِ كَانَتْ وَافِيَةً بِهَا فَعَلَبُوا سَائِرَ الْأُمَمِ وَإِنَّمَا يَخْصُ هَذَا الْعَهْدُ كُلُّ قَطْرٍ بَمَنْ تَكُونُ لَهُ فِيهِ الْعَصِيَّةُ الْغَالِبَةُ وَإِذَا نَظَرْتَ سِرَّ اللَّهِ فِي الْخِلَافَةِ لَمْ تَعُدْ هَذَا لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا جَعَلَ الْخَلِيفَةَ نَائِبًا عَنْهُ فِي الْقِيَامِ بِأُمُورِ عِبَادِهِ لِيَحْمِلَهُمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ وَيُرُدَّهُمْ عَنِ مَضَارِّهِمْ وَهُوَ مُخَاطَبٌ بِذَلِكَ وَلَا يَخْاطَبُ بِالْأَمْرِ الْأَمْنِ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَيْهِ إِلَّا تَرَى مَا ذَكَرَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْمُخَطِيبِ <sup>(١)</sup> فِي شَأْنِ النِّسَاءِ وَأَتَمَّنَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ جُعِلْنَ تَبَعًا لِلرِّجَالِ وَلَمْ يَدْخُلْنَ فِي الْمُخَاطَبِ بِالْوَضْعِ وَإِنَّمَا دَخَلْنَ عِنْدَهُ بِالْقِيَاسِ وَذَلِكَ لِمَا لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ وَكَانَ الرَّجَالُ قَوَّامِينَ عَلَيْهِنَّ اللَّهْمُ إِلَّا فِي الْعِبَادَاتِ الَّتِي كُلُّ أَحَدٍ فِيهَا قَائِمٌ عَلَى نَفْسِهِ فَخَطَّابِينَ فِيهَا بِالْوَضْعِ لَا بِالْقِيَاسِ ثُمَّ إِنَّ الْوُجُودَ شَاهِدٌ بِذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَقُومُ بِأَمْرِ أُمَّةٍ أَوْ جِيلٍ إِلَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ وَقُلْ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ الشَّرْعِيُّ مُخَالَفًا لِلْأَمْرِ الْوُجُودِيِّ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل السابع والعشرون

في مذاهب الشيعة في حكم الإمامة

اعْلَمَنَّ أَنَّ الشَّيْعَةَ لُغَةً هُمُ الصَّحْبُ وَالْأَتْبَاعُ وَيُطَاقَى فِي عُرْفِ الْفُقَهَاءِ وَالْمَتَكَلِّمِينَ مِنْ الْخَلْفِ وَالسَّلَفِ عَلَى اتِّبَاعِ عَلِيٍّ وَبَنِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمَذْهَبِهِمْ جَمِيعًا مُتَّفَقِينَ عَلَيْهِ أَنَّ الْإِمَامَةَ لَيْسَتْ مِنَ الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ الَّتِي تَفُوضُ إِلَى نَظَرِ الْأُمَّةِ وَيَتَعَيَّنُ الْقَائِمُ بِهَا بِتَعْيِينِهِمْ بَلْ هِيَ رُكْنٌ دِينِيٌّ وَقَاعِدَةٌ الْإِسْلَامِ وَلَا يَجُوزُ لِنَبِيِّ إِغْفَالِهِ وَلَا تَفْوِيضُهُ إِلَى الْأُمَّةِ بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ تَعْيِينُ الْإِمَامِ لَهُمْ وَيَكُونُ مَعْضُومًا مِنَ الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ وَإِنَّ

(١) قوله الامام ابن الخطيب هو الفخر الرازي قاله نصر

عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الَّذِي عَيْنَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ بِنُصُوصٍ يَنْقُلُونَهَا وَيُؤَلِّقُونَهَا  
 عَلَى مُقْتَضَى مَذْهَبِهِمْ لَا يَعْرِفُهَا جِهَابِدَةُ السَّنَةِ وَلَا ثِقَلَةُ الشَّرِيعَةِ بَلْ أَكْثَرُهَا مَوْضُوعٌ  
 أَوْ مَطْعُونٌ فِي طَرَبِهِ أَوْ بَعِيدٌ عَنِ تَأْوِيلَاتِهِمْ الْفَاسِدَةِ وَتَنْقَسِمُ هَذِهِ النُّصُوصُ عِنْدَهُمْ إِلَى  
 حَلِّيٍّ وَخَفِيِّ فَالْحَلِّيُّ مِثْلُ قَوْلِهِ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ قَالُوا وَلَمْ تُطْرَدِ هَذِهِ الْوَلَايَةُ  
 إِلَّا فِي عَالِيٍّ وَهَذَا قَالَهُ لَهُ عُمَرُ أَصْبَحْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ وَمِنْهَا قَوْلُهُ أَفْضَاكُمْ عَلِيٌّ  
 وَلَا مَعْنَى لِلْإِمَامَةِ إِلَّا الْقَضَاءُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ وَهُوَ الْمُرَادُ بِأَوْلِي الْأَمْرِ الْوَاجِبَةِ طَاعَتِهِمْ  
 بِقَوْلِهِ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ وَالْمُرَادُ الْحَكْمُ وَالْقَضَاءُ وَهَذَا  
 كَانَ حُكْمًا فِي قَضِيَّةِ الْإِمَامَةِ يَوْمَ السَّقِينَةِ دُونَ غَيْرِهِ وَمِنْهَا قَوْلُهُ مَنْ بَيَّعَنِي عَلَى  
 رُوحِهِ وَهُوَ وَصِيٌّ وَوَلِيٌّ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِي فَلَمْ يَبْيَعُوا إِلَّا عَلِيًّا وَمِنْ الْخَفِيِّ عِنْدَهُمْ بَعَثَ  
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا لِقِرَاءَةِ سُورَةِ بَرَاءَةِ فِي الْمَوْسِمِ حِينَ أَنْزَلَتْ فَإِنَّهُ بَعَثَ  
 بِهَا أَوْلَى أَبَا بَكْرٍ ثُمَّ أَوْحَى إِلَيْهِ لِيُبَلِّغَهُ رَجُلٌ مِنْكَ أَوْ مِنْ قَوْمِكَ فَبَعَثَ عَلِيًّا لِيَكُونَ  
 الْقَارِءَ الْمُبَلِّغَ قَالُوا وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى تَقْدِيمِ عَلِيٍّ وَأَيْضًا فَلَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُ قَدَّمَ أَحَدًا عَلَى  
 عَلِيٍّ وَامَّا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَقَدِمَا عَلَيْهِمَا فِي عَزَاتَيْنِ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ مَرَّةً وَعُمَرَ بْنَ الْعَاصِ  
 أُخْرَى وَهَذِهِ كُلُّهَا أَدَلَّةٌ شَاهِدَةٌ بِتَعْيِينِ عَلِيٍّ لِلْخِلَافَةِ دُونَ غَيْرِهِ فَمِنْهَا مَا هُوَ غَيْرُ مَعْرُوفٍ  
 وَمِنْهَا مَا هُوَ بَعِيدٌ عَنِ تَأْوِيلِهِمْ ثُمَّ مِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ هَذِهِ النُّصُوصَ تَدُلُّ عَلَى تَعْيِينِ عَلِيٍّ  
 وَتَشْخِصِهِ وَكَذَلِكَ تَنْقُلُ مِنْهُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْإِمَامَةُ وَيَتَّبِعُونَ مِنَ الشَّيْخِينَ  
 حَيْثُ لَمْ يَقْدِمُوا عَلِيًّا وَيَبْيَعُوهُ بِمُقْتَضَى هَذِهِ النُّصُوصِ وَيَعْمَصُونَ فِي إِمَامَتَيْهِمَا وَلَا يَلْتَفِتُ  
 إِلَى نَقْلِ الْقَدْحِ فِيهِمَا مِنْ غُلَامِهِمْ فَهُوَ مُرَدُّوهُ عِنْدَنَا وَعِنْدَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّ هَذِهِ  
 الْأَدَلَّةُ إِنَّمَا أَقْتَضَتْ تَعْيِينَ عَلِيٍّ بِالْوَصْفِ لَا بِالشَّخْصِ وَالنَّاسُ مَقْصُرُونَ حَيْثُ لَمْ يَضَعُوا  
 الْوَصْفَ مَوْضِعَهُ وَلَا هُمُ الزَّيْدِيَّةُ وَلَا يَتَّبِعُونَ مِنَ الشَّيْخِينَ وَلَا يَعْمَصُونَ فِي إِمَامَتَيْهِمَا مَعَ  
 قَوْلِهِمْ بَانَ عَلِيًّا أَفْضَلُ مِنْهُمَا لَكِنَّهُمْ يَجُوزُونَ إِمَامَةَ الْمَفْضُولِ مَعَ وُجُودِ الْأَفْضَلِ ثُمَّ  
 اخْتَلَفَتْ نِقُولُ هَؤُلَاءِ الشَّيْخَةِ فِي مَسَاقِ الْخِلَافَةِ بَعْدَ عَلِيٍّ فَمِنْهُمْ مَنْ سَاقَهَا فِي وُلْدِ فَاطِمَةَ  
 بِالنِّصِّ عَلَيْهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ عَلَى مَا يَذْكَرُ بَعْدَ هَؤُلَاءِ بِسْمُونَ الْإِمَامِيَّةَ نِسْبَةً إِلَى  
 مَقَالَتِهِمْ بِأَشْرَاطِ مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ وَتَعْيِينِهِ فِي الْإِيمَانِ وَهِيَ أَصْلُ عِنْدَهُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ سَاقَهَا  
 فِي وُلْدِ فَاطِمَةَ لَكِنْ بِالْإِخْتِيَارِ مَعَ الشُّيُوخِ وَاشْتَرَطَ أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ مِنْهُمْ عَالِمًا

زاهداً جواداً شجاعاً ويخرج داعياً إلى إمامته وهؤلاء هم الزيدية نسبة إلى صاحب  
 المذهب وهو زيد بن علي بن الحسين السبط وقد كان يناظر أخاه محمداً الباقر على  
 اشتراط الخروج في الإمام فليزمه الباقر أن لا يكون أبوهما زين العابدين إماماً  
 لأنه لم يخرج ولا تعرض للخروج وكان مع ذلك ينعى عليه مذاهب المعتزلة وأخذة  
 أياماً عن واصل بن عطاء ولما ناظر الإمامية زيداً في إمامة الشيخين وراوه يقول  
 بإمامتهما ولا يتبرأ منهما رفضوه ولم يجعلوه من الأئمة وبذلك سمو رافضةً ومنهم  
 من ساقها بعد علي وأبيه السبطين على اختلافهم في ذلك إلى أخيهما محمد بن الحنفية  
 ثم إلى ولده وهم الكيسانية نسبة إلى كيسان مولاة وبين هذه الطوائف اختلافات  
 كثيرة تركناها اختصاراً ومنهم طوائف يسمون الغلاة تجاوزوا حد العقل والأيمان  
 في القول بالوهمية هؤلاء الأئمة إما على أنهم بشر تصنوا بصفات اللوهمية أو أن  
 الآله حل في ذاته البشرية وهو قول بالحلول يوافق مذهب النصاري في عيسى صلوات  
 الله عليه وقد حرق علي رضي الله عنه بالنار من ذهب فيه إلى ذلك منهم وسخط  
 محمد بن الحنفية المختار بن أبي عبيد لماً بلغه مثل ذلك عنه فصرح ببعثته والبراءة  
 منه وكذلك فعل جعفر الصادق رضي الله تعالى عنه بمن بلغه مثل هذا عنه ومنهم  
 من يقول إن كمال الإمام لا يكون لغيره فإذا مات انتقلت روحه إلى إمام آخر  
 ليكون فيه ذلك الكمال وهو قول بالتناسخ ومن هؤلاء الغلاة من يقف عند واحد  
 من الأئمة لا يتجاوزة إلى غيره بحسب من يعين لذلك عندهم وهؤلاء هم الواقفية  
 فبعضهم يقول هو حي لم يميت إلا أنه غائب عن أعين الناس ويستشهدون لذلك  
 بقصة الخضر قيل مثل ذلك في علي رضي الله عنه وإنه في السمح والرعده صوته  
 والبرق في صوته وقالوا مثله في محمد بن الحنفية وإنه في جبل رضوى من أرض  
 الحجاز وقال شاعرهم

والأحق أربعة سواه

هم الأسباط ليس بهم خناه

وسبط عيبتة كربلاء

يقود الجيش يقدمه اللواء

إلا إن الأئمة من فريش

علي والثلاثة من بنيه

فسبط سبط إيمان وبر

وسبط لا يدوق الموت حتى

تَغَيَّبَ لَا يُرَى فِيهِمْ زَمَانًا بِرِضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءٌ

وَقَالَ مِثْلَهُ عَلَاةُ الْإِمَامِيَّةِ وَخُصُوصًا الْإِثْنَا عَشْرِيَّةَ مِنْهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ  
 أَيْمَتِهِمْ وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ الْعَسْكَرِيِّ وَيَلْقَبُونَهُ الْمَهْدِيَّ دَخَلَ فِي سِرْدَابٍ بِدَارِهِمْ  
 فِي الْحِلَّةِ وَتَغَيَّبَ حِينَ أُعْتِقَلَ مَعَ أُمَّهِ وَعَابَ هُنَاكَ وَهُوَ يُخْرِجُ آخِرَ الزَّمَانِ فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ  
 عَدْلًا يُشِيرُونَ بِذَلِكَ إِلَى الْحَدِيثِ الْوَاقِعِ فِي كِتَابِ التَّرْمِذِيِّ فِي الْمَهْدِيِّ وَهُمْ إِلَى  
 الْأَنَ بِنْتِظِرُونَهُ وَ يُسْمَوْنَ الْمُنْتَظَرِ لِذَلِكَ وَيَقْنُونَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْمَغْرِبِ بِبَابِ  
 هَذَا السَّرْدَابِ وَقَدْ قَدَّمُوا مَرَّ كَبِيرًا فِيهِمْ فَنُفِئُوا بِاسْمِهِ وَيَدْعُونَهُ لِلْخُرُوجِ حَتَّى تَسْتَبِكَ النُّجُومُ  
 ثُمَّ يَنْفُضُونَ وَيُرْجِئُونَ الْأَمْرَ إِلَى اللَّيْلَةِ الْآتِيَةِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَبَعْضُ هَؤُلَاءِ  
 الْوَاقِفِيَّةِ يَقُولُ إِنَّ الْإِمَامَ الَّذِي مَاتَ يَرْجِعُ إِلَى حَيَاتِهِ الدُّنْيَا وَيَسْتَشْهَدُونَ لِذَلِكَ بِمَا  
 وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ قِصَّةِ أَهْلِ الْكَهْفِ وَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبِهِ وَقَتِيلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
 حِينَ ضُرِبَ بِعِظَامِ الْبَقْرَةِ الَّتِي أُمِرُوا بِدَبْحِهَا وَمِثْلُ ذَلِكَ مِنَ الْخَوَارِقِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَى  
 طَرِيقِ الْحَمِيزَةِ وَلَا يَصِحُّ الْأَسْتِشْهَادُ بِهَا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا وَكَانَ مِنْ هَؤُلَاءِ السَّيِّدُ  
 الْحَمِيرِيُّ وَمِنْ شَعْرِهِ فِي ذَلِكَ

وَاعْلَمَهُ الْمَوَاشِطُ بِالْخِطَابِ	إِذَا مَا الْمَرْءُ شَابَ لَهُ قَدَالٌ
فَقَمُّ يَصَاحُ نَبِكٌ عَلَى الشَّبَابِ	فَقَدْ ذَهَبَتْ بِشَاشَتُهُ وَأَوْدَى
إِلَى ذُنْيَاهُمْ قَبْلَ الْحِسَابِ	إِلَى يَوْمٍ تَثُوبُ النَّاسُ فِيهِ
إِلَى أَحَدٍ إِلَى يَوْمِ الْآيَاتِ	فَلَيْسَ بِعَابِدٍ مَا فَاتَ مِنْهُ
وَمَا أَنَا فِي الشُّورِ بِذِي أَرْتِيَابِ	أَدِينُ بَانَ ذَلِكَ دِينَ حَقٍّ
حَيُوا مِنْ بَعْدِ دَرَسٍ فِي الرَّبَابِ	كَذَلِكَ اللَّهُ أَخْبَرَ عَنْ أَنَسٍ

وَقَدْ كَفَانَا مَوْتَهُ هَؤُلَاءِ الْعُلَاةُ أَيْمَةُ الشَّيْعَةِ فَإِنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ بِهَا وَيَبْطَلُونَ أَحْتِجَابَتِهِمْ  
 عَلَيْهَا وَآمَّا الْكَيْسَانِيَّةُ فَسَافُوا الْإِمَامَةَ مِنْ بَعْدِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ إِلَى ابْنِهِ أَبِي هَاشِمٍ  
 وَهُؤُلَاءِ هُمُ الْهَاشِمِيَّةُ ثُمَّ أَفْتَرَقُوا مِنْهُمْ مَنْ سَاقَهَا بَعْدَهُ إِلَى أَخِيهِ عَلِيِّ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ الْحُسَيْنِ  
 ابْنِ عَلِيٍّ وَآخَرُونَ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا هَاشِمٍ لَمَّا مَاتَ بِأَرْضِ السَّرَّاءِ مَنْصَرَفًا مِنَ السَّامِ  
 أَوْصَى إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَأَوْصَى مُحَمَّدًا إِلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ الْمَعْرُوفِ  
 بِالْإِمَامِ وَأَوْصَى إِبْرَاهِيمَ إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِيَّةِ الْمَلْقَبِ بِالسَّفَاحِ وَأَوْصَى هُوَ

إِلَى أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَلَقَبِ بِالْمَنْصُورِ وَانْتَقَلَتْ فِي وُلْدِهِ بِالْأَنْصِ وَالْأَمَدِ وَاحِدًا  
بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى آخِرِهِمْ وَهَذَا مَذْهَبُ الْأَشْعَرِيَّةِ الْقَائِمِينَ بِدَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَكَانَ مِنْهُمْ  
أَبُو مُسْلِمٍ وَسَلِيمَانُ بْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو سَلَمَةَ الْخَلَّالُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ شِيعَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَرُبَّمَا  
يَعْتَضِدُونَ ذَلِكَ بِأَنَّ حَقَّهُمْ فِي هَذَا الْأَمْرِ يَصِلُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْعَبَّاسِ لِأَنَّهُ كَانَ حَيًّا وَقَتَ  
الْوَفَاةِ وَهُوَ أَوْلَى بِالْوَرَاثَةِ بِعَصَبِيَّةِ الْعُمُومَةِ وَأَمَّا الزُّيْدِيَّةُ فَسَاقُوا الْإِمَامَةَ عَلَى مَذْهَبِهِمْ  
فِيهَا وَإِنَّمَا بِاخْتِيَارِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ لَا بِالْأَنْصِ فَقَالُوا بِإِمَامَةِ عَلِيِّ ثُمَّ أَنَّهُ الْحَسَنُ ثُمَّ  
أَخِيهِ الْحُسَيْنِ ثُمَّ أَنَّهُ زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ وَهُوَ صَاحِبُ هَذَا الْمَذْهَبِ وَخَرَجَ بِالْكُوفَةِ دَاعِيًا  
إِلَى الْإِمَامَةِ فَقُتِلَ وَصَلَبَ بِالْكِنَاسَةِ وَقَالَ الزُّيْدِيُّ بِإِمَامَةِ أَخِيهِ يَحْيَى مِنْ بَعْدِهِ فَضَمَّ  
إِلَى خُرَاسَانَ وَقُتِلَ بِالْجُوزْجَانَ بَعْدَ أَنْ أَوْصَى إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ  
الْحُسَيْنِ السَّبِطِ وَيُقَالُ لَهُ النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ فَخَرَجَ بِالْحِجَازِ وَتَلَقَّبَ بِالْمَهْدِيِّ وَجَاءَهُ عَسَاكِرُ  
الْمَنْصُورِ فَقُتِلَ وَعَهْدَ إِلَى أَخِيهِ إِبْرَاهِيمَ فَقَامَ بِالْبَصْرَةِ وَمَعَهُ عَيْسَى بْنُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ  
فَوَجَّهَ إِلَيْهِمُ الْمَنْصُورُ عَسَاكِرَهُ فَهَزَمَ وَقُتِلَ إِبْرَاهِيمُ وَعَيْسَى وَكَانَ جَعْفَرُ الصَّادِقِ أَخْبَرَهُمْ  
بِذَلِكَ كُلِّهِ وَهِيَ مَعْدُودَةٌ فِي كِرَامَاتِهِ وَذَمَّتْ آخِرُونَ مِنْهُمْ إِلَى أَنْ الْإِمَامَ بَعْدَ مُحَمَّدِ  
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ النَّفْسُ الزَّكِيَّةُ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عُمَرَ وَعُمَرُ هُوَ أَخُو زَيْدِ  
ابْنِ عَلِيٍّ فَخَرَجَ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بِالطَّلَقَانَ فَقَضَى عَلَيْهِ وَسَبَقَ إِلَى الْمَعْتَصِمِ فُجِسَتْ  
وَمَاتَ فِي حَبْسِهِ وَقَالَ آخِرُونَ مِنَ الزُّيْدِيَّةِ إِنَّ الْإِمَامَ بَعْدَ يَحْيَى بْنِ زَيْدٍ هُوَ أَخُوهُ  
عَيْسَى الَّذِي حَضَرَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي قِتَالِهِ مَعَ مَنْصُورٍ وَتَقَلُّوا الْإِمَامَةَ فِي عَقْبِهِ  
وَإِلَيْهِ انْتَسَبَ دَعْوَى الزَّرِيحِ كَمَا نَذَرُوهُ فِي أَخْبَارِهِمْ وَقَالَ آخِرُونَ مِنَ الزُّيْدِيَّةِ إِنَّ  
الْإِمَامَ بَعْدَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَخُوهُ أَدْرِيسُ الَّذِي فَرَّ إِلَى الْمَغْرِبِ وَمَاتَ هُنَاكَ  
وَقَامَ بِأَمْرِهِ أَخُوهُ أَدْرِيسُ وَأَخْطَطَّ مَدِينَةَ فَاسَ وَكَانَ مِنْ بَعْدِهِ عَقْبُهُ مُلُوكًا بِالْمَغْرِبِ  
إِلَى أَنْ انْقَرَضُوا كَمَا نَذَرُوهُ فِي أَخْبَارِهِمْ وَبَقِيَ أَمْرُ الزُّيْدِيَّةِ بَعْدَ ذَلِكَ غَيْرَ مُنْتَظِمٍ  
وَكَانَ مِنْهُمْ الدَّاعِي الَّذِي مَلَكَ طَبْرَسْتَانَ وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ زَيْدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ  
ابْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ السَّبِطِ وَأَخُوهُ مُحَمَّدُ بْنُ زَيْدٍ ثُمَّ قَامَ بِهَيْدَةَ الدَّعْوَةَ  
فِي الدِّيَلَمِ النَّاصِرُ الْأَطْرُوشُ مِنْهُمْ وَأَسْلَمُوا عَلَى يَدِهِ وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ  
ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ عُمَرَ وَعُمَرُ أَخُو زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ فَكَانَتْ لِبَنِيهِ بِطَبْرَسْتَانَ دَوْلَةٌ وَتَوَصَّلَ

الدِّينَ مِنْ نَسَبِهِمْ إِلَى الْمَلِكِ وَالْإِسْتِبْدَادِ عَلَى الْخُلَفَاءِ بَعْدَادَ كَمَا نَذَرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ .  
 وَأَمَّا الْإِمَامِيَّةُ فَسَاقُوا الْإِمَامَةَ مِنْ عَلِيِّ الرَّضِيِّ إِلَى ابْنِهِ الْحَسَنِ بِالْوَصِيَّةِ ثُمَّ إِلَى أَخِيهِ  
 الْحُسَيْنِ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ عَلِيِّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدِ الْبَاقِرِ ثُمَّ إِلَى ابْنِهِ جَعْفَرِ  
 الصَّادِقِ وَمِنْ هُنَا افْتَرَقُوا فِرْقَتَيْنِ فِرْقَةٌ سَاقُوها إِلَى وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ وَيَعْرِفُونَهُ بَيْنَهُمْ بِالْإِمَامِ  
 وَهُمْ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ وَفِرْقَةٌ سَاقُوها إِلَى ابْنِهِ مُوسَى الْكَاطِمِ وَهُمْ الْإِثْنَا عَشْرِيَّةُ لِوَقُوفِهِمْ  
 عِنْدَ الثَّانِي عَشْرٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ وَقَوْلِهِمْ بِغَيْبَتِهِ إِلَى آخِرِ الزَّمَانِ كَمَا مَرَّ فَمَّا الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ  
 فَقَالُوا بِإِمَامَةِ إِسْمَاعِيلِ الْإِمَامِ بِالنِّصِّ مِنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ وَفَائِدَةُ النَّصِّ عَلَيْهِ عِنْدَهُمْ وَإِنْ  
 كَانَ قَدَمَاتٍ قَبْلَ أَبِيهِ إِنَّمَا هُوَ بَقَاءُ الْإِمَامَةِ فِي عَقِيهِ كَقِصَّةِ هَارُونَ مَعَ مُوسَى صَلَوَاتُ  
 اللَّهِ عَلَيْهِمَا قَالُوا ثُمَّ انْتَقَلَتِ الْإِمَامَةُ مِنْ إِسْمَاعِيلَ إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدِ الْمَكْتُومِ وَهُوَ أَوْلُ  
 الْأَئِمَّةِ الْمَسْتُورِينَ لِأَنَّ الْإِمَامَ عِنْدَهُمْ قَدْ لَا يَكُونُ لَهُ شَوْكَةٌ فَيَسْتَتِرُ وَتَكُونُ دَعَاةُ  
 ظَاهِرِينَ إِقَامَةَ الْحُجَّةِ عَلَى الْخَلْقِ وَإِذَا كَانَتْ لَهُ شَوْكَةٌ ظَهَرَ وَأَظْهَرَ دَعْوَتَهُ قَالُوا وَبَعْدَ  
 مُحَمَّدِ الْمَكْتُومِ ابْنُهُ جَعْفَرُ الصَّادِقُ وَبَعْدَهُ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْحَبِيبُ وَهُوَ آخِرُ الْمَسْتُورِينَ  
 وَبَعْدَهُ ابْنُهُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُهَيْدِيُّ الَّذِي أَظْهَرَ دَعْوَتَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّعْبِيُّ فِي كِتَابَتِهِ وَتَبَاعِجِ  
 النَّاسِ عَلَى دَعْوَتِهِ ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ مَعْتَقِلِهِ بِسِجْلِاسَةَ وَمَلَكَ الْقُبْرَوَانَ وَالْمَغْرِبَ وَمَلَكَ  
 بَنُوهُ مِنْ بَعْدِ مِصْرَ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِمْ وَيُسَمَّى هُوَ لِأَنَّ نِسْبَتَهُ إِلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَةِ  
 إِسْمَاعِيلَ وَيُسَمَّوْنَ أَيْضًا بِالْبَطَانِيَّةِ نِسْبَةً إِلَى قَوْلِهِمْ بِالْإِمَامِ الْبَاطِنِ أَيْ الْمَسْتُورِ وَيُسَمَّوْنَ  
 أَيْضًا الْمُنْحَدَةَ لِمَا فِي ضَمَنِ مَقَالَتِهِمْ مِنَ الْإِلْحَادِ وَلَهُمْ مَقَالَاتٌ قَدِيمَةٌ وَمَقَالَاتٌ جَدِيدَةٌ  
 دَعَا إِلَيْهَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ الصَّبَّاحِ فِي آخِرِ الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ وَمَلَكَ حِصُونًا بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ  
 وَلَمْ تَزَلْ دَعْوَتُهُ فِيهَا إِلَى أَنْ تَوَزَّعَ هِيَ الْهَلَاكُ بَيْنَ مَلُوكِ التُّرْكِ بِمِصْرَ وَمَلُوكِ النَّتْرِ بِالْعِرَاقِ  
 فَأَقْرَضَتْ وَمَقَالَةٌ هَذَا الصَّبَّاحِ فِي دَعْوَتِهِ مَدَّ كُورَةَ فِي كِتَابِ الْمِلَلِ وَالنِّحْلِ لِلشَّهْرِ سِتَانِي \*  
 وَأَمَّا الْإِثْنَا عَشْرِيَّةُ فَرُبَّمَا خُصُوا بِاسْمِ الْإِمَامِيَّةِ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْهُمْ فَقَالُوا بِإِمَامَةِ  
 مُوسَى الْكَاطِمِ بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ لَوْفَاةِ أَخِيهِ الْأَكْبَرِ إِسْمَاعِيلِ الْإِمَامِ فِي حَيَاةِ أَبِيهِمَا  
 جَعْفَرِ فَنَصَّ عَلَى إِمَامَةِ مُوسَى هَذَا ثُمَّ ابْنُهُ عَلِيُّ الرَّضَا الَّذِي عَهَدَ إِلَيْهِ الْمَأْمُونُ وَمَاتَ  
 قَبْلَهُ فَلَمْ يَتِمَّ لَهُ أَمْرٌ ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ التَّقِيُّ ثُمَّ ابْنُهُ عَلِيُّ الْهَادِي ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْحَسَنِ  
 الْعَسْكَرِيِّ ثُمَّ ابْنُهُ مُحَمَّدُ الْمُهَيْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ الَّذِي قَدَمْتَاهُ قَبْلَ وَفِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ

هذه المقالات الشيعة اختلاف كثير إلا أن هديه أشهر مذاهمهم ومن أراد  
استيعابها ومطالعتها فعليه بكتاب الملل والنحل لابن حزم والشهرستاني وغيرهما ففيها  
بيان ذلك والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وهو العلي الكبير

## الفصل الثامن والعشرون

في انقلاب الخلافة إلى الملك

إِعلم أن الملك غاية طيبة للعصية ليس وقوعه عنها باختيار إنما هو بضرورة  
الوجود وترتيبها كما قلناه من قبل وأن الشرائع والديانات وكل أمر يحل عليه  
الجمهور فلا بد فيه من العصية إذ المطالبة لأنتم الإيها كما قدناه . فالعصية  
ضرورية للملّة وبوجودها يتم أمر الله منها وفي الصحيح ما بعث الله نبيًا إلا في منعة  
من قومه ثم وجدنا الشارع قد ذمّ العصية وتدب إلى أطرافها وتزكها فقال إن الله  
أذهب عنكم عبيّة (١) الجاهليّة وفخرها بالآباء أنتم بنو آدم وأدم من تراب وقال  
تعالى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ووجدناه أيضًا قد ذمّ الملك وأهله وتعي  
على أهله أحوالهم من الاستمتاع بالخلاف والإسراف في غير القصد والتكسب  
عن صراط الله وإنما حضّ على الإلفة في الدين وحدّر من الخلاف والفرقة \* وأعلم  
أن الدنيا كلها وأحوالها مطية للأخرة ومن فقد المطية فقد الوصول وليس مراده  
فيما ينهى عنه أو يذمه من أفعال البشر أو يندب إلى تركه إهماله بالكليّة أو  
إفلاءه من أصله وتعطيل القوى التي ينشأ عليها بالكليّة إنما قصده تضييقها في  
أغراض الحقّ جهد الاستطاعة حتى تصير المقاصد كلها حقًا وتتحّد الوجهة كما  
قال صلى الله عليه وسلم من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله  
ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه فلم يذم  
الغضب وهو يقصد نزع من الإنسان فإنه لو زالت منه قوة الغضب لفقده منه الانتصار  
للحق وبطل الجهاد وإعلاء كلمة الله وإنما يذمّ الغضب للشيطان وللأغراض الذميمة  
فإذا كان الغضب لذلك كان مذمومًا وإذا كان الغضب في الله والله كان ممدوحًا وهو  
من شمائله صلى الله عليه وسلم وكذا ذمّ الشهوات أيضًا ليس المراد إبطالها بالكليّة  
فإن من بطلت شهوته كان نقصًا في حقه وإنما المراد تضييقها فيما أباح له بأشماله

(١) عبة: ضم العين وكسرها وكسر الموحدة. شدة وتشدبدا المناعة الخفية الكبر والنخر والتخوفاه قاموس

عَلَى الْمَصَالِحِ لِيَكُونَ الْإِنْسَانُ عَبْدًا مُتَصَرِّقًا طَوْعَ الْأَوْامِرِ الْإِلَهِيَّةِ وَكَذَا الْعَصِيَّةِ حَيْثُ  
 ذَمَّهَا الشَّارِعُ وَقَالَ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ فَإِنَّمَا مَرَادُهُ حَيْثُ تَكُونُ  
 الْعَصِيَّةُ عَلَى الْبَاطِلِ وَأَحْوَالِهِ كَمَا كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنْ يَكُونَ لِأَحَدٍ فَخْرٌ بِهَا أَوْ حَقٌّ  
 عَلَى أَحَدٍ لِأَنَّ ذَلِكَ نَجَانٌ مِنْ أَفْعَالِ الْعُقَلَاءِ وَغَيْرِ نَافِعٍ فِي الْآخِرَةِ الَّتِي هِيَ دَارُ الْقَرَارِ  
 فَأَمَّا إِذَا كَانَتْ الْعَصِيَّةُ فِي الْحَقِّ وَإِقَامَةُ أَمْرِ اللَّهِ فَأَمْرٌ مُطْلُوبٌ وَلَوْ بَطَلَ لِبَطَاتِ الشَّرَائِعِ  
 إِذْ لَا يَتِمُّ فُرُوقُهَا إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ كَمَا قُلْنَا مِنْ قَبْلُ وَكَذَا الْمَلِكُ لِمَا ذَمَّهُ الشَّارِعُ لَمْ يَدْمُ  
 مِنْهُ الْغَلَبُ بِالْحَقِّ وَفَهَرَ الْكُفَاةُ عَلَى الدِّينِ وَرَاعَاةِ الْمَصَالِحِ وَإِنَّمَا ذَمَّهُ لِمَا فِيهِ مِنَ  
 التَّغَلُّبِ بِالْبَاطِلِ وَتَضْرِيْفِ الْأَدْمِيَيْنِ طَوْعَ الْأَعْرَاضِ وَالشَّهْوَاتِ كَمَا قُلْنَا فَلَوْ كَانَ  
 الْمَلِكُ مُخْلِصًا فِي عِلْمِهِ لِلنَّاسِ أَنَّ اللَّهَ وَلِحَمَلِهِمْ عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَجِهَادِ عَدُوِّهِ لَمْ يَكُنْ  
 ذَلِكَ مَذْمُومًا وَقَدْ قَالَ سَلِيمَانُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ رَبِّ هَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ  
 بَعْدِي لِمَا عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يَمْعَزَلُ عَنِ الْبَاطِلِ فِي النُّبُوَّةِ وَالْمَلِكِ \* وَلَمَّا لَقِيَ مُعَاوِيَةَ  
 عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ قُدُومِهِ إِلَى الشَّامِ فِي أَهْبَةِ الْمَلِكِ وَرِيهِ مِنَ  
 الْعَدِيدِ وَالْعُدَّةِ اسْتَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ أَكْسَرِيَّةٌ يَا مُعَاوِيَةُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ  
 أَنَا فِي تَعَرُّبِجَاهِ الْعَدُوِّ وَبِنَا إِلَى مَبَادِيئِهِمْ بِزِينَةِ الْحَرْبِ وَالْجِهَادِ حَاجَةٌ فَسَكَتَ وَلَمْ يَخْطِئْهُ  
 لِمَا أَحْتَجَّ عَلَيْهِ بِمَقْصِدٍ مِنْ مَقَاصِدِ الْحَقِّ وَالِدِّينِ فَلَوْ كَانَ الْقَصْدُ رَفْضَ الْمَلِكِ مِنْ  
 أَصْلِهِ لَمْ يَقْنَعُهُ أَجْوَابُ فِي تِلْكَ الْكِسْرِيَّةِ وَانْتَحَالَهَا بَلْ كَانَ يَجْرُضُ تَلَى خُرُوجِهِ عَنْهَا  
 بِالْجَمَلَةِ وَإِنَّمَا أَرَادَ عُمَرُ بِالْكَسْرِيَّةِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ فَارِسٍ فِي دَيْكِيمٍ مِنْ  
 أَرْكَابِ الْبَاطِلِ وَالظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَسُلُوكِ سَبِيلِهِ وَالْعَنْفَلَةَ عَنِ اللَّهِ وَأَجَابَهُ مُعَاوِيَةُ بِأَنَّ الْقَصْدَ  
 بِذَلِكَ لَيْسَ كَسْرِيَّةٌ فَارِسٍ وَبَاطِلُهُمْ وَإِنَّمَا قَصَدُهُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ فَسَكَتَ \* وَهَكَذَا  
 كَانَ شَأْنُ الصَّحَابَةِ فِي رَفْضِ الْمَلِكِ وَأَحْوَالِهِ وَنَسِيَانِ عَوَائِدِهِ حَذَرًا مِنَ التَّبَاسُطِ بِالْبَاطِلِ  
 فَلَمَّا اسْتُخْضِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى الصَّلَاةِ إِذْ هِيَ أَمُّ  
 أُمُورِ الدِّينِ وَأَرْتَضَاهُ النَّاسُ لِلْخِلَافَةِ وَهِيَ حَمَلُ الْكُفَاةِ عَلَى أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ وَلَمْ يَجْرِ  
 لِلْمَلِكِ ذِكْرٌ لِمَا أَنَّهُ مَظَنَّةٌ لِلْبَاطِلِ وَنَحْلَةٌ يَوْمئِذٍ لِأَهْلِ الْكُفْرِ وَأَعْدَاءِ الدِّينِ فَتَقَامُ  
 بِذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ مَا شَاءَ اللَّهُ مُتَبَعًا سَنِينَ صَاحِبِهِ وَقَاتَلَ أَهْلَ الرَّدَّةِ حَتَّى اجْتَمَعَ الْعَرَبُ  
 عَلَى الْأَيْسَلَامِ ثُمَّ عَهْدَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْتَنَى آثَرَهُ وَقَاتَلَ الْأُمَمَ فَغَلَبَهُمْ وَأَذِنَ لِعَرَبِ بَانْتِزَاعِ

مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الدُّنْيَا وَالْمَلِكُ فَعَابَهُمْ عَلَيْهِ وَأَنْزَعَهُ مِنْهُمْ ثُمَّ صَارَتْ إِلَى عَثْمَانَ بْنِ  
 عَفَّانٍ ثُمَّ إِلَى عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَالْكُلُّ مُتَبَرِّئُونَ مِنَ الْمَلِكِ مُنْكَبُونَ عَنْ طُرُقِهِ  
 وَأَكَّدَ ذَلِكَ لَدَيْهِمْ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ غَضاضَةِ الْإِسْلَامِ وَبِدَاوَةِ الْعَرَبِ فَقَدْ كَانُوا أَبَعَدَ  
 الْأَمْرِ عَنْ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَتَرْفِئِهَا لَا مِنْ حَيْثُ دِيْنُهُمُ الَّذِي يَدْعُوهُمْ إِلَى الزُّهْدِ فِي النَّعِيمِ  
 وَلَا مِنْ حَيْثُ بَدَاؤُهُمْ وَمَوَاطِنُهُمْ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خُشُونَةِ الْعَيْشِ وَشُطْفِهِ الَّذِي الْفَوْهُ  
 فَلَمْ تَكُنْ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَّةِ أَسْعَبَ عَيْشًا مِنْ مُضَرٍّ لَمَّا كَانُوا بِالْحِجَازِ فِي أَرْضٍ غَيْرِ ذَاتِ  
 زَرْعٍ وَلَا ضَرْعٍ وَكَانُوا مَمْنُوعِينَ مِنَ الْأَرْيَافِ وَجُبُوبِهَا لِبُعْدِهَا وَاخْتِصَاصِهَا بِعَمَلِهَا  
 مِنْ رَبِيعَةَ وَالْيَمَنِ فَلَمْ يَكُونُوا يَتَطَاوَلُونَ إِلَى خِصْبِهَا وَلَقَدْ كَانُوا كَثِيرًا مَا يَأْكُلُونَ  
 الْعُقَارِبَ وَالْخَنَافِسَ وَيَخْفُونَ بِأَكْلِ الْعَلْبَزِ وَهُوَ وَرِ الْأَيْلِ يَمْهُونَهُ بِالْحِجَارَةِ فِي الدَّمِ  
 وَيَطْبُخُونَهُ وَقَرِيبًا مِنْ هَذَا كَانَتْ حَالُ قُرَيْشٍ فِي مَطَاعِمِهِمْ وَمَسَاكِينِهِمْ حَتَّى إِذَا اجْتَمَعَتْ  
 عَصِيَّةُ الْعَرَبِ عَلَى الدِّينِ بِمَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ مِنْ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَحَفُوا  
 إِلَى أُمَّةِ فَارِسَ وَالرُّومِ وَطَلَبُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِوَعْدِ الصِّدْقِ فَأَبْزَوْا  
 مَلِكَهُمْ وَأَسْتَبَاحُوا دِيْنِيَّاهُمْ فَزَخَرَتْ بِحَارِ الرَّفَقَةِ لَدَيْهِمْ حَتَّى كَانَ الْفَارِسُ الْوَّاحِدَ يُقَسِّمُ  
 لَهُ فِي بَعْضِ الْغَزَوَاتِ ثَلَاثُونَ أَلْفًا مِنَ الذَّهَبِ أَوْ نَحْوَهَا فَاسْتَوَلُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا لَا يَأْخُذُهُ  
 الْحَضْرُ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ عَلَى خُشُونَةِ عَيْشِهِمْ فَكَانَ عُمَرُ يُرْفِعُ نُوْبَهُ بِالْجِلْدِ وَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ  
 يَا صَفْرَاءُ وَيَا بَيْضَاءُ غَرِيٍّ غَيْرِيٍّ وَكَانَ أَبُو مُوسَى يَتَجَانَى عَنْ أَكْلِ الدَّجَاجِ لِأَنَّهُ لَمْ  
 يَعْبُدْهَا لِلْعَرَبِ لِقِلَّتِهَا يَوْمئِذٍ وَكَانَتْ الْمَنَاخِلُ مَفْقُودَةً عِنْدَهُمْ بِالْجُمْلَةِ وَإِنَّمَا يَأْكُلُونَ  
 الْحَنْظَلَةَ بِنِخَالِهَا وَمَكَاسِبَهُمْ مَعَ هَذَا أَمَّ مَا كَانَتْ لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ قَالَ الْمَسْعُودِيُّ  
 فِي أَبِي عَثْمَانَ أَقْتَنَى الصَّحَابَةُ الصِّيَاعَ وَالْمَالَ فَكَانَ لَهُ يَوْمَ قُتِلَ عِنْدَ خَازِنِهِ خَمْسُونَ  
 وَمِائَةَ أَلْفِ دِينَارٍ وَأَلْفُ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَقِيَمَةُ صِيَاعِهِ بِوَادِي الْقَرْيِ وَحَنِينٍ وَغَيْرِهِمَا  
 مِائَتَا أَلْفِ دِينَارٍ وَخَلْفَ إِبِلًا وَخَيْلًا كَثِيرَةً وَبَلَغَ الثَّمَنُ الْوَّاحِدُ مِنْ مَتْرُوكِ الزُّبَيْرِ بَعْدَ  
 وَقَاتِهِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَخَلْفَ أَلْفِ قَوْسٍ وَأَلْفِ أُمَّةٍ وَكَانَتْ غَلَّةُ طَلْحَةَ مِنَ الْعِرَاقِ  
 أَلْفَ دِينَارٍ كُلَّ يَوْمٍ وَمِنْ نَاحِيَةِ السَّرَّاءِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ عَلِيٌّ مَرْبِطَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
 بْنِ عَوْفٍ أَلْفَ قَوْسٍ وَلَهُ أَلْفُ بَعِيرٍ وَعَشْرَةُ أَلْفٍ مِنَ الْغَنَمِ وَبَلَغَ الرَّبْعُ مِنْ مَتْرُوكِهِ  
 بَعْدَ وَقَاتِهِ أَرْبَعَةً وَثَمَانِينَ أَلْفًا وَخَلْفَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ مِنَ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ مَا كَانَ يُكْسَرُ

بِالْفُؤُسِ غَيْرَ مَا خَلَفَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالضِّيَاعِ بِمِائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ وَبَنَى الرَّبِيزُ دَارَهُ  
 بِالْبَصْرَةِ وَكَذَلِكَ بَنَى بِمِصْرَ وَالْكُوفَةَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةَ وَكَذَلِكَ بَنَى طَلْحَةُ دَارَهُ  
 بِالْكُوفَةِ وَشَيْدَ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ وَبَنَاهَا بِالْحِصِّ وَالْأَجْرَ وَالسَّاجَ وَبَنَى سَعْدُ بْنُ أَبِي  
 وَقَّاصٍ دَارَهُ بِالْعَقِيقِ وَرَفَعَ سَمَكَهَا وَأَوْسَعَ فِضَاءَهَا وَجَعَلَ عَلَى أَعْلَاهَا شُرَفَاتٍ وَبَنَى  
 الْمَقْدَادُ دَارَهُ بِالْمَدِينَةِ وَجَعَلَهَا تَحْصَصَةَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَخَلَفَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مَنِبْهٍ حَسْبِينَ  
 أَلْفَ دِينَارٍ وَعَقَارًا وَغَيْرَ ذَلِكَ مَا قِيمَتُهُ ثَلَاثُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ أَهْ كَلَامُ السَّعُودِيِّ  
 فَكَانَتْ مَكَاسِبُ الْقَوْمِ كَمَا تَرَاهُ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَعْنِيًّا عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمْ إِذْ هِيَ أَمْوَالٌ  
 حَلَالٌ لِأَنَّهَا غَنَائِمٌ وَفِيؤُوهُ وَلَمْ يَكُنْ نَصْرُهُمْ فِيهَا بِإِسْرَافٍ إِنَّمَا كَانُوا عَلَى قَصْدٍ فِي  
 أَحْوَالِهِمْ كَمَا قُلْنَا فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِيهِمْ وَإِنْ كَانَ الْأِسْتِكْنَارُ مِنَ الدُّنْيَا مَذْمُومًا  
 فَإِنَّمَا يَرْجِعُ إِلَى مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْرَافِ وَالخُرُوجِ بِهِ عَنِ الْقَصْدِ وَإِذَا كَانَ  
 حَالُهُمْ قَصْدًا وَنَفَقَاتُهُمْ فِي سَبِيلِ الْحَقِّ وَمَدَاهِيهِ كَانَ ذَلِكَ الْأِسْتِكْنَارُ عَوْنًا لَهُمْ عَلَى  
 طُرُقِ الْحَقِّ وَكَتْسَابِ الدَّارِ الْآخِرَةِ فَلَمَّا تَدَرَّجَتِ الْبِدَاؤَةُ وَالغَضَاظَةُ إِلَى نَهَائِهَا  
 وَجَاءَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ الَّتِي هِيَ مَقْتَضَى الْعَصَبِيَّةِ كَمَا قُلْنَا وَحَصَلَ التَّغَلُّبُ وَالْقَهْرُ كَانَ  
 حُكْمُ ذَلِكَ الْمَلِكِ عِنْدَهُمْ حُكْمُ ذَلِكَ الرَّفَفِ وَالْإِسْتِكْنَارُ مِنَ الْأَمْوَالِ فَلَمْ يَصْرِفُوا  
 ذَلِكَ التَّغَلُّبُ فِي بَاطِلٍ وَلَا خَرَجُوا بِهِ عَنِ مَقَاصِدِ الدِّيَانَةِ وَمَدَاهِبِ الْحَقِّ \* وَلَمَّا وَقَعَتْ  
 الْفِتْنَةُ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ وَهِيَ مَقْتَضَى الْعَصَبِيَّةِ كَانَ طَرِيقُهُمْ فِيهَا الْحَقُّ وَالْإِجْتِهَادُ وَلَمْ  
 يَكُونُوا فِي مَخَازِبَتِهِمْ لِعَرَضِ دُنْيَوِيِّ أَوْ لِإِثَارِ بَاطِلٍ أَوْ لِاسْتِشْعَارِ حَقْدٍ كَمَا قَدْ تَوَهَّمَهُ  
 مَتَوَهَّمٌ وَيَزْعُغُ إِلَيْهِ مُلْحِدٌ وَإِنَّمَا اخْتَلَفَ اجْتِهَادُهُمْ فِي الْحَقِّ وَسَنَّهُ كُلُّ وَاحِدٍ نَظَرَ  
 صَاحِبِهِ بِاجْتِهَادِهِ فِي الْحَقِّ فَاقْتَنَلُوا عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ الْمُصِيبُ عَلِيًّا فَلَمْ يَكُنْ مَعَاوِيَةَ قَائِمًا  
 فِيهَا بِقَصْدِ الْبَاطِلِ إِنَّمَا قَصَدَ الْحَقَّ وَأَخْطَأَ وَالْكُلُّ كَانُوا فِي مَقَاصِدِهِمْ عَلَى حَقٍّ ثُمَّ  
 اقْتَضَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ الْإِنْتِرَادَ بِالْمُجِدِّ وَالسُّتْنَارَ الْوَاحِدِ بِهِ وَلَمْ يَكُنْ لِمَعَاوِيَةَ أَنْ  
 يَدْفَعَ عَنِ نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ فُؤُوهُ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ سَاقَتُهُ الْعَصَبِيَّةُ بِطَبِيعَتِهَا وَاسْتَشْعَرَتْهُ بِنِوَامِيَّةٍ وَمَنْ  
 لَمْ يَكُنْ عَلَى طَرِيقَةِ مَعَاوِيَةَ فِي اقْتِنَاءِ الْحَقِّ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ فَأَعْوَصُوا عَلَيْهِ وَاسْتَمَاتُوا  
 دُونَهُ وَلَوْ حَمَاهُمْ مَعَاوِيَةَ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ الطَّرِيقَةِ وَخَالَفَهُمْ فِي الْإِنْتِرَادِ بِالْأَمْرِ لَوْفَعُ فِي  
 اقْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ الَّتِي كَانَ جَمْعَهَا وَتَأْلِيفِهَا أَمُّ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ لَيْسَ وَرَاءَهُ كَبِيرٌ مُخَالَفَةٌ

وَقَدْ كَانَتْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ إِذَا رَأَى الْقَائِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ  
 أَبِي بَكْرٍ لَوْ كَانَ لِي مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ لَوَلَّيْتُهُ الْخِلَافَةَ وَلَوْ أَرَادَ أَنْ يُعْهَدَ إِلَيْهِ لَفَعَلَ وَلَكِنَّهُ  
 كَانَ يَخْشَى مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ أَهْلَ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَحْوِلَ الْأَمْرَ  
 عَنْهُمْ لِمَا لَقَّعَ الْفُرْقَةَ وَهَذَا كُلُّهُ إِنَّمَا حَمَلَ عَلَيْهِ مَنَازِعَ الْمَلِكِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَى الْعَصَبِيَّةِ  
 فَأَلْمَلِكُ إِذَا حَصَلَ وَفَرَضْنَا أَنَّ الْوَاحِدَ انْفَرَدَ بِهِ وَصَرَفَهُ فِي مَذَاهِبِ الْحَقِّ وَوُجُوهِهِ  
 لَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ نَكِيرٌ عَلَيْهِ وَلَقَدْ انْفَرَدَ سُلَيْمَانُ وَأَبُو دَاوُدُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا بِمَلِكِ  
 بَنِي إِسْرَائِيلَ لِمَا اقْتَضَتْهُ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ مِنَ الْإِنْفِرَادِ بِهِ وَكَانُوا مَا عَلِمْتَ مِنَ التَّبَوُّةِ  
 وَالْحَقِّ وَكَذَلِكَ عَهْدُ مَعَاوِيَةَ إِلَى يَزِيدَ خَوْفًا مِنْ اقْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ بِمَا كَانَتْ بَنُو أُمَيَّةَ  
 لَمْ يَرْضُوا تَسْلِيمَ الْأَمْرِ إِلَى مَنْ سِوَاهُمْ فَلَوْ قَدْ عَهَدَ إِلَى غَيْرِهِ اخْتَلَفُوا عَلَيْهِ مَعَ أَنَّ ظَنَّهُمْ  
 كَانَ بِهِ صَلَاحًا وَلَا يَرْتَابُ أَحَدٌ فِي ذَلِكَ وَلَا يُظَنُّ بِمَعَاوِيَةَ غَيْرُهُ فَلَمْ يَكُنْ لِيُعْهَدَ إِلَيْهِ  
 وَهُوَ يَعْتَقِدُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْفُسْقِ حَاشَا لِلَّهِ لِمَعَاوِيَةَ مِنْ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ كَانَ مَرْوَانَ  
 ابْنَ الْحَكَمِ وَأَبْنَهُ وَإِنْ كَانُوا مُلُوكًا لَمْ يَكُنْ مَذْهَبُهُمْ فِي الْمَلِكِ مَذْهَبَ أَهْلِ الْبِطَالَةِ  
 وَالْبَغْيِ إِنَّمَا كَانُوا مَتَحَرِّينَ لِمَقَاصِدِ الْحَقِّ جَزْدَهُمْ إِلَّا فِي ضَرُورَةٍ تَحْمِلُهُمْ عَلَى بَعْضِهَا  
 مِثْلَ خَشْيَةِ اقْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ الَّذِي هُوَ أَمُّ لَدَيْهِمْ مِنْ كُلِّ مَقْصِدٍ يَشْهَدُ لِذَلِكَ مَا كَانُوا  
 عَلَيْهِ مِنَ الْإِتْبَاعِ وَالْإِفْتِدَاءِ وَمَا عَلِمَ السَّلْفُ مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَمَقَاصِدِهِمْ فَقَدْ أَحْتَجَّ مَالِكُ  
 فِي الْمَوْطَأِ بِعَمَلِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَمَّا مَرْوَانُ فَكَانَ مِنَ الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنَ النَّابِعِينَ وَعَدَالَتِهِمْ  
 مَعْرُوفَةٌ ثُمَّ تَدَرَّجَ الْأَمْرُ فِي وُلْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَكَانُوا مِنَ الدِّينِ بِالْمَكَانِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ  
 وَتَوَسَّطَهُمْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَتَنَزَعَ إِلَى طَرِيقَةِ الْخُلَفَاءِ الْأَزْبَعَةِ وَالصَّحَابَةِ جِهَةً وَلَمْ  
 يَهْمِلْ ثُمَّ جَاءَ خَلْفَهُمْ وَاسْتَعْمَلُوا طَبِيعَةَ الْمَلِكِ فِي أَعْرَاضِهِمْ الدُّنْيَوِيَّةِ وَمَقَاصِدِهِمْ وَسَوَّأَ  
 مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلْفُهُمْ مِنْ تَحَرِّيِ الْقَصْدِ فِيهَا وَعِظْمَادِ الْحَقِّ فِي مَذَاهِبِهَا فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا  
 دَعَا النَّاسَ إِلَى أَنْ نَعَوْا عَلَيْهِمْ أَفْعَالَهُمْ وَأَدَالُوا بِالِدَعْوَةِ الْعُبَاسِيَّةِ مِنْهُمْ وَوَلَّى رِجَالَهَا الْأَمْرَ  
 فَكَانُوا مِنَ الْعَدَالَةِ بِمَكَانٍ وَصَرَفُوا الْمَلِكَ فِي وَجْهِهِ الْحَقِّ وَمَذَاهِبِهِ مَا اسْتَطَاعُوا حَتَّى  
 جَاءَ بَنُو الرَّشِيدِ مِنْ بَعْدِهِ فَكَانَ مِنْهُمْ الصَّالِحُ وَالطَّالِحُ ثُمَّ أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى بَنِيهِمْ  
 فَأَعْطُوا الْمَلِكَ وَالتَّرَفَ حَقَّهُ وَانْعَمَسُوا فِي الدُّنْيَا وَبَاطَلُوا وَبَدَدُوا الدِّينَ وَرَأَهُمْ ظَهْرِيًّا  
 فَتَأَذَّنَ اللَّهُ بِجَرِّهِمْ وَانْتَزَعَ الْأَمْرَ مِنْ أَيْدِي الْعَرَبِ جُمْلَةً وَأَمَكَّنَ سِوَاهُمْ وَاللَّهُ لَا

يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَمَنْ تَأَمَّلَ سَيْرَ هَؤُلَاءِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَأَخْتَلَفَهُمْ فِي تَحْرِي الْحَقِّ  
 مِنَ الْبَاطِلِ عَلِمَ صِحَّةَ مَا قُلْنَاهُ وَقَدْ حَكَاهُ الْمَسْعُودِيُّ مِثْلَهُ فِي أَحْوَالِ بَنِي أُمَيَّةَ عَنِ  
 أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَقَدْ حَضَرَ عُمُومَتَهُ وَذَكَرُوا بَنِي أُمَيَّةَ فَقَالَ أَمَّا عَبْدُ الْمَلِكِ فَكَانَ  
 جَبَّارًا لَا يَبَالِي بِمَا صَنَعَ وَأَمَّا سَلِيمَانُ فَكَانَ هَمُّهُ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ وَأَمَّا عُمَرُ فَكَانَ أَعْوَرَ  
 بَيْنَ عُمَيَّانَ وَكَانَ رَجُلُ الْقَوْمِ هَشَامٌ قَالَ وَلَمْ يَزَلْ بَنُو أُمَيَّةَ ضَاطِبِينَ لِمَا مَهَّدَ لَهُمْ مِنَ  
 السُّلْطَانِ يُحَوِّطُونَهُ وَيَصُونُونَ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْهُ مَعَ تَسْنَمِهِمْ مَعَ أَلْيِ الْأُمُورِ وَرَفْضِهِمْ  
 دَنِيَاتِهَا حَتَّى أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى أَبْنَائِهِمُ الْمُتَرَفِّينَ فَكَانَتْ هِمَّتُهُمْ قَصْدَ الشَّهَوَاتِ وَرُكُوبَ  
 اللَّذَاتِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ جَهْلًا بِاسْتِدْرَاجِهِ وَأَمْنًا لِمَكْرِهِ مَعَ أَطْرَاحِهِمْ صِبَاةَ الْخِلَافَةِ  
 وَاسْتِخْفَافِهِمْ بِحَقِّ الرِّئَاسَةِ وَضَعْفِهِمْ عَنِ السِّيَاسَةِ فَسَلِبَهُمُ اللَّهُ الْعِزَّ وَالْبِسْمُومَ الدُّلَّ وَنَهَى  
 عَنْهُمْ التَّعَمُّةَ ثُمَّ اسْتَحْضَرَ عَبْدَ اللَّهِ <sup>(١)</sup> بَنَ مَرْوَانَ فَقَصَّ عَلَيْهِ خَبْرَهُ مَعَ مَلِكِ التُّوبَةِ لَمَّا  
 دَخَلَ أَرْضَهُمْ فَأَرَاهُ أَيَّامَ السَّفَاحِ قَالَ أَقَمْتُ مَلِكًا ثُمَّ أَتَانِي مَلِكُهُمْ فَقَعَدَ عَلَى الْأَرْضِ  
 وَقَدْ بَسَطَتْ لِي فُرُشٌ ذَاتُ قِيمَةٍ فَقُلْتُ مَا مَنَعَكَ عَنِ الْقُعُودِ عَلَى ثِيَابِنَا فَقَالَ إِنِّي مَلِكٌ  
 وَحَقٌّ لِكُلِّ مَلِكٍ أَنْ يَتَوَاضَعَ لِعَظَمَةِ اللَّهِ إِذْ رَفَعَهُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ لِي لِمَ تَشْرَبُونَ الْخَمْرَ  
 وَهِيَ مُحْرَمَةٌ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ فَقُلْتُ اجْتَرَأْتُ عَلَى ذَلِكَ عَيْبِدُنَا وَأَتْبَاعِنَا قَالَ فَلِمَ تَطْمَئِنُّ  
 الزَّرْعَ يَدُوبَايِكُمْ وَالْفَسَادَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ قُلْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ عَيْبِدُنَا وَأَتْبَاعِنَا بِجَهْلِهِمْ قَالَ  
 فَلِمَ تَلْبَسُونَ الدِّيَابِجَ وَالذَّهَبَ وَالْحَرِيرَ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِكُمْ قُلْتُ ذَهَبَ مِنَّا  
 الْمَلِكُ وَأَنْتَصَرْنَا بِقَوْمٍ مِنَ الْعَجَمِ دَخَلُوا فِي دِينِنَا فَلَبَسُوا ذَلِكَ عَلَى الْكُرْهِ مِنَّا فَأَطْرَقَ  
 بَيْنَكَ يَدِهِ فِي الْأَرْضِ وَيَقُولُ عَيْبِدُنَا وَأَتْبَاعِنَا وَأَعَاجِمُ دَخَلُوا فِي دِينِنَا ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ  
 إِلَيَّ وَقَالَ لَيْسَ كَمَا ذَكَرْتَ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ اسْتَحْلَلْتُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأَتَيْتُمْ مَا عَنْهُ  
 نَهَيْتُمْ وَظَلَمْتُمْ فِيمَا مَلَكَتُمْ فَسَلِبْكُمْ اللَّهُ الْعِزَّ وَالْبِسْمُومَ الدُّلَّ يَذُنُوبِكُمْ وَاللَّهُ نَقْمَةٌ لِمَنْ  
 تَبَلَّغَ عَاتِبَتَهَا فَيْكُمْ وَأَنَا خَائِفٌ أَنْ يُحِلَّ بِكُمْ الْعَذَابَ وَأَنْتُمْ بِلَيْدِي فَيُنَالِي مَعَكُمْ وَإِنَّمَا  
 الضِّيَافَةُ ثَلَاثُ فَرَزُودٌ مَا احْتَجَّتْ إِلَيْهِ وَأَرْجُلُ عَنْ أَرْضِي فَتَحَبَّبَ الْمَنْصُورُ وَأَطْرَقَ فَقَدَّ  
 تَمِينَ لَكَ كَيْفَ انْقَلَبْتَ الْخِلَافَةَ إِلَى الْمَلِكِ وَأَنَّ الْأَمْرَ كَانَ فِي أَوَّلِهِ خِلَافَةً وَوَارِعٌ  
 كُلِّ أَحَدٍ فِيهَا مِنْ نَفْسِهِ وَهُوَ الدِّينُ وَكَانُوا يُؤْتِرُونَهُ عَلَى أُمُورِ دِيَارِهِمْ وَإِنْ أَفْضَتْ إِلَى

(١) قوله عبد الله كذا في النسخة التونسية وبعض الفارسية وفي بعضها عبد الملك واظنه تصحيفاً قاله الناصر

هَلَاكِهِمْ وَحَدَّثَهُمْ دُونَ الْكَافَّةِ فَبَدَا عَثْمَانُ لَمَّا حُصِرَ فِي الدَّارِ جَاءَهُ أَحْسَنُ وَالْحُسَيْنُ  
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَابْنُ جَعْفَرٍ وَأَمْثَالُهُمْ يُرِيدُونَ الْمُدَافَعَةَ عَنْهُ فَأَبَى وَمَنَّعَ مِنْ سَلِّ  
السُّيُوفِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ مَخَافَةَ الْفُرْقَةِ وَحِظْنَظًا لِلْإِلَافَةِ الَّتِي بِهَا حَفِظَ الْكَلِمَةَ وَلَوْ أَدَى  
إِلَى هَلَاكِهِ وَهَذَا عَلِيُّ أَسَارَ عَلَيْهِ الْمُغْيِرَةَ لِأَوَّلِ وَلَايَتِهِ بِاسْتِيقَاءِ الزُّبَيْرِ وَمَعَاوِيَةَ  
وَوَطْحَةَ عَلَى أَعْمَالِهِمْ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ عَلَى بَيْعَتِهِ وَتَنَفَّقَ الْكَلِمَةَ وَلَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مَا شَاءَ  
مِنْ أَمْرِهِ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ سِيَاسَةِ الْمَلِكِ فَأَبَى فَرَارًا مِنَ الْعُشْرِ الَّذِي يُنَافِيهِ الْإِسْلَامُ  
وَعَدَا عَلَيْهِ الْمُغْيِرَةَ مِنَ الْعُدَاةِ فَقَالَ لَقَدْ أَشْرْتُ عَلَيْكَ بِالْأَمْسِ بِمَا أَشْرْتُ ثُمَّ عُدْتُ إِلَى  
نَظْرِي فَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ وَالنَّصِيحَةِ وَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا رَأَيْتَهُ أَنْتَ فَقَالَ عَلِيُّ لَا وَاللَّهِ  
بَلْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَصْحَتَنِي بِالْأَمْسِ وَعَشَشْتَنِي الْيَوْمَ وَلَكِنْ مَنَعَنِي مِمَّا أَشْرْتُ بِهِ زَائِدُ  
الْحَقِّ وَهَكَذَا كَانَتْ أَحْوَالُهُمْ فِي إِصْلَاحِ دِينِهِمْ بِنَسَادِ دُنْيَاهُمْ وَنَحْنُ

نُرْفَعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيْقِ دِينِنَا فَلَا دِينَا بَقِيَّ وَلَا مَا نُرْفَعُ

فَقَدْ رَأَيْتُ كَيْفَ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى الْمَلِكِ وَبَقِيَتْ مَعَانِي الْخِلَافَةِ مِنْ تَحْرِي الدِّينِ  
وَمَدَاهِيهِ وَالْجُرْيِ عَلَى مِنْهَاجِ الْحَقِّ وَلَمْ يَظْهَرَ الْغَيْبُ إِلَّا فِي الْوَاوِزِ الَّذِي كَانَ دِينًا  
ثُمَّ انْقَلَبَ عَصِيَّةً وَسَيْفًا وَهَكَذَا كَانَ الْأَمْرُ لِعَهْدِ مَعَاوِيَةَ وَمَرْوَانَ وَابْنِهِ عَبْدِ الْمَلِكِ  
وَالصَّدرِ الْأَوَّلِ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ إِلَى الرَّشِيدِ وَبَعْضُ وُلْدِهِ ثُمَّ ذَهَبَتْ مَعَانِي الْخِلَافَةِ  
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اسْمُهَا وَصَارَ الْأَمْرُ مُلْكًا بَحْتًا وَجَرَتْ طَبِيعَةُ النَّعْثَابِ إِلَى غَايَتِهَا وَأَسْتَعْمَلَتْ  
فِي اغْتِرَاضِهَا مِنَ الْقَهْرِ وَالتَّقْلِيبِ فِي الشَّمَوَاتِ وَالْمَلَاذِ وَهَكَذَا كَانَ الْأَمْرُ لَوْلِي عَبْدِ  
الْمَلِكِ وَلَمَّا جَاءَ بَعْدَ الرَّشِيدِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَسْمُ الْخِلَافَةِ بَاقِيًا فِيهِمْ لِبَقَاءِ عَصِيَّةِ  
الْعَرَبِ وَالْخِلَافَةِ وَالْمَلِكِ فِي الطُّورَيْنِ مُلْتَبَسٌ بَعْضُهُمَا بِبَعْضٍ ثُمَّ ذَهَبَ رَسْمُ الْخِلَافَةِ  
وَأَثَرُهَا بِذَهَابِ عَصِيَّةِ الْعَرَبِ وَفَنَاءِ جَيْلِهِمْ وَتَلَاثِي أَحْوَالِهِمْ وَبَقِيَ الْأَمْرُ مُلْكًا بَحْتًا  
كَمَا كَانَ الشَّانُ فِي مُلُوكِ الْعَجَمِ بِالْمَشْرِقِ يَدِينُونَ بِطَاعَةِ الْخَلِيفَةِ تَبْرُكًا وَالْمَلِكِ  
يُجْمِعُ الْقَابِهِ وَمَنَاجِيهِ لَهُمْ وَلَيْسَ لَخَلِيفَةِ مِنْهُ شَيْءٌ وَكَذَلِكَ فَعَلَ مُلُوكُ زَنَانَةَ بِالْمَغْرِبِ  
مِثْلَ صَنَهَاجَةَ مَعَ الْعَبِيدِيِّينَ وَمَغْرَاوَةَ وَبَنِي يَفْرُبَ أَيْضًا مَعَ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ  
وَالْعَبِيدِيِّينَ بِالْقَبْرَوَانَ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْخِلَافَةَ قَدْ وُجِدَتْ بِدُونِ الْمَلِكِ أَوْلَا ثُمَّ التَّبَسَّتْ  
مَعَانِيهِمَا وَاخْتَلَطَتْ ثُمَّ انْفَرَدَ الْمَلِكُ حَيْثُ انْفَرَقَتْ عَصِيَّتُهُ مِنْ عَصِيَّةِ الْخِلَافَةِ وَاللَّهُ

## الفصل التاسع والعشرون

(١) في معنى البيعة

اعْلَمْ أَنَّ الْبَيْعَةَ هِيَ الْعَهْدُ عَلَى الطَّاعَةِ كَانَ الْمَبِيعُ يَعَاهِدُ أَمِيرَهُ عَلَى أَنَّهُ يُسَلِّمُ لَهُ  
النَّظَرَ فِي أَمْرِ نَفْسِهِ وَأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ لَا يَنَازِعُهُ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَيَطِيعُهُ فِيمَا يَكْتَلِفُهُ  
بِهِ مِنَ الْأَمْرِ عَلَى الْمُنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ وَكَانُوا إِذَا بَايَعُوا الْأَمِيرَ وَعَقَدُوا عَهْدَهُ جَعَلُوا  
أَيْدِيَهُمْ فِي يَدِهِ تَأْكِيدًا لِلْعَهْدِ فَأَشْبَهَ ذَلِكَ فِعْلَ الْبَائِعِ وَالْمُشْتَرِي فُسِّمِيَ بَيْعَةً مُصَدَّرَ  
بَاعَ وَصَارَتِ الْبَيْعَةُ مُصَاحَفَةً بِالْأَيْدِي هَذَا مَدْلُولُهَا فِي عَرَفِ اللُّغَةِ وَمَعْبُودِ الشَّرْعِ وَهُوَ  
الْمُرَادُ فِي الْحَدِيثِ فِي بَيْعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ وَعِنْدَ الشَّجْرَةِ وَحَشَمًا  
وَرَدَّ هَذَا اللَّفْظَ وَمِنْهُ بَيْعَةُ الْخُلَفَاءِ وَمِنْهُ أَيْمَانُ الْبَيْعَةِ كَانَ الْخُلَفَاءُ يُسْتَحْلِفُونَ عَلَى الْعَهْدِ  
وَيَسْتَوْعِبُونَ الْأَيْمَانَ كُلَّهَا لِذَلِكَ فُسِّمِيَ هَذَا الْأَسْتِعَابُ أَيْمَانُ الْبَيْعَةِ وَكَانَ الْأَيْكْرَاهُ  
فِيهَا أَكْثَرَ وَأَعْلَبَ وَلِهَذَا لَمَّا أَفْتَى مَالِكُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِسُقُوطِ يَمِينِ الْأَيْكْرَاهِ أَنْكَرَهَا  
الْوَلَاةَ عَلَيْهِ وَرَأَوْهَا قَادِحَةً فِي أَيْمَانِ الْبَيْعَةِ وَوَقَعَ مَا وَقَعَ مِنْ حُبَّةِ الْإِمَامِ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ وَأَمَّا الْبَيْعَةُ الْمَشْهُورَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ فَهِيَ تَحِيَّةُ الْمُلُوكِ الْكُفْرِيَّةِ مِنْ تَقْبِيلِ الْأَرْضِ  
أَوْ الْيَدِ أَوْ الرَّجْلِ أَوْ الذَّبْلِ أُطْلِقَ عَلَيْهَا اسْمُ الْبَيْعَةِ الَّتِي هِيَ الْعَهْدُ عَلَى الطَّاعَةِ مَجَازًا لِمَا  
كَانَ هَذَا الْخُضُوعُ فِي التَّحِيَّةِ وَاللِّزَامِ الْأَدَابِ مِنْ تَوَاضِعِ الطَّاعَةِ وَتَوَابِعِهَا وَعَلَبَ فِيهِ  
حَتَّى صَارَتْ حَقِيقَةً عَرَفِيَّةً وَاسْتَعْنَى بِهَا عَنْ مُصَاحَفَةِ أَيْدِي النَّاسِ الَّتِي هِيَ الْحَقِيقَةُ فِي  
الْأَصْلِ لِمَا فِي الْمُصَاحَفَةِ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ التَّنْزِلِ وَالْإِتِّدَالِ الْمُتَابِعِينَ لِلرِّئَاسَةِ وَصَوْنِ  
الْمَنْصِبِ الْمُلُوكِيِّ إِلَّا فِي الْأَقْلِ مِمَّنْ يَقْصِدُ التَّوَاضِعَ مِنَ الْمُلُوكِ فَيَأْخُذُ بِهِ نَفْسُهُ مَعَ  
خَوَاصِهِ وَمَشَاهِيرِ أَهْلِ الدِّينِ مِنْ رَعِيَّتِهِ فَأَفْهَمَ مَعْنَى الْبَيْعَةِ فِي الْعُرْفِ فَإِنَّهُ أَكِيدُ عَلَى  
الْإِنْسَانِ مَعْرِفَتَهُ لِمَا يَلْزِمُهُ مِنْ حَقِّ سُلْطَانِهِ وَإِمَامِهِ وَلَا تَكُونُ أَفْعَالُهُ عِبْتًا وَجَبَانًا  
وَأَعْتَبَرِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِكَ مَعَ الْمُلُوكِ وَاللَّهُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ

(١) البيعة بفتح الواو الموحدة اما بكسرهما على وزن شعبة بسكون الياء فيها فهي معبد النصارى ١٠٥

## الفصل الثلاثون

في ولاية العهد

إِعْلَمُ أَنَّا قَدَّمْنَا الْكَلَامَ فِي الْأَمَّةِ وَمَشْرُوعِيَّتِهَا لِمَا فِيهَا مِنَ الْمَصْلَحَةِ وَأَنَّ حَقِيقَتَهَا  
 لِلنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ الْأُمَّةِ لِدِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ فَهُوَ وَلِيهِمْ وَالْأَمِينُ عَلَيْهِمْ يَنْظُرُ لَهُمْ ذَلِكَ فِي  
 حَيَاتِهِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ أَنْ يَنْظُرَ لَهُمْ بَعْدَ مَمَاتِهِ وَيَقِيمُ لَهُمْ مَنْ يَتَوَلَّى أُمُورَهُمْ كَمَا كَانَ هُوَ  
 يَتَوَلَّاهَا وَيَتَّقُونَ بِنَظَرِهِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ كَمَا وَثِقُوا بِهِ فِيمَا قَبْلُ وَقَدْ عَرِفَ ذَلِكَ مِنَ الشَّرْعِ  
 بِاجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ عَلَى جَوَازِهِ وَأَنْعِقَادِهِ إِذْ وَقَعَ بِعَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعَمْرٍ  
 بِمَحْضَرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ وَأَجَازُوهُ وَأَوْجِبُوا عَلَى انْفُسِهِمْ بِهِ طَاعَةَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْهُمْ  
 وَكَذَلِكَ عَهْدَ عُمَرَ فِي الشُّوزَى إِلَى السَّنَةِ بَقِيَّةِ الْعَشْرَةِ وَجَعَلَ لَهُمْ أَنْ يَخْتَارُوا لِلْمُسْلِمِينَ  
 وَقَفُوضَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى أَفْضَى ذَلِكَ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَأَجْتَهَدَ وَنَظَرَ  
 الْمُسْلِمِينَ فَوَجَدَهُمْ مُتَّفِقِينَ عَلَى عُسْمَانَ وَعَلَى عَلِيٍّ فَأَثَرَ عُسْمَانَ بِالْبَيْعَةِ عَلَى ذَلِكَ لِمَوَاقِفِهِ  
 إِيَّاهُ عَلَى لُزُومِ الْإِفْتِدَاءِ بِالشَّيْخِينَ فِي كُلِّ مَا يَعْنُ دُونَ اجْتِهَادِهِ فَأَنْعَقَدَ أَمْرُ عُسْمَانَ  
 لِذَلِكَ وَأَوْجِبُوا طَاعَتَهُ وَالْمَلَائِمُ مِنَ الصَّحَابَةِ حَاضِرُونَ لِلأُولَى وَالثَّانِيَةِ وَلَمْ يُبْكَرْهُ أَحَدٌ  
 مِنْهُمْ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْعَهْدِ عَارِفُونَ بِمَشْرُوعِيَّتِهِ وَاجْتِمَاعُ حُجَّةٍ  
 كَمَا عَرَفَ وَلَا يَتَّبِعُهُمُ الْإِمَامُ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَإِنْ عَهْدَ إِلَى أَبِيهِ أَوْ ابْنِهِ لِأَنَّهُ مَأْمُونٌ  
 عَلَى النَّظَرِ لَهُمْ فِي حَيَاتِهِ فَأَوْلَى أَنْ لَا يَحْتَمِلَ فِيهَا تَبِعَةً بَعْدَ مَمَاتِهِ خِلَافًا لِذَلِكَ قَالَ  
 بِاتِّهَامِهِ فِي الْوَلَدِ وَالْوَالِدِ أَوْ لِمَنْ خَصَّصَ التَّهْمَةَ بِالْوَلَدِ دُونَ الْوَالِدِ فَإِنَّهُ بَعِيدٌ عَنِ  
 الظَّنِّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لَا سِيَّمَا إِذَا كَانَتْ هُنَاكَ دَاعِيَةٌ تَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ إِيْتَارِ مَصْلَحَةٍ أَوْ  
 تَوْفَعٍ مَفْسَدَةٍ فَتَلْتَفَتِي الظَّنُّ فِي ذَلِكَ رَأْسًا كَمَا وَقَعَ فِي عَهْدِ مَعَاوِيَةَ لِابْنِهِ يَزِيدَ وَإِنْ  
 كَانَ فِعْلُ مَعَاوِيَةَ مَعَ وَفَاقِ النَّاسِ لَهُ حُجَّةٌ فِي الْبَابِ وَالَّذِي دَعَا مَعَاوِيَةَ لِإِيْتَارِ ابْنِهِ يَزِيدَ  
 بِالْعَهْدِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ إِنَّمَا هُوَ مَرَاعَاةُ الْمَصْلَحَةِ فِي اجْتِمَاعِ النَّاسِ وَاتِّفَاقِ أَهْوَائِهِمْ  
 بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْحِلِّ وَالْعَقْدِ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ إِذْ بَنُو أُمِيَّةٍ يَوْمَئِذٍ لَا يَرْضُونَ سِوَاهُمْ  
 وَهُمْ عَصَابَةُ قُرَيْشٍ وَأَهْلُ الْمِلَّةِ أَجْمَعٍ وَأَهْلُ الْعَلْبِ مِنْهُمْ فَأَثَرُهُ بِذَلِكَ دُونَ غَيْرِهِ مِمَّنْ  
 يَظُنُّ أَنَّهُ أَوْلَى بِهَا وَعَدَلَ عَنِ الْفَاضِلِ إِلَى الْمَفْضُولِ حَرِصًا عَلَى الْإِتِّفَاقِ وَاجْتِمَاعِ  
 الْأَهْوَاءِ الَّذِي شَأْنُهُ أَهْمٌ عِنْدَ الشَّارِعِ وَإِنْ كَانَ لَا يُظُنُّ بِمَعَاوِيَةَ غَيْرُ هَذَا فَعَدَلَتْهُ

وَصِحَّتْهُ مَانِعَةٌ مِنْ سِوَى ذَلِكَ وَحُضُورُ أَكْبَرِ الصَّحَابَةِ لِذَلِكَ وَسَكُوتُهُمْ عَنْهُ دَلِيلٌ  
 عَلَى انْتِفَاءِ الرَّبِّ فِيهِ فَلَيْسُوا بِمَنْ يَأْخُذُهُمْ فِي الْحَقِّ هَوَادَةٌ وَلَيْسَ مُعَاوِيَةَ مِمَّنْ تَأْخُذُهُ  
 الْعِزَّةُ فِي قَبُولِ الْحَقِّ فَإِنَّهُمْ كَلَّمَهُمْ أَجَلٌ مِنْ ذَلِكَ وَعَدَّ لَهُمْ مَانِعَةً مِنْهُ وَفَرَّارُ عَبْدِ اللَّهِ  
 ابْنِ عُمَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ تَحْمُولٌ عَلَى تَوَرُّعِهِ مِنَ الدُّخُولِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأُمُورِ مَبَاحًا  
 كَانَ أَوْ مَحْظُورًا كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ عَنْهُ وَلَمْ يَبْقَ فِي الْخِلَافَةِ هَذَا الْعَهْدِ الَّذِي اتَّفَقَ  
 عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ إِلَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ وَنُدُورُ الْخِلَافِ مَعْرُوفٌ ثُمَّ إِنَّهُ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ مِنْ بَعْدِ  
 مُعَاوِيَةَ مِنَ الْخِلَفَاءِ الَّذِينَ كَانُوا يَتَّبِعُونَ الْحَقَّ وَيَعْمَلُونَ بِهِ مِثْلَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَسَلِيمَانَ  
 مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَالسَّفَّاحَ وَالْمَنْصُورَ وَالْمَهْدِيَّ وَالرَّشِيدَ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَمَّا لَهُمْ مِنْ  
 عَرَفَتْ عَدَالَتَهُمْ وَحَسَنَ رَأْيِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالنَّظَرَ لَهُمْ وَلَا يُعَابُ عَلَيْهِمْ إِثَارُ ابْنَائِهِمْ  
 وَإِخْوَانِهِمْ وَخُرُوجُهُمْ عَنْ سِنَنِ الْخِلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ فِي ذَلِكَ فَسَأَلْتُهُمْ عَنِ شَأْنِ أَوْلَادِكَ  
 الْخِلَفَاءِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى حِينٍ لَمْ تَحْدَثْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَكَانَ الْوِزَاعُ دِينِيًّا فَعِنْدَ كُلِّ  
 أَحَدٍ وَزَاعٌ مِنْ نَفْسِهِ فَعَبَدُوا إِلَى مَنْ يَرْضِيهِ الدِّينَ فَقَطَّ وَاتَّرَوْهُ عَلَى غَيْرِهِ وَوَكَلُوا كُلَّ  
 مَنْ يَسْمُو إِلَى ذَلِكَ إِلَى وَزَاعِهِ وَأَمَّا مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ لَدُنْ مُعَاوِيَةَ فَكَانَتْ الْعَصِيَّةُ قَدْ  
 أَشْرَفَتْ عَلَى غَايَتِهَا مِنَ الْمَلِكِ وَالْوِزَاعِ الدِّينِيِّ قَدْ ضَعُفَ وَأَحْبَبَّ إِلَى الْوِزَاعِ السُّلْطَانِيَّ  
 وَالْعِصْيَانِيَّ فَلَدَى عَهْدِي إِلَى غَيْرِ مَنْ تَرْضِيهِ الْعَصِيَّةُ لَرَدَّتْ ذَلِكَ الْعَهْدُ وَأَنْتَقَضَ أَمْرُهُ  
 سَرِيعًا وَصَارَتْ الْجَمَاعَةُ إِلَى الْفِرْقَةِ وَالْإِخْتِلَافِ سَأَلَ رَجُلٌ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا بَالُ  
 الْمُسْلِمِينَ اخْتَلَفُوا عَلَيْكَ وَلَمْ يَخْتَلِفُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ لِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ  
 كَانَا وَالْيَمِينَ عَلَى مِثْلِي وَأَنَا الْيَوْمَ وَالْغَدِ عَلَى مِثْلِكَ يُشِيرُ إِلَى وَزَاعِ الدِّينِ أَفَلَا تَرَى إِلَى  
 أَلْمَأُومُونَ لَمَّا عَهْدِي إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ وَسَمَاهُ الرِّضَا كَيْفَ أَنْكَرَتْ  
 الْعَبَّاسِيَّةُ ذَلِكَ وَتَقَضُوا بَيْعَتَهُ وَتَابَعُوا لِعَمِّهِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَظَهَرَ مِنَ الْوِزَاعِ  
 وَالْخِلَافِ وَأَنْقَطَعَ السُّبُلُ وَتَعَدَّدَ الثُّوَارُ وَالْخَوَارِجُ مَا كَادَ أَنْ يَصْطَلِمَ الْأُمَّةَ حَتَّى بَادَرَ  
 أَلْمَأُومُونَ مِنْ خُرَاسَانَ إِلَى بَغْدَادٍ وَرَدَّ أَمْرَهُمْ لِمُعَاهَدِهِ فَلَا بُدَّ مِنْ أَعْتِبَارِ ذَلِكَ فِي الْعَهْدِ  
 فَالْعُصُورُ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ مَا يَحْدُثُ فِيهَا مِنَ الْأُمُورِ وَالْقَبَائِلِ وَالْعِصِيَّاتِ وَتَخْتَلِفُ  
 بِاخْتِلَافِ الْمَصَالِحِ وَكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا حِكْمٌ يُخْصُهُ لُطْفًا مِنَ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَأَمَّا أَنْ  
 يَكُونَ الْقَصْدُ بِالْعَهْدِ حِفْظَ التِّرَاثِ عَلَى الْأَبْنَاءِ فَلَيْسَ مِنَ الْمَقَاصِدِ الدِّينِيَّةِ إِذْ هُوَ أَمْرٌ

مِنْ اللَّهِ يَخْصُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ يَنْبَغِي أَنْ تُحْسِنَ فِيهِ النَّيَّةَ مَا أَمَكَنَ خَوْفًا مِنْ  
 الْعَبَثِ بِالْمَنَاصِبِ الدِّينِيَّةِ وَالْمَلِكِ لِلَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ \* وَعَرَضَ هُنَا أَمُورٌ تَدْعُو  
 الضَّرُورَةَ إِلَى بَيَانِ الْحَقِّ فِيهَا \* فَالْأَوَّلُ مِنْهَا مَا حَدَّثَ فِي يَزِيدٍ مِنَ الْفَسْقِ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ  
 فَإِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ بِمَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ عَلِمَ ذَلِكَ مِنْ يَزِيدٍ فَإِنَّهُ أَعْدَلَ مِنْ ذَلِكَ  
 وَأَفْضَلُ بَلْ كَانَ يَعْدِلُهُ أَيَّامَ حَيَاتِهِ فِي سَمَاعِ الْغِنَاءِ وَيَنْهَاهُ عَنْهُ وَهُوَ أَقْلٌ مِنْ ذَلِكَ  
 وَكَانَتْ مَذَاهِبُهُمْ فِيهِ مُخْتَلِفَةً وَلَمَّا حَدَّثَ فِي يَزِيدٍ مَا حَدَّثَ مِنَ الْفَسْقِ اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ  
 حِينَئِذٍ فِي شَأْنِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ رَأَى الْخُرُوجَ عَلَيْهِ وَتَقَضَّى بَعْتَهُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَمَا فَعَلَ  
 الْحُسَيْنُ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمَنْ اتَّبَعَهُمَا فِي ذَلِكَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَبَاهُ لِمَا  
 فِيهِ مِنْ إِتَارَةِ الْفِتْنَةِ وَكَثْرَةِ الْقَتْلِ مَعَ الْعِزِّ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ لِأَنَّ شَوْكَةَ يَزِيدٍ يَوْمَئِذٍ هِيَ  
 عَصَابَةُ بَنِي أُمَيَّةَ وَجُمْهُورِ أَهْلِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ مِنْ قُرَيْشٍ وَتَسْتَبِيعِ عَصِيَّةٍ مُضَرَّاجِمَةٍ وَهِيَ  
 أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَوْكَةٍ وَلَا تَطَاقُ مَقَاوِمَتَهُمْ فَأَقْصَرُوا عَنْ يَزِيدٍ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَأَقَامُوا عَلَى  
 الدُّعَاءِ بِهَيْدَابَتِهِ وَالرَّاحَةِ مِنْهُ وَهَذَا كَانَ شَأْنُ جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَفَلُ تَجْتَهِدُونَ وَلَا  
 يُنْكَرُ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فَمَقَاصِدُهُمْ فِي الْبَرِّ وَتَحَرِّيِ الْحَقِّ مَعْرُوفَةٌ وَفَقِنَا اللَّهُ  
 لِلْإِقْتِدَاءِ بِهِمْ \* وَالْأَمْرُ الثَّانِي هُوَ شَأْنُ الْعَهْدِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا تَدَعِيهِ  
 الشَّيْخَةُ مِنْ وَصِيَّتِهِ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ أَمْرٌ لَمْ يَصَحَّ وَلَا نَقَلَهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّةِ النُّقْلِ  
 وَالَّذِي وَقَعَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ طَلَبِ الدَّوَاةِ وَالْقُرْطَاسِ لِيَكْتُبَ الْوَصِيَّةَ وَأَنَّ عُمَرَ مَنَعَ  
 مِنْ ذَلِكَ فَدَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ وَكَذَا قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ طُعنَ وَسئِلُ  
 فِي الْعَهْدِ فَقَالَ إِنْ أَعَاهَدَ فَقَدْ عَاهَدَ مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي يَعْنِي أَبَا بَكْرٍ وَإِنْ أَتْرَكَ فَقَدْ تَرَكَ  
 مِنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعْبُدْ وَكَذَلِكَ قَوْلُ عَلِيِّ لِإِبْرَاهِيمَ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ دَعَاهُ لِلدُّخُولِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ لِنَهْ عَنِ  
 شَأْنِهِمَا فِي الْعَهْدِ فَأَبَى عَلِيٌّ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ إِنَّهُ إِنْ مَنَعْنَا مِنْهَا فَلَا نَطْمَعُ فِيهَا آخِرَ الدَّهْرِ  
 وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عَلِيًّا عَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَبُوصْ وَلَا عَاهَدَ إِلَى أَحَدٍ وَشِبْهَةُ الْإِمَامِيَّةِ فِي ذَلِكَ  
 إِنَّمَا هِيَ كَوْنُ الْإِمَامَةِ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ كَمَا يَزْعُمُونَ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ مِنَ  
 الْمَصَالِحِ الْعَامَةِ الْمَوْضُوعَةِ إِلَى نَظَرِ الْخَلْقِ وَلَوْ كَانَتْ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ لَكَانَ شَأْنُهَا  
 شَأْنَ الصَّلَاةِ وَلَكَانَ يُسْتَخْلَفُ فِيهَا كَمَا اسْتَخْلَفَ أَبَا بَكْرٍ فِي الصَّلَاةِ وَلَكَانَ يُشْتَهَرُ

كَمَا اشْتَهَرَ أَمْرُ الصَّلَاةِ وَاجْتِنَابُ الصَّحَابَةِ عَلَى خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ بِقِيَاسِهَا عَلَى الصَّلَاةِ  
 فِي قَوْلِهِمْ ارْتَضَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِدِينِنَا أَفَلَا تَرْضَاهُ لِدُنْيَانَا دَلِيلٌ عَلَى  
 أَنَّ الْوَصِيَّةَ لَمْ تَنْقَعْ وَيَدُلُّ ذَلِكَ أَيْضًا عَلَى أَنَّ أَمْرَ الْإِمَامَةِ وَالْعَهْدَ بِهَا لَمْ يَكُنْ مُهِمًّا  
 كَمَا هُوَ الْيَوْمَ وَسَأْنُ الْعَصْبِيَّةِ الْمُرَاعَاةُ فِي الْاجْتِمَاعِ وَالْإِفْتِرَاقُ فِي تَجَارِي الْعَادَةِ  
 لَمْ يَكُنْ يَوْمئِذٍ بِذَلِكَ لِالْعَبْتِارِ لِأَنَّ أَمْرَ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ كَانَ كُلُّهُ بِخَوَارِقِ الْعَادَةِ  
 مِنْ تَأْلِيفِ الْقُلُوبِ عَلَيْهِ وَأَسْتِمَانَةِ النَّاسِ دُونَهُ وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْأَحْوَالِ الَّتِي كَانُوا  
 يَشَاهِدُونَهَا فِي حُضُورِ الْمَلَائِكَةِ لِنَصْرِهِمْ وَتَرَدُّدِ خَبَرِ السَّمَاءِ بَيْنَهُمْ وَتَجَدُّدِ خِطَابِ  
 اللَّهِ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ تُثَلَّى عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَخْتَجِ إِلَى مُرَاعَاةِ الْعَصْبِيَّةِ لِمَا شَمَلَ النَّاسَ مِنْ صِبْغَةِ  
 الْإِقْتِيَادِ وَالْإِذْعَانِ وَمَا يَسْتَفْزِهُمُ مِنْ تَتَابُعِ الْمُعْجِزَاتِ الْخَارِقَةِ وَالْأَحْوَالِ الْإِلَهِيَّةِ الْوَاقِعَةِ  
 وَالْمَلَائِكَةِ الْمُتَرَدِّدَةِ الَّتِي وَجَّهُوا مِنْهَا وَدَهَشُوا مِنْ تَتَابُعِهَا فَكَانَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ وَالْمَلِكِ  
 وَالْعَهْدِ وَالْعَصْبِيَّةِ وَسَائِرِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مُنْدَرِجًا فِي ذَلِكَ الْقَبِيلِ كَمَا وَقَعَ فَلَمَّا انْحَصَرَ  
 ذَلِكَ الْمَدَدُ بِذَهَابِ تِلْكَ الْمُعْجِزَاتِ ثُمَّ بِنَاءِ الْقُرُونِ الَّذِينَ شَاهَدُوهَا فَاسْتَحَالَتْ تِلْكَ  
 الصَّبْغَةُ قَلِيلًا قَلِيلًا وَذَهَبَتْ الْخَوَارِقُ وَصَارَ الْحُكْمُ لِلْعَادَةِ كَمَا كَانَ فَاعْتَبِرْ أَمْرَ  
 الْعَصْبِيَّةِ وَتَجَارِي الْعَوَائِدِ فِيمَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ وَالْخِلَافَةُ  
 وَالْعَهْدُ بِهَا مُهِمًّا مِنَ الْمُهَيْمَاتِ الْأَكْبَدَةِ كَمَا زَعَمُوا وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ فَانظُرْ  
 كَيْفَ كَانَتْ الْخِلَافَةُ لِعَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مُهِمَّةٍ فَلَمْ يَعْهَدْ فِيهَا ثُمَّ تَدَرَّجَتْ  
 الْأَهْمِيَّةُ زَمَانَ الْخِلَافَةِ بِعُضْءِ الشَّيْءِ بِمَا دَعَتْ الضَّرُورَةُ إِلَيْهِ فِي الْحِمَايَةِ وَالْجِهَادِ وَسَأْنِ  
 الرِّدَّةِ وَالْفُتُوحَاتِ فَكَانُوا بِالْخِيَارِ فِي الْفِعْلِ وَالتَّرْكِ كَمَا ذَكَرْنَا عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 ثُمَّ صَارَتْ الْيَوْمَ مِنْ أَمَمِ الْأُمُورِ لِلْإِنْفَةِ عَلَى الْحِمَايَةِ وَالْقِيَامِ بِالْمَصَالِحِ فَاعْتَبِرْتِ فِيهَا  
 الْعَصْبِيَّةُ الَّتِي هِيَ سِرُّ الْوَازِعِ عَنِ الْفُرْقَةِ وَالتَّخَاذُلِ وَمَنْشَأُ الْاجْتِمَاعِ وَالتَّوَافُقِ الْكَفِيلِ  
 بِمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ وَأَحْكَامِهَا \* وَالْأَمْرُ التَّالِثُ شَأْنُ الْحُرُوبِ الْوَاقِعَةِ فِي الْإِسْلَامِ  
 بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَاعْلَمْ أَنَّ اخْتِلَافَهُمْ إِنَّمَا يَقَعُ فِي الْأُمُورِ الدِّيْنِيَّةِ وَيَنْشَأُ عَنِ  
 الْاجْتِهَادِ فِي الْأَدَلَّةِ الصَّحِيحَةِ وَالْمَدَارِكِ الْمُعْتَبَرَةِ وَالْمُجْتَهِدُونَ إِذَا اخْتَلَفُوا فَإِنَّ قُلْنَا  
 إِنَّ الْحَقَّ فِي الْمَسَائِلِ الْاجْتِهَادِيَّةِ وَاحِدٌ مِنَ الطَّرْفَيْنِ وَمَنْ لَمْ يُصَادَفْهُ فَهُوَ مُخْطِئٌ  
 فَإِنَّ جِهَتَهُ لَا تَتَعَيَّنُ بِاجْتِمَاعِ فَيَبْقَى الْكُلُّ عَلَى أَحْتِمَالِ الْإِصَابَةِ وَلَا يَتَعَيَّنُ الْمُخْطِئُ

مِنْهَا وَالتَّائِبِينَ مَدْفُوعٌ عَنِ الْكُلِّ إِجْمَاعًا وَإِنْ قُلْنَا إِنَّ الْكُلَّ حَقٌّ وَإِنْ كُلٌّ مُجْتَهِدٌ  
 مُصِيبٌ فَأَحْرَى بِنَفْسِي الْخَطَأُ وَالتَّائِبِينَ وَغَايَةُ الْخِلَافِ الَّذِي بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّائِبِينَ أَنَّهُ  
 خِلَافٌ أَجْتَهَادِي فِي مَسَائِلِ دِينِيَّةٍ ظَنِيَّةٍ وَهَذَا حُكْمُهُ وَالَّذِي وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ  
 إِنَّمَا هُوَ وَاقِعَةٌ عَلَيَّ مَعَ مَعَاوِيَةَ وَمَعَ الزُّبَيْرِ وَعَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَوَاقِعَةَ الْحُسَيْنِ مَعَ يَزِيدَ  
 وَوَاقِعَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ فَأَمَّا وَاقِعَةٌ عَلَيَّ فَإِنَّ النَّاسَ كَانُوا عِنْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ  
 مُفْتَرِقِينَ فِي الْأَمْصَارِ فَلَمْ يَشْهَدُوا بِيَعَةَ عَلِيٍّ وَالَّذِينَ شَهِدُوا فَمِنْهُمْ مَنْ بَاعَ وَمِنْهُمْ مَنْ  
 تَوَقَّفَ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ وَيَتَّفِقُوا عَلَى إِمَامِ كَسَعِدٍ وَسَعِيدٍ وَابْنِ عَمْرٍ وَأَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ  
 وَالْمُعِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَامٍ وَقِدَامَةَ بْنَ مَطْعُونٍ وَابِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ وَكَعْبَ  
 بْنَ مَالِكٍ وَالتَّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ وَحَسَانَ بْنَ تَابِتٍ وَمُسْلِمَةَ بْنَ مَخْلَدٍ وَفَضَالََةَ بْنَ عُبَيْدٍ وَأَمْثَلَهُمْ  
 مِنْ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ وَالَّذِينَ كَانُوا فِي الْأَمْصَارِ عَدَلُوا عَنْ بِيَعَتِهِ أَيْضًا إِلَى الطَّلَبِ بِدَمِ  
 عُثْمَانَ وَتَرَكُوا الْأَمْرَ فُؤُضِيَ حَتَّى يَكُونَ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِمَنْ يُولُونَهُ وَظَنُّوا بِعَلِيٍّ  
 هَوَادَةً فِي السُّكُوتِ عَنْ نَصْرِ عُثْمَانَ مِنْ قَاتِلِهِ لَا فِي الْمَالَةِ عَلَيْهِ فَخَاشَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ  
 وَتَقَدَّرَ كَانِ مَعَاوِيَةَ إِذَا صَرَخَ بِمَلَامَتِهِ إِنَّمَا يُوْجِّهَهَا عَلَيْهِ فِي سُكُوتِهِ فَقَطُّ ثُمَّ اخْتَلَفُوا  
 بَعْدَ ذَلِكَ فَرَأَى عَلِيٌّ أَنَّ بِيَعَتَهُ قَدْ انْعَقَدَتْ وَلَزِمَتْ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا بِاجْتِمَاعٍ مِنْ اجْتِمَاعِ  
 عَلَيْهَا بِالْمَدِينَةِ دَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَوْطِنِ الصَّحَابَةِ وَأَرْجَاءِ الْأَمْرِ فِي  
 الْمُطَلَبَةِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلَى اجْتِمَاعِ النَّاسِ وَاتِّفَاقِ الْكَلِمَةِ فَيَتِمَّ كُنْ حِينَئِذٍ مِنْ ذَلِكَ  
 وَرَأَى الْآخَرُونَ أَنَّ بِيَعَتَهُ لَمْ تَنْعَقِدْ لِافْتِرَاقِ الصَّحَابَةِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ بِالْأَفَاقِ وَلَمْ  
 يَحْضُرِ إِلَّا قَلِيلٌ وَلَا تَكُونُ الْبِيَعَةُ إِلَّا بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ وَلَا تَلْزِمُ بَعْدَ  
 مَنْ تَوَلَّاهَا مِنْ غَيْرِهِمْ أَوْ مِنْ الْقَلِيلِ مِنْهُمْ وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ حِينَئِذٍ فُؤُضِيَ فَيَطْلُبُونَ  
 أَوْلَاءَ بَدَمِ عُثْمَانَ ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ عَلَى إِمَامٍ وَذَهَبَ إِلَى هَذَا مَعَاوِيَةَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ  
 وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ وَالزُّبَيْرُ وَابْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَطَلْحَةُ وَابْنُ مُحَمَّدٍ وَسَعْدُ وَسَعِيدُ  
 وَالتَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ وَمَعَاوِيَةُ بْنُ خَدِيجٍ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ  
 تَخَلَّفُوا عَنْ بِيَعَةِ عَلِيٍّ بِالْمَدِينَةِ كَمَا ذَكَرْنَا إِلَّا أَنَّ أَهْلَ الْعَصْرِ الثَّانِي مِنْ بَعْدِهِ  
 اتَّفَقُوا عَلَى انْعِقَادِ بِيَعَةِ عَلِيٍّ وَلِزُومِهَا لِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ وَتَصَوِّبِ رَأْيِهِ فِيمَا ذَهَبَ  
 إِلَيْهِ وَتَعْيِينِ الْخَطَأِ مِنْ جِهَةِ مَعَاوِيَةَ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ وَخُصُوصًا طَلْحَةَ

وَالزُّبَيْرُ لِانْتِقَاضِهِمَا عَلَى عَلِيٍّ بَعْدَ الْبَيْعَةِ لَهُ فِيمَا نُقِلَ مَعَ دَفْعِ التَّائِيْمِ عَنْ كُلِّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ  
كَالشَّانِ فِي الْمُجْتَهِدِينَ وَصَارَ ذَلِكَ إِجْمَاعًا مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ الثَّانِي عَلَى أَحَدِ قَوْلِي أَهْلِ  
الْعَصْرِ الْأَوَّلِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَقَدْ سُئِلَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ قَتْلَى الْجَمَلِ وَصِفَتَيْنِ  
فَقَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَمُوتَنَّ أَحَدٌ مِنْ هَؤُلَاءِ وَقَلْبُهُ نَبِيٌّ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ يُشِيرُ إِلَى  
الْفَرِيقَيْنِ نَقْلَهُ الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُ فَلَا يَقَعَنَّ عِنْدَكَ رَبِّ فِي عَدَالَةٍ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا قَدَحٌ فِي  
شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ مَنْ عَلِمْتَ وَأَقْوَالُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ إِنَّمَا هِيَ عَنِ الْمُسْتَنْدَاتِ وَعَدَالَتِهِمْ  
مَقْرُوعٌ مِنْهَا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَّا قَوْلًا لِلْمُعْتَزِلَةِ فِيمَنْ قَاتَلَ عَلِيًّا لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ  
أَهْلِ الْحَقِّ وَلَا عَرَجَ عَلَيْهِ وَإِذَا نَظَرْتَ بَعَيْنِ الْأَنْصَارِ عَدَرْتَ النَّاسَ أَجْمَعِينَ فِي شَأْنِ  
الْإِخْتِلَافِ فِي عُثْمَانَ وَإِخْتِلَافِ الصَّحَابَةِ مِنْ بَعْدِ وَعَلِمْتَ أَنَّهَا كَانَتْ فِتْنَةً أَبْتَلَى اللَّهُ  
بِهَا الْأُمَّةَ بَيْنَمَا الْمُسْلِمُونَ قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عُدُوَّهُمْ وَمَلَكَهُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَتَزَلُّوا  
الْأَمْصَارَ عَلَى حُدُودِهِمْ بِالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَكَانَ أَكْثَرُ الْعَرَبِ الَّذِينَ  
تَزَلُّوا هَذِهِ الْأَمْصَارَ جُنَاةً لَمْ يَسْتَكْبِرُوا مِنْ صُحْبَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا  
أَرْتَضُوا بِخُلُقِهِ مَعَ مَا كَانَ فِيهِمْ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ الْخِفَاءِ وَالْعَصِيَّةِ وَالتَّفَاخُرِ وَالْبُعْدِ عَنِ  
سَكِينَةِ الْإِيمَانِ وَإِذَا بِهِمْ عِنْدَ اسْتِحْجَالِ الدَّوْلَةِ قَدْ أَصْبَحُوا فِي مَلَكَتِ الْمُهَاجِرِينَ  
وَالْأَنْصَارِ مِنْ فُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ وَنَقِيفٍ وَهَدَيْلٍ وَأَهْلِ الْحِجَازِ وَيَتْرَبِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ  
إِلَى الْإِيمَانِ فَاسْتَنْكَفُوا مِنْ ذَلِكَ وَغَضُّوا بِهِ لِمَا يَرُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ التَّقَدُّمِ بِأَنْسَابِهِمْ  
وَكَثْرَتِهِمْ وَمُصَادَمَةَ فَارِسَ وَالرُّومِ مِثْلَ قِبَائِلِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ وَعَبْدِ الْقَيْسِ بْنِ رَبِيعَةَ  
وَقِبَائِلَ كِنْدَةَ وَالْأَزْدِ مِنَ الْيَمَنِ وَتَمِيمٍ وَقَيْسٍ مِنْ مِصْرَ فَصَارُوا إِلَى الْغَضِّ مِنْ فُرَيْشٍ  
وَالْأَنْفَةِ عَلَيْهِمْ وَالتَّمْرِ يَضِي فِي طَاعَتِهِمْ وَالتَّلْعَلِ فِي ذَلِكَ بِالتَّظَلُّمِ مِنْهُمْ وَالْأَسْعَدَاءِ  
عَلَيْهِمْ وَالطَّعْنَ فِيهِمْ بِالْعِزِّ عَنِ السُّوِيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي الْقِسْمِ عَنِ السُّوِيَّةِ وَفَشَتِ الْمَقَالَةُ  
بِذَلِكَ وَانْتَهتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهُمْ مَنْ عَلِمْتَ فَأَعْظَمُوهُ وَأَبْلَغُوهُ عُثْمَانَ فَبَعَثَ إِلَى الْأَمْصَارِ  
مَنْ يَكْشِفُ لَهُ الْخَبْرَ بَعَثَ ابْنَ عُمَرَ وَمُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ وَآمِثَالَهُمْ فَلَمْ  
يُنْكِرُوا عَلَى الْأَمْرَاءِ شَيْئًا وَلَا رَأَوْا عَلَيْهِمْ طَعْنًا وَادَّوْا ذَلِكَ كَمَا عَلِمُوهُ فَلَمْ يَنْقَطِعِ  
الطَّعْنُ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَمَا زَالَتِ الشَّنَاعَاتُ تَنَمُّوْرِيْمِي الْوَالِدِ بْنِ عَقْبَةَ وَهُوَ عَلَى  
الْكُوفَةِ بِشَرْبِ الْحُمْرِ وَشَهِدَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ وَحَدَّه عُثْمَانُ وَعَزَلَهُ ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ

مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ يَسْأَلُونَ عَزْلَ الْعَمَالِ وَشَكْوَى إِلَى عَائِشَةَ وَعَلِيٍّ وَالزُّبَيْرِ وَطَلْحَةَ وَعَزَلَ  
 لَهُمْ عَثْمَانُ بَعْضَ الْعَمَالِ فَلَمْ تَنْقَطِعْ بِذَلِكَ السِّنْتُهُمْ بَلْ وَفَدَ سَعِيدُ بْنُ الْعَادِي وَهُوَ  
 عَلَى الْكُوفَةِ فَلَمَّا رَجَعَ أَعْرَضُوهُ بِالطَّرِيقِ وَرَدُّوهُ مَعْرُولًا ثُمَّ انْتَقَلَ الْخِلَافَ بَيْنَ  
 عَثْمَانَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الصَّخَابَةِ بِالْمَدِينَةِ وَتَقَمُّوا عَلَيْهِ أَمْتِنَاعَهُ مِنَ الْعَزْلِ فَابَى إِلَّا أَنْ يَكُونَ  
 عَلَى جُرْحِهِ ثُمَّ نَقَلُوا النَّكْبِيرَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفْعَالِهِ وَهُوَ مُتَمَسِّكٌ بِالْأَحْتِهَادِ وَهُمْ أَيْضًا  
 كَذَلِكَ ثُمَّ تَجَمَّعَ قَوْمٌ مِنَ الْغُرَعَاءِ وَجَاءُوا إِلَى الْمَدِينَةِ يُظْهِرُونَ طَلِبَ النَّصْنَةِ مِنْ عَثْمَانَ  
 وَهُمْ يُظْهِرُونَ خِلَافَ ذَلِكَ مِنْ قَتْلِهِ وَفِيهِمْ مِنَ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ وَمِصْرَ وَقَامَ مَعَهُمْ فِي  
 ذَلِكَ عَلِيٌّ وَعَائِشَةُ وَالزُّبَيْرُ وَطَلْحَةُ وَغَيْرُهُمْ يُحَاوِلُونَ تَسْكِينَ الْأُمُورِ وَرُجُوعَ عَثْمَانَ إِلَى  
 رَأْيِهِمْ وَعَزَلَ لَهُمْ عَامِلُ مِصْرَ فَأَنْصَرَفُوا قَلِيلًا ثُمَّ رَجَعُوا وَقَدْ لَبَسُوا بِكِتَابِ مَدْلَسٍ يَزْعُمُونَ  
 أَنَّهُمْ أَلْفُوهُ فِي يَدِ حَامِلِهِ إِلَى عَامِلِ مِصْرَ بَيِّنَاتٍ يَقْتُلُهُمْ وَحَلَفَ عَثْمَانُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالُوا هَكَذَا  
 مِنْ مَرَّوَانَ فَإِنَّهُ كَاتِبُكَ فَخَافَ مَرَّوَانَ فَقَالَ لَيْسَ فِي الْحُكْمِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا فَحَاصِرُوهُ  
 بِدَارِهِ ثُمَّ بَيَّتُوهُ عَلَى حِينِ غَمَلِهِ مِنَ النَّاسِ وَقَتَلُوهُ وَأَنْفَتَحَ بَابُ الْفِتْنَةِ فَاجْتَلَى مِنْ هَوْلِهَا  
 عُدْرٌ فِيمَا وَقَعَ وَكَلْبُهُمْ كَانُوا مُتَمَحِّينَ بِأَمْرِ الدِّينِ وَلَا يُضِعُونَ شَيْئًا مِنْ تَعَالِقَاتِهِ ثُمَّ نَظَرُوا  
 بَعْدَ هَذَا الْوَأَقِيعِ وَأَجْتَهَدُوا وَاللَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَى أَحْوَالِهِمْ وَعَالِمٌ بِهِمْ وَتَحْنُ لَا نَظْنَ بِهِمْ إِلَّا  
 خَيْرًا لِمَا شَهِدَتْ بِهِ أَحْوَالُهُمْ وَمَقَالَاتُ الصَّادِقِ فِيهِمْ وَأَمَّا الْحُسَيْنُ فَإِنَّهُ لَمَّا ظَهَرَ فَسَقُ  
 يَزِيدٌ عِنْدَ الْكَافَّةِ مِنَ أَهْلِ عَصْرِهِ بَعَثَتْ شَيْعَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ بِالْكُوفَةِ لِلْحُسَيْنِ أَنْ  
 يَأْتِيَهُمْ فَيَقُومُوا بِأَمْرِهِ فَرَأَى الْحُسَيْنُ أَنَّ الْخُرُوجَ عَلَى يَزِيدٍ مُتَعِينٌ مِنْ أَجْلِ فَسَقِهِ لَا  
 سِيَّمَا مِنْ لَهْ الْقُدْرَةِ عَلَى ذَلِكَ وَظَنَهَا مِنْ نَفْسِهِ بِأَهْلِيَّتِهِ وَشَوْكَتِهِ فَأَمَّا الْأَهْلِيَّةُ فَكَانَتْ  
 كَمَا ظَنَّ وَرِ يَادَةً وَأَمَّا الشُّوْكَةُ فَنَظَرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ فِيهَا لِأَنَّ عَصِيَّةَ مِصْرَ كَانَتْ فِي فُرَيْشٍ  
 وَعَصِيَّةَ عَبْدِ مَنْأَفٍ إِنَّمَا كَانَتْ فِي بَنِي أُمَيَّةَ تَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُمْ فُرَيْشٌ وَسَائِرُ النَّاسِ وَلَا  
 يُنْكُرُونَهُ وَإِنَّمَا نَسِيَ ذَلِكَ أَوَّلَ الْأِسْلَامِ لِمَا شَعَلَ النَّاسُ مِنَ الدُّهُولِ بِالْخَوَارِقِ  
 وَأَمْرُ الْوَحْيِ وَتَرَدَّدَ الْمَلَائِكَةُ لِنُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ فَأَغْلَبُوا أُمُورَ عَوَائِدِهِمْ وَذَهَبَتْ  
 عَصِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَنَارِعُهَا وَنَسِيَتْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْعَصِيَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ فِي الْحِمَايَةِ وَالِدِّ فَاع  
 يُنْتَفَعُ بِهَا فِي إِقَامَةِ الدِّينِ وَجِهَادِ الْمُشْرِكِينَ وَالِدِّينِ فِيهَا مُحْكَمٌ وَالْعَادَةُ مَعْرُولَةٌ  
 حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أَمْرُ النُّبُوَّةِ وَالْخَوَارِقِ الْمَهْوَلَةِ تَرَاجَعَ الْحُكْمُ بَعْضُ الشَّيْءِ لِلْعَوَائِدِ

فَعَادَتِ الْعَصِيَّةُ كَمَا كَانَتْ وَلَمِنْ كَانَتْ وَأَصْبَحَتْ مُضْرَّ أَطْوَعَ لِيَبِي أُمِيَّةَ مِنْ سِوَاهُمْ  
 بِمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ قَبْلَ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ غَلَطُ الْحُسَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ فِي أَمْرِ دُنْيَوِيٍّ لَا يَضُرُّهُ  
 الْغَلَطُ فِيهِ وَأَمَّا الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ فَلَمْ يَغْلَطْ فِيهِ لِأَنَّهُ مَنُوطٌ بِظَنِّهِ وَكَانَ ظَنُّهُ الْقُدْرَةَ عَلَى  
 ذَلِكَ وَلَقَدْ عَدَلَهُ ابْنُ الْعَبَّاسِ وَابْنُ الزُّبَيْرِ وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ الْحَنْفِيَّةِ آخِرُهُ وَغَيْرُهُ  
 فِي مَسِيرِهِ إِلَى الْكُوفَةِ وَعَلِمُوا غَلَطَهُ فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَرْجِعْ عَمَّا هُوَ بِسَبِيلِهِ لِمَا أَرَادَهُ  
 اللَّهُ وَأَمَّا غَيْرُ الْحُسَيْنِ مِنَ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْحِجَازِ وَمَعَ يَزِيدَ بِالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمِنْ  
 التَّابِعِينَ لَهُمْ فَرَأَوْا أَنَّ الْخُرُوجَ عَلَى يَزِيدَ وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَجُوزُ لِمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ  
 الْهَرْجِ وَالِدِمَاءِ فَأَقْصَرُوا عَنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَتَابِعُوا الْحُسَيْنَ وَلَا أَنْكَرُوا عَلَيْهِ وَلَا أَتَمُّوهُ  
 لِأَنَّهُ مُجْتَهِدٌ وَهُوَ أَسْوَةٌ الْمُجْتَهِدِينَ وَلَا يَذْهَبُ بِكَ الْغَلَطُ أَنْ تَقُولَ بِتَأْتِيمٍ هُوَ لَا بِمُخَالَفَةٍ  
 الْحُسَيْنِ وَقُعُودِهِمْ عَنْ نَصْرِهِ فَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ الصَّحَابَةِ وَكَانُوا مَعَ يَزِيدَ وَلَمْ يَرَوْا الْخُرُوجَ  
 عَلَيْهِ وَكَانَ الْحُسَيْنُ يُسْتَشْهِدُ بِهِمْ وَهُوَ بِكَرْبَلَاءَ عَلَى فَضْلِهِ وَحَقِّهِ وَيَقُولُ سَلُوا جَابِرَ بْنَ  
 عَبْدِ اللَّهِ وَابَا سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ وَأَسْبَ بْنَ مَالِكٍ وَسَهْلَ بْنَ سَعِيدٍ وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ وَأَمْثَالَهُمْ  
 وَلَمْ يُنْكَرْ عَلَيْهِمْ قُعُودُهُمْ عَنْ نَصْرِهِ وَلَا تَعَرَّضَ لِذَلِكَ لِعَلِمِهِ أَنَّهُ عَنِ اجْتِهَادٍ وَإِنْ  
 كَانَ هُوَ عَلَى اجْتِهَادٍ وَيَكُونُ ذَلِكَ كَمَا يُحَدِّثُ الشَّافِعِيُّ وَالْمَالِكِيُّ وَالْحَنْفِيُّ عَلَى شُرْبِ  
 النَّبِيذِ وَأَعْلَمَ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَقِتَالَهُ لَمْ يَكُنْ عَنِ اجْتِهَادٍ هُوَ لِأَنَّ كَانَ خِلَافَهُ  
 عَنِ اجْتِهَادِهِمْ وَإِنَّمَا اتَّفَقَ بِقِتَالِهِ يَزِيدَ وَأَصْحَابَهُ وَلَا تَقُولَنَّ إِنَّ يَزِيدَ وَإِنْ كَانَ فَاسِقًا  
 وَلَمْ يَجِزْ هُوَ لِأَنَّ الْخُرُوجَ عَلَيْهِ فَأَفْعَالُهُ عِنْدَهُمْ صَحِيحَةٌ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا يَنْفَعُ مِنْ أَعْمَالِ  
 الْفَاسِقِ مَا كَانَ مَشْرُوعًا وَقِتَالُ الْبُغَاةِ عِنْدَهُمْ مِنْ شَرَطِهِ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْإِمَامِ الْعَادِلِ  
 وَهُوَ مَفْقُودٌ فِي مَسْأَلَتِنَا فَلَا يَجُوزُ قِتَالُ الْحُسَيْنِ مَعَ يَزِيدَ وَلَا لِيَزِيدَ بَلْ هِيَ مِنْ فِعْلَاتِهِ  
 الْمَوْكِدَةِ لِنَفْسِهِ وَالْحُسَيْنِ فِيهَا شَهِيدٌ مُثَابٌ وَهُوَ عَلَى حَقٍّ وَاجْتِهَادٍ وَالصَّحَابَةُ الَّذِينَ  
 كَانُوا مَعَ يَزِيدَ عَلَى حَقٍّ أَيْضًا وَاجْتِهَادٍ وَقَدْ غَلَطَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ الْمَالِكِيُّ  
 فِي هَذَا فَقَالَ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِالْعَوَاصِمِ وَالْقَوَاصِمِ مَا مَعْنَاهُ . إِنَّ الْحُسَيْنَ قَتَلَ  
 بِشَرِّعِ جَدِّهِ وَهُوَ غَلَطٌ حَمَلَتْهُ عَلَيْهِ الْعَقْلَةُ عَنْ اشْتِرَاطِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ وَمَنْ أَعْدَلَ مِنْ  
 الْحُسَيْنِ فِي زَمَانِهِ فِي إِمَامَتِهِ وَعَدَالَتِهِ فِي قِتَالِ أَهْلِ الْأَرَاءِ وَأَمَّا ابْنُ الزُّبَيْرِ فَإِنَّهُ رَأَى  
 فِي مَنَامِهِ مَا رَأَاهُ الْحُسَيْنُ وَظَنَّ كَمَا ظَنَّ وَعَلَطَهُ فِي أَمْرِ الشُّوَكَةِ أَعْظَمَ لِأَنَّ بَنِي أَسَدٍ

لَا يَقَاوِمُونَ بَنِي أُمِيَّةَ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ وَالْقَوْلُ بِتَعْيِينِ الْخَطَاءِ فِي جِهَةِ مَعَاوِيَةَ مَعَ عَلِيٍّ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ لِأَنَّ الْأَجْمَاعَ هُنَالِكَ قَضَىٰ لَنَا بِهِ وَلَمْ يُجِدْهُ هَاهُنَا. وَأَمَّا يَزِيدٌ فَتَعْيِينُ خَطَاؤُهُ فَسَفَهُهُ وَعَبْدُ الْمَلِكِ صَاحِبُ ابْنِ الزُّبَيْرِ أَعْظَمُ النَّاسِ عَدَالَةً وَنَاهِيكَ بَعْدَ اللَّهِ أَحْتِجَاجُ مَالِكٍ بِفِعْلِهِ وَعُدُولُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ إِلَىٰ يَتَّبِعُهُ عَنِ ابْنِ الزُّبَيْرِ لَمْ تَتَعَقَّدْ لِأَنَّهُ لَمْ يَخْضَرْهَا أَهْلُ الْعُقَدِ وَالْحَلُّ كَبِيْعُهُ مَرْوَانَ وَابْنَ الزُّبَيْرِ عَلَيَّ خِلَافَ ذَلِكَ وَالْكُلُّ مُجْتَمِدُونَ مَحْمُولُونَ عَلَىٰ الْحَقِّ فِي الظَّاهِرِ وَإِنْ لَمْ يَتَّعَيَّنْ فِي جِهَةِ مِنْهُمَا وَالْقَتْلُ الَّذِي نَزَلَ بِهِ بَعْدَ تَقْرِيرِ مَا فَرَّرْنَاهُ يُعَيَّنُ عَلَىٰ قَوَاعِدِ النِّقْهِ وَقَوَائِنِهِ مَعَ أَنَّهُ شَهِيدٌ مُثَابٌ بِأَعْتِبَارِ قَصْدِهِ وَتَجَرُّبِهِ الْحَقُّ هَذَا هُوَ الَّذِي يَتَّبِعِي أَنْ تُحْمَلَ عَلَيْهِ أفعالُ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فَهُمْ خِيَارُ الْأُمَّةِ وَإِذَا جَعَلْنَاهُمْ عُرْضَةً لِلْقُدْحِ فَمَنْ الَّذِي يُخْتَصُّ بِالْعَدَالَةِ وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ثُمَّ يَفْشُوا الْكُذِبَ لِيُجْعَلَ الْخَبْرَةُ وَهِيَ الْعَدَالَةُ مُخْتَصَّةٌ بِالْقَرْنِ الْأَوَّلِ وَالَّذِي يَلِيهِ فَإِيَّاكَ أَنْ تَعُودَ نَفْسَكَ أَوْ لِسَانَكَ التَّعْرُضَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ وَلَا يُشَوِّشُ قَلْبَكَ بِالرَّبِّ فِي شَيْءٍ مِمَّا وَقَعَ مِنْهُمْ وَالتَّمَسُّ لَهُمْ مَذَاهِبَ الْحَقِّ وَطُرُقَهُ مَا اسْتَطَعَتْ فَهُمْ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِذَلِكَ وَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا عَنِ بَيْنَةٍ وَمَا قَاتَلُوا أَوْ قَاتَلُوا إِلَّا فِي سَبِيلِ جِهَادٍ أَوْ إِظْهَارِ حَقٍّ وَاعْتَقَدَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ اخْتِلَافَهُمْ رَحْمَةٌ لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ الْأُمَّةِ لِيُقْتَدِيَ كُلُّ وَاحِدٍ بِمَنْ يُخْتَارُهُ مِنْهُمْ وَيَجْعَلُهُ إِمَامَةً وَهَادِيَةً وَدَلِيلَةً فَافْتَمَرُوا ذَلِكَ وَتَبَيَّنَ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَأَكْوَانِهِ وَأَعْلَمَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَإِلَيْهِ الْمَلْجَأُ وَالْمَصِيرُ وَاللَّهُ تَعَالَىٰ أَعْلَمُ

## الفصل الحادي والثلاثون

### في الخطط الدينية الخلافية

لَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّ حَقِيقَةَ الْخِلَافَةِ نِيَابَةٌ عَنِ صَاحِبِ الشَّرْعِ فِي حِفْظِ الدِّينِ وَسِيَاسَةِ الدُّنْيَا فَصَاحِبُ الشَّرْعِ مُتَصَرِّفٌ فِي الْأَمْرَيْنِ أَمَّا فِي الدِّينِ فَيَمْتَقِضِي التَّكْلِيفَ الشَّرْعِيَّةَ الَّذِي هُوَ مَا مَوْزُوتٌ بِتَبْلِيغِهَا وَحَمَلِ النَّاسِ عَلَيْهَا وَأَمَّا سِيَاسَةُ الدُّنْيَا فَيَمْتَقِضِي رِعَايَةَ الْمَصَالِحِهِمْ فِي الْعُمْرَانِ الْبَشَرِيِّ وَقَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا الْعُمْرَانَ ضَرْوَرِيٌّ لِلْبَشَرِ وَأَنَّ رِعَايَةَ مَصَالِحِهِ كَذَلِكَ لئَلَّا يَفْسُدَ إِنْ أَهْمَلَتْ وَقَدَّمْنَا أَنَّ الْمَلِكَ وَسَطْوَتَهُ كَافٍ فِي حُصُولِ هَذِهِ الْمَصَالِحِ نَعْمَ إِنَّمَا تَكُونُ أَكْمَلَ إِذَا كَانَتْ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِهَذِهِ

الْمَصَالِحُ فَقَدْ صَارَ الْمَلِكُ يَنْدَرُجُ تَحْتَ الْخِلَافَةِ إِذَا كَانَ إِسْلَامِيًّا وَيَكُونُ مِنْ تَوَابِعِهَا  
 وَقَدْ يَنْفَرِدُ إِذَا كَانَ فِي غَيْرِ الْمِلَّةِ وَلَهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ مَرَاتِبُ خَادِمَةٍ وَوِظَائِفُ تَابِعَةٍ  
 تُتَعَيَّنُ خَطَطًا وَتَنْوَرُغُ عَلَى رِجَالِ الدَّوْلَةِ وَظَائِفُ فَيَقُومُ كُلُّ وَاحِدٍ بِوِظَافَتِهِ حَسَبَ مَا يَعْنِيهِ  
 الْمَلِكُ الَّذِي تَكُونُ يَدُهُ عَالِيَةً عَلَيْهِمْ فَيَتِمُّ بِذَلِكَ أَمْرُهُ وَيَحْسُنُ قِيَامُهُ بِسُلْطَانِهِ وَأَمَّا  
 الْمَنْصِبُ الْخِلَافِيُّ وَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ يَنْدَرُجُ تَحْتَهُ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فَتَنْصَرِفُهُ  
 الدِّيْنِي يَخْتَصُّ بِمَخْطُطٍ وَمَرَاتِبٍ لَا تُعْرَفُ إِلَّا لِلْخُلَفَاءِ الْإِسْلَامِيِّينَ فَلَمَّا كُرِيَ الْآنَ الْخَطَطُ  
 الدِّيْنِيَّةَ الْمُخْتَصَّةَ بِالْخِلَافَةِ وَتَرْجِعُ إِلَى الْخَطَطِ الْمَلُوكِيَّةِ السُّلْطَانِيَّةِ فَاعْلَمْ أَنَّ الْخَطَطَ  
 الدِّيْنِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالْفَتْيَا وَالْقَضَاءِ وَالْجِهَادِ وَالْحِسْبَةِ كُلِّهَا مُنْدرَجَةٌ تَحْتَ  
 الْإِمَامَةِ الْكُبْرَى الَّتِي هِيَ الْخِلَافَةُ فَكَانَتْهَا الْإِمَامَةُ الْكُبْرَى وَالْأَصْلُ الْجَامِعُ وَهَذِهِ  
 كُلُّهَا مُتَفَرِّعَةٌ عَنْهَا وَدَاخِلَةٌ فِيهَا الْعُمُومُ نَظَرُ الْخِلَافَةِ وَتَنْصَرِفُ فِيهَا فِي سَائِرِ أَحْوَالِ الْمِلَّةِ  
 الدِّيْنِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ وَتَنْفِيذُ أَحْكَامِ الشَّرْعِ فِيهَا عَلَى الْعُمُومِ فَأَمَّا إِمَامَةُ الصَّلَاةِ فَهِيَ أَرْفَعُ  
 هَذِهِ الْخَطَطُ كُلُّهَا وَأَرْفَعُ مِنَ الْمَلِكِ بِخُصُوصِهِ الْمُنْدرَجِ مَعَهَا تَحْتَ الْخِلَافَةِ وَلَقَدْ  
 يَشْهَدُ لِذَلِكَ اسْتِدْلَالُ الصَّحَابَةِ فِي شَأْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِاسْتِخْلَافِهِ فِي  
 الصَّلَاةِ عَلَى اسْتِخْلَافِهِ فِي السِّيَاسَةِ فِي قَوْلِهِمْ ارْتَضَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لِدِينِنَا أَفَلَا نَرْضَاهُ لِدِينَانَا قُلُوبَنَا أَنْ الصَّلَاةَ أَرْفَعُ مِنَ السِّيَاسَةِ لِمَا صَحَّ الْقِيَاسُ وَإِذَا  
 ثَبَتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّ الْمَسَاجِدَ فِي الْمَدِينَةِ صِنْفَانِ مَسَاجِدٍ عَظِيمَةٍ كَثِيرَةٌ الْغَاشِيَةُ  
 مَعْدَةٌ لِلصَّلَوَاتِ الْمَشْهُودَةِ وَأُخْرَى دُونَهَا مُخْتَصَّةٌ بِقَوْمٍ أَوْ مَحَلَّةٍ وَليْسَتْ لِلصَّلَوَاتِ  
 الْعَامَّةِ فَأَمَّا الْمَسَاجِدُ الْعَظِيمَةُ فَأَمْرُهَا رَاجِعٌ إِلَى الْخَلِيفَةِ أَوْ مَنْ يُفَوِّضُ إِلَيْهِ  
 مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ مِنْ وَزِيرٍ أَوْ قَاضٍ فَيَنْصِبُ لَهَا الْإِمَامَ فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ  
 وَالْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَالْحُسُوفَيْنِ وَالْأَسْتِسْقَاءِ وَتَعَيَّنَ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ طَرِيقِ  
 الْأَوَّلِيِّ وَالْإِسْتِحْسَانِ وَلِئَلَّا يَنْتَابَ الرَّعَايَا عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنَ النَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ  
 وَقَدْ يَقُولُ بِالْوُجُوبِ فِي ذَلِكَ مَنْ يَقُولُ بِوُجُوبِ إِقَامَةِ الْجُمُعَةِ فَيَكُونُ نَصْبُ الْإِمَامِ  
 لَهَا عِنْدَهُ وَاجِبًا وَأَمَّا الْمَسَاجِدُ الْمُخْتَصَّةُ بِقَوْمٍ أَوْ مَحَلَّةٍ فَأَمْرُهَا رَاجِعٌ إِلَى الْخَلِيفَةِ  
 وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرِ خَلِيفَةٍ وَلَا سُلْطَانٍ وَأَحْكَامُ هَذِهِ الْوِلَايَةِ وَشُرُوطُهَا وَالْمَوْلى فِيهَا  
 مَعْرُوفَةٌ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ وَمَبْسُوطَةٌ فِي كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ لِلْمَآوَرِدِيِّ وَغَيْرِهِ

فَلَا نَطُولُ بِذِكْرِهَا وَقَدْ كَانَ الْخُلَفَاءُ الْأَوَّلُونَ لَا يَقْلُدُونَهَا غَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ وَأَنْظُرُ  
مَنْ طَعَنَ مِنَ الْخُلَفَاءِ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْأَذَانِ بِالصَّلَاةِ وَتَرَصَّدَهُمْ لِدَلِكِ فِي أَوْقَاتِهَا  
يَشْهَدُ لَكَ ذَلِكَ بِمِشَارَتِهِمْ أَبَاهُمْ وَأَنْهُمْ لَمْ يَكُونُوا مُسْتَخْلَفِينَ فِيهَا وَكَذَا كَانَ رِجَالُ  
الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ اسْتَمْتَرُوا بِهَا وَاسْتَعْظَمُوا لِتَبْتِهَا يُحْكِي عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ  
أَنَّهُ قَالَ لِحَاجِبِهِ قَدْ جَعَلْتُ لَكَ حِجَابَةً يَا بِي الْأَعْنُ ثَلَاثَةٌ صَاحِبُ الطَّعَامِ فَإِنَّهُ يَفْسُدُ  
بِالتَّأخِيرِ وَالْأَذَانُ بِالصَّلَاةِ فَإِنَّهُ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ وَالْبَرِيدُ فَإِنَّ فِي تَأْخِيرِهِ فَسَادَ الْقَاصِيَةِ  
فَلَمَّا جَاءَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَعَوَارِضُهُ مِنَ الْغُلْظَةِ وَالتَّرَفُّعِ عَنْ مُسَاوَاةِ النَّاسِ فِي دِينِهِمْ  
وَدُنْيَاهُمْ اسْتَنَابُوا فِي الصَّلَاةِ فَكَانُوا يَسْتَأْثِرُونَ بِهَا فِي الْأَحْيَانِ وَفِي الصَّلَوَاتِ الْعَامَّةِ  
كَالْعِيدِينَ وَالْجُمُعَةِ إِشَارَةً وَتَنَوُّبًا فَعَلَّ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَالْعَبِيدِيِّينَ  
صَدَرَتْ دَوْلَتُهُمْ وَأَمَّا الْفُتْيَا فَلِخَلِيفَةِ تَصَفَّحَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالتَّدْرِيسُ وَرَدَّ الْفُتْيَا إِلَى مَنْ  
هُوَ أَهْلُ لَهَا وَإِعَانَتُهُ عَلَى ذَلِكَ وَمَنْعُ مَنْ لَيْسَ أَهْلًا لَهَا وَزَجْرُهُ لِأَنَّهَا مِنْ مَصَالِحِ  
الْمُسْلِمِينَ فِي أَدْيَانِهِمْ فَتَجَبَّ عَلَيْهِ مُرَاعَاتُهَا لئَلَّا يَتَعَرَّضَ لِذَلِكَ مَنْ لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ فَيُضِلَّ  
النَّاسَ وَالتَّمْدِيرُ مِنَ الْإِتْنَابِ لِتَعْلِيمِ الْعِلْمِ وَبَثِّهِ وَالْجُلُوسُ لِلذِّكْرِ فِي الْمَسَاجِدِ فَإِنْ كَانَتْ  
مِنَ الْمَسَاجِدِ الْعِظَامِ الَّتِي لِلسُّلْطَانِ أَوْلَايَةٌ عَلَيْهَا وَالنَّظَرُ فِي أَيْمَتِهَا كَمَا مَرَّ فَلَا بُدَّ مِنْ  
اسْتِئْذَانِهِ فِي ذَلِكَ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ مَسَاجِدِ الْعَامَّةِ فَلَا يَتَوَقَّفُ ذَلِكَ عَلَى إِذْنِ عَلَى أَنَّهُ  
يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَكْلٌ أَحَدٍ مِنَ الْمُفْتِينَ وَالتَّمْدِيرِ سِينَ زَاجِرٌ مِنْ نَفْسِهِ يَمْنَعُهُ عَنِ  
التَّصَدِّي لِمَا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ فَيُضِلُّ بِهِ الْمُسْتَهْدِي وَيُضِلُّ بِهِ الْمَسْتَرْشِدُ وَفِي الْأَثَرِ  
أَجْرًا كُمْ عَلَى الْفُتْيَا أَجْرًا كُمْ عَلَى جَرَائِمِهِمْ جَهَنَّمَ فَلِلسُّلْطَانِ فِيهِمْ لِذَلِكَ مِنَ النَّظَرِ  
مَا تَوَجَّبُهُ الْمَصْلَحَةُ مِنْ إِجَازَةٍ أَوْرَدَتْ وَأَمَّا الْقَضَاءُ فَهُوَ مِنَ الْوُظَائِفِ الدَّاخِلَةِ تَحْتَ  
الْخِلَافَةِ لِأَنَّهُ مَنْصِبُ الْفَضْلِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْخُصُومَاتِ حَسْمًا لِلدَّعَايِ وَقَطْعًا لِلتَّنَازُعِ إِلَّا  
أَنَّهُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الْمُتَقَاتَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ فَكَانَ لِذَلِكَ مِنْ وُظَائِفِ  
الْخِلَافَةِ وَمَنْدَرَجًا فِي عُمُومِهَا وَكَانَ الْخُلَفَاءُ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ يُبَاشِرُونَهُ بِأَنْفُسِهِمْ وَلَا  
يَجْعَلُونَ الْقَضَاءَ إِلَى مَنْ سِوَاهُمْ وَأَوَّلُ مَنْ دَفَعَهُ إِلَى غَيْرِهِ وَفَوَّضَهُ فِيهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ فَوَلَّى أَبَا الدَّرْدَاءِ مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ وَوَلَّى شَرِيحًا بِالْبَصْرَةِ وَوَلَّى أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ  
بِالْكُوفَةِ وَكُتِبَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ الْمَشْهُورِ الَّذِي تَدَوَّرَ عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْقَضَاءِ

وَهِيَ مُسْتَوْفَاةٌ فِيهِ يَقُولُ أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْقَضَاءَ فَرِيضَةٌ مُحْكَمَةٌ وَسَنَةٌ مُتَّبَعَةٌ فَأَقْبَهُمْ  
 إِذَا دَلِّيَ إِلَيْكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُ تَكْلُمٌ بِحَقِّي لَا نَفَاذَ لَهُ وَأَسْ بَيْنَ النَّاسِ فِي وَجْهِكَ وَتَجَلْسِكَ  
 وَعَدْلِكَ حَتَّى لَا يَطْمَعَ شَرِيْفٌ فِي حَيْفِكَ وَلَا يِيَّاسٌ ضَعِيفٌ مِنْ عَدْلِكَ أَلْبَيْتَةُ عَلِيٍّ مِنْ  
 أَدْعَى وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ وَأَصْلُحُ جَائِزٌ بِنِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا صُلْحًا أَحْلَ حَرَامًا أَوْ  
 حَرَمَ حَلَالًا وَلَا يَمْنَعُكَ قَضَاءُ قَضِيَّتِهِ أَمْسِ فَرَاجَعْتَ الْيَوْمَ فِيهِ عَقْلَكَ وَهَدَيْتَ فِيهِ  
 لِرُسْدِكَ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ وَمُرْاجَعَةُ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي  
 الْبَاطِلِ أَنَّهُمْ فِيمَا يَتَلَجَّجُ فِي صَدْرِكَ بِمَا لَيْسَ فِي كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ ثُمَّ أَعْرَفَ الْأَمْثَالَ  
 وَالْأَشْبَاهَ وَقَسَّ الْأُمُورَ بِنِظَائِرِهَا وَأَجْعَلَ لِمَنْ أَدْعَى حَقًّا غَايِبًا أَوْ بَيْنَهُ أَمَدًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ  
 فَإِنَّ أَحْضَرَ بَيْنَتَهُ أَخَذَتْ لَهُ بِحَقِّهِ وَإِلَّا اسْتَحْلَلْتَ الْقَضَاءَ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْفَى لِلشَّكِّ  
 وَأَجْلَى لِلْعَمَى. الْمُسْلِمُونَ عُدُولٌ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا بِمَجْلُودٍ فِي حَلٍّ أَوْ مُجْرَى عَلَيْهِ  
 شَهَادَةٌ زُورٌ أَوْ ظَلَمٌ فِي نَسَبٍ أَوْ وِلَايَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ عَمَّا عَنِ الْإِيمَانِ وَدَرَأَ  
 بِالْبَيِّنَاتِ وَإِيَّاكَ وَالْقَلَقِ وَالضَّجْرِ وَالتَّأْفُفِ بِالْخُصُومِ فَإِنَّ اسْتِقْرَارَ الْحَقِّ فِي مَوَاطِنِ  
 الْحَقِّ يَعْظُمُ اللَّهُ بِهِ الْأَجْرَ وَيُحْسِنُ بِهِ الذِّكْرَ وَالسَّلَامَ. انْتَهَى كِتَابُ عُمَرَ وَإِنَّمَا  
 كَانُوا يُقْلِدُونَ الْقَضَاءَ لِغَيْرِهِمْ وَإِنْ كَانَ مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِهِمْ لِقِيَامِهِمْ بِالسِّيَاسَةِ الْعَامَّةِ وَكَثْرَةِ  
 اشْغَالِهَا مِنَ الْجِهَادِ وَالتُّوْحَاتِ وَسَدِّ الثُّغُورِ وَحِمَايَةِ الْبَيْضَةِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِمَّا يَقُومُ بِهِ  
 غَيْرُهُمْ لِعِظَمِ الْعِنَايَةِ فَاسْتَحَقُّوا الْقَضَاءَ فِي الْوَاقِعَاتِ بَيْنَ النَّاسِ وَأَسْتَخْلَفُوا فِيهِ مَنْ يَقُومُ  
 بِهِ تَخْفِيفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَكَانُوا مَعَ ذَلِكَ إِنَّمَا يُقْلِدُونَهُ أَهْلَ عَصَبَتِهِمْ بِالنَّسَبِ أَوْ الْوِلَايَةِ  
 وَلَا يُقْلِدُونَهُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ فِي ذَلِكَ وَأَمَّا أَحْكَامُ هَذَا الْمَنْصَبِ وَشُرُوطُهُ فَمَعْرُوفَةٌ  
 فِي كُتُبِ الْفَنِّ وَخُصُوصًا كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ إِلَّا أَنَّ الْقَاضِيَّ إِنَّمَا كَانَ لَهُ  
 فِي عَصْرِ الْخُلَفَاءِ الْفُصْلُ بَيْنَ الْخُصُومِ فَقَطْ ثُمَّ دُرِفَ لَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أُمُورٌ أُخْرَى عَلَى  
 التَّدْرِيجِ بِحَسَبِ اشْتِغَالِ الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ بِالسِّيَاسَةِ الْكُبْرَى وَأَسْنَقَرَّ مَنْصَبُ الْقَضَاءِ  
 آخِرَ الْأَمْرِ عَلَى أَنَّهُ يَجْمَعُ مَعَ الْفُصْلِ بَيْنَ الْخُصُومِ أَسْتِيفَاءَ بَعْضِ الْحُقُوقِ الْعَامَّةِ  
 لِلْمُسْلِمِينَ بِالنَّظَرِ فِي أَمْوَالِ الْمَحْجُورِ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَجَانِبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمُفْلِسِينَ وَأَهْلِ  
 السَّفْهِ وَفِي وِصَايَا الْمُسْلِمِينَ وَأَوْقَافِهِمْ وَتَرْوِيجِ الْأَيَامِي عِنْدَ فَقْدِ الْأَوْلِيَاءِ عَلَى رَأْيٍ مِنْ  
 رَأَاهُ وَالنَّظَرِ فِي مَصَالِحِ الطَّرْفَاتِ وَالْأَبْنِيَةِ وَتَصْفُحِ الشُّهُودِ وَالْأَمْنَاءِ وَالنُّوَابِ وَأَسْتِيفَاءِ

الْعِلْمَ وَالْخُبْرَةَ فِيهِمْ بِالْعَدَالَةِ وَالْجَرَحِ لِيَحْضَلَ لَهُ الْوُثُوقُ بِهِمْ وَصَارَتْ هَذِهِ كُلُّهَا  
 مِنْ تَعْلَقَاتِ وَظَيْفَتِهِ وَتَوَابِعِ وَلَايَتِهِ وَقَدْ كَانَ الْخُلَفَاءُ مِنْ قَبْلِ يَجْعَلُونَ لِلْقَاضِيِ النَّظَرَ  
 فِي الْمَظَالِمِ وَهِيَ وَظَيْفَةٌ مُمْتَزِجَةٌ مِنْ سَطْوَةِ السَّلْطَنَةِ وَنِصْفَةِ الْقَضَاءِ وَتَحْتَاجُ إِلَى عُلُوِّ  
 يَدٍ وَعَظِيمِ رَهْبَةٍ نَفَمَعَ الظَّالِمِ مِنَ الْخُضَمِينَ وَتَزَجُرُ الْمُتَعَدِّيَّ وَكَانَهُ يُضَيُّ مَا عَجَزَ  
 الْقَضَاءُ أَوْ غَيْرُهُمْ عَنْ إِمضَائِهِ وَيَكُونُ نَظَرُهُ فِي الْبَيِّنَاتِ وَالنَّقِيرِ وَأَعْتَادِ الْأَمَارَاتِ  
 وَالْقَرَائِنِ وَتَأْخِيرِ الْحُكْمِ إِلَى اسْتِجْلَاءِ الْحَقِّ وَحَمْلِ الْخُضَمِينَ عَلَى الصَّلْحِ وَاسْتِحْلَافِ  
 الشُّهُودِ وَذَلِكَ أَوْسَعُ مِنْ نَظَرِ الْقَاضِيِ \* وَكَانَ الْخُلَفَاءُ الْأَوَّلُونَ يَبْأِشِرُونَهَا بِأَنْفُسِهِمْ  
 إِلَى أَيَّامِ الْمُهْتَدِيِّ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ وَرُبَّمَا كَانُوا يَجْعَلُونَهَا لِقَضَائِهِمْ كَمَا فَعَلَ عُمَرُ رَضِيَ  
 اللَّهُ عَنْهُ مَعَ قَاضِيهِ أَبِي أَدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ وَكَمَا فَعَلَهُ الْمَأْمُونُ يُعْيِي بِنِ أَكْثَمَ  
 وَالْمُعْتَصِمُ لِأَحْمَدَ بْنَ أَبِي دَاوُدَ وَرُبَّمَا كَانُوا يَجْعَلُونَ الْقَاضِيَّ قِيَادَةَ الْجِهَادِ فِي عَسَاكِرِ  
 الطَّوَائِفِ وَكَانَ يُعْيِي بِنِ أَكْثَمَ يَخْرُجُ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ بِالطَّائِفَةِ إِلَى أَرْضِ الرُّومِ  
 وَكَذَا مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ قَاضِيِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ فَكَانَتْ تَوَلِيَّةُ  
 هَذِهِ الطَّوَائِفِ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْخُلَفَاءِ أَوْ مَنْ يَجْعَلُونَ ذَلِكَ لَهُ مِنْ وَزِيرٍ مَفُوضٍ أَوْ  
 سُلْطَانٍ مُتَعَلِّبٍ وَكَانَ أَيْضًا النَّظَرُ فِي الْجَرَائِمِ وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ فِي الدُّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ  
 وَالْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَالْعَبِيدِيِّينَ بِمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ رَاجِعًا إِلَى صَاحِبِ الشَّرْطَةِ وَهِيَ  
 وَظَيْفَةٌ أُخْرَى دِينِيَّةٌ كَانَتْ مِنَ الطَّوَائِفِ الشَّرْعِيَّةِ فِي تِلْكَ الدُّوَلِ تَوْسَعُ النَّظَرَ فِيهَا عَنْ  
 أَحْكَامِ الْقَضَاءِ قَلِيلًا فَيَجْعَلُ لِلتُّهْمَةِ فِي الْحُكْمِ تَجَالًا وَيَفْرِضُ الْعُقُوبَاتِ الزَّاجِرَةَ قَبْلَ  
 ثُبُوتِ الْجَرَائِمِ وَيُقِيمُ الْحُدُودَ الثَّابِتَةَ فِي مَحَالِّهَا وَيَحْكُمُ فِي الْقَوَدِ وَالْقِصَاصِ وَيُقِيمُ  
 التَّعْزِيزَ وَالتَّأْدِيبَ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَنْتَهَ عَنِ الْجَرِيْمَةِ ثُمَّ تُنَوِّسِي شَأْنِ هَاتَيْنِ الطَّوَائِفَيْنِ  
 فِي الدُّوَلِ الَّتِي تُنَوِّسِي فِيهَا أَمْرَ الْخِلَافَةِ فَصَارَ أَمْرُ الْمَظَالِمِ رَاجِعًا إِلَى السُّلْطَانِ كَمَا  
 لَهُ تَفْوِضُ مِنَ الْخَلِيفَةِ أَوْ لَمْ يَكُنْ وَأَنْقَسَمَتِ وَظَيْفَةُ الشَّرْطَةِ قِسْمَيْنِ مِنْهَا  
 وَظَيْفَةُ التُّهْمَةِ عَلَى الْجَرَائِمِ وَإِقَامَةُ حُدُودِهَا وَمُبَاشَرَةُ الْقَطْعِ وَالْقِصَاصِ حَيْثُ يَتَعَيَّنُ  
 وَنُصِبَ لِذَلِكَ فِي هَذِهِ الدُّوَلِ حَاكِمٌ يَحْكُمُ فِيهَا بِمُوجِبِ السِّيَاسَةِ دُونَ رُجَاعِهِ  
 الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ وَيُسَمَّى تَارَةً بِأَسْمِ الْوَالِيِ وَتَارَةً بِأَسْمِ الشَّرْطَةِ وَبَقِيَ قِسْمُ  
 التَّعْزِيزِ وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ فِي الْجَرَائِمِ الثَّابِتَةِ شَرًّا فَجُمِعَ ذَلِكَ لِلْقَاضِيِ مَعَ مَا نَقَدَّمَ وَصَارَ

ذَلِكَ مِنْ تَوَاعِبِ وَظِيفَةِ وَلايَتِهِ وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى ذَلِكَ وَخَرَجَتْ هَذِهِ  
 الْوِظِيفَةُ عَنْ أَهْلِ عَصِيَّةِ الدَّوْلَةِ لِأَنَّ الْأَمْرَ كَانَتْ خِلاَفَةُ دِينِيَّةً وَهَذِهِ أَخْطَطَةُ مِنْ  
 مَرَامِ الدِّينِ فَكَانُوا لَا يُؤَلُّونَ فِيهَا إِلَّا مِنْ أَهْلِ عَصِيَّتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ وَمَوَالِيهِمْ بِالْحِلْفِ  
 أَوْ بِالرِّقِّ أَوْ بِالِاصْطِنَاعِ مِمَّنْ يُوْتِقُ بِكَفَايَتِهِ أَوْ غِنَائِهِ فَيُدْفَعُ إِلَيْهِ \* وَلَمَّا أَنْقَرَضَ  
 شَأْنَ الْخِلاَفَةِ وَطَوَّرَهَا وَصَارَ الْأَمْرُ كُلُّهُ مُلْكًا أَوْ سُلْطَانًا صَارَتْ هَذِهِ الْخَطَطُ الدِّينِيَّةُ  
 بَعِيدَةً عَنْهُ بَعْضُ الشَّيْءِ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ مِنَ الْقَابِ الْمَلِكِ وَلَا مَرَامِهِ ثُمَّ خَرَجَ الْأَمْرُ  
 جَمَلَةً مِنَ الْعَرَبِ وَصَارَ الْمَلِكُ لِسِوَاهُمْ مِنْ أُمَّةِ التُّرْكِ وَالزُّبَيْرِ فَازْدَادَتْ هَذِهِ الْخَطَطُ  
 الْخِلاَفِيَّةُ بَعْدًا عَنْهُمْ بِمَنْحَاهَا وَعَصِيَّتِهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الشَّرِيعَةَ دِينُهُمْ  
 وَأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ وَأَحْكَامَهُ وَشَرَائِعَهُ فَخَلَّتْهُمْ بَيْنَ الْأُمَّةِ وَطَرِيقَهُمْ  
 وَغَيْرُهُمْ لَا يَرَوْنَ ذَلِكَ إِنَّمَا يُؤَلُّونَهَا جَانِبًا مِنَ التَّعْظِيمِ لِمَا دَانُوا بِالْمَلَّةِ فَقَطَّ فَصَارُوا  
 يُقَلِّدُونَهَا مِنْ غَيْرِ عَصَابَتِهِمْ مِمَّنْ كَانَ تَأَهَّلَ لَهَا فِي دَوْلِ الْخُلَفَاءِ السَّالِئَةِ وَكَانَ أَوْلَيْكَ  
 الْمَتَاهِلُونَ بِمَا أَخَذَهُمْ تَرَفُ الدَّوْلِ مِنْذُ مِئِينَ مِنَ السَّنِينَ قَدْ نَسُوا عَهْدَ الْمِدَاوَةِ وَخَشُونَتَهَا  
 وَالتَّبَسُّوْا بِالْحِضَارَةِ فِي عَوَائِدِ تَرْفِهِمْ وَدَعْتِهِمْ وَقَوْلَةَ الْمَمَانَعَةِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَصَارَتْ هَذِهِ  
 الْخَطَطُ فِي الدَّوْلِ الْمُلُوكِيَّةِ مِنْ بَعْدِ الْخُلَفَاءِ مُخْتَصَةً بِهَذَا الصَّنْفِ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي  
 أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَنَزَلَ أَهْلُهَا عَنْ مَرَاتِبِ الْعِزِّ لِنَقْدِ الْأَهْلِيَّةِ بِأَنْسَابِهِمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ  
 الْحِضَارَةِ فَحَقَّتْهُمْ مِنَ الْأَحْتِقَارِ مَا لَحِقَ الْحَضَرَ الْمَنْعَمِينَ فِي التَّرَفِ وَالرِّدَّةِ الْبَعْدَاءِ عَنْ  
 عَصِيَّةِ الْمَلِكِ الَّذِينَ هُمْ عِيَالٌ عَلَى الْحَامِيَةِ وَصَارَ اعْتِبَارُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ مِنْ أَجْلِ قِيَامِهَا  
 بِالْمَلَّةِ وَأَخْذِهَا بِأَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ لِمَا أَنَّهُمْ الْحَامِلُونَ لِلْأَحْكَامِ الْمُقْتَدُونَ بِهَا وَلَمْ  
 يَكُنْ يُبْتَارُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ إِكْرَامًا لِدَوَاتِهِمْ وَإِنَّمَا هُوَ لِمَا يَتَلَمَّحُ مِنَ التَّجْمَلِ  
 بِمَكَانِهِمْ فِي تَجَالِسِ الْمَلِكِ لِتَعْظِيمِ الرَّبِّ الشَّرْعِيَّةِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِيهَا مِنَ الْحَلِّ  
 وَالْعَقْدِ شَيْءٌ وَإِنْ حَضَرُوهُ فَحُضُورٌ رَسْمِيٌّ لَا حَقِيقَةَ وَرَاءَهُ إِذْ حَقِيقَةُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ إِنَّمَا  
 هِيَ لِأَهْلِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ فَمَنْ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ فَلَا حِلَّ لَهُ وَلَا عَقْدَ لَهُ لَدَيْهِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَخْذُ  
 الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ عَنْهُمْ وَتَلْقَى الْفِتَاوَى مِنْهُمْ فَنَعَمْ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ وَرُبَّمَا يَطُنُّ بَعْضُ  
 النَّاسِ أَنَّ الْحَقَّ فِيهَا وَرَاءَ ذَلِكَ وَأَنَّ فِعْلَ الْمُلُوكِ فِيمَا فَعَلُوهُ مِنْ إِخْرَاجِ الْفُقَهَاءِ وَالْقَضَاءِ  
 مِنَ الشُّوَرَى مَرْجُوحٌ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعُلَمَاءُ وَرْتَةُ الْأَنْبِيَاءِ فَأَعْلَمَ أَنَّ

ذَلِكَ لَيْسَ كَمَا ظَنَّهُ وَحُكْمُ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ إِنَّمَا يَجْرِي عَلَى مَا نَقَضِيهِ طَبِيعَةُ  
 الْعُمَرَانِ وَإِلَّا كَانَ بَعِيدًا عَنِ السِّيَاسَةِ فَطَبِيعَةُ الْعُمَرَانِ فِي هَؤُلَاءِ لَا تَقْضِي لَهُمْ شَيْئًا  
 مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الشُّورَى وَالْحُلَّ وَالْعَقْدَ لَا تَكُونُ إِلَّا لِصَاحِبِ عَصِيَّةٍ يَقْتَدِرُ بِهَا عَلَى حَلِّ  
 أَوْ عَقْدٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ وَآمًا مِنْ لَا عَصِيَّةَ لَهُ وَلَا يَمْلِكُ مِنْ أَمْرِ نَفْسِهِ شَيْئًا وَلَا مِنْ  
 جَمَاعَتِهَا وَإِنَّمَا هُوَ عِيَالٌ عَلَى غَيْرِهِ فَأَيُّ مَدْخَلٍ لَهُ فِي الشُّورَى أَوْ أَيُّ مَعْنَى يَدْعُو إِلَى  
 اعْتِبَارِهِ فِيهَا اللَّهُمَّ إِلَّا شُورَاهُ فِيمَا يَعْلَمُهُ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَمَوْجُودَةٌ فِي  
 الْأَسْتِفْتَاءِ خَاصَّةً وَآمًا شُورَاهُ فِي السِّيَاسَةِ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنْهَا لِتَقْدَانِهِ الْعَصِيَّةَ وَالْقِيَامَ عَلَى  
 مَعْرِفَةِ أَحْوَالِهَا وَأَحْكَامِهَا وَإِنَّمَا إِكْرَامُهُمْ مِنْ تَبَرُّعَاتِ الْمُلُوكِ وَالْأَمْرَاءِ الشَّاهِدَةِ  
 لَهُمْ بِجَمِيلِ الْأَعْتِقَادِ فِي الدِّينِ وَعَظِيمِ مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَيْهِ بِأَيِّ جِهَةٍ أَنْتَسَبَ وَآمًا قَوْلُهُ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ فَأَعْلَمُ أَنَّ النُّقَبَاءَ فِي الْأَعْلَابِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَمَا أَحْتَفَ  
 بِهِ إِنَّمَا حَمَلُوا الشَّرِيعَةَ أَقْوَالًا فِي كَيْفِيَّةِ الْأَعْمَالِ فِي الْعِبَادَاتِ وَكَيْفِيَّةِ الْقَضَاءِ فِي  
 الْمَعَامَلَاتِ بِنُصُوتِهَا عَلَى مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى الْعَمَلِ بِهَا هِدْيَةً غَايَةً أَكْبَرَهُمْ وَلَا يَتَصَنُّونَ إِلَّا  
 بِالْأَقْلِ مِنْهَا وَفِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ وَالسَّلَفِ رُضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَاهْلُ الدِّينِ وَالْوَرَعِ مِنْ  
 الْمُسْلِمِينَ حَمَلُوا الشَّرِيعَةَ أَتِّصَافًا بِهَا وَتَحَقُّقًا بِمَذَاهِبِهَا فَمَنْ حَمَلَهَا أَتِّصَافًا وَتَحَقُّقًا دُونَ نَقْلِ  
 فَهُوَ مِنَ الْوَارِثِينَ مِثْلَ أَهْلِ رِسَالَةِ الْقَشِيرِيِّ وَهَنْ اجْتَمَعَ لَهُ الْأَمْرَانِ فَهُوَ الْعَالِمُ وَهُوَ  
 الْوَارِثُ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِثْلَ فُقَهَاءِ التَّابِعِينَ وَالسَّلَفِ وَالْإِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَمَنْ أَقْتَنَى طَرِيقَهُمْ  
 وَجَاءَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَإِذَا انْفَرَدَ وَاحِدٌ مِنَ الْأِمَّةِ بِأَحَدِ الْأَمْرَيْنِ فَأَلْعَابِدُ أَحَقُّ بِالْوَرَاثَةِ  
 مِنَ الْفَقِيهِ الَّذِي لَيْسَ بِعَابِدٍ لِأَنَّ الْعَابِدَ وَرَثَ بَصْفَةَ وَالْفَقِيهِ الَّذِي لَيْسَ بِعَابِدٍ لَمْ يَرِثْ  
 شَيْئًا إِنَّمَا هُوَ صَاحِبُ أَقْوَالٍ يَنْصَبُ عَلَيْنَا فِي كَيْفِيَّاتِ الْعَمَلِ وَهَؤُلَاءِ أَكْثَرُ فُقَهَاءِ  
 عَصْرِنَا إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ

(العدالة) \* وَهِيَ وَظِيفَةٌ دِينِيَّةٌ تَابِعَةٌ لِلْقَضَاءِ وَمِنْ مَوَادِّ تَصْرِيحِهِ وَحَقِيقَتُهُ هِدْيَةٌ  
 الْوُظَيْفَةُ الْقِيَامُ عَنْ إِذْنِ الْقَاضِي بِالشَّهَادَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ تَحْمَلًا عِنْدَ  
 الْأَشْهَادِ وَأَدَاءً عِنْدَ التَّنَازُعِ وَكُتِبَ فِي السَّجِلَّاتِ تُحْفَظُ بِهِ حَقُوقُ النَّاسِ وَأَمْلَأَ كُهُمْ  
 وَدَيُونُهُمْ وَسَارَتْ مَعَامَلَاتُهُمْ وَشَرَطُ هَذِهِ الْوُظَيْفَةِ الْإِتِّصَافُ بِالْعَدَالَةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْبِرَاءَةِ  
 مِنَ الْجُرْحِ ثُمَّ الْقِيَامُ بِكُتْبِ السَّجِلَّاتِ وَالْعُقُودِ مِنْ جِهَةِ عِبَارَاتِهَا وَأَنْظَامِ فُضُولِهَا وَمِنْ

جَهَةِ إِحْكَامِ شُرُوطِهَا الشَّرْعِيَّةِ وَعُقُودِهَا فَيَحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنَ الْفِقْهِ  
وَالْأَجْلِ هَذِهِ الشَّرُوطِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْمِرَانِ <sup>(١)</sup> عَلَى ذَلِكَ وَالْمُدَارَسَةِ لَهُ اخْتَصَّ  
ذَلِكَ بَعْضَ الْعُدُولِ وَصَارَ الصَّنْفُ الْقَائِمُونَ بِهِ كَانْتَهُمْ مُخْتَصُونَ بِالْعَدَالَةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
وَإِنَّمَا الْعَدَالَةُ مِنْ شُرُوطِ اخْتِصَاصِهِمْ بِالْوُظَيْفَةِ وَيَجِبُ عَلَى الْقَاضِي تَصَفُّحُ أَحْوَالِهِمْ  
وَالْكَشْفُ عَنْ سِيرِهِمْ رِعَايَةً لِشَرْطِ الْعَدَالَةِ فِيهِمْ وَأَنْ لَا يَهْمِلَ ذَلِكَ لِمَا يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ  
مِنْ حِفْظِ حُقُوقِ النَّاسِ فَالْعَهْدَةُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ كَلِّهِ وَهُوَ ضَامِنٌ دَرَكَةً وَإِذَا تَعَيَّنَ هُوَ لِأَنَّ  
لِهَذِهِ الْوُظَيْفَةِ عَمَّتِ الْفَائِدَةُ فِي تَعْيِينِ مَنْ تَخَفَى عَدَالَتَهُ عَلَى الْقَضَاةِ بِسَبَبِ اتِّسَاعِ الْأَمْصَارِ  
وَأَشْدَابِ الْأَحْوَالِ وَأَضْطِرَّارِ الْقَضَاةِ إِلَى الْفَصْلِ بَيْنَ الْمُتَنَازِعِينَ بِالْبَيِّنَاتِ الْمَوْثُوقَةِ  
فَيَعُولُونَ غَالِبًا فِي الْوُثُوقِ بِهَا عَلَى هَذَا الصَّنْفِ وَلَهُمْ فِي سَائِرِ الْأَمْصَارِ دَكَاكِينٌ وَمَصَاطِبُ  
يَخْتَصُّونَ بِالْجُلُوسِ عَلَيْهَا فَيَتَعَاهَدُهُمْ أَصْحَابُ الْمَعَامَلَاتِ لِلِاشْتِهَادِ وَتَقْيِيدِهِ بِالْكِتَابِ  
وَصَارَ مَدْلُولٌ هَذِهِ اللَّفْظَةُ مُشْتَرَكًا بَيْنَ هَذِهِ الْوُظَيْفَةِ الَّتِي تُبَيِّنُ مَدْلُولُهَا وَبَيْنَ الْعَدَالَةِ  
الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي هِيَ أُخْتُ الْجَرْحِ وَقَدْ يَتَوَارَدَانِ وَيَفْتَرِقَانِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الحسبة والسكة

إِمَّا الْحِسْبَةُ فِيهِ وَظَيْفَةٌ دِينِيَّةٌ مِنْ بَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ  
الَّذِي هُوَ فَرَضٌ عَلَى الْقَائِمِ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ يَعِينُ لِنُكْلِ مَنْ يَرَاهُ أَهْلًا لَهُ فَيَتَعَيَّنُ فَرَضُهُ  
عَلَيْهِ وَيَتَخَذُ الْأَعْوَانَ عَلَى ذَلِكَ وَيَبْحَثُ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ وَيَعَزِّزُ وَيُؤَدِّبُ عَلَى قَدَرِهَا  
وَيَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى الْمَصَالِحِ الْعَامَةِ فِي الْمَدِينَةِ مِثْلَ الْمَنْعِ مِنَ الْمُضَايِقَةِ فِي الطَّرِيقَاتِ  
وَمَنْعِ الْحَمَالِينَ وَأَهْلِ السُّفْنِ مِنَ الْأَكْثَارِ فِي الْحَمْلِ وَالْحُكْمِ عَلَى أَهْلِ الْمَبَانِي  
الْمُتَدَاعِيَةِ لِلسُّفُوطِ بِهِدْمِهَا وَإِزَالَةِ مَا يَتَوَقَّعُ مِنْ ضَرَرِهَا عَلَى السَّائِلَةِ وَالضَّرْبِ عَلَى أَيْدِي  
الْمُعَلِّمِينَ فِي الْمَكَاتِبِ وَغَيْرِهَا فِي الْإِبْلَاحِ فِي ضَرْبِهِمْ لِلصَّبِيَانِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَلَا  
يَتَوَقَّعُ حُكْمَهُ عَلَى تَنَازُعٍ أَوْ اسْتِعْدَاءٍ بَلْ لَهُ النَّظَرُ وَالْحُكْمُ فِيمَا يَبْصُلُ إِلَى عِلْمِهِ  
مِنْ ذَلِكَ وَيَرْفَعُ إِلَيْهِ وَيَأْتِسُّ لَهُ إِمْضَاءُ الْحُكْمِ فِي الدَّعَاوِي مُطْلَقًا بَلْ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعِشْرِ  
وَالْتَدَائِسِ فِي الْمَعَايِشِ وَغَيْرِهَا فِي الْمَكَابِلِ وَالْمَوَازِينِ وَلَهُ أَيْضًا حَمْلُ الْمَطَاطِينِ  
عَلَى الْأَنْصَافِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ فِيهِ سَمَاعٌ بَيِّنَةٌ وَلَا انْفِذَاحٌ حُكْمٌ وَكَانَتْهَا أَحْكَامٌ

(١) المران بكسر الميم التعرُّن والاعتقاد على الشيء ١٥

بِنَزْهِ الْقَاضِي عَنْهَا لِعُمُومِهَا وَسَهُولَةِ اعْتِرَافِهَا فَمُتَدَفِعٌ إِلَى صَاحِبِ هَذِهِ الْوِظِيْفَةِ لِيَقُومَ بِهَا  
 فَوْضِعُهَا عَلَى ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ خَادِمَةً لِمَنْتَصِبِ الْقَضَاءِ وَقَدْ كَانَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الدُّوَلِ  
 الْأِسْلَامِيَّةِ مِثْلَ الْعَبِيدِيَّيْنَ بِمِصْرَ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَمُويِّينَ بِالْأَنْدَلُسِ دَاخِلَةً فِي عُمُومِ  
 وِلَايَةِ الْقَاضِي بُوَيْي فِيهَا بِاخْتِيَارِهِ ثُمَّ لَمَّا انْفَرَدَتْ وَظِيْفَةُ السُّلْطَانِ عَنِ الْخِلَافَةِ وَصَارَ  
 نَظَرُهُ عَامًّا فِي أُمُورِ السِّيَاسَةِ أَنْدَرَجَتْ فِي وَظَائِفِ الْمَلِكِ وَأُفْرِدَتْ بِالْوِلَايَةِ  
 وَأَمَّا السِّكَّةُ فَفِيهَا النَّظَرُ فِي النُّقُودِ الْمُتَعَامَلِ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ وَحِظْهَا مِمَّا يَدَاخِلُهَا  
 مِنَ الْعِشِّ أَوْ النِّقْصِ إِنْ كَانَ يُتَعَامَلُ بِهَا عَدَدًا أَوْ مَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ وَيُوصَلُ إِلَيْهِ مِنْ  
 جَمِيعِ الْأَعْتِبَارَاتِ ثُمَّ فِي وَضْعِ عِلَامَةِ السُّلْطَانِ عَلَى تِلْكَ النُّقُودِ بِالْإِسْتِجَادَةِ وَالْخُلُوصِ  
 بِرِسْمِ تِلْكَ الْعِلَامَةِ فِيهَا مِنْ خَاتَمٍ حَدِيدٍ اتُّخِذَ لِذَلِكَ وَنُقِشَ فِيهِ نُقُوشٌ خَاصَةٌ بِهِ فَيُوضَعُ  
 عَلَى الدِّيْنَارِ بَعْدَ أَنْ يُقَدَّرَ وَيَضْرَبَ عَلَيْهِ بِالْمِطْرَقَةِ حَتَّى تُرْمَمَ فِيهِ تِلْكَ النُّقُوشُ وَتَكُونَ  
 عِلَامَةً عَلَى جُودَتِهِ بِحَسَبِ الْعَالِيَةِ الَّتِي وَقَفَ عِنْدَهَا السَّبْكُ وَالتَّخْلِيصُ فِي مُتَعَارِفِ أَهْلِ  
 الْقَطْرِ وَمَذَاهِبِ الدَّوَلَةِ الْحَاكِمَةِ فَإِنَّ السَّبْكُ وَالتَّخْلِيصَ فِي النُّقُودِ لَا يَقِفُ عِنْدَ غَايَةٍ  
 وَإِنَّمَا تَرْجِعُ غَايَتُهُ إِلَى الْاجْتِهَادِ فَإِذَا وَقَفَ أَهْلُ أُفْقَى أَوْ فُطْرَ عَلَى غَايَةٍ مِنَ التَّخْلِيصِ  
 وَقَفُوا عِنْدَهَا وَسَمَّوْهَا إِمَامًا وَعِيَارًا يَعْتَبِرُونَ بِهِ نُقُودَهُمْ وَيَنْتَقِدُونَهَا بِمِثَالَتِهِ فَإِنَّ نَقْصَ  
 عَنْ ذَلِكَ كَانَ زَيْفًا وَالنَّظَرُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ لِصَاحِبِ هَذِهِ الْوِظِيْفَةِ وَهِيَ رِيئِيَّةٌ بِهَذَا  
 الْأَعْتِبَارِ فَتَنْدَرِجُ تَحْتَ الْخِلَافَةِ وَقَدْ كَانَتْ تَنْدَرِجُ فِي عُمُومِ وِلَايَةِ الْقَاضِي ثُمَّ أُفْرِدَتْ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ كَمَا وَقَعَ فِي الْحَبْشَةِ هَذَا الْآخِرُ الْكَلَامُ فِي الْوِظَائِفِ الْخِلَافِيَّةِ وَبَقِيَتْ مِنْهَا  
 وَظَائِفٌ ذَهَبَتْ بِهَا مَا يُنْظَرُ فِيهِ وَأُخْرَى صَارَتْ سُلْطَانِيَّةً فَوْظِيْفَةُ الْإِمَارَةِ وَالْوِزَارَةِ  
 وَالْحَرْبِ وَالْخِرَاجِ صَارَتْ سُلْطَانِيَّةً نَمَكًا عَلَيْهَا فِي أَمَا كُنْهَا بَعْدَ وَظِيْفَةِ الْجِهَادِ وَوِظِيْفَةُ  
 الْجِهَادِ بَطَلَتْ بِبُطْلَانِهِ إِلَّا فِي قَلِيلٍ مِنَ الدُّوَلِ يُمَارِسُونَهُ وَيُدْرَجُونَ أَحْكَامَهُ غَالِبًا فِي  
 السُّلْطَانِيَّاتِ وَكَذَا تَقَابَةُ الْأَنْسَابِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الْخِلَافَةِ أَوْ الْحَقِّ فِي بَيْتِ الْمَالِ  
 قَدْ بَطَلَتْ لِذُنُورِ الْخِلَافَةِ وَرُسُومِهَا وَبِالْجُمْلَةِ قَدْ أَنْدَرَجَتْ رُسُومُ الْخِلَافَةِ وَوِظَائِفُهَا فِي  
 رُسُومِ الْمَلِكِ وَالسِّيَاسَةِ فِي سَائِرِ الدُّوَلِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَاللَّهُ مُصَرِّفُ الْأُمُورِ كَيْفَ يَشَاءُ

## الفصل الثاني والثلاثون

في اللقب بامير المؤمنين وانه من سمات الخلافة وهو محدث منذ عهد الخلفاء  
وذلك انه لما بويع أبو بكر رضي الله عنه وكان الصحابة رضي الله عنهم  
وسائر المسلمين يسمونه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزل الأمر  
على ذلك إلى أن هلك فلما بويع لعمر بعده إليه كانوا يدعونه خليفة خليفة رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وكانهم استقلوا هذا اللقب بكثرتهم وطول إضافته وأنه  
يتزايد فيما بعد دائماً إلى أن ينتهي إلى الهجنة ويذهب منه التمييز بتعدد الإضافات  
وكثرتها فلا يعرف فكانوا يعدلون عن هذا اللقب إلى ما سواه مما يناسبه ويدعى  
به مثله وكانوا يسمون قواد البعوث باسم الأمير وهو فعل من الإمارة وقد كان  
الجاهلية يدعون النبي صلى الله عليه وسلم أمير مكة وأمير الحجاز وكان الصحابة  
أيضاً يدعون سعد بن أبي وقاص أمير المؤمنين لإمارته على جيش القادسية  
وهم معظم المسلمين يومئذ واتفق أن دعا بعض الصحابة عمر رضي الله عنه  
يا أمير المؤمنين فاستحسنه الناس واستصوبوه ودعوه به يقال إن أول من دعاه  
بذلك عبد الله بن جحش وقيل عمر بن العاصي والمغيرة بن شعبة وقيل بريد جاء  
بالتفتح من بعض البعوث ودخل المدينة وهو يسأل عن عمر ويقول أين أمير  
المؤمنين وسمها أصحابه فاستحسنوه وقالوا أصبت والله اسمه إنه والله أمير المؤمنين  
حقاً فدعوه بذلك وذهب لقباً له في الناس ونورته الخلفاء من بعده سمة لا يشاركون  
فيها أحد سواهم إلا سائر دولة بني أمية ثم إن الشيعة خصوصاً علياً باسم الإمام نعتاه  
بالإمامة التي هي اخت الخلافة وتعريضاً بمذهبهم في أنه أحق بالإمامة الصلاة من  
أبي بكر لما هو مذهبهم وبدعتهم فخصوه بهذا اللقب ولمن يسوقون إليه منصب  
الخلافة من بعده فكانوا كلهم يسمون بالإمام ما داموا يدعون لهم في الخلفاء  
حتى إذا استولوا على الدولة يحولون اللقب فيما بعده إلى أمير المؤمنين كما فعله  
شعبة بن العباس فانهم ما زالوا يدعون أئمتهم بالإمام إلى إبراهيم الذي جهروا  
بالدعاء له وعقدوا الرايات للحرب على أمره فلما هلك دعي أخوه السفاح بامير المؤمنين  
وكذا الرافضة بأفريقياً فانهم ما زالوا يدعون أئمتهم من ولد اسماعيل بالإمام حتى

أَنْهَى الْأَمْرَ إِلَى عَمِيدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ وَكَانُوا أَيْضًا يَدْعُونَهُ بِالْإِمَامِ وَلِأَنَّهُ أَبِي الْقَاسِمِ  
 مِنْ بَعْدِهِ فَلَمَّا اسْتَوْثِقَ لَهُمُ الْأَمْرَ دَعَا مِنْ بَعْدِهِمَا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَكَذَا الْأَدَارِسَةَ  
 بِالْمَغْرِبِ كَانُوا يَلْقَبُونَ أَدْرِيسَ بِالْإِمَامِ وَابْنَهُ أَدْرِيسَ الْأَصْغَرَ كَذَلِكَ وَهَكَذَا شَأْنُهُمْ  
 وَتَوَارَثَ الْخُلَفَاءُ هَذَا اللَّقَبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجَعَلُوهُ سَمَةً لِمَنْ يَمْلِكُ الْحِجَازَ وَالشَّامَ  
 وَالْعِرَاقَ وَالْمَوَاطِنَ الَّتِي هِيَ دِيَارُ الْعَرَبِ وَمَرَاكِرُ الدَّوْلَةِ وَأَهْلُ الْمِلَّةِ وَالْفَتْحَ وَأَزْدَادَ  
 لِدَلِكِ فِي عُنُقِ الدَّوْلَةِ وَبَدَخِيهَا لِقَبِ آخِرِ الْخُلَفَاءِ يَتَمَيَّزُ بِهِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ لِمَا فِي  
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَشْرَاطِ بَيْنَهُمْ فَاسْتَحَدَّثَ لِدَلِكِ بَنُو الْعَبَّاسِ حِجَابًا بِالْأَسْمَاءِ  
 الْأَعْلَامِ عَنْ أُمَّتِيهَا فِي أَلْسِنَةِ السُّوْفَةِ وَصَوْنًا لَهَا عَنِ الْإِبْتِدَالِ فَتَلَقَّبُوا بِالسَّنَاحِ وَالْمَنْصُورِ  
 وَالْمَهْدِيِّ وَالْهَادِي وَالرَّشِيدِ إِلَى آخِرِ الدَّوْلَةِ وَأَقْتَنَى أَثَرُهُمْ فِي ذَلِكَ الْعَبِيدِيُّونَ بِأَفْرِيقَةَ  
 وَمِصْرَ وَتَجَافَى بَنُو أُمِيَّةَ عَنْ ذَلِكَ بِالْمَشْرِقِ قَبْلَهُمْ مَعَ الْغَضَاضَةِ وَالسَّدَاجَةِ لِأَنَّ  
 الْعُرُوبِيَّةَ وَمَنَازِعَهَا لَمْ تَفَارِقْهُمْ حِينَئِذٍ وَلَمْ يَتَحَوَّلْ عَنْهُمْ شِعَارُ الْبِدَاوَةِ إِلَى شِعَارِ الْخِزَانَةِ  
 وَأَمَّا بِالْأَنْدَلُسِ فَتَلَقَّبُوا كَسَلْفِهِمْ مَعَ مَا عَمِلُوهُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الْقُصُورِ عَنْ ذَلِكَ بِالْقُصُورِ  
 عَنْ مَلِكِ الْحِجَازِ أَصْلِ الْعَرَبِ وَالْمِلَّةِ وَالْبُعْدِ عَنِ دَارِ الْخِلَافَةِ الَّتِي هِيَ مَرَكَزُ الْعَصَبِيَّةِ  
 وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا مَنَعُوا بِإِمَارَةِ الْقَاصِيَّةِ أَنْفُسَهُمْ مِنْ مَهَالِكِ بَنِي الْعَبَّاسِ حَتَّى إِذَا جَاءَ  
 عَبْدُ الرَّحْمَنِ الدَّخْلُ الْآخِرُ مِنْهُمْ وَهُوَ النَّاصِرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ  
 ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَوْسَطِ لِأَوَّلِ الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ وَأَشْتَهَرَ مَا نَالَ الْخِلَافَةَ بِالْمَشْرِقِ  
 مِنَ الْحَجْرِ وَأَسْتَبْدَادِ الْمَوَالِي وَعَيْنِهِمْ فِي الْخُلَفَاءِ بِالْعَزْلِ وَالْإِسْتِبْدَالِ وَالْقَتْلِ وَالسَّلْبِ  
 ذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ هَذَا إِلَى مِثْلِ مَذَاهِبِ الْخُلَفَاءِ بِالْمَشْرِقِ وَأَفْرِيقَةَ وَتَسَمَّى  
 بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَلَقَّبَ بِالنَّاصِرِ لِدِينِ اللَّهِ وَأَخَذَتْ مِنْ بَعْدِهِ عَادَةٌ وَمَذَهَبٌ لَقِّنَ عَنْهُ  
 وَلَمْ يَكُنْ لِأَبَائِهِ وَسَلَفِ قَوْمِهِ وَأَسْتَمَرَ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ انْقَرَضَتْ عَصَبِيَّةُ  
 الْعَرَبِ أَجْمَعٍ وَذَهَبَ رَسْمُ الْخِلَافَةِ وَتَغَلَّبَ الْمَوَالِيُّ مِنَ الْعَجَمِ عَلَى بَنِي الْعَبَّاسِ وَالصَّنَائِعِ  
 عَلَى الْعَبِيدِيِّينَ بِالْقَاهِرَةِ وَصَنَاجِحُهُ عَلَى أُمَرَاءِ أَفْرِيقَةَ وَزَنَانَةَ عَلَى الْمَغْرِبِ وَمُلُوكِ  
 الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى أَمْرِ بَنِي أُمِيَّةَ وَأَقْسَمُوهُ وَأَفْتَرَقَ أَمْرُ الْإِسْلَامِ فَآخَذَتْ  
 مَذَاهِبُ الْمُلُوكِ بِالْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ فِي الْأَخْتِصَاصِ بِالْإِلْتِقَابِ بَعْدَ أَنْ تَسَدَّوْا حَمِيحًا  
 بِأَسْمِ السُّلْطَانِ فَأَمَّا مُلُوكُ الْمَشْرِقِ مِنَ الْعَجَمِ فَكَانَ الْخُلَفَاءُ يُخَوِّنُهُمْ بِالْأَقَابِ

تَشْرِيفِيَّةٍ حَتَّى يُسْتَشْعَرَ مِنْهَا انْقِيَادُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ وَحُسْنُ وِلَايَتِهِمْ مِثْلَ شَرَفِ الدَّوْلَةِ وَعِزِّ الدَّوْلَةِ وَرُكْنِ الدَّوْلَةِ وَمَعْرِزِ الدَّوْلَةِ وَنَصِيرِ الدَّوْلَةِ وَنِظَامِ الْمَلِكِ وَبِهَاءِ الدَّوْلَةِ وَذَخِيرَةِ الْمَلِكِ وَأَمْثَالِ هَذِهِ وَكَانَ الْعَبِيدِيُّونَ أَيْضًا يَخْضَعُونَ بِهَا أَمْرًا صَنْهَاجَةَ فَلَمَّا اسْتَبَدُّوا عَلَى الْخِلَافَةِ قَعَوْا بِهَذِهِ الْأَلْقَابِ وَتَجَافَوْا عَنِ الْقَابِ الْخِلَافَةِ أَدْبًا مَعَهَا وَعَدُولًا عَنِ سِمَاتِهَا الْمُخْتَصَّةِ بِهَا شَأْنَ الْمُتَغَلِّبِينَ الْمُسْتَبَدِّينَ كَمَا قُلْنَا هُ وَنَزَعَ الْمُتَأَخَّرُونَ أَعَاجِمُ الْمَشْرِقِ حِينَ قَوِيَ اسْتَبْدَادُهُمْ عَلَى الْمَلِكِ وَعَلَا كَعْبُهُمْ فِي الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانَ وَتَلَاشَتْ عَصِيَّةُ الْخِلَافَةِ وَأَضْحَمَّتْ بِالْجُمْلَةِ إِلَى اتِّخَالِ الْأَلْقَابِ الْخَاصَّةِ بِالْمَلِكِ مِثْلِ النَّاصِرِ وَالْمَنْصُورِ وَزِيَادَةِ عَلَى الْقَابِ يَخْتَصُّونَ بِهَا قَبْلَ هَذَا الْإِتِّخَالِ مُنْعِرَةً بِالْخُرُوجِ عَنِ رِبْقَةِ الْوَلَاءِ وَالْإِضْطِنَاعِ بِمَا أَضَافُوهَا إِلَى الدِّينِ فَقَطُّ فَيَقُولُونَ صَلَاحُ الدِّينِ أَسَدُ الدِّينِ نُورُ الدِّينِ وَأَمَّا مُلُوكُ الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ فَاقْتَسَمُوا الْقَابَ الْخِلَافَةَ وَتَوَزَّعُوا الْقُوَّةَ اسْتَبْدَادِهِمْ عَلَيْهَا بِمَا كَانُوا مِنْ قَبْلِهَا وَعَصِيَّتِهَا فَتَلَقَّبُوا بِالْناصِرِ وَالْمَنْصُورِ وَالْمُعْتَمِدِ وَالْمُظْفَرِ وَأَمْثَالِهَا كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي شَرْفٍ يَنْعَى عَلَيْهِمْ

مِمَّا يَزِيدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسِ أَسْمَاءُ مُعْتَمِدٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدٍ

الْقَابِ مَمْلُوكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالْهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاحًا صُورَةَ الْأَسَدِ

وَأَمَّا صَنْهَاجَةُ فَأَقْتَصَرُوا عَنِ الْأَلْقَابِ الَّتِي كَانَ الْخُلَفَاءُ الْعَبِيدِيُّونَ يَلْقَبُونَ بِهَا لِتَنَوُّبِهِ مِثْلَ نَصِيرِ الدَّوْلَةِ وَمَعْرِزِ الدَّوْلَةِ وَاتَّصَلَ لَهُمْ ذَلِكَ لَمَّا أَدَالُوا مِنْ دَعْوَةِ الْعَبِيدِيِّينَ بِدَعْوَةِ الْعَبَّاسِيِّينَ ثُمَّ بَعَدَتْ الشُّقَّةُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْخِلَافَةِ وَنَسُوا عَهْدَهَا فَنَسُوا هَذِهِ الْأَلْقَابَ وَأَقْتَصَرُوا عَلَى اسْمِ السُّلْطَانَ وَكَذَا شَأْنُ مُلُوكِ مَغْرِبِ الْأَنْدَلُسِ لَمْ يَنْتَحِلُوا شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْأَلْقَابِ إِلَّا اسْمُ السُّلْطَانَ جَرِيًّا عَلَى مَذَاهِبِ الْبِدَاوَةِ وَالْغَضَاضَةِ وَلَمَّا حُجِيَ رَسْمُ الْخِلَافَةِ وَتَعَطَّلَ دَسْتُهَا وَقَامَ بِالْمَغْرِبِ مِنْ قِبَالِ الْبَرْبَرِ يُوسُفُ بْنُ نَاشِفِينَ مَلِكُ لِمْتُونَةَ فَمَلَكَ الْعَدَوْتَيْنِ وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْإِفْتِدَاءِ نَزَعَتْ بِهِ هِمَّتُهُ إِلَى الدُّخُولِ فِي طَاعَةِ الْخُلِيفَةِ تَكْمِيلًا لِمَرَامِ دِينِهِ فَخَاطَبَ الْمُسْتَظْهِرَ الْعَبَّاسِيَّ وَأَوْفَدَ عَلَيْهِ يَبْعَتَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْعَرَبِيِّ وَابْنَهُ الْقَاضِي أَبَا بَكْرٍ مِنْ مَشِيخَةِ إِسْبِيلِيَّةٍ يَطْلُبَانِ تَوَلِيَّتَهُ إِيَّاهَا عَلَى الْمَغْرِبِ وَتَقْلِيدَهُ ذَلِكَ فَاتَّقَلَّبُوا إِلَيْهِ بَعْدَ الْخِلَافَةِ لَهُ عَلَى الْمَغْرِبِ وَاسْتَشْعَارَ زَيْمَهُمْ فِي لُبُوسِهِ وَرَبْتِهِ وَخَاطَبَهُ فِيهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَشْرِيفًا وَاخْتِصَاصًا فَأَخَذَهَا قَبْمًا وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ دَعِيَ لَهُ بِأَمِيرِ

الْمُؤْمِنِينَ مِنْ قَبْلِ أَدْبَابٍ مَعَ رُتْبَةِ الْخِلَافَةِ لِمَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَقَوْمُهُ الْمُرَابِطُونَ مِنَ اتِّخَالِ  
 الدِّينِ وَاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَجَاءَ الْمَهْدِيُّ عَلَى أَثَرِهِمْ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ أَخَذًا بِمَذَاهِبِ  
 الْأَشْعَرِيَّةِ نَاعِيًا عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ عُدُولَهُمْ عَنْهَا إِلَى تَقْلِيدِ السَّلَفِ فِي تَرْكِ التَّأْوِيلِ  
 لظواهر الشريعة وما يؤول إليه ذلك من التجسيم كما هو معروف في مذهب الأشعرية  
 وسمي أتباعه الموحدين تعريضاً بذلك للذكير وكان يرى رأي أهل البيت في  
 الإمام المعصوم وأنه لا بد منه في كل زمان يحفظ بوجوده نظام هذا العالم فسمي  
 بالإمام لما قلناه أولاً من مذهب الشيعة في القاب خلفائهم وأردف بالمعصوم  
 إشارة إلى مذهبه في عصمة الإمام ونزوه عند أتباعه عن أمير المؤمنين أخذاً  
 بمذاهب المتقدمين من الشيعة ولما فيها من مشاركة الأعمار والولدان من أعقاب  
 أهل الخلافة يومئذ بالمشرق ثم انتحل عبد المؤمن ولي عهده اللقب بأمير المؤمنين  
 وجرى عليه من بعده خلفاء بني عبد المؤمن وآل أبي حنص من بعدهم استثناءً به  
 عمّن سواهم لما دعا إليه شيخهم المهدي من ذلك وأنه صاحب الأمر وأوليأؤه من  
 بعده كذلك دون كل أحد لانتفاء عصية قريش وتلاشيها فكان ذلك دأبهم ولما  
 انتقض الأمر بالمغرب وانتزع زنانه ذهب أولهم مذاهب البداوة والسداجة وأتباع  
 لمتونة في اتِّخَالِ اللِّقْبِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَدْبَابًا مَعَ رُتْبَةِ الْخِلَافَةِ الَّتِي كَانُوا عَلَى طَاعَتِهَا  
 لبني عبد المؤمن أولاً ولبني أبي حنص من بعدهم ثم نزح المتأخرون منهم إلى اللقب  
 بأمير المؤمنين واتحلوه لهذا العهد استنبلاً في منازع الملك وتتميماً لمذاهبه  
 وسماته والله غالب على أمره

### الفصل الثالث والثلاثون

في شرح اسم البابا والبطرك في الملة النصرانية واسم الكوهن عند اليهود

اعْلَمَنَّ أَنَّ الْمِلَّةَ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ قَائِمٍ عِنْدَ غَيْبَةِ النَّبِيِّ يَحْمِلُهُمْ عَلَى أَحْكَامِهَا وَشَرَائِعِهَا  
 وَيَكُونُ كَالْخَلِيفَةِ فِيهِمْ لِلَّذِي فِيهَا جَاءَ بِهِ مِنَ التَّكْلِيفِ وَالنَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ أَيْضًا بِمَا  
 تَقَدَّمَ مِنْ ضَرُورَةِ السِّيَاسَةِ فِيهِمْ لِلِاجْتِمَاعِ الْبَشَرِيِّ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنْ شَخْصٍ يَحْمِلُهُمْ عَلَى  
 مَصَالِحِهِمْ وَيَرْعُهُمْ عَنْ مَفَاسِدِهِمْ بِالْقَهْرِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْمَلِكِ وَالْمِلَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ لِمَا  
 كَانَ الْجِهَادُ فِيهَا مَشْرُوعًا لِعُمُومِ الدَّعْوَةِ وَحَمْلِ الْكِفَاةِ عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ طَوْعًا أَوْ

كُرْهًا اتَّخَذَتْ فِيهَا اخْلَافَةً وَالْمَلِكُ لَتَوَجُّهَ الشُّوْكَةِ مِنَ الْقَائِمِينَ بِهَا إِلَيْهِمَا مَعًا وَآمًا  
 مَا سِوَى الْمَلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَلَمْ تَكُنْ دَعْوَتُهُمْ عَامَةً وَلَا الْجِهَادُ عِنْدَهُمْ مَشْرُوعًا إِلَّا  
 فِي الْمُدَافَعَةِ فَقَطْ فَصَارَ الْقَائِمُ بِأَمْرِ الدِّينِ فِيهَا لَا يَعْنِيهِ شَيْءٌ مِنْ سِيَاسَةِ الْمَلِكِ وَإِنَّمَا  
 وَقَعَ الْمَلِكُ لِمَنْ وَقَعَ مِنْهُمْ بِالْعَرَضِ وَالْأَمْرُ غَيْرُ دِينِي وَهُوَ مَا أَفْتَضَتْهُ لَهُمُ الْعَصَبِيَّةُ لِمَا  
 فِيهَا مِنَ الطَّلَبِ لِلْمَلِكِ بِالطَّبَعِ لِمَا قَدَّمَاهُ لِأَنَّهُمْ غَيْرُ مُكَلَّفِينَ بِالْتَّغَلُّبِ عَلَى الْأُمَمِ  
 كَمَا فِي الْمَلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَإِنَّمَا هُمْ مَطْلُوبُونَ بِإِقَامَةِ دِينِهِمْ فِي خَاصَّتِهِمْ وَلِذَلِكَ بَقِيَ  
 بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى وَيُوشَعَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا نَحْوَ أَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ لَا يَعْتَنُونَ  
 بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ إِنَّمَا هُمْ مُقَامَةٌ دِينِهِمْ فَقَطْ وَكَانَ الْقَائِمُ بِهِ يَنْهَمُ يُسَمَّى  
 الْكُوهَنَ كَأَنَّهُ خَلِيفَةُ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقِيمُ لَهُمْ أَمْرَ الصَّلَاةِ وَالْقُرْبَانِ وَيَشْتَرِطُونَ  
 فِيهِ أَنْ يَكُونَ مِنْ ذُرِّيَّةِ هَارُونَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ لِأَنَّ مُوسَى لَمْ يُعَقِّبْ ثُمَّ اخْتَارُوا  
 لِإِقَامَةِ السِّيَاسَةِ الَّتِي هِيَ لِلْبَشَرِ بِالطَّبَعِ سَبْعِينَ سَنَةً كَانُوا يَتَلَوْنَ أَحْكَامَهُمْ الْعَامَّةَ  
 وَالْكُوهَنَ أَعْظَمُ مِنْهُمْ رُتَبَةً فِي الدِّينِ وَابْعُدَ عَنْ شَعْبِ الْأَحْكَامِ وَاتَّصَلَ ذَلِكَ فِيهِمْ  
 إِلَى أَنْ اسْتَحْكَمَتْ طَبِيعَةُ الْعَصَبِيَّةِ وَتَحَضَّتْ الشُّوْكَةَ لِلْمَلِكِ فَعَابُوا الْكِنَعَانِيِّينَ عَلَى  
 الْأَرْضِ الَّتِي أَوْزَرْتَهُمُ اللَّهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَمَا جَاوَرَهَا كَمَا بَيَّنَّ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى  
 صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَجَارَبْتَهُمْ أُمَّمُ الْفِلِسْطِينِ وَالْكِنَعَانِيِّينَ وَالْأَرْمَنَ وَالْأَرْدَنَ وَعَمَّانَ  
 وَمَارِبَ وَرَأَسْتَهُمْ فِي ذَلِكَ رَاجِعَةً إِلَى شِيُوخِهِمْ وَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِمِائَةِ  
 سَنَةٍ وَلَمْ تَكُنْ بِهِمْ صَوْلَةُ الْمَلِكِ وَضَجَرَ بَنُو طَالُوتَ وَعَلِبَ الْأُمَمُ وَقَتِلَ جَالُوتُ مَلِكُ  
 الْفِلِسْطِينِ ثُمَّ مَلَكَ بَعْدَهُ دَاوُدُ ثُمَّ سَلِمَانُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَاسْتَفْحَلَ مُلْكُهُ وَأَمْتَدَّ  
 إِلَى الْحِجَازِ ثُمَّ أَطْرَافَ الْيَمَنِ ثُمَّ إِلَى أَطْرَافِ بِلَادِ الرُّومِ ثُمَّ أَفْتَرَقَ الْأَسْبَاطُ مِنْ بَعْدِ  
 سَلِمَانَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِمَقْتَضَى الْعَصَبِيَّةِ فِي الدُّوَلِ كَمَا قَدَّمَاهُ إِلَى دَوْلَتَيْنِ كَانَتَا  
 إِحْدَاهُمَا بِالْحِزْبَةِ وَالْمَوْصِلَ لِلْأَسْبَاطِ الْعَشْرَةِ وَالْآخَرَى بِالْقُدْسِ وَالشَّامِ لِبَنِي يَهُوذَا  
 وَبَنِيَامِينَ ثُمَّ غَلِبَهُمْ بَحْتُ نَصْرِ مَلِكِ بَابِلَ عَلَى مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْمَلِكِ أَوْلًا الْأَسْبَاطِ  
 الْعَشْرَةِ ثُمَّ ثَانِيًا بَنِي يَهُوذَا وَبَيْتَ الْمَقْدِسِ بَعْدَ اتِّصَالِ مُلْكِهِمْ نَحْوَ أَلْفِ سَنَةٍ وَخَرَّبَ  
 مَسْجِدَهُمْ وَأَحْرَقَ تَوَارِيهِمْ وَأَمَاتَ دِينَهُمْ وَنَقَلَهُمْ إِلَى أَصْبَهَانَ وَبِلَادِ الْعِرَاقِ إِلَى أَنْ  
 رَدَّهُمْ بَعْضُ مُلُوكِ الْكِلْبَانِيَّةِ مِنَ الْفُرْسِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ مِنْ بَعْدِ سَبْعِينَ سَنَةً مِنْ

خروجهم فبنوا المسجد وأقاموا أمر دينهم على الرسم الأول للكهننة فقط والملك  
للفرس ثم غلب الإسكندر وبنو يونان على الفرس وصار اليهود في ملكيتهم ثم  
فشل أمر اليونانيين فأعز اليهود عليهم بالعصية الطبيعية ودفعوهم عن الاستيلاء  
عليهم وقام بملكهم الكهننة الذين كانوا فيهم من بني حشمتاي وقاتلوا يونان حتى  
انقرض أمرهم وغلبهم الروم فصاروا تحت أمرهم ثم رجعوا إلى بيت المقدس وفيها  
بوهيرودس أصهار بني حشمتاي وبقيت دولتهم فحاصروهم مدة ثم افتحوها عنوة  
والتحشوا في القتل والهدم والتحريق وخرّبوا بيت المقدس وأجلّوهم عنها إلى رومة وما  
وراءها وهو الخراب الثاني للمسجد ويسميه اليهود بالجلوة الكبرى فلم يبق لهم  
بعدها ملك لفقدان العصية منهم وبقوا بعد ذلك في ملكة الروم من بعدهم يقيم  
لهم أمر دينهم الرئيس عليهم المسمي بالكوهن ثم جاء المسيح صلوات الله وسلامه  
عليه بما جاءهم به من الدين والنسخ لبعض أحكام التوراة وظهرت على يديه الخوارق  
العجيبة من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى واجتمع عليه كثير من الناس  
وأمنايه وأكثرهم الحواريون من أصحابه وكانوا اثني عشر وبعث منهم رسلاً إلى  
الآفاق داعين إلى ملته وذلك أيام أوغسطس أول ملوك القيصرية وفي مدة هيرودس  
ملك اليهود الذي أنتزع الملك من بني حشمتاي أصهاره فحسده اليهود وكذبوه  
وكتب هيرودس ملكهم ملك القيصرية أوغسطس يعريه به فأذن لهم في قتله  
ووقع ما تالاه القرآن من أمره وأفترق الحواريون شيعاً ودخل أكثرهم بلاد الروم  
داعين إلى دين النصرانية وكان بطرس كبيرهم فنزل برومة دار ملك القيصرية ثم  
كتبوا الإنجيل الذي أنزل على عيسى صلوات الله عليه في نسخ أربع على اختلاف  
رواياتهم فكتب متى إنجيله في بيت المقدس بالعبرانية ونقله يوحنا بن زبدي  
منهم إلى اللسان اللاتيني وكتب لوقا منهم إنجيله باللاتيني إلى بعض أكابر الروم  
وكتب يوحنا بن زبدي منهم إنجيله برومة وكتب بطرس إنجيله باللاتيني ونسبه  
إلى مرقاص تلميذه واختلفت هذه النسخ الأربعة من الإنجيل مع أنها ليست كلها  
وحياً صرفاً بل مشوبة بكلام عيسى عليه السلام وبكلام الحواريين وكلها مواعظ  
وقصص والأحكام فيها قليلة جداً واجتمع الحواريون الرسل لذلك العهد برومة

وَوَضَعُوا قَوَانِينَ الْمَلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ وَصَبَرُوا بِهَا بِيَدِ أَقْلِيحَنْطُسَ تَلْمِيذِ بَطْرُسَ وَكَتَبُوا فِيهَا  
 عَدَدَ الْكُتُبِ الَّتِي يَجِبُ قَبُولُهَا وَالْعَمَلُ بِهَا مِنْ شَرِيعَةِ الْيَهُودِ الْقَدِيمَةِ الثَّوْرَةَ وَهِيَ خَمْسَةُ  
 أَسْفَارَ وَكِتَابِ يَوْشَعَ وَكِتَابِ الْفُضَاةِ وَكِتَابِ رَاعُوثَ وَكِتَابِ يَهُوذَا وَأَسْفَارُ الْمُلُوكِ  
 أَرْبَعَةٌ وَسَنُرُ بَنِيَامِينَ وَكُتُبُ الْمُقَابِيئِينَ لِابْنِ كَرْيُونَ ثَلَاثَةٌ وَكِتَابُ عَزْرَا الْإِمَامِ  
 وَكِتَابُ أَوْشِرٍ وَقِصَّةُ هَامَانَ وَكِتَابُ يُوْبَ الصِّدِّيقِ وَزَمَامِيرُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَكُتُبُ  
 ابْنِهِ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَمْسَةٌ وَنُبُوءَاتُ الْأَنْبِيَاءِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ سِتَّةٌ عَشَرَ وَكِتَابُ  
 يَشُوعَ بْنِ شَارِخَ وَزَيْرِ سَلِيمَانَ وَمِنْ شَرِيعَةِ عَيْسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمَتَّقَاتُ مِنَ  
 الْحَوَارِيِّينَ نُسَخُ الْأَنْجِيلِ الْأَرْبَعِ وَكُتُبُ الْفِتَائِلِقُونَ سَبْعَ رِسَائِلَ وَثَامِنُهَا الْإِبْرِيكْسِيُّ  
 فِي قِصَصِ الرُّسُلِ وَكِتَابُ بُولُسَ أَرْبَعُ عَشْرَةَ رِسَالَةً وَكِتَابُ أَقْلِيحَنْطُسَ وَفِيهِ الْأَحْكَامُ  
 وَكِتَابُ أَبُوعَالْمَسِيحِ وَفِيهِ رُؤْيَا يُوْحَنَّا بْنِ زَبْدِي وَأَخْتَلَفَتْ شَأْنُ الْقِيَاصِرَةِ فِي الْأَخْذِ  
 بِهَذِهِ الشَّرِيعَةِ تَارَةً وَتَعْظِيمِ أَهْلِهَا ثُمَّ تَرْكِهَا أُخْرَى وَالنَّسَاطُ عَلَيْهِمُ بِالْقَتْلِ وَالْبَغْيِ إِلَى  
 أَنْ جَاءَ قِسْطَنْطِينُ وَأَخَذَ بِهَا وَأَسْتَمَرُّوا عَلَيْهَا وَكَانَ صَاحِبُ هَذَا الدِّينِ وَالْمَقِيمُ  
 لِمِرَاسِيْمِهِ يُسَمُّونَهُ الْبَطْرُكَ وَهُوَ رَئِيسُ الْمَلَّةِ عِنْدَهُمْ وَخَلِيفَةُ الْمَسِيحِ فِيهِمْ يَبْعَثُ  
 نُوَابِهِ وَخَلَفَاءَهُ إِلَى مَا بَعْدَ عَنهُ مِنْ أُمَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ وَيُسَمُّونَهُ الْأَسْقَفَ أَيْ نَائِبَ الْبَطْرُكِ  
 وَيُسَمُّونَ الْإِمَامَ الَّذِي يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُفْتِيهِمْ فِي الدِّينِ بِالْقِسِيْسِ وَيُسَمُّونَ الْمُنْقَطِعَ  
 الَّذِي حَبَسَ نَفْسَهُ فِي الْخُلُوةِ لِلْعِبَادَةِ بِالرَّاهِبِ وَأَكْثَرُ خُلُوعَاتِهِمْ فِي الصَّوَامِعِ وَكَانَ  
 بَطْرُسُ الرَّسُولُ رَأْسُ الْحَوَارِيِّينَ وَكَبِيرُ التَّلَامِيذِ بِرُومَةَ يُقِيمُ بِهَا دِينَ النَّصْرَانِيَّةِ إِلَى  
 أَنْ قَتَلَهُ نِيرُونُ خَامِسُ الْقِيَاصِرَةِ فِيمَنْ قَتَلَ مِنَ الْبَطَارِقِ وَالْأَسَاقِمَةِ ثُمَّ قَامَ بِخِلَافَتِهِ فِي  
 كَرْسِيِّ رُومَةَ أَرِيُوسُ وَكَانَ مَرْفَاسُ الْأَنْجِيلِيِّ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ وَمِصْرَ وَالْمَغْرِبَ دَاعِيًا  
 سَبْعَ سِنِينَ فَقَامَ بَعْدَهُ حَنَانِيَا وَتَسَمَّى بِالْبَطْرُكِ وَهُوَ أَوَّلُ الْبَطَارِكَةِ فِيهَا وَجَعَلَ مَعَهُ  
 اثْنَيْ عَشَرَ قِسَالِيًّا أَنَّهُ إِذَا مَاتَ الْبَطْرُكُ يَكُونُ وَاحِدٌ مِنَ الْإِثْنَيْ عَشَرَ مَكَانَهُ وَيَخْتَارُ  
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدًا مَكَانَ ذَلِكَ الثَّانِي عَشَرَ فَكَانَ أَمْرُ الْبَطَارِكَةِ إِلَى الْقُسُوسِ ثُمَّ لَمَّا  
 وَقَعَ الْأَخْتِلَافُ بَيْنَهُمْ فِي قَوَاعِدِ دِينِهِمْ وَعَقَائِدِهِ وَاجْتَمَعُوا بِنِيقِيَّةِ أَيَّامَ قِسْطَنْطِينِ  
 لِتَحْرِيرِ الْحَقِّ فِي الدِّينِ وَاتَّفَقَ ثَلَاثُمِائَةً وَتَمَانِيَةَ عَشَرَ مِنْ أَسَاقِمَتِهِمْ عَلَى رَأْيِ وَاحِدٍ فِي  
 الدِّينِ فَكَتَبُوهُ وَسَمَّوْهُ الْإِمَامَ وَصَيَّرُوهُ أَصْلًا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ وَكَانَ فِيمَا كَتَبُوهُ أَنَّ

البَطْرِكَ الْقَائِمِ بِالْدِينِ لَا يَرْجِعُ فِي تَعْيِينِهِ إِلَى اجْتِهَادِ الْأَقْسَةِ كَمَا قَرَّرَهُ حَنَانِيًا تَلْمِذُ  
 مَرْقَاسٍ وَأَبْطَلُوا ذَلِكَ الرَّأْيَ وَإِنَّمَا يُقَدَّمُ عَنْ بَلَاءٍ وَأَخْتِبَارٍ مِنْ أئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ  
 وَرُؤُسَائِهِمْ فَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ ثُمَّ اخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي تَقْرِيرِ قَوَاعِدِ الدِّينِ وَكَانَتْ لَهُمْ  
 مُجْتَمَعَاتٌ فِي تَقْرِيرِهِ وَلَمْ يَخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْقَاعِدَةِ فَبَقِيَ الْأَمْرُ فِيهَا عَلَى ذَلِكَ وَاتَّصَلَ  
 فِيهِمْ نِيَابَةُ الْأَسَافَةِ عَنِ الْبَطَارِكَةِ وَكَانَ الْأَسَافَةُ يَدْعُونَ الْبَطْرِكَ بِالْأَبِ أَيْضًا  
 تَعْظِيمًا لَهُ فَانْتَبَهَ الْأَسَمُ فِي أَعْصَارِ مَتَطَاوَلَةٍ يُقَالُ آخِرُهَا بَطْرِكِيَّةٌ هَرَقَلَ بِاسْكَنْدَرِيَّةَ  
 فَأَرَادُوا أَنْ يُمَيِّزُوا الْبَطْرِكَ عَنِ الْأَسَقِفِ فِي التَّعْظِيمِ فَدَعَوْهُ الْبَابَا وَمَعْنَاهُ أَبُو الْأَبَاءِ  
 وَظَهَرَ هَذَا الْأَسَمُ أَوَّلَ ظُهُورِهِ بِمِصْرَ عَلَى مَا زَعَمَ جَرَجِيسُ بْنُ الْعَمِيدِ فِي تَأْرِيخِهِ ثُمَّ  
 نَقَلُوهُ إِلَى صَاحِبِ الْكُرْسِيِّ الْأَعْظَمِ عِنْدَهُمْ وَهُوَ كُرْسِيُّ بَطْرُسَ الرَّسُولِ كَمَا قَدَّمَاهُ  
 فَلَمْ يَزَلْ سِمَةً عَلَيْهِ حَتَّى الْآنَ ثُمَّ اخْتَلَفَتِ النَّصَارَى فِي دِينِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَفِيمَا يَتَقَدُّونَهُ  
 فِي الْمَسِيحِ وَصَارُوا طَوَائِفَ وَفِرَقًا وَأَسْتَظْهَرُوا بِمِلُوكِ النَّصْرَانِيَّةِ كُلِّ عَلَى صَاحِبِهِ  
 فَاخْتَلَفَ الْحَالُ فِي الْعُصُورِ فِي ظُهُورِ فِرْقَةٍ دُونَ فِرْقَةٍ إِلَى أَنْ اسْتَقَرَّتْ لَهُمْ ثَلَاثُ  
 طَوَائِفٍ فِي فِرْقَتِهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى غَيْرِهَا وَهُمْ الْمَلِكِيَّةُ وَالْيَعْقُوبِيَّةُ وَالنَّسْطُورِيَّةُ ثُمَّ  
 اخْتَصَّتْ كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ بِبَطْرِكَ فَبَطْرِكَ رُومَةَ الْيَوْمِ الْمُسَمَّى بِالْبَابَا عَلَى رَأْيِ  
 الْمَلِكِيَّةِ وَرُومَةَ لِلْإِفْرَنْجِيَّةِ وَمَلِكُهُمْ قَائِمٌ بِنَيْلِكَ النَّاحِيَةِ وَبَطْرِكَ الْمَعَاهِدِينَ بِمِصْرَ  
 عَلَى رَأْيِ الْيَعْقُوبِيَّةِ وَهُوَ سَاكِنٌ بَيْنَ ظَهْرَانِيَّتِهِمْ وَالْحَبَشَةُ يَدِينُونَ بِدِينِهِمْ وَبَطْرِكَ مِصْرَ  
 فِيهِمْ أَسَافَةُ يُنُوبُونَ عَنْهُ فِي إِقَامَةِ دِينِهِمْ هُنَاكَ وَاخْتَصَّ اسْمُ الْبَابَا بِبَطْرِكَ رُومَةَ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَا تُسَمَّى الْيَعَاقِبِيَّةُ بَطْرِكَ هَذَا الْأَسَمِ وَضَبَطَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ بِيَاءٍ مِنْ مُوَحَّدَتَيْنِ  
 مِنْ أَسْفَلِ وَالنُّطْقُ بِهَا مُفْخَمَةٌ وَالثَّانِيَّةُ مُشَدَّدَةٌ وَمِنْ مَذَاهِبِ الْبَابَا عِنْدَ الْإِفْرَنْجِيَّةِ أَنَّهُ  
 يَحْضَرُهُمْ عَلَى الْإِتْقِيَادِ لِمَلِكٍ وَاحِدٍ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي اخْتِلَافِهِمْ وَأَجْتِمَاعِهِمْ تَحْرُجًا مِنْ  
 اقْتِرَاقِ الْكَلِمَةِ وَتَشْرَحِي بِه الْعَصِيَّةِ الَّتِي لَا فَوْقَهَا مِنْهُمْ لَتَكُونَ يَدُهُ عَالِيَةً عَلَى  
 جَمِيعِهِمْ وَيُسَمُّونَهُ الْإِبْرَدُورَ <sup>(١)</sup> وَحَرْفُهُ الْوَسْطِيَّيْنِ النَّالِ وَالظَّاءُ الْمُجْتَمِعَتَيْنِ وَمَبَاشِرُهُ  
 يَضَعُ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ لِتَبْرُكِهِ فَيُسَمَّى الْمَتَوَجَّجَ وَلَعَلَّهُ مَعْنَى لَفْظَةِ الْإِبْرَدُورِ وَهَذَا

(١) المشهور قديمًا إمبراطور بالظاء المهمله والفرنسيس تقول إمبرور ومعناها عندهم ملك الملوكة

مُلَخَّصٌ مَا أَوْرَدْنَاهُ مِنْ شَرْحِ هَدْيَيْنِ الْأَسْمَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا الْبَابُ وَالْكُوهُنُ وَاللَّهُ يُضِلُّ  
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ

## الفصل الرابع والثلاثون

في مراتب الملك والسلطان والقيام

اعْلَمْ أَنَّ السُّلْطَانَ فِي نَفْسِهِ ضَعِيفٌ يُحْمَلُ أَمْرًا ثَقِيلًا فَلَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْأَسْتِعَانَةِ بِأَبْنَاءِ  
حِنْسِهِ وَإِذَا كَانَ يَسْتَعِينُ بِهِمْ فِي ضَرُورَةِ مَعَاشِهِ وَسَائِرِ مَهْنِهِ <sup>(١)</sup> فَمَا ظَنُّكَ بِسِيَاسَةِ تَوْعِهِ  
وَمَنْ أَسْتَرْعَاهُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَعِبَادِهِ وَهُوَ مُتَحَاجٌّ إِلَى حِمَايَةِ الْكُفَّاءِ مِنْ عَدُوِّهِ بِالْمُدَافَعَةِ  
عَنْهُمْ وَإِلَى كِفِّ عَدُوِّانِ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ فِي أَنْفُسِهِمْ بِإِمْضَاءِ الْأَحْكَامِ الْوِازِعَةِ  
فِيهِمْ وَكَفِّ الْعَدُوِّانِ عَلَيْهِمْ فِي أُمُورِهِمْ بِإِصْلَاحِ سَابِلَتِهِمْ وَإِلَى حَمْلِهِمْ عَلَى مَصَالِحِهِمْ  
وَمَا تَعْمَلُهُمْ بِهِ الْبُلُوغَى فِي مَعَاشِهِمْ وَمَعَامَلَاتِهِمْ مِنْ تَفْقُدِ الْمَعَايِشِ وَالْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ  
حَذْرًا مِنَ التَّطْفِيفِ وَإِلَى النَّظَرِ فِي السِّكِّةِ بِحِفْظِ النُّقُودِ الَّتِي يَتَعَامَلُونَ بِهَا مِنَ الْعِشْرِ  
وَإِلَى سِيَاسَتِهِمْ بِمَا يَرِيدُهُ مِنْهُمْ مِنَ الْإِنْقِيَادِ لَهُ وَالرِّضَى بِمَقَاصِدِهِ مِنْهُمْ وَأَنْفِرَادِهِ  
بِالْمَجِدِّ دُونَهُمْ فَيَتَحَمَّلُ مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ الْغَايَةِ مِنْ مُعَانَاةِ الْقُلُوبِ قَالَ بَعْضُ الْأَشْرَافِ  
مِنَ الْحُكَمَاءِ لَمُعَانَاةُ نَقْلِ الْجِبَالِ مِنْ أَمَا كَيْهَا أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مُعَانَاةِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ثُمَّ  
إِنَّ الْأَسْتِعَانَةَ إِذَا كَانَتْ بِأَوْلِي الْقُرْبَى مِنْ أَهْلِ النَّسَبِ أَوْ التَّرْبِيَةِ أَوْ الْأَصْطِنَاعِ  
الْقَدِيمِ لِلدَّوْلَةِ كَانَتْ أَكْمَلَ لِمَا يَقَعُ فِي ذَلِكَ مِنْ مُجَانَسَةِ خُلُقِهِمْ لِخُلُقِهِ فَتَمُّ الْمَشَاكَلَةِ  
فِي الْأَسْتِعَانَةِ قَالَ تَعَالَى وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي أَشَدُّ بِهِ أَرْزِي  
وَأَشْرَكَهُ فِي أَمْرِي وَهُوَ إِمَّا أَنْ يَسْتَعِينَ فِي ذَلِكَ بِسَيْفِهِ أَوْ قَلَمِهِ أَوْ رَأْيِهِ أَوْ مَعَارِفِهِ  
أَوْ بِجَبَابِهِ عَنِ النَّاسِ أَنْ يَزْدَحِمُوا عَلَيْهِ فَيُسْغَلُوهُ عَنِ النَّظَرِ فِي مَهْمَاتِهِمْ أَوْ يَدْفَعِ النَّظَرَ  
فِي الْمَلِكِ كُلِّهِ وَيَعُوَّلَ عَلَى كِفَايَتِهِ فِي ذَلِكَ وَأَضْطَلَاعِهِ فَلِذَلِكَ قَدْ تَوَجَّدَ فِي رَجُلٍ  
وَاحِدٍ وَقَدْ تَفَرَّقَ فِي أَشْخَاصٍ وَقَدْ يَتَفَرَّعُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا إِلَى فُرُوعٍ كَثِيرَةٍ كَالْقَلَمِ  
يَتَفَرَّعُ إِلَى قَلَمِ الرَّسَائِلِ وَالْمُخَاطَبَاتِ وَقَلَمِ الصُّكُوكِ وَالْإِفْطَاعَاتِ وَإِلَى قَلَمِ الْحِمَاسَاتِ  
وَهُوَ صَاحِبُ الْجَبَابَةِ وَالْعَطَاءِ وَدِيَوَانَ الْجَيْشِ وَكَالسَيْفِ يَتَفَرَّعُ إِلَى صَاحِبِ الْحَرْبِ

(١) المهنة الخدمة وجمعها مهن بكسر الميم

وَصَاحِبِ الشَّرْطَةِ وَصَاحِبِ الْبَرِيدِ وَوَلَايَةِ التُّعُورِ ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ الْوُظَائِفَ السُّلْطَانِيَّةَ فِي  
 هَذِهِ الْمَلَّةِ الْأِسْلَامِيَّةِ مَنَدْرَجَةٌ تَحْتَ الْخِلَافَةِ لِأَحْتِمَالِ مَنَصِبِ الْخِلَافَةِ عَلَى الدِّينِ  
 وَالْدُنْيَا كَمَا قَدَّمَاهُ فَالْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ مُتَعَلِّقَةٌ بِجَمِيعِهَا وَهِيَ وَجُودَةٌ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ  
 مِنْهَا فِي سَائِرِ وَجُوهِهَا لِعُمُومِ تَعَلُّقِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ بِجَمِيعِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ وَالْفَقِيهَ يَنْظُرُ  
 فِي مَرْتَبَةِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانَ وَشُرُوطِ تَقْلِيدِهَا أَسْبَدَادًا عَلَى الْخِلَافَةِ وَهُوَ مَعْنَى السُّلْطَانَ  
 أَوْ تَعْوِضًا مِنْهَا وَهُوَ مَعْنَى الْوِزَارَةِ عِنْدَهُمْ كَمَا يَأْتِي وَفِي نَظَرِهِ فِي الْأَحْكَامِ وَالْأُمُورِ  
 وَسَائِرِ السِّيَاسَاتِ مُطْلَقًا أَوْ مُقَيَّدًا وَفِي مُوجِبَاتِ الْعَزْلِ إِنْ عَرَضَتْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعَانِي  
 الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانَ وَكَذَا فِي سَائِرِ الْوُظَائِفِ الَّتِي تَحْتَ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانَ مِنْ وَزَارَةٍ أَوْ  
 حِيَابِيَّةٍ أَوْ وِلَايَةٍ لَا بُدَّ لِلْفَقِيهِ مِنَ النَّظَرِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ كَمَا قَدَّمَاهُ مِنْ أُنْحَابِ  
 حُكْمِ الْخِلَافَةِ الشَّرْعِيَّةِ فِي الْمَلَّةِ الْأِسْلَامِيَّةِ عَلَى رُتْبَةِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانَ إِلَّا أَنَّ  
 كَلَامَنَا فِي وُظَائِفِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانَ وَرُتْبَتِهِ إِنَّمَا هُوَ بِمُقْتَضَى طَبِيعَةِ الْعُمَرَانَ وَوُجُودِ  
 الْبَشَرِ لَا يَمَّا يَخْصُهَا مِنْ أَحْكَامِ الشَّرْعِ فَلَيْسَ مِنْ غَرَضِ كِتَابِنَا كَمَا عَلِمْتَ فَلَا  
 مَحْتَاجَ إِلَى تَفْصِيلِ أَحْكَامِهَا الشَّرْعِيَّةِ مَعَ أَنَّهَا مُسْتَوْفَاةٌ فِي كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ  
 مِثْلِ كِتَابِ الْقَاضِي أَبِي الْحَسَنِ الْمَاوَرِدِيِّ وَغَيْرِهِ مِنْ أَعْلَامِ النُّفَهَاءِ فَإِنْ أَرَدْتَ  
 اسْتِنْفَاءَهَا فَعَلَيْكَ بِمُطَالَعَتِهَا هُنَاكَ وَإِنَّمَا تَكَلَّمْنَا فِي الْوُظَائِفِ الْخِلَافِيَّةِ وَأَفْرَدْنَا  
 لِنُمِيزَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْوُظَائِفِ السُّلْطَانِيَّةِ فَقَطَّ لَا لِتَحْقِيقِ أَحْكَامِهَا الشَّرْعِيَّةِ فَلَيْسَ مِنْ  
 غَرَضِ كِتَابِنَا وَإِنَّمَا نَتَكَلَّمُ فِي ذَلِكَ بِمَا تَقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ الْعُمَرَانَ فِي الْوُجُودِ  
 الْإِنْسَانِيِّ وَاللَّهِ الْمَوْفِقُ

الْوِزَارَةُ \* وَهِيَ أُمَّ الْخَطِّ السُّلْطَانِيَّةِ وَالرُّتْبِ الْمُلُوكِيَّةِ لِأَنَّ اسْمَهَا يَدُلُّ عَلَى مُطْلَقِ  
 الْإِعَانَةِ فَإِنَّ الْوِزَارَةَ مَأْخُودَةٌ إِمَّا مِنَ الْمُوَازَرَةِ وَهِيَ الْمُعَاوَنَةُ أَوْ مِنَ الْوِزْرِ وَهُوَ  
 النَّقْلُ كَأَنَّهُ يَحْمِلُ مَعَ مَقَاعِلِهِ أَوْزَارَهُ وَانْقَالَه وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْمُعَاوَنَةِ الْمُطْلَقَةِ وَقَدْ  
 كُنَّا قَدَّمْنَا فِي أَوَّلِ الْفَصْلِ أَنَّ أَحْوَالَ السُّلْطَانَ وَتَصَرُّفَاتِهِ لَا تَعْدُو أَرْبَعَةً لِأَنَّهَا إِمَّا أَنْ  
 تَكُونَ فِي أُمُورِ حِمَايَةِ الْكِفَافَةِ وَأَسْبَابِهَا مِنَ النَّظَرِ فِي الْجِدِّ وَالسَّلَاحِ وَالْحُرُوبِ وَسَائِرِ  
 أُمُورِ الْحِمَايَةِ وَالْمُطَالَبَةِ وَصَاحِبُ هَذَا هُوَ الْوَزِيرُ الْمُتَعَارِفُ فِي الدُّوَلِ الْقَدِيمَةِ  
 بِالْمَشْرِقِ وَلِهَذَا الْعَهْدُ بِالْمَغْرِبِ وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ فِي أُمُورِ مُخَاطَبَاتِهِ لِمَنْ بَعْدَ عَنْهُ فِي

أُمُورِ جَبَايَةِ الْمَالِ وَإِنْفَاقِهِ وَضَبَطَ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهِ أَنْ يَكُونَ بِمَضْبَطَةٍ وَصَاحِبُ  
 هَذَا هُوَ صَاحِبُ الْمَالِ وَالْجَبَايَةِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْوَزِيرِ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ وَإِمَّا أَنْ  
 يَكُونَ فِي مُدَاعَفَةِ النَّاسِ ذَوِي الْحَاجَاتِ عَنْهُ أَنْ يَزِدْحَمُوا عَلَيْهِ فَيَسْغَلُوهُ عَنْ فَهْمِهِ وَهَذَا  
 رَاجِعٌ لِصَاحِبِ الْبَابِ الَّذِي يَحْبِبُهُ فَلَا تَعْدُو أَحْوَالُهُ هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ بِوَجْهِ وَكُلِّ خِطَّةٍ  
 أَوْ رُتْبَةٍ مِنْ رُتْبِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ فَإِلَيْهَا يَرْجِعُ إِلَّا أَنْ الْأَرْفَعُ مِنْهَا مَا كَانَتْ الْأَعَانَةُ  
 فِيهِ عَامَّةً فَمَا تَحْتِ يَدِ السُّلْطَانِ مِنْ ذَلِكَ الصَّنْفِ إِذْ هُوَ يَقْتَضِي مِبَاشَرَةَ السُّلْطَانِ دَائِمًا  
 وَمُشَارَكَتَهُ فِي كُلِّ صَنْفٍ مِنْ أَحْوَالِ مَلِكِهِ وَإِمَّا مَا كَانَ خَاصًّا بِبَعْضِ النَّاسِ أَوْ  
 بِبَعْضِ الْجِبَاتِ فَيَكُونُ دُونَ الرُّتْبَةِ الْأُخْرَى كَقِيَادَةِ نَعْرٍ أَوْ وِلَايَةِ جَبَايَةٍ خَاصَّةٍ أَوْ  
 النَّظَرِ فِي أَمْرِ خَاصٍّ كَحِسْبَةِ الطَّعَامِ أَوْ النَّظَرِ فِي السِّكَّةِ فَإِنَّ هَذِهِ كَلِمَاتٌ نَظَرٌ فِي  
 أَحْوَالٍ خَاصَّةٍ فَيَكُونُ صَاحِبُهَا تَبَعًا لِأَهْلِ النَّظَرِ الْعُلَمَاءِ وَتَكُونُ رُتْبَتُهُ مَرُؤُوسَةً لِأَوْلِيائِكَ  
 وَمَا زَالَ الْأَمْرُ فِي الدُّوَلِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ هَكَذَا حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ وَصَارَ الْأَمْرُ خِلَافَةً  
 فَذَهَبَتْ تِلْكَ الْخِلَافَةُ كُلُّهَا بِذَهَابِ رَسْمِ الْمَلِكِ إِلَى مَا هُوَ طَبِيعِيٌّ مِنَ الْمَعَاوَنَةِ بِالرَّأْيِ  
 وَالْمَفَاوِضَةِ فِيهِ فَلَمْ يُمْكِنْ رِوَالُهُ إِذْ هُوَ أَمْرٌ لَا يَدْمُنُهُ فَكَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 يَشَاوِرُ أَصْحَابَهُ وَيَفَاوِضُهُمْ فِي مِهْمَاتِهِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَيَخُصُّ مَعَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ  
 بِمُخْصِصَاتٍ أُخْرَى حَتَّى كَانَ الْعَرَبُ الَّذِينَ عَرَفُوا الدُّوَلِ وَأَحْوَالَهَا فِي كِسْرَى وَقِيَصَرَ  
 وَالنَّجَاشِي يَسْمُونَ أَبَا بَكْرٍ وَزَيْرَةَ وَلَمْ يَكُنْ لَفْظُ الْوَزِيرِ يُعْرَفُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ لِنَهَابِ  
 رُتْبَةِ الْمَلِكِ بِسَدَاجَةِ الْإِسْلَامِ وَكَذَا عُمَرُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعَلِيٌّ وَعَثْمَانُ مَعَ عُمَرَ وَإِمَّا  
 حَالَ الْجَبَايَةِ وَالْإِنْفَاقِ وَالْحِسْبَانِ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ بَرُتْبَةً لِأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا عَرَبًا أَمِيَّةِينَ  
 لَا يُحْسِنُونَ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ فَكَانُوا يَسْتَعْمِلُونَ فِي الْحِسَابِ أَهْلَ الْكِتَابِ أَوْ أَفْرَادًا  
 مِنْ مَوَالِي الْعَجَمِ مِمَّنْ يُجِيدُهُ وَكَانَ قَلِيلًا فِيهِمْ وَإِمَّا أَشْرَافُهُمْ فَلَمْ يَكُونُوا يُجِيدُونَهُ  
 لِأَنَّ الْأَمِيَّةَ كَانَتْ صِفَتَهُمُ الَّتِي أَمْتَارُوا بِهَا وَكَذَا حَالَ الْمُخَطَّابَاتِ وَتَنْفِيدِ الْأُمُورِ لَمْ  
 تَكُنْ عِنْدَهُمْ رُتْبَةً خَاصَّةً لِلْأَمِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِمْ وَالْأَمَانَةُ الْعَامَّةُ فِي كِتْمَانِ الْقَوْلِ  
 وَتَأْدِيبِهِ وَلَمْ تَخْرُجِ السِّيَاسَةُ إِلَى اخْتِيَارِهِ لِأَنَّ الْخِلَافَةَ إِنَّمَا هِيَ دِينٌ لَيْسَتْ مِنَ السِّيَاسَةِ  
 الْمَلِكِيَّةِ فِي شَيْءٍ وَأَيْضًا فَلَمْ تَكُنِ الْكِتَابَةُ صِنَاعَةً فَيَسْتَجَادُ لِحِلْمَةِ أَحْسَنِهَا لِأَنَّ  
 الْكُلَّ كَانُوا يُعْبِرُونَ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ بِأَبْلَغِ الْعِبَارَاتِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْخَطُّ فَكَانَ الْخَلِيفَةُ

بَسْتَنْبِ فِي كِتَابِهِ مَتَى عَنْ لَهُ مِنْ يُحْسِنُهُ وَأَمَّا مِدَانَةٌ ذَوِي الْحَاجَاتِ عَنْ أَبُو بَاهِمٍ  
فَكَانَ مَحْظُورًا بِالشَّرِيعَةِ فَلَمْ يَفْعَلُوهُ فَلَمَّا انْقَلَبَتِ الْخِلَافَةُ إِلَى الْمَلِكِ وَجَاءَتْ رُسُومُ  
السُّلْطَانِ وَالْقَابِ بِهَا كَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ بَدِئَ بِهِ فِي الدَّوْلَةِ شَأْنُ الْبَابِ وَسَدُّ دُونَ أَجْهَرٍ بِمَا  
كَانُوا يَخْشَوْنَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَعْتِيَالِ الْخَوَارِجِ وَغَيْرِهِمْ كَمَا وَقَعَ بِعُمَرَ وَعَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ  
وَعُمَرَ بْنِ الْعَادِي وَغَيْرِهِمْ مَعَ مَا فِي فَتْحِهِ مِنْ أَرْحَامِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ وَشَغْلِهِمْ بِهِمْ عَنْ  
الْمَهْمَاتِ فَاتَّخَذُوا مِنْ يَقُومُ لَهُمْ بِذَلِكَ وَسَمَّوهُ الْحَاجِبَ وَقَدْ جَاءَ أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ لَمَّا  
وَلَّى حَاجِبَهُ قَالَ لَهُ قَدْ وَابَيْتُكَ حِجَابَةَ بَابِي إِلَّا عَنِ ثَلَاثَةِ الْمُؤَذِّنِ لِلصَّلَاةِ فَإِنَّهُ دَاعِي  
اللَّهِ وَصَاحِبِ الْبَرِيدِ فَأَمْرٌ مَا جَاءَ بِهِ وَصَاحِبِ الطَّعَامِ لِئَلَّا يَفْسُدَ ثُمَّ اسْتَفْجَلَ الْمَلِكُ بَعْدَ  
ذَلِكَ فَظَهَرَ الْمَشَاوِرُ وَالْمَعِينُ فِي أُمُورِ الْقَبَائِلِ وَالْعَصَائِبِ وَاسْتَبْلَاهُمْ وَاطَّلَعَ عَلَيْهِ اسْمُ  
الْوَزِيرِ وَبَقِيَ أَمْرُ الْحِسْبَانِ فِي الدَّوَالِي وَالذَّمِيَيْنِ وَاتَّخَذَ لِلسَّجِلَاتِ كَاتِبٌ مَخْصُوصٌ  
حَوْطَةً عَلَى أَسْرَارِ السُّلْطَانِ أَنْ تَشْتَهَرَ فَتَنْسُدَ سِيَاسَتُهُ مَعَ قَوْمِهِ وَلَمْ يَكُنْ بِدَثَابَةِ  
الْوَزِيرِ لِأَنَّهُ إِنَّمَا أَحْتِيجُ لَهُ مِنْ حَيْثُ الْخَطُّ وَالْكِتَابُ لَا مِنْ حَيْثُ اللِّسَانُ الَّذِي هُوَ  
الْكَلَامُ إِذِ اللِّسَانُ لِذَلِكَ الْعَهْدِ عَلَى حَالِهِ لَمْ يَفْسُدْ فَكَانَتْ أَوْزَارَةُ لِذَلِكَ أَرْفَعُ رُتَبَهُمْ  
يَوْمئِذٍ فِي سَائِرِ دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ نَكَانَ النَّظْرُ لِلْوَزِيرِ عَامًا فِي أحوالِ التَّدْبِيرِ وَالْمَفَاوِضَاتِ  
وَسَائِرِ أُمُورِ الْحِمَايَاتِ وَالْمَطَالِبَاتِ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ النَّظْرِ فِي دِيوانِ الْجُنْدِ وَقَرَضِ الْعَطَاءِ  
بِالْأَهْلِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَاسْتَفْجَلَ الْمَلِكُ وَعَظَّمَتْ مَرَاتِبَهُ  
وَأَزْنَعَتْ وَعَظَّمَ شَأْنُ الْوَزِيرِ وَصَارَتْ إِلَيْهِ النِّيَابَةُ فِي إِنْفَازِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ تَعَيَّنَتْ مَرَاتِبُهُ  
فِي الدَّوْلَةِ وَعَنْتَ لَهَا الْوُجُوهُ وَخَضَعَتْ لَهَا الرِّقَابُ وَجَعِلَ لَهَا النَّظْرُ فِي دِيوانِ الْحِسْبَانِ  
لَمَّا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ خِطَّتُهُ مِنْ قِسْمِ الْأَعْطِيَاتِ فِي الْجُنْدِ فَاحْتَاجَ إِلَى النَّظْرِ فِي جَمْعِهِ وَتَقَرُّبِهِ  
وَأَضِيفَ إِلَيْهِ النَّظْرُ فِيهِ ثُمَّ جَعِلَ لَهُ النَّظْرُ فِي الْقَلَمِ وَالتَّرْسِيلِ لِصَوْنِ أَسْرَارِ السُّلْطَانِ  
وَلِحِفْظِ الْبَلَاغَةِ لَمَّا كَانَ اللِّسَانُ قَدْ فَسَدَ عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَجَعِلَ الْخَاتَمَ لِسَجِلَاتِ السُّلْطَانِ  
لِيَحْفَظَهَا مِنَ الدِّيَاعِ وَالشَّيَاعِ وَدُفِعَ إِلَيْهِ فَصَارَ اسْمُ الْوَزِيرِ جَامِعًا لِحِطَّتِي السِّيفِ وَالْقَلَمِ  
وَسَائِرِ مَعَانِيِ الْوَزَارَةِ وَالْمَعَاوَنَةِ حَتَّى لَقِدَ دُعِيَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى بِالسُّلْطَانِ أَيَّامَ الرَّشِيدِ  
إِشَارَةً إِلَى عُمُومِ نَظَرِهِ وَقِيَامِهِ بِالدَّوْلَةِ وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْهُ مِنَ الرُّتَبِ السُّلْطَانِيَّةِ كَلِّهَا إِلَّا  
الْحِجَابَةَ الَّتِي هِيَ الْقِيَامُ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ تَكُنْ لَهُ لِاسْتِنِكَافِهِ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ ثُمَّ جَاءَ فِي

الدولة العباسية شأن الاستبداد على السلطان وتعاور فيها استبداد الوزارة مرة والسلطان  
أخرى وصار الوزير إذا استبد محتاجا إلى استنابة الخليفة إياه لذلك لتصح الأحكام  
الشرعية وتجي على حالها كما تقدمت فانتسبت الوزارة حينئذ إلى وزارة تنفيذ وهي  
حال ما يكون السلطان قائما على نفسه وإلى وزارة تفيض وهي حال ما يكون الوزير  
مستبدا عليه ثم استمر الاستبداد وصار الأمر لملوك العجم وتعطل رسم الخلافة ولم  
يكن لأولئك المتغلبين أن ينتحلوا القاب الخلافة واستنكفوا من مشاركة الوزراء  
في القاب لأنهم حول لهم ففسدوا بالإمارة والسلطان وكان المستبد على الدولة يسمى  
أمير الأمراء أو بالسلطان إلى ما يحل به الخليفة من القاب كما تراه في القابهم  
وتركوا اسم الوزارة إلى من يتولاهم للخليفة في خاصته ولم يزل هذا الشأن عندهم إلى  
آخر دولتهم وفسد اللسان خلال ذلك كله وصارت صناعة ينتحلها بعض الناس  
فأمتهنت وترفع الوزراء عنها لذلك ولأنهم عجم وليست تلك البلاغة هي المقصودة من  
لسانهم فتخير لها من سائر الطبقات واختصت به وصارت خادمة للوزير واختص  
اسم الأمير بصاحب الخروب والجند وما يرجع إليها ويده مع ذلك عالية على أهل  
الرتب وأمره نافذ في الكل إما نيابة أو استبدادا واستمر الأمر على هذا ثم جاءت  
دولة الترك آخرًا بمصر فزأوا أن الوزارة قد أبدلت بتربع أولئك عنها ودفعها لمن  
يقوم بها للخليفة المحجور ونظره مع ذلك متعقب بنظر الأمير فصارت مرؤوسة ناقصة  
فاستنكف أهل هذه الرتبة العالية في الدولة عن اسم الوزارة وصار صاحب  
الأحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد وبقي اسم الحاجب في  
مدلوله واختص اسم الوزير عندهم بالنظر في الحياة وأما دولة بني أمية بالاندلس  
فأنفوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ثم فسدوا خطته أصنافا وأفردوا لكل  
صنف وزيرًا فجعلوا الحسبان المال وزيرًا ولترسيل وزيرًا وللنظر في حوائج المتظلمين  
وزيرًا وللنظر في أحوال أهل الثغور وزيرًا وجعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش  
منضدة لهم ويفدون أمر السلطان هناك كل فيما جعل له وأفرد للتردد بينهم وبين  
الخليفة واحد منهم أرتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت فأرتفع مجلسه عن

مَجَالِسِهِمْ وَخَصَّوهُ بِاسْمِ الْحَاجِبِ وَلَمْ يَزَلِ الشَّانُ هَذَا إِلَى آخِرِ دَوْلَتِهِمْ فَأَرْتَفَعَتْ خِطَّةُ  
 الْحَاجِبِ وَمَرَّتْهُ عَلَى سَائِرِ الرُّتَبِ حَتَّى صَارَ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ يَنْتَحِلُونَ لِقَبْلِهَا فَأَكْثَرُهُمْ  
 يَوْمئِذٍ يُسَمَّى الْحَاجِبَ كَمَا نَدَّ كُرُهُ ثُمَّ جَاءَتْ دَوْلَةُ الشَّيْخَةِ بِأَفْرِيقِيَّةِ وَالْقَيْرَوَانَ وَكَانَ  
 لِلْقَائِمِينَ بِهَا رُسُوخٌ فِي الْبِدَاوَةِ فَأَغْفَلُوا أَمْرَ هَذِهِ الْخِطَطِ أَوَّلًا وَتَنَقَّحَ أَسْمَاءُهَا كَمَا  
 تَرَاهُ فِي أَخْبَارِ دَوْلَتِهِمْ \* وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَغْفَلَتْ الْأَمْرَ  
 أَوَّلًا لِلْبِدَاوَةِ ثُمَّ صَارَتْ إِلَى انْتِحَالِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَلْقَابِ وَكَانَ اسْمُ الْوَزِيرِ فِي مَدْلُولِهِ ثُمَّ  
 اتَّبَعُوا دَوْلَةَ الْأُمَوِيِّينَ وَقَدَّوْهَا فِي مَذَاهِبِ السُّلْطَانَ وَأَخْتَارُوا اسْمَ الْوَزِيرِ لِمَنْ  
 يُحِبُّ السُّلْطَانَ فِي مَجْلِسِهِ وَيَقِفُ بِالْوُفُودِ وَالدَّخَالِينَ عَلَى السُّلْطَانَ عِنْدَ الْخُدُودِ فِي تَحِيَّتِهِمْ  
 وَخِطَابِهِمْ وَالْآدَابِ الَّتِي تَلْزَمُ فِي الْكُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَرَفَعُوا خِطَّةَ الْحِجَابَةِ عَنْهُ مَا  
 شَاءُوا وَلَمْ يَزَلِ الشَّانُ ذَلِكَ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ التُّرْكَ بِالْمَشْرِقِ فَيَسْمُونَ  
 هَذَا الَّذِي يَقِفُ بِالنَّاسِ عَلَى حُدُودِ الْآدَابِ فِي اللَّقَاءِ وَالنَّحِيَّةِ فِي مَجَالِسِ السُّلْطَانَ  
 وَالتَّقَدُّمِ بِالْوُفُودِ بَيْنَ يَدَيْهِ الدَّوِيْدَارِ وَيُضَيِّفُونَ إِلَيْهِ اسْتِنْبَاعَ كَاتِبِ السِّرِّ وَأَصْحَابِ  
 الْبَرِيدِ الْمُتَصَرِّفِينَ فِي حَاجَاتِ السُّلْطَانَ بِالْقَاصِيَةِ وَبِالْحَاضِرَةِ وَحَالَهُمْ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ وَاللَّهُ مَوْلَى الْأُمُورِ لِمَنْ يَشَاءُ

( الحجابة ) \* قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّ هَذَا اللَّقَبَ كَانَ مَخْصُوصًا فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ  
 وَالْعَبَّاسِيَّةِ بِمَنْ يُحِبُّ السُّلْطَانَ عَنِ الْعَامَّةِ وَيُعَلِّقُ بَابَهُ دُونَهُمْ أَوْ يَفْتَحُهُ لَهُمْ عَلَى  
 قَدْرِهِ فِي مَوَاقِيْتِهِ وَكَانَتْ هَذِهِ مُنْزَلَةً يَوْمًا عَنِ الْخِطَطِ مَرْوُوسَةً لَهَا إِذِ الْوَزِيرُ مُتَصَرِّفٌ  
 فِيهَا بِمَا يَرَاهُ وَهَكَذَا كَانَتْ سَائِرُ أَيَّامِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَإِلَى هَذَا الْعَهْدِ فَهِيَ بِمِصْرَ مَرْوُوسَةٌ  
 لِصَاحِبِ الْخِطَّةِ الْعُلِيَّا الْمُسَمَّى بِالنَّائِبِ \* وَأَمَّا فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَكَانَتْ  
 الْحِجَابَةُ لِمَنْ يُحِبُّ السُّلْطَانَ عَنِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ وَيَكُونُ وَسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوُزَرَءِ  
 فَمَنْ دُونَهُمْ فَكَانَتْ فِي دَوْلَتِهِمْ رَفِيْعَةً غَايَةً كَمَا تَرَاهُ فِي أَخْبَارِهِمْ كَابْنِ حُدَيْدٍ وَغَيْرِهِ  
 مِنْ حُجَّابِهِمْ ثُمَّ لَمَّا جَاءَ الْأَسْتَبْدَادُ عَلَى الدَّوْلَةِ اخْتَصَّ الْمُسْتَبْدِدُ بِاسْمِ الْحِجَابَةِ لِشَرَفِهَا  
 فَكَانَ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ وَابْنَاؤُهُ كَذَلِكَ وَلَمَّا بَدَا فِي مَظَاهِرِ الْمَلِكِ وَأَطْوَارِهِ  
 جَاءَ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ فَلَمْ يَبْرُكُوا لِقَبْلِهَا وَكَانُوا يَعِدُونَهُ شَرَفًا لَهُمْ وَكَانَ عَظَمَتُهُمْ  
 مُلْكًا بَعْدَ انْتِحَالِ الْقَابِ الْمَلِكِ وَأَسْمَائِهِ لِأَبْدَلِهِ مِنْ ذِكْرِ الْحَاجِبِ وَذِي الْوَزَارَتَيْنِ

يَعُونُ بِهِ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ وَيَدُلُّونَ بِالْحِجَابَةِ عَلَى حِجَابَةِ السُّلْطَانِ عَنِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ  
وَيَذِي الْوِزَارَتَيْنِ عَنْ جَمْعِهِ لِحِطَّتِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فِي دَوْلِ الْمَغْرِبِ  
وَأَفْرِيقِيَّةَ ذِكْرًا لِهَذَا الْأِسْمِ لِلدَّوَاةِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِمْ وَرُبَّمَا يُوْجَدُ فِي دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ  
بِمِصْرَ عِنْدَ أَسْتِعْظَامِهَا وَحَضَارَتِهَا إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلٌ \* وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ لَمْ  
تَسْتَمَكِّنْ فِيهَا الْحَضَارَةَ الدَّاعِيَةَ إِلَى اتِّحَالِ الْأَلْقَابِ وَتَمْيِيزِ الْخَطِّ وَتَعْيِينِهَا بِالْأَسْمَاءِ  
إِلَّا آخِرًا فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مِنَ الرَّتَبِ إِلَّا الْوِزِيرُ فَكَانُوا أَوَّلًا يَخْضُونَ بِهَذَا الْأِسْمِ  
الْكَاتِبِ الْمُتَصَرِّفِ الْمَشَارِكِ لِلسُّلْطَانِ فِي خَاصِّ أَمْرِهِ كَأَنَّ عَطِيَّةَ وَعَبْدَ السَّلَامِ  
الْكُؤَيْبِيَّ وَكَانَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ النَّظَرُ فِي الْحِسَابِ وَالْأَشْغَالِ الْمَالِيَّةِ ثُمَّ صَارَ بَعْدَ ذَلِكَ  
أَسْمُ الْوِزِيرِ لِأَهْلِ نَسَبِ الدَّوَلَةِ مِنَ الْمُوحِدِينَ كَأَبْنِ جَامِعٍ وَغَيْرِهِ وَلَمْ يَكُنْ أَسْمُ  
الْحَاجِبِ مَعْرُوفًا فِي دَوْلَتِهِمْ يَوْمَئِذٍ \* وَأَمَّا بَنُو أَبِي حَنْضَلَةَ بِأَفْرِيقِيَّةَ فَكَانَتْ الرَّئِيسَةَ  
فِي دَوْلَتِهِمْ أَوَّلًا وَالتَّقَدُّمُ لَوْزِيرٍ وَالرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ وَكَانَ يُخَصُّ بِاسْمِ شَيْخِ الْمُوحِدِينَ  
وَكَانَ لَهُ النَّظَرُ فِي الْوِلَايَاتِ وَالْعَزْلِ وَقَوْدِ الْعَسَاكِرِ وَالْحُرُوبِ وَأَخْصَصَ الْحَسْبَانُ  
وَالدِّيَّانُ بِرُبْنَةِ أُخْرَى وَتُسَمَّى مُتَوَلِيَهَا بِصَاحِبِ الْأَشْغَالِ يَنْظُرُ فِيهَا النَّظَرَ الْمُطْلَقَ فِي  
الدَّخْلِ وَالخُرُوجِ وَيَحَاسِبُ وَيَسْتَخْضِصُ الْأَمْوَالَ وَيُعَاقِبُ عَلَى التَّفْرِيطِ وَكَانَ مِنْ شَرْطِهِ  
أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُوحِدِينَ وَأَخْصَصَ عِنْدَهُمُ الْقَلَمَ أَيْضًا بِمَنْ يَجِدُ التَّرْسِيلَ وَيُؤْتَمِنُ  
عَلَى الْأَسْرَارِ لِأَنَّ الْكِتَابَةَ لَمْ تَكُنْ مِنْ مُنْتَحَلِ الْقَوْمِ وَلَا التَّرْسِيلَ بِلِسَانِهِمْ فَلَمْ  
يُشْتَرَطْ فِيهِ النَّسَبُ وَاحْتِاجُ السُّلْطَانِ لِاتِّسَاعِ مُلْكِهِ وَكَثْرَةِ الْمُرْتَزِقِينَ بِدَارِهِ إِلَى  
قَهْرَمَانَ خَاصِّ بِدَارِهِ فِي أَحْوَالِهِ يُجْرِيهَا عَلَى قَدْرِهَا وَتَرْتِيبِهَا مِنْ رِزْقٍ وَعَطَاةٍ وَكُسُوفَةٍ  
وَنَفَقَةٍ فِي الْمَطْبَخِ وَالْإِصْطِبَاتِ وَغَيْرِهَا وَحَضَرَ الذَّخِيرَةَ وَتَنْفِيدَ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي  
ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْحِجَابَةِ فَخَصَّهُ بِاسْمِ الْحَاجِبِ وَرُبَّمَا أَضَافُوا إِلَيْهِ كِتَابَةَ الْعَلَامَةِ عَلَى  
السَّيِّلَاتِ إِذَا اتَّفَقَ أَنَّهُ يُحْسِنُ صِنَاعَةَ الْكِتَابَةِ وَرُبَّمَا جَعَلُوهُ غَيْرِهِ وَاسْتَمَرَّ الْأَمْرُ عَلَى  
ذَلِكَ وَحَجَبَ السُّلْطَانُ نَفْسَهُ عَنِ النَّاسِ قِصَارَ هَذَا الْحَاجِبِ وَاسْطَةَ بَيْنَ النَّاسِ وَبَيْنَ أَهْلِ  
الرُّتَبِ كُلِّهِمْ ثُمَّ جُمِعَ لَهُ آخِرَ الدَّوَلَةِ السَّيْفُ وَالْحَرْبُ ثُمَّ الرَّأْيُ وَالْمَشُورَةُ فَصَارَتْ الْحِطَّةُ  
أَرْفَعُ الرَّتَبِ وَأَوْعَبًا لِلخَطِّ ثُمَّ جَاءَ الْأَسْتَبْدَادُ وَالْحَجْرُ مُدَّةً مِنْ بَعْدِ السُّلْطَانِ الثَّانِي عَشَرَ  
مِنْهُمْ ثُمَّ اسْتَبَدَّ بَعْدَ ذَلِكَ حَفِيدُهُ السُّلْطَانُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَى نَفْسِهِ وَأَذْهَبَ آثَارُ الْحَجْرِ

وَالْأَسْبَدَادِ بِإِذْهَابِ خِطَّةِ الْحِجَابَةِ الَّتِي كَانَتْ سَامًا إِلَيْهِ وَبَاشَرَ أُمُورَهُ كَمَا بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ  
اسْتِعَانَةٍ بِأَحَدٍ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ

وَأَمَّا دَوْلَةُ زَنَانَةَ بِالْمَغْرِبِ وَأَعْظَمُهَا دَوْلَةُ بَنِي مُرَيْنَ فَلَا أَثَرَ لِاسْمِ الْحَاجِبِ عِنْدَهُمْ  
وَأَمَّا رِئَاسَةُ الْحَرْبِ وَالْعَسَاكِرِ فَهِيَ لِلْوَزِيرِ وَرُتَبَةُ الْقَلَمِ فِي الْحِسْبَانِ وَالرَّسَائِلِ رَاجِعَةٌ  
إِلَى مَنْ يُحْسِنُهَا مِنْ أَهْلِهَا وَإِنْ أَخْتَصَّتْ بَعْضُ الْبُيُوتِ الْمُصْطَفِيَةِ فِي دَوْلَتِهِمْ وَقَدْ  
تَجَمَّعَ عِنْدَهُمْ وَقَدْ تَفَرَّقَ وَأَمَّا بَابُ السُّلْطَانِ وَحُجْبَةُ عَنِ الْعَامَةِ فَهِيَ رُتْبَةٌ عِنْدَهُمْ فَيَسْمَى  
صَاحِبُهَا عِنْدَهُمْ بِالْمِزْوَارِ وَمَعْنَاهُ الْمَقْدَمُ عَلَى الْجُنَادِ الرَّائِدِ فِي بَابِ السُّلْطَانِ فِي  
تَنْفِيذِ أُمُورِهِ وَتَضْرِيفِ عَقُوبَاتِهِ وَإِنْ زَالَ سَطْوَاتِهِ وَحَفِظَ الْمُعْتَقِلِينَ فِي سِجُونِهِ وَالْعَرِيفَ  
عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ فَالْبَابُ لَهُ وَأَخَذَ النَّاسُ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ الْحُدُودِ فِي دَارِ الْعَامَةِ رَاجِعٌ  
إِلَيْهِ فَكَانَتْهَا وَزَارَةٌ صُغْرَى وَأَمَّا دَوْلَةُ بَنِي عَبْدِ الْوَارِ فَلَا أَثَرَ عِنْدَهُمْ لِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ  
الْأَلْقَابِ وَلَا تَمَيِّزِ الْخِطَطِ لِبِدَاوَةِ دَوْلَتِهِمْ وَفُصُورِهَا وَإِنَّمَا يَخْصُونَ بِاسْمِ الْحَاجِبِ فِي  
بَعْضِ الْأَحْوَالِ مَنْفَذَ الْخَاصِّ بِالسُّلْطَانِ فِي دَارِهِ كَمَا كَانَ فِي دَوْلَةِ بَنِي أَبِي حَنْصُ وَوَقَدْ  
يَجْمَعُونَ لَهُ الْحِسْبَانَ وَالسُّجُلَ كَمَا كَانَ فِيهَا حَمَلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ تَقْلِيدَ الدَّوْلَةِ بِمَا كَانُوا فِي  
تَبِعَتِهَا وَقَائِمِينَ بِدَعْوَتِهَا مِنْذُ أَوَّلِ أَمْرِهِمْ

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَالْخِصُوصُ عِنْدَهُمْ بِالْحِسْبَانِ وَتَنْفِيذُ حَالَ السُّلْطَانِ  
وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْمَالِيَّةِ يُسَمُّونَهُ بِالْوَكِيلِ وَأَمَّا الْوَزِيرُ فَكَالْوَزِيرِ الْأَنَّهُ يَجْمَعُ لَهُ التَّنْزِيلُ  
وَالسُّلْطَانُ عِنْدَهُمْ يَضَعُ خِطَّةً عَلَى السُّجُلَاتِ كَمَا فُلَيْسَ هُنَاكَ خِطَّةُ الْعَامَةِ كَمَا غَيْرُهُمْ مِنَ الدُّوَلِ  
وَأَمَّا دَوْلَةُ التُّرْكِ بِمِصْرَ فَاسْمُ الْحَاجِبِ عِنْدَهُمْ مَوْضِعُ الْحَاكِمِ مِنْ أَهْلِ الشُّوَكَةِ وَهُمْ التُّرْكُ  
يَنْفِذُ الْأَحْكَامَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمَدِينَةِ وَهُمْ مُتَعَدِّدُونَ وَهَذِهِ الْوُضَيْفَةُ عِنْدَهُمْ تَحْتَ وَضَيْفَةِ  
النَّبِيَّةِ الَّتِي لَهَا الْحُكْمُ فِي أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَفِي الْعَامَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلِلنَّائِبِ التَّوَالِيَةِ وَالْعَزَلُ  
فِي بَعْضِ الْوُضَائِفِ عَلَى الْأَحْيَانِ وَيَقْطَعُ الْقَلِيلَ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَيَبْتَهَا وَتَنْفِذُ أُمُورِهِ  
كَمَا تَنْفِذُ الْمَرَاسِمِ السُّلْطَانِيَّةِ وَكَانَ لَهُ النَّبِيَّةُ الْمَطْلُوقَةُ عَنِ السُّلْطَانِ وَالْحِجَابُ الْحُكْمُ فَقَطُّ  
فِي طَبَقَاتِ الْعَامَةِ وَالْحُجْدُ عِنْدَ التَّرَافِعِ إِلَيْهِمْ وَإِجْبَارٌ مِنْ أَبِي الْأَنْقِيَادِ لِلْحُكْمِ وَطُورُهُمْ  
تَحْتَ طُورِ النَّبِيَّةِ وَالْوَزِيرِ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ هُوَ صَاحِبُ جَبَابَةِ الْأَمْوَالِ فِي الدَّوْلَةِ عَلَى  
أَخْتِلَافِ أَصْنَافِهَا مِنْ خَرَاجٍ أَوْ مَكْسٍ أَوْ جَزِيَّةٍ ثُمَّ فِي تَضْرِيفِهَا فِي الْأَنْفَاقَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ

أَوْ الْجَرَايَاتِ الْمُقَدَّرَةِ وَلَهُ مَعَ ذَلِكَ التَّوَلِيَّةُ وَالْعَزْلُ فِي سَائِرِ الْعَمَالِ الْمُبَاشِرِينَ لَهُدِهِ  
الْجَبَايَةِ وَالْتَنْفِيذِ عَلَى اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ وَتَبَايُنِ أَصْنَافِهِمْ وَمِنْ عَوَائِدِهِمْ أَنْ يَكُونَ هَذَا  
الْوَزِيرُ مِنْ صِنْفِ الْقَبِطِ الْقَائِمِينَ عَلَى دِيْوَانِ الْحِسْبَانِ وَالْجَبَايَةِ لِاخْتِصَاصِهِمْ بِذَلِكَ فِي  
مِصْرَ مِنْذُ عَصُورٍ قَدِيمَةٍ وَقَدْ يُوَلِّيهَا السُّلْطَانُ بَعْضَ الْأَحْيَانِ لِأَهْلِ الشُّوَكَةِ مِنْ رِجَالَاتِ  
الْتُرْكِ أَوْ أَبْنَاءِهِمْ عَلَى حَسَبِ الدَّاعِيَةِ لِذَلِكَ وَاللَّهُ مُدَبِّرُ الْأُمُورِ وَمُصَرِّفُهَا بِحِكْمَتِهِ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ رَبُّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ

### ديوان الاعمال والجبایات

اعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ مِنَ الْوُظَائِفِ الضَّرُورِيَّةِ لِلْمَلِكِ وَهِيَ الْقِيَامُ عَلَى أَعْمَالِ  
الْجَبَايَاتِ وَحِظْ حَتْمًا الدَّوْلَةَ فِي الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ وَإِحْصَاءِ الْعَسَاكِرِ بِأَسْمَائِهِمْ وَتَقْدِيرِ  
أَرْزَاقِهِمْ وَصَرْفِ أَعْطِيَاتِهِمْ فِي إِبَائَاتِهَا وَالرُّجُوعِ فِي ذَلِكَ إِلَى الْقَوَانِينِ الَّتِي يُرْتَبِهَا قَوْمَةُ  
تلك الْأَعْمَالِ وَقَهَارِمَةُ الدَّوْلَةِ وَهِيَ كُلُّهَا مَسْطُورَةٌ فِي كِتَابٍ شَاهِدٍ بِتَفَاصِيلِ ذَلِكَ فِي  
الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ مَبْنِيٍّ عَلَى جُزْءٍ كَبِيرٍ مِنَ الْحِسَابِ لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا الْمَهَرَّةُ مِنْ أَهْلِ  
تلك الْأَعْمَالِ وَيُسَمَّى ذَلِكَ الْكِتَابُ بِالْدِيْوَانِ وَكَذَلِكَ مَكَانُ جُلُوسِ الْعَمَالِ  
الْمُبَاشِرِينَ لَهَا \* وَيُقَالُ إِنَّ أَصْلَ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ أَنَّ كِسْرَى نَظَرَ يَوْمًا إِلَى كِتَابِ  
دِيْوَانِهِ وَهُمْ يَحْسِبُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ كَانَهُمْ يُعَادَتُونَ فَقَالَ دِيْوَانُهُ أَيُّ جَبَانِينَ بَلَغَةُ الْفَرَسِ  
فَسَمِّيَ مَوْضِعُهُمْ بِذَلِكَ وَحُذِفَ الْهَاءُ لِكثْرَةِ الْأِسْتِعْمَالِ تَخْفِيفًا فَقِيلَ دِيْوَانٌ ثُمَّ نَقِلَ هَذَا  
الْإِسْمُ إِلَى كِتَابِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْمُتَضَمِّنِ لِلْقَوَانِينِ وَالْحِسْبَانَاتِ وَقِيلَ إِنَّهُ اسْمُ  
لِلشَّيَاطِينِ بِالْفَارِسِيَّةِ سُمِّيَ الْكِتَابُ بِذَلِكَ لِسُرْعَةِ نَفُوزِهِمْ فِي فَهْمِ الْأُمُورِ وَوُقُوفِهِمْ عَلَى  
الْحَلِيِّ مِنْهَا وَالْخَفِيِّ وَجَمْعِهِمْ لِمَا شَدَّ وَتَفَرَّقَ ثُمَّ نَقِلَ إِلَى مَكَانِ جُلُوسِهِمْ لِتلك الْأَعْمَالِ  
وَعَلَى هَذَا فَيَتَنَاوَلُ اسْمُ الدِّيْوَانِ كِتَابَ الرِّسَالِ وَمَكَانَ جُلُوسِهِ بِيَابِ السُّلْطَانِ عَلَى مَا  
يَأْتِي بَعْدُ وَقَدْ تَفَرَّدَ هَذِهِ الْوُظَيْفَةُ بِنَظَرٍ وَاحِدٍ يَنْظُرُ فِي سَائِرِ هَذِهِ الْأَعْمَالِ وَقَدْ يَفْرُدُ  
كُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا بِنَظَرٍ كَمَا يَفْرُدُ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ النَّظَرُ فِي الْعَسَاكِرِ وَإِقْطَاعَاتِهِمْ  
وَحِسْبَانِ أَعْطِيَاتِهِمْ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ عَلَى حَسَبِ مُصْطَلَحِ الدَّوْلَةِ وَمَا قَرَّرَهُ أَوْلَاؤها . وَأَعْلَمْ  
أَنَّ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ إِنَّمَا تُحَدَّثُ فِي الدُّوَلِ عِنْدَ تَمَكُّنِ الْعَلْبِ وَالْإِسْتِيْلَاءِ وَالنَّظَرِ فِي  
أَعْطَافِ الْمَلِكِ وَفُتُونِ التَّمْهِيدِ وَأَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الدِّيْوَانَ فِي الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عُمَرُ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقَالُ لِسَبَبِ مَا آتَى بِهِ أَبُو بُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَاسْتَكْتَرُوهُ  
 وَتَعَبُوا فِي قَسَمِهِ فَسَمُّوا إِلَى إِحْصَاءِ الْأَمْوَالِ وَضَبْطِ الْعَطَاءِ وَالْحَقُوقِ فَأَشَارَ خَالِدُ بْنُ  
 الْأَوْلَيْدِ بِالْدِيَّانِ وَقَالَ رَأَيْتُ مُلُوكَ الشَّامِ يَدْوُونَ فَقِيلَ مِنْهُ عُمَرُ وَقِيلَ بَلْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِهِ  
 الْهَرَمِزَانُ لَمَّا رَأَاهُ يَبْعَثُ الْبُعُوثَ بِغَيْرِ دِيَّانٍ فَقِيلَ لَهُ وَمَنْ بَعَلَمَ بَغِيْبَةً مِنْ بَغِيْبٍ مِنْهُمْ  
 فَإِنَّ مَنْ تَخَلَّفَ أَخْلَى بِمَكَانِهِ وَإِنَّمَا يَضْبُطُ ذَلِكَ الْكِتَابُ فَأَثْبَتَ لَهُمْ دِيَّانًا وَسَأَلَ  
 عُمَرُ عَنْ اسْمِ الدِّيَّانِ فَعَبَّرَ لَهُ وَلَمَّا اجْتَمَعَ ذَلِكَ أَمْرٌ عَقِيلٌ بِنِ أَبِي طَالِبٍ وَمُخْرَمَةَ  
 ابْنِ نَوْفَلٍ وَجُبَيْرِ بْنِ مَطْعَمٍ وَكَانُوا مِنْ كِتَابِ فَرِيْشٍ فَكَتَبُوا دِيَّانَ الْعَسَاكِرِ الْأِسْلَامِيَّةِ  
 عَلَى تَرْتِيبِ الْأَنْسَابِ مُبْتَدَأً مِنْ قَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا بَعْدَهَا الْأَقْرَبُ  
 فَأَلْفَرَبُ هَكَذَا كَانَ أَيْدَاءُ دِيَّانِ الْجَيْشِ وَرَوَى الزُّهْرِيُّ بِنِ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ  
 أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي الْحَرَمِ سَنَةَ عِشْرِينَ وَأَمَّا دِيَّانُ الْخُرَاجِ وَالْحَبَايَاتِ فَبَقِيَ بَعْدَ  
 الْأِسْلَامِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ دِيَّانِ الْعِرَاقِ بِالْفَارِسِيَّةِ وَدِيَّانِ الشَّامِ بِالرُّومِيَّةِ  
 وَكِتَابِ الدَّوَانِ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ وَلَمَّا جَاءَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ وَاسْتَحَالَ  
 الْأَمْرُ مُلْكًا وَانْتَقَلَ الْقَوْمُ مِنْ غَضَاضَةِ الْبِدَاوَةِ إِلَى رَوْقِ الْحِضَارَةِ وَبِنِ سَدَاجَةَ  
 الْأُمِّيَّةِ إِلَى حِذْقِ الْكِتَابَةِ وَظَهَرَ فِي الْعَرَبِ وَمَوَالِيهِمْ مَهْرَةٌ فِي الْكِتَابِ وَالْحِسْبَانِ  
 فَأَمَرَ عَبْدُ الْمَلِكِ سَلِيمَانَ بْنَ سَعْدٍ وَالْمَلِكُ الْأَرْدُنِّ لِعَهْدِهِ أَنْ يَنْقُلَ دِيَّانَ الشَّامِ إِلَى  
 الْعَرَبِيَّةِ فَأَكْمَلَهُ لِسَنَةِ مِنْ يَوْمِ أَيْدَائِهِ وَوَقَفَ عَلَيْهِ سَرْحُونَ كَاتِبُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ  
 لِكِتَابِ الرُّومِ أَطْلَبُوا الْعَيْشَ فِي غَيْرِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَقَدْ قَطَعَهَا اللَّهُ عَنْكُمْ . وَأَمَّا دِيَّانُ  
 الْعِرَاقِ فَأَمَرَ الْحَجَّاجُ كَاتِبَهُ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَكَانَ يَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارِسِيَّةِ  
 وَلَقِنَ ذَلِكَ عَنْ زَادَانَ فَرُوخَ كَاتِبِ الْحَجَّاجِ قَبْلَهُ وَلَمَّا قُتِلَ زَادَانُ فِي حَرْبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ  
 ابْنِ الْأَشْعَثِ اسْتَخْلَفَ الْحَجَّاجُ صَالِحًا هَذَا مَكَانَهُ وَأَمْرَهُ أَنْ يَنْقُلَ الدِّيَّانَ مِنَ الْفَارِسِيَّةِ  
 إِلَى الْعَرَبِيَّةِ فَنَعَلَ وَرَغَمَ لِذَلِكَ كِتَابَ الْفَرَسِ وَكَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ يَحْيَى يَقُولُ لِلَّهِ دَرُّ  
 صَالِحٍ مَا أَعْظَمَ مَنَّتَهُ عَلَى الْكِتَابِ ثُمَّ جُعِلَتْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةُ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 مُضَافَةً إِلَى مَنْ كَانَ لَهُ النَّظَرُ فِيهِ كَمَا كَانَ شَأْنُ بَنِي بَرْمَكٍ وَبَنِي سَهْلِ بْنِ نُوْبَخْتٍ  
 وَغَيْرِهِمْ مِنْ وُزَرَاءِ الدَّوْلَةِ . وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْوُظَيْفَةِ مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِمَّا  
 يَخْتَصُّ بِالْجَيْشِ أَوْ يَتَّيَمُ الْمَالِ فِي الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ وَتَمْيِيزِ الدَّوَاخِمِ بِالصَّلْحِ وَالْعُنُودِ وَفِي تَقْلِيدِ

هَذِهِ الْوُظَيْفَةُ لِمَنْ يَكُونُ وَشُرُوطِ النَّظَرِ فِيهَا وَالْكَاتِبِ وَقَوَائِنِ الْحِسْبَانَاتِ فَأَمْرٌ رَاجِعٌ  
إِلَى كُتُبِ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ وَهِيَ مَسْطُورَةٌ هُنَاكَ وَلَيْسَتْ مِنْ غَرَضِ كِتَابِنَا وَإِنَّمَا تَسْتَكْمَلُ  
فِيهَا مِنْ حَيْثُ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ الَّذِي تَحْتَهُ يُصَدِّرُ الْكَلَامَ فِيهِ وَهَذِهِ الْوُظَيْفَةُ جُزْءٌ عَظِيمٌ مِنْ  
الْمَلِكِ بَلْ هِيَ ثَالِثَةٌ أَرْكَانُهُ لِأَنَّ الْمَلِكَ لَا يَبْدُلُهُ مِنَ الْجُنْدِ وَالْمَالِ وَالنَّحَابَةِ لِمَنْ غَابَ عَنْهُ  
فَأَحْتِاجُ صَاحِبِ الْمَلِكِ إِلَى الْأَعْوَانِ فِي أَمْرِ السِّيفِ وَأَمْرِ الْقَلَمِ وَأَمْرِ الْمَالِ فَيَنْفَرِدُ  
صَاحِبُهَا لِلذَّكَ بِجُزْءٍ مِنْ رِئَاسَةِ الْمَلِكِ وَكَذَلِكَ كَانَ الْأَمْرُ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ  
وَالطَّوَائِفِ بَعْدَهُمْ وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ فَكَانَ صَاحِبُهَا إِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الْمُوحِدِينَ  
يَسْتَقْبَلُ بِالنَّظَرِ فِي اسْتِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ وَجَمْعِهَا وَضَبْطِهَا وَتَعْقُبِ نَظَرِ الْوَلَاةِ وَالْعَمَالِ فِيهَا  
ثُمَّ تَنْفِيذِهَا عَلَى قَدْرِهَا وَفِي مَوَاقِفِهَا وَكَانَ يُعْرَفُ بِصَاحِبِ الْأَشْغَالِ وَكَانَ رُبَّمَا يَلِيهَا  
فِي الْجِهَاتِ غَيْرَ الْمُوحِدِينَ مِمَّنْ يُحْسِنُهَا. وَلَمَّا اسْتَبَدَّ بَنُو أَبِي حَفْصٍ بِأَفْرِيقِيَّةٍ وَكَانَ شَأْنُ  
الْجَالِيَةِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْبُيُوتَاتِ وَفِيهِمْ مَنْ كَانَ يَسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي الْأَنْدَلُسِ  
مِثْلَ بَنِي سَعِيدٍ أَصْحَابِ الْقَلْعَةِ جَوَارِغِ نَاطَةِ الْمَعْرُوفِينَ بِبَنِي أَبِي الْحَسَنِ فَاسْتَكْفَوْا بِهِمْ  
فِي ذَلِكَ وَجَعَلُوا لَهُمُ النَّظَرَ فِي الْأَشْغَالِ كَمَا كَانَ لَهُمْ بِالْأَنْدَلُسِ وَدَاوُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ  
الْمُوحِدِينَ ثُمَّ اسْتَقْبَلُ بِهَا أَهْلُ الْحِسْبَانِ وَالْكَتَابِ وَخَرَجَتْ عَنِ الْمُوحِدِينَ ثُمَّ كَمَا  
اسْتَعْلَظَ أَمْرُ الْحَاجِبِ وَنَفَذَ أَمْرُهُ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤْنِ الدَّوْلَةِ تَعَطَّلَ هَذَا الرَّسْمُ  
وَصَارَ صَاحِبُهُ مَرُوءَسًا لِلْحَاجِبِ وَأَصْبَحَ مِنْ جُمْلَةِ الْجَبَاةِ وَذَهَبَتْ تِلْكَ الرِّئَاسَةُ الَّتِي كَانَتْ  
لَهُ فِي الدَّوْلَةِ. وَأَمَّا دَوْلَةُ بَنِي مُرِينِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَحِسْبَانُ الْعَطَاءِ وَالخَرَاجِ جَمُوعٌ لِوَاحِدٍ  
وَصَاحِبُ هَذِهِ الرُّتْبَةِ هُوَ الَّذِي يُصَحِّحُ الْحِسْبَانَاتِ كُلَّهَا وَيَرْجِعُ إِلَى دِيْوَانِهِ وَنَظَرِهِ  
مُعَقَّبٌ بِنَظَرِ السُّلْطَانِ أَوْ الْوَزِيرِ وَخَطُهُ مُعْتَبَرٌ فِي صِحَّةِ الْحِسْبَانِ فِي الْخَارِجِ وَالْعَطَاءِ  
هَذِهِ أَسْوَاطُ الرُّتَبِ وَالْخَطَطِ السُّلْطَانِيَّةِ وَهِيَ الرُّتْبَةُ الْعَالِيَةُ الَّتِي هِيَ عَامَّةُ النَّظَرِ وَمُبَاشَرَةٌ  
لِلسُّلْطَانِ. وَأَمَّا هَذِهِ الرُّتْبَةُ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ فَمُتَنَوِّعَةٌ وَصَاحِبُ دِيْوَانِ الْعَطَاءِ يُعْرَفُ  
بِنَظَرِ الْجَيْشِ وَصَاحِبُ الْمَالِ مَخْصُوصٌ بِاسْمِ الْوَزِيرِ وَهُوَ النَّظَرُ فِي دِيْوَانِ الْجَبَاةِ الْعَامَّةِ  
لِلدَّوْلَةِ وَهُوَ أَعْلَى رُتَبِ النَّظَرِينَ فِي الْأَمْوَالِ لِأَنَّ النَّظَرَ فِي الْأَمْوَالِ عِنْدَهُمْ يَتَنَوَّعُ إِلَى  
رُتَبٍ كَثِيرَةٍ لِأَنفِصَاحِ دَوْلَتِهِمْ وَعَظَمَةِ سُلْطَانِهِمْ وَاتِّسَاعِ الْأَمْوَالِ وَالْجَبَايَاتِ عَنْ  
أَنَّ يَسْتَقْبَلَ بِضَبْطِهَا الْوَاحِدِ مِنَ الرِّجَالِ وَلَوْ بَلَغَ فِي الْكِفَايَةِ مَبَالِغَهُ فَمَتَّعِينَ لِلنَّظَرِ الْعَامِّ

منها هذا المخصوص باسم الوزير وهو مع ذلك رديف لمولى من موالى السلطان  
وأهل عصبته وأرباب السيوف في الدولة يرجع نظرو الوزير إلى نظره ويجهده جهده  
في متابعتهم ويسبى عندهم أستاذ الدولة وهو أحد الأمراء الأكبر في الدولة من  
الجند وأرباب السيوف ويتبع هذه الخطة خطط عندهم أخرى كلها راجعة إلى الأموال  
والحسبان مقصورة النظر إلى أمور خاصة مثل ناظر الخاص وهو المباشري لأموال  
السلطان الخاصة به من إقطاعاته أو سهمانه من أموال الخراج وبلاد الجباية مما ليس  
من أموال المسلمين العامة وهو تحت يد الأمير أستاذ الدار وإن كان الوزير من  
الجند فلا يكون لأستاذ الدار نظره عليه ونظر الخاص تحت يد الخازن لأموال السلطان  
من مما يليكه المسمى خازن الدار لإختصاص وظيفتهما بالسلطان الخاص . لهذا  
بيان هذه الخطة بدولة الترك بالمشرق بعد ما قدمناه من أمرها بالمغرب والله مصرف  
الأموال لأرباب غيره

### ديوان الرسائل والكتابة

هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لاستغناء كثير من الدول عنها رأساً كما في  
الدول العريقة في البداوة التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع وإنما  
أكد الحاجة إليها في الدولة الإسلامية شأن اللسان العربي والبلاغة في العبارة عن  
المقاصد فصار الكتاب يؤدي كونه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر  
وكان الكتاب للامير يكون من أهل نسبه ومن عظماء قبيله كما كان للخلفاء وأمراء  
الصحابية بالشام والعراق لعظم أمانتهم وخلوص أسرهم فلما فسد اللسان وصار  
صناعة أختص بمن يحسنه وكانت عند بني العباس ربيعة وكان الكتاب يصدراً للبحر  
مطلقة ويكتب في آخرها اسمه ويختم عليها بخاتم السلطان وهو طابع منقوش فيه  
اسم السلطان أو شارته يعمس في طين أحمر مذاب بالماء ويسمى طين الختم  
ويطبع به على طرفي السجل عند طيه وإصاقيه ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر  
باسم السلطان ويضع الكتاب فيها علامته أولاً أو آخراً على حسب الاختيار في محلها  
وفي لفظها ثم قد تنزل هذه الخطة بأرتفاع المكان عند السلطان لغير صاحبها من أهل  
المراتب في الدولة أو استبداد وزير عليه فتصير علامة هذا الكتاب ملغاة المحكم

بِعَلَامَةِ الرَّئِيسِ عَلَيْهِ يَسْتَدِلُّ بِهَا فَيَكْتُبُ صُورَةَ عَلَامَتِهِ الْمَعْبُودَةِ وَالْحُكْمَ الْعَلَامَةَ ذَلِكَ  
 الرَّئِيسِ كَمَا وَقَعَ آخِرَ الدَّوْلَةِ الْخَفِصِيَّةِ لَمَّا أَرْتَفَعَ شَأْنُ الْحِجَابَةِ وَصَارَ أَمْرُهَا إِلَى التَّفْوِيزِ  
 ثُمَّ الْأَسْتِبْدَادِ صَارَ حُكْمُ الْعَلَامَةِ الَّتِي لِلْكَاتِبِ مُلَغًى وَصُورَتُهَا نَائِبَةً إِبْتِغَاءً لِمَا سَلَفَ مِنْ أَمْرِهَا  
 فَصَارَ الْحَاجِبُ يَرْسُمُ لِلْكَاتِبِ إِمضَاءَ كِتَابِهِ ذَلِكَ بِخَطِّ بَصْنَعِهِ وَيَتَخَيَّرُ لَهُ مِنْ صِيغِ الْإِنْفَازِ  
 مَا شَاءَ فَيَأْتِمُرُ الْكَاتِبُ لَهُ وَيَضَعُ الْعَلَامَةَ الْمَعْتَادَةَ وَقَدْ يُخْتَصُّ السُّلْطَانُ لِنَفْسِهِ بِوَضْعِ  
 ذَلِكَ إِذَا كَانَ مُسْتَبْدِئًا بِأَمْرِهِ قَائِمًا عَلَى نَفْسِهِ فَيَرْسُمُ الْأَمْرَ لِلْكَاتِبِ لِيَضَعَ عَلَامَتَهُ \* وَمِنْ  
 خَطِّ الْكِتَابَةِ التَّوْقِيعُ وَهُوَ أَنْ يَجْلِسَ الْكَاتِبُ بَيْنَ يَدَيْ السُّلْطَانِ فِي مَجَالِسِ حُكْمِهِ  
 وَفَضْلِهِ وَيُوقِعُ عَلَى الْفِصَصِ الْمَرْفُوعَةِ إِلَيْهَا أَحْكَامَهَا وَالْفَصْلَ فِيهَا مُتَلَقَاءً مِنَ السُّلْطَانِ بِأَوْجِزِ  
 لَفْظٍ وَأَبْلَغِهِ فَإِمَّا أَنْ تَصْدُرَ كَذَلِكَ وَإِمَّا أَنْ يَحْذُرَ الْكَاتِبُ عَلَى مِثَالِهَا فِي سِجْلِ يَكُونُ بِيَدِ  
 صَاحِبِ الْقِصَّةِ وَيَحْتَاجُ التَّوْقِيعَ إِلَى عَارِضَةٍ مِنَ الْبِلَاغَةِ يَسْتَقِيمُ بِهَا تَوْقِيعُهُ وَقَدْ كَانَ  
 جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى يُوْقِعُ فِي الْقِصَصِ بَيْنَ يَدَيْ الرَّشِيدِ وَيَرْمِي بِالْقِصَّةِ إِلَى صَاحِبِهَا  
 فَكَانَتْ تَوْقِيعَاتُهُ يَتَنَافَسُ الْبِلْغَاءُ فِي تَحْصِيلِهَا لِلْوُقُوفِ فِيهَا عَلَى أَسَالِبِ الْبِلَاغَةِ وَفِيهَا  
 حَتَّى قِيلَ إِنَّهَا كَانَتْ تَبَاعُ كُلُّ قِصَّةٍ مِنْهَا بِدِينَارٍ وَهَكَذَا كَانَ شَأْنُ الدُّوَلِ \* وَأَعْلَمُ  
 أَنَّ صَاحِبَ هَذِهِ الْخِطَّةِ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَتَخَيَّرَ أَرْزَعُ طَبَقَاتِ النَّاسِ وَأَهْلُ الْمَرْوَةِ  
 وَالْحِشْمَةِ مِنْهُمْ وَزِيَادَةُ الْعِلْمِ وَعَارِضَةُ الْبِلَاغَةِ فَإِنَّهُ مُعَرِّضٌ لِلنَّظَرِ فِي أُصُولِ الْعِلْمِ لَمَّا  
 يَعْزُضُ فِي مَجَالِسِ الْمُلُوكِ وَمَقَاصِدِ أَحْكَامِهِمْ مِنْ أَمْثَالِ ذَلِكَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ عَشْرَةٌ  
 الْمُلُوكِ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الْأَدَابِ وَالتَّخَلُّقِ بِالْفَضَائِلِ مَعَ مَا يُضْطَرُّ إِلَيْهِ فِي التَّرْسِيلِ وَتَطْبِيقِ  
 مَقَاصِدِ الْكَلَامِ مِنَ الْبِلَاغَةِ وَأَسْرَارِهَا وَقَدْ تَكُونُ الرَّثْبَةُ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ مُسْتَنْدَةً  
 إِلَى أَرْبَابِ السُّيُوفِ لَمَّا يَقْتَضِيهِ طَبْعُ الدَّوْلَةِ مِنَ الْبُعْدِ عَنْ مُعَانَاةِ الْعُلُومِ لِأَجْلِ سُدَاجَةِ  
 الْعَصِيَّةِ فَيَخْتَصُّ السُّلْطَانُ أَهْلَ عَصِيَّتِهِ بِخَطِّ دَوْلَتِهِ وَسَائِرِ رُثْبَةِ يَقْلُدُ الْمَالَ وَالسِّيفَ  
 وَالْكِتَابَةَ مِنْهُمْ فَأَمَّا رُثْبَةُ السِّيفِ فَتَسْتَعْنِي عَنْ مُعَانَاةِ الْعِلْمِ وَأَمَّا الْمَالَ وَالْكِتَابَةَ  
 فَيَضْطَرُّ إِلَى ذَلِكَ الْبِلَاغَةِ فِي هَذِهِ وَالْحِسْبَانِ فِي الْأُخْرَى فَيَخْتَارُونَ لَهَا مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ  
 مَا دَعَتْ إِلَيْهِ الضَّرُورَةُ وَيَقْلُدُونَهُ إِلَّا أَنَّهُ لَا تَكُونُ يَدٌ آخَرَ مِنْ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ غَالِبَةً  
 عَلَى يَدِهِ وَيَكُونُ نَظَرُهُ مُنْصَرَفًا عَنْ نَظَرِهِ كَمَا هُوَ فِي دَوْلَةِ التُّرْكِ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ  
 فَإِنَّ الْكِتَابَةَ عِنْدَهُمْ وَإِنْ كَانَتْ لِصَاحِبِ الْإِنْتِشَاءِ إِلَّا أَنَّهُ تَحْتَ يَدِ أَمِيرٍ مِنْ أَهْلِ

عَصِيَّةِ السُّلْطَانِ يُعْرِفُ بِالذَّوِيدَارِ وَتَعْوِيلِ السُّلْطَانِ وَوُثُوقِهِ بِهِ وَأَسْتِنَامَتُهُ فِي غَالِبِ  
أَحْوَالِهِ إِلَيْهِ وَتَعْوِيلُهُ عَلَى الْآخِرِ فِي أَحْوَالِ الْبَلَاغَةِ وَتَطْبِيقِ الْمَقَاصِدِ وَكَيْفَانِ الْأَسْرَارِ  
وَعَبْرِ ذَلِكَ مِنْ تَوَابِعِهَا \* وَأَمَّا الشُّرُوطُ الْمُعْتَبَرَةُ فِي صَاحِبِ هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي يَلَاخِظُهَا  
السُّلْطَانُ فِي اخْتِيَارِهِ وَأَنْتِقَائِهِ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ فِيهِ كَثِيرَةٌ وَأَحْسَنُ مَنْ اسْتَوْعَبَهَا  
عَبْدُ الْحَمِيدِ الْكَاتِبُ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى الْكَتَّابِ وَهِيَ أَمَّا بَعْدُ حَفِظْكُمْ اللَّهُ يَا أَهْلَ  
صِنَاعَةِ الْكِتَابَةِ وَحَاطِظْكُمْ وَوَفِّقْكُمْ وَأَرْشِدْكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ النَّاسَ بَعْدَ  
الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَمِنْ بَعْدِ الْمُلُوكِ الْمَكْرَمِينَ  
أَصْنَافًا وَإِنْ كَانُوا فِي الْحَقِيقَةِ سَوَاءً وَصَرَّفَهُمْ فِي صُنُوفِ الصِّنَاعَاتِ وَضُرُوبِ الْحَوَالِاتِ  
إِلَى أَسْبَابِ مَعَاشِهِمْ وَأَبْوَابِ أَرْزَاقِهِمْ فَبِعَابِكُمْ مَعَشَرَ الْكِتَابِ فِي أَشْرَفِ الْحَيَاتِ  
أَهْلُ الْأَدَبِ وَالْمَرْوَاتِ وَالْعِلْمِ وَالرِّزَانَةِ بِكُمْ يَنْتَظِمُ لِلْخِلَافَةِ مُحَاسِنَهَا وَتَسْتَقِيمُ أُمُورُهَا  
وَيُنْصَحَ كَيْفَ يُصْلِحُ اللَّهُ لِلخَلْقِ سُلْطَانَهُمْ وَتَعْمُرُ بِلَدَانَهُمْ لَا يَسْتَغْنِي الْمَلِكُ عَنْكُمْ وَلَا  
يُوجَدُ كَافٍ إِلَّا مِنْكُمْ فَمَوْفِقُكُمْ مِنَ الْمُلُوكِ مَوْفِعُ أَسْمَاعِهِمُ الَّتِي بِهَا يَسْمَعُونَ  
وَأَبْصَارُهُمُ الَّتِي بِهَا يُبْصِرُونَ وَالسُّنْتِيمُ الَّتِي بِهَا يَنْطِقُونَ وَأَيْدِيَهُمُ الَّتِي بِهَا يَبْطِشُونَ فَأَمَّتْكُمْ  
اللَّهُ بِمَا خَصَّكُمْ مِنْ فَضْلِ صِنَاعَتِكُمْ وَلَا تَزَعْ عَنْكُمْ مَا أَضْفَاهُ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْكُمْ  
وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الصِّنَاعَاتِ كُلِّهَا أَحْوَجَ إِلَى أَجْتِمَاعِ خِلَالِ الْخَيْرِ الْمَحْمُودَةِ وَخِصَالِ  
الْفَضْلِ الْمَدْكُورَةِ الْمَعْدُودَةِ مِنْكُمْ أَيُّهَا الْكَتَّابُ إِذَا كُنْتُمْ عَلَى مَا يَأْتِي فِي هَذَا  
الْكِتَابِ مِنْ صِنْتِكُمْ فَإِنَّ الْكَاتِبَ يَحْتَاجُ فِي تَسْسِهِ وَيَحْتَاجُ مِنْهُ صَاحِبُهُ الَّذِي يَتَّقُ  
بِهِ فِي مِهْمَاتِ أُمُورِهِ أَنْ يَكُونَ حَلِيمًا فِي مَوْضِعِ الْحَلْمِ فِيهِمَا فِي مَوْضِعِ الْحُكْمِ مَقْدَامًا  
فِي مَوْضِعِ الْأَفْدَامِ مُتَّجِمًا فِي مَوْضِعِ الْأَعْجَامِ مُؤْتِرًا لِلْعَفَافِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ  
كَتُومًا لِلْأَسْرَارِ وَفِيًا عِنْدَ الشَّدَائِدِ عَالِمًا بِمَا يَأْتِي مِنَ النَّوَازِلِ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا  
وَالطَّوَارِقَ فِي أَمَا كَيْفَا قَدْ نَظَرَ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ فَأَحْكَمَهُ وَإِنْ لَمْ يَحْكَمْهُ أَخَذَ  
مِنْهُ بِمِقْدَارِ مَا يَكْتَفِي بِهِ يَعْرِفُ بَعْرِيزَةَ عَقْلِهِ وَحَسْنَ أَدَبِهِ وَفَضْلَ تَجْرِبَتِهِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ قَبْلَ  
وَرُودِهِ وَعَاقِبَتَهُ مَا يَصْدُرُّ عَنْهُ قَبْلَ صُدُورِهِ فَيَعِدُّ لِكُلِّ أَمْرٍ عَدَّتَهُ وَعَتَادَهُ وَيُهَيِّئُ لِكُلِّ وَجْهِ هَيْئَتَهُ  
وَعَادَتَهُ فَيَتَنَافَسُوا يَا مَعَشَرَ الْكَتَّابِ فِي صُنُوفِ الْأَدَابِ وَتَفْقَهُوا فِي الدِّينِ وَبَدَأُوا بِعِلْمِ كِتَابِ  
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْفَرَائِضِ ثُمَّ الْعَرَبِيَّةِ فَإِنَّهَا تِقَافُ السُّنْتِكُمْ ثُمَّ أَحْيِدُوا الْخُلُظَ فَإِنَّهُ حَلِيمَةٌ

كُتِبَ كُمْ وَأَرْوُوا الْأَشْعَارَ وَأَعْرِفُوا غَرَبَهَا وَمَعَانِيَهَا وَأَيَّامَ الْعَرَبِ وَالنَّجْمَ وَأَحَادِيثَهَا  
 وَسِيرَهَا فَإِنَّ ذَلِكَ مُعِينٌ لَكُمْ عَلَى مَا تَسْمُونَ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَا تُضِعُوا النَّظَرَ فِي الْحِسَابِ  
 فَإِنَّهُ قِيَامُ كِتَابِ الْخُرَاجِ وَأَرْغَبُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ الْمَطْلَعِ سَنِيهَا وَدِينِيهَا وَسَنَسَافِ  
 الْأُمُورِ وَمَحَاقِرِهَا فَإِنَّهَا مِدْلَةٌ لِلرِّقَابِ مَفْسِدَةٌ لِلْكِتَابِ وَزُرْهُوا صِنَاعَتَكُمْ عَنِ الدَّنَاءَةِ  
 وَأَرْبَاوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنِ السَّعَايَةِ وَالنَّمِيمَةِ وَمَا فِيهِ أَهْلُ الْجَهَالَاتِ وَأَيَّامِكُمْ وَالْكَبِيرِ  
 وَالسَّخْفِ وَالْعِظْمَةِ فَإِنَّهَا عِدَاوَةٌ مُجْتَابَةٌ مِنْ غَيْرِ إِحْنَةٍ وَتَحَابُوا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي صِنَاعَتِكُمْ  
 وَتَوَاصَوْا عَلَيْهَا بِالَّذِي هُوَ الْبَقِي لَأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَدْلِ وَالنَّبْلِ مِنْ سَلَفِكُمْ وَإِنْ نَبَا الزَّمَانُ  
 بِرَجُلٍ مِنْكُمْ فَأَعْظِفُوا عَلَيْهِ وَأَسُوهُ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهِ حَالَهُ وَيَتُوبَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ وَإِنْ أَفْعَدَ  
 أَحَدًا مِنْكُمْ الْكَبِيرَ عَنِ مَكْسَبِهِ وَلِقَاءِ إِخْوَانِهِ فِزُورُوهُ وَعَظِّمُوهُ وَسَاوِرُوهُ وَأَسْتَظْهِرُوا  
 بِفَضْلِ تَجْرِبَتِهِ وَقَدِيمِ مَعْرِفَتِهِ وَلِيَكُنِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ عَلَى مَنْ أَصْطَنَعَهُ وَأَسْتَظْهِرَ بِهِ لِيَوْمِ  
 حَاجَتِهِ إِلَيْهَا حَوْطٌ مِنْهُ عَلَى وَلَدِهِ وَأَخِيهِ فَإِنْ عَرَضَتْ فِي الشُّغْلِ مَحْمَدَةٌ فَلَا يَصْفُهَا إِلَّا إِلَى  
 صَاحِبِهَا وَإِنْ عَرَضَتْ مَدْمَةٌ فَلْيُحْمَلْهَا هُوَ مِنْ دُونِهِ وَيُخْتَدِرَ السَّقَطَةُ وَالزَّلَّةُ وَالْمَلَكُ عِنْدَ تَغْيِيرِ  
 الْحَالِ فَإِنَّ الْعَيْبَ إِلَيْكُمْ مَعَشَرَ الْكِتَابِ أَسْرَعُ مِنْهُ إِلَى الْقُرَاءِ وَهُوَ لَكُمْ أَفْسَدُ مِنْهُ لَهُمْ فَقَدْ  
 عَلِمْتُمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ إِذَا صَحِبَهُ مَنْ يَبْدُلُ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَا يَجِبُ لَهُ عَلَيْهِ مِنْ حَقِّهِ فَوَاجِبٌ  
 عَلَيْهِ أَنْ يَعْتَقِدَ لَهُ مِنْ وفَائِهِ وَشُكْرِهِ وَأَحْسَانِهِ وَخَيْرِهِ وَنَصِيحَتِهِ وَكَيْفَمَانِ سِرِّهِ وَتَدْبِيرِ أَمْرِهِ  
 مَا هُوَ جَزَاءُ الْحَقِّهِ وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ بِفَعَالِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَالْأَضْطِرَّارِ إِلَى مَا لَدَيْهِ فَاسْتَعْمَرُوا  
 ذَلِكَ وَفَقَّكُمْ اللَّهُ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فِي حَالَةِ الرَّخَاءِ وَالشَّدَةِ وَالْحَرَمَانِ وَالْمُوَاسَاةِ وَالْإِحْسَانِ  
 وَالسَّرَاءِ وَالْفُرَاءِ فَتَعَمَّتِ السَّيْمَةُ هُدًى مِنْ وُسْمِهَا مِنْ أَهْلِ هُدًى الصَّنَاعَةِ الشَّرِيفَةِ وَإِذَا  
 وُلِّيَ الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَوْصِيَرٌ إِلَيْهِ مِنْ أَمْرِ خَلْقِ اللَّهِ وَعِيَالِهِ أَمْرٌ فَلْيُرَاقِبْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلْيُؤَنِّزْ  
 طَاعَتَهُ وَلْيَكُنْ عَلَى الضَّعِيفِ رَفِيقًا وَلِلْمَظْلُومِ مُنْصِفًا فَإِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ وَأَجْهَمُ إِلَيْهِ  
 أَرْفَقَهُمْ بَعِيَالِهِ ثُمَّ لِيَكُنْ بِالْعَدْلِ حَاكِمًا وَاللَّأَشْرَافِ مُكْرِمًا وَلِلْفِيءِ مُؤَفِّرًا وَلِلْبِلَادِ  
 عَامِرًا وَلِلرَّعِيَةِ مُتَالِفًا وَعَنْ أَذَاهُمْ مُتَخَلِّفًا وَلِيَكُنْ فِي نَجْلِسِهِ مُتَوَاضِعًا حَلِيمًا وَفِي سِيَلَاتِ  
 خُرَاجِهِ وَأَسْتَقْضَاءِ حُقُوقِهِ رَفِيقًا وَإِذَا صَحِبَ أَحَدُكُمْ رَجُلًا فَلْيُخْتَبِرْ خَلَاتِقَهُ فَإِذَا عَرَفَ  
 حُسْنَهَا وَفُجْحَهَا أَعَانَهُ عَلَى مَا يُوَافِقُهُ مِنَ الْحُسْنِ وَأَحْتَمَلَ عَلَى صَرْفِهِ عَمَّا يَهْوَاهُ مِنَ الْقُبْحِ  
 بِاللَّطْفِ حِيلَةً وَأَجْمَلَ وَسِيلَةً وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ سَائِسَ الْبَيْمَةِ إِذَا كَانَ بَصِيرًا لَبِيسَتِهَا

أَلْتَمَسَ مَعْرِفَةَ أَخْلَاقِهَا فَإِنْ كَانَتْ رَمُوحًا لَمْ يَهْجُمَا إِذَا رَكِبَهَا وَإِنْ كَانَتْ شُجْبًا أَبْأَنَقَهَا  
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهَا وَإِنْ خَافَ مِنْهَا شَرُودًا تَوَقَّأَهَا مِنْ نَاحِيَةِ رَأْسِهَا وَإِنْ كَانَتْ حَرُوتًا قَمَعَ  
 بِرَفْقِ هَوَاهَا فِي طَرَفِهَا فَإِنْ اسْتَمَرَّتْ عَطْفَهَا يَسِيرًا فَيَسْلُسُ لَهُ قِيَادَهَا وَفِي هَذَا الْوَصْفِ  
 مِنَ السِّيَاسَةِ دَلَالٌ لِمَنْ سَاسَ النَّاسَ وَعَامَلَهُمْ وَجَرَّبَهُمْ وَدَاخَلَهُمْ وَالْكَاتِبُ بِفَضْلِ  
 آدِيهِ وَشَرِيفِ صَنْعَتِهِ وَلَطِيفِ حِيلَتِهِ وَمَعَامَلَتِهِ لِمَنْ يُخَاوِرُهُ مِنَ النَّاسِ وَبِنَظَرِهِ وَبِفَهْمِهِ  
 عَنْهُ أَوْ يَخَافُ سَطْوَتَهُ أَوْ لِي بِالرَّفْقِ لِصَاحِبِهِ وَمُدَارَاتِهِ وَتَقْوِيمِ أَوْدِهِ مِنْ سَائِسِ الْبَهِيمَةِ  
 الَّتِي لَا تُخْبِرُ جَوَابًا وَلَا تَعْرِفُ صَوَابًا وَلَا تَفْهَمُ خَطَابًا إِلَّا بِقَدْرِ مَا يُبْصِرُهَا إِلَيْهِ صَاحِبُهَا  
 الرَّكَّابُ عَلَيْهَا إِلَّا فَارَفَقُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فِي النَّظَرِ وَعَمَلُوا مَا أَمَرَكُمُ فِيهِ مِنْ  
 الرُّبُوبِيَّةِ وَالْفِكْرِ تَأْمَنُوا بِإِذْنِ اللَّهِ مِمَّنْ صَحَّبْتُمُوهُ الذَّبُوتَ وَالْإِسْتِنْقَالَ وَالْجَفْوَةَ وَيَصِيرُ  
 مِنْكُمْ إِلَى الْمَوَافَقَةِ وَتَصِيرُوا مِنْهُ إِلَى الْمَوَاحَاةِ وَالشَّفَقَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَلَا يُخَاوِرَنَّ  
 الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي هَيْئَةِ مَجْلِسِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَرْكَبِهِ وَمَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ وَبِنَائِهِ وَخَدَمِهِ وَغَيْرِ  
 ذَلِكَ مِنْ فُتُونِ أَمْرٍ وَقَدَرِ حَقِّهِ فَإِنَّكُمْ مَعَ مَا فَضَّلَكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ شَرَفِ صَنْعَتِكُمْ خَدَمَةٌ  
 لَا تُحْمَلُونَ فِي خَدَمَتِكُمْ عَلَى التَّقْصِيرِ وَحَفْظَةِ لَانْحِمَلُ مِنْكُمْ أَفْعَالُ التَّضْيِيعِ وَالتَّبْدِيرِ  
 وَاسْتَعِينُوا عَلَى عَفَافِكُمْ بِالْقَصْدِ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْتُمْ لَكُمْ وَقَصَصْتُمْ عَلَيْكُمْ وَأَحْذَرُوا  
 مَتَالِفَ السَّرْفِ وَسُوءَ عَاقِبَةِ التَّرَفِ فَإِنَّهُمَا يُعْقِبَانِ الْفَقْرَ وَيَذِلَّانِ الرَّقَابَ وَيَفْضَحَانِ أَهْلَهُمَا  
 وَسَيِّمَانِ الْكُتَّابَ وَأَرْبَابِ الْأَدَابِ وَالْأُمُورِ أَشْبَاهَ وَبَعْضُهَا دَلِيلٌ عَلَى بَعْضٍ فَاسْتَدِلُّوا عَلَى  
 مُؤْتَنَفِ أَعْمَالِكُمْ بِمَا سَبَقَتْ إِلَيْهِ تَجَرُّبَتِكُمْ ثُمَّ اسْأَلُوا مِنْ مَسَالِكِ التَّبْدِيرِ أَوْ خُجَّهَا  
 حُجَّةً وَأَصْدَقَهَا حُجَّةً وَأَحْمَدَهَا عَاقِبَةً وَعَلِمُوا أَنَّ التَّبْدِيرَ أَفْهَمُ مُتَلَفَةٌ وَهُوَ الْوَصْفُ الشَّاعِلُ  
 لِصَاحِبِهِ عَنِ انْفِذِ عِلْمِهِ وَرُوبِيَّتِهِ فَلْيَقْضِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ فِي مَجْلِسِهِ قِصْدَ الْكَافِي مِنْ  
 مَنْطِقِهِ وَلْيُوجِزْ فِي أَبْدَائِهِ وَجَوَابِهِ وَلْيَأْخُذْ بِمَجَامِعِ حُجَّتِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مَصَاحَةُ لِنَعْلِهِ  
 وَمَدْفَعَةُ لِلتَّشَاغُلِ عَنْ إِكْتِنَارِهِ وَلِيُضْرَعْ إِلَى اللَّهِ فِي صَلَاةِ تَوْفِيْقِهِ وَإِمْدَادِهِ بِتَسْدِيدِهِ وَمَخَافَةَ  
 وَقُوعِهِ فِي الْغَلَطِ الْمَضْرُوبِ بِيَدِهِ وَعَقْلِهِ وَأَدْبِهِ فَإِنَّهُ إِنْ ظَنَّ مِنْكُمْ ظَانَ أَوْ قَالَ قَائِلٌ إِنْ  
 الَّذِي بَرَزَ مِنْ حَمِيلِ صَنْعَتِهِ وَقُوَّةِ حُرْكَتِهِ إِنَّمَا هُوَ بِفَضْلِ حِيلَتِهِ وَحُسْنِ تَدْبِيرِهِ فَقَدْ  
 تَعَرَّضَ بِظَنِّهِ أَوْ مَقَالَتِهِ إِلَى أَنْ يَكَلِّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى نَفْسِهِ قِصِيرٍ مِنْهَا إِلَى غَيْرِ  
 كَافٍ وَذَلِكَ عَلَى مَنْ تَأَمَّلَهُ غَيْرُ خَافٍ وَلَا يَقِلُّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِنَّهُ أَبْصَرَ بِالْأُمُورِ وَأَحْمَلُ

لِعَبِّ التَّدْبِيرِ مِنْ مَرَاتِقِهِ فِي صِنَاعَتِهِ وَمُصَاحِبِهِ فِي خِدْمَتِهِ فَإِنَّ أَعْقَلَ الرَّجُلَيْنِ عِنْدَ  
 ذَوِي الْأَلْبَابِ مَنْ رَمَى بِالْعُجْبِ وَرَأَى ظَهْرَهُ وَرَأَى أَنَّ أَصْحَابَهُ أَعْقَلُ مِنْهُ وَأَحْمَدُ فِي  
 طَرِيقَتِهِ وَعَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ نَعَمِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ غَيْرِ  
 اعْتِرَازِ بَرَاءَتِهِ وَلَا تَزْكِيَةِ لِنَفْسِهِ وَلَا يُكَاتِرْ عَلَى أُخِيهِ أَوْ نَظِيرِهِ وَصَاحِبِهِ وَعَشِيرِهِ  
 وَحَمْدُ اللَّهِ وَاجِبٌ عَلَى الْجَمِيعِ وَذَلِكَ بِالتَّوَاضُعِ لِعَظَمَتِهِ وَالتَّدَلُّلِ لِعِزَّتِهِ وَالتَّحَدُّثِ  
 بِنِعْمَتِهِ وَأَنَا أَقُولُ فِي كِتَابِي هَذَا مَا سَبَقَ بِهِ الْمَثَلُ مِنْ تَلْزِمِهِ النَّصِيحَةَ بِلِزْمَةِ الْعَمَلِ  
 وَهُوَ جَوْهَرُ هَذَا الْكِتَابِ وَغَرَّةُ كَلَامِهِ بَعْدَ الَّذِي فِيهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَذَلِكَ  
 جَعَلَتْهُ آخِرَهُ وَتَمَّتْهُ بِهِ تَوْلَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ يَا عَشَرَ الطَّلَبَةِ وَالْكِتَابَةِ بِمَا يَتَوَلَّى بِهِ مَنْ  
 سَبَقَ عِلْمُهُ بِإِسْعَادِهِ وَإِرْشَادِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَيَبْدِهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ

(الشرطة) \* وَيُسَمَّى صَاحِبَهَا لِهَذَا الْعَهْدِ بِأَفْرِيقَةِ الْحَاكِمِ وَفِي دَوْلَةِ أَهْلِ  
 الْأَنْدَلُسِ صَاحِبَ الْمَدِينَةِ وَفِي دَوْلَةِ التُّرْكِ الْوَالِي وَهِيَ وَظِيفَةٌ مَرُؤُوسَةٌ لِصَاحِبِ السَّيْفِ  
 فِي الدَّوْلَةِ وَحُكْمُهُ نَافِذٌ فِي صَاحِبِهَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَكَانَ أَسْلُ وَضَعَهَا فِي الدَّوْلَةِ  
 الْعَبَّاسِيَّةِ لِمَنْ يُقِيمُ أَحْكَامَ الْجَرَائِمِ فِي حَالِ اسْتِبْدَادِهَا أَوْلَاثُ الْحُدُودِ بَعْدَ اسْتِيفَائِهَا  
 فَإِنَّ التَّهْمَ الَّتِي تَعْرُضُ فِي الْجَرَائِمِ لَا نَظَرَ لِلشَّرْعِ إِلَّا فِي اسْتِيفَاءِ حُدُودِهَا وَلِلسِّيَاسَةِ  
 النَّظَرُ فِي اسْتِيفَاءِ مُوجِبَاتِهَا بِإِفْرَاقِ يَكْرَهُهُ عَلَيْهِ الْحَاكِمُ إِذَا أَحْتَفَّتْ بِهِ الْقُرَّانُ لِمَا  
 تُوجِبُهُ الْمَصْلِحَةُ الْعَامَّةُ فِي ذَلِكَ فَكَانَ الَّذِي يَقُومُ بِهَذَا الْاسْتِبْدَادِ وَبِاسْتِيفَاءِ الْحُدُودِ  
 بَعْدَهُ إِذَا تَنَزَّ عَنْهُ الْقَاضِي يُسَمَّى صَاحِبَ الشَّرْطَةِ وَرُبَّمَا جَعَلُوا إِلَيْهِ النَّظَرَ فِي الْحُدُودِ  
 وَالِدَّمَاءِ بِإِطْلَاقٍ وَأَفْرَدُوهَا مِنْ نَظَرِ الْقَاضِي وَنَزَّهُوا هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ وَقَدَّوْهَا كِبَارَ الْقَوَادِ  
 وَعَظَمَاءِ الْخَاصَّةِ مِنْ مَوَالِيهِمْ وَلَمْ تَكُنْ عَامَّةَ التَّنْفِيدِ فِي طَبَقَاتِ النَّاسِ إِنَّمَا كَانَتْ  
 حُكْمُهُمْ عَلَى الدَّهْمَاءِ وَأَهْلِ الرَّبِّبِ وَالضَّرْبِ عَلَى أَيْدِي الرَّعَاعِ وَالْفَجْرَةِ ثُمَّ عَظُمَتْ  
 نِبَاهَتُهَا فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ وَنُوعَتْ إِلَى شَرْطَةِ كِبْرَى وَشَرْطَةِ صُغْرَى وَجُعِلَ  
 حُكْمُ الْكِبْرَى عَلَى الْخَاصَّةِ وَالِدَّهْمَاءِ وَجُعِلَ لَهُ الْحُكْمُ عَلَى أَهْلِ الْمَرَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ  
 وَالضَّرْبُ عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الظَّلَامَاتِ وَعَلَى أَيْدِي أَقَارِبِهِمْ وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِ  
 وَجُعِلَ صَاحِبُ الصُّغْرَى مُخْصُوصًا بِالْعَامَّةِ وَنُصِبَ لِصَاحِبِ الْكِبْرَى كَرْمِيٌّ بِبَابِ دَارِ  
 السُّلْطَانِ وَرِجَالٌ يَتَبَوَّؤْنَ الْمَقَاعِدَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَبْرَحُونَ عَنْهَا إِلَّا فِي تَضَرُّبِهِ وَكَانَتْ

وَلَا يَتَّبِعُهَا لِأَكْبَرِ مِنْ رَجَالَاتِ الدَّوْلَةِ حَتَّى كَانَتْ تَرْشِيحًا لِلوَزَارَةِ وَالْحِجَابَةِ  
 وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ بِالْمَغْرِبِ فَكَانَ لَهَا حِظٌّ مِنَ التَّنْبُوهِ وَإِنْ لَمْ يَجْعَلُوهَا  
 عَامَةً وَكَانَ لَا يَلْبِسُهَا إِلَّا رَجَالَاتُ الْمُوحِدِينَ وَكِبَرَاؤُهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ التَّحْكُمُ عَلَى أَهْلِ  
 الْمَرَاتِبِ السُّلْطَانِيَّةِ ثُمَّ فَسَدَ الْيَوْمَ مَنْصِبُهَا وَخَرَجَتْ عَنْ رَجَالِ الْمُوحِدِينَ وَصَارَتْ  
 وَلَا يَتَّبِعُهَا لِمَنْ قَامَ بِهَا مِنَ الْمُصْطَنَعِينَ . وَأَمَّا فِي دَوْلَةِ بَنِي مُرَيْنَ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ  
 فَوَلَّيْتَهَا فِي بَيُوتِ مَوَالِيهِمْ وَأَهْلِ أَصْطِنَاعِهِمْ وَفِي دَوْلَةِ التُّرْكِ بِالْمَشْرِقِ فِي رَجَالَاتِ  
 التُّرْكِ أَوْ عَقَابِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ قَبْلَهُمْ مِنَ التُّرْكِ يَخْتَارُونَ مِنْهُمْ لَهَا فِي النَّظَرِ بِمَا يَظْهَرُ مِنْهُمْ  
 مِنَ الصَّلَابَةِ وَالْمَضَاءِ فِي الْأَحْكَامِ لِقَطْعِ مَوَادِّ الْفَسَادِ وَحَسْمِ أَبْوَابِ الذَّعَارَةِ وَتَخْرِيبِ  
 مَوَاطِنِ الْفُسُوقِ وَتَفْرِيقِ مَجَامِعِهِ مَعَ إِقَامَةِ الْحُدُودِ الشَّرْعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ كَمَا نَقَضَهُ رِعَايَةُ  
 الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ فِي الْمَدِينَةِ وَاللَّهُ مُقَلِّبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ  
 (قيادة الاساطيل) \* وَهِيَ مِنْ مَرَاتِبِ الدَّوْلَةِ وَخِطَطِهَا فِي مَلِكِ الْمَغْرِبِ وَأَفْرِيْقِيَّةِ  
 وَمَرْؤَسَةِ إِصْحَابِ السَّيْفِ وَتَحْتَ حُكْمِهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْوَالِ وَيُسَمَّى صَاحِبِهَا فِي  
 عَرَفِهِمُ الْبَلْمَنْدُ بِتَفْخِيمِ اللَّامِ مَنقُولًا مِنْ لُغَةِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ فَإِنَّهُ اسْمُهَا فِي أَصْطِلَاحِ لُغَتِهِمْ  
 وَإِنَّمَا اخْتَصَّتْ هَذِهِ الْمَرْتَبَةُ بِمَلِكِ أَفْرِيْقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ لِأَنَّهُمَا جَمِيعًا عَلَى ضِفَّةِ الْبَحْرِ  
 الرُّومِيِّ مِنْ جِهَةِ الْجَنُوبِ وَعَلَى عُدُوتِهِ الْجَنُوبِيَّةِ بِأَدَاةِ الْبَرِّ كَلَّتْهُمْ مِنْ سَبْتَةِ إِلَى  
 الشَّامِ وَعَلَى عُدُوتِهِ الشَّمَالِيَّةِ بِأَدَاةِ الْإِنْدَلَسِ وَالْإِفْرَنْجِيَّةِ وَالصَّقَالِبِيَّةِ وَالرُّومِ إِلَى بِلَادِ  
 الشَّامِ أَيْضًا وَيُسَمَّى الْبَحْرُ الرُّومِيُّ وَالْبَحْرُ الشَّامِيُّ نِسْبَةً إِلَى أَهْلِ عُدُوتِهِ وَالسَّاكِنُونَ  
 بِسَيْفِ هَذَا الْبَحْرِ وَسَوَاحِلِهِ مِنْ عُدُوتِهِ يُعَانُونَ مِنْ أَحْوَالِهِ مَا لَا تَعَانِيهِ أُمَّةٌ مِنْ أُمَّةٍ  
 الْبَحَارِ فَقَدْ كَانَتْ الرُّومُ وَالْإِفْرَنْجِيَّةُ وَالْقُوطُ بِالْعُدُوتِ الشَّمَالِيَّةِ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ الرُّومِيِّ  
 وَكَانَتْ أَكْثَرُ حُرُوبِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ فِي السُّفُنِ فَكَانُوا مَهْرَةً فِي رُكُوبِهِ وَالْحَرْبُ فِي  
 السَّاطِلِيَّةِ وَلَمَّا أَسْفَتْ مِنْ أَسْفَتِ مَنْهُمْ إِلَى مَلِكِ الْعُدُوتِ الْجَنُوبِيَّةِ مِثْلَ الرُّومِ إِلَى أَفْرِيْقِيَّةِ  
 وَالْقُوطِ إِلَى الْمَغْرِبِ أَجَازُوا فِي الْأَسَاطِيلِ وَمَلَكُوهَا وَتَغَلَّبُوا عَلَى الْبَرِّ بِهَا وَانْتَزَعُوا  
 مِنْ أَيْدِيهِمْ أَمْرَهَا وَكَانَ لَهَا بِهَا الْمُدُنُ الْحَافِلَةُ مِثْلَ قَرْطَاجِنَةَ وَسَبِطَلَةَ وَجَلُولَاءَ وَمَرِنَاقَ  
 وَشَرَنْشَالَ وَطَنْجَةَ وَكَانَ صَاحِبُ قَرْطَاجِنَةَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحَارِبُ صَاحِبَ رُومَةَ وَيَبِيعُ  
 الْأَسَاطِيلَ لِحَرْبِهِ مَشْحُونَةً بِالْعَسَاكِرِ وَالْعِدَدِ فَكَانَتْ هَذِهِ عَادَةً لِأَهْلِ هَذَا الْبَحْرِ

ألسا كين حفايه معروفة في القديم والحديث ولما ملك المسلمون مصر كتب عمر  
 ابن الخطاب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن صف لي البحر نكتب إليه  
 إن البحر خلق عظيم يركبه خلق ضعيف دود على عود فأوعز حينئذ بمنع المسلمين  
 من ركوبه ولم يركبه أحد من العرب إلا من أفتت على عمر في ركوبه ونال من  
 عقابه كما فعل بعرفجة بن هرثمة الأزدي سيد بجيلة لما أغراه عمان فبلغه غزوه  
 في البحر فأنكر عليه وعنفه أنه ركب البحر للغزو ولم يزل الشأن ذلك حتى إذا  
 كان لعهد معاوية أذن للمسلمين في ركوبه والجهاد على أعواده والسب في ذلك  
 أن العرب لبدونهم لم يكونوا مهرة في ثقافته وركوبه والرؤم والأفرنجة لما رستمهم  
 أحواله ومر بأهم في الثقب على أعواده مرنا عليه وأحكموا الدراية بثقافته فلما  
 استقر الملك للعرب وشحن سلطانهم وصارت أمم العجم خولا لهم وتمت أيديهم  
 وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته واستخدموا من النواتية في حاجاتهم  
 البحرية أمما وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته واستخدموا بصراء بها فشرهوا إلى  
 الجهاد فيه وأنشأوا السفن فيه والشواني وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأطوها  
 العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر وأخصوا بذلك من ممالكمهم  
 وتغورهم ما كان أقرب لهذا البحر وعلى حافته مثل الشام وأفريقية والمغرب والأندلس  
 وأوعز الخليفة عبد الملك إلى حسان بن النعمان عامل أفريقية بأخذ دار صناعة  
 بتونس لإنشاء الآلات البحرية حرصا على مراسم الجهاد ومنها كان فتح صقلية أيام  
 زيادة الله الأول ابن إبراهيم بن الأغلب على يد أسد بن الفرات شيخ الفتيما وفتح  
 قوصرة أيضا في أيامه بعد أن كان معاوية بن حديج أعزى صقلية أيام معاوية بن  
 أبي سفيان فلم يفتح الله على يديه وفتح على يد ابن الأغلب وقائده أسد بن الفرات  
 وكانت من بعد ذلك أساطيل أفريقية والأندلس في دولة العبيد بين والأمويين نتعاقب  
 إلى الاديها في سبيل التتمة فتجوس خلال السواحل بالافساد والتخريب وانتهى  
 أسطول الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر إلى ما تني مركب أو نحوها وأسطول  
 أفريقية كذلك مثله أو قريبا منه وكان قائد الأساطيل بالأندلس ابن دماحس  
 ومرفأها للخط والإفلاع بجاية والمريية وكانت أساطيلها مجتمعة من سائر الممالك

مِنْ كُلِّ بَلَدٍ تُتَّخَذُ فِيهِ السُّفُنُ اسْتَطُولُ يَرْجِعُ نَظْرَهُ إِلَى قَائِدٍ مِنَ النَّوَابِيَةِ يُدِيرُ أَمْرَ حَرْبِهِ  
 وَسِلَاحِهِ وَمَقَاتِلَتِهِ وَرَأْسُ يَدِيرُ أَمْرَ جَرِيَّتِهِ بِالرَّمِيحِ أَوْ بِالْمِجَازِيْفِ وَأَمْرَ إِسْرَائِهِ فِي  
 مَرْفَئِهِ فَإِذَا اجْتَمَعَتِ الْأَسَاطِيلُ لَغَزْوٍ وَمُخْتَفِلٍ أَوْ غَرَضٍ سُلْطَانِيٍّ مِهِمَّ عَسَكَرَتْ بِمَرْفَئِهَا  
 الْمَعْلُومِ وَشَحَنَهَا السُّلْطَانُ بِرِجَالِهِ وَأَنْجَادَ عَسَاكِرِهِ وَمَوَالِيَهُ وَجَعَلَهُمْ لِنَظَرِ أَمِيرٍ وَاحِدٍ  
 مِنْ أَعْلَى طَبَقَاتِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ يَرْجِعُونَ كُلُّهُمْ إِلَيْهِ ثُمَّ يَسِرُّهُمْ لَوَجْهِهِمْ وَيَنْتَظِرُ  
 إِيَابَهُمْ بِالْفَتْحِ وَالغَنِيمَةِ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ لِعَهْدِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ قَدْ غَلَبُوا عَلَى هَذَا  
 الْبَحْرِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ وَعَظُمَتِ صَوْلَتُهُمْ وَسُلْطَانَتُهُمْ فِيهِ فَلَمْ يَكُنْ لِلأُمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ  
 قَبْلَ بِأَسَاطِيلِهِمْ شَيْءٌ مِنْ جَوَانِبِهِ وَأَمْتَطَوْا ظَهْرَهُ لِفَتْحِ سَائِرِ أَيَّامِهِمْ فَكَانَتْ لَهُمْ  
 الْمَقَامَاتُ الْمَعْلُومَةُ مِنَ الْفَتْحِ وَالغَنَائِمِ وَمَلَكَوْا سَائِرَ الْجَزَائِرِ الْمُنْقَطِعَةَ عَنِ السَّوَاهِلِ  
 فِيهِ مِثْلَ مَيُورِقَةَ وَمَنْوَرِقَةَ وَيَابِسَةَ وَسِرْدَانِيَّةَ وَصَقِيلِيَّةَ وَقَوْصِرَةَ وَمَالِطَةَ وَأَفْرِيطِشَ  
 وَقَبْرُسَ وَسَائِرِ مَمَالِكِ الرُّومِ وَالْإِفْرَنْجِ وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّيْبِيُّ وَأَبْنَاؤُهُ يَغْزُونَ  
 أَسَاطِيلَهُمْ مِنَ الْمَهْدِيَّةِ جَزِيرَةَ جَنُودَ فَيَنْقَلِبُ بِالظَّفَرِ وَالغَنِيمَةِ وَأَفْتَحَ مُجَاهِدٌ الْعَامِرِيُّ  
 صَاحِبُ دَانِيَّةَ مِنْ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ جَزِيرَةَ سِرْدَانِيَّةَ فِي أَسَاطِيلِهِ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِمِائَةٍ  
 وَأَرْبَعِينَ النَّصَارَى لَوْفَتْهَا وَالْمُسْلِمُونَ خِلَالَ ذَلِكَ كُلِّهِ قَدْ تَغَلَّبُوا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ لُجَّةِ هَذَا  
 الْبَحْرِ وَصَارَتْ أَسَاطِيلُهُمْ فِيهِمْ جَائِيَّةً وَذَاهِبَةً وَالْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ تُجِيزُ الْبَحْرَ فِي  
 الْأَسَاطِيلِ مِنْ صَقِيلِيَّةَ إِلَى الْبَرِّ الْكَبِيرِ الْمَقَابِلِ لَهَا مِنَ الْعُدُوةِ الشَّمَالِيَّةِ فَتَوْفَعُ بِمُلُوكِ  
 الْإِفْرَنْجِ وَتُنْخَنُ فِي مَمَالِكِهِمْ كَمَا وَقَعَ فِي أَيَّامِ بَنِي الْحُسَيْنِ مُلُوكِ صَقِيلِيَّةِ الْقَائِمِينَ  
 فِيهَا بِدَعْوَةِ الْعَبِيدِيِّينَ وَالْمُخَازَنَاتِ أُمَّمِ النَّصْرَانِيَّةِ بِأَسَاطِيلِهِمْ إِلَى الْجَنَابِ الشَّمَالِيِّ الشَّرْقِيِّ  
 مِنْهُ مِنَ سَوَاهِلِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ وَالصَّقَالِبَةِ وَجَزَائِرِ الرُّومَانِيَّةِ لِأَعْدُونِهَا وَأَسَاطِيلِ الْمُسْلِمِينَ  
 قَدْ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمْ ضِرَاءَ الْأَسَدِ عَلَى فَرِيستِهِ وَقَدْ مَلَأَتْ الْأَكْثَرُ مِنْ بَسِيطِ هَذَا الْبَحْرِ  
 عُدَّةً وَعَدَدًا وَأَخْتَلَفَتْ فِي طُرُقِهِ سَلْمًا وَحَرْبًا فَلَمْ تَطْهَرْ لِلنَّصْرَانِيَّةِ فِيهِ الْوَاحُ حَتَّى إِذَا  
 أَدْرَكَ الدَّوْلَةَ الْعَبِيدِيَّةَ وَالْإِمُويَّةَ الْفُشْلُ وَالْوَهْنُ وَطَرَقَهَا الْأَعْتِلَالُ مَدَّ النَّصَارَى أَيْدِيَهُمْ  
 إِلَى جَزَائِرِ الْبَحْرِ الشَّرْقِيَّةِ مِثْلَ صَقِيلِيَّةَ وَإَفْرِيطِشَ وَمَالِطَةَ فَمَلَكَوْهَا ثُمَّ أَحْوَعُوا عَلَى سَوَاهِلِ الشَّامِ  
 فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ وَمَلَكَوْا طَرَابُلُسَ وَعَسْقَلَانَ وَصُورَ وَعَكَّاكَ وَأَسْتَوْلُوا عَلَى جَمِيعِ النُّغُورِ  
 بِسَوَاهِلِ الشَّامِ وَغَلَبُوا عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَبَنَوْا عَلَيْهِ كِنِيسَةً لِمَظْهَرِ دِينِهِمْ وَعِبَادَتِهِمْ وَغَلَبُوا

بَنِي خَزْرُونَ عَلَى طَرَابُلسٍ ثُمَّ عَلَى قَابَسٍ وَصَفَاقِسٍ وَوَضَعُوا عَلَيْهِمُ الْحِزْبَةَ ثُمَّ مَلَكَوا الْمَهْدِيَةَ مَقَرَّ  
 مَلُوكِ الْعَبِيدِيَّينَ مِنْ بَدِ أَعْقَابِ بَلَكِينِ بْنِ زَيْرِي وَكَانَتْ لَهُمْ فِي الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ  
 الْكُرَّةُ بِهَذَا الْبَحْرِ وَضَعَتْ شَانَ الْأَسَاطِيلِ فِي دَوْلَةِ مِصْرَ وَالشَّامِ إِلَى أَنْ انْقَطَعَ وَلَمْ  
 يَعْتَنُوا بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ بَعْدَ أَنْ كَانَ لَهُمْ بِهِ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبِيدِيَّةِ عِنَايَةٌ تَجَاوَزَتْ  
 الْحَدَّ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِمْ فَبَطَلَ رَسْمُ هَذِهِ الْوَلُؤْفِيَّةِ هُنَاكَ وَبَقِيَتْ  
 بِأَفْرِيقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ فَصَارَتْ مُخْتَصَّةً بِهَا وَكَانَ الْجَانِبُ الْعُرْبِيُّ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ لِهَذَا الْعَهْدِ  
 مَوْفُورَ الْأَسَاطِيلِ ثَابِتَ الْقُوَّةَ لَمْ يَتَحَيَّفُ عَدُوُّهُ وَلَا كَانَتْ لَهُمْ بِهِ كُرَّةٌ فَكَانَ قَائِدُ  
 الْأُسْطُولِ بِهِ لِعَهْدِ لِمْتُونَةَ بَنِي مِيمُونِ رُؤَسَاءَ جَزِيرَةِ قَادِسٍ وَمِنْ أَيْدِيهِمْ أَخَذَهَا  
 عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بِتَسْلِيمِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ وَانْتَهَى عَدَدُ أُسَاطِيلِهِمْ إِلَى الْمِائَةِ مِنْ بِلَادِ  
 الْعُدُوتَيْنِ جَمِيعًا \* وَلَمَّا اسْتَفْحَلَتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ فِي الْمِائَةِ السَّادِسَةِ وَمَلَكَوا  
 الْعُدُوتَيْنِ أَقَامُوا خِطَّةَ هَذَا الْأُسْطُولِ عَلَى أُمَّ مَاعِرِفَ وَأَعْظَمَ مَا عَهْدَ وَكَانَ قَائِدُ  
 أُسْطُولِهِمْ أَحْمَدُ الصَّقَلِيُّ صَلُّهُ مِنْ صَدِّ غِيَارِ الْمُوطِنِينَ بِجَزِيرَةِ سِرُوكِشِ اسْرَةَ النَّصَارَى  
 مِنْ سَوَاحِلِهَا وَرَبِي عِنْدَهُمْ وَاسْتَخْلَصَهُ صَاحِبُ صَقَلِيَّةِ وَاسْتَكْفَاهُ ثُمَّ هَلَكَ وَوَلِيَ ابْنُهُ  
 فَأَسْخَطَهُ بَعْضُ النِّزَعَاتِ وَخَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ وَلَحِقَ بِتُونَسَ وَنَزَلَ عَلَى السَّيِّدِ بِهَا مِنْ بَنِي  
 عَبْدِ الْمُؤْمِنِ وَأَجَارَ مَرَكَشَ فَنَلَقَاهُ الْخَلِيفَةُ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ بِالْمَبْرَةِ  
 وَالْكَرَامَةِ وَأَجْزَلَ الصَّلَةَ وَقَلَّدَهُ أَمْرَ أُسَاطِيلِهِ لِحُجَلَى فِي جِهَادِ أُمَّ النَّصْرَانِيَّةِ وَكَانَتْ  
 لَهُ آثَارٌ وَأَخْبَارٌ وَمَقَامَاتٌ مَذْكُورَةٌ فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ \* وَانْتَهَتْ أُسَاطِيلُ  
 الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَهْدِهِ فِي الْكثْرَةِ وَالِاسْتِجَادَةِ إِلَى مَا لَمْ تَبْلُغْهُ مِنْ قَبْلُ وَلَا بَعْدُ فِيمَا  
 عَهْدَانَاهُ وَلَمَّا قَامَ صَلَاحُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَيُّوبَ مَلِكُ مِصْرَ وَالشَّامِ لِعَهْدِهِ بِاسْتَرْجَاعِ  
 نَعُورِ الشَّامِ مِنْ يَدِ أُمَّ النَّصْرَانِيَّةِ وَتَطْهِيرِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ تَتَابَعَتْ أُسَاطِيلُهُمْ بِالْمَدَدِ  
 لِتِلْكَ الثُّغُورِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ قَرِيبَةٍ لِبَيْتِ الْمَقْدِسِ الَّذِي كَانُوا قَدِ اسْتَوْلَوْا عَلَيْهِ فَأَمَدُوهُمْ  
 بِالْعَدَدِ وَالْأَقْوَاتِ وَلَمْ يُقَاوِمَهُمْ أُسَاطِيلُ الْإِسْكَندَرِيَّةِ لِاسْتِمْرَارِ الْعَلْبِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ  
 الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْبَحْرِ وَتَعَدَّدَ أُسَاطِيلُهُمْ فِيهِ وَضَعَفَ الْمُسْلِمِينَ مِنْذُ زَمَانِ طَوِيلٍ  
 عَنْ مِمَانَعَتِهِمْ هُنَاكَ كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ قَبْلُ فَأَوْفَدَ صَلَاحُ الدِّينِ عَلَى ابْنِي يَعْقُوبَ الْمَنْصُورِ  
 سُلْطَانَ الْمَغْرِبِ لِعَهْدِهِ مِنَ الْمُوحِدِينَ رَسُولَهُ عَبْدَ الْكَرِيمِ بْنِ مَنْقُذٍ مِنْ بَيْتِ بَنِي مَنْقُذٍ

مُلُوكِ شِيزَرٍ وَكَانَ مَلِكُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَأَبَقِيَ عَلَيْهِمْ فِي دَوْلَتِهِ فَبَعَثَ عَبْدُ الْمُنْصِرِيِّمِ مِنْهُمْ  
 هَذَا إِلَى مَلِكِ الْمَغْرِبِ طَالِبًا مَدَدَ الْأَسَاطِيلِ لِتَحُولِ فِي الْبَحْرِ بَيْنَ أَسَاطِيلِ الْأَجَانِبِ  
 وَبَيْنَ مَرَاهِمُ مِنْ أَمْدَادِ النَّصْرَانِيَّةِ بِنُغُورِ الشَّامِ وَأَصْحَبَةِ كِتَابِهِ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ إِنْشَاءِ  
 الْفَاضِلِ الْيَسَّاسِيِّ يَقُولُ فِي افْتِنَاحِهِ فَتَحَ اللَّهُ لِسَيِّدِنَا أَبْوَابَ الْمَنَاجِحِ وَالْمَيَامِنِ حَسْبَمَا  
 نَقَلَهُ الْعَمَادُ الْأَصْهَابِيُّ فِي كِتَابِ الْفَتْحِ الْقَيْسِيِّ فَقَمَّ عَلَيْهِمُ الْمَنْصُورُ نَجَافِيَهُمْ عَنْ  
 خَطَابِهِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ وَحَمَلَهُمْ عَلَى مَنَاجِحِ الْبَرِّ وَالْمَكْرَامَةِ وَرَدَّهُمْ  
 إِلَى مَرْسَلِيهِمْ وَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى حَاجَتِهِ مِنْ ذَلِكَ وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى اخْتِصَاصِ مَلِكِ الْمَغْرِبِ  
 بِالْأَسَاطِيلِ وَمَا حَصَلَ لِلنَّصْرَانِيَّةِ فِي الْجَانِبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ هَذَا الْبَحْرِ مِنَ الْإِسْطِطَالَةِ وَعَدَمِ  
 عَنَايَةِ الدَّوْلِ بِمِصْرَ وَالشَّامِ لِذَلِكَ الْعَهْدِ وَمَا بَعْدَهُ لِشَأْنِ الْأَسَاطِيلِ الْبَحْرِيَّةِ وَالْإِسْتِعْدَادِ  
 مِنْهَا لِلدَّوْلَةِ وَلَمَّا هَلَكَ أَبُو يَعْقُوبَ الْمَنْصُورُ وَأَعْتَلَّتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ وَأَسْتَوْلَتْ أُمُومُ  
 الْجَلَالِيَّةِ عَلَى الْأَكْثَرِ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَالْجَاوِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ وَمَلَكَوا  
 الْجَزَائِرَ الَّتِي بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ مِنَ الْبَحْرِ الرَّوْمِيِّ قَوِيَتْ رِيحُهُمْ فِي بَسِطِ هَذَا الْبَحْرِ وَأَشْتَدَّتْ  
 شَوْكَتُهُمْ وَكَثُرَتْ فِيهِ أَسَاطِيلُهُمْ وَتَرَاجَعَتْ قُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ إِلَى الْمَسَاوِةِ مَعَهُمْ  
 كَمَا وَقَعَ لِعَهْدِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحُسَيْنِ مَلِكِ زَنَانَةَ بِالْمَغْرِبِ فَإِنَّ أَسَاطِيلَهُ كَانَتْ عِنْدَ  
 مَرَامِهِ الْجَزَائِرَ مِثْلَ عِدَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ وَعَدِيدِهِمْ ثُمَّ تَرَاجَعَتْ عَنْ ذَلِكَ قُوَّةُ الْمُسْلِمِينَ فِي  
 الْأَسَاطِيلِ لِضَعْفِ الدَّوْلَةِ وَنِسْيَانِ عَوَائِدِ الْبَحْرِ بِكَثْرَةِ الْعَوَائِدِ الْبَدْوِيَّةِ بِالْمَغْرِبِ وَانْقِطَاعِ  
 الْعَوَائِدِ الْأَنْدَلُسِيَّةِ وَرَجْعِ النَّصَارَى فِيهِ إِلَى دِينِهِمُ الْمَعْرُوفِ مِنَ الذُّرْبَةِ فِيهِ وَالْمِرَانِ  
 عَلَيْهِ وَالْبَصْرَ بِأَحْوَالِهِ وَعَظَمِ الْأُمَمِ فِي لُجَّتِهِ عَلَى أَعْوَادِهِ وَصَارَ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ كَالْأَجَانِبِ  
 الْأَقْلِيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ لَهُمُ الْمِرَانُ عَلَيْهِ لَوْ وَجَدُوا كَثْرَةً مِنَ الْأَنْصَارِ  
 وَالْأَعْوَانِ أَوْ قَلَّةً مِنَ الدَّوْلَةِ لَسْتَجِشُوا لَهُمْ أَعْوَانًا وَتَوَضَّحُوا لَهُمْ فِي هَذَا الْغَرَضِ مَسْلَكًا  
 وَبَقِيَتِ الرُّتْبَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الدَّوْلَةِ الْغَرْبِيَّةِ مَحْفُوظَةً وَالرَّسْمُ فِي مَعَانَاةِ الْأَسَاطِيلِ بِالْإِنْشَاءِ  
 وَالرُّكُوبِ مَعْهُودًا لِمَا عَسَاهُ أَنْ تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَاجَةُ مِنَ الْأَعْرَاضِ السُّلْطَانِيَّةِ فِي الْبِلَادِ  
 الْبَحْرِيَّةِ وَالْمُسْلِمُونَ يَسْتَرْبِهُونَ الرِّيحَ عَلَى الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ قَرْنِ الْمَشْهُرِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ  
 عَنْ كُتُبِ الْخُدَاتَانِ أَنَّهُ لَا بُدَّ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْكِرَّةِ عَلَى النَّصْرَانِيَّةِ وَافْتِنَاحِ مَا وَرَاءَ  
 الْبَحْرِ مِنْ بِلَادِ الْأَفْرَنْجِيَّةِ وَأَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ فِي الْأَسَاطِيلِ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ

## الفصل الخامس والثلاثون

في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول

إِعْلَمَنَّ أَنَّ السَّيْفَ وَالْقَلَمَ كِلَاهُمَا أَلَةُ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى أَمْرِهِ إِلَّا أَنَّ  
 الْحَاجَةَ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ إِلَى السَّيْفِ مَا دَامَ أَهْلُهَا فِي تَمْهِيدِ أَمْرِهِمْ أَشَدَّ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى  
 الْقَلَمِ لِأَنَّ الْقَلَمَ فِي تِلْكَ الْحَالِ خَادِمٌ فَقَطْ مُنْفَذٌ لِلْحُكْمِ السُّلْطَانِيِّ وَالسَّيْفُ شَرِيكَ فِي  
 الْمَعُونَةِ وَكَذَلِكَ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ حَيْثُ تَضَعُ عَصَبِيَّتَهُمَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَيَقُلُّ أَهْلُهَا بِمَا  
 يَنَالُهُمْ مِنَ الْهَرَمِ الَّذِي قَدَمْنَاهُ فَتَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى الْأَسْتِظْهَارِ بِأَرْبَابِ السُّيُوفِ وَتَقْوَى  
 الْحَاجَةَ إِلَيْهِمْ فِي حِمَايَةِ الدَّوْلَةِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهَا كَمَا كَانَ الشَّأْنُ أَوَّلَ الْأَمْرِ فِي تَمْهِيدِهَا  
 فَيَكُونُ لِلسَّيْفِ مَرْبِيَةٌ عَلَى الْقَلَمِ فِي الْحَالَتَيْنِ وَيَكُونُ أَرْبَابُ السَّيْفِ حِينَئِذٍ أَوْسَعَ جَاهًا  
 وَأَكْثَرَ نِعْمَةً وَأَسْنَى إِفْطَاءً وَأَمَّا فِي وَسْطِ الدَّوْلَةِ فَيَسْتَعِينُ بِهَا بِعَضِّ الشَّيْءِ عَنْ  
 السَّيْفِ لِأَنَّهُ قَدْ تَمَهَّدَ أَمْرُهُ وَلَمْ يَبْقَ هَمُّهُ إِلَّا فِي تَحْصِيلِ ثَمَرَاتِ الْمَلِكِ مِنَ الْجَبَايَةِ  
 وَالضَّبْطِ وَمِبَاهَاةِ الدُّوْلِ وَتَنْفِيذِ الْأَحْكَامِ وَالْقَلَمُ هُوَ الْمَعِينُ لَهُ فِي ذَلِكَ فَتَعْظُمُ الْحَاجَةُ  
 إِلَى تَصْرِيفِهِ وَتَكُونُ السُّيُوفُ مَهْمَلَةً فِي مَضَاجِعِ أَعْمَادِهَا إِلَّا إِذَا أَنْابَتْ نَائِبَةٌ أَوْ  
 دُعِيَتْ إِلَى سِدِّ فُرْجَةٍ وَمِمَّا سَوَى ذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَيْهَا فَتَكُونُ أَرْبَابُ الْأَقْلَامِ فِي  
 هَذِهِ الْحَاجَةِ أَوْسَعَ جَاهًا وَأَعْلَى رُتْبَةً وَأَعْظَمَ نِعْمَةً وَتُرُوءَةً وَأَقْرَبَ مِنَ السُّلْطَانِ مَجْلِسًا  
 وَأَكْثَرَ إِلَيْهِ تَرَدُّدًا وَفِي خُلُوتِهِ نَجِيمًا لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ أَلْتَهُ الَّتِي بِهَا يَسْتِظْهَرُ عَلَى تَحْصِيلِ  
 ثَمَرَاتِ مَلِكِهِ وَالنَّظَرَ إِلَى أَعْظَافِهِ وَتَثْقِيفِ أَطْرَافِهِ وَالْمِبَاهَاةِ بِأَحْوَالِهِ وَيَكُونُ  
 الْوُزَرَءُ حِينَئِذٍ وَأَهْلُ السُّيُوفِ مُسْتَعْنَى عَنْهُمْ مُبْعَدِينَ عَنِ بَاطِنِ السُّلْطَانِ حَذِرِينَ عَلَى  
 أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَوَادِرِهِ \* وَفِي مَعْنَى ذَلِكَ مَا كَتَبَ بِهِ أَبُو مُسْلِمٍ لِلْمَنْصُورِ حِينَ أَمَرَهُ  
 بِالْقُدُومِ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ مِمَّا حَفِظْنَاهُ مِنْ وَصَايَا الْفَرَسِ أَخَوْفُ مَا يَكُونُ الْوُزَرَءُ إِذَا  
 سَكَتَتِ الدَّهْمَا سَدَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل السادس والثلاثون

في شارات الملك والسايطان الخاصة به

إِعْلَمَنَّ أَنَّ السُّلْطَانَ شَارَاتٍ وَأَحْوَالًا تَقْتَضِيهَا الْأَبْهَةُ وَالْبَدْحُ فَيَخْتَصُّ بِهَا وَيَتَمَيَّزُ

بِأَنْتَحَالِهَا عَنِ الرَّعِيَّةِ وَالْبِطَانَةِ وَسَائِرِ الرُّؤَسَاءِ فِي دَوْلَتِهِ فَانْدَكَّرَ مَا هُوَ مُشْتَهَرٌ مِنْهَا  
بِمَبْلَغِ الْمَعْرِفَةِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ  
الآلة \* مِنْ شَارَاتِ الْمَلِكِ اتِّخَاذُ آلَاةٍ مِنْ نَشْرِ الْأَلْوِيَةِ وَالرَّيَاثِ وَقَرَعِ الطُّبُولِ  
وَالنَّفْحِ فِي الْأَبْوَاقِ وَالقُرُونِ وَقَدْ ذَكَرَ أَرِسْطُو فِي الْكِتَابِ الْمَنْسُوبِ إِلَيْهِ فِي السِّيَاسَةِ  
أَنَّ السَّرَّ فِي ذَلِكَ إِنْهَابُ الْعَدُوِّ فِي الْحَرْبِ فَإِنَّ الْأَصْوَاتَ الْمَهَائِلَةَ لَهَا تَأْثِيرٌ فِي النُّفُوسِ  
بِالرُّوعَةِ وَالْعَمْرِي إِنَّهُ أَمْرٌ وَجَدَانِيٌّ فِي مَوَاطِنِ الْحَرْبِ يَجِدُهُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ نَفْسِهِ وَهَذَا  
السَّبَبُ الَّذِي ذَكَرَهُ أَرِسْطُو إِنْ كَانَ ذَكَرَهُ فَهُوَ صَحِيحٌ بَعْضُ الْأَعْتِبَارَاتِ \* وَأَمَّا  
الْحَقُّ فِي ذَلِكَ فَهُوَ أَنَّ النَّفْسَ عِنْدَ سَمَاعِ النِّعَمِ وَالْأَصْوَاتِ يَدْرِكُهَا الْفَرَحُ وَالطَّرَبُ بِلَا  
شَكٍّ فَيُصِيبُ مَزَاجَ الرُّوحِ نَشْوَةً يَسْتَسْمَلُ بِهَا الصَّعْبُ وَيَسْتَمِيتُ فِي ذَلِكَ الْوَجْهَ  
الَّذِي هُوَ فِيهِ وَهَذَا مَوْجُودٌ حَتَّى فِي الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ بِأَنْتَعَالِ الْإِبِلِ بِالْحِدَاءِ وَالْخَيْلِ  
بِالصَّيْرِ وَالصَّرِيحِ كَمَا عَلِمْتَ وَيَزِيدُ ذَلِكَ تَأْثِيرًا إِذَا كَانَتْ الْأَصْوَاتُ مُتَنَاسِبَةً كَمَا  
فِي الْغِنَاءِ وَأَنْتَ تَعْلَمُ مَا يَحْدُثُ لِسَامِعِهِ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْمَعْنَى لِأَجْلِ ذَلِكَ نَتَّخِذُ الْعُجْمَ فِي  
مَوَاطِنِ حُرُوبِهِمُ الْآلَاتِ الْمَوْسِيقِيَّةَ <sup>(١)</sup> لَا طَبَالًا وَلَا بَوَاقًا فَيَحْدِقُ الْمَغْنُونُ بِالسُّلْطَانِ فِي  
مَوْكِبِهِ بِالْإِتِهَامِ وَيَغْنُونُ فَيَجْرُ كَوْنُ نَفُوسِ الشُّجْعَانِ بَصْرَتِهِمْ إِلَى الْأَسْتِمَانَةِ وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا فِي  
حُرُوبِ الْعَرَبِ مَنْ يَتَغَنَّى أَمَامَ الْمَوْكِبِ بِالشَّعْرِ وَيُطْرِبُ فَيُجْلِسُ هُمُ الْإِبْطَالُ بِمَا فِيهَا  
وَيَسَارِعُونَ إِلَى تَجَالِ الْحَرْبِ وَيَنْبَعِثُ كُلُّ فَرَسٍ إِلَى قَرْنِهِ وَكَذَلِكَ زِنَانَةُ مِنْ أُمَّةِ الْمَغْرِبِ  
يَتَقَدَّمُ الشَّاعِرُ عِنْدَهُمْ أَمَامَ الصُّنُوفِ وَيَتَغَنَّى فَيَجْرُكَ بِغِنَائِهِ الْجِبَالَ الرَّوَّاسِيَّ وَيَنْبَعِثُ عَلَى  
الْأَسْتِمَانَةِ مَنْ لَا يَظُنُّ بِهَا وَيُسَمُّونَ ذَلِكَ الْغِنَاءَ تَأْصُوكَايَ وَأَصْلُهُ كُلُّهُ فَرَحٌ يُحْدِثُ فِي  
النَّفْسِ فَيَنْبَعِثُ عَنْهُ الشُّجَاعَةُ كَمَا تَنْبَعِثُ عَنِ نَشْوَةِ الْخَمْرِ بِمَا حَدَّثَ عَنْهَا مِنَ الْفَرَحِ وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ وَأَمَّا تَكْثِيرُ الرِّيَاثِ وَتَلْوِينُهَا وَإِطَالَتُهَا فَالْقَصْدُ فِي التَّهْوِيلِ لِأَنَّ كَثْرَتَهَا وَرُبَّمَا تَحْدُثُ  
فِي النُّفُوسِ مِنَ التَّهْوِيلِ زِيَادَةٌ فِي الْأَقْدَامِ وَأَحْوَالِ النُّفُوسِ وَتَلْوِينَاتُهَا غَرِيبَةٌ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ  
الْعَلِيمُ \* ثُمَّ إِنَّ الْمُلُوكَ وَالِدُولَ يَخْتَلِفُونَ فِي اتِّخَاذِ هَذِهِ الشَّارَاتِ فَمِنْهُمْ مَكْثَرٌ وَمِنْهُمْ  
مَقْلِلٌ بِحَسَبِ اتِّسَاعِ الدَّوْلَةِ وَعَظَمِهَا فَأَمَّا الرِّيَاثُ فَإِنَّهَا شِعَارُ الْحُرُوبِ مِنْ عَهْدِ الْخَلِيفَةِ

(١) قولة موسيقية وفي نسخة المرسية رية وفي صححة لاس الموسيقى بكر الفراف بين الغنبيين اسم للنغم  
والإحمان وتوقيعها ويقال فيها موسيقير ويقال لضارب الآلة موسيقار انظر اول سفينة الشيخ محمد شهاب

وَلَمْ تَزَلِ الْأُمَمُ تَعْقِدُهَا فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ وَالْفَزَوَاتِ لِعَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْخُلَفَاءِ \* وَأَمَّا قَرْعُ الطُّبُولِ وَالنَّفْخُ فِي الْأَبْوَاقِ فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ لِأَوَّلِ  
 الْمَلَّةِ مُتَجَانِفِينَ عَنْهُ تَنْزَهاً عَنِ غِلْظَةِ الْمَلِكِ وَرَفْضاً لِأَحْوَالِهِ وَاحْتِقَاراً لِأَيْتِهِ الَّتِي لَيْسَتْ  
 مِنَ الْحَقِّ فِي شَيْءٍ حَتَّى إِذَا انْقَلَبَتِ الْخِلَافَةُ مَكَّةَ وَبَجَّحُوا بِزَهْرَةِ الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا وَلَا بَسْمَهُمْ  
 الْمَوَالِي مِنَ الْفَرَسِ وَالرُّومِ أَهْلِ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ وَأَرْوَاهُمْ مَا كَانَ أَوْلَكَ يَنْتَحِلُونَهُ مِنْ  
 مَذَاهِبِ الْبَدَخِ وَالتَّرَفِ فَكَانَ مِمَّا اسْتَحْسَنُوهُ اتِّخَاذُ الْأَلَةِ فَآخَذُواهَا وَأَذِنُوا لِعَمَالِهِمْ  
 فِي اتِّخَاذِهَا تَنْوِيهاً بِالْمَلِكِ وَآهْلِهِ فَكَثِيرًا مَا كَانَ الْعَامِلُ صَاحِبُ التَّعَرُّ أَوْ قَائِدُ الْجَيْشِ  
 يَعْقِدُهُ الْخَلِيفَةُ مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ أَوِ الْعَبِيدِيِّينَ لَوَاقِهِ وَيُخْرِجُ إِلَى بَعْثِهِ أَوْ عَمَلِهِ مِنْ دَارِ  
 الْخَلِيفَةِ أَوْ دَارِهِ فِي مَوْكِبٍ مِنْ أَصْحَابِ الرَّيَّاتِ وَالْآلَاتِ فَلَا يُمَيِّزُ بَيْنَ مَوْكِبِ الْعَامِلِ  
 وَالْخَلِيفَةِ إِلَّا بِكثيرةِ الْأَلْوِيَةِ وَقِلَّتِهَا أَوْ بِمَا اخْتَصَّ بِهِ الْخَلِيفَةُ مِنَ الْأَلْوَانِ لِرَابِتِهِ كَالسُّوَادِ  
 فِي رَيَّاتِ بَنِي الْعَبَّاسِ فَإِنَّ رَيَّاتِهِمْ كَانَتْ سُودًا حُرْنَا عَلَى شَهَدَائِهِمْ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَنَعِيمًا  
 عَلَى بَنِي أُمَيَّةٍ فِي قَتْلِهِمْ وَلِلذَلِكَ سُمُّوا الْمَسْوُودَةَ \* وَلَمَّا أَفْتَرَقَ أَمْرُ الْأَهَاشِمِيِّينَ وَخَرَجَ  
 الطَّالِبِيُّونَ عَلَى الْعَبَّاسِيِّينَ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ وَعَصَرَ ذَهَبُوا إِلَى مُحَافَتِهِمْ فِي ذَلِكَ فَاتَّخَذُوا  
 الرَّيَّاتِ بِيضًا وَسُمُّوا الْمُمَيِّضَةَ لِذَلِكَ سَائِرَ أَيَّامِ الْعَبِيدِيِّينَ وَمَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّالِبِيِّينَ فِي  
 ذَلِكَ الْعَهْدِ بِالْمَسْرِقِ كَالدَّاعِي بِطَبْرِسْتَانَ وَدَاعِي صَعْدَةَ أَوْ مَنْ دَعَا إِلَى بَدْعَةِ الرَّافِضَةِ  
 مِنْ غَيْرِهِمْ كَالْقَرَامِطَةَ وَلَمَّا نَزَعَ الْمَأْمُونُ عَنِ لُبْسِ السُّوَادِ وَسَعَارِهِ فِي دَوْلَتِهِ عَدَلَ إِلَى  
 لَوْنِ الْخَضْرَاءِ لِيَجْعَلَ رَيَّاتَهُ خَضْرَاءَ وَأَمَّا الْأَسْتِكْبَارُ مِنْهَا فَلَا يَنْتَهِي إِلَى حَدٍّ وَقَدْ كَانَتْ  
 آلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ لَمَّا خَرَجَ الْعَزِيزُ إِلَى قَتَمِ الشَّامِ خَمْسِمِائَةَ مِنَ الْبُنُودِ وَخَمْسِمِائَةَ مِنَ  
 الْأَبْوَاقِ وَأَمَّا مَلُوكُ الْبَرْبَرِ بِالْمَغْرِبِ مِنْ صَنْجَاةٍ وَغَيْرِهَا فَلَمْ يَخْتَصُّوا بِلَوْنٍ وَاحِدٍ بَلْ  
 وَسَّوْهَا بِالذَّهَبِ وَاتَّخَذُوا مِنَ الْحَرِيرِ الْخَالِصِ مَلُونَةً وَسَمَّوْهُا عَلَى الْأَذْنِ فِيهَا لِعَمَالِهِمْ  
 حَتَّى إِذَا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ زَنَانَةِ قَصْرُوا الْأَلَةَ مِنَ الطُّبُولِ وَالْبُنُودِ  
 عَلَى السُّلْطَانَ وَحَظَرُوهَا عَلَى مَنْ سِوَاهُ مِنْ عَمَالِهِ وَجَمَعُوا لَهَا مَوْكِبًا خَاصًّا يَتَّبِعُ أَثَرَ السُّلْطَانَ  
 فِي مَسِيرِهِ يُسَمَّى السَّاقَةَ وَهُمْ فِيهِ بَيْنَ مَكْثَرٍ وَمَقَلٍّ بِاخْتِلَافِ مَذَاهِبِ الدُّوَلِ فِي ذَلِكَ  
 فَمِنْهُمْ مَنْ يَقْتَصِرُ عَلَى سَبْعَةٍ مِنَ الْعَدَدِ تَبَرُّكًَا بِالسَّبْعَةِ كَمَا هُوَ فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ وَبَنِي  
 الْأَحْمَرِ بِالْأَنْدَلُسِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْعَشْرَةَ وَالْعِشْرِينَ كَمَا هُوَ عِنْدَ زَنَانَةِ وَقَدْ بَلَغَتْ فِي

أَيَّامِ السُّلْطَانِ أَبِي الْحُسَيْنِ فِيمَا أَدْرَكَنَاهُ مِائَةً مِنَ الطُّبُولِ وَمِائَةً مِنَ الْبُنُودِ مَلُونَةً  
بِالْحَرِيرِ مَسْجُوحَةً بِالذَّهَبِ مَا بَيْنَ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَيَا ذُنُونَ لِلْوَلَاةِ وَالْعُمَالِ وَالْقَوَادِ فِي  
اتِّخَاذِ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الْكُتْمَانِ بَيْضَاءَ وَطَبْلٍ صَغِيرٍ أَيَّامَ الْحَرْبِ لَا يَتَجَاوَزُونَ  
ذَلِكَ وَآمَّا دَوْلَةُ التُّرْكِ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَشْرِقِ فَيَتَّخِذُونَ رَايَةً وَاحِدَةً عَظِيمَةً وَفِي رَأْسِهَا  
خِصْلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الشَّعْرِ يُسَمُّونَهَا الشَّالِشَ وَالْحِزْرَ وَهِيَ شَعَارُ السُّلْطَانِ عِنْدَهُمْ ثُمَّ اتَّعَدُّ  
الرَّايَاتُ وَيُسَمُّونَهَا السَّنَاجِقَ وَاحِدُهَا سَنَجِقٌ وَهِيَ الرَّايَةُ بِلِسَانِهِمْ. وَآمَّا الطُّبُولُ فَيُبَالِغُونَ  
فِي الْأَسْتِكْثَارِ مِنْهَا وَيُسَمُّونَهَا الْكُوسَاتِ وَيَبِيحُونَ لِكُلِّ أَمِيرٍ أَوْ قَائِدِ عَسْكَرٍ أَنْ  
يَتَّخِذَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَشَاءُ إِلَّا الْحِزْرَ فَإِنَّهُ خَاصٌّ بِالسُّلْطَانِ. وَآمَّا الْجَلَالِقَةَ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ  
أُمَّمِ الْأَفْرَنْجِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ فَأَكْثَرُ شَأْنِهِمْ اتِّخَاذُ الْأَلْوِيَةِ الْقَلِيلَةِ ذَاهِبَةٍ فِي أَلْوَانٍ صَعْدًا  
وَمَعَهَا فَرْعُ الْأَوْتَارِ مِنَ الطَّنَابِيرِ وَتَفْخُ الْغَيْطَاتُ يَذْهَبُونَ فِيهَا مَذْهَبَ الْغِنَاءِ وَطَرِيقَهُ فِي مَوَاطِنِ  
حُرُوبِهِمْ هَكَذَا يَبْلُغُنَا عَنْهُمْ وَعَمَّنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوَانِكُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٌ لِلْعَالَمِينَ

(السريين). وَآمَّا السَّرِيرَ وَالْمَنْبِرَ وَالنَّخْتُ وَالْكُرْسِيَّ فِيهِ أَعْوَادٌ مَنْصُوبَةٌ أَوْ أَرَانِكٌ  
مَنْصُودَةٌ لِحُلُوسِ السُّلْطَانِ عَلَيْهَا مِنْ نَعْمًا عَنْ أَهْلِ تَجْلِسِهِ أَنْ يَسَاوِيَهُمْ فِي الصَّعِيدِ وَلَمْ يَزَلْ  
ذَلِكَ مِنْ سِنِّ الْمُلُوكِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَفِي دَوْلِ الْعَجَمِ وَقَدْ كَانُوا يَجْلِسُونَ عَلَى أَسِرَّةِ الذَّهَبِ  
وَكَانَ لِسَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَسَلَامُهُ كُرْسِيٌّ وَسَرِيرٌ مِنْ عَاجٍ مَغْشَى بِالذَّهَبِ  
الْأَنَّهُ لَا تَأْخُذُ بِهِ الدُّوَلُ إِلَّا بَعْدَ الْأَسْتِحْجَالِ وَالْتَرَفِ شَأْنِ الْأَهْبَةِ كُلِّهَا كَمَا قُلْنَا  
وَآمَّا فِي أَوَّلِ الدُّوَلَةِ عِنْدَ الْبِدَاوَةِ فَلَا يَتَشَوَّقُونَ إِلَيْهِ. وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهُ فِي الْإِسْلَامِ  
مَعَاوِيَةُ وَاسْتَأْذَنَ النَّاسَ فِيهِ وَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي قَدْ بَدَنْتُ فَاذْنُوا لَهُ فَاتَّخَذَهُ وَاتَّبَعَهُ الْمُلُوكُ  
الْإِسْلَامِيُّونَ فِيهِ وَصَارَ مِنْ مَنَازِعِ الْأَهْبَةِ وَلَقَدْ كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِيِ بِمَصْرَ يَجْلِسُ  
فِي قَصْرِهِ عَلَى الْأَرْضِ مَعَ الْعَرَبِ وَيَأْتِيهِ الْمُقَوْسُ إِلَى قَصْرِهِ وَمَعَهُ سَرِيرٌ مِنَ الذَّهَبِ  
مَحْمُولٌ عَلَى الْأَيْدِي لِحُلُوسِهِ شَأْنِ الْمُلُوكِ فَيَجْلِسُ عَلَيْهِ وَهُوَ أَمَامَهُ وَلَا يَغْيِرُونَ عَلَيْهِ وَفَاءً لَهُ  
بِمَا اعْتَقَدَ مَعَهُمْ مِنَ الذِّمَّةِ وَأَطْرَاحًا لِأَهْبَةِ الْمَلِكِ ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ لِبنِي الْعَبَّاسِ  
وَالْعَبِيدِيَّينَ وَسَائِرِ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ شَرْقًا وَغَرْبًا مِنَ الْأَسِرَّةِ وَالْمَنْابِرِ وَالنَّخْتِ مَا عَفَا عَنِ  
الْأَكْسِرَةِ وَالْقِيَاصِرَةِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

(السكة) يوهي الختم على الدنانير والدرهم المتعامل بها بين الناس يطاع حديد ينقش  
 فيه صوراً أو كلمات مقلوبة ويضرب بها على الدينار أو الدرهم فنخرج رسوم تلك النقوش  
 عليها ظاهرة مستقيمة بعد أن يعتبر عيار النقد من ذلك الجنس في خلوصه بالسبك مرة بعد  
 أخرى وبعد تقدير اشخاص الدرهم والدنانير بوزن معين صحيح يسطح عليه فيكون  
 التعامل بها عدداً وإن لم تقدر اشخاصها يكون التعامل بها وزناً ولنظ السكة كان اسماً  
 للطابع وهي الحديده المتخذة لذلك ثم نقل إلى أثرها وهي النقوش المائتة على الدنانير  
 والدرهم ثم نقل إلى القيام على ذلك والنظر في استيفاء حاجاته وشروطه وهي الوظيفة  
 فصارت علماً عليها في عرف الدول وهي وظيفة ضرورية للملك إذ بها يتميز الخالص  
 من المغشوش بين الناس في النقود عند المعاملات ويتقون في سلامتها العيش بمختم  
 السلطان عليها بتلك النقوش المعروفة وكان ملوك العجم يتخذونها وينقشون فيها تماثيل  
 تكون مخصوصة بها مثل تمثال السلطان لبعدها أو تمثيل حصن أو حيوان أو مصنوع  
 أو غير ذلك ولم يزل هذا الشأن عند العجم إلى آخر أمرهم . ولما جاء الإسلام  
 اغفل ذلك لسداجة الدين وبداوة العرب وكانوا يتعاملون بالذهب والفضة وزناً وكانت  
 دنانير الفرس ودراهمهم بين أيديهم ويردونها في معاملتهم إلى الوزن ويتصارفون  
 بها بينهم إلى أن تفاحش الغش في الدنانير والدرهم لغفلة الدولة عن ذلك وأمر  
 عبد الملك الحجاج على ما نقل سعيد بن المسيب وأبو الزناد بضرب الدرهم وتمييز  
 المغشوش من الخالص وذلك سنة أربع وسبعين وقال المدائني سنة خمس وسبعين  
 ثم أمر بصرفها في سائر النواحي سنة ست وسبعين وكتب عليها الله أحد الله الصمد  
 ثم ولي ابن هبيرة العراق أيام يزيد بن عبد الملك فجود السكة ثم بالغ خالد  
 القسري في تجويدها ثم يوسف بن عمر بعده وقيل أول من ضرب الدنانير والدرهم  
 مصعب بن الزبير بالعراق سنة سبعين بأمر أخيه عبد الله لما ولي الحجاز وكتب عليها  
 في أحد الوجهين بركة الله وفي الآخر اسم الله ثم غيرها الحجاج بعد ذلك بسنة  
 وكتب عليها اسم الحجاج وقدر وزنها على ما كانت استقرت أيام عمر وذلك أن  
 الدرهم كان وزنه أول الإسلام ستة دوانق والمثقال وزنه درهم وثلاثة أسباع  
 درهم فتكون عشرة دراهم بسبعة مثاقيل وكان السبب في ذلك أن أوزان الدرهم

أَيَّامِ الْفُرْسِ كَانَتْ مُخْتَلِفَةً وَكَانَ مِنْهَا عَلَى وَزْنِ الْمَثْقَالِ عَشْرُونَ قِيرَاطًا وَمِنْهَا اثْنَا عَشَرَ  
 وَمِنْهَا عَشْرَةٌ فَلَمَّا أَحْتَجِجَ إِلَى تَقْدِيرِهِ فِي الرِّكَازِ أَخَذَ الْوَسْطَ وَذَلِكَ اثْنَا عَشَرَ قِيرَاطًا  
 فَكَانَ الْمَثْقَالُ دِرْهَمًا وَثَلَاثَةَ أَسْبَاعِ دِرْهَمٍ وَقِيلَ كَانَ مِنْهَا الْبَغْلِيُّ ثَمَانِيَةً دَوَانِقَ  
 وَالطَّبْرِيُّ أَرْبَعَةَ دَوَانِقَ وَالْمَغْرِبِيُّ ثَمَانِيَةَ دَوَانِقَ وَالْيَمَنِيُّ سِتَّةَ دَوَانِقَ فَأَمَرَ عُمَرُ أَنْ يُنْظَرَ  
 الْأَغْلَبَ فِي التَّعَامُلِ فَكَانَ الْبَغْلِيُّ وَالطَّبْرِيُّ اثْنَيْ عَشَرَ دَانِقًا وَكَانَ الدِّرْهَمُ سِتَّةَ  
 دَوَانِقَ وَإِنْ زِدْتَ ثَلَاثَةَ أَسْبَاعِهِ كَانَ مِثْقَالًا وَإِذَا انْقَصَتْ ثَلَاثَةُ أَعْشَارِ الْمَثْقَالِ كَانَ  
 دِرْهَمًا فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ الْمَلِكِ اتِّخَاذَ السِّكَّةِ لِصِبَاغَةِ النَّقْدِينَ الْجَارِيَيْنِ فِي مُعَامَلَةِ  
 الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْعُشِّ عَيْنَ مِقْدَارِهَا عَلَى هَذَا الَّذِي اسْتَقَرَّ لِعَهْدِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
 وَاتَّخَذَ فِيهِ كَلِمَاتٍ لَا صُورًا لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَ الْكَلَامَ وَالْبَلَاغَةَ أَقْرَبَ مَنَاجِحِهِمْ وَأَظْهَرَهَا  
 مَعَ أَنَّ الشَّرْعَ يَنْهَى عَنِ الصُّورِ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَمَرَ بَيْنَ النَّاسِ فِي أَيَّامِ الْمَلَةِ كَلِمًا  
 وَكَانَ الدِّيْنَارُ وَالدِّرْهَمُ عَلَى شَكْلَيْنِ مُدَوَّرَيْنِ وَالْمَكْتَابَةُ عَلَيْهِمَا فِي دَوَائِرٍ مُتَوَازِيَةٍ  
 يُكْتَبُ فِيهَا مِنْ أَحَدِ الْوَجْهَيْنِ أَسْمَاءُ اللَّهِ تَهْلِيلًا وَتَحْمِيدًا وَصَلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ وَفِي  
 الْوَجْهِ الثَّانِي التَّأْرِيخُ وَأَسْمُ الْخُلَيْفَةِ وَهَكَذَا أَيَّامُ الْعَبَّاسِيِّينَ وَالْعَبِيدِيِّينَ وَالْأُمَوِيِّينَ  
 وَأَمَّا صِنْفُهَا فَلَمْ يَتَّخِذُوا سِكَّةً إِلَّا آخِرَ الْأَمْرِ اتَّخَذَهَا مَنْصُورٌ صَاحِبُ بَيْجَاهُ ذَكَرَ ذَلِكَ  
 ابْنُ حَمَادٍ فِي تَارِيخِهِ وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ كَانَ مِمَّا سَنَّ لَهُمُ الْمَهْدِيُّ اتِّخَاذَ  
 سِكَّةِ الدِّرْهَمِ مُرَبَّعِ الشَّكْلِ وَأَنْ يُرَسَمَ فِي دَائِرَةِ الدِّيْنَارِ شَكْلُ مُرَبَّعٍ فِي وَسْطِهِ  
 وَيَمْلَأَنَّ مِنْ أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ تَهْلِيلًا وَتَحْمِيدًا وَمِنَ الْجَانِبِ الْآخَرَ كِتَابًا فِي السُّطُورِ بِاسْمِهِ  
 وَأَسْمِ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ فَعَلَّ ذَلِكَ الْمُوَحِّدُونَ وَكَانَتْ سِكَّتُهُمْ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ وَقَدْ كَانَ الْمَهْدِيُّ فِيمَا يُنْقَلُ يَنْقُتُ قَبْلَ ظُهُورِهِ بِصَاحِبِ الدِّرْهَمِ الْمُرَبَّعِ نَعْنَهُ بِذَلِكَ  
 الْمَتَكَلِّمُونَ بِالْحَدَثَانِ مِنْ قَبْلِهِ الْخُضَيْرِيُّونَ فِي مَلَاحِمِهِمْ عَنْ دَوْلَتِهِ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَشْرِقِ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ فَسِكَّتُهُمْ غَيْرُ مُقَدَّرَةٍ وَإِنَّمَا يَتَعَامَلُونَ بِالْدِنَانِيرِ وَالدِّرَاهِمِ وَزَنًا بِالصَّنَجَاتِ  
 الْمُقَدَّرَةِ بَعْدَهُ مِنْهَا وَلَا يَطْبَعُونَ عَلَيْهَا بِالسِّكَّةِ نَقُوشَ الْكَلِمَاتِ بِالتَّهْلِيلِ وَالصَّلَاةِ وَأَسْمِ  
 السُّلْطَانِ كَمَا يَفْعَلُهُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ  
 وَلِنَقْتُمُ الْكَلَامَ فِي السِّكَّةِ بِذِكْرِ حَقِيقَةِ الدِّرْهَمِ وَالدِّيْنَارِ الشَّرْعِيَيْنِ وَيَبَانَ  
 حَقِيقَةُ مِقْدَارِهِمَا

وَذَلِكَ أَنَّ الدِّينَارَ وَالدِّرْهَمَ مُخْتَلَفَا السِّكَّةِ فِي الْمَقْدَارِ وَالْمَوَازِينِ بِالْأَفَاقِ  
 وَالْأَمْصَارِ وَسَائِرِ الْأَعْمَالِ وَالشَّرْعُ قَدْ تَعَرَّضَ لِذِكْرِهِمَا وَعَلَّقَ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْكَامِ  
 بِهِمَا فِي الزَّكَاةِ وَالْأَنْكِحَةِ وَالْحُدُودِ وَغَيْرِهَا فَلَا بَدَّ لَهُمَا عِنْدَهُ مِنْ حَقِيقَةِ وَمَقْدَارِ  
 مَعِينٍ فِي تَقْدِيرِ تَجْرِي عَلَيْهِمَا أَحْكَامُهُ دُونَ غَيْرِ الشَّرْعِيِّ مِنْهُمَا فَأَعْلَمَ أَنَّ الْإِجْمَاعَ  
 مُتَعَقِدٌ مِنْذُ صَدْرِ الْإِسْلَامِ وَعَهْدِ الصَّحَابَةِ وَالنَّابِعِينَ أَنَّ الدِّرْهَمَ الشَّرْعِيُّ هُوَ الَّذِي تَزَنُ  
 الْعَشْرَةُ مِنْهُ سَبْعَةٌ مِثْقَالٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالْأَوْثِيَّةُ مِنْهُ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا وَهُوَ عَلَى هَذَا سَبْعَةُ  
 أَعْشَارِ الدِّينَارِ وَوَزْنُ الْمِثْقَالِ مِنَ الذَّهَبِ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ حَبَّةً مِنَ الشَّعِيرِ فَالدِّرْهَمُ  
 الَّذِي هُوَ سَبْعَةُ أَعْشَارِهِ تَحْسُونَ حَبَّةً وَخُمْسًا حَبَّةً وَهَذِهِ الْمَقَادِيرُ كُلُّهَا ثَابِتَةٌ بِالْإِجْمَاعِ  
 فَإِنَّ الدِّرْهَمَ الْجَاهِلِيَّ كَانَ بَيْنَهُمْ عَلَى أَنْوَاعٍ أَجْوَدَهَا الطَّبْرِيُّ وَهُوَ أَرْبَعَةٌ دَوَانِقُ وَالْبَغْلِيُّ  
 وَهُوَ ثَمَانِيَةٌ دَوَانِقُ فَعَمِلُوا الشَّرْعِيُّ بَيْنَهُمَا وَهُوَ سِتَّةٌ دَوَانِقُ فَكَانُوا يُوجِبُونَ الزَّكَاةَ  
 فِي مِائَةِ دِرْهَمٍ بَعْلِيَّةً وَمِائَةِ طَبْرِيَّةٍ خَمْسَةَ دَرَاهِمٍ وَسَطًّا وَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ هَلْ  
 كَانَ ذَلِكَ مِنْ وَضْعِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ إِجْمَاعِ النَّاسِ بَعْدَ عَلَيْهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ .  
 ذَكَرَ ذَلِكَ الْخَطَّاطُ فِي كِتَابِ مَعَالِمِ السَّنَنِ وَالْمَوَازِينِ فِي الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ  
 وَأَنْكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ لِمَا يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ الشَّرْعِيَّانِ  
 مَجْهُولَيْنِ فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مَعَ تَعَلُّقِ الْحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ بِهِمَا فِي الزَّكَاةِ  
 وَالْأَنْكِحَةِ وَالْحُدُودِ وَغَيْرِهَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ وَحَقُّ أَنْهُمَا كَانَا مَعْلُومِي الْمَقْدَارِ فِي ذَلِكَ  
 الْعَصْرِ لِجُرْيَانِ الْأَحْكَامِ يَوْمَئِذٍ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِمَا مِنَ الْحُقُوقِ وَكَانَ مِقْدَارُهُمَا غَيْرَ مُسَخَّصٍ  
 فِي الْخَارِجِ وَإِنَّمَا كَانَ مُتَعَارِفًا بَيْنَهُمْ بِالْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ عَلَى الْمَقْدَارِ فِي مِقْدَارِهِمَا  
 وَزَنْتَهُمَا حَتَّى اسْتَفْحَلَ الْإِسْلَامُ وَعَظُمَتِ الدَّوْلَةُ وَدَعَتِ الْحَالُ إِلَى تَشْخِصِهِمَا فِي  
 الْمَقْدَارِ وَالْوِزْنِ كَمَا هُوَ عِنْدَ الشَّرْعِ لِيَسْتَرِيحُوا مِنْ كَلْفَةِ التَّقْدِيرِ وَقَارَنَ ذَلِكَ أَيَّامَ  
 عَبْدِ الْمَلِكِ فَشَخَّصَ مِقْدَارَهُمَا وَعَيْنَهُمَا فِي الْخَارِجِ كَمَا هُوَ فِي الذَّهْنِ وَنَقَشَ عَلَيْهِمَا  
 السِّكَّةَ بِاسْمِهِ وَتَأْرِيخِهِ أَثَرَ الشَّهَادَتَيْنِ الْإِيمَانِيَّتَيْنِ وَطَرَحَ النُّقُودَ الْجَاهِلِيَّةَ رَأْسًا  
 حَتَّى خَلَصَتْ وَنَقَشَ عَلَيْهَا سِكَّةً وَتَلَاثِي وَجُودَهَا فِهْدًا هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مَحِيدَ عَنْهُ  
 وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَقَعَ اخْتِيَارُ أَهْلِ السِّكَّةِ فِي الدَّوَلِ عَلَى مُخَالَفَةِ الْمَقْدَارِ الشَّرْعِيِّ فِي  
 الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَاخْتَلَفَتْ فِي كُلِّ الْأَفْطَارِ وَالْأَفَاقِ وَرَجَعَ النَّاسُ إِلَى تَصَوُّرِ مِقَادِيرِهِمَا

الشَّرْعِيَّةِ ذَهْنًا كَمَا كَانَ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ وَصَارَ أَهْلُ كُلِّ أَفْئَةٍ يَسْتَخْرِجُونَ الْحَقُّوقَ الشَّرْعِيَّةَ مِنْ سَكَّتِهِمْ بِمَعْرِفَةِ النَّسَبَةِ الَّتِي بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَقَادِيرِهَا الشَّرْعِيَّةِ وَأَمَّا وَزْنُ الدِّينَارِ بِأَثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ حَبَّةً مِنَ الشَّعِيرِ الْوَسَطِ فَهُوَ الَّذِي نَقَلَهُ الْحَقِّقُونَ وَعَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ إِلَّا ابْنَ حَزْمٍ خَالَفَ ذَلِكَ وَزَعَمَ أَنَّ وَزْنَهُ أَرْبَعٌ وَتَمَانُونَ حَبَّةً. نَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُ الْقَاضِي عَبْدُ الْحَقِّ وَرَدَّهُ الْحَقِّقُونَ وَعَدُوهُ وَهَمَّا وَعَلَطًا وَهُوَ الصَّحِيحُ وَاللَّهُ يُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَكَذَلِكَ تَعَلَّمَ أَنَّ الْأَوْفِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ لَيْسَتْ هِيَ الْمُتَعَارَفَةُ بَيْنَ النَّاسِ لِأَنَّ الْمُتَعَارَفَةَ مُخْتَلِفَةٌ بِاخْتِلَافِ الْأَفْطَارِ وَالشَّرْعِيَّةَ مُتَّحِدَةٌ ذَهْنًا لِأَنَّ اخْتِلَافَ فِيهَا وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا

(الخاتم) وَأَمَّا الْخَاتَمُ فَهُوَ مِنَ الْخَطِّطِ السُّاطِنِيَّةِ وَالْوُضَائِفِ الْمُلُوكِيَّةِ وَالْخَتْمُ عَلَى الرِّسَالِ وَالصُّكُوكِ مَعْرُوفٌ لِلْمُلُوكِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَبَعْدَهُ وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى قَيْصَرَ فُقَيْلَ لَهُ إِنْ النَّعْجَمَ لَا يَقْبَلُونَ كِتَابًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَخْتُومًا فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ وَنَقَشَ فِيهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ الْبُخَارِيُّ جَعَلَ الثَّلَاثَ الْكَلِمَاتِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ وَخَتَمَ بِهِ وَقَالَ لَا يَنْقُشُ أَحَدٌ مِثْلَهُ قَالَ وَخَتَمَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ثُمَّ سَقَطَ مِنْ يَدِ عُثْمَانَ فِي بَيْتِ أَرِيْسَ وَكَانَتْ قَلِيلَةً الْمَاءُ فَلَمْ يُدْرِكْ قَعْرُهَا بَعْدُ وَأَعْتَمَّ عُثْمَانُ وَتَطَيَّرَ مِنْهُ وَصَنَّ آخَرَ عَلَى مِثْلِهِ وَفِي كَيْفِيَّةِ نَقْشِ الْخَاتَمِ وَالْخَتْمِ بِهِ وَجُوهٌ وَذَلِكَ أَنَّ الْخَاتَمَ يُطْلَقُ عَلَى الْآلَةِ الَّتِي يُجْعَلُ فِي الْأَصْبَعِ وَمِنْهُ خَتْمٌ إِذَا لَيْسَ وَيُطْلَقُ عَلَى النَّهَائِيَّةِ وَاللِّتَامِ وَمِنْهُ خَتْمَتُ الْأَمْرِ إِذَا بَلَغَتْ آخِرَهُ وَخَتَمَتُ الْقُرْآنَ كَذَلِكَ وَمِنْهُ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَخَاتَمُ الْأَمْرِ وَيُطْلَقُ عَلَى السَّدَادِ الَّذِي يُسَدُّ بِهِ الْأَوَانِي وَالذَّنَانِ وَيُقَالُ فِيهِ خِتَامٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى خِتَامَهُ مُسْكٌ وَقَدْ غَلِطَ مَنْ فَسَّرَ ذَلِكَ بِالنَّهَائِيَّةِ وَاللِّتَامِ قَالَ لِأَنَّ آخِرَ مَا يَجِدُونَهُ فِي شَرَاهِمِهِمْ رِيحُ الْمِسْكِ وَلَيْسَ الْمَعْنَى عَلَيْهِ وَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الْخِتَامِ الَّذِي هُوَ السَّدَادُ لِأَنَّ الْخَمْرَ يُجْعَلُ لَهَا فِي الدِّنِّ سَدَادُ الطِّينِ أَوْ الْقَارِ يَحْفَظُهَا وَيُطَيَّبُ عَرْفَهَا وَذَوْقَهَا فَبُورِغٌ فِي وَصْفِ خَمْرِ الْجَنَّةِ بَأَنَّ سَدَادَهَا مِنَ الْمِسْكِ وَهُوَ أَطْيَبُ عَرْفًا وَذَوْقًا مِنَ الْقَارِ وَالطِّينِ الْمَعْبُودِينَ فِي الدُّنْيَا فَإِذَا صَحَّ إِطْلَاقُ الْخَاتَمِ عَلَى هَذِهِ كَلِمَاتِهَا صَحَّ إِطْلَاقُهُ عَلَى آثَرِهَا النَّاشِئِ عَنْهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْخَاتَمَ إِذَا نَقِشَتْ بِهِ كَلِمَاتٌ أَوْ أَشْكَالٌ ثُمَّ غُمِسَ فِي مِدْفَافٍ مِنَ الطِّينِ أَوْ مِدَادٍ وَوُضِعَ عَلَى صَفْحِ الْقِرْطَاسِ بَقِيَ أَكْثَرُ الْكَلِمَاتِ

فِي ذَلِكَ الصَّنْعِ وَكَذَلِكَ إِذَا طُبِعَ بِهِ عَلَى جِسْمِ ابْنِ كَالشَّمْعِ فَإِنَّهُ يَبْقَى نَقْشُ ذَلِكَ  
 الْمَكْتُوبِ مُرْتَسِمًا فِيهِ وَإِذَا كَانَتْ كَلِمَاتُ وَأَرْتَسَمَتْ فَقَدْ يَقْرَأُ مِنَ الْجِهَةِ الْبُيُورِي  
 إِذَا كَانَ النَّقْشُ عَلَى الْأَسْتِقَامَةِ مِنَ الْيَمْنِيِّ وَقَدْ يَقْرَأُ مِنَ الْجِهَةِ الْيَمْنِيِّ إِذَا كَانَ النَّقْشُ  
 مِنَ الْجِهَةِ الْبُيُورِي لِأَنَّ الْخَتْمَ يَقْلِبُ جِهَةَ الْخَطِّ فِي الصَّفْحِ عَمَّا كَانَ فِي النَّقْشِ مِنْ يَمِينٍ  
 أَوْ يَسَارٍ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْخَتْمُ بِهَذَا الْخَتْمِ بَعْمَسِهِ فِي الْمِدَادِ أَوْ الطِّينِ وَوَضَعَهُ  
 فِي الصَّفْحِ فَتَنْتَقِشُ الْكَلِمَاتُ فِيهِ وَيَكُونُ هَذَا مِنْ مَعْنَى النِّهَايَةِ وَالنَّهْيِ بِمَعْنَى صِحَّةِ ذَلِكَ  
 الْمَكْتُوبِ وَتَفْوِذِهِ كَانَ الْكِتَابُ إِنَّمَا يَتِمُّ الْعَمَلُ بِهِ بِهَذِهِ الْعَلَامَاتِ وَهُوَ مِنْ دُونِهَا  
 مُغْنَى لَيْسَ بِتَامٍ وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْخَتْمُ بِالْخَطِّ آخِرَ الْكِتَابِ أَوْ أَوَّلَهُ بِكَلِمَاتٍ مُنْتَظِمَةٍ  
 مِنْ تَحْمِيدٍ أَوْ تَسْبِيحٍ أَوْ بِاسْمِ السُّلْطَانِ أَوْ الْأَمِيرِ أَوْ صَاحِبِ الْكِتَابِ مَنْ كَانَ أَوْ  
 شَيْءٍ مِنْ نَعْوَتِهِ يَكُونُ ذَلِكَ الْخَطُّ عِلْمًا عَلَى صِحَّةِ الْكِتَابِ وَتَفْوِذِهِ وَيُسَمَّى ذَلِكَ فِي  
 الْمُتَعَارِفِ عِلْمًا وَيُسَمَّى خَتْمًا تَسْبِيحًا لَهُ بِأَثَرِ الْخَتْمِ الْأَصْنِيِّ فِي النَّقْشِ وَمِنْ هَذَا  
 خَاتَمُ الْقَاضِي الَّذِي يَبْعَثُ بِهِ لِلْخُصُومِ أَيَّ عِلْمَتَهُ وَخَطَّهُ الَّذِي يَنْفِذُ بِهِمَا أَحْكَامَهُ  
 وَمِنْهُ خَاتَمُ السُّلْطَانِ أَوْ الْخَلِيفَةِ أَيَّ عِلْمَتَهُ قَالَ الرَّشِيدُ لِيَحْيَى بْنِ خَالِدٍ لَمَّا أَرَادَ أَنْ  
 يَسْتَوِزَرَ جَعْفَرًا وَيَسْتَبْدِلَ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ أَخِيهِ فَقَالَ لِأَيُّهَا يَحْيَى يَا أَبْتَ إِنِّي أَرَدْتُ  
 أَنْ أَحُولَ الْخَتْمَ مِنْ يَمِينِي إِلَى شِمَالِي فَكُنِّي لَهُ بِالْخَتْمِ عَنِ الْوِزَارَةِ لِمَا كَانَتْ الْعِلْمَةُ  
 عَلَى الرَّسَائِلِ وَالصُّكُوكِ مِنْ وَظَائِفِ الْوِزَارَةِ لِعَهْدِهِمْ وَيَشْهَدُ لَصِحَّةِ هَذَا الْإِطْلَاقِ مَا  
 نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ أَنَّ مُعَاوِيَةَ أَرْسَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ عِنْدَ مُرَاوَدَتِهِ إِيَّاهُ فِي الصُّلْحِ صَحِيفَةً بِيضَاءَ  
 خَتَمَ عَلَى أَسْفَلِهَا وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنْ أَشْرَطَ فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي خَتَمْتُ أَسْفَلَهَا مَا شِئْتَ  
 فَهُوَ لَكَ وَمَعْنَى الْخَتْمِ هُنَا عِلْمَةُ فِي آخِرِ الصَّحِيفَةِ بِخَطِّهِ أَوْ غَيْرِهِ وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُخْتَمَ بِهِ  
 فِي جِسْمِ لَبِنٍ فَتَنْتَقِشُ فِيهِ حُرُوفُهُ وَيُجْعَلُ عَلَى مَوْضِعِ الْحَزْمِ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حَزَمَ  
 وَعَلَى الْمَوْدُوعَاتِ وَهُوَ مِنَ السَّدَادِ كَمَا مَرَّ وَهُوَ فِي الْوُجْهِينِ أَثَارُ الْخَتْمِ فَيُطْلَقُ عَلَيْهِ  
 خَاتَمٌ وَأَوَّلُ مَنْ أَطْلَقَ الْخَتْمَ عَلَى الْكِتَابِ أَيَّ الْعِلْمَةَ مُعَاوِيَةَ لِأَنَّهُ أَمَرَ لِعَمْرَ بْنَ لُزَيْرٍ  
 عِنْدَ زِيَادٍ بِالْكَوْفَةِ بِمِائَةِ أَلْفٍ فَفَتَحَ الْكِتَابَ وَصَيَّرَ الْمِائَةَ مِائَتَيْنِ وَرَفَعَ زِيَادٌ حِسَابَهُ  
 فَأَنْكَرَهَا مُعَاوِيَةَ وَطَلَبَ بِهَا عُمَرَ وَحَسَبَهُ حَتَّى قَضَاهَا عَنْهُ أَخُوهُ عَبْدُ اللَّهِ وَاتَّخَذَ مُعَاوِيَةَ  
 عِنْدَ ذَلِكَ دِيْوَانَ الْخَتْمِ ذَكَرَهُ الطَّبْرِيُّ وَقَالَ آخَرُونَ وَحَزَمَ الْكِتَابَ وَلَمْ تَكُنْ

مُحْرَمٌ أَيْ جَعَلَ لَهَا السَّادَ وَدِيوانُ اُخْتَمَ عِبَارَةٌ عَنِ الْكُتَّابِ الْقَائِمِينَ عَلَى انْفِازِ  
 كُتُبِ السُّلْطَانِ وَالْخَتْمِ عَلَيْهَا إِمَّا بِالْعَلَامَةِ أَوْ بِالْحَزْمِ وَقَدْ يُطْلَقُ الدِّيوانُ عَلَى مَكَانِ  
 جُلُوسِ هَؤُلَاءِ الْكُتَّابِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي دِيوانِ الْأَعْمَالِ وَالْحَزْمُ لِلْكَتُبِ يَكُونُ  
 إِمَّا بِدَسِّ الْوَرَقِ كَمَا فِي عَرَفِ كُتَابِ الْمَغْرِبِ وَإِمَّا بِالصَّاقِ رَأْسِ الصَّحِيفَةِ عَلَى مَا  
 تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنَ الْكُتَّابِ كَمَا فِي عَرَفِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَقَدْ يُجْعَلُ عَلَى مَكَانِ الدَّسِّ أَوْ  
 الْإِصْطَاقِ عِلَامَةٌ يُؤْمَنُ مَعَهَا مِنْ فَتْحِهِ وَالْإِطْلَاقِ عَلَى مَا فِيهِ فَأَهْلُ الْمَغْرِبِ يَجْعَلُونَ عَلَى  
 مَكَانِ الدَّسِّ قِطْعَةً مِنَ الشَّمْعِ وَيَخْتَمُونَ عَلَيْهَا بِخَاتَمٍ نُقِشَتْ فِيهِ عِلَامَةٌ لِذَلِكَ فَيَرْتَسِمُ  
 النَّقْشُ فِي الشَّمْعِ وَكَانَ فِي الْمَشْرِقِ فِي الدُّوَلِ الْقَدِيمَةِ يُخْتَمُ عَلَى مَكَانِ اللَّصِقِ بِخَاتَمٍ  
 مَنقُوشٍ أَيْضًا قَدْ غَمِسَ فِي مَدَافٍ مِنَ الطِّينِ مَعْدٍ لِذَلِكَ صَبغُهُ أَحْمَرَ فَيَرْتَسِمُ ذَلِكَ  
 النَّقْشُ عَلَيْهِ وَكَانَ هَذَا الطِّينُ فِي الدُّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ يُعْرَفُ بِطِينِ اُخْتَمٍ وَكَانَ يُجَلَّبُ مِنْ  
 سِدْرَافٍ فَيُظْهِرُ أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِهَا فَهَذَا اُخْتَمُ الَّذِي هُوَ الْعِلَامَةُ الْمَكْتُوبَةُ أَوْ النَّقْشُ  
 لِلسَّادِ وَالْحَزْمُ لِلْكَتُبِ خَاصُّ دِيوانِ الرِّسَالِ وَكَانَ ذَلِكَ لِلوَزِيرِ فِي الدُّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ  
 ثُمَّ اُخْتَلَفَ الْعَرَفُ وَصَارَ لِمَنْ إِلَيْهِ التَّرْسِيلُ وَدِيوانُ الْكُتَّابِ فِي الدُّوَلَةِ ثُمَّ صَارُوا فِي  
 دَوْلِ الْمَغْرِبِ يَعْدُونَ مِنْ عِلَامَاتِ الْمَلِكِ وَشَارَاتِهِ اُخْتَمُ لِلإِصْبَعِ فَيَسْتَجِيدُونَ صَوْنَهُ  
 مِنَ الذَّهَبِ وَيُرْصَعُونَهُ بِالْفُصُوصِ مِنَ الْيَاقُوتِ وَالْفَيْرُوزِجِ وَالزُّمْرُودِ وَيَلْبَسُهُ السُّلْطَانُ  
 شَارَةً فِي عَرَفِهِمْ كَمَا كَانَتْ الْبُرْدَةُ وَالْقَضِيبُ فِي الدُّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَالْمِظَلَّةُ فِي الدُّوَلَةِ  
 الْعَبِيدِيَّةِ وَاللَّهُ مَصْرِفُ الْأُمُورِ بِحُكْمِهِ

(الطراز) \* مِنْ أَهْبَةِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ وَمَدَاهِبِ الدُّوَلِ أَنْ تُرْسَمَ أَسْمَاؤُهُمْ أَوْ  
 عِلَامَاتُ تَخْتَصُّ بِهِمْ فِي طِرَازِ أَثْوَابِهِمْ الْمَعْدَةُ لِلْبَاسِمِهِمْ مِنَ الْحَرِيرِ أَوْ الدِّيَبَاجِ أَوْ  
 الْأَبْرِيسِمِ تُعْتَبَرُ كِتَابَةٌ خَطَّهَا فِي نَسْجِ الثَّوْبِ الْحَمَامُ وَإِسْدَاءٌ بِخَيْطِ الذَّهَبِ أَوْ مَا يُخَالِفُ  
 لَوْنِ الثَّوْبِ مِنَ الْخَيْطِ الْمَلُونَةِ مِنْ غَيْرِ الذَّهَبِ عَلَى مَا يُحْكِمُهُ الصَّنَاعُ فِي تَقْدِيرِ ذَلِكَ  
 وَوَضْعِهِ فِي صِنَاعَةِ نَسْجِهِمْ فَتَصِيرُ الثِّيَابُ الْمَلُوكِيَّةُ مَعْلَمَةً بِذَلِكَ الطِّرَازِ قَصْدُ التَّنْوِيهِ  
 بِالإِسْبَاطِ مِنَ السُّلْطَانِ فَمَنْ دُونَهُ أَوْ التَّنْوِيهِ بِمَنْ يَخْتَصُّهُ السُّلْطَانُ بِمَلْبُوسِهِ إِذَا قَصَدَ  
 تَسْرِيفَهُ بِذَلِكَ أَوْ وِلَايَتَهُ لَوْظِيْفَةً مِنْ وِظَائِفِ دَوْلَتِهِ وَكَانَ مَلُوكُ الْعَجَمِ مِنْ قَبْلِ الْإِسْلَامِ  
 يَجْعَلُونَ ذَلِكَ الطِّرَازَ بِصُورِ الْمَلُوكِ وَأَشْكَالِهِمْ أَوْ أَشْكَالِ وَصُورِ مَعِينِهِ لِذَلِكَ ثُمَّ

اعْتَضَ مُلُوكُ الْإِسْلَامِ عَنِ ذَلِكَ بَكْتَبِ أَسْمَائِهِمْ مَعَ كَلِمَاتٍ أُخْرَى تَجْرِي تَجْرِي  
 الْفَالِ أَوْ السَّيْلَاتِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي الدَّوْلَتَيْنِ مِنْ أُمَّةِ الْأُمُورِ وَأَنْفَحِ الْأَحْوَالِ وَكَانَتْ  
 الدُّورُ الْمَعْدَةُ لِنَسْحِ أَثْوَابِهِمْ فِي فُضُورِهِمْ تُسَمَّى دُورَ الطَّرَازِ لِلذَّكَ وَكَانَ الْقَائِمُ عَلَى  
 النَّظَرِ فِيهَا يُسَمَّى صَاحِبَ الطَّرَازِ يَنْظُرُ فِي أُمُورِ الصَّبَاحِ وَالْآلَةِ وَالْحَاكَةِ فِيهَا وَإِجْرَاءِ  
 أَرْزَاقِهِمْ وَتَسْهِيلِ الْإِتْمَانِ وَمُشَارَفَةِ أَعْمَالِهِمْ وَكَانُوا يُقَلِّدُونَ ذَلِكَ لِحَوَاصِ دَوْلَتِهِمْ وَثِقَاتِ  
 مَوَالِيهِمْ وَكَذَلِكَ كَانَ الْحَالُ فِي دَوْلَةِ بَنِي أُمَيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ وَالطَّوَائِفِ مِنْ بَعْدِهِمْ وَفِي  
 دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ بِمِصْرَ وَمَنْ كَانَ عَلَى عَهْدِهِمْ مِنْ مُلُوكِ الْعَجَمِ بِالْمَشْرِقِ ثُمَّ لَمَّا صَاقَ  
 نِطَاقُ الدُّوَلِ عَنِ التَّرْفِ وَالتَّفَنُّنِ فِيهِ لِضَيْقِ نِطَاقِهَا فِي الْأَسْتِيْلَاءِ وَتَعَدَّدَتِ الدُّوَلُ تَعَطَّلَتْ  
 هَذِهِ الوُظَيْفَةُ وَأَوْلَايَةُ عَلَيْهَا مِنْ أَكْثَرِ الدُّوَلِ بِالْجُمْلَةِ وَلَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ  
 بِالْمَغْرِبِ بَعْدَ بَنِي أُمَيَّةَ أَوَّلَ الْمِائَةِ السَّادِسَةِ لَمْ يَأْخُذُوا بِذَلِكَ أَوَّلَ دَوْلَتِهِمْ لَمَّا كَانُوا  
 عَلَيْهِ مِنْ مَنَازِعِ الدِّيَانَةِ وَالسَّدَاجَةِ الَّتِي لَقِنُوهَا عَنْ إِمَامِهِمْ مُحَمَّدَ بْنَ نُومَرْتِ الْمَهْدِيِّ  
 وَكَانُوا يَتَوَرَّعُونَ عَنِ لِبَاسِ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ فَسَقَطَتْ هَذِهِ الوُظَيْفَةُ مِنْ دَوْلَتِهِمْ وَاسْتَدْرَكَ  
 مِنْهَا أَعْقَابَهُمْ أُخْرَى الدَّوْلَةَ طَرَفًا لَمْ يَكُنْ بِتِلْكَ التَّبَاهَةِ وَأَمَّا لِهَذَا الْعَهْدِ فَأَدْرَكْنَا بِالْمَغْرِبِ  
 فِي الدَّوْلَةِ الْمُرْنِيَّةِ لِعَنْفُونِهَا وَشُمُوحِهَا رَسْمًا جَلِيلًا لَقِنُوهَا مِنْ دَوْلَةِ ابْنِ الْأَحْمَرِ مُعَاصِرِهِمْ  
 بِالْأَنْدَلُسِ وَاتَّبَعَ هُوَ فِي ذَلِكَ مُلُوكُ الطَّوَائِفِ فَأَتَى مِنْهُ بِلِخْمَةٍ شَاهِدَةٌ بِالْآثَرِ وَأَمَّا دَوْلَةُ  
 التُّرْكَ بِمِصْرَ وَالشَّامِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَفِيهَا مِنَ الطَّرَازِ تَجْرِي أَوْخَرُ عَلَى مَقْدَارِ مُلْكِهِمْ وَعُمُرَانِ  
 بِلَادِهِمْ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَا يُصْنَعُ فِي دُورِهِمْ وَفُضُورِهِمْ وَلَيْسَتْ مِنْ وَظَائِفِ دَوْلَتِهِمْ وَإِنَّمَا  
 يَنْسَجُ مَا تَطْلُبُهُ الدَّوْلَةُ مِنْ ذَلِكَ عِنْدَ صِنَاعِهِ مِنَ الْحَرِيرِ وَمِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ وَيُسَمُّونَهُ  
 الْمُرْزُكَشَ لَفِظَةً عَجْمِيَّةً وَيُرْسَمُ اسْمُ السُّلْطَانِ أَوْ الْأَمِيرِ عَلَيْهِ وَبَعْدَهُ الصَّنَاعُ لَهُمْ فِيمَا  
 يُعْدُونَهُ لِلدَّوْلَةِ مِنْ طَرَفِ الصَّنَاعَةِ الْإِثْنَةِ بَيْهَا وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفساطيط والسياج

اعْلَمَنَّ أَنَّ مِنْ شَرَاتِ الْمُلْكِ وَتَرْفِهِ اتِّخَاذُ الْأَخْبِيَّةِ وَالْفَسَاطِيطِ وَالْفَارَاتِ مِنْ ثِيَابِ  
 الْكُتَّانِ وَالصُّوفِ وَالْقُطْنِ فَيُبَاهِي بِهَا فِي الْأَسْفَارِ وَتَتَوَعُّ مِنْهَا الْأَلْوَانُ مَا بَيْنَ كَبِيرِ  
 وَصَغِيرِ عَلَى نِسْبَةِ الدَّوْلَةِ فِي التَّرْوَةِ وَالْيَسَارِ وَإِنَّمَا يَكُونُ الْأَمْرُ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ فِي يَوْمِهِمْ  
 الَّتِي جَرَتْ عَادَتُهُمْ بِاتِّخَاذِهَا قَبْلَ الْمُلْكِ وَكَانَ الْعَرَبُ لِعَهْدِ الْخُلَفَاءِ الْأَوَّلِينَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ

إِنَّمَا يَسْكُونُ يَوْمَهُمُ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ خِيَامًا مِنَ الْوَبْرِ وَالصُّوفِ وَلَمْ تَزَلِ الْعَرَبُ لِذَلِكَ  
 الْعَهْدِ بَادِينَ إِلَّا الْأَقْلَ مِنْهُمْ فَكَانَتْ أَسْنَانُهُمْ لِعَزْوَاتِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ بَطْعُونِهِمْ وَسَائِرَ  
 حَلَلِهِمْ وَأَحْيَاءِهِمْ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْعَرَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَكَانَتْ عَسَاكِرُهُمْ  
 لِذَلِكَ كَثِيرَةً الْحَلَلِ بَعِيدَةً مَا بَيْنَ الْمَنَازِلِ مُتَفَرِّقَةً الْأَحْيَاءُ يَغِيبُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَنْ  
 نَظَرِ صَاحِبِهِ مِنَ الْأَخْرَى كَشَأْنِ الْعَرَبِ وَلِذَلِكَ مَا كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ يَحْتَاجُ إِلَى سَاقَةِ  
 تَحْشُدِ النَّاسِ عَلَى أَثَرِهِ أَنْ يُقِيمُوا إِذَا ظَعَنَ وَنَقَلَ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ فِي ذَلِكَ الْحُجَّاجَ حِينَ  
 أَشَارَ بِهِ رَوْحُ بْنُ زَبَاعٍ وَقَصَّتُهُمَا فِي إِحْرَاقِ فَسَاطِيطِ رَوْحٍ وَخِيَامِهِ لِأَوَّلِ وَلَايَتِهِ  
 حِينَ وَجَدَهُمْ مَقِيمِينَ فِي يَوْمِ رَحِيلِ عَبْدِ الْمَلِكِ قِصَّةً مَشْهُورَةً وَمِنْ هَذِهِ الْوَلَايَةِ تُعْرَفُ  
 رُبَّةُ الْحُجَّاجِ بَيْنَ الْعَرَبِ فَإِنَّهُ لَا يَتَوَلَّى إِزَادَتَهُمْ عَلَى الطَّعْنِ إِلَّا مَنْ يَأْتِي بُوَادِرَ  
 السُّفْهَاءِ مِنْ أَحْيَاءِهِمْ بِمَا لَهُ مِنَ الْعَصِيَّةِ الْحَائِلَةِ دُونَ ذَلِكَ وَلِذَلِكَ أَخْتَصَّهُ عَبْدُ الْمَلِكِ  
 بِهِذِهِ الرُّبَّةَ ثِقَةً بَعْنَانِهِ فِيهَا بَعْضِيَّتُهُ وَصِرَامَتُهُ فَلَمَّا تَفَنَّتِ الدَّوْلَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي مَذَاهِبِ  
 الْحِضَارَةِ وَالْبَدَخِ وَنَزَلُوا الْمُدْنَ وَالْأَمْصَارَ وَانْتَقَلُوا مِنْ سُكْنَى الْخِيَامِ إِلَى سُكْنَى  
 الْقُصُورِ وَمِنْ ظَهْرِ الْخُفِّ إِلَى ظَهْرِ الْحَافِرِ انْتَدُوا لِلسُّكْنَى فِي أَسْفَارِهِمْ ثِيَابَ الْكُتَّانِ  
 يَسْتَعْمَلُونَ مِنْهَا يَوْمًا مُخْتَلَفَةً الْأَشْكَالِ مُقَدَّرَةً لِأَمْثَالِ مِنَ الْقُورَاءِ وَالْمُسْتَطِيلَةِ وَالْمُرْبَعَةِ  
 وَيَحْتَمِلُونَ فِيهَا بِأَبْلَغِ مَذَاهِبِ الْأِحْتِفَالِ وَالزِّيْنَةِ وَيُدِيرُ الْأَمِيرُ وَالْقَائِدُ الْعَسَاكِرَ عَلَى  
 فَسَاطِيطِهِمْ وَقَارَاتِهِ مِنْ بَيْنِهِمْ سِيَاجًا مِنَ الْكُتَّانِ يُسَمَّى فِي الْمَغْرِبِ بِلِسَانِ الْبَرْبَرِ الَّذِي  
 هُوَ لِسَانُ أَهْلِ أَفْرَاكِ بِالْكَافِ وَالْقَافِ وَيَخْتَصُّ بِهِ السُّلْطَانُ بِذَلِكَ الْقَطْرِ لَا يَكُونُ  
 لِعَبْرَةٍ. وَأَمَّا فِي الْمَشْرِقِ فَيَتَّخِذُهُ كُلُّ أَمِيرٍ وَإِنْ كَانَ دُونَ السُّلْطَانِ ثُمَّ حَجَّتِ الدَّعَةُ  
 بِالنِّسَاءِ وَالْوُلْدَانِ إِلَى الْمَقَامِ بِقُصُورِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ نَخَفَ لِذَلِكَ ظَهْرُهُمْ وَتَقَارَبَتِ السِّيَاجُ  
 بَيْنَ مَنَازِلِ الْعَسْكَرِ وَاجْتَمَعَ الْجَيْشُ وَالسُّلْطَانُ فِي مَعْسَكَرٍ وَاحِدٍ يَحْتَصِرُهُ الْبَصَرُ فِي بَسِيْطَةٍ  
 زَهْوًا أَيْقًا لِاخْتِلَافِ أَلْوَانِهِ وَاسْتَمَرَّ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ فِي مَذَاهِبِ الدُّوَلِ فِي بَدْخِيَا وَتَرَفِيَا  
 وَكَذَا كَانَتْ دَوْلَةُ الْمُوَحِّدِينَ وَزَنَانَةُ الَّتِي أَظَلَّنَا كَانَ سَفَرُهُمْ أَوَّلَ أَمْرِهِمْ فِي يَوْمِ سُكْنَانِهِمْ  
 قَبْلَ الْمَلِكِ مِنَ الْخِيَامِ وَالْقِيَاطِينِ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الدَّوْلَةُ فِي مَذَاهِبِ التَّرَفِ وَسُكْنَى  
 الْقُصُورِ وَعَادُوا إِلَى سُكْنَى الْأَخْيَةِ وَالْفَسَاطِيطِ بَلَّغُوا مِنْ ذَلِكَ فَوْقَ مَا أَرَادُوهُ وَهُوَ مِنْ  
 التَّرَفِ بِمَسْكَانٍ إِلَّا أَنَّ الْعَسَاكِرَ بِهِ تَصِيرُ عَرْضَةً لِلبِيَّاتِ لِاجْتِمَاعِهِمْ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ تَشْمَلُهُمْ

فِيهِ الصِّحْحَةُ وَلِخَفَّتْهُمْ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَالِدِ الَّذِينَ تَكُونُ الْأِسْمَانَةُ دُونَهُمْ فَيَحْتَاجُ فِي ذَلِكَ إِلَى تَحْنُظٍ آخَرَ وَاللَّهُ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ

### المقصورة للصلاة والدعاء في الخطبة

وَهُمَا مِنَ الْأُمُورِ اخْتِلَافِيَّةٍ وَمِنْ شَارَاتِ الْمَلِكِ الْأِسْلَامِيِّ وَلَمْ يُعْرَفْ فِي غَيْرِ دَوْلِ الْأِسْلَامِ . فَأَمَّا الْبَيْتُ الْمَقْصُورَةُ مِنَ الْمَسْجِدِ لِصَلَاةِ السُّلْطَانِ فَيَتَّخِذُ سَبَاجًا عَلَى الْخُرَابِ فَيَحُورُهُ وَمَا يَلِيهِ فَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهَا مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَنِيَانَ حِينَ طَعَنَهُ الْخَارِجِيُّ وَالْقِصَّةُ مَعْرُوفَةٌ وَقِيلَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَهَا مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ حِينَ طَعَنَهُ الْيَمَانِيُّ ثُمَّ اتَّخَذَهَا الْخُلَفَاءُ مِنْ بَعْدِهِمَا وَصَارَتْ سُنَّةً فِي تَمْيِيزِ السُّلْطَانِ عَنِ النَّاسِ فِي الصَّلَاةِ وَهِيَ إِنَّمَا تَحْدُثُ عِنْدَ حُصُولِ التَّرَفِّ فِي الدُّوَلِ وَالْإِسْتِخْلَالَ شَأْنِ أَجْوَالِ الْأَبِيَّةِ كُلِّهَا وَمَا زَالَ الشَّانُ ذَلِكَ فِي الدُّوَلِ الْأِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا وَعِنْدَ اقْتِرَاقِ الدَّوَلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَتَعَدُّ الدُّوَلِ بِالْمَشْرِقِ وَكَذَا بِالْأَنْدَلُسِ عِنْدَ اقْتِرَاضِ الدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَتَعَدُّ مُلُوكَ الطَّوَائِفِ وَأَمَّا الْمَغْرِبُ فَكَانَ بَنُو الْأَغْلَبِ يَتَّخِذُونَهَا بِالْقَيْرَوَانِ ثُمَّ الْخُلَفَاءُ الْعَبِيدِيُّونَ ثُمَّ وَلاَتَهُمْ عَلَى الْمَغْرِبِ مِنْ صَنَابِجَةَ بَنُو بَدِيسٍ بِقَاسٍ وَبَنُو حَمَادٍ بِالْقَلْعَةِ ثُمَّ مَلِكُ الْمُوَحِّدُونَ سَائِرَ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَنَحْوَهُ ذَلِكَ الرَّسْمُ عَلَى طَرِيقَةِ الْبِدَاوَةِ الَّتِي كَانَتْ شِعَارُهُمْ وَلَمَّا اسْتَفْجَلَتِ الدَّوَلَةُ وَأَخَذَتْ بِحُظَّهَا مِنَ التَّرَفِّ وَجَاءَ أَبُو يَعْقُوبَ الْمَنْصُورُ ثَالِثُ مُلُوكِهِمْ فَأَتَّخَذَ هَذِهِ الْمَقْصُورَةَ وَبَقِيَتْ مِنْ بَعْدِهِ سُنَّةً لِمُلُوكِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَهَكَذَا كَانَ الشَّانُ فِي سَائِرِ الدُّوَلِ سُنَّةً لِلَّهِ فِي عِبَادِهِ . وَأَمَّا الدُّعَاءُ عَلَى الْمَنَابِرِ فِي الْخُطْبَةِ فَكَانَ الشَّانُ أَوْلًا عِنْدَ الْخُلَفَاءِ وَلا يَتَّخِذُونَ الصَّلَاةَ بِأَنْفُسِهِمْ فَكَانُوا يَدْعُونَ لِذَلِكَ بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالرِّضَى عَنْ أَصْحَابِهِ وَأَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ الْمَنَابِرَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ لَمَّا بَنَى جَامِعَهُ بِمِصْرَ وَأَوَّلُ مَنْ دَعَا لِلْخُلَيْفَةِ عَلَى الْمَنَابِرِ ابْنُ عَبَّاسٍ دَعَا عَلِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي خُطْبَتِهِ وَهُوَ بِالْبَصْرَةِ عَامِلٌ لَهُ عَلَيْهَا فَقَالَ اللَّهُمَّ أَنْصُرْ عَلِيًّا عَلَى الْحَقِّ وَاتَّصِلْ الْعَمَلَ عَلَى ذَلِكَ فِيمَا بَعْدَ وَبَعْدَ أَخَذِ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ الْمَنَابِرَ بَلَغَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ذَلِكَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَمَا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ مَنَابِرًا تَرْفِي بِهِ عَلَى رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ مَا يَكْفِيكَ أَنْ تَكُونَ قَائِمًا وَالْمُسْلِمُونَ تَحْتَ عَقَبِكَ فَعَزَمْتُ عَلَيْكَ إِلَّا مَا كَسَرْتَهُ فَلَمَّا حَدَّثَتِ الْأَبِيَّةُ وَحَدَّثَتْ فِي الْخُلَفَاءِ الْمَانِعِ مِنَ الْخُطْبَةِ وَالصَّلَاةِ اسْتَنْابُوا

فِيهَا فَكَانَ الْخَطِيبُ يُشِيدُ بِذِكْرِ الْخَلِيفَةِ عَلَى الْمَنِيرِ تَوْبِيهَا بِاسْمِهِ وَدَعَاءُ لَهُ بِمَا جَعَلَ  
 اللَّهُ مَصْحَحَ الْعَالَمِ فِيهِ وَلَآنَ تِلْكَ السَّاعَةَ مَظَنَّةٌ لِلْإِجَابَةِ وَلِمَا ثَبَتَ عَنِ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِمْ  
 مَنْ كَانَتْ لَهُ دَعْوَةٌ صَالِحَةٌ فَلْيَضَعَهَا فِي السُّلْطَانِ وَكَانَ الْخَلِيفَةُ يُفْرَدُ بِذَلِكَ فَلَمَّا جَاءَ  
 الْحَجْرُ وَالْإِسْتِبْدَادُ صَارَ الْمُتَغَابِلُونَ عَلَى الدُّوَلِ كَثِيرًا مَا يَشَارِكُونَ الْخَلِيفَةَ فِي ذَلِكَ  
 وَيُشَادُّ بِأَسْمِهِمْ عَقِبَ اسْمِهِ وَذَهَبَ ذَلِكَ بِذَهَابِ تِلْكَ الدُّوَلِ وَصَارَ الْأَمْرُ إِلَى اخْتِصَاصِ  
 السُّلْطَانِ بِالْإِدْعَاءِ لَهُ عَلَى الْمَنِيرِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ وَحَظَرَ أَنْ يَشَارِكَهُ فِيهِ أَحَدٌ أَوْ يَسْتَوْ  
 إِلَيْهِ وَكَثِيرًا مَا يُغْفَلُ الْمُعَاهِدُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّوَلِ هَذَا الرَّسْمَ عِنْدَ مَا تَكُونُ الدُّوَلَةُ فِي  
 اسْتِلْبَاقِ الْغَضَاظَةِ وَمَنَاحِي الْبُدَاوَةِ فِي التَّعَاوُلِ وَالْحُسُونَةِ وَيَقْنَعُونَ بِالْإِدْعَاءِ عَلَى الْإِبْهَامِ  
 وَالْإِجْمَالِ لِمَنْ وَلِيَ أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ وَيُسَمُّونَ مِثْلَ هَذِهِ الْخَطْبَةَ إِذَا كَانَتْ عَلَى هَذَا  
 الْمَعْنَى عَبَّاسِيَّةً يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنَّ الدُّعَاءَ عَلَى الْإِجْمَالِ إِنَّمَا يَتَنَاوَلُ الْعَبَّاسِيَّ تَقْلِيدًا فِي  
 ذَلِكَ لِمَا سَلَفَتْ مِنَ الْأَمْرِ وَلَا يَحْفَلُونَ بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ تَعْيِينِهِ وَالتَّصْرِيحِ بِاسْمِهِ يُحْكِي  
 أَنَّ يَعْمرَ اسِنَّ بْنِ زِيَانَ عَاهِدَ دَوْلَةَ بَنِي عَبْدِ الْوَادِ لَمَّا غَلَبَهُ الْأَمِيرُ أَبُو زَكْرِيَاءَ بِيحْيَى بْنِ  
 أَبِي حَنْصَلٍ عَلَى تَلْمَسَانَ ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فِي إِعَادَةِ الْأَمْرِ إِلَيْهِ عَلَى شُرُوطِ شَرْطِهَا كَانَ فِيهَا  
 ذِكْرُ اسْمِهِ عَلَى مَنَابِرِ عَمَلِهِ فَقَالَ يَعْمرَ اسِنَّ تِلْكَ أَعْوَادُهُمْ يَذْكُرُونَ عَلَيْهَا مَنْ شَاءَ وَ  
 وَكَذَلِكَ يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الْحَقِّ عَاهِدَ دَوْلَةَ بَنِي مُرِينَ حَضْرَهُ رَسُولُ الْمُتَنَصِّرِ الْخَلِيفَةِ  
 يَتُونِسَ مِنْ بَنِي أَبِي حَنْصَلٍ وَتَالَتْ مُلُوكُهُمْ وَتَخَلَّفَ بَعْضُ أَيَّامِهِ عَنْ شَهْرِ الْجُمُعَةِ فَقِيلَ  
 لَهُ لَمْ يَحْضُرْ هَذَا الرَّسُولُ كَرَاهِيَةً لِحُلُولِ الْخَطْبَةِ مِنْ ذِكْرِ سُلْطَانِهِ فَأَذِنَ فِي الدُّعَاءِ لَهُ  
 وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِأَخْذِهِمْ بِدَعْوَتِهِ وَهَكَذَا شَأْنُ الدُّوَلِ فِي بَدَايَتِهَا وَتَمَكُّنِهَا فِي الْغَضَاظَةِ  
 وَالدُّعَاوَةِ فَإِذَا انْتَبَهَتْ عِيُونُ سِيَاسَتِهِمْ وَنَظَرُوا فِي أَعْطَافِ مَا كَيْفِهِمْ وَأَسْتَمْتُوا شَيْآتِ  
 الْحَضَارَةِ وَمَقَالِي الْبَدَخِ وَالْأَبْيَةِ انْتَحَلُوا جَمِيعَ هَذِهِ السَّمَاتِ وَتَفَنَّنُوا فِيهَا وَتَجَارَوْا إِلَى  
 غَايَتِهَا وَأَفْنَوْا مِنَ الْمَشَارِكَةِ فِيهَا وَجَزَعُوا مِنْ أَفْتِقَادِهَا وَخَلَوْا دَوْلَتِهِمْ مِنْ آثَارِهَا وَالْعَالَمُ  
 بَسْتَانٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبٌ

### الفصل السابع والثلاثون

في الحروب ومذاهب الامم وترتيبها

إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْحُرُوبَ وَأَنْوَاعَ الْمُقَاتَلَةِ لَمْ تَزَلْ وَاقِعَةً فِي الْخَلِيقَةِ مُنْذُ بَرَأَهَا اللَّهُ وَأَصْلَهَا

إِرَادَةَ اِتِّتِقَامِ بَعْضِ اَلْبَشَرِ مِنْ بَعْضٍ وَيَتَعَصَّبُ لِكُلِّ مِنْهَا اَهْلٌ عَصِيَّتِهِ فَاِذَا تَدَامَرُوا لِذَلِكَ  
 وَتَوَافَقَتِ الطَّائِفَتَانِ اِحْدَاهُمَا تَطْلُبُ اَلْاِتِّتِقَامَ وَالْاُخْرَى تُدَافِعُ كَانَتْ اَلْحَرْبُ وَهِيَ اَمْرٌ  
 طَبِيعِيٌّ فِي اَلْبَشَرِ لَا تَخْلُو عَنْهُ اُمَّةٌ وَلَا حَيْلٌ وَسَبَبُ هَذَا اَلْاِتِّتِقَامِ فِي الْاَكْثَرِ اِمَّا غِيْرَةٌ  
 وَمُنَافَسَةٌ وَاِمَّا عُدُوَانٌ وَاِمَّا غَضَبٌ لَلّهِ وَوَلَدِيْنِهِ وَاِمَّا غَضَبٌ لِلْمَلِكِ وَسَعْيٌ فِي تَمْهِيْدِهِ  
 فَاَلْاَوَّلُ اَكْثَرُ مَا يَجْرِي بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْمُتَجَاوِرَةِ وَالْعَشَائِرِ الْمُتَنَازِرَةِ وَالثَّانِي وَهُوَ  
 الْعُدُوَانُ اَكْثَرُ مَا يَكُوْنُ مِنَ الْاُمَّمِ الْوَحْشِيَّةِ السَّاكِنِيْنَ بِالْقَفْرِ كَالْعَرَبِ وَالتُّرْكِ  
 وَالتُّزْكَمَانِ وَالْاَكْرَادِ وَاَشْبَاهِهِمْ لِاَنَّهُمْ جَعَلُوا اَزْرَاقَهُمْ فِي رِمَاحِهِمْ وَمَعَاشِرَهُمْ نِيْمًا  
 بِاَيْدِي غَيْرِهِمْ وَمَنْ دَافَعَهُمْ عَنْ مَتَاعِهِ اَذْنُوهُ بِالْحَرْبِ وَلَا بُغْيَةَ لَهُمْ فِيْمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ  
 رُتْبَةٍ وَلَا مَلِكٍ وَاِنَّمَا هُمُومٌ وَنُصَبُ اَعْيُنُهُمْ غَلَبَ النَّاسِ عَلَيَّ مَا فِي اَيْدِيهِمْ وَالثَّلَاثُ هُوَ  
 الْمُسْمَى فِي الشَّرِيعَةِ بِالْحِيَادِ وَالرَّابِعُ هُوَ حُرُوبُ الدُّوَلِ مَعَ الْخَارِجِيْنَ عَلَيْهَا وَالْمَالِعِيْنَ  
 لَطَاعَتِهَا فَهَذِهِ اَرْبَعَةُ اَصْنَافٍ مِنَ الْحُرُوبِ الصَّنِفَانِ الْاَوَّلَانِ مِنْهَا حُرُوبٌ بُغْيٌ وَفِتْنَةٌ  
 وَالصَّنِفَانِ الْاٰخِرَانِ حُرُوبٌ جِهَادٌ وَعَدْلٌ وَصِنَةُ الْحُرُوبِ الْوَاغِعَةِ بَيْنَ اَهْلِ الْخَلِيقَةِ مِنْذُ  
 اَوَّلِ وُجُوْدِهِمْ عَلَيَّ نَوْعِيْنَ نَوْعٍ بِالرَّحْفِ صُنُوفًا وَنَوْعٍ بِالْكُرِّ وَالْفَرِّ اَمَّا الَّذِي بِالرَّحْفِ  
 فَهُوَ قِتَالُ الْعُجْمِ كُلِّهِمْ عَلَيَّ تَعَاْفٍ اَجِبَالِهِمْ وَاَمَّا الَّذِي بِالْكُرِّ وَالْفَرِّ فَهُوَ قِتَالُ الْعَرَبِ  
 وَالْبَرْبَرِ مِنْ اَهْلِ الْمَغْرِبِ وَقِتَالُ الرَّحْفِ اَوْثَقُ وَاَشَدُّ مِنْ قِتَالِ الْكُرِّ وَالْفَرِّ وَذَلِكَ  
 لِاَنَّ قِتَالَ الرَّحْفِ تَرْتَبُ فِيْهِ الصُّنُوفُ وَتُسَوَّى كَمَا تُسَوَّى الْقِدَاحُ اِزْ صُنُوفِ الصَّلَاةِ  
 وَيَمْسُوْنَ بِصُفُوْفِهِمْ اِلَى الْعُدُوِّ قَدَمًا فَلِذَلِكَ تَكُوْنُ اَنْتَبَتْ عِنْدَ الْمَصَارِعِ وَاَصْدَقُ فِي  
 الْقِتَالِ وَاَرْهَبُ لِلْعُدُوِّ لِاَنَّهُ كَالْحَائِطِ الْمُمْتَدِّ وَالْقَصْرِ الْمَشِيْدِ لَا يُطْمَعُ فِي اِزَالَتِهِ وَفِي  
 التَّنْزِيْلِ اِنَّ اَللّهَ يُحِبُّ الَّذِيْنَ يُقَاتِلُوْنَ فِي سَبِيْلِهِ صَنًا كَانَتْهُمْ بَيْنَانُ مَرْصُوصٌ اَي يَشُدُّ  
 بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالثَّبَاتِ وَفِي الْحَدِيْثِ الْكَرِيْمِ الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبَنِيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا  
 وَمِنْ هُنَا يَظْهَرُ لَكَ حِكْمَةُ اِيْحَابِ الثَّبَاتِ وَتَحْرِيْمِ النُّوْلِيِّ فِي الرَّحْفِ فَاِنَّ الْمَقْصُوْدَ مِنْ  
 الصَّفِّ فِي الْقِتَالِ حِفْظَ النِّظَامِ كَمَا قُلْنَا هُ فَمَنْ وُلِيَ الْعُدُوَّ ظَهْرَهُ فَقَدْ اَخْلَ بِالْمَصَافِ  
 وَاَبَاً بِاَيْتِمِ الْهَزِيْمَةِ اِنْ وَقَعَتْ وَصَارَ كَاَنَّهُ جَرَّهَا عَلَيَّ الْمُسْلِمِيْنَ وَاَمَّا مَكْنُ مِنْهُمْ عُدُوْمٌ  
 فَعَظَمَ الذَّنْبُ الْعُمُوْمُ الْمَفْسُدَةَ وَتَعَدَّيْهَا اِلَى الدِّيْنِ يَحْرِقُ سِيَاجِهِ فَعُدُّ مِنَ الْكَبَائِرِ وَيَظْهَرُ  
 مِنْ هَذِهِ الْاَدِلَّةِ اَنَّ قِتَالَ الرَّحْفِ اَشَدُّ عِنْدَ الشَّارِعِ وَاَمَّا قِتَالُ الْكُرِّ وَالْفَرِّ فَاَيْسُ فِيْهِ

مِنَ الشَّدَّةِ وَالْأَمْنِ مِنَ الْهَزِيمَةِ مَا فِي قِتَالِ الرَّحْفِ إِلَّا أَنَّهُمْ قَدْ يَتَخَدُونَ وَرَاءَهُمْ فِي  
 الْقِتَالِ مَصَافًا ثَابِتًا يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ فِي الْكُرِّ وَالْفَرِّ وَيَقُومُ لَهُمْ مَقَامَ قِتَالِ الرَّحْفِ كَمَا  
 نَدَّكَرُهُ بَعْدُ ثُمَّ إِنَّ الدُّوَلِ الْقَدِيمَةَ الْكَثِيرَةَ الْجُنُودِ الْمُنْسَبَةَ الْمَمَالِكِ كَانُوا يَقْسِمُونَ  
 الْجِيُوشَ وَالْعَسَاكِرَ أَقْسَامًا يُسَمُّونَهَا كِرَادِيسَ وَيُسَوِّونَ فِي كُلِّ كِرْدُوسٍ صُنُوفَهُ وَسَبَبُ  
 ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَثُرَتْ جُنُودُهُمُ الْكَثِيرَةَ الْبَالِغَةَ وَحَشِدُوا مِنْ قَاصِيَةِ النَّوَاحِي اسْتَدْعَى  
 ذَلِكَ أَنْ يَجْهَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِذَا اخْتَلَطُوا فِي تَجَالِ الْحَرْبِ وَأَعْتَوْرُوا مَعَ عَدُوِّهِمُ الطَّعْنَ  
 وَالضَّرْبَ يَخْتَشِي مِنْ تَدَاغِيهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ لِأَجْلِ التَّنَكُّرِ وَجَهْلِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ فَلِذَلِكَ كَانُوا  
 يَقْسِمُونَ الْعَسَاكِرَ جُمُوعًا وَيَضْمُونَ الْمُتَعَارِفِينَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ وَيُرْتَبُونَهَا قَرِيبًا مِنَ التَّرْتِيبِ  
 الطَّبِيعِيِّ فِي الْجِهَاتِ الْأَرْبَعِ وَرَبِيسُ الْعَسَاكِرِ كُلِّهَا مِنْ سُلْطَانٍ أَوْ قَائِدٍ فِي الْقَلْبِ وَيُسَمُّونَ هَذَا  
 التَّرْتِيبَ الْعَيْمَةَ وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي أَخْبَارِ فَارِسَ وَالرُّومِ وَالدُّوَلَتَيْنِ وَصَدْرَ الْإِسْلَامِ فَيَجْعَلُونَ  
 بَيْنَ يَدَيْ الْمَلِكِ عَسْكَرًا مُنْفَرِدًا بِصُفُوفِهِ مَتَمِّيزًا بِقَائِدِهِ وَرَأْيَتِهِ وَسِعَارِهِ وَيُسَمُّونَهُ الْمَقْدَمَةَ  
 ثُمَّ عَسْكَرًا آخَرَ نَاحِيَةِ الْيَمِينِ عَنْ مَوْقِفِ الْمَلِكِ وَعَلَى سَمْتِهِ يُسَمُّونَهُ الْيَمِينَةَ ثُمَّ عَسْكَرًا  
 آخَرَ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ كَذَلِكَ يُسَمُّونَهُ الْمَيْسِرَةَ ثُمَّ عَسْكَرًا آخَرَ مِنْ وَرَاءِ الْعَسْكَرِ  
 يُسَمُّونَهُ السَّاقَةَ وَيَقِفُ الْمَلِكُ وَأَصْحَابُهُ فِي الْوَسْطِ بَيْنَ هَذِهِ الْأَرْبَعِ وَيُسَمُّونَ مَوْقِفَهُ  
 الْقَلْبَ فَإِذَا تَمَّ لَهُمْ هَذَا التَّرْتِيبُ الْحَكِيمُ إِمَّا فِي مَدَى وَاحِدٍ لِلْبَصْرِ أَوْ عَلَى مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ  
 أَكْثَرَهَا الْيَوْمُ وَالْيَوْمَانِ بَيْنَ كُلِّ عَسْكَرَيْنِ مِنْهَا أَوْ كَيْفَمَا أَعْطَاهُ حَالُ الْعَسَاكِرِ فِي  
 الْقَلَّةِ وَالْكَثْرَةِ فَحِينَئِذٍ يَكُونُ الرَّحْفُ مِنْ بَعْدِ هَذِهِ التَّعْبِيَةِ وَأَنْظُرْ ذَلِكَ فِي أَخْبَارِ  
 الْفَتْوحَاتِ وَأَخْبَارِ الدُّوَلَتَيْنِ بِالْمَشْرِقِ وَكَيْفَ كَانَتِ الْعَسَاكِرُ لِعَبْدِ عَبْدِ الْمَلِكِ تَتَخَلَّفُ  
 عَنْ رَحِيلِهِ لِبُعْدِ الْمَدَى فِي التَّعْبِيَةِ فَاحْتِجَّ لِمَنْ يَسُوقُهَا مِنْ خَلْفِهِ وَعَيْنَ ذَلِكَ الْحِجَاجِ  
 ابْنِ يُوسُفَ كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ وَكَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِ وَكَانَ فِي الدُّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ  
 بِالْأَنْدَلُسِ أَيْضًا كَثِيرٌ مِنْهُ وَهُوَ مَجْهُولٌ فِيمَا لَدَيْنَا لِأَنَّا أَدْرَكْنَا دَوْلًا قَلِيلَةَ الْعَسَاكِرِ  
 لَا تَنْتَهِي فِي تَجَالِ الْحَرْبِ إِلَى التَّنَاكُرِ بَلْ أَكْثَرُ الْجِيُوشِ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ مَعًا يَجْمَعُهُنَّ  
 لَدَيْنَا حَالَةً أَوْ مَدِينَةً وَيَعْرِفُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُنَّ قِرْنَهُ وَيُنَادِي بِهِ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ بِاسْمِهِ وَلَقَبِهِ  
 فَاسْتَعْنَى عَنْ تِلْكَ التَّعْبِيَةِ

وَمِنْ مَذَاهِبِ أَهْلِ الْكُرِّ وَالْفَرِّ فِي الْحُرُوبِ ضَرْبُ الْمَصَافِ رِزَاءِ عَسْكَرِهِمْ مِنْ

الْجَمَادَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْعَجْمِ فَيَتَّخِذُونَهَا مَلْجَأً لِلْحَيَاةِ فِي كَرِّهِمْ وَفَرِّهِمْ يَطْلُبُونَ بِهِ ثَبَاتَ  
 الْمَقَاتِلَةِ لِيَكُونَ أَدْوَمَ لِلْحَرْبِ وَأَقْرَبَ إِلَى الْعَلْبِ وَقَدْ يَنْعَلُهُ أَهْلُ الرَّحْفِ أَيْضًا  
 لِيَزِيدَهُمْ ثَبَاتًا وَشِدَّةً فَقَدْ كَانَ الْفَرَسُ وَهُمْ أَهْلُ الرَّحْفِ يَتَّخِذُونَ الْفِيلَةَ فِي الْحُرُوبِ  
 وَيَحْمَلُونَ عَلَيْهَا أَزْرَاجًا مِنَ الخَشَبِ أَمْثَالِ الصُّرُوحِ مَشْحُونَةً بِالْمَقَاتِلَةِ وَالسَّلَاحِ وَالرَّيَاثِ  
 وَيَصْفُونَهَا وَرَاءَهُمْ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ كَأَنَّهَا حِصُونٌ فَتَنْقُضُ بِذَلِكَ نَفْسَهُمْ وَيَزِيدَادُ وَثُوقُهُمْ  
 وَأَنْظُرُ مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْقَادِسيَّةِ وَإِنَّ فَارِسَ فِي الْيَوْمِ الثَّلَاثِ اسْتَدُوا بِهِمْ عَلَى  
 الْمُسْلِمِينَ حَتَّى اسْتَدَّتْ رِجَالَتِ مِنَ الْعَرَبِ فَنَخَلَتْهُمْ وَبَعَجَوْهَا بِالسُّيُوفِ عَلَى خَرَاطِيمِهَا  
 فَذَفَرَتْ وَنَكَصَتْ عَلَى أَعْقَابِهَا إِلَى مَرِيبِطِهَا بِالْمَدَائِنِ فَجَعَلَ مَعْسُكُ فَارِسَ لَذَلِكَ وَأَنْهَزُوا  
 فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ \* وَأَمَّا الرُّومُ وَمَمْلُوكُ القُوطِ بِالْأَنْدَلُسِ وَأَكْثَرُ الْعَجْمِ فَكَانُوا يَتَّخِذُونَ  
 لِذَلِكَ الْأَسْرَةَ يَنْصُبُونَ لِلْمَلِكِ سَرِيرَهُ فِي حَوْمَةِ الْحَرْبِ وَيَحْفُ بِهِ مِنْ خَدَمِهِ وَحَاشِيَتِهِ  
 وَجُنُودِهِ مِنْ هُوَ زَعِيمٌ بِالْإِسْتِمَاتَةِ دُونَهُ وَتُرْفَعُ الرَّيَاثُ فِي أَرْكَانِ السَّرِيرِ وَيُحْدِقُ بِهِ سِيَّاحُ  
 آخَرُ مِنَ الرَّمَاهِ وَالرَّجَالَةِ يَعْظُمُ هَيْكَلُ السَّرِيرِ وَيَصِيرُ فِتْنَةً لِلْمَقَاتِلَةِ وَمَلْجَأً لِلْكَرِّ  
 وَالْفَرِّ وَجَعَلَ ذَلِكَ الْفَرَسُ أَيَّامَ الْقَادِسيَّةِ وَكَانَ رُسْتَمُ جَالِسًا عَلَى سَرِيرِ نَصَبَهُ لِحُلُوسِهِ  
 حَتَّى اخْتَلَفَتْ صُفُوفُ فَارِسَ وَخَالَطَهُ الْعَرَبُ فِي سَرِيرِهِ ذَلِكَ فَتَحَوَّلَ عَنْهُ إِلَى الْفَرَاتِ وَقَتْلُ \*  
 وَأَمَّا أَهْلُ الْكُرِّ وَالْفَرِّ مِنَ الْعَرَبِ وَأَكْثَرُ الْأُمَمِ الْبَدَوِيَّةِ الرَّحَالَةَ فَيَصْفُونَ لِذَلِكَ  
 إِبِلَهُمْ وَالظَّهْرَ الَّذِي يَحْمِلُ ظِعَامَتَهُمْ فَيَكُونُ فِتْنَةً لَهُمْ وَيَسْتَوْنَهَا الْحَبُودَةَ وَتِلْسَامَةَ  
 مِنَ الْأُمَمِ الْإِلَوهِي تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي حُرُوبِهَا وَتَرَاهُ أَوْثَقَ فِي الْجَوْلَةِ وَأَمِنْ مِنَ الْغَرَّةِ وَالْهَرِيمَةِ  
 وَهُوَ أَمْرٌ مُشَاهَدٌ وَقَدْ اغْتَلَّتْهُ الدُّوَلُ لِعَهْدِنَا بِالْجَمَلَةِ وَأَعْتَاضُوا عَنْهُ بِالظَّهْرِ الْحَامِلِ لِإِلْتِقَالِ  
 وَالنَّسَاطِيطِ يَجْعَلُونَهَا سَاقَةً مِنْ خَلْفِهِمْ وَلَا تُعْنِي غَنَاءَ الْفِيلَةِ وَالْإِبِلِ فَصَارَتْ الْعَسَاكِرُ  
 بِذَلِكَ عُرْضَةً لِلْهَزَائِمِ وَمُسْتَشْعِرَةً لِلْفِرَارِ فِي الْمَوَاقِفِ \* وَكَانَ الْحَرْبُ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ  
 كَلَّةَ زَحْمًا وَكَانَ الْعَرَبُ إِنَّمَا يَعْرِفُونَ الْكُرَّ وَالْفَرَّ لَكِنْ حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ أَوَّلَ  
 الْإِسْلَامِ أَمْرَانِ أَحَدُهُمَا أَنَّ أَعْدَاءَهُمْ كَانُوا يَقَاتِلُونَ زَحْفًا فَيُضْطَرُّونَ إِلَى مَقَاتِلَتِهِمْ  
 بِمِثْلِ قِتَالِهِمْ الثَّانِي أَنَّهُمْ كَانُوا مُسْتَمْتِعِينَ فِي جِهَادِهِمْ لِمَا رَغِبُوا فِيهِ مِنَ الصَّبْرِ وَلِمَا رَسَخَ  
 فِيهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالزَّحْفِ إِلَى الْإِسْتِمَاتَةِ أَقْرَبُ \* وَأَوَّلُ مَنْ أَبْطَلَ الصَّفَّ فِي الْحُرُوبِ  
 وَصَارَ إِلَى التَّعْبِثَةِ كِرَادِيسَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ فِي قِتَالِ الضَّحَّاكِ الْخَارِجِيِّ وَالْجُبَيْرِيِّ بَعْدَهُ

قَالَ الطَّبْرِيُّ لَمَّا ذَكَرَ قِتَالَ الْحَجَبِيِّ قَوْلَى الْخَوَارِجِ عَلَيْهِمْ شَيْبَانَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ  
 الشُّكْرِيِّ وَيَلْقَبُ أَبَا الدَّفْلَاءِ قَاتَلَهُمْ مَرْوَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْكَرَادِيسِ وَأَبْطَلَ الصَّفَّ مِنْ  
 يَوْمَيْدٍ أَنْتَهَى فَنُتِيسِي قِتَالَ الزَّحْفِ بِأَبْطَالِ الصَّفِّ ثُمَّ تَوَسَّي الصَّفَّ وَرَاءَ الْمُقَاتَلَةِ بِمَا  
 دَاخَلَ الدُّوْلَ مِنَ التَّرَفِ وَذَلِكَ أَنَّهَا حِينَمَا كَانَتْ بَدْوِيَّةً وَسَكَنَتْهُمْ الْخِيَامُ كَانُوا  
 يَسْتَكْبِرُونَ مِنَ الْإِبِلِ وَسَكَنَى النِّسَاءُ وَأَتُوْدَانُ مَعَهُمْ فِي الْأَحْيَاءِ فَلَمَّا حَصَلُوا عَلَى تَرْفِ  
 الْمَلِكِ وَالْفُؤَا سَكَنَى الْقُصُورَ وَالْحَوَاضِرَ وَتَرَكُوا شَانَ الْبَادِيَةِ وَالْقَفْرَ سَوًا لِذَلِكَ عَهْدًا لِإِبِلِ  
 وَالظَّعَانِ وَصَعَبَ عَلَيْهِمْ ائْتِخَاذُهَا فَخَلَفُوا النِّسَاءَ فِي الْأَسْفَارِ وَحَمَلَهُمُ الْمَلِكُ وَالْتَّرَفَ عَلَى ائْتِخَاذِ  
 الْفَسَاطِيطِ وَالْأَخْبِيَةِ فَاقْتَصَرُوا عَلَى الظُّهْرِ الْحَامِلِ لِلْاِنْتِقَالِ <sup>(١)</sup> وَالْاِبْنِيَّةَ وَكَانَ ذَلِكَ صَنْتَهُمْ فِي  
 الْحَرْبِ وَلَا يَغْنِي كُلَّ الْعِنَاءِ لِأَنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَى ائْتِخَاذِهَا كَمَا يَدْعُو إِلَيْهَا الْاَهْلُ وَالْمَالُ فَيَخْفُ  
 الصَّبْرُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَتَصْرِفُهُمُ الْهَيْعَاتُ وَتُخْرَمُ صُفُوفُهُمْ . وَلِمَا ذَكَرْنَا مِنْ ضَرْبِ الْمَصَافِ  
 وَرَاءَ الْعَسَاكِرِ وَتَأْ كُودِهِ فِي قِتَالِ الْكِرِّ وَالْفَرِّ صَارَ مَلُوكُ الْمَغْرِبِ يَتَّخِذُونَ طَائِفَةً مِنَ  
 الْاِفْرَنْجِ فِي جُنْدِهِمْ وَاخْتَصُوا بِذَلِكَ لِأَنَّ قِتَالَ اَهْلِ وَطَنِهِمْ كَلِّهِ بِالْكَرِّ وَالْفَرِّ وَالسُّلْطَانُ  
 يَتَأَكَّدُ فِي حَقِّهِ ضَرْبُ الْمَصَافِ لِيَكُونَ رَدًّا لِلْمُقَاتَلَةِ أَمَامَةً فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ اَهْلُ ذَلِكَ  
 الصَّفِّ مِنْ قَوْمٍ مَتَعَوَّدِينَ لِثَبَاتِ فِي الزَّحْفِ وَإِلَّا ائْتِخَفُوا عَلَى طَرِيقَةِ اَهْلِ الْكِرِّ وَالْفَرِّ  
 فَانْهَزَمَ السُّلْطَانُ وَالْعَسَاكِرُ بِاجْتِهَادِهِمْ فَاحْتِاجَ الْمُلُوكِ بِالْمَغْرِبِ أَنْ يَتَّخِذُوا جُنْدًا مِنْ هَذِهِ  
 الْأُمَّةِ الْمَتَعَوَّدَةِ لِثَبَاتِ فِي الزَّحْفِ وَهُمْ الْاِفْرَنْجُ وَيُرْتَبُونَ مَصَافَهُمْ ائْتِخَدَقَ بِهِمْ مِنْهَا هَذَا عَلَى مَا  
 فِيهِ مِنَ ائْتِخَاعَانَةِ بِأَهْلِ الْكُفْرِ وَإِنَّهُمْ اسْتَخَفُوا ذَلِكَ لِلْفُرُورَةِ الَّتِي أَرَيْنَا كَمَا مِنْ  
 تَخُوفِ الْاِئْتِخَاعِ عَلَى مَصَافِ السُّلْطَانِ وَالْاِفْرَنْجِ لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَ الثَّبَاتِ فِي ذَلِكَ لِأَنَّ  
 عَادَتَهُمْ فِي الْقِتَالِ الزَّحْفُ فَكَانُوا أَقْوَمَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ مَعَ أَنَّ الْمُلُوكَ فِي الْمَغْرِبِ  
 إِنَّمَا يَقَعُونَ ذَلِكَ عِنْدَ الْحَرْبِ مَعَ أُمَّةِ الْعَرَبِ وَالْبَرْبَرِ وَقِتَالُهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَأَمَّا فِي الْجِهَادِ  
 فَلَا يَسْتَعِينُونَ بِهِمْ حَذَرًا مِنْ مُمَالَاتِهِمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ هَذَا هُوَ الْوَاقِعُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَقَدْ  
 أَبَدْنَا سَبَبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ \* وَبَاغْنَا أَنْ أُمَّةً ائْتَرَكَ لِهَذَا الْعَهْدِ قِتَالَهُمْ مُنَاصَلَةً  
 بِالسَّهَامِ وَأَنَّ تَعْبِيَةَ الْحَرْبِ عِنْدَهُمْ بِالْمَصَافِ وَإِنَّهُمْ يَقْسِمُونَ بِثَلَاثَةِ صُفُوفٍ يَضْرِبُونَ  
 صَفًّا وَرَاءَ صَفِّ وَيَتَرَجَّلُونَ عَنْ خِيُولِهِمْ وَيَقْرَعُونَ سَهَامَهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَتَنَاضَلُونَ

١ قوله للانتقال والابنية مراده بالابنية الخيام كما يدل عليه قوله في فصل المحدث الا في قريبا اذا نزلوا وضربوا بينهم هـ

جُلُوسًا وَكُلُّ رَدٍّ لِلَّذِي أَمَامَهُ أَنْ يَكْبِسَهُمُ الْعَدُوُّ إِلَى أَنْ يَتَّبِعَهُ النَّصْرُ لِأَحَدِي الطَّائِفَتَيْنِ  
 عَلَى الْأُخْرَى وَهِيَ تَعْبَةُ مُحْكَمَةٌ غَرِيبَةٌ \* وَكَانَ مِنْ مَذَاهِبِ الْأَوَّلِ فِي حُرُوبِهِمْ حَفَرُ  
 الْخُنَادِقِ عَلَى مَعْسَكِهِمْ عِنْدَ مَا يَتَقَارَبُونَ لِلزَّحْفِ حِدْرًا مِنْ مَعْرَةِ الْبِيَاتِ وَالْحُجُومِ عَلَى  
 الْعَسْكَرِ بِاللَّيْلِ لِمَا فِي ظُلْمَتِهِ وَوَحْشَتِهِ مِنْ مَضَاعِفَةِ الْخُوفِ فَيَلْوِذُ الْجَيْشُ بِالْفَرَارِ  
 وَيَجِدُ النَّفُوسُ فِي الظُّلْمَةِ سِتْرًا مِنْ عَارِهِ فَإِذَا تَسَاوَوْا فِي ذَلِكَ أُرْجِفَتِ الْعَسْكَرُ وَوَقَعَتِ  
 الْأَهْزِيمَةُ فَكَانُوا لِلذَّكَ يَحْتَفِرُونَ الْخُنَادِقَ عَلَى مَعْسَكِهِمْ إِذَا نَزَلُوا وَضَرَبُوا أَبْنِيَهُمْ  
 وَيَدِيرُونَ الْحَفَائِرَ نَطَاقًا عَلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ حَرِصًا أَنْ يُخَالِطَهُمُ الْعَدُوُّ بِالْبِيَاتِ  
 فَيَتَخَذَلُوا وَكَانَتْ لِلدُّوَلِ فِي أَمْثَالِ هَذَا قُوَّةٌ وَعَالِيَةٌ اقْتِدَارٌ بِأَحْتِشَادِ الرَّجَالِ وَجَمْعِ  
 الْأَيْدِي عَلَيْهِ فِي كُلِّ مَنَزَلٍ مِنْ مَنَازِلِهِمْ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ وَفُورِ الْعُمَرَانِ وَضَخَامَةِ الْمَلِكِ  
 فَلَمَّا خَرِبَ الْعُمَرَانُ وَتَبِعَهُ ضَعْفُ الدُّوَلِ وَقَلَّةُ الْجُنُودِ وَعَدَمُ النُّعْلَةِ نُسِيَ هَذَا الشَّانُ  
 جُمْلَةً كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَاللَّهِ خَيْرُ الْقَادِرِينَ وَأَنْظُرْ وَصِيَّةَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَحَرَّضَهُ  
 لِأَصْحَابِهِ يَوْمَ صَدِينَ تَجِدُ كَثِيرًا مِنْ عِلْمِ الْحَرْبِ وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَبْصَرَ بِهَا مِنْهُ قَالَ فِي  
 كَلَامِهِ لَهُ فَسَوْا صَنُوفَكُمْ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ وَقَدِّمُوا الدَّارِعَ وَأَخْرِوا الْخَاسِرَ وَعَضُوا  
 عَلَى الْأَضْرَاسِ فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَالتَّوَوَّا عَلَى أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَصَوْنُ لِالْإِسْنَةِ  
 وَعَضُوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلجَأْسِ وَأَسْكِنُ لِلْقُلُوبِ وَاحْتَمُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرُدُ لِلْفِشْلِ  
 وَأَوْلى بِالْوَقَارِ وَأَقِيمُوا رَايَاتِكُمْ فَلَا تُهْلُوها وَلَا تُجْعَلُوها إِلَّا بِالْأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَأَسْعِنُوا  
 بِالصِّدْقِ وَالصَّبْرِ فَإِنَّهُ يَقْدِرُ الصَّبْرُ يَنْزِلُ النَّصْرُ وَقَالَ الْأَشْتَرُ يَوْمَئِذٍ يَحْرُسُ الْأَزْدَ عَضُوا  
 عَلَى النَّوَاجِدِ مِنَ الْأَضْرَاسِ وَأَسْتَقْبِلُوا الْقَوْمَ بِهَاكُمْ وَشَدُّوا شِدَّةَ قَوْمٍ مَوْتُورٍ يَنْتَارُونَ  
 بِأَبَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ حِنَاقًا عَلَى عَدُوِّهِمْ وَقَدِّمُوا عَلَى الْمَوْتِ أَنْفُسَهُمْ لئَلَّا يُسْبِقُوا بَوْتَهُ  
 وَلَا يَلْحَقَهُمْ فِي الدُّنْيَا عَارٌ وَقَدْ أَشَارَ إِلَى كَثِيرٍ مِنْ ذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصَّيْرِيُّ فِي شَاعِرٍ لِمَتُونَةَ  
 وَأَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي كَلِمَةٍ يَمْدَحُ بِهَا تَاشَفِينَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يُوسُفَ وَيَصِفُ ثَبَاتَهُ فِي حَرْبٍ  
 شَهِدَهَا وَيَذَكِّرُهُ بِأُمُورِ الْحَرْبِ فِي وَصَايَا تَحْدِيثَاتٍ تَمَيِّهَكَ عَلَى مَعْرِفَةِ كَثِيرٍ مِنْ

سِيَّاسَةِ الْحَرْبِ يَقُولُ فِيهَا

يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الَّذِي يَتَّقَعُ      مِنْ مَنِكُمْ الْمَلِكُ الْهَامُ الْأَرْوَعُ  
 وَمَنْ الَّذِي غَدَرَ الْعَدُوَّ بِهِ دُجَى      فَأَنْفَضَ كُلُّهُ وَهُوَ لَا يَتَزَعَعُ

تَمْضِي الْفُؤَارِسُ وَالطَّعَانُ يَصُدُّهَا  
وَاللَّيْلُ مِنْ وَضَعِ التَّرَائِكِ إِنَّهُ  
أَنَّى فَرَعْتُمْ يَا بَنِي صَنْهَاجَةَ  
إِنْسَانٍ عَيْنٍ لَمْ يَصِبْهَا مِنْكُمْ  
وَصَدَدْتُمْ عَنْ تَاشَنِينَ وَإِنَّهُ  
مَا أَنْتُمْ إِلَّا أُسُودٌ خَفِيَّةٌ  
يَا تَاشَنِينَ أَفْمَ لِحَيْشِكَ عُدْرَهُ

ومنها في سياسة الحرب

أَهْدِيكَ مِنْ أَدَبِ السِّيَاسَةِ مَا بِهِ  
لَا إِنِّي أَدْرِي بِهَا لِكُنِّيهَا  
وَالْبَسْنِ مِنَ الْخَلْقِ الْمُضَاعَفَةِ الَّتِي  
وَالْهِنْدُوَانِي الرَّفِيقِ فَإِنَّهُ  
وَأَرْكَبُ مِنَ الْخَيْلِ السَّوَابِقِ عِدَّةً  
خَنْدِيقَ عَلَيْكَ إِذَا ضَرَبْتَ مَحَلَّةً  
وَالْوَادِ لَا تَعْبُرُهُ وَأَنْزِلْ عِنْدَهُ  
وَأَجْعَلْ مُنَاجَزَةَ الْجِيُوشِ عَشِيَّةً  
وَإِذَا تَصَايَقَتِ الْجِيُوشُ بِمَعْرَكٍ  
وَأَصْدَمَهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ لَا تَكْتَرِثُ  
وَأَجْعَلْ مِنَ الطَّلَاعِ أَهْلَ شَهَامَةٍ  
لَا تَسْمَعِ الْكُذَّابَ جَاءَكَ رُجُومًا

قَوْلُهُ وَأَصْدَمَهُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ لَا تَكْتَرِثُ الْبَيْتُ مُخَالَفٌ لِمَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي أَمْرِ الْحَرْبِ  
فَقَدْ قَالَ عُمَرُ لِأَبِي عُبَيْدِ بْنِ مَسْعُودٍ التَّقْفِي لِمَا وُلَاهُ حَرْبَ فَارِسَ وَالْعِرَاقَ فَقَالَ لَأَسْمَعُ  
وَأَطِيعُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَشْرِكُهُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَا يُجِيبُنَّ مُسْرِعًا  
حَتَّى تَنْبِيَنَ فَإِنَّهَا الْحَرْبُ وَلَا يَصْلُحُ لَهَا إِلَّا الرَّجُلُ الْمَكِيثُ الَّذِي يَعْرِفُ الْفُرْصَةَ  
وَالْكَفَّ وَقَالَ لَهُ فِي أُخْرَى إِنَّهُ لَنْ يَمْنَعَنِي أَنْ أُوْمَرَ سَاطِطًا إِلَّا سُرْعَتُهُ فِي الْحَرْبِ

وَفِي التَّسَرُّعِ فِي الْحَرْبِ إِلَّا عَن بَيَانِ ضِيَاعِ وَاللَّهِ لَوْلَا ذَلِكَ لَأَمَرْتُهُ لَكِنَّ الْحَرْبَ لَا  
 يُصَحِّحُهَا إِلَّا الرَّجُلُ الْمَكِيثُ هَذَا كَلَامُ عُمَرَ وَهُوَ شَاهِدٌ بَانَ التَّنَاقُلُ فِي الْحَرْبِ أَوْلَى  
 مِنَ الْخُفُوفِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَالُ تِلْكَ الْحَرْبِ وَذَلِكَ عَكْسُ مَا قَالَهُ الصَّرِيحُ إِلَّا أَن يَرِيدَ  
 أَنَّ الصَّدَمَ بَعْدَ الْبَيَانِ فَلَهُ وَجْهٌ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ \* وَلَا وَثُوقَ فِي الْحَرْبِ بِالظَّفَرِ وَإِن  
 حَصَلَتْ أَسْبَابُهُ مِنَ الْعُدَّةِ وَالْعَدِيدِ وَإِنَّمَا الظَّفَرُ فِيهَا وَالْغَلْبُ مِنْ قَبِيلِ الْبَحْثِ وَالْإِتِّفَاقِ  
 وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ أَسْبَابَ الْغَلْبِ فِي الْأَكْثَرِ مُجْتَمِعَةٌ مِنْ أُمُورٍ ظَاهِرَةٍ وَهِيَ الْجَيُوشُ  
 وَوُفُورُهَا وَكَمَالُ الْأَسْلِحَةِ وَاسْتِجَادَتُهَا وَكَثْرَةُ الشُّجْعَانِ وَتَرْتِيبُ الْمَصَافِ وَمِنْهُ صِدْقُ  
 الْقِتَالِ وَمَا جَرَى مَجْرَى ذَلِكَ وَمِنْ أُمُورٍ خَفِيَّةٍ وَهِيَ إِمَامٌ مِنْ خِدَاعِ الْبَشَرِ وَحِيلِهِمْ فِي  
 الْأَرْجَافِ وَاللَّشَائِعِ الَّتِي يَقَعُ بِهَا التَّخْذِيلُ وَفِي التَّقَدُّمِ إِلَى الْأَمَاكِنِ الْمُرْتَقِعَةِ لِيَكُونَ  
 الْحَرْبُ مِنْ أَعْلَى فَيَتَوَهَّمُ الْمَخْضُفُضُ لِلذِّكِّ وَفِي الْكُمُونِ فِي الْغِيَاضِ وَمُطْمَئِنُّ الْأَرْضِ  
 وَالتَّوَارِي بِالْكَدَى حَوْلَ الْعَدُوِّ حَتَّى يَتَدَاوَلَهُمُ الْعَسْكَرُ دَفْعَةً وَقَدْ تَوَرَّطُوا فَيَتَلَمَّحُونَ  
 إِلَى النَّجَاةِ وَمِثَالُ ذَلِكَ وَإِمَامٌ أَنْ تَكُونَ تِلْكَ الْأَسْبَابُ الْخَفِيَّةُ أُمُورًا سَمَاوِيَّةً لَا قُدْرَةَ  
 لِلْبَشَرِ عَلَى كِتْسَابِهَا تَلْقَى فِي الْقُلُوبِ فَيَسْتَوِلِي الرَّهْبُ عَلَيْهِمْ لِأَجْلِهَا فَتَخْتَلُ مَرَكَزُهُمْ  
 فَتَقَعُ الْهَزِيمَةُ وَأَكْثَرُ مَا تَقَعُ الْهَزَائِمُ عَنِ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الْخَفِيَّةِ بِكَثْرَةٍ مَا يَعْتَمَلُ لِكُلِّ  
 وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ فِيهَا حِرْصًا عَلَى الْغَلْبِ فَلَا بُدَّ مِنْ وُقُوعِ التَّأْثِيرِ فِي ذَلِكَ لِأَحَدِهِمَا  
 ضَرُورَةٌ وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَرْبُ خُدْعَةٌ وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ رَبَّ حَيْلَةٍ  
 أَنْفَعُ مِنْ قَبِيلَةٍ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ وُقُوعَ الْغَلْبِ فِي الْحُرُوبِ غَالِبًا عَنِ أَسْبَابِ خَفِيَّةٍ غَيْرِ ظَاهِرَةٍ  
 وَوُقُوعِ الْأَشْيَاءِ عَنِ الْأَسْبَابِ الْخَفِيَّةِ هُوَ مَعْنَى الْبَحْثِ كَمَا تَقَرَّرَ فِي مَوْضِعِهِ فَأَعْتَبَرَهُ وَتَفَهَّمَهُ  
 مِنْ وُقُوعِ الْغَلْبِ عَنِ الْأُمُورِ السَّمَاوِيَّةِ كَمَا شَرَحْنَاهُ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَصَرْتُ  
 بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ وَمَا وَقَعَ مِنْ غَلْبِهِ لِلْمَشْرُوكِينَ فِي حَيَاتِهِ بِالْعَدَدِ الْقَلِيلِ وَغَلْبِ  
 الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ كَذَلِكَ فِي الْفَتْوحَاتِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تَكْفَلَ لِنَبِيِّهِ بِالْقَاءِ  
 الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ الْكَافِرِينَ حَتَّى يَسْتَوِلِي عَلَى قُلُوبِهِمْ فَيَنْهَزُوا مُعْجِزَةً لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَانَ الرُّعْبُ فِي قُلُوبِهِمْ سَبَبًا لِلْهَزَائِمِ فِي الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا إِلَّا  
 أَنَّهُ خَفِيَ عَنِ الْعَيُونِ \* وَقَدْ ذَكَرَ الطَّرْطُوشِيُّ أَنَّ مِنْ أَسْبَابِ الْغَلْبِ فِي الْحَرْبِ أَنَّ  
 تَفْضَلَ عِدَّةِ الْفَرَسَانِ الْمَشَاهِيرِ مِنَ الشُّجْعَانِ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ عَلَى عِدَّتِهِمْ فِي الْجَانِبِ

الْآخِرِ مِثْلَ أَنْ يَكُونَ أَحَدَ الْجَانِبَيْنِ فِيهِ عَشْرَةٌ أَوْ عِشْرُونَ مِنَ الشَّجَعَانِ الْمَشَاهِيرِ وَفِي  
 الْجَانِبِ الْآخِرِ ثَمَانِيَةٌ أَوْ سِتَّةَ عَشَرَ فَالْجَانِبُ الزَّائِدُ وَلَوْ بِوَاحِدٍ يَكُونُ لَهُ الْغَلْبُ وَأَعَادَ  
 فِي ذَلِكَ وَابْدَى وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي قَدَّمْنَا وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ وَإِنَّمَا الصَّحِيحُ  
 الْمَعْتَبَرُ فِي الْغَلْبِ حَالُ الْعَصِيَّةِ أَنْ يَكُونَ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ عَصِيَّةٌ وَاحِدَةٌ جَامِعَةٌ لِكُلِّهِمْ  
 وَفِي الْجَانِبِ الْآخِرِ عَصَائِبٌ مُتَعَدِّدَةٌ لِأَنَّ الْعَصَائِبَ إِذَا كَانَتْ مُتَعَدِّدَةً بَقِيَ بَيْنَهَا مِنَ  
 التَّخَاذُلِ مَا يَقَعُ فِي الْوَحْدَانِ الْمُتَفَرِّقِينَ الْفَاقِدِينَ لِلْعَصِيَّةِ تَنْزِلُ كُلُّ عَصَابَةٍ مِنْهُمْ مَنَزَلَةٌ  
 أَوْ وَاحِدٌ وَيَكُونُ الْجَانِبُ الَّذِي عَصَابَتُهُ مُتَعَدِّدَةٌ لَا يَقَاوِمُ الْجَانِبَ الَّذِي عَصَابَتُهُ وَاحِدَةٌ لِأَجْلِ  
 ذَلِكَ فَتَهْتَمُّهُ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ اصْطَحَّ فِي الْأَعْتَابِ مِمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ الطَّرْطُوشِيُّ وَلَمْ يَحْمَلْهُ عَلَى ذَلِكَ  
 الْإِنْسِيَانِ شَأْنَ الْعَصِيَّةِ فِي حِلَّةٍ وَبَلَدَةٍ وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَرَوْنَ ذَلِكَ الدِّفَاعَ وَالْحِمَايَةَ وَالْمُطَابَقَةَ  
 إِلَى الْوَحْدَانِ وَالْجَمَاعَةِ النَّاشِئَةِ عَنْهُمْ لَا يُعْتَبَرُونَ فِي ذَلِكَ عَصِيَّةٌ وَلَا نَسَبًا وَقَدْ بَيَّنَّا ذَلِكَ  
 أَوَّلَ الْكِتَابِ مَعَ أَنْ هَذَا وَأَمثالُهُ عَلَى تَقْدِيرِ صِحِّهِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْأَسْبَابِ الظَّاهِرَةِ  
 مِثْلَ اتِّفَاقِ الْحَيْشِ فِي الْعِدَّةِ وَصِدْقِ الْقِتَالِ وَكَثْرَةِ الْأَسْلِحَةِ وَمَا أَشْبَهَهَا فَكَيْفَ يُجْعَلُ  
 ذَلِكَ كَيْفِيًّا بِالْغَلْبِ وَنَحْنُ قَدْ قَرَّرْنَا لَكَ الْآنَ أَنَّ شَيْئًا مِنْهَا لَا يُعَارِضُ الْأَسْبَابَ الْخَفِيَّةَ  
 مِنَ الْحَيْلِ وَالْخِدَاعِ وَلَا الْأُمُورَ السَّمَاوِيَّةَ مِنَ الرُّعْبِ وَالْخِذْلَانِ الْإِلَهِيِّ فَاقْهَمَهُ وَتَفَهَّمْ  
 أَحْوَالَ الْكُونَ وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ \* وَيَلْحَقُ بِمَعْنَى الْغَلْبِ فِي الْحُرُوبِ وَأَنَّ سَبَابَهُ  
 خَفِيَّةٌ وَغَيْرُ طَبِيعِيَّةٍ حَالُ الشُّهْرَةِ وَالصِّبْتُ فَقُلْ أَنْ تُصَادَفَ مَوْضِعًا فِي أَحَدٍ مِنْ طَبَقَاتِ  
 النَّاسِ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَالْمُنْتَحَلِينَ لِلْفَضَائِلِ عَلَى الْعُومِ وَكَثِيرٌ مِمَّنْ  
 اشْتَهَرَ بِالشَّرِّ وَهُوَ بِخِلَافِهِ وَكَثِيرٌ مِمَّنْ تَجَاوَزَتْ عَنْهُ الشُّهْرَةُ وَهُوَ أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا وَقَدْ  
 تُصَادَفُ مَوْضِعًا وَتَكُونُ طَبَقًا عَلَى صَاحِبِهَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الشُّهْرَةَ وَالصِّبْتَ إِنَّمَا  
 هُمَا بِالْإِخْبَارِ وَالْإِخْبَارُ يَدْخُلُهَا الدُّهُولُ عَنِ الْمَقَاصِدِ عِنْدَ التَّنَاقُلِ وَيَدْخُلُهَا التَّعَصُّبُ  
 وَالتَّشْيِيعُ وَيَدْخُلُهَا الْأَوْهَامُ وَيَدْخُلُهَا الْجَهْلُ بِمُطَابَقَةِ الْحِكَايَاتِ لِلْأَحْوَالِ خِلَافَهَا  
 بِالتَّيْبِيسِ وَالتَّصْنَعِ أَوْ لِجَهْلِ النَّاقِلِ وَيَدْخُلُهَا التَّقَرُّبُ لِأَصْحَابِ النِّجْمَةِ وَالْمَرَاتِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ  
 بِالتَّنَاءِ وَالْمَدْحِ وَتَحْسِنِ الْأَحْوَالِ وَإِشَاعَةِ الذِّكْرِ بِذَلِكَ وَالنَّفُوسُ مُوَلَّعَةٌ بِحُبِّ النَّنَاءِ  
 وَالنَّاسُ مُتَطَاوِلُونَ إِلَى الدُّنْيَا وَأَسْبَابُهَا مِنْ جَاهٍ أَوْ نَزْوَةٍ وَلَيْسُوا مِنَ الْأَكْثَرِ بِرَاغِبِينَ فِي  
 الْفَضَائِلِ وَلَا مُنَافِسِينَ فِي أَهْلِهَا وَأَيْنَ مُطَابَقَةُ الْحَقِّ مَعَ هَذِهِ كُلِّهَا فَتَحْتَلُّ الشُّهْرَةُ عَنْ

أَسْبَابُ خَفِيَّةٍ مِنْ هَذِهِ وَتَكُونُ غَيْرَ مُطَابِقَةٍ وَكُلُّ مَا حَصَلَ بِسَبَبِ خَفِيٍّ فَهُوَ الَّذِي يُعْبَرُ عَنْهُ  
بِالْبَحْتِ كَمَا تَقَرَّرَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الثامن والثلاثون

في الجباية وسبب قتلها وكثرتها

اعْلَمْ أَنَّ الْجَبَايَةَ أَوَّلَ الدَّوْلَةِ تَكُونُ قَلِيلَةً الْوَزَائِعُ كَثِيرَةً الْجُمْلَةَ وَآخِرَ الدَّوْلَةِ تَكُونُ  
كَثِيرَةً الْوَزَائِعُ قَلِيلَةً الْجُمْلَةَ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الدَّوْلَةَ إِنْ كَانَتْ عَلَى سَنَنِ الدِّينِ فَلَيْسَتْ  
تَقْتَضِي إِلَّا الْمَعَارِمَ الشَّرْعِيَّةَ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالْخَرَاجِ وَالْجَزْيَةِ وَهِيَ قَلِيلَةٌ الْوَزَائِعُ لِأَنَّ مِقْدَارَ  
الزَّكَاةِ مِنَ الْمَالِ قَلِيلٌ كَمَا عَلِمْتَ وَكَذَا زَكَاةُ الْحُوبِ وَالْمَاشِيَةِ وَكَذَا الْجَزْيَةُ وَالْخَرَاجُ  
وَجَمِيعُ الْمَعَارِمِ الشَّرْعِيَّةِ وَهِيَ حُدُودٌ لَا تُتَعَدَّى وَإِنْ كَانَتْ عَلَى سَنَنِ التَّغْلِبِ وَالْعَصَبِيَّةِ  
فَلَا بُدَّ مِنَ الْبِدَاوَةِ فِي أَوَّلِهَا كَمَا تَقَدَّمَ وَالْبِدَاوَةُ تَقْتَضِي الْمُسَامَحَةَ وَالْمُسَاوَمَةَ وَخَفْضَ  
الْجُنَاحِ وَالتَّجَافِي عَنْ أَمْوَالِ النَّاسِ وَالغَفْلَةَ عَنْ تَحْصِيلِ ذَلِكَ إِلَّا فِي النَّادِرِ فَيَقِلُّ لِذَلِكَ  
مِقْدَارُ الْوُظَيْفَةِ الْوَاحِدَةِ وَالْوَزِيْعَةُ الَّتِي تُجْمَعُ الْأَمْوَالُ مِنْ تَجْمُوعِهَا وَإِذَا قَلَّتْ الْوَزَائِعُ  
وَالْوُظَائِفُ عَلَى الرَّعَايَا نَشِطُوا لِلْعَمَلِ وَرَغِبُوا فِيهِ فَيَكْثُرُ الْأَعْتِمَارُ وَتَزِيدُ لِحُصُولِ  
الْإِعْتِبَاطِ بِقَلَّةِ الْمَعْرُومِ وَإِذَا كَثُرَ الْأَعْتِمَارُ كَثُرَتْ أَعْدَادُ تِلْكَ الْوُظَائِفِ وَالْوَزَائِعِ  
وَكَثُرَتْ الْجَبَايَةُ الَّتِي هِيَ جُمْلَتُهَا فَإِذَا اسْتَمَرَّتِ الدَّوْلَةُ وَاتَّصَلَتْ وَتَعَاقَبَ مُلُوكُهَا وَاحِدًا  
بَعْدَ وَاحِدٍ وَاتَّصَفُوا بِالْكَيْسِ وَذَهَبَ سِرُّ الْبِدَاوَةِ وَالسَّدَاجَةِ وَخَلِقُهَا مِنَ الْأَغْضَاءِ وَالتَّجَافِي  
وَجَاءَ الْمَلِكُ الْعَضُوضُ وَالْحِضَارَةُ الدَّاعِيَةُ إِلَى الْكَيْسِ وَتَخَلَّقَ أَهْلُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ  
بِخَلْقِ التَّحَدُّقِ وَتَكَثَّرَتْ عَوَائِدُهُمْ وَحَوَاجَتُهُمْ بِسَبَبِ مَا أَنْعَمَسُوا فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ وَالتَّرَفِ  
فَيَكْثُرُونَ الْوُظَائِفَ وَالْوَزَائِعَ حِينَئِذٍ عَلَى الرَّعَايَا وَالْأَكْرَةِ وَالْفَلَاحِينَ وَسَائِرِ أَهْلِ  
الْمَعَارِمِ وَيَزِيدُونَ فِي كُلِّ وَظِيْفَةٍ وَوَزِيْعَةٍ مِقْدَارًا عَظِيمًا لِمَا كَثُرَ لَهُمُ الْجَبَايَةُ وَيَضَعُونَ  
الْمُكْرَسَ عَلَى الْمُبَايَعَاتِ وَفِي الْأَبْوَابِ كَمَا نَذَرْنَا بَعْدَ تَمَّتْ تَنْدَرُجُ الزِّيَادَاتِ فِيهَا بِمِقْدَارِ  
بَعْدَ مِقْدَارٍ لَتَنْدَرُجَ عَوَائِدِ الدَّوْلَةِ فِي التَّرَفِ وَكَثْرَةِ الْحَاجَاتِ وَالْإِنْتِاقِ بِسَبَبِهِ حَتَّى تَنْقَلِ  
الْمَعَارِمُ عَلَى الرَّعَايَا وَتَهْضِمَهُمْ وَتَصِيرَ عَادَةٌ مَفْرُوضَةٌ لِأَنَّ تِلْكَ الزِّيَادَةَ تَنْدَرُجَتْ قَلِيلًا  
قَلِيلًا وَلَمْ يَشْعُرْ أَحَدٌ مِنْ زَادِهَا عَلَى التَّعْيِينِ وَلَا مِنْ هُوَ وَاضِعُهَا إِنَّمَا نَبَتَ عَلَى الرَّعَايَا فِي  
الْأَعْتِمَارِ لِدَهَابِ الْأَمَلِ مِنْ نَفْسِهِمْ بِقَلَّةِ النِّفَعِ إِذَا قَابَلَ بَيْنَ نَفْسِهِ وَمَعَارِمِهِ وَبَيْنَ

تَمَرَّتْهُ وَفَائِدَتِهِ فَتَنْقِصُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَيْدِي عَنِ الْأَعْتِمَارِ جُمْلَةً فَتَنْقِصُ جُمْلَةَ الْجَبَايَةِ  
 حِينَئِذٍ بِنَقْصَانِ تِلْكَ الْوَزَائِعِ مِنْهَا وَرُبَّمَا يَزِيدُونَ فِي مِقْدَارِ الْوُظَائِفِ إِذَا رَأَوْا ذَلِكَ النَّقْصَ  
 فِي الْجَبَايَةِ وَيَحْسِبُونَهُ جَبْرًا لِمَا نَقَصَ حَتَّى تَنْتَهِيَ كُلُّ وَظِيفَةٍ وَوَزِيرَةٍ إِلَى غَايَةِ لَيْسَ وَرَاءَهَا  
 نَفْعٌ وَلَا فَائِدَةٌ الْكَثْرَةُ الْإِنْفَاقِ حِينَئِذٍ فِي الْأَعْتِمَارِ وَكَثْرَةُ الْمَعَارِمِ وَعَدَمُ وَقَاءِ الْفَائِدَةِ  
 الْمَرْجُوعَةِ بِهِ فَلَا تَرَالُ الْجُمْلَةُ فِي نَقْصِ وَمِقْدَارِ الْوَزَائِعِ وَالْوُظَائِفِ فِي زِيَادَةِ لِمَا  
 يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ جَبْرِ الْجُمْلَةِ بِهَا إِلَى أَنْ يَنْتَقِصَ الْعُمَرَانُ بِذَهَابِ الْأَمَالِ مِنَ الْأَعْتِمَارِ  
 وَعَبُودُ وَبِالْ ذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ لِأَنَّ فَائِدَةَ الْأَعْتِمَارِ عَائِدَةٌ إِلَيْهَا وَإِذَا فَهِمْتَ ذَلِكَ عَلِمْتَ  
 أَنَّ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي الْأَعْتِمَارِ تَقَايُلُ مِقْدَارِ الْوُظَائِفِ عَلَى الْمُعْتَمَرِينَ مَا أَمْكَنَ  
 فَيَذَلِكِ تَنْبَسُطُ النُّفُوسُ إِلَيْهِ لِتَقْتَبَهَا بِإِدْرَاكِ الْمَنْفَعَةِ فِيهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَالِكِ الْأُمُورِ  
 كَلِمَاتٍ وَيَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ

### الفصل التاسع والثلاثون

في ضرب المكوس واخر الدولة

إِعْلَمْ أَنَّ الدَّوْلَةَ تَكُونُ فِي أَوَّلِهَا بَدْوِيَّةً كَمَا قُلْنَا فَتَكُونُ لِذَلِكَ قَلِيلَةً الْحَاجَاتِ  
 لِعَدَمِ التَّرْفِ وَعَوَائِدِهِ فَيَكُونُ خَرْجُهَا وَإِنْفَاقُهَا قَلِيلًا فَيَكُونُ فِي الْجَبَايَةِ حِينَئِذٍ وَقَاءً  
 بِأَزِيدٍ مِنْهَا كَثِيرٌ عَنِ حَاجَاتِهِمْ ثُمَّ لَا تَلْبَثُ أَنْ تَأْخُذَ بِيَدِي الْحِضَارَةِ فِي التَّرْفِ وَعَوَائِدِهَا  
 وَتَجْرِي عَلَى نَهْجِ الدُّوَلِ السَّابِقَةِ قَلِيلًا فَيَكْثُرُ لِذَلِكَ خَرَجُ أَهْلِ الدَّوْلَةِ وَيَكْثُرُ خَرَجُ  
 السُّلْطَانِ خُصُوصًا كَثْرَةَ بِالْغَةِ بِنَفَقَتِهِ فِي خَاصَّتِهِ وَكَثْرَةَ عَطَائِهِ وَلَا تَبْقَى بِذَلِكَ الْجَبَايَةُ  
 فَتَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى الزِّيَادَةِ فِي الْجَبَايَةِ لِمَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْحَامِيَةُ مِنَ الْعَطَاءِ وَالسُّلْطَانُ مِنَ  
 النِّفَقَةِ فَيَزِيدُ فِي مِقْدَارِ الْوُظَائِفِ وَالْوَزَائِعِ أَوَّلًا كَمَا قُلْنَا ثُمَّ يَزِيدُ الْخَرَجُ وَالْحَاجَاتُ  
 وَالتَّدْرِجُ فِي عَوَائِدِ التَّرْفِ وَفِي الْعَطَاءِ لِلْحَامِيَةِ وَيُدْرِكُ الدَّوْلَةَ الْهَرَمُ وَتَضَعُ عِصَابَتُهَا  
 عَنِ جَبَايَةِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْقَاصِيَةِ فَتَقِلُّ الْجَبَايَةُ وَتَكْثُرُ الْعَوَائِدُ وَيَكْثُرُ  
 بِكَثْرَتِهَا أَرْزَاقُ الْجُنْدِ وَعَطَاؤُهُمْ فَيَسْتَحْدِثُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ أَنْوَاعًا مِنَ الْجَبَايَةِ يَضُرُّ بِهَا  
 عَلَى الْبِيَاعَاتِ وَيَفْرِضُ لَهَا قَدْرًا مَعْلُومًا عَلَى الْأَثْمَانِ فِي الْأَسْوَاقِ وَعَلَى أَعْيَانِ السَّلْعِ فِي  
 أَمْوَالِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ مَعَ هَذَا مُضْطَرٌّ لِذَلِكَ بِمَا دَعَاهُ إِلَيْهِ طُرُقُ النَّاسِ مِنْ كَثْرَةِ الْعَطَاءِ  
 مِنْ زِيَادَةِ الْجِيُوشِ وَالْحَامِيَةِ وَرُبَّمَا يَزِيدُ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ الدَّوْلَةِ زِيَادَةً بِالْغَةِ فَتَكْثُرُ

الأسواقُ فسادُ الأماكِلِ وَيُؤْذِنُ ذَلِكَ بِاخْتِلَالِ الْعُمْرَانِ وَيَعُودُ عَلَى الدَّوْلَةِ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ يَتَزَايَدُ إِلَى أَنْ تَضْحَلَ وَقَدْ كَانَ وَقَعَ مِنْهُ بِأَمْصَارِ الْمَشْرِقِ فِي أُخْرِيَاتِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَالْعَبِيدِيَّةِ كَثِيرٌ وَفُرِضَتْ الْمَغَارِمُ حَتَّى عَلَى الْحَاجِّ فِي الْمَوْسِمِ وَأَسْقَطَ صَاحِبُ الدِّينِ أَبُو بَلْتَأَسٍ تِلْكَ الرُّسُومَ جُمْلَةً وَأَعَاذَهَا بِأَثَارِ الْخَيْرِ وَكَذَلِكَ وَقَعَ بِالْأَنْدَلُسِ الْعَهْدِ الطَّوَائِفِ حَتَّى مَعَى رَسْمِهِ يُوسُفُ بْنُ تَاشَنِينَ أَمِيرَ الْمُرَابِطِينَ وَكَذَلِكَ وَقَعَ بِأَمْصَارِ الْجَرِيدِ بِأَفْرِيْقِيَّةِ لِهَذَا الْعَهْدِ حِينَ اسْتَبَدَّ بِهَا رُوَسَاؤُهَا وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الاربعون

في ان التجارة من السلطان مضره بالراعايا ومفسده للجبایة

إِعْلَمُ أَنَّ الدَّوْلَةَ إِذَا ضَاعَتْ جَبَايَتُهَا بِمَا قَدَّمَاهُ مِنَ التَّرَفِ وَكَثْرَةِ الْعَوَائِدِ وَالنَّفَقَاتِ وَقَصْرِ الْحَاصِلِ مِنْ جَبَايَتِهَا عَلَى الْوَفَاءِ بِحَاجَاتِهَا وَنَفَقَاتِهَا وَاحْتِاجَتْ إِلَى مَزِيدِ الْمَالِ وَالْجَبَايَةِ فَتَارَةً تُوضَعُ الْمَكُوسُ عَلَى بِيَاعَاتِ الرَّعَايَا وَأَسْوَاقِهِمْ كَمَا قَدَّمْنَا ذَلِكَ فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ وَتَارَةً يَأْتِي بِإِدَارَةِ فِي الْقَابِ الْمَكُوسِ إِنْ كَانَ قَدِ اسْتَحْدِثَ مِنْ قَبْلُ وَتَارَةً بِمُقَاسَمَةِ الْعُمَّالِ وَالْجَبَايَةِ وَامْتِكَالِ عِظَامِهِمْ لِمَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ قَدْ حَصَلُوا عَلَى شَيْءٍ طَائِلٍ مِنْ أَمْوَالِ الْجَبَايَةِ لَا يَظْهَرُ الْحِسْبَانُ وَتَارَةً بِاسْتِحْدَاتِ التِّجَارَةِ وَالْفَلَاحَةِ لِلسُّلْطَانِ عَلَى تَسْمِيَةِ الْجَبَايَةِ لِمَا يَرَوْنَ التُّجَّارَ وَالْفَلَاحِينَ يَحْصُلُونَ عَلَى الْفَوَائِدِ وَالْعَلَّاتِ مَعَ يَسَارَةِ أَمْوَالِهِمْ وَأَنَّ الْأَرْبَاحَ تَكُونُ عَلَى نِسْبَةِ رُؤُوسِ الْأَمْوَالِ فَيَأْخُذُونَ فِي أَكْتِسَابِ الْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتِ لِاسْتِعْلَالِهِ فِي شِرَاءِ الْبَضَائِعِ وَالتَّعَرُّضِ بِهَا لِحَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ وَيَحْسِبُونَ ذَلِكَ مِنْ إِدْرَارِ الْجَبَايَةِ وَتَكْثِيرِ الْفَوَائِدِ وَهُوَ عَظِيمٌ وَإِذَا خَالَ الضَّرْرُ عَلَى الرَّعَايَا مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ فَأَوْلَى مُضَايِقَةِ الْفَلَاحِينَ وَالتُّجَّارِ فِي شِرَاءِ الْحَيَوَانَ وَالْبَضَائِعِ وَتَيْسِيرِ أَسْبَابِ ذَلِكَ فَإِنَّ الرَّعَايَا مَتَمَكِّنُونَ فِي الْيَسَّارِ مُتَقَارِبُونَ وَمُزَاحِمَةٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا تَنْتَهِي إِلَى غَايَةِ مَوْجُودِهِمْ أَوْ تَقَرُّبِ وَإِذَا رَافَقَهُمُ السُّلْطَانُ فِي ذَلِكَ وَمَالَهُ أَعْظَمُ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ مِنْهُمْ يَحْصُلُ عَلَى غَرَضِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ حَاجَاتِهِ وَيَدْخُلُ عَلَى النَّفُوسِ مِنْ ذَلِكَ غَمٌّ وَتَكْدُ ثُمَّ إِنْ السُّلْطَانُ قَدْ يَنْتَزِعُ الْكَثِيرَ مِنْ ذَلِكَ إِذَا تَعَرَّضَ لَهُ غَضًا أَوْ بِأَيْسَرِ ثَمَنٍ أَوْ لَا يَجِدُ مَنْ يَنَاقِشُهُ فِي شِرَائِهِ فَيَنْخَسُ ثَمَنُهُ عَلَى بَائِعِهِ ثُمَّ إِذَا حَصَلَ فَوَائِدُ الْفَلَاحَةِ وَغَلْبُهَا كُلُّهُ مِنْ زَرْعٍ أَوْ حَرِيرٍ أَوْ عَسَلٍ أَوْ سَكَّرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ

الْعَلَاتِ وَحَصَلَتْ بَضَائِعُ التِّجَارَةِ مِنْ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ فَلَا يَنْتَظِرُونَ بِهِ حَوَالَةَ الْأَسْوَاقِ وَلَا  
 نِفَاقَ الْبِيعَاتِ لِمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ تَكَالِيفُ الدَّوْلَةِ فَيُكَلِّفُونَ أَهْلَ تِلْكَ الْأَصْنَافِ مِنْ  
 تَاجِرٍ أَوْ فَلَاحٍ بِشِرَاءِ تِلْكَ الْبَضَائِعِ وَلَا يَرْضَوْنَ فِي أَنْمَانِهَا إِلَّا الْقِيمَ وَأَزِيدَ فَيَسْتَوْعِبُونَ  
 فِي ذَلِكَ نَاضًا أَمْوَالَهُمْ وَتَبَقَى تِلْكَ الْبَضَائِعُ بِيَدِيهِمْ عَرُوضًا جَامِدَةً وَيَكْمُثُونَ عَطْلًا  
 مِنَ الْإِدَارَةِ الَّتِي فِيهَا كَسِبَهُمْ وَمَعَاشَهُمْ وَرُبَّمَا تَدْعُوهُمْ الْفَرُورَةُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْمَالِ  
 فَيَبِيعُونَ تِلْكَ السَّلْعَ عَلَى كَسَادٍ مِنَ الْأَسْوَاقِ بِأَبْخَسِ ثَمَنِ وَرُبَّمَا يَتَكَرَّرُ ذَلِكَ عَلَى  
 التَّاجِرِ وَالْفَلَاحِ مِنْهُمْ بِمَا يَذْهَبُ رَأْسَ مَالِهِ فَيَقْعُدُ عَنْ سُوقِهِ وَيَتَعَدَّدُ ذَلِكَ وَيَتَكَرَّرُ  
 وَيَدْخُلُ بِهِ عَلَى الرِّعَايَا مِنَ الْعَنْتِ وَالْمُضَابِقَةِ وَفَسَادِ الْأَرْبَاحِ مَا يَقْبِضُ أَمْوَالَهُمْ عَنْ  
 السَّعْيِ فِي ذَلِكَ جُمْلَةً وَيُؤَدِّي إِلَى فِسَادِ الْجِبَايَةِ فَإِنَّ مَعْظَمَ الْجِبَايَةِ إِنَّمَا هِيَ مِنَ الْفَلَاحِينَ  
 وَالتَّجَارِ وَلَا سِيَّمَا بَعْدَ وَضْعِ الْمَكُوسِ وَنُمُو الْجِبَايَةِ بِهَا فَإِذَا انْقَضَ الْفَلَاحُونَ عَنْ  
 الْفِلَاحَةِ وَقَعَدَ التَّجَارُ عَنْ التِّجَارَةِ ذَهَبَتِ الْجِبَايَةُ جُمْلَةً أَوْ دَخَلَهَا النِّقْصُ الْمُتَفَاحِشُ وَإِذَا  
 قَائَسَ السُّلْطَانُ بَيْنَ مَا يَحْضُرُ لَهُ مِنَ الْجِبَايَةِ وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَرْبَاحِ الْقَلِيلَةِ وَجَدَهَا بِالنِّسْبَةِ  
 إِلَى الْجِبَايَةِ أَقَلَّ مِنَ الْقَلِيلِ ثُمَّ إِنَّهُ وَلَوْ كَانَ مُفِيدًا فَيَذْهَبُ لَهُ بِحِطِّ عَظِيمٍ مِنَ الْجِبَايَةِ فِيمَا  
 يِعَانِيهِ مِنْ شِرَاءٍ أَوْ بَيْعٍ فَإِنَّهُ مِنَ الْبُعِيدِ أَنْ يُوجَدَ فِيهِ مِنَ الْمَكُوسِ وَلَوْ كَانَ غَيْرُهُ فِي  
 تِلْكَ الصَّفَقَاتِ لَكَانَ تَكْسِبُهَا كَلْبًا حَاصِلًا مِنْ جِهَةِ الْجِبَايَةِ ثُمَّ فِيهِ التَّعَرُّضُ لِأَهْلِ  
 عُمُرَانِهِ وَاخْتِلَالُ الدَّوْلَةِ بِفَسَادِهِمْ وَنَقْصِهِمْ فَإِنَّ الرِّعَايَا إِذَا قَعَدُوا عَنْ تَشْمِيرِ أَمْوَالِهِمْ  
 بِالْفِلَاحَةِ وَالتِّجَارَةِ نَقَصَتْ وَتَلَاشَتْ بِالنِّفَقَاتِ وَكَانَ فِيهَا تَلَافٌ أَحْوَالِهِمْ فَأَفْهَمَ ذَلِكَ  
 وَكَانَ الْفَرَسُ لَا يُمَلِّكُونَ عَلَيْهِمْ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ ثُمَّ يَخْتَارُونَهُ مِنْ أَهْلِ  
 الْفَضْلِ وَالِدِينَ وَالْأَدَبِ وَالسَّخَاءِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ ثُمَّ يَشْتَرُطُونَ عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ  
 الْعَدْلَ وَأَنْ لَا يَتَّخِذَ صَنْعَةً فَيُضَرِّمُ بِجِيرَانِهِ وَلَا يَتَاجَرَ فَيُجِبَّ غَلَاءَ الْأَسْعَارِ فِي الْبَضَائِعِ  
 وَأَنْ لَا يَسْتَعْدِمَ الْعَبِيدَ فَإِنَّهُمْ لَا يُشِيرُونَ بِغَيْرِ وَلَا مَصَاحَةَ وَأَعْلَمَ أَنَّ السُّلْطَانَ لَا  
 يُنْبِئُ مَالَهُ وَلَا يَدِرُ مَوْجُودَهُ إِلَّا الْجِبَايَةَ وَإِدْرَارُهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَدْلِ فِي أَهْلِ الْأَمْوَالِ  
 وَالنَّظَرِ لَهُمْ بِذَلِكَ فَبِذَلِكَ تَنْبَسِطُ أَمْوَالُهُمْ وَتَنْشَرِحُ صُدُورُهُمْ لِلْإِخْذِ فِي تَشْمِيرِ الْأَمْوَالِ  
 وَتَنْمِيَّتِهَا فَتَعْظُمُ مِنْهَا جِبَايَةُ السُّلْطَانِ وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ تِجَارَةٍ أَوْ فَلَاحٍ فَإِنَّمَا هُوَ مُضَرَّةٌ  
 عَاجِلَةٌ لِلرِّعَايَا وَفَسَادٌ لِلْجِبَايَةِ وَنِقْصٌ لِلْعِمَارَةِ وَقَدْ بَتَّتْهُي الْحَالُ بِهِؤَلَاءِ الْمُنْسَلِّخِينَ لِلتِّجَارَةِ

وَالْفَلَاحَةَ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَالْمُتَغَلِّبِينَ فِي الْبُلْدَانِ أَنَّهُمْ يَتَعَرَّضُونَ لِشِرَاءِ الْعَلَاتِ وَالسَّاعِ  
 مِنْ أَرْبَابِهَا الْوَارِدِينَ عَلَى بِلَادِهِمْ وَيَفْرَضُونَ لِنَفْسِهِمْ مِنَ الثَّمَنِ مَا يَشَاءُونَ وَيَبِيعُونَهَا فِي  
 وَقْتِهَا لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنَ الرِّعَايَا بِمَا يَفْرَضُونَ مِنَ الثَّمَنِ وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى  
 وَأَقْرَبُ إِلَى فَسَادِ الرِّعِيَّةِ وَاخْتِلَالِ أَحْوَالِهِمْ وَرُبَّمَا يَحْمِلُ السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ مَنْ  
 يَدَاخِلُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَصْنَافِ أَعْنَى التُّجَّارِ وَالْفَلَاحِينَ لِمَا هِيَ صِنَاعَتُهُ الَّتِي نَشَأَ عَلَيْهَا فَيَحْمِلُ  
 السُّلْطَانُ عَلَى ذَلِكَ وَيَضْرِبُ مَعَهُ بِسَمِهِمْ لِنَفْسِهِ لِيَحْصَلَ عَلَى غَرَضِهِ مِنْ جَمْعِ الْمَالِ سَرِيعًا  
 وَلَا سِيمًا مَعَ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ التُّجَّارَةِ بِالْمَعْرَمِ وَلَا مَكْسٍ فَإِنَّهَا أَجْدَرُ بِنَمُوِّ الْأَمْوَالِ  
 وَأَسْرَعُ فِي تَنْمِيهِهِ وَلَا يَفْهَمُ مَا يَدْخُلُ عَلَى السُّلْطَانِ مِنَ الضَّرْرِ بِنَقْصِ حَبَابَتِهِ فَيَنْبَغِي  
 لِلسُّلْطَانِ أَنْ يَحْتَذَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَيَعْرِضَ عَنْ سَعَايَتِهِمْ الْمَضْرُوقَةِ بِحَبَابَتِهِ وَسُلْطَانِهِ وَاللَّهُ  
 يَلْهَمُنَا رُشْدًا أَنْفُسَنَا وَيَنْفَعَنَا بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الواحد والاربعون

في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْجَبَايَةَ فِي أَوَّلِ الدَّوْلَةِ تَنْوِزُ عَلَى أَهْلِ الْقَبِيلِ وَالْعَصْبِيَّةِ  
 بِحَقْدَارِ غَنَائِهِمْ وَعَصَبِيَّتِهِمْ وَلِأَنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِمْ فِي تَمْهِيدِ الدَّوْلَةِ كَمَا فَلَنَاهُ مِنْ قَبْلُ  
 فَرِيْسُهُمْ فِي ذَلِكَ مُتَجَافٍ لَهُمْ عَمَّا يُسْمُونَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَسْتِبْدَادِ عَلَيْهِمْ فَلَهُ عَلَيْهِمْ عِزَّةٌ  
 وَلَهُ إِلَيْهِمْ حَاجَةٌ فَلَا يَطِيرُ فِي سُهْمَانِهِ مِنَ الْجَبَايَةِ إِلَّا الْأَقْلُ مِنْ حَاجَتِهِ فَتَجِدُ حَاشِيَتَهُ  
 لِذَلِكَ وَأَذْيَالُهُ مِنَ الْوُزَرَاءِ وَالْكَتَّابِ وَالْمَوَالِي مُتَمَلِّقِينَ فِي الْغَالِبِ وَجَاهَهُمْ مُتَقَلِّصٌ  
 لِأَنَّهُ مِنْ جَاهِ مُخْدُومِهِمْ وَنِطَاقُهُ قَدْ ضَاقَ يَمُنَ يِرَاحَهُ فِيهِ مِنْ أَهْلِ عَصْبِيَّتِهِ فَإِذَا اسْتَفْحَلَتْ  
 طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَحَصَلَ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ الْأَسْتِبْدَادُ عَلَى قَوْمِهِ قَبْضُ أَيْدِيهِمْ عَنِ الْجَبَايَاتِ  
 إِلَّا مَا يَطِيرُ لَهُمْ بَيْنَ النَّاسِ فِي سُهْمَانِهِمْ وَنَقْلُ حُظُوظِهِمْ إِذْ ذَاكَ لِقَلَّةِ غَنَائِهِمْ فِي  
 الدَّوْلَةِ بِمَا أَنْكَبَ مِنْ أَعْنَتِهِمْ وَصَارَ الْمَوَالِي وَالصَّنَائِعُ مُسَاهِمِينَ لَهُمْ فِي الْقِيَامِ بِالدَّوْلَةِ  
 وَتَمْهِيدِ الْأَمْرِ فَيَنْفَرِدُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ بِالْجَبَايَةِ أَوْ مُعْظَمِهَا وَيَحْتَوِي عَلَى الْأَمْوَالِ  
 وَيَحْتَجِجُهَا لِلنَّفَقَاتِ فِي مُهِمَّاتِ الْأَحْوَالِ فَتَكْثُرُ ثَرَوَتُهُ وَتَمْتَلِئُ خَزَائِنُهُ وَيَتَسَّعُ نِطَاقُ  
 جَاهِهِ وَيَعْتَرِ عَلَى سَائِرِ قَوْمِهِ فَيَعْظُمُ حَالُ حَاشِيَتِهِ وَذَوِيهِ مِنْ وَزِيرٍ وَكَاتِبٍ وَحَاجِبٍ  
 وَمَوْلَى وَشُرْطِيٍّ وَيَتَسَّعُ جَاهَهُمْ وَيَقْتَنُونَ الْأَمْوَالِ وَيَتَأْتَلُونَهَا ثُمَّ إِذَا أَخَذَتِ الدَّوْلَةُ فِي

أَهْرَمَ بِتَارِثِي الْعَصِيَّةِ وَفَنَاءِ الْقَلِيلِ الْمُعَاهِدِينَ لِلدَّوْلَةِ أَحْتَاَجُ صَاحِبُ الْأَمْرِ حِينَئِذٍ إِلَى الْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ لِكَثْرَةِ أَخْوَارِجِ وَالْمَنَارِعِينَ وَالنَّوَارِ وَتَوَهُّرِ الْإِنْتِقَاضِ فَصَارَ خَرَاجُهُ لِيُظَهِّرَهُ وَأَعْوَانُهُ وَهُمْ أَرْبَابُ السُّيُوفِ وَأَهْلُ الْعَصَبِيَّاتِ وَأَنْتَقَى خَزَائِنَهُ وَحَاصِلَهُ فِي مَهْمَاتِ الدَّوْلَةِ وَقَلَّتْ مَعَ ذَلِكَ الْجَبَايَةُ لِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ كَثْرَةِ الْعَطَاءِ وَالْإِنْفَاقِ فَيَقِلُّ الْخَرَاجُ وَتَشْتَدُّ حَاجَةُ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمَالِ فَيَتَقَلَّصُ ظِلُّ النِّعْمَةِ وَالتَّرَفِ عَنِ الْخَوَاصِّ وَالنَّجَابِ وَالْكَتَابِ بِتَقْلُصِ الْجَاهِ عَنْهُمْ وَضَيْقِ نَطَاقِهِ عَلَى صَاحِبِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ تَشْتَدُّ حَاجَةُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ إِلَى الْمَالِ وَتَنْفِقُ أَوْلَادُ الْبَطَانَةِ وَالْحَاشِيَةِ مَا تَأْتَلُهُ أَبَاؤُهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي غَيْرِ سَبِيلِهَا مِنْ إِعَانَةِ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ وَيَقْبُلُونَ عَلَى غَيْرِ مَا كَانَ عَلَيْهِ أَبَاؤُهُمْ وَسَلَفُهُمْ مِنَ الْمُنَاصِحَةِ وَيَرَى صَاحِبُ الدَّوْلَةِ أَنَّهُ أَحَقُّ بِتِلْكَ الْأَمْوَالِ الَّتِي أُكْتَسِبَتْ فِي دَوْلَةِ سَلَفِهِ وَبِجَاهِهِمْ فَصَطَلِمَهَا وَيَنْزِعُهَا مِنْهُمْ لِنَفْسِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا وَوَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ عَلَى نِسْبَةِ رُتَبِهِمْ وَتَنْكُرُ الدَّوْلَةُ لَهُمْ وَيَعُودُ وَبِالْذَلِكَ عَلَى الدَّوْلَةِ بِنَفَاءِ حَاشِيَتِهَا وَرِجَالِهَا وَأَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالنِّعْمَةِ مِنْ بَطَانَتِهَا وَيَتَقَوَّضُ بِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ مَبَايِ الْعَمَلِ بَعْدَ أَنْ يَدْعُمَهُ أَهْلُهُ وَيَرْفَعُوهُ . وَأَنْظُرْ مَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ لَوُزَرَائِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي بَنِي قُحْطَبَةَ وَبَنِي بَرْمَكٍ وَبَنِي سَهْلٍ وَبَنِي طَاهِرٍ وَأَمْثَالِهِمْ ثُمَّ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ عِنْدَ انْحِلَالِهَا أَيَّامَ الطَّوَائِفِ فِي بَنِي شَهِيدٍ وَبَنِي أَبِي عَبْدَةَ وَبَنِي حُدَيْرٍ وَبَنِي بَرْدٍ وَأَمْثَالِهِمْ وَكَذَا فِي الدَّوْلَةِ الَّتِي أَدْرَكْنَاهَا لِعَهْدِنَا سَنَةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ

فصل \* وَلِمَا يَتَوَقَّعُهُ أَهْلُ الدَّوْلَةِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَعَاطِبِ صَارَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ يَنْزِعُونَ إِلَى الْفِرَارِ عَنِ الرُّتَبِ وَالْتِخَلُّصِ مِنْ رِبْقَةِ السُّلْطَانِ بِمَا حَصَلَ فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ مَالِ الدَّوْلَةِ إِلَى فُطْرٍ آخَرَ وَيَرُونَ أَنَّهُ أَهْنٌ لَهُمْ وَأَسْلَمٌ فِي انْتِفَاقِهِ وَحُصُولِ ثَمَرَتِهِ وَهُوَ مِنَ الْأَعْلَاطِ الْفَاحِشَةِ وَالْأَوْهَامِ الْمُفْسِدَةِ لِأَحْوَالِهِمْ وَدُنْيَايَهُمْ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخُلَاصَ مِنْ ذَلِكَ بَعْدَ الْحُصُولِ فِيهِ عَسِيرٌ مُمْتَنِعٌ فَإِنَّ صَاحِبَ هَذَا الْغُرُضِ إِذَا كَانَ هُوَ الْمَلِكُ نَفْسَهُ فَلَا تُمْكِنُهُ الرَّعِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ وَلَا أَهْلُ الْعَصَبِيَّةِ الْمُرَاحِمُونَ لَهُ بَلْ فِي ظُهُورِ ذَلِكَ مِنْهُ هَدْمٌ لِمُلْكِهِ وَإِنْتِلافٌ لِنَفْسِهِ بِجَارِي الْعَادَةِ بِذَلِكَ لِأَنَّ رِبْقَةَ الْمَلِكِ يَعْسُرُ الْخُلَاصَ مِنْهَا وَلَا سِيَّمَا عِنْدَ اسْتِنْحَالِ الدَّوْلَةِ وَضَيْقِ نَطَاقِهَا وَمَا يَعْزِضُ فِيهَا مِنَ الْبَعْدِ عَنِ الْعَمَلِ وَالْخِلَالِ وَالْتِخَلُّقِ بِالسَّرِّ وَمَا إِذَا كَانَ صَاحِبُ هَذَا الْغُرُضِ مِنْ بَطَانَةِ السُّلْطَانِ

وَحَاشِيَتِهِ وَأَهْلَ الرَّبِّ فِي دَوْلَتِهِ فَقُلَّ أَنْ يُخْلَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ ذَلِكَ أَمَّا أَوْلًا فَلَمَّا يَرَاهُ  
 الْمَلُوكُ أَنْ ذَوِيهِمْ وَحَاشِيَتِهِمْ بَلَّ وَسَائِرَ رَعَايَاهُمْ مَمَالِكُ لَهُمْ مُطَاعُونَ لَدَى ذَاتِ صُدُورِهِمْ  
 فَلَا يَسْمَحُونَ بِحَلِّ رِبْقَتِهِ مِنَ الْخِدْمَةِ ضِنًا بِأَسْرَارِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا أَحَدٌ وَغَيْرَةٌ  
 مِنْ خِدْمَتِهِ لِسَوَاهُمْ وَقَدْ كَانَ بَنُو أَمِيَّةَ بِالْأَنْدَلُسِ يَمْنَعُونَ أَهْلَ دَوْلَتِهِمْ مِنَ السَّفَرِ لِفَرِيضَةِ  
 الْحَجِّ لِمَا يَتَوَهَّمُونَهُ مِنْ وَفُوعِيْمٍ بِأَيْدِي بَنِي الْعَبَّاسِ فَلَمْ يُحَجَّ سَائِرَ أَيَّامِهِمْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ  
 دَوْلَتِهِمْ وَمَا أُبِيحَ الْحَجُّ لِأَهْلِ الدَّوْلِ مِنَ الْأَنْدَلُسِ إِلَّا بَعْدَ فَرَاغِ شَأْنِ الْأُمَوِيَّةِ وَرُجُوعِهَا  
 إِلَى الطَّوَائِفِ وَأَمَّا ثَانِيًا فَلِإِنَّهُمْ وَإِنْ سَخَّحُوا بِحَلِّ رِبْقَتِهِ فَلَا يَسْمَحُونَ بِالتَّجَافِي عَنْ ذَلِكَ  
 الْمَالِ لِمَا يَرُونَ أَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ مَالِهِمْ كَمَا يَرُونَ أَنَّهُ جُزْءٌ مِنْ دَوْلَتِهِمْ إِذْ لَمْ يَكْتَسِبْ  
 إِلَّا بِهَا وَفِي ظِلِّ جَاهِيَا فَتَحُومُ نَفُوسُهُمْ عَلَى انْتِزَاعِ ذَلِكَ الْمَالِ وَالتَّقَامِهِ كَمَا هُوَ جُزْءٌ  
 مِنَ الدَّوْلَةِ يَنْتَفِعُونَ بِهِ ثُمَّ إِذَا تَوَهَّمْنَا أَنَّهُ خَاصٌّ بِذَلِكَ الْمَالِ إِلَى قَطْرِ آخَرٍ وَهُوَ فِي  
 النَّادِرِ الْأَقْلُ فَتَمْتَدُّ إِلَيْهِ أَعْيُنُ الْمَلُوكِ بِذَلِكَ الْقَطْرِ وَيَنْتَزِعُونَهُ بِالْإِرْهَابِ وَالتَّخْوِيفِ  
 تَعَرِيضًا أَوْ بِالتَّقَهْرِ ظَاهِرًا لِمَا يَرُونَ أَنَّهُ مَالُ الْجُبَايَةِ وَالدَّوْلِ وَأَنَّهُ مُسْتَحَقٌّ لِلْإِنْفَاقِ فِي  
 الْمَصَالِحِ وَإِذَا كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ تَمْتَدُّ إِلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ وَالتَّسَارِ الْمُتَكَسِّبِينَ مِنْ وَجُوهِ  
 الْمَعَاشِ فَأَحْرَى بِهِمَا أَنْ تَمْتَدَّ إِلَى أَمْوَالِ الْجُبَايَةِ وَالدَّوْلِ الَّتِي تَجِدُ السَّبِيلَ إِلَيْهَا بِالشَّرْعِ  
 وَالعَادَةِ وَقَدْ حَاوَلَ السُّلْطَانُ أَبُو بِيحَيِّ زَكَرِيَّا بْنُ أَحْمَدَ اللَّخْيَانِي تَاسِعُ أَوْ عَاشِرُ مَلُوكِ  
 الْخَفْصِيِّينَ بِأَفْرِيقَةَ الْخُرُوجَ عَنْ عَهْدَةِ الْمَلِكِ وَالتَّلَاقَ بِمِصْرَ فِرَارًا مِنْ طَلَبِ صَاحِبِ  
 الثُّغُورِ الْغَرْبِيَّةِ لَمَّا اسْتَجْمَعَ لَغَزْوِ تُونَسِ فَاسْتَعْمَلَ اللَّخْيَانِي الرَّحْلَةَ إِلَى نَعْرِ تَرَابَسِ  
 يُوْرِي بِتَمَهِيدِهِ وَرَكِبَ السَّفِينِ مِنْ هُنَاكَ وَخَلَصَ إِلَى الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ بَعْدَ أَنْ حَمَلَ  
 جَمِيعَ مَا وَجَدَهُ بَيْنَ الْمَالِ مِنَ الصَّامِتِ وَالدَّخِيرَةِ وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ بِحِزَانَتِهِمْ مِنْ  
 الْمَتَاعِ وَالْعَقَارِ وَالْجُوهَرِ حَتَّى الْكُتُبِ وَأَحْمَلَ ذَلِكَ كَلَّةً إِلَى مِصْرَ وَنَزَلَ عَلَى  
 الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُنَ سَنَةِ سَبْعِ عَشْرَةَ مِنَ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ فَأَكْرَمَ نَزْلَهُ وَرَفَعَ  
 مَجْلِسَهُ وَلَمْ يَزَلْ يَسْتَخْلَصُ ذَخِيرَتَهُ شَيْئًا فَشَيْئًا بِالْغَرَبِ إِلَى أَنْ حَصَلَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَبْقَ  
 مَعَاشُ ابْنِ اللَّخْيَانِي إِلَّا فِي جِرَائِبِهِ الَّتِي فَرَضَ لَهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ سَنَةَ ثَمَانِ وَعِشْرِينَ  
 حَسَبَمَا نَدَّ كُرُهُ فِي أَخْبَارِهِ فِهْدًا وَأَمثَالَهُ مِنْ جُمْلَةِ التُّوسُواسِ الَّذِي يَعْتَرِي أَهْلَ الدَّوْلِ  
 لِمَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ مَلُوكِهِمْ مِنَ الْمَعَاطِبِ وَإِنَّمَا يَخْلُصُونَ إِنْ اتَّفَقَ لَهُمْ الْخِلَاصُ بِأَنْفُسِهِمْ

وَمَا يَتَوَهَّمُونَهُ مِنَ الْحَاجَةِ فَعَلَطُوا وَهُمْ وَالَّذِي حَصَلَ لَهُمْ مِنَ الشُّهُرَةِ بِخِدْمَةِ الدُّوَلِ كَافٍ فِي وَجْدَانِ الْمَعَاشِ لَهُمْ بِالْحِجْرَايَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ أَوْ بِالْحِجَاهِ فِي انْتِحَالِ طُرُقِ الْكَسْبِ مِنَ التِّجَارَةِ وَالْفِلَاحَةِ وَالدُّوَلِ أَنْسَابُ لَكِنِ

الدُّنْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغَبْتَهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقَعُ  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الرَّزَاقُ وَهُوَ الْمُوفِيُّ بِمَنِّهِ وَقَضِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

## الفصل الثاني والاربعون

في ان نقص العطاء من السلطان نقص في الجباية

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الدَّوْلَةَ وَالسُّلْطَانَ هِيَ السُّوقُ الْأَعْظَمُ لِلْعَالَمِ وَمِنْهُ مَادَّةُ الْعُمَرَانِ فَإِذَا احْتَجَّ السُّلْطَانُ الْأَمْوَالَ أَوْ الْحِجَايَاتِ أَوْ فَقِدَتْ فَلَمْ يَصْرِفْهَا فِي مَصَارِفِهَا قَلَّ حِينَئِذٍ مَا بَأْيَدِي الْحَاشِيَةِ وَالْحَامِيَةِ وَأَنْتَقَعَ أَيْضًا مَا كَانَ يَصِلُ مِنْهُمْ لِحَاشِيَتِهِمْ وَذَوِيهِمْ وَقَلَّتْ نَفَقَاتُهُمْ جُمْلَةً وَهُمْ مُعْظَمُ السُّوَارِ وَنَفَقَاتُهُمْ أَكْثَرُ مَادَّةٍ لِلْأَسْوَاقِ مِمَّنْ سِوَاهُمْ فَيَقَعُ الْكَسَادُ حِينَئِذٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَتَضَعُفُ الْأَرْبَاحُ فِي الْمَتَاجِرِ فَيَقِلُّ الْخُرَاجُ لِذَلِكَ لِأَنَّ الْخُرَاجَ وَالْحِجَايَةَ إِنَّمَا تَكُونُ مِنَ الْأَعْتِمَارِ وَالْمَعَامَلَاتِ وَنَفَاقِ الْأَسْوَاقِ وَطَلَبِ النَّاسِ لِلْفَوَائِدِ وَالْأَرْبَاحِ وَوَبَالَ ذَلِكَ عَائِدٌ عَلَى الدَّوْلَةِ بِالنَّقْصِ لِقَلَّةِ أَمْوَالِ السُّلْطَانِ حِينَئِذٍ بِقَلَّةِ الْخُرَاجِ فَإِنَّ الدَّوْلَةَ كَمَا قُلْنَا هِيَ السُّوقُ الْأَعْظَمُ أُمَّ الْأَسْوَاقِ كُلِّهَا وَأَصْلُهَا وَمَادَّتُهَا فِي الدُّخْلِ وَالخُرْجِ فَإِنْ كَسَدَتْ وَقَلَّتْ مَصَارِفُهَا فَأَجِزَ بِمَا بَعْدَهَا مِنَ الْأَسْوَاقِ أَنْ يَلْحَقَهَا مِثْلُ ذَلِكَ وَأَشَدُّ مِنْهُ وَأَيْضًا فَالْمَالُ إِنَّمَا هُوَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ وَالسُّلْطَانِ مِنْهُمْ إِلَيْهِ وَمِنْهُ إِلَيْهِمْ فَإِذَا حَبَسَهُ السُّلْطَانُ عِنْدَهُ فَقَدَتْهُ الرَّعِيَّةُ سَنَةَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ

## الفصل الثالث والاربعون

في ان الظلم موذن بخراب العمران

إِعْلَمُ أَنَّ الْعُدْوَانَ عَلَى النَّاسِ فِي أَمْوَالِهِمْ ذَاهِبٌ بِأَمْوَالِهِمْ فِي تَحْصِيلِهَا وَأَكْتِسَابِهَا لِمَا يَرَوْنَهُ حِينَئِذٍ مِنْ أَنَّ غَايَتَهَا وَمَصِيرَهَا أَنْتَهَابُهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ وَإِذَا ذَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ فِي أَكْتِسَابِهَا وَتَحْصِيلِهَا انْقَبَضَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ السَّعْيِ فِي ذَلِكَ وَعَلَى قَدْرِ الْأَعْتِدَاءِ وَنِسْبَتِهِ يَكُونُ انْقِبَاضُ الرِّعَايَا عَنِ السَّعْيِ فِي الْأَكْتِسَابِ فَإِذَا كَانَ الْأَعْتِدَاءُ كَثِيرًا عَامًا فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ الْمَعَاشِ كَانَ الْقَعُودُ عَنِ الْكَسْبِ كَذَلِكَ لِدَهَابِهِ بِالْأَمْوَالِ جُمْلَةً بِدُخُولِهِ

مِنْ جَمِيعِ آبَائِهَا وَإِنْ كَانَ الْأَعْدَاءُ يَسِيرًا كَانَ الْإِنْقِبَاضُ عَنِ الْكَسْبِ عَلَى نَسَبَتِهِ  
 وَالْعُمْرَانُ وَوُفُورُهُ وَتَفَاقُ أَسْوَاقِهِ إِنَّمَا هُوَ بِالْأَعْمَالِ وَسَعْيِ النَّاسِ فِي الْمَصَالِحِ  
 وَالْمَكْسَبِ ذَاهِبِينَ وَجَائِنَ فَإِذَا قَعَدَ النَّاسُ عَنِ الْعَمَاشِ وَانْقَبَضَتْ أَيْدِيهِمْ عَنِ  
 الْمَكْسَبِ كَسَدَتْ أَسْوَاقُ الْعُمْرَانِ وَانْتَفَضَتْ الْأَحْوَالُ وَابْدَعَرَ النَّاسُ فِي الْأَفَاقِ مِنْ  
 غَيْرِ تِلْكَ الْإِيَالَةِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ فِيمَا خَرَجَ عَنْ نِطَاقِهَا فَخَفَتْ سَاكِنُ الْقُطْرِ وَخَلَّتْ  
 دِيَارُهُ وَخَرَجَتْ أَمْصَارُهُ وَأَخْتَلَّ بِأَخْتِلَالِهِ حَالُ الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ لِمَا أَنَّهَا صُورَةٌ  
 لِلْعُمْرَانِ تَفْسُدُ بِفَسَادِ مَادَتِهَا ضَرُورَةٌ وَانظُرْ فِي ذَلِكَ مَا حَكَاهُ الْمَسْعُودِيُّ فِي أَخْبَارِ  
 الْفَرَسِ عَنِ الْمُؤَبَّدَانَ صَاحِبِ الدِّينِ عِنْدَهُمْ أَيَّامَ بَهْرَامِ بْنِ بَهْرَامٍ وَمَا عَرَّضَ بِهِ لِلْمَلِكِ  
 فِي إِنْكَارِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ وَالغَفْلَةِ عَنْ عَائِدَتِهِ عَلَى الدَّوْلَةِ بِضَرْبِ الْمَثَالِ فِي  
 ذَلِكَ عَلَى لِسَانِ الْيَوْمِ حِينَ سَمِعَ الْمَلِكُ أَصْوَاتَهَا وَسَأَلَهُ عَنْ فَهْمِهِمْ كَلَامِهَا فَقَالَ لَهُ إِنَّ يَوْمًا  
 ذَكَرَ أَيُّوْمُ نِكَاحِ يَوْمِ أُنْثَى وَإِنَّمَا شَرِطْتُ عَلَيْهِ عِشْرِينَ قَرْيَةً مِنَ الْخُرَابِ فِي أَيَّامِ بَهْرَامِ  
 فَقَبِلَ شَرْطَهَا وَقَالَ لَهَا إِنْ دَامَتْ أَيَّامُ الْمَلِكِ أَقْطَعْتُكَ أَلْفَ قَرْيَةٍ وَهَذَا أَسْهَلُ مَرَامٍ فَتَدَبَّرَ  
 الْمَلِكُ مِنْ غَفْلَتِهِ وَخَلَا بِالْمُؤَبَّدَانَ وَسَأَلَهُ عَنْ مُرَادِهِ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ الْمَلِكَ  
 لَا يَتِمُّ عِزُّهُ إِلَّا بِالشَّرِيعَةِ وَالْقِيَامِ لِلَّهِ بِطَاعَتِهِ وَالتَّصَرُّفِ بِتَحْتِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَلَا قِيَامَ  
 لِلشَّرِيعَةِ إِلَّا بِالْمَلِكِ وَلَا عِزَّ لِلْمَلِكِ إِلَّا بِالرِّجَالِ وَلَا قِيَامَ لِلرِّجَالِ إِلَّا بِالْمَالِ وَلَا  
 سَبِيلَ إِلَى الْمَالِ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَلَا سَبِيلَ لِلْعِمَارَةِ إِلَّا بِالْعَدْلِ وَالْعَدْلُ الْمِيزَانُ الْمَنْصُوبُ  
 بَيْنَ الْخَلِيقَةِ نَصَبَهُ الرَّبُّ وَجَعَلَ لَهُ قِيَمًا وَهُوَ الْمَلِكُ وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ عَمَدَتِي إِلَى الضِّيَاعِ  
 فَأَنْزَعْتَهَا مِنْ أَرْبَابِهَا وَعِمَارَتِهَا وَهُمْ أَرْبَابُ الْخُرَاجِ وَمَنْ تَوَخَّذَ مِنْهُمْ الْأَمْوَالُ وَأَقْطَعْتَهَا  
 الْحَاشِيَةَ وَالْخُدْمَ وَأَهْلَ الْبِطَالَةِ فَتَرَكُوا الْعِمَارَةَ وَالنَّظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ وَمَا يَصْلُحُ الضِّيَاعِ  
 وَسُوحُوا فِي الْخُرَاجِ لِقُرْبِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ وَوَقَعَ الْخَيْفُ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْ أَرْبَابِ الْخُرَاجِ وَعِمَارِ  
 الضِّيَاعِ فَأَنْجَلُوا عَنْ ضِيَاعِهِمْ وَخَلَّوْا دِيَارَهُمْ وَأَوَّوْا إِلَى مَا تَعَدَّرَ مِنَ الضِّيَاعِ فَسَكَنُوهَا  
 فَقَلَّتِ الْعِمَارَةُ وَخَرِبَتِ الضِّيَاعُ وَقَلَّتِ الْأَمْوَالُ وَهَلَكَتِ الْجُنُودُ وَالرَّعِيَّةُ وَطَمَعَ فِي  
 مَلِكِ فَارِسَ مَنْ جَاوَرَهُمْ مِنَ الْمُلُوكِ لِعِلْمِهِمْ بِانْقِطَاعِ الْمَوَادِّ الَّتِي لَا تَسْتَقِيمُ دَعَائِمُ  
 الْمَلِكِ إِلَّا بِهَا فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ ذَلِكَ أَقْبَلَ عَلَى النَّظَرِ فِي مَلِكِهِ وَأَنْزَعَتِ الضِّيَاعُ مِنْ  
 أَيْدِي الْخَاصَّةِ وَرَدَّتْ عَلَى أَرْبَابِهَا وَحَمَلُوا عَلَى رُسُومِهِمْ السَّالِفَةَ وَأَخَذُوا فِي الْعِمَارَةِ وَقَوِيَ

مِنْ ضَعْفِ مِنْهُمْ فَعَمَّرَتِ الْأَرْضُ وَأَخْصَبَتِ الْبِلَادُ وَكَثُرَتِ الْأَمْوَالُ عِنْدَ جُبَاةِ الْخُرَابِ  
 وَقَوِيَتِ الْجُنُودُ وَقُطِعَتِ مَوَادُّ الْأَعْدَاءِ وَشَبِحَتِ الثُّغُورُ وَأَقْبَلَ الْمَلِكُ عَلَى مَبَاشَرَةِ أُمُورِهِ  
 بِنَفْسِهِ فَحَسُنَتْ أَيَّامُهُ وَانْتَهَزَ مَلِكُهُ فَتَفَهَّمُوا مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ أَنَّ الظُّلْمَ مَخْرِبٌ لِلْعُمُرَانِ  
 وَأَنَّ عَائِدَةَ الْخُرَابِ فِي الْعُمُرَانِ عَلَى الدَّوْلَةِ بِالْفَسَادِ وَالْإِنْتِقَاضِ وَلَا تَنْظُرُ فِي ذَلِكَ إِلَى  
 أَنَّ الْأَعْتِدَاءَ قَدْ يُوجَدُ بِالْأَمْصَارِ الْعَظِيمَةِ مِنَ الدُّوَلِ الَّتِي بِهَا وَلَمْ يَقَعْ فِيهَا خُرَابٌ وَأَعْلَمُ  
 أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قَبْلِ الْمُنَاسَبَةِ بَيْنَ الْأَعْتِدَاءِ وَأَحْوَالِ أَهْلِ الْمِصْرِ فَلَمَّا كَانَ  
 الْمِصْرُ كَبِيرًا وَعُمُرَانُهُ كَثِيرًا وَأَوْحَالُهُ مُتَّسِعَةً بِمَا لَا يَنْحَصِرُ كَانَ وَقُوعُ النَّقْصِ فِيهِ بِالْأَعْتِدَاءِ  
 وَالظُّلْمِ يَسِيرًا لِأَنَّ النَّقْصَ إِنَّمَا يَقَعُ بِالتَّدْرِيجِ فَإِذَا خَفِيَ بِكَثْرَةِ الْأَحْوَالِ وَاتَّسَعَ  
 الْأَعْمَالُ فِي الْمِصْرِ لَمْ يَظْهَرَ أَثَرُهُ إِلَّا بَعْدَ حِينٍ وَقَدْ تَذَهَبُ تِلْكَ الدَّوْلَةُ الْمُعْتَدِيَةُ مِنْ  
 أَصْلِهَا قَبْلَ خُرَابِ الْمِصْرِ وَتَجِيءُ الدَّوْلَةُ الْأُخْرَى فَيَنْقَعُ بِجِدَّتِهَا وَتَجْبُرُ النَّقْصَ الَّذِي كَانَ  
 خَفِيًّا فِيهِ فَلَا يَكَادُ يُشْعَرُ بِهِ إِلَّا أَنْ ذَلِكَ فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَالْمُرَادُ مِنْ هَذَا أَنْ حُصُولَ  
 النَّقْصِ فِي الْعُمُرَانِ عَنِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ أَمْرٌ وَقِيعٌ لَا يَدُّ مِنْهُ لِمَا قَدَّمَاهُ وَوَبَّالَهُ عَائِدَةُ عَلَى  
 الدُّوَلِ وَلَا تَحْسَبَنَّ الظُّلْمَ إِنَّمَا هُوَ أَخْذُ الْمَالِ أَوْ الْمَلِكِ مِنْ يَدِ مَالِكِهِ مِنْ غَيْرِ عَوْضٍ  
 وَلَا سَبَبٍ كَمَا هُوَ الْمَشْهُورُ بِأَنَّ الظُّلْمَ أَعْمٌ مِنْ ذَلِكَ وَكُلُّ مَنْ أَخَذَ مَلِكًا أَحَدًا أَوْ عَصْبَةً  
 فِي عَمَلِهِ أَوْ طَالِبَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ فَرَضَ عَلَيْهِ حَقًّا لَمْ يَفْرِضْهُ الشَّرْعُ فَقَدْ ظَلَمَهُ فَجُبَاةُ  
 الْأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقِّهَا ظَلْمَةٌ وَالْمُعْتَدُونَ عَلَيْهَا ظَلَمَةٌ وَالْمُتَمَتِّهِونَ لَهَا ظَلْمَةٌ وَالْمَانِعُونَ  
 لِحُقُوقِ النَّاسِ ظَلَمَةٌ وَخِصَابُ الْأَمْوَالِ عَلَى الْعُمُومِ ظَلْمَةٌ وَوَبَّالُ ذَلِكَ كَلِمَةُ عَائِدَةُ عَلَى الدَّوْلَةِ  
 بِخُرَابِ الْعُمُرَانِ الَّذِي هُوَ مَادَّتُهَا لِإِذْهَابِهِ الْأَمْوَالِ مِنْ أَهْلِهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الْحِكْمَةُ  
 الْمَقْصُودَةُ لِلشَّارِعِ فِي تَحْرِيمِ الظُّلْمِ وَهُوَ مَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنْ فِسَادِ الْعُمُرَانِ وَخُرَابِهِ وَذَلِكَ  
 مُؤَدِّنٌ بِانْقِطَاعِ النَّوْعِ الْبَشَرِيِّ وَهِيَ الْحِكْمَةُ الْعَامَّةُ الْمُرَاعِيَةُ لِلشَّرْعِ فِي جَمِيعِ  
 مَقَاصِدِهِ الصَّرُورِيَّةِ الْخَمْسَةِ مِنْ حِظِّ الدِّينِ وَالنَّفْسِ وَالْعَقْلِ وَالنَّسْلِ وَالْمَالِ فَلَمَّا كَانَ  
 الظُّلْمُ كَمَا رَأَيْتَ مُؤَدِّنًا بِانْقِطَاعِ النَّوْعِ لِمَا آدَى إِلَيْهِ مِنْ تَخْرِيْبِ الْعُمُرَانِ كَانَتْ  
 حِكْمَةُ الْخَطَرِ فِيهِ مُوجِبَةً فَكَانَ تَخْرِيْمُهُ مِنْهَا وَأَدْلَتُهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ كَثِيرَةٌ أَكْثَرَ  
 مِنْ أَنْ يَأْخُذَهَا قَانُونُ الضَّبْطِ وَالْحَضْرِ وَلَوْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ قَادِرًا عَلَى الظُّلْمِ لَوَضِعَ بِإِزَائِهِ  
 مِنَ الْعُقُوبَاتِ الزَّاجِرَةِ مَا وَضِعَ بِإِزَائِهِ غَيْرُهُ مِنَ الْمُفْسِدَاتِ لِلنَّوْعِ الَّتِي يَقْدِرُ كُلُّ أَحَدٍ عَلَى

أَقْتَرَاهَا مِنَ الزَّنا وَالْقَتْلِ وَالسُّكْرِ إِلَّا أَنَّ الظُّلْمَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَقْدِرُ عَلَيْهِ لِأَنَّهُ  
إِنَّمَا يَقَعُ مِنْ أَهْلِ الْقُدْرَةِ وَالسُّلْطَانِ فَيُؤَلِّغُ فِي ذِمَّةِ وَتَكْرِيرِ الْوَعِيدِ فِيهِ عَسَى أَنْ يَكُونَ  
أَوْازِعُ فِيهِ لِلْقَادِرِ عَلَيْهِ فِي نَفْسِهِ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ . وَلَا نَقُولُ أَنَّ الْعُقُوبَةَ قَدِ وُضِعَتْ  
بِإِزَاءِ الْحِرَابَةِ فِي الشَّرْعِ وَهِيَ مِنْ ظُلْمِ الْقَادِرِ لِأَنَّ الْحَرْبَ زَمَنَ حِرَابَتِهِ قَادِرٌ فَإِنَّ فِي  
الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ طَرِيقَيْنِ . أَحَدُهُمَا أَنْ تَقُولَ الْعُقُوبَةُ عَلَى مَا يَقْتَرِفُهُ مِنَ الْحِنَايَاتِ فِي نَفْسِ  
أَمْوَالِ عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ وَذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَالْمُطَالَبَةَ بِجِنَايَتِهِ  
وَأَمَّا نَفْسُ الْحِرَابَةِ فِيهِ خُلُوفٌ مِنَ الْعُقُوبَةِ . الطَّرِيقُ الثَّانِي أَنْ تَقُولَ الْحَرْبُ لَا يُوَصَفُ  
بِالْقُدْرَةِ لِأَنَّهَا إِنَّمَا تَعْنِي بِقُدْرَةِ الظَّالِمِ الْيَدِ الْمَبْسُوطَةِ الَّتِي لَا تَعَارِضُهَا قُدْرَةٌ فِيهِ الْمُؤَذِّنُ  
بِالْحَرْبِ وَأَمَّا قُدْرَةُ الْحَرْبِ فَإِنَّمَا هِيَ إِخَافَةٌ يَجْعَلُهَا ذَرِيعَةً لِإِخْذِ الْأَمْوَالِ وَالْمُدَافَعَةَ  
عَنْهَا بِيَدِ الْكُلِّ مَوْجُودَةٌ شَرْعًا وَسِيَاسَةً فَلَيْسَتْ مِنَ الْقَدْرِ الْمُؤَذِّنِ بِالْحَرْبِ وَاللَّهُ  
قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ . وَمِنْ أَشَدِّ الظُّلْمَاتِ وَأَعْظَمِهَا فِي إِفْسَادِ الْعُمَرَانِ تَكْلِيفُ الْأَعْمَالِ  
وَتَسْخِيرُ الرَّعَايَا بِغَيْرِ حَقٍّ وَذَلِكَ أَنَّ الْأَعْمَالَ مِنْ قَبْلِ الْمُتَمَمَّلاتِ كَمَا سَبَّيْنَا فِي  
بَابِ الرِّزْقِ لِأَنَّ الرِّزْقَ وَالْكَسْبَ إِنَّمَا هُوَ قِيمَةُ أَعْمَالِ أَهْلِ الْعُمَرَانِ فَإِذَا مَسَّاعِيهِمْ  
وَأَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا مُتَمَمَّلاتٌ وَمَكَّاسِبٌ لَهُمْ بَلْ لَا مَكَّاسِبَ لَهُمْ سِوَاهَا فَإِنَّ الرِّعِيَّةَ  
الْمُعْتَمِلِينَ فِي الْعِمَارَةِ إِنَّمَا مَعَاشُهُمْ وَمَكَّاسِبُهُمْ مِنْ أَعْتِمَالِهِمْ ذَلِكَ فَإِذَا كَلَّفُوا الْعَمَلَ  
فِي غَيْرِ شَأْنِهِمْ وَاتَّخَذُوا سِخْرِيًّا فِي مَعَاشِهِمْ بَطَلَ كَسْبُهُمْ وَأَغْتَصَبُوا قِيمَةَ عَمَلِهِمْ ذَلِكَ  
وَهُوَ مُتَمَمَّ لَهُمْ فَدَخَلَ عَلَيْهِمُ الضَّرَرُ وَذَهَبَ لَهُمْ حِظٌّ كَبِيرٌ مِنْ مَعَاشِهِمْ بَلْ هُوَ مَعَاشُهُمْ  
بِالْجُمْلَةِ وَإِنْ تَكَرَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ أَفْسَدَ أَمْوَالَهُمْ فِي الْعِمَارَةِ وَقَعَدُوا عَنِ السَّعْيِ فِيهَا  
جُمْلَةً فَأَدَّى ذَلِكَ إِلَى انْتِقَاضِ الْعُمَرَانِ وَتَغْرِيْبِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ  
وَأَعْظَمُ مَنْ ذَلِكَ فِي الظُّلْمِ وَإِفْسَادِ الْعُمَرَانِ وَالِدَوْلَةَ التَّسَلُّطِ عَلَى أَمْوَالِ النَّاسِ  
بِشْرَاءٍ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ بِأَبْخَسِ الْأَثْمَانِ ثُمَّ فَرَضَ البُضَائِعَ عَلَيْهِمْ بِأَرْزَاقِ الْأَثْمَانِ عَلَى  
وَجْهِ الغَضَبِ وَالْإِكْرَاهِ فِي الشَّرَاءِ وَالبَيْعِ وَرُبَّمَا تُفَرِّضُ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الْأَثْمَانَ عَلَى  
التَّوَّاحِي وَالتَّعْجِيلِ فَيَتَعَلَّلُونَ فِي تِلْكَ الْخِسَارَةِ الَّتِي تَلْحَقُهُمْ بِمَا تُحَدِّثُهُمُ الدُّعَامِعُ مِنْ جَبْرِ  
ذَلِكَ بِحَوْلَةِ الْأَسْوَاقِ فِي تِلْكَ البُضَائِعِ الَّتِي فَرَضَتْ عَلَيْهِمْ بِالْغَلَاءِ إِلَى بَيْعِهَا بِأَبْخَسِ  
الْأَثْمَانِ وَتَعُودُ خِسَارَةٌ مَا بَيْنَ الصَّنَفَتَيْنِ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِهِمْ وَقَدْ يَعْمُ ذَلِكَ أَصْنَافُ

التجّار المقيمين بالمدينة والواردين من الأفاق في البضائع وسائر السوقة وأهل  
الدكاكين في المأكيل والفواكه وأهل الصنائع فيما يتخذ من الآلات والمواعين  
فتشمل الخسارة سائر الأصناف والطبقات وأموالي على الساعات وتُجحف برؤوس  
الأموال ولا يجدون عنها وليجئة إلا القعود عن الأسواق لذهاب رؤوس الأموال في  
جبرها بالأرباح ويتناقل الواردون من الأفاق لشراء البضائع ويبيعها من أجل ذلك  
فتكسد الأسواق ويبطل معاش الرعايا لأن عامته من البيع والشراء وإذا كانت  
الأسواق عطلاً منها بطل معاشهم وتنقص جباية السلطان أو تفسد لأن معظمها من  
أوسط الدولة وما بعدها إنما هو من المكوس على البياعات كما قدمناه ويؤول ذلك  
إلى تلاشي الدولة وفساد عمران المدينة ويتطرق هذا الخلل على الدرهم ولا يشعر  
به هذا ما كان بأمثال هذه الذرائع والأسباب إلى أخذ الأموال وأما أخذها مجازاً  
والعدوان على الناس في أموالهم وحرمانهم ودمائهم وأسرارهم وأعراضهم فهو يفضي  
إلى الخلل والفساد دفعةً وتنقض الدولة سريعاً بما ينشأ عنه من الهرج المفضي إلى  
الانتقاض ومن أجل هذه المفاسد حظر الشرع ذلك كله وشرع المكايسة في  
البيع والشراء وحظر أكل أموال الناس بالباطل سداً لأبواب المفاسد المفضية إلى  
انتقاض العمران بالهرج أو بطلان المعاش وأعلم أن الداعي لذلك كله إنما هو  
حاجة الدولة والسلطان إلى الإكثار من المال بما يعرض لهم من الترف في الأحوال  
فمكثر نفقاتهم ويعظم الخرج ولا يفي به الدخل على القوانين المعتادة يستحدثون  
القاباً ووجوهاً يوسعون بها الجباية ليفي لهم الدخل بالخرج ثم لا يزال الترف يزيد  
والخرج يسببه يكثر والحاجة إلى أموال الناس تشتد ونطاق الدولة بذلك يزيد  
إلى أن تحمي دائرتها ويذهب برسمها ويغلبها طلبها والله أعلم

### الفصل الرابع والاربعون

في ان الحجاب كيف يقع في الدول وفي انه يعظم عند الهرم  
إعلم أن الدولة في أول أمرها تكون بعيدة عن منازع الملك كما قدمناه  
لأنه لا بد لها من العصية التي بها يتم أمرها ويحصل استيلائها والبدوة هي شعار  
العصية والدولة إن كان قيامها بالدين فإنه بعيد عن منازع الملك وإن كان قيامها

بِعِزِّ الْعَلْبِ فَقَطَّ فَالْبِدَاوَةُ الَّتِي بِهَا يَحْصُلُ الْعَلْبُ بَعِيدَةٌ أَيْضًا عَنْ مَنَارِعِ الْمَلِكِ وَمَذَاهِبِهِ  
 فَإِذَا كَانَتْ الدَّوْلَةُ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا بَدْوِيَّةً كَانَتْ صَاحِبِهَا عَلَى حَالِ الْغَضَاظَةِ وَالْبِدَاوَةِ  
 وَالْقُرْبِ مِنَ النَّاسِ وَسُهولةِ الْإِذْنِ فَإِذَا رَسَخَ عِزُّهُ وَصَارَ إِلَى الْإِنْفِرَادِ بِنَفْسِهِ عَنِ  
 النَّاسِ لِلْحَدِيثِ مَعَ أَوْلِيَائِهِ فِي خَوَاصِّ شُرُونِهِ لِمَا يَكْثُرُ حَيْثُئِذٍ بِحَاشِيَتِهِ فَيَطْلُبُ  
 الْإِنْفِرَادَ مِنَ الْعَامَّةِ مَا اسْتَطَاعَ وَيَتَّخِذُ الْإِذْنَ بِبَابِهِ عَلَى مَنْ لَا يَأْمَنُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَهْلِ  
 دَوْلَتِهِ وَيَتَّخِذُ حَاجِبًا لَهُ عَنِ النَّاسِ يَقِيمُهُ بِبَابِهِ لِهَيْدِهِ الْوُظَيْفَةَ ثُمَّ إِذَا اسْتَفْجَلَ الْمَلِكُ  
 وَجَاءَتْ مَذَاهِبُهُ وَمَنَارِعُهُ اسْتَحْتَأَتْ أَخْلَاقَ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ إِلَى أَخْلَاقِ الْمَلِكِ وَهِيَ أَخْلَاقُ  
 غَرِيبَةٍ مُخْصُوصَةٍ يَحْتَاجُ مَبَاشَرَتَهَا إِلَى مُدَارَاتِهَا وَمَعَامَلَتِهَا بِمَا يَجِبُ لَهَا وَرُبَّمَا جَهَلَ تِلْكَ  
 الْأَخْلَاقَ مِنْهُمْ بَعْضٌ مَنْ يَبَاشِرُهُمْ فَوْقَ فِعْمَا لَا يَرْضِيهِمْ فَسَيَخْطُؤُوا وَصَارُوا إِلَى حَالَةِ الْإِنْتِقَامِ  
 مِنْهُ فَانْفَرَدَ بِمَعْرِفَةِ هَذِهِ الْأَدَابِ الْخَوَاصِّ مِنْ أَوْلِيَائِهِمْ وَحَبَّبُوا غَيْرَ أَوْلِيكَ الْخَاصَّةِ  
 عَنِ لِقَائِهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَفِظًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَعَانِيَةِ مَا يُسْخِطُهُمْ عَلَى النَّاسِ مِنَ  
 التَّعَرُّضِ لِعِقَابِهِمْ فَصَارَ لَهُمْ حِجَابٌ آخَرَ أَخْصَّ مِنَ الْحِجَابِ الْأَوَّلِ يُفْضِي إِلَيْهِمْ مِنْهُ  
 خَوَاصُّهُمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَيُحْجَبُ دُونَهُ مِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْحِجَابُ الثَّانِي يُفْضِي إِلَى  
 مَجَالِسِ الْأَوْلِيَاءِ وَيُحْجَبُ دُونَهُ مِنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَامَّةِ وَالْحِجَابُ الْأَوَّلُ يَكُونُ فِي أَوَّلِ  
 الدَّوْلَةِ كَمَا ذَكَرْنَا كَمَا حَدَّثَ لِأَيَّامِ مُعَاوِيَةَ وَعَبْدِ الْمَلِكِ وَخُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ وَكَانَ  
 الْقَائِمُ عَلَى ذَلِكَ الْحِجَابِ يُسَمَّى عِنْدَهُمُ الْحَاجِبَ جَرَبًا عَلَى مَذَهَبِ الْإِسْتِشْقِاقِ الصَّحِيحِ  
 ثُمَّ لَمَّا جَاءَتْ دَوْلَةُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَجَدَتْ الدَّوْلَةَ مِنَ التَّرَفِ وَالْعِزِّ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ  
 وَكَمَلَتْ خُلُقُ الْمَلِكِ عَلَى مَا يَجِبُ فِيهَا فَدَعَا ذَلِكَ إِلَى الْحِجَابِ الثَّانِي وَصَارَ اسْمُ الْحَاجِبِ  
 أَخْصَّ بِهِ وَصَارَ بِبَابِ الْخُلَفَاءِ دَارَانَ لِلْعَبَّاسِيَّةِ دَارَ الْخَاصَّةِ وَدَارَ الْعَامَّةِ كَمَا هُوَ مَسْطُورٌ  
 فِي أَخْبَارِهِمْ ثُمَّ حَدَّثَ فِي الدُّوَلِ حِجَابٌ ثَالِثٌ أَخْصَّ مِنَ الْأَوَّلَيْنِ وَهُوَ عِنْدَ مُحَاوَلَةِ الْحِجْرِ  
 عَلَى صَاحِبِ الدَّوْلَةِ وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ الدَّوْلَةِ وَخَوَاصَّ الْمَلِكِ إِذَا نَصَبُوا الْإِنْتَاءَ مِنَ الْأَعْقَابِ  
 وَحَاوَلُوا الْإِسْتِبْدَادَ عَلَيْهِمْ فَأَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ ذَلِكَ الْمُسْتَبْدَأُ أَنْ يَحْجَبَ عَنْهُ بِطَانَةَ ابْنِهِ  
 وَخَوَاصَّ أَوْلِيَائِهِ يَوْمَهُ أَنْ فِي مَبَاشَرَتِهِمْ إِيَّاهُ خَرَقَ حِجَابَ الْهَيْبَةِ وَفَسَادَ قَانُونِ الْأَدَبِ  
 لِيَقْطَعَ بِذَلِكَ لِقَاءَ الْغَيْرِ وَيَعُودَهُ مَلَاسَةً أَخْلَاقِهِ هُوَ حَتَّى لَا يَتَبَدَّلَ بِهِ سِوَاهُ إِلَى أَنْ  
 يَسْتَحْكِمَ الْإِسْتِبْدَادَ عَلَيْهِ فَيَكُونُ هَذَا الْحِجَابُ مِنْ دَوَاعِيهِ وَهَذَا الْحِجَابُ لَا يَقَعُ فِي

الغالب إلا وأخر الدولة كما قدمناه في الحجر ويكون دليلاً على هرم الدولة ونفاد قوتها وهو مما يخشاه أهل الدول على أنفسهم لأن القائمين بالدولة يحاولون على ذلك بطباعهم عند هرم الدولة وذهاب الاستبداد من أعقاب ملوكهم إما ركب في النفوس من محبة الاستبداد بالملك وخصوصاً مع الترشيح لذلك وحصول دواعيه ومبادئه

### الفصل الخامس والاربعون

في انقسام الدولة الواحدة بدولتين

اعلم أن أول ما يقع من آثار الهرم في الدولة انقسامها وذلك أن الملك عندما يستفحل ويبلغ من أحوال الترف والنعيم إلى غايتها ويستبد صاحب الدولة بالمجد ويفرد به ويأنف حينئذ عن المشاركة ويصير إلى قطع أسبابها ما استطاع بإهلاك من استراب به من ذوي قرابته المرشحين لمنصبه فربما ارتاب المساهمون له في ذلك بأنفسهم وتزعوا إلى القاصية إليهم من يلحق بهم مثل حالهم من الاعتزاز والاسترابة ويكون نطاق الدولة قد أخذ في التضايق ورجع عن القاصية فيستبد ذلك النازع من القرابة فيها ولا يزال أمره يعظم بتراجع نطاق الدولة حتى يقاسم الدولة أو يكاد وأنظر ذلك في الدولة الإسلامية العربية حين كان أمرها حزيناً مجتمعاً ونطاقاً ممتداً في الاتساع وعصية بني عبد مناف واحدة غالبة على سائر مضر فلم ينقض عرق من الخلافة سائر أيامه إلا ما كان من بدعة الخوارج المستميتين في شأن بدعتهم لم يكن ذلك لنزعة ملك ولا رئاسة ولم يتم أمرهم لوزاحمتهم العصية القوية ثم لما خرج الأبر من بني أمية واستقل بنو العباس بالأمر وكانت الدولة العربية قد بلغت الغاية من الغلب والترف واذنت بالقاص من عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس قاصية دولة الإسلام فاستحدثت بها ملكاً واقطعها عن دولتهم وصير الدولة دولتين ثم نزع ادريس إلى المغرب وخرج به وقام بأمره وأمر ابنه من بعده البربرية من أوربة ومغيلة وزناتة واستولى على ناحية المغربين ثم ازدادت الدولة نقلاً فاضطرب الأغالمة في الامتناع عليهم ثم خرج الشيعة وقام بأمرهم كتابمة وصنهاجة واستولوا على أفر بقة والمغرب ثم مصر والشام والحجاز وغلبوا على الأدارسة وقسموا الدولة دولتين أخريين وصارت الدولة العربية ثلاث دول دولة بني العباس

مَرَكَزَ الْعَرَبِ وَأَصْلَهُمْ وَمَادَتُهُمُ الْإِسْلَامُ وَدَوْلَةُ بَنِي أُمَيَّةَ الْمُجَدِّدِينَ بِالْأَنْدَلُسِ  
 مَلِكُهُمُ الْقَدِيمُ وَخِلَافَتُهُمْ بِالْمَشْرِقِ وَدَوْلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ بِأَفْرِيقِيَّةَ وَمِصْرَ وَالشَّامَ وَالْحِجَازَ  
 وَأَمَّ تَزَلْ هَذِهِ الدَّوْلَةُ إِلَى أَنْ أَصْبَحَ أَنْقِرَاضُهَا مُتَقَارِبًا أَوْ جَمِيعًا وَكَذَلِكَ انْتَسَمَتِ دَوْلَةُ  
 بَنِي الْعَبَّاسِ بِدَوْلِ أُخْرَى وَكَانَ بِالْقَاصِيَةِ بَنُو سَاسَانَ فِيمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَخُرَّاسَانَ وَالْعُلُوبِيَّةَ  
 فِي الدِّيَلَمِ وَطَبْرِسْتَانَ وَالْزَلَّ إِلَى أَسْتِيْلَاءِ الدِّيَلَمِ عَلَى الْعِرَاقِينَ وَعَلَى بَغْدَادَ وَالْخُلَفَاءَ  
 ثُمَّ جَاءَ السُّجُوفِيَّةُ فَمَلَكَوا جَمِيعَ ذَلِكَ ثُمَّ انْتَسَمَتِ دَوْلَتُهُمْ أَيْضًا بَعْدَ الْإِسْتِفْحَالِ كَمَا  
 هُوَ مَعْرُوفٌ فِي أَخْبَارِهِمْ وَكَذَلِكَ أَعْتَبِرُهُ فِي دَوْلَةِ صَنْهَاجَةَ بِالْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةَ لَمَّا بَلَغَتْ  
 إِلَى غَايَتِهَا أَيَّامَ بَادِيَسِ بْنِ الْمَنْصُورِ خَرَجَ عَلَيْهِ عَمَّهُ حَمَادٌ وَأَقْطَعَ مَا لِكَ الْعَرَبِ لِنَفْسِهِ  
 مَا بَيْنَ جَبَلِ أُورَسَانَ إِلَى تَلْمَسَانَ وَمَلُوكِيَّةَ وَأَخْتَطَّ الْقَلْعَةَ بِجَبَلِ كِتَامَةَ حِيَالَ الْمَسِيلَةِ وَتَزَلَّهَا  
 وَأَسْتَوْلَى عَلَى مَرَكَزِهِمْ أَشِيرَ مِجْبَلِ تِيطَرِي وَأَسْتَحْدَثَ مَلِكًا آخَرَ قَسِيمًا لِمَلِكِ آلِ بَادِيَسِ  
 وَبَقِيَ آلُ بَادِيَسِ بِالْقَيْرَوَانَ وَمَا إِلَيْهَا وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ أَنْقَرَضَ أَمْرُهَا جَمِيعًا وَكَذَلِكَ  
 دَوْلَةُ الْمُوحِدِينَ لَمَّا تَقَلَّصَ ظَهْرُهَا نَارَ بِأَفْرِيقِيَّةَ بَنُو أَبِي حَنْصِ فَاسْتَقْلَوْهَا وَأَسْتَحْدَثُوا  
 مَلِكًا لِأَعْقَابِهِمْ بَنُو أَحْيَاهَا ثُمَّ لَمَّا اسْتَفْحَلَ أَمْرُهُمْ وَأَسْتَوْلَى عَلَى الْغَايَةِ خَرَجَ عَلَى الْمَلِكِ  
 الْعَرَبِيَّةَ مِنْ أَعْقَابِهِمُ الْأَمِيرُ أَبُو زَكْرِيَاءَ يَحْيَى ابْنُ السُّلْطَانِ أَبِي اسْمَحَ إِبْرَاهِيمَ رَابِعَ خُلَفَائِهِمْ  
 وَأَسْتَحْدَثَ مَلِكًا بِجَبَايَةَ وَقَسَنْطِينَةَ وَمَا إِلَيْهَا أَوْرَثَهُ بَنِيهِ وَقَسَمُوا بِهِ الدَّوْلَةَ قَسْمَيْنِ  
 ثُمَّ اسْتَوْلُوا عَلَى كُرْسِيِّ الْخَضِرِيِّينَ ثُمَّ انْتَسَمَ الْمَلِكُ مَا بَيْنَ أَعْقَابِهِمْ ثُمَّ عَادَ الْأَسْتِيْلَاءُ  
 فِيهِمْ وَقَدْ بَتَّهِيَ الْإِنْتِقَامُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ دَوْلَتَيْنِ وَثَلَاثَ فِي غَيْرِ أَعْيَاصِ الْمَلِكِ مِنْ قَوْمِهِ  
 كَمَا وَقَعَ فِي مَلُوكِ الطَّوَائِفِ بِالْأَنْدَلُسِ وَمَلُوكِ الْعَجَمِ بِالْمَشْرِقِ وَفِي مَلِكِ صَنْهَاجَةَ بِأَفْرِيقِيَّةَ  
 فَقَدْ كَانَ لِآخِرِ دَوْلَتِهِمْ فِي كُلِّ حِصْنٍ مِنْ حِصُونِ أَفْرِيقِيَّةَ نَائِرٌ مُسْتَقِلٌّ بِأَمْرِهِ كَمَا تَقَدَّمَ  
 ذِكْرُهُ وَكَذَا حَالَ الْجُرَيْدِ وَالزُّبَابِ مِنْ أَفْرِيقِيَّةَ قَبِيلَ هَذَا الْعَهْدِ كَمَا نَدَّ كَرُهُ وَهَكَذَا شَأْنُ  
 كُلِّ دَوْلَةٍ لِأَبَدٍ وَأَنْ يَعْزُضَ فِيهَا عَوَارِضُ الْهَرَمِ بِالْتَرَفِ وَاللَّعَّةِ وَتَقْلُضُ ظِلَّ الْعَلَبِ فَيَنْقَسِمُ  
 أَعْيَاصُهَا وَمَنْ يَغْلِبُ مِنْ رِجَالِ دَوْلَتِهَا لِأَمْرٍ وَيَتَعَدَّدُ فِيهَا الدُّوَلُ وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا

### الفصل السادس والاربعون

في ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع

قد قدمنا ذكر العوارض المؤذنة بالهرم وأسبابه واحداً بعد واحد وبيناً أنها

تَحَدَّثُ لِلدَّوْلَةِ بِالطَّبَعِ وَأَنَّهَا كَلَّمَهَا أُمُورٌ طَبِيعِيَّةٌ لَهَا وَإِذَا كَانَ الْهَرَمُ طَبِيعِيًّا فِي الدَّوْلَةِ  
كَانَ حَدُوثُهُ بِمِثَابَةِ حَدُوثِ الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ كَمَا يَحْدُثُ الْهَرَمُ فِي الْمِرْجَاحِ الْحَيَوَانِيِّ  
وَالْهَرَمُ مِنَ الْأَبْرَاضِ الْمَزْمَنَةِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ دَوَائُهَا وَلَا زَنْفَاعُهَا بَلَّا أَنَّهُ طَبِيعِيٌّ وَالْأُمُورُ  
الطَّبِيعِيَّةُ لَا تَبْدَلُ وَقَدْ يَنْبَغُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلِ مِنْ لَهْ بِقِظَّةٍ فِي السِّيَاسَةِ فَيَرَى مَا  
نَزَلَ بِدَوْلَتِهِمْ مِنْ عَوَارِضِ الْهَرَمِ وَيُظَنُّ أَنَّهُ مُمَكِّنُ الِازْتِفَاعِ فَيَأْخُذُ نَفْسَهُ بِتَلَا فِي الدَّوْلَةِ  
وَإِصْلَاحِ مِرَاجِحِهَا عَنْ ذَلِكَ الْهَرَمِ وَيَحْسِبُهُ أَنَّهُ لِحَقِّهَا بِتَقْصِيرٍ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ  
وَعَفْلَتِهِمْ وَيَسْئَلُ كَذَلِكَ فَإِنَّهَا أُمُورٌ طَبِيعِيَّةٌ لِلدَّوْلَةِ وَالْعَوَائِدُ هِيَ الْمَانِعَةُ لَهُ مِنْ تَلَا فِيهَا  
وَالْعَوَائِدُ مَنَزَلَةٌ طَبِيعِيَّةٌ أُخْرَى فَإِنَّ مِنْ أَدْرَكَ مِثْلًا أَبَاهُ وَأَكْثَرَ أَهْلَ بَيْتِهِ يَلْبَسُونَ  
الْحَرِيرَ وَالذَّبِيحَ وَيَتَحَلَّوْنَ بِالذَّهَبِ فِي السَّلَاحِ وَالْمَرَكَبِ وَيَحْتَجِبُونَ عَنِ النَّاسِ فِي  
الْمَجَالِسِ وَالصَّلَوَاتِ فَلَا يُمْكِنُهُ مُخَالَفَةُ سَلَفِهِ فِي ذَلِكَ إِلَى الْخُشُونَةِ فِي اللَّبَاسِ وَالزِّيِّ  
وَالْإِخْتِلَاطِ بِالنَّاسِ إِذِ الْعَوَائِدُ حِينَئِذٍ تَمْنَعُهُ وَتُقْبِحُ عَلَيْهِ رُتْبَتَهُ وَلَوْ فَعَلَهُ لَرُمِيَ  
بِالْجُنُونِ وَالْوَسْوَاسِ فِي الْخُرُوجِ عَنِ الْعَوَائِدِ دَفْعَةً وَخُشْيَ عَلَيْهِ عَائِدَةٌ ذَلِكَ وَعَاقِبَتُهُ فِي  
سُلْطَانِهِ وَأَنْظُرْ شَأْنَ الْأَنْبِيَاءِ فِي انْكَارِ الْعَوَائِدِ وَتَخَالُفَتِهَا لَوْلَا الْأَيْدُ الْإِلَهِيَّةُ وَالنَّصْرُ  
السَّمَاوِيُّ وَرُبَّمَا تَكُونُ الْعَصِيَّةُ قَدْ ذَهَبَتْ فَتَكُونُ الْأَبْهَةُ تَعَوُّضٌ عَنْ مَوْفِعِهَا مِنْ  
النَّفُوسِ فَإِذَا أَرَبَتْ تِلْكَ الْأَبْهَةُ مَعَ ضَعْفِ الْعَصِيَّةِ تَجَاسَرَتِ الرَّعَايَا عَلَى الدَّوْلَةِ بِذَهَابِ  
أَوْهَامِ الْأَبْهَةِ فَتَنْدَرِعُ الدَّوْلَةُ بِتِلْكَ الْأَبْهَةِ مَا أَمْكِنَهَا حَتَّى يَنْقُضِيَ الْأَمْرُ وَرُبَّمَا يَحْدُثُ  
عِنْدَ آخِرِ الدَّوْلَةِ قُوَّةٌ تُوهِمُ أَنَّ الْهَرَمَ قَدْ أَرْتَفَعَ عَنْهَا وَيَوْهَضُ ذُبَالُهَا إِيمَاضَةَ الْخُمُودِ  
كَمَا يَقَعُ فِي الذُّبَالِ الْمُسْتَعِيلِ فَإِنَّهُ عِنْدَ مَقَارَبَةِ أَنْطِفَائِهِ يَوْهَضُ إِيمَاضَةَ تُوهُمُ أَنَّهَا اشْتَعَالٌ  
وَهِيَ أَنْطِفَاءٌ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ وَلَا تَعْفَلْ سِرَّ اللَّهِ تَعَالَى وَحِكْمَتَهُ فِي أَجْرَادِ وَجُودِهِ عَلَى مَا  
قَدَّرَ فِيهِ وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ

## الفصل السابع والاربعون

### في كيفية طروق الخلل للدولة

اعْلَمْ أَنَّ مَبْنَى الْمَلِكِ عَلَى أَسَاسِينَ لَا بَدَّ مِنْهُمَا فَالْأَوَّلُ الشُّوْكَ وَالْعَصِيَّةُ وَهُوَ الْمَعْبَرُ عَنْهُ  
بِالْجُنْدِ وَالثَّانِي الْمَالُ الَّذِي هُوَ قِوَامُ أَوْلِيكَ الْجُنْدِ وَإِقَامَةُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمَلِكُ مِنْ  
الْأَحْوَالِ وَالْخُلُقِ إِذَا طَرَقَ الدَّوْلَةَ طَرَقَهَا فِي هُدَيْنِ الْأَسَاسِينَ فَلَنْذَكَرُ أَوْلَى طَرُوقِ

الْخَلَلِ فِي الشُّوْكَةِ وَالْعَصِيَّةِ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى طُرُوقِهِ فِي الْمَالِ وَالْحَبَابَةِ وَأَعْلَمُ أَنَّ تَمْيِيدَ  
 الدَّوْلَةِ وَتَأْسِيسَهَا كَمَا فَلَنَاهُ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعَصِيَّةِ وَأَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ عَصِيَّةٍ كَبْرَى جَامِعَةٍ  
 الْعَصَائِبِ مُسْتَنْبَعَةٍ لَهَا وَهِيَ عَصِيَّةُ صَاحِبِ الدَّوْلَةِ الْخَالِصَةِ مِنْ عَشِيرَةٍ وَقَبِيلَةٍ فَإِذَا جَاءَتِ  
 الدَّوْلَةُ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ مِنَ التَّرَفِ وَجَدَعَ أَنْوْفُ أَهْلِ الْعَصِيَّةِ كَانَ أَوَّلُ مَا يُجْدَعُ أَنْوْفُ  
 عَشِيرَتِهِ وَذَوِي قُرْبَاهُ الْمُقَامِسِينَ لَهُ فِي اسْمِ الْمَلِكِ فَيَسْتَبِدُّ فِي جَدْعِ أَنْوْفِهِمْ بِمَا بَلَغَ  
 مِنْ سَوَادِهِمْ إِمَّاكَانِهِمْ مِنَ الْمَلِكِ وَالْعَزِّ وَالغَلْبِ فَيَحْبِطُ بِهِمْ هَادِمَانِ وَهَمَّا التَّرَفُ وَالْقَهْرُ  
 ثُمَّ بَصِيرُ الْقَهْرِ آخِرًا إِلَى الْقَتْلِ لِمَا يَحْضُلُ مِنْ مَرَضِ قُلُوبِهِمْ عِنْدَ رُسُوحِ الْمَلِكِ لِصَاحِبِ  
 الْأَمْرِ فَيَقْلُبُ غَيْرَتَهُ مِنْهُمْ إِلَى الْخَوْفِ عَلَى مَلِكِهِ فَيَأْخُذُهُمْ بِالْقَتْلِ وَالْإِهَانَةِ وَسَابِ  
 النِّعْمَةِ وَالتَّرَفِ الَّذِي تَعَوَّدُوا الْكَثِيرَ مِنْهُ فَيَهْلِكُونَ وَيَقُولُونَ وَتَفْسُدُ عَصِيَّةُ صَاحِبِ  
 الدَّوْلَةِ مِنْهُمْ وَهِيَ الْعَصِيَّةُ الْكَبْرَى الَّتِي كَانَتْ تُجْمَعُ بِهَا الْعَصَائِبُ وَتَسْتَبَعُهَا فَتَحُلُّ  
 عُرْوَتَهَا وَتَضَعُ شِكَمَتَهَا وَتُسْتَبَدُّ عَنْهَا بِالطَّانَةِ مِنْ مَوَالِي النِّعْمَةِ وَصَنَائِعِ الْإِحْسَانِ  
 وَتَأْخُذُ مِنْهُمْ عَصِيَّةً إِلَّا أَنَّهُمَا لَيْسَتْ مِثْلَ تِلْكَ الشَّدَةِ الشَّكِيمَةِ لِفَقْدَانِ الرَّحْمِ وَالْقَرَابَةِ  
 مِنْهَا وَقَدْ قَدَمْنَا أَنَّ شَأْنَ الْعَصِيَّةِ وَقُوَّتَهَا إِنَّمَا هِيَ بِالْقَرَابَةِ وَالرَّحْمِ لِمَا جَعَلَ اللَّهُ  
 فِي ذَلِكَ فَيَفْرِدُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ عَنِ الْعَشِيرِ وَالْأَنْصَارِ الطَّبِيعِيَّةِ وَيُحْسِنُ بِذَلِكَ أَهْلَ  
 الْعَصَائِبِ الْآخَرَ فَيَتَجَاسَرُونَ عَلَيْهِ وَعَلَى بَطَانَتِهِ تَجَاسَرًا طَبِيعِيًّا فَيَهْلِكُهُمْ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ  
 وَيَتَبِعُهُمْ بِالْقَتْلِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ وَيَقْلُدُ الْآخَرَ مِنْ أَهْلِ الدَّوْلَةِ فِي ذَلِكَ الْأَوَّلِ مَعَ مَا  
 يَكُونُ قَدْ نَزَلَ بِهِمْ مِنْ مَهْلِكَةِ التَّرَفِ الَّذِي قَدَمْنَا فَيَسْتَوِلِي عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْتَّرَفِ  
 وَالْقَتْلُ حَتَّى يَخْرُجُوا عَنْ صِبْغَةِ تِلْكَ الْعَصِيَّةِ وَيَفْشُوا بِعِزَّتِهَا وَتَوَرَّتْهَا وَيَصِيرُوا أَوْجَرَ  
 عَلَى الْحِمَايَةِ وَيَقُولُونَ لِلذَّكَاءِ فَتَقِلُّ الْحِمَايَةُ الَّتِي تَنْزَلُ بِالْأَطْرَافِ وَالتَّغْوِيرُ فَتَتَجَاسَرُ الرَّعَايَا  
 عَلَى بَعْضِ الدَّعْوَةِ فِي الْأَطْرَافِ وَيُبَادِرُ الْخَوَارِجُ عَلَى الدَّوْلَةِ مِنَ الْأَعْيَاصِ وَغَيْرِهِمْ إِلَى  
 تِلْكَ الْأَطْرَافِ لِمَا يَرْجُونَ حَيْثُ مِنْهُمْ حُصُولَ غَرْضِهِمْ بِمَبَايَعَةِ أَهْلِ الْقَاصِيَةِ لَهُمْ  
 وَأَمْنِهِمْ مِنْ وُصُولِ الْحَامِيَةِ إِلَيْهِمْ وَلَا يَزَالُ ذَلِكَ يَتَدَرَّجُ وَنِطَاقُ الدَّوْلَةِ يَتَضَاقُ حَتَّى  
 تَصِيرَ الْخَوَارِجُ فِي أَقْرَبِ الْأَمَاكِنِ إِلَى مَرَكَزِ الدَّوْلَةِ وَرُبَّمَا انْقَسَمَتِ الدَّوْلَةُ عِنْدَ  
 ذَلِكَ بِدَوْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ عَلَى قَدَرِ قُوَّتِهَا فِي الْأَصْلِ كَمَا فَلَنَاهُ وَيَقُومُ بِأَمْرِهَا غَيْرُ أَهْلِ  
 عَصِيَّتِهَا لَكِنِ إِذْ عَانَا لِأَهْلِ عَصِيَّتِهَا وَغَلَبِهِمْ الْمَعْبُودُ وَأَعْتَبَرُ هَذَا فِي دَوْلَةِ الْعَرَبِ فِي

إِلَى سَلَامٍ كَيْفَ أَنْتَهتْ أَوْ لَا إِلَى الْأَنْدَلُسِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَكَانَ أَمْرُ بَنِي أُمَيَّةَ نَافِدًا فِي جَمِيعِ  
 الْعَرَبِ بِعَصِيَّةِ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ حَتَّى أَقْدَمَ أَمْرُ سَلِيمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بِدِمَشْقٍ بِقَتْلِ  
 عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ بِقَرْطَبَةَ فَقَتِلَ وَلَمْ يَرِدْ أَمْرُهُ ثُمَّ تَلَاشَتْ عَصِيَّةُ بَنِي أُمَيَّةَ  
 بِمَا أَصَابَهُمْ مِنَ التَّرَفِ فَأَقْرَضُوا وَجَاءَ بَنُو الْعَبَّاسِ فَعَضُوا مِنْ أَعْنَةِ بَنِي هَاشِمٍ وَقَتَلُوا  
 الطَّالِبِيِّينَ وَشَرَّدُوهُمْ فَأَتَمَّحَتْ عَصِيَّةُ عَبْدِ مَنْفٍ وَتَلَاشَتْ وَتَجَاسَرَ الْعَرَبُ عَلَيْهِمْ فَاسْتَبَدَّ  
 عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْقَاصِيَةِ مِثْلَ بَنِي الْأَغْلَبِ بِأَفْرِيقِيَّةَ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ وَغَيْرِهِمْ وَانْقَسَمَتِ  
 الدَّوْلَةُ ثُمَّ خَرَجَ بَنُو آدْرِيسَ بِالْمَغْرِبِ وَقَامَ الْبَزْبُ بِأَمْرِهِمْ إِذْ عَانَا لِلْعَصِيَّةِ الَّتِي لَهُمْ  
 وَأَمْنًا أَنْ تَصْلَهُمْ مَقَاتَلَةٌ أَوْ حَامِيَةٌ لِلدَّوْلَةِ فَإِذَا خَرَجَ الدُّعَاةُ آخِرًا فَيَتَغَلَّبُونَ عَلَى الْأَطْرَافِ  
 وَالْقَاصِيَةِ وَتَحْصُلُ لَهُمْ هُنَاكَ دَعْوَةٌ وَمَلِكٌ تَنْقَسِمُ بِهِ الدَّوْلَةُ وَرُبَّمَا يَزِيدُ ذَلِكَ مَتَى زَادَتِ  
 الدَّوْلَةُ ثِقَلًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْمَرْكَزِ وَتَضَعُفُ الْبَطَانَةُ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا أَخَذَ مِنْهَا التَّرَفُ  
 فَتَهْلِكُ وَتَضَعُفُ وَتَضَعُفُ الدَّوْلَةُ الْمُنْقَسِمَةُ كُلُّهَا وَرُبَّمَا طَالَ أَمْدُهَا بَعْدَ ذَلِكَ فَتَسْتَعِينِي  
 عَنِ الْعَصِيَّةِ بِمَا حَصَلَ لَهَا مِنَ الصَّبْعَةِ فِي نَفْسِ أَهْلِ إِيَالَتِهَا وَهِيَ صِبْغَةُ الْأَنْقِيَادِ وَالسَّلَامِ  
 مِنْذُ السَّنِينَ الطَّوِيلَةِ الَّتِي لَا يَعْقِلُ أَحَدٌ مِنَ الْأَجْيَالِ مَبْدَأَهَا وَلَا أَوَّلِيَّتَهَا فَلَا يَعْقِلُونَ إِلَّا  
 السَّلَامَ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ فَيَسْتَعِينِي بِذَلِكَ عَنِ قُوَّةِ الْعَصَائِبِ وَبِكُفِّي صَاحِبَهَا بِمَا حَصَلَ  
 لَهَا فِي تَمْهِيدِ أَمْرِهَا الْإِجْرَاءِ عَلَى الْحَامِيَةِ مِنْ جُنْدِيٍّ وَمُرْتَزِقٍ وَبِعَضُدِ ذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي  
 النُّفُوسِ عَامَةً مِنَ السَّلَامِ فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يَتَصَوَّرُ عَصِيانًا أَوْ خُرُوجًا إِلَّا وَالْجُمْهُورُ  
 مُنْكَرُونَ عَلَيْهِ مُخَالِفُونَ لَهُ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى التَّصَدِّي لِلذِّكَ وَلَوْ جَبَدَ جَبْدَهُ وَرُبَّمَا كَانَتْ  
 الدَّوْلَةُ فِي هَذَا الْحَالِ أَسْلَمَ مِنَ الْخَوَارِجِ وَالْمُنَازَعَةِ لِاسْتِحْكَامِ صِبْغَةِ السَّلَامِ وَالْأَنْقِيَادِ  
 لَهُمْ فَلَا تَكَادُ النُّفُوسُ تُحَدِّثُ سِرًّا بِمُخَالَفَةٍ وَلَا يَخْتَلِجُ فِي ضَمِيرِهَا انْفِرَافٌ عَنِ  
 الطَّاعَةِ فَيَكُونُ أَسْلَمَ مِنَ الْهَرْجِ وَالْإِنْتِقَاضِ الَّذِي يَعْدُثُ مِنَ الْعَصَائِبِ وَالْعَشَائِرِ  
 ثُمَّ لَا يَزَالُ أَمْرُ الدَّوْلَةِ كَذَلِكَ وَهِيَ تَتَلَاشَى فِي ذَاتِهَا شَأْنَ الْحَرَارَةِ الْغَرِيزِيَّةِ فِي الْبَدَنِ  
 الْعَادِمِ لِلغِذَاءِ إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى وَقْتِهَا الْمَقْدُورِ وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ وَلِكُلِّ دَوْلَةٍ  
 أَمْدٌ وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . وَأَمَّا الْخُلُقُ الَّذِي يَتَطَرَّقُ مِنْ جِهَةِ  
 الْمَالِ فَاعْلَمْ أَنَّ الدَّوْلَةَ فِي أَوَّلِهَا تَكُونُ بَدْوِيَّةً كَمَا مَرَّ فَيَكُونُ خُلُقُ الرِّفِيِّ بِالرَّعَايَا  
 وَالْقَصْدِ فِي النَّفَقَاتِ وَالتَّعَفُّفِ عَنِ الْأَمْوَالِ فَتَنْتَجَبَانِي عَنِ الْإِمْعَانِ فِي الْجَبَايَةِ وَالتَّحَدُّقِ

وَالْكَيْسِ فِي جَمْعِ الْأَمْوَالِ وَحِسْبَانِ الْعَمَالِ وَلَا دَاعِيَةً حِينَئِذٍ إِلَى الْإِسْرَافِ فِي النِّفْقَةِ  
 فَلَا تَحْتَاجُ الدَّوْلَةُ إِلَى كَثْرَةِ الْمَالِ ثُمَّ يَحْصُلُ الْأَسْتِيْلَاءُ وَيَعْظُمُ وَيَسْتَفْجِلُ الْمَلِكُ فَيَدْعُو  
 إِلَى التَّرْفِ وَيَكْثُرُ الْإِنْفَاقُ بِسَبَبِهِ فَتَعْظُمُ نَفَقَاتُ السُّلْطَانِ وَأَهْلِ الدَّوْلَةِ عَلَى الْعَمُومِ  
 بَلْ يَتَعَدَّى ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمِصْرِ وَيَدْعُو ذَلِكَ إِلَى الزِّيَادَةِ فِي أُعْطِيَاتِ الْجُنْدِ وَأَرْزَاقِ  
 أَهْلِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ يَعْظُمُ التَّرْفُ فَيَكْثُرُ الْإِسْرَافُ فِي النِّفَقَاتِ وَيَنْتَشِرُ ذَلِكَ فِي الرَّعِيَةِ  
 لِأَنَّ النَّاسَ عَلَى دِينِ مَلُوكِهِا وَعَوَائِدِهَا وَيَحْتَاجُ السُّلْطَانُ إِلَى ضَرْبِ الْمَكُوسِ عَلَى  
 أَسْمَانِ الْبِيَعَاتِ فِي الْأَسْوَاقِ لِإِدْرَارِ الْحَبَابَةِ لِمَا يَرَاهُ مِنْ تَرْفِ الْمَدِينَةِ الشَّاهِدِ عَلَيْهِمْ  
 بِالرَّفِّ فِيهِ وَلِمَا يَحْتَاجُ هُوَ إِلَيْهِ مِنْ نَفَقَاتِ سُلْطَانِهِ وَأَرْزَاقِ جُنْدِهِ ثُمَّ تَزِيدُ عَوَائِدُ التَّرْفِ  
 فَلَا تَبْقَى بِهَا الْمَكُوسُ وَتَكُونُ الدَّوْلَةُ قَدْ اسْتَفْجَلَتْ فِي الْأَسْتِطَالَةِ وَالْقَهْرِ لِمَنْ تَحْتَ يَدَيْهَا  
 مِنَ الرِّعَايَا فَتَمْتَدُّ أَيْدِيهِمْ إِلَى جَمْعِ الْمَالِ مِنْ أَمْوَالِ الرِّعَايَا مِنْ مَكْسٍ أَوْ تِجَارَةٍ أَوْ نَقْدٍ  
 فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ بِشِبْهِهِ أَوْ بغيرِ شِبْهِهِ وَيَكُونُ الْجُنْدُ فِي ذَلِكَ الطَّوْرِ قَدْ تَجَاسَرَ عَلَى  
 الدَّوْلَةِ بِمَا لَحِقَهَا مِنَ الْفِشْلِ وَالْهَرَمِ فِي الْعَصَبِيَّةِ فَتَتَوَقَّعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ وَتُدَاوِي بِسَكِينَةٍ  
 الْعَطَايَا وَكَثْرَةَ الْإِنْفَاقِ فِيهِمْ وَلَا تَجِدُ عَنْ ذَلِكَ وَليجَهً وَتَكُونُ جِبَاةَ الْأَمْوَالِ فِي الدَّوْلَةِ  
 قَدْ عَظُمَتْ ثُرُوتُهُمْ فِي هَذَا الطَّوْرِ بِكَثْرَةِ الْحَبَابَةِ وَكَوْنِهَا بِأَيْدِيهِمْ وَبِمَا اتَّسَعَ لِذَلِكَ  
 مِنْ جَاهِهِمْ فَيَتَوَجَّهُ إِلَيْهِمْ بِأَحْجَانِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْجِبَابَةِ وَتَنْشُو السَّعَايَةَ فِيهِمْ بَعْضُهُمْ  
 مِنْ بَعْضٍ لِلْمُنَافَسَةِ وَالْحَقْدِ فَتَعْمَهُمُ النَّكِبَاتُ وَالْمُصَادِرَاتُ وَاحِدًا وَاحِدًا إِلَى أَنْ  
 تَذْهَبَ ثُرُوتُهُمْ وَتَنَلِشِي أَحْوَالَهُمْ وَيَفْقَدَ مَا كَانَ لِلدَّوْلَةِ مِنَ الْأَهْبَةِ وَالْجَمَالِ بِهِمْ وَإِذَا  
 أَصْطَلَمَتْ نَعْمَتُهُمْ تَجَاوَزَتْهُمْ الدَّوْلَةُ إِلَى أَهْلِ الثَّرْوَةِ مِنَ الرِّعَايَا سِوَاهُمْ وَيَكُونُ الْوَهْنُ  
 فِي هَذَا الطَّوْرِ قَدْ لَحِقَ الشُّوْكَ وَضَعُفَتْ عَنِ الْأَسْتِطَالَةِ وَالْقَهْرِ فَتَنْصَرِفُ سِيَاسَةُ صَاحِبِ  
 الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ إِلَى مَدَارَاةِ الْأُمُورِ بِيَدْلِ الْمَالِ وَيَرَاهُ أَرْفَعُ مِنَ السِّيفِ لِقَلَّةِ غِنَائِهِ فَتَعْظُمُ  
 حَاجَتُهُ إِلَى الْأَمْوَالِ زِيَادَةً عَلَى النِّفَقَاتِ وَأَرْزَاقِ الْجُنْدِ وَلَا يَعْزِي فِيهَا يَرِيدُ وَيَعْظُمُ الْهَرَمُ  
 بِالدَّوْلَةِ وَيَتَجَاسَرُ عَلَيْهَا أَهْلُ النُّوَاحِي وَالدَّوْلَةُ تَنْحَلُّ عُرَاهَا فِي كُلِّ طَوْرٍ مِنْ هَذِهِ إِلَى  
 أَنْ تَنْفُضِي إِلَى الْهَلَاكِ وَتَنْعَوِّضُ مِنَ الْأَسْتِيْلَاءِ الْكَمَلِ فَإِنَّ قَصْدَهَا طَالِبٌ أَنْتَزِعَهَا مِنْ  
 أَيْدِي الْقَائِمِينَ بِهَا وَالْأَبْقِيَتْ وَهِيَ تَنْتَلِشِي إِلَى أَنْ تَضْمَحِلَّ كَالذُّبَالِ فِي السِّرَاحِ إِذَا  
 فِي زَيْتِهِ وَطَفِيءٍ وَاللَّهُ مَالِكُ الْأُمُورِ وَمُدَبِّرُ الْأَكْوَانِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

## الفصل الثامن والاربعون

في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع

اعلم ان نشأة الدول وبيداتها اذا اخذت الدولة المستقرة في الهرم والانتقاص  
تكون على نوعين اما بان يستبد ولاية الاعمال في الدولة بالقاصية عندما يتقلص  
ظلمها عنهم فيكون لكل واحد منهم دولة يسجدها لقومه وما يستقر في نصابه يرثه  
عنه ابناءؤه او مواليه ويستفحل اهم الملك بالتدريج وربما يزدحمون على ذلك الملك  
ويتقارعون عليه ويتنازعون في الاستئثار به ويغلب منهم من يكون له فضل قوة على  
صاحبه ويتزغ ما في يده كما وقع في دولة بني العباس حين اخذت دولتهم في الهرم  
وتقلص ظلمها عن القاصية واستبد بنو ساسان بما وراء النهر وبنو حمدان بالموصل والشام  
وبنوطولون بمصر وكما وقع بالدولة الاموية بالاندلس واقترق ملكها في الطوائف  
الذين كانوا ولايتها في الاعمال وانقسمت دولا وملوكا اورثوها من بعدهم من  
قرابتهم او مواليتهم وهذا النوع لا يكون بينهم وبين الدولة المستقرة حربا لانهم  
مستقرون في رئاستهم ولا يطمعون في الاستيلاء على الدولة المستقرة بحرب وانما  
الدولة ادركها الهرم وتقلص ظلمها عن القاصية وعجزت عن الوصول اليها والنوع الثاني  
بان يخرج على الدولة خارج ممن يجاورها من الامم والقبائل اما بدعوة يحمل الناس  
عليها كما اشرنا اليه او يكون صاحب شوكة وعصية كبيرا في قومه قد استفحل امره  
فيسمو بهم الى الملك وقد حدثوا به انفسهم بما حصل لهم من الاعتزاز على الدولة  
المستقرة وما نزل بها من الهرم فيتعين له ولقومه الاستيلاء عليها ويمارسونها بالدطابة  
الى ان يظفروا بها ويبنون<sup>(١)</sup> كما يتبين والله سبحانه وتعالى اعلم

## الفصل التاسع والاربعون

في ان الدولة المستقرة اما تستولي على الدولة المستقرة بالمطالبة لا بالمناجزة

قد ذكرنا ان الدول الحادثة المتجددة نوعان نوع من ولاية الأطراف اذا  
تقلص ظل الدولة عنهم وانحسر تيارها وهو لا يقع منهم مطالبة للدولة في الاكثر  
كما قدمناه لان فصارهم القنوع بما في ايديهم وهو نهاية قوتهم والنوع الثاني نوع

(١) قوله وبنون وفي نسخة ويرفون من الرفو بالراء والفاء اه

الدِّعَاءَ وَالْخَوَارِجَ عَلَى الدَّوْلَةِ وَهَؤُلَاءِ لَا بَدَلَهُمْ مِنَ الْمَطَالِبَةِ لِأَنَّ قُوَّتَهُمْ وَأَفِيَّةَ بِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ  
 إِنَّمَا يَكُونُ فِي نَصَابٍ يَكُونُ لَهُ مِنَ الْعَصِيَّةِ وَالْإِعْتِرَازِ مَا هُوَ كِفَاءُ ذَلِكَ وَوَأَفَ بِهِ  
 فَيَقَعُ بَيْنَهُمْ وَيَبْتَ الدَّوْلَةَ الْمُسْتَقْرَّةَ حُرُوبٍ سَجَالٍ تَنْكُورٌ وَتَتَّصِلُ إِلَى أَنْ يَقَعَ لَهُمْ  
 الْأَسْتِيْلَاءُ وَالظَّفَرُ بِالْمَطْلُوبِ وَلَا يَحْضُلُ لَهُمْ فِي الْغَالِبِ ظَفَرٌ بِالْمُنَاجَزَةِ وَالسَّبَبُ فِي  
 ذَلِكَ أَنَّ الظَّفَرَ فِي الْحُرُوبِ إِنَّمَا يَقَعُ كَمَا قَدَّمَ نَاهُ بِأُمُورٍ نَفْسَانِيَّةٍ وَهَمِيَّةٍ وَإِنْ كَانَ  
 الْعَدَدُ وَالسَّلَاحُ وَصِدْقُ الْقِتَالِ كِفِيَالًا بِهِ لَكِنَّهُ قَامِرٌ مَعَ تِلْكَ الْأُمُورِ الْوَهْمِيَّةِ كَمَا  
 مَرَّ وَلِذَلِكَ كَانَ الْخُدَاعُ مِنْ أَرْفَعِ مَا يَسْتَعْمَلُ فِي الْحَرْبِ وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ الظَّفَرُ بِهِ وَفِي  
 الْحَدِيثِ الْحَرْبُ خُدْعَةٌ وَالدَّوْلَةُ الْمُسْتَقْرَّةُ قَدْ صَيَّرَتِ الْعَوَائِدَ الْمَأْلُوفَةَ طَاعَتَهَا خُرُوبًا  
 وَاجِبَةً كَمَا نَقَدَمَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ فَتَكْثُرُ بِذَلِكَ الْعَوَائِقُ لِصَاحِبِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَحْدَةِ  
 وَيَكْثُرُ مِنْ هَمِّهِمْ أَتْبَاعُهُ وَأَهْلُ شَوْكَيْهِ وَإِنْ كَانَ الْأَقْرَبُونَ مِنْ بَطَانَتِهِ عَلَى بَصِيرَةٍ فِي  
 طَاعَتِهِ وَمُؤَازَرَتِهِ إِلَّا أَنَّ الْأَخْرِينَ أَكْثَرُ وَقَدْ دَاخَلَهُمُ النِّشَلُ بِتِلْكَ الْعَقَائِدِ فِي التَّسْلِيمِ  
 لِلدَّوْلَةِ الْمُسْتَقْرَّةِ فَيَحْضُلُ بَعْضُ الْفُتُورِ مِنْهُمْ وَلَا يَكَادُ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقْرَّةُ يَرْجِعُ  
 إِلَى الصَّبْرِ وَالْمُطَاوَلَةِ حَتَّى يَتَّضِحَ هَرَمُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقْرَّةِ فَتَضْحَلُ عَقَائِدُ التَّسْلِيمِ لَهَا  
 مِنْ قَوْمِهِ وَتَتَّبِعَتْ مِنْهُمْ الْهَمُّ لِصِدْقِ الْمَطَالِبَةِ مَعَهُ فَيَقَعُ الظَّفَرُ وَالْأَسْتِيْلَاءُ وَأَيْضًا  
 فَالدَّوْلَةُ الْمُسْتَقْرَّةُ كَثِيرَةُ الرِّزْقِ بِمَا اسْتَحْكَمَ لَهُمْ مِنَ الْمَلِكِ وَتَوَسَّعَ مِنَ النِّعَمِ  
 وَاللَّدَاتِ وَأَخْتَصُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَمْوَالِ الْجَبَايَةِ فَيَكْثُرُ عِنْدَهُمْ أَرْتِبَاطُ الْحَيُولِ  
 وَاسْتِجَادَةُ الْأَسْلِحَةِ وَتَعْظُمُ فِيهِمُ الْأَجْبَةُ الْمَالِكِيَّةُ وَيَفِيضُ الْعَطَاءُ بَيْنَهُمْ مِنْ مُلُوكِهِمْ  
 اخْتِيَارًا وَأَضْطِرَارًا فَيُرْهِمُونَ بِذَلِكَ كَلِّهِ عَدُوَّهُمْ وَأَهْلُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَحْدَةِ بِمَعَزَلٍ عَنْ  
 ذَلِكَ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَأَحْوَالِ الْفَقْرِ وَالْخُصَاصَةِ فَيَسْبِقُ إِلَى قُلُوبِهِمْ أَوْهَامُ  
 الرَّغْبِ بِمَا يَبْتَئُهُمْ مِنْ أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقْرَّةِ وَيَحْرَمُونَ عَنْ قِتَالِهِمْ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ  
 فَيَصِيرُ أَمْرُهُمْ إِلَى الْمُطَاوَلَةِ حَتَّى تَأْخُذَ الْمُسْتَقْرَّةُ مَا خُذَهَا مِنَ الْهَرَمِ وَيَسْتَحْكِمَ  
 الْخَلَلَ فِيهَا فِي الْعَصِيَّةِ وَالْجَبَايَةِ فَيَنْتَهِرُ حِينَئِذٍ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَحْدَةِ فُرْصَتَهُ فِي  
 الْأَسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا بَعْدَ حِينٍ مِنْذُ الْمَطَالِبَةِ سَنَةِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَأَيْضًا فَأَهْلُ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَحْدَةِ  
 كَلِمَةٌ مَبَايِنُونَ لِلدَّوْلَةِ الْمُسْتَقْرَّةِ بِأَسَابِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَفِي سَائِرِ مَنَاحِيهِمْ ثُمَّ هُمْ مُفَاخِرُونَ  
 لَهُمْ وَمَتَابِدُونَ بِمَا وَقَعَ مِنْ هَذِهِ الْمَطَالِبَةِ وَبِعَمَلِهِمْ فِي الْأَسْتِيْلَاءِ عَلَيْهِ فَنَتَمَكَّنُ

الْمُبَاعَدَةِ بَيْنَ أَهْلِ الدَّوْلَتَيْنِ سِرًّا وَجَبْرًا وَلَا يَصِلُ إِلَى أَهْلِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ خَبْرٌ عَنْ  
 أَهْلِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ يَصِيدُونَ مِنْهُ غَرَّةً<sup>(١)</sup> بَاطِنًا وَظَاهِرًا لِانْقِطَاعِ الْمُدَاخَلَةِ بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ  
 فَيُقِيمُونَ عَلَى الْمَطَالَبَةِ وَهُمْ فِي إِحْجَامٍ وَيَتَكَلَّمُونَ عَنِ الْمُنَاجَزَةِ حَتَّى يَأْذَنَ اللَّهُ بِزَوَالِ  
 الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقَرَّةِ وَفَنَاءِ عُمَرِهَا وَوُفُورِ الْخِلَالِ فِي جَمِيعِ جِهَاتِهَا وَاتَّضَحَ لِأَهْلِ الدَّوْلَةِ  
 الْمُسْتَجِدَّةِ مَعَ مَا كَانَ يَخْفَى مِنْهُمْ مِنْ مَرَمِهَا وَتَلَاشِيهَا وَقَدْ عَظُمَتْ قُوَّتُهُمْ بِمَا أَقْطَعُوهُ  
 مِنْ أَعْمَالِهَا وَتَقْصُوهُ مِنْ أَطْرَافِهَا فَتَلَبَّثَتْ هُمُومُهُمْ بَدَأَ وَاحِدَةً لِلْمُنَاجَزَةِ وَيَذْهَبُ مَا كَانَ  
 بَثٌ فِي عَزَائِهِمْ مِنَ التَّوَهُّمَاتِ وَتَنْتَهِي الْمَطَاوِلَةُ إِلَى حَدِّهَا وَيَقَعُ الْإِسْتِيْلَاءُ آخِرًا  
 بِالْمُعَاجَلَةِ وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ حِينَ ظَهَرُوا حِينَ قَامَ الشَّيْبَةُ بِخُرَّاسَانَ  
 بَعْدَ انْقِطَاعِ الدَّعْوَةِ وَاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى الْمَطَالَبَةِ عَشْرَ سِنِينَ أَوْ تَزِيدُ وَحِينَئِذٍ تَمَّ لَهُمُ الظَّفَرُ  
 وَاسْتَوْلُوا عَلَى الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَكَذَا الْعُلُوِيَّةِ بِطَبْرِسْتَانَ عِنْدَ ظُهُورِ دَعْوَتِهِمْ فِي الدَّيْلَمِ  
 كَيْفَ كَانَتْ مَطَاوِلَتُهُمْ حَتَّى اسْتَوْلُوا عَلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ثُمَّ لَمَّا انْقَضَى أَمْرُ الْعُلُوِيَّةِ وَسَمَا  
 الدَّيْلَمِ إِلَى مَلِكِ فَارَسَ وَالْعَرَاقِينَ فَمَكَّثُوا سِنِينَ كَثِيرَةً يَطَاوِلُونَ حَتَّى أَقْطَعُوا  
 أَصْبَهَانَ ثُمَّ اسْتَوْلُوا عَلَى الْخَلِيفَةِ بَغْدَادَ وَكَذَا الْعَبِيدُونَ أَقَامَ دَاعِيَتَهُمْ بِالْمَغْرِبِ  
 أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّيْبِيُّ بَيْنِي كِتَامَةَ مِنْ قِبَائِلِ الْبُرْبُرِ عَشْرَ سِنِينَ وَبَزِيدُ تَطَاوُلُ بَنِي الْأَغَابِ  
 بِأَفْرِيقِيَّةَ حَتَّى ظَفَرُوا بِهِمْ وَاسْتَوْلُوا عَلَى الْمَغْرِبِ كُلِّهِ وَسَمَّوْا إِلَى مَلِكِ مِصْرَ فَمَكَّثُوا  
 ثَلَاثِينَ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا فِي ظَلَمِهَا يِيْهَزُونَ إِلَيْهَا الْعَسَاكِرَ وَالْأَسَاطِيلَ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَيَجِيءُ  
 الْمُدَدُ لِمُدَاعَفَتِهِمْ بَرًّا وَبَحْرًا مِنْ بَغْدَادَ وَالشَّامَ وَمَلَكُوا الْإِسْكَندَرِيَّةَ وَالْفَيْيُومَ  
 وَالصَّعِيدَ وَتَخَطَّتْ دَعْوَتُهُمْ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْحِجَازِ وَأَقِيمَتْ بِالْحَرَمَيْنِ ثُمَّ نَازَلَ قَائِدُهُمْ  
 جَوْهَرُ الْكَانِبِ بَعَاكِرَهُ مَدِينَةَ مِصْرَ وَاسْتَوْلَى عَلَيْهَا وَأَقْتَلَعَ دَوْلَةَ بَنِي طَعِجٍ مِنْ أَصُولِهَا  
 وَأَخْطَطَّ الْقَاهِرَةَ لِحِجَاءِ الْخَلِيفَةِ بَعْدَ الْمَعزِّ لِدِينِ اللَّهِ فَزَلَّهَا لِسِتِينَ سَنَةً أَوْ نَحْوَهَا مِنْذُ  
 اسْتِيْلَائِهِمْ عَلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ وَكَذَا السُّجُوفِيَّةِ مُلُوكِ التُّرْكِ لَمَّا اسْتَوْلُوا عَلَى بَنِي سَاسَانَ  
 وَأَجَازُوا مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ مَكَّثُوا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً يَطَاوِلُونَ بَنِي سَبَكْتِكِينَ بِخُرَّاسَانَ  
 حَتَّى اسْتَوْلُوا عَلَى دَوْلَتِهِ ثُمَّ زَحَنُوا إِلَى بَغْدَادَ فَاسْتَوْلُوا عَلَيْهَا وَعَلَى الْخَلِيفَةِ بِهَا بَعْدَ أَيَّامٍ  
 مِنَ الدَّهْرِ وَكَذَا التُّرْكِ مِنْ بَعْدِهِمْ خَرَجُوا مِنَ الْمَفَازَةِ عَامَ سَبْعَةِ عَشْرَ وَسِتِّمِائَةٍ فَلَمْ  
 يَتِمَّ لَهُمُ الْإِسْتِيْلَاءُ إِلَّا بَعْدَ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَكَذَا أَهْلُ الْمَغْرِبِ خَرَجَ بِهِ الْمُرَابِطُونَ مِنْ

(١) قَوْلُهُ غَرَّةٌ بِكَسْرِ الْغَيْنِ أَيُّ غِلْفَةٌ

لِمَثُونَةٍ عَلَى مَلُوكِهِ مِنْ مَغْرَاوَةٍ فَطَاوَلُوهُمْ سِنِينَ ثُمَّ اسْتَوْلُوا عَلَيْهِ ثُمَّ خَرَجَ الْمُوحِدُونَ  
بِدَعْوَتِهِمْ عَلَى لِمَثُونَةٍ فَمَكَّثُوا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً يُحَارِبُونَهُمْ حَتَّى اسْتَوْلُوا عَلَى  
كُرْسِيِّهِمْ بِمَرَائِشٍ وَكَذَا ابْنُ مَرْزُوقٍ مِنْ زَنَانَةَ خَرَجُوا عَلَى الْمُوحِدِينَ فَمَكَّثُوا يُطَاوَلُونَهُمْ  
نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَاسْتَوْلُوا عَلَى فَاسٍ وَأَقْتَطَعُوهَا وَأَعْدَالَهَا مِنْ بَيْتِهِمْ ثُمَّ أَقَامُوا  
فِي مُحَارَبَتِهِمْ ثَلَاثِينَ أُخْرَى حَتَّى اسْتَوْلُوا عَلَى كُرْسِيِّهِمْ بِمَرَائِشٍ حَسْبَمَا نَدَّ كُرْ ذَلِكَ  
كَلْمَةً فِي تَوَارِيخِ هَذِهِ الدُّوَلِ فَهَكَذَا حَالُ الدُّوَلِ الْمُسْتَجِدَّةِ مَعَ الْمُسْتَقَرَّةِ فِي الْمَطَالِبَةِ  
وَالْمَطَاوَلَةِ سَنَةَ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَا يُعَارِضُ ذَلِكَ بِمَا وَقَعَ فِي  
الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَكَيْفَ كَانَ اسْتِبْلَاؤُهُمْ عَلَى فَارِسٍ وَالرُّومِ لثَلَاثٍ أَوْ أَرْبَعٍ مِنْ  
وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ مُعْجَزَةً مِنْ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا  
سِرُّهَا اسْتِمَاتَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ اسْتِبْعَادًا بِالْإِيمَانِ وَمَا أَوْفَعَ اللَّهُ فِي قُلُوبِ  
عَدُوِّهِمْ مِنَ الرَّغْبِ وَالتَّخَاذُلِ فَكَانَ ذَلِكَ كَلْمَةً خَارِفًا لِلْعَادَةِ الْمُقَرَّرَةِ فِي مَطَاوَلَةِ الدُّوَلِ  
الْمُسْتَجِدَّةِ لِلْمُسْتَقَرَّةِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ خَارِفًا فَهُوَ مِنْ مُعْجَزَاتِ نَبِيِّنَا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ  
الْمُتَعَارِفِ ظُهُورُهَا فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْمُعْجَزَاتُ لَا يُقَاسُ عَلَيْهَا الْأُمُورُ الْعَادِيَّةُ وَلَا  
يُعَارِضُ بِهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الخمسون

في وفور العمران آخر الدولة وما يتبع فيها من كثرة الموتان والمجاعات  
إِعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ تَقَرَّرَ لَكَ فِيمَا سَأَفَتْ أَنَّ الدُّوَلَةَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا لَا بَدَّ لَهَا مِنَ الرِّفْقِ  
فِي مَلَكَتِهَا وَالْإِعْتِدَالِ فِي إِيَابَتِهَا إِمَّا مِنَ الدِّينِ إِنْ كَانَتْ الدَّعْوَةُ دِينِيَّةً أَوْ مِنَ  
الْمُكَارَمَةِ وَالْمُحَاسَنَةِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا الْبِدَاوَةُ الطَّبِيعِيَّةُ لِلدُّوَلِ وَإِذَا كَانَتْ الْمَلَكَتُ  
رَفِيقَةً حَسَنَةً انْبَسَطَتْ أَمَالُ الرِّعَايَا وَانْتَشَطُوا لِلْعُمُرَانِ وَأَسْبَابُهُ تَتَوَفَّرُ وَيَكْثُرُ التَّنَاسُلُ  
وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَلْمَةً بِالتَّدرِجِ فَإِنَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ بَعْدَ جِيلٍ أَوْ جِيلَيْنِ فِي الْأَقْلِ وَفِي  
انْقِضَاءِ الْجِيلَيْنِ تُشْرِفُ الدُّوَلَةُ عَلَى نِهَائِهِ عُمْرُهَا الطَّبِيعِيِّ فَيَكُونُ حِينئِذٍ الْعُمُرَانُ فِي  
غَايَةِ الْوُفُورِ وَالنَّمَاءِ وَلَا تَقُولَنَّ إِنَّهُ قَدْ مَرَّ لَكَ أَنَّ أَوَّخِرَ الدُّوَلَةِ يَكُونُ فِيهَا الْإِحْجَافُ  
بِالرِّعَايَا وَسُوءِ الْمَلَكَتِ فَذَلِكَ صَحِيحٌ وَلَا يُعَارِضُ مَا قُلْنَا لِأَنَّ الْإِحْجَافَ وَإِنْ حَدَثَ  
حِينئِذٍ وَقَلَّتِ الْجَبَابِيَةُ فَإِنَّمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ فِي تَنَاقُصِ الْعُمُرَانِ بَعْدَ حِينٍ مِنْ أَجْلِ التَّدرِجِ

فِي الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ ثُمَّ إِنَّ الْجَمَاعَاتِ وَالْمَوْتَانَ تَكَثَّرَ عِنْدَ ذَلِكَ فِي أَوَاخِرِ الدُّوَلِ  
 وَالسَّبَبُ فِيهِ إِمَّا الْجَمَاعَاتِ فَلِقَبْضِ النَّاسِ أَيْدِيَهُمْ عَنِ الْقَلْعِ فِي الْأَكْثَرِ بِسَبَبِ مَا يَقَعُ  
 فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْعُدُونِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْجَبَايَاتِ أَوْ الْفِتَنِ الْوَاتِعَةِ فِي انْتِقَاصِ الرِّعَايَا  
 وَكَثْرَةِ الْخَوَارِجِ لَهُمْ الدَّوْلَةُ فَيَقْبَلُ احْتِكَارُ الزَّرْعِ غَالِبًا وَلَيْسَ صِلَاحُ الزَّرْعِ وَشِمْرَتُهُ  
 بِمُسْتَمِرِّ الوجودِ وَلَا عَلَى وَتِيرَةٍ وَاحِدَةٍ فَطَبِيعَةُ الْعَالَمِ فِي كَثْرَةِ الْأَمْطَارِ وَقَلَّتِهَا مُخْتَلِفَةٌ  
 وَالْمَطَرُ يَقْوَى وَيَضَعُفُ وَيَقِلُّ وَيَكْثُرُ وَالزَّرْعُ وَالتِّمَارُ وَالضَّرْعُ عَلَى نِسْبَتِهِ إِلَّا أَنَّ  
 النَّاسَ وَاثِقُونَ فِي أَقْوَامِهِمْ بِالْإِحْتِكَارِ فَإِذَا فَقِدُوا الْإِحْتِكَارَ عَظُمَ تَوَقُّعُ النَّاسِ لِلْجَمَاعَاتِ  
 فَغَلَا الزَّرْعُ وَعَجَزَ عَنْهُ أُولُو الْخُصَاصَةِ فَهَلَكُوا وَكَانَ بَعْضُ السَّنَوَاتِ الْإِحْتِكَارَ مَفْقُودًا  
 فَشَمَلَ النَّاسَ الْجُوعُ وَمَا كَثُرَ الْمَوْتَانِ فَلَهَا أَسْبَابٌ مِنْ كَثْرَةِ الْجَمَاعَاتِ كَمَا ذَكَرْنَا  
 أَوْ كَثْرَةِ الْفِتَنِ لِاخْتِلَالِ الدَّوْلَةِ فَيَكْثُرُ الْمَرْجُ وَالْقَتْلُ أَوْ وَفُوعُ الْوَبَاءِ وَسَبَبُهُ فِي  
 الْغَالِبِ فِسَادُ الْهَوَاءِ بِكَثْرَةِ الْعُمَرَانِ لِكَثْرَةِ مَا يَخَالِطُهُ مِنَ الْعَفْنِ وَالرُّطُوبَاتِ الْفَاسِدَةِ  
 وَإِذَا فَسَدَ الْهَوَاءُ وَهُوَ غِذَاءُ الرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ وَمَلَابِسُهُ دَائِمًا فَيَسْرِي الْفَسَادُ إِلَى  
 مَزَاجِهِ فَإِنْ كَانَ الْفَسَادُ قَوِيًّا وَقَعَ الْمَرَضُ فِي الرِّئَةِ وَهَذِهِ هِيَ الطَّوَاعِينُ وَأَمْرَاضُهَا  
 مَخْصُوصَةٌ بِالرِّئَةِ وَإِنْ كَانَ الْفَسَادُ دُونَ الْقَوِيِّ وَالْكَثِيرِ فَيَكْثُرُ الْعَفْنُ وَيَتَضَاعَفُ  
 فَتَكْثُرُ الْحُمَمَاتُ فِي الْأَنْزَجَةِ وَتَمْرَضُ الْأَبْدَانُ وَتَهْلِكُ وَسَبَبُ كَثْرَةِ الْعَفْنِ وَالرُّطُوبَاتِ  
 الْفَاسِدَةِ فِي هَذَا كُلِّهِ كَثْرَةُ الْعُمَرَانِ وَوُفُورُهُ آخِرُ الدَّوْلَةِ لِمَا كَانَ فِي أَوَائِلِهَا مِنْ حَسَنِ  
 الْمَلَائِكَةِ وَرَفِيقِهَا وَقَلَّةِ الْمَغْرَمِ وَهُوَ ظَاهِرٌ وَلِهَذَا تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ مِنَ الْحِكْمَةِ أَنَّ  
 تَخَلُّلَ الْخُلَاءِ وَالْقَفْرِ بَيْنَ الْعُمَرَانِ ضَرُورِيٌّ لِيَكُونَ تَمَوْجُ الْهَوَاءِ يَذْهَبُ بِمَا يَحْصُلُ فِي  
 الْهَوَاءِ مِنَ الْفَسَادِ وَالْعَفْنِ بِمُخَالَطَةِ الْحَيَوَانَاتِ وَيَأْتِي بِالْهَوَاءِ الصَّحِيحِ وَلِهَذَا أَيْضًا فَإِنَّ  
 الْمَوْتَانَ يَكُونُ فِي الْمَدِينِ الْمَوْفُورَةِ الْعُمَرَانِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهَا بِكَثِيرٍ كَمَصْرٍ بِالْمَشْرِقِ  
 وَفَاسٍ بِالْمَغْرِبِ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ مَا يَشَاءُ

### الفصل الحادي والخمسون

في ان العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها امره

اعلم انه قد تقدم لنا في غير موضع ان الاجتماع للبشر ضروري وهو معنى  
 العمران الذي نتكلم فيه وانه لا بد لهم في الاجتماع من وازع حاكم يرعجون

إِلَيْهِ وَحُكْمُهُ فِيهِمْ تَارَةً يَكُونُ مُسْتَنْدًا إِلَى شَرَعٍ مُنْزَلٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُوجِبُ اتِّقَادَهُمْ  
 إِلَيْهِ إِيْمَانُهُمْ بِالنُّوَابِ وَالْعُقَابِ عَلَيْهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُبْلَغُهُ وَتَارَةً إِلَى سِيَاسَةٍ عَقْلِيَّةٍ يُوجِبُ  
 اتِّقَادَهُمْ إِلَيْهَا مَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ ثَوَابِ ذَلِكَ الْحَاكِمِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ بِمَصَالِحِهِمْ فَالْأُولَى  
 يَحْصُلُ نَفْعُهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ لِعِلْمِ الشَّارِعِ بِالْمَصَالِحِ فِي الْعَاقِبَةِ وَلِمُرَاعَاتِهِ نَجَاةَ  
 الْعِبَادِ فِي الْآخِرَةِ وَالثَّانِيَةُ إِنَّمَا يَحْصُلُ نَفْعُهَا فِي الدُّنْيَا فَقَطُّ وَمَا تَسْمَعُهُ مِنَ السِّيَاسَةِ  
 الْمَدْنِيَّةِ فَلَيْسَ مِنْ هَذَا الْبَابِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ عِنْدَ الْحُكَمَاءِ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ كُلُّ  
 وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْجَمْعِ فِي نَفْسِهِ وَخَلْقِهِ حَتَّى يَسْتَعْنُوا عَنْ الْحُكْمِ رَأْسًا  
 وَيُسَمُّونَ الْجَمْعَ الَّذِي يَحْصُلُ فِيهِ مَا يُسَمَّى مِنْ ذَلِكَ بِالْمَدْنِيَّةِ الْفَاصِلَةِ وَالْقَوَانِينِ  
 الْمُرَاعَاةَ فِي ذَلِكَ بِالسِّيَاسَةِ الْمَدْنِيَّةِ وَلَيْسَ مُرَادُهُمُ السِّيَاسَةَ الَّتِي يَحْمِلُ عَلَيْهَا أَهْلُ  
 الْاجْتِمَاعِ بِالْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ فَإِنَّ هَذِهِ غَيْرُ تِلْكَ وَهَذِهِ الْمَدْنِيَّةُ الْفَاصِلَةُ عِنْدَهُمْ نَادِرَةٌ أَوْ  
 بَعِيدَةٌ لَوُقُوعِ وَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُونَ عَلَيْهَا عَلَى جِهَةِ الْفَرَضِ وَالْقَدِيرِ ثُمَّ إِنَّ السِّيَاسَةَ الْعَقْلِيَّةَ  
 الَّتِي قَدَّمَانَهَا تَكُونُ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا يُرَاعَى فِيهَا الْمَصَالِحُ عَلَى الْعُمُومِ وَمَصَالِحُ  
 السُّلْطَانِ فِي اسْتِقَامَةِ مُلْكِهِ عَلَى الْخُصُوصِ وَهَذِهِ كَانَتْ سِيَاسَةَ الْفَرَنْسِ وَهِيَ عَلَى جِهَةِ  
 الْحِكْمَةِ وَقَدْ أَغْنَانَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فِي الْمِلَّةِ وَلِعَهْدِ الْخِلَافَةِ لِأَنَّ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ  
 مُغْنِيَةٌ عَنْهَا فِي الْمَصَالِحِ الْعَامَّةِ وَالْخَاصَّةِ وَأَحْكَامُ الْمَلِكِ مُنْدرِجَةٌ فِيهَا. الْوَجْهُ الثَّانِي  
 أَنَّ يُرَاعَى فِيهَا مَصْلَحَةُ السُّلْطَانِ وَكَيْفَ يَسْتَقِيمُ لَهُ الْمُلْكُ مَعَ الْقَهْرِ وَالْإِسْطِطَالَةِ وَتَكُونُ  
 الْمَصَالِحُ الْعَامَّةُ فِي هَذِهِ تَبَعًا وَهَذِهِ السِّيَاسَةُ الَّتِي يَحْمِلُ عَلَيْهَا أَهْلُ الْاجْتِمَاعِ الَّتِي لِسَائِرِ  
 الْمُلُوكِ فِي الْعَالَمِ مِنْ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ إِلَّا أَنَّ مُلُوكَ الْمُسْلِمِينَ يَجْرُونَ مِنْهَا عَلَى مَا نَقَضِيهِ  
 الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةَ بِحَسَبِ جَهْدِهِمْ فَقَوَانِينُهَا إِذَا اجْتَمَعَتْ مِنْ أَحْكَامٍ شَرْعِيَّةٍ وَادَابِ  
 خَلْقِيَّةٍ وَقَوَانِينِ فِي الْاجْتِمَاعِ طَبِيعِيَّةٍ وَأَشْيَاءَ مِنْ مُرَاعَاةِ الشُّوْكَةِ وَالْعَصَبِيَّةِ صُرُورِيَّةٍ  
 وَالْإِقْتِدَاءِ فِيهَا بِالشَّرَعِ أَوْلَا ثُمَّ الْحُكَمَاءُ فِي آدَابِهِمْ وَالْمُلُوكُ فِي سَيْرِهِمْ وَمِنْ أَحْسَنِ  
 مَا كُتِبَ فِي ذَلِكَ وَأُورِدَ كِتَابُ طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ لَمَّا وُلَاهُ  
 الْمَأْمُونُ الرِّقَّةَ وَمِصْرَ وَمَا بَيْنَهُمَا فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُوهُ طَاهِرٌ كِتَابَهُ الْمَشْهُورَ عَهْدَ إِلَيْهِ  
 فِيهِ وَوَصَّاهُ بِجَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي دَوْلَتِهِ وَسُلْطَانَتِهِ مِنَ الْآدَابِ الدِّينِيَّةِ وَالْخَلْقِيَّةِ وَالسِّيَاسَةِ  
 الشَّرْعِيَّةِ وَالْمُلُوكِيَّةِ وَحَثَّهُ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنِ الشِّيَمِ بِمَا لَا يَسْتَعِينُ عَنْهُ مُلْكٌ

وَلَا سَوْفَةً. وَنَصُّ الْكِتَابِ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) أَمَّا بَعْدُ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَحَدِّهِ  
 لَا شَرِيكَ لَهُ وَخَشْيَتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِنْ آيَةِ سَخَطِهِ وَاحْظَرْ رِعْيَتِكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ  
 وَالزَّمَنِ مَا أَلْبَسَكَ اللَّهُ مِنَ الْعَافِيَةِ بِالذِّكْرِ لِمَعَادِكَ وَمَا أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهِ وَمَوْفُوفٌ عَلَيْهِ  
 وَمَسْتَوْفٍ عَنْهُ وَالْعَمَلُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ بِمَا يَعصمُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُنَجِّيكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ  
 عِقَابِهِ وَالْيَمِّ عَذَابِهِ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ وَأَوْجَبَ الرَّأْفَةَ عَلَيْكَ مِنْ أَسْرَعَاكَ  
 أَمْرُهُمْ مِنْ عِبَادِهِ وَزَلَمَكَ الْعَدْلَ فِيهِمْ وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ وَحُدُودِهِ عَلَيْهِمْ وَالذَّبَّ عَنْهُمْ وَالِدْفَعَ  
 عَنْ حَرِيْمِهِمْ وَمَنْصِبِهِمْ وَالْحَقْنَ لِدِمَائِهِمْ وَالْأَمْنَ لِسِرِّيهِمْ وَإِدْخَالَ الرَّاحَةِ عَلَيْهِمْ  
 وَمَوْأَدِكَ بِمَا فَرَضَ عَلَيْكَ وَمَوْفِقَكَ عَلَيْهِ وَسَائِلِكَ عَنْهُ وَمُثَبِّكَ عَلَيْهِ بِمَا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ  
 فَفَرَّغَ لِي ذَلِكَ فَهَمَّكَ وَعَقْلَكَ وَبَصْرَكَ وَلَا يُشْغَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَإِنَّهُ رَأْسُ أَمْرِكَ وَمَلَاكُ  
 شَأْنِكَ وَأَوَّلُ مَا يُؤَقِفُكَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَيَكُنُّ أَوَّلُ مَا تَلْزَمُ بِهِ نَفْسَكَ وَتَنْسُبُ إِلَيْهِ فَعَلَّكَ  
 الْمَوَاطِبَةَ عَلَى مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ مِنَ الصَّلَاةِ الْخَمْسِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَيْهَا بِالنَّاسِ  
 قَبْلَكَ وَتَوَابِعِهَا عَلَى سَنِينَهَا مِنْ إِسْبَاحِ الْوُضُوءِ لَهَا وَافْتِتَاحِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا وَرَتْلِ  
 فِي قِرَاءَتِكَ وَتَمَكُّنِ فِي رُكُوعِكَ وَسُجُودِكَ وَتَشْهَدِكَ وَتَلْتَصِرْفِ فِيهِ رَأْيِكَ وَنَيْتِكَ  
 وَأَحْضَضِ عَلَيْهِ جَمَاعَةً مَعْنٍ مَعَكَ وَتَحْتَ يَدِكَ وَأَدَابِ عَلَيْهَا فَإِنَّهَا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ  
 تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالنَّكَرِ ثُمَّ أَتْبَعَ ذَلِكَ بِالْأَخْذِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَالْمُشَاطَبَةَ عَلَى خَلَاتِقِهِ وَافْتِتَاءِ أَثَرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ بَعْدِهِ وَإِذَا وَرَدَّ عَلَيْكَ أَمْرٌ نَاسِعٌ مِنْ  
 عَلَيْهِ بِاسْتِخَارَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَقْوَاهُ وَبِازْوَمٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ مِنْ أَمْرِهِ  
 وَنَهْيِهِ وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ وَأَنْتِجَامٍ مَا جَاءَتْ بِهِ الْآثَارُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 ثُمَّ قُمْ فِيهِ بِالْحَقِّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَمِيلَنَّ عَنِ الْعَدْلِ فِيمَا أَحْبَبْتَ أَوْ كَرِهْتَ لِقَرِيبٍ  
 مِنَ النَّاسِ أَوْ لِبَعِيدٍ وَآثِرِ الْفَقْهَ وَأَهْلَهُ وَالِدِينَ وَحَدَّثَتَهُ وَكِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْعَامِلِينَ  
 بِهِ فَإِنَّ أَفْضَلَ مَا يَتَزَيَّنُ بِهِ الْمَرْءُ الْفَقْهَ فِي الدِّينِ وَالطَّابَ لَهُ وَوَحَّتْ عَلَيْهِ وَالِدَعْرِفَةَ  
 بِمَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ وَالْقَائِدُ إِلَيْهِ وَالْأَمْرُ بِهِ وَالنَّاهِي  
 عَنِ الْمَعَاصِي وَالْمَوْبِقَاتِ كُلِّهَا وَمَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَزْدَادُ الْمَرْءُ مَعْرِفَةً وَإِجْلَالَ  
 لَهُ وَدَرَكَ اللِّدْرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْمَعَادِ مَعَ مَا فِي ظُهُورِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْقِيرِ لِأَمْرِكَ وَالْيَهْبَةِ  
 لِسُلْطَانِكَ وَالْأَنَسَةِ بِكَ وَالْفَقَّةَ بَعْدَكَ وَعَلَيْكَ بِالْإِقْتِصَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا فَلَيْسَ شَيْءٌ بَيْنَ

نَفْعًا وَلَا أَحْصَأَ أَمْنًا وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنْهُ وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرُّشْدِ وَالرُّشْدُ دَائِلٌ عَلَى  
 التَّوْفِيقِ وَالتَّوْفِيقُ فَائِدَةٌ إِلَى السَّعَادَةِ وَقِيَامُ الدِّينِ وَالسُّنَنِ الْهَادِيَةِ بِالْإِقْتِصَادِ وَكَذَا فِي  
 دُنْيَاكَ كُلِّهَا وَلَا تُقْصِرْ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَالْآجِرِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالسُّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ  
 وَمَعَالِمِ الرُّشْدِ وَالْإِعَانَةِ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنَ الْبُرِّ وَالسَّعْيِ لَهُ إِذَا كَانَ يُطَلَبُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ  
 تَعَالَى وَمَرْضَانَهُ وَمِرَافِقَةَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ الْقَصْدَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا  
 يُورِثُ الْعِزَّ وَيُمَحِّصُ مِنَ الذُّنُوبِ وَأَنَّكَ لَنْ تَحُوطَ نَفْسَكَ مِنْ قَائِلٍ وَلَا تَنْصَلِحَ أُمُورَكَ  
 بِأَفْضَلِ مِنْهُ فَاتِهِ وَاهْتَدِ بِهِ نِعمَ أُمُورِكَ وَتَزِدْ مَقْدِرَتَكَ وَتَنْصَلِحْ عَامَتَكَ وَخَاصَّتَكَ وَأَحْسِنِ  
 ظَنِّكَ بِاللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ تَسْتَقِيمَ لَكَ رِعْيَتِكَ وَالتَّمَسُّبِ الْوَسِيلَةَ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا تَسْتَدِمُ  
 بِهِ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ وَلَا تُتِهَمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تُوَلِّيهُ مِنْ عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ  
 أَمْرَهُ فَإِنَّ إِبْقَاعَ النَّهْمِ بِالْبِرِّ وَالظُّنُونِ السَّيِّئَةِ بِهِمْ أَثَمٌ أَثْمٌ فَأَجْعَلْ مِنْ شَأْنِكَ حَسَنَ  
 الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ وَأَطْرُدْ عَنْكَ سُوءَ الظَّنِّ بِهِمْ وَأَرْضُهُ فِيهِمْ بِعِنَاكَ ذَلِكَ عَلَى اسْتِطَاعَتِهِمْ  
 وَرِياضَتِهِمْ وَلَا يَجِدَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الشَّيْطَانَ فِي أَمْرِكَ مَغْمَرًا فَإِنَّهُ يَكْتَفِي بِالْقَلِيلِ مِنْ  
 وَهْنِكَ وَيُدْخِلُ عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ بِسُوءِ الظَّنِّ بِهِمْ مَا يُنْقِصُ لِنَادَاةِ عَيْشِكَ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ  
 تَجِدُ بِحَسَنِ الظَّنِّ قُوَّةَ وَرَاحَةً وَتَكْتَفِي بِهِ مَا أَحْبَبْتَ كِفَايَتَهُ مِنْ أُمُورِكَ وَتَدْعُو بِهِ  
 النَّاسَ إِلَى مَحَبَّتِكَ وَالْإِسْتِقَامَةِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا وَلَا يَمْنَعُكَ حَسَنُ الظَّنِّ بِأَصْحَابِكَ  
 وَالرَّأْفَةُ بِرِعْيَتِكَ أَنْ تَسْتَعْمَلَ الْمَسْئَلَةَ وَتَلْبَحْثَ عَنْ أُمُورِكَ وَالْمُبَاشَرَةَ لِأُمُورِ الْأَوْلِيَاءِ  
 وَحَيَاطَةَ الرَّعِيَّةِ وَالنَّظَرَ فِي حَوَائِجِهِمْ وَحَمَلَ مَوْوَنَاتِهِمْ أَيْسَرُ عِنْدَكَ مِمَّا سَوَى ذَلِكَ  
 فَإِنَّهُ أَقْوَمُ لِلدِّينِ وَأَحْيَا لِلسُّنَةِ وَأَخْلَصُ نِيَّتِكَ فِي جَمِيعِ هَذَا وَتَفَرَّدَ بِتَقْوِيمِ نَفْسِكَ  
 تَفَرَّدَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُسْئَلٌ عَمَّا صَنَعَ وَتَجَزَّى بِمَا أَحْسَنَ وَمُوَآخَذُ بِمَا أَسَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ  
 وَجَلَّ جَعَلَ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا وَرَفَعَ مَنْ اتَّبَعَهُ وَعَزَّزَهُ وَأَسْلَكَ بَيْنَ تَسْوِسِهِ وَتَرَعَاهُ  
 نَهْجَ الدِّينِ وَطَرِيقَةَ الْهَيْدَى وَأَقَمَ حُدُودَ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَصْحَابِ الْجَرَائِمِ عَلَى قَدَرِ مَنَازِلِهِمْ  
 وَمَا اسْتَحَقُّوه وَلَا تُعْطَلْ ذَلِكَ وَلَا تَهَاوَنَ بِهِ وَلَا تُؤَخَّرْ عِقُوبَةُ أَهْلِ الْعُقُوبَةِ فَإِنَّ فِي  
 تَفَرِّيطِكَ فِي ذَلِكَ مَا يَفْسِدُ عَلَيْكَ حَسَنَ ظَنِّكَ وَأَعْتَزِمَ عَلَى أَمْرِكَ فِي ذَلِكَ بِالسُّنَنِ  
 الْمَعْرُوفَةِ وَجَانِبِ الْبِدْعِ وَالشُّبُهَاتِ يَسْلَمُ لَكَ دِينُكَ وَتَقُمُ لَكَ مَرْوَتُكَ وَإِذَا عَاهَدْتَ  
 عَهْدًا فَأَوْفِ بِهِ وَإِذَا وَعَدْتَ خَيْرًا فَأَنْجِزْهُ وَأَقْبَلِ الْحَسَنَةَ وَأَدْفَعْ بِهَا وَأَعْمِضْ عَنِ عَيْبِ

كُلِّ ذِي عَيْبٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَشَدُّ لِسَانِكَ عَنْ قَوْلِ الْكَذِبِ وَالزُّورِ وَأَبْغَضُ  
 أَهْلِ النَّمِيمَةِ فَإِنَّ أَوَّلَ فَسَادِ أُمُورِكَ فِي عَاجِلِهَا وَآخِرُهَا تَقْرِبُ الْكُذُوبِ وَالْمُجْرِمَةِ  
 عَلَى الْكُذِبِ لِأَنَّ الْكُذِبَ رَأْسُ الْمَأْتَمِ وَالزُّورَ وَالنَّمِيمَةَ خَاتِمَتُهَا لِأَنَّ النَّمِيمَةَ لَا  
 يَسْلُمُ صَاحِبُهَا وَقَاتِلُهَا لَا يَسْلَمُ لَهُ صَاحِبٌ وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُ أَمْرٌ وَأَحْسِبُ أَهْلَ الصَّلَاحِ  
 وَالصِّدْقِ وَأَعِزَّ الْأَشْرَافِ بِالْحَقِّ وَأَسِ الضُّعْفَاءِ وَصِلِ الرَّحِمَ وَأَبْغِ بِذَلِكَ وَجَهَ اللَّهُ  
 تَعَالَى وَإِعْزَّزْ أَمْرَهُ وَالتَّمَسَّ فِيهِ ثَوَابَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ وَأَجْتَنِبِ سُوءَ الْأَهْوَاءِ وَالْجُورِ  
 وَأَصْرِفْ عَنْهُمَا رَايَكَ وَأَظْهِرْ بِرَاءَتَكَ مِنْ ذَلِكَ لِرَعِيَّتِكَ وَأَنْعِمِ بِالْعَدْلِ فِي سِيَاسَتِهِمْ  
 وَتُمْ بِالْحَقِّ فِيهِمْ وَبِالْمَعْرِفَةِ الَّتِي تَنْتَهِي بِكَ إِلَى سَبِيلِ الْهُدَى وَالْمَلِكِ تَفْسِكَ عِنْدَ الْغَضَبِ  
 وَآثِرِ الْحِلْمَ وَالْوَقَارَ وَإِيَّاكَ وَالْحِدَّةَ وَالطَّيِّشَ وَالغُرُورَ فِيمَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ وَإِيَّاكَ أَنْ تَقُولَ  
 أَنَا مُسَلِّطٌ أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ سَرِيعٌ إِلَى تَقْصُرِ الرَّأْيِ وَقَلَّةِ الْيَقِينِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ  
 وَأَخْلِصْ لِلَّهِ وَحْدَهُ النَّيَّةَ فِيهِ وَالْيَقِينَ بِهِ وَعَلِّمْ أَنَّ الْمَلِكَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ  
 وَيَنْزِعُهُ مِمَّنْ يَشَاءُ وَلَكِنْ تَجِدُ تَغْيِيرَ النِّعْمَةِ وَحُلُولَ النِّعْمَةِ عَلَى أَحَدٍ أَسْرَعَ مِنْهُ إِلَى حَمَلَةِ  
 النِّعْمَةِ مِنْ أَصْحَابِ السُّلْطَانِ وَالْمَبْسُوطِ لَهُمْ فِي الدَّوْلَةِ إِذَا كَفَرُوا نِعْمَ اللَّهُ وَإِحْسَانَهُ  
 وَاسْتِطَالُوا بِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ فَضْلِهِ وَدَعَّ عَنْكَ شَرَّهُ تَفْسِكَ وَلَتَكُنْ ذَخَائِرُكَ  
 وَكُنُوزُكَ الَّتِي تَدْخِرُ وَتَكْتُمُ الْبِرَّ وَالتَّقْوَى وَاسْتِصْلَاحَ الرَّعِيَّةِ وَعِمَارَةَ بِلَادِهِمِ وَالتَّفَقُّدَ  
 لِأُمُورِهِمْ وَالْحِفْظَ لِدِمَائِهِمْ وَالْإِعَانَةَ لِمَلْهُوْفِهِمْ وَعَلِّمْ أَنَّ الْأَمْوَالَ إِذَا اكْتُنِزَتْ وَأُدْخِرَتْ  
 فِي الْخِزَانِ لَا تَنْمُو وَإِذَا كَانَتْ فِي صِلَاحِ الرَّعِيَّةِ وَإِعْطَاءِ حُقُوقِهِمْ وَكَفَّتِ الْأَذْيَةَ  
 عَنْهُمْ نَمَتْ وَزَكَتْ وَصَلَحَتْ بِهَا الْعَامَةُ وَتَرَبَّتْ بِهَا الْوِلَايَةُ وَطَابَ بِهَا الزَّمَانُ وَاعْتَقَدَ  
 فِيهَا الْعِزُّ وَالْمَنْفَعَةُ فَلَْيَكُنْ كَنْزُ خِزَائِنِكَ تَفْرِيقَ الْأَمْوَالِ فِي عِمَارَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ  
 وَوَقْرٍ مِنْهُ عَلَى أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكَ حُقُوقِهِمْ وَأَوْفِ مِنْ ذَلِكَ حِصَّةَ مَنَّهُمْ وَتَعَهَّدْ مَا  
 يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَمَعَاشَهُمْ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَرَّتِ النِّعْمَةُ عَلَيْكَ وَاسْتَوْجِبْتَ الْمَزِيدَ  
 مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَكُنْتَ بِذَلِكَ عَلَى جِبَابَةِ خِرَاجِكَ وَجَمْعِ أَمْوَالِ رَعِيَّتِكَ وَعَمَلِكَ أَقْدَرَ  
 وَكَانَ الْجَمْعُ لِمَا شَمَلَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْلَسَ لِبَطْنِكَ وَأَطْيَبَ أَنْفُسًا بِكُلِّ مَا  
 أَرَدْتَ وَاجْتَهَدْتَ تَفْسِكَ فِيمَا حَدَّثْتُكَ فِي هَذَا الْبَابِ وَلْيَعْظُمُ حَقُّكَ فِيهِ وَإِنَّمَا بَقِيَ مِنَ  
 الْمَالِ مَا أَنْفَقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَارَفَ لِلشَّاكِرِينَ حَقَّهُمْ وَأَثَبَهُمْ عَلَيْهِ وَإِيَّاكَ أَنْ

تُسَبِّحُكَ الدُّنْيَا وَعُرُودُهَا هَوْلَ الْآخِرَةِ فَتَنْتَهَوْنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ فَإِنَّ التَّهَانُونَ يُورِثُ التَّفَرِّيطَ  
وَالْتَفَرِّيطَ يُورِثُ الْبَوَارَ وَلَيْسَ كُنْ عَمَلُكَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَرْجَى الثَّوَابِ فِيهِ فَإِنَّ اللَّهَ  
سُبْحَانَهُ قَدْ أَسْبَغَ عَلَيْكَ فَضْلَهُ وَأَعْتَصِمَ بِالشُّكْرِ وَعَلَيْهِ فَاعْتَمِدْ بِرِذْكَ اللَّهُ خَيْرًا  
وَإِحْسَانًا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَثِيبُ بِقَدْرِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ وَإِحْسَانَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا  
تُحْفِرَنَّ ذَنْبًا وَلَا تُمَالَنَّ حَاسِدًا وَلَا تَزَحْمَنَّ فَاجِرًا وَلَا تَصِلَنَّ كَفُورًا وَلَا تَدَاهِنَنَّ عَدُوًّا  
وَلَا تُصَدِّقَنَّ نَمَامًا وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَارًا وَلَا تُؤَالِجَنَّ فَاسِقًا وَلَا تُتَبِعَنَّ غَاوِيًا وَلَا تُحْمَدَنَّ  
مُرَائِيًا وَلَا تُحْفِرَنَّ إِنْسَانًا وَلَا تُرِدَنَّ سَائِلًا فَقِيرًا وَلَا تُحْسِنَنَّ بَاطِلًا وَلَا تَلَاخِظَنَّ مُضْحِكًا  
وَلَا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا وَلَا تَزْهَوَنَّ فَخْرًا وَلَا تُظْهِرَنَّ غَضَبًا وَلَا تُبَايِنَنَّ رَجَاءً وَلَا تَمُشِينَ مَرْحًا  
وَلَا تُفَرِّطَنَّ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَلَا تَزِفِعَنَّ لِلنَّمَامِ عَيْنًا وَلَا تُغْمِضَنَّ عَن ظَالِمٍ رَهْبَةً مِنْهُ  
أَوْ مُحَابَاةً وَلَا تَطْلُبَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فِي الدُّنْيَا وَأَكْثَرَ مُشَاوَرَةَ الْفُقَهَاءِ وَأَسْتَعْمِلْ نَفْسَكَ  
بِالْحِلْمِ وَخُذْ عَن أَهْلِ التَّجَارِبِ وَذَوِي الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ وَالْحِكْمَةِ وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي  
مَشُورَتِكَ أَهْلَ الرِّقَّةِ وَالْبُخْلِ وَلَا تَسْمَعَنَّ لَهُمْ قَوْلًا فَإِنَّ ضَرَرَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ نَفْعِهِمْ  
وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ فُسَادًا لِمَا اسْتَقْبَلَتْ فِيهِ أَمْرٌ رَعَيْتَكَ مِنَ الشَّيْءِ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِذَا  
كُنْتَ حَرِيصًا كُنْتَ كَثِيرَ الْأَخْذِ قَلِيلَ الْعَطِيَّةِ وَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ يَسْتَقِمْ لَكَ  
أَمْرُكَ إِلَّا قَلِيلًا فَإِنَّ رَعِيَّتَكَ إِنَّمَا تَعْقُدُ عَلَى مَحَبَّتِكَ بِالْكَفِّ عَن أَمْوَالِهِمْ وَتَرْكِ الْجُورِ  
عَلَيْهِمْ وَأَبْتَدِئْ مِنْ صَافِكَ مِنْ أَوْلِيَائِكَ بِالْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ وَحَسَنِ الْعَطِيَّةِ لَهُمْ وَاجْتَنِبْ  
الشَّيْءَ وَأَعْلَمُ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا عَصَى الْإِنْسَانَ بِهِ رَبُّهُ وَإِنَّ الْعَاصِيَ بِمَنْزِلَةِ خَزْيٍ وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ  
عَزَّ وَجَلَّ وَمَنْ يُوقِ شَيْئًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ فَسَهِّلْ طَرِيقَ الْجُودِ بِالْحَقِّ وَاجْعَلْ  
لِلْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ مِنْ فَيْتِكَ حِطًّا وَنَصِيبًا وَاقْنِ أَنَّ الْجُودَ أَفْضَلُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ فَأَعِدْهُ لِنَفْسِكَ  
خَلْقًا وَأَرْضًا بِهِ عَمَلًا وَمَذْهَبًا وَتَفَقَّدِ الْجُنْدَ فِي دَوَابِينِهِمْ وَمَسْكَاتِهِمْ وَأَدِرَّ عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ  
وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي مَعَايِشِهِمْ يُدْهِبِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ فَاقْتَتَمَهُمْ فَيَقْوَى لَكَ أَمْرُهُمْ وَتَزِيدُ  
قُلُوبَهُمْ فِي طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ خُلُوصًا وَانْشِرَاحًا وَحَسْبُ ذِي السُّلْطَانِ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ  
يَكُونَ عَلَى جُنْدِهِ وَرَعِيَّتِهِ ذَا رَحْمَةٍ فِي عَدْلِهِ وَحَيْطَتِهِ وَإِنْصَافِهِ وَعِنَايَتِهِ وَشَفَقَتِهِ وَبِرِّهِ  
وَتَوْسِعَتِهِ فَرَأَيْلَ مَكْرُوهٍ أَحَدِ الْبَابِينَ بِأَسْتَشْعَارِ فَضِيلَةِ الْبَابِ الْآخِرِ وَزُومِ الْعَمَلَ بِهِ  
تَلَقَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى نَجَاحًا وَصَالِحًا وَفَلَاحًا وَأَعْلَمُ أَنَّ الْقَضَاءَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَكَانِ

الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ مِنَ الْأُمُورِ لِأَنَّهُ مِيزَانُ اللَّهِ الَّذِي تَعَدَّلُ عَلَيْهِ أَحْوَالُ النَّاسِ فِي  
 الْأَرْضِ وَيَبْقِي الْقَامَةَ الْعَدْلَ فِي الْقَضَاءِ وَالْعَمَلِ تَصْلُحُ أَحْوَالُ الرَّعِيَةِ وَتَأْتِي السُّبُلُ  
 وَيَتَصَفَّى الْمَظْلُومُ وَتَأْخُذُ النَّاسُ حُقُوقَهُمْ وَتَحْسُنُ الدَّعِيشَةُ وَيُؤَدَّى حَقُّ الطَّاعَةِ  
 وَيَرْزُقُ اللَّهُ الْعَاقِبَةَ وَالسَّلَامَةَ وَيَقِيمُ الدِّينَ وَيَجْرِي السَّنَنَ وَالشَّرَائِعَ فِي تِجَارِيهَا وَأَشَدَّ  
 فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَوَرَّعَ عَنِ النَّطْفِ وَأَنْصَحَ لِإِقَامَةِ الْحُدُودِ وَأَقْبَلَ الْعَجَلَةَ وَأَبْعَدَ  
 عَنِ الصَّجْبِ وَالْفَلَقِ وَأَفْنَعَ بِالْقِسْمِ وَأَنْتَفَعَ بِتِجَارَتِكَ وَأَنْتَبَهَ فِي صَمْتِكَ وَأَسَدَّدَ فِي مَنْطِقِكَ  
 وَأَنْصَفَ الْخِصْمَ وَقَفَّ عِنْدَ الشُّبُهَةِ وَأَبْلَغَ فِي الْحِجَّةِ وَلَا يَأْخُذُكَ فِي أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ  
 مَحَابَبَةٌ وَلَا مِجَالَمَةٌ وَلَا لَوْمَةٌ لِأَمْرِ وَثَبَّتَ وَرَأَى وَرَأَقَبَ وَأَنْظَرَ وَتَنَكَّرَ وَتَدَبَّرَ وَأَعْتَبَرَ  
 وَتَوَاضَعَ لِرَبِّكَ وَأَرْزُقَ بِجَمِيعِ الرَّعِيَةِ وَسَاطِطِ الْحَقِّ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى سَنِّكَ  
 دَمٍ فَإِنَّ الدِّمَاءَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَكَانٍ عَظِيمٍ أَنْهَاكَ مَا بَغَيْرِ حَقِّهَا وَأَنْظُرْ هَذَا  
 الْخُرَاجَ الَّذِي اسْتَقَامَتْ عَلَيْهِ الرَّعِيَةُ وَجَعَلَهُ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ عِزًّا وَرَفْعَةً وَلِأَهْلِهِ  
 تَوْسِعَةً وَنِعْمَةً وَلِعَدُوِّهِمْ وَعَدُوِّهِمْ كِتَابًا وَغِيظًا وَلِأَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ مَعَادِيهِمْ ذَلًّا وَصَعَارًا  
 فَوَزَعَهُ بَيْنَ أَحْبَابِهِ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالتَّسْوِيَةِ وَالْعُمُومِ وَلَا تَدْفَعَنَّ شَيْئًا مِنْهُ عَنْ شَرِيفٍ  
 لَشَرَفِهِ وَلَا عَنْ غَنِيِّ لِعِنَاهُ وَلَا عَنْ كَاتِبٍ لِكَ تَلَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ خَاصَّتِكَ وَلَا حَاشِيَّتِكَ وَلَا  
 تَأْخُذَنَّ مِنْهُ فَوْقَ الْأَحْتِمَالِ وَلَا تُكَلِّفْ أَمْرًا فِيهِ شَطَطٌ وَأَحْمِلِ النَّاسَ كَلِمَتَهُمْ  
 عَلَى أَمْرِ الْحَقِّ فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْمَعٌ لِنَفْسِهِمْ وَأَلْزَمٌ لِرِضَاءِ الْعَامَّةِ وَأَعْلَمُ أَنَّكَ جَعَلْتَ بِوِلَايَتِكَ  
 خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا وَإِنَّمَا سُمِّيَ أَهْلُ عَمَلِكَ رَعِيَّتِكَ لِأَنَّكَ رَاعَيْتَهُمْ وَقِيمْتَهُمْ فَخُذْ  
 مِنْهُمْ مَا أَعْطَوْكَ مِنْ عَفْوِهِمْ وَنَفْذِهِ فِي قِيَامِ أَمْرِهِمْ وَصَلَاحَتِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدَعِهِمْ وَأَسْتَعْمِلْ  
 عَلَيْهِمْ أُولِي الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّجْرِبَةِ وَالتَّخْبِرَةِ بِالْعِلْمِ وَالْعَدْلِ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعِنَافِ وَوَسِّعْ  
 عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْحَقُوقِ الِلاَزِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقَلَّدْتَ وَأَسْنَدَ إِلَيْكَ فَلَا  
 يُشْعَلُكَ عَنْهُ شَاغِلٌ وَلَا يَصْرِنُكَ عَنْهُ صَارِفٌ فَإِنَّكَ مَتَى انْتَرْتَهُ وَقَمْتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ  
 اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ وَحَسُنَ الْأَحْدُوتَةُ فِي عَمَلِكَ وَأَجْتَرَّتْ بِهِ  
 الْحِجَّةُ مِنْ رَعِيَّتِكَ وَأَعْنَتْ عَلَى الصَّلَاحِ فَدَرَّتْ الْخَيْرَاتُ بِبِلَدِكَ وَفَشَتْ الْعِمَارَةُ  
 بِنَاحِيَّتِكَ وَظَهَرَ الْخِصْبُ فِي كُورِكَ وَكَثُرَ خُرَاجُكَ وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى  
 ارْتِيَاضِ جُنْدِكَ وَإِرْضَاءِ الْعَامَّةِ بِإِبَاقَةِ الْعَطَاءِ فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ وَكَانَتْ مَجْمُودِ السِّيَاسَةِ

مَرْضِيَّ الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ وَكَذَتْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَاللَّهُ وَقُوهُ وَعَدَّةُ  
 فَنَافِسٍ فِي ذَلِكَ وَلَا تُقَدِّمِ عَلَيْهِ شَيْئًا تُحَمَّدُ عَاقِبَةَ أَمْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَاجْعَلْ فِي  
 كُلِّ كُورَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَلِكَ وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِرِّهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ  
 حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ مَعَايِنٌ لِأُمُورِهِ كُلِّهَا فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَهُمْ بِأَمْرٍ  
 فَأَنْظِرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ وَرَجَحْتَ فِيهِ  
 حُسْنَ الدِّفَاعِ وَالصَّنْعِ فَأَمُضِهِ وَالْإِفْتَوَاقَ عَنْهُ وَرَاجِعِ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ بِهِ ثُمَّ خُذْ  
 فِيهِ عِدَّتَهُ فَإِنَّهُ رُبَّمَا نَظَرَ الرَّجُلُ فِي أَمْرِهِ وَقَدَّرَهُ وَأَتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَغْوَاهُ ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ  
 فَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ أَهْلَكَهُ وَنَقَضَ عَلَيْهِ أَمْرَهُ فَاسْتَعْمِلِ الْحَزْمَ فِي كُلِّ مَا أَرَدْتَ  
 وَبَاشِرُهُ بَعْدَ عَوْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْقُوَّةِ وَأَكْثِرْ مِنْ اسْتِخَارَةِ رَبِّكَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ  
 وَأَفْرَغْ مِنْ عَمَلِ يَوْمِكَ وَلَا تُؤَخِّرْهُ لِعَدِّكَ وَأَكْثِرْ مُبَاشَرَتَهُ بِنَفْسِكَ فَإِنَّ لِعَدَا مُورًا وَحَوَادِثَ  
 تُلْهِمُكَ عَنْ عَمَلِ يَوْمِكَ الَّذِي أَخْرَجْتَ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْيَوْمَ إِذَا مَضَى ذَهَبَ بِمَا فِيهِ وَإِذَا  
 أَخْرَجْتَ عَمَلَهُ اجْتَمَعَ عَلَيْكَ عَمَلُ يَوْمَيْنِ فَيَثْقُلُكَ ذَلِكَ حَتَّى تَمْرُضَ مِنْهُ وَإِذَا أَمْضَيْتَ  
 لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ أُرِحْتَ بِدَنِّكَ وَنَفْسِكَ وَجَمَعْتَ أَمْرَ سُلْطَانِكَ وَأَنْظُرْ أَحْرَارَ النَّاسِ  
 وَذَوِي الْفَضْلِ مِنْهُمْ مِمَّنْ بَلَوْتَ صَفَاءَ طَوَيْتِهِمْ وَشَهِدْتَ مَوَدَّتِهِمْ لَكَ وَمُظَاهَرَتِهِمْ  
 بِالنُّصْحِ وَالْحِفَاظَةِ عَلَى أَمْرِكَ فَاسْتَخْلِصْهُمْ وَأَحْسِنِ إِلَيْهِمْ وَتَعَاهَدْ أَهْلَ الْبِيَوَاتِ مِمَّنْ  
 قَدْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمُ الْحَاجَةُ وَأَحْتَمِلَ مَوْثِقَتَهُمْ وَأَصْلَحَ حَالَهُمْ حَتَّى لَا يَجِدُوا لِحَاجَتِهِمْ مَسًّا  
 وَأَفْرُدْ نَفْسَكَ لِلنَّظَرِ فِي أُمُورِ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى رَفْعِ مَظْلَمَتِهِ إِلَيْكَ  
 وَالْمُحَقَّرِ الَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ بِطَلَبِ حَقِّهِ فَسَلْ عَنْهُ أَحْفَى مَسْئَلَةٍ وَوَكِّلْ بِأَمْتَالِهِ أَهْلَ الصَّلَاحِ  
 مِنْ رَعِيَّتِكَ وَمُرْتَمِّمٍ بِرَفْعِ حَوَائِجِهِمْ وَحَالَاتِهِمْ إِلَيْكَ لِتَنْظُرَ فِيمَا يَصْلِحُ اللَّهُ بِهِ أَمْرَهُمْ  
 وَتَعَاهَدَ ذَوِي الْبِأْسَاءِ وَآيَاتِهِمْ وَأَرَامِلَهُمْ وَاجْعَلْ لَهُمْ أَرْزَاقًا مِنْ بَيْتِ الْمَالِ اقْتِدَاءً  
 بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْعَطْفِ عَلَيْهِمْ وَالصَّلَاةِ لَهُمْ لِيُصَلِّحَ اللَّهُ بِذَلِكَ  
 عَيْشَهُمْ وَيَرْزُقَكَ بِهِ بَرَكَهً وَزِيَادَةً وَأَجْرًا لِلْأَضْرَاءِ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ وَقَدِّمِ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ  
 مِنْهُمْ وَالْحَافِظِينَ لِأَكْثَرِهِ فِي الْجُرَايَةِ عَلَى غَيْرِهِمْ وَأَنْصِبْ لِمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ دُورًا  
 تَأْوِيهِمْ وَقُوَامًا يَرْفِقُونَ بِهِمْ وَأَطِبَاءَ يَعْالِجُونَ أَسْقَامَهُمْ وَأَسْعِفُهُمْ بِشَهَوَاتِهِمْ مَا لَمْ يُؤَدِّ  
 ذَلِكَ إِلَى إِسْرَافٍ فِي بَيْتِ الْمَالِ وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّاسَ إِذَا أُعْطُوا حَقُوقَهُمْ وَأَفْضَلَ أَمَانِيهِمْ

لَمْ يُرْضِهِمْ ذَلِكَ وَلَمْ تَطِبْ أَنْفُسُهُمْ دُونَ رَفْعِ حَوَالِهِمْ إِلَى وَلَائِهِمْ طَمَعًا فِي نَيْلِ  
الرِّيَادَةِ وَفَضْلِ الرَّفِيقِ مِنْهُمْ وَرَبَّمَا تَبَرَّمَ الْمُتَصَفِّحُ لِأُمُورِ النَّاسِ لِكَثْرَةِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِ  
وَيُشْغَلُ فِكْرُهُ وَذَهْنُهُ فِيهَا مَا يَبْنَالُهُ بِهِ مِنْ مَوْثِقَةٍ وَمَشَقَّةٍ وَلَيْسَ مَنْ يَرَعِبُ فِي الْعَدْلِ  
وَيَعْرِفُ مَحَاسِنَ أُمُورِهِ فِي الْعَاجِلِ وَفَضْلَ ثَوَابِ الْأَجْلِ كَالَّذِي يَسْتَقْبِلُ مَا يَقْرَبُهُ إِلَى  
اللَّهِ تَعَالَى وَيَلْتَمِسُ رَحْمَتَهُ وَأَكْثَرَ الْأِذْنِ لِلنَّاسِ عَلَيْكَ وَأَبْرَزَ لَهُمْ وَجْهَكَ وَسَكَنَ  
لَهُمْ حَوَاسِكَ وَأَخْفَضَ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَأَظْهَرَ لَهُمْ بَشْرَكَ وَلِنْ لَهُمْ فِي الْمَسْأَلَةِ وَالنُّطْقِ  
وَأَعْطَفَ عَلَيْهِمْ بِجُودِكَ وَفَضْلِكَ وَإِذَا أَعْطَيْتَ فَأَعْطِ بِسَاحَةٍ وَطِيبِ نَفْسَ وَالنَّاسِ  
لِلصَّيْعَةِ وَالْأَجْرِ مِنْ غَيْرِ تَكْدِيرٍ وَلَا أَمْتِنَانِ فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى ذَلِكَ تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ  
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَاعْتَبِرْ بِمَا تَرَى مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَمَنْ مَضَى قَبْلَكَ مِنْ أَهْلِ السُّلْطَانِ  
وَالرِّيَاسَةِ فِي الْفُرُونِ الْخَالِيَةِ وَالْأَمْرِ الْبَائِدَةِ ثُمَّ اعْتَصِمْ فِي أَحْوَالِكَ كَلِمًا بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى وَالْوُفُوفِ عِنْدَ مَحَبَّتِهِ وَالْعَمَلِ بِشَرِيعَتِهِ وَسُنَنِهِ وَبِإِقَامَةِ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَاجْتَنِبْ  
مَا فَارَقَ ذَلِكَ وَخَالَفَهُ وَدَعَا إِلَى سُخْطِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَعْرِفْ مَا يَجْمَعُ عَمَالَكَ مِنْ  
الْأَمْوَالِ وَمَا يُنْفِقُونَ مِنْهَا وَلَا تَجْمَعُ حَرَامًا وَلَا تُنْفِقُ إِسْرَافًا وَأَكْثِرْ مُجَاسَلَةَ الْعُلَمَاءِ  
وَمُشَاوَرَتِهِمْ وَمُخَالَطَتِهِمْ وَلْيَكُنْ هَوَاكَ اتِّبَاعُ السُّنَنِ وَإِقَامَتُهَا وَإِيثَارُ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ  
وَمَعَالِيهَا وَلْيَكُنْ أَكْرَمُ دُخْلَانِكَ وَخَاصَّتِكَ عَلَيْكَ مَنْ إِذَا رَأَى عَيْبًا فِيكَ لَمْ تَمْنَعَهُ  
هَيْبَتِكَ عَنْ إِتْمَانِكَ ذَلِكَ إِلَيْكَ فِي سِرِّكَ وَإِعْلَانِكَ بِمَا فِيهِ مِنَ النِّقْصِ فَإِنَّ أَوْلِيكَ أَنْصَحُ  
أَوْلِيَانِكَ وَمُظَاهِرُونَ لَكَ وَأَنْظُرْ عَمَالَكَ الَّذِينَ بِحَضْرَتِكَ وَكِتَابِكَ فَوْقَ لِكُلِّ  
رَجُلٍ مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتًا يَدْخُلُ فِيهِ عَلَيْكَ بِكِتَابِهِ وَمُؤَامَرَاتِهِ وَمَا عِنْدَهُ مِنْ حَوَائِجِ  
عَمَالَكَ وَأُمُورِ الدُّوَلَةِ وَرَعِيَّتِكَ ثُمَّ فَرِّغْ لِمَا يُوْرِدُ عَلَيْكَ مِنْ ذَلِكَ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ وَفَهْمَكَ  
وَعَقْلَكَ وَكَرِّرِ النَّظَرَ فِيهِ وَالتَّدْبِيرَ لَهُ فَمَا كَانَ مُوَافِقًا لِلْحَقِّ وَالْحَزْمِ فَأَمْضِهِ وَأَسْتَحْزِرْ  
اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ وَمَا كَانَ مُخَالِفًا لِذَلِكَ فَاصْرِفْهُ إِلَى الْمَسْئَلَةِ عَنْهُ وَالتَّشْتِيبِ فِيهِ وَلَا تَمْتِنْ  
عَلَى رَعِيَّتِكَ وَلَا غَيْرِهِمْ بِمَعْرُوفِ تَوْثِيهِ إِلَيْهِمْ وَلَا تَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الْوَفَاءَ وَالْأَسْتِقَامَةَ  
وَالْعَوْنَ فِي أُمُورِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَضَعَنَّ الْمَعْرُوفَ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ وَتَهْتَمَّ كِتَابِي  
إِلَيْكَ وَأَنْعِمِ النَّظَرَ فِيهِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَأَسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَلَى جَمِيعِ أُمُورِكَ وَأَسْتَحْزِرْهُ فَإِنَّ اللَّهَ  
عَزَّ وَجَلَّ مَعَ الصَّالِحِ وَأَهْلِهِ وَلْيَكُنْ أَعْظَمُ سِيرَتِكَ وَأَفْضَلُ رَعْبَتِكَ مَا كَانَ لِلَّهِ عَزَّ

وَجَلَّ رَضَى وَلِدِينِهِ نِظَامًا وَلَاهِلِهِ عِزًّا وَتَمَكَّنَا بِالْمِلَّةِ وَالذِّمَّةِ عَدْلًا وَصَلَاحًا وَأَنَا  
 أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُحْسِنَ عَوْنَكَ وَتَوْفِيقَكَ وَرُشْدَكَ وَكِلَاءَتَكَ وَالسَّلَامَ . وَحَدَّثَ الْأَخْبَارُ يُونَ  
 أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَمَّا ظَهَرَ وَشَاعَ أَمْرُهُ أُعْجِبَ بِهِ النَّاسُ وَاتَّصَلَ بِالْمَأْمُونِ فَلَمَّا قُرِيَ  
 عَلَيْهِ قَالَ مَا أَبْقَى أَبُو الطَّيِّبِ يَعْنِي طَاهِرًا شَيْئًا مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ وَالتَّدْبِيرِ وَالرَّأْيِ  
 وَالسِّيَاسَةِ وَصَلَاحِ الْمَلِكِ وَالرَّعِيَّةِ وَحِفْظِ السُّلْطَانِ وَطَاعَةِ الْخُلَفَاءِ وَتَقْوِيمِ الْخِلَافَةِ إِلَّا  
 وَقَدْ أَحْكَمَهُ وَأَوْصَى بِهِ ثُمَّ أَمَرَ الْمَأْمُونُ فُكِّتَبَ بِهِ إِلَى جَمِيعِ الْعُمَّالِ فِي النُّوَاحِي  
 لِيَقْتَدُوا بِهِ وَيَعْمَلُوا بِمَا فِيهِ هَذَا أَحْسَنُ مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فِي هَذِهِ السِّيَاسَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الثاني والخمسون

في امر الفاطمي وما يذهب اليه الناس في شأنه وكشف الغطاء عن ذلك

إِعْلَمَ أَنَّ فِي الْمَشْهُورِ بَيْنَ الْكُفَّافَةِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى مَمَرِ الْأَعْصَارِ أَنَّهُ لَا بَدَّ  
 فِي آخِرِ الزَّمَانِ مِنْ ظُهُورِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يُؤَيِّدُ الدِّينَ وَيُظْهِرُ الْعَدْلَ وَيَتَّبِعُهُ  
 الْمُسْلِمُونَ وَيَسْتَوْلِي عَلَى الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَيُسَمَّى بِالْمَهْدِيِّ وَيَكُونُ خُرُوجُ  
 الدَّجَالِ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ الثَّابِتَةِ فِي الصَّحِيحِ عَلَى آتَرِهِ وَأَنَّ عَيْسَى يَنْزِلُ مِنْ  
 بَعْدِهِ فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ أَوْ يَنْزِلُ مَعَهُ فَيَسَاعِدُهُ عَلَى قِتْلِهِ وَيَأْتِمُ بِالْمَهْدِيِّ فِي صَلَاتِهِ وَيَحْتَجُونَ  
 فِي الشَّانِ بِأَحَادِيثِ خُرُوجِهَا الْأَيْمَةَ وَتَكَكَّلَمَ فِيهَا الْمُنْكَرُونَ لِلذِّكْرِ وَرُبَّمَا عَارِضُوهَا  
 بَعْضُ الْأَخْبَارِ وَالْمُتَّصِفَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ فِي أَمْرِ هَذَا الْفَاطِمِيِّ طَرِيقَهُ أُخْرَى وَنَوْعٌ مِنْ  
 الْأَسْتِدْلَالِ وَرُبَّمَا يَعْتَمِدُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى الْكُشْفِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ طَرَائِقِهِمْ . وَنَحْنُ  
 الْآنَ نَذْكُرُ هُنَا الْأَحَادِيثَ الْوَارِدَةَ فِي هَذَا الشَّانِ وَمَا لِلْمُنْكَرِينَ فِيهَا مِنَ الْمَطَاعِينَ  
 وَمَا لَهُمْ فِي إِنْكَارِهِمْ مِنَ الْمُسْتَنْدِثِ نَتَّبِعُهُ بِذِكْرِ كَلَامِ الْمُتَّصِفَةِ وَرَأْيِهِمْ لِتَبَيُّنِ  
 لِكَ الصَّحِيحِ مِنْ ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَنَقُولُ إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْأَيْمَةِ خَرَجُوا أَحَادِيثَ  
 الْمَهْدِيِّ مِنْهُمْ التُّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالْبَزْزَارِيُّ بْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَأَبُو يَعْنَى الْمُوَصَّلِيُّ  
 وَأَسْنَدُوهَا إِلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِثْلَ عَلِيِّ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَابْنِ عُمَرَ وَطَلْحَةَ وَابْنَ  
 مَسْعُودٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَأَنْسٍ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأُمِّ حَبِيبَةَ وَأُمَّ سَلَمَةَ وَتُوبَانَ وَفُرَّةَ  
 ابْنَ إِبْرَاهِيمَ وَعَلِيَّ الْهَلَالِيَّ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءٍ بِأَسَانِيدِ رُبَّمَا يَعْرِضُ لَهَا

الْمُنْكَرُونَ كَمَا نَذَرَهُ إِلَّا أَنَّ الْمَعْرُوفَ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّ الْجَرْحَ مُقَدَّمٌ عَلَى  
 التَّعْدِيلِ فَإِذَا وَجَدْنَا طَعْمًا فِي بَعْضِ رِجَالِ الْأَسَانِيدِ بَعْظَلَةً أَوْ إِسْوَاءً حَفِظَ أَوْ ضَعُفَ أَوْ  
 سُوءَ رَأْيٍ تَطَّرَقَ ذَلِكَ إِلَى صِحَّةِ الْحَدِيثِ وَأَوْهَنَ مِنْهَا وَلَا تَقُولَنَّ مِثْلُ ذَلِكَ رُبَّمَا يَتَطَّرَقُ  
 إِلَى رِجَالِ الصَّحِيحِينَ فَإِنَّ الْإِجْمَاعَ قَدْ اتَّصَلَ فِي الْأُمَّةِ عَلَى تَلْقِيهِمَا بِالْقَبُولِ وَالْعَمَلِ  
 بِمَا فِيهِمَا وَفِي الْإِجْمَاعِ أَعْظَمُ حِمَايَةٍ وَأَحْسَنُ دَفْعًا وَلَيْسَ غَيْرُ الصَّحِيحِينَ بِمِثَابَتِهِمَا  
 فِي ذَلِكَ فَقَدْ تَجِدُ مَجَالَ الْكَلَامِ فِي أَسَانِيدِهَا بِمَا نَقَلَ عَنْ أُمَّةِ الْحَدِيثِ فِي ذَلِكَ .  
 وَقَدْ تَوَعَّلَّ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ عَلَى مَا نَقَلَ السَّمِئِيُّ عَنْهُ فِي جَمْعِهِ لِلْحَادِيثِ  
 الْوَارِدَةِ فِي الْمَهْدِيِّ فَقَالَ وَمِنْ أَعْرَبِهَا إِسْنَادًا مَا ذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ الْإِسْكَافُ فِي فَوَائِدِ  
 الْأَخْبَارِ مُسْتَنَدًا إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُتَكَدِّرِ عَنْ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ  
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَذَبَ بِالْمَهْدِيِّ فَقَدْ كَفَرَ وَمَنْ كَذَبَ بِالِدَجَالِ فَقَدْ كَذَبَ  
 وَقَالَ فِي طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا مِثْلُ ذَلِكَ فِيمَا حَسِبَ وَحَسِبُكَ هَذَا غُلُوبًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
 بِصِحَّةِ طَرِيقِهِ إِلَى مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ عَلَى أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الْإِسْكَافَ عِنْدَهُمْ مِنْهُمْ وَضَاعَ .  
 وَأَمَّا التُّرْمِذِيُّ فَخَرَجَ هُوَ وَابْنُ دَاوُدَ بِسِنْدَيْهِمَا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ طَرِيقِ عَاصِمِ بْنِ أَبِي  
 النَّجُودِ أَحَدِ الْقُرَّاءِ السَّبْعَةِ إِلَى زُرَّارِ بْنِ حَبِيشٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ فِيهِ  
 رَجُلًا مَنِيَّ أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي وَأَسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي . هَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ  
 وَسَكَتَ عَلَيْهِ وَقَالَ فِي رِسَالَتِهِ الْمَشْهُورَةِ إِنَّ مَا سَكَتَ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ قَبْلَهُ صَالِحٌ  
 وَلَفْظُ التُّرْمِذِيِّ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي  
 وَفِي لَفْظِ آخَرَ حَتَّى يَلِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَكِلَاهُمَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ وَرَوَاهُ أَيْضًا  
 مِنْ طَرِيقٍ مَوْقُوفًا عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَقَالَ الْحَاكِمُ رَوَاهُ الثَّوْرِيُّ وَشُعْبَةُ وَزَائِدَةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ  
 أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ عَاصِمِ قَالَ وَطَرَفُ عَاصِمٍ عَنْ زُرَّارٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ كَلِمًا صَحِيحَةً عَلَى  
 مَا أَصْلَتْهُ مِنَ الْأَحْتِجَاجِ بِأَخْبَارِ عَاصِمٍ إِذْ هُوَ إِمَامٌ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ (إِنْتَهَى) إِلَّا  
 أَنَّ عَاصِمًا قَالَ فِيهِ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا قَارئًا لِلْقُرْآنِ خَيْرًا ثِقَةً وَالْأَعْمَشُ  
 أَحْفَظُ مِنْهُ وَكَانَ شُعْبَةُ يَخْتَارُ الْأَعْمَشَ عَلَيْهِ فِي تَثْبِيثِ الْحَدِيثِ وَقَالَ الْعَمَلِيُّ كَانَ يَخْتَلِفُ  
 عَلَيْهِ فِي زُرَّارٍ وَأَبِي وَائِلٍ يُشِيرُ بِذَلِكَ إِلَى ضَعْفِ رِوَايَتِهِ عَنْهُمَا وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ

كَانَ ثَقَّةً إِلَّا أَنَّهُ كَثِيرُ الْخَطَا فِي حَدِيثِهِ وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ سَفْيَانَ فِي حَدِيثِهِ أَضْرَابُ  
 وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَاتِمٍ قُلْتُ لِأَبِي إِنْ أَبَا زُرْعَةَ يَقُولُ عَاصِمٌ ثَقَّةٌ فَقَالَ  
 لَيْسَ مَحَلُّهُ هَذَا وَقَدْ تَكَلَّمْتُ فِيهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فَقَالَ كُلُّ مَنْ أَسْمُهُ عَاصِمٌ سَيِّئٌ الْحَفِظُ  
 وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ مَحَلُّهُ عِنْدِي مَحَلُّ الصِّدْقِ صَالِحُ الْحَدِيثِ وَلَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ الْحَافِظُ  
 وَأَخْتَلَفَ فِيهِ قَوْلُ النَّسَائِيِّ وَقَالَ أَبُو حُرَّاشٍ فِي حَدِيثِهِ نَكَرَةٌ وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ  
 الْعَجَلِيُّ لَمْ يَكُنْ فِيهِ إِلَّا سُوءُ الْحَفِظِ وَقَالَ الدَّارِقُطَنِيُّ فِي حِفْظِهِ شَيْءٌ وَقَالَ يَحْيَى  
 الْقَطَّانُ مَا وَجَدْتُ رَجُلًا أَسْمُهُ عَاصِمٌ إِلَّا وَجَدْتُهُ رَدِيءَ الْحَفِظِ وَقَالَ أَيضًا سَمِعْتُ  
 شُعْبَةَ يَقُولُ حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ وَفِي النَّاسِ مَا فِيهَا وَقَالَ الذَّهَبِيُّ ثَبَتَ فِي  
 الْقِرَاءَةِ وَهُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ وَإِنْ أَحْتَجَّ أَحَدٌ بِأَنَّ الشَّيْخَيْنِ أَخْرَجَا لَهُ فَاقُولُ أَخْرَجَاهُ  
 مَقْرُونًا بغيرِهِ لَا أَصْلًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ فِي الْبَابِ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ  
 رِوَايَةِ قُطَيْبِ بْنِ خَلِيفَةَ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ أَبِي مَرْثَةَ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ عَلِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدَّهْرِ إِلَّا يَوْمٌ لَبَعَثَ اللَّهُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي بِمَدْلَاهَا  
 عَدْلًا كَمَا مَلِئْتُ جَوْرًا وَقُطَيْبُ بْنُ خَلِيفَةَ وَإِنْ وَثِقَهُ أَحْمَدُ وَيَحْيَى بْنُ الْقَطَّانُ وَأَبْنُ  
 مَعِينٍ وَالنَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ إِلَّا أَنَّ الْعَجَلِيَّ قَالَ حَسَنُ الْحَدِيثِ وَفِيهِ تَشْيَعٌ قَالُوا وَقَالَ أَبُو  
 مَعِينٍ مَرَّةً ثَقَّةٌ شَيْعِيٌّ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ كُنَّا نَمُرُّ عَلَى قُطَيْبٍ وَهُوَ مَطْرُوحٌ  
 لَا نَكْتُبُ عَنْهُ وَقَالَ مَرَّةً كُنْتُ أَمُرُّ بِهِ وَادَعُهُ مِثْلَ الْكَلْبِ وَقَالَ الدَّارِقُطَنِيُّ لَا يُحْتَجُّ  
 بِهِ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ عِيَّاشٍ مَا تَرَكْتُ الرِّوَايَةَ عَنْهُ إِلَّا سُوءَ مَذْهَبِهِ وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ  
 زَائِعٌ غَيْرُ ثَقَّةٍ أَنْتَهَى وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيضًا بِسَنَدِهِ إِلَى عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ مَرْوَانَ  
 أَبْنِ الْمَغِيرَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي قَيْسٍ عَنْ شُعَيْبِ بْنِ أَبِي خَالِدٍ عَنْ أَبِي اسْتِحْقَاقِ النَّسْفِيِّ  
 قَالَ قَالَ عَلِيُّ وَنَظَرَ إِلَى ابْنِهِ الْحُسَيْنِ إِنْ أَبْنِي هَذَا سَيِّدٌ كَمَا سَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِهِ رَجُلٌ يُسَمَّى بِأَسْمِ نَبِيِّكُمْ يُشَبِّهُهُ فِي الْخُلُقِ وَلَا يُشَبِّهُهُ فِي  
 الْخُلُقِ يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقَالَ هَارُونُ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ أَبِي قَيْسٍ عَنْ مَطْرِفِ بْنِ طَرِيفٍ  
 عَنْ أَبِي الْحُسَيْنِ عَنْ هَالِدِ بْنِ عُمَرَ سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ وَرَاءِ النَّهْرِ يُقَالُ لَهُ الْحَارِثُ عَلَى مَقْدَمَتِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ مَنْصُورٌ يُوَطِّي  
 أَوْ يَمَكِّنُ لِأَلِ مُحَمَّدٍ كَمَا مَكَّنْتَ قُرَيْشٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَبَ

عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ نَصْرُهُ أَوْ قَالَ إِجَابَتُهُ سَكَتَ أَبُو دَاوُدَ عَلَيْهِ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي  
 هَارُونَ هُوَ مِنْ وُلْدِ الشَّبْعَةِ وَقَالَ السُّلَيْمَانِيُّ فِيهِ نَظَرٌ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ فِي عُمَرَ بْنِ أَبِي قَيْسٍ  
 لَا بَأْسَ فِي حَدِيثِهِ خَطَأً وَقَالَ الذَّهَبِيُّ صَدَقَ لَهُ أَوْهَامٌ وَأَمَّا أَبُو إِسْحَاقَ الشَّيْبِيُّ وَإِنَّ  
 خَرَجَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِينَ فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ اخْتَلَطَ آخِرَ عُمُرِهِ وَرَوَاتُهُ عَنْ عَلِيٍّ مُنْقَطِعَةٌ  
 وَكَذَلِكَ رَوَاةُ أَبِي دَاوُدَ عَنْ هَارُونَ بْنِ الْمَغِيرَةِ . وَأَمَّا السُّنَدُ الثَّانِي فَأَبُو الْحَسَنِ فِيهِ  
 وَهَلَالُ بْنُ عُمَرَ مَجْهُولَانِ وَلَمْ يُعْرِفْ أَبُو الْحَسَنِ إِلَّا مِنْ رَوَاةِ مُطَرِّفِ بْنِ طَرِيفٍ عَنْهُ  
 أَنْتَهَى وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ مِنْ طَرِيقِ عَلِيٍّ  
 ابْنَ نَقِيلٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ يَقُولُ الْمَهْدِيُّ مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ وَلَفْظُ الْحَاكِمِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 يَذْكُرُ الْمَهْدِيَّ فَقَالَ نَعَمْ هُوَ حَقٌّ وَهُوَ مِنْ بَنِي فَاطِمَةَ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ عَلَيْهِ بِالصَّحِيحِ وَلَا  
 غَيْرِهِ وَقَدْ ضَعَفَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْعَقِيلِيُّ وَقَالَ لَا يُتَابِعُ عَلِيُّ بْنُ نَقِيلٍ عَلَيْهِ وَلَا يُعْرِفُ إِلَّا بِهِ  
 وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ مِنْ رَوَاةِ صَالِحِ أَبِي الْخَلِيلِ عَنْ صَاحِبِ لَهُ عَنْ  
 أُمِّ سَلَمَةَ قَالَ يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ فَيَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَارِبًا  
 إِلَى مَكَّةَ فَيَأْتِيهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فَيُخْرِجُونَهُ وَهُوَ كَارِهٌِ فَيَأْبِيعُونَهُ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ  
 فَيَبِيعُ إِلَيْهِ بَعْثٌ مِنَ الشَّامِ فَيُخَسِفُ بِهِمْ بِالْبَيْدَاءِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَإِذَا رَأَى النَّاسُ  
 ذَلِكَ أَنَّهُ أَنْبَدَالُ أَهْلِ الشَّامِ وَعَصَائِبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَيَأْبِيعُونَهُ ثُمَّ يَنْشَأُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ  
 أَخْوَالُهُ كَلْبٌ فَيَبِيعُ إِلَيْهِمْ بَعْثًا فَيُظْهِرُونَ عَلَيْهِمْ وَذَلِكَ بَعْثُ كَلْبٍ وَالْحَبِيبَةُ لَمَنْ لَمْ  
 يَشْهَدْ غَنِيمَةَ كَلْبٍ فَيُقَسِّمُ الْمَالَ وَيَعْمَلُ فِي النَّاسِ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَيَلْبِي الْأِسْلَامَ بِجِرَّانِهِ عَلَى الْأَرْضِ فَيَلْبَثُ سَبْعَ سِنِينَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ تِسْعَ سِنِينَ ثُمَّ رَوَاهُ  
 أَبُو دَاوُدَ مِنْ رَوَاةِ أَبِي الْخَلِيلِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ  
 الْمَسْئَلَةَ فِي الْأَسْنَادِ الْأَوَّلِ وَرَجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِينَ لَا مَطْعَنَ فِيهِمْ وَلَا مَعْمَرٌ وَقَدْ  
 يُقَالُ إِنَّهُ مِنْ رَوَاةِ قَتَادَةَ عَنْ أَبِي الْخَلِيلِ وَقَتَادَةُ مُدَلِّسٌ وَقَدْ غَنَّعَهُ وَالْمُدَلِّسُ لَا يَقْبَلُ  
 مِنْ حَدِيثِهِ إِلَّا مَا صَرَّحَ فِيهِ بِالسَّمَاعِ مَعَ أَنَّ الْحَدِيثَ لَيْسَ فِيهِ تَضَرُّعٌ بِذِكْرِ الْمَهْدِيِّ  
 نَعَمْ ذَكَرَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي أَبِيهِ وَخَرَجَ أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا وَتَابِعَهُ الْحَاكِمُ عَنْ أَبِي سَعِيدِ  
 الْحَدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَهْدِيُّ مِنِّي أَجَلُ الْجُمُحَةِ أَقْبَى

الْأَنْفَ يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأْتَ ظُلْمًا وَجَوْرًا يَمْلِكُ سَبْعَ سِنِينَ هَذَا لَفْظُ  
 أَبِي دَاوُدَ وَسَكَتَ عَلَيْهِ وَلَفْظُ الْحَاكِمِ الْمَهْدِيِّ مِمَّا أَهْلُ الْبَيْتِ أَشْمُ الْأَنْفِ أَقْنَى أَجَلِي  
 يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأْتَ جَوْرًا وَظُلْمًا يَعِيشُ هَكَذَا وَيَبْسُطُ يَسَارَهُ  
 وَإِصْبَعَيْنِ مِنْ يَمِينِهِ السَّبَابَةِ وَالْأَيْبَاهِمِ وَعُقْدَ ثَلَاثَ قَالَ الْحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ  
 عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخَرِّجْ جَاهُ ٥٠٠هـ. وَعُمَرَانُ الْقَطَّانُ مُخْتَلَفٌ فِي الْأَحْتِجَاجِ بِهِ إِنَّهُ أَخْرَجَ  
 لَهُ الْبُخَارِيُّ اسْتِشْهَادًا لَا أَصْلًا وَكَانَ يَحْيَى الْقَطَّانُ لَا يُحَدِّثُ عَنْهُ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعِينٍ  
 لَيْسَ بِالْقَوِيِّ وَقَالَ مَرَّةً لَيْسَ بِشَيْءٍ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَرْجُو أَنْ يَكُونَ صَالِحًا  
 الْحَدِيثُ وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ زُرَيْعٍ كَانَ حَرُورِيًّا وَكَانَ يَرَى السَّيْفَ عَلَى أَهْلِ الْقَبِيلَةِ وَقَالَ  
 النَّسَائِيُّ ضَعِيفٌ وَقَالَ أَبُو عَيْبَةَ الْأَجْرِيُّ سَأَلْتُ أَبَا دَاوُدَ عَنْهُ فَقَالَ مِنْ أَصْحَابِ الْحَسَنِ  
 وَمَا سَمِعْتُ إِلَّا خَيْرًا وَسَمِعْتُهُ مَرَّةً أُخْرَى ذَكَرَهُ فَقَالَ ضَعِيفٌ أَقْنَى فِي إِبْرَاهِيمَ بْنِ  
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَسَنِ بَقِيَتْ شَدِيدَةٌ فِيهَا سَفْكُ الدِّمَاءِ وَخَرَجَ التُّرْمِذِيُّ وَأَبْنُ مَاجَةَ وَالْحَاكِمُ  
 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ مِنْ طَرِيقِ زَيْدِ الْأَمِيِّ عَنْ أَبِي صَدِيقِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدِ  
 الْخُدْرِيِّ قَالَ خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْضُ شَيْءٍ حَدَّثَ فَسَأَلْنَا نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 إِنْ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يُخْرِجُ وَيَعِيشُ خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا زَيْدُ الشَّاكُ قَالَ قُلْنَا وَمَا ذَلِكَ  
 قَالَ سِنِينَ قَالَ فَجِيءَ إِلَيْهِ فَيَقُولُ يَا مَهْدِيُّ اعْطِنِي قَالَ فَيَحْتَوِلُهُ فِي ثَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ  
 يَحْمِلَهُ لَفْظُ التُّرْمِذِيِّ وَقَالَ هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ وَقَدْ رَوَى مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ  
 النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَفْظُ ابْنِ مَاجَةَ وَالْحَاكِمِ يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ قَصَرَ  
 فَسَبْعٌ وَإِلَّا فَتِسْعٌ فَتَنْعَمُ أُمَّتِي فِيهِ نِعْمَةٌ لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِهَا قَطُّ تَوَاتَرَتْ الْأَرْضُ أَكْلَهَا وَلَا  
 يَدْخُرُ مِنْهُ شَيْءٌ وَالْمَالُ يَوْمئِذٍ كُدُوسٌ فَيَقُومُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ يَا مَهْدِيُّ اعْطِنِي فَيَقُولُ خذْ  
 أَنْتَهُ وَيَزِيدُ الْعَمِيُّ وَإِنْ قَالَ فِيهِ الدَّارِقُطَنِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَيَحْيَى بْنُ مُعِينٍ إِنَّهُ صَالِحٌ  
 وَزَادَ أَحْمَدُ إِنَّهُ فَوْقَ يَزِيدِ الرَّقَاشِيِّ وَفَضَّلَ ابْنُ عَسَى إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِيهِ أَبُو حَاتِمٍ ضَعِيفٌ  
 يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَلَا يَحْتَجُّ بِهِ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعِينٍ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لِأَشْيَاءٍ وَقَالَ مَرَّةً  
 يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَهُوَ ضَعِيفٌ وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ مَتَمَّاسِكٌ وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ لَيْسَ بِقَوِيٍّ وَاهِي  
 الْحَدِيثُ ضَعِيفًا وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ لَيْسَ بِذَلِكَ وَقَدْ حَدَّثَ عَنْهُ شُعْبَةُ وَقَالَ النَّسَائِيُّ ضَعِيفٌ  
 وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ عَامَةٌ مَا يَرْوِيهِ وَمَنْ يَرْوِي عَنْهُمْ ضَعْفًا عَلَيَّ أَنْ شُعْبَةَ قَدْ رَوَى عَنْهُ وَلَعَلَّ

شُعْبَةَ لَمْ يَرْوَهُ عَنْ أَضَعَفَ مِنْهُ وَفَدَّ يُقَالُ إِنَّ حَدِيثَ التُّرْمِذِيِّ وَقَعَ تَفْسِيرًا لِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ  
 فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي  
 خَلِيفَةٌ يَحْتَوِ الْمَالَ حَتَّى لَا يَبْعُدَ عَدَاؤُهَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ مِنْ خَلَفَائِكُمْ خَلِيفَةٌ  
 يَحْتَوِ الْمَالَ حَتَّى تَأْخُذَ مِنْ طَرِيقِ آخِرِي عَنْهُمَا قَالَ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ يَقْسِمُ الْمَالَ  
 وَلَا يَبْعُدُ أَتَيْتُهَا وَأَحَادِيثُ مُسْلِمٍ لَمْ يَقَعْ فِيهَا ذِكْرُ الْمَهْدِيِّ وَلَا دَلِيلٌ يَقُومُ عَلَى أَنَّهُ الْمُرَادُ  
 مِنْهَا وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ عَوْفِ الْأَعْرَابِيِّ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي  
 سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَمْلَأَ الْأَرْضُ  
 جَوْرًا وَظُلْمًا وَعُدْوَانًا ثُمَّ يُخْرِجُ مِنْ أَهْلِ بَيْنِي رَجُلٌ يَمْلَأُهَا قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا  
 وَعُدْوَانًا وَقَالَ فِيهِ الْحَاكِمُ هَذَا صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجْ جَاهُ وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ  
 أَيْضًا عَنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ بْنِ عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ  
 رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يُخْرِجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يَسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ  
 وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ نَبَاتَهَا وَيُعْطِي الْمَالَ صِحَابًا وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ يَعِيشُ سَبْعًا  
 أَوْ ثَمَانِيًا يَعْنِي حَجَجًا وَقَالَ فِيهِ حَدِيثُ صَحِيحِ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجْ جَاهُ مَعَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ  
 عُبَيْدٍ لَمْ يُخْرِجْ لَهُ أَحَدًا مِنَ السَّنَةِ لَكِنْ ذَكَرَهُ أَبُو حَبَانَ فِي الثَّقَاتِ وَلَمْ يَرِدْ أَنَّ أَحَدًا  
 تَكَلَّمَ فِيهِ ثُمَّ رَوَاهُ الْحَاكِمُ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ أَسَدِ بْنِ مُوسَى عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ  
 مَطَرِ الزُّرَّاقِ وَأَبِي هَارُونَ الْعَبْدِيِّ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ النَّاجِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ  
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ تَمْلَأُ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا فَيُخْرِجُ رَجُلٌ مِنْ عَنَرَتِي  
 فَيَمْلَأُ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا وَقِسْطًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا وَقَالَ الْحَاكِمُ  
 فِيهِ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ لِأَنَّهُ أَخْرَجَ عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ وَعَنْ شَيْخِهِ  
 مَطَرِ الزُّرَّاقِ وَأَمَّا شَيْخُهُ الْآخَرُ وَهُوَ أَبُو هَارُونَ الْعَبْدِيُّ فَلَمْ يُخْرِجْ لَهُ وَهُوَ ضَعِيفٌ  
 جِدًّا مَتَّهَمٌ بِالْكَذِبِ وَلَا جَائِزٌ إِلَى بَسْطِ أَقْوَالِ الْأئِمَّةِ فِي تَضَعِيفِهِ وَأَمَّا الرَّاوي لَهُ  
 عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ فَهُوَ أَسَدُ بْنُ مُوسَى يَلْقَبُ أَسَدَ السَّنَةِ وَإِنْ قَالَ الْبُخَارِيُّ مَشْهُورٌ  
 الْحَدِيثُ وَأَسْتَشْهَدُ بِهِ فِي صَحِيحِهِ وَأَحْتَجُّ بِهِ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ مَرَّةً أُخْرَى  
 ثِقَةٌ لَوْ لَمْ يَصْنَفْ كَانَ خَيْرًا لَهُ وَقَالَ فِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَزْمٍ مُبَكَّرُ الْحَدِيثِ وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ  
 فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الْأَوْصَالِ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ وَاصِلٍ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ

النَّاجِي عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ السَّعْدِيِّ أَحَدِ بَنِي بَهْدَلَةَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ  
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يُخْرَجُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يَقُولُ يَسْتَنْي يَنْزِلُ اللَّهُ عَزَّ  
 وَجَلَّ لَهُ الْقَطْرُ مِنَ السَّمَاءِ وَيُخْرَجُ الْأَرْضُ بِرُكْبَتَيْهَا وَتَمْلَأُ الْأَرْضُ مِنْهُ قِسْطًا وَتَدَلُّ كَمَا  
 مَلَّتْ جَوْرًا وَظَلَمًا يَعْدِلُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ سَبْعَ سِنِينَ وَيَنْزِلُ عَلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَقَالَ  
 الطَّبْرَانِيُّ فِيهِ رَوَاهُ جَمَاعَةٌ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ وَلَمْ يَدْخُلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي  
 سَعِيدٍ أَحَدًا إِلَّا أَبَا الْوَاصِلِ فَإِنَّهُ رَوَاهُ عَنْ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنْتَهَى وَهَذَا  
 الْحَسَنِ بْنُ يَزِيدَ ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَلَمْ يَعْرِفْهُ بَأْ كَثَرٍ مِمَّا فِي هَذَا الْإِسْنَادِ مِنْ  
 رَوَاتِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَرَوَايَةُ أَبِي الصَّدِّيقِ عَنْهُ وَقَالَ الذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ إِنَّهُ يُجْهَلُ  
 لَكِنْ ذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانٍ فِي الثَّقَاتِ وَأَمَّا أَبُو الْوَاصِلِ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ أَبِي الصَّدِّيقِ فَلَمْ  
 يُخْرَجْ لَهُ أَحَدٌ مِنَ السَّنَةِ وَذَكَرَهُ ابْنُ حَبَّانٍ فِي الثَّقَاتِ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَقَالَ فِيهِ  
 يَرْوَى عَنْ أَنَسٍ رَوَى عَنْهُ شُعْبَةُ وَعَتَابُ بْنُ بَشِيرٍ وَخَرَّجَ ابْنُ مَاجَةَ فِي كِتَابِ السُّنَنِ  
 عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ  
 قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَمَّا  
 رَأَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ قَالَ فَقُلْتُ مَا نَزَالُ نَرَى  
 فِي وَجْهِكَ شَيْئًا نَكْرَهُهُ فَقَالَ إِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ اخْتَارَ اللَّهُ لَنَا الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا وَإِنَّ أَهْلَ  
 بَيْتِي سَيَلْقَوْنَ بَعْدِي بِلَاءً وَتَشْرِبُونَ مِنْهَا وَتَطْرِبُونَ حَتَّى يَأْتِيَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَعَهُمْ  
 رَايَاتٌ سُودٌ فَيَسْأَلُونَ الْخَبَرَ فَلَا يُعْطَوْنَهُ فَيَقَاتِلُونَ وَيَنْصُرُونَ فَيُعْطُونَ مَا سَأَلُوا  
 فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَدْفَعُوهَا إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَيَمْلَأُهَا قِسْطًا كَمَا مَلَأُهَا جَوْرًا  
 فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلْيَأْتِهِمْ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى التَّلَجِّ أَنْتَهَى. وَهَذَا الْحَدِيثُ يُعْرَفُ  
 عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ بِحَدِيثِ الرَّايَاتِ وَيَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ رَوَاهُ فِيهِ شُعْبَةُ كَانَ رَفَاعًا  
 يَعْنِي يَرْفَعُ الْأَحَادِيثَ الَّتِي لَا تُعْرَفُ مَرْفُوعَةً وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْفَضْلِ مِنْ كِبَارِ أُمَّةِ  
 الشَّيْبَةَ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ لَمْ يَكُنْ بِالْحَافِظِ وَقَالَ مَرَّةً حَدِيثُهُ لَيْسَ بِذَلِكَ وَقَالَ يَحْيَى  
 ابْنُ مَعِينٍ ضَعِيفٌ وَقَالَ الْعَجَلِيُّ جَائِزُ الْحَدِيثِ وَكَانَ بِأَخْرَجِهِ يَلْقَنُ وَقَالَ أَبُو زُرْعَةَ لَيْسَ  
 بِكُتُبِ حَدِيثِهِ وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ لَيْسَ بِالْقَوِيِّ وَقَالَ الْجُرْجَانِيُّ سَمِعْتُهُمْ  
 يُضَعِّفُونَ حَدِيثَهُ وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا تَرَكَ حَدِيثَهُ وَغَيْرُهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ وَقَالَ

ابْنُ عَدِيٍّ هُوَ مِنْ شِيعَةِ أَهْلِ الْكُوفَةِ وَمَعَ ضَعْفِهِ يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَرَوَى لَهُ مُسْلِمٌ  
 لَكِنَّ مَقْرُونًا بغيرِهِ وَبِالْجَمَلَةِ فَالْأَكْثَرُونَ عَلَى ضَعْفِهِ وَقَدْ صَرَّحَ الْأَئِمَّةُ بِتَضْعِيفِ  
 هَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ وَهُوَ حَدِيثُ الرَّايَاتِ وَقَالَ  
 وَكَيْعُ بْنُ الْجُرَّاحِ فِيهِ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَكَذَلِكَ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَقَالَ أَبُو قُدَامَةَ سَمِعْتُ  
 أَبَا سَامَةَ يَقُولُ فِي حَدِيثِ يَزِيدَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ فِي الرَّايَاتِ لَوْ حَلَفَ عِنْدِي خَمْسِينَ يَمِينًا  
 سَامَةَ مَا صَدَّقْتُهُ أَهَذَا مَذْهَبُ إِبْرَاهِيمَ أَهَذَا مَذْهَبُ عَلْقَمَةَ أَهَذَا مَذْهَبُ عَبْدِ اللَّهِ وَأُورِدَ  
 الْعَقْلِيُّ هَذَا الْحَدِيثَ فِي الضُّعْفَاءِ وَقَالَ الذَّهَبِيُّ لَيْسَ بِصَحِيحٍ وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ  
 عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ يَاسِينَ الْعَجَلِيِّ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْظَلِيِّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ قَالَ  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَهْدِيُّ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ يُصَلِّحُ اللَّهُ بِهِ فِي لَيْلَةٍ وَيَاسِينَ الْعَجَلِيُّ  
 وَإِنْ قَالَ فِيهِ ابْنُ مُعِينٍ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ فَقَدْ قَالَ الْبُخَارِيُّ فِيهِ نَظَرٌ وَهَذِهِ اللَّفْظَةُ مِنْ أَصْطِلَاحِهِ  
 قَوِيَّةٌ فِي التَّضْعِيفِ جَدًّا وَأُورِدَ لَهُ ابْنُ عَدِيٍّ فِي الْكَمَالِ وَالذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ هَذَا  
 الْحَدِيثَ عَلَى وَجْهِ الْأَسْتِنْكَارِ لَهُ وَقَالَ هُوَ مَعْرُوفٌ بِهِ وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْأَوْسَطِ  
 عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِنَّا الْمَهْدِيُّ أَمْ مِنْ غَيْرِنَا  
 يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ بَلْ مِنْنَا بِنَا يَخْتِمُ اللَّهُ كَمَا بِنَا فَتَنَحَّ وَبِنَا يَسْتَنْقِذُونَ مِنَ الشَّرِكِ وَبِنَا  
 يُؤَلِّفُ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بَعْدَ عِدَاوَةِ بَيْنِهِ كَمَا بِنَا أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ عِدَاوَةِ الشَّرِكِ قَالَ  
 عَلِيُّ أُمُومِنُونَ أَمْ كَافِرُونَ قَالَ مَفْتُونٌ وَكَافِرٌ أَنْتَهِى وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهِيعةٍ وَهُوَ ضَعِيفٌ  
 مَعْرُوفٌ الْحَالِ وَفِيهِ عُمَرُ بْنُ جَابِرِ الْحَضْرَمِيِّ وَهُوَ أَوْسَعُ مِنْهُ قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ  
 رَوَى عَنْ جَابِرٍ مِنْ أَكْبَرِ وَبَلَّغَنِي أَنَّهُ كَانَ يَكْذِبُ وَقَالَ النَّسَائِيُّ لَيْسَ بِثِقَّةٍ وَقَالَ كَانَ ابْنُ  
 لَهِيعةٍ شَيْخًا أَحْمَقَ ضَعِيفَ الْعَقْلِ وَكَانَ يَقُولُ عَلِيُّ فِي السَّحَابِ وَكَانَ يَجْلِسُ مَعَنَا فَيُبْصِرُ  
 سَحَابَةً فَيَقُولُ هَذَا عَلِيُّ قَدْ مَرَّ فِي السَّحَابِ وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ  
 أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فِتْنَةٌ يَحْصُلُ النَّاسُ فِيهَا  
 كَمَا يَحْصُلُ الذَّهَبُ فِي الْمَعْدِنِ فَالَّذِينَ تَسَبَّوْا أَهْلَ الشَّامِ وَلَكِنَّ سَبَّوْا أَشْرَارُهُمْ فَإِنَّ فِيهِمْ  
 الْأَبْدَالَ يُوشِكُ أَنْ يُرْسَلَ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ صَيْبٌ مِنَ السَّمَاءِ فَيَفْرِقُ جَمَاعَتَهُمْ حَتَّى لَوْ  
 قَاتَلَتْهُمْ النُّعَالِبُ غَلَبَتْهُمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ خَارِجٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي ثَلَاثِ رَايَاتٍ الْمُكْرَرُ  
 يَقُولُ فِيهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَالْمَقْلُ يَقُولُ فِيهِمْ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا وَأَمَّارَتُهُمْ أُمَّتٌ يَلْقَوْنَ

سَبْعَ رَيَاتٍ تَحْتَ كُلِّ رَايَةٍ مِنْهَا رَجُلٌ يَطْلُبُ الْمَلِكَ فَيَقْتُلُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا وَيَرُدُّ اللَّهُ إِلَى  
الْمُسْلِمِينَ الْفِتْمَةَ وَنِعْمَتَهُمْ وَقَاصِيَتَهُمْ وَرَأْيَهُمْ ١٠٠٠. وَفِيهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ لَهَيْعَةَ وَهُوَ ضَعِيفٌ  
مَعْرُوفٌ الْحَالِ وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ وَقَالَ صَحِيحُ الْأِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجْ جَاهُ فِي رِوَايَتِهِ  
ثُمَّ يَظْهَرُ الْهَاشِمِيُّ فَيَرُدُّ اللَّهُ النَّاسَ إِلَى الْفِتْمَةَ الخ وَأَيْسَ فِي طَرِيقِهِ ابْنُ لَهَيْعَةَ وَهُوَ إِسْنَادٌ  
صَحِيحٌ كَمَا ذَكَرَ وَخَرَجَ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ رِوَايَةِ  
أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ قَالَ كُنَّا عِنْدَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ  
الْمَهْدِيِّ فَقَالَ لَهُ هِيَ بَاتٌ ثُمَّ عَقَدَ بِيَدِهِ سَبْعًا فَقَالَ ذَلِكَ يُخْرِجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَالَ  
الرَّجُلُ اللَّهُ اللَّهُ قُتِلَ وَيَجْمَعُ اللَّهُ لَهُ قَوْمًا قَزَعًا كَقَزَعِ السَّحَابِ يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَ  
قُلُوبِهِمْ فَلَا يَسْتَوْحِشُونَ إِلَى أَحَدٍ وَلَا يَفْرَحُونَ بِأَحَدٍ دَخَلَ فِيهِمْ عِدَّتُهُمْ عَلَى عِدَّةِ أَهْلِ  
بَدْرٍ لَمْ يَسْبِقَهُمُ الْأَوَّلُونَ وَلَا يَدْرِكُهُمُ الْآخِرُونَ وَعَلَى عَدَدِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ  
جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ قَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ قَالَ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ أَرِيدُهُ قُلْتُ نَعَمْ قَالَ فَإِنَّهُ يُخْرِجُ مِنْ  
بَيْنِ هَدْيِ الْأَخَشَبِيِّ قُلْتُ لَا جَرَمَ وَاللَّهِ وَلَا أَدْعُهَا حَتَّى أَمُوتَ وَمَاتَ بِهَا بَعْضُ مَكَّةَ  
قَالَ الْحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ أَنْتَهَى وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ  
فَقَطَّ فَإِنَّ فِيهِ عَمَّارَ الدَّهْيِيِّ وَيُونُسَ بْنَ أَبِي إِسْحَاقَ وَلَمْ يُخْرِجْ لِهَذَا الْبُخَارِيُّ وَفِيهِ عَمْرُو  
بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَقْرِيُّ وَلَمْ يُخْرِجْ لَهُ الْبُخَارِيُّ أَحْتِجَابًا بَلْ اسْتِشْهَادًا مَعَ مَا يَنْضُمُ إِلَى ذَلِكَ  
مِنْ تَشْيِيعِ عَمَّارَ الدَّهْيِيِّ وَهُوَ وَإِنْ وَثِقَهُ أَحْمَدُ وَأَبْنُ مَعِينٍ وَأَبُو حَاتِمٍ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُمْ  
فَقَدْ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ عَنْ سَفْيَانَ أَنَّ بَشْرَ بْنَ مَرْوَانَ قَطَعَ عِرْقَ قَوْمِهِ قُلْتُ فِي أَيِّ شَيْءٍ  
قَالَ فِي التَّشْيِيعِ وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي رِوَايَةِ سَعْدِ بْنِ  
عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ زِيَادِ الْيَمَامِيِّ عَنْ عِكْرَمَةَ بْنِ عَمَّارٍ عَنْ إِسْحَاقَ  
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَنَسِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يُخْبَرُ وُلْدُ  
عَبْدِ الْمُطَّلَبِ سَادَاتُ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَا وَحَمْزَةُ وَعَلِيٌّ وَجَعْفَرٌ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَالْمَهْدِيُّ  
أَنْتَهُ وَعِكْرَمَةَ بْنُ عَمَّارٍ وَإِنْ أَخْرَجَ لَهُ مُسْلِمٌ فَإِنَّمَا أَخْرَجَ لَهُ مُتَابِعَةٌ وَقَدْ ضَعَفَهُ بَعْضُ  
وَوَثِقَهُ آخَرُونَ وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ الرَّازِيُّ هُوَ مُدَلِّسٌ فَلَا يَقْبَلُ إِلَى أَنْ يُصْرَحَ بِالسَّمْعِ  
عَلَيْ بْنِ زِيَادٍ قَالَ الدَّهْيِيُّ فِي الْمِيزَانِ لَا تَدْرِي مَنْ هُوَ ثُمَّ قَالَ الصَّوَابُ فِيهِ عَبْدُ اللَّهِ  
ابْنُ زِيَادٍ وَسَعْدُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ وَإِنْ وَثِقَهُ يَعْقُوبُ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَقَالَ فِيهِ يَعْجَبُ بْنُ

مُعِين لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ فَقَدْ تَكَلَّمَ فِيهِ الثَّوْرِيُّ قَالُوا لِأَنَّهُ رَأَى بُفْيَ فِي مَسَائِلٍ وَيُخْطِئُ  
 فِيهَا وَقَالَ أَبُو حَبَانَ كَانَ مِمَّنْ فَحَسَّ عَطَاؤُهُ فَلَا يُحْتَجُّ فِيهِ وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ سَعِيدُ  
 ابْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ يَدْعِي أَنَّهُ سَمِعَ عَرَضَ كُتُبِ مَالِكٍ وَالنَّاسُ يُنْكِرُونَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَهُوَ  
 هَهُنَا بِيَعْدَادٍ لَمْ يُحْتَجَّ فَكَيْفَ سَمِعَهَا وَجَعَلَهُ الذَّهَبِيُّ مِمَّنْ لَمْ يَقْدَحْ فِيهِ كَلَامٌ مِنْ تَكَلَّمَ  
 فِيهِ وَخَرَجَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ رِوَايَةِ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْفُوقًا عَلَيْهِ قَالَ  
 مُجَاهِدٌ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ لَوْ لَمْ أَسْمَعْ أَنَّكَ مِثْلُ أَهْلِ الْبَيْتِ مَا حَدَّثْتُكَ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَالَ  
 فَقَالَ مُجَاهِدٌ فَإِنَّهُ فِي سَنَرٍ لَا أَذْكَرُهُ لِمَنْ يَكْرَهُ قَالَ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ مَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ  
 أَرْبَعَةٌ مَنَا السَّفَاحُ وَمَنَا الْمُنْدِرُ وَمَنَا الْمَهْدِيُّ قَالَ فَقَالَ مُجَاهِدٌ بَيْنَ لِي هُوَ لَأَرْبَعَةٌ  
 فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَمَا السَّفَاحُ فَرُبَّمَا قُتِلَ أَنْصَارُهُ وَعَفَا عَنْ عَدُوِّهِ وَأَمَا الْمُنْدِرُ أَرَاهُ قَالَ  
 فَإِنَّهُ يُعْطِي الْمَالَ الْكَثِيرَ وَلَا تَبْعَازُمْ فِي نَفْسِهِ وَيُمْسِكُ الْقَلِيلَ مِنْ حَقِّهِ وَأَمَا الْمَنْصُورُ  
 فَإِنَّهُ يُعْطِي النَّصْرَ عَلَى عَدُوِّهِ الشُّطْرَ مِمَّا كَانَ يُعْطِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَيَرْهَبُ مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرَيْنِ وَالْمَنْصُورُ يَرْهَبُ مِنْهُ عَدُوُّهُ عَلَى مَسِيرَةِ شَهْرٍ  
 وَأَمَا الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَمْنَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَأَمَّا مِنَ الْبَهَائِمِ السِّيَاحُ وَتَلْقَى  
 الْأَرْضُ أَفْلَازُ كَيْدِهَا قَالَ قُلْتُ وَمَا أَفْلَازُ كَيْدِهَا قَالَ أَمْثَالُ الْأَسْطُوانَةِ مِنَ الذَّهَبِ  
 وَالْفِضَّةِ وَقَالَ الْحَاكِمُ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادُ وَلَمْ يُخْرِجْ جَاهُ وَهُوَ مِنْ رِوَايَةِ إِسْمَاعِيلَ  
 ابْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مِهَاجِرٍ عَنْ أَبِيهِ وَإِسْمَاعِيلُ ضَعِيفٌ وَإِبْرَاهِيمُ أَبُوهُ وَإِنْ خَرَجَ لَهُ مُسْلِمٌ  
 فَلَا كَثْرُونَ عَلَى تَضْعِيفِهِ ١٠٠٠. وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْتُلُ عِنْدَ كِبَرِكُمْ ثَلَاثَةٌ كَلِمُهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ  
 ثُمَّ تَطْلُعُ الرِّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيَقْتُلُونَهُمْ قَتْلًا لَمْ يَقْتُلْهُ قَوْمٌ ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا  
 لَا أَحْفَظُهُ قَالَ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى التَّلْحِ فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ ١٠٠٠.  
 وَرَجَالُهُ رِجَالُ الصَّيْحَانِ إِلَّا أَنْ فِيهِ أَبَا فَلَابَةَ الْجُرْنِيِّ وَذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ مُدْلَسٌ  
 وَفِيهِ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ وَهُوَ مَشْهُورٌ بِالنَّدِيسِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنَعَنَ وَلَمْ يَبْصُرْ بِالسَّمَاعِ  
 فَلَا يُقْبَلُ وَقِيَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْنُ هَمَّامٍ وَكَانَ مَشْهُورًا بِالنَّشِيعِ وَعَمِي فِي آخِرِ وَقْتِهِ فَخَلَطَ  
 قَالَ بَنُ عَبْدِ حَدَّثَ بِأَحَادِيثٍ فِي الْفَضَائِلِ لَمْ يُؤَافِقْهُ عَلَيْهَا أَحَدٌ وَسَبَّوهُ إِلَى النَّشِيعِ  
 إِنَّتْهِ. وَخَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ جَزْءِ الزَّيْدِيِّ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ

لهيعة عن أبي زرعة عن عمر بن جابر الحضرمي عن عبد الله بن الحارث بن جزة قال  
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ناس من المشرق فيوطنون للمهدي يعني  
 سلطانه قال الطبراني في تفرده به ابن لهيعة وقد تقدم لنا في حديث علي الذي خرجه  
 الطبراني في معجمه الأوسط أن ابن لهيعة ضعيف وأن شيخه عمر بن جابر أضعف  
 منه وخرج البزار في مسنده والطبراني في معجمه الأوسط واللفظ للطبراني عن  
 أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون في أمي المهدي إن قصر فسبع  
 وإلا فثمان وإلا فثبع نعم فيها أمي نعمة لم ينعموا بمثلها ترسل السماء عليهم مدرارا  
 ولا تدخر الأرض شيئا من النبات والمال كدوس يقوم الرجل يقول يا مهدي اعطني  
 فيقول خذ قال الطبراني والبزار تفرده به محمد بن مروان العجلي زاد البزار ولا تعلم  
 أنه تابعه عليه أحد وهو وإن وثقه أبو داود وابن حبان أيضا بما ذكره في الثقات  
 وقال فيه يحيى بن معين صالح وقال مرة ليس به بأس فقد اختلفوا فيه وقال أبو زرعة  
 ليس عندي بذلك وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل رأيت محمد بن مروان العجلي  
 حدث بأحاديث وأنا شاهد لم نكتبها تركتها على عمه وكتب بعض أصحابنا عنه  
 كأنه ضعفه وخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي هريرة وقال حديثي خليلي  
 أبو القاسم صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يخرج عليهم رجل من أهل  
 بيتي فيضربهم حتى يرجعوا إلى الخلق قال قلت وكم يملك قال خمسا وأثنى قال قلت وما  
 خمسا وأثنى قال لا أدري اه. وهذا السند غير محتجج به وإن قال فيه بشير بن نهيك  
 وقال فيه أبو حاتم لا يحتجج به فقد احتجج به الشيخان ووثقه الناس ولم يلتفتوا إلى قول  
 أبي حاتم لا يحتجج به إلا أنه قال فيه رجاء ابن أبي رجاء الشكري وهو مختلف فيه قال  
 أبو زرعة ثقة وقال يحيى بن معين ضعيف وقال أبو داود ضعيف وقال مرة صالح وعلق  
 له البخاري في صحيحه حديثا واحدا وخرج أبو بكر البزار في مسنده والطبراني في  
 معجمه الكبير والأوسط عن قرة بن إياس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 لتملأن الأرض جورا وظلما فإذا ملئت جورا وظلما بعث الله رجلا من أمي اسمه  
 اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما فلا تمنع السماء  
 من قطرها شيئا ولا تدخر الأرض شيئا من نباتها يلبث فيكم سبعا أو ثمانيا أو تسعا

يَعْنِي سَنِينَ ٥٠. وَفِيهِ دَاوُدُ بْنُ الْحُجْبِيِّ بْنِ الْحُجْرَمِ عَنْ أَبِيهِ وَهُمَا ضَعِيفَانِ جِدًّا وَخَرَجَ  
الطَّبْرَانِيُّ فِي مُجْمَعِهِ الْأَوْسَطِ عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي  
نَفَرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَنْ يَسَارِهِ وَالْعَبَّاسُ عَنْ يَمِينِهِ إِذْ  
تَلَا حَى الْعَبَّاسُ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَغْلَظَ الْأَنْصَارِيُّ لِلْعَبَّاسِ فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ بِيَدِ الْعَبَّاسِ وَبِيَدِ عَلِيٍّ وَقَالَ سَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا حَتَّى يَمَلَأَ الْأَرْضَ جَوْرًا  
وظُلْمًا وَسَيَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ هَذَا حَتَّى يَمَلَأَ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَعَلَيْكُمْ  
بِالْفَتَى التَّمِيمِيِّ فَإِنَّهُ يُقْبَلُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ وَهُوَ صَاحِبُ رِبَاةِ الْمَهْدِيِّ. انْتَهَى. وَفِيهِ  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهَيْعَةَ وَهُمَا ضَعِيفَانِ ٥٠. وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ فِي مُجْمَعِهِ  
الْأَوْسَطِ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَتَكُونُ فِتْنَةٌ  
لَا يَسْكُنُ مِنْهَا جَانِبٌ إِلَّا تَشَاجَرُ جَانِبٌ حَتَّى يُنَادِيَ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ إِنْ أَمِيرُكُمْ فَلَانٌ.  
٥٠. وَفِيهِ الْمُنْتَهَى بْنُ الصَّبَاحِ وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدًّا وَوَلَيْسَ فِي الْأَحَادِيثِ تَصْرِيحٌ بِدِكْرِ الْمَهْدِيِّ  
وَإِنَّمَا ذَكَرُوهُ فِي أَبْوَابِهِ وَتَرْجُمَتِهِ اسْتِنْسَاسًا فَهَذِهِ جُمْلَةُ الْأَحَادِيثِ الَّتِي خَرَجَهَا  
الْأئِمَّةُ فِي شَأْنِ الْمَهْدِيِّ وَخَرُوجِهِ آخِرَ الزَّمَانِ وَهِيَ كَمَا رَأَيْتَ لَمْ يَخْلُصْ مِنْهَا مِنْ  
النَّقْدِ إِلَّا الْقَلِيلُ وَالْأَقْلُ مِنْهُ وَرُبَّمَا تَمَسَّكَ الْمُنْكَرُونَ لِشَأْنِهِ بِمَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ  
خَالِدِ الْجُنْدِيِّ عَنْ أَبَانَ بْنِ صَالِحٍ بْنِ أَبِي عِيَّاشٍ عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ  
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لَا مَهْدِيَّ إِلَّا أَعْيَسَى بْنُ مَرْزِيمٍ وَقَالَ يَحْيَى بْنُ  
مُعِينٍ فِي مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ إِنَّهُ ثِقَةٌ وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ تَقَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ خَالِدٍ وَقَالَ الْحَاكِمُ فِيهِ  
إِنَّهُ رَجُلٌ مَجْهُولٌ وَأَخْتَلَفَ عَلَيْهِ فِي إِسْنَادِهِ فَمَرَّةٌ يَرْوُونَهُ كَمَا تَقَدَّمَ وَيُنَسَبُ ذَلِكَ  
لِمُحَمَّدِ بْنِ أَدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ وَمَرَّةٌ يَرْوُونَهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبَانَ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ  
النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرُسُلًا قَالَ الْبَيْهَقِيُّ فَرَجَعَ إِلَى رِوَايَةِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ وَهُوَ  
مَجْهُولٌ عَنْ أَبَانَ بْنِ أَبِي عِيَّاشٍ وَهُوَ مَثْرُوكٌ عَنِ الْحَسَنِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَهُوَ مُنْقَطِعٌ وَبِالْجُمْلَةِ فَأَلْحَدِيثُ ضَعِيفٌ مُضْطَرِبٌ وَقَدْ قِيلَ أَنَّ لِمَهْدِيَّ الْأَعْيَسَى أَيْنِ  
لَا يَتَكَلَّمُ فِي الْمَهْدِيِّ الْأَعْيَسِيِّ يُحَاوِلُونَ هَذَا التَّوَابِلَ رَدَّ الْأَحْتِجَاجِ بِهِ أَوْ الْجَمْعَ بَيْنَهُ  
وَبَيْنَ الْأَحَادِيثِ وَهُوَ مَذْفُوعٌ بِحَدِيثِ جَرِيحٍ وَمِثْلِهِ مِنَ الْخَوَارِقِ. وَأَمَّا الْمَذْهُوقَةُ فَلَمْ  
يَكُنِ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْهُمْ يَخُوضُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ هَذَا وَإِنَّمَا كَانَ كَلَامَهُمْ فِي الْجَاهِدَةِ

بِالْأَعْمَالِ وَمَا يَحْصُلُ عَنْهَا مِنْ تَتَابُجِ الْمَوَاجِدِ وَالْأَحْوَالِ وَكَانَ كَلَامُ الْإِمَامِيَّةِ وَالرَّافِضَةِ  
 مِنَ الشَّيْعَةِ فِي تَفْصِيلِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَالْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ وَادِّعَاءِ الْوَصِيَّةِ لَهُ  
 بِذَلِكَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالتَّبَرُّيِّ مِنَ الشَّيْخَيْنِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي مَذَاهِبِهِمْ  
 ثُمَّ حَدَّثَ فِيهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَوْلُ بِالْإِمَامِ الْمَعْصُومِ وَكَثُرَتِ التَّأْلِيفُ فِي مَذَاهِبِهِمْ وَجَاءَ  
 الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ مِنْهُمْ يَدْعُونَ الْوَهْبِيَّةَ الْإِمَامِ بِنَوْعٍ مِنَ الْحُلُولِ وَآخَرُونَ يَدْعُونَ رَجْعَةَ  
 مِنْ مَاتَ مِنَ الْأَئِمَّةِ بِنَوْعِ التَّمَاثُلِ وَآخَرُونَ مُنْتَظِرُونَ مَجِيئِيٍّ مِنْ يَقْطَعُ بَيِّنَاتِهِ مِنْهُمْ  
 وَآخَرُونَ مُنْتَظِرُونَ عَوْدَ الْأَمْرِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ مُسْتَدَلِّينَ عَلَى ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَ نَاهُ مِنْ  
 الْأَحَادِيثِ فِي الْمَهْدِيِّ وَغَيْرِهَا ثُمَّ حَدَّثَ أَيْضًا عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الصُّوفِيَّةِ الْكَلَامُ  
 فِي الْكُشْفِ وَفِيهَا وَرَاءَ الْحُسْنِ وَظَهَرَ مِنْ كَثِيرٍ مِنْهُمْ الْقَوْلُ عَلَى الْإِطْلَاقِ بِالْحُلُولِ  
 وَالْوَحْدَةِ فَشَارَكُوا فِيهَا الْإِمَامِيَّةَ وَالرَّافِضَةَ لِقَوْلِهِمْ بِالْوَهْبِيَّةِ الْآئِمَّةِ وَحُلُولِ الْإِلَهِ فِيهِمْ  
 وَظَهَرَ مِنْهُمْ أَيْضًا الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ وَالْإِبْدَالِ وَكَانَهُ يُحَاكِي مَذَهَبَ الرَّافِضَةِ فِي الْإِمَامِ  
 وَالنُّقْبَاءِ وَأَشْرَبُوا أَقْوَالَ الشَّيْعَةِ وَتَوَعَّلَوْا فِي الدِّيَانَةِ بِمَذَاهِبِهِمْ حَتَّى جَعَلُوا مُسْتَدَلِّ طَرِيقِهِمْ  
 فِي لُبْسِ الْحُرْقَةِ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَلْبَسَهَا الْحُسَيْنَ الْبَصْرِيَّ وَأَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ  
 بِالْإِتْرَامِ الطَّرِيقَةَ وَأَتَّصَلَ ذَلِكَ عَنْهُمْ بِالْجَنِيدِ مِنْ شَيْوَحِهِمْ وَلَا يَعْلَمُ هَذَا عَنْ عَلِيٍّ مِنْ  
 وَجْهِ صَحِيحٍ وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ خَاصَّةً بِعَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ بَلِ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ  
 أُسُوةٌ فِي طَرِيقِ الْهُدَى وَفِي تَخْصِصِ هَذَا بِعَلِيِّ دُونِهِمْ رَاحَةٌ مِنَ التَّشْبِيعِ قُوَّةٌ يَفْهَمُ  
 مِنْهَا وَمِنْ غَيْرِهَا مِنَ الْقَوْمِ دَخَلَهُمْ فِي التَّشْبِيعِ وَانْتِزَاعِهِمْ فِي سَلْكِهِ وَظَهَرَ مِنْهُمْ أَيْضًا  
 الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ وَأَمْتَلَاتُ كُتُبُ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ مِنَ الرَّافِضَةِ وَكُتُبُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ  
 الْمُتَّصِفَةِ بِمِثْلِ ذَلِكَ فِي الْفَلَاطِمِيِّ الْمُنْتَظَرِ وَكَانَ بَعْضُهُمْ يُمَاهِرُهُ عَلَى بَعْضٍ وَيَلْقَنُهُ بَعْضُهُمْ  
 عَنْ بَعْضٍ وَكَانَهُ مُبْتَنِيٌّ عَلَى أَصُولٍ وَاهِيَةٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ وَرُبَّمَا يَسْتَدِلُّ بَعْضُهُمْ بِكَلَامِ  
 الْمُتَّخِمِينَ فِي الْقُرْآنَاتِ وَهُوَ مِنْ نَوْعِ الْكَلَامِ فِي الْمَلَا حِمِّ وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهَا  
 فِي الْبَابِ الَّذِي بَلَّيَ هَذَا وَآكْثَرُ مِنْ تَكَلُّمٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَّصِفَةِ الْمَتَأَخِّرِينَ فِي شَأْنِ  
 الْفَلَاطِمِيِّ ابْنِ الْعَرَبِيِّ الْحَاتِمِيِّ فِي كِتَابِ عِنَقَاءِ مَغْرِبِ وَأَبْنُ قَسِيٍّ فِي كِتَابِ خَلْعِ  
 التَّعْلِينِ وَعَبْدُ الْحَقِّ بْنُ سَبْعِينَ وَأَبْنُ أَبِي وَاصِلٍ تَلْمِيذُهُ فِي شَرْحِهِ لِكِتَابِ خَلْعِ التَّعْلِينِ  
 وَآكْثَرُ كَلِمَاتِهِمْ فِي شَأْنِهِ الْغَازُ وَأَمْثَالُ وَرُبَّمَا يَبْصُرُ حُونَ فِي الْأَوَّلِ أَوْ يَبْصُرُ مَفْسِرُو

كَلَامِهِمْ وَحَاصِلُ مَذْهَبِهِمْ فِيهِ عَلَى مَا ذَكَرَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ أَنَّ النَّبُوَّةَ بِهَا ظَهَرَ الْحَقُّ  
 وَالْهَدَى بَعْدَ الضَّلَالِ وَالْعَمَى وَأَنَّهَا تَعْقِبُهَا الْخِلَافَةُ ثُمَّ يَعْقِبُ الْخِلَافَةَ الْمَلِكُ ثُمَّ يَعُودُ مُجِبًّا  
 وَتَكْبِيرًا وَبَاطِلًا قَالُوا وَلَمَّا كَانَ فِي الْمَعْرُودِ مِنْ سُنَّةِ اللَّهِ رُجُوعَ الْأُمُورِ إِلَى مَا كَانَتْ وَجِبَتْ  
 أَنْ يَحْيَا أَمْرُ النَّبُوَّةِ وَالْحَقُّ بِالْوِلَايَةِ ثُمَّ بِخِلَافَتِهَا ثُمَّ يَعْقِبُهَا الدَّجَلُ مَكَانَ الْمَلِكِ وَالْتِسَلُّطُ  
 ثُمَّ يَعُودُ الْكُفْرُ بِحَالِهِ يُشِيرُونَ بِهَذَا إِسْمًا وَقَعَ مِنْ شَأْنِ النَّبُوَّةِ وَالْخِلَافَةِ بَعْدَهَا وَالْمَلِكُ  
 بَعْدَ الْخِلَافَةِ هَذِهِ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ وَكَذَلِكَ الْوِلَايَةِ الَّتِي هِيَ لِهَذَا الْفَاطِمِيِّ وَالِدَّجَلُ بَعْدَهَا  
 كِتَابَةٌ عَنْ خُرُوجِ الدَّجَالِ عَلَى أَثَرِهِ وَالْكَفْرُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِيهِ ثَلَاثُ مَرَاتِبٍ عَلَى نِسْبَةِ  
 الثَّلَاثِ الْمَرَاتِبِ الْأُولَى قَالُوا وَلَمَّا كَانَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ لِقُرَيْشٍ حُكْمًا شَرْعِيًّا بِالْإِجْمَاعِ  
 الَّذِي لَا يُوْهِنُهُ إِنْكَارُ مَنْ لَمْ يَزُولْ عِلْمُهُ وَجِبَتْ أَنْ تَكُونَ الْإِمَامَةُ فِيمَنْ هُوَ أَحْضٌ  
 مِنْ قُرَيْشٍ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَامًا ظَاهِرًا كِبْنِي عَبْدِ الطَّلَبِ وَإِمَامًا بَاطِنًا مِمَّنْ  
 كَانَ مِنْ حَقِيقَةِ الْأَلِّ وَالْأَلِّ مَنْ إِذَا حَضَرَ لَمْ يَلْقَبْ مَنْ هُوَ آلُهُ وَأَبْنُ الْعَرَبِيِّ  
 الْحَاتِمِيُّ سَمَّاهُ فِي كِتَابِهِ عِنَقَاءَ مُغْرَبٍ مِنْ تَأْلِيفِهِ خَاتِمَ الْأَوْلِيَاءِ وَكَتَبَ عَنْهُ بِأُتْبَةٍ  
 الْفِضَّةِ إِشَارَةً إِلَى حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ فِي بَابِ خَاتِمِ النَّبِيِّينَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 مَثَلِي فِيمَنْ قَبْلِي مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بَيْتًا وَكَمَلَهُ حَتَّى إِذَا أَمَّ بَقِيَ مِنْهُ  
 إِلَّا مَوْضِعُ لُبْنَةٍ فَأَنَا تِلْكَ اللَّبْنَةُ فَيُفْسِرُونَ خَاتِمَ النَّبِيِّينَ بِاللُّبْنَةِ حَتَّى أَكْمَلْتُ الْبُنْيَانَ  
 وَمَعْنَاهُ النَّبِيُّ الَّذِي حَصَلَتْ لَهُ النَّبُوَّةُ الْكَمَالَةُ وَيُمَثِّلُونَ الْوِلَايَةَ فِي تَفَاوُتِ مَرَاتِبِهَا  
 بِالنَّبُوَّةِ وَيَجْعَلُونَ صَاحِبَ الْكَمَالِ فِيهَا خَاتِمَ الْأَوْلِيَاءِ أَيَّ حَائِزِ الرُّتْبَةِ الَّتِي هِيَ خَاتِمَةُ  
 الْوِلَايَةِ كَمَا كَانَ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ حَائِزًا لِلْمَرْتَبَةِ الَّتِي هِيَ خَاتِمَةُ النَّبُوَّةِ نَكَنَى الشَّارِحُ  
 عَنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ الْخَاتِمَةَ بِاللُّبْنَةِ الْبَيْتِ فِي الْحَدِيثِ الْمَذْكُورِ وَهَمَّا عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ  
 فِيهِمَا فِيهِ لُبْنَةٌ وَاحِدَةٌ فِي التَّمْثِيلِ فِي النَّبُوَّةِ لُبْنَةٌ ذَهَبٌ وَفِي الْوِلَايَةِ لُبْنَةٌ فِضَّةٌ لِلتَّفَاوُتِ  
 بَيْنَ الرُّتْبَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فَيَجْعَلُونَ لُبْنَةَ الذَّهَبِ كِتَابَةً عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلُبْنَةَ الْفِضَّةِ كِتَابَةً عَنِ هَذَا الْوَلِيِّ الْفَاطِمِيِّ الْمُنْتَظَرِ وَذَلِكَ خَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ  
 وَهَذَا خَاتِمُ الْأَوْلِيَاءِ وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ فِيمَا نَقَلَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ عَنْهُ وَهَذَا الْإِمَامُ  
 الْمُنْتَظَرُ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ وَظُهُورُهُ يَكُونُ مِنْ بَعْدِ مُصْحِي خ ف ج مِنْ  
 الْهَجْرَةِ وَرَسَمٌ حُرُوفًا ثَلَاثَةٌ يُرِيدُ عَدَدَهَا بِحِسَابِ الْجَمَلِ وَهُوَ الْخَاءُ الْمُهْجَمَةُ بِوَاحِدَةٍ مِنْ

فَوْقُ سِتْمِائَةٍ وَالْفَاءُ أُخْتُ الْقَافِ بِثَمَانِينَ وَالْجِيمُ الْمُجْمَعَةُ بِوَاحِدَةٍ مِنْ أَسْفَلِ ثَلَاثَةٍ  
وَذَلِكَ سِتْمِائَةٌ وَثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً وَهِيَ آخِرُ الْقَرْنِ السَّابِعِ وَلَمَّا أَنْصَرَمَ هَذَا الْعَصْرُ  
وَلَمْ يَظْهَرْ حَمَلُ ذَلِكَ بَعْضُ الْمُقَلِّدِينَ لَهُمْ عَلَى ابْنِ الْمُرَادِ بِتِلْكَ الْمُدَّةِ مَوْلَاهُ وَعَبَّرَ  
بِظُهُورِهِ عَنْ مَوْلَاهُ وَإِنْ خُرُوجُهُ يَكُونُ بَعْدَ الْعَشْرِ وَالسَّبْعِ الْمِائَةِ فَإِنَّهُ الْإِمَامُ النَّاجِمُ مِنْ  
بَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ قَالَ وَإِذَا كَانَ مَوْلَاهُ كَمَا زَعَمَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَثَمَانِينَ  
وَسِتْمِائَةٍ فَيَكُونُ عُمُرُهُ عِنْدَ خُرُوجِهِ سِتًّا وَعِشْرِينَ سَنَةً قَالَ وَزَعَمُوا أَنَّ خُرُوجَ الدَّجَالِ  
يَكُونُ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ مِنَ الْيَوْمِ الْمُحَمَّدِيِّ وَابْتِدَاءُ الْيَوْمِ الْمُحَمَّدِيِّ  
عِنْدَهُمْ مِنْ يَوْمِ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَمَامِ أَلْفِ سَنَةٍ قَالَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ  
فِي شَرْحِهِ كِتَابَ خَلْعِ النُّعَلَيْنِ الْوَلِيُّ الْمُنْتَظَرُ الْقَائِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ الْمَشَارِئِ إِلَيْهِ بِمُحَمَّدِ  
الْمَهْدِيِّ وَخَاتِمِ الْأَوْلِيَاءِ وَائِسَ هُوَ بِنَبِيِّ وَإِنَّمَا هُوَ وَوَلِيُّ أَتَعْتَهُ رُوحُهُ وَحَبِيْبُهُ قَالَ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَالِمُ فِي قَوْمِهِ كَالنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ وَقَالَ عَلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَلَمْ تَزَلِ الْبَشَرَى تَتَّبَعُ بِهِ مِنْ أَوَّلِ الْيَوْمِ الْمُحَمَّدِيِّ إِلَى قَبِيلِ الْخُمْسِمِائَةِ نِصْفِ الْيَوْمِ  
وَتَأَكَّدَتْ وَتَضَاعَفَتْ بِبَشَائِرِ الْمَشَائِخِ بِتَقْرِيْبِ وَقْتِهِ وَأَزْدِ لَافِ زَمَانِهِ مِنْذُ انْقَضَتْ  
إِلَى هَلْمِ جَرًّا قَالَ وَذَكَرَ الْكِنْدِيُّ أَنَّ هَذَا الْوَلِيَّ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي بِالنَّاسِ صَلَاةَ الظُّهْرِ  
وَيَجِدُّ الْإِسْلَامَ وَيُظْهِرُ الْعَدْلَ وَيَفْتَحُ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ وَيَصِلُ إِلَى رُومِيَةٍ فَيَفْتَحُهَا  
وَيَسِيرُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَيَفْتَحُهَا وَيَفْتَحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ وَيَصِيرُ لَهُ مَلِكُ الْأَرْضِ فَيَتَّقَوِي  
الْمُسْلِمُونَ وَيَعْلُو الْإِسْلَامُ وَيُظْهِرُ دِينَ الْخَنَفِيَّةِ فَإِنَّ مِنْ صَلَاةِ الظُّهْرِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ  
وَقْتِ صَلَاةٍ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتٍ وَقَالَ الْكِنْدِيُّ أَيْضًا  
الْحُرُوفُ الْعَرَبِيَّةُ غَيْرُ الْمُجْمَعَةِ يَعْنِي الْمَفْتُوحَ بِهَا سُورَةُ الْقُرْآنِ جُمْلَةٌ عَدَدُهَا سَبْعِمِائَةٌ  
وَثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ وَسَبْعٌ دَجَالِيَّةٌ ثُمَّ يَنْزِلُ عَيْسَى فِي وَقْتِ صَلَاةِ الْعَصْرِ فَيُصَلِّحُ الدُّنْيَا  
وَتَمْشِي الشَّاةُ مَعَ الذَّنْبِ ثُمَّ مَبْلَغُ مَلِكِ الْعَجَمِ بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ مَعَ عَيْسَى مِائَةٌ وَسِتُّونَ عَامًا  
عَدَدُ حُرُوفِ الْمُعْجَمِ وَهِيَ قِيَامُ دَوْلَةِ الْعَدْلِ مِنْهَا أَرْبَعُونَ عَامًا قَالَ ابْنُ أَبِي وَاصِلٍ  
وَمَا وَرَدَ مِنْ قَوْلِهِ لَا مَهْدِي إِلَّا عَيْسَى فَمَعْنَاهُ لَا مَهْدِي تَسَاوِي هِدَايَتَهُ هِدَايَتَهُ وَقِيلَ لَا  
يَتَكَلَّمُ فِي الْمَهْدِ إِلَّا عَيْسَى وَهَذَا مَدْفُوعٌ بِجَدِيثِ جَرِيحٍ وَغَيْرِهِ وَقَدْ جَاءَ فِي الصَّحِيحِ  
أَنَّهُ قَالَ لَا يَزَالُ هَذَا الْأَمْرُ قَائِمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ يَكُونَ عَلَيْهِمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً

يَعْنِي قُرْشِيًّا وَقَدْ أَعْطَى الْوُجُودَ أَنْ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ وَمِنْهُمْ مَنْ  
 سَيَّكُونُ فِي آخِرِهِ وَقَالَ الْخُلَافَةُ بَعْدِي ثَلَاثُونَ أَوْ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ أَوْ سِتُّ وَثَلَاثُونَ  
 وَأَنْتَقِضُوا هَا فِي خِلَافَةِ الْحَسَنِ وَأَوَّلُ أَمْرٍ مُعَاوِيَةَ فَيَكُونُ أَوَّلُ أَمْرٍ مُعَاوِيَةَ خِلَافَةَ أَخِي  
 بِأَوَّلِ الْأَسْمَاءِ فَهُوَ سَادِسُ الْخُلَفَاءِ وَأَمَّا سَابِعُ الْخُلَفَاءِ فَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالْباقُونَ  
 خَمْسَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ ذُرِّيَّةِ عَلِيٍّ يُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ إِنَّكَ لَذُو قُرْبَيْنِيَا يُرِيدُ الْأُمَّةَ أَيَّ إِنَّكَ  
 لَخَلِيفَتُهُ فِي أَوْلِيَّهَا وَذُرِّيَّتِكَ فِي آخِرِهَا وَرُبَّمَا اسْتَدَلَّ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْقَائِلُونَ بِالرَّجْعَةِ  
 فَالْأَوَّلُ هُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ عِنْدَهُمْ بِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 إِذَا هَلَكَ كَسْرِي فَلَا كَسْرِي بَعْدَهُ وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرٌ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ وَالَّذِي تَقْسِي  
 بِيَدِهِ لَتَنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَنْفَقَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ كُنُوزَ كَسْرِي فِي سَبِيلِ  
 اللَّهِ وَالَّذِي يَهْلِكُ قَيْصَرٌ وَيَنْفَقُ كُنُوزُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُوَ هَذَا الْمُنْتَظَرُ حِينَ يَفْتَحُ  
 الْقِسْطَ نَطِينِيَّةً فَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ كَذَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ وَمَدَّةُ حُكْمِهِ بَضْعٌ وَالْبَضْعُ مِنْ ثَلَاثٍ إِلَى تِسْعٍ وَقِيلَ إِلَى عَشْرِ وَجَاءَ ذِكْرُ  
 أَرْبَعِينَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ سَبْعِينَ وَأَمَّا الْأَرْبَعُونَ فَأَيُّهَا مَدَّتُهُ وَمَدَّةُ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةَ  
 الْبَاقِينَ مِنْ أَهْلِ الْقَائِمِينَ بِأَمْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ عَلَى جَمِيعِهِمْ السَّلَامُ قَالَ وَذَكَرَ أَصْحَابُ  
 النُّجُومِ وَالْقِرَانَاتِ أَنَّ مَدَّةَ بَقَاؤِ أَمْرِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِائَةٌ وَتِسْعَةٌ وَخَمْسُونَ عَامًا  
 فَيَكُونُ الْأَمْرُ عَلَى هَذَا جَارِيًا عَلَى الْخِلَافَةِ وَالْعَدْلِ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ ثُمَّ تَخْتَلِفُ الْأَحْوَالُ  
 فَتَكُونُ مُلْكًا أَنْتَهَى كَلَامُ ابْنِ أَبِي وَاصِلٍ وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ نَزُولُ عَيْسَى  
 يَكُونُ فِي وَقْتِ صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنَ الْيَوْمِ الْحَمْدِيِّ حِينَ تَمْضِي ثَلَاثَةٌ أَرْبَعَةٌ قَالَ وَذَكَرَ  
 الْكِنْدِيُّ بِعُقُوبِ بْنِ إِسْحَاقَ فِي كِتَابِ الْجَفْرِ الَّذِي ذَكَرَ فِيهِ الْقِرَانَاتِ أَنَّهُ إِذَا وَصَلَ  
 الْقُرْآنُ إِلَى النَّوْرِ عَلَى رَأْسِ فُجَجٍ بَعْرَفَيْنِ الضَّادِ <sup>(١)</sup> الْمَعْجَمَةِ وَالْحَاءُ الْمَهْمَلَةَ يُرِيدُ ثَمَانِيَةً  
 وَتِسْعِينَ وَسَمَانِيَةً مِنَ الْهَجْرَةِ يَنْزِلُ الْمَسِيحُ فَيَحْكُمُ فِي الْأَرْضِ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى  
 قَالَ وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ عَيْسَى يَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرَفِي دِمَشْقَ يَنْزِلُ مِنْ  
 مَهْرُودَتَيْنِ يَعْنِي حَلَّتَيْنِ مَرْعَفَتَيْنِ صَنْرَاوَيْنِ مُمَصَّرَتَيْنِ وَأَضْعًا كَذَبِيَّةً عَلَى أَجْحَمَةَ الْمَالِكِينَ  
 لَهُ لِمَةٌ كَأَنَّهَا خَرَجَ مِنْ دِيْمَاسٍ إِذَا طَاطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُدَانٌ

(١) الضاد عند البخاري بـ تسعين والصاد بسنين ١٠٥١٠ قاله نصر

كَالْوَلْوَاءِ كَثِيرُ خِيَلَانِ أَلْوَجْهِ وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ مَرْبُوعُ الْخَلْقِ وَإِلَى الْبِيَاضِ وَالْحُمْرَةِ  
 وَفِي آخَرَ أَنَّهُ يَتَزَوَّجُ فِي الْغَرْبِ وَالْغَرْبُ دَلْوُ الْبَادِيَةِ يُرِيدُ أَنَّهُ يَتَزَوَّجُ مِنْهَا وَتَلِدُ زَوْجَهُ  
 وَذَكَرَ وَفَاتَهُ بَعْدَ أَرْبَعِينَ عَامًا وَجَاءَ أَنَّ عَيْسَى يَمُوتُ بِالْمَدِينَةِ وَيُدْفَنُ إِلَى جَانِبِ عُمَرَ  
 ابْنِ الْخَطَّابِ وَجَاءَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ يُحْتَشِرَانِ بَيْنَ نَبِيَيْنِ قَالَ ابْنُ أَبِي وَاطِيلٍ وَالشَّيْخَةُ  
 تَقُولُ إِنَّهُ هُوَ الْمَسِيحُ مَسِيحُ الْمَسَاحِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ قُلْتُ وَعَلَيْهِ حَمَلُ بَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ  
 حَدِيثٌ لَا مَهْدِي إِلَّا عَيْسَى أَيْ لَا يَكُونُ مَهْدِي إِلَّا الْمَهْدِيُّ الَّذِي نَسَبْتُهُ إِلَى الشَّرِيعَةِ  
 الْحَمْدِيَّةِ نَسَبَهُ عَيْسَى إِلَى الشَّرِيعَةِ الْمَوْسَوِيَّةِ فِي الْإِتْبَاعِ وَعَدَمِ السَّنْخِ إِلَى كَلَامٍ  
 مِنْ أَمْثَالِ هَذَا يَعْنُونَ فِيهِ الْوَقْتُ وَالرَّجُلُ وَالْمَكَانُ بِأَدَلَّةٍ وَاهِيَةٍ وَتَحَكُّمَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ  
 فَيَنْقُضِي الزَّمَانَ وَلَا أَثَرَ لَشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَيَرْجِعُونَ إِلَى تَجْدِيدِ رَأْيِ آخَرَ مُنْتَحَلٍ كَمَا  
 تَرَاهُ مِنْ مَفْهُومَاتٍ لُغَوِيَّةٍ وَأَشْيَاءٍ تَخْيِيلِيَّةٍ وَأَحْكَامٍ نَجْمِيَّةٍ فِي هَذَا انْقَضَتْ أَعْمَارُ الْأَوَّلِ  
 مِنْهُمْ وَالْآخِرِ . وَأَمَّا الْمُتَصَوِّفَةُ الَّذِينَ عَاصَرْنَاهُمْ فَأَكْثَرُهُمْ يُشِيرُونَ إِلَى ظُهُورِ رَجُلٍ  
 مُجَدِّدٍ لِأَحْكَامِ الْمَلَّةِ وَمَرَامِ الْحَقِّ وَيَتَّعِنُونَ ظُهُورَهُ لِمَا قَرَّبَ مِنْ عَصْرِنَا فَبَعْضُهُمْ يَقُولُ  
 مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ وَبَعْضُهُمْ يُطَلِّقُ الْقَوْلَ فِيهِ سَمْعِنَاهُ مِنْ جَمَاعَةٍ أَكْثَرُهُمْ أَبُو يَعْقُوبَ الْبَادِسِيُّ  
 كَبِيرُ الْأَوْلِيَاءِ بِالْمَغْرِبِ كَانَ فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْمِائَةِ الثَّامِنَةِ وَأَخْبَرَنِي عَنْهُ حَافِدُهُ صَاحِبُنَا  
 أَبُو يَحْيَى زَكْرِيَاءُ عَنْ أَبِيهِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ الْوَلِيِّ أَبِي يَعْقُوبَ الْمَدْكُورِ  
 هَذَا آخِرُ مَا أَطَّلَعْنَا عَلَيْهِ أَوْ بَلَّغْنَا مِنْ كَلَامِهِ هُوَ لِأَنَّ الْمُتَصَوِّفَةَ وَمَا أَوْرَدَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ  
 مِنْ أَخْبَارِ الْمَهْدِيِّ قَدْ اسْتَوْفِينَا جَمِيعَهُ بِمَبْلَغِ طَاقَتِنَا وَالْحَقُّ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَتَقَرَّرَ  
 لَدَيْكَ أَنَّهُ لَا نَتِمُّ دَعْوَةَ مَنْ الدِّينِ وَالْمُلْكِ إِلَّا بِوُجُودِ شَوْكَةِ عَصَبِيَّةٍ تَطْهَرُهُ وَتُدْفَعُ  
 عَنْهُ مِنْ يَدْفَعُهُ حَتَّى يَتِمَّ أَمْرُ اللَّهِ فِيهِ وَقَدْ قَرَّرْنَا ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْبَاهِرَاهِينِ الْقَطْعِيَّةِ الَّتِي  
 أَرَبْنَاكَ هُنَاكَ وَعَصَبِيَّةِ الْفَاطِمِيِّينَ بِلِ وَفَرِيشِ أَجْمَعَ قَدْ تَلَاشَتْ مِنْ جَمِيعِ الْأَفَاقِ وَوُجِدَ  
 أَمْرٌ آخَرُونَ قَدْ اسْتَعَلَّتْ عَصَبِيَّتُهُمْ عَلَى عَصَبِيَّةِ فَرِيشِ إِلَّا مَا بَقِيَ بِالْحِجَازِ فِي مَكَّةَ وَيَنْبَغُ  
 بِالْمَدِينَةِ مِنَ الطَّالِبِينَ مِنْ بَنِي حَسَنِ وَبَنِي حُسَيْنِ وَبَنِي جَعْفَرٍ وَهُمْ مُنْتَشِرُونَ فِي تِلْكَ الْبِلَادِ  
 وَغَالِبُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَسَائِبُ بَدْوِيَّةٍ مُتَفَرِّقُونَ فِي مَوَاطِنِهِمْ وَإِمَارَاتِهِمْ وَأَرَائِهِمْ يَبْلُغُونَ  
 الْأَفَاقَ مِنَ الْكَثْرَةِ فَإِنْ صَحَّ ظُهُورُ هَذَا الْمَهْدِيِّ فَلَا وَجْهَ لظُهُورِ دَعْوَتِهِ إِلَّا بِأَنْ يَكُونَ  
 مِنْهُمْ وَيُؤَانِفُ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ فِي اتِّبَاعِهِ حَتَّى نَتِمَّ لَهُ شَوْكَةُ وَعَصَبِيَّةٌ وَفِيهِ بِإِظْهَارِ

كَلِمَتِهِ وَحَمَلَ النَّاسَ عَلَيْهَا وَأَمَّا عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ مِثْلُ أَنْ يَدْعُو فَاطِمِي مِنْهُمْ إِلَى  
 مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ فِي أَفْقٍ مِنَ الْأَفَاقِ مِنْ غَيْرِ عَصِيَّةٍ وَلَا شَوْكَةٍ إِلَّا مُجَرَّدَ نَسْبَةٍ فِي أَهْلِ  
 الْبَيْتِ فَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ وَلَا يُمْكِنُ لِمَا أَسْلَفْنَا مِنْ الْبُرَاهِينِ الصَّحِيحَةِ وَأَمَّا مَا تَدْعِيهِ الْعَامَّةُ  
 وَالْأَعْمَارُ مِنَ الدَّهْمَاءِ مَعْنَى لَا يَرْجِعُ فِي ذَلِكَ إِلَى عَقْلِ يَهْدِيهِ وَلَا عِلْمٍ يُفِيدُهُ فَيُجِيبُونَ  
 ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ نَسْبَةٍ وَفِي غَيْرِ مَكَانٍ تَقْلِيدًا لِمَا أَشْتَهَرَ مِنْ ظُهُورِ فَاطِمِيٍّ وَلَا يَعْلَمُونَ  
 حَقِيقَةَ الْأَمْرِ كَمَا بَيَّنَّاهُ وَأَكْثَرُ مَا يُجِيبُونَ فِي ذَلِكَ الْقَاصِيَةَ مِنَ الْمَمَالِكِ وَأَحْزَانِ  
 الْعُمَرَانِ مِثْلُ الزَّابِ بِأَفْرِيقِيَّةِ وَالسُّوسِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَتَعْبُدُ الْكَثِيرَ مِنْ ضَعْفَاءِ الْبَصَائِرِ  
 يَقْضُونَ رِبَاطًا بِمَاسَةٍ لِمَا كَانَ ذَلِكَ الرِّبَاطُ بِالْمَغْرِبِ مِنَ الْمُتَمَثِّلِينَ مِنْ كِدَالَةٍ وَأَعْنَاقِدِهِمْ  
 أَنَّهُ مِنْهُمْ أَوْ قَائِمُونَ بِدَعْوَتِهِ زَعْمًا لَا مُسْتَنَدَ لَهُمْ إِلَّا غَرَابَةُ تِلْكَ الْأُمْرِ وَبَعْدَهُمْ عَنْ  
 يَقِينِ الْمَعْرِفَةِ بِأَحْوَالِهَا مِنْ كَثْرَةِ أَوْ قِلَّةِ أَوْ ضَعْفِ أَوْ قُوَّةِ وَبَعْدِ الْقَاصِيَةَ عَنْ مَنَالِ  
 الدَّوْلَةِ وَخُرُوجِهَا عَنْ نِطَاقِهَا فَتَقْوَى عِنْدَهُمُ الْأَوْهَامُ فِي ظُهُورِهِ هُنَاكَ بَخْرُوجِهِ عَنْ رِبْقَةِ  
 الدَّوْلَةِ وَمَنَالِ الْأَحْكَامِ وَالْقَهْرِ وَلَا تَحْصُلُ لَدَيْهِمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا هَذَا وَقَدْ يَقْضَى ذَلِكَ  
 الْمَوْضِعَ كَثِيرٌ مِنْ ضَعْفَاءِ الْعُقُولِ لِلتَّلَاسِ بِدَعْوَةِ يَمِيَّةٍ تَمَامِهَا وَسَوَاسًا وَحَقًّا وَقَتْلَ  
 كَثِيرٍ مِنْهُمْ أَخْبَرَنِي شَيْخُنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْأَبْلِيُّ قَالَ خَرَجَ رِبَاطًا مَاسَةً لِأَوَّلِ  
 الْمِائَةِ الثَّمَانِيَةِ وَعَصَرَ السُّلْطَانَ يُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ رَجُلٌ مِنْ مُنْخَلِي التَّصَوُّفِ يُعْرَفُ  
 بِالتَّوَيْزِرِيِّ نَسْبَةً إِلَى تُوَزَّرٍ مُصَغَّرًا وَادَّعَى أَنَّهُ النَّاطِقِيُّ الْمُنْتَظَرُ وَاتَّبَعَهُ الْكَثِيرُ مِنْ  
 أَهْلِ السُّوسِ مِنْ ضَالَّةٍ وَكَرْوَلَةٍ وَعَظْمٍ أَمْرُهُ وَخَافَهُ رُؤَسَاءُ الْمَصَامِدَةِ عَلَى أَمْرِهِمْ فَدَسَّ  
 عَلَيْهِ السَّكْسُوسِيُّ مِنْ قَتْلِهِ بَنَاتًا وَأَحْلَى أَمْرُهُ وَكَذَلِكَ ظَهَرَ فِي عِمَارَةِ فِي آخِرِ الْمِائَةِ  
 السَّابِعَةِ وَعَشْرِ التَّسْعِينَ مِنْهَا رَجُلٌ يُعْرَفُ بِالْعَبَّاسِ وَادَّعَى أَنَّهُ الْفَاطِمِيُّ وَاتَّبَعَهُ الدَّهْمَاءُ  
 مِنْ عِمَارَةِ وَدَخَلَ مَدِينَةَ فَاسَ عَنُودَ وَحَرَّقَ أَسْوَاقَهَا وَارْتَحَلَ إِلَى بَلَدِ الْمَرْزَمَةِ فَقُتِلَ بِهَا  
 غِيْلَةً وَلَمْ يَتِمَّ أَمْرُهُ وَكَثِيرٌ مِنْ هَذَا النَّمَطِ وَأَخْبَرَنِي شَيْخُنَا أَلَمْدُ كُورُ بَغْرَبِيَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا  
 وَهُوَ أَنَّهُ صَحْبِي فِي حَجِّهِ فِي رِبَاطِ الْعِبَادِ وَهُوَ مَدْفُنٌ الشَّيْخِ أَبِي مَدِينِ فِي جَبَلِ تَلْمَسَانَ  
 الْمُطَّلِ عَلَيْهِمَا رَجُلَانِ مِنَ أَهْلِ الْبَيْتِ مِنْ سُكَّانِ كَرْبَلَاءَ كَانَ مَتَّبِعًا مَعْظَمًا كَثِيرَ التَّلْمِيذِ  
 وَالْحَادِمِ قَالَ وَكَانَ الرَّجُلُ مِنْ مَوْطِنِهِ يَتَلَقَّوْنَهُ بِالْبَفَقَاتِ فِي أَكْثَرِ الْبُلْدَانِ قَالَ  
 وَتَا كَدَّتِ الصُّحْبَةُ بَيْنَنَا فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ فَأَنْكَشَفَ لِي أَمْرُهُمْ وَأَنْهَمُ إِنَّمَا جَاءُوا

مِنْ مَوْطِنِهِمْ بِكَرْبَلَاءَ لَطَلَبَ هَذَا الْأَمْرَ وَانْتَحَالَ دَعْوَةَ الْفَاطِمِيِّ بِالْمَغْرِبِ فَلَمَّا عَايَنَ  
 دَوْلَةَ بَنِي مُرَيْنَ وَيُوسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ يَوْمَئِذٍ مَنَازِلَ تَلَمَّسَانَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ أَرْجِعُوا فَقَدْ  
 أَرَزَى بِنَا الْعَلَطُ وَلَيْسَ هَذَا الْوَقْتُ وَقَتْنَا وَيَدُلُّ هَذَا الْقَوْلُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ عَلَى أَنَّهُ  
 مُسْتَبْصِرٌ فِي أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالْعَصِيَّةِ الْمُكَافِئَةِ لِأَهْلِ الْوَقْتِ فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ  
 غَرِيبٌ فِي ذَلِكَ الْوَطْنِ وَلَا شَوْكَةَ لَهُ وَأَنَّ عَصِيَّةَ بَنِي مُرَيْنَ لِذَلِكَ الْعَهْدِ لَا يُقَاوِمُهَا أَحَدٌ  
 مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ اسْتَسْكَانَ وَرَجَعَ إِلَى الْحَقِّ وَأَفْصَرَ عَنْ مَطَامِعِهِ وَبَقِيَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَيْقِنَ  
 أَنَّ عَصِيَّةَ الْفُتُوَاظِمِ وَفُرَيْشٍ أَجْمَعٍ قَدْ ذَهَبَتْ لَا سِيمَا فِي الْمَغْرِبِ إِلَّا أَنَّ التَّعَصُّبَ  
 لِسَانِهِ لَمْ يَتْرُكْهُ لِهَذَا الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَقَدْ كَانَتْ بِالْمَغْرِبِ إِهْدِيهِ  
 الْعُصُورَ الْقَرِيبَةَ نَزْعَةً مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى الْحَقِّ وَالْقِيَامِ بِالسُّنَّةِ لَا يَنْتَحِلُونَ فِيهَا دَعْوَةَ فَاطِمِيٍّ  
 وَلَا غَيْرِهِ وَإِنَّمَا يَنْزِعُ مِنْهُمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ الْوَاحِدُ فَالْوَاحِدُ إِلَى إِقَامَةِ السُّنَّةِ  
 وَتَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ وَيَعْتَنِي بِذَلِكَ وَيَكْثُرُ تَابِعُهُ وَأَكْثَرُ مَا يُعَوِّنُ بِإِصْلَاحِ السَّالِبَةِ  
 لِمَا أَنَّ أَكْثَرَ فَسَادِ الْأَعْرَابِ فِيهَا لِمَا قَدَّمَاهُ مِنْ طَبِيعَةِ مَعَاشِرِهِمْ فَيَأْخُذُونَ فِي تَغْيِيرِ  
 الْمُنْكَرِ بِمَا اسْتَطَاعُوا إِلَّا أَنَّ الصَّبْغَةَ الدِّينِيَّةَ فِيهِمْ لَمْ تُسْتَحْكَمْ لِمَا أَنَّ تَوْبَةَ الْعَرَبِ  
 وَرُجُوعَهُمْ إِلَى الدِّينِ إِنَّمَا يَقْصِدُونَ بِهَا الْإِفْصَارَ عَنِ الْغَارَةِ وَالنَّهْبِ لَا يَعْقِلُونَ فِي تَوْبَتِهِمْ  
 وَإِقْبَالِهِمْ إِلَى مَنَاحِي الدِّيَانَةِ غَيْرَ ذَلِكَ لِأَنَّهَا الْمَعْصِيَةُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قَبْلَ الْمُقْرَبَةِ وَمِنْهَا  
 تَوْبَتُهُمْ فَجِدَّ ذَلِكَ الْمُنْتَحِلُ لِلدُّعْوَةِ وَالْقَائِمُ بِزَعْمِهِ بِالسُّنَّةِ غَيْرَ مُتَمَعِّقِينَ فِي فُرُوعِ  
 الْإِفْتِدَاءِ وَالْإِتْبَاعِ إِنَّمَا دِينَئِهِمُ الْإِعْرَاضُ عَنِ النَّهْبِ وَالْبَغْيِ وَإِفْسَادِ السَّالِبَةِ ثُمَّ  
 الْإِقْبَالُ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا وَالْمَعَاشِ بِأَفْصَى جُهْدِهِمْ وَشَتَّانَ بَيْنَ هَذَا الْأَجْرِ مِنْ إِصْلَاحِ  
 الْخَلْقِ وَمِنْ طَلَبِ الدُّنْيَا فَاتَّفَقُ مَا مُمْتَنِعٌ لَا تُسْتَحْكَمْ لَهُ صِبْغَةٌ فِي الدِّينِ وَلَا يَكْمُلُ  
 لَهُ نَزْوَعٌ عَنِ الْبَاطِلِ عَلَى الْجُمْلَةِ وَلَا يَكْثُرُونَ وَيَخْتَلِفُ حَالُ صَاحِبِ الدُّعْوَةِ مَعَهُمْ فِي  
 اسْتِحْكَامِ دِينِهِ وَوِلَايَتِهِ فِي نَفْسِهِ دُونَ تَابِعِهِ فَإِذَا هَلَكَ أَمَلُهُمْ وَاتَّلَاشَتْ عَصِيَّتُهُمْ  
 وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ بِأَفْرِيقِيَّةَ لِرَجُلٍ مِنْ كَعْبٍ مِنْ سُلَيْمٍ يُسَمَّى قَاسِمَ بْنَ مَرَّةَ بْنِ أَحْمَدَ فِي  
 الْمِائَةِ السَّابِعَةِ ثُمَّ مِنْ بَعْدِهِ لِرَجُلٍ آخَرَ مِنْ بَادِيَةِ رِيَّاحٍ مِنْ بَطْنِ مَنْهُمْ يُعْرَفُونَ بِمُسْلِمٍ  
 وَكَانَ يُسَمَّى سَعَادَةَ وَكَانَ أَشَدَّ دِينًا مِنَ الْأَوَّلِ وَأَقْوَمَ طَرِيقَةً فِي نَفْسِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ  
 يَسْتَبْأَمْرُ تَابِعِهِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ حَسْبَمَا يَأْتِي ذِكْرُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ عِنْدَ ذِكْرِ قَبَائِلِ

سَلِيمٍ وَرِيَّاحٍ وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ نَاسٌ بِهِذِهِ الدَّعْوَةُ يَتَشَبَّهُونَ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَيَلْبَسُونَ  
فِيهَا وَيَتَحَلُّونَ أَسْمَ السَّنَةِ وَيَلْبَسُوا عَلَيْهَا إِلَّا الْأَقْلَّ فَلَا يَتِمُّ لَهُمْ وَلَا لِمَنْ بَعْدَهُمْ شَيْءٌ  
مِنْ أَمْرِهِمْ . انتهى

### الفصل الثالث والخمسون

في ابتداء الدول والامم وفي الكلام على الملاحم والكشف عن مسعى الجفر

إِعْلَمَنَّ أَنَّ مِنْ خَوَاصِّ النُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ التَّشَوُّقَ إِلَى عَوَاقِبِ أُمُورِهِمْ وَعَلِمَ مَا يَخْدُتُ  
لَهُمْ مِنْ حَيَاةٍ وَمَوْتٍ وَخَيْرٍ وَشَرٍّ سِيمَا الْخَوَادِثِ الْعَامَّةِ كَمَعْرِفَةِ مَا بَقِيَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَعْرِفَةِ  
مُدَدِ الدُّوَلِ أَوْ تَفَاوُثِهَا وَالتَّلَطُّعَ إِلَى هَذَا طَبِيعَةً مَجْبُولُونَ عَلَيْهَا وَلِذَلِكَ تَجِدُ الْكَثِيرَ مِنَ  
النَّاسِ يَتَشَوَّقُونَ إِلَى الْوُفُوفِ عَلَى ذَلِكَ فِي الْمَنَامِ وَالْأَخْبَارِ مِنَ الْكِبَّانِ لِمَنْ قَصَدَهُمْ بِمِثْلِ ذَلِكَ  
مِنَ الْمَلُوكِ وَالسُّوْفَةِ مَعْرُوفَةٌ وَقَدْ تَجِدُ فِي الْمَدُنِ صِنْفًا مِنَ النَّاسِ يَتَحَلُّونَ الْمَعَاشَ مِنْ ذَلِكَ  
لِعَامِهِمْ يَجْرُصُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَيَنْتَصِبُونَ لَهُمْ فِي الطَّرْفَاتِ وَالِدَّكَاءِ كَبَيْنَ بَتَعَرُّضُونَ لِمَنْ  
يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ فَتَعْدُو عَلَيْهِمْ وَتَرُوحُ نِسْوَانُ الْمَدِينَةِ وَصَبِيَانَهَا وَكَثِيرٌ مِنْ ضَعْفَاءِ الْعُقُولِ  
يَسْتَكْشِفُونَ عَوَاقِبَ أَمْرِهِمْ فِي الْكَسْبِ وَالْجَاهِ وَالْمَعَاشِ وَالْمَعَاشِرَةِ وَالْعِدَاوَةِ وَأَمْثَالِ  
ذَلِكَ مَا بَيْنَ خَطِّ فِي الرَّمْلِ وَيُسْمَوْنَهُ الْمُنَجِّمَ وَطَرِيقَ الْبَحْصِيِّ وَالْحُبُوبِ وَيُسْمَوْنَهُ الْحَاسِبَ  
وَنَظَرَ فِي الْمَرَايَا وَالْمِيَاهِ وَيُسْمَوْنَهُ ضَارِبَ الْمُنْدَلِ وَهُوَ مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الْفَاشِيَةِ فِي  
الْأَمْصَارِ لِمَا تَقَرَّرَ فِي الشَّرِيعَةِ مِنْ ذَمِّ ذَلِكَ وَإِنَّ الْبَشَرَ مَجْبُوبُونَ عَنِ الْغَيْبِ إِلَّا مَنْ  
أَطَّلَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِهِ فِي نَوْمٍ أَوْ لَوْلَانَةٍ وَأَكْثَرُ مَا يَعْتَنِي بِذَلِكَ وَيَتَطَّلَعُ إِلَيْهِ الْأَمْرَاءُ  
وَالْمَلُوكُ فِي أَمَادِ دَوْلَاتِهِمْ وَلِذَلِكَ أَنْصَرَفَتِ الْعِنَايَةُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَيْهِ وَكُلُّ أُمَّةٍ مِنْ  
الْأُمَّمِ يُوجَدُ لَهُمْ كَلَامٌ مِنْ كَاهِنٍ أَوْ مُنَجِّمٍ أَوْ وَليِّ فِي مِثْلِ ذَلِكَ مِنْ مَلِكٍ يَرْتَقُونَ أَوْ  
دَوْلَةً يَخْدُثُونَ أَنْفُسَهُمْ بِهَا وَمَا يَخْدُثُ لَهُمْ مِنَ الْحَرْبِ وَالْمَلَاخِمِ وَمُدَّةِ بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَعَدَدِ  
الْمَلُوكِ فِيهَا وَالتَّعَرُّضِ لِأَسْمَائِهِمْ وَيُسَمَّى مِثْلَ ذَلِكَ الْخَدَثَانِ وَكَانَ فِي الْعَرَبِ الْكِبَّانُ  
وَالْعَرَّافُونَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ وَقَدْ أَخْبَرُوا بِمَا سَيَكُونُ الْعَرَبُ مِنَ الْمُلْكِ وَالْدَوْلَةِ  
كَأَوْقَعِ الشَّقِّ وَسَطِيحِ فِي تَاوِيلِ رُؤْيَا رِبِيعَةَ بْنِ نَضْرٍ مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ أَخْبَرَهُمْ بِمَلِكِ  
الْحَبَشَةِ بِالْأَدَمِيِّ ثُمَّ رَجِعَ إِلَيْهِمْ ثُمَّ ظَهَرَ الْمَلِكُ وَالْدَوْلَةُ لِلْعَرَبِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَكَذَا

تَأْوِيلُ سَطِيحِ لِرُؤْيَا الْمُؤْبَدَانِ حَيْثُ بَعَثَ إِلَيْهِ كَسْرَى بِهَا مَعَ عَبْدِ الْمَسِيحِ وَأَخْبَرَهُمْ  
 بِظُهُورِ دَوْلَةِ الْعَرَبِ وَكَذَا كَانَ فِي جَبَلِ الْبُرَيْرِ كَهَانٌ مِنْ أَشْهُرِهِمْ مُوسَى بْنُ صَالِحٍ مِنْ  
 بَنِي يَفْرَنْ وَيُقَالُ مِنْ عَمْرَةٍ لَهُ كَلِمَاتٌ حَدَّثَانِيَّةٌ عَلَى طَرِيقَةِ الشُّعْرِ بِرِطَانَتِهِمْ وَفِيهَا حَدَثَانٌ  
 كَثِيرٌ وَمُعْظَمُهُ فِيمَا يَكُونُ لِرِزَانَةِ مِنَ الْمَلِكِ وَالِدَوْلَةِ بِالْمَغْرِبِ وَهِيَ مِتْدَاوَلَةٌ بَيْنَ  
 أَهْلِ الْجَبَلِ وَهُمْ يَزْعُمُونَ تَارَةً أَنَّهُ وَلِيٌّ وَتَارَةً أَنَّهُ كَاهِنٌ وَقَدْ يَزْعُمُ بَعْضُ مَزَاعِمِهِمْ أَنَّهُ  
 كَانَ نَبِيًّا لِأَنَّ تَارِيخَهُ عِنْدَهُمْ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِكَثِيرٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَدْ يَسْتَدُّ الْجَبَلُ إِلَى  
 خَبَرِ الْأَنْبِيَاءِ إِنْ كَانَ لِعَهْدِهِمْ كَمَا وَقَعَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فَإِنَّ أَنْبِيَاءَهُمْ الْمُتَعَابِقِينَ فِيهِمْ  
 كَانُوا يُخْبِرُونَ وَهُمْ بِمِثْلِهِ عِنْدَمَا يَعْنُوهُمْ فِي السُّؤَالِ عَنْهُ وَأَمَّا فِي الدَّوَلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فَوَقَعَ  
 مِنْهُ كَثِيرٌ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى بَقَاءِ الدُّنْيَا وَمَدَّتِهَا عَلَى الْعُمُومِ وَفِيمَا يَرْجِعُ إِلَى الدَّوَلَةِ وَأَعْمَارِهَا  
 عَلَى الْخُصُوصِ وَكَانَ الْمُعْتَمِدُ فِي ذَلِكَ فِي مَنْ صَدَرَ الْإِسْلَامُ لِأَنَّ مَقُولَةَ عَنِ الصَّحَابَةِ  
 وَخُصُوصًا مَسْلَمَةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِثْلُ كَعْبِ الْأَخْبَارِ وَوَهْبِ بْنِ مَنِئَةٍ وَأَمثالِهِمَا وَرَبْمَا  
 أَقْتَبَسُوا بَعْضُ ذَلِكَ مِنْ ظَوَاهِرِ مَا ثَوَّرَ وَتَأْوِيلَاتٍ مُحْتَمَلَةٍ وَوَقَعَ لِحُجْرٍ وَأَمثالِهِ مِنْ أَهْلِ  
 الْبَيْتِ كَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ مُسْتَنْدَمٌ فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ الْكَشْفُ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْوِلَايَةِ وَإِذَا  
 كَانَ مِثْلُهُ لَا يُنْكَرُ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ فِي ذَوِيهِمْ وَأَعْقَابِهِمْ وَقَدْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ فِيكُمْ مُحَدِّثِينَ فَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِهَيْدَةِ الرُّتْبِ الشَّرِيفَةِ وَالْكَرَامَاتِ  
 الْمَوْهُوبَةِ وَأَمَّا بَعْدَ صَدْرِ الْمِلَّةِ وَحِينَ عَلِقَ النَّاسُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْإِصْطِلَاحَاتِ  
 وَتُرْجِمَتْ كُتُبُ الْحُكَمَاءِ إِلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَأَكْثَرُ مُعْتَمِدِهِمْ فِي ذَلِكَ كَلَامُ  
 الْمُنْجِمِينَ فِي الْمَلِكِ وَالِدَوْلِ وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْعَامَّةِ مِنَ الْقِرَانَاتِ وَفِي الْمَوَالِيدِ وَالْمَسَائِلِ  
 وَسَائِرِ الْأُمُورِ الْخَاصَّةِ مِنَ الطُّوَالِعِ لَهَا وَهِيَ شَكْلُ الْفَلَكِ عِنْدَ حُدُوثِهَا فَاذْكُرْ أَلَانَ  
 مَا وَقَعَ لِأَهْلِ الْأَثَرِ فِي ذَلِكَ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى كَلَامِ الْمُتَّخِمِينَ أَمَّا أَهْلُ الْأَثَرِ فَلَهُمْ فِي  
 مَدَّةِ الْمَلِكِ وَبِقَاءِ الدُّنْيَا عَلَى مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ الشُّهُبِيِّ فَإِنَّهُ نَقَلَ عَنِ الطَّبْرِيِّ مَا  
 يَقْتَضِي أَنَّ مَدَّةَ بَقَاءِ الدُّنْيَا مِنْذُ الْمِلَّةِ خَمْسَمِائَةِ سَنَةٍ وَنَقِضَ ذَلِكَ بِظُهُورِ كَلْبِهِ وَاسْتَنْدُ  
 الطَّبْرِيِّ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ نَقَلَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الدُّنْيَا جُمُعَةٌ مِنْ جُمُعِ الْآخِرَةِ وَلَمْ يَذْكُرْ  
 لِذَلِكَ دَلِيلًا وَسِرَّهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ تَقْدِيرُ الدُّنْيَا بِأَيَّامِ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهِيَ سَبْعَةٌ  
 ثُمَّ الْيَوْمُ بِالْفِ سَنَةٍ لِقَوْلِهِ وَإِنْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَالْفِ سَنَةِ مِمَّا تَعُدُّونَ وَقَدْ ثَبَتَ فِي

الصَّحِيحِينَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَجَلُكُمْ فِي أَجَلٍ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ  
 مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ وَقَالَ بَعَثْتُ أَنَا وَالسَّاءَةَ كَهَاتَيْنِ وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ  
 وَالْوُسْطَى وَقَدَّرَ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ وَغُرُوبِ الشَّمْسِ حِينَ صَيْرُورَةَ ظِلِّ كُلِّ شَيْءٍ  
 مِثْلِيهِ يَكُونُ عَلَى التَّقْرِبِ نِصْفِ سَبْعٍ وَكَذَلِكَ وَصَلَ الْوُسْطَى عَلَى السَّبَابَةِ فَتَكُونُ هَذِهِ  
 الْمُدَّةُ نِصْفَ سَبْعٍ الْجُمُعَةُ كُلُّهَا وَهُوَ خَمْسِمِائَةَ سَنَةٍ وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لَنْ يُعْجَرَ اللَّهُ أَنْ يُؤَخَّرَ هَذِهِ الْأُمَّةُ نِصْفَ يَوْمٍ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ مِدَّةَ الدُّنْيَا قَبْلَ الْمَلَّةِ  
 خَمْسَةٌ آلَافٍ وَخَمْسِمِائَةَ سَنَةٍ وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ أَنَّهَا خَمْسَةُ آلَافٍ وَسِتِّمِائَةَ سَنَةٍ أَعْنِي  
 الْمَاضِيَّ وَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَرْزُوقٍ أَنَّ مِدَّةَ الدُّنْيَا كُلُّهَا سِتَّةُ آلَافٍ سَنَةٍ قَالَ السُّهَيْلِيُّ وَلَيْسَ فِي الْحَدِيثَيْنِ  
 مَا يَشْهَدُ لِشَيْءٍ مِمَّا ذَكَرَهُ مَعَ وُقُوعِ الْوُجُودِ بِخِلَافِهِ فَمَا قَوْلُهُ لَنْ يُعْجَرَ اللَّهُ أَنْ  
 يُؤَخَّرَ هَذِهِ الْأُمَّةُ نِصْفَ يَوْمٍ فَلَا يَقْتَضِي نَفْيَ الزِّيَادَةِ عَلَى النِّصْفِ وَأَمَّا قَوْلُهُ بَعَثْتُ  
 أَنَا وَالسَّاءَةَ كَهَاتَيْنِ فَإِنَّمَا فِيهِ الْإِشَارَةُ إِلَى الْقُرْبِ وَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاءَةِ نَبِيٌّ غَيْرُهُ  
 وَلَا شَرَعٌ غَيْرُ شَرَعِهِ ثُمَّ رَجَعَ السُّهَيْلِيُّ إِلَى تَعْيِينِ أَمَدِ الْمَلَّةِ مِنْ مَدْرَكِ آخِرِ لَوْ سَاعَدَهُ  
 التَّحْقِيقُ وَهُوَ أَنَّهُ جَمَعَ الْحُرُوفَ الْمُقْطَعَةَ فِي أَوَائِلِ السُّورِ بَعْدَ حَذْفِ الْمَكْرُورِ قَالَ  
 وَهِيَ أَرْبَعَةٌ عَشْرَ حَرْفًا يَجْمَعُهَا قَوْلُكَ (الم يسطع نصق حرقه) فَأَخَذَ عَدَدَهَا بِحِسَابِ  
 الْجَمَلِ فَكَانَ سَبْعِائَةَ وَثَلَاثَةَ <sup>(١)</sup> أَضَافَهُ إِلَى الْمُنْقِضِي مِنَ الْأَلْفِ الْآخِرِ قَبْلَ بَعْثِهِ  
 فَهَذِهِ هِيَ مِدَّةُ الْمَلَّةِ قَالَ وَلَا يَبْعُدُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مِنْ مُقْتَضِيَاتِ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَتَوَائِدِهَا  
 قُلْتُ وَكَوْنُهُ لَا يَبْعُدُ لَا يَقْتَضِي ظُهُورَهُ وَلَا التَّعْوِيلَ عَلَيْهِ وَالَّذِي حَمَلَ السُّهَيْلِيُّ عَلَى ذَلِكَ  
 إِنَّمَا هُوَ مَا وَقَعَ فِي كِتَابِ السَّيْرِ لِابْنِ إِسْحَاقَ فِي حَدِيثِ ابْنِي أَخْطَبَ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ  
 وَهُمَا أَبُو بَاسِرٍ وَأَخُوهُ حَيٌّ حِينَ سَمِعَا مِنَ الْأَحْرَفِ الْمُقْطَعَةِ أَلَمْ وَتَأْ وَلَاهَا عَلَى بَيَانِ  
 الْمُدَّةِ بِهَذَا الْحِسَابِ فَلَبَّتْ إِحْدَى وَسَبْعِينَ فَاسْتَقْلَا الْمُدَّةَ وَجَاءَ حَيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُهُ هَلْ مَعَ هَذَا غَيْرُهُ فَقَالَ الْمَصْ تُمَّ اسْتَزَادَ الرَّثْمُ تُمَّ اسْتَزَادَ الْمَرْ فَكَانَتْ  
 إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ فَاسْتَطَالَ الْمُدَّةَ وَقَالَ قَدْ لَيْسَ عَلَيْنَا أَمْرٌ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى  
 لَا نَدْرِي أَقَلِيلاً أَعْطَيْتَ أَمْ كَثِيراً تُمَّ ذَهَبُوا عَنْهُ وَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَاسِرٍ مَا يَدْرِيكُمْ  
 لَعَلَّهُ أَعْطَى عَدَدَهَا كُلُّهَا تِسْعِمِائَةَ وَأَرْبَعِ سِنِينَ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ فَتَزَلَّ قَوْلُهُ تَعَالَى مِنْهُ

١ هذا العدد غير مطابق كما كان المترجم التركي لم يطابق في قوله ٩٢٠ وإنما المطابق للحروف المذكورة ٦٩٢

آيات مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ١٠. وَلَا يَقُومُ مِنَ الْقِصَّةِ دَلِيلٌ تَلِي  
 تَقْدِيرَ الْمَلَّةِ بِهَذَا الْعَدَدِ لِأَنَّ دَلَالَتهُ هُدَى الْخُرُوفِ عَلَى تِلْكَ الْأَعْدَادِ لَيْسَتْ طَبِيعِيَّةً وَلَا  
 عَقْلِيَّةً وَإِنَّمَا هِيَ بِالتَّوَاضُعِ وَالِاصْطِلَاحِ الَّذِي يَسْمُونَهُ حِسَابَ الْجَمَلِ نَعَمَ إِنَّهُ قَدِيمٌ  
 مَشْهُورٌ وَقَدِيمُ الْإِصْطِلَاحِ لَا يَبْصُرُ حُجَّةً وَلَيْسَ أَبُو بَكْرٍ وَأَخُوهُ حَيٌّ مِمَّنْ يُوْخَذُ رَأْيُهُ  
 فِي ذَلِكَ دَلِيلًا وَلَا مِنْ عُلَمَاءِ الْيَهُودِ لِأَنَّهُمْ كَانُوا بَادِيَةً بِالْحِجَازِ غُفْلًا عَنِ الصَّنَائِعِ  
 وَالْعُلُومِ حَتَّى عَنِ عِلْمِ شَرِيعَتِهِمْ وَفِقْهِ كِتَابِهِمْ وَمِلَّتِهِمْ وَإِنَّمَا يَتَقَفُّونَ مِثْلَ هَذَا الْحِسَابِ  
 كَمَا تَتَلَفَّفُهُ الْعَوَامُّ فِي كُلِّ مَلَّةٍ فَلَا يَنْهَضُ لِلْسُّبُهَلِيِّ دَلِيلٌ تَلِي مَا أَدْعَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَوَقَعَ  
 فِي الْمَلَّةِ فِي حَدِيثَانِ دَوْلَتِيهَا عَلَى الْخُصُوصِ مُسْنَدٌ مِنَ الْأَثَرِ إِجْمَالِيٍّ فِي حَدِيثِ خَرَجَهُ  
 أَبُو دَاوُدَ عَنْ حَدِيثِ بَنِي الْيَمَانِ مِنْ طَرِيقِ شَيْخِهِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الذَّهَبِيِّ عَنْ سَعِيدِ  
 ابْنِ أَبِي مَرْيَمَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ فَرُوحَ عَنْ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدِ اللَّيْثِيِّ عَنْ أَبِي قَبِيصَةَ بْنِ  
 ذُوَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ حَدِيثُهُ بَنِي الْيَمَانِ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَسِيَّ أَحْسَابِي أُمَّ تَنَاسَوْهُ  
 وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَائِدِ فِئَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقُضِيَ الدُّنْيَا لَا يَبْلُغُ مِنْ  
 مَعَهُ ثَلَاثُمِائَةٍ فَصَاعِدًا إِلَّا قَدْ سَمَاهُ بِاسْمِهِ وَأَسَمَ أَبِيهِ وَتَبَيَّنَتْهُ وَسَكَتَ عَلَيْهِ أَبُو دَاوُدَ وَقَدْ  
 تَقَدَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي رِسَالَتِهِ مَا سَكَتَ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ صَالِحٌ وَهَذَا الْحَدِيثُ إِذَا كَانَ  
 صَحِيحًا فَهُوَ مُجْمَلٌ وَيَتَفَتَّرُ فِي بَيَانِ إِجْمَالِهِ وَتَعْيِينِ مَبْهَمَاتِهِ إِلَى آثَارٍ أُخْرَى يُجُودُ  
 أَسَانِيدُهَا وَقَدْ وَقَعَ إِسْنَادُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي غَيْرِ كِتَابِ السُّنَنِ عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ فَوْقَ  
 فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ حَدِيثِ حَدِيثِهِ أَيضًا قَالَ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا خَطِيبًا  
 فَأَمَّا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ عَنْهُ حَفْظُهُ مِنْ حَفْظِهِ وَنَسِيَهُ  
 مَنْ نَسِيَهُ قَدْ عَلِمَهُ أَحْسَابُهُ هُوَ لَا ١٠. وَلَفْظُ الْبُخَارِيِّ مَا تَرَكَ شَيْئًا إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا  
 ذَكَرَهُ وَفِي كِتَابِ التُّرْمُذِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا صَلَاةَ الْعَصْرِ بِنَهَارٍ ثُمَّ قَامَ خَطِيبًا فَلَمَّ يَدْعُ شَيْئًا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ  
 إِلَّا أَخْبَرْنَا بِهِ حَفْظُهُ مِنْ حَفْظِهِ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ ١٠. وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا تَحْمُولَةٌ عَلَى مَا  
 ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ أَحَادِيثِ الْفِتَنِ وَالْأَشْتِرَاطِ لِأَنَّ الْمَعْمُودَ مِنَ الشَّارِعِ صَوَاتُ  
 اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْعُمُومَاتِ وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ الَّتِي تَقَرَّرَ بِهَا أَبُو دَاوُدَ فِي  
 هَذِهِ الطَّرِيقِ شَاذَةٌ مُنْكَرَةٌ مَعَ أَنَّ الْأَيْمَةَ اخْتَلَفُوا فِي رَجَالِهِ فَقَالَ ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ فِي

ابْنِ فَرُوحٍ أَحَادِيثُهُ مَنَا كَبِيرٌ وَقَالَ الْبُخَارِيُّ يَعْرِفُ مِنْهُ وَيُنْكِرُ وَقَالَ ابْنُ عَدِيٍّ  
 أَحَادِيثُهُ غَيْرُ مَحْفُوظَةٍ وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَإِنْ خَرَجَ لَهُ فِي الصَّحِيحِينَ وَوَثَّقَهُ ابْنُ مَعِينٍ  
 فَإِنَّمَا خَرَجَ لَهُ الْبُخَارِيُّ اسْتِشْهَادًا وَضَعَفَهُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَقَالَ ابْنُ  
 حَاتِمٍ يَكْتُبُ حَدِيثَهُ وَلَا يَحْتَجُّ بِهِ وَأَبُو قَبِيصَةَ ابْنُ ذُوَيْبٍ مَجْهُولٌ فَتَضَعُفُ هَذِهِ الزِّيَادَةُ  
 الَّتِي وَقَعَتْ لِأَبِي دَاوُدَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ مَعَ شَذُوذِهَا كَمَا مَرَّ . وَقَدْ  
 يَسْتَنْدُونَ فِي حَدَثَانِ الدُّوَلِ عَلَى الْخُصُوصِ إِلَى كِتَابِ الْجَفْرِ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ فِيهِ عِلْمَ ذَلِكَ  
 كُلِّهِ مِنْ طَرِيقِ الْأَنْبَاءِ وَالنُّجُومِ لَا يَزِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَا يَعْرِفُونَ أَصْلَ ذَلِكَ وَلَا  
 مُسْتَنْدِيهِ وَعَلِمَ أَنَّ كِتَابَ الْجَفْرِ كَانَ أَصْلُهُ أَنَّ هَارُونَ بْنَ سَعِيدٍ الْعُجَلِيَّ وَهُوَ رَأْسُ  
 الزِّيَادِيَّةِ كَانَ لَهُ كِتَابٌ يَزِيوِيهِ عَن جَعْفَرِ الصَّادِقِ وَفِيهِ عِلْمٌ مَا سَيَقَعُ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَى  
 الْعُمُومِ وَبَعْضِ الْأَشْخَاصِ مِنْهُمْ عَلَى الْخُصُوصِ وَقَعَّ ذَلِكَ لَجَعْفَرٍ وَنَظَائِرِهِ مِنْ رِجَالِهِمْ  
 عَلَى طَرِيقِ الْكِرَامَةِ وَالْكَشْفِ الَّذِي يَقَعُ لِمِثْلِهِمْ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَكَانَ مَكْتُوبًا عِنْدَ  
 جَعْفَرٍ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ صَغِيرٍ فَرَوَاهُ عَنْهُ هَارُونَ الْعُجَلِيَّ وَكَتَبَهُ وَسَمَّاهُ الْجَفْرَ بِاسْمِ الْجِلْدِ  
 الَّذِي كَتَبَ فِيهِ لِأَنَّ الْجَفْرَ فِي اللُّغَةِ هُوَ الصَّغِيرُ وَصَارَ هَذَا الْاسْمُ عَلَمًا عَلَى هَذَا الْكِتَابِ  
 عِنْدَهُمْ وَكَانَ فِيهِ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ وَمَا فِي بَاطِنِهِ مِنْ غَرَائِبِ الْمَعَانِي مَرْوِيَةٌ عَن جَعْفَرِ  
 الصَّادِقِ وَهَذَا الْكِتَابُ لَمْ يَتَّصِلْ رِوَايَتُهُ وَلَا عَرَفَتْ عَيْنُهُ وَإِنَّمَا يَظْهَرُ مِنْهُ شَوَازٌ مِنْ  
 الْكَلِمَاتِ لَا يَضْحِكُهَا دَلِيلٌ وَلَوْ صَحَّ السَّنَدُ إِلَى جَعْفَرِ الصَّادِقِ لَكَانَ فِيهِ نِعْمَ الْمُسْتَنْدُ  
 مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْ رِجَالِ قَوْمِهِ فَهَمْ أَهْلُ الْكِرَامَاتِ وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ بَعْضَ  
 قَرَابَتِهِ بِوَقَائِعٍ تَكُونُ لَهُمْ فَتَصِحُّ كَمَا يَقُولُ وَقَدْ حَدَّثَ يَحْيَى بْنُ عَمَّةٍ زَيْدٌ مِنْ مَصْرَعِهِ  
 وَعَصَاهُ نَجْرَجَ وَقُتِلَ بِالْجُوزْجَانَ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَإِذَا كَانَتِ الْكِرَامَةُ تَقَعُ لِغَيْرِهِمْ  
 فَمَا ظَنُّكَ بِهِمْ عِلْمًا وَدِينًا وَأَثَارًا مِنَ النُّبُوَّةِ وَعَيْنَايَةٌ مِنَ اللَّهِ بِالْأَصْلِ الْكَرِيمِ تَشْهَدُ  
 لِقُرُوعِهِ الطَّيِّبَةِ وَقَدْ يُنْقَلُ بَيْنَ أَهْلِ الْبَيْتِ كَثِيرٌ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ غَيْرُ مُنْسُوبٍ إِلَى  
 أَحَدٍ وَفِي أَخْبَارِ دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ كَثِيرٌ مِنْهُ وَأَنْظُرْ مَا حَكَاهُ ابْنُ الرَّقِيقِيِّ فِي لِقَاءِ أَبِي  
 عَبْدِ اللَّهِ الشَّعْبِيِّ لِعَبِيدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ مَعَ ابْنِهِ مُحَمَّدِ الْحَبِيبِ وَمَا حَدَّثَاهُ بِهِ وَكَيْفَ  
 بَعَثَاهُ إِلَى ابْنِ حَوْشَبٍ دَاعِيَتِهِمْ بِالْيَمَنِ فَأَمَرَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَغْرِبِ وَبَثَّ الدَّعْوَةَ  
 فِيهِ عَلَى عِلْمٍ لِقَبْنِهِ أَنَّ دَعْوَتَهُ تَبِعَ هُنَاكَ وَأَنَّ عَبِيدَ اللَّهِ لَمَّا بَنَى الْمَهْدِيَّةَ بَعْدَ اسْتِخْلَافِ

دَوْلَتِهِمْ بِأَفْرِيقِيَّةَ قَالَ بَنِيْتَهَا لِيَعْتَصِمَ بِهَا الْفَوَاطِمُ سَاعَةً مِنْ مَهَارٍ وَأَرَاهُمْ مَوْفَقَ صَاحِبِ  
 الْحِمَارِ أَبِي يَزِيدَ بِالْهُدْيَةِ وَكَانَ يُسْأَلُ عَنْ مُنْتَهَى مَوْفِقِهِ حَتَّى جَاءَهُ الْخَبْرُ بِمُلُوكِهِ إِلَى  
 الْمَكَانِ الَّذِي عَيْنُهُ جَدُّهُ أَبُو عَيْبِدِ اللَّهِ فَأَيَّقَنَ بِالظَّفَرِ وَبَرَزَ مِنَ الْبَلَدِ فَمَزَمَهُ وَاتَّبَعَهُ  
 إِلَى نَاحِيَةِ الزَّابِ فَظَفَرَ بِهِ وَقَتَلَهُ وَمِثْلُ هَذِهِ الْأَخْبَارِ كَثِيرَةٌ وَأَمَّا الْمُنَجَّمُونَ فَيَسْتَنْدُونَ  
 فِي حَدَثَانِ الدُّوَلِ إِلَى الْأَحْكَامِ النُّجُومِيَّةِ أَمَّا فِي الْأُمُورِ الْعَامَّةِ مِثْلَ الْمَلِكِ وَالدُّوَلِ  
 فَمِنْ الْقِرَانَاتِ وَخُصُوصًا بَيْنَ الْعُلُوِّ بَيْنَ وَذَلِكَ أَنَّ الْعُلُوِّ بَيْنَ زَحَلٍ وَالْمُشْتَرِي بِقَاتِرَانَ فِي  
 كُلِّ عَشْرِينَ سَنَةً مَرَّةً ثُمَّ يَعُودُ الْقِرَانُ إِلَى بُرْجِ آخَرَ فِي تِلْكَ الْمَثَلَةِ مِنَ التَّثْلِيثِ  
 الْأَيْمَنِ ثُمَّ بَعْدَهُ إِلَى آخَرَ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتَكَرَّرَ فِي الْمَثَلَةِ الْوَاحِدَةِ ثِنْتِي عَشْرَةَ  
 مَرَّةً تَسْتَوِي بِرُوجِهِ الثَّلَاثَةَ فِي سِتِّينَ سَنَةً ثُمَّ يَعُودُ فَيَسْتَوِي بِهَا فِي سِتِّينَ سَنَةً ثُمَّ يَعُودُ  
 ثَالِثَةً ثُمَّ رَابِعَةً فَيَسْتَوِي فِي الْمَثَلَةِ بِثِنْتِي عَشْرَةَ مَرَّةً وَأَرْبَعُ عَوَدَاتٍ فِي مَائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ  
 سَنَةً وَيَكُونُ انْتِقَالُهُ فِي كُلِّ بُرْجٍ عَلَى التَّثْلِيثِ الْأَيْمَنِ وَيَنْتَقِلُ مِنَ الْمَثَلَةِ إِلَى الْمَثَلَةِ  
 الَّتِي تَلِيهَا أَعْنَى الْبُرْجِ الَّذِي يَلِي الْبُرْجَ الْآخِرَ مِنَ الْقِرَانِ الَّذِي قَبْلَهُ فِي الْمَثَلَةِ وَهَذَا  
 الْقِرَانُ الَّذِي هُوَ قِرَانُ الْعُلُوِّ بَيْنَ يَنْقَسِمُ إِلَى كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ وَوَسْطٍ فَالْكَبِيرُ هُوَ اجْتِمَاعُ  
 الْعُلُوِّ بَيْنَ فِي دَرَجَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْفَلَكَ إِلَى أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا بَعْدَ تِسْعِمَائَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً مَرَّةً  
 وَاحِدَةً وَالْوَسْطُ هُوَ اقْتِرَانُ الْعُلُوِّ بَيْنَ فِي كُلِّ مَثَلَةٍ اثْنَتِي عَشْرَةَ مَرَّةً وَبَعْدَ مِئَتَيْنِ  
 وَأَرْبَعِينَ سَنَةً يَنْتَقِلُ إِلَى مَثَلَةٍ أُخْرَى وَالصَّغِيرُ هُوَ اقْتِرَانُ الْعُلُوِّ بَيْنَ فِي دَرَجَةٍ بُرْجٍ  
 وَبَعْدَ عَشْرِينَ سَنَةً بِقَاتِرَانَ فِي بُرْجِ آخَرَ عَلَى تَثْلِيثِهِ الْأَيْمَنِ فِي مِثْلِ دَرَجِهِ أَوْ دَقَائِقِهِ  
 مِثَالِ ذَلِكَ وَقَعَ الْقِرَانُ يَكُونُ أَوَّلَ دَقِيقَةٍ مِنَ الْحَمَلِ وَبَعْدَ عَشْرِينَ يَكُونُ فِي أَوَّلِ دَقِيقَةٍ مِنَ  
 الْأَسَدِ وَهَذِهِ كُلُّهَا نَارِيَّةٌ وَهَذَا كُلُّهُ قِرَانٌ صَغِيرٌ ثُمَّ يَعُودُ إِلَى أَوَّلِ الْحَمَلِ بَعْدَ سِتِّينَ  
 سَنَةً وَيُسَمَّى دَوْرَ الْقِرَانِ وَعَوْدُ الْقِرَانِ وَبَعْدَ مَائَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ يَنْتَقِلُ مِنَ النَّارِيَّةِ إِلَى  
 التَّرَابِيَّةِ لِأَنَّهَا بَعْدَهَا وَهَذَا قِرَانٌ وَسْطٌ ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى الْهَوَائِيَّةِ ثُمَّ الْمَائِيَّةِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى  
 أَوَّلِ الْحَمَلِ فِي تِسْعِمَائَةٍ وَسِتِّينَ سَنَةً وَهُوَ الْكَبِيرُ وَالْقِرَانُ الْكَبِيرُ يَدُلُّ عَلَى عِظَامِ  
 الْأُمُورِ مِثْلَ تَغْيِيرِ الْمَلِكِ وَالِدَوْلَةِ وَانْتِقَالِ الْمَلِكِ مِنْ قَوْمٍ إِلَى قَوْمٍ وَالْوَسْطُ عَلَى ظُهُورِ  
 الْمُتَغَلِّبِينَ وَالطَّالِبِينَ لِلْمَلِكِ وَالصَّغِيرُ عَلَى ظُهُورِ الْخَوَارِجِ وَالِدُّعَاةِ وَخَرَابِ الْمَدُنِ أَوْ  
 عُمَرَانِهَا وَيَقَعُ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْقِرَانَاتِ قِرَانُ التَّحْسِينِ فِي بُرْجِ السَّرَطَانِ فِي كُلِّ ثَلَاثِينَ

سَنَةً مَرَّةً وَيُسَمَّى الرَّابِعَ وَبُرْجُ السَّرَطَانِ هُوَ طَالِعُ الْعَالَمِ وَفِيهِ وَبَالُ زُحَلٍ وَهَبُوطُ  
الْمَرِيخِ فَتَعْلَمُ دَلَالَةَ هَذَا الْقِرَانِ فِي الْفَنَنِ وَالْحُرُوبِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ وَظُهُورِ الْخَوَارِجِ  
وَحَرَكَةِ الْعَسَاكِرِ وَعَضْيَانِ الْجُنْدِ وَالْوَبَاءِ وَالْقَحْطِ وَيَدُومُ ذَلِكَ أَوْ يَنْتَهِي عَلَى قَدْرِ  
السَّعَادَةِ وَالنُّحُوسَةِ فِي وَقْتِ قِرَانِهِمَا عَلَى قَدْرِ تَبْسِيرِ الدَّلِيلِ فِيهِ قَالَ جِرَاسُ بْنُ أَحَدَدَ  
الْحَاسِبِ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَلْفَهُ لِنِظَامِ الْمَلِكِ وَرُجُوعِ الْمَرِيخِ إِلَى الْعَقْرَبِ لَهُ أَثَرٌ  
عَظِيمٌ فِي الْمِلَّةِ الْأِسْلَامِيَّةِ لِأَنَّهُ كَانَ دَلِيلًا فَالْمَوْلِدُ النَّبَوِيُّ كَانَ عِنْدَ قِرَانِ الْعَلَوِيِّينَ  
بِبُرْجِ الْعَقْرَبِ فَلَمَّا رَجَعَ هُنَاكَ حَدَثَ التَّشْوِيشُ عَلَى الْخُلَفَاءِ وَكَثُرَ الْمَرَضُ فِي أَهْلِ  
الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَنَقَصَتْ أَحْوَالُهُمْ وَرُبَّمَا أَتَاهُمْ بَعْضُ بُيُوتِ الْعِبَادَةِ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ  
عِنْدَ قَتْلِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَرْوَانَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَالْمُتَوَكِّلِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ فَإِذَا  
رُوعِيَتْ هَذِهِ الْأَحْكَامُ مَعَ أَحْكَامِ الْقِرَانَاتِ كَانَتْ فِي غَايَةِ الْأَحْكَامِ وَذَكَرَ شَاذَانَ  
الْبَلْخِيُّ أَنَّ الْمِلَّةَ تَنْتَهِي إِلَى ثَلَاثِمِائَةٍ وَعِشْرِينَ وَقَدْ ظَهَرَ كَذِبُ هَذَا الْقَوْلِ وَقَالَ  
أَبُو مَعْشَرٍ يَظْهَرُ بَعْدَ الْمِائَةِ وَالْخَمْسِينَ مِنْهَا اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ وَلَمْ يَصِحَّ ذَلِكَ وَقَالَ خِرَاشُ  
رَأَيْتُ فِي كِتَابِ الْقَدَمَاءِ أَنَّ الْمُجْتَمِعِينَ أَخْبَرُوا كَسْرِي عَنْ مَلِكِ الْعَرَبِ وَظُهُورِ النُّبُوَّةِ  
فِيهِمْ وَأَنَّ دَلِيلَهُمُ الزُّهْرَةَ وَكَانَتْ فِي شَرْفِهَا فَيَبْقَى الْمَلِكُ فِيهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً وَقَالَ  
أَبُو مَعْشَرٍ فِي كِتَابِ الْقِرَانَاتِ الْقِسْمَةُ إِذَا أَنْتَبَتْ إِلَى السَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الْحُوتِ فِيهَا  
شَرْفُ الزُّهْرَةِ وَوَقَعَ الْقِرَانُ مَعَ ذَلِكَ بِبُرْجِ الْعَقْرَبِ وَهُوَ دَلِيلُ الْعَرَبِ ظَهَرَتْ حِينَئِذٍ  
دَوْلَةُ الْعَرَبِ وَكَانَ مِنْهُمْ نَبِيٌّ وَيَكُونُ قُوَّةُ مَلِكِهِ وَمُدَّتُهُ عَلَى مَا بَقِيَ مِنْ دَرَجَاتِ شَرْفِ  
الزُّهْرَةِ وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً بِتَقْرِيْبٍ مِنْ بُرْجِ الْحُوتِ وَمُدَّةُ ذَلِكَ سِتِّمِائَةً وَعِشْرَ  
سِنِينَ وَكَانَ ظُهُورُ أَبِي مُسْلِمٍ عِنْدَ انْتِقَالِ الزُّهْرَةِ وَوُقُوعِ الْقِسْمَةِ أَوَّلَ الْحَمَلِ وَصَاحِبُ  
الْجُدِّ الْمُشْتَرِي وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ الْكِنْدِيُّ إِنَّ مُدَّةَ الْمِلَّةِ تَنْتَهِي إِلَى سِتِّمِائَةٍ  
وَتَلَاثٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً قَالَ لِأَنَّ الزُّهْرَةَ كَانَتْ عِنْدَ قِرَانِ الْمِلَّةِ فِي ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً  
وَتَلَاثِينَ دَقِيقَةً مِنَ الْحُوتِ فَالْبَاقِي إِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً وَثَمَانٍ عَشْرَةَ دَقِيقَةً وَدَقَائِقُهَا  
سِتُونَ فَيَكُونُ سِتِّمِائَةً وَثَلَاثًا وَتِسْعِينَ سَنَةً قَالَ وَهَذِهِ مُدَّةُ الْمِلَّةِ بِاتِّفَاقِ الْحُكَمَاءِ  
وَيَعْضُدُ الْخُرُوفُ الْوَاقِعَةُ فِي أَوَّلِ السُّورِ بِحَدْفِ الْمُكْرَرِ وَأَعْتَابَهُ بِحِسَابِ الْجَمَلِ  
قُلْتُ وَهَذَا هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ السُّهَيْلِيُّ وَالْغَالِبُ أَنَّ الْأَوَّلَ هُوَ مُسْتَنَدُ السُّهَيْلِيِّ فِيمَا نَقَلْتَاهُ

عنه قال خراش سأل هرم بن إفريد الحكيم عن مدة أردشير وولده ملوك الساسانية  
فقال دليل ملكه المشتري وكان في شرفه فيعطى أطول السنين وأجودها أن بعمانة  
وسبعاً وعشرين سنة ثم تزيد الزهرة وتكون في شرفها وهي دليل العرب فيملكون  
لأن طالع القران الميزان وصاحبه الزهرة وكانت عند القران في شرفها فدل أنهم  
يملكون ألف سنة وستين سنة وسأل كسرى أنوشروان وزيره بزرجمهر الحكيم  
عن خروج الملك من فارس إلى العرب فأخبره أن القائم منهم يولد لخمسة وأربعين  
من دولته ويملك المشرق والمغرب والمشتري يعوض إلى الزهرة وينتقل القران  
من الهوائية إلى العقر وهو مائي وهو دليل العرب فهذه الأدلة تفضي للملّة بمدة  
دور الزهرة وهي ألف وستون سنة وسأل كسرى أبرويز اليوس الحكيم عن ذلك  
فقال مثل قول بزرجمهر وقال توفيل الرؤي العنجم في أيام بني أمية إن ملة الإسلام  
تبقى مدة القران الكبير تسعمائة وستين سنة فإذا عاد القران إلى برج العقر  
كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع الكواكب عن هيئتها في قران الملة فينبذ  
إما أن يفر العمل به أو يتجدد من الأحكام ما يوجب خلاف الظن قال خراش  
وأنفقوا على أن خراب العالم يكون بأسنيلاء الماء والنار حتى تهلك سائر المكنونات  
وذلك عند ما يقطع قلب الأسد أربعاً وعشرين درجة وهي حد المربح وذلك بعد  
مضي تسعمائة وستين سنة وذكر خراش أن ملك زابلستان بعث إلى المأمون  
بحكيمه ذوبان اتحفه به في هدية وأنه تصرف للمأمون في الاختيارات بحروب أخيه  
وبعد اللواء لطاهر وأن المأمون أعظم حكمته فسأله عن مدة ملكهم فأخبره  
بأنقطع الملك من عقبه واتصاليه في ولد أخيه وأن العجم يتعابون على الخلافة من  
الدلم في دولة سنة خمسين ويكون ما يريده الله ثم يسوء حالهم ثم تظهر الترك من  
شمال المشرق فيملكون إلى الشام والفرات وسيعون وسيملكون بلاد الروم ويكون  
ما يريده الله فقال له المأمون من أين لك هذا فقال من كتب الحكماء ومن أحكام  
صه بن داهر الهندي الذي وضع الشطرنج قلت والترك الذين أشار إلى ظهورهم  
بعد الدلم هم السلجوقية وقد انقضت دولتهم أول القرن السابع قال خراش وانتقال  
القران إلى المثلة المائية من برج الحوت يكون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة

لِيَزِدَّ جُرْدَ وَبَعْدَهَا إِلَى بُرْجِ الْعَقْرَبِ حَيْثُ كَانَ قِرَانُ الْمَلَّةِ سَنَةً ثَلَاثَ وَخَمْسِينَ قَالَ وَالَّذِي  
 فِي الْحُوتِ هُوَ أَوَّلُ الْإِنْتِقَالِ وَالَّذِي فِي الْعَقْرَبِ يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ دَلَائِلُ الْمَلَّةِ قَالَ وَتَحْوِيلُ  
 السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ الْقِرَانِ الْأَوَّلِ فِي الْمَثَلثَاتِ الْمَائِيَّةِ فِي تَأْنِي رَجَبِ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ  
 وَثَمَانِمِائَةٍ وَلَمْ يَسْتَوْفِ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ. وَأَمَّا مُسْتَدُّ الْمُتَحَمِّمِينَ فِي دَوْلَةٍ عَلَى الْخُصُوصِ  
 مِنْ الْقِرَانِ الْأَوْسَطِ وَهَيْئَةَ الْفُلْكَ عِنْدَ وَقُوعِهِ لِأَنَّ لَهُ دَلَالََةً عِنْدَهُمْ عَلَى حَدُوثِ الدَّوْلَةِ  
 وَجِهَاتِهَا مِنَ الْعُمَرَانِ وَالْقَائِمِينَ بِهَا مِنَ الْأُمَمِ وَعَدَدِ مُلُوكِهِمْ وَأَسْمَائِهِمْ وَأَعْمَارِهِمْ وَتَحْلِيمِ  
 وَأَدْبَانِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَحُرُوبِهِمْ كَمَا ذَكَرَ أَبُو مَعْشَرٍ فِي كِتَابِهِ فِي الْقِرَانَاتِ وَقَدْ تَوَجَّدَ هَذِهِ  
 الدَّلَالَاتُ مِنَ الْقِرَانِ الْأَصْغَرِ إِذَا كَانَ الْأَوْسَطُ دَالًّا عَلَيْهِ فَمِنْ هَذَا يُوجَدُ الْكَلَامُ فِي الدُّوَلِ  
 وَقَدْ كَانَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْمَاقِ الْكِنْدِيِّ مُتَّبِعَ الرَّشِيدِ وَالْمَأْمُونِ وَضَعَ فِي الْقِرَانَاتِ الْكَائِنَةَ  
 فِي الْمَلَّةِ كِتَابًا سَمَاهُ الشَّيْبَةَ بِالْجُفْرِ بِاسْمِ كِتَابِهِمُ الْمَنْسُوبِ إِلَى جَعْفَرِ الصَّادِقِ وَذَكَرَ  
 فِيهِ فِيمَا يُقَالُ حَدَّثَانِ دَوْلَةَ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَنَّهَا نَهَيْتُهُ وَأَشَارَ إِلَى أَنْفِرَازِهَا وَالْحَادِثَةَ عَلَى  
 بَعْدَادِ أَنَّهَا نَفَعَتْ فِي انْتِصَافِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ وَأَنَّهَا أَنْفِرَازِهَا يَكُونُ أَنْفِرَازُ الْمَلَّةِ وَلَمْ نَقِفْ  
 عَلَى شَيْءٍ مِنْ خَبَرِ هَذَا الْكِتَابِ وَلَا رَأَيْنَا مَنْ وَقَفَ عَلَيْهِ وَعَلَّمَهُ غَرَقَ فِي كُتُبِهِمُ الَّتِي طَرَحَهَا  
 هَلَاكُ كَوْمَلِكِ التُّرِّ فِي دِحْلَةَ عِنْدَ اسْتِيْلَائِهِمْ عَلَى بَعْدَادِ وَقَتْلِ الْمُسْتَعَصِمِ آخِرِ الْخُلَفَاءِ وَقَدْ  
 وَقَعَ بِالْمَغْرِبِ جُزْءٌ مَنَسُوبٌ إِلَى هَذَا الْكِتَابِ يُسَمُّونَهُ الْجُزْءَ الصَّغِيرَ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ وَضَعَ لِبَنِي  
 عَبْدِ الْمُؤْمِنِ لِذِكْرِ الْأَوَّلِينَ مِنْ مُلُوكِ الْمُوَحِّدِينَ فِيهِ عَلَى التَّفْصِيلِ وَهُوَ طَابِقٌ مِنْ تَقَدَّمَ عَنْ  
 ذَلِكَ مِنْ حَدِيثَانِهِ وَكَذَّبَ مَا بَعْدَهُ وَكَانَ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ بَعْدِ الْكِنْدِيِّ مُتَّحَمِّمُونَ  
 وَكُتِبَ فِي الْحَدِيثَانِ وَأَنْظُرْ مَا نَقَلَهُ الطَّبْرِيُّ فِي أَخْبَارِ الْمَهْدِيِّ عَنْ أَبِي بُدَيْلٍ مِنْ أَصْحَابِ  
 صَنَائِعِ الدَّوْلَةِ قَالَ بَعَثَ إِلَيَّ الرَّبِيعُ وَالْحَسَنُ فِي غَزَاتِهِمَا مَعَ الرَّشِيدِ أَيَّامَ أَبِيهِ فُجِحْتُهُمَا  
 جَوْفَ اللَّيْلِ فَإِذَا عِنْدَهُمَا كِتَابٌ مِنْ كُتُبِ الدَّوْلَةِ بَعْضُهَا بَعْضُ الْحَدِيثَانِ وَإِذَا مَدَّةُ الْمَهْدِيِّ فِيهِ  
 عَشْرُ سِنِينَ فَقُلْتُ هَذَا الْكِتَابُ لَا يُخْفَى عَلَى الْمَهْدِيِّ وَقَدْ مَضَى مِنْ دَوْلَتِهِ مَا مَضَى فَإِذَا  
 وَقَفَ عَلَيْهِ كُنْتُمْ قَدْ نَعَيْتُمْ إِلَيْهِ نَفْسَهُ قَالَا فَمَا الْحِيلَةُ فَاسْتَدْعَيْتُ عُبَيْسَةَ الْوَرَّاقَ مَوْلَى  
 آلِ بُدَيْلٍ وَقُلْتُ لَهُ أَسْخِ هَذِهِ الْوَرَقَةَ وَأَكْتُبْ مَكَانَ عَشْرِ أَرْبَعِينَ فَفَعَلَ فَوَاللَّهِ لَوْلَا  
 الَّتِي رَأَيْتُ الْعَشْرَةَ فِي تِلْكَ الْوَرَقَةِ وَالْأَرْبَعِينَ فِي هَذِهِ مَا كُنْتُ أَشْكُ أَنَّهَا هِيَ ثُمَّ كُتِبَ  
 النَّاسُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فِي حَدِيثَانِ الدُّوَلِ مَنْظُومًا وَمَنْثُورًا وَرَجَزًا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوهُ

وَبِأَيْدِي النَّاسِ مُتَّفَرِّقَةً كَثِيرٌ مِنْهَا وَتَسْمَى الْمَلَا حِمٌ وَبَعْضُهَا فِي حَدَثَانِ الْمَلَّةِ عَلَى الْعُمُومِ  
 وَبَعْضُهَا فِي دَوْلَةٍ عَلَى الْخُصُوصِ وَكُلُّهَا مَسْرُوبَةٌ إِلَى مَشَاهِيرِ مَنْ أَهْلُ الْخَلِيقَةِ وَلَيْسَ مِنْهَا أَصْلٌ  
 يُعْتَمَدُ عَلَى رِوَايَتِهِ عَنْ وَاضِعِهِ الْمَسْرُوبِ إِلَيْهِ فَمِنْ هَذِهِ الْمَلَا حِمِ بِالْمَغْرِبِ قَصِيدَةُ ابْنِ  
 مُرَّانَةَ مِنْ بَجْرِ الطُّوَيْلِ عَلَى رُؤْيِ الرَّاءِ وَهِيَ مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ النَّاسِ وَتَحْسِبُ الْعَامَّةُ أَنَّهَا مِنْ  
 الْحَدَثَانِ الْعَامِّ فَيُطْلَقُونَ الْكَثِيرَ مِنْهَا عَلَى الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ وَالَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْ شَيْوَخِنَا  
 أَنَّهَا مَخْصُوصَةٌ بِدَوْلَةِ لِمْتُونَةَ لِأَنَّ الرَّجُلَ كَانَ قَبِيلَ دَوَاتِيمِمْ وَذَكَرَ فِيهَا اسْتِيْلَاءَهُمْ عَلَى  
 سَبْتَةَ مِنْ بَيْدِ مَوَالِي بَنِي حَمُودٍ وَمَلِكِهِمْ الْعُدُودَةَ الْأَنْدَلُسِيَّ وَمِنَ الْمَلَا حِمِ بَيْدُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ  
 أَيْضًا قَصِيدَةُ تُسَمَّى التَّبَعِيَّةَ أَوَّلُهَا

طَرِبْتُ وَمَا ذَاكَ مِنِّي طَرِبٌ وَقَدْ يَطْرِبُ الطَّائِرُ الْمُغْتَصَبُ

وَمَا ذَاكَ مِنِّي لِلَّهِوِ أَرَاهُ وَلَكِنْ لَيْتَ كَارِ بَعْضِ السَّبَبِ

قَرِيبًا مِنْ خَمْسِمِائَةِ بَيْتٍ أَوْ أَلْفٍ فِيمَا يُقَالُ ذَكَرَ فِيهَا كَثِيرًا مِنْ دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ وَأَشَارَ  
 فِيهَا إِلَى الْفَاطِمِيِّ وَغَيْرِهِ وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ وَمِنَ الْمَلَا حِمِ بِالْمَغْرِبِ أَيْضًا مَلْعِبَةٌ  
 مِنَ الشُّعْرِ الرَّجَلِيِّ مَسْرُوبَةٌ لِبَعْضِ الْيَهُودِ ذَكَرَ فِيهَا أَحْكَامَ الْقِرَانَاتِ لِعَصْرِهِ الْعُلُوِّ بَيْنَ  
 وَالنَّحْسِينَ وَغَيْرِهَا وَذَكَرَ مِمَّتَهُ قَتِيلًا بِفَاسَ وَكَانَ كَذَلِكَ فِيمَا زَعَمُوهُ وَأَوَّلُهُ

فِي صَبْغِ ذَا الْأَزْرَقِ لَشَرْفِهِ خِيَارَا فَافْهَمُوا يَا قَوْمِ هَذِيهِ الْإِشَارَا

نَجْمُ زَحَلِ الْخَبْرِ بِذِي الْعِلَامَا وَبَدَلُ الشُّكْلَا وَهِيَ سِلَامَا

شَاشِيَةُ زَرْقَا بِدَلِ الْعِمَامَا وَشَاشُ أَزْرَقِ بِدَلِ الْفِرَارَا

يَقُولُ فِي آخِرِهِ

قَدْ تَمَّذَا التَّجْنِيسَ لِنَاسَانِ يَهُودِيَّ يَصَلُّبُ فِي بَلَدَةِ فَاسَ فِي يَوْمِ عِيدِ

حَتَّى يَجِيَهُ النَّاسُ مِنَ الْبُودَايِ وَقَتْلَهُ يَا قَوْمِ عَلَى الْفِرَادِ

وَأَبْيَانُهُ نَعْوُ الْخَمْسِمِائَةِ وَهِيَ فِي الْقِرَانَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ وَمِنَ الْمَلَا حِمِ الْمَغْرِبِ  
 أَيْضًا قَصِيدَةٌ مِنْ عَرُوضِ الْمُتَقَارِبِ عَلَى رُؤْيِ الْبَاءِ فِي حَدَثَانِ دَوْلَةِ بَنِي أَبِي حَفْصِ  
 بَتُونَسَ مِنَ الْمُوحِدِينَ مَسْرُوبَةٌ لِابْنِ الْأَبَّارِ وَقَالَ لِي قَاضِي فُسْطَاطِيَّةِ الْخَطِيبِ الْكَبِيرِ  
 أَبُو عَلِيٍّ بَنِ بَادِيَسَ وَكَانَ بَصِيرًا جَمًّا يَقُولُهُ وَلَهُ قَدَمٌ فِي التَّنْجِيمِ فَقَالَ لِي إِنَّ هَذَا ابْنُ الْأَبَّارِ  
 لَيْسَ هُوَ الْحَافِظُ الْأَنْدَلُسِيُّ الْكَاتِبُ مَقْتُولُ الْمُسْتَنْصِرِ وَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ خِيَّاطٌ مِنْ أَهْلِ

تُونِسَ تَوَاطَاتُ شَهْرَتُهُ مَعَ شَهْرَةِ الْحَافِظِ وَكَانَ وَالِدِي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى يُنْسِدُ هَذِهِ  
الْأَيَّاتِ مِنْ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ وَبَقِيَ بَعْضُهَا فِي حِفْظِي مَطْلَعَهَا

عَدِيرِي مِنْ زَمَنِ قَلْبٍ      بَعْرُ بِيَارِفِهِ الْأَثْنَبِ  
وَمِنْهَا      وَبِعَثُ مِنْ جَيْشِهِ قَائِدًا  
وَبَقِيَ هُنَاكَ عَلَى مَرَقَبِ      فَنَأْتِي إِلَى الشَّيْخِ أَخْبَارُهُ  
فَيُقْبَلُ كَلْجَمَلِ الْأَجْرَبِ      وَيُظْهِرُ مِنْ عَدْلِهِ سِيرَتُهُ  
وَتِلْكَ سِيَاسَةُ مُسْتَجَلِبِ

ومنها في ذكر احوال تونس على العموم

فَأَمَّا<sup>(١)</sup> رَأَيْتِ الرُّسُومَ أَمَحَّتْ      وَلَمْ يُرْعَ حَقُّ لِيَدِي مَنَصِبِ  
نُحْدُ فِي التَّرْحُلِ عَنِ تُونِسِ      وَوَدِعَ مَعَالِمَهَا وَأَذْهَبِ  
فَسَوَتْ تَكُونُ بِهَا فِتْنَةٌ      تُضَيِّفُ الْبَرِيءَ إِلَى الدُّنْبِ

وَوَقَفْتُ بِالْمَغْرِبِ عَلَى مَلْحَمَةٍ أُخْرَى فِي رِوَالَةِ بَنِي أَبِي حَنْصَلٍ هُوَ لِأَنَّ تُونِسَ فِيهَا بَعْدَ  
السُّلْطَانِ أَبِي يَحْيَى الشَّهِيرِ عَاشِرِ مَلُوكِهِمْ ذَكَرُ مُحَمَّدٍ أَخِيهِ مِنْ بَعْدِهِ يَقُولُ فِيهَا  
وَبَعْدَ أَبِي عَبْدِ الْإِلَهِ شَقِيقُهُ      وَبِعْرِفَ بِالْوَتَابِ فِي نُسْخَةِ الْأَصْلِ

إِلَّا أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمْ يَمْلِكْهَا بَعْدَ أَخِيهِ وَكَانَ يُعْنِي بِذَلِكَ نَفْسَهُ إِلَى أَنْ هَلَكَ وَمِنْ  
المَلَا حِمٍ فِي الْمَغْرِبِ أَيْضًا الْمَلْعَبَةُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الْهَوَاتِي عَلَى لُغَةِ الْعَامَّةِ فِي عَرُوضِ الْبَلَدِ

دعني بدمعي الهتان      فترت الامطار ولم تفر  
واستقت كلها الوبدان      وانى تملى وتغدر

وَهِيَ طَوِيلَةٌ وَمَحْفُوظَةٌ بَيْنَ عَامَّةِ الْمَغْرِبِ الْأَفْصَى وَالْغَالِبِ عَلَيْهَا الْوَضْعُ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ مِنْهَا  
قَوْلٌ إِلَّا عَلَى تَأْوِيلِ تَحْرِيفِ الْعَامَّةِ أَوْ الْحَارِفِ فِيهِ مَنْ يَتَّخِلُهَا مِنَ الْخَاصَّةِ وَوَقَفْتُ بِالْمَشْرِقِ  
عَلَى مَلْحَمَةٍ مُنْسُوبَةٍ لِأَبْنِ الْعَرَبِيِّ الْحَاتِمِيِّ فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ شَبِهَ الْأَلْغَازَ لَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا  
اللَّهُ لِيَحْتَلِلَهُ إِلَى أَوْفَاقِ عَدْرِيَّةٍ وَرَمُوزِ مَلْعُورَةٍ وَأَشْكَالِ حَيَوَانَاتِ تَامَةٍ وَرُؤُوسِ مَقْطَعَةٍ  
وَتَسَائِلِ مِنْ حَيَوَانَاتِ غَرِيبَةٍ وَفِي آخِرِهَا قَصِيدَةٌ عَلَى رُويِ الْأَلَمِ وَالْغَالِبِ أَنَّهَا كُتِبَتْ  
غَيْرُ صَحِيحَةٍ لِأَنَّهَا لَمْ تَنْشَأْ عَنْ أَصْلِ عِلْمِيٍّ مِنْ نَجْمَانَةٍ وَلَا غَيْرِهَا وَسَمِعْتُ أَيْضًا أَنَّ هُنَاكَ

١ قوله فاما رايت اصله فان رايت زبدت ما را دعمت في ان الشرطة المحذوف نونها خطأ وفي نسخة فلما  
رايت والاولى هي الموجودة في النسخة التونسية ٥٠٠هـ قاله نصر

مَلَا حِمٌّ أُخْرَى مَسْبُوبَةٌ لِأَبْنِ سِينَاءَ وَأَبْنِ عَقَابٍ وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا دَلِيلٌ عَلَى الصَّحَّةِ لِأَنَّ  
 ذَلِكَ إِنَّمَا يُؤْخَذُ مِنَ الْقِرَاطَاتِ وَوَقَفْتُ بِالْمَشْرِقِ أَيْضًا عَلَى مَلْحَمَةٍ مِنْ حَدَثَانِ دَوْلَةِ  
 التُّرْكِ مَسْبُوبَةٌ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ يُسَمَّى الْبَاجِرِ بَقِيٍّ وَكَلِمَتُهَا الْغَازُ بِالْحُرُوفِ أَوْلَاهَا  
 إِنْ شِئْتَ تَكْشِفُ سِرَّ الْجَفْرِ يَا سُؤْلِي مِنْ عِلْمٍ جَنَرَ وَصِيٍّ وَالِدِ الْحَسَنِ  
 فَافْهَمْ وَكُنْ وَاعِيًا حَرْفًا وَجُمْلَةً وَالْوَصْفُ فَافْهَمْ كَفِعَلِ الْحَاذِقِ الْفَطْنِ  
 أَمَّا الَّذِي قَبْلَ عَصْرِي لَسْتُ أَذْكَرُهُ لَكِنِّي أَذْكَرُ الْآتِي مِنَ الزَّمَنِ  
 بِشَهْرِ بِيْرَسَ بَقِيٍّ بَعْدَ خَمْسَتِهَا بِحَاءٍ مِيمٍ بَطِيْشٌ نَامٌ فِي الْكُنَنِ  
 شَيْنٌ لَهُ أَثَرٌ مِنْ تَحْتِ سُرَّتِهِ لَهُ الْقَضَاءُ قَضَى أَي ذَلِكَ الْمِنَنِ  
 فَمِصْرُ وَالشَّامُ مَعَ أَرْضِ الْعِرَاقِ لَهُ وَأَذْرَبِيْجَانُ فِي مُلْكِ إِلَى الْيَمَنِ  
 وَأَبْيَانُهَا كَثِيرَةٌ وَالْغَالِبُ أَنَّهَا مَوْضُوعَةٌ وَمِثْلُ صَنِعَتِهَا كَانَتْ فِي الْقَدِيمِ كَثِيرٌ

## وَمَعْرُوفُ الْإِنْتِحَالِ

حَكَى الْمُؤَرِّخُونَ لِأَخْبَارِ بَغْدَادَ أَنَّهُ كَانَ بِهَا أَيَّامَ الْمُقْتَدِرِ وَرَاقٌ ذِكْرِي يُعْرِفُ  
 بِالْدَانَالِيِّ بَيْتُ الْأَوْزَاقِ وَيَكْتُبُ فِيهَا بِخَطِّ عَتِيقٍ يَرْمُزُ فِيهِ بِحُرُوفٍ مِنْ أَسْمَاءِ أَهْلِ  
 الدَّوْلَةِ وَيَشِيرُ بِهَا إِلَى مَا يُعْرِفُ مِيْلَهُمْ إِلَيْهِ مِنْ أَحْوَالِ الرَّفْعَةِ وَالْجَاهِ كَنَاهَا مَلَا حِمٌّ وَيَحْصُلُ  
 عَلَى مَا يُرِيدُهُ مِنْهُمْ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنَّهُ وَضَعَ فِي بَعْضِ دَفَاتِرِهِ مِيمًا مُكْرَرَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ  
 وَجَاءَ بِهِ إِلَى مُفْلِجٍ مَوْلَى الْمُقْتَدِرِ فَقَالَ لَهُ هَذَا كِنَايَةٌ عَنْكَ وَهُوَ مُفْلِجٌ مَوْلَى الْمُقْتَدِرِ  
 وَذَكَرَ عَنْهُ مَا يَرْضَاهُ وَيُنَالُهُ مِنَ الدَّوْلَةِ وَنَصَبَ لِنَيْكَ عِلَامَاتٍ يُمَوِّهُ بِهَا عَلَيْهِ فَبَدَّلَ لَهُ  
 مَا أَغْنَاهُ بِهِ ثُمَّ وَضَعَهُ لِلْوَزِيرِ ابْنِ الْقَاسِمِ بْنِ وَهْبٍ عَلَى مُفْلِجٍ هَذَا وَكَانَ مَعْرُوفًا لِحَاثِهِ  
 بِأَوْزَاقٍ مِثْلَهَا وَذَكَرَ اسْمُ الْوَزِيرِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْحُرُوفِ وَبِعِلَامَاتِ ذَكَرَهَا وَأَنَّ بَيْتِي  
 الْوِزَارَةِ لِلثَّانِي عَشْرَ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَتَسْتَقِيمُ الْأُمُورُ عَلَى يَدَيْهِ وَيَقْبُرُ الْأَعْدَاءَ وَتَعْمُرُ الدُّنْيَا  
 فِي أَيَّامِهِ وَأَوْقَفْتُ مُفْلِجًا هَذَا عَلَى الْأَوْزَاقِ وَذَكَرَ فِيهَا كَوَائِنَ أُخْرَى وَمَلَا حِمٌّ مِنْ هَذَا  
 النَّوْعِ مِمَّا وَقَعَ وَمِمَّا لَمْ يَقَعْ وَنَسَبَ جَمِيعَهُ إِلَى دَانَالٍ فَأَعْجَبَ بِهِ مُفْلِجٌ وَوَقَفَ عَلَيْهِ  
 الْمُقْتَدِرُ وَأَهْتَدَى مِنْ تِلْكَ الْأُمُورِ وَالْعِلَامَاتِ إِلَى ابْنِ وَهْبٍ وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لَوِزَارَتِهِ  
 بِمِثْلِ هَذِهِ الْحِيلَةِ الْعَرِيقَةِ فِي الْكَيْدِ وَالْجَهْلِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَلْغَازِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذِهِ  
 الْمَلْحَمَةَ الَّتِي يَنْسِبُونَهَا إِلَى الْبَاجِرِ بَقِيٍّ مِنْ هَذَا النَّوْعِ وَلَقَدْ سَأَلْتُ أَكْمَلَ الدِّينِ ابْنَ

شَيْخِ الْحَنْفِيَّةِ مِنَ الْعَجَمِ بِالذِّبَارِ الْمَصْرِيَّةِ عَنْ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ وَعَنْ هَذَا الرَّجُلِ  
الَّذِي تُنْسَبُ إِلَيْهِ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَهُوَ الْبَاجِرِيُّ وَقَانَ عَارِفًا بِطَرِيقِهِمْ فَقَالَ كَانَ مِنْ  
الْقَلَنْدَرِيَّةِ الْمُبْتَدِعَةِ فِي حَقِّ اللَّحِيَّةِ وَكَانَ يَتَحَدَّثُ عَمَّا يَكُونُ بِطَرِيقِ الْكُشْفِ وَيُؤَيِّ  
إِلَى رِجَالٍ مَعِينِينَ عِنْدَهُ وَيَأْخُذُ عَلَيْهِمْ بِمُحْرُوفٍ يَعِينُهَا فِي ضَمَنِهَا لَعَنَ يَرَاهُ مِنْهُمْ وَرَبَّمَا  
يُظْهِرُ نَظْمُ ذَلِكَ فِي آيَاتٍ قَلِيلَةٍ كَانَ يَتَعَاهَدُهَا فَتَنَوَّقَاتٌ عَنْهُ وَوَلَعَ النَّاسُ بِهَا وَجَعَلُوهَا  
مَلْحَمَةً مَرْمُوزَةً وَزَادَ فِيهَا الْخُرَاصُونَ مِنْ ذَلِكَ الْجِنْسِ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَشَغَلَ الْعَامَّةُ بِفِكَ  
رُمُوزَهَا وَهُوَ أَمْرٌ مُمْتَنِعٌ إِذِ الرَّمْزُ إِنَّمَا يَهْدِي إِلَى كَشْفِهِ قَانُونَ يُعْرِفُ قَبْلَهُ وَيُوضَعُ  
لَهُ وَأَمَّا مِثْلُ هَذِهِ الْحُرُوفِ فِدَلَالَتُهَا عَلَى الْمُرَادِ مِنْهَا بِمَخْصُوصَةٍ بِهَذَا النِّظْمِ لَا يَتَجَاوَزُهُ  
فَرَأَيْتُ مِنْ كَلَامِ هَذَا الرَّجُلِ الْفَاضِلِ شَفَاءً لِمَا كَانَ فِي النَّفْسِ مِنْ أَمْرِ هَذِهِ الْمَلْحَمَةِ  
وَمَا كُنَّا نُنْتَهِدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الرابع

### من الكتاب الاول

في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال  
وفيه سوابق ولواحق

### الفصل الاول

في ان الدول من المدن والامصار وانما توجد ثانية عن الملك  
وَيَبَيِّنُهُ أَنَّ الْبِنَاءَ وَأَخْطِطَاطَ الْمَنَازِلِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ مَنَازِعِ الْحِصَارَةِ الَّتِي يَدْعُو إِلَيْهَا  
الْتَرَفُ وَالِدَعَةُ كَمَا قَدَّمَ نَاهُ وَذَلِكَ مَتَّخِرٌ عَنِ الْبِدَاوَةِ وَنَذَاعِهَا وَأَيْضًا فَالْمَدُنُ وَالْأَمْصَارُ  
ذَاتُ هِيََاكِلٍ وَأَجْرَامٍ عَظِيمَةٍ وَبِنَاءٍ كَبِيرٍ وَهِيَ مَوْضُوعَةٌ لِلْعُمُومِ لِالْخُصُوصِ فَتَحْتَاجُ  
إِلَى اجْتِمَاعِ الْأَيْدِي وَكَثْرَةِ التَّعَاوُنِ وَكَلِمَتِ مِنَ الْأُمُورِ الْفَرُورِيَّةِ لِلنَّاسِ الَّتِي تَعْمُ بِهَا  
الْبَلَاوَى حَتَّى يَكُونَ نُزُوعُهُمْ إِلَيْهَا أَضْطِرَّارًا بَلْ لَا بُدَّ مِنْ إِكْرَاهِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَسَوْفِيهِمْ  
إِلَيْهِ مُضْطَهِّدِينَ بَعْضًا الْمَلِكِ أَوْ مُرْغَبِينَ فِي الثَّوَابِ وَالْأَجْرِ الَّذِي لَا بَقِي بَكْتَرَتِهِ إِلَّا

الْمَلِكُ وَالِدَوْلَةَ فَلَا بَدَّ فِي تَمْصِيرِ الْأَمْصَارِ وَأَخْطَاطِ الْمَدِينِ مِنَ الدَّوْلَةِ وَالْمَلِكِ ثُمَّ إِذَا  
 بَنِيَتِ الْمَدِينَةَ وَكَمُلَ تَشْيِيدُهَا بِحَسَبِ نَظَرٍ مِنْ شَيْدِهَا وَبِمَا اقْتَضَتْهُ الْأَحْوَالُ السَّمَاوِيَّةُ  
 وَالْأَرْضِيَّةُ فِيهَا فَعَمَّرَ الدَّوْلَةَ حَيْثُ دُ عَمَّرَ لَهَا فَإِنْ كَانَ عَمَّرَ الدَّوْلَةَ قَصِيرًا وَقَفَتِ الْحَالُ فِيهَا  
 عِنْدَ أَنْتِهَاءِ الدَّوْلَةِ وَتَرَاجَعَ عَمْرَانُهَا وَخَرِبَتْ وَإِنْ كَانَ أَمَدُ الدَّوْلَةِ طَوِيلًا وَمَدَّتْهَا مُنْفَسِحَةً  
 فَلَا تَزَالُ الْمَصَانِعُ فِيهَا تُشَادُ وَالْمَنَازِلُ الرَّحِيْبَةُ تَكْثُرُ وَتَتَعَدَّدُ وَنَطَاقُ الْأَسْوَاقِ  
 يَتَبَاعَدُ وَيَنْفَسِحُ إِلَى أَنْ تَنْسَعِ الْخُطَّةُ وَتَبْعُدَ الْمَسَافَةُ وَيَنْفَسِحَ ذَنْعُ الْمَسَاحَةِ كَمَا وَقَعَ  
 بَبَغْدَادَ وَأَمثالِهَا. ذَكَرَ الْخَطِيبُ فِي تَارِيخِهِ أَنَّ الْحَمَامَاتِ بَلَغَ عَدْدُهَا بِبَغْدَادَ الْعَهْدِ  
 الْمَأْمُونِ خَمْسَةَ وَسِتِّينَ أَلْفَ حَمَامٍ وَكَانَتْ مُشْتَمِلَةً عَلَى مَدِينٍ وَأَمْصَارٍ مُتَلَاصِقَةٍ وَمُقَارِبَةٍ  
 تَجَاوَزُ الْأَرَبَيْنِ وَلَمْ تَكُنْ مَدِينَةً وَحْدَهَا يَجْمَعُهَا سُورٌ وَاحِدٌ لِإِفْرَاطِ الْعُمَرَانَ وَكَذَا حَالُ  
 الْقَيْرَوَانَ وَقَرْطَبَةَ وَالْمَهْدِيَّةَ فِي أَلَمَلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحَالُ مِصْرَ الْقَاهِرَةَ بَعْدَهَا فِيمَا بَلَّغْنَا  
 لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَمَّا بَعْدَ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ الْمُشَيْدَةِ لِلْمَدِينَةِ فَمَا أَنْ يَكُونَ إِضْوَاحِي تِلْكَ  
 الْمَدِينَةِ وَمَا قَارِبَهَا مِنَ الْجِبَالِ وَالْبَسَائِطِ بَادِيَّةٍ بِمِدْهَا الْعُمَرَانَ دَائِمًا فَيَكُونُ ذَلِكَ  
 حَافِظًا لَوْجُودِهَا وَيَسْتَمِرُّ عَمْرُهَا بَعْدَ الدَّوْلَةِ كَمَا تَرَاهُ بِفَاسَ وَبِجَابَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ وَبِعِرَاقِ  
 الْعَجَمِ مِنَ الْمَشْرِقِ الْمَوْجُودِ لَهَا الْعُمَرَانَ مِنَ الْجِبَالِ لِأَنَّ أَهْلَ الدِّوَاوَةِ إِذَا أَنْتَهَتْ  
 أَحْوَالُهُمْ إِلَى غَايَتِهَا مِنَ الرَّفِّهِ وَالْكَسْبِ تَدْعُو إِلَى الدَّعَةِ وَالسُّكُونِ الَّذِي فِي طَبِيعَةِ  
 الْبَشَرِ فَيَبْزِلُونَ الْمَدِينِ وَالْأَمْصَارَ وَيَتَأَهَلُونَ وَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَتِلْكَ الْمَدِينَةِ الْمَوْسَسَةَ  
 مَادَّةً تَقِيْدُهَا الْعُمَرَانَ بِتَرَادُفِ السَّاكِنِ مِنْ بَدْوِهَا فَيَكُونُ انْقِرَاضُ الدَّوْلَةِ خَرْفًا  
 لِسِيَاجِهَا فَيَبْزُلُ حِفْظُهَا وَيَتَنَاقَصُ عَمْرَانُهَا شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ يَبْدَعَ سَاكِنُهَا وَتَخْرِبَ  
 كَمَا وَقَعَ بِمِصْرَ وَبَبَغْدَادَ وَالْكُوفَةَ بِالْمَشْرِقِ وَالْقَيْرَوَانَ وَالْمَهْدِيَّةَ وَقَلْعَةَ بِنِي حَمَادَ  
 بِالْمَغْرِبِ وَأَمثالِهَا فَتَفْهَمُهُ وَرُبَّمَا يَبْزُلُ الْمَدِينَةَ بَعْدَ انْقِرَاضِ مَخْطِطِهَا الْأَوَّلِينَ مَلِكٌ  
 آخَرَ وَدَوْلَةٌ ثَانِيَةٌ يَتَّخِذُهَا قَرَارًا وَكُرْسِيًا يَسْتَعْنِي بِهَا عَنِ اخْتِطَاطِ مَدِينَةٍ يَبْزِلُهَا فَتَحْفَظُ  
 تِلْكَ الدَّوْلَةَ سِيَاجِهَا وَتَبْزِيدُ مَبَانِيهَا وَمَصَانِعِهَا بِتَبْزِيدِ أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ الثَّانِيَةِ وَتَرَفِهَا  
 وَتَسْتَجِدُّ بِعَمْرَانِهَا عَمْرًا آخَرَ كَمَا وَقَعَ بِفَاسَ وَالْقَاهِرَةَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
 أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الثاني

في ان الملك يدعو الى نزول الامصار

وَذَلِكَ أَنَّ الْقَبَائِلَ وَالْعَصَائِبَ إِذَا حَصَلَ لَهُمُ الْمَلِكُ اضْطَرُّوا لِلْأَسْتِيْلَاءِ عَلَى الْأَمْصَارِ  
لِأَمْرَيْنِ أَحَدُهُمَا مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الْمَلِكُ مِنَ الدَّعْوَةِ وَالرَّاحَةِ وَحِطِّ الْأَثْقَالِ وَأَسْتِكْمَالِ  
مَا كَانَ نَاقِصًا مِنْ أُمُورِ الْعُمَرَانِ فِي الْبَدْوِ وَالثَّانِي دَفْعُ مَا يُتَوَقَّعُ عَلَى الْمَلِكِ مِنْ أَمْرِ  
الْمُنَازَعِينَ وَالْمَشَاغِبِينَ لِأَنَّ الْمِصْرَ الَّذِي يَكُونُ فِي نَوَاحِيهِمْ رَبَّمَا يَكُونُ مَلْجَأً  
لِمَنْ يَرُومُ مُنَازَعَتَهُمْ وَالخُرُوجَ عَلَيْهِمْ وَاتِّزَاعَ ذَلِكَ الْمَلِكِ الَّذِي سَمَّوْا إِلَيْهِ مِنْ أَيْدِيهِمْ  
فَيَعْتَصِمُ بِذَلِكَ الْمِصْرِ وَيُعَالِمُهُمْ وَمُعَالِبَةُ الْمِصْرِ عَلَى نِهَابِهِ مِنَ الصُّعُوبَةِ وَالْمَشَقَّةِ  
وَالْمِصْرُ يَقُومُ مَقَامَ الْعَسَاكِرِ الْمُتَعَدِّدَةِ لِمَا فِيهِ مِنَ الْأَمْتِنَاعِ وَنِكَابَةِ الْحَرْبِ مِنْ  
وَرَاءِ الْجُدْرَانِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى كَثِيرٍ عَدَدٍ وَلَا عَظِيمٍ شَوْكَةٍ لِأَنَّ الشُّوكَةَ وَالْعَصَابَةَ  
إِنَّمَا أَحْتِجِجُ الْبِهْمَا فِي الْحَرْبِ لِلثَّبَاتِ لِمَا يَقَعُ مِنْ بَعْدِ كَرَّةِ الْقَوْمِ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ عِنْدَ  
الْجَوْلَةِ وَثَبَاتٍ هُوَ لَا بِالْجُدْرَانِ فَلَا يَضْطَرُّونَ إِلَى كَبِيرِ عَصَابَةٍ وَلَا عَدَدٍ فَيَكُونُ حَالُ  
هَذَا الْحُضْنِ وَمَنْ يَعْتَصِمُ بِهِ مِنَ الْمُنَازَعِينَ مَا يَفُتُّ فِي عَضْدِ الْأُمَّةِ الَّتِي تَرُومُ الْأَسْتِيْلَاءَ  
وَيُخَضُّ شَوْكَةَ أَسْتِيْلَائِهَا فَإِذَا كَانَتْ بَيْنَ أَجْنَابِهِمْ أَمْصَارٌ أَنْتَضَمُوهَا فِي أَسْتِيْلَائِهِمْ لِأَنَّ  
مِنْ مِثْلِ هَذَا الْأَنْخِرَامِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مِصْرٌ اسْتَحْدَثُوهُ ضَرُورَةً لِلتَّكْمِيلِ عُمُرَانِهِمْ  
أَوَّلًا وَحِطِّ أَثْقَالِهِمْ وَلِيَكُونَ شَجَاً فِي حَلْقٍ مِنْ يَرُومِ الْعِزَّةِ وَالْإِمْتِنَاعِ عَلَيْهِمْ مِنْ طَوَائِفِهِمْ  
وَعَصَائِبِهِمْ فَتَعِينَنَّ أَنْ الْمَلِكُ يَدْعُو إِلَى نَزُولِ الْأَمْصَارِ وَالْأَسْتِيْلَاءِ عَلَيْهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لِأَنَّ رَبَّ سِوَاهُ

## الفصل الثالث

في ان المدن العظيمة والهياكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير

قَدْ قَدَّمْنَا ذَلِكَ فِي آثَارِ الدَّوْلَةِ مِنَ الْمَبَانِي وَغَيْرِهَا وَأَنَّهَا تَكُونُ عَلَى نَسْبِهَا وَذَلِكَ أَنَّ  
تَشْيِيدَ الْمَدِينِ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِاجْتِمَاعِ الْفَعْلَةِ وَكَثْرَتِهِمْ وَتَعَاوُنِهِمْ فَإِذَا كَانَتْ الدَّوْلَةُ عَظِيمَةً  
مُتَّسِعَةً الْمَالِكِ حَشِرَ الْفَعْلَةَ مِنْ أَقْطَارِهَا وَجَمَعَتْ أَيْدِيَهُمْ عَلَى عَمَلِهَا وَرُبَّمَا اسْتَعِينَ فِي  
ذَلِكَ فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ بِالْهِنْدَامِ الَّذِي يُضَاعَفُ الْقَوِيُّ وَالْقَدْرُ فِي حَمْلِ أَثْقَالِ الْبِنَاءِ

لِعَجْزِ الْقُوَّةِ اللَّشْرِيَّةِ وَضَعْفِهَا عَنْ ذَلِكَ كَالْحَخَالِ وَعَيْرِهِ وَرُبَّمَا يَتَوَهَّمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ  
إِذَا نَظَرَ إِلَى آثَارِ الْأَقْدَمِينَ وَمَصَانِعِهِمُ الْعَظِيمَةِ مِثْلَ إِيوَانَ كِسْرَى وَأَهْرَامِ مِصْرَ  
وَحَنَابِيَا الْمَعْلَقَةِ وَشَرِّشَالِ بِالْمَغْرِبِ إِنَّمَا كَانَتْ بِقَدْرِهِمْ مَتَرَفِقِينَ أَوْ مُجْتَمِعِينَ فَيَتَخِيلُ  
لَهُمْ أَجْسَامًا تَنَاسُبُ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِنْ هَذِهِ بِكَثِيرٍ فِي طَوْلِهَا وَقُدْرَتِهَا لِنَتَاسُبِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ  
الْقُدْرِ الَّتِي صَدَرَتْ تِلْكَ الْمَبَانِي عَنْهَا وَيُغْفَلُ عَنْ شَأْنِ الْهِنْدَامِ وَالْحَخَالِ وَمَا أَفْتَضَتْهُ فِي  
ذَلِكَ الصَّنَاعَةُ الْهِنْدَسِيَّةُ وَكَثِيرٌ مِنَ الْمُتَعَلِّقِينَ فِي الْبِلَادِ يُعَايِنُ فِي شَأْنِ الْبِنَاءِ وَأَسْتَعْمَالَ  
الْحِجْلِ فِي نَقْلِ الْأَجْرَامِ عِنْدَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ الْمُعْتَنِينَ بِذَلِكَ مِنَ الْعُجَمِ مَا يَشْهَدُ لَهُ بِمَا قُلْنَا  
عَيَانًا وَأَكْثَرَ آثَارِ الْأَقْدَمِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ تَسْمِيهَا الْعَامَّةُ عَادِيَّةً نِسْبَةً إِلَى قَوْمِ عَادٍ لِنَتَوَهَّمُهُمْ  
أَنَّ مَبَانِي عَادٍ وَمَصَانِعَهُمْ إِنَّمَا عَظُمَتْ لِعَظْمِ أَجْسَامِهِمْ وَتَضَاعَفَ قُدْرَتُهُمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
فَقَدْ نَجِدُ آثَارًا كَثِيرَةً مِنْ آثَارِ الَّذِينَ تُعْرَفُ مُقَادِيرُ أَجْسَامِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ وَهِيَ فِي  
مِثْلِ ذَلِكَ الْعَظْمِ أَوْ أَعْظَمَ كَمَا يُوَانِ كِسْرَى وَمَبَانِي الْعَبِيدِيِّينَ مِنَ الشَّيْخَةِ بِأَفْرِيقِيَّةِ  
وَالصَّهَابِيِّينَ وَأَثَرُهُمْ بَادٍ إِلَى الْيَوْمِ فِي صَوْمَعَةٍ قَلَعَةٍ بَنَى حَمَادٌ وَكَذَلِكَ بِنَاءُ الْأَعَالِيَةِ فِي  
جَامِعِ الْقَبْرِوَانِ وَبِنَاءُ الْمُوَحِّدِينَ فِي رِبَاطِ الْفَتْحِ وَرِبَاطِ السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ لِعَهْدِ  
أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْمَنْصُورَةِ بِأَزَاءِ تَلْمَسَانَ وَكَذَلِكَ الْحَنَابِيَا الَّتِي جَابَ إِلَيْهَا أَهْلُ قَرْطَاجَنَةَ  
الْمَاءِ فِي الْفِتَاةِ الرَّاكِبَةِ عَلَيْهَا مَا تَلَّهَذَا الْعَهْدِ وَعَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَبَانِي وَالْهَيَاكِلِ الَّتِي نَقَلَتْ  
إِلَيْنَا أَخْبَارُ أَهْلِهَا قَرِيبًا وَبَعِيدًا وَنَيَقْنُهَا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بِإِفْرَاطٍ فِي مُقَادِيرِ أَجْسَامِهِمْ وَإِنَّمَا  
هَذَا رَأْيٌ وَلَعِبٌ بِهِ الْقَصَاصُ عَنْ قَوْمِ عَادٍ وَمُودٍ وَالْعَمَالِقَةَ وَنَجِدُ بِيوتَ مُودٍ فِي الْحَجَرِ مَخْتُونَةً  
إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَقَدْ نَبَتَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّهَا بِيوتُهُمْ يَمُرُّ بِهَا الرُّكْبُ الْحِجَازِيُّ  
أَكْثَرَ السَّنِينَ وَيُشَاهِدُونَهَا لِاتِّزِيدٍ فِي جَوْهَا وَمَسَاحَتِهَا وَسَمَكِهَا عَلَى الْمُتَعَاهِدِ وَإِنَّهُمْ  
لَيَبَالِغُونَ فِيهَا بِعِتْقَدُونَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَزْعُمُونَ أَنَّ عَوْجَ بَنِ عِنَاقٍ مِنْ حَيْلِ الْعَمَالِقَةِ  
كَانَ يَتَنَاوَلُ السَّمَكَ مِنَ الْبَحْرِ طَرِيقًا فَيَسْوِيهِ فِي السَّمْسِ يَزْعُمُونَ بِذَلِكَ أَنَّ السَّمْسَ حَارَّةٌ  
فِي مَا قُرْبَ مِنْهَا وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ الْحَرَّ فِيهَا لَدَيْنَا هُوَ الضَّوْءُ لِأَنَّ عِكْاسَ الشُّعَاعِ بِمِقَابَلَةِ سَطْحِ  
الْأَرْضِ وَالْهَوَاءِ وَأَمَّا السَّمْسُ فِي نَفْسِهَا فَغَيْرُ حَارَّةٍ وَلَا بَارِدَةٌ وَإِنَّمَا هِيَ كَوْكَبٌ مُضِيءٌ  
لَا مِرْجَحَ لَهُ وَقَدْ نَقَدَّمْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا فِي الْفَصْلِ الثَّانِي حَيْثُ ذَكَرْنَا أَنَّ آثَارَ الدَّوْلَةِ عَلَى  
نِسْبَةِ قُوَّتِهَا فِي أَصْلِهَا وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيُحْكِمُ مَا يُرِيدُ

## الفصل الرابع

في ان الهياكل العظيمة جداً لا تستقل بينائها الدولة الواحدة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ حَاجَةِ الْبِنَاءِ إِلَى التَّعَاوُنِ وَمُضَاعَفَةِ الْقُدْرِ الْبَشَرِيَّةِ  
 وَقَدْ تَكُونُ الْمَبَانِي فِي عَظَمِهَا أَكْثَرَ مِنَ الْقُدْرِ مُفْرَدَةً أَوْ مُضَاعَفَةً بِالْهِنْدَامِ كَمَا قَانَاهُ  
 فَيُحْتَاجُ إِلَى مُعَاوَدَةِ قُدْرٍ أُخْرَى مِثْلَهَا فِي أَرْزَمَةٍ مُتَعَابِقَةٍ إِلَى أَنْ تَتِمَّ فَيَتَدَيُّ الْأَوَّلُ  
 مِنْهُمْ بِالْبِنَاءِ وَبَعْقِهِ الثَّانِي وَالثَّلَاثُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ قَدْ اسْتَكْمَلَ شَأْنَهُ فِي حَشْرِ  
 الْفِعْلَةِ وَجَمَعَ الْأَيْدِي حَتَّى يَتِمَّ الْقَصْدُ مِنْ ذَلِكَ وَيَكْمُلُ وَيَكُونُ مَائِلاً لِلْعِيَانِ بَيِّنُهُ  
 مِنْ يَرَاهُ مِنَ الْأَخْرَبِينَ أَنَّهُ بِنَاءُ دَوْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَأَنْظُرُ فِي ذَلِكَ مَا تَقَلُّهُ الْمَوَرِّخُونَ فِي بِنَاءِ  
 سِدِّ مَارَبٍ وَأَنَّ الَّذِي بَنَاهُ سَبَابُ بْنُ يَسْحَبَ وَسَاقَ إِلَيْهِ سَبْعِينَ وَادِيًا وَعَاقَفَهُ الْمَوْتُ عَنْ  
 اِتِّمَامِهِ فَأَتَمَّهُ مُلُوكٌ حَمِيرٍ مِنْ بَعْدِهِ وَمِثْلُ هَذَا مَا نَقَلَ فِي بِنَاءِ قَرْطَاجَنَةَ وَقَنَاتِهَا الرَّابِثَةَ  
 عَلَى الْحَنَائِيَا الْعَادِيَّةِ وَأَكْثَرَ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةِ فِي الْعَالَمِ هَذَا شَأْنُهَا وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ أَنَّ  
 الْمَبَانِي الْعَظِيمَةَ لِعَهْدِنَا نَجِدُ الْمَلِكَ الْوَاحِدَ يَشْرَعُ فِي اخْتِطَاطِهَا وَتَأْسِيسِهَا فَإِذَا لَمْ يَتَّبِعْ  
 أَثَرَهُ مِنْ بَعْدِهِ مِنَ الْمُلُوكِ فِي اِتِّمَامِهَا بَقِيَتْ بِحَالِهَا وَلَمْ يَكْمُلِ الْقَصْدُ فِيهَا وَيَشْهَدُ لِذَلِكَ  
 أَيْضًا أَنَّا نَجِدُ آثَارًا كَثِيرَةً مِنَ الْمَبَانِي الْعَظِيمَةِ تَعْجِزُ الدُّوَلُ عَنْ هَدْمِهَا وَتُخْرِجُهَا مَعَ  
 أَنَّ الْهَدْمَ أَيْسَرُ مِنَ الْبِنَاءِ يَكْثِيرُ لِأَنَّ الْهَدْمَ رُجُوعٌ إِلَى الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ الْعَدَمُ وَالْبِنَاءُ  
 عَلَى خِلَافِ الْأَصْلِ فَإِذَا وَجَدْنَا بِنَاءً تَضَعُفُ قُوَّتُنَا الْبَشَرِيَّةُ عَنْ هَدْمِهِ مَعَ سَهُولَةِ الْهَدْمِ  
 عَلِمْنَا أَنَّ الْقُدْرَةَ الَّتِي اسْتَسْتَهْ مُفْرَطَةٌ الْقُوَّةِ وَأَنَّهَا لَيْسَتْ أَثَرُ دَوْلَةٍ وَاحِدَةٍ وَهَذَا مِثْلُ مَا  
 وَقَعَ الْعَرَبُ فِي إِيوَانَ كِسْرَى لَمَّا اعْتَزَمَ الرَّشِيدُ عَلَى هَدْمِهِ وَبَعَثَ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ  
 وَهُوَ فِي مَحْبَسِهِ يَسْتَشِيرُهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَفْعَلْ وَاتْرُكْهُ مَائِلاً يَسْتَدَلُّ  
 بِهِ عَلَى عَظِيمِ مُلْكِ آبَائِكَ الَّذِينَ سَلَبُوا الْمُلْكَ لِأَهْلِ ذَلِكَ الْهَيْكَلِ فَأَتَمَّتْهُ فِي النَّصِيحَةِ  
 وَقَالَ أَخَذْتَهُ الثُّعْرَةَ لِلْعَجْمِ وَاللَّهُ لَأَصْرَعَنَّهُ وَشَرَعَ فِي هَدْمِهِ وَجَمَعَ الْأَيْدِي عَلَيْهِ وَأَخَذَ  
 لَهُ الْفُؤُسَ وَجَمَّاهُ بِالنَّارِ وَصَبَّ عَلَيْهِ الْحُلَّ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَجْزُ بَعْدَ ذَلِكَ كَلَّمَهُ وَخَافَ  
 الْفَضِيحَةَ بَعَثَ إِلَى يَحْيَى يَسْتَشِيرُهُ ثَانِيًا فِي التَّجَافِي عَنْ الْهَدْمِ فَقَالَ لَا تَفْعَلْ وَأَسْتَمِرَّ  
 عَلَى ذَلِكَ لِيَلَّا يُقَالَ عَجْزَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَلِكِ الْعَرَبِ عَنْ هَدْمِ مَصْنَعٍ مِنْ مَصْنَعِ الْعَجْمِ  
 فَعَرَفَ الرَّشِيدُ وَقَصَرَ عَنْ هَدْمِهِ وَكَذَلِكَ اتَّفَقَ لِلْمَأْمُونِ فِي هَدْمِ الْأَهْرَامِ الَّتِي بِمِصْرَ

وَجَمَعَ الْفَعْلَةَ لِهَدْمِهَا فَلَمْ يَحُلْ بِطَائِلٍ وَشَرَعُوا فِي نَقْبِهِ فَأَنْتَبَهُوا إِلَى جَوْ بَيْنَ الْحَائِطِ وَالظَّاهِرِ  
 وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْحَيْطَانِ وَهُنَاكَ كَانَ مُنْتَهَى هَدْمِهِمْ وَهُوَ إِلَى الْيَوْمِ فِيمَا يُقَالُ مَنْقَذُ ظَاهِرٌ  
 وَيَزْعُمُ الرَّاعِمُونَ أَنَّهُ وَجَدَ رِكَازًا بَيْنَ تِلْكَ الْحَيْطَانِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَكَذَلِكَ حَنَابَا الْمَعْلَقَةِ  
 إِلَى هَذَا الْعَهْدِ تَحْتَاجُ أَهْلَ مَدِينَةِ تُونِسَ إِلَى انْتِخَابِ الْحِجَارَةِ لِإِنْبَاءِهِمْ وَتَسْتَجِيدُ الصَّنَاعُ  
 حِجَارَةَ تِلْكَ الْحَنَابَا فَيَحَاوِلُونَ عَلَى هَدْمِهَا الْأَيَّامَ الْعَدِيدَةَ وَلَا يَسْقُطُ الصَّغِيرُ مِنْ جُدْرَانِهَا  
 إِلَّا بَعْدَ عَصَبِ الرِّبْقِ وَتَجْتَمِعُ لَهُ الْحَقَائِلُ الْمَشْهُورَةُ شَهِدَتْ مِنْهَا فِي أَيَّامِ صِبَابِي  
 كَثِيرًا وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ

### الفصل الخامس

فيما يجب مراعاته في اوضاع المدن وما يحدث اذا غفل عن المراعاة  
 اعلم ان المدن قرار يتخذها الامم عند حصول الغاية المطلوبة من الترف ودواعيه  
 فتؤثر الدعة والسكون وتتوجه الى اتخاذ المنازل للقرار ولما كان ذلك القرار  
 والمأوى وجب ان يراعى فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها وجلب المنافع  
 وتسهيل المرافق لها فاما الحماية من المضار فيرعى لها ان يدار على منازلها جميعا  
 سياج الاسوار وان يكون وضع ذلك في متنع من الامكنة اما على هضبة متوعرة  
 من الجبل واما باستدارة بحر او نهر بها حتى لا يوصل اليها الا بعد العبور على جسر  
 او قنطرة فيصعب منالها على العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها ومما يرعى في ذلك  
 للحماية من الافات السماوية طيب الهواء للسلامة من الامراض فان الهواء اذا كان  
 راكدا خبيثا او مجاورا للمياه الفاسدة او منافع متعنة او مروج خبيثة اسرع اليها  
 العفن من مجاورتها فاسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة وهذا مشاهد والمدن  
 التي لم يرع فيها طيب الهواء كثيرة الامراض في الغالب وقد اشتهر بذلك في قطر  
 المغرب بلد فاس من بلاد الجريد بأفريقية فلا يكاد ساكنها او طارقها يخلص من  
 حمى العفن بوجهه ولقد يقال ان ذلك حادث فيها ولم تكن كذلك من قبل ونقل  
 البكري في سبب حدوثه انه وقع فيها حفرة ظهر فيه اناء من نحاس مختوم بالرصاص  
 فلما فُضَّ ختمه صعد منه دخان الى الجو وانقطع وكان ذلك مبدءا لمرض الحميات  
 فيه واراد بذلك ان الاناء كان مشتتلا على بعض اعمال الطلسمات لوبائه وانه

ذَهَبَ سِرُّهُ بِذَهَابِهِ فَرَجَعَ الْيَمْبَا الْعَنْنُ وَالْوَبَاءُ وَهَذِهِ الْحِكَايَةُ مِنْ مَذَاهِبِ الْعَامَّةِ وَمَبَاحِثِهِمْ  
 الرَّكِيكَةِ وَالْبَكْرِيِّ لَمْ يَكُنْ مِنْ نَبَاهَةِ الْعِلْمِ وَأَسْتِنَارَةِ الْبَصِيرَةِ بِمِثْلِ يَدْفَعُ مِثْلَ هَذَا  
 أَوْ يَتَبَيَّنُ خَرَفَهُ فَفَقَلَهُ كَمَا سَمِعَهُ وَالَّذِي يَكْشِفُ لَكَ الْحَقَّ فِي ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَهْوِيَّةَ  
 الْعَفْنَةَ أَكْثَرُ مَا يَهَيِّئُهَا لِتَغْفِينِ الْأَجْسَامِ وَأَمْرَاضِ الْحُمَمِيَّاتِ رُكُودُهَا فَإِذَا تَخَلَّلَتْهَا الرِّيحُ  
 وَتَفَشَّتْ وَذَهَبَتْ بِهَا يَمِينًا وَشَمَالًا خَفَّ شَأْنُ الْعَنْنِ وَالْمَرَضِ الْبَلَادِيِّ مِنْهَا لِلْحَيَوَانَاتِ وَالْبِلَدِ  
 إِذَا كَانَ كَثِيرَ السَّاكِنِ وَكَثُرَتْ حَرَكَاتُ أَهْلِهِ فَيَتَمَوَّجُ الْهَوَاءُ ضَرُورَةً وَتَحْدُثُ  
 الرِّيحُ الْمُتَخَلِّلَةُ لِلْهَوَاءِ الرَّائِدِ وَيَكُونُ ذَلِكَ مُعِينًا لَهُ عَلَى الْحَرَكََةِ وَالتَّمَوُّجِ وَإِذَا خَفَّ  
 السَّاكِنُ لَمْ يَجِدِ الْهَوَاءَ مُعِينًا عَلَى حَرَكَتِهِ وَتَمَوُّجِهِ وَبَقِيَ سَاكِنًا رَاكِدًا وَعَظُمَ عَفْنُهُ  
 وَكَثُرَ ضَرَرُهُ وَبِلَدٍ قَائِسٍ هَذِهِ كَانَتْ عِنْدَ مَا كَانَتْ أَفْرِيقِيَّةً مُسْتَجِدَّةً الْعُمُرَانَ كَثِيرَةً  
 السَّاكِنِ تَمَوَّجٌ بِأَهْلِهَا مَوْجًا فَكَانَ ذَلِكَ مُعِينًا عَلَى تَمَوُّجِ الْهَوَاءِ وَأَضْطَرَّابِهِ وَتَخْفِيفِ  
 الْأَذَى مِنْهُ فَلَمْ يَكُنْ فِيهَا كَثِيرُ عَفْنٍ وَلَا مَرَضٍ وَعِنْدَ مَا خَفَّ سَاكِنُهَا رَكَدَ هَوَاؤُهَا  
 الْمُتَمَعِّنِينَ بِفَسَادِ مِيَاهِهَا فَكَثُرَ الْعَنْنُ وَالْمَرَضُ فَهَذَا وَجْهُهُ لَا غَيْرُ وَقَدْ رَأَيْنَا عَكْسَ  
 ذَلِكَ فِي بِلَادٍ وَضَعَتْ وَلَمْ يَرَاعَ فِيهَا طِيبُ الْهَوَاءِ وَكَانَتْ أَوَّلًا قَلِيلَةَ السَّاكِنِ فَكَانَتْ  
 أَمْرَاضُهَا كَثِيرَةً فَلَمَّا كَثُرَ سُكَّانُهَا انْتَقَلَ حَالُهَا عَنِ ذَلِكَ وَهَذَا مِثْلُ دَارِ الْمَلِكِ بِفَاسَ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ الْمُسَمَّى بِالْبَلَدِ الْجَدِيدِ وَكَثِيرٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْعَالَمِ فَتَهَمُّهُ تَجِدُ مَا فَتُنْتَهُ لَكَ  
 وَأَمَّا جَلْبُ الْمَنَافِعِ وَالْمَرَافِقِ لِلْبَلَدِ فَيُرَاعَى فِيهِ أُمُورٌ مِنْهَا الْمَاءُ بِأَنَّ يَكُونَ الْبَلَدُ عَلَى  
 نَهْرٍ أَوْ بِإِزَائِهَا عِيونٌ عَذْبَةٌ ثَرَّةٌ فَإِنَّ وُجُودَ الْمَاءِ قَرِيبًا مِنَ الْبَلَدِ يُسَهِّلُ عَلَى السَّاكِنِ  
 حَاجَةَ الْمَاءِ وَهِيَ ضَرُورِيَّةٌ فَيَكُونُ لَهُمْ فِي وُجُودِهِ مَرْفَقَةٌ عَظِيمَةٌ عَامَّةٌ وَمِمَّا يُرَاعَى  
 مِنَ الْمَرَافِقِ فِي الْمَدِينِ طِيبُ الْمَرَاعِيِّ لِسَائِمَتِهِمْ إِذْ صَاحِبُ كُلِّ قَرَارٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ  
 دَوْجِنِ الْحَيَوَانَاتِ لِلنَّبَاتِ وَالضَّرْعِ وَالرُّكُوبِ وَلَا بُدَّ لَهَا مِنَ الْمَرَاعِيِّ فَإِذَا كَانَ قَرِيبًا  
 طِيبًا كَانَ ذَلِكَ أَرْفَقَ بِحَالِهِمْ لِمَا يَعَانُونَ مِنَ الْمَشَقَّةِ فِي عَيْدِهِ وَمِمَّا يُرَاعَى أَيْضًا  
 الْمَرَاعُ فَإِنَّ الزَّرْعَ هِيَ الْأَفْوَاتُ فَإِذَا كَانَتْ مَرَاعُ الْبَلَدِ بِالْقُرْبِ مِنْهَا كَانَ ذَلِكَ  
 اسَهْلَ فِي اتِّخَاذِهِ وَأَقْرَبَ فِي تَحْصِيلِهِ وَمِنْ ذَلِكَ الشَّجَرُ لِلْحَطَبِ وَالنَّبَاتُ فَإِنَّ الْحَطَبَ مِمَّا  
 تَعْمُ الْبَلَدِيُّ فِي اتِّخَاذِهِ لَوْفُودِ النَّيْرَانِ لِلْأَصْطِلَاءِ وَالطَّبَخِ وَالْحَشَبِ أَيْضًا ضَرُورِي  
 لِسَقْفِهِمْ وَكَثِيرٌ مِمَّا يُسْتَعْمَلُ فِيهِ الْحَشَبُ مِنْ ضَرُورِيَّاتِهِمْ وَقَدْ يُرَاعَى أَيْضًا قُرْبُهَا مِنَ

الْبَحْرَ لَتَسْبِيلِ الْحَاجَاتِ الْقَاصِيَةِ مِنَ الْبِلَادِ النَّائِيَةِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِمَثَابَةِ الْأَوَّلِ  
 وَهَدِيهِ كَلِمًا مُتَفَاوِتُهُ بِتَفَاوُتِ الْحَاجَاتِ وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ ضَرُورَةُ السَّاكِنِ وَقَدْ يَكُونُ الْوَأَضِعُ  
 غَافِلًا عَنِ حُسْنِ الْأَخْتِيَارِ الطَّبِيعِيِّ أَوْ إِنَّمَا يُرَاعِي مَا هُوَ أَهْمٌ عَلَى نَفْسِهِ وَقَوْمِهِ وَلَا  
 يَذْكُرُ حَاجَةَ غَيْرِهِمْ كَمَا فَعَلَهُ الْعَرَبُ لِأَوَّلِ الْإِسْلَامِ فِي الْمَدِينِ الَّتِي أَخْطَطُوهَا  
 بِالْعِرَاقِ وَأَفْرِيقِيَّةَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُرَاعُوا فِيهَا إِلَّا الْأَهْمَ عِنْدَهُمْ مِنْ مَرَاعِي الْإِبِلِ وَمَا يَصَاحُ  
 لَهَا مِنَ الشَّجَرِ وَالْمَاءِ الْمَالِحِ وَلَمْ يُرَاعُوا الْمَاءَ وَلَا الْمَزَارِعَ وَلَا الْحَطَبَ وَلَا مَرَاعِي  
 السَّائِمَةِ مِنْ ذَوَاتِ الظُّلْفِ وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ كَالْقَبْرِوَانِ وَالْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ وَمِثَالِهَا  
 وَلِهَذَا كَانَتْ أَقْرَبَ إِلَى الْخُرَابِ مَا لَمْ تُرَاعَ فِيهَا الْأُمُورُ الطَّبِيعِيَّةُ

وَمَا يُرَاعَى فِي الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ الَّتِي عَلَى الْبَحْرِ أَنْ تَكُونَ فِي جَبَلٍ أَوْ تَكُونَ بَيْنَ  
 أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَّةِ مَوْفُورَةً الْعُدُوِّ تَكُونُ صَرِيحًا لِلْمَدِينَةِ مَتَى طَرَفَهَا طَارِقٌ مِنَ الْعَدُوِّ  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَدِينَةَ إِذَا كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ وَلَمْ يَكُنْ بِسَاحَتِهَا عُمَرَانٌ  
 لِلْقَبَائِلِ أَهْلُ الْعَصَبِيَّاتِ وَالْمَوْضِعُهَا مُتَوَعَّرٌ مِنَ الْجَبَلِ كَانَتْ فِي غِرَّةِ اللَّيَّاتِ وَسَهْلٌ طُرُوقُهَا  
 فِي الْأَسَاطِيلِ الْبَحْرِيَّةِ عَلَى عَدُوِّهَا وَتَحْفِيْفُهَا لَهَا لِمَا يَأْمَنُ مِنْ وُجُودِ الصَّرِيخِ لَهَا وَإِنْ  
 أَخْضَرَ الْمُتَوَعَّرِينَ لِلدَّعَةِ قَدْ صَارُوا عِيَالًا وَخَرَجُوا عَنْ حُكْمِ الْمُقَاتَلَةِ وَهَذِهِ  
 كَالْإِسْكَندَرِيَّةِ مِنَ الْمَشْرِقِ وَطَرَابُلسَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَبُونَةَ وَسَلَا وَمَتَى كَانَتْ الْقَبَائِلُ  
 وَالْعَصَابُ مُوَطَّنِينَ بِقَرْمِهَا يَحِثُّ بِنَاغِهِمُ الصَّرِيخُ وَالنَّعِيرُ وَكَانَتْ مُتَوَعَّرَةً الْمَسَالِكِ عَلَى  
 مَنْ يَرُومُهَا بِأَخْطَاطِهَا فِي هَضَابِ الْجِبَالِ وَتَلَى اسْتِمَاتِهَا كَانَ لَهَا بِذَلِكَ مَنَعَةٌ مِنَ الْعَدُوِّ  
 وَيَسُوسُوا مِنْ طُرُوقِهَا لِمَا يَكَابِدُونَهُ مِنْ وَعَرِهَا وَمَا يَتَوَقَّعُونَهُ مِنْ إِجَابَةِ صَرِيخِهَا كَمَا فِي  
 سَبْتَةِ وَبِحَاجَةِ وَبَلَدِ الْقَلِّ عَلَى صَغَرِهَا فَأَفْهَمَ ذَلِكَ وَاعْتَبَرَهُ فِي اخْتِصَاصِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ  
 بِأَسْمِ النَّغْرِ مِنْ لَدُنِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مَعَ أَنَّ الدَّعْوَةَ مِنْ وَرَائِهَا بِرِقَّةٍ وَأَفْرِيقِيَّةٍ وَإِنَّمَا اعْتَبَرَ  
 فِي ذَلِكَ الْخِشْيَةَ الْمُتَوَقَّعَةَ فِيهَا مِنَ الْبَحْرِ لِسَهُولَةِ وَضْعِهَا وَلِذَلِكَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ كَانَ طُرُوقُ الْعَدُوِّ  
 لِلْإِسْكَندَرِيَّةِ وَطَرَابُلسَ فِي الْمِلَّةِ مَرَاتٍ مُتَعَدِّدَةً وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل السادس

في المساجد والبيوت العظيمة في العالم

إِعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَضْلَ مِنَ الْأَرْضِ بِقَاعًا اخْتَصَمَهَا بِشَرِيفِهِ وَجَعَلَهَا مَوَاطِنَ

لِعِبَادَتِهِ بِضَاعَتْ فِيهَا التَّوَابُ وَبَنُمُو بِهَا الْأَجْرُ وَأَخْبَرَنَا بِذَلِكَ عَلَى السِّنِّ رُسُلُهُ وَأَنْبِيَائِهِ  
 لَطْفًا بِعِبَادِهِ وَتَسْبِيلًا لَطْرُقِ السَّعَادَةِ لَهُمْ. وَكَانَتْ الْمَسَاجِدُ الثَّلَاثَةُ هِيَ أَفْضَلُ بِقَاعِ  
 الْأَرْضِ حَسْبَمَا نَبَتْ فِي الصَّحِيحِينَ وَهِيَ مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ أَمَا الْبَيْتُ  
 الْحَرَامُ الَّذِي بِمَكَّةَ فَهُوَ بَيْتُ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ اللَّهُ بِنِيبَانِهِ وَأَنْ  
 يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ إِلَيْهِ فَبَنَاهُ هُوَ وَابْنُهُ إِسْمَاعِيلُ كَمَا نَصَّهُ الْقُرْآنُ وَقَامَ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ  
 فِيهِ وَسَكَنَ إِسْمَاعِيلُ بِهِ مَعَ هَاجِرَ وَمَنْ نَزَلَ مَعَهُمْ مِنْ جُرُومِهِمْ إِلَى أَنْ قَبَضَهُمَا اللَّهُ وَدَفِنَا  
 بِالْحِجْرِ مِنْهُ. وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ بَنَاهُ دَاوُدُ وَسَلِيمَانُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَمْرَهُمَا اللَّهُ بِنِيبَاءِ  
 مَسْجِدِهِ وَنَصَبِهَا كُلَّهُ وَدَفِنَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ وُلْدِ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَوْلَيْهِ.  
 وَالْمَدِينَةُ مَهَاجِرُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْحِجْرَةِ إِلَيْهَا  
 وَإِقَامَةِ دِينِ الْإِسْلَامِ بِهَا فَبَنَى مَسْجِدَهُ الْحَرَامَ بِهَا وَكَانَ مَلْحَدُهُ الشَّرِيفُ فِي تَرْبَتِهَا  
 فَهَذِهِ الْمَسَاجِدُ الثَّلَاثَةُ قِرَّةٌ عَيْنِ الْمُسْلِمِينَ وَمَهْوَى أَفْئِدَتِهِمْ وَعَظْمَةٌ دِينِهِمْ وَفِي الْأَثَارِ  
 مِنْ فَضْلِهَا وَمُضَاعَفَةِ التَّوَابِ فِي مَجَاوِرَتِهَا وَالصَّلَاةِ فِيهَا كَثِيرٌ مَعْرُوفٌ فَلِنُنَشِّرَ إِلَى شَيْءٍ مِنْ  
 الْخَبَرِ عَنْ أَوْلِيَّةِ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ وَكَيْفَ تَدَرَّجَتْ أَحْوَالُهَا إِلَى أَنْ كَمُلَ ظُهُورُهَا  
 فِي الْعَالَمِ فَأَمَّا مَكَّةُ فَأَوْلِيَّتُهَا فِيمَا يَقَالُ أَنَّ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بَنَاهَا فُبَالَةَ الْبَيْتِ  
 الْمَعْمُورِ ثُمَّ هَدَمَهَا الطُّوفَانُ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَيْسَ فِيهِ خَبْرٌ صَحِيحٌ يَعُولُ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا أَقْبَسُوهُ  
 مِنْ مَحْمَلِ آيَةِ فِي قَوْلِهِ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ  
 إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِ وَشَأْنِ زَوْجَتِهِ سَارَةَ وَغَيْرَتِهَا مِنْ هَاجِرَ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَأَوْحَى  
 اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكْ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ هَاجِرَ بِالْفَلَاةِ فَوَضَعَهُمَا فِي مَكَانِ الْبَيْتِ وَسَارَ  
 عَنْهُمَا وَكَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ لَهُمَا مِنَ اللَّطْفِ فِي تَبَعِ مَاءِ زَمْزَمَ وَمُرُورِ الرُّفْقَةِ مِنْ جُرُومِهِمْ  
 بِهَا حَتَّى أَحْتَمَلُوهُمَا وَسَكَنُوا إِلَيْهِمَا وَنَزَلُوا مَعَهُمَا حَوْلَى زَمْزَمَ كَمَا عُرِفَ فِي مَوْضِعِهِ  
 فَاتَّخَذَ إِسْمَاعِيلُ مَوْضِعَ الْكَعْبَةِ بَيْتًا يَاوِي إِلَيْهِ وَأَدَارَ عَلَيْهِ سِيَاجًا مِنَ الرَّدْمِ وَجَعَلَهُ  
 زَرْبًا لِنَعْمِهِ وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ مَرَارًا لِيُزَيَّرْتَهُ مِنَ الشَّامِ أَمْرٌ فِي آخِرِهَا  
 بِنِيبَاءِ الْكَعْبَةِ مَكَانَ ذَلِكَ الزَّرْبِ فَبَنَاهُ وَاسْتَعَانَ فِيهِ بِابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ وَدَعَا النَّاسَ إِلَى  
 حَجِّهِ وَبَقِيَ إِسْمَاعِيلُ سَاكِنًا بِهِ وَوَلَمَّا قَبِضَتْ أُمُّهُ هَاجِرُ وَقَامَ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ بِأَمْرِ الْبَيْتِ  
 مَعَ أَحْوَالِهِمْ مِنْ جُرُومِهِمْ ثُمَّ الْعَمَالِيقُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَاسْتَمَرَّ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ وَالنَّاسُ يَهْرَعُونَ

إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ أَفْقٍ مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ الْخَلِيقَةِ لَا مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ دُنَا  
 أَوْ نَأَى فَقَدْ نَقِلَ أَنَّ التَّبَاعَةَ كَانَتْ تَحْجُ الْبَيْتَ وَتُعَظِّمُهُ وَأَنَّ تَبَعًا كَسَاهَا الْمَلَاءُ  
 وَالْوَصَائِلَ وَأَمَرَ بِتَطْيِيرِهَا وَجَعَلَ لَهَا مِفْتَاحًا وَنَقِلَ أَيْضًا أَنَّ الْفُرْسَ كَانَتْ تَحْجُهُ وَتُقَرِّبُ  
 إِلَيْهِ وَأَنَّ غَزَا لِي الْأَنْهَبِ الْمَلَّذِينَ وَجَدَهُمَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حِينَ أَحْفَرَّ زَمْرَمَ كَانَا مِنْ  
 قَرَابِنِهِمْ وَلَمْ يَزَلْ لِحُرْمَتِهِمُ الْوَلَايَةُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ مِنْ قَبْلِ خَوْفِ لَتَمِهِمْ حَتَّى إِذَا  
 خَرَجَتْ خِزَاعَةٌ وَأَقَامُوا بِهَا بَعْدَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ كَثُرَ وُلْدُ إِسْمَاعِيلَ وَأَنْتَشَرُوا وَأَتَشَعَّبُوا إِلَى  
 كِنَانَةَ ثُمَّ كِنَانَةَ إِلَى قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ وَسَاءَتْ وِلَايَةُ خِزَاعَةَ فَغَلَبَتُهُمْ قُرَيْشٌ عَلَى أَمْرِهِ  
 وَأَخْرَجُوهُمْ مِنَ الْبَيْتِ وَمَلَكُوا عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ قَصِيَّ بْنِ كِلَابِ بْنِ بَنِي الْبَيْتِ وَسَقَفَهُ مِخْشَبُ  
 الدُّومِ وَجَرِيدِ النَّخْلِ وَقَالَ الْأَعَشَى

خَلَقْتُ بَنِي رَاهِبِ الدُّورِ وَالَّتِي بَنَاهَا قَصِيٌّ وَالْمِضَاضُ بْنُ جُرْهُمِ  
 ثُمَّ أَصَابَ الْبَيْتَ سَيْلٌ وَيُقَالُ حَرِيقٌ وَتَهْدَمُ وَأَعَادُوا بِنَاءَهُ وَجَمَعُوا النِّفْقَةَ لِذَلِكَ مِنْ  
 أَمْوَالِهِمْ وَأَنْكَسَرَتْ سَفِينَةُ بِسَاحِلِ جَدَّةٍ فَأَشْتَرُوا خَشْبَهَا لِلسَّقْفِ وَكَانَتْ جُدْرَانُهُ فَوْقَ  
 الْقَامَةِ لَجَعَلُوهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَكَانَ الْبَابُ لَاصِقًا بِالْأَرْضِ لَجَعَلُوهُ فَوْقَ الْقَامَةِ لِمَلَأَ  
 تَدْخُلُهُ السُّيُولُ وَقَصَرَتْ بِهِمُ النِّفْقَةُ عَنْ إِتْمَامِهِ فَقَصَرُوا عَنْ قَوَاعِيدِهِ وَتَرَكَوْا مِنْهُ سِتًّا  
 أَذْرُعًا وَشِبْرًا أَدَارُوهَا بِجِدَارٍ قَصِيرٍ يُطَافُ مِنْ وَرَائِهِ وَهُوَ الْعَجْرُ وَبَقِيَ الْبَيْتُ عَلَى هَذَا  
 الْبِنَاءِ إِلَى أَنْ تَحْصَنَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ حِينَ دَعَا لِنَفْسِهِ وَرَحِمَتْ إِلَيْهِ جِيُوشُ يَزِيدَ  
 بْنِ مُعَاوِيَةَ مَعَ الْحُصَيْنِ بْنِ نُمَيْرِ السَّكُونِيِّ وَرَمَى الْبَيْتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ فَأَصَابَهُ  
 حَرِيقٌ يُقَالُ مِنَ النَّفْطِ الَّذِي رَمَوْا بِهِ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَأَعَادَ بِنَاءَهُ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَ بَعْدَ  
 أَنْ اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ فِي بِنَائِهِ وَأَحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لِعَاشَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ لَرَدَدْتُ الْبَيْتَ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ  
 وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا فَهَدَمَهُ وَكَشَفَتْ عَنْ أُسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَمَعَ  
 أَلْوَجُوهُ وَالْأَكَابِرَ حَتَّى عَابُوهُ وَأَشَارَ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ بِالْتَّحْرِي فِي حِفْظِ الْقِبْلَةِ عَلَى النَّاسِ  
 فَأَدَارَ عَلَى الْأَسَاسِ الْخَشْبَ وَنَصَبَ مِنْ فَوْقِهَا الْأَسْتَارَ حِفْظًا لِلْقِبْلَةِ وَبَعَثَ إِلَى صَنَعَاءَ  
 فِي الْفِضَّةِ وَالْكِلْسِ لِحَمَلِهَا وَسَأَلَ عَنْ مَقْطَعِ الْحِجَارَةِ الْأَوَّلِ لَجَمَعَ مِنْهَا مَا أَحْتَاجَ  
 إِلَيْهِ ثُمَّ شَرَعَ فِي الْبِنَاءِ عَلَى أُسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَفَعَ جُدْرَانَهَا سَبْعًا وَعَشْرِينَ

ذِرَاعًا وَجَعَلَ لَهَا بَابَيْنِ لِاصْقَيْنِ بِالْأَرْضِ كَمَا رَوَى فِي حَدِيثِهِ وَجَعَلَ فُرْشَهَا وَإِزْرَهَا  
 بِالرِّخَامِ وَصَاعَ لَهَا الْمَفَاتِيحَ وَصَنَائِحَ الْأَبْوَابِ مِنَ الذَّهَبِ ثُمَّ جَاءَ الْحَجَّاجُ لِحِصَارِهِ أَيَّامًا  
 عَبْدَ الْمَلِكِ وَرَمَى عَلَى الْمَسْجِدِ بِالْمَجْنُونَاتِ إِلَى أَنْ تَصَدَّعَتْ حِيطَانُهَا ثُمَّ لَمَّا ظَفَرَ  
 بَابِنِ الزُّبَيْرِ شَاوَرَ عَبْدَ الْمَلِكِ فِيمَا بَنَاهُ وَزَادَهُ فِي الْبَيْتِ فَأَمَرَهُ بِهَدْمِهِ وَرَدَّ الْبَيْتَ  
 عَلَى قَوَاعِدِ فُرَيْشٍ كَمَا هِيَ الْيَوْمَ وَيُقَالُ إِنَّهُ نَدِمَ عَلَى ذَلِكَ حِينَ عَلِمَ صِحَّةَ رَوَايَةِ ابْنِ  
 الزُّبَيْرِ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ وَقَالَ وَرَدَّتْ أَنِّي كُنْتُ حَمَلْتُ أَبَا حَبِيبٍ فِي أَمْرِ الْبَيْتِ وَبِنَائِهِ  
 مَا تَحْمَلُ فَهَدَمَ الْحَجَّاجُ مِنْهَا سِتَّ أَذْرَعٍ وَشَبْرًا مَكَانَ الْحَجَرِ وَبَنَاهَا عَلَى أُسَاسِ فُرَيْشٍ  
 وَسَدَّ الْبَابَ الْغَرْبِيَّ وَمَا تَحْتَ عَتَبَةِ بَابِهَا الْيَوْمَ مِنَ الْبَابِ الشَّرْقِيِّ وَتَرَكَ سَائِرَهَا لَمْ يَغْيِرْ  
 مِنْهُ شَيْئًا فَكُلُّ الْبِنَاءِ الَّذِي فِيهِ الْيَوْمَ بِنَاءُ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَبِنَاءُ الْحَجَّاجِ فِي الْخَائِطِ صَلَّةُ  
 ظَاهِرَةُ الْعِيَانِ لِحُجَّةٍ ظَاهِرَةٌ بِنِ الْبِنَاءِ بِنِ الْبِنَاءِ وَتَمَيِّزُ عَنِ الْبِنَاءِ بِمَقْدَارِ إِصْبَعٍ شِبْهُ  
 الصَّدْعِ وَقَدْ حُجِمَ وَيَعْرَضُ هَهُنَا إِشْكَالٌ قَوِيٌّ لِمُنَافَاةِ لِمَا يَقُولُهُ النُّقْبَاءُ فِي أَمْرِ الطُّوُوفِ  
 وَيَحْذَرُ الطَّائِفُ أَنْ يَمِيلَ عَلَى الشَّاذِرِ وَالْأَسَاسِ عَلَى الدَّائِرِ عَلَى أُسَاسِ الْجُدْرِ مِنْ أَسْفَلِهَا فَيَقَعُ  
 طُوفُهُ دَاخِلَ الْبَيْتِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْجُدْرَ إِنَّمَا قَامَتْ عَلَى بَعْضِ الْأَسَاسِ وَتَرَكَ بَعْضَهُ وَهُوَ  
 مَكَانُ الشَّاذِرِ وَالْوَانِ وَكَذَا قَالُوا فِي نَقِيلِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ لَا بَدَّ مِنْ رُجُوعِ الطَّائِفِ مِنْ  
 النُّقِيلِ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَائِمًا لِنِثْلًا يَقَعُ بَعْضُ طُوفِهِ دَاخِلَ الْبَيْتِ وَإِذَا كَانَتْ الْجُدْرَانُ  
 كُلُّهَا مِنْ بِنَاءِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَهُوَ إِنَّمَا بَنَى عَلَى أُسَاسِ إِبْرَاهِيمَ فَكَيْفَ يَقَعُ هَذَا الَّذِي قَالُوهُ  
 وَلَا مُخْلِصَ مِنْ هَذَا إِلَّا بِأَحَدٍ أَوْ بَيْنَ أَحَدِهِمَا أَنْ يَكُونَ الْحَجَّاجُ هَدَمَ جَمِيعَهُ وَأَعَادَهُ  
 وَقَدْ نَقَلَ ذَلِكَ جَمَاعَةٌ إِلَّا أَنَّ الْعِيَانَ فِي شَوَاهِدِ الْبِنَاءِ بِاللِّتْحَامِ مَا بَيْنَ الْبِنَائِينَ وَتَمَيِّزُ أَحَدِ  
 الشَّقِيَيْنِ مِنْ أَعْلَاهُ عَلَى الْآخِرِ فِي الصَّنَاعَةِ يَرُدُّ ذَلِكَ وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ ابْنُ الزُّبَيْرِ لَمْ يَرُدَّ  
 الْبَيْتَ عَلَى أُسَاسِ إِبْرَاهِيمَ مَعَ جَمِيعِ جِهَاتِهِ وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ فِي الْحَجَرِ فَقَطَّ لِيَدْخُلَهُ فِيهِ  
 الْآنَ مَعَ كَوْنِهَا مِنْ بِنَاءِ ابْنِ الزُّبَيْرِ لَيْسَتْ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ وَهَذَا بَعِيدٌ وَلَا تَحْيِصُ مِنْ  
 هَذَيْنِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ ثُمَّ إِنَّ مَسَاحَةَ الْبَيْتِ وَهُوَ الْمَسْجِدُ كَانَ فِضَاءً لِلطَّائِفِينَ  
 وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ جُدْرٌ أَيَّامَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ كَثُرَ  
 النَّاسُ فَاشْتَرَى عُمَرُ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ دُورًا هَدَمَهَا وَزَادَهَا فِي الْمَسْجِدِ وَأَدَارَ عَلَيْهَا جِدَارًا  
 دُونَ الْقَامَةِ وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ عُثْمَانُ ثُمَّ ابْنُ الزُّبَيْرِ ثُمَّ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَبَنَاهُ بَعْدَهُ

الرَّحَامِ ثُمَّ زَادَ فِيهِ الْمَنْصُورُ وَابْنَةُ الْمَهْدِيِّ مِنْ بَعْدِهِ وَوَقَفَتِ الزِّيَادَةُ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى ذَلِكَ لِعَهْدِنَا . وَشَرِيفُ اللَّهِ لِهَذَا الْبَيْتِ وَعِنَايَتُهُ بِهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ وَكَفَى بِذَلِكَ أَنْ جَعَلَهُ مَهْبِطًا لِلْوَحْيِ وَالْمَلَائِكَةِ وَمَكَانًا لِلْعِبَادَةِ وَفَرَضَ شَرَائِعَ الْحَجِّ وَمَنَاسِكَهِ وَأَوْجَبَ لِحَرَمِهِ مِنْ سَائِرِ نَوَاحِيهِ مِنْ حُقُوقِ التَّعْظِيمِ وَالْحَقِّ مَا لَمْ يُوجِبْهُ لِغَيْرِهِ فَمَنْعَ كُلِّ مَنْ خَالَفَ دِينَ الْإِسْلَامِ مِنْ دُخُولِ ذَلِكَ الْحَرَمِ وَأَوْجَبَ عَلَى دَاخِلِهِ أَنْ يَجْرُدَ مِنَ النَّحْيِ إِلَّا إِزَارًا يَسْتُرُهُ وَحَمَى الْعَائِدَ بِهِ وَالرَّاتِعَ فِي مَسَارِحِهِ مِنْ مَوَاقِعِ الْأَفَاتِ فَلَا يَرَامُ فِيهِ خَائِفٌ وَلَا يُصَادُ لَهُ وَحَشٌّ وَلَا يُعْتَطَبُ لَهُ شَجَرٌ . وَحَدَّ الْحَرَمِ الَّذِي يُخَصَّصُ بِهِذِهِ الْحَرَمَةَ مِنْ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ ثَلَاثَةَ أَمْيَالٍ إِلَى التَّنْعِيمِ وَمِنْ طَرِيقِ الْعِرَاقِ سَبْعَةَ أَمْيَالٍ إِلَى الثَّنِيَّةِ مِنْ جَبَلِ الْمُنْقَطِعِ وَمِنْ طَرِيقِ الطَّائِفِ سَبْعَةَ أَمْيَالٍ إِلَى بَطْنِ نَمْرَةَ وَمِنْ طَرِيقِ جَدَّةِ سَبْعَةَ أَمْيَالٍ إِلَى مُنْقَطِعِ الْعَشَائِرِ . هَذَا شَأْنُ مَكَّةَ وَخَبَرُهَا وَتُسَمَّى أُمَّ الْقُرَى وَتُسَمَّى الْكُعبَةَ لِغُلُوبِهَا مِنْ أَسْمِ الْكُعبِ وَيُقَالُ لَهَا أَيْضًا بَكَّةَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ لِأَنَّ النَّاسَ يَبْكُ بَعْضُهُمُ بَعْضًا لِيَهَا أَيْ يَدْفَعُ وَقَالَ مُجَاهِدٌ بَاءَ بَكَّةَ أَبَدَلُوهَا مِيمًا كَمَا قَالُوا لَازِبٌ وَلَازِمٌ لِقُرْبِ النَّخْرَجِينِ وَقَالَ النَّخَعِيُّ بِأَبَاءَ وَبِالْمِيمِ الْبَلَدُ وَقَالَ الرَّهْزَرِيُّ بِالْبَاءِ لِلْمَسْجِدِ كُلِّهِ وَبِالْمِيمِ لِلْحَرَمِ وَقَدْ كَانَتْ الْأُمَمُ مِنْذُ عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ تُعْظِمُهُ وَالْمُلُوكُ تَبْعَتُ إِلَيْهِ بِالْأَمْوَالِ وَالذَّخَائِرِ مِثْلَ كِسْرَى وَغَيْرِهِ وَفِصَّةَ الْأَسْيَافِ وَغَرَالِي الذَّهَبِ الَّذِينَ وَجَدَهُمَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حِينَ أَحْتَفَرَ زَمْزَمَ مَعْرُوفَةً وَقَدْ وَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَفْتَتَحَ مَكَّةَ فِي الْحَبِّ الَّذِي كَانَ فِيهَا سَبْعِينَ أَلْفَ أُوقِيَّةٍ مِنَ الذَّهَبِ مِمَّا كَانَ الْمُلُوكُ يَهْدُونَ لِلْبَيْتِ فِيهَا أَلْفُ دِينَارٍ مُكْرَرَةً . مَرَّتَيْنِ بِمَائَتِي فَنَطَّارٌ وَزَنَا وَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اسْتَعْنَتَ بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِكَ فَلَمْ يَفْعَلْ ثُمَّ ذَكَرَ لِأَبِي بَكْرٍ فَلَمْ يُحَرِّكْهُ هَكَذَا قَالَ الْأَزْرُقِيُّ وَفِي الْبُخَارِيِّ . يُسْنَدُهُ إِلَى أَبِي وَائِلٍ قَالَ جَلَسْتُ إِلَى شَيْبَةَ بْنِ عَثْمَانَ وَقَالَ جَلَسْتُ إِلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَقَالَ هَمَمْتُ أَنْ لَا أَدْعَ فِيهَا صَنَمًا وَلَا بَيْضَاءَ إِلَّا اسْمُهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ قُلْتُ مَا أَنْتَ بِفَاعِلٍ قَالَ وَلَمْ قُلْتُ فَلَمْ يَفْعَلْ صَاحِبَاكَ فَقَالَ هُمَا اللَّذَانِ يَقْتَدِي بِهِمَا وَخَرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَبْنُ مَاجَةَ وَأَفَامَ ذَلِكَ الْمَالِ إِلَى أَنْ كَانَتْ فِتْنَةُ الْأَفْطَسِ وَهُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَلِيٍّ زَيْنِ الْعَابِدِينَ سَنَةَ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ حِينَ غَلَبَ مَكَّةَ عُمَدٌ إِلَى

الكعبة فأخذ ما في خزانها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعاً فيها لا ينفع به  
 نحن أحق به نستعين به على حربنا وأخرجه وتصرفت فيه وبطلت الذخيرة من الكعبة  
 من يومئذ (واما بيت المقدس) وهو المسجد الأقصى فكان أول أمره أيام الصابئة  
 موضع الزهرة وكانوا يقرّبون إليه الزيت فيما يقرّبونه يصوبونه على الصخرة التي هناك  
 ثم ذر ذلك الهيكل وأخذها بنو إسرائيل حين ملكوها قبله لصلاتهم . وذلك أن  
 موسى صلوات الله عليه لما خرج ببني إسرائيل من مصر لتخليتهم بيت المقدس كما  
 وعد الله أباهم إسرائيل وأباه إسحق من قبله وأقاموا بأرض التي أمره الله باتخاذ  
 قبته من خشب السنت عير بالوحي مقدارها وصفتها وهياكلها وتماتيلها وأن يكون  
 فيها التابوت ومائدة يصحافها ومنارة يقنادلها وأن يصنع مذبحاً للقربان وصف ذلك  
 كله في التوراة أكمل وصف فصنع القبة ووضع فيها تابوت العهد وهو التابوت  
 الذي فيه الألواح المصنوعة عوضاً عن الألواح المنزلة بالكتابات العشر لما تكسرت  
 ووضع المذبح عندها . وعهد الله إلى موسى بأن يكون هارون صاحب القربان ونصبوا  
 تلك القبة بين خيامهم في التيه يصلون إليها وتتقرّبون في المذبح أمامها ويتعرّضون  
 للوحي عندها . ولما ملكوا الشام وبقيت تلك القبة قبائهم ووضعوها على الصخرة  
 ببيت المقدس وأراد داود عليه السلام بناء مسجده على الصخرة مكانها فلم يتم له  
 ذلك وعهد به إلى ابنه سليمان فبناه لأربع سنين من ملكه وخمسمائة سنة من وفاة  
 موسى عليه السلام وأخذ عمده من الصخر وجعل به صرح الزجاج وعشى أبوابه  
 وحيطانه بالذهب وصاغ هياكله وتماتيله وأوعيته ومنارته وفتحاه من الذهب وجعل  
 في ظهره قبراً ليضع فيه تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه الألواح وجاء به من  
 صهيون بلد أبيه داود تحمله الأسباط والكهنوتية حتى وضعه في القبر ووضعت القبة  
 والأوعية والمذبح كل واحد حيث أعد له من المسجد وأقام كذلك ما شاء الله ثم  
 خربته بخت نصر بعد ثمانمائة سنة من بنائه وأحرق التوراة والعصا وصاغ الهيكل ونثر  
 الأحجار ثم لما أعادهم ملوك الفرس بناه عزيز نبي بني إسرائيل لعهد باعانه مهدن  
 ملك الفرس الذي كانت الولادة لبني إسرائيل عليه من سي بخت نصر وحد لهم في  
 بنيانه حدوداً دون بناء سليمان بن داود عليها السلام فلم يتجاوزوها ثم تداولتهم

مُلُوكِ يُونَانَ وَالْفَرَسِ وَالرُّومِ وَاسْتَفْجَلَ الْمَلِكُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ ثُمَّ لِبَنِي  
 حَشَمَتَايَ مِنْ كَهَنَتِهِمْ ثُمَّ لِأَصْحَابِهِمْ هِيرُودُسُ وَلِبَنِيهِ مِنْ بَعْدِهِ وَبَنَى هِيرُودُسُ بَيْتَ الْقُدْسِ  
 عَلَى بِنَاءِ سَلِيمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَأْتَقُ فِيهِ حَتَّى أَكْمَلَهُ فِي سِتِّ سِنِينَ فَلَمَّا جَاءَ طَيْطِشُ  
 مِنْ مُلُوكِ الرُّومِ وَغَابِهِمْ وَمَلَكَ أَمْرَهُمْ خَرَبَ بَيْتَ الْقُدْسِ وَمَسْجِدَهَا وَأَمَرَ أَنْ يُزْرَعَ  
 مَكَانَهُ ثُمَّ أَخَذَ الرُّومُ بَدِينِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَدَانُوا بِتَعْظِيمِهِ ثُمَّ اخْتَلَفَ حَالَ  
 مُلُوكِ الرُّومِ فِي الْأَخْذِ بِدِينِ النَّصَارَى تَارَةً وَتَرَكَهَ أُخْرَى إِلَى أَنْ جَاءَ قُسْطَنْطِينُ  
 وَانْتَصَرَتْ أُمُّهُ هِيلَانَةُ وَارْتَمَتْ إِلَى الْقُدْسِ فِي سَبَبِ الْحَشْبَةِ الَّتِي صُلبَ عَلَيْهَا الْمَسِيحُ  
 بِزِعْمِهِمْ فَأَخْبَرَهَا الْقَسَاوِسَةُ بِأَنَّهُ رُمِيَ بِحَشْبَتِهِ عَلَى الْأَرْضِ وَأَلْقَى عَلَيْهَا الْقَهَامَاتِ وَالْقَادُورَاتِ  
 فَأَسْتَفْرَجَتِ الْحَشْبَةَ وَبَنَتْ مَكَانَ تِلْكَ الْقَهَامَاتِ كَنِيسَةَ الْقَهَامَةِ كَانَهَا عَلَى قَبْرِهِ بِزِعْمِهِمْ  
 وَهَرَبَتْ مَا وَجَدَتْ مِنْ عِمَارَةِ الْبَيْتِ وَأَمَرَتْ بِطَرْحِ الزَّبَلِ وَالْقَهَامَاتِ عَلَى الصَّخْرَةِ حَتَّى  
 غَطَّأَهَا وَخِنَى مَكَانَهَا جِزَاءً بِزِعْمِهَا لِمَا فَعَلُوهُ بِقَبْرِ الْمَسِيحِ ثُمَّ بَنَوْا بِإِزَاءِ الْقَهَامَةِ بَيْتَ لَحْمٍ  
 وَهُوَ الْبَيْتُ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ جَاءَ الْإِسْلَامُ  
 وَحَضَرَ عُمَرُ لِفَتْحِ بَيْتِ الْقُدْسِ وَسَأَلَ عَنِ الصَّخْرَةِ فَأَرَى مَكَانَهَا وَقَدْ عَلَاهَا الزَّبَلُ  
 وَالثَّرَابُ فَكَشَفَ عَنْهَا وَبَنَى عَلَيْهَا مَسْجِدًا عَلَى طَرِيقِ الْبِدَاوَةِ وَعَظَمَ مِنْ شَأْنِهِ مَا أذنَ اللَّهُ  
 مِنْ تَعْظِيمِهِ وَمَا سَبَقَ مِنْ أُمَّ الْكِتَابِ فِي فَضْلِهِ حَسْبَمَا ثَبَتَ ثُمَّ أَحْفَلَ الْوَالِدُ بْنُ  
 عَبْدِ الْمَلِكِ فِي تَشْيِيدِ مَسْجِدِهِ عَلَى سِنِينَ مَسَاجِدِ الْإِسْلَامِ بِمَا شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْأِحْتِفَالِ  
 كَمَا فَعَلَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَفِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ وَفِي  
 مَسْجِدِ دِمَشْقَ وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَسْمِيهِ بِاللَّاطِ الْوَالِدِ وَالزَّمَّ مَلِكِ الرُّومِ أَنْ يَبْعَثَ النُّعْلَةَ  
 وَالْمَالِ لِبِنَائِهِ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ وَأَنْ يَنْحَقُوهَا بِالْفُسْفِسَاءِ فَطَاعَ لِذَلِكَ وَتَمَّ بِنَاؤُهَا عَلَى  
 مَا أَقْرَحَهُ ثُمَّ لَمَّا ضَعُفَ أَمْرُ الْخِلَافَةِ أَعْوَامَ الْخُمْسِيَّةِ مِنَ الْهَجْرَةِ فِي آخِرِهَا  
 وَكَانَتْ فِي مَلَكََةِ الْعَبِيدِيِّينَ خُلَفَاءَ الْقَاهِرِ مِنَ السَّيْعَةِ وَاخْتَلَّ أَمْرُهُمْ زَحَفَ الْفَرَنْجِيَّةُ  
 إِلَى بَيْتِ الْقُدْسِ فَمَلَكَوهُ وَمَلَكَوْهُ مَعَهُ عَامَةٌ تُعْرَفُ الشَّامَ وَبَنَوْا عَلَى الصَّخْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ  
 مِنْهُ كَنِيسَةً كَانُوا يُعْظِمُونَهَا وَيَفْتَخِرُونَ بِبِنَائِهَا حَتَّى إِذَا اسْتَقَالَ صَلَاحُ الدِّينِ بْنِ  
 أَيُّوبَ الْكُرْدِيِّ بِمَلِكِ مِصْرَ وَالشَّامَ وَمَحَا أَثَرَ الْعَبِيدِيِّينَ وَبَدَعَهُمْ زَحَفَ إِلَى الشَّامِ  
 وَجَاهَدَ مَنْ كَانَ بِهِ مِنَ الْفَرَنْجِيَّةِ حَتَّى غَلَبَهُمْ عَلَى بَيْتِ الْقُدْسِ وَعَلَى مَا كَانُوا مَلَكَوهُ

مِنْ نُغُورِ الشَّامِ وَذَلِكَ لِنَحْوِ ثَمَانِينَ وَحَمْسِمِائَةٍ مِنَ الْحِجْرَةِ وَهَدَمَ تِلْكَ الْكَنِيسَةَ  
 وَأَظْهَرَ الصَّخْرَةَ وَبَنَى الْمَسْجِدَ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ الْيَوْمَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَا يَعْزُضُ  
 لَكَ إِلَّا شَكَاكُ الْمَعْرُوفِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُمِّلَ عَنْ  
 أَوَّلِ بَيْتٍ وَضِعَ فَقَالَ بَيْنَ مَكَّةَ وَبَيْنَ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ فَكُمُ بَيْنَهُمَا قَالَ أَرْبَعُونَ  
 سَنَةً فَإِنَّ الْمُدَّةَ بَيْنَ بِنَاءِ مَكَّةَ وَبَيْنَ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِمِقْدَارِ مَا بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ وَسَيِّمَانَ  
 لِأَنَّ سَيِّمَانَ بَنِيهِ وَهُوَ يُنْفِثُ عَلَى الْأَلْفِ بِكَثِيرٍ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَضْعِ فِي الْحَدِيثِ  
 لَيْسَ الْبِنَاءُ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَوَّلُ بَيْتٍ عَيْنٍ لِلْعِبَادَةِ وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ عَيْنٍ  
 لِلْعِبَادَةِ قَبْلَ بِنَاءِ سَيِّمَانَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْمُدَّةِ وَقَدْ نُقِلَ أَنَّ الصَّابِئَةَ بَنَوْا عَلَى الصَّخْرَةِ هَيْكَلَ  
 الزُّهْرَةَ فَعَلَّ ذَلِكَ نَهْيًا كَانَتْ مَكَانًا لِلْعِبَادَةِ كَمَا كَانَتْ الْجَاهِلِيَّةُ تَضَعُ الْأَصْنَامَ وَالْتِمَائِلَ  
 حَوْلِي الْكَعْبَةِ وَفِي جَوْفِهَا وَالصَّابِئَةُ الَّذِينَ بَنَوْا هَيْكَلَ الزُّهْرَةَ كَانُوا عَلَى عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَا تَبْعُدُ مَدَّةَ الْأَرْبَعِينَ سَنَةً بَيْنَ وَضْعِ مَكَّةَ لِلْعِبَادَةِ وَوَضْعِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ  
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ بِنَاءٌ كَمَا هُوَ الْمَعْرُوفُ وَأَنَّ أَوَّلَ مَنْ بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَيِّمَانُ  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَفَهَّمَهُ فِيهِ حُلُّ هَذَا الْإِشْكَالِ . وَأَمَّا الْمَدِينَةُ وَهِيَ الْمَسْمُوعَةُ بِتَرْتِيبِ  
 فَهِيَ مِنْ بِنَاءِ يَثْرِبَ بْنِ مِهْلَائِيلَ مِنَ الْعَمَالِقَةِ وَمَلَكَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ مِنْ أَيْدِيهِمْ فِيمَا  
 مَلَكَوهُ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ ثُمَّ جَاوَرَهُمْ بَنُو قَيْلَةَ مِنْ غَسَّانَ وَعَاوَبُوهُمْ عَلَيْهَا وَعَلَى حِصُونِهَا .  
 ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحِجْرَةِ إِلَيْهَا لِمَا سَبَقَ مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ بِهَا فَتَاجَرَ إِلَيْهَا  
 وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَتَبِعَهُ أَحْبَابُهُ وَنَزَلَ بِهَا وَبَنَى مَسْجِدَهُ وَبُيُوتَهُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي كَانَ اللَّهُ  
 قَدْ أَعَدَّهُ لِدَلِكِ وَشَرَفَهُ فِي سَابِقِ أَرْزَاهِ وَأَوَاهُ أَبْنَاءُ قَيْلَةَ وَنَصَرُوهُ فَلِذَلِكَ سُمِّيَ الْأَنْصَارُ  
 وَتَمَّتْ كَلِمَةُ الْأَنْصَارِ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى عَلَتْ عَلَى الْكَلِمَاتِ وَغَلَبَتْ عَلَى قَوْمِهِ وَفَتَحَ  
 مَكَّةَ وَمَلَكَهَا وَظَنَّ الْأَنْصَارُ أَنَّهُ يَتَحَوَّلُ عَنْهُمْ إِلَى بَلَدِهِ فَأَمَّهُمْ ذَلِكَ فَخَاطَبَهُمْ  
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ غَيْرُ مُتَحَوِّلٍ حَتَّى إِذَا قُبِضَ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ مُلْحَدُهُ الشَّرِيفُ بِهَا وَجَاءَ فِي فَضَائِلِهَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ مَا لَا خِيفَةَ  
 بِهِ وَوَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي تَفْضِيلِهَا عَلَى مَكَّةَ وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا ثَبَتَ  
 عِنْدَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ النَّصِّ الصَّرِيحِ عَنْ رَفِيعِ بْنِ مُخْذَجٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 قَالَ الْمَدِينَةَ خَيْرٌ مِنْ مَكَّةَ نَقَلَ ذَلِكَ أَبُو الْوَهَّابِ فِي الْعَوْنَةِ إِلَى أَحَادِيثِ أُخْرَى

تَدُلُّ بِظَاهِرِهَا عَلَى ذَلِكَ وَخَالَتْ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيَّ : وَأَصْبَحَتْ عَلَى كُلِّ حَالٍ ثَانِيَةً  
 الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَجَمَعَ إِلَيْهَا الْأُمَّمُ بِأَفْئِدَتِهِمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ فَأَنْظَرُ كَيْفَ تَدَرَّجَتْ  
 الْفَضِيلَةَ فِي هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الْمَعْظَمَةِ الْمَسْبُوقِ مِنْ عِنَايَةِ اللَّهِ لَهَا وَتَفَهَّمِ سِرَّ اللَّهِ فِي الْكُؤُنِ  
 وَتَدْرِجِيهِ عَلَى تَرْتِيبٍ مُحْكَمٍ فِي أُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا . وَأَمَّا غَيْرُ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ  
 فَلَا نَعْلَمُهُ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَا يُقَالُ مِنْ شَأْنِ مَسْجِدِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِسَرَنْدِيبَ مِنْ  
 جَزَائِرِ الْهِنْدِ لَكِنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ فِيهِ شَيْءٌ يُعْوَلُ عَلَيْهِ وَقَدْ كَانَتْ الْأُمَّمُ فِي الْقَدِيمِ مَسَاجِدُ  
 يُعْظَمُونَهَا عَلَى جِهَةِ الدِّيَانَةِ بِزَعْمِهِمْ مِنْهَا بِيُوتُ النَّارِ لِلنُّرْسِ وَهِيَ كُلُّ بُونَانَ وَبِيُوتُ الْعَرَبِ  
 بِالْحِجَازِ الَّتِي أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَدْمِهَا فِي غَزْوَاتِهِ وَقَدْ ذَكَرَ الْمَسْعُودِيُّ مِنْهَا  
 بِيُوتًا أَسْنَا مِنْ ذِكْرِهَا فِي شَيْءٍ إِذْ هِيَ غَيْرُ مَشْرُوعَةٍ وَلَا هِيَ عَلَى طَرِيقِ دِينِي وَلَا يَلْتَمَسُ  
 إِلَيْهَا وَلَا إِلَى الْخَبَرِ عَنْهَا وَيَكْبِي فِي ذَلِكَ مَا وَقَعَ فِي النُّوَارِ بِيخٍ فَمَنْ أَرَادَ مَعْرِفَةَ الْأَخْبَارِ  
 فَعَلَيْهِ بِهَا وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ سُبْحَانَهُ

## الفصل السابع

في ان المدن والامصار بافرريقية والمغرب قليلة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَنْطَارَ كَانَتْ لِلْبَزِيرِ مِنْذُ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنِينَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ  
 وَكَانَ عُمُرَانُهَا كَثَلُهُ بَدَوِيًّا وَلَمْ تَسْتَمِرَّ فِيهِمْ الْحَضَارَةُ حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أحوَالُهَا وَالِدُولُ  
 الَّتِي مَلَكَتْهُمْ مِنَ الْأَفْرَنْجَةِ وَالْعَرَبِ لَمْ يَطُلْ أمدُ مَلَكَتْهُمْ فِيهِمْ حَتَّى تَرْمَخَ الْحَضَارَةُ  
 مِنْهَا فَلَمْ تَزَلْ عَوَائِدُ الْبَدَاوَةِ وَشَوْوُونَهَا فَكَانُوا إِلَيْهَا أَقْرَبَ فَلَمْ تَكُنْ مَبَانِيهِمْ وَأَيْضًا  
 فَالصَّنَائِعُ بَعِيدَةٌ عَنِ الْبَزِيرِ لِأَنَّهَا أَعْرَقُ فِي الْبَدْوِ وَالصَّنَائِعُ مِنْ تَوَابِعِ الْحَضَارَةِ وَإِنَّمَا  
 نَتَمَّ الْعِبَانِي بِهَا فَلَا بَدَّ مِنْ الْخَلْقِ فِي تَعْلُمِهَا فَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لِلْبَزِيرِ اتِّعَالٌ لَهَا لَمْ يَكُنْ  
 لَهُمْ تَشَوُّقٌ إِلَى الْمَبَانِي فَضَلَّ عَنْ الْمَدِينِ وَأَيْضًا قَبْلَهُمْ أَهْلُ عَصَبِيَّاتٍ وَأَنْسَابٍ لَا يَخْلَوُ  
 عَنْ ذَلِكَ جَمْعُهُ مِنْهُمْ وَالْأَنْسَابُ وَالْعَصَبِيَّةُ أَجْنَحُ إِلَى الْبَدْوِ وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَى الْمَدِينِ  
 الدَّعْوَةُ وَالسُّكُونُ وَيَصِيرُ سَاكِنًا عِيَالًا عَلَى حَامِيَّتِهَا فَتَجِدُ أَهْلَ الْبَدْوِ لِدَٰلِكَ يَسْتَنَكِفُونَ  
 عَنْ سُكْنَى الْمَدِينَةِ أَوْ الْإِقَامَةِ بِهَا فَلَا يَدْعُو إِلَى ذَلِكَ إِلَّا التَّرْفُ وَالغَنَى وَقَلِيلٌ مَا هُوَ  
 فِي النَّاسِ فَلِذَلِكَ كَانَ عُمُرَانُ أَفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ كُلَّهُ أَوْ أَكْثَرُهُ بَدَوِيًّا أَهْلَ خِيَامٍ  
 وَظَوَاعِنَ وَقِيَاطِنَ وَكَثَنَ فِي الْجِبَالِ وَكَانَ عُمُرَانُ بِلَادِ الْعَجَمِ كُلَّهُ أَوْ أَكْثَرُهُ قُرَى

وَأَمَّصَارًا وَرَسَائِقَ مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَعِرَاقَ الْعَجَمِ وَأَمْثَالَهَا لِأَنَّ  
 الْعَجَمَ لَيْسُوا بِأَهْلِ أَنْسَابٍ يُحَافِظُونَ عَلَيْهَا وَيَتَّبِعُونَ فِي مِرَاحِمِهَا وَتَلْبَامِهَا إِلَّا فِي الْأَقْلِ  
 وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ سُكْنَى الْبَدْوِ لِأَهْلِ الْأَنْسَابِ لِأَنَّ لِحِمَةَ النَّسَبِ أَقْرَبُ وَأَشَدُّ فَتَكُونُ  
 عَصِيَّتَهُ كَذَلِكَ وَتَنْزِعُ بِصَاحِبِهَا إِلَى سُكْنَى الْبَدْوِ وَالتَّجَافِي عَنِ الْمِصْرِ الَّذِي يَذْهَبُ  
 بِالْبَسَالَةِ وَيَصِيرُهُ عِبَالًا عَلَى غَيْرِهِ فَأَفْهَمُهُ وَقَسَّ عَلَيْهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الثامن

في ان المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها

والى من كان قبلها من الدول

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِثْلَهُ فِي الْبَرْبَرِ بَعِيْنِهِ إِذِ الْعَرَبُ أَيْضًا أَعْرَقُوا فِي الْبَدْوِ  
 وَأَبْعَدُوا عَنِ الصَّنَائِعِ وَأَيْضًا فَكَانُوا أَجَانِبَ مِنَ الْعَمَالِكِ الَّتِي اسْتَوَلَوْا عَلَيْهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ  
 وَلَمَّا تَمَلَّكَوْهَا لَمْ يَنْفَسِحِ الْأَمْدُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رُسُومَ الْحِضَارَةِ مَعَ أَنَّهُمْ اسْتَعْنَوْا بِمَا  
 وَجَدُوا مِنْ مَبَانِي غَيْرِهِمْ وَأَيْضًا فَكَانَ الَّذِينَ أَوَّلَ الْأَمْرِ مَانِعًا مِنَ الْمَغَالَاةِ أَوْ الْبِنْيَانِ  
 وَاللَّاسِرَافِ فِيهِ فِي غَيْرِ الْقَصْدِ كَمَا عَهَدَ لَهُمْ عُمَرُ حِينَ اسْتَأْذَنُوهُ فِي بِنَاءِ الْكُوفَةِ  
 بِالْحِجَارَةِ وَقَدْ وَقَعَ الْحَرِيقُ فِي الْقَصَبِ الَّذِي كَانُوا بَنَوْا بِهِ مِنْ قَبْلُ فَقَالَ أَفْعَلُوا وَلَا يَزِيدَنَّ  
 أَحَدٌ عَلَي ثَلَاثَةِ آيَاتٍ وَلَا تَطْلُؤُوا فِي الْبِنْيَانِ وَالرُّمُومُ السَّنَّةُ تَلْزَمُكُمْ الدَّوْلَةُ وَعَهْدِي إِلَى  
 الْوَفْدِ وَتَقْدَمُ إِلَى النَّاسِ أَنْ لَا يَزِفَعُوا بِنِيَانًا فَوْقَ الْقَدْرِ قَالُوا وَمَا الْقَدْرُ قَالَ لَا يَقْرَبُكُمْ  
 مِنَ السَّرْفِ وَلَا يُخْرِجُكُمْ عَنِ الْقَصْدِ فَلَمَّا بَعْدَ الْعَهْدِ بِالرِّدِّينِ وَالتَّخْرُجِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ  
 الْمَقَاصِدِ وَغَلَبَتْ طَبِيعَةُ الْمَلِكِ وَالتَّرَفِ وَاسْتَعْتَمَدَ الْعَرَبُ أُمَّةَ الْفَرَسِ وَأَخَذُوا عَنْهُمْ  
 الصَّنَائِعَ وَالْمَبَانِي وَدَعَتْهُمْ إِلَيْهَا أَحْوَالُ الدَّعَةِ وَالتَّرَفِ فَيُحْبِثُ شِدْدُوا الْعَبَانِي وَالْمَصَانِعِ  
 وَكَانَ عَهْدُ ذَلِكَ قَرِيبًا بِاتِّقْرَاضِ الدَّوْلَةِ وَلَمْ يَنْفَسِحِ الْأَمْدُ لِكثَرَةِ الْبِنْيَانِ وَأَخْطَاطِ  
 الْمُدُنِ وَالْأَمَّصَارِ إِلَّا قَلِيلًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَّمِ فَأَلْفَرَسُ طَالَتْ مَدَّتُهُمْ الْأَفَا  
 مِنْ السِّنِينَ وَكَذَلِكَ الْقَبْطُ وَالتَّبَطُّ وَالرُّومُ وَكَذَلِكَ الْعَرَبُ الْأُولَى مِنْ عَادٍ وَثَمُودَ وَالْعَالِقَةَ  
 وَالتَّبَابِعَةَ طَالَتْ أَمَادُهُمْ وَرَسَخَتْ الصَّنَائِعُ فِيهِمْ فَكَانَتْ مَبَانِيهِمْ وَهِيَ كُلُّهُمْ أَكْثَرُ  
 عَدَدًا وَأَبْقَى عَلَى الْأَيَّامِ أَثَرًا وَسَبَّحُورًا فِي هَذَا تَجَدُّدَهُ كَمَا قُلْتُ وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ  
 وَمَنْ عَلَيْهَا

## الفصل التاسع

في ان المباني التي كانت تختطها العرب يسرع اليها الخراب الا في الاقل  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ الْبِدَاوَةِ وَالْبَعْدُ عَنِ الصَّنَائِعِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فَلَا تَكُونُ الْمَبَانِي  
وَتِيْقَةً فِي تَشْيِيدِهَا وَلَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَجْهَهُ آخِرٌ وَهُوَ أَمْسٌ بِهِ وَذَلِكَ فَلَهُ مِرَاعَاتِهِمْ لِحُسْنِ  
الْإِخْتِيَارِ فِي اخْتِطَاطِ الْمَدُنِ كَمَا قُلْنَا فِي الْمَكَانِ وَطِيبِ الْهَوَاءِ وَالْمِيَاهِ وَالْمَزَارِعِ  
وَالْمِرَاعِي فَإِنَّهُ بِالْتَفَاوُتِ فِي هَذَا انْتَفَاوَتْ جُودَةُ الْمَصْرِ وَرَدَاءَتُهُ مِنْ حَيْثُ الْعُمَرَانُ  
الطَّبِيعِيُّ وَالْعَرَبُ بَعَزَلٌ عَنْ هَذَا وَإِنَّمَا يُرَاعُونَ مِرَاعِي إِبْلِهِمْ خَاصَّةً لَا يُبَالُونَ بِالْمَاءِ  
طَابَ أَوْ خَبَثَ وَلَا قَلَّ أَوْ كَثُرَ وَلَا يَسْأَلُونَ عَنْ زَكَاةِ الْمَزَارِعِ وَالْمَنَابِتِ وَالْأَهْوِيَةِ  
لَا انْتِقَالِهِمْ فِي الْأَرْضِ وَتَقْلِيمِهِمْ أَحْبَبُ مِنَ الْبَلَدِ الْبَعِيدِ وَأَمَّا الرِّيحُ فَالْقَفْرُ مُخْتَلِفٌ لِلْمِهَابِ  
كُلِّهَا وَالظَّعْنُ كَثِيرٌ لَهُمْ بِطَبِيعِهَا لِأَنَّ الرِّيحَ إِنَّمَا تَجِبُ مَعَ الْقَرَارِ وَالسُّكْنَى وَكَثْرَةَ  
الْفَضَلَاتِ وَأَنْظُرْ لِمَا اخْتَطَوْا الْكُوفَةَ وَالْبَصْرَةَ وَالْقَيْرَانَ كَيْفَ لَمْ يُرَاعُوا فِي اخْتِطَاطِهَا  
الْمِرَاعِي إِبْلِهِمْ وَمَا يَقْرُبُ مِنَ الْقَفْرِ وَمَسَالِكِ الظَّعْنِ فَكَانَتْ بَعِيدَةً عَنِ الْوَضْعِ  
الطَّبِيعِيِّ لِلْمَدُنِ وَلَمْ تَكُنْ لَهُمَا مَادَةٌ تُمَدُّ عُمُرَانَهَا مِنْ بَعْدِهِمْ كَمَا قَدَّمْنَا أَنَّهُ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي  
الْعُمَرَانِ فَقَدْ كَانَتْ مَوَاطِنَهَا غَيْرَ طَبِيعِيَّةٍ لِلْقَرَارِ وَلَمْ تَكُنْ فِي وَسْطِ الْأُمَمِ فَيَعْمَرُهَا النَّاسُ  
فَالْأَوَّلُ وَهَلَّتْ مِنْ انْحِلَالِ أَمْرِهِمْ وَذَهَابِ عَصَبِيَّتِهِمْ الَّتِي كَانَتْ سِبَاجًا لَهَا أُنِي عَلَيْهَا الْخَرَابُ  
وَالْإِنْحِلَالُ كَانَ لَمْ تَكُنْ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لِمَا مَعَقَبَ لِحُكْمِهِ

## الفصل العاشر

في مباني الخراب في الامصار

اعْلَمْ أَنَّ الْأَمْصَارَ إِذَا اخْتَطَّتْ أَوَّلًا تَكُونُ قَلِيلَةَ الْمَسَاكِنِ وَقَلِيلَةَ آلَاتِ الْبِنَاءِ  
مِنَ الْحِجْرِ وَالْجَبْرِ وَغَيْرِهَا مِمَّا يُعَالَى عَلَى الْحِطَّانِ عِنْدَ التَّائِقِ كَالرُّخَامِ وَالرَّجْمِ  
وَالزُّجَاجِ وَالْفَسْفَسَاءِ وَالصَّدْفِ فَيَكُونُ بِنَاؤُهَا يَوْمئِذٍ بَدْوِيًّا وَالْآتِهَا فَاسِدَةً فَإِذَا عَظُمَ  
عُمُرَانُ الْمَدِينَةِ وَكَثُرَ سَاكِنُهَا كَثُرَتِ الْآلَاتُ بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ حَيْثُذِي وَكَثُرَتِ الصَّنَائِعُ  
إِلَى أَنْ تَبْلُغَ غَايَتَهَا مِنْ ذَلِكَ كَمَا سَبَقَ بِشَأْنِهَا فَإِذَا تَرَاجَعَ عُمُرَانُهَا وَخَفَّتْ سَاكِنُهَا  
قَلَّتِ الصَّنَائِعُ لِأَجْلِ ذَلِكَ وَفَقِدَتِ الْإِجَادَةَ فِي الْبِنَاءِ وَالْإِحْكَامِ وَالْمَعَالَاةِ عَلَيْهِ بِالتَّنْمِيقِ  
ثُمَّ نَقَلَ الْأَعْمَالُ لِعَدَمِ السَّاكِنِ قَيْلٌ جَلَبُ الْآلَاتِ مِنَ الْحِجْرِ وَالرُّخَامِ وَغَيْرِهِمَا

فَتَفْقَدُ وَيَصِيرُ بِنَاؤُهُمْ وَتَشْيِيدُهُمْ مِنَ الْآلَاتِ الَّتِي فِي مَبَانِيهِمْ فَيَقْلُونَهَا مِنْ مَصْنَعِ إِلَى مَصْنَعٍ لِأَجْلِ خَلَاءِ أَكْثَرِ الْمَصَانِعِ وَالْقُصُورِ وَالْمَنَازِلِ بِقَلَّةِ الْعُمَرَانِ وَقُصُورِهِ عَمَّا كَانَ أَوْلَاتُهُمْ لَا تَزَالُ تَنْقُلُ مِنْ قَصْرِ إِلَى قَصْرٍ وَمِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ إِلَى أَنْ يَفْقَدَ الْكَثِيرُ مِنْهَا حِمْلَةً فَيَعُودُونَ إِلَى الْبِدَاوَةِ فِي الْبِنَاءِ وَاتِّخَاذِ الطُّوبِ عَوْضًا عَنِ الْحِجَارَةِ وَالْقُصُورِ عَنِ التَّنْمِيقِ بِالْكَلْبَةِ فَيَعُودُ بِنَاءُ الْمَدِينَةِ مِثْلَ بِنَاءِ الْقَرَى وَالْمَدَرِ وَتَظْهَرُ عَلَيْهَا سِمَاءُ الْبِدَاوَةِ ثُمَّ تَمُرُّ فِي التَّنَاقُصِ إِلَى غَايَتِهَا مِنْ أَخْرَابِ إِنْ قَدَّرَ لَهَا بِهِ سِنَّةٌ لِلَّهِ فِي خَلْقِهِ

### الفصل الحادي عشر

في ان تفاضل الامصار والمدن في كثرة الرزق لاهلها ونفاق الاسواق

انما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ عُرِفَ وَثَبَتَ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنَ الْبَشَرِ غَيْرُ مُسْتَقِلٍّ بِتَحْصِيلِ حَاجَاتِهِ فِي مَعَاشِهِ وَأَنَّهُمْ مُتَعَاوِنُونَ جَدِيدًا فِي عُمُرَانِهِمْ عَلَى ذَلِكَ وَالْحَاجَةُ الَّتِي تَحْصُلُ بِتَعَاوُنِ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَشْتَدُّ ضَرُورَةً الْأَكْثَرِ مِنْ عَدَدِهِمْ أَضْعَافًا فَالْقُوتُ مِنَ الْخَطِطَةِ مَثَلًا لَا يَسْتَقِلُّ الْوَاحِدُ بِتَحْصِيلِ حِصْنِهِ مِنْهُ وَإِذَا انْتَدَبَ لِتَحْصِيلِهِ السَّنَةَ أَوْ الْعَشْرَةَ مِنْ حَدَادٍ وَتِجَارٍ لِلآلَاتِ وَقَائِمٍ عَلَى الْبَقَرِ وَإِثَارَةِ الْأَرْضِ وَحِصَادِ السَّنْبِلِ وَسَائِرِ مَوْتِ الْفَلْحِ وَتَوَزَّعُوا عَلَى تِلْكَ الْأَعْمَالِ أَوْ اجْتَمَعُوا وَحَصَلَ بِعَمَلِهِمْ ذَلِكَ مِقْدَارٌ مِنَ الْقُوتِ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قُوتٌ لِأَضْعَافِهِمْ مَرَّاتٍ فَالْأَعْمَالُ بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ زَائِدَةٌ عَلَى حَاجَاتِ الْعَامِلِينَ وَضُرُورَاتِهِمْ فَأَهْلُ مَدِينَةٍ أَوْ مِصْرٍ إِذَا وُزِّعَتْ أَعْمَالُهُمْ كُلُّهَا عَلَى مِقْدَارِ ضُرُورَاتِهِمْ وَحَاجَاتِهِمْ أُكْتَفِيَ فِيهَا بِالْأَقَلِّ مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَبَقِيَتِ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا زَائِدَةً عَلَى الضَّرُورَاتِ فَتُصَرَّفُ فِي حَالَاتِ التَّرْفِ وَعَوَائِدِهِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ وَيَسْتَجْلِبُونَهُ مِنْهُمْ بِأَعْوَاضِهِ وَفِيهِمْ فَيَكُونُ لَهُمْ بِذَلِكَ حِطٌّ مِنَ الْغِنَى وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ فِي الْفَصْلِ الْخَامِسِ فِي بَابِ الْكَسْبِ وَالرِّزْقِ أَنَّ الْمَكْسَبَ إِنَّمَا هِيَ قِيمَةُ الْأَعْمَالِ فَإِذَا كَثُرَتِ الْأَعْمَالُ كَثُرَتْ قِيمَتُهَا بَيْنَهُمْ فَكَثُرَتْ مَكْسَبَتُهُمْ ضَرُورَةً وَدَعَتْهُمْ أَحْوَالُ الرِّفَةِ وَالْغِنَى إِلَى التَّرْفِ وَحَاجَاتِهِ مِنَ التَّنَاقُصِ فِي الْمَسَاكِينِ وَالْمَلَايِسِ وَاسْتِجَادَةِ الْآلِيَةِ وَالْمَاعُونِ وَاتِّخَاذِ الْخُدَمِ وَالْمَرَائِبِ وَهَذِهِ كُلُّهَا أَعْمَالٌ تُسْتَدْعَى بِقِيمَتِهَا وَيَخْتَارُ الْمَهْرَةُ فِي صِنَاعَتِهَا وَالْقِيَامَ عَلَيْهَا فَتَنْفُقُ أَسْوَاقُ الْأَعْمَالِ وَالصَّنَائِعِ وَيَكْثُرُ دَخْلُ الْمِصْرِ

وَخَرَجَهُ وَيَحْضُلُ السَّارَ بُنْتَحَلِي ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِمْ وَمَتَى زَادَ الْعُمْرَانُ زَادَتِ الْأَعْمَالُ  
 ثَانِيَةً ثُمَّ زَادَ التَّرْفُ تَابِعًا لِلْكَسْبِ وَزَادَتْ عَوَائِدُهُ وَحَاجَاتُهُ وَأَسْتَنْطَبَتِ الصَّنَائِعُ  
 لِتَحْصِيلِهَا فَزَادَتْ فِيهَا وَتَضَاعَفَ الْكَسْبُ فِي الْمَدِينَةِ لِذَلِكَ ثَانِيَةً وَنَفَقَتْ سُوقُ الْأَعْمَالِ  
 بِهَا أَكْثَرَ مِنَ الْأَوَّلِ وَكَذَا فِي الزِّيَادَةِ الثَّانِيَةِ وَالثَّلَاثَةِ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الزَّائِدَةَ كُلَّهَا  
 تَخْتَصُّ بِالْتَّرْفِ وَالغِنَى بِخِلَافِ الْأَعْمَالِ الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِالْمَعَاشِ فَالْمِصْرُ إِذَا  
 فَضَلَ بَعْمُرَانٍ وَاحِدٍ فَفَضْلُهُ زِيَادَةٌ كَسَبَ وَرَفَهُ بِعَوَائِدٍ مِنَ التَّرْفِ لَا تُوْجَدُ فِي الْآخِرِ  
 فَمَا كَانَ عُمْرَانُهُ مِنَ الْأَمْصَارِ أَكْثَرَ وَأَوْفَرَ كَانَ حَالُ أَهْلِهِ فِي التَّرْفِ أَبْلَغَ مِنْ حَالِ  
 الْمِصْرِ الَّذِي دُونَهُ عَلَى وَتَبَرَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الْأَصْنَافِ الْقَاضِيَةِ مَعَ الْقَاضِيِ وَالتَّاجِرِ مَعَ  
 التَّاجِرِ وَالصَّانِعِ مَعَ الصَّانِعِ وَالسُّوقِيِّ مَعَ السُّوقِيِّ وَالْأَمِيرِ مَعَ الْأَمِيرِ وَالشَّرْطِيِّ مَعَ  
 الشَّرْطِيِّ \* وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي الْمَغْرِبِ مِثْلًا بِحَالِ فَاسٍ مَعَ غَيْرِهَا مِنْ أَمْصَارِهِ مِثْلَ بَجَايَةِ  
 وَتَلْمَسَانَ وَسَبْتَةَ تَجِدُ بَيْنَهُمَا بَوْنًا كَثِيرًا عَلَى الْجُمْلَةِ ثُمَّ عَلَى الْخُصُوصِيَّاتِ فَحَالُ الْقَاضِيِ  
 بِفَاسٍ أَوْسَعُ مِنْ حَالِ الْقَاضِيِ بِتَلْمَسَانَ وَهَكَذَا كُلُّ صِنْفٍ مَعَ صِنْفِ أَهْلِهِ وَكَذَا  
 أَيْضًا حَالُ تَلْمَسَانَ مَعَ وَهْرَانَ أَوْ الْجَزَائِرِ وَحَالُ وَهْرَانَ وَالْجَزَائِرِ مَعَ مَا دُونَهُمَا إِلَى أَنْ  
 تَنْتَهِيَ إِلَى الْمَدَرِ الَّذِينَ اعْتَمَلَهُمْ فِي ضَرُورِيَّاتِ مَعَاشِهِمْ فَقَطُّ وَيَقْصِرُونَ عَنْهَا وَمَا  
 ذَلِكَ إِلَّا لِنَقَاوَتِ الْأَعْمَالِ فِيهَا فَكُلُّهَا أَسْوَاقٌ لِلْأَعْمَالِ وَالخُرُجُ فِي كُلِّ سُوقٍ عَلَى  
 نِسْبَتِهِ فَالْقَاضِيِ بِفَاسٍ دَخَلَهُ كِفَاؤُهُ خَرَجَهُ وَكَذَا الْقَاضِيِ بِتَلْمَسَانَ وَحَيْثُ الدَّخْلُ وَالخُرُجُ  
 أَكْثَرُ تَكُونُ الْأَحْوَالُ أَعْظَمَ وَهِيَ بِفَاسٍ أَكْثَرُ لِنَقَاقِ سُوقِ الْأَعْمَالِ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ  
 التَّرْفُ فَالْأَحْوَالُ أَضْخَمُ ثُمَّ كَذَا حَالُ وَهْرَانَ وَفَسْطَاطِيَّةِ وَالْجَزَائِرِ وَبِسُكْرَةٍ حَتَّى  
 تَنْتَهِيَ كَمَا قُلْنَا إِلَى الْأَمْصَارِ الَّتِي لَا تُؤْتِي أَعْمَالُهَا بِضَرُورَاتِهَا وَلَا تُعَدُّ فِي الْأَمْصَارِ إِذَا  
 هِيَ مِنْ قَبِيلِ الْقُرَى وَالْمَدَرِ فَلِذَلِكَ تَجِدُ أَهْلَ هَذِهِ الْأَمْصَارِ الصَّغِيرَةِ ضَعْفَاءَ الْأَحْوَالِ  
 مُتَقَارِبِينَ فِي الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ لَا تَقِي بِضَرُورَاتِهِمْ وَلَا يَفْضُلُ مَا يَتَأْتُونَهُ  
 كَسْبًا فَلَا تَمُومُ مَكَاسِبُهُمْ وَهُمْ لِذَلِكَ مَسَاكِينٌ مَحَاوِيحُ إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَاعْتَبِرْ  
 ذَلِكَ حَتَّى فِي أَحْوَالِ الْفُقَرَاءِ وَالسُّؤَالِ فَإِنَّ السُّائِلَ بِفَاسٍ أَحْسَنُ حَالًا مِنَ السُّائِلِ بِتَلْمَسَانَ  
 أَوْ وَهْرَانَ وَلَقَدْ شَاهَدْتُ بِفَاسٍ السُّؤَالَ يَسْأَلُونَ أَيَّامَ الْأَضْحَى اثْمَانًا ضَحَايَاهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ  
 يَسْأَلُونَ كَثِيرًا مِنْ أَحْوَالِ التَّرْفِ وَأَقْبَرِاحِ الْمَا كُلِّ مِثْلِ سُؤَالِ الْحَمِّ وَالسَّمَنِ

وَعَلَّاجِ الطَّبِخِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَاعُونَ كَالغُرْبَالِ وَالْأَيْنَةِ وَلَوْ سَالَ سَائِلٌ مِثْلَ هَذَا  
 بِتَلْمَسَانِ أَوْ زَهْرَانِ لَأَسْتُنْكِرَ وَعَنْفٌ وَزُجْرٌ وَيَبْلُغُنَا لِهَذَا الْعَهْدِ عَنْ أَحْوَالِ الْقَاهِرَةِ  
 وَمِصْرَ مِنَ التَّرَفِ وَالغِنَى فِي عَوَائِدِهِمْ مَا يُفْضِي مِنْهُ الْعَجْبُ حَتَّى أَنْ كَثِيرًا مِنَ الْفُقَرَاءِ  
 بِالْمَغْرِبِ يَنْزِعُونَ مِنَ الثَّقَلَةِ إِلَى مِصْرَ لِذَلِكَ وَإِنَّمَا يَبْلُغُهُمْ مِنْ أَنْ شَأْنُ الرَّفِهِ بِمِصْرَ  
 أَعْظَمُ مِنْ غَيْرِهَا وَيَعْتَقِدُ الْعَامَّةُ مِنَ النَّاسِ أَنَّ ذَلِكَ لَزِيَادَةِ إِثَارٍ فِي أَهْلِ تِلْكَ الْأَفَاقِ  
 عَلَى غَيْرِهِمْ أَوْ أَمْوَالٍ مُخْتَزِنَةٍ لَدَيْهِمْ وَإِنَّهُمْ أَكْثَرُ صَدَقَةٍ وَإِثَارًا مِنْ جَمِيعِ أَهْلِ  
 الْأَمْصَارِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ لَمَّا تَعَرَّفَهُ مِنْ أَنَّ عُمَرََانَ مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ أَكْثَرَ مِنْ  
 عُمَرََانَ هَذِهِ الْأَمْصَارِ الَّتِي لَدَيْكَ فَعَظُمَتْ لَذَلِكَ أَحْوَالُهُمْ. وَأَمَّا حَالُ الدَّخْلِ وَالْخُرُوجِ  
 فَمَتَّكَافِيٌّ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَمَتَّى عَظُمَ الدَّخْلُ عَظُمَ الْخُرُوجُ وَإِلَّا لَعَكْسٌ وَمَتَّى عَظُمَ  
 الدَّخْلُ وَالْخُرُوجُ اتَّسَعَتْ أَحْوَالُ السَّاكِنِينَ وَوَسَّعَ الْمِصْرُ كُلَّ شَيْءٍ يَبْلُغُكَ مِنْ مِثْلِ هَذَا  
 فَلَا تُنْكِرُهُ وَاعْتَبِرْهُ بِكَثْرَةِ الْعُمَرََانَ وَمَا يَكُونُ عَنْهُ مِنْ كَثْرَةِ الْمَكْسَبَةِ الَّتِي  
 يَسْهَلُ بِسَبَبِهَا الْبَدَلُ وَالْإِثَارُ عَلَى مُبْتَغِيهِ وَمِثْلُهُ بِشَأْنِ الْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمِ مَعَ يَبُوتِ الْمَدِينَةِ  
 الْوَاحِدَةِ وَكَيْفَتْ تَخْتَفُ أَحْوَالُهَا فِي هِجْرَانِهَا أَوْ عَشْيَانِهَا فَإِنَّ يَبُوتَ أَهْلِ النِّعَمِ وَالزُّرُوقِ  
 وَالْمَوَائِدِ الْخَصِيصَةِ مِنْهَا تَكْتَبُرُ بِسَاحَتِهَا وَأَفْنِيئَتِهَا يَنْزِرُ الْحُبُوبُ وَسَوَاقِطُ الْفَتَاتِ فَيَزْدَحِمُ  
 عَلَيْهَا غَوَاشِي النَّمْلِ وَالْحَشَّاشِ وَيَلْحَقُ فَوْقَهَا عَصَابُ الطُّيُورِ حَتَّى تَرُوحَ بَطَانًا وَمَتَلِيَّ شَبَعًا  
 وَرِيًّا وَيَبُوتَ أَهْلُ الْخِصَاصَةِ وَالْفُقَرَاءُ الْكَاسِدَةُ أَرْزَاقُهُمْ لَا يَسْرِي بِسَاحَتِهَا دَيْبٌ وَلَا  
 يُحَلِّقُ بِجَوِّهَا طَائِرٌ وَلَا تَأْوِي إِلَى زَوَايَا يَبُوتِهِمْ فَأَرَّةٌ وَلَا هَرَّةٌ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ  
 تَسْقُطُ الطُّيُورُ حَيْثُ تَلْتَقِطُ الْحَبَّ م وَتَعْتَشِي مَنَازِلَ الْكُرْمَاءِ

فَتَأْمَلُ سِرَّ اللَّهِ تَعَالَى فِي ذَلِكَ وَاعْتَبِرْ غَاشِيَةَ الْإِنْسَانِيِّ بِغَاشِيَةِ الْعُجْمِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ وَفَتَاتِ  
 الْمَوَائِدِ بِفَضْلَاتِ الرِّزْقِ وَالتَّرَفِ وَسَهُولَتِهَا عَلَى مَنْ يَبْدُلُهَا لِاسْتِغْنَانِهِمْ عَنْهَا فِي الْأَكْثَرِ  
 لَوْجُودِ أَمْثَالِهَا لَدَيْهِمْ وَاعْلَمْ أَنَّ اتِّسَاعَ الْأَحْوَالِ وَكَثْرَةَ النِّعَمِ فِي الْعُمَرََانَ تَابِعٌ لِكَثْرَتِهِ  
 وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَلَمُ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

### الفصل الثاني عشر

في اسعار المدن

اعْلَمْ أَنَّ الْأَسْوَاقَ كُلَّهَا اشْتَمَلُ عَلَى حَاجَاتِ النَّاسِ فَمِنْهَا الضَّرُورِيُّ وَهِيَ الْأَقْوَاتُ

مِنَ الْحَنْطَةِ وَمَا فِي مَعْنَاهَا كَالْبَقْلَاءِ وَالْبَصْلِ وَالثُّومِ وَشَبَاهِهِ وَهِيَ الْحَاجِي وَالْكِمَالِي  
 مِثْلُ الْأَدَمِ وَالْفَوَاكِهِ وَالْمَلَابِيسِ وَالْمَاعُونِ وَالْمَرَكَبِ وَسَائِرِ الْمَصْنَعِ وَالْمَبَانِي فَإِذَا  
 اسْتَبْعَرَ الْمِصْرُ وَكَثُرَ سَاكِنُهُ رَخِصَتْ أَسْعَارُ الضَّرُورِيِّ مِنَ الْقُوْتِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ وَعَاتَتْ  
 أَسْعَارُ الْكِمَالِي مِنَ الْأَدَمِ وَالْفَوَاكِهِ وَمَا يَتَّبِعُهَا وَإِذَا قَلَّ سَاكِنُ الْمِصْرِ وَضَعْفَ  
 عُمُرَانُهُ كَانَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْحُبُوبَ مِنْ ضَرُورَاتِ الْقُوْتِ فَنَتَوَقَّرُ  
 الدَّوَاعِي عَلَى اتِّخَاذِهَا إِذْ كُلُّ أَحَدٍ لَا يَهْمِلُ قُوْتَ نَفْسِهِ وَلَا قُوْتَ مَنْزِلِهِ لِشَهْرِ وَأَوْ سَائِتِهِ  
 فَيَعْمُ اتِّخَاذُهَا أَهْلَ الْمِصْرِ أَجْمَعِ أَوْ الْأَكْثَرِ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْمِصْرِ أَوْ نِهَا قَرَبَ مِنْهُ  
 لَا بَدَّ مِنْ ذَلِكَ وَكُلُّ مَتَّخِذٍ لِقُوْتِهِ فَتَفْضُلُ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فَضْلَةٌ كَبِيرَةٌ تُسَدُّ خَلَّةَ  
 كَثِيرِينَ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْمِصْرِ فَتَفْضُلُ الْأَقْوَاتُ عَنْ أَهْلِ الْمِصْرِ مِنْ غَيْرِ شَكِّ  
 فَتَرْخِصُ أَسْعَارُهَا فِي الْعَالِبِ إِلَّا مَا يُصِيبُهَا فِي بَعْضِ السِّنِينَ مِنَ الْأَفَاتِ السَّمَاوِيَّةِ وَلَوْلَا  
 احْتِكَارُ النَّاسِ لَهَا لِمَا يُتَوَقَّعُ مِنْ تِلْكَ الْأَفَاتِ لَبَدَلَتْ دُونَ ثَمَنِ وَلَا عَوْضَ لِكَثْرَتِهَا  
 بِكَثْرَةِ الْعُمُرَانِ . وَآمَّا سَائِرُ الْمَرَافِقِ مِنَ الْأَدَمِ وَالْفَوَاكِهِ وَمَا إِلَيْهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمُرُهَا  
 الْبَلَوَى وَلَا يَسْتَعْرِقُ اتِّخَاذُهَا أَعْمَالَ أَهْلِ الْمِصْرِ أَجْمَعِينَ وَلَا الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ ثُمَّ إِنْ  
 الْمِصْرُ إِذَا كَانَ مُسْتَبْجِرًا مَوْفُورًا الْعُمُرَانِ كَثِيرًا حَاجَاتِ التَّرْفِ تَوَفَّرَتْ حِينَئِذٍ الدَّوَاعِي  
 عَلَى طَلَبِ تِلْكَ الْمَرَافِقِ وَالِاسْتِكْتَارِ مِنْهَا كُلُّ بِحَسَبِ حَالِهِ فَيَقْصُرُ الْمَوْجُودُ مِنْهَا عَلَى  
 الْحَاجَاتِ قُصُورًا بِالْعَاقِبَةِ وَيَكْثُرُ الْمُسْتَمَامُونَ لَهَا وَهِيَ قَلِيلَةٌ فِي نَفْسِهَا فَتَزِدُ حُمُ أَهْلِ الْأَعْرَاضِ  
 وَيَبْدُلُ أَهْلُ الرَّفْهِ وَالتَّرْفِ أَمْتَانَهَا بِإِسْرَافٍ فِي الْعِلَاقَةِ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ  
 فَيَقَعُ فِيهَا الْعِلَاقَةُ كَمَا تَرَاهُ . وَآمَّا الصَّنَاعِ وَالْأَعْمَالَ أَيْضًا فِي الْأَمْصَارِ الْمَوْفُورَةِ الْعُمُرَانِ  
 فَسَبَبُ الْعِلَاقَةِ فِيهَا أُمُورٌ ثَلَاثَةٌ الْأَوَّلُ كَثْرَةُ الْحَاجَةِ لِمَكَانِ التَّرْفِ فِي الْمِصْرِ بِكَثْرَةِ  
 عُمُرَانِهِ وَالثَّانِي اعْتِرَازُ أَهْلِ الْأَعْمَالِ لِحُدُوثِهِمْ وَأَمْتِيَانِ أَنْفُسِهِمْ لِسَهُولَةِ الْمَعَاشِ فِي  
 الْمَدِينَةِ بِكَثْرَةِ أَقْوَامِهَا وَالثَّالِثُ كَثْرَةُ الْمَتْرَفِينَ وَكَثْرَةُ حَاجَاتِهِمْ إِلَى أَمْتِيَانِ غَيْرِهِمْ  
 وَإِلَى اسْتِعْمَالِ الصَّنَاعِ فِي مِيزَانِهِمْ فَيَبْدُلُونَ فِي ذَلِكَ لِأَهْلِ الْأَعْمَالِ أَكْثَرَ مِنْ قِيَمَةِ  
 أَعْمَالِهِمْ مِنْ رُحْمَةٍ وَمُنَافَسَةٍ فِي الْإِسْتِكْتَارِ بِهَا فَيَعْتَرِزُ الْعَمَالُ وَالصَّنَاعُ وَأَهْلُ الْحَرْفِ وَتَعْلُو  
 أَعْمَالُهُمْ وَتَكْثُرُ نَفَقَاتُ أَهْلِ الْمِصْرِ فِي ذَلِكَ . وَآمَّا الْأَمْصَارُ الصَّغِيرَةَ وَالْقَلِيلَةَ  
 السَّاكِنِ فَأَقْوَامُهُمْ قَلِيلَةٌ لِقَلَّةِ الْعَمَلِ فِيهَا وَمَا يَتَوَقَّعُونَهُ لِصِغَرِ مِصْرِهِمْ مِنْ عَدَمِ الْقُوْتِ

فَيَتَمَسَّكُونَ بِمَا يَحْمِلُ مِنْهُ فِي أَيْدِيهِمْ وَيَحْتَكِرُونَهُ فَيَعِزُّ وَجُودُهُ لَدَيْهِمْ وَيَغْلُو ثَمَنُهُ  
 عَلَى مُسْتَأْمِنِهِ وَأَمَّا مُرَافِقُهُمْ فَلَا تَدْعُو إِلَيْهَا أَيْضًا حَاجَةٌ بِقِلَّةِ السَّاكِنِ وَضَعْفِ الْأَحْوَالِ  
 فَلَا تَتَفَقُّ لَدَيْهِمْ سُوقُهُ فَيُتَخَصُّ بِالرُّخْصِ فِي سِعَرِهِ وَقَدْ يَدْخُلُ أَيْضًا فِي قِيَمَةِ الْأَقْوَاتِ  
 قِيَمَةٌ مَا يَعْضُ عَلَيْهِ مِنَ الدُّكُوسِ وَالْمَعَارِمِ لِلسُّلْطَانِ فِي الْأَسْوَاقِ وَبَابِ الْحَفْرِ  
 وَالْحَيَاةِ فِي مَنَافِعِ وَصُولِهَا عَنِ الْبُيُوتِ لِمَا يَمْتَنِعُ مِنْهَا وَبِذَلِكَ كَانَتْ الْأَسْعَارُ فِي الْأَمْصَارِ  
 أَعْلَى مِنَ الْأَسْعَارِ فِي الْبَادِيَةِ إِذِ الدُّكُوسُ وَالْمَعَارِمُ وَالْفَرَائِضُ قَلِيلَةٌ لَدَيْهِمْ أَوْ  
 مَعْدُومَةٌ وَكَثُرَتْ فِي الْأَمْصَارِ لِأَنَّ سِيَمَا فِي آخِرِ الدَّوَلَةِ وَقَدْ تَدْخُلُ أَيْضًا فِي قِيَمَةِ الْأَقْوَاتِ  
 قِيَمَةٌ عِلَاجِهَا فِي الْفَلْحِ وَيُحَافِظُ عَلَى ذَلِكَ فِي أَسْعَارِهَا كَمَا وَقَعَ بِالْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ  
 وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا الْجَاءَهُمُ النَّصْرِيُّ إِلَى سَيْفِ الْبَحْرِ وَبِلَادِهِ الْمُتَوَعَّرَةِ الْخَبِيثَةِ الزَّرَاعَةِ  
 الدَّيْكَدَةِ النَّبَاتِ وَمَلَكُوا عَلَيْهِمُ الْأَرْضَ الرَّكِيَّةَ وَالْبَلَدَ الطَّيِّبَ فَاحْتَاجُوا إِلَى عِلَاجِ  
 الْمَزَارِعِ وَالْفُئْدِ لِإِصْلَاحِ نَبَاتِهَا وَفَلْحِهَا وَكَانَ ذَلِكَ الْعِلَاجُ بِأَعْمَالِ ذَاتِ قِيَمٍ وَمَوَادِّ  
 مِنَ الزُّبَيْلِ وَعَبِيرِهِ لَهَا مَوْتَةٌ وَصَارَتْ فِي قَلْبِهِمْ نَقَقَاتٌ لَهَا حَظْرٌ فَاعْتَبَرُوا فِي سِعَرِهِمْ  
 وَأَخْتَصُّ قَطْرُ الْأَنْدَلُسِ بِالْغَلَاءِ مِنْذُ اضْطَرَّ لَهُمُ النَّصْرِيُّ إِلَى هَذَا الْمَعْمُورِ بِالْإِسْلَامِ  
 مَعَ سَوَاحِلِهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ وَيَحْسِبُ النَّاسُ إِذَا سَمِعُوا بِالْغَلَاءِ الْأَسْعَارِ فِي قُطْرِهِمْ أَنَّهَا لِقِلَّةِ  
 الْأَقْوَاتِ وَالْحُبُوبِ فِي أَرْضِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فِيهِمْ أَكْثَرُ أَهْلِ الْمَعْمُورِ فَحَمَّا فِيمَا عَلِمْنَاهُ  
 وَأَقْوَمُهُمْ عَلَيْهِ وَقَدْ أَنْ يَخْلُو مِنْهُمْ سُلْطَانٌ أَوْ سُوقَةٌ عَنِ فِدَانٍ أَوْ مَزْرَعَةٍ أَوْ فَلَاحٍ إِلَّا  
 قَلِيلٌ مِنَ أَهْلِ الصَّنَاعَاتِ وَالْمِينِ أَوْ الطَّرَائِقِ عَلَى الْوُطْنِ مِنَ الْغَزَاةِ الْجَاهِدِينَ وَلِهَذَا  
 يُخْتَصُّهُمُ السُّلْطَانُ فِي عَطَائِهِمْ بِالْعَوْلَةِ وَهِيَ أَقْوَاتُهُمْ وَعُلُوفَاتُهُمْ مِنَ الزَّرْعِ وَإِنَّمَا السَّبَبُ  
 فِي غَلَاءِ سِعْرِ الْحُبُوبِ عِنْدَهُمْ مَا ذَكَرْنَاهُ . وَلَمَّا كَانَتْ بِلَادُ الْبَرْبَرِ بِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ  
 فِي زَكَاةِ مَنَابِتِهِمْ وَطَيْبِ أَرْضِهِمْ أَرْتَفَعَتْ عَنْهُمْ الْعَوْنُ جَمَلَةً فِي الْفَلَاحِ مَعَ كَثْرَتِهِ  
 وَعُمُومَتِهِ فَصَارَ ذَلِكَ سَبَبًا لِرُخْصِ الْأَقْوَاتِ بِلَدِهِمْ وَاللَّهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ  
 الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الثالث عشر

في قصور اهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران  
 والسبب في ذلك ان المصر الكثير العمران يكثر ترفه كما قدمناه وتكثر

حَاجَاتُ سَاكِنِهِ مِنْ أَجْلِ التَّرَفِ وَتُعْتَادُ تِلْكَ الْحَاجَاتُ لِمَا يَدْعُو إِلَيْهَا فَتَنْقَلِبُ ضَرُورَاتٍ  
وَتَصِيرُ فِيهِ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا مَعَ ذَلِكَ عَزِيْزَةً وَالْمَرَافِقُ غَالِيَةً بِأَزْدِ حَامِ الْأَعْرَاضِ عَلَيْهَا  
مِنْ أَجْلِ التَّرَفِ وَبِالْعَارِمِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي تَوْضَعُ عَلَى الْأَسْوَاقِ وَالْبِيَعَاتِ وَتُعْتَبَرُ فِي  
فِيْمِ الْمَبِيَعَاتِ وَبَعْظُمُ فِيهَا الْغَلَاءُ فِي الْمَرَافِقِ وَالْأَوْقَاتِ وَالْأَعْمَالِ فَيَكْثُرُ لِذَلِكَ  
نَفَقَاتُ سَاكِنِهِ كَثْرَةً بِالْعَةِ عَلَى نِسْبَةِ عُمْرَانِهِ وَبَعْظُمُ خَرْجُهُ فَيَحْتَاجُ حَيَاثِدُ إِلَى الْمَالِ  
الْكَثِيرِ لِلنَّفَقَةِ عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ فِي ضَرُورَاتِ عَيْشِهِمْ وَسَائِرِ مَوْثِقَتِهِمُ وَالْبَدْوِيِّ لَمْ  
يَكُنْ دَخْلُهُ كَثِيرًا سَاكِنًا بِمَسْكَانِ كَاسِدِ الْأَسْوَاقِ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ سَبَبُ الْكَسْبِ  
فَلَمْ يَتَأْتَلْ كَسْبًا وَلَا مَالًا فَيَتَعَدَّرُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَكَنِي الْمِصْرِ الْكَبِيرِ لِعَلَاءِ  
مَرَافِقِهِ وَعِزَّةِ حَاجَاتِهِ وَهُوَ فِي بَدْوِهِ يَسُدُّ خَلْتَهُ بِأَقْلِ الْأَعْمَالِ لِأَنَّهُ قَلِيلُ عَوَائِدِ التَّرَفِ  
فِي مَعَاشِهِ وَسَائِرِ مَوْثِقَتِهِ فَلَا يُضْطَرُّ إِلَى الْمَالِ وَكُلُّ مَنْ يَشْتَوِي إِلَى الْمِصْرِ وَسَكَنَاهُ  
مِنْ الْبَادِيَةِ فَسَرِيعًا مَا يَظْهَرُ عَجْزُهُ وَيَفْتَضِحُ فِي اسْتِطَاعَتِهِ إِلَّا مَنْ يَقْدِمُ مِنْهُمْ تَائِلًا  
الْمَالِ وَيَحْضُلُ لَهُ مِنْهُ فَوْقَ الْحَاجَةِ وَيَجْرِي إِلَى الْغَايَةِ الطَّبِيعِيَّةِ لِأَهْلِ الْعُمُرَانِ مِنَ  
الدَّعَةِ وَالتَّرَفِ يَحْتَمِدُ يَنْتَقِلُ إِلَى الْمِصْرِ وَيَنْتَظِمُ حَالَهُ مَعَ أَحْوَالِ أَهْلِهِ فِي عَوَائِدِهِمْ  
وَتَرْفِهِمْ وَهَكَذَا شَأْنُ بَدَاءَةِ عُمْرَانِ الْأَمْصَارِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ خَبِيرٌ

### الفصل الرابع عشر

في ان الاقطار في اختلاف احوالها بالرفه والفقير مثل الامصار

اعلم ان ما توفّر عُمْرَانُهُ مِنَ الْأَقْطَارِ وَتَعَدَّدَتِ الْأُمَمُ فِي جِهَاتِهِ وَكَثُرَ سَاكِنُهُ  
اتَّسَعَتْ أَحْوَالُ أَهْلِهِ وَكَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ وَأَمْصَارُهُمْ وَعَظُمَتْ دَوْلَتُهُمْ وَمِمَّا لَكُمُ  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ كُلُّهُ مَا ذَكَرْتَاهُ مِنْ كَثْرَةِ الْأَعْمَالِ وَمَا سَيَأْتِي ذِكْرُهُ مِنْ أَنَّهَا سَبَبُ  
الثَّرْوَةِ بِمَا يُفْضَلُ عَنْهَا بَعْدَ الْوَفَاءِ بِالضَّرُورِيَّاتِ فِي حَاجَاتِ السَّاكِنِ مِنَ الْفَضْلَةِ الْبَالِغَةِ  
عَلَى مِقْدَارِ الْعُمُرَانِ وَكَثْرَتِهِ فَيَعُودُ عَلَى النَّاسِ كَسْبًا يَتَأَثَّرُونَ بِهِ حَسْبَمَا نَذَرْتُ ذَلِكَ فِي  
فَصْلِ الْمَعَاشِ وَيَبَانَ الرِّزْقُ وَالْكَسْبُ فَيَتَزَيَّدُ الرَّفَهُ لِذَلِكَ وَتَتَسَّعُ الْأَحْوَالُ وَيَجِيئُ  
التَّرَفُ وَالْغِنَى وَتَكْثُرُ أَجْبَابُهُ لِلدَّوْلَةِ بِنَفَاقِ الْأَسْوَاقِ فِي كَثْرَةِ مَالِهَا وَيَسْمَعُ سُلْطَانُهَا  
وَتَنْفَتِنُ فِي اتِّخَاذِ الْمَعَاقِلِ وَالْحُضُونِ وَأَخْطِاطِ الْمَدُنِ وَتَشْيِيدِ الْأَمْصَارِ. وَأَعْتَبَرُ ذَلِكَ  
بِأَقْطَارِ الْمَشْرِقِ مِثْلَ مِصْرَ وَالشَّامِ وَعِرَاقِ الْعَجْمِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ وَنَاحِيَةِ الشَّمَالِ لِمَلِكِهَا

وَأَقْطَارَهَا وَرَاءَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ لَمَّا كَثُرَ عُمْرَانُهَا كَيْفَ كَثُرَ الْمَالُ فِيهِمْ وَعَظُمَتْ  
 دَوْلَتُهُمْ وَتَعَدَّدَتْ مَدِينُهُمْ وَخَوَاضِرُهُمْ وَعَظُمَتْ مَتَاجِرُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ فَالَّذِي نَشَاهِدُهُ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ أَحْوَالِ تِجَارَةِ الْأُمَمِ النَّصْرَانِيَّةِ الْوَارِدِينَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْمَغْرِبِ فِي  
 رِفْهِهِمْ وَأَتْسَاعِ أَحْوَالِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ الْوَصْفُ وَكَذَا تِجَارَةُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ  
 الْأَفْصَى مِنْ عِرَاقِ الْعَجَمِ وَالْهِنْدِ وَالصِّينِ فَإِنَّهُ يَبْلُغُنَا عَنْهُمْ فِي بَابِ الْغِنَى وَالرِّفَةِ عَرَائِبُ  
 تَسِيرُ الرُّجْمَانِ بِحَدِيثِهَا وَرُبَّمَا تَلَقَى بِالْإِنْكَارِ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ وَيَحْسَبُ مَنْ يَسْمَعُهَا مِنْ  
 الْعَامَّةِ أَنَّ ذَلِكَ لِنَبَادَةِ فِي أَمْوَالِهِمْ أَمْ لِأَنَّ الْمَعَادِنَ الذَّهَبِيَّةَ وَالْفِضَّةَ أَكْثَرَ بِأَرْضِهِمْ  
 أَوْ لِأَنَّ ذَهَبَ الْأَفْدَمِينَ مِنَ الْأُمَمِ اسْتَأْتَرُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِمْ وَلَيْسَ ذَلِكَ مُعَدِّنُ  
 الذَّهَبِ الَّذِي نَعْرِفُهُ فِي هَذِهِ الْأَقْطَارِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بِلَادِ السُّودَانِ وَهِيَ إِلَى الْمَغْرِبِ  
 أَقْرَبُ وَجَمِيعُ مَا فِي أَرْضِهِمْ مِنَ الْبِضَاعَةِ فَإِنَّمَا يُجَابُونَهُ إِلَى غَيْرِ بِلَادِهِمْ لِلتَّجَارَةِ فَلَوْ  
 كَانَ الْمَالُ عَتِيدًا مَوْفُورًا لِيَهُمْ لَمَّا جَلَبُوا بِضَائِعَهُمْ إِلَى سَوَاهِمِ يَتَغَوَّنَ بِهَا الْأَمْوَالَ وَلَا  
 اسْتَعْنَوْعَنَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْجَمَلَةِ . وَقَدْ ذَهَبَ الْمُنْجَمُونَ لَمَّا رَأَوْا مِثْلَ ذَلِكَ وَسَتَعَرَّبُوا  
 مَا فِي الْمَشْرِقِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَحْوَالِ وَأَتْسَاعِهَا وَوُفُورِ أَمْوَالِهَا فَقَالُوا بَارِنَ عَطَايَا الْكُؤَاكِبِ  
 وَالسَّهَامِ فِي مَوَالِدِ الْمَشْرِقِ أَكْثَرَ مِنْهَا حِصصًا فِي مَوَالِدِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَذَلِكَ  
 صَاحِبٌ مِنْ جِهَةِ الْمَطَابَقَةِ بَيْنَ الْأَحْكَامِ الْجُمُوعِيَّةِ وَالْأَحْوَالِ الْأَرْضِيَّةِ كَمَا قُلْنَا هُمْ  
 إِنَّمَا أَعْطَوْا فِي ذَلِكَ السَّبَبِ الْجُوعِيَّ وَبَقِيَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُعْطُوا السَّبَبَ الْأَرْضِيَّ وَهُوَ مَا  
 ذَكَرْنَاهُ مِنْ كَثْرَةِ الْعُمْرَانِ وَأَخْتِصَاصِهِ بِأَرْضِ الْمَشْرِقِ وَأَقْطَارِهِ وَكَثْرَةِ الْعُمْرَانِ  
 تَفِيدُ كَثْرَةَ النَّسَبِ بِكَثْرَةِ الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ سَبَبُهُ فَلِذَلِكَ أَخْتَصَّ الْمَشْرِقُ بِالرِّفَةِ  
 مِنْ بَيْنِ الْأَفَاقِ لِأَنَّ ذَلِكَ لِيَجْرِدَ الْأَنْزِلَ الْجُوعِيَّ فَقَدْ فَهِمْتَ مَا أَشْرْنَا لَكَ أَوَّلًا أَنَّهُ  
 لَا يَسْتَقِلُّ بِذَلِكَ وَإِنَّ الْمَطَابَقَةَ بَيْنَ حُكْمِهِ وَعُمْرَانِ الْأَرْضِ وَطَبِيعَتِهَا أَمْ لَا يَدْرِي مِنْهُ .  
 وَاعْتَبِرْ حَالَ هَذَا الرَّفِهِ مِنَ الْعُمْرَانِ فِي فِطْرِ أَفْرِيقِيَّةِ وَبَرَفَةِ لَمَّا خَفَتْ سَكْنُهَا وَتَنَاسَّخَ  
 عُمْرَانُهَا كَيْفَ تَلَاشَتْ أَحْوَالَ أَهْلِهَا وَأَتَنَّهُوا إِلَى الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ وَضَعَتْ جِبَابَهَا  
 فَقَلَّتْ أَمْوَالَ دَوْلَتِهَا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ دَوْلَ الشَّيْخَةِ وَصَنَاهَا جِهًا عَلَى مَا بَلَغَكَ مِنَ الرَّفِهِ  
 وَكَثْرَةِ الْجِبَابَاتِ وَأَتْسَاعِ الْأَحْوَالِ فِي نَفَقَاتِهِمْ وَأَعْطِيَاتِهِمْ حَتَّى لَقَدْ كَانَتْ الْأَمْوَالَ  
 تَرْفَعُ مِنَ الْقَيْرِ وَإِنِ إِلَى صَاحِبِ مِصْرَ لِحَاجَاتِهِ وَمُهَيَّاتِهِ وَكَانَتْ أَمْوَالَ الدَّوَلَةِ يَحِثُّ حَمَلُ

جَوْهَرِ الْكَاتِبِ فِي سَفَرِهِ إِلَى فَتْحِ مِصْرَ الْفَحْمَلِ مِنَ الْمَالِ يَسْتَعِدُّ بِهَا لِأَرْزَاقِ  
 الْجُنُودِ وَأَعْطِيَاتِهِمْ وَنَفَقَاتِ الْغَزَاةِ وَقَطْرُ الْمَغْرِبِ وَإِنْ كَانَ فِي الْقَدِيمِ دُونَ أَفْرِيقِيَّةَ  
 فَلَمْ يَكُنْ بِالْقَلِيلِ فِي ذَلِكَ وَكَانَتْ أَحْوَالُهُ فِي دَوْلِ الْمُوحِدِينَ مُتَّسِعَةً وَجَبَابَتُهُ مَوْفُورَةً  
 وَهُوَ لِهَذَا الْعَهْدِ قَدْ أَفْصَرَ عَنْ ذَلِكَ لِقُصُورِ الْعُمُرَانِ فِيهِ وَنَاقُصَهُ فَقَدْ ذَهَبَ مِنْ عُمُرَانِ  
 الْبَرْبَرِ فِيهِ أَكْثَرُهُ وَنَقَصَ عَنْ مَعْبُودِهِ نَقْصًا ظَاهِرًا مُحْسُوسًا وَكَأَنَّ يَحْقُقَ فِي أَحْوَالِهِ  
 بِمِثْلِ أَحْوَالِ أَفْرِيقِيَّةَ بَعْدَ أَنْ كَانَ عُمُرَانُهُ مُتَّصِلًا مِنَ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ إِلَى بِلَادِ  
 السُّودَانِ فِي طُولِ مَا بَيْنَ السُّوسِ الْأَنْصِيِّ وَرَفَقَةَ وَهِيَ الْيَمِّمُ كَأَنَّ أَكْثَرَهَا قَنَارًا  
 وَخَلَاةً وَصَحَارَى إِلَّا مَا هُوَ مِنْهَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ أَوْ مَا يُقَارِبُهُ مِنَ التَّأُولِ وَاللَّهُ وَارِثُ  
 الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ

### الفصل الخامس عشر

في تامل العقار والضياع في الامصار وحال فوائدها ومستغلاتها

اعْلَمْ أَنَّ تَأْتِلُ الْعَقَارِ وَالضِّيَاعِ الْكَثِيرَةَ لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَالْمُدُنِ لَا يَكُونُ دَفْعَةً  
 وَاحِدَةً وَلَا فِي عَصْرِ وَاحِدٍ إِذْ لَيْسَ يَكُونُ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ مِنَ التَّرْوَةِ مَا يَمْلِكُ بِهِ الْأَمْلَاكُ  
 الَّتِي تَخْرُجُ قِيمَتُهَا عَنِ الْحَدِّ وَلَوْ بَلَّغَتْ أَحْوَالُهُمْ فِي الرَّفْعِ مَا عَسَى أَنْ تَبْلُغَ وَإِنَّمَا يَكُونُ  
 مُلْكُهُمْ وَتَأْتِلُهُمْ لَهَا تَدْرِيجًا إِمَّا بِالْوَرَاثَةِ مِنْ آبَائِهِ وَذَوِي رَحْمِهِ حَتَّى تَتَأَدَّى أَمْلَاكُ  
 الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ إِلَى الْوَاحِدِ وَأَكْثَرَ لَذَلِكَ أَوْ أَنْ يَكُونَ بِمَجْوَالَةِ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّ الْعَقَارَ  
 فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ وَأَوَّلِ الْأُخْرَى عِنْدَ فَنَاءِ الْحَامِيَةِ وَخَرَقِ السِّيَاحِ وَتَدَاعِي الدِّصْرِ إِلَى  
 الْحَرَابِ نَقْلُ الْغَبْطَةِ بِهِ لِقَلَّةِ الْمَنْعَةِ فِيهَا بِتَلَاشِي الْأَحْوَالِ فَتَرُخُّصُ قِيمَتِهَا وَتَمْلِكُ  
 بِالْإِثْمَانِ الْيَسِيرَةِ وَتُنْخَطَى بِالْمِيرَاثِ إِلَى مَلِكٍ آخَرَ وَقَدْ أُسْجِدَ الْمِصْرُ شَبَابَهُ بِأَسْتِحْجَالِ  
 الدَّوْلَةِ الثَّانِيَةِ وَانْتَضَمَتْ لَهُ أَحْوَالٌ رَائِقَةٌ حَسَنَةٌ تَحْصُلُ مَعَهَا الْغَبْطَةُ فِي الْعَقَارِ وَالضِّيَاعِ  
 بِكَثْرَةِ مَنَافِعِهَا حَيْثُ تَنْتَعِظُ قِيمَتُهَا وَيَكُونُ لَهَا خَطَرٌ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَوَّلِ وَهَذَا مَعْنَى الْحَوَالَةِ  
 فِيهَا وَبُصِيحُ مَالِكِهَا مِنْ أَغْنَى أَهْلِ الْمِصْرِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِسَعِيهِ وَأَكْتِسَابِهِ إِذْ قُدْرَتُهُ  
 تَعْجُزُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ . وَأَمَّا فَوَائِدُ الْعَقَارِ وَالضِّيَاعِ فَهِيَ غَيْرُ كَافِيَةٍ لِمَا لِكِهَا فِي حَاجَاتِ  
 مَعَاشِهِ إِذْ هِيَ لَا تَفِي بِعَوَائِدِ التَّرْفِ وَأَسْبَابِهِ وَإِنَّمَا هِيَ فِي الْغَالِبِ لِسِدِّ الْخَلَّةِ وَضُرُورَةِ  
 الْمَعَاشِ وَالَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْ مُسَيِّخَةِ الْبُلْدَانِ أَنَّ الْقَصْدَ بِاقْتِنَاءِ الْمَلِكِ مِنَ الْعَقَارِ وَالضِّيَاعِ

إِنَّمَا هُوَ الْخُشْيَةُ عَلَى مَنْ يَتْرُكُ خَلْفَهُ مِنَ الذَّرِيَّةِ الضَّعْفَاءِ لِيَكُونَ مَرَبَاهُمْ بِهِ وَرِزْقُهُ فِيهِ وَنُشُومُهُمْ بِفَائِدَتِهِ مَا دَامُوا عَاجِزِينَ عَنِ الْاِكْتِسَابِ فَإِذَا اقْتَدَرُوا عَلَى تَحْصِيلِ الْمَكْسَبِ سَعَوْا فِيهَا بِأَنْفُسِهِمْ وَرَبَّمَا يَكُونُ مِنَ الْوَالِدِ مَنْ يَعْجُزُ عَنِ التَّكْسِبِ لِضَعْفِ فِي بَدَنِهِ أَوْ آفَةٍ فِي عَقْلِهِ الْمَعَاشِيِّ فَيَكُونُ ذَلِكَ الْعَقَارُ قَوْمًا لِحَالِهِ هَذَا قَصْدُ الْمُتَرَفِّينَ فِي اقْتِنَائِهِ وَأَمَّا التَّمَوُّلُ مِنْهُ وَإِجْرَاءُ أَحْوَالِ الْمُتَرَفِّينَ فَلَا وَقَدْ يَحْصُلُ ذَلِكَ مِنْهُ لِلْقَلِيلِ أَوْ النَّادِرِ بِمَجْوَالَةِ الْأَسْوَاقِ وَحُصُولِ الْكَثْرَةِ الْبَالِغَةِ مِنْهُ وَالْعَالِي فِي جِنْسِهِ وَقِيمَتِهِ فِي الْمَصْرِ إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ رَبَّمَا أَمْتَدَّتْ إِلَيْهِ أَعْيُنُ الْأُمَرَاءِ وَالْوَالِدَةِ وَأَعْتَصَبُوهُ فِي الْغَالِبِ أَوْ أَرَادُوهُ عَلَى بَيْعِهِ مِنْهُمْ وَنَالَتْ أَصْحَابَهُ مِنْهُ مَضَارٌ وَمَعَاطِبٌ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

### الفصل السادس عشر

في حاجات المتولين من اهل الامصار الى الجاه والمدافعة

وَذَلِكَ أَنَّ الْخَضِرِيَّ إِذَا عَظَّمَ تَمَوُّلَهُ وَكَثُرَ لِعَقَارِهِ وَالضِّيَاعِ تَأْتَلُهُ وَأَصْبَحَ أَعْنَى أَهْلِ الْمَصْرِ وَرَمَقَتِهِ الْعُيُونُ بِذَلِكَ وَانْفَسَحَتْ أَحْوَالُهُ فِي التَّرَفِّ وَالْعَوَائِدِ زَاحِمَ عَلَيْهَا الْأُمَرَاءُ وَالْمُلُوكُ وَعَصَوْا بِهِ وَإِلْمًا فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ مِنَ الْعُدْوَانِ تَمْتَدُّ أَعْيُنُهُمْ إِلَى تَمَلُّكِ مَا بِيَدِهِ وَيُنَافِسُونَهُ فِيهِ وَيَتَعَيَّلُونَ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ مُمْكِنٍ حَتَّى يَحْصُلُوهُ فِي رِبْقَةٍ حَكِيمٍ سُلْطَانِيٍّ وَسَبَبٍ مِنَ الْمَوْأَخَذَةِ ظَاهِرٍ يَنْتَزِعُ بِهِ مَالَهُ وَأَكْثَرَ الْأَحْكَامِ السُّلْطَانِيَّةِ جَائِرَةً فِي الْغَالِبِ إِذِ الْعَدْلُ الْخُضُّ إِنَّمَا هُوَ فِي اخْتِلَافِ الشَّرْعِيَّةِ وَهِيَ قَلِيلَةٌ أَلَيْسَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخِلَافَةَ بَعْدِي ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ تَعَوَّدُ مَلِكًا عَضُوضًا فَلَا بَدَّ حَيْثُئِذٍ لِصَاحِبِ الْمَالِ وَالنَّرْوَةِ الشَّهِيرَةِ فِي الْأَعْمُرَانِ مِنْ حَامِيَةٍ تَدُودُ عَنْهُ وَجَاهٍ يَسْتَحِبُّ عَلَيْهِ مِنْ ذِي قَرَابَةٍ لِلْمَلِكِ أَوْ خَالِصَةٍ لَهُ أَوْ عَصَبِيَّةٍ يَتَحَامَاهَا السُّلْطَانُ فَيَسْتَنْظِلُ بِظِلِّهَا وَيَتَرَعُّ فِي أَمْنِهَا مِنْ طَوَارِقِ الْعَدِيِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ أَصْبَحَ نَهَبًا بِوُجُوهِ التَّخْلِيَاتِ وَأَسْبَابِ الْحُكْمِ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا تَعْقِبُ لِحُكْمِهِ

### الفصل السابع عشر

في ان الحضارة في الامصار من قبل الدول وانها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها والسبب في ذلك ان الحضارة هي احوال عادية زائدة على الضروري من احوال

الْعُمَرَانُ زِيَادَةً تَتَفَاوَتْ بِتَفَاوُتِ الرَّفْهِ وَتَفَاوُتِ الْأَمْثَلِ فِي الْقَلَّةِ وَالْكَثْرَةِ تَفَاوُتًا غَيْرَ  
 مُنْحَصِرٍ وَتَفَعُّ فِيهَا عِنْدَ كَثْرَةِ التَّفَنُّنِ فِي أَنْوَاعِهَا وَأَصْنَافِهَا فَتَكُونُ بِمَنْزِلَةِ الصَّنَائِعِ  
 وَيَحْتَاجُ كُلُّ صِنْفٍ مِنْهَا إِلَى الْقَوْمَةِ عَلَيْهِ وَالْمَهْرَةِ فِيهِ وَيَقْدَرُ مَا يَتَزَيَّدُ مِنْ أَصْنَافِهَا  
 تَتَزَيَّدُ أَهْلُ صِنَاعَتِهَا وَيَتَلَوَّنُ ذَلِكَ الْجِيلُ بِهَا وَمَتَى اتَّصَلَتِ الْأَيَّامُ وَتَعَاقَبَتِ تِلْكَ الصَّنَاعَاتُ  
 حَذَقُوا أُولَئِكَ الصَّنَاعَ فِي صِنَاعَتِهِمْ وَمَهَرُوا فِي مَعْرِفَتِهَا وَالْأَعْيَارُ يَطْوِلُهَا وَانْفِسَاحُ أَمَدِهَا  
 وَتَكَرُّرُ أَمْثَالِهَا تَزِيدُهَا اسْتِعْمَالَهَا وَسُخَا وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ ذَلِكَ فِي الْأَمْصَارِ لِاسْتِجَارِ  
 الْعُمَرَانِ وَكَثْرَةِ الرَّفْهِ فِي أَهْلِهَا وَذَلِكَ كُلُّهُ إِنَّمَا يَجِيءُ مِنْ قِبَلِ الدَّوْلَةِ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ  
 تَجْمَعُ أَمْوَالَ الرَّعِيَّةِ وَتَنْفِقُهَا فِي بَطَانَتِهَا وَرِجَالِهَا وَتَنْسَعُ أحوالَهُمْ بِأَجَاهِ أَكْثَرِ مَنْ  
 اتَّسَعِهَا بِالْأَمْوَالِ فَيَكُونُ دَخْلُ تِلْكَ الْأَمْوَالِ مِنَ الرَّعَايَا وَخَرْجُهَا فِي أَهْلِ الدَّوْلَةِ ثُمَّ فِي  
 مَنْ تَعَلَّقَ بِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ وَهُمْ الْأَكْثَرُ فَتَعْظُمُ لِدَيْكَ ثَرْوَتُهُمْ وَيَكْثُرُ غِنَاهُمْ وَتَزِيدُ  
 عَوَائِدُ التَّرْفِ وَمَدَاهِبُهُ وَتَسْتَحْكِمُ لِدَيْهِمْ الصَّنَائِعُ فِي سَائِرِ فَنُونِهِ وَهَذِهِ هِيَ الْحِضَارَةُ .  
 وَلِهَذَا تَحِيدُ الْأَمْصَارَ الَّتِي فِي الْقَاصِبَةِ وَأَوَّكَانَتْ مَوْفُورَةَ الْعُمَرَانِ تَعَلَّبُ عَلَيْهَا أحوالُ الْبِدَاوَةِ  
 وَتَبْعُدُ عَنِ الْحِضَارَةِ فِي جَمِيعِ مَدَاهِبِهَا بِخِلَافِ الْمَدِينِ الْمُتَوَسِّطَةِ فِي الْأَفْطَارِ الَّتِي هِيَ  
 مَرْكَزُ الدَّوْلَةِ وَمَقْرَهُهَا وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِجَوَارَةِ السُّلْطَانِ لَهُمْ وَفِيضِ أَمْوَالِهِ فِيهِمْ كَلَّمَاءُ  
 يَخْضَرُ مَا قَرُبَ مِنْهُ فَمَا قَرُبَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْجَنُوفِ عَلَى الْبَعْدِ وَقَدْ قَدَّمْنَا  
 أَنَّ السُّلْطَانَ وَالدَّوْلَةَ سَوَقٌ لِلْعَالَمِ فَالْبَضَائِعُ كُلُّهَا مَوْجُودَةٌ فِي السُّوقِ وَمَا قَرُبَ مِنْهُ وَإِذَا  
 أَبْعَدَتْ عَنِ السُّوقِ أَفْنَقَدَتْ الْبَضَائِعُ جُمْلَةً ثُمَّ إِنَّهُ إِذَا اتَّصَلَتْ تِلْكَ الدَّوْلَةُ وَتَعَاقَبَتْ  
 مَلُوكُهَا فِي ذَلِكَ الْمِصْرِ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ اسْتَحْكَمَتِ الْحِضَارَةُ فِيهِمْ وَزَادَتْ رُسُوخًا  
 وَاعْتَبَرَتْ ذَلِكَ فِي الْيَهُودِ لَمَّا طَالَ مَلِكُهُمْ بِالشَّامِ نَحْوًا مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ رَسَخَتْ  
 حَضَارَتُهُمْ وَحَذَفُوا فِي أحوالِ الْمَعَاشِ وَعَوَائِدِهِ وَالتَّفَنُّنِ فِي صِنَاعَاتِهِ مِنَ الْمَطَاعِمِ  
 وَالْمَلَائِسِ وَسَائِرِ أحوالِ الْمَنْزِلِ حَتَّى إِنَّهَا لَتَتَوَخَّذُ عَنْهُمْ فِي الْغَالِبِ إِلَى الْيَوْمِ وَرَسَخَتْ  
 الْحِضَارَةُ أَيْضًا وَعَوَائِدُهَا فِي الشَّامِ مِنْهُمْ وَمِنْ دَوْلَةِ الرُّومِ بَعْدَهُمْ سِتْمِائَةِ سَنَةٍ فَكَانُوا  
 فِي غَايَةِ الْحِضَارَةِ . وَكَذَلِكَ أَيْضًا الْقُبْطُ دَامَ مَلِكُهُمْ فِي الْخَلِيقَةِ ثَلَاثَةَ أَلْفٍ مِنَ السِّنِينَ  
 فَرَسَخَتْ عَوَائِدُ الْحِضَارَةِ فِي بِلَدِهِمْ مِصْرَ وَأَعْقَبَهُمْ بِهَا مَلِكُ الْيُونَانِ وَالرُّومِ ثُمَّ مَلِكُ  
 الْأِسْلَامِ النَّاسِخُ لِلْكَسَلِ فَلَمْ تَزَلْ عَوَائِدُ الْحِضَارَةِ بِهَا مُتَّصِلَةً وَكَذَلِكَ أَبْضَارَ سَخَتْ

عوائد الحضارة باليمن لاتصال دولة العرب بها منذ عهد العماليمة والتبابعة الآفا  
 من السنين وأغلبهم ملك مصر وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة الببط والفرنس  
 بها من لدن الكلدانيين والكيانية والكسروية والعرب بعدهم الآفا من السنين فلم  
 يكن على وجه الأرض لهذا العهد أحضر من أهل الشام والعراق ومصر وكذا أيضاً  
 رسخت عوائد الحضارة واستحكمت بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط  
 ثم ما أعقبها من ملك بني أمية الآفا من السنين وكلتا الدولتين عظيمة فانتصت فيها  
 عوائد الحضارة واستحكمت. وأما أفريقية والمغرب فلم يكن بها قبل الإسلام  
 ملك ضخم إنما قطع الأفرنجية إلى أفريقية البحر وماكوا الساحل وكانت طاعة  
 البربر أهل الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة فكانوا على قاعة وأوفاز وأهل المغرب  
 لم يجاوزهم دولة وإنما كانوا يبعثون بطاعتهم إلى القوط من وراء البحر ولما جاء  
 الله بالإسلام وملك العرب أفريقية والمغرب لم يلبث فيهم ملك العرب إلا قليلاً  
 أول الإسلام وكانوا لذلك العهد في طور البداوة ومن أسنقر منهم بأفريقية والمغرب  
 لم يجد بهما من الحضارة ما يقدد فيه من سلفه إذ كانوا برابر منعمسين في البداوة  
 ثم انتفض برابرة المغرب الأقصى لأقرب العهود على يد مبصرة المطرفي أيام هشام  
 ابن عبد الملك ولم يرجعوا أمر العرب بعد واستقلوا بأمر أنفسهم وإن بايعوا  
 لأدريس فلا تعد دولته فيهم عربية لأن البرابر هم الذين تولوها ولم يكن من العرب  
 فيها كثير عدد وبقية للأغلبة ومن إليهم من العرب فكان لهم من الحضارة  
 بعض الشيء بما حصل لهم من ترف الملك ونعيمه وكثرة عمران القيروان وورث  
 ذلك عنهم كتمامه ثم صنهجة من بعدهم وذلك كله قليل لم يبلغ أربعين سنة  
 وانصرفت دولتهم واستحالت صبغة الحضارة بما كانت غير مستحكمة وتغلب  
 بدو العرب الهلاليين عليها وخرّبوها وبقي أثر خفي من حضارة العمران فيها وإلى هذا  
 العهد يؤنس فيمن سلف له بالقامة أو القيروان أو المهديّة سلف فتجد له من الحضارة  
 في شؤون منزله وعوائد أحواله آثاراً ملتبسة بغيرها يميزها الحضري البصير بها وكذا  
 في أكثر أمصار أفريقية وأيس كذلك في المغرب وأمصاره لرؤخ الدولة بأفريقية  
 أكثر أمداً منذ عهد الأغلبة والشيعية وصنهجة وأما المغرب فانتقل إليه منذ دولة

الْمَوْجِدِينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ حَظٌّ كَبِيرٌ مِنَ الْحَضَارَةِ وَاسْتَحْكَمَتْ بِهِ عَوَائِدُهَا بِمَا كَانَ  
 لِدَوَائِمِهِمْ مِنَ الْأَسْتِيْلَاءِ عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَانْتَقَلَ الْكَثِيرُ مِنْ أَهْلِهَا إِلَيْهِمْ طَوْعًا  
 وَكَرْهًا وَكَانَتْ مِنْ اتِّسَاعِ النَّطَاقِ مَا عَلِمْتَ فَكَانَ فِيهَا حَظٌّ صَالِحٌ مِنَ الْحَضَارَةِ  
 وَاسْتَنْجَمَهَا وَمُعْظَمُهَا مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ثُمَّ انْتَقَلَ أَهْلُ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ جَالِيَةِ  
 الْأَنْصَارِيِّ إِلَى أَفْرِيقِيَّةٍ فَأَبْقَوْا فِيهَا وَبِأَمْصَارِهَا مِنَ الْحَضَارَةِ آثَارًا وَمُعْظَمُهَا بِتُونِسَ  
 أَمْتَزَجَتْ بِحَضَارَةِ مِصْرَ وَمَا يَنْقُلُهُ الْمَسَافِرُونَ مِنْ عَوَائِدِهَا فَكَانَ بِذَلِكَ لِلْمَغْرِبِ  
 وَأَفْرِيقِيَّةِ حَظٌّ صَالِحٌ مِنَ الْحَضَارَةِ عَنِّي عَلَيْهِ الْخُلَاءُ وَرَجَعَ إِلَى أَعْقَابِهِ وَعَادَ الْبَزِيرُ  
 بِالْمَغْرِبِ إِلَى أَدْيَانِهِمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْخُسُونَةِ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَأَثَارُ الْحَضَارَةِ بِأَفْرِيقِيَّةِ  
 أَكْثَرَ مِنْهَا بِالْمَغْرِبِ وَأَمْصَارِهِ بَاتَ تَدَاوُلَ فِيهَا مِنَ الدُّوَلِ السَّالِفَةِ أَكْثَرَ مِنَ الْمَغْرِبِ  
 وَلِقُرْبِ عَوَائِدِهِمْ مِنْ عَوَائِدِ أَهْلِ مِصْرَ بِكَثْرَةِ الْمُرَدِّدِينَ بَيْنَهُمْ . فَتَفَطَّنَ لِهَذَا  
 السِّرِّ فَإِنَّهُ خَفِيَ عَنِ النَّاسِ وَعَلِمَ أَنَّهَا أُمُورٌ مُتَنَاسِبَةٌ وَهِيَ حَالُ الدُّوَلَةِ فِي الْقُوَّةِ  
 وَالضَّعْفِ وَكَثْرَةِ الْأُمَّةِ أَوْ الْجِيلِ وَعَظْمِ الْمَدِينَةِ أَوْ الْمِصْرِ وَكَثْرَةِ النِّعْمَةِ وَالْيَسَارِ  
 وَذَلِكَ أَنَّ الدُّوَلَةَ وَالْمَلِكَ صُرْدَةُ الْخَلِيقَةِ وَالْعُمْرَانَ وَكُلَّهَا مَادَةٌ لِهَامِنِ الرَّعَايَا وَالْأَمْصَارِ  
 وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَأَمْوَالِ الْحِبَابِيَّةِ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ وَيَسَارُهُمْ فِي الْغَالِبِ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ  
 وَإِذَا أَفَاضَ السُّلْطَانُ عَطَاءَهُ وَأَمْوَالَهُ فِي أَهْلِهَا أَنْبَتَتْ فِيهِمْ وَرَجَعَتْ إِلَيْهِ ثُمَّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ  
 فَهِيَ ذَاهِبَةٌ عَنْهُمْ فِي الْحِبَابِيَّةِ وَالْخِرَاجِ عَائِدَةٌ عَلَيْهِمْ فِي الْعَطَاءِ فَعَلَى نِسْبَةِ حَالِ الدُّوَلَةِ  
 يَكُونُ يُسَارُ الرَّعَايَا وَعَلَى نِسْبَةِ يُسَارِ الرَّعَايَا وَكَثْرَتِهِمْ يَكُونُ مَالُ الدُّوَلَةِ وَأَصْلُهُ  
 كُلُّهُ الْعُمْرَانُ وَكَثْرَتُهُ فَأَعْتَبَرُهُ وَتَأَمَّلْهُ فِي الدُّوَلِ تَجِدُهُ وَاللَّهُ يُحْكِمُ وَلَا مَعْقَبَ لِحُكْمِهِ

### الفصل الثامن عشر

فِي أَنَّ الْحَضَارَةَ غَايَةَ الْعُمْرَانَ وَنَهَايَةَ لِعَمْرِهِ وَأَنَّهَا مُؤَذَنَةٌ بِفَسَادِهِ  
 قَدْ بَيَّنَّا لَكَ فِيمَا سَلَفَتْ أَنَّ الْمَلِكَ وَالدُّوَلَةَ غَايَةَ لِلْعَصِيَّةِ وَأَنَّ الْحَضَارَةَ غَايَةَ لِلْبِدَاوَةِ وَأَنَّ  
 الْعُمْرَانَ كُلَّهُ مِنْ بِدَاوَةٍ وَحَضَارَةٍ وَمَلِكٍ وَسُوقَةٍ لَهُ عُمُرٌ مُحْسُوسٌ كَمَا أَنَّ لِلشَّخْصِ الْوَاحِدِ مِنْ  
 اشْتِخَاصِ الْمَكُونَاتِ عُمُرًا مُحْسُوسًا وَتَبَيَّنَ فِي الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ أَنَّ الْأَرْبَعِينَ لِلْإِنْسَانِ  
 غَايَةٌ فِي تَزَايُدِ قُوَّاهُ وَنُمُوِّهَا وَإِنَّهُ إِذَا بَلَغَ سِنَّ الْأَرْبَعِينَ وَقَفَّتِ الطَّبِيعَةُ عَنْ أَثَرِ الشُّؤْمِ  
 وَالنُّمُوِّ بَرَهَةً ثُمَّ تَأْخُذُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَنْحِطَاطِ فَلَنَعْلَمَنَّ أَنَّ الْحَضَارَةَ فِي الْعُمْرَانَ أَيْضًا

كذلك لأنه غاية لا مزيد وراءها وذلك أن الترف والنعمة إذا حصل لأهل العمران  
 دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والنخلة بعوائدها وحضارة كما علمت هي التفتن  
 في الترف واستجداد أحواله والكلف بالصنائع التي توثق من أصنافه وسائر فنونه  
 من الصنائع المهيبة للمطابخ أو الملابس أو المباني أو الفرش أو الأنية ولسائر  
 أحوال المنزل وللتأني في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج إليها عند  
 البداوة وعدم التأني فيها وإذا بلغ التأني في هذه الأحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة  
 الشهوات فنتلون النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها  
 ولا دنياها أما دنياها فلا تستحكام صيغة العوائد التي يعسر زرعها وأما دنياها فلكثرة  
 الحاجات والهونات التي تطالب بها العوائد ويحجز وينكب عن الوفاء بها. ويأنه أن  
 المصير بالتفتن في الحضارة تعظم نفقات أهله وحضارة تنفاوت بتفاوت العمران فمتى  
 كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل وقد كما قدمنا أن المصير الكثير  
 العمران يختص بالغلاء في أسواقه وأسعار حاجته ثم تزيد المكوس علاء لأن  
 الحضارة إنما تكون عند انتهاء الدولة في استنفالها وهو زمن وضع المكوس في  
 الدول لكثرة خرجها حينئذ كما تقدم والدكوس تعود إلى البياعات بالغلاء لأن  
 الأسواق والتجار كلهم يحسبون على ساعهم وبضائعهم جميع ما ينفقونه حتى في مؤنة  
 أنفسهم فيكون المكس لذلك داخل في قيم البياعات وأثمانها فعظم نفقات أهل  
 الحضارة وتخرج عن القصد إلى الإسراف ولا يجدون وليجة عن ذلك لما ملكهم من  
 أثر العوائد وطاعتها وتذهب بمكاسيهم كلها في النفقات ويتتابعون في الإملاق  
 والخاصة ويغلب عليهم الفقر ويقبل المستأمنون للمبائع فيكسد الأسواق ويفسد  
 حال المدينة وداعية ذلك كله إفراط الحضارة والترف وهذه مفيدات في المدينة  
 على العموم في الأسواق والعمران وأما ساد أهلها في ذاتهم واحدا واحدا على الخصوص  
 فن الكد والتعب في حاجات العوائد والتلون بالأوان السرى في تخصيصها وما يعود على  
 النفس من الضرر بعد تخصيصها بحصول لون آخر من ألوانها فلذلك يكثر منهم الفسق  
 والشر والسفسفة والتحيل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتنصرف  
 النفس إلى الفكر في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة له فجدد أجرباء على

الكذب والمقامرة والغش والخلافة والسرقه والتجور في الايمان والزبا في البيعات  
 ثم تجدهم ابصر بطرق الفسق ومداهبه والنجاهرة به وبدواعيه واطراح الحشمة  
 في الخوض فيه حتى بين الاقارب وذوي الحرام الذين تقتضي البدوة الحياء منهم  
 في الإقذاع بذلك وتجدهم ايضا ابصر بالمكر والخديعة يدعون بذلك ما عساه ان ينالهم  
 من القهر وما يتوقعونه من العقاب على تلك القبائح حتى يصير ذلك عادة وخلقا  
 لا كثرهم الا من عصمه الله ويموج بحر المدينة بالسفلة من اهل الاخلاق الذميمة  
 ويجاريهم فيها كثير من ناشئة الدولة وولدانهم ممن اتميل عن التأديب وغلب عليه  
 خلق الجوار وان كانوا اهل انساب وبيوتات وذلك ان الناس بشر متماثلون وانما  
 تتماثلوا وتميزوا بالخلق واكتساب الفضائل واجتناب الرذائل فمن استحكمت فيه  
 لم ينفعه زكاه نسبه ولا طيب منته ولهدا تجد كثيرا من اعقاب البيوت وذوي  
 الاحساب والاصالة واهل الدول منطرحين في الغمار منتحلين للحرف الدنيئة في  
 معاشهم بما فسد من اخلاقهم وما تلونوا به من صبغة الشر والسففة واذا كثر ذلك  
 في المدينة او الامة تاذن الله بخرابها وانقراضها وهو معنى قوله تعالى واذ اردنا ان  
 نهلك قرية امرنا متر فيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ووجهه حينئذ  
 ان مكاسبهم حينئذ لا تفي بحاجاتهم لكثرة العوائد ومطالبة النفس بها فلا تستقيم  
 احوالهم واذا فسدت احوال الاشخاص واحدا واحدا اختل نظام المدينة وخربت  
 وهذا معنى ما يقوله بعض اهل الخواص ان المدينة اذا كثر فيها غرس النارج  
 تاذنت بالخراب حتى ان كثيرا من العامة يتحامي غرس النارج بالدور وليس المراد  
 ذلك ولا انه خاصية في النارج وانما معناه ان البساتين واجزاء المياه هو من  
 توابع الحضارة ثم ان النارج واللية والسرو وامثال ذلك مما لا طعم فيه ولا منفعة  
 هو من غاية الحضارة اذ لا يقصد بها في البساتين الا اشكالها فقط ولا تغرس الا بعد  
 التفتن في مذهب الترف وهذا هو الطور الذي يخشى معه هلاك المصر وخرابه كما  
 قلناه ولقد قيل مثل ذلك في الدفلى وهو من هذا الباب اذ الدفلى لا يقصد بها الا  
 تكون البساتين بنورها ما بين احمر وبيض وهو من مذهب الترف ومن مفسد  
 الحضارة لانهمك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التفتن في شهوات

البطن من الماء كل والملاد فيفضي ذلك إلى فساد النوع فأفهم ذلك واعتبر به  
أن غاية العمران هي الحضارة والترف وأنه إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد وأخذ في  
الهزم كالاعمار الطبيعية للحيوانات بل نقول إن الأخلاق الحاصلة من الحضارة والترف  
هي عين الفساد لأن الإنسان إنما هو إنسان بأقذاره على جلب منفعه ودفع مضاره  
واستقامة خلقه للسعي في ذلك والحضري لا يقدر على مباشرته حاجاته إماماً عجزاً لما  
حصل له من الدعة أو ترفعاً لما حصل له من المرئى في النعيم والترف وكلا الأمرين  
ذميم وكذا لا يقدر على دفع المضار واستقامة خلقه للسعي في ذلك والحضري بما  
قد فقد من خلق الإنسان بالترف والنعيم في قهر التأديب فهو بذلك عيال على الحامية  
التي تدافع عنه ثم هو فاسد أيضاً غالباً بما فسدت منه العوائد وطاعتها وما تلونت به  
النفوس من مكائنها كما قررناه إلا في الأقل النادر وإذا فسد الإنسان في قدرته  
على أخلافه ودينه فقد فسدت إنسانيته وصار مسخاً على الحقيقة وبها الاعتبار كان  
الذين يتربون على الحضارة وخلقها موجودون في كل دولة فقد تبين أن الحضارة هي  
سنة الوقوف لعمر العالم في العمران والدولة والله سبحانه وتعالى كل يوم هو في شأن  
لا يشغله شأن عن شأن

### الفصل التاسع عشر

في ان الامصار التي تكون كراسي للملك تحرب بحراب الدولة وانقراضها  
قد استقرينا في العمران ان الدولة اذا اختلت وانتقضت فان المصير الذي  
يكون كرسياً لسلطانها ينتقض عمرانه وربما ينتهي في انتقاضه إلى الخراب ولا يكاد  
ذلك يتخلف والسبب فيه امور الاول ان الدولة لا بد في اولها من البداوة المقتضية  
للتجاني عن اموال الناس والبعد عن التحدث ويدعو ذلك إلى تخفيف الجباية والمغارم  
التي منها مادة الدولة فتقل النفقات ويقل الترف فاذا صار المصير الذي كان كرسياً  
للملك في ملكة هذه الدولة المتجددة ونقصت احوال الترف فيها نقص الترف  
فيمن تحت ايديها من اهل المصير لأن الرعايا تبع للدولة فيرجعون إلى خلق الدولة  
أما طوعاً إما في طابع البشر من تقليد متبوعهم أو كرهاً لما يدعو إليه خلق الدولة  
من الانقباض عن الترف في جميع الاحوال وقلة الفوائد التي هي مادة العوائد فتقصر

لتلك حضارة المصير ويذهب منه كثير من عوائد الترف وهو معنى ما نقول في خراب  
 المصير . الأمر الثاني أن الدولة إنما يحصل لها الملك والأستيلاء بالغلب وإنما  
 يكون بعد العداوة والحروب والعداوة تقتضي منافاة بين أهل الدولتين وتكثر  
 أحدهما على الأخرى في العوائد والأحوال وغلب أحد المتنافسين يذهب بالمنافي  
 الآخر فتكون أحوال الدولة السابقة منكراً عند أهل الدولة ومستبشعةً وقبيحةً  
 وخصوصاً أحوال الترف فتفقد في عرفهم بنكير الدولة لها حتى تنشأ لهم بالتدريج  
 عوائد أخرى من الترف فتكون عنها حضارة مستأنفة وفيما بين ذلك قصود الحضارة  
 الأولى ونقصها وهو معنى اختلال العمران في المصير . الأمر الثالث أن كل أمة لا  
 يد لهم من وطن وهو منشاغهم ومنه أولية ملكهم وإذا ملكوا ملكاً آخر صار تبعاً  
 للأول وأمصاره تابعة لامصار الأول واتسع نطاق الملك عليهم ولا بد من توسط  
 الكرسي نخوم الممالك التي للدولة لأنه شبه المركز للنطاق فيبعد مكانه عن  
 مكان الكرسي الأول وتهوى أفئدة الناس من أجل الدولة والسطان فينتقل إليه  
 العمران ويخف من مصير الكرسي الأول والحضارة إنما هي توفر العمران كما  
 قدمناه فتتقص حضارته وتمدنه وهو معنى اختلاله وهذا كما وقع للسجوقية في عدولهم  
 بكرسيهم عن بغداد إلى أصبهان ولعرب قبلهم في العدول عن المدائن إلى الكوفة  
 والبصرة ولبنو العباس في العدول عن دمشق إلى بغداد ولبنو مرين بالغرب في  
 العدول عن مراكش إلى فاس وبالجملة فاتخاذ الدولة الكرسي في مصر  
 يخل بعمران الكرسي الأول . الأمر الرابع أن الدولة الثانية لا بد فيها من تبع  
 أهل الدولة السابقة وأشياغها بتحويلهم إلى قطر آخر يؤمن فيه غائلتهم على الدولة  
 وأكثر أهل المصير الكرسي أشياغ الدولة إما من الحامية الذين نزلوا به أول  
 الدولة أو أعيان المصير لأن لهم في الغالب مخالطة للدولة على طبقاتهم وتنوع أصنافهم  
 بل أكثرهم ناشئ في الدولة فهم شعبة لها وإن لم يكونوا بالشوكة والعصبية فهم  
 بالميل والمحبة والعقيدة وطبيعة الدولة المتجددة نحو آثار الدولة السابقة فينقلهم  
 من مصر الكرسي إلى وطنها المتمكن في ملكتها فبعضهم على نوع التغريب  
 والحبس وبعضهم على نوع الكرامة والتلطف بحيث لا يؤدي إلى النفرة حتى لا يبقى في

مَضْرُ الكُرْسِيِّ إِلَّا الْبَاعَةَ وَالْمَمْلُ مِنْ أَهْلِ الْفَلَحِ وَالْعِبَارَةَ وَسَوَادَ الْعَامَةِ وَيَنْزِلُ مَكَانَهُمْ  
 حَامِيَتَهَا وَأَشْيَاعَهَا مَنْ يَشْتَدُّ بِهِ الْمِضْرُ وَإِذَا ذَهَبَ مِنَ الْمِضْرِ أَعْيَانُهُمْ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ نَقَصَ  
 سَاكِنُهُ وَهُوَ مَعْنَى اخْتِلَالِ عُمَرَانِهِ ثُمَّ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَسْتَجِدَّ عُمَرَانَ آخَرَ فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ  
 الْجَدِيدَةِ وَتَحْصُلُ فِيهِ حِضَارَةٌ أُخْرَى عَلَى قَدَرِ الدَّوْلَةِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمِثَابَةِ مَنْ لَهُ بَيْتٌ عَلَى  
 أَوْصَافٍ مَخْصُوصَةٍ فَأَظْهَرَ مِنْ قُدْرَتِهِ عَلَى تَغْيِيرِ تِلْكَ الْأَوْصَافِ وَإِعَادَةِ بِنَائِهَا عَلَى مَا يَخْتَارُهُ  
 وَيَقْتَرِحُهُ فَيَجْرُبُ ذَلِكَ الْبَيْتَ ثُمَّ بَعِيدٌ بِنَاءُهُ ثَانِيًا وَقَدْ وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ كَثِيرٌ فِي الْأَمْصَارِ الَّتِي  
 هِيَ كُرَاسِي الْمَلِكِ وَشَاهِدَانَهُ وَعَلِمَانَهُ وَاللَّهُ يَقْدِرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. وَالسَّبَبُ الطَّبِيعِيُّ الْأَوَّلُ  
 فِي ذَلِكَ عَلَى الْجُمْلَةِ أَنَّ الدَّوْلَةَ وَالْمَلِكَ لِلْعُمَرَانَ بِثَابِتَةِ الصُّورَةِ لِلْمَادَّةِ وَهُوَ الشَّكْلُ الْخَافِظُ  
 بِنُوعِهِ لَوْجُودِهَا وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي عُلُومِ الْحِكْمَةِ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْتِكَارُ أَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ  
 فَالدَّوْلَةُ دُونَ الْعُمَرَانَ لَا تُتَّصَرَفُ وَالْعُمَرَانَ دُونَ الدَّوْلَةِ وَالْمَلِكُ مُتَعَدِّدٌ لِمَا فِي طَبَاعِ  
 الْبَسْرِ مِنَ الْعُدْوَانِ الدَّاعِي إِلَى الْوِازِعِ فَتَتَعَيَّنُ السِّيَادَةُ لِذَلِكَ إِمَّا الشَّرْعِيَّةَ أَوِ الْمَلِكِيَّةَ  
 وَهُوَ مَعْنَى الدَّوْلَةِ وَإِذَا كَانَا لَا يَنْفَكَا فَاخْتِلَالُ أَحَدِهِمَا مُؤَثِّرٌ فِي اخْتِلَالِ الْآخَرِ  
 كَمَا أَنَّ عَدَمَهُ مُؤَثِّرٌ فِي عَدَمِهِ وَالْخَلَلُ الْعَظِيمُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ خَلَلِ الدَّوْلَةِ الْكَلِمَةَ  
 مِثْلَ دَوْلَةِ الرُّومِ أَوِ الْفَرَسِ أَوِ الْعَرَبِ عَلَى الْعُمُومِ أَوْ بِنِي أُمِيَّةٍ أَوْ بِنِي الْعَبَّاسِ كَذَلِكَ  
 وَأَمَّا الدَّوْلَةُ الشَّخْصِيَّةُ مِثْلَ دَوْلَةِ نُوشَرَوَانَ أَوْ هَرْقَلِ أَوْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَوْ  
 الرَّشِيدِ فَأَشْخَاصًا مُتَعَاقِبَةً عَلَى الْعُمَرَانَ حَافِظَةً لَوْجُودِهِ وَبِقَائِهِ وَقَرِيبَةً الشَّبهِ بَعْضُهَا  
 مِنْ بَعْضٍ فَلَا تُؤَثِّرُ كَثِيرٌ اخْتِلَالُ لِأَنَّ الدَّوْلَةَ بِالْحَقِيقَةِ الْفَاعِلَةَ فِي مَادَّةِ الْعُمَرَانَ إِنَّمَا  
 هِيَ الْعَصَبِيَّةُ وَالشُّوْكَةُ وَهِيَ مُسْتَمْرَةٌ عَلَى أَشْخَاصِ الدَّوْلَةِ فَإِذَا ذَهَبَتْ تِلْكَ الْعَصَبِيَّةُ وَدَفَعَتْهَا  
 عَصَبِيَّةٌ أُخْرَى مُؤَثِّرَةٌ فِي الْعُمَرَانَ ذَهَبَتْ أَهْلُ الشُّوْكَةِ بِاجْتِمَاعِهِمْ وَعَظْمِ الْخَلَلِ كَمَا  
 قَرَّرْنَاهُ أَوَّلًا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل العشرون

في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع دون بعض

وَذَلِكَ أَنَّهُ مِنَ الْبَيِّنِ أَنَّ أَعْمَالَ أَهْلِ الْمِضْرِ يَسْتَدْعِي بَعْضُهَا بَعْضًا لِمَا فِي طَبِيعَةِ  
 الْعُمَرَانَ مِنَ التَّعَاوُنِ وَمَا يَسْتَدْعِي مِنَ الْأَعْمَالِ يَخْتَصُّ بِبَعْضِ أَهْلِ الْمِضْرِ فَيَقُومُونَ عَلَيْهِ  
 وَيَسْتَبْصِرُونَ فِي صِنَاعَتِهِ وَيَحْتَصُونَ بِوُظَيْفَتِهِ وَيَجْعَلُونَ مَعَاشَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَهُمْ مِنْهُ لِعُمُومِ

الْبَلْوَى بِهِ فِي الْمَصْرِ وَالْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَمَا لَا يَسْتَدْعِي فِي الْمَصْرِ يَكُونُ غَفْلًا إِذْ لَا فَائِدَةَ  
لِمُنْتَحِلِهِ فِي الْأَحْتِرَافِ بِهِ وَمَا يَسْتَدْعِي مِنْ ذَلِكَ لِضَرُورَةِ الْمَعِاشِ فَيُوجَدُ فِي كُلِّ مَصْرٍ  
كَالْحَيَّاطِ وَالْحُدَّادِ وَالنَّجَّارِ وَأَمْثَالِهَا وَمَا يَسْتَدْعِي لِعَوَائِدِ التَّرْفِ وَأَحْوَالِهِ فَإِنَّمَا يُوجَدُ  
فِي الْمَدِينِ الْمُسْتَبَجِرَةِ فِي الْعِمَارَةِ الْأَخْذَةِ فِي عَوَائِدِ التَّرْفِ وَالْحَضَارَةِ مِثْلَ الزَّجَاجِ  
وَالصَّائِغِ وَالْدِهَانِ وَالطَّبَّاحِ وَالصَّنَّارِ وَالْفَرَّاسِ وَالذَّبَّاحِ وَأَمْثَالِ هَذِهِ وَهِيَ مُتَفَاوِتَةٌ  
وَيَقْدَرُ مَا تَرِيدُ عَوَائِدُ الْحَضَارَةِ وَاسْتَدْعِي أَحْوَالُ التَّرْفِ تَحْدُثُ صِنَاعٌ لِذَلِكَ النَّوْعِ  
فَتُوجَدُ بِذَلِكَ الْمَصْرِدُونَ غَيْرِهِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الْحَمَامَاتُ لِأَنَّهَا إِنَّمَا تُوجَدُ فِي الْأَمْصَارِ  
الْمُسْتَحْضَرَةِ الْمُسْتَبَجِرَةِ الْعُمُرَانِ بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ التَّرْفُ وَالغِنَى مِنَ التَّعَمُّمِ وَلِذَلِكَ  
لَا تَكُونُ فِي الْمَدِينِ الْمَتَوَسِّطَةِ وَإِنْ نَزَعَ بَعْضُ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ إِلَيْهَا فَيَخْتَطُّهَا  
وَيَجْرِي أَحْوَالُهَا إِلَّا أَنَّهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهَا دَاعِيَةٌ مِنْ كَافَّةِ النَّاسِ فَسَرَّعَانَ مَا تُهْجَرُ وَتُخْرَبُ  
وَتَفْرُقُ عَنْهَا الْقَوْمَةُ لِقَلَّةِ فَائِدَتِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ مِنْهَا وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ

### الفصل الحادي والعشرون

في وجود العصبية في الامصار وتغلب بعضهم على بعض

مَنْ الْبَيْنَ أَنَّ الْأَتِّحَامَ وَالْإِتِّصَالَ مَوْجُودٌ فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ نَسَبٍ  
وَاحِدٍ إِلَّا أَنَّهُ كَمَا قَدَّمَاهُ أضعفُ مِمَّا يَكُونُ بِالنَّسَبِ وَأَنَّهُ تَحْصُلُ بِهِ الْعَصَبِيَّةُ بَعْضًا مِمَّا  
تَحْصُلُ بِالنَّسَبِ وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مُلتَحِمُونَ بِالصَّهْرِ يُجَذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَى  
أَنْ يَكُونُوا لِحْمًا لِحْمًا وَقَرَابَةً وَقَرَابَةً وَتَجِدُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالصَّدَاقَةِ مَا يَكُونُ بَيْنَ  
الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ مِثْلَهُ فَيَفْتَرِقُونَ شَيْعًا وَعَصَائِبَ فَإِذَا نَزَلَ الْهَرَمُ بِالْدَوْلَةِ وَانْقَلَصَ ظِلُّ  
الدَّوْلَةِ عَنِ الْقَاصِيَةِ أَحْتَجَّ أَهْلُ أَمْصَارِهَا إِلَى الْقِيَامِ عَلَى أَمْرِهِمُ وَالنَّظْرِ فِي حِمَايَةِ بَلَدِهِمْ  
وَرَجَعُوا إِلَى الشُّورَى وَتَمَيَّزَ الْعَلِيَّةِ عَنِ السَّفَلَةِ وَالنُّفُوسُ بِطِبَاعِهَا مُتَطَوِّلَةٌ إِلَى الْغَلَبِ  
وَالرَّئِيسَةِ فَتَطْمَحُ الْمَشِيخَةُ خِلَافَ الْجَوِّ مِنَ السُّلْطَانِ وَالْدَوْلَةُ الْقَاهِرَةُ إِلَى الْأَسْتِبْدَادِ  
وَيَنَازِعُ كُلُّ صَاحِبَةٍ وَيَسْتَوْصِلُونَ بِالْأَتْبَاعِ مِنَ الْمَوَالِي وَالشَّيْعِ وَالْأَحْلَافِ وَيَبْدُلُونَ  
مَا فِي أَيْدِيهِمْ لِلأَوْعَادِ وَالْأَوْسَابِ فَيَعْضُوبُ كُلُّ إِصْحَابِهِ وَيَتَعَبَّنِ الْغَلْبُ لِبَعْضِهِمْ فَيَعْطِفُ  
عَلَى كَفَائِهِ لِيَقْصُ مِنْ أَعْتَبِهِمْ وَيَتَبَعَهُمْ بِالْقَتْلِ أَوِ التَّغْرِيْبِ حَتَّى يُخَضَّ مِنْهُمْ الشُّوْكَاتُ  
النَّافِذَةُ وَيَقْلَمُ الْأَظْفَارَ الْخَادِشَةَ وَيَسْتَبِدُّ بِمَصْرِهِ أَجْمَعَ وَيَرَى أَنَّهُ قَدْ اسْتَحْدَثَ مُلْكًا

رورثه عقبه فيحدث في ذلك الملك الأصغر ما يحدث في الملك الأعظم من عوارض  
 الحدة والهرم وربما يسمو بعض هؤلاء إلى منازع الملوك الأعظم أصحاب القبائل  
 والعشائر والعصبيات والزخوف والخروب والأفطار والممالك فينتحلون بها من الجلوس  
 على السرير واتخاذ الآلة وإعداد المواكب للسير في أفطار البلد والتختم والحسبية  
 والخطاب بالتمويل ما يستخرج منه من يشاهد أحوالهم لما اتحلوه من شارات الملك التي  
 ليسوا لها بأهل إنما دفعهم إلى ذلك نقلص الدولة والنظام بعض القربات حتى صارت عصية  
 وقد يتنزه بعضهم عن ذلك ويحري على مذهب السداجة فراراً من التعريض بنفسه للشخرية  
 والعبت وقد وقع هذا بأفر بقمه لهذ العهد في آخر الدولة الحفصية لأهل بلاد الجريد  
 من طرابلس وقابس وتوزر ونفطة وقفصة وبسكرة والزاب وما إلى ذلك سما إلى  
 مثلها عند نقلص ظل الدولة عنهم منذ عقود من السنين فاستغلبوا على أمصارهم  
 واستبدوا بأمرها على الدولة في الأحكام والحجاية وأعطوا طاعة معروفة وصفقة  
 ممرضة وأقطعوها جانباً من الملائنة والملاطفة والانتقياد وهم بمعزل عنه وأورثوا  
 ذلك أعقابهم لهذا العهد وحدث في خلفهم من الغلظة والتجبر ما يحدث لأعقاب الملوك  
 وخلفهم ونظموا أنفسهم في عداد السلاطين على قرب عهدهم بالسوقه حتى نحا ذلك  
 مولانا أمير المؤمنين أبو العباس وانتزع ما كان بأيديهم من ذلك كما نذكره في  
 أخبار الدولة وقد كان مثل ذلك وقع في آخر الدولة الصنهاجية واستقل بأمصار الجريد  
 أهلها واستبدوا على الدولة حتى انتزع ذلك منهم شيخ الموحدين ومليكهم عبد المؤمن  
 بن علي وقتلهم كلهم من إماراتهم بها إلى المغرب ونحا من تلك البلاد آثارهم كما  
 نذكر في أخباره وكذا وقع بسبته لآخر دولة بني عبد المؤمن وهذا التغلب يكون  
 غالباً في أهل السروات والبيوتات المرشحين للمشيخة والرئاسة في المصير وقد يحدث  
 التغلب لبعض السفلة من الغوغاء والدهماء وإذا حصلت له العصية والالتحام بالأوغاد  
 لأسباب يجرداً له المقدار فيتغلب على المشيخة والعيبة إذا كانوا فاقدين للعصبة والله  
 سبحانه وتعالى غالب على أمره

## الفصل الثاني والعشرون

في لغات اهل الامصار

اعلم ان لغات اهل الامصار انما تكون بلسان الامة او الجليل الغالبيين عليها او  
 النحطيين لها ولذلك كانت لغات الامصار الاسلامية كلها بالشرق والغرب لهذا  
 العهد عربية وان كان اللسان العربي المضرى قد فسدت ملكته وتغير اعزابه  
 والسبب في ذلك ما وقع للدولة الاسلامية من الغلب على الامة والدين والملة صورة  
 الوجود والملك وكلها مواد له والصورة مقدمة على المادة والدين انما يستفاد من  
 الشريعة وهي بلسان العرب لما ان النبي صلى الله عليه وسلم عربي فوجب هجر ما سوى  
 اللسان العربي من الالسن في جميع ممالكها واعتبر ذلك في نهي عمر رضي الله عنه  
 عن بطانة الاعاجم وقال انها خب ابي مكر وخديعة فلما هجر الدين اللغات الاعجمية  
 وكان لسان القانمين بالدولة الاسلامية عربيا هجرت كلها في جميع ممالكها لان  
 الناس تبع للسلطان وعلى دينه فصار استعمال اللسان العربي من شعائر الاسلام  
 وطاعة العرب وهجر الامة لغاتهم ولسانهم في جميع الامصار والممالك وصار اللسان  
 العربي لسانهم حتى رسخ ذلك لغة في جميع امصارهم ومدنهم وصارت الالسنة  
 الاعجمية دخيلة فيها وعربية ثم فسدت اللسان العربي بمخالطتها في بعض احكامه وتغير  
 واخره وان كان بقي في الدلالات على اصله وسمي لسانا حضريا في جميع امصار  
 الاسلام وايضا فكثر اهل الامصار في الملة لهذا العهد من اعقاب العرب المالكين  
 لها الهالكين في ترفها بما كثروا العجم الذين كانوا بها وورثوا ارضهم وديارهم واللغات  
 متوارثة فبقيت لغة الاعقاب على حيال لغة الاباء وان فسدت احكامها بمخالطة  
 الاعجم شيئا فشيئا وسميت لغتهم حضرية منسوبة الى اهل الحواضر والامصار بخلاف  
 لغة البدو من العرب فانها كانت اعرق في العروبية ولما تملك العجم من الديلم  
 والسجوقية بعدهم بالمشرق وزنانه والبربر بالمغرب وصار لهم الملك والاستيلاء  
 على جميع الممالك الاسلامية فسدت اللسان العربي لذلك وكاد يذهب لولا ما حفظه  
 من عنابة المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حفظ الدين وسار ذلك مرجحا  
 لبقاء لغة العربية المضرية من الشعر والكلام الا قليلا بالامصار فلما ملك التتر

وَالْمَعُولُ بِالْمَشْرِقِ وَلَمْ يَكُونُوا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ ذَهَبَ ذَلِكَ الْمَرْحُوحُ وَفَسَدَتِ اللُّغَةُ  
 الْعَرَبِيَّةُ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَمْ يَبْقَ لَهَا رَسْمٌ فِي الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِالْعِرَاقِ وَخُرَّاسَانَ  
 وَبِلَادِ فَارِسَ وَأَرْضِ الْهِنْدِ وَالسِّنْدِ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَبِلَادِ الشِّمَالِ وَبِلَادِ الرُّومِ وَذَهَبَتْ  
 أَسَالِيبُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الشَّعْرِ وَالْكَلَامِ الْإِقْلَائِلِ يَقَعُ تَعْلِيمُهُ صِنَاعِيًّا بِالْقَوَانِينِ  
 الْمَتَدَارِسَةِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَحَنِظَ كَلَامِهِمْ لِمَنْ يَسِرُّهُ اللهُ تَعَالَى لِذَلِكَ وَرُبَّمَا بَقِيَتْ  
 اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْمَضْرِيَّةُ بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَالْأَنْدَلُسِ بِالْمَغْرِبِ لِبَقَاءِ الدِّينِ طَلَبًا لَهَا  
 فَأُحْفِظَتْ بَعْضُ الشَّيْءِ وَأَمَّا فِي مَمَالِكِ الْعِرَاقِ وَمَا وَرَاءَهُ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ وَلَا عَيْنٌ  
 حَتَّى إِنْ كُتِبَ الْعُلُومُ صَارَتْ تُكْتَبُ بِاللِّسَانِ الْعَجَمِيِّ وَكَذَا تَدْرِيْسُهُ فِي الْجَمَالِسِ  
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ

## الفصل الخامس

### من الكتاب الاول

في المعاش ووجوبه من الكسب والصنائع وما يعرض في ذلك كله  
 من الاحوال وفيه مسائل

### الفصل الاول

في حقيقة الرزق والكسب وشرحهما وان الكسب هو قيمة الاعمال البشرية

اعلم ان الانسان مفتقر بالطبع الى ما يقوته ويمونه في حالته واطواره من لدن نشوئه  
 الى اشده الى كبره والله الغني وانتم الفقراء والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للانسان  
 وامن به عليه في غير ما اية من كتابه فقال خلق لكم ما في السموات وما في الارض جميعا  
 منه وسخر لكم البحر وسخر لكم الفلك وسخر لكم الانعام وكثير من شواهد يد  
 الانسان مبسوطة على العالم وما فيه بما جعل الله له من الاستخلاف وايدي البشر منتشرة  
 فهي مشتركة في ذلك وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الاخر الا يعوض فالانسان متى  
 اقتدر على نفسه وتجاوز الضعفت سعى في اقتناء المكاسب لينفق ما آتاه الله منها  
 في تحصيل حاجاته وضروراته بدفع الاعواض عنها قال الله تعالى فاتبعوا عند الله

الرِّزْقُ وَقَدْ يَحْصُلُ لَهُ ذَلِكَ بِغَيْرِ سَعْيٍ كَالْمَطَرِ الْمُصْلِحِ لِلزَّرْعَةِ وَامْتَالِهِ إِلَّا أَنَّهَا إِنَّمَا  
تَكُونُ مَعِينَةً وَلَا بَدَّ مِنْ سَعْيِهِ مَعَهَا كَمَا يَأْتِي فَتَكُونُ لَهُ تِلْكَ الْمَكْسَبُ مَعَاشًا إِنْ  
كَانَتْ بِمِقْدَارِ الضَّرُورَةِ وَالْحَاجَةِ وَرِيَاشًا وَمُتَمَوْلًا إِنْ زَادَتْ عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ إِنْ ذَلِكَ  
الْحَاصِلُ أَوْ الْمُقْتَنَى إِنْ عَادَتْ مَنَعَتْهُ عَلَى الْعَبْدِ وَحَصَّتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ مِنْ انْتِفَاعِهِ فِي مَصَالِحِهِ  
وَحَاجَاتِهِ سُمِّيَ ذَلِكَ رِزْقًا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا لَكَ مِنْ مَالِكَ مَا أَكَلْتَ  
فَأَفَيْتَ أَوْ لَيْسَتْ فَأَبَيْتَ أَوْ تَصَدَقْتَ فَأَمْضَيْتَ وَإِنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ فِي شَيْءٍ مِنْ مَصَالِحِهِ  
وَلَا حَاجَاتِهِ فَلَا يُسَمَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَالِكِ رِزْقًا وَالْمَتَمَلِّكُ مِنْهُ حَيْثُ يُدْعَى بِسَعْيِ الْعَبْدِ  
وَقُدْرَتِهِ يُسَمَّى كَسْبًا وَهَذَا مِثْلُ التَّرَاثِ فَإِنَّهُ يُسَمَّى بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْهَالِكِ كَسْبًا وَلَا يُسَمَّى  
رِزْقًا إِذْ لَمْ يَحْصُلْ بِهِ مَنْتَفِعٌ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى الْوَارِثِينَ مَتَى انْتَفَعُوا بِهِ يُسَمَّى رِزْقًا هَذَا حَقِيقَةٌ  
سُمِّيَ الرِّزْقُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَقَدْ اشْتَرَطَ الْمُعْتَزِلُ فِي تَسْمِيَتِهِ رِزْقًا أَنْ يَكُونَ بِحَيْثُ  
يَصِحُّ تَمَلُّكُهُ وَمَا لَا يَتَمَلَّكُ عِنْدَهُمْ لَا يُسَمَّى رِزْقًا وَأَخْرَجُوا الْعُصُوبَاتِ وَالْحُرَامَ كُلَّهُ  
عَنْ أَنْ يُسَمَّى شَيْءٌ مِنْهَا رِزْقًا وَاللَّهُ تَعَالَى بِرِزْقِ الْعَاصِبِ وَالظَّالِمِ وَالْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ  
بِرَحْمَتِهِ وَهُدَايَتِهِ مِنْ يَسَاءٍ وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ حُجْجٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعٌ بَسْطِهَا ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ  
الْكَسْبَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالسَّعْيِ فِي الْاِئْتِنَاءِ وَالْقَصْدِ إِلَى التَّحْصِيلِ فَلَا بَدَّ فِي الرِّزْقِ مِنْ  
سَعْيٍ وَعَمَلٍ وَلَوْ فِي تَنَاوُلِهِ وَابْتِغَائِهِ مِنْ وَجْهِهِ قَالَ تَعَالَى فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَالسَّعْيَ  
إِلَيْهِ إِنَّمَا يَكُونُ بِإِقْدَارِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْهَامِهِ فَالْكُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلَا بَدَّ مِنَ الْأَعْمَالِ  
الْإِنْسَانِيَّةِ فِي كُلِّ مَكْسُوبٍ وَمُتَمَوْلٍ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ عَمَلًا بِنَفْسِهِ مِثْلَ الصَّنَاعِ نَظَاهِرٌ  
وَإِنْ كَانَ مُقْتَنَى مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالدَّعْدِينِ فَلَا بَدَّ فِيهِ مِنَ الْعَمَلِ الْإِنْسَانِيِّ كَمَا  
تَرَاهُ وَإِلَّا لَمْ يَحْصُلْ وَلَمْ يَقَعْ بِهِ انْتِفَاعٌ ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْحَجَرَيْنِ الْمَعْدِنَيْنِ مِنَ  
الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فِيمَا أَكَلَّ مَتَمَوْلٍ وَهُمَا الذَّخِيرَةُ وَالْقَنِيَّةُ لِأَهْلِ الْعَالَمِ فِي الْعَالِيَةِ  
وَإِنْ أَقْتَنَى سِوَاهُمَا فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ فَإِنَّمَا هُوَ الْقَصْدُ تَحْصِيلُهُمَا بِمَا يَقَعْ فِي غَيْرِهِمَا مِنْ حَوَالَةِ  
الْأَسْوَاقِ الَّتِي هُمَا عَنْهَا يَهْزَلُ فَمَّا أَصَلَ الْمَكْسَبِ وَالْقَنِيَّةِ وَالذَّخِيرَةَ وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا  
كُلُّهُ فَاعْلَمْ أَنَّ مَا يَفِيدُهُ الْإِنْسَانُ وَيَقْتَنِيهِ مِنَ الْمَتَمَوْلَاتِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّنَاعِ  
فَالْمَقَادُ الْمُقْتَنَى مِنْهُ قِيمَةٌ عَمَلِهِ وَهُوَ الْقَصْدُ بِالْقَنِيَّةِ إِذْ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا الْعَمَلُ وَلَيْسَ  
بِمَقْصُودٍ بِنَفْسِهِ الْقَنِيَّةِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الصَّنَاعِ فِي بَعْضِهَا غَيْرُهَا مِثْلُ الْجَارَةِ وَالْحَيَاكَةِ

مَعَهَا الْخَشَبُ وَالْغَزْلُ إِلَّا أَنَّ الْعَمَلَ فِيهِمَا أَكْثَرُ فَعِيْمَتُهُ أَكْثَرُ وَإِنْ كَانَ مِنْ غَيْرِ  
الصَّنَاعِ فَلَا بُدَّ مِنْ قِيْمَةِ ذَلِكَ الْمَقَادِرِ وَالْقَنِيَةِ مِنْ دُخُولِ قِيْمَةِ الْعَمَلِ الَّذِي حَصَلَتْ  
بِهِ إِذْ لَوْلَا الْعَمَلُ لَمْ تَحْصُلْ قَنِيَتُهَا وَقَدْ تَكُونُ مَلَا حِظَةَ الْعَمَلِ ظَاهِرَةً فِي الْكَثِيرِ مِنْهَا  
فَتَجْعَلُ لَهُ حِصَّةً مِنَ الْقِيْمَةِ عَظُمَتْ أَوْ صَغُرَتْ وَقَدْ تَخْفَى مَلَا حِظَةَ الْعَمَلِ كَمَا فِي أَسْعَارِ  
الْأَقْوَاتِ بَيْنَ النَّاسِ فَإِنَّ أَعْتَبَارَ الْأَعْمَالِ وَالنَّفَقَاتِ فِيهَا مَلَا حِظُ فِي أَسْعَارِ الْحُبُوبِ كَمَا  
قَدَّمَاهُ لِكِنَّةِ حِفْظِي فِي الْأَفْطَارِ الَّتِي عِلَاجُ الْفَلْحِ فِيهَا وَمَوْتُهُ بِسِيْرَةٍ فَلَا يَشْعُرُ بِهِ إِلَّا  
الْقَلِيلُ مِنَ أَهْلِ الْفَلْحِ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْمَقَادِرَ وَالْمُكْتَسِبَاتِ كُلَّهَا أَوْ أَكْثَرَهَا إِنَّمَا هِيَ  
قِيْمَةُ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَةِ وَتَبَيَّنَ مَسْمَى الرَّزْقِ وَأَنَّهُ الْمُنْتَمِعُ بِهِ فَقَدْبَانَ مَعْنَى الْكَسْبِ  
وَالرَّزْقِ وَشَرَحَ مَسْمَاهَا وَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا فَقِدْتَ الْأَعْمَالَ أَوْ قَلْتَ بِانْتِقَاصِ الْعُمُرِ أَنْ  
تَأْذَنَ اللَّهُ بِرَفْعِ الْكَسْبِ الْآتِي إِلَى الْأَمْصَارِ الْقَلِيلَةِ السَّاكِنِ كَيْفَ يَقْلُ الرِّزْقُ  
وَالْكَسْبُ فِيهَا أَوْ يُفْقَدَ لِقَلَّةِ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَةِ وَكَذَلِكَ الْأَمْصَارُ الَّتِي يَكُونُ عُمُرَانِهَا  
أَكْثَرَ يَكُونُ أَهْلُهَا أَوْسَعَ أَحْوَالًا وَأَشَدَّ رَفَاهِيَةً كَمَا قَدَّمَاهُ قَبْلُ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ نَقُولُ  
الْعَامَّةُ فِي الْبِلَادِ إِذَا تَنَاقَصَ عُمُرَانِهَا إِنَّمَا قَدْ ذَهَبَ رِزْقُهَا حَتَّى أَنْ الْأَنْهَارَ وَالْعِيُونَ  
يَنْقَطِعُ جِزْيُهَا فِي الْقَفْرِ لِمَا أَنَّ قَوْرَ الْعِيُونَ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْإِنْبَاطِ وَالْإِمْتِرَاءِ الَّذِي هُوَ  
يَالْعَمَلَ الْإِنْسَانِي كَالْحَالِ فِي ضُرُوعِ الْأَنْعَامِ فَلَمَّا يَكُنْ إِنْبَاطٌ وَلَا أَمْتِرَاءٌ نَضَبَتْ وَغَارَتْ  
بِالْجُمْلَةِ كَمَا يَحْفُ الضَّرْعُ إِذَا تَرَكَ أَمْتِرَاؤُهُ وَأَنْظَرُهُ فِي الْبِلَادِ الَّتِي تُعْهَدُ فِيهَا الْعِيُونَ  
لِأَيَّامِ عُمُرَانِهَا ثُمَّ يَأْتِي عَلَيْهَا الْخُرَابُ كَيْفَ تَعُورُ مِيَاهُهَا جُمْلَةً كَانَتْ لَمْ تَكُنْ وَاللَّهُ  
مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

## الفصل الثاني

في وجوه المعاش واصنافه ومذاهبه

أَعْلَمَ أَنَّ الْمَعَاشَ هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ انْتِعَاءِ الرَّزْقِ وَالسَّعْيِ فِي تَحْصِيلِهِ وَهُوَ مَفْعَلٌ مِنَ  
الْعَيْشِ كَأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْعَيْشُ الَّذِي هُوَ الْحَيَاةُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِهَيْدِهِ جَعَلَتْ مَوْضِعًا لَهُ عَلَى  
طَرِيقِ الْمُبَالَغَةِ ثُمَّ إِنَّ تَحْصِيلَ الرَّزْقِ وَكَسْبَهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِأَخْذِهِ مِنْ يَدِ الْغَيْرِ  
وَأَنْتِزَاعِهِ بِالِاقْتِدَارِ عَلَيْهِ عَلَى قَانُونِ مُتَعَارِفٍ وَيُسَمَّى مَغْرَمًا وَجِبَايَةً وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ  
مِنْ الْحَيَوَانَ الْوَحْشِيِّ بِأَنْتِرَاسِهِ وَأَخْذِهِ بِرَمِيهِ مِنَ الْبَرِّ أَوْ الْبَحْرِ وَيُسَمَّى أَصْطِيَادًا

وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ مِنَ الْحَيَوَانِ الدَّاجِنِ بِاسْتِخْرَاجِ فُضُولِهِ الْمُنْصَرَفَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِي  
 مَنَافِعِهِمْ كَاللَّبَنِ مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْحَرِيرِ مِنْ دُوْدِهِ وَالْعَسَلِ مِنْ نَحْلِهِ أَوْ يَكُونَ مِنَ النَّبَاتِ  
 فِي الزَّرْعِ وَالشَّجَرِ بِالْقِيَامِ عَلَيْهِ وَإِعْدَادِهِ لِاسْتِخْرَاجِ ثَمَرَتِهِ وَيُسَمَّى هَذَا كَلَّةً فَأَحَا وَإِمَّا  
 أَنْ يَكُونَ الْكَسْبُ مِنَ الْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِمَّا فِي مَوَادِّ مَعِينَةٍ وَاسْمَى الصَّنَاعِ مِنْ كِتَابَةِ  
 وَنَجَارَةٍ وَخِيَاطَةٍ وَحِيَاكَةِ وَفُرُوسِيَّةٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ أَوْ فِي مَوَادِّ غَيْرِ مَعِينَةٍ وَهِيَ جَمِيعُ  
 الْأَمْتِنَاتِ وَالنَّصْرَفَاتِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْكَسْبُ مِنَ الْبُضَائِعِ وَإِعْدَادِهَا لِلْأَعْوَاضِ  
 إِمَّا بِالتَّقْلُبِ بِهَا فِي الْبِلَادِ وَاحْتِكَارِهَا وَارْتِقَابِ حَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ فِيهَا وَيُسَمَّى هَذَا تِجَارَةً  
 فَهَذِهِ وَجُوهُ الْمَعَاشِ وَأَصْنَافُهُ وَهِيَ مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْحِكْمَةِ  
 كَالْحَرِيرِيِّ وَغَيْرِهِ فَإِنَّهُمْ قَالُوا الْمَعَاشُ إِمَارَةٌ وَتِجَارَةٌ وَفِلَاحَةٌ وَصِنَاعَةٌ فَأَمَّا الْإِمَارَةُ  
 فَلَيْسَتْ بِمَذْهَبٍ طَبِيعِيِّ لِلْمَعَاشِ فَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِهَا وَقَدْ نَقَدَّمْتُ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ  
 الْحَيَايَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَأَهْلِهَا فِي الْفَصْلِ الثَّانِي وَأَمَّا الْفِلَاحَةُ وَالصَّنَاعَةُ وَالتِّجَارَةُ فَهِيَ وَجُوهُ  
 طَبِيعِيَّةٌ لِلْمَعَاشِ أَمَّا الْفِلَاحَةُ فَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ عَلَيْهَا كَلِمًا بِالذَّاتِ إِذْ هِيَ بَسِيطَةٌ وَطَبِيعِيَّةٌ  
 فِطْرِيَّةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى نَظَرٍ وَلَا عِلْمٍ وَلِهَذَا تَنْسَبُ فِي الْخَلِيقَةِ إِلَى آدَمَ أَبِي الْبَشَرِ وَأَنَّهُ  
 مُعَلِّمُهَا وَالْقَائِمُ عَلَيْهَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا أَقْدَمُ وَجُوهُ الْمَعَاشِ وَأَنْسَبُهَا إِلَى الطَّبِيعَةِ وَأَمَّا  
 الصَّنَاعُ فَهِيَ تَأْتِيهَا وَمَتَأَخَّرَةٌ عَنْهَا لِأَنَّهَا مَرْكَبَةٌ وَعِلْمِيَّةٌ تُصَرَفُ فِيهَا الْأَفْكَارُ وَالْأَنْظَارُ  
 وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ غَالِبًا إِلَّا فِي أَهْلِ الْخِصْرِ الَّذِي هُوَ مُتَأَخَّرٌ عَنِ الْبَدْوِ وَثَانٍ عِنْدَهُ وَمِنْ هَذَا  
 الْمَعْنَى نُسِبَتْ إِلَى أَدْرِيسَ الْأَبِ الثَّانِي لِلْخَلِيقَةِ فَإِنَّهُ مُسْتَنْبِطُهَا لِمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الْبَشَرِ  
 بِالْوَحْيِ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا التِّجَارَةُ وَإِنْ كَانَتْ طَبِيعِيَّةً فِي الْكَسْبِ فَلَا أَكْثَرَ مِنْ  
 طُرُقِهَا وَمَذَاهِبِهَا إِنَّمَا هِيَ تَحِيلَاتٌ فِي الْحُصُولِ عَلَى مَا بَيْنَ الْقِيَمَتَيْنِ فِي الشِّرَاءِ وَالْبَيْعِ  
 لِتَحْصُلِ فَايِدَةِ الْكَسْبِ مِنْ تِلْكَ الْفُضْلَةِ وَلِذَلِكَ أَبَاحَ الشَّرْعُ فِيهِ الْمُكَاسَبَةَ لِمَا أَنَّهُ  
 مِنْ بَابِ الْمُقَامَرَةِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ أَخْذًا لِمَالِ الْغَيْرِ مَجَانًّا فَلِهَذَا اخْتَصَّ بِالْمَشْرُوعِيَّةِ

### الفصل الثالث

في ان الخدمة ليست من الطبيعي

إِعْلَمُ أَنَّ السُّلْطَانَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ اتِّخَاذِ الْخِدْمَةِ فِي سَائِرِ أَبْوَابِ الْإِمَارَةِ وَالْمَلِكِ  
 الَّذِي هُوَ بِسَبِيلِهِ مِنَ الْجُنْدِيِّ وَالشَّرْطِيِّ وَالْكَاتِبِ وَيَسْتَكْفِي فِي كُلِّ بَابٍ بِمَنْ يَعْلَمُ

غَنَاءُهُ فِيهِ وَيَتَكَمَّلُ بِأَرْزَاقِهِمْ مِنْ بَيْتِ مَالِهِ وَهَذَا كُلُّهُ مُنْدرَجٌ فِي الْإِمَارَةِ وَمَعَاشِهَا  
 إِذْ كُلُّهُمْ يَنْسَجِبُ عَلَيْهِمْ حُكْمُ الْإِمَارَةِ وَالْمَلِكِ الْأَعْظَمُ هُوَ يَنْبُوعُ جَدَاوِلِهِمْ وَأَمَّا مَا  
 دُونَ ذَلِكَ مِنَ الْخِدْمَةِ فَسَبَبُهَا أَنْ أَكْثَرَ الْمُتَرَفِّينَ يَتَرَفَّعُونَ عَنْ مَبَاشَرَةِ حَاجَاتِهِ أَوْ يَكُونُ  
 عَاجِزًا عَنْهَا لِمَا رَبِّي عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِ النِّعَمِ وَالتَّرَفِ فَيَتَخَذُ مَنْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ لَهُ وَ يَقْطَعُهُ عَلَيْهِ  
 أَجْرًا مِنْ مَالِهِ وَهَذِهِ الْحَالَةُ غَيْرُ مَحْمُودَةٍ بِحَسَبِ الرَّجُولِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ إِذِ الثَّقَةُ  
 بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ وَلِأَنَّهَا تَزِيدُ فِي الْوُظَائِفِ وَالخُرُجِ وَتَدُلُّ عَلَى الْعِجْزِ وَالخِثِّ الَّذِي يَنْبَغِي  
 فِي مَدَاهِبِ الرَّجُولِيَّةِ النَّزَهُةِ عَنْهُمَا إِلَّا أَنَّ الْعَوَائِدَ ثَقَلَتْ طِبَاعَ الْإِنْسَانِ إِلَى مَا لَوْهَا فَرَوَى  
 أَبْنُ عَوَائِدِهِ لَا أَبْنَ نَسَبِهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَالْخَدِيمُ الَّذِي يُسْتَمَكِّي بِهِ وَيَتَوَقَّى بِغِنَائِهِ كَالْمَقْضُودِ  
 إِذِ الْخَدِيمُ الْقَائِمُ بِذَلِكَ لَا يَعْدُو أَرْبَعَ حَالَاتٍ إِمَّا مُضْطَلَعٌ بِأَمْرِهِ وَلَا مَوْثُوقٌ فِيمَا يَحْصُلُ  
 بِيَدِهِ وَإِمَّا بِالْعَكْسِ فِي إِحْدَاهُمَا فَقَطْ مِثْلُ أَنْ يَكُونَ مُضْطَلَعًا غَيْرَ مَوْثُوقٍ أَوْ مَوْثُوقًا غَيْرَ  
 مُضْطَلَعٍ فَأَمَّا الْأَوَّلُ وَهُوَ الْمَضْطَلَعُ الْمَوْثُوقُ فَلَا يُمَكِّنُ أَحَدًا اسْتِعْمَالَهُ بِوَجْهِ إِذْ  
 هُوَ بِأَضْطِرَّاعِهِ وَثِقَتِهِ غَيَّبٌ عَنِ أَهْلِ الرَّتَبِ الدِّينِيَّةِ وَخَنْقَرٌ لِمِثَالِ الْأَجْرِ مِنَ الْخِدْمَةِ  
 لِاقْتِدَارِهِ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ فَلَا يَسْتَعْمَلُهُ إِلَّا الْأُمَرَاءُ أَهْلُ الْجَاهِ الْعَرِيبِ لِعُمُومِ  
 الْحَاجَةِ إِلَى الْجَاهِ وَأَمَّا الصَّنْفُ الثَّانِي وَهُوَ مِمَّنْ لَيْسَ بِمُضْطَلَعٍ وَلَا مَوْثُوقٍ فَلَا يَنْبَغِي  
 لِعَاقِلٍ اسْتِعْمَالَهُ لِأَنَّهُ يُخْجَفُ بِخَدُومِهِ فِي الْأَمْرَيْنِ مَعًا فَيَضِيعُ عَلَيْهِ لِعَدَمِ الْأَصْطِنَاعِ  
 تَارَةً وَيَذْهَبُ مَالُهُ بِالْخِيَانَةِ أُخْرَى فَهُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ كُلُّهُ عَلَى مَوْلَاهُ فَهَذَا الصَّنْفَانِ لَا  
 يَطْمَعُ أَحَدٌ فِي اسْتِعْمَالِهِمَا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اسْتِعْمَالُ الصَّنْفَيْنِ الْآخَرَيْنِ مَوْثُوقٍ غَيْرَ مُضْطَلَعٍ  
 وَمُضْطَلَعٍ غَيْرَ مَوْثُوقٍ وَلِلنَّاسِ فِي التَّرْجِيحِ بَيْنَهُمَا مَذْهَبَانِ وَلِكُلِّ مِنَ التَّرْجِيحَيْنِ وَجْهٌ  
 إِلَّا أَنَّ الْمَضْطَلَعِ وَلَوْ كَانَ غَيْرَ مَوْثُوقٍ أَرْجَحُ لِأَنَّهُ يُؤْمَنُ مِنْ تَضْيِيعِهِ وَيَحَاوَلُ عَلَى التَّحَرُّزِ  
 مِنْ خِيَانَتِهِ جُهْدَ الْإِسْطِطَاعَةِ وَأَمَّا الْمَضِيعُ وَلَوْ كَانَ مَأْمُونًا فَضَرَرُهُ بِالتَّضْيِيعِ أَكْثَرُ مِنْ  
 نَفْعِهِ فَاعْلَمْ ذَلِكَ وَامْتَحِذْهُ قَانُونًا فِي الْأَسْتِمْكَانِ بِالْخِدْمَةِ وَاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَادِرُ  
 عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

### الفصل الرابع

في ان ابتغاء الاموال من الدفائن والكنوز ليس بعماش طبيعي

اعلم ان كثيرا من ضعفاء العقول في الامصار يحرسون على استخراج الاموال من

تَحَتَّ الْأَرْضُ وَيَتَّبِعُونَ الْكَسْبَ مِنْ ذَلِكَ وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَمْوَالَ الْأُمَّمِ السَّالِفَةِ مَخْتَزَنَةٌ  
كُلُّهَا تَحْتِ الْأَرْضِ مَخْتَمَةٌ عَلَيْهَا كُلُّهَا بِطِلَاسِمِ سِحْرِيَّةٍ لَا يَفْضُ خَتَامَهَا ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَتَرَ  
عَلَى عِلْمِهِ وَاسْتَحْضَرَ مَا يَحُلُّهُ مِنَ الْبُخُورِ وَالِدُعَاءِ وَالْقُرْبَانَ فَأَهْلُ الْأَمْصَارِ بِأَفْرِيقَةٍ يَرَوْنَ  
أَنَّ الْأَفْرِيقَةَ الَّذِينَ كَانُوا قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِهَا دَفَنُوا أَمْوَالَهُمْ كَذَلِكَ وَأَوْدَعُوهَا فِي  
الْصُّخْرِ بِالْكِتَابِ إِلَى أَنْ يَجِدُوا السَّبِيلَ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ بِالْمَشْرِقِ  
يَرَوْنَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي أُمَّمِ الْقَيْطِ وَالرُّومِ وَالْفَرَسِ وَيَتَنَاقَلُونَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ تُشَبِّهُ حَدِيثَ  
خُرَافَةٍ مِنْ أَنْتَهَاءِ بَعْضِ الطَّالِبِينَ لِذَلِكَ إِلَى حَنْزِ مَوْضِعِ الْمَالِ مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ طِلَاسِمَهُ  
وَلَا خَبْرَهُ فَيَجِدُونَهُ خَالِيًا أَوْ مَعْمُورًا بِالْيَدِيدَانِ أَوْ يُشَاهِدُ الْأَمْوَالَ وَالْجُواهرَ مَوْضُوعَةً  
وَالْحَرَسَ دُونَهَا مُنْتَضِينَ سِيُوفِهِمْ أَوْ تَمِيدَ بِهِ الْأَرْضَ حَتَّى يَظُنَّهُ خَسْفًا أَوْ مِثْلَ ذَلِكَ  
مِنْ الْهَلْدَرِ وَيَجِدُ كَثِيرًا مِنْ طَلِبَةِ الْبَرْبَرِ بِالْمَغْرِبِ الْعَاجِزِينَ عَنِ الْمَعَاشِ الطَّبِيعِيِّ  
وَأَسْبَابِهِ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى أَهْلِ الدُّنْيَا بِالْأَوْرَاقِ الْمُتَحَرِّمَةِ الْحَوَاشِي إِمَّا بِخُطُوطٍ مَجْمُوعَةٍ أَوْ  
بِمَا تُرْجِمُ بَرَعَهُمْ مِنْهَا مِنْ خُطُوطِ أَهْلِ الدَّفَائِنِ بِإِعْطَاءِ الْأَمَارَاتِ عَلَيْهَا فِي أَمَاكِنِهَا  
يَتَّبِعُونَ بِذَلِكَ الرِّزْقَ مِنْهُمْ بِمَا يَبْعَثُونَهُ عَلَى الْحَفْرِ وَالطَّلَبِ وَيَمُوهُونَ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ إِنَّمَا  
حَمَلَهُمْ عَلَى الْأِسْتِعَانَةِ بِهِمْ طَلَبُ الْجَاهِ فِي مِثْلِ هَذَا مِنْ مَنَالِ الْحُكَّامِ وَالْعُقُوبَاتِ وَرَبَّمَا  
تَكُونُ عِنْدَ بَعْضِهِمْ نَادِرَةً أَوْ غَرِيبَةً مِنَ الْأَعْمَالِ السِّحْرِيَّةِ يَمُوهُ بِهَا عَلَى تَصْدِيقِ مَا  
بَقِيَ مِنْ دَعْوَاهُ وَهُوَ بِمَعزَلٍ عَنِ السِّحْرِ وَطُرُقِهِ فَتَوَلَّعَ كَثِيرٌ مِنْ ضَعْفَاءِ الْعُقُولِ بِجَمْعِ  
الْأَيْدِي عَلَى الْأَحْتِفَارِ وَالتَّسْتَرِّ فِيهِ بِظُلُمَاتِ اللَّيْلِ مَخَافَةَ الرُّقَبَاءِ وَعُيُونِ أَهْلِ الدُّوَلِ فَإِذَا  
لَمْ يَبْعَثُوا عَلَى شَيْءٍ رَدُّوا ذَلِكَ إِلَى الْجَهْلِ بِالطَّلَسِمِ الَّذِي خُتِمَ بِهِ عَلَى ذَلِكَ الْمَالِ  
يُخَادِعُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَنِ إِخْفَاقِ مَطَامِعِهِمْ وَالَّذِي يَحْمِلُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْعَالِبِ زِيَادَةً  
عَلَى ضَعْفِ الْعَقْلِ إِنَّمَا هُوَ الْعَجْزُ عَنِ طَلَبِ الْمَعَاشِ بِالْوُجُوهِ الطَّبِيعِيَّةِ لِلْكَسْبِ مِنَ  
التَّجَارَةِ وَالْفَلْحِ وَالصَّنَاعَةِ فَيُظَلِّبُونَهُ بِالْوُجُوهِ الْمُتَحَرِّفَةِ وَعَلَى غَيْرِ السِّحْرِ الطَّبِيعِيِّ مِنَ  
هَذَا وَأَمَّا هَلْ عَجْزًا عَنِ السَّعْيِ فِي الْمَكَاسِبِ وَرُكُونًا إِلَى تَنَاوُلِ الرِّزْقِ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ  
وَلَا نَصَبٍ فِي تَحْصِيلِهِ وَأَكْتِسَابِهِ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يُوقِعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِإِبْتِغَاءِ ذَلِكَ مِنْ  
غَيْرِ وَجْهِهِ فِي نَصَبٍ وَمَتَاعِبٍ وَجَهْدٍ شَدِيدٍ أَشَدَّ مِنَ الْأَوَّلِ وَيَعْرِضُونَ أَنْفُسَهُمْ مَعَ ذَلِكَ  
لِمَنَالِ الْعُقُوبَاتِ وَرُبَّمَا يَحْمِلُ عَلَى ذَلِكَ فِي الْأَكْثَرِ زِيَادَةَ التَّرَفِ وَعَوَائِدِهِ وَخُرُوجَهَا

عَنْ حَدِّ النَّهَابَةِ حَتَّى تُفَصِّرَ عَنْهَا وَجُوهَ الْكَسْبِ وَمَذَاهِبَهُ وَلَا تَفِي بِمَطَالِبِهَا فَإِذَا عَجَزَ  
عَنِ الْكَسْبِ بِالْحَجَرِيِّ الطَّبِيعِيِّ لَمْ يَجِدْ وَلِيَّةً فِي نَفْسِهِ إِلَّا التَّمَنِّيَ لَوْجُودِ الْمَالِ الْعَظِيمِ  
دَفْعَةً مِنْ غَيْرِ كَلْفَةٍ لَيْفِي لَهُ ذَلِكَ بِالْعَوَائِدِ الَّتِي حَصَلَ فِي أَسْرَهَا فَيَحْرُصُ عَلَى ابْتِغَاءِ ذَلِكَ  
وَيَسْعَى فِيهِ جِدَّهُ وَلِهَذَا فَأَكْثَرَ مِنْ تَرَاهُمْ يَحْرُصُونَ عَلَى ذَلِكَ هُمْ الْمُتَرَفُونَ مِنْ أَهْلِ  
الدَّوْلَةِ وَمِنْ سُكَّانِ الْأَمْصَارِ الْكَثِيرَةِ التَّرَفِ الْمُنْسَعَةِ الْأَحْوَالِ مِثْلَ مِصْرَ وَمَا فِي  
مَعْنَاهَا فَيَجِدُ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ مُعْرَمِينَ بِابْتِغَاءِ ذَلِكَ وَتَحْصِيلِهِ وَمُسَاءَلَةَ الرَّكْبَانِ عَنْ شِوَاهِهِ  
كَمَا يَحْرُصُونَ عَلَى الْكِيمِيَاءِ هَكَذَا بَلَّغَنِي عَنْ أَهْلِ مِصْرَ فِي مَفَاوِضِهِ مَنْ يَأْقُونَهُ مِنْ  
طَلَبَةِ الْمَعَارِبِ لَعَلَّهُمْ يَعْتَرُونَ مِنْهُ عَلَى دَفِينٍ أَوْ كَنْزٍ وَيَزِيدُونَ عَلَى ذَلِكَ الْبَحْثَ عَنْ  
تَغْوِيرِ الْمِيَاهِ لِمَا يَرُونَ أَنَّ غَالِبَ هَذِهِ الْأَمْوَالِ الدَّفِينَةِ كَانَهَا فِي تِجَارِي النَّيْلِ وَأَنَّهَ اعْظَمُ  
مَا يَسْتَرُدُّ دَفِينًا أَوْ مُخْتَرَنًا فِي تِلْكَ الْأَفَاقِ وَيَوْمَهُ عَلَيْهِمْ أَصْحَابُ تِلْكَ الدَّفَائِرِ الْمُفْتَعَلَةِ  
فِي الْإِعْتِدَارِ عَنِ الْوُصُولِ إِلَيْهَا بِجَزِيَةِ النَّيْلِ تَسْرًا بِذَلِكَ مِنَ الْكَيْدِ حَتَّى يَحْصَلَ  
عَلَى مَعَاشِهِ فَيَحْرُصُ سَامِعٌ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَلَى نُضُوبِ الْمَاءِ بِالْأَعْمَالِ السَّخِرِيَّةِ لِتَحْصِيلِ مُبْتِغَاؤِ  
مِنْ هَذِهِ كَلْفًا بِشَأْنِ السَّخْرِ مُتَوَارِتًا فِي ذَلِكَ الْقَطْرِ عَنْ أَوْلِيهِ فَعَلُوهُمْ السَّخِرِيَّةَ وَأَتَاهَا  
بَاقِيَةٌ بِأَرْضِهِمْ فِي الْبَرَارِيِّ وَغَيْرِهَا وَقِصَّةُ سَحْرَةِ فِرْعَوْنَ شَاهِدَةٌ بِأَخْصَابِهِمْ بِذَلِكَ  
وَقَدْ تَمَاقَلُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ قِصِيدَةً يَنْسُبُونَهَا إِلَى حُكْمَاءِ الْمَشْرِقِ تُعْطَى فِيهَا كَيْفِيَّةُ

الْعَمَلِ بِالتَّغْوِيرِ بِصِنَاعَةِ سَحْرِيَّةٍ حَسَبَمَا تَرَاهُ فِيهَا وَهِيَ هَذِهِ

بَا طَالِبًا لِلسَّرِّ فِي التَّغْوِيرِ	إِسْمَعِ كَلَامَ الصِّدْقِ مِنْ خَبِيرِ
دَع عَنْكَ مَا قَدْ صَنَّفُوا فِي كِتَابِهِمْ	مِنْ قَوْلِ بَهْتَانٍ وَلَقَطِ غُرُورِ
وَأَسْمَعِ لِصِدْقِ مَقَالَتِي وَنَصِيحَتِي	إِنْ كُنْتَ مَعْنَى لَا يَرَى بِالرُّورِ
فَإِذَا أَرَدْتَ تَعَوُّرَ الْبَشْرِ الَّتِي	حَارَتْ لَهَا الْأَوْهَامُ فِي التَّدْبِيرِ
صَوْرَ كَصُورَتِكَ الَّتِي أَوْفَقْتَهَا	وَالرَّأْسُ رَأْسُ الشَّيْلِ فِي التَّقْوِيرِ
وَيَدَاهُ مَاسِكَتَانِ الْخَبْلِ الَّذِي	فِي الدَّلْوِ يُنْشَلُ مِنْ قَرَارِ الْبِيرِ
وَيَصْدُرُهُ هَاهُ كَمَا عَابَتْهَا	عَدَدُ الطَّلَاقِ أَحَدٌ مِنَ التَّكْرِيرِ
وَيَطَّأُ عَلَى الطَّاءَاتِ غَيْرَ مَلَامِسِ	مَشِيِ اللَّيْبِ الْكَيْسِ النِّجْرِيِ
وَيَكُونُ حَوْلَ الْكُلِّ خَطٌّ دَائِرٌ	تَرْبِيعُهُ أَوْلَى مِنَ التَّكْوِيرِ

وَأَذْبَحَ عَلَيْهِ الطَّيْرَ وَالطَّحْطَ بِهِ  
بِالسَّنْدُرُوسِ وَبِاللَّبَّانِ وَمِيعَةٍ  
مِنْ أَحْمَرٍ أَوْ أَصْفَرٍ لَا أَزْرَقَ  
وَيَشْدُهُ خِطَّانٌ صُوفٍ أَيْضِي  
وَالطَّلُوعُ الْأَسَدُ الَّذِي قَدْ بَيْنُوا  
وَالْبَدَنُ مُتَّصِلٌ بِسَعْدِ عَطَارِدٍ  
فِي يَوْمِ سَبْتِ سَاعَةِ التَّدْبِيرِ

يَعْنِي أَنَّ تَكُونَ الطَّاءَاتُ بَيْنَ قَدَمَيْهِ كَأَنَّهُ يَمْشِي عَلَيْهَا وَعِنْدِي أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ  
تَمْوِيهَاتِ الْمُتَخَرِّفِينَ فَلَهُمْ فِي ذَلِكَ أَحْوَالٌ غَرِيبَةٌ وَأَصْطِلَاحَاتٌ عَجِيبَةٌ وَتَنْتَهِي التَّخْرِيفَةَ  
وَالكُذْبَ بِهِمْ إِلَى أَنْ يَسْكُنُوا الْمَنَازِلَ الْمَشْهُورَةَ وَالذُّورَ الْمَعْرُوفَةَ لِمِثْلِ هَذِهِ  
وَيُخْفِرُونَ الْحَفَرَ وَيَضَعُونَ الْمَطَابِقَ فِيهَا وَالشُّوَاهِدَ الَّتِي يَكْتُبُونَهَا فِي صَحَائِفِ كَتَبِهِمْ  
ثُمَّ يَفْصِدُونَ ضَعْفَاءَ الْعُقُولِ بِأَمْثَالِ هَذِهِ الصَّحَائِفِ وَيَعْتُونَ عَلَى كِبَرَاءِ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ  
وَسُكْنَاهُ وَيُوهَمُونَ أَنَّ بِهِ دَفِينًا مِنَ الْمَالِ لَا يَعْبُرُ عَنْ كَثْرَتِهِ وَيَطَالِبُونَ بِالْمَالِ لِاشْتِرَاءِ  
الْعَقَاقِيرِ وَالْبُخُورَاتِ لِحُلِّ الطَّلَاسِمِ وَيَعْدُونَهُ بظُهُورِ الشُّوَاهِدِ الَّتِي قَدْ أَعْدَوْهَا هُنَاكَ  
بِأَنْفُسِهِمْ وَمِنْ فِعْلِهِمْ فَيَنْبَغِثُ لِمَا يَرَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ قَدْ خُدِعَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لَا  
يَشْعُرُ وَبَيْنَهُمْ فِي ذَلِكَ أَصْطِلَاحٌ فِي كَلَامِهِمْ يَلْبَسُونَ بِهِ عَلَيْهِمْ لِيُخْفِيَ عِنْدَ مُحَاوَرَتِهِمْ  
فِيمَا يَتَلَوْنَهُ مِنْ حَفَرٍ وَبُخُورٍ وَذَبْجٍ حَيَوَانٍ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي ذَلِكَ عَلَى  
الْحَقِيقَةِ فَلَا أَصْلَ لَهُ فِي عِلْمٍ وَلَا خَبَرَ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْكُنُوزَ وَإِنْ كَانَتْ تُوجَدُ لِكُنْهَا  
فِي حُكْمِ النَّادِرِ وَعَلَى وَجْهِ الْإِتْفَاقِ لَا عَلَى وَجْهِ الْقَصْدِ إِلَيْهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِأَمْرٍ تَعَمُّ  
بِهِ الْبَلَوَى حَتَّى يَدْخَرَ النَّاسُ أَمْوَالَهُمْ تَحْتَ الْأَرْضِ وَيَتَحْتَمُونَ عَلَيْهَا بِالطَّلَاسِمِ لَا  
فِي الْقَدِيمِ وَلَا فِي الْحَدِيثِ وَالرَّكَازُ الَّذِي وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ وَفَرَضَهُ الْفُقَهَاءُ وَهُوَ دَفِينٌ  
الْجَاهِلِيَّةُ إِنَّمَا يُوجَدُ بِالْعَثُورِ وَالْإِتْفَاقِ لَا بِالْقَصْدِ وَالطَّلَبِ وَأَيْضًا فَمَنْ أَخْتَزَنَ مَالَهُ وَخَتَمَ  
عَلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ السَّحَرِيَّةِ فَقَدْ بَالِغٌ فِي إِخْفَائِهِ فَكَيْفَ يَنْصَبُ عَلَيْهِ الْأَدَلَّةُ وَالْأَمَارَاتُ  
لِمَنْ يَبْتَغِيهِ وَيَكْتُبُ ذَلِكَ فِي الصَّحَائِفِ حَتَّى يَطَّلَعَ عَلَى ذَخِيرَتِهِ أَهْلُ الْأَمْصَارِ وَالْأَفَاقِ  
هَذَا يَنْقُضُ قَصْدَ الْإِخْفَاءِ وَأَيْضًا فَأَفْعَالُ الْعُقُلَاءِ لَا بَدَأَ وَأَنْ تَكُونَ لِعَرَضٍ مَقْصُودٍ  
فِي الْإِتْفَاقِ وَمَنْ أَخْتَزَنَ الْمَالُ فَإِنَّهُ يَخْتَزِنُهُ لِوَلَدِهِ أَوْ قَرِيبِهِ أَوْ مَنْ يُؤْتِرُهُ وَأَمَّا أَنْ

يَقْصِدُ اخْتِئَاءَهُ بِالْكَلِمَةِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ وَإِنَّمَا هُوَ لِلْبَلَاءِ وَالْهَلَاكِ أَوْ لِمَنْ لَا يَعْرِفُهُ  
 بِالْكَلِمَةِ مِمَّنْ سِيَأُ فِي مِنَ الْأُمَمِ فَهَذَا لَيْسَ مِنْ مَقَاصِدِ الْعُقَلَاءِ بَوَاجِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ  
 أَيْنَ أَمْوَالِ الْأُمَمِ مِنْ قَبْلِنَا وَمَا عَلِمَ فِيهَا مِنَ الْكَثْرَةِ وَالْوُفُورِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْوَالَ مِنْ  
 الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْجَوْاهِرِ وَالْأَمْتَعَةِ إِنَّمَا هِيَ مَعَادِنُ وَمَكَاسِبُ مِثْلُ الْحَدِيدِ وَالنَّحَاسِ  
 وَالرِّصَاصِ وَسَائِرِ الْعَقَارَاتِ وَالْمَعَادِنِ وَالْعُمَرَانِ يُظْهِرُهَا بِالْأَعْمَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَيَزِيدُ  
 فِيهَا أَوْ يُنْقِصُهَا وَمَا يُوْجَدُ مِنْهَا بِأَيْدِي النَّاسِ فَهُوَ مُتَنَاقِلٌ مُتَوَارِثٌ وَرُبَّمَا أُنْتَقَلَ مِنْ  
 قَطْرٍ إِلَى قَطْرٍ وَمِنْ دَوْلَةٍ إِلَى أُخْرَى بِحَسَبِ أَعْرَاضِهِ وَالْعُمَرَانِ الَّذِي يَسْتَدْعِي لَهُ فَإِنَّ  
 نَقْصَ الْمَالِ فِي الْمَغْرِبِ وَأَفْرِيْقِيَّةِ فَلَمْ يَنْقُصْ بِيَلَادِ الصَّقَالِبَةِ وَالْإِفْرَنْجِ وَإِنْ نَقَصَ فِي  
 مِصْرَ وَالشَّامِ فَلَمْ يَنْقُصْ فِي الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَإِنَّمَا هِيَ الْأَلَاتُ وَالْمَكَاسِبُ وَالْعُمَرَانُ  
 يُوْقِرُهَا أَوْ يُنْقِصُهَا مَعَ أَنَّ الْمَعَادِنَ يَدْرِكُهَا الْبَلَاءُ كَمَا يَدْرِكُ سَائِرَ الْمَوْجُودَاتِ  
 وَيُسْرِعُ إِلَى اللَّوْلُوءِ وَالْجَوْهَرِ الْعَظِيمِ مِمَّا يُسْرِعُ إِلَى غَيْرِهِ وَكَذَا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ وَالنَّحَاسُ  
 وَالْحَدِيدُ وَالرِّصَاصُ وَالْقَصْدِيرُ يَبَالِغُ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفَنَاءِ مَا يَذْهَبُ بِأَعْيَانِهَا لِأَقْرَبِ وَقْتِ  
 وَأَمَّا مَا وَقَعَ فِي مِصْرَ مِنْ أَمْرِ الْمَطَالِبِ وَالْكُنُوزِ فَسَبَبُهُ أَنَّ مِصْرَ فِي مَلَكَةِ الْقُبْطِ  
 مِنْذُ آفِ أَوْ يَزِيدُ مِنَ السَّنِينَ وَكَانَ مَوْتَاهُمْ يَدْفَنُونَ بِمَوْجُودِهِمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ  
 وَالْجَوْهَرِ وَالْأَلْيَاءِ عَلَى مَذْهَبِ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ أَهْلِ الدُّوَلِ فَلَمَّا انْقَضَتْ دَوْلَةُ الْقُبْطِ وَمَلَكَ  
 الْفُرْسُ بِلَادَهُمْ تَقَرَّوْا عَلَى ذَلِكَ فِي قُبُورِهِمْ فَكَشَفُوا عَنْهُ فَأَخَذُوا مِنْ قُبُورِهِمْ مَا لَا يُوصَفُ  
 كَالْأَهْرَامِ مِنْ قُبُورِ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهَا وَكَذَا فَعَلَ الْيُونَانِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَصَارَتْ قُبُورُهُمْ  
 مَظَنَّةً لِذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَيَعْتَرِ عَلَى الدِّفِينِ فِيهَا كَثِيرًا مِنَ الْأَوْقَاتِ أَمَّا مَا يَدْفِنُونَهُ مِنْ  
 أَمْوَالِهِمْ أَوْ مَا يَكْرُمُونَ بِهِ مَوْتَاهُمْ فِي الدِّفِينِ مِنْ أَوْعِيَةٍ وَتَوَابِيْتِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ  
 مَعْدَةٌ لِذَلِكَ فَصَارَتْ قُبُورُ الْقُبْطِ مِنْذُ آفِ مِنَ السَّنِينَ مَظَنَّةً لَوْجُودِ ذَلِكَ فِيهَا فَلِذَلِكَ  
 عَنِي أَهْلُ مِصْرَ بِالْبَحْثِ عَنِ الْمَطَالِبِ لَوْجُودِ ذَلِكَ فِيهَا وَاسْتِخْرَاجِهَا حَتَّى إِتْمَمُوا حِينَ ضَرِبَتْ  
 الْمَكُوسُ عَلَى الْأَصْنَافِ أُخْرَى الدَّوْلَةِ ضَرِبَتْ عَلَى أَهْلِ الْمَطَالِبِ وَصَدَرَتْ ضَرْبَةً عَلَى مَنْ  
 يَشْتَغِلُ بِذَلِكَ مِنَ الْحَقَمِيِّ وَالْمُهَوِّسِينَ فَوَجَدَ بِذَلِكَ الْمُتَعَاطُونَ مِنْ أَهْلِ الْأَطْمَاعِ  
 الدَّرْبَةَ إِلَى الْكَشْفِ عَنْهُ وَالذَّرْعَ بِاسْتِخْرَاجِهِ وَمَا حَصَلُوا إِلَّا عَلَى الْخَيْبَةِ فِي جَمِيعِ  
 مَسَاعِيهِمْ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُسْرَانِ فَيَحْتَاجُ مَنْ وَقَعَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ هَذَا النَّوَسَاسِ وَابْتَلَى بِهِ أَنْ

يَتَعَوَّذُ بِاللَّهِ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ فِي طَلَبِ مَعَاشِهِ كَمَا تَعَوَّذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ ذَلِكَ وَتَبَصَّرَ عَنْ طُرُقِ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَاسِهِ وَلَا يَشْغَلُ نَفْسَهُ بِالْمَحَالَّاتِ وَالْمَكَاذِبِ مِنَ الْحِكَايَاتِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

### الفصل الخامس

في ان الجاه مفيد للمال

وَذَلِكَ أَنَّا نَجِدُ صَاحِبَ الْمَالِ وَالْحُظْوَةَ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِ الْمَعَاشِ أَكْثَرَ يَسَارًا وَثَرْوَةً مِنْ فَاقِدِ الْجَاهِ . وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ الْجَاهِ مُخْدُومٌ بِالْأَعْمَالِ يُتَقَرَّبُ بِهَا إِلَيْهِ فِي سَبِيلِ التَّرْلَفِ وَالْحَاجَةِ إِلَى جَاهِهِ فَالِنَّاسُ مُعِينُونَ لَهُ بِأَعْمَالِهِمْ فِي جَمِيعِ حَاجَاتِهِ مِنْ ضَرُورِيٍّ أَوْ حَاجِيٍّ أَوْ كَمَا لِي فَتَحْصُلُ قِيمُ تِلْكَ الْأَعْمَالِ كُلِّهَا مِنْ كَسْبِهِ وَجَمِيعِ مَعَاشَاتِهِ أَنْ تَبْدَلَ فِيهِ الْأَعْوَاضُ مِنَ الْعَمَلِ يَسْتَعْمَلُ فِيهَا النَّاسُ مِنْ غَيْرِ عَوْضٍ فَيَتَوَقَّرُ قِيمُ تِلْكَ الْأَعْمَالِ عَلَيْهِ فَبِهِ بَيْنُ قِيمِ لِلْأَعْمَالِ يَكْتَسِبُهَا وَقِيمِ أُخْرَى تَدْعُوهُ الضَّرُورَةُ إِلَى إِخْرَاجِهَا فَيَتَوَقَّرُ عَلَيْهِ وَالْأَعْمَالُ لِصَاحِبِ الْجَاهِ كَثِيرَةٌ فَتُفِيدُ الْغِنَى لِأَقْرَبِ وَقْتٍ وَيَزْدَادُ مَعَ الْأَيَّامِ يَسَارًا وَثَرْوَةً وَلِهَذَا الْمَعْنَى كَانَتْ الْإِمَارَةُ أَحَدَ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ كَمَا قَدَّمَاهُ وَفَاقِدُ الْجَاهِ بِالْكُلِّيَّةِ وَلَوْ كَانَ صَاحِبَ مَالٍ فَلَا يَكُونُ يَسَارُهُ إِلَّا بِمَقْدَارِ مَالِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ سَعْيِهِ وَهُوَ لَا هُمْ أَكْثَرُ التُّجَّارِ وَلِهَذَا تَجِدُ أَهْلَ الْجَاهِ مِنْهُمْ يَكُونُونَ أَيْسَرَ بِكَثِيرٍ وَمِمَّا يَشْهَدُ لِنِلكِ أَنَّا نَجِدُ كَثِيرًا مِنَ النُّقَبَاءِ وَأَهْلِ الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ إِذَا اشْتَهَرُوا حَسَنَ الظَّنِّ بِهِمْ وَأَعْتَقَدَ الْجُمْهُورُ مُعَامَلَةَ اللَّهِ فِي إِزْفَادِهِمْ فَأَخْلَصَ النَّاسُ فِي إِعَانَتِهِمْ عَلَى أَحْوَالِ دُنْيَاهُمْ وَالْإِعْتِمَالِ فِي مَصَالِحِهِمْ وَأَسْرَعَتِ إِلَيْهِمُ الثَّرْوَةُ وَأَضْبَعُوا مِيَاسِيرَ مِنْ غَيْرِ مَالٍ مُقْتَنَى إِلَّا مَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ قِيمِ الْأَعْمَالِ الَّتِي وَقَعَتِ الْمَعُونَةُ بِهَا مِنَ النَّاسِ لَهُمْ رَأْيًا مِنْ ذَلِكَ أَعْدَادًا فِي الْأَمْصَارِ وَالْمَدُنِ وَفِي الْبُدُوِّ يَسْعَى لَهُمُ النَّاسُ فِي الْفَلْحِ وَالتَّجْرِ وَكُلُّهُ هُوَ قَاعِدٌ بِمَنْزِلِهِ لَا يَبْرُحُ مِنْ مَكَانِهِ فَيَنْجُو مَالَهُ وَيَعْظُمُ كَسْبُهُ وَيَتَأَثَّلُ الْغِنَى مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ وَيَعْجُبُ مَنْ لَا يَفْطِنُ لِهَذَا السِّرِّ فِي حَالِ ثَرْوَتِهِ وَأَسْبَابِ غِنَاهُ وَيَسَارِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

## الفصل السادس

في ان السعادة والكسب انما يحصل غالباً لاهل الخضوع والتلق

وان هذا الخلق من اسباب السعادة

قَدْ سَلَفَتْ لَنَا فِيمَا سَبَقَ أَنَّ الْكَسْبَ الَّذِي يَسْتَفِيدُهُ الْبَشَرُ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا أَعْمَالِهِمْ  
وَلَوْ قَدِرَ أَحَدٌ عَطْلٌ عَنِ الْعَمَلِ جُمْلَةً لَكَانَ فَاقِدَ الْكَسْبِ بِالْكَفَايَةِ وَعَلَى قَدْرِ عَمَلِهِ  
وَشَرَفِهِ بَيْنَ الْأَعْمَالِ وَحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ يَكُونُ قَدْرُ قِيَمَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ ذَلِكَ نُمُو كَسْبِهِ  
أَوْ نَقْصَانُهُ وَقَدْ بَيَّنَّا إِنَّمَا أَنَّ الْجَاهُ يُفِيدُ الْمَالَ لِمَا يَحْصُلُ لِصَاحِبِهِ مِنْ تَقَرُّبِ النَّاسِ إِلَيْهِ  
بِأَعْمَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ فِي دَفْعِ الْمَضَارِّ وَجَلْبِ الْمَنَافِعِ وَكَانَ مَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ مِنْ عَمَلٍ  
أَوْ مَالٍ عَوْضًا عَمَّا يَحْصُلُونَ عَلَيْهِ بِسَبَبِ الْجَاهِ مِنَ الْأَغْرَاضِ فِي صَالِحٍ أَوْ طَالِحٍ وَتَصِيرُ  
تِلْكَ الْأَعْمَالُ فِي كَسْبِهِ وَفِيمَا أَمْوَالُهُ وَتَرْوَةٌ لَهُ فَيَسْتَفِيدُ الْغَنَى وَالْيَسَارَ لِأَقْرَبِ وَفَتِ  
تَمَّ إِنَّ الْجَاهُ مُتَوَزِعٌ فِي النَّاسِ وَمُتَرْتَّبٌ فِيهِمْ طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ بِنْتَهِي فِي الْعُلُوِّ إِلَى  
الْمَمْلُوكِ الَّذِينَ لَيْسَ قُوَّتُهُمْ يَدٌ عَالِيَةٌ وَفِي السُّفْلِ إِلَى مَنْ لَا يَمْلِكُ خُرًّا وَلَا نَعْمًا بَيْنَ أَبْنَاءِ  
جِنْسِهِ وَبَيْنَ ذَلِكَ طَبَقَاتٌ مُتَعَدِّدَةٌ حِكْمَةً اللَّهُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يَنْتَظِمُ مَعَاشَهُمْ وَتُنَسِّرُ  
مَصَالِحَهُمْ وَيَتِمُّ بِقَاوِمِهِمْ لِأَنَّ النَّوْعَ الْإِنْسَانِيَّ لَا يَتِمُّ وَجُودُهُ إِلَّا بِالْتَعَاوُنِ وَإِنَّهُ وَإِنْ نَدَرَ  
فَقَدْ ذَلِكَ فِي صُورَةٍ مَفْرُوضَةٍ لَا يَصِحُّ بِقَاوِمِهِمْ إِنْ هَذَا التَّعَاوُنُ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِالْإِكْرَاهِ  
عَلَيْهِ لِحُجَّتِهِمْ فِي الْأَكْثَرِ بِمَصَالِحِ النَّوْعِ وَلِمَا جُعِلَ لَهُمْ مِنَ الْإِخْتِيَارِ وَأَنَّ أَعْمَالَهُمْ  
إِنَّمَا تَصْدُرُ بِالْفِكْرِ وَالرَّوْبَةِ لَا بِالطَّبْعِ وَقَدْ يَمْتَنِعُ مِنَ الْمَعَاوَنَةِ فَيَتَعَيَّنُ حَمْلُهُ عَلَيْهَا فَلَا  
بُدَّ مِنْ حَامِلٍ يُكْرَهُ الْبِنَاءُ النَّوْعِ عَلَى مَصَالِحِهِمْ لِتَمِّ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ فِي بَقَاءِ هَذَا  
النَّوْعِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ  
بَعْضًا سَفِيرًا وَرَحْمَةً رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَحْمَعُونَ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْجَاهُ هُوَ الْقُدْرَةُ الْحَامِلَةُ لِلْبَشَرِ عَلَى  
التَّصَرُّفِ فِي مَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ جِنْسِهِمْ بِالْإِذْنِ وَالْمَنْعِ وَالتَّسَلُّطِ بِالْقَهْرِ وَالْعَلْبَةِ  
لِحِمْلِهِمْ عَلَى دَفْعِ مَضَارِّهِمْ وَجَلْبِ مَنَافِعِهِمْ فِي الْعَدْلِ بِأَحْكَامِ الشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَعَلَى  
أَغْرَاضِهِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ وَلَكِنَّ الْأَوَّلَ مَقْصُودٌ فِي الْعِبَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ بِالذَّاتِ وَالتَّانِي  
دَاخِلٌ فِيهَا بِالْعَرَضِ كَسَائِرِ الشَّرُورِ الدَّاخِلَةِ فِي الْقَضَاءِ الْإِلَهِيِّ لِأَنَّهُ قَدْ لَا يَتِمُّ وَجُودُ  
الْخَيْرِ الْكَثِيرِ إِلَّا بِوُجُودِ شَرِّ يَسِيرٍ مِنْ أَجْلِ الْمَوَادِّ فَلَا يَفُوتُ الْخَيْرُ بِذَلِكَ بَلْ يَفُوتُ

عَلَى مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ الْبَسِيرِ وَهَذَا مَعْنَى وَقُوعِ الظُّلْمِ فِي الخَلِيقَةِ فَتَمَهُمْ ثُمَّ إِنَّ  
 كُلَّ طَبَقَةٍ مِنْ طَبَاقِ أَهْلِ العُمُرَانِ مِنْ مَدِينَةٍ أَوْ إِقْلِيمٍ لَهَا قُدْرَةٌ عَلَى مِنْ دُونَهَا مِنْ  
 الطَّبَاقِ وَكُلُّ وَاحِدَةٍ مِنَ الطَّبَقَةِ السُّفْلَى يَسْتَمِدُّ بِدِي الْجَاهِ مِنْ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الَّتِي فَوْقَهُ  
 وَيَزِدَادُ كَسْبُهُ تَصَرُّفًا فِيمَنْ تَحْتَ يَدِهِ عَلَى قَدَرِ مَا يَسْتَفِيدُ مِنْهُ وَالْجَاهُ عَلَى ذَلِكَ دَاخِلٌ  
 عَلَى النَّاسِ فِي جَمِيعِ أَبْوَابِ المعَاشِ وَيَتَسَّعُ وَيَضِيقُ بِحَسَبِ الطَّبَقَةِ وَالطُّورِ الَّذِي فِيهِ  
 صَاحِبُهُ فَإِنْ كَانَ الْجَاهُ مُتَسَعًا كَانَ الكَسْبُ النَّاشِئُ عَنْهُ كَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ ضَيْقًا قَلِيلًا  
 فَشَلُّهُ وَفَاقِدُ الْجَاهِ وَإِنْ كَانَ لَهُ مَالٌ فَلَا يَكُونُ يَسَارُهُ إِلَّا بِمَقْدَارِ عَمَلِهِ أَوْ مَالِهِ وَنِسْبَةِ  
 سَعِيهِ ذَاهِبًا وَآيِبًا فِي تَنْمِيَّتِهِ كَمَا كَثُرَ التُّجَّارُ وَأَهْلُ الفِلاحَةِ فِي العَالِمِ وَأَهْلُ الصَّنَائِعِ  
 كَذَلِكَ إِذَا فَقَدُوا الْجَاهَ وَافْتَصَرُوا عَلَى فَوَائِدِ صَنَائِعِهِمْ فَإِنَّهُمْ يَصِيرُونَ إِلَى الفَقْرِ  
 وَالخِصَاصَةِ فِي الِأَكْثَرِ وَلَا تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ تَرْوَةٌ وَإِنَّمَا يَرْمَقُونَ العَيْشَ تَرْمِيمًا وَيَدْفَعُونَ  
 ضَرُورَةَ الفَقْرِ مَدَافِعَةً وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ وَأَنَّ الْجَاهَ مُتَفَرِّعٌ وَأَنَّ السَّعَادَةَ وَالخَيْرَ مُقْتَرِنَانِ  
 بِحُصُولِهِ عَلِمْتَ أَنَّ بَدْلَهُ وَإِفَادَتَهُ مِنْ أَعْظَمِ النِّعَمِ وَأَجَلًا وَأَنَّ بَازِلَهُ مِنْ أَجْلِ الْمُتَمَعِّينِ  
 وَإِنَّمَا يَبْدُلُهُ لِمَنْ تَحْتَ يَدَيْهِ فَيَكُونُ بَدْلُهُ بِيَدِ عَالِمَةٍ وَعِزَّةً فَيَحْتَاجُ طَالِبُهُ وَمُبْتَغِيهِ إِلَى  
 خُضُوعٍ وَتَمَلُّقٍ كَمَا يَسْأَلُ أَهْلُ العِزِّ وَالْمُلُوكُ وَالِأَقْبَرُ حُصُولَهُ فَلِذَلِكَ قُلْنَا إِنَّ  
 الخُضُوعَ وَالتَّمَلُّقَ مِنْ أَسْبَابِ حُصُولِ هَذَا الْجَاهِ النُّحْصِلِ لِلسَّعَادَةِ وَالكَسْبِ وَإِنْ  
 أَكْثَرَ أَهْلُ التَّرْوَةِ وَالسَّعَادَةِ بِهَذَا التَّمَلُّقِ وَلِهَذَا نُحَدِّثُ الكَثِيرَ مِمَّنْ يَتَخَلَّقُ بِالتَّرَفِّعِ  
 وَالتَّسَمُّمِ لَا يَحْصُلُ لَهُمْ غَرَضُ الْجَاهِ فَيَقْتَصِرُونَ فِي التَّكْسَبِ عَلَى أَعْمَالِهِمْ وَيَصِيرُونَ  
 إِلَى الفَقْرِ وَالخِصَاصَةِ وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الكِبْرَ وَالتَّرَفُّعَ مِنَ الأخلاقِ المَدْمُومَةِ إِنَّمَا يَحْصُلُ  
 مِنْ تَوْهَمِ الكَمَالِ وَأَنَّ النَّاسَ يَحْتَاجُونَ إِلَى بَضَاعَتِهِ مِنْ عِلْمٍ أَوْ صِنَاعَةٍ كَالعَالِمِ المُتَبَجِّجِ  
 فِي عِلْمِهِ وَالكَاتِبِ العَجِيبِ فِي كِتَابَتِهِ أَوْ الشَّاعِرِ البَلِغِ فِي شِعْرِهِ وَكُلُّ مُخْسِنٍ فِي  
 صِنَاعَتِهِ يَتَوَهَّمُ أَنَّ النَّاسَ مُحْتَاجُونَ لِمَا بِيَدِهِ فَيَحْدِثُ لَهُ تَرْفُّعٌ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ وَكَذَا يَتَوَهَّمُ  
 أَهْلُ الأَنْسَابِ مِمَّنْ كَانَ فِي آبَائِهِ مَلِكٌ أَوْ عَالِمٌ مُشْهُورٌ أَوْ كَامِلٌ فِي طُورِ يُعْبَرُونَ بِهِ بِمَا  
 رَأَوْهُ أَوْ سَمِعُوهُ مِنْ حَالِ آبَائِهِمْ فِي المَدِينَةِ وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُمْ اسْتَحَقُّوا مِثْلَ ذَلِكَ بِقَرَابَتِهِمْ  
 إِلَيْهِمْ وَوَرِاثَتِهِمْ عَنْهُمْ فَهُمْ مُتَمَسِّكُونَ فِي الحَاضِرِ بِالأَمْرِ المَعْدُومِ وَكَذَلِكَ أَهْلُ  
 الحِيلَةِ وَالبَصْرِ وَالتُّجَّارِ بِالأُمُورِ قَدْ يَتَوَهَّمُ بَعْضُهُمْ كَمَالًا فِي نَفْسِهِ بِذَلِكَ وَاحْتِياجًا

إِلَيْهِ وَتَجِدُ هُوَ لِأَنَّ الْأَصْنَافَ كُلَّهُمْ مُتَرَفِعِينَ لَا يَخْضَعُونَ لِصَاحِبِ الْجَاهِ وَلَا يَتَمَلَّقُونَ لِمَنْ  
 هُوَ أَعْلَى مِنْهُمْ وَيَسْتَضَعُونَ مَنْ سِوَاهُمْ لِأَعْتِقَادِهِمُ الْفَضْلَ عَلَى النَّاسِ فَيَسْتَنْكِفُ أَحَدُهُمْ  
 عَنِ الْخُضُوعِ وَلَوْ كَانَ لِلْمَلِكِ وَيَعُدُّهُ مَذَلَّةً وَهَيَوَانًا وَسَنَهًا وَيَحْسِبُ النَّاسَ فِي مَعَامَلَتِهِمْ  
 إِيَّاهُ بِمِقْدَارِ مَا يَتَوَهَّمُ فِي نَفْسِهِ وَيَحْقِدُ عَلَى مَنْ قَصَرَ لَهُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَتَوَهَّمُ مِنْ ذَلِكَ  
 وَرُبَّمَا يَدْخُلُ عَلَى نَفْسِهِ الْعُيُوبُ وَالْأَحْزَانُ مِنْ تَقْصِيرِهِمْ فِيهِ وَيَسْتَمِرُّ فِي عِنَاءٍ عَظِيمٍ  
 مِنْ إِجْبَابِ الْحَقِّ لِنَفْسِهِ أَوْ إِيَابَةِ النَّاسِ لَهُ مِنْ ذَلِكَ وَيَحْصُلُ لَهُ الْمَقْتُ مِنَ النَّاسِ لِمَا فِي  
 طَبَاعِ الْبَشَرِ مِنَ النَّأَلِ وَقَدْ أَنْ يَسْلَمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِأَحَدٍ فِي الْكَمَالِ وَالْتِرْفَعِ عَلَيْهِ  
 إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِنَوْعٍ مِنَ الْقَهْرِ وَالْعَلْبَةِ وَالْأَسْطِلَالَةِ وَهَذَا كُلُّهُ فِي زِمَنِ الْجَاهِ فَإِذَا  
 فَقَدَ صَاحِبُ هَذَا الْخُلُقِ الْجَاهَ وَهُوَ مَفْقُودٌ لَهُ كَمَا تَبَيَّنَ لَكَ مَقْتَهُ النَّاسُ بِهَذَا التَّرْفَعِ وَلَمْ  
 يَحْصُلْ لَهُ حِطٌّ مِنْ إِحْسَانِهِمْ وَفُقِدَ الْجَاهُ لِذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى مِنْهُ لِأَجْلِ  
 الْمَقْتِ وَمَا يَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ مِنَ الْقُعُودِ عَنْ تَعَاهُدِهِمْ وَعَشْيَانِ مَنَازِلِهِمْ فَتَسُدُّ مَعَاشَهُ وَيَبْقَى  
 فِي خِصَاصَةٍ وَقَفْرٍ أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ وَأَمَّا الثَّرْوَةُ فَلَا تَحْصُلُ لَهُ أَصْلًا وَمِنْ هَذَا اسْتَهْرَ  
 بَيْنَ النَّاسِ أَنَّ الْكَمَالَ فِي الْمَعْرِفَةِ مَحْرُومٌ مِنَ الْحِطِّ وَأَنَّهُ قَدْ حُوسِبَ بِمَا رَزَقَ مِنْ  
 الْمَعْرِفَةِ وَاقْتَطِعَ لَهُ ذَلِكَ مِنَ الْحِطِّ وَهَذَا مَعْنَاهُ وَمَنْ خَلِقَ لِشَيْءٍ يُسِرُّ لَهُ وَاللَّهُ الْمَقْدُرُ  
 لَا رَبَّ سِوَاهُ وَلَقَدْ يَقَعُ فِي الدُّوَلِ أَضْرَابٌ فِي الْمَرَاتِبِ مِنْ أَهْلِ الْخُلُقِ وَيَرْتَفِعُ فِيهَا كَثِيرٌ  
 مِنَ السَّفَلَةِ وَيَنْزِلُ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلِيَّةِ بِسَبَبِ ذَلِكَ وَذَلِكَ أَنَّ الدُّوَلُ إِذَا بَلَغَتْ نَهَايَتَهَا  
 مِنَ التَّعَلُّبِ وَالْأَسْطِلَالِ أَنْفَرَدَ مِنْهَا مَنِيَّتُ الْمَلِكِ بِمَلِكِهِمْ وَسُلْطَانِهِمْ وَيَسَّسَ مِنْ سِوَاهُمْ  
 مِنْ ذَلِكَ وَإِنَّمَا صَارُوا فِي مَرَاتِبِ دُونَ رِثَابَةِ الْمَلِكِ وَتَحْتَ يَدِ السُّلْطَانِ وَكَانَتْ خَوْلُ  
 لَهُ فَإِذَا اسْتَمَرَّتِ الدُّوَلَةُ وَسَخَّحَ الْمَلِكُ تَسَاوَى حَيْثُئِذٍ فِي الْمَنَزَلَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ كُلُّ  
 مَنْ أُنْتَمَى إِلَى خِدْمَتِهِ وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِنَصِيحَةٍ وَأَصْطَنَعَهُ السُّلْطَانُ لِعُنَائِهِ فِي كَثِيرٍ مِنْ  
 مِهْمَاتِهِ فَتَجِدُ كَثِيرًا مِنَ السُّوْفَةِ يَسْعَى فِي التَّقَرُّبِ مِنَ السُّلْطَانِ بِجِدِّهِ وَنُضْحِهِ وَيَتَرَلَّفُ  
 إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ خِدْمَتِهِ وَيَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِعَظِيمٍ مِنَ الْخُضُوعِ وَالْتِمَاقِ لَهُ وَلِحَاشِيَتِهِ وَأَهْلُ  
 نَسَبِهِ حَتَّى يَرْتَفِعَ قَدَمُهُ مَعَهُمْ وَيَنْظِمُهُ السُّلْطَانُ فِي جُمْلَتِهِ فَيَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ حِطٌّ عَظِيمٌ  
 مِنَ السَّعَادَةِ وَيَنْتَظِمُ فِي عَدَدِ أَهْلِ الدُّوَلَةِ وَتَأَشِيَةُ الدُّوَلَةِ حَيْثُئِذٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَوْمِهَا الَّذِينَ  
 ذَلَّلُوا أَضْغَانَهُمْ وَمَهَدُوا أَكْفَانَهُمْ مُغْتَرِبِينَ بِمَا كَانَ لِأَبَائِهِمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْأَثَارِ لَمْ

تَسْمَحُ بِهِ نَفْسُهُمْ عَلَى السُّلْطَانِ وَيَعْتَدُونَ بِأَثَارِهِ وَيَجْرُونَ فِي مَضَارِ الدَّوْلَةِ بِسَبِّهِ  
فِيْمَقْتَهُمُ السُّلْطَانُ لِذَلِكَ وَيَبْأَعِدُهُمْ وَيَمِيلُ إِلَى هَوْلَاءِ الْمُصْطَفِعِينَ الَّذِينَ لَا يَعْتَدُونَ  
بِقَدِيمٍ وَلَا يَدْهَبُونَ إِلَى دَالَّةٍ وَلَا تَرْفَعُ إِلَّا مَا دَأُّهُمْ الْخُضُوعَ لَهُ وَالتَّمَلُّقَ وَالْإِعْتِمَالَ فِي  
عَرَضِهِ مَتَى ذَهَبَ إِلَيْهِ فَيَتَسَّعُ جَاهُهُمْ وَتَعْلُو مَنَازِلُهُمْ وَتَنْصَرِفُ إِلَيْهِمُ الْوُجُوهُ وَالْخَوَاطِرُ  
بِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ قِبَلِ السُّلْطَانِ وَالْمَكَانَةِ عِنْدَهُ وَيَبْقَى نَاشِئَةُ الدَّوْلَةِ فِيْمَا هُمْ فِيهِ مِنْ  
التَّرْفَعِ وَالْإِعْتِدَادِ بِالْقَدِيمِ لَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدًا مِنَ السُّلْطَانِ وَمَقْتًا وَإِثَارًا لِهَوْلَاءِ  
الْمُصْطَفِعِينَ عَلَيْهِمْ إِلَى أَنْ تَقْرَضَ الدَّوْلَةَ وَهَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيُّ فِي الدَّوْلَةِ وَمِنْهُ جَاءَ شَأْنُ  
الْمُصْطَفِعِينَ فِي الْغَالِبِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لِأَرْبِ سِوَاهُ

### الفصل السابع

في ان القائمين بامور الدين من القضاء والفتيا والتدريس والامامة والخطابة والاذان  
ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب

وَالسَّبَبُ لِذَلِكَ أَنَّ الْكَسْبَ كَمَا قَدَمْنَاهُ قِيَمَةَ الْأَعْمَالِ وَأَنَّهَا مُتَفَاوِتَةٌ بِحَسَبِ  
الْحَاجَةِ إِلَيْهَا فَاذَا كَانَتْ الْأَعْمَالُ ضَرُورِيَّةً فِي الْعُمَرَانِ عَامَّةً الْبَلْوَى بِهِ كَانَتْ قِيَمَتُهَا  
أَعْظَمَ وَكَانَتْ الْحَاجَةُ إِلَيْهَا أَشَدَّ وَأَهْلُ هَذِهِ الصَّنَائِعِ الدِّيْنِيَّةِ لَا تُضْطَرُّ إِلَيْهِمْ عَامَّةً الْخَلْقِ  
وَإِنَّمَا يَحْتَاجُ إِلَى مَا عِنْدَهُمُ الْخَوَاصُّ مِنْ أَقْبَلِ عَلَى دِينِهِ وَإِنْ أَحْتِجَ إِلَى الْفِتْيَانِ وَالْقَضَاءِ  
فِي الْخُصُومَاتِ فَلَيْسَ عَلَى وَجْهِهِ الْإِضْطِرَّارُ وَالْعُمُومُ يَقِيعُ الْإِسْتِغْنَاءَ عَنْ هَوْلَاءِ فِي الْأَكْثَرِ  
وَإِنَّمَا يَهْتَمُّ بِإِقَامَةِ مَرَامِهِمْ صَاحِبُ الدَّوْلَةِ بِمَا نَالَهُ مِنَ النَّظَرِ فِي الْمَصَالِحِ فَيَقْسِمُ لَهُمْ  
حِظًا مِنَ الرِّزْقِ عَلَى نِسْبَةِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِمْ عَلَى النُّحُوِّ الَّذِي قَرَّرْنَاهُ لَا يَسْأَلُوهُمْ بِأَهْلِ  
الشُّوْكَةِ وَلَا بِأَهْلِ الصَّنَائِعِ مِنْ حَيْثُ الدِّيْنِ وَالْمَرَامِ الشَّرْعِيَّةِ لِكِنَّهُ يَقْسِمُ بِحَسَبِ  
عُمُومِ الْحَاجَةِ وَضَرُورَةِ أَهْلِ الْعُمَرَانِ فَلَا يَبْصَحُ فِي قِسْمِهِمْ إِلَّا الْقَلِيلُ وَهُمْ أَيْضًا لَشَرَفِ  
بِضَائِعِهِمْ أَعِزَّةٌ عَلَى الْخَلْقِ وَعِنْدَ نَفْسِهِمْ فَلَا يَخْضَعُونَ لِأَهْلِ الْجَاهِ حَتَّى يَنَالُوا مِنْهُ حِظًا  
يَسْتَدْرُونَ بِهِ الرِّزْقَ بَلْ وَلَا تَفْرُغُ أَوْقَاتُهُمْ لِذَلِكَ لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الشُّغْلِ بِهَذِهِ الْبِضَائِعِ  
الشَّرِيفَةِ الْمَشْتَمِلَةِ عَلَى إِعْمَالِ الْفِكْرِ وَالْبَدَنِ بَلْ وَلَا يَسْمَعُونَ أَبْتَدَالَ أَنْفُسِهِمْ لِأَهْلِ  
الدُّنْيَا لَشَرَفِ بِضَائِعِهِمْ فَهُمْ بِمَعْرُوفٍ عَنْ ذَلِكَ فَلِذَلِكَ لَا تَعْظُمُ ثَرَوَتُهُمْ فِي الْغَالِبِ وَقَدْ  
بَاحَتْ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ فَانْكُرْ ذَلِكَ عَلَيَّ فَوْقَ بِيَدِي أَوْ رَاقٍ مَخْرُوقَةً مِنْ حِسَابَاتِ الدَّوَابِّ

بِدَارِ الْمَأْمُونِ تَشْتَمِلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الدَّخْلِ وَالْخُرْجِ وَكَانَ فِيمَا طَالَعَتْ فِيهِ أَرْزَاقُ  
الْقَضَاءِ وَالْأَيْمَةِ وَالْمَوْذِنِينَ فَوْقَ قَفْتِهِ عَلَيْهِ وَعَلِمَ مِنْهُ صِحَّةُ مَا قَلْبُهُ وَرَجَعَ إِلَيْهِ وَقَضَيْنَا الْعَجَبَ  
مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ وَحِكْمَتِهِ فِي عَوَالِمِهِ وَاللَّهُ الْخَالِقُ الْقَادِرُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الثامن

في ان الفلاحة من معاش المتضعين واهل العافية من البدو  
وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَصِيلٌ فِي الطَّبِيعَةِ وَبَسِيطٌ فِي مَنَحَاهُ وَوَلَدَكَ لَا تَعِدُهُ يَنْتَحِلُهُ أَحَدٌ مِنْ  
أَهْلِ الْحَضَرِ فِي الْغَالِبِ وَلَا مِنَ الْمُتَرَفِينَ وَيَخْتَصُّ مَنْتَحِلُهُ بِالْمَذَلَّةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ وَقَدْ رَأَى السُّكَّةَ بَعْضُ دُورِ الْأَنْصَارِ مَا دَخَلَتْ هَذِهِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَةَ الذُّلُّ  
وَحَمَلَهُ الْبُخَارِيُّ عَلَى الْأَسْتِكْثَارِ مِنْهُ وَتَرَجَمَ عَلَيْهِ بَابَ مَا يُحْدَرُ مِنْ عَوَاقِبِ الْأَشْتِغَالِ  
بِأَلَّةِ الزَّرْعِ أَوْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ وَالسَّبَبُ فِيهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الْمَغْرَمِ  
الْمُفْضِي إِلَى اتِّحَاكِمِ وَالْيَدِ الْعَالِيَةِ فَيَكُونُ الْغَارِمُ ذَلِيلًا بِالسَّاءِ بِمَا تُنْأَوِلُهُ أَيْدِي  
الْقَهْرِ وَالْأَسْتِطَالَةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ الزَّرْكَاهُ مَغْرَمًا  
إِشَارَةً إِلَى الْمَلِكِ الْعَضُوضِ الشَّافِرِ لِلنَّاسِ الَّذِي مَعَهُ التَّسَلُّطُ وَالْجُورُ وَنَسِيَانُ حُتُوقِ اللَّهِ  
تَعَالَى فِي الْمَتَمَوْلَاتِ وَأَعْتِبَارِ الْحُقُوقِ كُلِّهَا مَغْرَمٌ لِلْمَلُوكِ وَالذُّوُلِ وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل التاسع

في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها

اعْلَمْ أَنَّ التِّجَارَةَ مُحَاوَلَةٌ الْكَسْبِ بِتَنْمِيَةِ الْمَالِ بِشِرَاءِ السَّلْعِ بِالرِّخْصِ وَيَبِيعُهَا  
بِالْغَلَاءِ أَيَّامٌ كَانَتْ السَّلْعَةُ مِنْ دَقِيقِ أَوْ زَرْعٍ أَوْ حَيَوَانٍ أَوْ قِمَاشٍ وَوَلَدَكَ الْقَدْرُ النَّامِي  
يَسْمَى رِبْحًا فَالْمُحَاوَلُ لِنِزَالِ الرِّبْحِ إِمَّا أَنْ يَخْتَرَنَ السَّلْعَةَ وَيَتَحَيَّنَ بِهَا حَوَالَةَ الْأَسْوَاقِ  
مِنَ الرِّخْصِ إِلَى الْغَلَاءِ فَيَعْظُمُ رِبْحُهُ وَإِمَّا بِأَنْ يَنْقُلَهُ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ تَنْفَقُ فِيهِ تِلْكَ السَّلْعَةُ  
أَكْثَرَ مِنْ بَلَدِهِ الَّذِي اشْتَرَاهَا فِيهِ فَيَعْظُمُ رِبْحُهُ وَوَلَدَكَ قَالَ بَعْضُ الشُّيُوخِ مِنَ التِّجَارِ  
لِطَلَبِ الْكَشْفِ عَنْ حَقِيقَةِ التِّجَارَةِ أَنَا أَعْلَمُهَا لَكَ فِي كَلِمَتَيْنِ اشْتَرَاهُ الرِّخِيسِ وَيَبِيعُ  
الْغَالِي فَقَدْ حَصَلَتْ التِّجَارَةُ إِشَارَةً مِنْهُ بِذَلِكَ إِلَى الْمَعْنَى الَّذِي قَرَرْنَاهُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لَا رَبَّ سِوَاهُ

## الفصل العاشر

في اي اصناف الناس يتخرف بالتجارة وايهم ينبغي له اجتناب حرفها  
قد قدمنا ان معنى التجارة تنمية المال بشراء البضائع ومحاولة بيعها بأعلى من  
تمن الشراء إما بانتظار حوالة الأسواق أو نقلها إلى بلدٍ في فيه أنفق وأعلى أو بيعها  
بالغلاء على الأجل وهذا الربح بالنسبة إلى أصل المال يسير إلا أن المال إذا  
كان كثيراً عظم الربح لأن القليل في الكثير كثير ثم لا بد في محاولة هذه  
التنمية من حصول هذا المال بأيدي الباعة في شراء البضائع وبيعها ومعامالتهم في  
تقاضي أثمانها وأهل النصفة قليل فلا بد من الغش والتظيف الخجف بالبضائع  
ومن المظلل في الأتمان الخجف بالربح كتعطيل المحاولة في تلك المدة وبها نموها  
ومن الجحود والإنكار المسحت لرأس المال إن لم يتقيد بالكتاب والشهادة  
وعنى الحكم في ذلك قليل لأن الحكم إنما هو على الظاهر فيعاني التاجر من ذلك  
أحوالاً صعبة ولا يكاد يحصل على ذلك التافه من الربح إلا بعظم العناء والمشقة  
أو لا يحصل أو يتلشى رأس ماله فإن كان جريئاً على الخصومة بصيراً بالحسبان شديد  
المماحكة مقدماً على الحكم كان ذلك أقرب له إلى النصفة بجزءته منهم  
ومما حكته وإلا فلا بد له من جاه يدرع به يوقع له الهيبة عند الباعة ويحمل  
الحكم على إنصافه من معاملته فيحصل له بذلك النصفة في ماله طوعاً في الأول  
وكرهاً في الثاني وأما من كان فاقداً للجرأة والأقدام من نفسه فاقداً للجاه من الحكم  
فينبغي له أن يجنب الاحتراف بالتجارة لأنه يعرض ماله للبضائع والذهب ويصير  
مأكلاً للباعة ولا يكاد ينتصف منهم لأن الغالب في الناس وخصوصاً الرعاع والباعة  
شرون إلى ما في أيدي الناس سواهم متوثبون عليه ولولا وازع الأحكام لأصبحت  
أموال الناس نهياً ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله  
ذو فضل على العالمين

## الفصل الحادي عشر

في ان خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك  
وذلك ان التجار في غالب احوالهم انما يعانون البيع والشراء ولا بد فيه من

المكايسة ضرورة فإن اقتصر عليها اقتصرت به على خلقها وهي أعني خلق المكايسة بعيدة عن المرأة التي تتخلق بها الملوك والأشراف وأما إن استنزل خلقه بما يتبع ذلك في أهل الطبقة السفلى منهم من المماحكة والغش والخلافة وتعاهد الأيمان الكاذبة على الأثمان رداً وقبولاً فأجدر بذلك الخلق أن يكون في غاية المدلة لما هو معروف ولذلك تجدد أهل الرئاسة يتحامون الأحراف بهذه الحرفة لأجل ما يكسب من هذا الخلق وقد يوجد منهم من يسلم من هذا الخلق ويتحاماه لشرف نفسه وكرمه جلالة إلا أنه في النادر بين الوجود والله يهدي من يشاء بفضلِهِ وكرمه وهو رب الأولين والآخرين

### الفصل الثاني عشر

في نقل التاجر للسلع

التاجر البصير بالتجارة لا ينقل من السلع إلا ما تهم الحاجة إليه من الغني والفقير والساطان والسوفة إذ في ذلك نفاق سلغته وأما إذا اخصت ثقله بما يحتاج إليه البعض فقط فقد يتعدى نفاق سلغته حينئذ باعوازي الشراء من ذلك البعض لعارض من العوارض فتكسد سوفة وتفسد أرباحة وكذلك إذا نقل السلعة المحتاج إليها فإنما ينقل الوسط من صنفها فإن العالي من كل صنف من السلع إنما يختص به أهل الثروة وحاشية الدولة وهم الأقل وإنما يكون الناس أسوة في الحاجة إلى الوسط من كل صنف فليتحرك ذلك جهده ففيه نفاق ساعة أو كسادها وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسافة أو في شدة الخطر في الطرقات يكون أكثر فائدة للتجار وأعظم أرباحاً وأفضل بجوالة الأسواق لأن السلعة المنقولة حينئذ تكون قليلة معوزة لبعد مكانها أو شدة الغرر في طريقها فيقل حاملوها ويعرّ وجودها وإذا قلت وعزّت غلت أثمانها وأما إذا كان البلد قريب المسافة والطريق سائلاً بالأمن فإنه حينئذ يكثر ناولوها فتكثر وترخص أثمانها ولهذا تجدد التجار الذين يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفة الناس وأكثرهم أموالاً لبعد طريقهم ومشقته واعتراض المفازة الصعبة المخطرة بالخوف والعطش لا يوجد فيها الماء إلا في أماكن معلومة يهتدي إليها أدلاء الركب إن فلا يرتكب خطر هذا الطريق وبعده إلا الأقل من الناس فتجد

سَلَعِ بِلَادِ السُّودَانِ قَلِيلَةً لَدَيْنَا فَتَخْتَصُّ بِالْعَلَاءِ وَكَذَلِكَ سَاعِنَا لَهُمْ فَنَعْظُمُ بَضَائِعَ الشَّجَارِ  
 مِنْ تَنَاوُلِهَا وَيُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْغَنَى وَالثَّرْوَةُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَكَذَلِكَ الْمَسَافِرُونَ مِنْ بِلَادِنَا  
 إِلَى الْمَشْرِقِ لِبُعْدِ الشُّقَّةِ أَيْضًا وَأَمَّا الْمُرْتَدِّدُونَ فِي الْفَقْرِ وَاحِدٍ مَا بَيْنَ أَمْصَارِهِ وَبَلَدَانِهِ  
 ففَائِدَتُهُمْ قَلِيلَةٌ وَأَرْبَابُهُمْ نَافِيَةٌ كَثِيرَةٌ السَّلْعِ وَكَثِيرَةٌ نَافِلِيهَا وَاللَّهُ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ

### الفصل الثالث عشر

#### في الاحتكار

وَمِمَّا اُسْتُهْمَرَ عِنْدَ ذَوِي الْبَصَرِ وَالتَّجْرِبَةِ فِي الْأَمْصَارِ أَنَّ احْتِكَارَ الزَّرْعِ لَتَحْبِنَ  
 أَوْقَاتِ الْعَلَاءِ مَشُومٌ وَأَنَّهُ يَعُودُ عَلَى فَائِدَتِهِ بِالتَّلَفِ وَأَخْضَرَانِ وَسَبَبُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّ  
 النَّاسَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَى الْأَقْوَاتِ مُضْطَرُونَ إِلَى مَا يَبْدُلُونَ فِيهَا مِنَ الْمَالِ اضْطِرَارًا فَتَبَقَى  
 النَّفْسُ مُتَعَلِّقَةً بِهِ وَفِي تَعَلُّقِ النَّفْسِ بِمَا لَهَا سِرٌّ كَبِيرٌ فِي وَبَالِهِ عَلَى مَنْ يَأْخُذُهُ نَجَانًا وَلَعَلَّهُ  
 الَّذِي أَعْتَبَرَهُ الشَّارِعُ فِي اخْتِيارِ الْأَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَطَلِ وَهَذَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَجَانًا فَالنَّفْسُ  
 مُتَعَلِّقَةٌ بِهِ لِإِعْطَائِهِ ضَرُورَةً مِنْ غَيْرِ سَعَةٍ فِي الْعُذْرِ فَهُوَ كَالْمُكْرَهِ وَمَا عَدَا الْأَقْوَاتِ  
 وَالْمَأْكُولَاتِ مِنَ الْمَبِيعَاتِ لَا اضْطِرَارَ لِلنَّاسِ إِلَيْهَا وَإِنَّمَا يَبْعَثُهُمْ عَلَيْهَا التَّفَنُّنُ فِي  
 الشَّهَوَاتِ فَلَا يَبْدُلُونَ أَمْوَالَهُمْ فِيهَا إِلَّا بِاخْتِيارِ وَحَرِصَ وَلَا يَبْقَى لَهُمْ تَعَلُّقٌ بِمَا أَعْطَوْهُ  
 فَلِهَذَا يَكُونُ مَنْ عُرِفَ بِالِاحْتِكَارِ يَجْتَمِعُ الْقَوَى النَّفْسَانِيَّةُ عَلَى مُتَابَعَتِهِ لِمَا يَأْخُذُهُ مِنْ  
 أَمْوَالِهِمْ فَيَفْسُدُ رِيحُهُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. وَسَمِعْتُ فِيهَا يَنَاسِبُ هَذَا حِكَايَةَ ظَرِيفَةٍ عَنْ بَعْضِ  
 مَشِيخَةِ الْمَغْرِبِ أَخْبَرَنِي شَيْخُنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْأَبْلِيُّ قَالَ حَضَرْتُ عِنْدَ الْقَاضِي بِنَاسِ لِعَهْدِ  
 السُّلْطَانِ أَبِي سَعِيدٍ وَهُوَ الْقَبِيهِيُّ أَبُو الْحَسَنِ الْمَكَلِيُّ وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ أَنْ يَخْتَارَ بَعْضَ  
 الْأَلْقَابِ الْخَزِينِيَّةِ لِحِرَابَتِهِ قَالَ فَاطْرُقْ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ مِنْ مَكْسِ الْخَمْرِ فَاسْتَضْحَكَ الْخَاضِرُونَ  
 مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَجِبُوا وَسَأَلُوهُ عَنْ حِكْمَةِ ذَلِكَ فَقَالَ إِذَا كَانَتْ الْجَبَايَاتُ كُلُّهَا حَرَامًا  
 فَاخْتَارَ مِنْهَا مَا لَا يُتَابَعُهُ نَفْسٌ مُعْطِيهِ وَالْخَمْرُ قُلٌّ أَنْ يَبْدَلَ فِيهَا أَحَدُ مَالِهِ إِلَّا وَهُوَ  
 طَرِبٌ مُسْرُورٌ بِوُجُودِهِ غَيْرُ أَسْفٍ عَلَيْهِ وَلَا مُتَعَلِّقٌ بِهِ نَفْسُهُ وَهَذِهِ مَلاحِظَةٌ غَرِيبَةٌ  
 وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَعْلَمُ مَا تَكُنُّ الْأُصْدُورُ

## الفصل الرابع عشر

في ان رخص الاسعار مضر بالمخترفين بالرخص

وَذَلِكَ أَنَّ الْكَسْبَ وَالْمَعَاشَ كَمَا قَدَّمْنَاهُ إِنَّمَا هُوَ بِالصَّنَاعِ أَوْ التِّجَارَةِ  
وَالتِّجَارَةِ هِيَ شِرَاءُ البَضَائِعِ وَالسَّلْعِ وَأَدْخَالُهَا بِتَحِينَ بِهَا حَوَالَةَ الْأَسْوَاقِ بِالزَّرِيادَةِ فِي  
أَثْمَانِهَا وَيُسَمَّى رِبْحًا وَيَحْصُلُ مِنْهُ الْكَسْبُ وَالْمَعَاشُ لِلْمُخْتَرِفِينَ بِالتِّجَارَةِ دَائِمًا فَإِذَا  
اسْتَدِيمَ الرُّخْصَ فِي سَاعَةٍ أَوْ عَرَضٍ مِنْ مَأْكُولٍ أَوْ مَلْبُوسٍ أَوْ مَتَمَوْلٍ عَلَى الْجُمْلَةِ  
وَلَمْ يَحْصُلْ لِلتَّاجِرِ حَوَالَةَ الْأَسْوَاقِ فَسَدَ الرَّبْحُ وَالنَّمَاءُ يَطُولُ تِلْكَ الْمُدَّةَ وَكَسَدَتْ  
سُوقُ ذَلِكَ الصَّنِيفِ فَعَدَّ التَّجَارُ عَنِ السَّعْيِ فِيهَا وَفَسَدَتْ رُؤُوسُ أَمْوَالِهِمْ وَاعْتَبِرَ ذَلِكَ  
أَوَّلًا بِالزَّرْعِ فَإِنَّهُ إِذَا اسْتَدِيمَ رُخْصَهُ يَفْسُدُ بِهِ حَالُ الْمُخْتَرِفِينَ بِسَائِرِ أَطْوَارِهِ مِنَ  
الْفَلْحِ وَالزَّرْعَةِ لِقَلَّةِ الرَّبْحِ فِيهِ وَنَدَارَتِهِ أَوْ فَقْدِهِ فَيَفْقِدُونَ النَّمَاءَ فِي أَمْوَالِهِمْ أَوْ  
يَجِدُونَهُ عَلَى قَلَّةٍ وَيَعُودُونَ بِالْإِنْفَاقِ عَلَى رُؤُوسِ أَمْوَالِهِمْ وَتَفْسُدُ أَحْوَالُهُمْ وَيَصِيرُونَ  
إِلَى الْفَقْرِ وَالْخِصَاصَةِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ فَسَادُ حَالِ الْمُخْتَرِفِينَ أَيْضًا بِالطَّحْنِ وَالتَّحْبِزِ وَسَائِرِ مَا  
يَتَعَلَّقُ بِالزَّرْعَةِ مِنَ الْحَرْثِ إِلَى صَبْرُورَتِهِ مَا كُولا وَكَذَا يَفْسُدُ حَالُ الْمُجْنِدِ إِذَا كَانَتْ  
أَرْزَاقُهُمْ مِنَ السُّلْطَانِ عَلَى أَهْلِ الْفَلْحِ زَرَعًا فَإِنَّهَا تُنْقَلُ جِبَابَتُهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَيَعْجِزُونَ عَنِ  
إِقَامَةِ الْجُنْدِيَّةِ الَّتِي هِيَ بِسَبَبِهَا وَمُطَالَبُونَ بِهَا وَمُنْقَطِعُونَ لَهَا فَتَفْسُدُ أَحْوَالُهُمْ وَكَذَا إِذَا  
اسْتَدِيمَ الرُّخْصَ فِي السُّكَّرِ أَوْ الْعَسَلِ فَسَدَ جَمِيعُ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ وَقَعَدَ الْمُخْتَرِفُونَ عَنِ  
التِّجَارَةِ فِيهِ وَكَذَا الْمَلْبُوسَاتِ إِذَا اسْتَدِيمَ فِيهَا الرُّخْصَ فَإِذَا الرُّخْصُ الْمَفْرُطُ يُخْجَفُ  
بِمَعَاشِ الْمُخْتَرِفِينَ بِذَلِكَ الصَّنِيفِ الرُّخْصِ وَكَذَلِكَ الْغَلَاءُ الْمَفْرُطُ أَيْضًا وَإِنَّمَا مَعَاشُ  
النَّاسِ وَكَسْبُهُمْ فِي التَّوَسُّطِ مِنْ ذَلِكَ وَسُرْعَةَ حَوَالَةِ الْأَسْوَاقِ وَعَلِمَ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى  
الْعَوَائِدِ الْمُتَقَرَّرَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْعُمَرَانِ وَإِنَّمَا يُخْجَفُ الرُّخْصُ فِي الزَّرْعِ مِنْ بَيْنِ الْمَبِيعَاتِ  
لِعُمُومِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ وَأَضْطِرَّارِ النَّاسِ إِلَى الْأَقْوَاتِ مِنْ بَيْنِ الْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَالْعَالَةِ مِنَ  
الْمَخْلُوقِ هُمْ الْأَكْثَرُ فِي الْعُمَرَانِ فَيَعْمُرُ الرَّفِيقُ بِذَلِكَ وَيُرْجِعُ جَانِبَ الْقُوْتِ عَلَى جَانِبِ  
التِّجَارَةِ فِي هَذَا الصَّنِيفِ الْخَاصِّ وَاللَّهُ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

## الفصل الخامس عشر

في ان خلق التجارة نازلة عن خلق الروء ساء وبعيدة من المروءة  
 قَدْ قَدَّمْنَا فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ أَنَّ التَّاجِرَ مَدْفُوعٌ إِلَى مَعَانَاةِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَجَلَبَ الْفَوَائِدِ  
 وَالْأَرْبَاحِ وَلَا بَدَّ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَكَايَسَةِ وَالْمَا حِكَةِ وَالتَّحْدِثِ وَمَا رَسَاةِ الْخُصُومَاتِ وَاللِّجَاجِ  
 وَهِيَ عَوَارِضُ هَذِهِ الْحَرْفَةِ وَهَذِهِ الْأَوْصَافُ نَقْصٌ مِنَ الذِّكَاةِ وَالْمَرْوَةِ وَتَجَرُّحٌ فِيهَا لِأَنَّ  
 الْأَفْعَالَ لَا بَدَّ مِنْ عَوْدِ آثَارِهَا عَلَى النَّفْسِ فَأَفْعَالُ الْخَيْرِ تَعُودُ بِآثَارِ الْخَيْرِ وَالزُّكَاةِ  
 وَأَفْعَالُ الشَّرِّ وَالسَّفْسَفَةِ تَعُودُ بِضِدِّ ذَلِكَ فَتَتِمَّكُنْ وَتَرْتَبِحْ إِنْ سَبَقَتْ وَتَكَرَّرَتْ وَتَنْقُصُ  
 خِلَالَ الْخَيْرِ إِنْ تَأَخَّرَتْ عَنْهَا بِمَا يَنْطَبِعُ مِنْ آثَارِهَا الْمَذْمُومَةِ فِي النَّفْسِ شَأْنَ الْمَلِكَاتِ  
 النَّاشِئَةِ عَنِ الْأَفْعَالِ وَتَنْفَاوَتْ هَذِهِ الْآثَارُ بِتَفَاوُتِ اصْنَافِ التَّجَارِ فِي أَطْوَارِهِمْ فَمَنْ  
 كَانَ مِنْهُمْ سَافِلَ الطَّوْرِ مُحَالَفًا لِأَشْرَارِ الْبَاعَةِ أَهْلِ الْغَشِّ وَالْخَلَابَةِ وَالْفُجُورِ فِي الْأَيْمَانِ  
 إِفْرَارًا وَإِنْكَارًا كَانَتْ رَدَاءَةٌ تِلْكَ الْخَلْقِ عَنْهُ أَشَدَّ وَغَابَتْ عَلَيْهِ السَّفْسَفَةُ وَبَعْدَ عَنِ  
 الْمَرْوَةِ وَآ كِتْسَابِهَا بِالْجُمْلَةِ وَإِلَّا فَلَا بَدَّ لَهُ مِنْ تَأْثِيرِ الْمَكَايَسَةِ وَالْمَا حِكَةِ فِي  
 مَرْوَتِهِ وَفَقْدَانِ ذَلِكَ مِنْهُمْ فِي الْجُمْلَةِ وَوُجُودِ الصَّنِفِ الثَّانِي مِنْهُمْ الَّذِي قَدَّمْنَاهُ فِي الْفَصْلِ  
 قَبْلَهُ أَنَّهُمْ يَدْرَعُونَ بِالْجَاهِ وَيَعْوِضُ لَهُمْ مِنْ مُبَاشَرَةِ ذَلِكَ فَهَم تَادِرٌ وَأَقْلٌ مِنَ التَّادِرِ  
 وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْمَالُ قَدْ يُوْجَدُ عِنْدَهُ دَفْعَةً بِنَوْعِ غَرِيبٍ أَوْ وَرَثَةٍ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ  
 بَيْتِهِ فَحَصَلَتْ لَهُ تَرْوَةٌ تُعِينُهُ عَلَى الْإِتِّصَالِ بِأَهْلِ الدَّوْلَةِ وَتَكْسِبُهُ ظُهُورًا وَشُهْرَةً بَيْنَ أَهْلِ  
 عَصْرِهِ فَيَرْتَفِعُ عَنِ مُبَاشَرَةِ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ وَيُدْفَعُهُ إِلَى مَنْ يَقُومُ لَهُ بِهِ مِنْ وَكَلَائِهِ وَحَشَمِهِ  
 وَيُسَهِّلُ لَهُ الْحُكَّامُ النُّصَفَةَ فِي حَقُوقِهِمْ بِمَا يُؤَسِّسُونَهُ مِنْ بَرِّهِ وَإِنْخَافِهِ فَيُعِدُّونَهُ عَنْ  
 تِلْكَ الْخَلْقِ بِالْبُعْدِ عَنْ مَعَانَاةِ الْأَفْعَالِ الْمُقْتَضِيَةِ لَهَا كَمَا مَرَّ فَتَكُونُ مَرْوَتُهُمْ أَرْتَبِحَ  
 وَأَبْعَدَ عَنِ تِلْكَ الْمُحَاجَاةِ إِلَّا مَا يَسْرِي مِنْ آثَارِ تِلْكَ الْأَفْعَالِ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ فَإِنَّهُمْ  
 يُضْطَرُّونَ إِلَى مُشَارَفَةِ أَحْوَالِ أَوْلِيكَ الْوُكَلَاءِ وَرِفَاقِهِمْ أَوْ خِلَافِهِمْ فِيمَا يَأْتُونَ أَوْ يَدْرُونَ  
 مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ قَلِيلٌ وَلَا يَكَادُ يَظْهَرُ أَثَرُهُ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ

## الفصل السادس عشر

في ان الصنائع لا بد لها من العلم  
 اعْلَمَنَّ أَنَّ الصَّنَاعَةَ هِيَ مَلَكَةٌ فِي أَمْرِ عَمَلِيٍّ فِكْرِيٍّ وَبِكُونِهِ عَمَلِيًّا هُوَ جَسْمَانِيٌّ

مَحْسُوسٌ وَالْأَحْوَالُ الْجِسْمَانِيَّةُ الْمَحْسُوسَةُ فَتَقْلِبُهَا بِأَنْبَاشِرَةٍ أَوْعَبَ لَهَا وَأَكْمَلَ لِأَنَّ  
 الْمَبَاشِرَةَ فِي الْأَحْوَالِ الْجِسْمَانِيَّةِ الْمَحْسُوسَةِ أُمَّتٌ فَائِدَةٌ وَالْمَلَكَةُ صُنْةٌ رَاسِخَةٌ تَحْضُلُ  
 عَنْ اسْتِعْمَالِ ذَلِكَ النَّعْلِ وَتُكْرَرُهُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى تَرَسِخَ صُورَتُهُ وَعَلَى نِسْبَةِ الْأَصْلِ  
 تَكُونُ الْمَلَكَةُ وَتَقَلُّ الْمَعَايِنَةُ أَوْعَبَ وَأُمَّتٌ مِنْ نَقْلِ الْخَبَرِ وَالْعِلْمِ فَالْمَلَكَةُ الْحَاصِلَةُ  
 عَنْ الْخَبَرِ عَلَى قَدَرِ جُودَةِ التَّعْلِيمِ وَمَلَكَةُ الْمُتَعَلِّمِ فِي الصَّنَاعَةِ وَحُصُولِ مَلَكَتِهِ ثُمَّ  
 إِنَّ الصَّنَاعِعَ مِنْهَا الْبَسِيطُ وَمِنْهَا الْمَرْكَبُ وَالْبَسِيطُ هُوَ الَّذِي يَخْتَصُّ بِالضَّرُورِيَّاتِ  
 وَالْمَرْكَبُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ لِلْكَمَالِيَّاتِ وَالْمُتَقَدِّمُ مِنْهَا فِي التَّعْلِيمِ هُوَ الْبَسِيطُ لِبَسَاطَتِهِ  
 أَوَّلًا وَلِإِنَّهُ يَخْتَصُّ بِالضَّرُورِيِّ الَّذِي نَتَوَقَّرُ الدَّوَاعِيَ عَلَى نَقْلِهِ فَيَكُونُ سَابِقًا فِي التَّعْلِيمِ  
 وَيَكُونُ تَعْلِيمُهُ نَاقِصًا وَلَا يَزَالُ الْفِكْرُ يُخْرِجُ أَصْنَافَهَا وَمَرْكَبَاتِهَا مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ  
 بِالْإِسْتِنْبَاطِ شَيْئًا فَشَيْئًا عَلَى التَّدْرِيجِ حَتَّى تَبْكَمَلَ وَلَا يَحْضُلُ ذَلِكَ دَفْعَةً وَإِنَّمَا يَحْضُلُ  
 فِي أَرْزَانٍ وَأَجْرَالٍ إِذْ خَرُجَ الْأَشْيَاءُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى النَّعْلِ لَا يَكُونُ دَفْعَةً لَا سِيمَا  
 فِي الْأُمُورِ الصَّنَاعِيَّةِ فَلَا بَدَلَهُ إِذَنْ مِنْ زَمَانٍ وَهَذَا تَجَدُّ الصَّنَاعِعِ فِي الْأَمْصَارِ الصَّغِيرَةِ  
 نَاقِصَةً وَلَا يُوْجَدُ مِنْهَا إِلَّا الْبَسِيطُ فَإِذَا تَزَايَدَتْ حَضَارَتُهَا وَدَعَتْ أُمُورَ التَّرَفِّ فِيهَا إِلَى  
 اسْتِعْمَالِ الصَّنَاعِعِ خَرَجَتْ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ وَتَنْقَسِمُ الصَّنَاعِعُ أَيْضًا إِلَى مَا يَخْتَصُّ  
 بِأَمْرِ الْمَعَاشِ ضَرُورِيًّا كَانَ أَوْ غَيْرِ ضَرُورِيٍّ وَإِلَى مَا يَخْتَصُّ بِالْأَفْكَارِ الَّتِي هِيَ خَاصَّةٌ  
 لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْعُلُومِ وَالصَّنَاعِعِ وَالسِّيَاسَةِ وَمِنَ الْأَوَّلِ الْحَيَاكَةِ وَالْحِزَاةَ وَالنَّجَارَةَ  
 وَالْحِدَادَةَ وَمِثَالَهَا وَمِنَ الثَّانِي الْوَرَاةَ وَهِيَ مَعَانَةُ الْكُتُبِ بِالْإِنْتِسَاحِ وَالنَّجْدِ وَالغِنَاءَ  
 وَالشَّعْرَ وَتَعْلِيمَ الْعِلْمِ وَمِثَالُ ذَلِكَ وَمِنَ الثَّلَاثِ الْجُنْدِيَّةَ وَمِثَالُهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل السابع عشر

في ان الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرتة  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ مَا لَمْ يَسْتَوْفِ الْعُمُرَانُ الْحَضْرِيَّ وَاتَّمَدَنَّ الْمَدِينَةُ  
 إِنَّمَا هُمْ فِي الضَّرُورِيِّ مِنَ الْمَعَاشِ وَهُوَ تَحْضِيلُ الْأَقْوَاتِ مِنَ الْخِطَّةِ وَغَيْرِهَا فَإِذَا  
 تَمَدَّتْ الْمَدِينَةُ وَتَزَايَدَتْ فِيهَا الْأَعْمَالُ وَوَقَّتْ بِالضَّرُورِيِّ وَزَادَتْ عَلَيْهِ صَرْفَ الزَّائِدِ  
 حِينَئِذٍ إِلَى الْكَمَالَاتِ مِنَ الْمَعَاشِ ثُمَّ إِنَّ الصَّنَاعِعَ وَالْعُلُومَ إِنَّمَا هِيَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ  
 حَيْثُ فِكْرُهُ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنِ الْحَيَوَانَاتِ وَالْقُوَّةُ لَهُ مِنْ حَيْثُ الْحَيَوَانِيَّةُ وَالغَدَائِيَّةُ فَهُوَ

مقدم لضرورته على العلوم والصنائع وهي متأخرة عن الضروري وعلى مقدار عمران  
البلد تكون جودة الصنائع للتأنيق فيها حينئذ واستجدادة ما يطلب منها بحيث تتوفر  
دواعي الترف والثروة وأما العمران البدوي أو القليل فلا يحتاج من الصنائع إلا  
البسيط خاصة المستعمل في الضروريات من تجار أو حداد أو خياط أو حائك أو  
جزار وإذا وجدت هذه بعد فلا توجد فيه كاملة ولا مستجددة وإنما يوجد منها بمقدار  
الضرورة إذ هي كلها وسائل إلى غيرها وليست مقصودة لذاتها وإذا زخر بجزر العمران  
وطبقت فيه الكمالات كان من جعلتها التأنيق في الصنائع واستجدادها فكملت  
بجميع متمماتها وتزايدت صنائع أخرى معها مما تدعو إليه عوائد الترف وأحواله من  
جزار ودباغ وخرزاز وصانغ وأمثال ذلك وقد تنتهي هذه الأصناف إذا استبحر العمران  
إلى أن يوجد منها كثير من الكمالات والتأنيق فيها في الغاية وتكون من وجود المعاش  
في المصير لمنتهى بل تكون فائدها من أعظم فوائد الأعمال لما يدعو إليه الترف  
في المدينة مثل الدهان والصفار والحماشي والطباخ والشمع والهراس ويعلم الغناء  
والرقص وفرع الطبول على التوقيع ومثل الوراقين الذين يعاونون صناعة أنتساح  
الكتب وتجليدها وتصحيفها فإن هذه الصناعة إنما يدعو إليها الترف في المدينة  
من الأشغال بالأمور الفكرية وأمثال ذلك وقد يخرج عن الحد إذا كان العمران  
خارجاً عن الحد كما بلغنا عن أهل مصر أن فيهم من يعلم الطيور النجم والحمر  
الأنسية ويتخيل أشياء من العجائب بإيهاهم قلب الأعيان وتعلم الحداء والرقص  
والمشي على الخيوط في الهواء ورفع الأثقال من الحيوان والحجارة وغير ذلك من  
الصنائع التي لا توجد عندنا بالمغرب لأن عمران أمصاره لم يبلغ عمران مصر والقاهرة  
إدام الله عمراتها بالمسلمين

### الفصل الثامن عشر

في ان رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة وطول امده  
والسبب في ذلك ظاهر وهو ان هذه كلها عوائد للعمران والأوان والعوائد إنما  
ترسخ بكثرة التكرار وطول الأمد فتستحكم صبغة ذلك وترسخ في الأجيال  
وإذا استحكمت الصبغة عسر نزوعها ولهذا نجد في الأمصار التي كانت استبحرت في

الْحَضَارَةَ لَمَّا تَرَاجَعَ عُمَرَانُهَا وَتَنَاقَصَ بَقِيَّتَ فِيهَا أَنَارُ مِنْ هَذِهِ الصَّنَائِعِ لَيْسَتْ فِي غَيْرِهَا  
 مِنَ الْأَمْصَارِ الْمُسْتَحْدَثَةِ الْعُمَرَانِ وَلَوْ بَلَغَتْ مَبَالِغَهَا فِي الْوُثُورِ وَالْمَكْرَزَةِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا  
 لِأَنَّ أَحْوَالَ تِلْكَ الْقَدِيمَةِ الْعُمَرَانَ مُسْتَحْكِمَةٌ رَاسِخَةٌ بِطُولِ الْأَحْقَابِ وَتَدَاوُلِ الْأَحْوَالِ  
 وَتَكَرُّرِهَا وَهَذِهِ لَمْ تَبْلُغِ الْعَايَةَ بَعْدُ وَهَذَا كَلْحَالِ فِي الْأَنْدَلُسِ لِهَذَا الْعَهْدِ فَإِنَّا نَجِدُ  
 فِيهَا رُسُومَ الصَّنَائِعِ قَائِمَةً وَأَحْوَالَهَا مُسْتَحْكِمَةً رَاسِخَةً فِي جَمِيعِ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ عَوَائِدُ  
 أَمْصَارِهَا كَالْمَبَانِي وَالطَّبِيخِ وَأَصْنَافِ الْغِنَاءِ وَاللَّهْوِ مِنَ الْأَلَاتِ وَالْأَلْوَانِ وَالرَّنْصِ  
 وَتَنْصِيدِ الْفُرُشِ فِي الْقُصُورِ وَحُسْنِ التَّرْتِيبِ وَالْأَوْضَاعِ فِي الْبِنَاءِ وَصَوْنِ الْآيَةِ مِنَ  
 الْمَعَادِنِ وَالْخَرْقِ وَجَمِيعِ الْمَوَاعِينِ وَإِقَامَةِ الْوَلَائِمِ وَالْأَعْرَاسِ وَسَائِرِ الصَّنَائِعِ الَّتِي  
 يَدْعُو إِلَيْهَا التَّرَفُ وَعَوَائِدُهَا فَيَجِدُهَا أَقْوَمَ عَلَيْهَا وَأَبْصَرَ بِهَا وَنَجِدُ صُنَائِعَهَا مُسْتَحْكِمَةً  
 لَدَيْهِمْ فَبِمِمْ عَلَى حِصَّةٍ مَوْفُورَةٍ مِنْ ذَلِكَ وَحِظٍّ مُتَمَيِّزٍ بَيْنَ جَمِيعِ الْأَمْصَارِ وَإِنْ كَانَ  
 عُمَرَانُهَا قَدْ تَنَاقَصَ وَالْكَثِيرُ مِنْهُ لَا يُسَاوِي عُمَرَانَ غَيْرِهَا مِنْ بِلَادِ الْعُدُودِ وَمَا ذَاكَ  
 إِلَّا لِمَا قَدَّمَ نَاهُ مِنْ رُسُوحِ الْحَضَارَةِ فِيهِمْ بِرُسُوحِ الدَّوْلَةِ الْأُمُويَّةِ وَمَا قَبْلَهَا مِنْ دَوْلَةِ  
 الْقُوطِ وَمَا بَعْدَهَا مِنْ دَوْلَةِ الطَّوَائِفِ وَهَلُمَّ جَرًّا فَبَلَغَتْ الْحَضَارَةُ فِيهَا مَبَالِغًا لَمْ تَبْلُغْهُ فِي قَطْرِ  
 الْأَمَّا يُنْقَلُ عَنِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ أَيْضًا لِطُولِ أَمَارِ الدُّوَلِ فِيهَا فَاسْتَحْكَمَتْ فِيهَا  
 الصَّنَائِعُ وَكَمَلَتْ جَمِيعُ أَصْنَافِهَا عَلَى الْأَسْبَاجَةِ وَالتَّنْحِيْقِ وَبَقِيَّتْ صِبْغَتُهَا ثَابِتَةً فِي ذَلِكَ  
 الْعُمَرَانَ لَا تَمَارِفُهُ إِلَى أَنْ يَنْتَقِضَ بِالْكَيْلِ حَالُ الصَّبْغِ إِذَا رَسَخَ فِي التَّنُوبِ وَكَذَا  
 أَيْضًا حَالُ تُونِسَ فِيمَا حَصَلَ فِيهَا بِالْحَضَارَةِ مِنَ الدُّوَلِ الصَّنَهَاجِيَّةِ وَالْمَوْحِدِينَ مِنْ  
 بَعْدِهِمْ وَمَا اسْتَحْكَمَ لَهَا فِي ذَلِكَ مِنَ الصَّنَائِعِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ  
 دُونَ الْأَنْدَلُسِ إِلَّا أَنَّهُ مُتَضَاعِفٌ بِرُسُومٍ مِنْهَا تُنْقَلُ إِلَيْهَا مِنْ مِصْرَ لِقُرْبِ الْمَسَافَةِ بَيْنَهُمَا  
 وَتَرُدُّ الْمَسَافِرِينَ مِنْ قَطْرِهَا إِلَى قَطْرِ مِصْرَ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَرُبَّمَا سَكَنَ أَهْلُهَا هُنَاكَ  
 عُسُورًا فَيَنْقَلُونَ مِنْ عَوَائِدِ تَرْفِهِمْ وَمُحْكَمِ صُنَائِعِهِمْ مَا يَقَعُ لَدَيْهِمْ مَوْجِعَ الْأَسْتِحْسَانِ  
 فَصَارَتْ أَحْوَالُهَا فِي ذَلِكَ مُشْتَابِهَةً مِنْ أَحْوَالِ مِصْرَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَمِنْ أَحْوَالِ الْأَنْدَلُسِ  
 لِمَا أَنَّ أَكْثَرَ سَاكِنِيهَا مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ حِينَ الْجَلَاءِ لِعَهْدِ الْمَائَةِ السَّابِعَةِ وَرَسَخَ  
 فِيهَا مِنْ ذَلِكَ أَحْوَالُ وَإِنْ كَانَ عُمَرَانُهَا لَيْسَ بِمُنَاسِبٍ لِذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ إِلَّا أَنَّ الصَّبْغَةَ  
 إِذَا اسْتَحْكَمَتْ فَقَلِيلًا مَا تَحْوَلُ إِلَّا بِزَوَالِ مَعْلَمِهَا وَكَذَا نَجِدُ بِالْقَيْرَوَانِ وَمَرَاكِشَ وَقَلْعَةَ

أَبْنُ حَمَّادٍ أَثَرًا بَاقِيًا مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ كُلُّهَا الْيَوْمَ خَرَابًا أَوْ فِي حُكْمِ الْخُرَابِ  
وَلَا يَنْفُطَنَّ لَهَا إِلَّا الْبَصِيرُ مِنَ النَّاسِ فَيَجِدُ مِنْ هَذِهِ الصَّنَائِعِ أَثَرًا تَدُلُّهُ عَلَى مَا كَانَ بِهَا  
كَأَثَرِ الْخَطِّ الْمَسْحُورِ فِي الْكِتَابِ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ

### الفصل التاسع عشر

في ان الصنائع انما تستجد وتكثر اذا كثر طالبيها  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ ظَاهِرٌ وَهُوَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْمَعُ بِعَمَلِهِ أَنْ يَقَعَ مَجَانًا لِأَنَّهُ كَسَبُهُ  
وَمِنْهُ مَعَاشُهُ إِذْ لَا فَائِدَةَ لَهُ فِي جَمِيعِ عُمْرِهِ فِي شَيْءٍ مِمَّا سِوَاهُ فَلَا يَصْرِفُهُ إِلَّا فِيمَا لَهُ  
فِيهِ فِي مِصْرِهِ لِيَعُودَ عَلَيْهِ بِالنَّفْعِ وَإِنْ كَانَتْ الصَّنَاعَةُ مَطْلُوبَةً وَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا النِّفَاقُ  
كَانَتْ حِينَئِذٍ الصَّنَاعَةُ بِمِثَابَةِ السَّاعَةِ الَّتِي تَنْفَقُ سُوقُهَا وَتَجَلِبُ لِلْبَيْعِ فَتَجْتَهِدُ النَّاسُ فِي  
الْمَدِينَةِ لَتَعْلَمَ تِلْكَ الصَّنَاعَةَ لِيَكُونَ مِنْهَا مَعَاشُهُمْ وَإِذَا لَمْ تَكُنْ الصَّنَاعَةُ مَطْلُوبَةً لَمْ  
تَنْفَقْ سُوقُهَا وَلَا يُوَجَّهَ قَصْدٌ إِلَى تَعْلُمِهَا فَاخْتَصَّتْ بِالْتَرَكِ وَفُقِدَتْ لِلْإِهْمَالِ وَلِهَذَا يُقَالُ  
عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا كُلُّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُ بِمَعْنَى أَنْ صِنَاعَتَهُ هِيَ قِيَمَتُهُ أَيْ  
فِيهِ قِيَمَةُ عَمَلِهِ الَّذِي هُوَ مَعَاشُهُ وَأَيْضًا فَبُنَا سِرٌّ آخَرَ وَهُوَ أَنَّ الصَّنَائِعَ وَإِجَادَتَهَا إِنَّمَا  
تَطْلُبُهَا الدَّوْلَةُ فِيهِ الَّتِي تَنْفَقُ سُوقُهَا وَتُوَجَّهَ الطَّالِبَاتُ إِلَيْهَا وَمَا لَمْ تَطْلُبْهُ الدَّوْلَةُ وَإِنَّمَا  
يَطْلُبُهَا غَيْرُهَا مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ فَلَيْسَ عَلَى نَسَبِهَا لِأَنَّ الدَّوْلَةَ هِيَ السُّوقُ الْأَعْظَمُ وَفِيهَا  
نَفَاقُ كُلِّ شَيْءٍ وَالْقَلِيلُ وَالكَثِيرُ فِيهَا عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ فَمَا نَفَقَ مِنْهَا كَانَ أَكْثَرِيًّا  
ضَرُورَةً وَالسُّوقَةَ وَإِنْ طَلَبُوا الصَّنَاعَةَ فَلَيْسَ طَلِبُهُمْ بِعَامٍّ وَلَا سُوقُهُمْ بِنَافِقَةٍ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ

### الفصل العشرون

في ان الامصار اذا قارت الخراب انتقضت منها الصنائع  
وَذَلِكَ لِمَا بَيْنَنَا أَنَّ الصَّنَائِعَ إِنَّمَا تُسْتَجَادُ إِذَا أُحْتِجَّ إِلَيْهَا وَكَثُرَ طَالِبُهَا وَإِذَا ضَعُفَتْ  
أَحْوَالُ الْمِصْرِ وَآخَذَ فِي الْهَرَمِ بِانْتِقَاضِ عُمْرَانِهِ وَقَلَّتْ سَاكِنَتُهُ تَنَاقَصَ فِيهِ التَّرَفُ وَرَجَعُوا  
إِلَى الْأَفْئِصَارِ عَلَى الضَّرُورِيِّ مِنْ أَحْوَالِهِمْ فَتَقَلُّ الصَّنَائِعُ الَّتِي كَانَتْ مِنْ تَوَابِعِ التَّرَفِ لِأَنَّ  
صَاحِبَهَا حِينَئِذٍ لَا يَصِحُّ لَهُ بِهَا مَعَاشُهُ فَيَفِرُّ إِلَى غَيْرِهَا أَوْ يَمُوتُ وَلَا يَكُونُ خَلْفٌ مِنْهُ

فِيذْهَبُ رَسْمُ تِلْكَ الصَّنَائِعِ جُمْلَةً كَمَا يَذْهَبُ النَّقَّاشُونَ وَالصُّوَاغُ وَالْكَتَّابُ وَالنَّسَّاجُ وَأَمْثَلُهُمْ  
مِنَ الصَّنَائِعِ لِحَاجَاتِ التَّرَفِ وَلَا تَزَالُ الصَّنَاعَاتُ فِي التَّنَاقُصِ إِلَى أَنْ تَضْمَحِلَّ وَاللَّهُ الْخَلَّاقُ  
الْعَلِيمُ وَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

## الفصل الحادي والعشرون

في ان العرب ابعث الناس عن الصنائع  
وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ أَعْرَقُوا فِي الْبَدْوِ وَأَبْعَدُوا عَنِ الْعُمَرَانِ الْحَضْرِيِّ وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ  
مِنَ الصَّنَائِعِ وَعَبْرَهَا وَالْعَجْمُ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَأُمَمُ النُّصْرَانِيَّةِ عُدُوَّةُ الْبَحْرِ الرُّومِيِّ  
أَقْوَمُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ أَعْرَقُوا فِي الْعُمَرَانِ الْحَضْرِيِّ وَأَبْعَدُوا عَنِ الْبَدْوِ وَعُمُرَانِهِ حَتَّى  
إِنَّ الْأَيْلَ الْأَيْبِيَّ أَدَانَتْ الْعَرَبَ عَلَى التَّوْحُوشِ فِي الْفَقْرِ وَالْإِعْرَاقِ فِي الْبَدْوِ مَفْقُودَةً لَدَيْهِمْ  
بِالْجُمْلَةِ وَمَفْقُودَةً مَرَاعِيهَا وَالرِّمَالُ الْمُهَيَّئَةُ لِتَنَاجِيهَا وَلِهَذَا تَجِدُ أَوْطَانَ الْعَرَبِ وَمَا مَلَكَوهُ  
فِي الْإِسْلَامِ قَلِيلَ الصَّنَائِعِ بِالْجُمْلَةِ حَتَّى تَجَلِبَ إِلَيْهِ مِنْ قَطْرٍ آخَرَ وَأَنْظُرَ بِلَادَ الْعَجْمِ  
مِنَ الصَّيْنِ وَالْهِنْدِ وَأَرْضَ التُّرْكِ وَأُمَمَ النُّصْرَانِيَّةِ كَيْفَ اسْتَكْبَرَتْ فِيهِمْ الصَّنَائِعُ  
وَأَسْتَجَلَبَهَا الْأُمَمُ مِنْ عِنْدِهِمْ وَعَجِمَ الْمَغْرِبُ مِنَ الْبَرْبَرِ مِثْلَ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ لِرُسُوخِهِمْ  
فِي الْبِدَاوَةِ مِنْذُ أَحْقَابِ مِنَ السَّنِينَ وَيَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ قَلَّةُ الْأَمْصَارِ بِقَطْرِهِمْ كَمَا قَدَّمَاهُ  
فَالصَّنَائِعُ بِالْمَغْرِبِ لِلذِّكِّ قَلِيلَةٌ وَغَيْرُ مُسْتَحْكِمَةٍ إِلَّا مَا كُنَّ مِنْ صِنَاعَةِ الصُّوفِ مِنْ  
نَسِجِهِ وَالْجَدِيدِ فِي خَرْزِهِ وَدَبِغِهِ فَإِنَّهُمْ لَمَّا اسْتَحْضَرُوا بَلَّغُوا فِيهَا الْمَبَالِغَ لِعُمُومِ الْبَلْوَى بِهَا  
وَكَوْنِ هَدْيَيْنِ أَغْلَبَ السَّلْعُ فِي قَطْرِهِمْ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَالِ الْبِدَاوَةِ وَأَمَّا الْمَشْرِقُ فَقَدْ  
رَسَخَتْ الصَّنَائِعُ فِيهِ مِنْذُ مَلِكِ الْأُمَمِ الْأَفْدَمِيِّ مِنَ الْفُرْسِ وَالنَّبَطِ وَالْقَبْطِ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ  
وَيُونَانَ وَالرُّومِ أَحْقَابًا مُتَطَاوِلَةً فَرَسَخَتْ فِيهِمْ أَحْوَالُ الْحَضَارَةِ وَمِنْ جُمَلَتِهَا الصَّنَائِعُ  
كَمَا قَدَّمَاهُ فَلَمْ يَبِجْ رَسْمُهَا وَأَمَّا الْبَحْرُ وَالْبَحْرَانُ وَعُمَانَ وَالْجَزِيرَةُ وَإِنْ مَلَكَهُ  
الْعَرَبُ إِلَّا أَنَّهُمْ تَدَاوَلُوا مَلَكَهَ الْأَقْفَانِ مِنَ السَّنِينَ فِي أُمَّمٍ كَثِيرِينَ مِنْهُمْ وَأَخْتَطُّوا  
أَمْصَارَهُ وَمُدَّنَهُ وَبَلَّغُوا الْعَايَةَ مِنَ الْحَضَارَةِ وَالتَّرَفِ مِثْلَ عَادٍ وَثَمُودَ وَالْعَمَالِقَةَ وَحَمِيرَ  
مِنْ بَعْدِهِمُ وَالنَّبَاعَةَ وَالْأَذْوَاءَ فَطَالَ أَمَدُ الْمَلِكِ وَالْحَضَارَةِ وَالصَّنَائِعُ صَبِغَتْهَا وَتَوَقَّرَتْ  
الصَّنَائِعُ وَرَسَخَتْ فَلَمْ تَبَلْ بِلَى الدَّوْلَةِ كَمَا قَدَّمَاهُ فَبَقِيَتْ مُسْتَحْدَةً حَتَّى الْآنَ وَأَخْتَصَّتْ بِذَلِكَ  
الْوَطَنِ كَصِنَاعَةِ الْوَشْيِ وَالْعَصَبِ وَمَا يُسْتَجَادُ مِنْ حَوْكِ الثِّيَابِ وَالْحَرِيرِ فِيهَا وَاللَّهُ وَارِثُ

الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَهُوَ خَيْرُ أَوَارِيثِينَ

## الفصل الثاني والعشرون

فيمَن حصلت له ملكة في صناعة فقل ان يجيد بعد في ملكة اخرى  
وَمِثَالُ ذَلِكَ الْخِيَّاطُ إِذَا أَجَادَ مَلَكَهَ الْخِيَّاطَةَ وَأَحْكَمَهَا وَرَسَخَتْ فِي نَفْسِهِ فَلَا  
يُجِيدُ مِنْ بَعْدِهَا مَلَكَهَ النَّجَّارَةَ أَوْ الْبِنَاءَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْأُولَى لَمْ تَسْتَحْكَمْ بَعْدُ وَلَمْ  
تَرَسَخْ صِبْغَتُهَا وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْمَلَكَاتِ صِفَاتُ النَّفْسِ وَالْوَأْنُ فَلَا تَزْدَحِمُ دَفْعَةً  
وَمَنْ كَانَ عَلَى الْفِطْرَةِ كَانَ أَسْهَلَ لِقَبُولِ الْمَلَكَاتِ وَأَحْسَنَ اسْتِعْدَادًا لِحُصُولِهَا فَإِذَا  
تَلَوَّتِ النَّفْسُ بِالْمَلَكَاتِ الْأُخْرَى وَخَرَجَتْ عَنِ الْفِطْرَةِ ضَعُفَ فِيهَا الاسْتِعْدَادُ بِالْوَأْنِ  
الْحَاصِلُ مِنْ هَذِهِ الْمَلَكَاتِ فَكَانَ قَبُولُهَا لِلْمَلَكَاتِ أضعفَ وَهَذَا بَيْنَ شَهْدٍ لَهُ الْوُجُودِ  
فَقُلْ أَنْ يَجِدَ صَاحِبُ صِنَاعَةٍ يُحْكِمُهَا ثُمَّ يُحْكِمُ مِنْ بَعْدِهَا أُخْرَى وَيَكُونُ فِيهِمَا مَعًا  
عَلَى رُتْبَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ الْإِجَادَةِ حَتَّى أَنْ أَهْلَ الْعِلْمِ الَّذِينَ مَلَكَتَهُمْ فِكْرِيَّةٌ فِهِمْ يَهْدِيهِ  
الْمَثَابَةَ وَمَنْ حَصَلَ مِنْهُمْ عَلَى مَلَكَاتٍ مِنْ الْعُلُومِ وَأَجَادَهَا فِي الْغَايَةِ فَقُلْ أَنْ يَجِيدَ  
مَلَكَهَ عِلْمٌ آخَرَ عِلْمٌ نَسَبْتَهُ بَلْ يَكُونُ مُقْصِرًا فِيهِ إِنْ طَلَبَهُ إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ مِنَ  
الْأَحْوَالِ وَمَبْنِي سَبَبُهُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الاسْتِعْدَادِ وَتَلْوِينِهِ بَلْوَنِ الْمَلَكَاتِ الْحَاصِلَةِ فِي  
النَّفْسِ وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لِأَرْبِّ سِوَاهُ

## الفصل الثالث والعشرون

في الإشارة الى امهات الصنائع

إِعْلَمُ أَنَّ الصَّنَائِعَ فِي النَّوعِ الْإِنْسَانِيِّ كَثِيرَةٌ لِكثَرَةِ الْأَعْمَالِ الْمُتَدَاوِلَةِ فِي  
الْعُمُرَانِ فِيهِ بِحَيْثُ تَشْدُّ عَنِ الْحَصْرِ وَلَا يَأْخُذُهَا الْعَدُّ إِلَّا أَنْ مِنْهَا مَا هُوَ ضَرُورِيٌّ  
فِي الْعُمُرَانِ أَوْ شَرِيفٌ بِالْمَوْضِعِ فَنَخْضُهَا بِالذِّكْرِ وَنَتْرُكُ مَا سِوَاهَا فَأَمَّا الضَّرُورِيُّ  
فَالْفَلَاحَةُ وَالْبِنَاءُ وَالْخِيَّاطَةُ وَالنَّجَّارَةُ وَالْحَيَاكَةُ وَأَمَّا الشَّرِيفَةُ بِالْمَوْضِعِ فَكَالتَّوْلِيدِ  
وَالْكِتَابَةِ وَالرِّوَاغَةَ وَالْغِنَاءَ وَالطَّبَّ فَأَمَّا التَّوْلِيدُ فَانْبَاءُ ضَرُورِيَّةٌ فِي الْعُمُرَانِ  
وَعَامَّةُ الْبَلْوَى إِذْ يَبْهَأُ حَيَاةَ الْمَوْلُودِ وَتَمِّمُ غَالِبًا وَمَوْضُوعُهَا مَعَ ذَلِكَ الْمَوْلُودُونَ  
وَأَمَّا الشَّرِيفَةُ وَالطَّبُّ فَهُوَ حِفْظُ الصِّحَّةِ لِلْإِنْسَانِ وَدَفْعُ الْمَرَضِ عَنْهُ وَبِتَفَرُّعِ

عَنْ عِلْمِ الطَّبِيعَةِ وَمَوْضِعُهُ مَعَ ذَلِكَ بَدَنَ الْإِنْسَانِ وَأَمَّا الْكِتَابَةُ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنْ  
 الْوَرَاثَةِ فِيهَا حَافِظَةٌ عَلَى الْإِنْسَانِ حَاجِبَةٌ وَمَقِيدَةٌ لَهَا عَنِ النَّسْيَانِ وَمُبَلِّغَةٌ ضَمَائِرَ  
 النَّفْسِ إِلَى الْبَعِيدِ الْغَائِبِ وَمَخْلِدَةٌ تَنَائِجَ الْأَفْكَارِ وَالْعُلُومِ فِي الصُّحُفِ وَرَافِعَةٌ رُتَبَ  
 الْوُجُودِ لِلْمَعَانِي وَأَمَّا الْغِنَاءُ فَهُوَ نَسَبُ الْأَصْوَاتِ وَمَظْهَرُ حَمَائِلِهَا لِلِاسْتِمَاعِ وَكُلُّ هَذِهِ  
 الصَّنَائِعِ الثَّلَاثِ دَاعٍ إِلَى مَخَالَطَةِ الْمُلُوكِ الْأَعْظَمِ فِي خَلَوَاتِهِمْ وَتَجَالِسِ أُنْسِهِمْ فَلَهَا  
 بِذَلِكَ شَرَفٌ لَيْسَ لِغَيْرِهَا وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الصَّنَائِعِ فَتَابِعَةٌ وَمُعْتَمَنَةٌ فِي الْغَالِبِ وَقَدْ  
 يَخْتَلِفُ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْأَعْرَاضِ وَالِدَوَاعِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ

### الفصل الرابع والعشرون

في صناعة الفلاحة

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ تَمَرَّتْهَا اتِّخَاذُ الْأَقْوَاتِ وَالْحُبُوبِ بِالْقِيَامِ عَلَى إِثَارَةِ الْأَرْضِ لَهَا  
 أَزْدَرَاعُهَا وَعِلاجُ نَبَاتِهَا وَتَعْمِيرُهُ بِالسَّقْيِ وَالتَّنْمِيَةِ إِلَى بُلُوغِ غَايَتِهِ ثُمَّ حَصَادِ سُنْبُلِهِ  
 وَاسْتِخْرَاجِ حَبِّهِ مِنْ غِلَافِهِ وَإِحْكَامِ الْأَعْمَالِ لِذَلِكَ وَتَحْصِيلِ أَسْبَابِهِ وَدَوَاعِيهِ وَهِيَ  
 أَقْدَمُ الصَّنَائِعِ لِمَا أَنَّهَا مَحْصَلَةُ الْقُوَّةِ الْمُكْمَلِ لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ غَالِبًا إِذْ يُمَكِّنُ وُجُودَهُ  
 مِنْ دُونَ الْقُوَّةِ وَلِهَذَا اخْتِصَّتْ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ بِالْبَدْوِ إِذْ قَدَّمَ أَنَّهْ أَقْدَمُ مِنَ الْحَضَرِ  
 وَسَابِقٌ عَلَيْهِ فَكَانَتْ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ لِذَلِكَ بَدْوِيَّةً لَا يَقُومُ عَلَيْهَا الْحَضَرُ وَلَا يَعْرِفُونَهَا لِأَنَّ  
 أَحْوَالَهُمْ كُلَّهَا ثَانِيَةٌ عَلَى الْبَدَاوَةِ فَصَنَائِعُهُمْ ثَانِيَةٌ عَنِ صَنَائِعِهَا وَتَابِعَةٌ لَهَا وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
 وَتَعَالَى مَقِيمُ الْعِبَادِ فِيهَا أَرَادَ

### الفصل الخامس والعشرون

في صناعة البناء

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ أَوَّلُ صَنَائِعِ الْعُمَرَانِ الْحَضَرِيِّ وَأَقْدَمُهَا وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْعَمَلِ فِي اتِّخَاذِ  
 الْبُيُوتِ وَالْمَنَازِلِ لِلنَّكِنِ وَالْمَأْوَى لِلْأَبْدَانِ فِي الْمَدِينِ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ لِمَا جَبَلَ  
 عَلَيْهِ مِنَ الْفِكْرِ فِي عَوَاقِبِ أَحْوَالِهِ لَا يَدَّ أَنْ يَفْكَرَ فِيهَا يَدْفَعُ عَنْهُ الْأَذَى مِنَ الْحَرِّ  
 وَالْبَرْدِ كَاتِخَاذِ الْبُيُوتِ الْمَكْتَنَّةِ بِالسَّقْفِ وَالْحَيْطَانِ مِنْ سَائِرِ جِهَاتِهَا وَالْبَشَرُ مُخْتَلِفٌ  
 فِي هَذِهِ الْحِيلَةِ الْفِكْرِيَّةِ فَمِنْهُمْ الْمُعْتَدِلُونَ فِيهَا فَيَتَّخِذُونَ ذَلِكَ بِأَعْتِدَالِ أَهْلِ الثَّانِي  
 وَالثَّلَاثِ وَالرَّابِعِ وَالْخَامِسِ وَالسَّادِسِ وَأَمَّا أَهْلُ الْبَدْوِ فَيَبْعُدُونَ عَنِ اتِّخَاذِ ذَلِكَ لِقُصُورِ

أفكارهم عن إدراك الصنائع البشرية فيبادرون للغيران والكهوف المعدة من غير  
علاج ثم المعتدلون المتخذون للمأوى قد يتكاثرون في البسيط الواحد بحيث  
يتناكرون ولا يتعارفون فيخشون طرق بعضهم بعضاً فيحتاجون إلى حفظ مجتمعهم بإدارة  
ماء أو أسوار تحوطهم ويصير جميعاً مدينة واحدة وميضراً واحداً ويحوطهم الحصار  
من داخل يدفع بعضهم عن بعض وقد يحتاجون إلى الاتصاف ويتخذون المعاقل  
والحصون لهم ولهم تحت أيديهم مثل الملوك ومن في معناهم من الأمراء وكبار  
القبائل في المدن كل مدينة على ما يتعارفون ويصلحون عليه ويناسب مزاج هوائهم  
وآخلاف أحوالهم في الغنى والفقر وكذا حال أهل المدينة الواحدة فمنهم من  
يتخذ القصور والصنائع العظيمة الساحة المشتعلة على عدة الدور والبيوت والغرف  
الكبيرة لكثرة ولده وحشمه وعياله وتابعه ويؤسس جذراتها بالحجارة ويلتمس بينها  
بالكس ويعالي عليها بالأصغة والحصص ويبلغ في ذلك بالتنجيد والتنميق إظهاراً  
للسطة بالعناية في شأب المأوى وهيئ مع ذلك الأسراب والمطامير للاختزان  
لأقواته وللأسطبلات لربط مقرباته إذا كان من أهل الجود وكثرة التابع والحاشية  
كالأمراء ومن في معناهم ومنهم من يبني الدويرة والبيوت لنفسه وسكده وولده لا  
يبتغي ما وراء ذلك لقصور حاله عنه واقتصاره على الكس الطبيعي للبشر وبين  
ذلك مراتب غير منحصرة وقد يحتاج لهذه الصناعة أيضاً عند تأسيس الملوك وأهل  
الدول المدن العظيمة وأهلها كل المرتفعة ويبالغون في إنقان الأوضاع وعلو الأجرام  
مع الأحكام لتبلغ الصناعة مبالغها وهذه الصناعة هي التي تحصل الدواعي لذلك وأكثر  
ما تكون هذه الصناعة في الأقاليم المعتدلة من الرابع وما حوله إذ الأقاليم المنحرفة  
لا بناء فيها وإنما يتخذون البيوت حظائر من القصب والطين وإنما يوجد في الأقاليم  
المعتدلة له وأهل هذه الصناعة القائمون عليها متفاوتون فمنهم البصير الماهر ومنهم  
القصير ثم هي تتنوع أنواعاً كثيرة فمنها البناء بالحجارة المنجدة يقام بها الجدران  
ملتصقاً بعضها إلى بعض بالطين والكس الذي يعقد معها ويلحم كأنها جسم واحد  
ومنها البناء بالتراب خاصة يتخذ لها لوحان من الخشب مقدران طولاً وعرضاً باختلاف  
العادات في التقدير وأوسطه أربع أذرع في ذراعين فيصبان على أساس وقد بوعد

مَا بَيْنَهُمَا بِمَا يَرَاهُ صَاحِبُ الْبِنَاءِ فِي عَرْضِ الْأَسَاسِ وَيُوصِلُ بَيْنَهُمَا بِأَذْرُعٍ مِنَ الْخَشَبِ  
 يُرْبِطُ عَلَيْهَا بِالْحَبَالِ وَالْجُدْرِ وَيَسُدُّ الْجِهَتَيْنِ الْبَاقِيَتَيْنِ مِنْ ذَلِكَ الْخَلَاءِ بَيْنَهُمَا بِالْوَحِينِ  
 آخَرَيْنِ صَغِيرَيْنِ ثُمَّ يَوْضَعُ فِيهِ التُّرَابُ مُخْلَطًا بِالْكَيْسِ وَيُرَكِّزُ بِالْمَرَكَزِ الْمَعْدَةَ  
 حَتَّى يَنْعَمَ رَكَزُهُ وَيَخْتَلِطُ أَجْزَاؤُهُ ثُمَّ يَزِيدُ التُّرَابُ ثَنَاءً وَثَالِثًا إِلَى أَنْ يَمْتَلِي ذَلِكَ الْخَلَاءُ  
 بَيْنَ اللُّوْحَيْنِ وَقَدْ تَدَاخَلَتْ أَجْزَاءُ الْكَيْسِ وَالتُّرَابِ وَصَارَتْ جِسْمًا وَاحِدًا ثُمَّ يَعَادُ  
 نَصْبُ اللُّوْحَيْنِ عَلَى صُورَةٍ وَيُرَكِّزُ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وَيَنْظُمَ الْأَلْوَاحُ كُلُّهَا سَطْرًا مِنْ  
 فَوْقِ سَطْرِ إِلَى أَنْ يَنْتَظِمَ الْخَائِطُ كُلُّهُ مُلْتَحِمًا كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ وَاحِدَةٌ وَيُسَمَّى الطَّايِبَةَ  
 وَصَانِعُهُ الطَّوَابِ وَمِنْ صَنَائِعِ الْبِنَاءِ أَيْضًا أَنْ يُجَلَّلَ الْحَيْطَانُ بِالْكَيْسِ بَعْدَ أَنْ يُعَلَّ  
 بِالْمَاءِ وَيُخَمَّرُ أَسْبُوعًا أَوْ أَسْبُوعَيْنِ عَلَى قَدَرٍ مَا يَتَعَدَّلُ مِرْاجُهُ عَنْ إِفْرَاطِ النَّارِ بِإِيَّةِ الْمُفْسِدَةِ  
 لِلْإِلْحَامِ فَإِذَا تَمَّ لَهُ مَا يَرْضَاهُ مِنْ ذَلِكَ عِلَاةً مِنْ فَوْقِ الْخَائِطِ وَذَلِكَ إِلَى أَنْ يَلْتَحِمَ وَمِنْ  
 صَنَائِعِ الْبِنَاءِ عَمَلُ السَّقْفِ بِأَنْ يُمَدَّ الْخَشَبُ الْمُحْكَمَةَ التَّجَارَةَ أَوْ السَّازِجَةَ عَلَى حَائِطِي  
 الْبَيْتِ وَمِنْ فَوْقِهَا الْأَلْوَاحُ كَذَلِكَ مَوْصُولَةً بِالْدَسَائِرِ وَيُصَبُّ عَلَيْهَا التُّرَابُ وَالْكَيْسُ  
 وَيَبْسُطُ بِالْمَرَكَزِ حَتَّى تَتَدَاخَلَ أَجْزَاؤُهَا وَتَلْتَحِمَ وَيَعَالَى عَلَيْهَا الْكَيْسُ كَمَا يُعَالَى  
 عَلَى الْخَائِطِ وَمِنْ صَنَائِعِ الْبِنَاءِ مَا يَرْجِعُ إِلَى التَّنْمِيقِ وَالتَّزْيِينِ كَمَا يُصْنَعُ مِنْ فَوْقِ  
 الْحَيْطَانِ الْأَشْكَالُ الْجِسْمَةُ مِنَ الْجِصِّ يُخَمَّرُ بِالْمَاءِ ثُمَّ يَرْجِعُ جَسَدًا وَفِيهِ بَقِيَّةُ  
 الْبَلَلِ فَيَشْكَلُ عَلَى النَّاسِبِ تَخْرِيْمًا بِمِثْقَابِ الْحَدِيدِ إِلَى أَنْ يَبْقَى لَهُ رَوْنَقٌ وَرَوَاهُ  
 وَرُبَّمَا عُولِي عَلَى الْحَيْطَانِ أَيْضًا يَقْطَعُ الرَّخَامَ وَالْأَجْرَ وَالْحَرْفَ أَوْ بِالصِّدْفِ أَوْ  
 السَّبْجِ يُفْصَلُ أَجْزَاءٌ مُتَجَانِسَةٌ أَوْ مُخْتَلِفَةٌ وَتَوْضَعُ فِي الْكَيْسِ عَلَى نِسْبِ وَأَوْضَاعِ  
 مُقَدَّرَةٍ عِنْدَهُمْ يَبْدُو بِهِ الْخَائِطُ لِلْعِيَانِ كَأَنَّهُ قِطْعُ الرِّيَاضِ الْمُنْمَنَةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ  
 مِنْ بِنَاءِ الْجِبَابِ وَالصَّهَارِيجِ لِسَفْحِ الْمَاءِ بَعْدَ أَنْ تُعَدَّ فِي الْبُيُوتِ قِصَاعُ الرَّخَامِ الْقَوَرَاهِ  
 الْمُحْكَمَةَ الْخُرْطُ بِالْفُوهَاتِ فِي وَسْطِهَا لِيَنْبَعِ الْمَاءُ الْجَارِي إِلَى الصَّهْرِيجِ يُجَلَّبُ إِلَيْهِ مِنْ  
 خَارِجِ الْقَنَوَاتِ الْمُنْفِصَةِ إِلَى الْبُيُوتِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْبِنَاءِ وَتَخْتَلِفُ الصَّنَاعُ فِي  
 جَمِيعِ ذَلِكَ بِاخْتِلَافِ الْحَيْذِقِ وَالْبَصْرِ وَيَعْظُمُ عُمُرَانُ الْمَدِينَةِ وَيَبْسَعُ فَيَكْثُرُونَ وَرُبَّمَا  
 يَرْجِعُ الْحُكَّامُ إِلَى نَظَرِ هَوْلَاءِ فِيمَا هُمْ أَبْصَرُ بِهِ مِنْ أَحْوَالِ الْبِنَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ  
 فِي الْمَدِينِ لِكَثْرَةِ الْأَزْدِحَامِ وَالْعُمُرَانِ يَتَشَاوُونَ حَتَّى فِي الْفَضَاءِ وَالْهَوَاءِ الْأَعْلَى

وَالْأَسْفَلَ وَمِنَ الْإِنْتِفَاعِ بظَاهِرِ الْبِنَاءِ مِمَّا يَتَوَقَّعُ مَعَهُ حُصُولُ الضَّرَرِ فِي الْحِيطَانِ فَيَمْنَعُ جَارَهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ فِيهِ حَقٌّ وَيَخْتَلِفُونَ أَيْضًا فِي اسْتِحْقَاقِ الطَّرُقِ وَالْمَنَافِدِ لِلْمِيَاهِ الْجَارِيَةِ وَالْفَضَلَاتِ الْمُسْرَبَةِ فِي الْقَنَوَاتِ وَرُبَّمَا يَدْعِي بَعْضُهُمْ حَقَّ بَعْضٍ فِي حَائِطِهِ أَوْ عُلُوِّهِ أَوْ قَوَاتِهِ لِتَضَائِقِ الْجَوَارِ أَوْ يَدْعِي بَعْضُهُمْ عَلَى جَارِهِ اخْتِلَالَ حَائِطِهِ خَشْيَةَ سَقُوطِهِ وَيَحْتَاجُ إِلَى الْحُكْمِ عَلَيْهِ بِهَدْمِهِ وَدَفْعِ ضَرَرِهِ عَنْ جَارِهِ عِنْدَ مَنْ يَرَاهُ أَوْ يَحْتَاجُ إِلَى قِسْمَةِ دَارٍ أَوْ عَرَصَةٍ بَيْنَ شَرِيكَيْنِ بِحَيْثُ لَا يَقَعُ مَعَهَا فُسَادٌ فِي الدَّارِ وَلَا إِهْمَالٌ لِمَنْفَعَتِهَا وَأَمثالُ ذَلِكَ وَيَخْفَى جَمِيعُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى أَهْلِ الْبَصَرِ الْعَارِفِينَ بِالْبِنَاءِ وَأَحْوَالِهِ الْمُسْتَدَلِّينَ عَلَيْهَا بِالْمَعَاوِدِ وَالْقَمَطِ وَمَرَاكِزِ الخَشْبِ وَمِثْلِ الْحِيطَانِ وَأَعْتَدَ لَهَا وَقَسَمَ الْمَسَاكِينَ عَلَى نِسْبَةِ أَوْضَاعِهَا وَمَنَافِعِهَا وَتَسْرِبِ الْمِيَاهِ فِي الْقَنَوَاتِ مَجْلُوبَةً وَمَرْفُوعَةً بِحَيْثُ لَا تَضُرُّ بِمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الْبُيُوتِ وَالْحِيطَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَلَهُمْ بِهَذَا كُلِّهِ الْبَصَرُ وَالخُبْرَةُ الَّتِي لَيْسَتْ لغيرِهِمْ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَخْتَلِفُونَ بِالْجُودَةِ وَالْقُصُورِ فِي الْأَجْيَالِ بِاعْتِبَارِ الدُّوَلِ وَقُوَّتِهَا فَإِنَّا قَدَمْنَا أَنَّ الصَّنَائِعَ وَكَمَالَهَا إِنَّمَا هُوَ بِكَمَالِ الحَضَارَةِ وَكَثْرَتِهَا بِكَثْرَةِ الطَّلَبِ لَهَا فَذَلِكَ عِنْدَ مَا تَكُونُ الدُّوَلَةُ بَدْوِيَّةً فِي أَوَّلِ أَمْرِهَا تَفْتَقِرُ فِي أَمْرِ الْبِنَاءِ إِلَى غَيْرِ قُطْرِهَا كَمَا وَقَعَ لِلوَلِيدِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ حِينَ أَجْمَعَ عَلَى بِنَاءِ مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ وَالْقُدْسِ وَمَسْجِدِهِ بِالشَّامِ فَبَعَثَ إِلَى مَلِكِ الرُّومِ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ فِي الْفَعْلَةِ الْمَهْرَةَ فِي الْبِنَاءِ فَبَعَثَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ مَنْ حَصَلَ لَهُ عَرْضُهُ مِنْ تِلْكَ الْمَسَاجِدِ وَقَدْ يَعْرِفُ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَشْيَاءَ مِنَ الْهِنْدَسَةِ مِثْلَ تَسْوِيَةِ الْحِيطَانِ بِالْوِزْنِ وَإِجْرَاءِ الْمِيَاهِ بِأَخْذِ الْأَرْتِفَاعِ وَأَمثالِ ذَلِكَ فَيَحْتَاجُ إِلَى الْبَصَرِ بِشَيْءٍ مِنْ مَسَائِلِهِ وَكَذَلِكَ فِي جَرِّ الْأَنْتِقَالِ بِالْهِنْدَامِ فَإِنَّ الْأَجْرَامَ الْعَظِيمَةَ إِذَا شَدِيدَتْ بِالْحِجَارَةِ الْكَبِيرَةِ يَعْجزُ قَدْرُ الْفَعْلَةِ عَنْ رَفْعِهَا إِلَى مَكَانِهَا مِنَ الْحَائِطِ فَيَتَحِيلُ لِذَلِكَ بِمُضَاعَفَةِ قُوَّةِ الْحَبْلِ بِإِدْخَالِهِ فِي الْمَعَالِقِ مِنْ أَنْتَابِ مُقَدَّرَةٍ عَلَى نِسْبِ هِنْدَسِيَّةٍ تُصِيرُ التَّقْوِيلَ عِنْدَ مَعَانَاةِ الرَّفْعِ خَفِيفًا فَيَتِمُّ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ بِغَيْرِ لَفْظٍ وَهَذَا إِنَّمَا يَتِمُّ بِأَصُولِ هِنْدَسِيَّةٍ مَعْرُوفَةٍ مُتَدَاوِلَةٍ بَيْنَ الْبَشَرِ وَبِمِثْلِهَا كَانَ بِنَاءُ الْهَيْمَاءِ كُلِّ الْمَائِلَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّتِي يُحْسَبُ أَنَّهَا مِنْ بِنَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَّ أَبْدَانَهُمْ كَانَتْ عَلَى نِسْبَتِهَا فِي الْعَظْمِ الْجِسْمَانِيِّ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا تَمَّ لَهُمْ ذَلِكَ بِالْحِيلِ الْهِنْدَسِيَّةِ كَمَا ذَكَرْنَا هُنَا فَتَفْهَمُ ذَلِكَ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ

## الفصل السادس والعشرون

## في صناعة النجارة

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الخشب وذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل للآدمي في كل مكنون من المكنونات منافع تكمل بها ضروراته أو حاجاته وكان منها الشجر فإن له فيه من المنافع ما لا يتحصر مما هو معروف لكل أحد ومن منافعها اتخاذها خشباً إذا بيست وأول منافعها أن يكون وقوداً للنيران في معاشهم وعصياً للإسكاف والدود وغيرهما من ضرورياتهم ودعائم لما يخشى ميله من أثقالهم ثم بعد ذلك منافع أخرى لأهل البدو والمخضر فاما أهل البدو فيمتخذون منها العمد والأوتاد لحياتهم والحدوج لظعائهم والرماح والقسي والسهام لسلحهم واما أهل الحضر فالسقف لبيوتهم والأغلاق لأبوابهم والكراسي لجلوسهم وكل واحدة من هذه فإخشبة مادة لها ولا نصير إلى الصررة الخاصة بها إلا بالصناعة والصناعة المتكفلة بذلك المحصلة لكل واحد من صورها هي النجارة على اختلاف رتبها فيحتاج صاحبها إلى تفصيل الخشب أولاً إما بخشب أصغر منه أو الواح ثم تركيب تلك الفصائل بحسب الصور المطلوبة وهو في كل ذلك يحاول بصنعه أعداد تلك الفصائل بالانتظام إلى أن تصير أعضاء ذلك الشكل المخصوص والقائم على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في العمران ثم إذا عظمت الحضارة وجاء الترف وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف من سقف أو باب أو كرسي أو ما عاون حدث التأنق في صناعة ذلك واستجداته بغرائب من الصناعة كماله ليست من الضروري في شيء مثل التخطيط في الأبواب والكراسي ومثل تهيئة القطع من الخشب بصناعة الخراط يحكم برهها وتشكيلها ثم تؤلف على نسب مقدرة وتلحم بالأسائر فتبدو لرأي العين ملتحمة وقد أخذ منها اختلاف الأشكال على تناسب يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الخشب فيجئ أنق ما يكون وكذلك في جميع ما يحتاج إليه من الآلات المتخذة من الخشب من أي نوع كان وكذلك قد يحتاج إلى هذه الصناعة في إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والدرج وهي أجرام هندسية صنعت على قالب الخوت واعتبار سنجه في الماء بقوادمه وكله لكي يكون ذلك الشكل اعون

لَهَا فِي مُصَادِمَةِ الْمَاءِ وَجُعِلَ لَهَا عَوْضُ الْحَرَكَةِ الْحَيَوَانِيَّةِ الَّتِي لِلسَّمَكِ تَحْرِيكُ الرِّيَاحِ  
 وَرَبَّمَا أُعِينَتْ بِحَرَكَةِ الْمَقَادِيفِ كَمَا فِي الْأَسَاطِيلِ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ مِنْ أَصْلِهَا مُتَحَاجَةٌ  
 إِلَى أَصْلِ كَبِيرٍ مِنَ الْمُهَنْدَسَةِ فِي جَمِيعِ أَصْنَافِهَا لِأَنَّ إِخْرَاجَ الصُّورِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى النِّعْلِ  
 عَلَى وَجْهِ الْأَحْكَامِ مُتَحَاجٌ إِلَى مَعْرِفَةِ التَّنَاسُبِ فِي الْمَقَادِيرِ إِمَّا عَمُومًا أَوْ خُصُوصًا  
 وَتَنَاسُبُ الْمَقَادِيرِ لَا يَدُّ فِيهِ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى الْمُهَنْدِسِ وَلِهَذَا كَانَتْ أئِمَّةُ الْمُهَنْدَسَةِ  
 الْيُونَانِيِّونَ كُلُّهُمْ أئِمَّةً فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَكَانَ أَبُو قَلِيدُوسُ صَاحِبُ كِتَابِ الْأَصُولِ فِي  
 الْمُهَنْدَسَةِ تَجَارًا وَبِهَا كَانَ يُعْرَفُ وَكَذَلِكَ أَبُو نُبَيْسُ صَاحِبُ كِتَابِ الْخَرْطُوطَاتِ وَمِيلَاوُوسُ  
 وَغَيْرُهُمْ وَيُقَالُ أَنَّ مَعْلَمَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي الْخَلِيقَةِ هُوَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبِهَا أُنشِئَتْ  
 سَفِينَةُ الْجَوَادِ الَّتِي كَانَتْ بِهَا مُعْجَزَتُهُ عِنْدَ الطُّوفَانِ وَهَذَا الْخَبْرُ وَإِنْ كَانَ مُمْتَكِنًا أَعْنِي  
 كَوْنَهُ تَجَارًا إِلَّا أَنَّ كَوْنَهُ أَوَّلَ مَنْ عَلَّمَهَا أَوْ تَعَلَّمَهَا لَا يَقُومُ دَلِيلٌ مِنَ النِّقْلِ عَلَيْهِ لِعَدِّ  
 الْأَمَادِ وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ الْإِشَارَةَ إِلَى قَدَمِ النَّجَّارَةِ لِأَنَّهُ لَمْ يَصِحَّ حِكَايَةُ عَنْهَا  
 قَبْلَ خَبَرِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَجُعِلَ كَأَنَّهُ أَوَّلَ مَنْ تَعَلَّمَهَا فَتَفَهَّمُ أَسْرَارَ الصَّنَائِعِ فِي  
 الْخَلِيقَةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل السابع والعشرون

في صناعة الخياطة والحياطة

هَاتَانِ الصَّنَاعَتَانِ صَرُورَتَانِ فِي الْعُمُرَانِ لِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْبَشَرُ مِنَ الرَّفْعِ فَالْأُولَى  
 لِنَسْجِ الْعَزْلِ مِنَ الصُّوفِ وَالْكُتَّانِ وَالْقَطْنِ إِسْدَاءً فِي الطُّولِ وَالْحَمَامَا فِي الْعَرْضِ  
 لِذَلِكَ النَّسْجُ بِالْإِتِّحَامِ الشَّدِيدِ فَيَتِمُّ مِنْهَا قِطْعٌ مُقَدَّرَةٌ مِنْهَا الْأَكْسِيَّةُ مِنَ الصُّوفِ  
 لِلِاشْتِمَالِ وَمِنْهَا النَّيَابُ مِنَ الْقَطْنِ وَالْكُتَّانِ لِلْبَاسِ وَالصَّنَاعَةُ الثَّانِيَةُ لِتَقْدِيرِ الْمَسُوجَاتِ  
 عَلَى اخْتِلَافِ الْأَشْكَالِ وَالْعَوَائِدِ تَفْصُلُ بِالْمَقْرَاضِ قِطْعًا مُنَاسِبَةً لِلْأَعْضَاءِ الْبَدَنِيَّةِ ثُمَّ  
 تُلْحَمُ تِلْكَ الْقِطْعُ بِالْخِيَاطَةِ الْمُحْكَمَةِ وَصَلًا أَوْ تَنْبِيئًا أَوْ تَنْسُجًا عَلَى حَسَبِ نَوْعِ  
 الصَّنَاعَةِ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ مُخْتَصَّةٌ بِالْعُمُرَانِ الْخَضِرِيِّ لِمَا أَنَّ أَهْلَ الْبَدْوِ يَسْتَعْنُونَ عَنْهَا  
 وَإِنَّمَا يَسْتَمَلُونَ الْأَثُوبَ اشْتِمَالًا وَإِنَّمَا تَفْصِيلُ النَّيَابِ وَتَقْدِيرُهَا وَالْحَمَامَا بِالْخِيَاطَةِ  
 لِلْبَاسِ مِنْ مَدَاهِبِ الْحَضَارَةِ وَفُنُونِهَا وَتَفَهَّمُ هَذِهِ فِي سِرِّ تَحْرِيمِ الْخَيْطِ فِي الْحَجِّ لِمَا  
 أَنَّ مَشْرُوعِيَّةَ الْحَجِّ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى تَبَدُّلِ الْعَلَائِقِ الدُّنْيَوِيَّةِ كُلِّهَا وَالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى

كَمَا خَلَقْنَا أَوَّلَ مَرَّةٍ حَتَّى لَا يَلْقَى الْعَبْدُ قَلْبَهُ شَيْئًا مِنْ عَوَائِدِ تَرْفِهِ لَا طَيْبًا وَلَا نِسَاءً  
وَلَا مَخْطِطًا وَلَا خَمًّا وَلَا يَتَعَرَّضُ لِصَيْدٍ وَلَا شَيْءٍ مِنْ عَوَائِدِهِ الَّتِي تَلَوَّتْ بِهَا نَفْسُهُ وَخَلَقَهُ  
مَعَ أَنَّهُ يَفْقَدُ مَا بِالْمَوْتِ ضَرُورَةٌ وَإِنَّمَا يَجْعَلُ كَأَنَّهُ وَارِدٌ إِلَى الْمَحْشَرِ ضَارِعًا بِقَلْبِهِ مُخْلِصًا  
لِرَبِّهِ وَكَانَ جَزَاؤُهُ إِنْ تَمَّ لَهُ إِخْلَاصُهُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُخْرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ  
سُبْحَانَكَ مَا أَرْفَقَكَ بِعِبَادِكَ وَأَرْحَمَكَ بِهِمْ فِي طَلَبِ هِدَايَتِهِمْ إِلَيْكَ . وَهَاتَانِ الصَّنَعَتَانِ  
قَدِيمَتَانِ فِي الْخَلْقَةِ لِمَا أَنَّ الدَّفْعَ ضَرُورِيٌّ لِلْبَشَرِ فِي الْعُمُرَانِ الْمُعْتَدِلِ وَأَمَّا الْمُنْحَرِفُ  
إِلَى الْحَرِّ فَلَا يَحْتَاجُ أَهْلُهُ إِلَى دَفْعٍ وَلِهَذَا يَبْلُغُنَا عَنْ أَهْلِ الْأَقْلِيمِ الْأَوَّلِ مِنَ السُّودَانِ  
أَنَّهُمْ عَرَاةٌ فِي الْغَالِبِ وَقَدِمَ هَذِهِ الصَّنَائِعُ بِنِسْبَتِهَا الْعَامَّةِ إِلَى أَدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
وَهُوَ أَقْدَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَرُبَّمَا يَنْسَبُونَهَا إِلَى هَرْمِسَ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ هَرْمِسَ هُوَ أَدْرِيسُ  
وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ

## الفصل الثامن والعشرون

### في صناعة التوليد

وَهِيَ صِنَاعَةٌ يُعْرَفُ بِهَا الْعَمَلُ فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَوْلُودِ الْأَدَمِيِّ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ مِنْ  
الرَّفْقِ فِي إِخْرَاجِهِ مِنْ رَحِمِهَا وَتَمَيُّنُهُ أَسْبَابُ ذَلِكَ ثُمَّ مَا يُصْلِحُهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ عَلَى مَا  
تَذَكَّرُوهُ وَهِيَ مُخْتَصَّةٌ بِالنِّسَاءِ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ لِمَا أَنَّهِنَّ الظَّاهِرَاتُ بَعْضُهُنَّ عَلَى عَوْرَاتٍ  
بَعْضٌ وَتُسَمَّى الْقَائِمَةُ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُنَّ الْقَائِلَةُ اسْتَعِيرَ فِيهَا مَعْنَى الْأَعْطَاءِ وَالْقَبُولِ  
كَانَ النَّفْسَاءُ تُعْطِيهَا الْجَنِينَ وَكَانَتْهَا تُقْبَلُهُ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنِينَ إِذَا اسْتَكْمَلَ خَلْقَهُ  
فِي الرَّحِمِ وَأَطْوَارَهُ وَبَلَغَ إِلَى غَايَتِهِ وَالْمُدَّةُ الَّتِي قَدَرَهَا اللَّهُ لِمَكْتَبِهِ هِيَ تِسْعَةٌ  
أَشْهُرٍ فِي الْغَالِبِ فَيَطْلُبُ الْخُرُوجَ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ فِي الْمَوْلُودِ مِنَ التُّزْوَعِ لِذَلِكَ وَيَضِيقُ  
عَالِمَهُ الْمَنْفَذُ فَيَعْسُرُ وَرُبَّمَا مَرَّقَ بَعْضُ جَوَانِبِ الْفَرْجِ بِالضَّغْطِ وَرُبَّمَا انْقَطَعَ بَعْضٌ  
مَا كَانَ مِنَ الْأَعْشِيَةِ مِنَ الْإِلْتِصَاقِ وَالْإِلْتِحَامِ بِالرَّحِمِ وَهَذِهِ كُلُّهَا الْأَمُّ يَسْتَدُ  
بِهَا الْوَجْعَ وَهُوَ مَعْنَى الطَّلُقِ فَتَكُونُ الْقَائِلَةُ مَعِينَةً فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشَّيْءِ بِغَمَزِ الظَّهِيرِ  
وَالْوَرَكَيْنِ وَمَا يَحَازِي الرَّحِمَ مِنَ الْأَسَافِلِ تُسَاقُ بِذَلِكَ فَعَلِ الدَّافِعَةُ فِي إِخْرَاجِ الْجَنِينِ  
وَتَسْبِيلِ مَا يَضَعُ مِنْهُ بِمَا يُمْكِنُهَا وَعَلَى مَا تَهْتَدِي إِلَى مَعْرِفَةِ عُسْرَةٍ ثُمَّ إِنْ أَخْرَجَ الْجَنِينَ  
بَقِيَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّحِمِ الْوَصْلَةُ حَيْثُ كَانَ يَتَغَدَّى مِنْهَا مُتَّصِلَةً مِنْ سُرَّتِهِ بِمَعَاهُ وَتِلْكَ

الْوَصْلَةَ عَضْوُ فَضْلِي لِتَغْدِيَةِ الْمَوْلُودِ خَاصَّةً فَتَقَطَعُهَا الْقَابِلَةُ مِنْ حَيْثُ لَا تَنْعَدِي مَكَانَ  
 الْفَضْلَةِ وَلَا تُضَرُّ بِمَعَاهُ وَلَا بِرَحِمِ أُمِّهِ ثُمَّ تَدْمَلُ مَكَانَ الْجِرَاحَةِ مِنْهُ بِالْكَبِيِّ أَوْ بِمَا  
 تَرَاهُ مِنْ وُجُوهِ الْأَنْدِمَالِ ثُمَّ إِنَّ الْحَيْنِينَ عِنْدَ خُرُوجِهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْفَذِ الْفَيْقِيِّ وَهُوَ رَطْبُ  
 الْعِظَامِ سَهْلُ الْإِنْعَاطِ وَالْإِثْنَاءُ فَرَبَّمَا تَنْغَيْرُ اشْتِكَالَ أَعْضَائِهِ وَأَوْضَاعِهَا الْقُرْبُ  
 التَّكْوِينِ وَرُطُوبَةِ الْمَوَادِّ فَمَتَنَاوَلَهُ الْقَابِلَةُ بِالْعَمَزِ وَالْإِصْلَاحِ حَتَّى يَرْجِعَ كُلُّ عَضْوٍ إِلَى  
 شَكْلِهِ الطَّبِيعِيِّ وَوَضَعِهِ الْمَقْدَرِّ لَهُ وَيَرْتَدُّ خَلْقَهُ سَوِيًّا ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تُرَاجِعُ النَّفْسَاءُ  
 وَتَحَازُّ بِهَا بِالْعَمَزِ وَالْمَلَايِنَةِ لِمَخْرُجِ أَعْشِيَةِ الْحَيْنِينَ لِأَنَّهَا رُبَّمَا تَنَازَرُ عَنْ خُرُوجِهِ قَلِيلًا  
 وَيُخَشَى عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ تُرَاجِعَ الْمَاسِكَةَ حَالِهَا الطَّبِيعِيَّةَ قَبْلَ اسْتِكْمَالِ خُرُوجِ الْأَعْشِيَةِ  
 وَهِيَ فَضَلَاتٌ تُفْتَعْنُ وَيَسْرِي عَنْهَا إِلَى الرَّحِمِ فَيَقَعُ الْهَلَاكُ فَتَحَازُّ الْقَابِلَةُ هَذَا وَتَحَاوُلُ  
 فِي إِعَانَةِ الدَّفْعِ إِلَى أَنْ تَخْرُجَ بِلَيْكِ الْأَعْشِيَةِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ تَأَخَّرَتْ ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَى الْمَوْلُودِ  
 فَمُزَّخُ أَعْضَاءَهُ بِالْأَدْهَانِ وَالذُّرُورَاتِ الْقَابِضَةِ لِشِدَّةِ وَتُخَفِّفُ رُطُوبَاتِ الرَّحِمِ  
 وَتُخَفِّكُهُ لِرَفْعِ لَهَا تَهْوُسُ عَطِطِهِ لِاسْتِفْرَاحِ نُطُوفِ دِمَاغِهِ وَتُعْرِغُهُ بِالْعُوقِ لِدَفْعِ السُّدْرِ  
 مِنْ مَعَاهُ وَتَجُوفِيهَا عَنِ الْإِلْتِصَاقِ ثُمَّ تَدَاوِي النَّفْسَاءُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْوَمَنِ الَّذِي أَصَابَهَا  
 بِالطَّلَقِ وَمَا حَقَّ رَحِمِهَا مِنَ أَلْمِ الْإِنْفِصَالِ إِذِ الْمَوْلُودُ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَضْوًا طَبِيعِيًّا فَحَالَةً  
 التَّكْوِينِ فِي الرَّحِمِ صَبَّرَتْهُ بِالْإِتِّحَامِ كَالْعَضْوِ الْمُتَمِّصِ فَلِذَلِكَ كَانَ فِي انْفِصَالِهِ أَلْمٌ  
 يَقْرُبُ مِنَ أَلْمِ الْقَطْعِ وَتَدَاوِي مَعَ ذَلِكَ مَا يَلْحَقُ النَّزْجَ مِنَ أَلْمٍ مِنْ جِرَاحَةِ التَّمْزِيقِ  
 عِنْدَ الضَّغْطِ فِي الْخُرُوجِ وَمِنْهُ كَلْهَا أَدْوَاءٌ تَجِدُ هُوَ لَاءُ الْقُرَابِلِ أَبْصَرَ بِدَوَائِهَا وَكَذَلِكَ  
 مَا يَعْزُضُ لِلْمَوْلُودِ مَدَّةَ الرِّضَاعِ مِنْ أَدْوَاءٍ فِي بَدَنِهِ إِلَى حَيْثُ الْفِصَالِ تَجِدُهُنَّ أَبْصَرَ بِهَا  
 مِنَ الطَّبِيبِ الْمَاهِرِ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّ بَدَنَ الْإِنْسَانِ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ إِنَّمَا هُوَ بَدَنُ إِنْسَانِيٍّ  
 بِالْقُوَّةِ فَقَطْ فَإِذَا جَاوَزَ الْفِصَالِ صَارَ بَدَنًا إِنْسَانِيًّا بِالْفِئْلِ فَكَانَتْ حَاجَتُهُ حِينَئِذٍ إِلَى الطَّبِيبِ  
 أَشَدَّ فَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ كَمَا تَرَاهُ ضَرُورِيَّةً فِي الْعَدْرَانِ لِلنُّوعِ الْإِنْسَانِيِّ لِأَيِّتِهِمْ كَوْنُ  
 أَشْخَاصِهِ فِي الْغَالِبِ دُونَهَا وَفَدَّ يَعْزُضُ لِبَعْضِ أَشْخَاصِ النُّوعِ الْإِسْتِغْنَاءُ عَنْ هَذِهِ  
 الصَّنَاعَةِ إِمَّا بِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ لَهُمْ مَعْجَزَةٌ وَخَرَقًا لِلْعَادَةِ كَمَا فِي حَقِّ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتِ  
 اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ أَوْ بِالْهَامِ وَهَدَايَةِ يُلَهُمْ لَهَا الْمَوْلُودُ وَيَنْطَرُ عَلَيْهِمْ فَيَتِمُّ وَجُودُهُمْ  
 مِنْ دُونِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَأَمَّا شَأْنُ الْمَعْجَزَةِ مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ وَقَعَ كَثِيرًا وَمِنْهُ مَا رُوِيَ أَنَّ

النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَلِدَ مَسْرُورًا مَخْتُونًا وَأَضْعًا يَدِيهِ عَلَى الْأَرْضِ شَاخِصًا يَبْصُرُهُ  
 إِلَى السَّمَاءِ وَكَذَلِكَ شَأْنُ عَيْسَى فِي الْمَهْدِ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَأَمَّا شَأْنُ الْإِلَهَامِ فَلَا يَنْكَرُ  
 وَإِذَا كَانَتِ الْحَيَوَانَاتُ الْعُجْمُ مُخْتَصِّصَةً بِغَرَائِبِ الْإِلَهَامَاتِ كَمَا نَحْنُ وَعَبْرًا مَا فَمَا ظَنُّكَ  
 بِالْإِنْسَانِ الْمُفْضَلِ عَلَيْهَا وَخُصُوصًا بِمَنْ اخْتَصَّ بِكَرَامَةِ اللَّهِ ثُمَّ الْإِلَهَامُ الْعَامُّ  
 لِلْمَوْلُودِينَ فِي الْأَقْبَالِ عَلَى النَّدْيِ أَوْضَحُ شَاهِدٍ عَلَى وُجُودِ الْإِلَهَامِ الْعَامِّ لَهُمْ فَشَأْنُ  
 الْعِنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَحَاطَ بِهِ وَمِنْ هُنَا يَفْهَمُ بَطْلَانُ رَأْيِ الْفَارَابِيِّ وَحُكْمَاءُ  
 الْأَنْدَالِسِ فِيمَا أَحْتَجُّوا بِهِ لِعَدَمِ انْفِرَاضِ الْأَنْوَاعِ وَأَسْتَحَالَةِ انْقِطَاعِ الْمَكُونَاتِ  
 وَخُصُوصًا فِي النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ وَقَالُوا أَنَّهُ انْقَطَعَتْ أَشْخَاصُهُ لِاسْتِحْوَاجِ وُجُودِهَا بَعْدَ ذَلِكَ  
 لِتَوْفُؤِهِ عَلَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي لَا يَتِمُّ كَوْنُ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِهَا إِذْ لَوْ قَدَرْنَا مَوْلُودًا دُونَ  
 هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَكَفَّالَتِهَا إِلَى حِينِ الْفَصَالِ لَمْ يَتِمَّ بَقَاؤُهُ أَصْلًا وَوُجُودِ الصَّنَائِعِ دُونَ  
 الْفِكْرِ مُنْتَمِعٌ لِأَنَّهَا ثَمَرَتُهُ وَتَابِعَةٌ لَهُ وَتَكَلَّفَ ابْنُ سَيْنَا فِي الرَّدِّ عَلَى هَذَا الرَّأْيِ لِخِلَافَتِهِ  
 أَيَّاهُ وَذَهَابِهِ إِلَى إِمْكَانِ انْقِطَاعِ الْأَنْوَاعِ وَخَرَابِ عَالَمِ التَّكْوِينِ ثُمَّ عَوَدَهُ ثَانِيًا  
 لِأَقْبِضَاتِ فَلَكِيَّةٍ وَأَوْضَاعِ غَرْبَةِ تَنْدُرٍ فِي الْأَحْقَابِ بِزَعْمِهِ فَتَقْتَضِي تَحْمِيرِ طِينَةٍ مُنَاسِبَةٍ  
 لِمَزَاجِهِ بِحَرَارَةٍ مُنَاسِبَةٍ فَيَتِمُّ كَوْنُهُ إِنْسَانًا ثُمَّ يَقْبِضُ لَهُ حَيَوَانٌ يُخْلَقُ فِيهِ الْهَامَا لِتَرْبِيَّتِهِ  
 وَالْحَنُوقِ عَلَيْهِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وُجُودُهُ وَفَضَالُهُ وَأَطْنَبَ فِي بَيَانِ ذَلِكَ فِي الرَّسَالَةِ الَّتِي سَمَّاهَا  
 رِسَالَةَ حَيِّ بْنِ يَقْظَانَ وَهَذَا الْأَسْتِدْلَالُ غَيْرُ صَحِيحٍ وَإِنْ كُنَّا نُوَافِقُهُ عَلَى انْقِطَاعِ  
 الْأَنْوَاعِ لَكِنْ مِنْ غَيْرِ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ فَإِنَّ دَلِيلَهُ مَبْنِيٌّ عَلَى إِسْنَادِ الْأَفْعَالِ إِلَى الْعَلَّةِ  
 الْمُوجِبَةِ وَدَلِيلُ الْقَوْلِ بِالْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ يَرُدُّ عَلَيْهِ وَلَا وَسِطَةَ عَلَى الْقَوْلِ بِالْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ  
 بَيْنَ الْأَفْعَالِ وَالْقُدْرَةِ الْقَدِيمَةِ وَلَا حَاجَةَ إِلَى هَذَا التَّكْلِيفِ ثُمَّ لَوْ سَأَلْنَاهُ جَدًّا فَعَايَةً  
 مَا يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَطْرَادُ وُجُودِ هَذَا الشَّخْصِ بِخُلُقِ الْإِلَهَامِ لِتَرْبِيَّتِهِ فِي الْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ وَمَا  
 الضَّرُورَةُ الدَّاعِيَةُ لِذَلِكَ وَإِذَا كَانَ الْإِلَهَامُ يُخْلَقُ فِي الْحَيَوَانِ الْأَعْجَمِ فَمَا الْمَنَاعُ مِنْ  
 خَلْقِهِ لِلْمَوْلُودِ نَفْسِهِ كَمَا قَرَّرْنَاهُ أَوَّلًا وَخَلَقُ الْإِلَهَامِ فِي شَخْصٍ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ أَقْرَبُ مِنْ  
 خَلْقِهِ فِيهِ لِمَصَالِحِ غَيْرِهِ فَكَلَّا الْمَذْهَبِينَ شَاهِدَانِ عَلَى أَنْفُسِهِمَا بِالْبَطْلَانِ فِي مَنَاحِيهِمَا  
 لِمَا قَرَّرْتَهُ لَكَ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

## الفصل التاسع والعشرون

في صناعة الطب وانها محتاج اليها في الحواضر والامصار دون البادية

هذه الصناعة ضرورية في المدن والامصار لما عرف من فائدتها فان تمرتها حفظ الصحة  
للأصحاء ودفع المرض عن المرضى بالمداواة حتى يحصل لهم البرزخ من أمراضهم وأعلم  
ان أصل الأمراض كلها إنما هو من الأغذية كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث  
الجامع للطب وهو قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواك وأصل كل داء  
البردة فأما قوله المعدة بيت الداء فهو ظاهر وأما قوله الحمية رأس الدواك فالحمية  
الجوع وهو الاحتياج من الطعام والمعنى ان الجوع هو الدواك العظيم الذي هو أصل  
الأدوية وأما قوله أصل كل داء البردة فمعنى البردة إدخال الطعام على الطعام  
في المعدة قبل ان يتم هضم الأول وشرح هذا ان الله سبحانه خلق الانسان وحفظ  
حياته بالغذاء يستعمله بالأكل وينفذ فيه القوى الهاضمة والغاذية الى ان يصير دما  
ملائما لأجزاء البدن من اللحم والعظم ثم تأخذه النامية فينقلب لحما وعظما ومعنى  
الهضم طبخ الغذاء بالحرارة الغريزية طورا بعد طور حتى يصير جزءا بالفعل من  
البدن وتفسيره ان الغذاء اذا حصل في الفم ولا كتته الأشداق أثرت فيه حرارة  
الفم طبخا يسيرا وقالت مزاجه بعض الشيء كما تراه في اللقمة اذا تناولتها طعاما  
ثم أجدتها مضغا فترى مزاجها غير مزاج الطعام ثم يحصل في المعدة فتطبخه حرارة  
المعدة الى ان يصير كيموسا وهو صنو ذلك المطبوخ وترسله الى الكبد وترسل  
ما رسب منه في المعى ثفلا ينفذ الى المخزجين ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك  
الكيموس الى ان يصير عبيطا وتطفو عليه رغوة من الطبخ هي الصفراء وترسب  
منه أجزاء يابسة هي السوداء ويقصر الحار الغريزي بعض الشيء عن طبخ الغليظ منه  
فهو البلغم ثم ترسلها الكبد كلها في العروق والجداول ويأخذها طبخ الحال  
الغريزي هناك فيكون عن الدم الخالص بخار حار رطب يمد الروح الحيواني  
وتأخذ النامية مأخذاها في الدم فيكون لحما ثم غليظه عظاما ثم يرسل البدن ما  
يفضل عن حاجته من ذلك فضلات مختلفة من العرق واللعاب والمخاط والدمع هذه  
صورة الغذاء وخروجه من القوة الى الفعل لحما ثم إن أصل الأمراض ومعظمها هي

الْحَمِيَّاتِ وَسَبَبُهَا أَنَّ الْحَارَّ الْغَرِيظِيَّ قَدْ يَضَعُ عَنْ تَمَامِ النَّضْجِ فِي طَبْعِهِ فِي كُلِّ طَوْرٍ  
 مِنْ هُدُوهِ فَيَبْقَى ذَلِكَ الْغَدَاءُ دُونَ نَضْجِ وَسَبَبُهُ عَالِيًا كَثْرَةُ الْغَدَاءِ فِي الْمَعِدَةِ حَتَّى  
 يَكُونَ أَغْلَبَ عَلَى الْحَارِّ الْغَرِيظِيِّ أَوْ إِدْخَالَ الطَّعَامِ إِلَى الْمَعِدَةِ قَبْلَ أَنْ تَسْتَوْفِيَ طَبْعُ  
 الْأَوَّلِ فَيَسْتَقِلُّ بِهِ الْحَارُّ الْغَرِيظِيُّ وَيَبْرُكُ الْأَوَّلُ بِحَالَةٍ أَوْ يَتَوَزَعُ عَلَيْهِمَا فَيَقْصُرُ عَنْ  
 تَمَامِ الطَّبْخِ وَالنَّضْجِ وَتُرْسِلُهُ الْمَعِدَةُ كَذَلِكَ إِلَى الْكَبِدِ فَلَا تَقْوَى حَرَارَةُ الْكَبِدِ  
 أَيْضًا عَلَى إِنْضَاجِهِ وَرُبَّمَا بَقِيَ فِي الْكَبِدِ مِنَ الْغَدَاءِ الْأَوَّلِ فَضْلَةٌ غَيْرُ نَاضِجَةٍ وَتُرْسَلُ  
 الْكَبِدُ جَمِيعَ ذَلِكَ إِلَى الْعُرُوقِ غَيْرِ نَاضِجٍ كَمَا هُوَ فَإِذَا أَخَذَ الْبَدَنُ حَاجَتَهُ الْمَلَأِيْمَةَ  
 أَرْسَلَهُ مَعَ الْفَضَلَاتِ الْأُخْرَى مِنَ الْعَرَقِ وَالِدَّمْعِ وَالْعَلَابِ إِنْ أَقْتَدَرَ عَلَى ذَلِكَ وَرُبَّمَا  
 يَعْجِزُ عَنِ الْكَثِيرِ مِنْهُ فَيَبْقَى فِي الْعُرُوقِ وَالْكَبِدِ وَالْمَعِدَةِ وَتَتَزَايِدُ مَعَ الْأَيَّامِ وَكُلُّ  
 ذِي رُطُوبَةٍ مِنَ الْمُمْتَرِجَاتِ إِذَا لَمْ يَأْخُذْهُ الطَّبْخُ وَالنَّضْجُ يَعْنِي فَيَتَعَنَّ ذَلِكَ الْغَدَاءُ  
 غَيْرُ النَّاضِجِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْخَلِطِ وَكُلُّ مَتَعَنَّ فِيهِ حَرَارَةٌ غَرِيْبَةٌ وَتِلْكَ هِيَ الْمَسْمَاةُ فِي  
 بَدَنِ الْإِنْسَانِ بِالْحَمَى وَاخْتَبِرْ ذَلِكَ بِالطَّعَامِ إِذَا تَرَكَ حَتَّى يَتَعَنَّ وَفِي الرَّبْلِ إِذَا  
 تَعَنَّ أَيْضًا كَيْفَ تَنْبَعُ فِيهِ الْحَرَارَةُ وَتَأْخُذُ مَا خَذَهَا فَهَذَا مَعْنَى الْحَمِيَّاتِ فِي الْأَبْدَانِ  
 وَهِيَ رَأْسُ الْأَمْرَاضِ وَأَصْلُهُ كَمَا وَقَعَ فِي الْحَدِيثِ وَهَذِهِ الْحَمِيَّاتُ عِلَاجُهَا بِقَطْعِ الْغَدَاءِ  
 عَنِ الْمَرِيضِ أَسَابِيعَ مَعْلُومَةٌ ثُمَّ يَتَنَاوَلُ الْأَغْذِيَّةَ الْمَلَأِيْمَةَ حَتَّى يَتِمَّ بَرُؤُهُ ذَلِكَ فِي  
 حَالِ الصِّحَّةِ عِلَاجٌ فِي التَّحْفِظِ مِنْ هَذَا الْمَرَضِ وَأَصْلُهُ كَمَا وَقَعَ فِي الْحَدِيثِ وَقَدْ يَكُونُ  
 ذَلِكَ الْعَنْنُ فِي عَضْوٍ مَخْصُوصٍ فَيَتَوَلَّدُ عَنْهُ مَرَضٌ فِي ذَلِكَ الْعَضْوِ وَيَحْدُثُ جِرَاحَاتٌ فِي  
 الْبَدَنِ إِمَّا فِي الْأَعْضَاءِ الرَّئِيسِيَّةِ أَوْ فِي غَيْرِهَا وَقَدْ يَمْرُضُ الْعَضْوُ وَيَحْدُثُ عَنْهُ مَرَضٌ  
 الْقَوِيُّ الْمَوْجُودَةُ لَهُ هَذِهِ كَمَا جَدَّاعُ الْأَمْرَاضِ وَأَصْلُهَا فِي الْغَالِبِ مِنَ الْأَغْذِيَّةِ وَهَذَا  
 كُلُّهُ مَرْفُوعٌ إِلَى الطَّيِّبِ وَوُقُوعُ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ فِي أَهْلِ الْخُصْرِ وَالْأَمْصَارِ أَكْثَرُ  
 لِحِصْبِ عَيْشِهِمْ وَكَثْرَةِ مَا كَلِمَهُمْ وَقِلَّةِ اقْتِصَارِهِمْ عَلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأَغْذِيَّةِ وَعَدَمِ  
 تَوْقِيْفَتِهِمْ لِتَنَاوُلِهَا وَكَثْرَتِهَا مَا يَخْلُطُونَ بِالْأَغْذِيَّةِ مِنَ التَّنَوُّلِ وَالْبُقُولِ وَالْفَوَاكِهِ رَطْبًا وَبَاسِيًا  
 فِي سَبِيلِ الْعِلَاجِ بِالطَّبْخِ وَلَا يَفْتَصِرُونَ فِي ذَلِكَ عَلَى نَوْعٍ أَوْ أَنْوَاعٍ فَرُبَّمَا عَدَدَتْهَا فِي  
 الْيَوْمِ الْوَاحِدِ مِنْ أَلْوَانِ الطَّبْخِ أَرْبَعِينَ نَوْعًا مِنَ النَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَاتِ فَيَصِيرُ الْغَدَاءُ مَرَاجٍ  
 غَرِيبٌ وَرُبَّمَا يَكُونُ غَرِيبًا عَنْ مَلَأَمَةِ الْبَدَنِ وَأَجْزَائِهِ ثُمَّ إِنْ الْأَهْوِيَّةُ فِي الْأَمْصَارِ

تفسدُ بِمَخَالِطَةِ الْأَخْجَرَةِ الْعَفْنَةِ مِنْ كَثْرَةِ الْفَضَلَاتِ وَالْأَهْوِيَةِ مُنْشِطَةً لِلرَّوْحِ وَمَقْوِيَةً  
بِنَشَاطَتِهَا الْأَثَرِ الْحَارِّ الْغَرِيزِيِّ فِي الْهَضْمِ ثُمَّ الرِّيَاضَةُ مَفْقُودَةٌ لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ إِذْ هُمْ  
فِي الْعَالِبِ وَادِعُونَ سَاكِنُونَ لَا تَأْخُذُ مِنْهُمْ الرِّيَاضَةُ شَيْئًا وَلَا تُؤْتِرُ فِيهِمْ أَثَرًا فَكَانَ  
وُفُوعُ الْأَمْرَاضِ كَثِيرًا فِي الْمُدُنِ وَالْأَمْصَارِ وَعَلَى قَدَرِ وُفُوعِهِ كَانَتْ حَاجَتُهُمْ إِلَى هَذِهِ  
الصَّنَاعَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الْبَدْوِ فَمَا كَوَّلَهُمْ قَلِيلٌ فِي الْعَالِبِ وَالْجُوعُ أَغْلَبَ عَلَيْهِمْ نَقْلَةَ الْحَبُوبِ  
حَتَّى صَارَ لَهُمْ ذَلِكَ عَادَةً وَرُبَّمَا يَظُنُّ أَنَّهَا جَمِيلَةٌ لِاسْتِمْرَارِهَا ثُمَّ الْأَدَمُ قَلِيلَةٌ لَدَيْهِمْ  
أَوْ مَفْقُودَةٌ بِالْجَمَلَةِ وَعِلَاجُ الطَّبِخِ بِالتَّوَابِلِ وَالْفَوَاكِهِ إِنَّمَا يَدْعُو إِلَى تَرْفِ الْحِضَارَةِ  
الَّذِينَ هُمْ بِمَعزَلٍ عَنْهُ فَيَتَنَاوَلُونَ أَغْذِيَتَهُمْ بِسَيْطَةٍ بَعِيدَةٍ عَمَّا يُحَاطِطُهَا وَيَقْرَبُ مِرَاجِعَهَا  
مِنْ مَلَأَمَةِ الْبَدَنِ وَأَمَّا أَهْوِيَتُهُمْ فَقَلِيلَةٌ الْعَفْنُ الْقَلِيَّةُ الرُّطُوبَاتُ وَالْعَفُونَاتُ إِنْ كَانُوا  
ظَوَاعِنَ ثُمَّ إِنْ الرِّيَاضَةُ مَوْجُودَةٌ فِيهِمْ لِكَثْرَةِ الْحَرَكَةِ فِي رَكْضِ الْخَيْلِ أَوْ الصَّيْدِ أَوْ  
طَلَبِ الْحَاجَاتِ لِمَهْنَةِ أَنْفُسِهِمْ فِي حَاجَاتِهِمْ فَيَحْسُنُ بِذَلِكَ كُلَّهُ الْهَضْمُ وَيَجُودُ وَيَقْدُ  
إِدْخَالَ الطَّعَامِ عَلَى الطَّعَامِ فَتَكُونُ أَمْزِجَتُهُمْ أَصْلَحَ وَابْعَدَ مِنَ الْأَمْرَاضِ فَتَقُلُّ حَاجَتُهُمْ  
إِلَى الطَّبِّ وَلِهَذَا لَا يُوجَدُ الطَّبِيبُ فِي الْبَادِيَةِ بَوَجْهِ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِالِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ إِذْ  
لَوْ أَحْتِيجَ إِلَيْهِ لَوُجِدَ لِأَنَّهُ يَكُونُ لَهُ بِذَلِكَ فِي الْبَدْوِ مَعَاشٌ يَدْعُوهُ إِلَى سُكْنَاهُ سَنَةَ اللَّهِ  
فِي عِبَادِهِ وَلَنْ تَجِدَ لِسَنَةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا

### الفصل الثلاثون

في ان الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية  
وهو رُسُومٌ وَأَشْكَالٌ حَرْفِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَى الْكَلِمَاتِ الْمَسْمُوعَةِ الدَّالَّةِ عَلَى مَا فِي النَّفْسِ  
فَهُوَ ثَانِي رُتْبَةٍ مِنَ الدَّلَالَةِ اللُّغَوِيَّةِ وَهُوَ صِنَاعَةٌ شَرِيفَةٌ إِذِ الْكِتَابَةُ مِنْ خَوَاصِّ الْإِنْسَانِ  
الَّتِي يَمِيزُ بِهَا عَنِ الْحَيَوَانَ وَابْتِضًا فَهِيَ تَطْلُعُ عَلَى مَا فِي الضَّمَائِرِ وَتُنَادِي بِهَا الْأَغْرَاضُ  
إِلَى الْبِلَادِ الْبَعِيدَةِ فَتَمْتَضِي الْحَاجَاتِ وَقَدْ دَفَعَتْ مَوْئِنَةَ الْمُبَاشَرَةِ لَهَا وَيَطْلُعُ بِهَا عَلَى الْعُلُومِ  
وَالْمَعَارِفِ وَصَحْبِ الْأَوَّلِينَ وَمَا كَتَبُوهُ مِنْ عُلُومِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ فَهِيَ شَرِيفَةٌ بِهَذِهِ الْوُجُوهِ  
وَالْمِنَافِعِ وَخُرُوجِهَا فِي الْإِنْسَانِ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ إِنَّمَا يَكُونُ بِالتَّعْلِيمِ وَعَلَى قَدَرِ  
الْإِجْتِمَاعِ وَالْعُمُرَانِ وَالتَّنَافُعِ فِي الْكِمَالَاتِ وَالطَّلَبِ لِذَلِكَ تَكُونُ جُودَةُ الْخَطِّ فِي  
الْمَدِينَةِ إِذْ هُوَ مِنْ جَمَلَةِ الصَّنَائِعِ وَقَدْ قَدَمْنَا أَنَّ هَذَا شَأْنُهَا وَأَنَّهَا تَابِعَةٌ لِلْعُمُرَانِ وَلِهَذَا

نَحْدُ أَكْثَرَ الْبَدُوِّ أَمِينٍ لَا يَكْتُبُونَ وَلَا يَقْرَأُونَ وَمَنْ قَرَأَ مِنْهُمْ أَوْ كَتَبَ فَيَكُونُ  
 خَطُّهُ قَاصِرًا أَوْ قَرَأَتْهُ غَيْرَ نَافِذَةٍ وَيَحْدُ تَعْلِيمَ الْخَطِّ فِي الْأَمْصَارِ الْخَارِجِ عُمُرَانِهَا عَنِ  
 الْحَدِّ أَبْلَغَ وَأَحْسَنَ وَأَسْمَلَ طَرِيقًا لِاسْتِحْكَامِ الصَّنْعَةِ فِيهَا كَمَا يَحْكِي لَنَا عَنْ مِصْرَ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَنَّ بِهَا مُعَلِّمِينَ مُنْتَصِبِينَ لِلتَّعْلِيمِ الْخَطِّ يَأْتُونَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ قَوَانِينَ وَأَحْكَامًا  
 فِي وَضْعِ كُلِّ حَرْفٍ وَيَزِيدُونَ إِلَى ذَلِكَ الْمُبَاشَرَةَ بِتَعْلِيمِ وَضْعِهِ فَيَتَعَضَّدُ لَدَيْهِ رُبَّةُ الْعِلْمِ  
 وَالْحُسْنِ فِي التَّعْلِيمِ وَتَأْتِي مَلَكَتُهُ عَلَى أُمَّةِ الْوُجُوهِ وَإِنَّمَا أَتَى هَذَا مِنْ كَمَالِ الصَّنَائِعِ  
 وَوُفُورِهَا بِكَثْرَةِ الْعُمُرَانِ وَانْتِسَاحِ الْأَعْمَالِ وَقَدْ كَانَ الْخَطُّ الْعَرَبِيُّ بِالْأَعْلَى مَبَالِغًا  
 مِنَ الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ وَالْجُودَةِ فِي دَوْلَةِ التَّبَاعَةِ نَمَا بَلَّغَتْ مِنَ الْحِضَارَةِ وَالْتَرَفِ وَهُوَ  
 الْمَسْمُوعُ بِالْخَطِّ الْحَمِيرِيِّ وَانْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى الْحِيرَةِ لِمَا كَانَ بِهَا مِنْ دَوْلَةِ آلِ الْمُنْدِرِ  
 أَسْبَابِ التَّبَاعَةِ فِي الْعَصَبِيَّةِ وَالْحِجْدِ دِينَ لِمَلِكِ الْعَرَبِ بَارِضِ الْعِرَاقِ وَلَمْ يَكُنْ الْخَطُّ عِنْدَهُمْ  
 مِنَ الْإِجَادَةِ كَمَا كَانَ عِنْدَ التَّبَاعَةِ لِقُصُورِ مَا بَيْنَ الدَّوْلَتَيْنِ وَكَانَتِ الْحِضَارَةُ وَتَوَابِعُهَا  
 مِنَ الصَّنَائِعِ وَغَيْرِهَا قَاصِرَةً عَنِ ذَلِكَ وَمِنَ الْحِيرَةِ لِقُبَّةِ أَهْلِ الطَّائِفِ وَقُرَيْشٍ فِيمَا ذَكَرَ  
 وَيُقَالُ إِنَّ الَّذِي تَعَلَّمَ الْكِتَابَةَ مِنَ الْحِيرَةِ هُوَ سَفِيَانُ بْنُ أُمِيَّةٍ وَيُقَالُ حَرْبُ بْنُ أُمِيَّةٍ  
 وَأَخَذَهَا مِنْ أَسَلَمِ بْنِ سُدْرَةَ وَهُوَ قَوْلٌ مُمَكِّنٌ وَأَقْرَبُ مِمَّنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّهُمْ تَعَلَّمُوهَا  
 مِنْ إِيَادِ أَهْلِ الْعِرَاقِ لِقَوْلِ شَاعِرِهِمْ

قَوْمٌ لَهُمْ سَاحَةٌ الْعِرَاقِ إِذَا سَارُوا جَدِيدًا وَالْخَطُّ وَالْقَلَمُ

وَهُوَ قَوْلٌ بَعِيدٌ لِأَنَّ إِيَادَ وَإِنْ نَزَلُوا سَاحَةَ الْعِرَاقِ فَلَمْ يَزَالُوا عَلَى شَأْنِهِمْ مِنَ الْبِدَاوَةِ  
 وَالْخَطِّ مِنَ الصَّنَائِعِ الْحِضْرِيَّةِ وَإِنَّمَا مَعْنَى قَوْلِ الشَّاعِرِ أَنَّهُمْ أَقْرَبُ إِلَى الْخَطِّ وَالْقَلَمِ  
 مِنَ الْعَرَبِ لِقُرْبِهِمْ مِنْ سَاحَةِ الْأَمْصَارِ وَضَوَائِحِهَا فَالْقَوْلُ بِأَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ إِنَّمَا لَقِنُوهَا  
 مِنَ الْحِيرَةِ وَلَقِنُوهَا الْحِيرَةُ مِنَ التَّبَاعَةِ وَحَمِيرٌ هُوَ الْأَلِيقُ مِنَ الْأَنْوَالِ وَكَانَ لِحَدِيثِ كِتَابَةِ  
 تُسَمَّى الْمُسْنَدَ حُرُوفُهَا مُنْفَصِلَةٌ وَكَانُوا يَمْنَعُونَ مِنْ تَعَلُّمِهَا إِلَّا بِأَذْنِهِمْ وَمِنْ حَمِيرٍ تَعَلَّمَتْ  
 مِصْرَ الْكِتَابَةَ الْعَرَبِيَّةَ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَحْسِبُونَ لَهَا شَأْنَ الصَّنَائِعِ إِذَا وَقَمَتْ بِالْبَدْوِ  
 فَلَا تَكُونُ مُحْكَمَةً الْمَذَاهِبِ وَلَا مَائِلَةً إِلَى الْإِتْقَانِ وَالتَّسْمِيقِ لِيُونَ مَا بَيْنَ الْبَدْوِ  
 وَالصَّنَاعَةِ وَاسْتَعْنَاءِ الْبَدْوِ عَنْهَا فِي الْأَكْثَرِ وَكَانَتْ كِتَابَةُ الْعَرَبِ بَدْوِيَّةً مِثْلَ كِتَابَتِهِمْ أَوْ  
 قَرِيبًا مِنْ كِتَابَتِهِمْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَوْ نَقُولُ إِنَّ كِتَابَتَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَحْسَنُ صِنَاعَةٍ لِأَنَّ هُوَ الْأَعْلَى

أَقْرَبُ إِلَى الْحَضَارَةِ وَمُخَالَطَةِ الْأَمْصَارِ وَالِدَوْلِ وَأَمَّا مُضَرٌّ فَكَانُوا أَعْرَقَ فِي الْبَدْوِ وَابْعَدَ  
عَنِ الْحَضَرِ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الشَّامِ وَمِصْرَ فَكَانَ الْخَطُّ الْعَرَبِيُّ لِأَوَّلِ  
الْإِسْلَامِ غَيْرَ بَالِغٍ إِلَى الْعَالِيَةِ مِنَ الْإِحْكَامِ وَالْإِنْفَانِ وَالْإِجَادَةِ وَلَا إِلَى التَّوَسُّطِ  
لِمَكَانِ الْعَرَبِ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالتَّوَحُّشِ وَبُعْدِهِمْ عَنِ الصَّنَائِعِ وَأَنْظُرْ مَا وَتَعَّ لِأَجْلِ ذَلِكَ  
فِي رَسْمِهِمُ الْمُصْحَفِ حَيْثُ رَسَمَهُ الصَّحَابَةُ بِخَطِّهِمْ وَكَانَتْ غَيْرَ مُسْتَحْكِمَةٍ فِي الْإِجَادَةِ  
فَخَالَفَ الْكَثِيرُ مِنْ رُسُومِهِمْ مَا افْتَضَتْهُ رُسُومُ صِنَاعَةِ الْخَطِّ عِنْدَ أَهْلِهَا ثُمَّ أَقْتَنَى التَّابِعُونَ  
مِنَ السَّلَفِ رَسْمَهُمْ فِيهَا تَبَرُّكَ كَمَا بِمَا رَسَمَهُ أَصْحَابُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَيْرُ  
الْخَلْقِ مِنْ بَعْدِهِ الْمُتَلَقُونَ لَوْحِيهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَلَامِهِ كَمَا يُقْتَنَى لِهَذَا الْعَهْدِ خَطُّ وَلِيٍّ  
أَوْ عَالِمٍ تَبَرُّكَ كَمَا وَتَبَعُ رَسْمُهُ خَطًّا أَوْ صَوَابًا وَأَيْنَ نِسْبَةُ ذَلِكَ مِنَ الصَّحَابَةِ فِيمَا كَتَبُوهُ  
فَاتَّبَعَ ذَلِكَ وَأَثَبَتْ رَسْمًا وَتَبَهُ الْعُلَمَاءُ بِالرَّسْمِ عَلَى مَوَاضِعِهِ وَلَا تَلْتَفَتَنَّ فِي ذَلِكَ إِلَى مَا  
يَزَعُمُهُ بَعْضُ الْمُعْتَلِينَ مِنْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُحْكَمِينَ لِصِنَاعَةِ الْخَطِّ وَأَنَّ مَا يَتَخَيَّلُ مِنْ  
مُخَالَفَةِ خَطِّهِمْ لِأَصُولِ الرَّسْمِ لَيْسَ كَمَا يَتَخَيَّلُ بَلْ لِكَلِمَاتِهَا وَجَهٌ يَقُولُونَ فِي مِثْلِ  
زِيَادَةِ الْأَنْبِ فِي لَا إِذْ بَحَثَهُ أَنَّهُ تَنَبُّهُ عَلَى أَنَّ الذَّبْحَ لَمْ يَقَعْ وَفِي زِيَادَةِ الْيَاءِ فِي بَأَيْدِ  
أَنَّهُ تَنَبُّهُ عَلَى كَمَالِ الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَأَمثالُ ذَلِكَ مِمَّا لَا أَصْلَ لَهُ إِلَّا الْأَتَّحْكُمُ  
الْمُحَضُّ وَمَا حَمَلَهُمْ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا اعْتِقَادُهُمْ أَنَّ فِي ذَلِكَ تَنْزِيهًا لِلصَّحَابَةِ عَنِ تَوْحُّمِ  
النَّقْصِ فِي قِلَّةِ إِجَادَةِ الْخَطِّ وَحَسِبُوا أَنَّ الْخَطَّ كَمَالَ فَتَزَهَّرُوا عَنْ نَقْصِهِ وَنَسَبُوا إِلَيْهِمْ  
الْكَمَالَ بِإِجَادَتِهِ وَطَلَبُوا تَعْلِيلَ مَا خَالَفَ الْإِجَادَةَ مِنْ رَسْمِهِ وَذَلِكَ لَيْسَ بِصَحِيحٍ  
وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخَطَّ لَيْسَ بِكَمَالٍ فِي حَقِّهِمْ إِذْ الْخَطُّ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ الْمَدَنِيَّةِ الْمَعَاشِيَّةِ  
كَمَا رَأَيْتَهُ فِيمَا مَرَّ وَالْكَمَالُ فِي الصَّنَائِعِ إِضَافِي بِكَمَالٍ مُطْلَقٍ إِذْ لَا يَبْعُدُ نَقْصُهُ عَلَى  
الذَّاتِ فِي الدِّينِ وَلَا فِي الْحَلَالِ وَإِنَّمَا يَبْعُدُ عَلَى أَسْبَابِ الْمَعَاشِ وَبِحَسَبِ الْعُمُرَانِ وَالتَّعَاوُنِ  
عَلَيْهِ لِأَجْلِ دَلَالَتِهِ عَلَى مَا فِي النُّفُوسِ . وَقَدْ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِيًّا وَكَانَ  
ذَلِكَ كَمَالًا فِي حَقِّهِ وَبِالنِّسْبَةِ إِلَى مَقَامِهِ لِشَرَفِهِ وَتَنْزُّهِهِ عَنِ الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي هِيَ  
أَسْبَابُ الْمَعَاشِ وَالْعُمُرَانِ كُلِّهَا وَابْتَسَتْ الْأُمِّيَّةُ كَمَالًا فِي حَقِّهَا تَحْنُ إِذْ هُوَ مُنْقَطِعٌ إِلَى  
رَبِّهِ وَتَحْنُ مُتَعَاوِنُونَ عَلَى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا شَأْنَ الصَّنَائِعِ كُلِّهَا حَتَّى الْعُلُومِ الْأِصْطِلَاحِيَّةِ فَإِنَّ  
الْكَمَالَ فِي حَقِّهِ هُوَ تَنْزُّهُهُ عَنْهَا جُمْلَةً بِخِلَافِنَا ثُمَّ لَمَّا جَاءَ الدَّمْلُكَ لِلْعَرَبِ وَفَقَعُوا

الْأَمْصَارَ وَمَلَكَوا الْمَمَالِكَ وَتَزَلُوا الْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ وَاحْتاجَتِ الدَّوْلَةُ إِلَى الْكِتَابَةِ  
 اسْتَعْمَلُوا الْخَطَّ وَطَلَبُوا صِنَاعَتَهُ وَتَعَلَّمَهُ وَتَدَاوَلُوهُ فَتَرَقَّتِ الْإِجَادَةُ فِيهِ وَاسْتَحْكَمَ وَبَلَغَ  
 فِي الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ زُبَّةً مِنَ الْإِثْقَانِ إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ دُونَ الْعَالِيَةِ وَالْخَطُّ الْكُوفِيُّ  
 مَعْرُوفُ الرَّسْمِ لِهَذَا الْعَهْدِ ثُمَّ انْتَشَرَ الْعَرَبُ فِي الْأَقْطَارِ وَالْمَمَالِكِ وَافْتَتَحُوا أَفْرِيقِيَّةَ  
 وَالْأَنْدَلُسَ وَاخْتَطَبَ بَنُو الْعَبَّاسِ بَعْدَادَ وَتَرَقَّتِ الْخَطُوطُ فِيهَا إِلَى الْعَالِيَةِ لَمَّا اسْتَبَجَرَتْ فِي  
 الْعُمُرَانَ وَكَانَتْ دَارَ الْإِسْلَامِ وَمَرَّزَ الدَّوْلَةَ الْعَرَبِيَّةَ وَكَانَ خَطُّ الْبَغْدَادِيِّ مَعْرُوفَ  
 الرَّسْمِ وَتَبِعَهُ الْأَفْرِيقِيُّ الْمَعْرُوفُ رَسْمُهُ الْقَدِيمُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَيَقْرُبُ مِنْ أَوْضَاعِ الْخَطِّ  
 الْمَشْرِقِيِّ وَتَحْيِزَ مَلِكِ الْأَنْدَلُسِ بِالْأَمْوِيِّينَ فَتَمَيَّزُوا بِأَحْوَالِهِمْ مِنَ الْخِضَارَةِ وَالصَّنَائِعِ  
 وَالْخَطُوطِ فَتَمَيَّزَ صِنْفُ خَطِّهِمُ الْأَنْدَلُسِيِّ كَمَا هُوَ مَعْرُوفُ الرَّسْمِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَطَمَّابَجْرُ  
 الْعُمُرَانَ وَالْخِضَارَةَ فِي الدَّوْلِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي كُلِّ فُطْرٍ وَعَظَمَ الْمَلِكُ وَنَفَقَتْ أَسْوَاقُ  
 الْعُلُومِ وَانْتَسَخَتْ الْكُتُبُ وَأُجِيدَ كِتَابُهَا وَتَجَايَدَهَا وَمَلِكَتْ بِهَا الْقُصُورُ وَالخَزَائِنُ  
 الْمَلُوكِيَّةُ بِمَا لَا كِفَاءَ لَهُ وَتَنَافَسَ أَهْلُ الْأَقْطَارِ فِي ذَلِكَ وَتَبَاغَعُوا فِيهِ ثُمَّ لَمَّا انْحَلَّ نِظَامُ  
 الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَنَاقَصَتْ تَنَاقَصَ ذَلِكَ أَجْمَعُ وَدُرِسَتْ بَعَالِمِ بَغْدَادَ بِدُرُوسِ الْخِلَافَةِ  
 فَانْتَقَلَ شَأْنُهَا مِنَ الْخَطِّ وَالْكِتَابَةِ بِلِ الْعِلْمِ إِلَى مِصْرَ وَالْقَاهِرَةَ فَلَمْ تَنْزَلْ أَسْوَاقُهُ بِهَا  
 نَافِقَةً لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَهُ بِهَا مَعْلَمُونَ يَرِثُونَ لِتَعْلِيمِ الْحُرُوفِ بِقَوَائِنِ فِي وَضْعِهَا وَأَشْكَالِهَا  
 مَتَعَارَفَةً بَيْنَهُمْ فَلَا يَلْبَثُ الْمُتَعَلِّمُ أَوْ يُحْكِمُ أَشْكَالَ تِلْكَ الْحُرُوفِ عَلَى تِلْكَ الْأَوْضَاعِ  
 وَقَدْ أَقْنَعَهَا حَسَنًا وَحَدِّقَ فِيهَا دُرْبَةً وَكِتَابًا وَأَخَذَهَا قَوَائِنَ عِلْمِيَّةً فَجَبَّ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ  
 وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَافْتَرَقُوا فِي الْأَقْطَارِ عِنْدَ تَلَاثِي مَلِكِ الْعَرَبِ بِهَا وَمَنْ خَلَفَهُمْ مِنْ  
 الْبَرَبِ وَتَعَلَّيْتُ عَلَيْهِمْ أُمَّمُ النَّصْرَانِيَّةِ فَانْتَشَرُوا فِي عُدُوةِ الْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةِ مِنْ لَدُنِ  
 الدَّوْلَةِ اللَّمْتُونِيَّةِ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ وَشَارَكُوا أَهْلَ الْعُمُرَانَ بِمَا لَدَيْهِمْ مِنَ الصَّنَائِعِ وَتَعَلَّقُوا  
 بِأَذْيَالِ الدَّوْلَةِ فَغَلَبَ خَطُّهُمْ عَلَى الْخَطِّ الْأَفْرِيقِيِّ وَعَفَى عَلَيْهِ وَسَيَّ خَطُّ الْقَاهِرِيَّ  
 وَالْمَهْدِيَّةِ بِنِسْبَانِ عَوَائِدِهِمَا وَصَنَائِعِهِمَا وَصَارَتْ خَطُوطُ أَهْلِ أِفْرِيقِيَّةِ كُلِّهَا عَلَى الرَّسْمِ  
 الْأَنْدَلُسِيِّ بِنُوسِ وَمَا لِيهَا لِقُوفِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ بِهَا عِنْدَ الْجَالِيَّةِ مِنْ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ  
 وَبَقِيَ مِنْهُ رَسْمُ بِلَادِ الْجَرِيدِ الَّذِينَ لَمْ يُخَالِطُوا كِتَابَ الْأَنْدَلُسِ وَلَا تَمَرَّسُوا بِحُورِهِمْ  
 إِنَّمَا كَانُوا يَعْدُونَ عَلَى دَارِ الْمَلِكِ بِنُوسِ فَصَارَ خَطُّ أَهْلِ أِفْرِيقِيَّةِ مِنْ أَحْسَنِ خَطُوطِ

أهل الأندلس حتى إذا انقضى ظل الدولة الموحدية بعض الشيء وتراجع أمر الحضارة  
والترف بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجهل فيه وجه  
التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران وبقيت فيه آثار الخط الأندلسي تشهد بما  
كان لهم من ذلك لما قدمناه من أن الصنائع إذا رسخت بالحضارة فيعسر محوها  
وحصل في دولة بني مرين من بعد ذلك بالمغرب الأقصى لونه من الخط الأندلسي  
القرب جوارهم وسقوط من خرج منهم إلى فارس قريبا واستعملهم أيام سائر  
الدولة ونسي عهد الخط فيما بعد عن سدة الملك وداره كأنه لم يعرف فصارت الخطوط  
بأفريقية والمغربيين مائلة إلى الرداء بعيدة عن الجودة وصارت الكتب إذا  
انسخت فلا فائدة تحصل لمصنفها منها إلا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من  
الفساد والتخفيف وتغيير الأشكال الخطية عن الجودة حتى لا تكاد تقرأ إلا بعد  
عسر ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول والله أعلم

## الفصل الحادي والثلاثون

### في صناعة الوراقة

كانت العناية قديماً بالدواوين العلمية والسجلات في نسخها وتجليدها وتصحيفها  
بالرؤية والضبط وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة وقد ذهب  
ذلك لهذا العهد يذهب الدولة وتناقص العمران بعد أن كان منه في الملة الإسلامية  
بحر زاجر بالعراق والأندلس إذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدولة  
وتفاق أسواق ذلك لدمهما فكثرت التأليف العلمية والدواوين وحرص الناس على  
تتافلها في الآفاق والأعمار فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين المعانين  
للانتساح والتصحيف والتجليد وسائر الأمور الكتيبة والدواوين واختصت بالأمصار  
العظيمة العمران وكانت السجلات أولاً لا تنتسح العلوم وكتب الرسائل السلطانية  
والإقطاعات والصكوك في الرقوق المهمة بالصناعة من الجلد لكثرة الرقه وقلة  
الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك فاقصروا على الكتاب في الرق تشرافاً  
للمكتوبات وميلاً بها إلى الصحة والأيقان ثم طما بحر التأليف والتدوين وكثرت  
ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك فأشار الفضل بن يحيى بصناعة

الكاغد وصنعه وكتب فيه رسائل السلطان وصوره واتخذ الناس من بعده  
 حُفًا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت الاجادة في صناعته ما شاءت ثم وفقت  
 عناية اهل العلوم وهم اهل الدول على ضبط الدواوين العلمية وتصحيحها بالرواية  
 المسندة الى مؤلفيها وواضعيها لانه الشأن الامم من التصحيح والضبط فذلك تسند  
 الاقوال الى قائلها والفتيا الى الحاكم بها العجهد في طريق استنباطها وما لم يكن  
 تصحيح المتن باسنادها الى مدونها فلا يصح اسناد قول لهم ولا فتيا وهكذا كان  
 شأن اهل العلم وحملته في العصور والاجيال والافاق حتى لقد قصرت فائدة الصناعة  
 الحديثية في الرواية على هذه فقط اذ ثمرتها الكبرى من معرفة صحيح الاحاديث  
 وحسنها ومسندها ومرسلها ومقطوعها وموقوفها من موضوعها قد ذهبت وتخصت زبدة  
 في ذلك الامهات المتفقاة بالقبول عند الامم وصار القصد الى ذلك لغوا من العمل  
 ولم تبق ثمره الرواية والاشغال بها الا في تصحيح تلك الامهات الحديثية وسواها  
 من كتب الفقه للفتيا وغير ذلك من الدواوين والتاليف العلمية واتصال سندها  
 بمؤلفيها ليصح النقل عنهم والاسناد اليهم وكانت هذه الرسوم بالمشرق والاندلس  
 معبدة الطرق واضحة المسالك ولهذا تجد الدواوين المنسوخة لذلك العهد في اقطارهم  
 على غاية من الاتقان والاحكام والصحة ومنها لهذا العهد بايدي الناس في العالم  
 اصول عتيقة تشهد ببلوغ الغاية لهم في ذلك واهل الافاق يتناقفون بها الى الان  
 ويشدون عليها يد الضمانة ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملة بالمغرب واهله  
 لانقطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه بانتقاص عمرانه وبداهة اهله وصارت  
 الامهات والدواوين تنسخ بالخطوط اليدوية تنسخها طلبة البربر صحائف مستحجة برداءة  
 الخط وكثرة الفساد والتصحيف فتستغنى على متصفحها ولا يحصل منها فائدة الا في الاقل  
 النادر وايضا فقد دخل اخلل من ذلك في الفتيا فان غالب الاقوال المعزوة غير مروية  
 عن ائمة المذهب وانما نتلقى من تلك الدواوين على ما هي عليه وتبع ذلك ايضا ما  
 يتصدى اليه بعض ائمتهم من التاليف لقله بصرهم بصناعته وعدم الصنائع الوافية  
 بمقاصده ولم يبق من هذا الرسم بالاندلس الا اثاره خفية بالامحاء وهي الاضمحلال  
 فقد كاد العلم ينقطع بالكلية من المغرب والله غالب على امره وبلغنا لهذا العهد

أَنَّ صِنَاعَةَ الرَّوَايَةِ قَائِمَةٌ بِالْمَشْرِقِ وَتَصْحِيحُ الدَّوَاوِينِ لِمَنْ يَرُومُهُ بِذَلِكَ سَهْلٌ عَلَى  
مُبْتَغِيهِ لِتَمَاقِ اسْتَوَاقِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ كَمَا نَذَرَهُ بَعْدَ إِلاَّ أَنَّ الْخَطَّ الَّذِي بَقِيَ مِنَ  
الْإِجَادَةِ فِي الْإِنْتِسَاخِ هُنَاكَ إِنَّمَا هُوَ لِلْعَجْمِ وَفِي خَطُوطِهِمْ وَأَمَّا النَّسْخُ بِمِصْرَ ففَسَدَ  
كَمَا فَسَدَ بِالْمَغْرِبِ وَأَسَدَ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل الثاني والثلاثون

في صناعة الغناء

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ هِيَ لِحْنِ الْأَشْعَارِ الْمَوْزُونَةِ بِتَقْطِيعِ الْأَصْوَاتِ عَلَى نِسْبٍ مُنْتَظِمَةٍ  
مَعْرُوفَةٍ يُوقَعُ كُلُّ صَوْتٍ مِنْهَا تَوْقِيعًا عِنْدَ قِطْعِهِ فَيَكُونُ نِعْمَةً ثُمَّ تَوَلَّفَتْ تِلْكَ النِّعْمَ بَعْضُهَا  
إِلَى بَعْضٍ عَلَى نِسْبٍ مُتَعَارِفَةٍ فَيَلِدُ سَمَاعَهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ التَّنَاسُبِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْهُ مِنْ  
الْكَيْفِيَّةِ فِي تِلْكَ الْأَصْوَاتِ وَذَلِكَ أَنَّهُ تَبَيَّنَ فِي عِلْمِ الْمَوْسِيقِيِّ أَنَّ الْأَصْوَاتَ تُنْتَسَبُ  
فَيَكُونُ صَوْتٌ نِصْفَ صَوْتٍ وَرُبْعَ آخَرَ وَخُمْسَ آخَرَ وَجُزْءٌ مِنْ أَحَدِ عَشَرَ مِنْ آخَرَ  
وَإِخْتِلَافٌ هَذِهِ النِّسْبِ عِنْدَ تَأْدِيَتِهَا إِلَى السَّمْعِ بِخُرُوجِهَا مِنَ الْبَسَاطَةِ إِلَى التَّرْكِيبِ  
وَلَيْسَ كُلُّ تَرْكِيبٍ مِنْهَا مَلْدُودًا عِنْدَ السَّمْعِ بَلْ لِلْمَلْدُودِ تَرْكِيبٌ خَاصَّةٌ وَهِيَ الَّتِي حَصَرَهَا  
أَهْلُ عِلْمِ الْمَوْسِيقِيِّ وَتَكَلَّمُوا عَلَيْهَا كَمَا هُوَ مَذْكَورٌ فِي مَوْضِعِهِ وَقَدْ يُسَاقُ ذَلِكَ التَّحْنِ  
فِي النِّعْمَاتِ الْعِنَائِيَّةِ بِتَقْطِيعِ أَصْوَاتٍ أُخْرَى مِنَ الْجَمَادَاتِ إِمَّا بِالْقَرَعِ أَوْ بِالنَّفْحِ فِي  
الْآلَاتِ تُتَّخَذُ لِذَلِكَ قَرِي لَهَا لَذَّةٌ عِنْدَ السَّمْعِ فَمِنْهَا لِهَذَا الْعَهْدِ أَصْنَافٌ مِنْهَا مَا يُسَمَّوْنَ  
الشَّبَابَةَ وَهِيَ قِصْبَةٌ جَوْفَاءٌ بِأَبْخَاشٍ فِي جَوَانِبِهَا مَعْدُودَةٌ يُنْفَخُ فِيهَا فَتُصَوِّتُ فَيُخْرِجُ الصَّوْتُ  
مِنْ جَوْفِهَا عَلَى سِدَادِهِ مِنْ تِلْكَ الْأَبْخَاشِ وَيَقْطَعُ الصَّوْتُ بِوَضْعِ الْأَصَابِعِ مِنَ الْيَدَيْنِ  
جَمِيعًا عَلَى تِلْكَ الْأَبْخَاشِ وَضَعًا مُتَعَارَفًا حَتَّى تَحْدُثَ النِّسْبُ بَيْنَ الْأَصْوَاتِ فِيهِ وَتُنْتَصِلَ  
كَذَلِكَ مُتَنَاسِبَةً فَيَلْتَمِذُ السَّمْعُ بِإِدْرَاكِهَا لِلتَّنَاسُبِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَمِنْ جِنْسِ هَذِهِ  
الْآلَةِ الْمَرْمَارُ الَّذِي يُسَمَّى الزَّرَّامِي وَهُوَ شَكْلُ الْقِصْبَةِ مَخْوُوتَةُ الْجَانِبَيْنِ مِنَ الْخَسْبِ  
جَوْفَاءٌ مِنْ غَيْرِ تَدْوِيرٍ لِأَجْلِ ائْتِلَافِهَا مِنْ قِطْعَتَيْنِ مُنْفَرِدَتَيْنِ كَذَلِكَ بِأَبْخَاشٍ مَعْدُودَةٍ  
يُنْفَخُ فِيهَا بِقِصْبَةٍ صَغِيرَةٍ تُوصَلُ فَيَنْفِذُ النَّفْحُ بِوَسِطَتِهَا إِلَيْهَا وَتُصَوِّتُ بِنِعْمَةٍ حَادَةٍ يُجْرَى  
فِيهَا مِنْ تَقْطِيعِ الْأَصْوَاتِ مِنْ تِلْكَ الْأَبْخَاشِ بِالْأَصَابِعِ مِثْلَ مَا يُجْرَى فِي الشَّبَابَةِ  
وَمِنْ أَحْسَنِ الْآلَاتِ الزَّرَّامُ لِهَذَا الْعَهْدِ الْبُوقُ وَهُوَ بُوقٌ مِنْ نِخَاسٍ أَجْوَفٌ فِي مِقْدَارِ

الذراع يتسع إلى أن يكون أنفراج مخرجه في مقدار دون الكف في شكل بري  
القلم وينفخ فيه بقصة صغيرة تؤدي الريح من الفم إليه فيخرج الصوت ثخيناً دويّاً  
وفيه أبخاش أيضاً معدودة وتقطع نعمة منها كذلك بالأصابع على الأناس فيكون  
مذوداً ومنها آلات الأوتار وهي جوفاء كلها إما على شكل قطعة من الكرة مثل  
المربط والرباب أو على شكل مربع كالتانور توضع الأوتار على بساطها مشدودة  
في رأسها إلى دسر جائئة ليأتي شد الأوتار ورخوها عند الحاجة إليه بإدارتها ثم  
تفرغ الأوتار إما بعد آخر أو بوتر مشدود بين طرفي قوس يمر عليها بعد أن  
يطلق بالشع والكندر ويقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في إمراره أو نقله من  
وتر إلى وتر واليد اليسرى مع ذلك في جميع آلات الأوتار توضع بأصابعها على  
أطراف الأوتار فيما يقرع أو يحك بالوتر فتحدث الأصوات متناسبة مذبذبة  
وقد يكون القرع في الطسوت بالقضبان أو في الأعواد بعضها ببعض على توقع مناسب  
يحدث عنه التذاذ بالمسموع ولين لك السبب في اللذة الناشئة عن الغناء وذلك أن  
اللذة كما تقرر في موضعه هي إدراك الملائم والخسوس إنما تدرك منه كيفية  
فاذا كانت مناسبة للمدرك وملائمة كانت مذبذبة وإذا كانت منافية له منافرة  
كانت مؤلمة فالملائم من الطعوم ما ناسبت كفيته حاسة الذوق في مزاجها وكذا  
الملائم من الملموسات وفي الروائح ما ناسب مزاج الروح القلبي البخاري لأنه  
المدرك واليه تؤدي الحاسة ولهذا كانت الرياحين والأزهار العطريات أحسن  
رائحة وأشد ملاءمة للروح الغلبة الحرارة فيها التي هي مزاج الروح القلبي وأما  
المرئيات والمسموعات فالملائم فيها تناسب الأوضاع في أشكالها وكيفياتها فهو  
أنسب عند النفس وأشد ملاءمة لها فاذا كان المرئي متناسباً في أشكاله ومخاطبته  
التي له بحسب مادته بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة  
والوضع وذلك هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك كان ذلك حينئذ مناسباً  
للنفس المدركة فتلد بإدراك ملاءمتها ولهذا تجد العاشقين المستترين في المحبة  
يعبرون عن غاية محبتهم وعشقهم بامتزاج أرواحهم بروح المحبوب وفي هذا سر  
تفهمه إن كنت من أهله وهو اتحاد المبدأ وإن كان ما سواك إذا نظرته وتأملت

رَأَيْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ اتِّحَادًا فِي الْبِدَاءِ يَشْهَدُ لَكَ بِهِ اتِّحَادٌ كَمَا فِي الْكَوْنِ وَمَعْنَاهُ مِنْ  
 وَجْهِ آخَرَ أَنَّ الْوُجُودَ يُشْرِكُ بَيْنَ الْمَوْجُودَاتِ كَمَا تَقُولُهُ الْحِكْمَاءُ فِتْوَدُ أَنْ يَمَّا زَجَّ  
 بِمُشَاهَدَاتٍ فِيهِ الْكَمَالُ لِيَتَّحِدَ بِهِ بَلْ تَرُومُ النَّفْسُ حِينَئِذٍ الْخُرُوجَ عَنِ الْوَجْهِ إِلَى  
 الْحَقِيقَةِ الَّتِي هِيَ اتِّحَادُ الْمَبْدِ وَالْكَوْنِ وَلَمَّا كَانَ أَنْسَبُ الْأَشْيَاءِ إِلَى الْإِنْسَانِ وَأَقْرَبُهَا  
 إِلَى أَنْ يَدْرِكَ الْكَمَالَ فِي تَنَاسُبِ مَوْضُوعِهَا هُوَ شَكْلُهُ الْإِنْسَانِي كَانَ إِدْرَاكُهُ لِلْحِمَالِ  
 وَالْحُسْنِ فِي تَخَاطُطِهِ وَأَصْوَاتِهِ مِنَ الْمَدَارِكِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ إِلَى فِطْرَتِهِ فَيُلْهِجُ كُلَّ  
 إِنْسَانٍ بِالْحُسْنِ مِنَ الْمَرْيِيِّ أَوْ الْمَسْمُوعِ بِمُقْتَضَى الْفِطْرَةِ وَالْحُسْنِ فِي الْمَسْمُوعِ أَنْ  
 تَكُونَ الْأَصْوَاتُ مُتَنَاسِبَةً لَا مُتَنَافِرَةً وَذَلِكَ أَنَّ الْأَصْوَاتَ لَهَا كَيْفِيَّاتٌ مِنَ الْهَمْسِ  
 وَالْجَهْرِ وَالرَّخَاوَةِ وَالشَّدَّةِ وَالْقَلْفَلَةِ وَالضَّغَطِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَالتَّنَاسُبُ فِيهَا هُوَ الَّذِي يُوجِبُ  
 لَهَا الْحُسْنَ فَأَوْلَى أَنْ لَا يَخْرُجَ مِنَ الصَّوْتِ إِلَى مَدِّهِ دَفْعَةً بَلْ يَتَدَرَّجُ ثُمَّ يَرْجِعُ كَذَلِكَ  
 وَهَكَذَا إِلَى الْمَثَلِ بَلْ لَا بَدَمِنْ تَوْسُطِ الْمَعَايِرِ بَيْنَ الصَّوْتَيْنِ وَتَأْمَلْ هَذَا مِنْ أَفْتِحَاحِ  
 أَهْلِ اللِّسَانِ التَّرَاكِبِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمُتَنَافِرَةِ أَوْ الْمُتَقَارِبَةِ الْمَخَارِجِ فَإِنَّهُ مِنْ بَابِهِ  
 وَتَأْنِيًا تَنَاسُبُهَا فِي الْأَجْزَاءِ كَمَا مَرَّ أَوَّلَ الْبَابِ فَيَخْرُجُ مِنَ الصَّوْتِ إِلَى نِصْفِهِ أَوْ ثَلَاثِهِ أَوْ  
 جُزْءٍ مِنْ كَدَامِنَهُ عَلَى حَسَبِ مَا يَكُونُ التَّنْقُلُ مُتَنَاسِبًا عَلَى مَا حَصَرَهُ أَهْلُ الصَّنَاعَةِ فَإِذَا  
 كَانَتْ الْأَصْوَاتُ عَلَى تَنَاسُبٍ فِي الْكَيْفِيَّاتِ كَمَا ذَكَرَهُ أَهْلُ تِلْكَ الصَّنَاعَةِ كَانَتْ مَلَائِمَةً  
 مَلْدُودَةً وَمِنْ هَذَا التَّنَاسُبِ مَا يَكُونُ بَسِيطًا وَيَكُونُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ مَطْبُوعًا عَلَيْهِ  
 لَا يَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى تَعْلِيمٍ وَلَا صُنَاعَةٍ كَمَا نَحْنُ الْمَطْبُوعِينَ عَلَى الْمَوَازِينِ الشَّعْرِيَّةِ وَتَوْفِيقِ  
 الرَّقْصِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَتُسَمَّى الْعَامَّةُ هَذِهِ الْقَابِلِيَّةُ بِالْمُضْمَارِ وَكَثِيرٌ مِنَ الْقُرَّاءِ بِهِذِهِ  
 الْمَثَابَةِ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ فَيَجِدُونَ فِي تَلَاْحِينِ أَصْوَاتِهِمْ كَنَاهَا الْمَزَامِيرُ فَيَطْرَبُونَ  
 بِحُسْنِ مَسَاقِيمِهِمْ وَتَنَاسُبِ نَعْمَاتِهِمْ وَمِنْ هَذَا التَّنَاسُبِ مَا يُخْتَلَفُ بِالْتَّرَكِيبِ وَلَيْسَ كُلُّ النَّاسِ  
 يَسْتَوِي فِي مَعْرِفَتِهِ وَلَا كُلُّ الطَّبَائِعِ تَوَافِقُ صَاحِبِيهَا فِي الْعَمَلِ بِهِ إِذَا عَلِمَ وَهَذَا هُوَ التَّلْحِينُ  
 الَّذِي يَتَكَفَّلُ بِهِ عِلْمُ الْمَوْسِيقِيِّ كَمَا نَشْرَحُهُ بَعْدَ عِنْدَ ذِكْرِ الْعُلُومِ وَقَدْ أَنْكَرَ مَالِكُ  
 رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى الْقِرَاءَةَ بِالْتَّلْحِينِ وَأَجَازَهَا الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالتَّلْحِينِ  
 الْمَوْسِيقِي الصَّنَاعِي فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُخْتَلَفَ فِي حَظْرِهِ إِذْ صَنَاعَةُ الْغَنَاءِ مَبَانِيَةٌ لِلْقُرْآنِ  
 بِكُلِّ وَجْهِ لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ وَالْأَدَاءَ نَحْتَاجُ إِلَى مَقْدَارٍ مِنَ الصَّوْتِ لَتَعْيِنِ أَدَاءَ الْحُرُوفِ لَا

مِنْ حَيْثُ اتَّبَعَ الحَرَكَاتِ فِي مَوْضِعِهَا وَمَقْدَارِ المَدِّ عِنْدَ مَنْ يُطْلِقُهَا أَوْ يَقْصُرُهَا وَامْتَالَ  
 ذَلِكَ وَالتَّلْحِينَ أَيْضًا يَتَعَيَّنُ لَهُ مَقْدَارٌ مِنَ الصَّوْتِ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِهِ مِنْ أَجْلِ التَّنَاسُبِ الَّذِي  
 قُلْنَا فِي حَقِيقَةِ التَّلْحِينِ وَاعْتِبَارِ أَحَدِهَا قَدْ يُخْلُ بِالْآخِرِ إِذَا تَعَارَضَا وَتَقَدَّمَ الرَّوَايَةُ مُتَعَيَّنٌ  
 مِنْ تَغْيِيرِ الرَّوَايَةِ الْمَنْقُولَةِ فِي الْقُرْآنِ فَلَا يُمْكِنُ اجْتِمَاعُ التَّلْحِينِ وَالْأَدَاءِ الْمَعْتَبَرِ فِي  
 الْقُرْآنِ بِوَجْهِهِ وَإِنَّمَا مَرَادُهُمُ التَّلْحِينَ البَسِيطَ الَّذِي يَهْتَدِي إِلَيْهِ صَاحِبُ المَضْمَارِ بِطَبْعِهِ كَمَا  
 قَدَّمَاهُ فَيُرَدُّ دُأْصَوَانُهُ تَرْدِيدًا عَلَى نَسْبِ بَدْرِكِهَا الْعَالِمِ بِالْغِنَاءِ وَغَيْرِهِ وَلَا يَنْبَغِي ذَلِكَ  
 بِوَجْهِهِ كَمَا قَالَهُ مَالِكٌ هَذَا هُوَ مَحَلُّ الخِلَافِ وَالظَّاهِرُ تَنَزِيهُهُ الْقُرْآنَ عَنِ هَذَا كُلِّهِ كَمَا  
 ذَهَبَ إِلَيْهِ الإِمَامُ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى لِأَنَّ الْقُرْآنَ مَحَلُّ خُشُوعٍ يَذْكَرُ المَوْتَ وَمَا بَعْدَهُ  
 وَلَيْسَ مَقَامُ التَّنَادِازِ بِإِدْرَاكِ الحَسَنِ مِنَ الأصْوَاتِ وَهَكَذَا كَانَتْ قِرَاءَةُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ  
 اللهُ عَنْهُمْ كَمَا فِي أَخْبَارِهِمْ وَأَمَّا قَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَأُوتِي مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ  
 آلِ دَاوُدَ فَلَيْسَ المُرَادُ بِهِ التَّرْدِيدَ وَالتَّلْحِينَ إِنَّمَا مَعْنَاهُ حَسُنُ الصَّوْتِ وَأَدَاءُ القِرَاءَةِ  
 وَالْإِيَانَةَ فِي مَخْرَجِ الحُرُوفِ وَالتَّنَطُّقُ بِهَا وَإِذْ قَدْ ذَكَرْنَا مَعْنَى الغِنَاءِ فَأَعْلَمُ أَنَّهُ يَحْدُثُ  
 فِي العُمُرَانِ إِذَا تَوَقَّرَ وَتَجَاوَزَ حَدَّ الصَّرُورِيِّ إِلَى الحَاجِبِيِّ ثُمَّ إِلَى الكَمَالِيِّ وَتَنَبَّهُوا  
 فَتَحْدُثُ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَدْعِيهَا إِلَّا مَنْ فَرَعَ مِنْ جَمِيعِ حَاجَاتِهِ الصَّرُورِيَّةِ  
 وَالْمُهَيَّبَةِ مِنَ العِمَاشِ وَالْمَنْزِلِ وَغَيْرِهِ فَلَا يَطْلُبُهَا إِلَّا الفَارِغُونَ عَنِ سَائِرِ أَحْوَالِهِمْ  
 تَفَنَّنًا فِي مَذَاهِبِ المَلَكُودَاتِ وَكَانَ فِي سُلْطَانِ العَجْمِ قَبْلَ المِلَّةِ مِنْهَا مَجْرٌ زَاخِرٌ فِي  
 أَمْصَارِهِمْ وَمُدُنِهِمْ وَكَانَ مُلُوكُهُمْ يَتَّخِذُونَ ذَلِكَ وَيُؤَلِّعُونَ بِهِ حَتَّى كَانُوا لِمُلُوكِ  
 الفَرَسِ أَهْتِمَامًا بِأَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَلَهُمْ مَكَانٌ فِي دَوْلَتِهِمْ وَكَانُوا يَحْضُرُونَ مَشَاهِدَهُمْ  
 وَجَمَاعَتَهُمْ وَيَغْنُونُ فِيهَا وَهَذَا شَأْنُ العَجْمِ لِهَذَا العَهْدِ فِي كُلِّ أَفْقٍ مِنْ أَفَاقِهِمْ وَمَمْلَكَةِ  
 مِنْ مَمَالِكِهِمْ وَأَمَّا العَرَبُ فَكَانَ لَهُمْ أَوْلًا فَنُ الشِّعْرِ يُؤَلِّفُونَ فِيهِ الكَلَامَ أَجْزَاءً  
 مُتَسَاوِيَةً عَلَى تَنَاسُبِ بَيْنِهَا فِي عِدَّةِ حُرُوفِهَا المَتَحَرِّكَةِ وَالسَّاكِنَةِ وَيَفْصَلُونَ الكَلَامَ  
 فِي تِلْكَ الأَجْزَاءِ تَفْصِيلًا يَكُونُ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا مُسْتَقِلًّا بِالْإِفَادَةِ لَا يَتَعَطَّفُ عَلَى الآخِرِ  
 وَيُسَمَّوْنَهُ البَيْتَ فِتِلَاحِ الطَّبَعِ بِالتَّجْزِئَةِ أَوْلًا ثُمَّ بِتَنَاسُبِ الأَجْزَاءِ فِي المَقَاطِعِ وَالْمَبَادِيءِ  
 ثُمَّ بِتَأْدِيَةِ المَعْنَى المَقْصُودِ وَتَطْبِيقِ الكَلَامِ عَلَيْهَا فَهَجَّوْا بِهِ فَأَمْتَّازَ مِنْ بَيْنِ كَلَامِهِمْ  
 بِحِطِّ مِنَ الشَّرَفِ لَيْسَ لغيرِهِ لِأَجْلِ اخْتِصَاصِهِ بِهَذَا التَّنَاسُبِ وَجَعَلُوهُ دِيوانًا لِأَخْبَارِهِمْ

وَحُكْمِهِمْ وَشَرَفِهِمْ وَتَحَكُّمًا لِقَرَأَتِهِمْ فِي إِصَابَةِ الْمَعَانِي وَإِجَادَةِ الْأَسَالِبِ وَأَسْتَمَرُّوا  
 عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا التَّنَاسُبُ الَّذِي مِنْ أَجْلِ الْأَجْزَاءِ وَالْمُتَحَرِّكِ وَالسَّاكِنِ مِنَ الْحُرُوفِ  
 قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ مِنْ تَنَاسُبِ الْأَصْوَاتِ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كِتَابِ الْمَوْسِقِيِّ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ  
 يَشْعُرُوا بِمَا سِوَاهُ لِأَنَّهُمْ حِينَئِذٍ لَمْ يَتَّجِلُوا عِلْمًا وَلَا عَرَفُوا صِنَاعَةً وَكَانَتِ الْبِدَاوَةُ أَغْلَبَ  
 لِحَالِهِمْ ثُمَّ تَغَيَّرَ الْحَدَاةُ مِنْهُمْ فِي حِدَاةِ إِبْلِهِمْ وَالْفَتْيَانِ فِي فِضَاءِ خَلْقَاتِهِمْ فَزَجَعُوا الْأَصْوَاتَ  
 وَتَرَنَّمُوا وَكَانُوا يُسَمُّونَ التَّرَنُّمَ إِذَا كَانَ بِالشَّعْرِ غِنَاءً وَإِذَا كَانَ بِالتَّهْلِيلِ أَوْ نَوْعِ  
 الْقِرَاءَةِ تَغْيِيرًا بِالغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَعَلَّهَا أَبُو إِسْحَاقَ الرَّجَاجُ بِأَنَّهَا تَذَكُّرٌ  
 بِالغَايِرِ وَهُوَ الْبَاقِي أَيُّ بِأَحْوَالِ الْأَخْرَةِ وَرُبَّمَا نَاسَبُوا فِي غِنَائِهِمْ بَيْنَ النَّعَمَاتِ مُنَاسَبَةً  
 بَسِيطَةً كَمَا ذَكَرَهُ أَبُو رَشِيْقٍ آخَرَ كِتَابَ الْعُمْدَةِ وَغَيْرَهُ وَكَانُوا يُسَمُّونَهُ السِّنَادَ  
 وَكَانَ أَكْثَرُ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ فِي الْخَلِيفِ الَّذِي يُرْقِصُ عَلَيْهِ وَيَمْشِي بِالْدَفِّ وَالْمِزْمَارِ  
 فَيَضْرِبُ وَيَسْتَحْفُفُ الْحُلُومَ وَكَانُوا يُسَمُّونَ هَذَا الْهَزَجَ وَهَذَا الْبَسِيطَ كُلَّهُ مِنَ التَّلَاحِينِ  
 هُوَ مِنْ أَوَائِلِهَا وَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَنْفَطِنَ لَهُ الطَّبَاعُ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّمٍ شَأْنِ الْبَسَائِطِ كُلِّهَا مِنَ  
 الصَّنَائِعِ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا شَأْنِ الْعَرَبِ فِي بَدَاوَتِهِمْ وَجَاهِلِيَّتِهِمْ فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَأَسْتَوَلُوا  
 عَلَى مَمَالِكِ الدُّنْيَا وَحَازُوا سُلْطَانَ الْعَجْمِ وَغَلَبُوهُ عَلَيْهِ وَكَانُوا مِنَ الْبِدَاوَةِ وَالْعَضَاضَةِ عَلَى  
 أَحْوَالِ النَّبِيِّ عَرَفَتْ لَهُمْ مَعَ غَضَارَةِ الدِّينِ وَشِدَّتِهِ فِي تَرْكِ أَحْوَالِ الْفِرَاقِ وَمَا لَيْسَ  
 بِنَافِعٍ فِي دِينٍ وَلَا مَعَاشٍ فَهَجَرُوا ذَلِكَ شَيْئًا مَا وَلَمْ يَكُنِ الْمَلْدُودُ عِنْدَهُمْ إِلَّا تَرْجِيعُ  
 الْقِرَاءَةِ وَالتَّرَنُّمِ بِالشَّعْرِ الَّذِي هُوَ دِينُهُمْ وَمَذْهَبُهُمْ فَلَمَّا جَاءَهُمُ التَّرَفُ وَغَابَ عَلَيْهِمْ  
 الرِّفَةُ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مِنْ غَنَائِمِ الْأَنْمِ صَارُوا إِلَى نِضَارَةِ الْعَيْشِ وَرِقَّةِ الْحَاشِيَةِ وَأَسْتَحْلَاءِ  
 الْفِرَاقِ وَأَفْتَرِقَ الْمَغْثُونَ مِنَ الْفَرَسِ وَالرُّومِ فَوَقَعُوا إِلَى الْحِجَازِ وَصَارُوا مَوَالِي لِلْعَرَبِ  
 وَغَنُوا حِمِيًا بِالْعِمْدَانِ وَالطَّنَابِيرِ وَالْمَعَارِفِ وَالْمِزْمَارِ وَسَمِعَ الْعَرَبُ تَلْحِينَهُمْ لِلْأَصْوَاتِ  
 فَاحْتَنُوا عَلَيْهَا أَشْعَارَهُمْ وَظَهَرَ بِالْمَدِينَةِ نَشِيطُ الْفَارِسِيِّ وَطُوَيْسُ وَسَائِبُ بْنُ جَابِرٍ مَوْلَى عُبَيْدِ  
 اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ فَسَمِعُوا شِعْرَ الْعَرَبِ وَلَحْنَهُ وَأَجَادُوا فِيهِ وَطَارَ لَهُمْ ذِكْرُهُ ثُمَّ أَخَذَ عَنْهُمْ  
 مَعْبُدٌ وَطَبَقْتُهُ وَأَبْنُ شَرِيْحٍ وَأَنْظَارُهُ وَمَا زَالَتْ تُتَدَرَّجُ إِلَى أَنْ كَمَلَتْ أَيَّامَ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدِيِّ وَإِبْرَاهِيمَ الْمَوْصِلِيِّ وَأَبْنَةَ إِسْحَاقَ وَأَبْنَةَ حَمَّادٍ وَكَانَ مِنْ  
 ذَلِكَ فِي دَوْلَتِهِمْ بَعْدَادًا مَا تَبِعَهُ الْحَدِيثُ بَعْدَهُ بِهِ وَبِحِجَالِسِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَمَعُوا فِي اللَّهْوِ

وَالْعَبِ وَأُتْخِذَتِ الْآتُ الرَّقْصِ فِي الْمَلْبَسِ وَالْقُضْبَانِ وَالْأَشْعَارُ الَّتِي يَرْتَمُ بِهَا عَلَيْهِ  
وَجَعَلَ صِنْفًا وَحَدَهُ وَأُتْخِذَتِ الْآتُ أُخْرَى لِلرَّقْصِ تُسَمَّى بِالْكَرْجِ وَهِيَ تَمَائِيلُ خَيْلٍ  
مُسْرَجَةٌ مِنَ الْخُشْبِ مَعْلَقَةٌ بِأَطْرَافِ أَفْيَةِ يَلْبَسُهَا النَّسْوَانُ وَيُحَاكِبُنَ بِهَا امْتِطَاءَ الْخَيْلِ  
فَيَكْرَهُونَ وَيَقْرَهُونَ وَيَتَأَفِقُونَ وَأَمثالُ ذَلِكَ مِنَ الْعَبِّ الْمَعْدِدُ لِلْوَالِمِ وَالْأَعْرَاسُ وَأَيَّامُ  
الْأَعْيَادِ وَمَجَالِسُ الْفَرَاغِ وَاللَّهُوُ وَكَثُرَ ذَلِكَ بِبَغْدَادَ وَأَمْصَارَ الْعِرَاقِ وَانْتَشَرَ مِنْهَا إِلَى  
غَيْرِهَا وَكَانَ لِلْمَوْصِلِيِّينَ عِلْمٌ اسْمُهُ زَرْيَابٌ أَخَذَ عَنْهُمْ الْعِنَاءَ فَأَجَادَ فَصَّرْفُوهُ إِلَى  
الْمَغْرِبِ غَيْرَةً مِنْهُ فَلَحِقَ بِالْحَكْمِ بْنِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّخِلِ أَمِيرِ الْأَنْدَلُسِ  
فَبَالَغَ فِي تَكْرِمِهِ وَرَكِبَ لِقَائِهِ وَأَسْنَى لَهُ الْجَوَائِزَ وَالْإِفْطَاعَاتِ وَالْجَرَايِمَ وَأَحَاهَهُ  
مِنْ دَوْلَتِهِ وَنُدْمَائِهِ بِمَكَانٍ فَأَوْرَثَ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ صِنَاعَةِ الْعِنَاءِ مَا تَنَاقَلُوهُ إِلَى أَزْمَانِ  
الطُّوَائِفِ وَطَمًا مِنْهَا بِأَشْجَلِيَّةِ بَحْرٍ زَاخِرٍ وَتَنَاقَلَ مِنْهَا بَعْدَ ذَهَابِ غَضَارَتِهَا إِلَى بِلَادِ الْعُدُودِ  
بِأَفْرِيْقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ وَانْتَسَمَ عَلَى أَمْصَارِهَا وَبِهَا الْآنَ مِنْهَا صِبَابَةٌ عَلَى تَرَاجُعِ عُمُرَانِهَا  
وَتَنَاقُصِ دَوْلَتِهَا وَهَذِهِ الصِّنَاعَةُ أُخْرَى مَا يَحْصُلُ فِي الْعُمُرَانِ مِنَ الصِّنَائِعِ لِأَنَّهَا كَمَالِيَّةٌ فِي  
غَيْرِ وَظِنِيَّةٌ مِنَ الْأَوْطَائِفِ إِلَّا وَظِنِيَّةَ الْفَرَاغِ وَالْفَرَحِ وَهُوَ أَيْضًا أَوَّلُ مَا يَنْقَطِعُ مِنْ  
الْعُمُرَانِ عِنْدَ اخْتِلَالِهِ وَتَرَاجُعِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

### الفصل الثالث والثلاثون

في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب  
قَدْ ذَكَرْنَا فِي الْكِتَابِ أَنَّ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ لِلْإِنْسَانِ إِنَّمَا تُوْجَدُ فِيهِ بِالْقُوَّةِ وَأَنَّ  
خُرُوجَهَا مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ إِنَّمَا هُوَ بِتَجَدُّدِ الْعُلُومِ وَالْإِدْرَاكَاتِ عَنِ الْمَحْسُوسَاتِ  
أَوَّلًا ثُمَّ مَا يَكْتَسِبُ بَعْدَهَا بِالْقُوَّةِ النَّظْرِيَّةِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ إِدْرَاكَاً بِالْفِعْلِ وَعَقْلاً مُحَضَّراً  
فَتَكُونُ ذَاتاً رُوحَانِيَّةً وَيَسْتَكْمِلُ حِينَئِذٍ وُجُودَهَا فَوْجَبَ لِذَلِكَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ نَوْعٍ  
مِنَ الْعِلْمِ وَالنَّظَرِ يُفِيدُهَا عَقْلاً فَرِيداً وَالصِّنَائِعُ أَبَدًا يَحْصُلُ عَنْهَا وَعَنْ مَلَكَتِهَا قَانُونٌ  
عِلْمِيٌّ مُسْتَفَادٌ مِنْ تِلْكَ الْمَلَكَةِ فَلِذَلِكَ كَانَتِ الْحُنُوكَةُ فِي التَّجْرِبَةِ تُفِيدُ عَقْلاً وَالْحِصَارَةُ  
الْكَمَالِيَّةُ تُفِيدُ عَقْلاً لِأَنَّهَا مُجْتَمِعَةٌ مِنْ صِنَائِعٍ فِي شَأْنِ تَدْبِيرِ الْمَنْزِلِ وَمُعَاشَرَةِ أَبْنَاءِ  
الْجِنْسِ وَتَحْصِيلِ الْأَدَابِ فِي مَخَالِطِهِمْ ثُمَّ الْقِيَامُ بِأُمُورِ الدِّينِ وَأَعْتِبَارِ آدَابِهَا وَشَرَائِطِهَا  
وَهَذِهِ كُلُّهَا قَوَائِنٌ تَنْتَضِمُ عُلُومًا فَيَحْصُلُ مِنْهَا زِيَادَةُ عَقْلِ وَالْكِتَابَةُ مِنْ بَيْنِ الصِّنَائِعِ

أَكْثَرَ إِفَادَةٍ لِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى الْعُلُومِ وَالْأَنْظَارِ بِخِلَافِ الصَّنَائِعِ وَبَيَانُهُ أَنَّ فِي  
 الْكِتَابَةِ انْتِقَالَ مِنَ الْحُرُوفِ الْخَطِيئَةِ إِلَى الْكَلِمَاتِ اللَّفْظِيَّةِ فِي الْخَيَالِ وَمِنْ الْكَلِمَاتِ  
 اللَّفْظِيَّةِ فِي الْخَيَالِ إِلَى الْمَعَانِي الَّتِي فِي النَّفْسِ ذَلِكَ دَائِمًا فَيَحْصُلُ لَهَا مَلَكَةُ الْإِنْتِقَالِ مِنْ  
 الْأَدِلَّةِ إِلَى الْمَدْلُولَاتِ وَهُوَ مَعْنَى النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ الَّذِي يَكْسِبُ الْعُلُومَ الْجَهُولَةَ  
 فَيَكْسِبُ بِذَلِكَ مَلَكَةً مِنَ التَّعَقُّلِ تَكُونُ زِيَادَةً عَقْلٍ وَيَحْصُلُ بِهِ قُوَّةُ فِطْنَةٍ وَكَيْسٍ فِي  
 الْأُمُورِ لِمَا تَعَوَّدُوهُ مِنْ ذَلِكَ الْإِنْتِقَالِ وَلِذَلِكَ قَالَ كَسْرَى فِي كِتَابِهِ لَمَّا رَأَى هُمْ بِتِلْكَ  
 الْفِطْنَةِ وَالْكَيْسِ فَقَالَ دِيَوَانَهُ أَيُّ شَيْطَانِينَ وَجُنُونَ قَالُوا وَذَلِكَ أَصْلُ اسْتِثْقَابِ الدِّيَوَانَ  
 لِأَهْلِ الْكِتَابَةِ وَيُلْحَقُ بِذَلِكَ الْحِسَابُ فَإِنَّ فِي صِنَاعَةِ الْحِسَابِ نَوْعَ تَصَرُّفٍ فِي الْعَدَدِ  
 بِالْأَضْمِ وَالتَّفْرِيقِ يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى اسْتِدْلَالٍ كَثِيرٍ فَيَبْقَى مَتَعَوِّدًا لِلِاسْتِدْلَالِ وَالنَّظَرِ  
 وَهُوَ مَعْنَى الْعَقْلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ



## الفصل السادس

### من الكتاب الاول

في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر وجوهه وما يعرض في ذلك كله  
 من الاحوال وفيه مقدمة ولواحق

### الفصل الاول

في ان العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري

وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ شَارَكَتَهُ جَمِيعُ الْحَيَوَانَاتِ فِي حَيَوَانِيَّتِهِ مِنَ الْحِسِّ وَالْحَرَكَةِ  
 وَالْعَدَاءِ وَالْكُنِّ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا تَمِيزَ عَنْهَا بِالْفِكْرِ الَّذِي يَهْتَدِي بِهِ لِتَحْصِيلِ مَعَاشِهِ  
 وَالتَّعَاوُنِ عَلَيْهِ بِإِنْبَاءِ جَنْسِهِ وَالْإِحْتِمَاعِ الْمُهَيَّئِ لِذَلِكَ التَّعَاوُنِ وَقَبُولِ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ  
 عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْعَمَلِ بِهِ وَاتِّبَاعِ صِلَاحِ أَخْرَاهُ فَهُوَ مُذَكَّرٌ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ دَائِمًا لَا  
 يَفْتَرُ عَنِ الْفِكْرِ فِيهِ طَرَفَةٌ عَيْنٌ بَلِ اخْتِلَاجُ الْفِكْرِ أَسْرَعُ مِنْ لَمَعِ الْبَصَرِ وَعَنْ هَذَا  
 الْفِكْرِ تَنْشَأُ الْعُلُومُ وَمَا قَدَّمَاهُ مِنَ الصَّنَائِعِ ثُمَّ لِأَجْلِ هَذَا الْفِكْرِ وَمَا جَبَلَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ  
 بَلِ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ تَحْصِيلِ مَا تَسْتَدْعِيهِ الطَّبَاعُ فَيَكُونُ الْفِكْرُ رَاغِبًا فِي تَحْصِيلِ مَا لَيْسَ

عنده من الإدراكات فيرجع إلى من سبقه بعلم أو زاد عليه بمعرفة أو إدراك أو  
أخذه ممن تقدمه من الأنبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه فيلقن ذلك عنهم ويحرص على  
أخذه وعلمه ثم إن فكره ونظره يتوجه إلى واحد واحد من الحقائق وينظر ما يعرض  
له لذاته واحداً بعد آخر ويتمرن على ذلك حتى يصير الخلق العوارض بتلك الحقيقة  
ملكة له فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علماً مخصوصاً وتشوق نفوس  
أهل الجليل الناشئ إلى تحصيل ذلك فيفزعون إلى أهل معرفته ويحیی التعليم من هذا  
فقد تبين بذلك أن العلم والتعليم طبعي في البشر

### الفصل الثاني

في ان التعليم للعلم من جملة الصنائع

وذلك أن الخلق في العلم والتفنن فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة  
في الإحاطة بمبادئه وقواعده وأوقوف على مسأله واستنباط فروعه من أصوله وما  
لم تحصل هذه الملكة لم يكن الخلق في ذلك الفن المتناول حاصلاً وهذه الملكة  
هي في غير الفهم والوعى لأننا نجد فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد ووعىها  
مشتركا بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه وبين العاني الذي لم  
يعرف علماً وبين العالم النحرير والملكة إنما هي للعالم أو الشادي في الفن دون من  
سواهما فدل على أن هذه الملكة غير الفهم والوعى والملكات كلها جسمانية سواء  
كانت في البدن أو في الدماغ من الفكر وغيره كالحساب والجسمانيات كلها محسوسة  
فتفتقر إلى التعليم ولهذا كان السند في التعليم في كل علم أو صناعة إلى مشاهير  
المعلمين فيها معتبراً عند كل أهل أفتق وجيل ويدل أيضاً على أن تعليم العلم صناعة  
أختلاف الأصلاحات فيه فليكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم  
يختص به شأن الصنائع كلها فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم والإلكان  
واحداً عند جميعهم الأتري إلى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين  
والمتأخرين وكذا أصول الفقه وكذا العربية وكذا كل علم يتوجه إلى مطالعته نجد  
الاصطلاحات في تعليمه مختلفة فدل على أنها صناعات في التعليم والعلم واحد في نفسه  
وإذ انقرو ذلك فاعلم أن سند تعليم العلم لهذا العهد قد كاد ينقطع عن أهل المغرب

بِاخْتِلَالِ عُمَرَانِهِ وَتَنَاقُصِ الدُّوَلِ فِيهِ وَمَا يَحْدُثُ عَنْ ذَلِكَ مِنْ نَقْصِ الصَّنَائِعِ وَفَقْدَانِهَا  
 كَمَا مَرَّ وَذَلِكَ أَنَّ الْقَيْرَوَانَ وَفَرْطَةَ كَانَتَا حَاضِرَتِي الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَأَسْتَجْبَرَ عُمَرَانُهُمَا  
 وَكَانَ فِيهِمَا لِلْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ أَسْوَاقٌ نَافِقَةٌ وَبُحُورٌ زَاخِرَةٌ وَرَسَخَ فِيهِمَا التَّعْلِيمُ لِامْتِدَادِ  
 عَصُورِهِمَا وَمَا كَانَ فِيهِمَا مِنَ الْحَضَارَةِ فَلَمَّا خَرَبَتَا انْقَطَعَ التَّعْلِيمُ مِنَ الْمَغْرِبِ إِلَّا قَلِيلًا  
 كَانَ فِي دَوْلَةِ الْمُوحِدِينَ بِمَرَّاكِشٍ مُسْتَفَادًا مِنْهَا وَلَمْ تَرَسُخِ الْحَضَارَةُ بِمَرَّاكِشٍ لِبِدَاوَةِ  
 الدَّوْلَةِ الْمُوحِدِيَّةِ فِي أَوَّلِهَا وَقُرْبِ عَهْدِ انْقِرَاضِهَا بِمَبْدَأِهَا فَلَمْ تَتَّصِلْ أَحْوَالُ الْحَضَارَةِ  
 فِيهَا إِلَّا فِي الْأَوَّلِ وَبَعْدَ انْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ بِمَرَّاكِشٍ أَرْتَحَلَ إِلَى الْمَشْرِقِ مِنْ أَفْرِيقَةِ  
 الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ زَيْتُونِ لِعَهْدِ أَوَاسِطِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ فَأَدْرَكَ تَلْمِيذَ الْإِمَامِ ابْنَ  
 الْخَطِيبِ فَأَخَذَ عَنْهُمْ وَلَقِّنَ تَعْلِيمَهُمْ وَحَدِّقَ فِي الْعَقَلِيَّاتِ وَالتَّقْلِيَّاتِ وَرَجَعَ إِلَى تُونِسَ  
 يَعْلَمُ كَثِيرًا وَتَعْلِيمُهُ حَسَنٌ وَجَاءَ عَلَى أَثَرِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ شُعَيْبِ الدَّكَّالِيُّ  
 كَانَ أَرْتَحَلَ إِلَيْهِ مِنَ الْمَغْرِبِ فَأَخَذَ عَنْ مَشِيخَةِ مِصْرَ وَرَجَعَ إِلَى تُونِسَ وَأَسْتَقَرَّ بِهَا  
 وَكَانَ تَعْلِيمُهُ مُفِيدًا فَأَخَذَ عَنْهَا أَهْلُ تُونِسَ وَاتَّصَلَ سُنْدُ تَعْلِيمِهِمَا فِي تَلَامِيذِهِمَا جِيلًا  
 بَعْدَ جِيلٍ حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى الْقَاضِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ شَارِحِ بْنِ الْحَاجِبِ وَتَلْمِيذِهِ  
 وَانْتَقَلَ مِنْ تُونِسَ إِلَى تَلْمَسَانَ فِي ابْنِ الْإِمَامِ وَتَلْمِيذِهِ فَإِنَّهُ قَرَأَ مَعَ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ عَلَى  
 مَشِيخَةٍ وَاحِدَةٍ فِي مَجَالِسَ بَاعِيَانَهَا وَتَلْمِيذِ ابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ بِتُونِسَ وَابْنِ الْإِمَامِ بِتَلْمَسَانَ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ إِلَّا أَنَّهُمْ مِنَ الْقَلَّةِ بَحِثَ يَخْشَى انْقِطَاعَ سُنْدِهِمْ ثُمَّ أَرْتَحَلَ مِنْ زَاوَاةٍ فِي  
 آخِرِ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ أَبُو عَلِيٍّ نَاصِرُ الدِّينِ الْمَشْدَلِيُّ وَأَدْرَكَ تَلْمِيذَ أَبِي عَمْرٍو بْنِ  
 الْحَاجِبِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ وَلَقِّنَ تَعْلِيمَهُمْ وَقَرَأَ مَعَ شَهَابِ الدِّينِ الْقَرَّافِيِّ فِي مَجَالِسَ وَاحِدَةٍ  
 وَحَدِّقَ فِي الْعَقَلِيَّاتِ وَالتَّقْلِيَّاتِ وَرَجَعَ إِلَى الْمَغْرِبِ يَعْلَمُ كَثِيرًا وَتَعْلِيمُهُ مُفِيدٌ وَنَزَلَ  
 بِبِجَايَةَ وَاتَّصَلَ سُنْدُ تَعْلِيمِهِ فِي طَلَبَتِهَا وَرُبَّمَا انْتَقَلَ إِلَى تَلْمَسَانَ عُمَرَانُ الْمَشْدَلِيُّ مِنْ  
 تَلْمِيذِهِ وَأَوْطَنَهَا وَبَثَّ طَرِيقَتَهُ فِيهَا وَتَلْمِيذُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ بِبِجَايَةَ وَتَلْمَسَانَ قَلِيلٌ أَوْ أَقَلُّ  
 مِنَ الْقَالِيلِ وَبَقِيَ فَاسٌ وَسَائِرُ أَقْطَارِ الْمَغْرِبِ خُلُوعًا مِنْ حُسْنِ التَّعْلِيمِ مِنْ لَدُنْ  
 انْقِرَاضِ تَعْلِيمِ فَرْطَةَ وَالْقَيْرَوَانَ وَلَمْ يَتَّصِلْ سُنْدُ التَّعْلِيمِ فَعَسِرَ عَلَيْهِمْ حُصُولُ الْمَلَكَةِ  
 وَالْحَدِّقُ فِي الْعُلُومِ وَأَيْسَرُ طَرِيقُ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فَتَقَى اللِّسَانَ بِالْمَحَاوِرَةِ وَالْمَنَاظِرَةِ فِي  
 الْمَسَائِلِ الْعَالِمِيَّةِ فَهُوَ الَّذِي يُقَرِّبُ شَأْنَهَا وَيُحْصِلُ مَرَامَهَا فَتَجِدُ طَالِبَ الْعِلْمِ مِنْهُمْ بَعْدَ

ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوناً لا ينطقون ولا  
 يفاوضون وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف  
 في العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل تجرد ملكته فاصرة في  
 علمه إن فاوض أو ناظر أو علم وما أتاهم القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سنده  
 وإلا لحفظهم أبلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم أنه المقصود من الملكة  
 العلمية وليس كذلك ومما يشهد بذلك في المغرب أن المدة المعينة لسكنى طلبة  
 العلم بالمدراس عندهم ست عشرة سنة وهي بتونس خمس سنين وهذه المدة بالمدراس  
 على المتعارف هي أقل ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية أو  
 اليأس من تحصيلها فطال أمدها في المغرب لهذه المدة لأجل عسرهما من قلة الجودة  
 في التعليم خاصة لا مياً سوى ذلك وأما أهل الأندلس فذهب رسم التعليم من  
 بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقص عمران المسلمين بها منذ مئتين من السنين  
 ولم يبق من رسم العلم فيهم إلا فن العربية والآداب اقتصرُوا عليه وانحفظ سند  
 تعليمه بينهم فأحفظ بحفظه وأما الفقه بينهم فرسم خروا وأثر بعد عين وأما العقليات  
 فلا أثر ولا عين وما ذلك إلا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص العمران وتغلب العدو  
 على عامتها إلا قليلاً بسيف البحر شغلهم بمعايشهم أكثر من شغلهم بما بعدها والله  
 غالب على أمره . وأما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه بل أسواقه ناقة وبحوره  
 زاخرة لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه وإن كانت لامصار العظيمة التي  
 كانت معادن العلم قد خربت مثل بغداد والبصرة والكوفة إلا أن الله تعالى قد  
 أدال منها بامصار أعظم من تلك وانتقل العلم منها إلى عراق العجم بخراسان وما وراء  
 النهر من المشرق ثم إلى القاهرة وما إليها من المغرب فلم تزل موفورة وعمرانها  
 متصلاً وسند التعليم بها قائماً فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم  
 العلم وفي سائر الصنائع حتى إنه يُظن كثير من رحالة أهل المغرب إلى المشرق  
 في طلب العلم أن عقولهم على الجملة أكمل من عقول أهل المغرب وأنهم أشد  
 نباهة وأعظم كياسة بفطرتهم الأولى وأن نفوسهم الناطقة أكمل بفطرتها من نفوس  
 أهل المغرب ويعتقدون التماوت بيننا وبينهم في حقيقة الإنسانية ويشيعون لذلك

وَيُؤْعُونَ بِهِ لِمَا يَرُونَ مِنْ كَيْسِهِمْ فِي الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَلَيْسَ بَيْنَ  
 فُطْرِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ تَفَاوُتٌ مِثْلُ الْمَقْدَارِ الَّذِي هُوَ تَفَاوُتٌ فِي الْحَقِيقَةِ الْوَاحِدَةِ  
 اللَّهُمَّ إِلَّا الْأَفَالِيمَ الْمُنْحَرَفَةَ مِثْلَ الْأَوَّلِ وَالسَّابِعِ فَإِنَّ الْأَمْزَجَةَ فِيهَا مُنْحَرَفَةٌ  
 وَالنُّفُوسَ عَلَى نِسْبَتِهَا كَمَا مَرَّ وَإِنَّمَا الَّذِي فَضَلَ بِهِ أَهْلُ الْمَشْرِقِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ  
 هُوَ مَا يَحْصُلُ فِي النَّفْسِ مِنْ آثَارِ الْحِضَارَةِ مِنَ الْعَقْلِ الْمَزِيدِ كَمَا نَقَدَمَ فِي  
 الصَّنَائِعِ وَتَزِيدُهُ الْآنَ تَحْقِيقًا وَذَلِكَ أَنَّ الْحَضَرَ لَهُمْ آدَابٌ فِي أَحْوَالِهِمْ فِي  
 الْمَعَاشِ وَالْمَسْكِنِ وَالْبِنَاءِ وَأُمُورِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَكَذَا سَائِرُ أَعْمَالِهِمْ وَعَادَاتِهِمْ  
 وَمَعَامَلَاتِهِمْ وَجَمِيعُ تَصَرُّفَاتِهِمْ فَلَهُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ آدَابٌ يُوقِفُ عِنْدَهَا فِي جَمِيعِ  
 مَا يَتَنَاوَلُونَهُ وَيَتَلَبَّسُونَ بِهِ مِنْ أَخْذٍ وَتَرْكِ حَتَّى كَانَتْهَا حُدُودٌ لَا تُتَعَدَى وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ  
 صِنَاعٌ يَتَلَقَّاهَا الْآخَرُ عَنِ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ صِنَاعَةٍ مُرْتَبَةٌ بِرَجْعٍ  
 مِنْهَا إِلَى النَّفْسِ أَتَى بِكُنْسِهَا عَقْلًا جَدِيدًا اسْتَعَدَّ بِهِ لِقَبُولِ صِنَاعَةٍ أُخْرَى وَيَهَيِّئُ بِهَا  
 الْعَقْلَ بِسُرْعَةٍ الْإِدْرَاكِ لِلْمَعَارِفِ وَلَقَدْ بَلَّغْنَا فِي تَعْلِيمِ الصَّنَائِعِ عَنْ أَهْلِ مِصْرَ غَايَاتٍ  
 لَا تُدْرِكُ مِثْلَ أَنَّهُمْ يُعَلِّمُونَ الْحُمْرَ الْإِنْسِيَّةَ وَالْحَيَوَانَاتِ الْعُجْمَ مِنَ الْمَاشِي وَالطَّائِرِ  
 مُفْرَدَاتٍ مِنَ الْكَلَامِ وَالْأَفْعَالِ يُسْتَعْرَبُ نَدْوَرُهَا وَيَعْجُزُ أَهْلُ الْمَغْرِبِ عَنْ فَهْمِهَا وَحَسْنُ  
 الْمَلَكَاتِ فِي التَّعْلِيمِ وَالصَّنَائِعِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ الْعَادِيَّةِ يَزِيدُ الْإِنْسَانَ ذِكَاً فِي عَقْلِهِ  
 وَإِضَاءَةً فِي فِكْرِهِ بِكَثْرَةِ الْمَلَكَاتِ الْخَاصَّةِ لِلنَّفْسِ إِذْ قَدَمْنَا أَنَّ النَّفْسَ إِنَّمَا تَنْشَأُ  
 بِالْإِدْرَاكَاتِ وَمَا يَرْجِعُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَلَكَاتِ فَيَزِدَادُونَ بِذَلِكَ كَيْسًا لِمَا يَرْجِعُ إِلَى  
 النَّفْسِ مِنَ الْآثَارِ الْعِلْمِيَّةِ فَيُظَنُّ الْعَامِّيُّ تَفَاوُتًا فِي الْحَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ  
 الْآتِرَى إِلَى أَهْلِ الْحَضَرَ مَعَ أَهْلِ الْبَدْوِ كَيْفَ تَجِدُ الْحَضْرِيَّ مُحَلِّيًا بِالذِّكَاةِ مُمْتَلِئًا  
 مِنَ الْكَيْسِ حَتَّى إِنْ الْبَدْوِيَّ أَيُّظَنُّ أَنَّهُ قَدْ فَانَهُ فِي حَقِيقَةِ إِنْسَانِيَّتِهِ وَعَقْلِهِ وَلَيْسَ  
 كَذَلِكَ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِإِجَادَتِهِ فِي مَلَكَاتِ الصَّنَائِعِ وَالْآدَابِ فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ  
 الْحَضْرِيَّةِ مَا لَا يَعْرِفُهُ الْبَدْوِيُّ فَلَمَّا أَمْتَلَأَ الْحَضْرِيُّ مِنَ الصَّنَائِعِ وَمَلَكَاتِهَا وَحَسْنِ  
 تَعْلِيمِهَا ظَنَّ كُلَّ مَنْ قَصَرَ عَنْ تِلْكَ الْمَلَكَاتِ أَنَّهَا كِمَالٌ فِي عَقْلِهِ وَإِنَّ نَفْسَ أَهْلِ الْبَدْوِ  
 قَاصِرَةٌ بِفُطْرَتِهَا وَجِبَلَتِهَا عَنْ فُطْرَتِهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّا نَجِدُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ مَنْ هُوَ فِي  
 أَعْلَى رُتْبَةٍ مِنَ الْفَهْمِ وَالْكِمَالِ فِي عَقْلِهِ وَفُطْرَتِهِ إِنَّمَا الَّذِي ظَهَرَ عَلَى أَهْلِ الْحَضَرَ مِنْ

ذَلِكَ هُوَ رُؤْيُ الصَّنَائِعِ وَالتَّعْلِيمِ فَإِنَّ لَهَا آثَارًا تَرْجِعُ إِلَى النَّفْسِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَكَذَا  
 أَهْلُ الْمَشْرِقِ لَمَّا كَانُوا فِي التَّعْلِيمِ وَالصَّنَائِعِ أَرْسَخَ رُتْبَةً وَأَعْلَى قَدَمًا وَكَانَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ  
 أَقْرَبَ إِلَى الْبِدَاوَةِ لِمَا قَدَّمْنَاهُ فِي الْفَضْلِ قَبْلَ هَذَا ظَنَّ الْمَغْفُلُونَ فِي بَادِيءِ الرَّأْيِ أَنَّهُ  
 لِكَمَالٍ فِي حَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ اخْتَصَمُوا بِهِ عَنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَوَلَّسَ ذَلِكَ بِصِحِّحٍ فَتَهَمَّهُ  
 وَاللَّهُ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ وَهُوَ إِلَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

### الفصل الثالث

في ان العلوم انما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ تَعْلِيمَ الْعِلْمِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ وَقَدْ كُنَّا قَدَّمْنَا  
 أَنَّ الصَّنَائِعَ إِنَّمَا تَكْثُرُ فِي الْأَمْصَارِ وَعَلَى نِسْبَةِ عُمْرَانِهَا فِي الْكَثْرَةِ وَالْقَلَّةِ وَالْحَضَارَةِ  
 وَالتَّرَفِ تَكُونُ نِسْبَةُ الصَّنَائِعِ فِي الْجُودَةِ وَالْكَثْرَةِ لِأَنَّ أَمْرًا زَائِدًا عَلَى الْمَعِاشِ فَمَتَى  
 فَضَلَتْ أَعْمَالُ أَهْلِ الْعُمْرَانِ عَنْ مَعَاشِهِمْ أَنْصَرَفَتْ إِلَى مَا وَرَاءَ الْمَعِاشِ مِنَ التَّصَرُّفِ  
 فِي خَاصِيَّةِ الْإِنْسَانِ وَهِيَ الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ وَمَنْ تَشَوَّفَ بِفِطْرَتِهِ إِلَى الْعِلْمِ مِمَّنْ نَشَأَ فِي  
 الْقُرَى وَالْأَمْصَارِ غَيْرِ الْمُتَمَدِّدَةِ فَلَا يَجِدُ فِيهَا التَّعْلِيمَ الَّذِي هُوَ صِنَاعِي لِقُدْقَانِ الصَّنَائِعِ  
 فِي أَهْلِ الْبَدْوِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ وَلَا بَدَلَهُ مِنَ الرَّحَلَةِ فِي طَلَبِهِ إِلَى الْأَمْصَارِ الْمُسْتَبْحِرَةِ  
 شَأْنَ الصَّنَائِعِ كَلْبًا وَاعْتَبِرْ مَا قَرَّرْنَاهُ بِحَالِ بَغْدَادِ وَفَرْطَبَةِ وَالْقَيْرَوَانَ وَالْبَصْرَةَ وَالْكُوفَةَ  
 لَمَّا كَثُرَ عُمْرَانُهَا صَدَرَ الْإِسْلَامُ وَأَسْتَوَتْ فِيهَا الْحَضَارَةُ كَيْفَ زَخَرَتْ فِيهَا بِحَارُ الْعِلْمِ  
 وَتَفَنَّنُوا فِي أَصْطِلَاحَاتِ التَّعْلِيمِ وَأَصْنَافِ الْعُلُومِ وَأَسْتَنْبَاطِ الْمَسَائِلِ وَالْفُنُونِ حَتَّى أَرْبَوُا عَلَى  
 الْمُتَقَدِّمِينَ وَفَاتُوا الْمُتَأَخِّرِينَ وَلَمَّا تَنَاقَصَ عُمْرَانُهَا وَأَبْدَعَتْ سُكَّانُهَا أَنْطَوَى ذَلِكَ الْبَسَاطُ  
 بِمَا عَلَيْهِ جُمْلَةٌ وَفُقِدَ الْعِلْمُ بِهَا وَالتَّعْلِيمُ وَانْتَقَلَ إِلَى غَيْرِهَا مِنْ أَمْصَارِ الْإِسْلَامِ وَمِنْ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ نَرَى أَنَّ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ إِنَّمَا هُوَ بِالْقَاهِرَةِ مِنْ بِلَادِ مِصْرَ لَمَّا أَنَّ عُمْرَانَهَا مُسْتَبْحِرَةٌ  
 وَحَضَارَتُهَا مُسْتَحْكِمَةٌ مُنْذُ الْآفِ مِنَ السِّنِينَ فَاسْتَحْكَمَتْ فِيهَا الصَّنَائِعُ وَتَفَنَّنَتْ وَمِنْ  
 جَمَانِهَا تَعْلِيمُ الْعِلْمِ وَكَذَلِكَ فِيهَا وَحَفْظُهُ مَا وَقَعَ لِهَذِهِ الْعُصُورِ بِهَا مُنْذُ مَائَتَيْنِ مِنَ  
 السِّنِينَ فِي دَوْلَةِ التُّرْكَ مِنْ أَيَّامِ صَلَاحِ الدِّينِ بْنِ أَيُّوبَ وَهَلُمَّ جَرًّا وَذَلِكَ أَنَّ أُمَّرَاءَ  
 التُّرْكَ فِي دَوْلَتِهِمْ يَخْشَوْنَ عَادِيَةَ سُلْطَانِهِمْ عَلَى مَنْ يَخْلَفُونَهُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ لِمَا لَهُ عَلَيْهِمْ مِنَ  
 الرِّقِّ أَوِ الْوِلَاةِ وَلِمَا يَخْشَى مِنْ مَعَاظِبِ الْمَلِكِ وَنَكَابَتِهِ فَاسْتَكْتَرُوا مِنْ بِنَاءِ الْمَدَارِسِ

وَالرُّوَابِ وَالرُّبُطِ وَوَقَفُوا عَلَيْهَا الْأَوْقَافَ الْمَغْلَّةَ يَجْعَلُونَ فِيهَا شِرْكَاً لَوْلِدِهِمْ يَنْظُرُ عَلَيْهَا أَوْ  
يُصِيبُ مِنْهَا مَعَ مَا فِيهِمْ عَالِياً مِنَ الْجَنُوحِ إِلَى الْخَيْرِ وَالنِّمَاسِ الْأَجْرُ فِي الْمَقَاصِدِ وَالْأَفْعَالِ  
فَكَثُرَتْ الْأَوْقَافُ لِذَلِكَ وَعَظُمَتِ الْعَلَاتُ وَالنَّوَائِدُ وَكَثُرَ طَالِبُ الْعِلْمِ وَمَعَامَهُ بِكَثْرَةِ  
حِرَايَتِهِمْ مِنْهَا وَأَزْتَحَلَ إِلَيْهَا النَّاسُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ مِنَ الْعِرَاقِ وَالْمَغْرِبِ وَنَفَقَتْ بِهَا أَسْوَاقُ  
الْعُلُومِ وَزَخَرَتْ بِحَارِهَا وَاللَّهُ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ

### الفصل الرابع

في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

اعْلَمْ أَنَّ الْعُلُومَ الَّتِي يَخُوضُ فِيهَا الْبَشَرُ وَيَتَدَاوَلُونَهَا فِي الْأَمْصَارِ تَحْصِيلاً وَتَعْلِيماً هِيَ  
عَلَى صِنْفَيْنِ صِنْفٍ طَبِيعِيٍّ لِلْإِنْسَانِ يَهْتَدِي إِلَيْهِ بِفِكْرِهِ وَصِنْفٍ تَقْلِيٍّ يَأْخُذُهُ عَمَّنْ  
وَضَعَهُ وَالْأَوَّلُ هِيَ الْعُلُومُ الْحِكْمِيَّةُ الْفَلَسَفِيَّةُ وَهِيَ الَّتِي يُمَكِّنُ أَنْ يَقِفَ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ  
بِطَبِيعَةِ فِكْرِهِ وَيَهْتَدِي بِمَدَارِكِهِ الْبَشَرِيَّةِ إِلَى مَوْضِعَاتِهَا وَمَسَائِلِهَا وَأَنْحَاءِ بَرَاهِينِهَا  
وَوُجُوهِ تَعْلِيمِهَا حَتَّى يَقِفَهُ <sup>(١)</sup> نَظَرُهُ وَيُحِثُّهُ عَلَى الصَّوَابِ مِنَ الْخَطِئِ فِيهَا مِنْ حَيْثُ هُوَ  
إِنْسَانٌ ذُو فِكْرٍ وَالثَّانِي هِيَ الْعُلُومُ النَّقْلِيَّةُ الْوَضْعِيَّةُ وَهِيَ كُلُّهَا مُسْتَنْدَةٌ إِلَى الْخَبَرِ عَنِ  
الْأَوَاضِعِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَا بِمَجَالٍ فِيهَا لِلْعَقْلِ إِلَّا فِي إِحْطَاقِ الْفُرُوعِ مِنْ مَسَائِلِهَا بِالْأَصُولِ  
لِأَنَّ الْجُزْئِيَّاتِ الْحَادِثَةَ الْمُتَعَابِقَةَ لَا تَنْدَرِجُ تَحْتَ النِّقْلِ الْكُلِّيِّ بِمَجْرَدِ وَضْعِهِ فَتَحْتَاجُ  
إِلَى الْإِلْحَاقِ بِوَجْهِ قِيَاسِيٍّ إِلَّا أَنْ هَذَا الْقِيَاسُ يَتَفَرَّغُ عَنِ الْخَبَرِ بِثُبُوتِ الْحُكْمِ  
فِي الْأَصْلِ وَهُوَ تَقْلِيٌّ فَرَجَعَ هَذَا الْقِيَاسُ إِلَى النِّقْلِ لِتَفَرُّغِهِ عَنْهُ وَأَصْلُ هَذِهِ الْعُلُومِ  
النَّقْلِيَّةِ كُلُّهَا هِيَ الشَّرْعِيَّاتُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ الَّتِي هِيَ مَشْرُوعَةٌ لَنَا مِنَ اللَّهِ  
وَرَسُولِهِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي تَهَيَّوْهَا لِلْإِفَادَةِ ثُمَّ يَسْتَتَبِعُ ذَلِكَ عُلُومُ  
اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي هُوَ لِسَانُ الْمَلَّةِ وَبِهِ نَزَلَ الْقُرْآنُ وَأَصْنَافُ هَذِهِ الْعُلُومِ النَّقْلِيَّةِ  
كَثِيرَةٌ لِأَنَّ الْمَكَلَّفَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ أَحْكَامَ اللَّهِ تَعَالَى الْمَفْرُوضَةَ عَلَيْهِ  
وَعَلَى آبَائِهِ جِنْسِهِ وَهِيَ مَا خُوذَتْ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِالذِّصِّ أَوْ بِالْإِجْمَاعِ أَوْ  
بِالْإِلْحَاقِ فَلَا بُدَّ مِنَ النَّظَرِ بِالْكِتَابِ بَيَانِ الْفَظِّهِ أَوَّلًا وَهَذَا هُوَ عِلْمُ التَّفْسِيرِ ثُمَّ  
بِإِسْنَادِ نَقْلِهِ وَرِوَايَتِهِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاخْتِلَافِ

(١) قوله حتى يقفه نظره يستعمل وقف متعبداً فنزل وقفته على كلا أي اطلمته عليه قاله نصر

رَوَايَاتِ الْقُرَّاءِ فِي قِرَائَتِهِ وَهَذَا هُوَ عِلْمُ الْقُرَّاءَاتِ ثُمَّ بِإِسْنَادِ السُّنَّةِ إِلَى صَاحِبِهَا وَالْكَلَامِ  
 فِي الرُّوَاةِ النَّاقِلِينَ لَهَا وَمَعْرِفَةَ أَحْوَالِهِمْ وَعَدَالَتِهِمْ لِيَقَعَ الْوُثُوقُ بِأَخْبَارِهِمْ يَعْلَمُ مَا يَجِبُ  
 الْعَمَلُ بِمَقْتَضَاهُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ هِيَ عُلُومُ الْحَدِيثِ ثُمَّ لَا بُدَّ فِي اسْتِنْبَاطِ هَذِهِ الْأَحْكَامِ  
 مِنْ أُصُولِهَا مِنْ وَجْهِ قَانُونِي يُفِيدُ الْعِلْمَ بِكَيْفِيَّةِ هَذَا الْاسْتِنْبَاطِ وَهَذَا هُوَ أُصُولُ الْفَقْهِ  
 وَبَعْدَ هَذَا تَخَصُّلُ الثَّمَرَةِ بِمَعْرِفَةِ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَعْمَالِ الدُّمُكَلِّفِينَ وَهَذَا هُوَ  
 الْفَقْهُ ثُمَّ إِنَّ التَّكْلِيفَ مِنْهَا بَدَنِيٌّ وَمِنْهَا قَلْبِيٌّ وَهُوَ الْخُصُوصُ بِالْإِيمَانِ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ  
 مِمَّا لَا يُعْتَقَدُ وَهَذِهِ هِيَ الْعُقَائِدُ الْإِيمَانِيَّةُ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ وَأُمُورِ الْحُشْرِ وَالنَّعِيمِ  
 وَالْعَذَابِ وَالْقَدْرِ وَالْحِجَاجِ عَنْ هَذِهِ بِالْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ هُوَ عِلْمُ الْكَلَامِ ثُمَّ النَّظَرُ فِي  
 الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ لَا بُدَّ أَنْ نَتَقَدَّمَ الْعُلُومِ اللَّسَانِيَّةِ لِأَنَّهُ مُتَوَقَّفٌ عَلَيْهَا وَهِيَ أَصْنَافُ  
 فَنِيهَا عِلْمُ اللُّغَةِ وَعِلْمُ النَّحْوِ وَعِلْمُ الْبَيَانِ وَعِلْمُ الْأَدَابِ حَسْبَمَا تَمَكَّمَ عَلَيْهَا كَلِمًا وَهَذِهِ  
 الْعُلُومُ الثَّقَلِيَّةُ كُلُّهَا مُخْتَصَّةٌ بِالْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَأَهْلِهَا وَإِنْ كَانَتْ كُلُّ مِلَّةٍ عَلَى الْجَمَلَةِ  
 لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ فَهِيَ مُشَارِكَةٌ لَهَا فِي الْجِنْسِ الْبَعِيدِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ  
 الْمُنَزَّلَةُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ الْمُبْلَغِ لَهَا وَأَمَّا عَلَى الْخُصُوصِ فَمَبَانِيَّةٌ  
 لِجَمِيعِ الْمَلِكِ لِأَنَّهَا نَاسِخَةٌ لَهَا وَكُلُّ مَا قَبْلَهَا مِنْ عُلُومِ الْمَلِكِ فَمَهْجُورَةٌ وَالنَّظَرُ فِيهَا مَحْظُورٌ  
 فَقَدْ نَهَى الشَّرْعُ عَنِ النَّظَرِ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ غَيْرِ الْقُرْآنِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 لَا تُصَدِّقُوا أَهْلَ الْكُتُبِ وَلَا تُكَدِّبُوهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ  
 وَالْهِنَاءُ وَالْهَيْكُمُ وَاحِدٌ وَرَأَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِ عُمَرَ رَذِيخَةَ اللَّهِ عَنْهُ  
 وَرَفَّةٌ مِنَ التَّوْرَةِ فَغَضِبَ حَتَّى تَبَيَّنَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ أَلَمْ آتِكُمْ بِهَا بَيِّنَاتٍ نَقِيَّةً  
 وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِيٌّ ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ الشَّرْعِيَّةَ الثَّقَلِيَّةَ قَدْ  
 نَفَقَتْ أَسْوَاقُهَا فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ بِمَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ وَأَنْتَهَتْ فِيهَا مَدَارِكُ النَّاطِرِينَ إِلَى  
 الْعَالِيَةِ الَّتِي لِأَشْيَاءٍ فَوْقَهَا وَهَدَّتْ الْأَصْطِلَاحَاتُ وَرَتَبَتْ الْفُنُونُ لِحَاجَاتٍ مِنْ رِزَاءِ الْعَالِيَةِ فِي  
 الْحُسْنِ وَالنَّمِيقِ وَكَانَ لِكُلِّ فَنٍّ رِجَالٌ يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ فِيهِ وَأَوَاضِعٌ يُسْتَفَادُ مِنْهَا التَّعْلِيمُ  
 وَأَخْصَصَ الْمَشْرِقُ مِنْ ذَلِكَ وَالْمَغْرِبُ بِمَا هُوَ مَشْهُورٌ مِنْهَا حَسْبَمَا نَذَكْرُهُ الْآنَ عِنْدَ  
 تَعْدِيدِ هَذِهِ الْفُنُونِ وَقَدْ كَسَدَتْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَسْوَاقُ الْعِلْمِ بِالْمَغْرِبِ لِتِنَاقُصِ الْعُمَرَانِ  
 فِيهِ وَاتَّقِطَاعِ سُنَدِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ كَمَا قَدَمْنَاهُ فِي الْفَصْلِ قَبْلَهُ وَمَا أَدْرِي مَا فَعَلَ اللَّهُ

بِالْمَشْرِقِ وَالظَّنُّ بِهِ نَفَاقُ الْعِلْمِ فِيهِ وَاتِّصَالَ التَّعَلُّمِ فِي الْعُلُومِ وَفِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ  
الضَّرُورِيَّةِ وَالْكَمَالِيَّةِ لِكَثْرَةِ عُمُرَانِهِ وَالْحِضَارَةِ وَوُجُودِ الْإِعَانَةِ لِطَالِبِ الْعِلْمِ بِالْحِرَايَةِ  
مِنَ الْأَوْقَافِ الَّتِي اتَّسَعَتْ بِهَا أَرْزَاقُهُمْ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُ  
وَبِيَدِهِ التَّوْفِيقُ وَالْإِعَانَةُ

### الفصل الخامس

في علوم القرآن من الفسیر والقراءات

الْقُرْآنُ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ الْمُنزَلُ عَلَى نَبِيِّهِ الْمَكْتُوبُ بَيْنَ دَقَّتِي الْمُحْصَفِ وَهُوَ  
مُتَوَاتِرٌ بَيْنَ الْأُمَّةِ إِلَّا أَنَّ الصَّحَابَةَ رَوَوْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى طُرُقٍ  
مُخْتَلَفَةٍ فِي بَعْضِ أَنْفَازِهِ وَكَيْفِيَّاتِ الْحُرُوفِ فِي آدَائِهَا وَتَنَوُّقِ ذَلِكَ وَاشْتَهَرَ إِلَى أَنْ  
اسْتَفْرَقَتْ مِنْهَا سَبْعُ طُرُقٍ مُعَيَّنَةٍ تَوَاتَرَتْ نَقْلُهَا أَيْضًا بِآدَائِهَا وَأَخْتَصَّتْ بِالِانْتِسَابِ إِلَى مَنْ  
اشْتَهَرَ بِرِوَايَتِهَا مِنَ الْحَجْمِ الْغَنِيِّ فَصَارَتْ هَذِهِ الْقِرَاءَاتُ السَّبْعُ أُصُولًا لِلْقِرَاءَةِ وَرُبَّمَا  
زِيدَ بَعْدَ ذَلِكَ قِرَاءَاتٌ أُخْرَى حَقَّتْ بِالسَّبْعِ إِلَّا أَنَّهَا عِنْدَ أئِمَّةِ الْقِرَاءَةِ لَا تَقْوَى قُوَّتُهَا  
فِي النُّقْلِ وَهَذِهِ الْقِرَاءَاتُ السَّبْعُ مَعْرُوفَةٌ فِي كُتُبِهَا وَقَدْ خَالَفَتْ بَعْضُ النَّاسِ فِي تَوَاتُرِ  
طُرُقِهَا لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ كَيْفِيَّاتٌ لِلْأَدَاءِ وَهُوَ غَيْرُ مُنْضَبِطٍ وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ بِقَادِحٍ فِي  
تَوَاتُرِ الْقُرْآنِ وَأَبَاهُ إِلَّا كَثُرَ وَقَالُوا بِتَوَاتُرِهَا وَقَالَ آخَرُونَ بِتَوَاتُرِ غَيْرِ الْأَدَاءِ مِنْهَا  
كَالْمَدِّ وَالسَّهْمِ لِإِدْمَامِ الْوُقُوفِ عَلَى كَيْفِيَّتِهِ بِالسَّمْعِ وَهُوَ الصَّحِيحُ وَلَمْ يَزَلِ الْقِرَاءَةُ  
يَتَدَاوَلُونَ هَذِهِ الْقِرَاءَاتِ وَرِوَايَتِهَا إِلَى أَنْ كَتَبَتْ الْعُلُومُ وَدُونَتْ فَكُتِبَتْ فِيهَا كُتُبٌ  
مِنَ الْعُلُومِ وَصَارَتْ صِنَاعَةً مَخْصُوصَةً وَعِلْمًا مُفْرَدًا وَتَنَاقَلَهُ النَّاسُ بِالْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ  
فِي جِيلٍ بَعْدَ جِيلٍ إِلَى أَنْ مَلَكَ بِشَرْقِ الْأَنْدَلُسِ مُجَاهِدٌ مِنْ مَوَالِي الْعَامِرِيِّينَ وَكَانَ  
مُعْتَبَرًا بِهَذَا الْفَنِّ مِنْ بَيْنِ فُنُونِ الْقُرْآنِ لَمَّا أَخَذَهُ بِهِ مَوْلَاهُ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي الْعَامِرِ  
وَأَجْتَهَدَ فِي تَعْلِيمِهِ وَعَرْضِهِ عَلَى مَنْ كَانَ مِنْ أئِمَّةِ الْقِرَاءَةِ بِحَضْرَتِهِ فَكَانَ سَهْمُهُ فِي  
ذَلِكَ وَافِرًا وَأَخْصَّ مُجَاهِدٌ بَعْدَ ذَلِكَ بِإِمَارَةِ دَانِيَّةِ وَالْجَزَائِرِ الشَّرْقِيَّةِ فَنَفَقَتْ بِهَا سُوقُ  
الْقِرَاءَةِ لِمَا كَانَ هُوَ مِنْ أئِمَّتِهَا وَبِمَا كَانَ لَهُ مِنَ الْعِنَايَةِ بِسَائِرِ الْعُلُومِ عُمُومًا وَبِالْقِرَاءَاتِ  
خُصُوصًا فَظَهَرَ لِعَبِيدِهِ أَبُو عَمْرٍو الدَّائِي وَبَلَغَ الْغَايَةَ فِيهَا وَوَقَفَتْ عَلَيْهِ مَعْرِفَتُهَا وَأَنْتَهَتْ إِلَى  
رِوَايَتِهِ أَسَانِيدُهَا وَتَعَدَّدَتْ تَأْلِيفُهُ فِيهَا وَعَوَّلَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَعَدَّلُوا عَنْ غَيْرِهَا وَأَعْتَمَدُوا

مِنْ بَيْنَهَا كِتَابَ التَّبْسِيرِ لَهُ ثُمَّ ظَهَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فِيهِمَا مِنَ الْعُصُورِ وَالْأَجْيَالِ أَبُو الْقَاسِمِ  
 ابْنُ فَيْرُزَةَ مِنْ أَهْلِ شَاطِبَةَ فَعَمِدَ إِلَى تَهْدِيدِ مَا دَوَّنَهُ أَبُو عَمْرٍو وَتَلَخِيصِهِ فَنَظَّمَ ذَلِكَ  
 كَلَّهُ فِي قَصِيدَةٍ لَغَزٍ فِيهَا أَسْمَاءُ الْقُرَاءِ بِحُرُوفِ ا ب ج د تَرْتِيبًا أَحْكَمَهُ لِتَبْسِيرِ عَلَيْهِ مَا  
 قَصَدَهُ مِنَ الْإِخْتِصَارِ وَلِيَكُونَ أَسْهَلَ لِلْحِفْظِ لِأَجْلِ نَظْمِهَا فَاسْتَوْعَبَ فِيهَا الْفَنَّ اسْتِعْمَالًا  
 حَسَنًا وَعَنَى النَّاسَ بِحِفْظِهَا وَتَلْقِينِهَا لِلْوِلْدَانِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَجَرَى أَعْمَلٌ عَلَى ذَلِكَ فِي أَمْصَارِ  
 الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَرُبَّمَا أُضِيفَ إِلَى فَنِّ الْقُرَاءَاتِ فَنُّ الرَّسْمِ أَيْضًا وَهِيَ أَوْضَاعُ  
 حُرُوفِ الْقُرْآنِ فِي الْمُصْحَفِ وَرُسُومُهُ الْخَطِيئَةُ لِأَنَّ فِيهِ حُرُوفًا كَثِيرَةً وَقَعَ رَسْمُهَا عَلَى  
 غَيْرِ الْمَعْرُوفِ مِنْ قِيَاسِ الْخَطِّ كَرِيبَادَةِ الْيَاءِ فِي بَابِ يَدٍ وَزِيَادَةِ الْأَلِفِ فِي لَا أَذْبَحَنَّهُ  
 وَلَا أَوْضَعُوا وَالْوَاوِ فِي جَزَاءِ وَالظَّالِمِينَ وَحَذْفِ الْأَلِفَاتِ فِي مَوَاضِعَ دُونَ أُخْرَى وَمَا  
 رُسِمَ فِيهِ مِنَ النَّبَاتِ مَحْدُودًا وَالْأَصْلُ فِيهِ مَرْبُوطٌ عَلَى شَكْلِ الْمَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَقَدْ  
 مَرَّ تَعْلِيلُ هَذَا الرَّسْمِ الْمُصْحَفِيِّ عِنْدَ الْكَلَامِ فِي الْخَطِّ فَلَمَّا جَاءَتْ هَذِهِ الْمُخَالَفَةُ  
 لِأَوْضَاعِ الْخَطِّ وَقَانُونِهِ أُخْتِيجَ إِلَى حَضْرَتِهَا فَكَتَبَ النَّاسُ فِيهَا أَيْضًا عِنْدَ كَتَبِهِمْ  
 فِي الْعُلُومِ وَأَنْتَهتْ بِالْمَغْرِبِ إِلَى أَبِي عَمْرٍو الدَّانِي الْمَذْكُورِ فَكَتَبَ فِيهَا كِتَابًا مِنْ  
 أَشْهَرِهَا كِتَابَ الْمَقْنَعِ وَأَخَذَ بِهِ النَّاسُ وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ وَنَظَّمَهُ أَبُو الْقَاسِمِ الشَّاطِبِيُّ فِي  
 قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ عَلَى رِوِيِّ الرَّاءِ وَلَوَعَ النَّاسُ بِحِفْظِهَا ثُمَّ كَثُرَ الْخِلَافُ فِي الرَّسْمِ فِي  
 كَلِمَاتٍ وَحُرُوفٍ أُخْرَى ذَكَرَهَا أَبُو دَاوُدَ سُلَيْمَانُ بْنُ نُجَاحٍ مِنْ مَوَالِي نُجَاهِدٍ فِي  
 كِتَابِهِ وَهُوَ مِنْ تَلَامِيذِ أَبِي عَمْرٍو الدَّانِيِّ وَالْمَشْتَهَرُ بِحَمَلِ عُلُومِهِ وَرِوَايَةِ كِتَابِهِ ثُمَّ نُقِلَ  
 بَعْدَهُ خِلَافٌ آخَرَ فَنَظَّمَ الْخُرَّازِيُّ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ بِالْمَغْرِبِ أَرْجُوزَةً أُخْرَى زَادَ فِيهَا  
 عَلَى الْمَقْنَعِ خِلَافًا كَثِيرًا وَعَزَاهُ لِتَاقِيلِهِ وَأَشْتَهَرَتْ بِالْمَغْرِبِ وَأَفْتَصَرَ النَّاسُ عَلَى حِفْظِهَا  
 وَهَجَرُوا بِهَا كَتَبَ أَبِي دَاوُدَ وَأَبِي عَمْرٍو وَالشَّاطِبِيُّ فِي الرَّسْمِ

(وَمَا التَّبْسِيرُ) . فَاعْلَمْ أَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِ وَعَلَى أَسَالِبِ بِلَاغَتِهِمْ

فَكَانُوا كَلِمَةً يَفْهَمُونَهُ وَيَعْلَمُونَ مَعَانِيَهُ فِي مُفْرَدَاتِهِ وَتَرَاكِيْبِهِ وَكَانَ يَنْزَلُ جَمَلًا جَمَلًا  
 وَأَيَاتٍ آيَاتٍ لِبَيَانِ التَّوْحِيدِ وَالْفُرُوضِ الدِّينِيَّةِ بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي الْعُقَايِدِ  
 الْإِيمَانِيَّةِ وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي أَحْكَامِ الْجَوَارِحِ وَمِنْهَا مَا يَتَقَدَّمُ وَمِنْهَا مَا يَتَأَخَّرُ وَيَكُونُ  
 نَاسِخًا لَهُ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِينُ الْمُجْمَلُ وَيُمَيِّزُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوحِ

وَبِعَرَفُهُ أَصْحَابَهُ فَعَرَفُوهُ وَعَرَفُوا سَبَبَ نُزُولِ الْآيَاتِ وَمَقْتَضَى الْحَالِ مِنْهَا مَنْقُولًا عَنْهُ كَمَا  
عَلِمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ إِنَّمَا نَعِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمْثَالُ  
ذَلِكَ وَقِيلَ ذَلِكَ عَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَتَدَاوَلَ ذَلِكَ النَّابِعُونَ مِنْ  
بَعْدِهِمْ وَقِيلَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَلَمْ يَزَلْ مُتَتَابِعًا بَيْنَ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ وَالسَّلَفِ حَتَّى صَارَتْ الْمَعَارِفُ  
عُلُومًا وَدَوَّنتِ الْكُتُبُ فَكُتِبَ الْكَثِيرُ مِنْ ذَلِكَ وَنَقِلَتِ الْأَثَارُ الْوَارِدَةُ فِيهِ عَنِ  
الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَانْتَهَى ذَلِكَ إِلَى الطَّبْرِيِّ وَالْوَاقِدِيِّ وَالتَّعَالِي وَآمِثَالُ ذَلِكَ مِنْ  
الْمُفَسِّرِينَ فَكُتِبُوا فِيهِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبُوهُ مِنَ الْأَثَارِ ثُمَّ صَارَتْ عُلُومُ اللِّسَانِ  
صِنَاعِيَّةً مِنَ الْكَلَامِ فِي مَوْضِعَاتِ اللُّغَةِ وَأَحْكَامِ الْإِعْرَابِ وَالْبَلَاغَةِ فِي التَّرَاكِبِ  
فَوُضِعَتِ الدَّوَابِ فِي ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَلَكَاتٍ لِلْعَرَبِ لَا يَرْجِعُ فِيهَا إِلَى نَقْلِ وَلَا  
كِتَابٍ فَنُتَوَسَّيَ ذَلِكَ وَصَارَتْ تُتَلَّقَى مِنْ كُتُبِ أَهْلِ اللِّسَانِ فَاحْتِيجُ إِلَى ذَلِكَ فِي تَفْسِيرِ  
الْقُرْآنِ لِأَنَّهُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ وَعَلَى مِنْهَاجِ بِلَاغَتِهِمْ وَصَارَ التَّفْسِيرُ عَلَى صِنْفَيْنِ تَفْسِيرٍ نَقْلِيٍّ  
مُسْتَدِلٍّ إِلَى الْأَثَارِ الْمَنْقُولَةِ عَنِ السَّلَفِ وَهِيَ مَعْرِفَةُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ وَأَسْبَابِ النُّزُولِ  
وَمَقَاصِدِ الْآيِ وَكُلُّ ذَلِكَ لَا يَعْرِفُ إِلَّا بِالنَّقْلِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَقَدْ جَمَعَ الْمُتَقَدِّمُونَ  
فِي ذَلِكَ وَأَوْعَوْا إِلَّا أَنْ كُتِبَتْ وَمَنْقُولَاتِهِمْ تَشْتَمِلُ عَلَى الْغَثِّ وَالسَّمِينِ وَالْمَقْبُولِ  
وَالْمَرْدُودِ وَالسَّبَبِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ كِتَابٍ وَلَا عِلْمٍ وَإِنَّمَا غَلَبَتْ  
عَلَيْهِمُ الْبِدَاوَةُ وَالْأُمِّيَّةُ وَإِذَا تَشَوَّقُوا إِلَى مَعْرِفَةِ شَيْءٍ مِمَّا نَشَوَّقُ إِلَيْهِ النَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ  
فِي أَسْبَابِ الْمُكْرَمَاتِ وَبَدَأِ الْخَلِيقَةِ وَأَسْرَارِ الْوُجُودِ فَإِنَّمَا يَسْأَلُونَ عَنْهُ أَهْلَ  
الْكِتَابِ قَبْلَهُمْ وَيَسْتَفِيدُونَهُ مِنْهُمْ وَهُمْ أَهْلُ التَّوْرَةِ مِنَ الْيَهُودِ وَمَنْ تَبِعَ دِينَهُمْ مِنْ  
النَّصَارَى وَأَهْلُ التَّوْرَةِ الَّذِينَ بَيْنَ الْعَرَبِ يَوْمئِذٍ بَادِيَةٌ مِثْلَهُمْ وَلَا يَعْرِفُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا  
مَا تَعَرَّفَهُ الْعَامَّةُ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَمُعْظَمُهُمْ مِنْ حَمِيرِ الَّذِينَ أَخَذُوا بِدِينِ الْيَهُودِيَّةِ  
فَلَمَّا أَسْلَمُوا بَقُوا عَلَى مَا كَانَ عِنْدَهُمْ مِمَّا لَا تَعْلُقُ لَهُ بِالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ الَّتِي يَخْتَلِطُونَ  
لَهَا مِثْلَ أَخْبَارِ بَدَأِ الْخَلِيقَةِ وَمَا يَرْجِعُ إِلَى الْخِدَتَانِ وَالْمَلَا حِمِّ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَهُوَ لِأَنَّ  
مِثْلَ كُتُبِ الْأَخْبَارِ وَوَهَبِ بْنِ مَنبَهٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَمْثَالِهِمْ فَأَمْثَلَتِ التَّفَاسِيرُ  
مِنَ الْمَنْقُولَاتِ عِنْدَهُمْ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَغْرَاضِ أَخْبَارًا مَوْفُوقَةً عَلَيْهِمْ وَلَيْسَتْ مِمَّا  
يَرْجِعُ إِلَى الْأَحْكَامِ فَتُنَحَّرَ فِي الصِّحَّةِ الَّتِي يَجِبُ بِهَا الْعَمَلُ وَتَسَاهَلُ الْمُفَسِّرُونَ فِي

مثل ذلك وما رواه كتب التفسير بهذه المنقولات وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة  
 الذين يسكنون البادية ولا تحقيق عندهم معرفة ما ينقلونه من ذلك إلا أنهم بعد  
 صيتهم وعظمت أقدارهم لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة فتلقيت  
 بالقبول من يومئذ فلما رجع الناس إلى التحقيق والتخصيص وجاء أبو محمد بن  
 عطية من المتأخرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها ونحوى ما هو أقرب إلى  
 الصحة منها ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنقى  
 وتبعه القرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالمشرق  
 والصنف الآخر من التفسير وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والأعراب  
 والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب وهذا الصنف من التفسير قل  
 أن يفرد عن الأول إذ الأول هو المقصود بالذات وإنما جاء هذا بعد أن صار  
 اللسان وعلومه صناعة نعم قد يكون في بعض التفاسير غالباً ومن أحسن ما أشتمل  
 عليه هذا الفن من التفاسير كتاب الكشاف للزخشري من أهل خوارزم العراق  
 إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة حيث  
 تعرض في أي القرآن من طرق البلاغة فصار ذلك للتحققين من أهل السنة الخراف  
 عنه وتخير الجمهور من مكانه مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة  
 وإذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهب السنية محسناً للحجاج عنها فلا جرم  
 أنه ما مؤمن من عوائله فلغنتهم مطالعته لغرابه فنونه في اللسان ولقد وصل إلينا في  
 هذه العصور تأليف لبعض العراقيين وهو شرف الدين الطيبي من أهل تويريز من  
 عراق العجم شرح فيه كتاب الزخشري هذا وتبع ألفاظه وتعرض لمذاهبه في  
 الاعتزال بأدلة تزيهاً وبين أن البلاغة إنما تقع في الآية على ما يراه أهل السنة  
 لا على ما يراه المعتزلة فأحسن في ذلك ما شاء مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة  
 وفوق كل ذي علم عليم

## الفصل السادس

### في علوم الحديث

وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة لأن منها ما ينظر في ناسخه ومسوخه

وَذَلِكَ بِمَا ثَبَّتَ فِي شَرِيْعَتِنَا مِنْ جَوَازِ النَّسْخِ وَوُقُوعِهِ لُظْفًا مِنْ اللَّهِ بِعِبَادِهِ وَتَخْفِيفًا عَنْهُمْ  
 بِأَعْتَابِ مَصَالِحِهِمُ الَّتِي تَكْفُلُ لَهُمْ بِهَا قَالَ تَعَالَى مَا نُنسخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ  
 مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا فَإِذَا تَعَارَضَ الْخَبْرَانِ بِالْتَفَنِّي وَالْإِتْبَاتِ وَتَعَدَّرَ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا بِبَعْضِ التَّأْوِيلِ  
 وَعَلِمَ تَقْدِيمُ أَحَدِهِمَا تَعَيُّنَ أَنَّ الْمَتَأَخَّرَ نَاسِخٌ وَمَعْرِفَةُ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ مِنْ أَهْمِ عُلُومِ  
 الْحَدِيثِ وَأَضْعَفُهَا قَالَ الزُّهْرِيُّ أَعْيَابُ الْفُقَهَاءِ وَأَعْجَزُهُمْ أَنْ يَعْرِفُوا نَاسِخَ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَنْسُوخِهِ وَكَانَ لِلشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيهِ قَدَمٌ رَاسِخَةٌ وَمِنْ  
 عُلُومِ الْأَحَادِيثِ النَّظَرُ فِي الْأَسَانِيدِ وَمَعْرِفَةُ مَا يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ بِوُقُوعِهِ  
 عَلَى السَّنَدِ الْكَامِلِ الشَّرْطِ لِأَنَّ الْعَمَلَ إِنَّمَا وَجِبَ بِمَا يَعْلَبُ عَلَى الظَّنِّ صِدْقُهُ مِنْ  
 أَخْبَارِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُجْتَهِدُ فِي الطَّرِيقِ الَّتِي تُحْصِلُ ذَلِكَ الظَّنَّ وَهُوَ  
 بِمَعْرِفَةِ رِوَاةِ الْحَدِيثِ بِالْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ وَإِنَّمَا يَثْبُتُ ذَلِكَ بِالنَّقْلِ عَنْ أَعْلَامِ الدِّينِ  
 بِتَعَدُّلِهِمْ وَبِرَأْيِهِمْ مِنَ الْجُرْحِ وَالغَفْلَةِ وَيَكُونُ لَنَا ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى الْقَبُولِ أَوْ التَّرْكِ  
 وَكَذَلِكَ مَرَاتِبُ هَذِهِ النُّقْلَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَفَاوُثُهُمْ فِي ذَلِكَ وَتَمَيُّزُهُمْ فِيهِ  
 وَاحِدًا وَاحِدًا وَكَذَلِكَ الْأَسَانِيدُ تَتَفَاوُثُ بِاتِّصَالِهَا وَانْقِطَاعِهَا بِأَنْ يَكُونَ الرَّاوي لَمْ يَلِقَ  
 الرَّاوي الَّذِي نَقَلَ عَنْهُ وَبِإِسْلَامَتِهَا مِنْ الْعِلَالِ الْمُوهِنَةِ لَهَا وَتَنْتَهِي بِالتَّفَاوُثِ إِلَى طَرَفَيْنِ  
 فَحُكْمُ يَقْبُولُ الْأَعْلَى وَرَدَّ الْأَسْفَلُ وَيُخْتَلَفُ فِي الْمَتَوَسِّطِ بِحَسَبِ الْمَنْقُولِ عَنْ  
 أَيْمَةِ الشَّانِ وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ الْفَاطُ أَصْطَلَحُوا عَلَى وَضْعِهَا لِهَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْمُرْتَبَةِ مِثْلَ  
 الصَّحِيحِ وَالْحَسَنِ وَالضَّعِيفِ وَالْمُرْسَلِ وَالْمَنْقَطِعِ وَالْمُعْضِلِ وَالشَّاذِّ وَالْغَرِيبِ وَغَيْرِ  
 ذَلِكَ مِنَ الْقَابِهِ الْمَتَدَاوِلَةِ بَيْنَهُمْ وَبَوَّبُوا عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَنَقَلُوا مَا فِيهِ مِنَ الْخِلَافِ  
 لِأَيْمَةِ اللِّسَانِ أَوْ الْوُفَاقِ ثُمَّ النَّظَرُ فِي كَيْفِيَّةِ أَخْذِ الرَّوَايَةِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ بِقِرَاءَةٍ  
 أَوْ كِتَابَةٍ أَوْ مَنَاقِلَةٍ أَوْ إِجَازَةٍ وَتَفَاوُثِ رُتَبِهَا وَمَا لِلْعُلَمَاءِ فِي ذَلِكَ مِنَ الْخِلَافِ بِالْقَبُولِ  
 وَالرَّدِّ ثُمَّ اتَّبَعُوا ذَلِكَ بِكَلَامٍ فِي الْفَاطُ نَفَعُ فِي مَتُونِ الْحَدِيثِ مِنْ غَرِيبٍ أَوْ مُشْكَلٍ  
 أَوْ نَحِيْفٍ أَوْ مُفْتَرِقٍ مِنْهَا أَوْ مُخْتَلَفٍ وَمَا يَنَاسِبُ ذَلِكَ هَذَا مُعْظَمُ مَا يَنْظُرُ فِيهِ أَهْلُ  
 الْحَدِيثِ وَغَالِبُهُ وَكَانَتْ أَحْوَالُ نَقْلَةِ الْحَدِيثِ فِي عَصْرِ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ  
 مَعْرُوفَةً عِنْدَ أَهْلِ بَلَدِهِ فَمِنْهُمْ بِالْحِجَازِ وَمِنْهُمْ بِالْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ مِنَ الْعِرَاقِ وَمِنْهُمْ  
 بِالشَّامِ وَمِصْرَ بِالْجَمِيعِ مَعْرُوفُونَ مَشْهُورُونَ فِي أَعْصَارِهِمْ وَكَانَتْ طَرِيقَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ

فِي أَعْصَارِهِمْ فِي الْأَسَانِيدِ أَعْلَى مِمَّنْ سِوَاهُمْ وَأَمَّنَ فِي الصَّحِيحَةِ لِاسْتِدَادِهِمْ فِي شُرُوطِ  
 النَّقْلِ مِنَ الْعَدَالَةِ وَالضَّبْطِ وَتَجَافِيهِمْ عَنِ قَبُولِ الْجَبُولِ الْحَالِ فِي ذَلِكَ وَسَدِّ الطَّرِيقَةِ  
 الْحِجَازِيَّةِ بَعْدَ السَّلَفِ الْإِمَامِ مَالِكُ عَالِمِ الْمَدِينَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ ثُمَّ أَصْحَابُهُ مِثْلُ  
 الْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ أَدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَأَمْثَلِهِمْ وَكَانَ عِلْمُ  
 الشَّرِيعَةِ فِي مَبْدَأِ هَذَا الْأَمْرِ نَقْلًا مِمَّنْ لَهَا السَّلَفُ وَتَحَرُّوا الصَّحِيحَ حَتَّى أَكْمَلُوها  
 وَكَتَبَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابَ الْمُوطَأِ أَوْدَعَهُ أُصُولَ الْأَحْكَامِ مِنَ الصَّحِيحِ  
 الْمَتَّفِقِ عَلَيْهِ وَرَبَّنُهُ عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ ثُمَّ عَنِ الْخَافِظِ بِمَعْرِفَةِ طُرُقِ الْأَحَادِيثِ وَأَسَانِيدِهَا  
 الْمُخْتَلَفَةِ وَرَبَّمَا يَفْعُ إِسْنَادَ الْحَدِيثِ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ عَنْ رِوَاةٍ مُخْتَلَفِينَ وَقَدْ يَفْعُ الْحَدِيثُ  
 أَيْضًا فِي أَبْوَابٍ مُتَعَدِّدَةٍ بِاخْتِلَافِ الْمَعَانِي الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا وَجَاءَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ  
 إِمَامُ الْمُحَدِّثِينَ فِي عَصْرِهِ فَخَرَّجَ أَحَادِيثَ السُّنَنِ عَلَى أَبْوَابِهَا فِي مُسْنَدِهِ الصَّحِيحِ بِجَمِيعِ الطَّرِيقِ  
 الَّتِي لِلْحِجَازِيِّينَ وَالْعَرَبِيِّينَ وَالشَّامِيِّينَ وَأَعْتَمَدُوا مِنْهَا مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ دُونَ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ  
 وَكَرَّرَ الْأَحَادِيثَ يَسُوقُهَا فِي كُلِّ بَابٍ بِمَعْنَى ذَلِكَ الْبَابِ الَّذِي تَضَمَّنَتْهُ الْحَدِيثُ فَتَكَرَّرَتْ  
 لِذَلِكَ أَحَادِيثُهُ حَتَّى يُقَالُ إِنَّهُ اشْتَمَلَ عَلَى تِسْعَةِ <sup>(١)</sup> آفِ حَدِيثٍ وَمِائَتَيْنِ مِنْهَا ثَلَاثَةٌ  
 آفٌ مُتَكَرِّرَةٌ وَفِرْقُ الطَّرِيقِ وَالْأَسَانِيدِ عَلَيْهَا مُخْتَلَفَةٌ فِي كُلِّ بَابٍ ثُمَّ جَاءَ الْإِمَامُ  
 مُسْلِمُ بْنُ الْحِجَّاجِ الْقَشِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَالْفَ مُسْنَدُهُ الصَّحِيحَ حَذَا فِيهِ حَدُوثُ  
 الْبُخَارِيِّ فِي نَقْلِ الْجَمْعِ عَلَيْهِ وَحَدَفَ الْمُتَكَرَّرَ مِنْهَا وَجَمَعَ الطَّرِيقَ وَالْأَسَانِيدَ  
 وَبَوَّبَهُ عَلَى أَبْوَابِ الْفِقْهِ وَتَرَاجَمَهُ وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَسْتَوْعِبِ الصَّحِيحَ كُلَّهُ وَقَدْ اسْتَدْرَكَ  
 النَّاسُ عَلَيْهِمَا فِي ذَلِكَ ثُمَّ كَتَبَ أَبُو دَاوُدَ السُّجِسْتَانِيُّ وَأَبُو عَيْسَى التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو  
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّسَائِيُّ فِي السُّنَنِ بِأَوْسَعِ مِنَ الصَّحِيحِ وَقَصَدُوا مَا تَوَفَّرَتْ فِيهِ شُرُوطُ  
 الْعَمَلِ إِمَّا مِنَ الرَّثْبَةِ الْعَالِيَةِ فِي الْأَسَانِيدِ وَهُوَ الصَّحِيحُ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ وَإِمَّا مِنَ الَّذِي  
 دُونَهُ مِنَ الْحَسَنِ وَغَيْرِهِ لِيَكُونَ ذَلِكَ إِمَامًا لِلسُّنَنِ وَالْعَمَلِ وَهَذِهِ هِيَ الْمَسَانِيدُ الْمَشْهُورَةُ  
 فِي الْمِلَّةِ وَهِيَ أَمْهَاتُ كِتَابِ الْحَدِيثِ فِي السُّنَنِ فَإِنَّهَا وَإِنْ تَعَدَّدَتْ تَرْجَعُ إِلَى هَذِهِ  
 فِي الْأَعْلَى وَمَعْرِفَةُ هَذِهِ الشُّرُوطِ وَالْأَصْطِلَاحَاتِ كُلِّهَا هِيَ عِلْمُ الْحَدِيثِ وَرَبَّمَا يَفْرُدُ  
 عَنْهَا النَّاسِخُ وَالْمُسُوخُ فَيَجْعَلُ فَنَاءَ بَرَأْسِهِ وَكَذَا الْغَرِيبُ وَاللَّيْسُ فِيهِ تَأْلِيفٌ مَشْهُورَةٌ

١ قوله تسعة الذي في النووي على مسلم انها سبعة بتقديم الدين فخره

ثُمَّ الْمُؤْتَلَفُ وَالْمُخْتَلَفُ وَقَدْ آلَفَ النَّاسُ فِي عُلُومِ الْحَدِيثِ وَكَثُرُوا وَمِنْ فُجُولِ عُلَمَائِهِ  
 وَأَيْمَتِهِمْ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَاكِمُ وَتَأَلَّفَهُ فِيهِ مَشْهُورَةٌ وَهُوَ الَّذِي هَدَبَهُ وَأَظْهَرَ مَحَاسِنَهُ  
 وَأَشْهَرَ كِتَابَ الْمُتَأَخَّرِينَ فِيهِ كِتَابُ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الصَّلَاحِ كَانَ لِعَبْدِ أَوْائِلِ الْمِائَةِ  
 السَّابِعَةِ وَتَلَاذُهُ مَحْبِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَالْفَنُّ شَرِيفٌ فِي مَعْرَاةٍ لِأَنَّهُ مَعْرِفَةٌ مَا  
 يُحْفَظُ بِهِ السَّنَنُ الْمَنْقُولَةُ عَنْ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ وَقَدْ انْقَطَعَ لِهَذَا الْعَهْدِ تَخْرِيجُ شَيْءٍ مِنْ  
 الْأَحَادِيثِ وَاسْتِدْرَاكُهَا عَلَى الْمُتَقَدِّمِينَ إِذِ الْعَادَةُ تَشْهَدُ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْأَيْمَةَ عَلَى  
 تَعَدُّدِهِمْ وَتَلَاذِقِ عُسْرِهِمْ وَكِفَايَتِهِمْ وَاجْتِهَادِهِمْ لَمْ يَكُونُوا لِيُعْطُوا شَيْئًا مِنَ السَّنَةِ أَوْ  
 يَتْرَكُوهُ حَتَّى يَعْتَرَّ عَلَيْهِ الْمُتَأَخَّرُ هَذَا بَعِيدٌ عَنْهُمْ وَإِنَّمَا تَنْصَرِفُ الْعِنَايَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ إِلَى  
 تَصْحِيحِ الْأَمْثَاتِ الْمَكْتُوبَةِ وَضَبْطِهَا بِالرِّوَايَةِ عَنْ مُصَنِّفِهَا وَالنَّظَرِ فِي أَسَانِيدِهَا إِلَى  
 مَوَائِنِهَا وَعَرْضِ ذَلِكَ عَلَى مَا تَقَرَّرَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ مِنَ الشُّرُوطِ وَالْأَحْكَامِ لِتَتَّصِلَ  
 الْأَسَانِيدُ مُحْكَمَةً إِلَى مَنَاهَا وَمَنْ يَزِيدُوا فِي ذَلِكَ عَلَى الْعِنَايَةِ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذِهِ  
 الْأَمْثَاتِ الْخُمْسِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ. فَأَمَّا الْبُخَارِيُّ وَهُوَ أَعْلَاهَا رُتْبَةً فَاسْتَصْعَبَ النَّاسُ شَرْحَهُ  
 وَاسْتَعْلَقُوا مَنَاهُ مِنْ أَجْلِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الطَّرِيقِ الْمُتَعَدِّدَةِ وَرِجَالِهَا مِنْ  
 أَهْلِ الْحِجَازِ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِمْ وَاخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهِمْ وَلِذَلِكَ  
 يُحْتَاجُ إِلَى إِمْعَانِ النَّظَرِ فِي التَّفَقُّهِ فِي تَرَاجِمِهِ لِأَنَّهُ يَتَرَجَّمُ التَّرْجَمَةُ وَيُورَدُ فِيهَا الْحَدِيثُ  
 لِسُنَدِهِ أَوْ طَرِيقٍ ثُمَّ يَتَرَجَّمُ أُخْرَى وَيُورَدُ فِيهَا ذَلِكَ الْحَدِيثُ بَعِينَهُ لِمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنَ الْمَعْنَى  
 الَّتِي تَرَجَّمُ بِهِ الْبَابُ وَكَذَلِكَ فِي تَرْجَمَةٍ وَتَرْجَمَةٍ إِلَى أَنْ يَتَكَرَّرَ الْحَدِيثُ فِي أَبْوَابٍ  
 كَثِيرَةٍ بِحَسَبِ مَعَانِيهِ وَاخْتِلَافِهَا وَمِنْ شَرْحِهِ وَلَمْ يَسْتَوْفِ هَذَا فِيهِ فَلَمْ يُؤَفِّ حَقَّ الشَّرْحِ  
 كَأَبْنِ بَطَّالٍ وَأَبْنِ الْمُهَلَّبِ وَأَبْنِ التَّيْنِ وَنَحْوِهِمْ وَلَقَدْ سَمِعْتُ كَثِيرًا مِنْ شَيْخِنَا رَجَمَهُ  
 اللَّهُ يَقُولُونَ شَرْحُ كِتَابِ الْبُخَارِيِّ دِينَ عَلَى الْأُمَّةِ يَعْنُونَ أَنَّ أَحَدًا مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ لَمْ  
 يُؤَفِّ مَا يَجِبُ لَهُ مِنَ الشَّرْحِ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ. وَأَمَّا صَحِيحُ مُسْلِمٍ فَكَثُرَتْ عِنَايَةُ عُلَمَاءِ  
 الْمَغْرِبِ بِهِ وَأَكْبَرُوا عَلَيْهِ وَأَجْعَلُوا عَلَى تَنْضِيلِهِ عَلَى كِتَابِ الْبُخَارِيِّ مِنْ غَيْرِ الصَّحِيحِ  
 مِمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَى شَرْطِهِ وَأَكْثَرُ مَا وَقَعَ لَهُ فِي التَّرَاجِمِ وَأَمَلَى الْإِمَامُ الْمَارِزِيُّ مِنْ  
 فُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ عَلَيْهِ شَرْحًا وَسَمَّاهُ الْمُعَلِّمَ بِفَوَائِدِ مُسْلِمٍ اشْتَمَلَ عَلَى عِيُونٍ مِنْ عِلْمِ  
 الْحَدِيثِ وَفُتُونٍ مِنَ الْفِقْهِ ثُمَّ أَكْمَلَهُ الْقَاضِي عِيَّاضٌ مِنْ بَعْدِهِ وَتَمَّمَهُ وَسَمَّاهُ إِكْمَالَ

الْمُعَلِّمِ وَالْأَهْلَامَا مُعْنِي الدِّينَ النَّوَوِيُّ بِشَرْحِ اسْتَوْفَى مَا فِي الْكُتَابَيْنِ وَزَادَ عَلَيْهِمَا  
 نَجَاءً شَرْحًا وَافِيًا . وَأَمَّا كُتُبُ السَّنَنِ الْأُخْرَى وَفِيهَا مُعْظَمُ مَا خِذَ الْفُقَهَاءُ فَأَكْثَرُ شَرْحِهَا  
 فِي كُتُبِ الْفِقْهِ إِلَّا مَا يَخْتَصُّ بِعِلْمِ الْحَدِيثِ فَكُتِبَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَاسْتَوْفَوْا مِنْ ذَلِكَ  
 مَا يَخْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ عِلْمِ الْحَدِيثِ وَمَوَاضِعَاتِهَا وَالْأَسَانِيدِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى الْأَحَادِيثِ  
 الْمَعْمُولِ بِهَا مِنَ السَّنَةِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَحَادِيثَ قَدْ تَمَيَّزَتْ مَرَاتِبًا لِهَذَا الْعَهْدِ بَيْنَ صَحِيحٍ  
 وَحَسَنٍ وَضَعِيفٍ وَمَعْلُولٍ وَعَبْرَهَا تَنْزِلُهَا أئِمَّةُ الْحَدِيثِ وَجَهًا بَدَنُهُ وَعَرَفُوهَا وَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ  
 فِي تَصْحِيحِ مَا يَصِحُّ مِنْ قَبْلِهَا وَلَقَدْ كَانَ الْأئِمَّةُ فِي الْحَدِيثِ يَعْرِفُونَ الْأَحَادِيثَ بِطُرُقِهَا  
 وَأَسَانِيدِهَا بِحَيْثُ لَوْ رُوِيَ حَدِيثٌ بِغَيْرِ سَنَدِهِ وَطَرِيقِهِ يَقْظَنُونَ إِلَى أَنَّهُ قَدْ قَلَبَ عَنْ  
 وَضْعِهِ وَلَقَدْ وَقَعَ مِثْلُ ذَلِكَ لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ حِينَ وَرَدَ عَلَى بَغْدَادَ  
 وَقَصَدَ الْمُحَدِّثُونَ امْتِحَانَهُ فَسَأَلُوهُ عَنْ أَحَادِيثَ قَبِلُوا أَسَانِيدَهَا فَقَالَ لَا أَعْرِفُ هَذِهِ  
 وَإِكْنَ حَدِيثِي فَلَانَ ثُمَّ أَتَى بِجَمِيعِ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ عَلَى الْوَضْعِ الصَّحِيحِ وَرَدَّ كُلَّ  
 مَنٍّ إِلَى سَنَدِهِ وَأَقْرَبُوا لَهُ بِالْإِمَامَةِ . وَأَعْلَمُ أَيْضًا أَنَّ الْأئِمَّةَ الْمُجْتَهِدِينَ تَفَاوَتُوا فِي  
 الْأَكْثَارِ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَالْإِقْلَالِ فَأَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يُقَالُ بَلَغَتْ  
 رِوَايَتُهُ إِلَى سَبْعَةِ عَشَرَ حَدِيثًا أَوْ نَحْوَهَا وَمَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ إِنَّمَا صَحَّ عِنْدَهُ مَا فِي كِتَابِ  
 الْمَوْطَأِ <sup>(١)</sup> وَعَائِشَتَا ثَلَاثُمِائَةَ حَدِيثٍ أَوْ نَحْوَهَا . وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي  
 مَسْنَدِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ حَدِيثٍ وَلِكُلِّ مَا آدَاهُ إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُ فِي ذَلِكَ وَقَدْ يَقُولُ بَعْضُ  
 الْمُبْغِضِينَ الْمُتَعَسِّفِينَ إِلَى أَنَّ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ قَلِيلَ الْبِضَاعَةِ فِي الْحَدِيثِ فَلِهَذَا قَلَّتْ رِوَايَتُهُ  
 وَلَا سَبِيلَ إِلَى هَذَا الْمُعْتَقَدِ فِي كِبَارِ الْأئِمَّةِ لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ إِنَّمَا تُؤَخَذُ مِنَ الْكُتَابِ  
 وَالسَّنَةِ وَمَنْ كَانَ قَلِيلَ الْبِضَاعَةِ مِنَ الْحَدِيثِ فَيَتَعَبَّنَ عَلَيْهِ طَلَبُهُ وَرِوَايَتُهُ وَالْحِدُّ وَاللِّتْمَانُ  
 فِي ذَلِكَ لِيَأْخُذَ الدِّينَ عَنْ أَصُولِ صَحِيحَةٍ وَيَتَلَقَّى الْأَحْكَامَ عَنْ صَاحِبِهَا الْمُبْلِغِ لَهَا  
 وَإِنَّمَا قَلَّتْ مِنْهُمْ مَنْ قَلَّتْ الرِّوَايَةُ لِأَجْلِ الْمَطَاعِنِ الَّتِي تَعَرَّضُ فِيهَا وَالْعِلَلِ الَّتِي تَعَرَّضُ  
 فِي طُرُقِهَا سِيمَا وَاجْرَحَ مُقَدِّمٌ عِنْدَ أَكْثَرِ فِرْقَاتِهِ الْجَهْدَ إِلَى تَرْكِ الْأَخْذِ بِمَا  
 يَعْزُضُ مِثْلَ ذَلِكَ فِيهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ وَطُرُقِ الْأَسَانِيدِ وَيَكْثُرُ ذَلِكَ فَتَقَلُّ رِوَايَتُهُ

(١) الذي في شرح الزرقاني على الموطأ حكاية أقوال خمسة في عدة احاديثه اولها ٥٠٠ ثابها ٧٠٠

ثالثها الف ونصف رابعها ١٧٢٠ خامسها ٦٦٦ وليس فيه قول بما في هذه النسخة قاله نصر المهوربي

لِضَعْفِ فِي الطَّرِيقِ هَذَا مَعَ أَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ أَكْثَرُ رِوَايَةَ لِلْحَدِيثِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ لِأَنَّ  
 الْمَدِينَةَ دَارَ النَّجْرَةِ وَمَأْوَى الصَّحَابَةِ وَبِنِ انْتَقَلَ مِنْهُمْ إِلَى الْعِرَاقِ كَمَا سَمِعْتُمْ بِالْحِجَازِ  
 أَكْثَرَ وَالْإِمَامُ أَبُو حَنِيفَةَ إِنَّمَا قَالَتْ رِوَايَتُهُ لِمَا شَدَّدَ فِي شُرُوطِ الرِّوَايَةِ وَالتَّحْمُلِ  
 وَضَعْفِ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ اليَقِينِي إِذَا عَارَضَهَا الْفِعْلُ النَّسْبِيَّ وَقَالَتْ مِنْ أَجْلِهَا رِوَايَةُ نَقْلِ  
 حَدِيثُهُ لِأَنَّهُ تَرَكَ رِوَايَةَ الْحَدِيثِ مُتَعَدِّدًا لِمَخَاشَاةٍ مِنْ ذَلِكَ وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ مِنْ كِبَارِ  
 الْمُتَحَدِّثِينَ فِي عِلْمِ الْحَدِيثِ أَعْيَادَ مَذْهَبِهِ بَيْنَهُمْ وَالنَّوْعِيلُ عَلَيْهِ وَأَعْتَبَارُهُ رَدًّا وَقَبُولًا  
 وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْمُحَدِّثِينَ وَهُمْ أَجْمَعُونَ فَتَوَسَّعُوا فِي الشُّرُوطِ وَكَثُرَ حَدِيثُهُمْ وَالْمَكْلُ  
 عَنِ اجْتِهَادِ وَقَدْ تَوَسَّعَ اصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ فِي الشُّرُوطِ وَكَثُرَتْ رِوَايَتُهُمْ وَرَوَى الطَّحْطَاوِيُّ  
 فَأَكْثَرَ وَكُتِبَ مُسْنَدُهُ وَهُوَ جَلِيلُ الْقَدْرِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَعْدِلُ الصَّحِيحِينَ لِأَنَّ الشُّرُوطَ  
 الَّتِي اعْتَمَدَهَا النَّجَّارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابَيْهِمَا تُجْمَعُ عَلَيْهَا بَيْنَ الْأُمَّةِ كَمَا قَالَهُ وَشُرُوطُ  
 الطَّحْطَاوِيِّ غَيْرُ مُتَّفِقٍ عَلَيْهَا كَالرِّوَايَةِ عَنِ الْمَسْتَوْرِ الْحَالِ وَغَيْرِهِ فَلِهَذَا قُدِّمَ الصَّحِيحَانِ  
 بَلْ وَكُتِبَ السُّنَنِ الْمَعْرُوفَةُ عَلَيْهِ لِتَأْخُرَ شَرْطُهُ عَنِ شُرُوطِهِمْ وَبِنِ هَذَا قِيلَ فِي  
 الصَّحِيحَيْنِ بِالْإِجْمَاعِ عَلَى قَبُولِهِمَا مِنْ جِبَةِ الْإِجْمَاعِ عَلَى صِحَّةِ مَا فِيهِمَا مِنَ الشُّرُوطِ  
 الْمُتَّفِقِ عَلَيْهَا فَلَا تَأْخُذُكَ رَيْبَةٌ فِي ذَلِكَ فَالْقَوْمُ أَحَقُّ النَّاسِ بِالظَّنِّ الْجَمِيلِ بِهِمْ  
 وَالنَّاسِ الْخَارِجِ الصَّحِيحَةِ لَهُمْ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِمَا فِي حَقَائِقِ الْأُمُورِ

### الفصل السابع

في علم الفقه وما يتبعه من الفرائض

الْفَقْهُ مَعْرِفَةُ أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى فِي أَعْمَالِ الْمُكَلَّفِينَ بِالْوُجُوبِ وَالْحُدْرِ وَالنَّدْبِ  
 وَالْكَرَاهَةِ وَالْإِبَاحَةِ وَهِيَ مُتَقَاتَةٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا نَصَبَهُ الشَّارِعُ لِمَعْرِفَتِهَا  
 مِنَ الْأَدَلَّةِ فَإِذَا اسْتُخْرِجَتِ الْأَحْكَامُ مِنْ تِلْكَ الْأَدَلَّةِ قِيلَ لَهَا فِقْهُهُ وَكَانَ السَّلْفُ  
 يَسْتَخْرِجُونَهَا مِنْ تِلْكَ الْأَدَلَّةِ عَلَى اخْتِلَافٍ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَلَا بُدَّ مِنْ وُقُوعِهِ ضَرَرَةٌ أَنَّ  
 الْأَدَلَّةَ غَالِبَهَا مِنَ النُّصُوصِ وَهِيَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَفِي اقْتِضَاءَاتِ الْفَائِضَاتِ لِكَثِيرٍ مِنْ مَعَانِيهَا  
 اخْتِلَافٌ بَيْنَهُمْ مَعْرُوفٌ وَأَيْضًا فَالسُّنَّةُ مُخْتَلِفَةٌ الطَّرِيقِ فِي الثَّبُوتِ وَتَعَارَضُ فِي الْأَكْثَرِ  
 أَحْكَامُهَا فَتَحْتَاجُ إِلَى التَّرْجِيحِ وَهُوَ مُخْتَلِفٌ أَيْضًا فَالْأَدَلَّةُ مِنْ غَيْرِ النُّصُوصِ مُخْتَلِفَةٌ فِيهَا  
 وَأَيْضًا فَالْوَقَائِعُ الْمُتَجَدِّدَةُ لَا تُؤْتَى بِهَا النُّصُوصُ وَمَا كَانَ مِنْهَا غَيْرُ ظَاهِرٍ فِي الْمَنْصَرَفِ

فَيَعْمَلُ عَلَى الْمَنصُوصِ لِمِشَابَهَةِ بَيْنَهُمَا وَهَذِهِ كُلُّهَا إِشَارَاتٌ لِلْخِلَافِ ضَرُورِيَّةٌ أَوْفُوعٌ  
 وَمِنْ هُنَا وَقَعَ الْخِلَافُ بَيْنَ السَّلَفِ وَالْأئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ إِنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا  
 أَهْلَ فِتْيَانٍ وَلَا كَانَ الَّذِينَ يُؤْخَذُ عَنْ جَمِيعِهِمْ وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مُحْتَصًا بِالْحَامِلِينَ لِلْقُرْآنِ  
 الْعَرَابِينَ بِنَابِخِهِ وَمَنَسُوخِهِ وَمِشَابَهَةِ وَمُحْكَمِهِ وَسَائِرِ دَلَالَتِهِ بِمَا تَلَقَّوهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ  
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ مِمَّنْ سَمِعَهُ مِنْهُمْ وَمِنْ عَلَيْهِمْ وَكَانُوا يَسْهَوْنَ لِذَلِكَ الْقُرَاءَةَ أَيَّ الَّذِينَ  
 يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا أُمَّةً أُمَّةً فَأَخْطِصَ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ قَارِئًا لِلْكِتَابِ  
 بِهَذَا الْأَسْمِ لِعَرَابَتِهِ يَوْمَئِذٍ وَبَقِيَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ صَدَرَ الْمَلَّةُ ثُمَّ عَظُمَتْ أَمْصَارُ الْإِسْلَامِ  
 وَذَهَبَتْ الْأُمَّةُ مِنَ الْعَرَبِ بِمُحَارَسَةِ الْكِتَابِ وَتَمَكَّنَ الْأَسْتِنبَاطُ وَكَمُلَ الْفِقْهُ  
 وَأَصْبَحَ صِنَاعَةً وَعِلْمًا فَبَدَّلُوا بِأَسْمِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ مِنَ الْقُرَّاءِ وَانْقَسَمَ الْفِقْهُ فِيهِمْ إِلَى  
 طَرِيقَتَيْنِ طَرِيقَةَ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ وَهُمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَطَرِيقَةَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَهُمْ  
 أَهْلُ الْحِجَازِ وَكَانَ الْحَدِيثُ قِيَادًا فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ لِمَا قَدَّمَاهُ فَاسْتَكْرَأُوا مِنَ الْقِيَاسِ  
 وَمَهَرُوا فِيهِ فَلِذَلِكَ قِيلَ أَهْلُ الرَّأْيِ وَمُقَدَّمُ جَمَاعَتِهِمْ الَّذِي اسْتَقَرَّ الْمَذْهَبُ فِيهِ وَفِي  
 أَصْحَابِهِ أَبُو حَنِيفَةَ وَإِمَامُ أَهْلِ الْحِجَازِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَالشَّافِعِيُّ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ انْكَرَ  
 الْقِيَاسَ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَأَبْطَلُوا الْعَمَلَ بِهِ وَهُمْ الظَّاهِرِيَّةُ وَجَعَلُوا الْمَدَارِكَ كُلِّهَا  
 مُتَّحَصِرَةً فِي النُّصُوصِ وَالْإِجْمَاعِ وَرَدُّوا الْقِيَاسَ الْجَلِيَّ وَالْعِلْمَةَ الْمَنصُوصَةَ إِلَى النَّصِّ  
 لِأَنَّ النَّصَّ عَلَى الْعِلَّةِ نَصٌّ عَلَى الْحُكْمِ فِي جَمِيعِ مَحَالِّهَا وَكَانَ إِمَامُ هَذَا الْمَذْهَبِ دَاوُدُ  
 ابْنُ عَلِيٍّ وَابْنُهُ وَأَصْحَابُهُمَا وَكَانَتْ هَذِهِ الْمَذَاهِبُ الثَّلَاثَةُ هِيَ الْمَذَاهِبُ الْجُمْهُورُ الْمَشْتَهَرَةُ  
 بَيْنَ الْأُمَّةِ وَشَدَّ أَهْلُ الْبَيْتِ بِمَذَاهِبِ ابْتَدَعُوهَا وَفِقْهٍ أَنْفَرَدُوا بِهِ وَبَنَوْهُ عَلَى مَذْهَبِهِمْ  
 فِي تَنَاوُلِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ بِالْقُدْحِ وَعَلَى قَوْلِهِمْ بِعِصْمَةِ الْأئِمَّةِ وَرَفَعَ الْخِلَافَ عَنْ  
 أَقْوَالِهِمْ وَهِيَ كَلِمَاتُ أَصُولٍ وَاهِيَةٌ وَشَدَّ بِمِثْلِ ذَلِكَ الْخَوَارِجُ وَلَمْ يَحْتَفِلِ الْجُمْهُورُ بِمَذَاهِبِهِمْ  
 بَلْ أَوْسَعُوهَا جَانِبَ الْإِنْكَارِ وَالْقُدْحِ فَلَا نَعْرِفُ شَيْئًا مِنْ مَذَاهِبِهِمْ وَلَا نَرَوِي كِتَابَهُمْ  
 وَلَا أَثَرَ لِنَبِيِّ مِنْهَا إِلَّا فِي مَوَاطِنِهِمْ فَكُتِبَ الشَّيْعَةَ فِي بِلَادِهِمْ وَحَيْثُ كَانَتْ دَوْلَتُهُمْ  
 قَائِمَةً فِي الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَالْيَمَنِ وَالْخَوَارِجُ كَذَلِكَ وَلِكُلِّ مِنْهُمْ كُتِبَ وَتَأَلَّفَ  
 وَارَأَى فِي الْفِقْهِ غَرِيبَةً ثُمَّ دُرِسَ مَذْهَبُ أَهْلِ الظَّاهِرِ الْيَوْمَ بِدُرُوسِ أَيْمَتِهِ وَإِنْكَارِ  
 الْجُمْهُورِ عَلَى مَنْتَحِلِهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا فِي الْكُتُبِ الْمَجْلُودَةِ وَرَبَّمَا يَعْكُفُ كَثِيرٌ مِنَ الطَّالِبِينَ

مِمَّنْ تَكَلَّفَ بِالتَّحَالِ مَذْهَبَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ يَرُومُ أَخَذَ فِقْهَهُمْ مِنْهَا وَمَذْهَبَهُمْ فَلَا  
 يَخْلُو بَطَائِلَ وَيَصِيرُ إِلَى مُخَالَفَةِ الْجُمْهُورِ وَإِنْكَارِهِمْ عَلَيْهِ وَرُبَّمَا عُدَّ بِهَيْدَةِ النَّخْلَةِ مِنْ  
 أَهْلِ الْبِدْعِ بِنَقْلِهِ الْعِلْمَ مِنَ الْكُتُبِ مِنْ غَيْرِ مِفْتَاحِ الْمُعَلِّمِينَ وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ ابْنُ حَزْمٍ  
 بِالْأَنْدَلُسِ عَلَى عُلُوِّ رُتْبَتِهِ فِي حِنِظِ الْحَدِيثِ وَصَارَ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الظَّاهِرِ وَمَهْرٍ فِيهِ  
 بِاجْتِهَادِ زَعْمِهِ فِي أَقْوَالِهِمْ وَخَالَفَ إِمَامَهُمْ دَاوُدَ وَتَعَرَّضَ لِلْكَثِيرِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ  
 فَيَقِمُ النَّاسُ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَأَوْسَعُوا مَذْهَبَهُ اسْتَهْجَانًا وَإِنْكَارًا وَتَلَقَّوْا كِتَابَهُ بِالْإِغْفَالِ وَالتَّرِكِ  
 حَتَّى إِنَّهَا لَيُحْصَرُ بِبَعْضِهَا بِالْأَسْوَاقِ وَرُبَّمَا تَمَزَّقَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَذْهَبُ  
 أَهْلِ الرَّأْيِ مِنَ الْعِرَاقِ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ مِنَ الْحِجَازِ . فَأَمَّا أَهْلُ الْعِرَاقِ فَأِمَامُهُمُ الَّذِي  
 اسْتَفْرَغَتْ عِنْدَهُ مَذَاهِبُهُمْ أَبُو حَنِيفَةَ النَّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ وَمَقَامُهُ فِي النَّفَقِ لَا يَلْحَقُ شَهِدَ لَهُ  
 بِذَلِكَ أَهْلُ جَلْدَتِهِ وَخُصُوصًا مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ . وَأَمَّا أَهْلُ الْحِجَازِ فَكَانَ إِمَامَهُمْ مَالِكُ  
 ابْنِ أَنَسٍ الْأَصْبَعِيُّ إِمَامَ دَارِ النَّجْدَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَاخْتَصَّ بِزِيَادَةِ مُدْرِكِ آخَرَ  
 لِلْأَحْكَامِ غَيْرِ الْمُدْرِكِ الْمَعْتَبَرَةِ عِنْدَ غَيْرِهِ وَهُوَ عَمَلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِأَنَّهُ رَأَى  
 أَنَّهُمْ فِيمَا يَنْفَسُونَ عَلَيْهِ مِنْ فِعْلٍ أَوْ تَرْكِ مُتَابِعُونَ لِمَنْ قَبْلَهُمْ ضَرُورَةٌ لِدِينِهِمْ وَاقْتِدَائِهِمْ  
 وَهَكَذَا إِلَى الْجَيْلِ الْمُبَاشِرِينَ لِنَعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَخْذِينَ ذَلِكَ عَنْهُ  
 وَصَارَ ذَلِكَ عِنْدَهُ مِنْ أَصُولِ الْأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ وَظَنَّ كَثِيرٌ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِ الْإِجْمَاعِ  
 فَأَنْكَرَهُ لِأَنَّ دَلِيلَ الْإِجْمَاعِ لَا يُخَصُّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنْ سِوَاهُمْ بَلْ هُوَ شَامِلٌ لِلْأُمَّةِ .  
 وَأَعْلَمُ أَنَّ الْإِجْمَاعَ إِنَّمَا هُوَ الْإِتْفَاقُ عَلَى الْأَمْرِ الدِّيْنِيِّ عَنِ اجْتِهَادِ وَمَالِكُ رَحِمَهُ اللَّهُ  
 تَعَالَى لَمْ يَعْتَبِرْ عَمَلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى وَإِنَّمَا اعْتَبَرَهُ مِنْ حَيْثُ اتَّبَعَ الْجَيْلِ  
 بِالْمَشَاهِدَةِ الْجَيْلِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَضَرُورَةٌ اقْتِدَائِهِمْ  
 يَعْينُ ذَلِكَ يَعْمُ الْعِلْمَةَ ذُكِرَتْ فِي بَابِ الْإِجْمَاعِ وَالْأَبْوَابِ بِهَا مِنْ حَيْثُ مَا فِيهَا مِنْ  
 الْإِتْفَاقِ الْجَمْعِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْإِجْمَاعِ إِلَّا أَنَّ اتِّفَاقَ أَهْلِ الْإِجْمَاعِ عَنْ نَظَرٍ وَاجْتِهَادٍ  
 فِي الْأَدِلَّةِ وَاتِّفَاقٌ هُوَ لِأَنَّ فِعْلًا أَوْ تَرْكًا مُسْتَنْدِينَ إِلَى مَشَاهِدَةٍ مِنْ قَبْلَهُمْ وَلَوْ ذُكِرَتْ  
 الْمَسْأَلَةُ فِي بَابِ فِعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَقْرِيرِهِ أَوْ مَعَ الْأَدِلَّةِ الْمُخْتَلَفِ  
 فِيهَا مِثْلَ مَذْهَبِ الصَّحَابِيِّ وَشَرَعَ مِنْ قَبْلِنَا وَالْأَسْتِصْحَابِ أَكَانَ أَلِيقٌ ثُمَّ كَانَ مِنْ بَعْدِ  
 مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَدْرِيسَ الْمُطَّلِبِيُّ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى رَحَلَ إِلَى الْعِرَاقِ

مِنْ بَعْدِ مَالِكٍ وَلَقِيَ أَصْحَابَ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَخَذَ عَنْهُمْ وَمَنْجَ طَرِيقَةَ أَهْلِ الْحِجَازِ  
 بِطَرِيقَةِ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَخْتَصَّ بِمَذْهَبٍ وَخَالَفَ مَالِكًا رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كَثِيرٍ مِنْ  
 مَذْهَبِهِ وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَكَانَ مِنْ عَلَيْهِ التَّحَدِيثِينَ وَقَرَأَ  
 أَصْحَابُهُ عَلَى أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَبِي حَنِيفَةَ مَعَ وَفُورٍ بِضَاعَتِهِمْ مِنَ الْحَدِيثِ فَاخْتَصَمُوا بِمَذْهَبِ  
 آخِرٍ وَوَقَفَ التَّقْلِيدُ فِي الْأَمْصَارِ عِنْدَهُمْ لِأَنَّ الْأَرْبَعَةَ وَدَرَسَ الْمُقَلِّدُونَ مِنْ سِوَاهُمْ وَسَدَّ  
 النَّاسُ بَابَ الْخِلَافِ وَطَرِيقَهُ لَمَّا كَثُرَ تَشَعُّبُ الْأَصْطِلَاحَاتِ فِي الْعُلُومِ وَلَمَّا عَاقَ عَنِ  
 الْوُصُولِ إِلَى رُتْبَةِ الْأَجْتِهَادِ وَلَمَّا خَشِيَ مِنْ إِسْنَادِ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ وَمَنْ لَا يُوقِفُ  
 بِرَأْيِهِ وَلَا يَدِينُهُ فَصَرَّحُوا بِالْعَجْزِ وَالْإِعْوَازِ وَرَدُّوا النَّاسَ إِلَى تَقْلِيدِ هَؤُلَاءِ كُلِّ مَنْ  
 اخْتَصَّ بِهِ مِنَ الْمُقَلِّدِينَ وَحَظَرُوا أَنْ يُتَدَاوَلَ تَقْلِيدُهُمْ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّلَاعُبِ وَلَمْ يَبْقَ  
 إِلَّا تَقْلِيدُ مَذَاهِبِهِمْ وَعَمِلَ كُلُّ مُقَلِّدٍ بِمَذْهَبٍ مِنْ قَلْدِهِ مِنْهُمْ بَعْدَ تَصْحِيحِ الْأَصُولِ  
 وَاتَّصَلَ سَنَدُهَا بِالرِّوَايَةِ لِأَخْتِصَالِ الْيَوْمِ لِلْفِقْهِ غَيْرِ هَذَا وَمَدْعَى الْأَجْتِهَادِ لِهَذَا الْعَهْدِ  
 مَرْدُودٌ عَلَى عَقِبِهِ مَهْجُورٌ تَقْلِيدُهُ وَقَدْ صَارَ أَهْلُ الْإِسْلَامِ الْيَوْمَ عَلَى تَقْلِيدِ هَؤُلَاءِ  
 الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ فَأَمَّا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فَمُقَلِّدُهُ قَلِيلٌ لِعُودِ مَذْهَبِهِ عَنِ الْأَجْتِهَادِ  
 وَأَصَالَتِهِ فِي مُعَاذَةِ الرِّوَايَةِ وَالْأَخْبَارِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَأَكْثَرُهُمْ بِالسَّامِ وَالْعِرَاقِ مِنْ  
 بَغْدَادَ وَنَوَاحِيهَا وَهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ حَيْثُ لَسْنَا رَوَايَةَ الْحَدِيثِ وَأَمَّا أَبُو حَنِيفَةَ فَقَلْدُهُ  
 الْيَوْمَ أَهْلُ الْعِرَاقِ وَمُسْلِمَةُ الْهِنْدِ وَالصِّينِ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَبِلَادِ الْعَجَمِ كُلِّهَا لِمَا كَانَ  
 مَذْهَبُهُ أَخْصَّ بِالْعِرَاقِ وَدَارِ السَّلَامِ وَكَانَ تَلْمِيزُهُ صَحَابَةَ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ  
 فَكَثُرَتْ تَالِيَتُهُمْ وَمَنَظَرَاتُهُمْ مَعَ الشَّافِعِيَّةِ وَحَسَنَتْ مَبَاحِثُهُمْ فِي الْخِلَافِيَّاتِ وَجَاءُوا  
 مِنْهَا بِعِلْمٍ مُسْتَظَرَفٍ وَأَنْظَارٍ غَرِيبَةٍ وَهِيَ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ وَبِالْمَغْرِبِ مِنْهَا شَيْءٌ قَلِيلٌ  
 تَقَلَّهُ إِلَيْهِ الْفَافِي بِنُ الْعَرَبِيِّ وَأَبُو الْوَلِيدِ الْبَاجِي فِي رِحْلَتِهِمَا وَأَمَّا الشَّافِعِيُّ فَمُقَلِّدُوهُ  
 بِمِصْرَ أَكْثَرُ مِمَّا سِوَاهَا وَقَدْ كَانَ انْتَشَرَ مَذْهَبُهُ بِالْعِرَاقِ وَخِرَاسَانَ وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ  
 وَقَاسَمُوا الْحَنْفِيَّةَ فِي التَّتَوُّيِّ وَالْتَدْرِيسِ فِي جَدِيعِ الْأَمْصَارِ وَعَظَمَتِ مَجَالِسُ الْمُنَظَرَاتِ  
 بَيْنَهُمْ وَشَحِنَتْ كُتُبُ الْخِلَافِيَّاتِ بِأَنْوَاعِ اسْتِدْلَالَتِهِمْ ثُمَّ دُرِسَ ذَلِكَ كُلُّهُ بِدُرُوسِ  
 الْمَشْرِقِ وَأَقْطَارِهِ وَكَانَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الشَّافِعِيِّ لَمَّا نَزَلَ عَلَى بَنِي  
 عَبْدِ الْحَكَمِ بِمِصْرَ أَخَذَ عَنْهُ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْحَكَمِ وَأَشْهَبُ وَابْنُ الْقَاسِمِ

وَأَبْنُ الْمَوَازِ وَغَيْرُهُمْ ثُمَّ الْحَارِسُ بْنُ مَسْكِينٍ وَبَنُوهُ ثُمَّ انْقَرَضَ فِيهِ أَهْلُ السَّنَةِ مِنْ مِصْرَ  
 يَظْهَرُ دَوْلَةُ الرَّافِضَةِ وَتَدَاوَلَ بِهَا فِيهِ أَهْلُ الْبَيْتِ وَتَلَاشَى مِنْ سِوَاهُمْ إِلَى أَنْ ذَهَبَتْ  
 دَوْلَةُ الْعَبِيدِيِّينَ مِنَ الرَّافِضَةِ عَلَى بَدِّ صَاحِ الْبَيْتِ يُونُسَ بْنِ أَيُّوبَ وَرَجَعَ إِلَيْهِمْ فِيهِ  
 الشَّافِعِيُّ وَأَصْحَابُهُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ فَعَادَ إِلَى أَحْسَنِ مَا كَانَ وَتَفَقَّتْ سِوَاهُ  
 وَأَشْتَهَرَ مِنْهُمْ مُحَمَّدِيُّ الدِّينِ النَّوَوِيُّ مِنَ الْحَلَبَةِ الَّتِي رَيْتَ فِي ظِلِّ الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ  
 بِالشَّامِ وَعَزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ أَيْضًا ثُمَّ ابْنُ الرَّفْعَةِ بِمِصْرَ وَتَقِي الدِّينِ بْنُ  
 دَقِيقِ الْعَيْدِ ثُمَّ تَقِي الدِّينِ السَّبْكَيُّ بَعْدَهُمَا إِلَى أَنْ أَنْتَهَى ذَلِكَ إِلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ  
 بِمِصْرَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَهُوَ سِرَاجُ الدِّينِ الْبَلْقِينِيُّ فَهُوَ الْيَوْمَ أَكْبَرُ الشَّافِعِيَّةِ بِمِصْرَ كَبِيرُ  
 الْعُلَمَاءِ بَلْ أَكْبَرُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ وَأَمَّا مَالِكُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَاخْتَصَّ بِمَذْهَبِهِ  
 أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَإِنْ كَانَ يُوجَدُ فِي غَيْرِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمْ يَقْلِدُوا غَيْرَهُ إِلَّا فِي  
 الْقَلِيلِ لِمَا أَنَّ رِحْلَتَهُمْ كَانَتْ غَالِبًا إِلَى الْحِجَازِ وَهُوَ مُنْتَهَى سَفَرِهِمْ وَالْمَدِينَةَ يَوْمَئِذٍ دَارُ  
 الْعِلْمِ وَمِنْهَا خَرَجَ إِلَى الْعِرَاقِ وَلَمْ يَكُنِ الْعِرَاقُ فِي طَرِيقِهِمْ فَأَقْتَصَرُوا عَنِ الْإِخْذِ عَنِ عُلَمَاءِ  
 الْمَدِينَةِ وَشَيْخِهِمْ يَوْمَئِذٍ وَإِمَامِهِمْ مَالِكٌ وَشِبُوخُهُ مِنْ قَبْلِهِ وَتَلْمِيذُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَرَجَعَ  
 إِلَيْهِ أَهْلُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَقَلَدُوهُ دُونَ غَيْرِهِ مِمَّنْ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِمْ طَرِيقَتُهُ وَأَيْضًا  
 فَالْبِدَاوَةُ كَانَتْ غَالِبَةً عَلَى أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَلَمْ يَكُونُوا يُعَانُونَ الْحِضَارَةَ الَّتِي  
 لِأَهْلِ الْعِرَاقِ فَكَانُوا إِلَى أَهْلِ الْحِجَازِ أَمِيلًا لِمُنَاسَبَةِ الْبِدَاوَةِ وَلِهَذَا لَمْ يَزَلِ الْمَذْهَبُ  
 الْمَالِكِيُّ غَضًّا عِنْدَهُمْ وَلَمْ يَأْخُذْهُ تَنْقِيحُ الْحِضَارَةِ وَتَهْذِيبُهَا كَمَا وَقَعَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْمَذَاهِبِ  
 وَلَمَّا صَارَ مَذْهَبُ كُلِّ إِمَامٍ عِلْمًا مُخْصُوصًا عِنْدَ أَهْلِ مَذْهَبِهِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ سَبِيلٌ إِلَى  
 الْأَجْتِهَادِ وَالْقِيَاسِ فَاحْتَأَجُوا إِلَى تَنْظِيرِ الْمَسَائِلِ فِي الْأَلْحَاقِ وَتَفْرِيقِهَا عِنْدَ الْأَشْتِبَاهِ  
 بَعْدَ الْأَسْتِنَادِ إِلَى الْأَصُولِ الْمُقَرَّرَةِ مِنْ مَذَاهِبِ إِمَامِهِمْ وَصَارَ ذَلِكَ كُلُّهُ يَحْتَاجُ إِلَى  
 مَلَكَتٍ رَاسِخَةٍ يُقْتَدَرُ بِهَا عَلَى ذَلِكَ النَّوعِ مِنَ التَّنْظِيرِ أَوْ التَّفْرِيقِ وَاتَّبَعَ مَذْهَبُ إِمَامِهِمْ  
 فِيهِمَا مَا اسْتَطَاعُوا وَهَذِهِ الْمَلَكَتُ هِيَ عِلْمُ الْفَقْهِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَهْلُ الْمَغْرِبِ جَمِيعًا مُقْلِدُونَ  
 لِمَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَقَدْ كَانَ تَلَامِيذُهُ أَفْتَرَفُوا بِمِصْرَ وَالْعِرَاقِ فَكَانَ بِالْعِرَاقِ مِنْهُمْ  
 الْقَاضِي إِسْمَاعِيلُ وَطَبَقَتُهُ مِثْلُ أَبِي خُوَيْرِزٍ مَنَّادٍ وَأَبْنِ الْبَابِ وَالْقَاضِي وَأَبِي بَكْرٍ  
 الْأَهْرَبِيُّ وَالْقَاضِي أَبِي حُسَيْنِ بْنِ الْقَصَّارِ وَالْقَاضِي عَبْدِ الْوَهَّابِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَكَانَ

بمصر ابن القاسم وأشهب وابن عبد الحكم والحارث بن مسكين وطبقتهم ورحل  
من الأندلس عبد الملك بن حبيب فأخذ عن ابن القاسم وطبقته وبث مذهب مالك  
في الأندلس ودون فيه كتاب الواضحة ثم دون العتيبي من تلاميذه كتاب العتيبي  
ورحل من أفریقیة أسد بن الفرّات نكّتب عن أصحاب أبي حنيفة أولاً ثم انتقل  
إلى مذهب مالك وكتب على ابن القاسم في سائر أبواب الفقه وجاء إلى القيروان  
بكتابه وسُمي الأسيدي نسبة إلى أسد بن الفرّات فقرأ بها فحنون على أسد ثم ارتحل  
إلى المشرق ولقي ابن القاسم وأخذ عنه وعارضه بمسائل الأسيدي فرجع عن كثير  
منها وكتب سحنون مسألهما ودونها وأثبت ما رجع عنه وكتب لاسد أن يأخذ بكتاب  
سحنون فإن من ذلك فترك الناس كتابه واتبعوا مدونه سحنون على ما كان فيها من  
اختلاط المسائل في الأبواب فكانت تسمى المدونة والمختطة وعكف أهل  
القيروان على هذه المدونة وأهل الأندلس على الواضحة والعتيبي ثم اختصر ابن  
أبي زيد المدونة والمختطة في كتابه المسمى بالمختصر ولخصه أيضاً أبو سعيد  
البرادعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمى بالتهذيب واعتمده الشيخة من أهل  
أفریقیة وأخذوا به وتركوا ما سواه وكذلك اعتمد أهل الأندلس كتاب العتيبي  
وهجروا الواضحة وما سواها ولم تزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الأمهات بالشرح  
والإيضاح والجمع نكّتب أهل أفریقیة على المدونة ما شاء الله أن يكتبوا مثل  
ابن يونس واللخمي وابن محرز التونسي وابن بشير وأمثالهم وكتب أهل الأندلس  
على العتيبي ما شاء الله أن يكتبوا مثل ابن رشد وأمثاله وجمع ابن أبي زيد جميع ما في  
الأمهات من المسائل والخلاف والأقوال في كتاب النودر فاشتمل على جميع أقوال  
المذاهب وفرع الأمهات كلها في هذا الكتاب ونقل ابن يونس مغممه في كتابه على  
المدونة وزخرت بحار المذهب المالكي في الأفقین إلى انقراض دولة قرطبة والقيروان  
ثم تمسك بهما أهل المغرب بعد ذلك إلى أن جاء كتاب أبي عمرو بن الحارث  
لخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب وتعدد أقوالهم في كل مسألة فجاء كالترنّام  
للمذهب وكانت الطريقة المالكية بقيت في مصر من لدن الحارث بن مسكين وابن  
المبشر وابن الأبيته وابن الرشيقي وابن شاس وكانت بالأيسكندرية في بني عوف

وَبْنِي سَنَدٍ وَأَبْنِ عَطَاءِ اللَّهِ وَلَمْ أَدْرِ عَمَّنْ أَخَذَهَا أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْحَاجِبِ لَكِنَّهُ جَاءَ بَعْدَ  
 أَفْرَاضِ دَوْلَةِ الْعَبِيدِيِّينَ وَذَهَابِ فِقْهِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَظُهُورِ فُقَهَاءِ السَّنَةِ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ  
 وَالْمَالِكِيَّةِ وَلَمَّا جَاءَ كِتَابُهُ إِلَى الْمَغْرِبِ آخِرَ الْمِائَةِ السَّابِعَةِ عَكَفَ عَلَيْهِ الْكَثِيرُ  
 مِنْ طَلَبَةِ الْمَغْرِبِ وَخُصُوصًا أَهْلُ بَجَايَةِ لِمَا كَانَ كَبِيرَ مَسِيخَتِهِمْ أَبُو عَلِيٍّ نَاصِرُ الدِّينِ  
 الزَّوَاوِيُّ هُوَ الَّذِي جَلَبَهُ إِلَى الْمَغْرِبِ فَإِنَّهُ كَانَ قَرَأَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِمِصْرَ وَنَسَخَ مَخْتَصَرَهُ  
 ذَلِكَ فِجَاءَ بِهِ وَأَنْتَشَرَ بِقَطْرِ بَجَايَةِ فِي تَلْمِيذِهِ وَمِنْهُمْ أَنْتَقَلَ إِلَى سَائِرِ الْأَمْصَارِ الْمَغْرِبِيَّةِ  
 وَطَلَبَةِ الْفِقْهِ بِالْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ يَتَدَاوُونَ قِرَاءَتَهُ وَتَبَدَّرَ سُونَهُ لِمَا يُؤْتَرُ عَنِ الشَّيْخِ  
 نَاصِرِ الدِّينِ مِنَ التَّرغِيبِ فِيهِ وَقَدْ شَرَحَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ شُيُوخِهِمْ كَابْنِ عَبْدِ السَّلَامِ وَأَبْنِ  
 رُشْدٍ وَأَبْنِ هَارُونَ وَكُلُّهُمْ مِنْ مَشِيخَةِ أَهْلِ تُونِسَ وَسَابِقِ حَلْبَتِهِمْ فِي الْإِجَادَةِ فِي ذَلِكَ  
 ابْنُ عَبْدِ السَّلَامِ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ يَتَعَامَدُونَ كِتَابَ التَّهْدِيَةِ فِي دُرُوسِهِمْ وَاللَّهُ يَهْدِي  
 مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

## الفصل الثامن

### في علم الفرائض

وَهُوَ مَعْرِفَةُ فُرُوضِ الْوَرَاثَةِ وَتَصْحِيحِ سَهَامِ الْفَرِيضَةِ مِمَّا تَصَحُّ بِأَعْتِبَارِ فُرُوضِهَا  
 الْأَصُولُ أَوْ مَنَاسَخَتِهَا وَذَلِكَ إِذَا هَلَكَ أَحَدُ الْوَرَثَةِ وَأَنْكَسَرَتْ سَهَامُهُ عَلَى فُرُوضِ  
 وَرَثَتِهِ فَإِنَّهُ حِينئِذٍ يَحْتَاجُ إِلَى حِسَابِ تَصْحِيحِ الْفَرِيضَةِ الْأُولَى حَتَّى يَصِلَ أَهْلُ الْفُرُوضِ  
 جَمِيعًا فِي الْفَرِيضَتَيْنِ إِلَى فُرُوضِهِمْ مِنْ غَيْرِ تَجَزُّؤَةٍ وَقَدْ تَكُونُ هَذِهِ الْمَنَاسَخَاتُ أَكْثَرَ  
 مِنْ وَاحِدٍ وَأَثْنَيْنِ وَتَتَعَدَّدُ لِذَلِكَ بَعْدَ أَكْثَرِ وَبِقَدْرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى الْحِسَابِ وَكَذَلِكَ  
 إِذَا كَانَتْ فَرِيضَةٌ ذَاتُ وَجْهَيْنِ مِثْلُ أَنْ يَقْرَأَ بَعْضُ الْوَرَثَةِ بِوَارِثٍ وَيُنْكَرُهُ الْآخَرُ  
 فَتُصَحَّحُ عَلَى الْوَجْهَيْنِ حِينئِذٍ وَيُنْظَرُ مَبْلَغُ السَّهَامِ ثُمَّ تُنْقَسَمُ التَّرَكَةُ عَلَى نِسَبِ سَهَامِ  
 الْوَرَثَةِ مِنْ أَصْلِ الْفَرِيضَةِ وَكُلُّ ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى الْحِسَابِ وَكَانَ غَالِبًا فِيهِ وَجَعَلُوهُ فَنَاءً  
 مُفْرَدًا وَلِلنَّاسِ فِيهِ تَأْلِيفٌ كَثِيرَةٌ أَشْهُرُ مَا عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ مِنْ مُتَأَخَّرِي الْأَنْدَلُسِ  
 كِتَابُ ابْنِ نَائِبٍ وَمُخْتَصَرُ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ الْحَوْفِيِّ ثُمَّ الْجَعْدِيُّ وَمِنْ مُتَأَخَّرِي  
 آفْرِيْقِيَّةِ ابْنُ النَّمْرِ الطَّرَابُلُسِيُّ وَأَمثالُهُمْ وَأَمَّا الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَفِيَّةُ وَالْحَمَالِيَّةُ فَلَهُمْ فِيهِ  
 تَأْلِيفٌ كَثِيرَةٌ وَأَعْمَالٌ عَظِيمَةٌ صَعِبَةٌ شَاهِدَةٌ لَهُمْ بِاتِّسَاعِ الْبَالَعِ فِي الْفِقْهِ وَالْحِسَابِ

وخصوصاً أبا المعالي رضي الله تعالى عنه وأمثاله من أهل المذاهب وهو فن شريف  
 لجمعه بين المعقول والمنقول والوصول به إلى الحقوق في الوراثات بوجوه صحيحة  
 يقينية عند ما تجهل الحظوظ وتشكل على القاسمين وللعلماء من أهل الأمصار بها  
 عناية ومن المصنفين من يحتاج فيها إلى الغلو في الحساب وفرض المسائل التي تحتاج  
 إلى استخراج الجهولات من فنون الحساب كالجبر والمقابلة والأصرف في الجذور  
 وأمثال ذلك فيملأون بها تاليفهم وهو وإن لم يكن متداولاً بين الناس ولا يفيد فيما  
 يتداولونه من زرائعهم لغرابته وقلة وقوعه فهو يفيد الميران وتحصيل المالكة في  
 المتداول على أكمل الوجوه وقد يحتاج الأكثر من أهل هذا الفن على فضله بالحديث  
 المنقول عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الفرائض ثلث العلم وأنها أول ما ينسى وفي  
 رواية نصف العلم خرجه أبو نعيم الحافظ واحتج به أهل الفرائض بناءً على أن المراد  
 بالفرائض فروض الوراثة والذي يظهر أن هذا التحل بعيد وأن المراد بالفرائض  
 إنما هي الفرائض التكليفية في العبادات والعادات والموارث وغيرها وبهذا المعنى  
 يصح فيها النصفية والثلثية وأما فروض الوراثة فهي أقل من ذلك كله بالنسبة إلى  
 علم الشريعة كلها ويعين هذا المراد أن حمل لفظ الفرائض على هذا الفن المخصوص  
 أو تخصيصه بفروض الوراثة إنما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون  
 والأصطلاحات ولم يكن صدر الإسلام يطلق على هذا إلا على عموميه مشتقاً من  
 الفرض الذي هو لغة التقدير أو القطع وما كان المراد به في إطلاقه إلا جميع  
 الفروض كما قلناه وهي حقيقته الشرعية فلا ينبغي أن يحمل إلا على ما كان يحمل  
 في عصرهم فهو أليق بمرادهم منه والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق

### الفصل التاسع

في أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات

اعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً وأكثرها فائدة  
 وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتأليف وأصول  
 الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ثم السنة المبينة له فعلى عهد النبي  
 صلى الله عليه وسلم كانت الأحكام تنلقى بما يوحى إليه من القرآن ويبينه بقوله وفعله

بِحِطَابِ شَفَاهِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى نَقْلِ وَلَا إِلَى نَظَرٍ وَقِيَاسٍ وَمِنْ بَعْدِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ  
عَلَيْهِ تَعَدَّرَ الْخِطَابُ الشَّفَاهِي وَانْحَمَطَ الْقُرْآنُ بِالتَّوَاتُرِ وَأَمَّا السُّنَّةُ فَأَجْمَعَ الصَّحَابَةُ  
رُضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَلَى وَجُوبِ الْعَمَلِ بِمَا يَصِلُ إِلَيْنَا مِنْهَا قَوْلًا أَوْ فِعْلًا بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ  
الَّذِي يَغَائِبُ عَلَى الظَّنِّ صِدْقُهُ وَتَعَيَّنَتْ دَلَالَةُ الشَّرْعِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ هَذَا الْإِعْتِبَارُ  
ثُمَّ يَنْزِلُ الْإِجْمَاعُ مَنزِلَتَهُمَا لِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ عَلَى النَّكِيرِ عَلَى مَخَالِفِهِمْ وَلَا يَكُونُ  
ذَلِكَ إِلَّا عَنِ مُسْتَدَلٍّ لِأَنَّ مِثْلَهُمْ لَا يَتَّفِقُونَ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ نَائِبٍ مَعَ شَهَادَةِ الْأَدَلَّةِ بَعْضُهُم  
الْجَمَاعَةَ فَصَارَ الْإِجْمَاعُ دَلِيلًا نَائِبًا فِي الشَّرْعِيَّاتِ ثُمَّ نَظَرْنَا فِي طُرُقِ اسْتِدْلَالِ  
الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَإِذَا هُمْ يَقِيمُونَ الْأَشْبَاهَ بِالْأَشْبَاهِ مِنْهُمَا وَيَنَظُرُونَ  
الْأَمْثَالَ بِالْأَمْثَالَ بِإِجْمَاعِهِ مِنْهُمْ وَسَلِيمٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فِي ذَلِكَ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ  
الْوَاقِعَاتِ بَعْدَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ لَمْ تَنْدَرْجْ فِي النُّصُوصِ الثَّابِتَةِ فَقَاسُوهَا بِمَا  
ثَبَتَ وَانْحَقُوهَا بِمَا نَصَّ عَلَيْهِ بِشُرُوطٍ فِي ذَلِكَ الْإِلْحَاقِ تُصَحِّحُ تِلْكَ الْمَسَاوَاةَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ  
أَوْ الْمَثَلَيْنِ حَتَّى يَغَائِبَ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ حُكْمَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِمَا وَاحِدٌ وَصَارَ ذَلِكَ دَلِيلًا  
شَرْعِيًّا بِإِجْمَاعِهِمْ عَلَيْهِ وَهُوَ الْقِيَاسُ وَهُوَ رَابِعُ الْأَدَلَّةِ وَاتَّفَقَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ  
هَذِهِ هِيَ أَصُولُ الْأَدَلَّةِ وَإِنْ خَالَفَ بَعْضُهُمْ فِي الْإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ إِلَّا أَنَّهُ شُدُوزٌ  
وَالْحَقُّ بَعْضُهُمْ بِهِذِهِ الْأَرْبَعَةِ أَدَلَّةً أُخْرَى لَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى ذِكْرِهَا لِضَعْفِ مَدَارِكِهَا  
وَشُدُوزِ الْقَوْلِ فِيهَا فَكَانَ أَوَّلَ مَبَاحِثِ هَذَا الْفَنِّ النَّظَرُ فِي كَوْنِ هَذِهِ أَدَلَّةً فَأَمَّا  
الْكِتَابُ فَدَلِيلُهُ الْمُعْجِزَةُ الْقَاطِعَةُ فِي مَتْنِهِ وَالتَّوَاتُرُ فِي نَقْلِهِ فَلَمْ يَبْقَ فِيهِ مَجَالٌ لِلِاحْتِمَالِ  
وَأَمَّا السُّنَّةُ وَمَا نَقَلَ إِلَيْنَا مِنْهَا فَالْإِجْمَاعُ عَلَى وَجُوبِ الْعَمَلِ بِمَا يَصِحُّ مِنْهَا كَمَا قُلْنَا  
مُعْتَصِدًا بِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْعَمَلُ فِي حَيَاتِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ مِنْ إِنْفَازِ الْكِتَابِ  
وَالرُّسُلِ إِلَى النَّوَاحِي بِالْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ أَمْرًا وَنَاهِيًا وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ فَلِإِتِّفَاقِهِمْ  
رُضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَلَى إِنْكَارِ مَخَالَفَتِهِمْ مَعَ الْعِصْمَةِ الثَّابِتَةِ لِلْأَمَّةِ وَأَمَّا الْقِيَاسُ  
فَبِإِجْمَاعِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَلَيْهِ كَمَا قَدَّمَاهُ هَذِهِ أَصُولُ الْأَدَلَّةِ ثُمَّ إِنَّ  
الْمَنْقُولَ مِنَ السُّنَّةِ مُحْتَاجٌ إِلَى تَصْحِيحِ الْخَبَرِ بِالنَّظَرِ فِي طُرُقِ النَّقْلِ وَعَدَالَةِ النَّاقِلِينَ  
لِتَمَيِّزِ الْحَالَةَ الْمُحْصَلَةَ لِلظَّنِّ بِصِدْقِهِ الَّذِي هُوَ مَنْطِقُ وَجُوبِ الْعَمَلِ وَهَذِهِ أَيْضًا مِنْ  
قَوَاعِدِ الْفَنِّ وَيَلْحَقُ بِذَلِكَ عِنْدَ التَّعَارُضِ بَيْنَ الْخَبَرَيْنِ وَطَلَبِ الْمُتَقَدِّمِ مِنْهُمَا

مَعْرِفَةُ النَّاسِخِ وَالْمَسْخُوحِ وَهِيَ مِنْ فُصُولِهِ أَيْضًا وَأَبْوَابِهِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَعَيَّنُ النَّظَرُ فِي  
 دَلَالَةِ الْأَلْفَاظِ وَذَلِكَ أَنَّ اسْتِفَادَةَ الْمَعَانِي عَلَى الْأِطْلَاقِ مِنْ تَرَكَيبِ الْكَلَامِ  
 عَلَى الْأِطْلَاقِ يَتَوَقَّفُ عَلَى مَعْرِفَةِ الدَّلَالَاتِ الْوَضْعِيَّةِ مُفْرَدَةً وَمُرَكَّبَةً وَالْقَوَائِنِ  
 اللَّسَانِيَّةِ فِي ذَلِكَ هِيَ عُلُومُ النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَالْبَيَانِ وَحِينَ كَانَ الْكَلَامُ مُلْكَةً  
 لِأَهْلِهِ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ عُلُومًا وَلَا قَوَائِنَ وَلَمْ يَكُنْ الْفِقْهُ حِينَئِذٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِأَنَّهَا جِبِلَّةٌ  
 وَمَلَكَةٌ فَلَمَّا فَسَدَتْ الْمَلَكَةُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ قَيْدَهَا الْجَبَاهِدَةَ أَلْتَجَرَّدُونَ لِذَلِكَ  
 بِنَقْلِ صَحِيحٍ وَمَقَائِسٍ مُسْتَنْبَطَةٍ صَحِيحَةٍ وَصَارَتْ عُلُومًا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْفَقِيهَ فِي مَعْرِفَةِ  
 أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى ثُمَّ إِنَّ هُنَاكَ اسْتِفَادَاتٍ أُخْرَى خَاصَّةً مِنْ تَرَكَيبِ الْكَلَامِ وَهِيَ  
 اسْتِفَادَةُ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ بَيْنَ الْمَعَانِي مِنْ أَدَائِمِهَا الْخَاصَّةِ مِنْ تَرَكَيبِ الْكَلَامِ  
 وَهُوَ الْفِقْهُ وَلَا يَكْفِي فِيهِ مَعْرِفَةُ الدَّلَالَاتِ الْوَضْعِيَّةِ عَلَى الْأِطْلَاقِ بَلْ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ  
 أُمُورٍ أُخْرَى تَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا تِلْكَ الدَّلَالَاتُ الْخَاصَّةُ وَبِهَا اسْتِفَادَةُ الْأَحْكَامِ بِحَسَبِ مَا أَصَلَ  
 أَهْلُ الشَّرْعِ وَجِبَاهِدَةُ الْعِلْمِ مِنْ ذَلِكَ وَجَعَلُوهُ قَوَائِنَ لِهَذِهِ الْاسْتِفَادَةِ مِثْلَ أَنَّ اللُّغَةَ  
 لَا تُنْبِتُ قِيَاسًا وَالشَّرْكَ لَا يَرَادُ بِهِ مَعْنَاهُ مَعَا وَالْوَاوُ لَا تَقْتَضِي التَّرْتِيبَ وَالْعَامُّ إِذَا  
 أُخْرِجَتْ أَفْرَادُ الْخَاصِّ مِنْهُ هَلْ يَبْقَى حُجَّةٌ فِيمَا عَدَاهَا وَالْأَمْرُ لِلْوُجُوبِ أَوْ النَّدْبِ وَالْفُورُ  
 أَوْ التَّرَاخِي وَالنَّهْيُ يَقْتَضِي النَّسَادَ أَوْ الصَّحَّةَ وَالْمُطْلَقُ هَلْ يُحْمَلُ عَلَى الْمُقْبَدِ وَالنَّصُّ  
 عَلَى الْعَلَّةِ كَافٍ فِي التَّعَدُّدِ أَمْ لَا وَأَمثالُ هَذِهِ فَكَانَتْ كُلُّهَا مِنْ قَوَاعِدِ هَذَا الْفَنِّ وَلَكُونَهَا  
 مِنْ مَبَاحِثِ الدَّلَالَةِ كَانَتْ لُغَوِيَّةً ثُمَّ إِنَّ النَّظَرَ فِي الْقِيَاسِ مِنْ أَعْظَمِ قَوَاعِدِ هَذَا الْفَنِّ لِأَنَّ  
 فِيهِ تَحْقِيقَ الْأَصْلِ وَالْفَرْعِ فِيمَا يَقَاسُ وَيَمَازِلُ مِنَ الْأَحْكَامِ وَيَنْفَتِحُ الْوَصْفُ الَّذِي  
 يَغْلِبُ عَلَى الظَّنِّ أَنَّ الْحُكْمَ عَلَّقَ بِهِ فِي الْأَصْلِ مَنْ تَبَيَّنَ أَوْصَافُ ذَلِكَ الْحَمَلِ أَوْ وُجُودُ  
 ذَلِكَ الْوَصْفِ وَالْفَرْعِ مِنْ مُعَارِضٍ يَمْنَعُ مِنْ تَرْتِيبِ الْحُكْمِ عَلَيْهِ فِي مَسَائِلٍ أُخْرَى  
 مِنْ تَوَابِعِ ذَلِكَ كُلِّهَا قَوَاعِدُ لِهَذَا الْفَنِّ . (واعلم) أَنَّ هَذَا الْفَنِّ مِنَ الْفُنُونِ الْمُسْتَحْدَثَةِ  
 فِي الْعِلْمِ وَكَانَ السَّلْفُ فِي غَنِيَّةٍ عَنْهُ بِمَا أَنَّ اسْتِفَادَةَ الْمَعَانِي مِنَ الْأَلْفَاظِ لَا يَحْتَاجُ  
 فِيهَا إِلَى أَرْبَعٍ مِمَّا عِنْدَهُمْ مِنَ الْمَلَكَةِ اللَّسَانِيَّةِ وَأَمَّا الْقَوَائِنُ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي  
 اسْتِفَادَةِ الْأَحْكَامِ خُصُوصًا فَمِنْهُمْ أُخِذَ مُعْظَمُهَا وَأَمَّا الْأَسَانِيدُ فَلَمْ يَكُونُوا يَحْتَاجُونَ  
 إِلَى النَّظَرِ فِيهَا الْقُرْبِ الْعَصْرِ وَمُمَارَسَةِ النُّقْلَةِ وَخَبَرَتِهِمْ بِهِمْ فَلَمَّا أَنْقَرَضَ السَّلْفُ وَذَهَبَ

الصِدْرُ الْأَوَّلُ وَانْقَلَبَتِ الْعُلُومُ كُلُّهَا صِنَاعَةً كَمَا قَرَّرْنَا مِنْ قَبْلِ احْتِاجِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُجْتَهِدِينَ  
 إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْقَوَائِنِ وَالْقَوَاعِدِ لِاسْتِفَادَةِ الْأَحْكَامِ مِنَ الْأَدَلَّةِ فَكَتَبُوهَا فَنَّا  
 قَائِمًا بِرَأْسِهِ سَمَوُهُ أُصُولُ الْفِقْهِ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ كَتَبَ فِيهِ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ  
 أَمَلَى فِيهِ رِسَالَتَهُ الْمَشْهُورَةَ تَكَلَّمَ فِيهَا فِي الْأَوَامِرِ وَالنَّوَاحِي وَالْبَيَانِ وَالْخُبَرِ وَالنَّسْخِ  
 وَحُكْمِ الْعَلَّةِ الْمَنْصُورَةِ مِنَ الْقِيَاسِ ثُمَّ كَتَبَ فُقَهَاءُ الْخَنَفِيَّةِ فِيهِ وَحَقَّقُوا تِلْكَ الْقَوَاعِدَ  
 وَأَوْسَعُوا الْقَوْلَ فِيهَا وَكَتَبَ الْمُتَكَلِّمُونَ أَيْضًا كَذَلِكَ إِلَّا أَنَّ كِتَابَةَ الْفُقَهَاءِ فِيهَا  
 أَمْسَ بِالْفِقْهِ وَالْيَقُوبِيُّ بِالْفُرُوعِ كَثْرَةَ الْأَمْثَلَةِ مِنْهَا وَالشَّوَاهِدِ وَبِنَاءِ الْمَسَائِلِ فِيهَا عَلَيَّ  
 الذِّكْرَ الْفِقْهِيَّةِ وَالْمُتَكَلِّمُونَ يُجَرِّدُونَ صُرُورَ تِلْكَ الْمَسَائِلِ عَلَى الْفِقْهِ وَيَمِيلُونَ إِلَى  
 الْأَسْتِدْلَالِ الْعَقْلِيِّ مَا أَمَكْنَ لِأَنَّهُ غَالِبٌ فَنُوزِعُهُمْ وَمُقْتَضَى طَرِيقَتِهِمْ فَكَانَ لِقِطْعَةِ الْخَنَفِيَّةِ  
 فِيهَا الْيَدِ الطُّوْلَى مِنَ الْغَوْصِ عَلَى النَّكْتِ الْفِقْهِيَّةِ وَالتَّقَاتِ هَذِهِ الْقَوَائِنِ مِنْ مَسَائِلِ  
 الْفِقْهِ مَا أَمَكْنَ وَجَاءَ أَبُو زَيْدٍ الدَّبُوسِيُّ مِنْ أَيْمَتِهِمْ فَكَتَبَ فِي الْقِيَاسِ بِأَوْسَعِ مِنْ  
 جَمِيعِهِمْ وَتَمَّ الْأَبْحَاثُ وَالشَّرُوطُ الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِيهِ وَكَمَلَتْ صِنَاعَةُ أُصُولِ الْفِقْهِ  
 بِكَمَالِهِ وَتَهَدَّتْ مَسَائِلُهُ وَتَمَهَّدَتْ قَوَاعِدُهُ وَعُيِّنَ النَّاسُ بِطَرِيقَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِيهِ وَكَانَ  
 مِنْ أَحْسَنِ مَا كَتَبَ فِيهِ الْمُتَكَلِّمُونَ كِتَابُ الْبَرْهَانَ لِأَمَامِ الْحَرَمِيِّ وَالْمُسْتَصْفَى  
 لِلغَزَالِيِّ وَهُمَا مِنَ الْأَشْعَرِيَّةِ وَكِتَابُ الْعَهْدِ لِعَبْدِ الْجَبَّارِ وَشَرَحَهُ الْمُعْتَمِدُ لِأَبِي الْحُسَيْنِ  
 الْبَصْرِيِّ وَهُمَا مِنَ الْمُعْتَرِزَةِ وَكَانَتِ الْأَرْبَعَةُ قَوَاعِدَ هَذَا الْفَنِّ وَأَرَادَهُ ثُمَّ لَخَّصَ هَذِهِ  
 الْكُتُبَ الْأَرْبَعَةَ فَحَلَّانَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمُتَأَخِّرِينَ وَهُمَا الْأَمَامُ فَخْرُ الدِّينِ بْنِ  
 الْخَطِيبِ فِي كِتَابِ الْعَحْصُولِ وَسَيْفُ الدِّينِ الْأَمِدِيِّ فِي كِتَابِ الْأَحْكَامِ وَاخْتَلَفَتْ  
 طَرِيقَتُهُمَا فِي الْفَنِّ بَيْنَ التَّحْقِيقِ وَالْحِجَاجِ فَأَبْنُ الْخَطِيبِ أَمِيلٌ إِلَى الْأَسْتِثْنَاءِ مِنَ  
 الْأَدَلَّةِ وَالْأَحْتِجَاجِ وَالْأَمِدِيُّ مَوْلِعٌ بِتَحْقِيقِ الْمَذَاهِبِ وَتَفْرِيعِ الْمَسَائِلِ وَأَمَّا كِتَابُ  
 الْعَحْصُولِ فَأَخْتَصَرَهُ تَلْمِيزُ الْأَمَامِ سِرَاجِ الدِّينِ الْأَزْمُوعِيِّ فِي كِتَابِ التَّحْصِيلِ وَتَأَجَّ  
 الدِّينِ الْأَزْمُوعِيُّ فِي كِتَابِ الْحَاصِلِ وَاقْتَضَتْ شَهَابُ الدِّينِ الْقُرَافِيُّ مِنْهُمَا مَقَدِّمَاتٍ  
 وَقَوَاعِدَ فِي كِتَابِ صَغِيرِ سَمَاءِ التَّنْقِيحَاتِ وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْبَيْضَاوِيُّ فِي كِتَابِ الْمَنْهَاجِ  
 وَعَنِي الْمُبْتَدُونَ بِهَدْيِ الْكُتَابَيْنِ وَشَرَحَهُمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَأَمَّا كِتَابُ الْأَحْكَامِ  
 الْأَمِدِيِّ وَهُوَ أَكْثَرُ تَحْقِيقًا فِي الْمَسَائِلِ فَلَخَّصَهُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْحَاجِبِ فِي كِتَابِهِ

المعروف بِالْمُخْتَصَرِ الْكَبِيرِ ثُمَّ اخْتَصَرَهُ فِي كِتَابٍ آخَرَ تَدَاوَلَهُ طَلَبَةُ الْعِلْمِ وَعِنِّي أَهْلُ  
 الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ بِهِ وَبِمَطَاعَتِهِ وَشَرَحَهُ وَحَصَلَتْ زُبْدَةُ طَرِيقَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي  
 هَذَا الْفَنِّ فِي هَذِهِ الْمُخْتَصَرَاتِ . وَأَمَّا طَرِيقَةُ الْخُنْفِيَّةِ فَكَتَبُوا فِيهَا كَثِيرًا وَكَانَ  
 مِنْ أَحْسَنِ كِتَابَةٍ فِيهَا لِلْمُنْقَدِّ مِيزَانُ تَأْلِيفِ أَبِي زَيْدِ الدَّبُوسِيِّ وَأَحْسَنُ كِتَابَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ  
 فِيهَا تَأْلِيفُ سَيْفِ الْإِسْلَامِ الْبَزْدَوِيِّ مِنْ أُمَّتِهِمْ وَهُوَ مُسَوِّغٌ وَجَاءَ ابْنُ السَّاعِقِيِّ  
 مِنْ فُقَهَاءِ الْخُنْفِيَّةِ فَجَمَعَ بَيْنَ كِتَابِ الْإِحْكَامِ وَكِتَابِ الْبَزْدَوِيِّ فِي الطَّرِيقَتَيْنِ  
 وَسَمَّى كِتَابَهُ بِالْبَدَائِعِ فَجَاءَ مِنْ أَحْسَنِ الْأَوْضَاعِ وَأَبْدَعِهَا وَأَيُّمَةُ الْعُلَمَاءِ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ يَتَدَاوَلُونَهُ قِرَاءَةً وَبَحْثًا وَأَوْاعٍ كَثِيرٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَجَمِ بِشَرَحِهِ وَالْحَالُ عَلَى  
 ذَلِكَ لِهَذَا الْعَهْدِ هَذِهِ حَقِيقَةُ هَذَا الْفَنِّ وَتَعْيِينُ مَوْضُوعَاتِهِ وَتَعْدِيدُ التَّأْلِيفِ الْمَشْهُورَةِ  
 لِهَذَا الْعَهْدِ فِيهِ وَاللَّهُ يَنْفَعُنَا بِالْعِلْمِ وَيَجْعَلُنَا مِنْ أَهْلِهِ بِمَنْهٍ وَكَرَمِهِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ  
 (وَأَمَّا الْخِلَافَاتُ) . فَأَعْلَمُ أَنَّ دَلِمَا الْفِقْهَ الْمُسْتَنْبَطَ مِنَ الْأَدَلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ كَثُرَ فِيهِ  
 الْخِلَافُ بَيْنَ الْمُجْتَهِدِينَ بِاخْتِلَافِ مَدَارِكِهِمْ وَأَنْظَارِهِمْ خِلَافًا لِأَبَدٍ مِنْ وَقْعِهِ لِمَا  
 قَدَّمَاهُ وَأَتَّسَعَ ذَلِكَ فِي الْمِلَّةِ اتِّسَاعًا عَظِيمًا وَكَانَ لِلْمُقَدِّمِينَ أَنْ يَقْلِدُوا مَنْ شَاءُوا  
 مِنْهُمْ ثُمَّ لَمَّا أَتَتْ ذَلِكَ إِلَى الْأَيْمَةِ الْأَرْبَعَةِ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَمْصَارِ وَكَانُوا بِمَكَانٍ  
 مِنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ أَقْتَصَرَ النَّاسُ عَلَى تَقْلِيدِهِمْ وَمَنْعُوا مِنْ تَقْلِيدِ سِوَاهُمْ لِذَهَابِ الْاجْتِهَادِ  
 لِصُعُوبَتِهِ وَتَشَعُّبِ الْعُلُومِ الَّتِي هِيَ مَوَادُّهُ بِاتِّصَالِ الزَّمَانِ وَافْتِقَادِ مَنْ يَقُومُ عَلَى سِوَى  
 هَذِهِ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ فَاقْتَضَتْ هَذِهِ الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةَ أَصُولَ الْمِلَّةِ وَأَجْرِي الْخِلَافِ  
 بَيْنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِهَا وَالْآخِذِينَ بِأَحْكَامِهَا مُجْرَى الْخِلَافِ فِي النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ  
 وَالْأَصُولِ الْفِقْهِيَّةِ وَجَرَتْ بَيْنَهُمُ الْمُنَازَعَاتُ فِي تَصْحِيحِ كُلِّ مِنْهُمْ مَذْهَبٍ أَمَامِهِ تَجْرِي  
 عَلَى أَصُولٍ صَحِيحَةٍ وَطَرَائِقٍ قَوِيَّةٍ يَحْتَجُّ بِهَا كُلُّ عَلَى مَذْهَبِهِ الَّذِي قَلَّدَهُ وَتَمَسَّكَ بِهِ  
 وَأَجْرِيَتْ فِي مَسَائِلِ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا وَفِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْفِقْهِ قِتَارَةٌ يَكُونُ الْخِلَافُ  
 بَيْنَ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبُو حَنِيفَةَ يُوَافِقُ أَحَدَهُمَا وَتَارَةً بَيْنَ مَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِي  
 يُوَافِقُ أَحَدَهُمَا وَتَارَةً بَيْنَ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ يُوَافِقُ أَحَدَهُمَا وَكَانَ فِي هَذِهِ  
 الْمُنَازَعَاتِ بَيَانٌ مَّا خِذَ هُوَ لِأَيْمَةِ وَمَثَارَاتُ اخْتِلَافِهِمْ وَمَوَاقِعُ اجْتِهَادِهِمْ كَمَا هَذَا  
 الصَّنْفُ مِنَ الْعِلْمِ يُسَمَّى بِالْخِلَافِيَّاتِ وَلَا بَدَأَ لِصَاحِبِهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْفَوَائِدِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا

إِلَى اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ كَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْمُجْتَمِدُ إِلَّا أَنَّ الْمُجْتَمِدَ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِإِسْتِنْبَاطِ  
وَصَاحِبِ الْخِلَافِيَّاتِ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِحِفْظِ تِلْكَ الْمَسَائِلِ الْمُسْتَنْطَهَةِ مِنْ أَنْ يَهْدِمَهَا الْمُخَالَفُ  
بِأَدْلَتِهِ وَهُوَ لِعَمْرِي عِلْمٌ جَلِيلٌ الْفَائِدَةُ فِي مَعْرِفَةِ مَا خِذَ الْأئِمَّةُ وَأَدْلَتِهِمْ وَمَرَاتِنَ  
الْمُطَالَعِينَ لَهُ عَلَى الْإِسْتِدْلَالِ عَلَيْهِ وَتَأْيِيفِ الْحَنْفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ فِيهِ أَكْثَرُ مِنْ تَأْيِيفِ  
الْمَالِكِيَّةِ لِأَنَّ الْقِيَاسَ عِنْدَ الْحَنْفِيَّةِ أَصْلٌ لِلْكَثِيرِ مِنْ فُرُوعِ مَذْهَبِهِمْ كَمَا عَرَفْتُمْ  
فَهُمْ لِذَلِكَ أَهْلُ النَّظَرِ وَالْبَحْثِ . وَأَمَّا الْمَالِكِيَّةُ فَالْأَثَرُ أَكْثَرُ مُعْتَمِدِهِمْ وَلَيْسُوا بِأَهْلِ  
نَظَرٍ وَأَيْضًا فَأَكْثَرُهُمْ أَهْلُ الْعَرَبِ وَهُمْ بَادِيَةٌ غُذِلُ مِنَ الصَّنَائِعِ إِلَّا فِي الْأَقْلِ وَاللَّغْزَالِيِّ  
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ كِتَابُ الْمَاخِذِ وَلِإِي زَيْدِ الدُّبُوسِيِّ كِتَابُ التَّعْلِيمَةِ وَلِابْنِ الْقَصَّارِ  
مِنْ شَيْوخِ الْمَالِكِيَّةِ عِيُونُ الْأَدَلَّةِ وَقَدْ جَمَعَ ابْنُ السَّاعَاتِيِّ فِي مُخْتَصَرِهِ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ  
جَمِيعَ مَا يَنْبَغِي عَلَيْهَا مِنَ الْفِقْهِ الْخِلَافِيِّ مُدْرَجًا فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ مَا يَنْبَغِي عَلَيْهَا مِنَ الْخِلَافِيَّاتِ  
(وَأَمَّا الْجِدَالُ) وَهُوَ مَعْرِفَةُ آدَابِ الْمُنَازَرَةِ الَّتِي تَجْرِي بَيْنَ أَهْلِ الْمَذَاهِبِ الْفِقْهِيَّةِ  
وغيرهم فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ بَابُ الْمُنَازَرَةِ فِي الرَّدِّ وَالْقَبُولِ مُتَّسِعًا وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُنَازِرِينَ  
فِي الْإِسْتِدْلَالِ وَالْجَوَابِ يُرْسِلُ عِنَانَهُ فِي الْإِحْتِجَاجِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ صَوَابًا وَمِنْهُ مَا  
يَكُونُ خَطَأً فَاحْتِجَاجُ الْأئِمَّةِ إِلَى أَنْ يَضَعُوا آدَابًا وَأَحْكَامًا يَفْقَهُ الْمُنَازِرَانِ عِنْدَ  
حُدُودِهَا فِي الرَّدِّ وَالْقَبُولِ وَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْمُسْتَدَلِّ وَالْمُجِيبِ وَحَيْثُ يَسُوعُ لَهُ  
أَنْ يَكُونَ مُسْتَدَلًّا وَكَيْفَ يَكُونُ مَخْضُوعًا مُنْقَطِعًا وَمَعْلَلٌ أَعْرَاضِهِ أَوْ مُعَارَضَتِهِ وَأَيُّ  
يَجِبُ عَلَيْهِ السُّكُوتُ وَلِخَصْمِهِ الْكَلَامُ وَالْإِسْتِدْلَالُ وَلِذَلِكَ قِيلَ فِيهِ إِنَّهُ مَعْرِفَةٌ  
بِالْقَوَاعِدِ مِنَ الْحُدُودِ وَالْآدَابِ فِي الْإِسْتِدْلَالِ الَّتِي يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى حِفْظِ رَأْيِ وَهَدْمِهِ سَوَاءً  
كَانَ ذَلِكَ الرَّأْيُ مِنَ الْفِقْهِ أَوْ غَيْرِهِ وَهِيَ طَرِيقَتَانِ طَرِيقَةُ الْبُرْدُويِّ وَهِيَ خَاصَّةٌ بِالْأَدَلَّةِ  
الشَّرْعِيَّةِ مِنَ النَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ وَالْإِسْتِدْلَالِ وَطَرِيقَةُ الْعَمِيدِيِّ وَهِيَ عَامَةٌ فِي كُلِّ  
دَلِيلٍ يُسْتَدَلُّ بِهِ مِنْ أَيِّ عِلْمٍ كَانَ وَأَكْثَرُهُ اسْتِدْلَالٌ وَهُوَ مِنَ الْمَنَاحِي الْحَسَنَةِ  
وَالْمَعَالِطَاتِ فِيهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ كَثِيرَةٌ وَإِذَا أَعْتَبَرْنَا النَّظَرَ الْمَنْطِقِيَّ كَانَ فِي الْعَالِمِ  
أَشْبَهُ بِالْقِيَاسِ الْمَعَالِطِيِّ وَالسُّوفِسْطَائِيِّ إِلَّا أَنَّ صُورَةَ الْأَدَلَّةِ وَالْأَفْئِسَةِ فِيهِ مَحْفُوظَةٌ  
مُرَاعَاةً تُنَجِّرُ فِيهَا طُرُقَ الْإِسْتِدْلَالِ كَمَا يَنْبَغِي وَهَذَا الْعَمِيدِيُّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ  
فِيهَا وَنُسِبَتِ الطَّرِيقَةُ إِلَيْهِ وَضَعُ الْكِتَابِ الْمُسَمَّى بِالْإِزْشَادِ مُخْتَصَرًا وَتَبِعَهُ مِنْ بَعْدِهِ

مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ كَالنَّسْفِيِّ وَغَيْرِهِ جَاءُوا عَلَىٰ أَنْزَرِهِ وَسَلَكُوا مَسَلَكَهُ وَكَثُرَتْ فِي  
الطَّرِيقَةِ التَّالِيفُ وَهِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ مَهْجُورَةٌ لِنَقْصِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ فِي الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ كَمَايَّةٌ وَلَيْسَتْ ضَرُورِيَّةٌ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ

## الفصل العاشر

### في علم الكلام

هُوَ عِلْمٌ يَتَضَمَّنُ الْحُجَاجَ عَنِ الْعُقَايِدِ الْإِيمَانِيَّةِ بِالْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالرَّدَّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ  
الْمُنْجَرِفِينَ فِي الْأَعْتِقَادَاتِ عَنِ مَذَاهِبِ السَّلَفِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ وَسِرُّهُ هَذِهِ الْعُقَايِدُ الْإِيمَانِيَّةُ  
هُوَ التَّوْحِيدُ فَلَمَّا قَدَّمَ هُنَا لَطِينَةً فِي بُرْهَانِ عَقْلِيٍّ يَكْشِفُ لَنَا عَنِ التَّوْحِيدِ عَلَى أَقْرَبِ  
الطَّرِيقِ وَالْمَاخِذِ ثُمَّ نَزَّجِعُ إِلَى تَحْقِيقِ عِلْمِهِ وَفِيمَا يَنْظُرُ وَيُسِيرُ إِلَى حُدُوثِهِ فِي الْمِلَّةِ  
وَمَا دَعَا إِلَى وَضَعِهِ فَنَقُولُ إِنَّ الْحُودُوثَ فِي عَالَمِ الْكَائِنَاتِ سِوَاهُ كَانَتْ مِنَ الذُّوَاتِ  
أَوْ مِنَ الْأَفْعَالِ الْبَشَرِيَّةِ أَوْ الْحَيَوَانِيَّةِ فَلَا بُدَّ لَهَا مِنْ أَسْبَابٍ مُتَقَدِّمَةٍ عَلَيْهَا بِهَا نَفَعُ فِي  
مُسْتَقَرِّ الْعَادَةِ وَعَنْهَا يَتِمُّ كَوْنُهُ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ حَادِثٌ أَيْضًا فَلَا بُدَّ لَهُ  
مِنْ أَسْبَابٍ أُخَرَ وَلَا تَزَالُ تِلْكَ الْأَسْبَابُ مُرْتَقِيَةً حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ  
وَمُوجِدِهَا وَخَالِقِهَا سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَتِلْكَ الْأَسْبَابُ فِي أَرْتِقَائِهَا تَنْفَسِحُ وَتَنْضَاعِفُ  
طَوَّلًا وَعَرَضًا وَيَحَارُّ الْعَقْلُ فِي إِدْرَاكِهَا وَتَعَدِيدِهَا فَإِذَا لَا يَحْصِرُهَا إِلَّا الْعِلْمُ الْحَاطِطُ سِيمَا  
الْأَفْعَالِ الْبَشَرِيَّةِ وَالْحَيَوَانِيَّةِ فَإِنَّ مِنْ جَمَلَةِ أَسْبَابِهَا فِي الشَّاهِدِ الْقُصُودُ وَالْإِرَادَاتُ  
إِذْ لَا يَتِمُّ كَوْنُ الْفِعْلِ إِلَّا بِإِرَادَتِهِ وَالْقَصْدِ إِلَيْهِ وَالْقُصُودُ وَالْإِرَادَاتُ أُمُورٌ نَفْسَانِيَّةٌ  
نَاشِئَةٌ فِي الْغَالِبِ عَنِ تَصَوُّرَاتٍ سَابِقَةٍ يَتَلَوُّ بَعْضُهَا بَعْضًا وَتِلْكَ التَّصَوُّرَاتُ هِيَ أَسْبَابُ  
قَصْدِ الْفِعْلِ وَقَدْ تَكُونُ أَسْبَابُ تِلْكَ التَّصَوُّرَاتِ تَصَوُّرَاتٍ أُخْرَى وَكُلُّ مَا يَقَعُ فِي النَّفْسِ  
مِنَ التَّصَوُّرَاتِ مَجْهُولٌ سَبَبُهُ إِذْ لَا يَطَّلِعُ أَحَدٌ عَلَى مَبَادِيءِ الْأُمُورِ النَّفْسَانِيَّةِ وَلَا عَلَى  
تَرْتِيبِهَا إِنَّمَا هِيَ أَشْيَاءٌ يُلْقِيهَا اللَّهُ فِي الذِّكْرِ يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا وَالْإِنْسَانُ عَاجِزٌ عَنِ  
مَعْرِفَةِ مَبَادِيئِهَا وَغَايَاتِهَا وَإِنَّمَا يَحِيطُ عَالِمًا فِي الْغَالِبِ بِالْإِسْبَابِ الَّتِي هِيَ طَبِيعَةُ ظَاهِرَةِ  
وَيَقَعُ فِي مَدَارِكِهَا عَلَى نِظَامٍ وَتَرْتِيبٍ لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ مَحْضُورَةَ لِلنَّفْسِ وَتَحْتَ طَوْرِهَا وَأَمَّا  
التَّصَوُّرَاتُ فَنِطَاقُهَا أَوْسَعُ مِنَ النَّفْسِ لِأَنَّهَا لِلْعَقْلِ الَّذِي هُوَ فَوْقَ طَوْرِ النَّفْسِ فَلَا تَدْرِكُ  
الْكَثِيرَ مِنْهَا فَضْلًا عَنِ الْإِحَاطَةِ وَتَأَمَّلْ مِنْ ذَلِكَ حِكْمَةَ الشَّارِعِ فِي نَهْيِهِ عَنِ النَّظْرِ

إِلَى الْأَسْبَابِ وَالْوُقُوفِ مَعَهَا فَإِنَّهُ وَادَّيْهِمْ فِيهِ الْفَكْرُ وَلَا يَحِلُّ مِنْهُ بَطَائِلٌ وَلَا يَنْظُرُ  
 بِحَقِيقَةٍ قَالَ اللَّهُ ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ وَرُبَّمَا انْقَطَعَ فِي وُقُوفِهِ عَنِ الْأَرْتِقَاءِ إِلَى  
 مَا قُوْفُهُ فَزَلَّتْ قَدَمُهُ وَأَصْبَحَ مِنَ الضَّالِّينَ الْهَالِكِينَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْحِرْمَانِ وَالْخُسْرَانِ  
 الْمَمِينِ وَلَا تَحْسِبَنَّ أَنَّ هَذَا الْوُقُوفَ أَوْ الرَّجُوعَ عَنْهُ فِي قُدْرَتِكَ وَاخْتِيَارِكَ بَلْ هُوَ لَوْ  
 يَحْصُلُ لِلنَّفْسِ وَصَبْعَةٌ تَسْتَحْكِمُ مِنَ الْخَوْضِ فِي الْأَسْبَابِ عَلَى نِسْبَةٍ لَا نَعْلَمُهَا إِذْ لَوْ  
 عَلِمْنَاهَا لَتَحَرَّزْنَا مِنْهَا فَلْتَحَرَّزَ مِنْ ذَلِكَ يَقْطَعُ النَّظَرَ عَنْهَا جَمَلَةً وَأَيْضًا فَوْجَهُ تَأْثِيرَ  
 هَذِهِ الْأَسْبَابِ فِي الْكَثِيرِ مِنْ مُسَبِّبَاتِهَا مَجْهُولٍ لِأَنَّهَا إِنَّمَا يُوقَفُ عَلَيْهَا بِالْعَادَةِ لِاقْتِرَانِ  
 الشَّاهِدِ بِالْأَسْتِنَادِ إِلَى الظَّاهِرِ وَحَقِيقَةِ التَّأْثِيرِ وَكَيْفِيَّتِهِ مَجْهُولَةٌ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ  
 إِلَّا قَلِيلًا فَلِذَلِكَ أَمَرْنَا بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنْهَا وَالْغَائِبِ جَمَلَةً وَالتَّوَجُّهِ إِلَى مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ  
 كُلِّهَا وَقَاعِلِهَا وَمُوجِدِهَا لِتَرْسُخِ صِفَةِ التَّوْحِيدِ فِي النَّفْسِ عَلَى مَا عَلَّمْنَا الشَّارِعَ الَّذِي هُوَ  
 أَعْرَفُ بِمَصَالِحِ دِينِنَا وَطُرُقِ سَعَادَتِنَا لِاطِّلَاعِهِ عَلَى مَا وَرَاءَ الْحَسِّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَإِنْ وَقَفَ عِنْدَ تِلْكَ الْأَسْبَابِ  
 فَقَدْ انْقَطَعَ وَحَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْكُفْرِ وَأَنْ سَجَّ فِي بَحْرِ النَّظَرِ وَابْتَحَثَ عَنْهَا وَعَنْ  
 أَسْبَابِهَا وَتَأْثِيرَاتِهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ قَاتْنَا الضَّامِنُ لَهُ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَّا بِالْخَبِيَةِ فَلِذَلِكَ  
 نَهَانَا الشَّارِعَ عَنِ النَّظَرِ فِي الْأَسْبَابِ وَأَمَرْنَا بِالتَّوْحِيدِ الْمَطْلُوقِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ  
 الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ وَلَا نَتَقِنَنَّ بِمَا يَزْعُمُ لَكَ الذِّكْرُ مِنْ  
 أَنَّهُ مُقْتَدِرٌ عَلَى الْأَحَاطَةِ بِالْكَائِنَاتِ وَأَسْبَابِهَا وَالْوُقُوفِ عَلَى تَفْصِيلِ الْوُجُودِ كُلِّهِ وَسَفَهِ  
 رَأْيِهِ فِي ذَلِكَ وَعَلِمْنَا أَنَّ الْوُجُودَ عِنْدَ كُلِّ مُدْرِكٍ فِي بَادِيءِ رَأْيِهِ مُتَخَصِّرٌ فِي مَدَارِكِهِ  
 لَا يَعْدُوهَا وَالْأَمْرُ فِي نَفْسِهِ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَالْحَقُّ مِنْ وَرَائِهِ أَلَّا تَرَى الْأَصَمَّ كَيْفَ  
 يَتَخَصَّرُ الْوُجُودَ عِنْدَهُ فِي الْحَسُوسَاتِ الْأَرْبَعِ وَالْمَعْقُولَاتِ وَيَسْقُطُ مِنَ الْوُجُودِ عِنْدَهُ  
 صِنْفُ الْمَسْمُوعَاتِ وَكَذَلِكَ الْأَعْمَى أَيْضًا يَسْقُطُ عِنْدَهُ صِنْفُ الْمَرْتَبَاتِ وَوَلَوْلَا مَا يَرُدُّهُمْ  
 إِلَى ذَلِكَ تَقْلِيدُ الْأَبَاءِ وَالْمَشِيخَةِ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِمْ وَالْكَافَّةِ لَمَا أَقْرَبُوا بِهِ لِكِنِّهِمْ  
 يَتَّبِعُونَ الْكَافَّةَ فِي اثْبَاتِ هَذِهِ الْأَصْنَافِ لَا بِمُقْتَضَى فِطْرَتِهِمْ وَطَبِيعَةِ إِدْرَاكِهِمْ وَلَوْ  
 سُئِلَ الْحَيَوَانُ الْأَعْمَجُ وَنَطَقَ لَوَجَدْنَاهُ مُنْكَرًا لِلْمَعْقُولَاتِ وَسَاقِطَةً لَدَيْهِ بِالْكَائِنَةِ  
 فَإِذَا عَلِمَتْ هَذَا فَعَلَّ هُنَاكَ ضَرْبًا مِنَ الْإِدْرَاكِ عَيْرِ مُدْرَاكِتِنَا لِأَنَّ إِدْرَاكَتِنَا مَخْلُوقَةٌ

مُخَدَّثَةٌ وَخَلَقَ اللهُ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَالْحَصْرُ مُجْهُولٌ وَالْوُجُودُ أَوْسَعُ نِطَاقًا مِنْ  
 ذَلِكَ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ فَأَتَيْتُمْ إِدْرَاكَكَ وَمُدْرَكَاتِكَ فِي الْحَصْرِ وَأَتْبَعُ مَا أَمَرَكَ  
 الشَّارِعُ بِهِ مِنْ اعْتِقَادِكَ وَعَمَلِكَ فَهُوَ أَحْرَصُ عَلَى سَعَادَتِكَ وَأَعْلَمُ بِمَا يَنْفَعُكَ لِأَنَّهُ مِنْ  
 طَوْرٍ فَوْقَ إِدْرَاكَكَ وَمِنْ نِطَاقٍ أَوْسَعٍ مِنْ نِطَاقِ عَقْلِكَ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِي الْعَقْلِ  
 وَمُدَارِكِهِ بَلِ الْعَقْلُ مِيزَانٌ صَحِيحٌ فَأَحْكَمُهُ بِقِيَّتِهِ لَا كَذِبَ فِيهَا غَيْرَ أَنَّكَ لَا تَطْمَعُ  
 أَنْ تَزِنَ بِهِ أُمُورَ التَّوْحِيدِ وَالْآخِرَةِ وَحَقِيقَةَ النُّبُوَّةِ وَحَقَائِقَ الصِّفَاتِ الإِلَهِيَّةِ وَكُلَّ مَا  
 وَرَاءَ طَوْرِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ طَمَعٌ فِي مَحَالٍ وَمِثَالُ ذَلِكَ مِثَالُ رَجُلٍ رَأَى الْمِيزَانَ الَّذِي يُوزَنُ  
 بِهِ الذَّهَبَ فَطَمَعُ أَنْ يَزِنَ بِهِ الْجِبَالَ وَهَذَا لَا يُدْرِكُ عَلَى أَنَّ الْمِيزَانَ فِي أَحْكَمِهِ غَيْرُ  
 صَادِقٍ لَكِنَّ الْعَقْلَ قَدْ يَقِفُ عِنْدَهُ وَلَا يَتَعَدَّى طَوْرَهُ حَتَّى يَكُونَ لَهُ أَنْ يُحِيطَ بِاللَّهِ  
 وَبِصِفَاتِهِ فَإِنَّهُ ذَرَّةٌ مِنْ ذَرَاتِ الْوُجُودِ الْحَاصِلِ مِنْهُ وَتَنْظُرُ فِي هَذَا الْغَلَطِ وَمَنْ يَقْدِمُ  
 الْعَقْلَ عَلَى السَّمْعِ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْقَضَايَا وَفُضِّصَ فِيهَا وَاضْجَلَّالَ رَأْيِهِ فَقَدْ تَبَيَّنَ  
 لَكَ الْحَقُّ مِنْ ذَلِكَ وَإِذْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ فَعَلَّ الْأَسْبَابَ إِذَا تَجَاوَزْتَ فِي الْأَرْتِقَاءِ نِطَاقَ إِدْرَاكَكَ  
 وَوُجُودًا خَرَجْتَ عَنْ أَنْ تَكُونَ مُدْرِكَةً فَيُضِلُّ الْعَقْلُ فِي بَيْدَاءِ الْأَوْهَامِ وَيَحَارُ وَيَنْقَطِعُ  
 فَإِذَا التَّوْحِيدُ أَوْ الْعَجْزُ عَنْ إِدْرَاكِ الْأَسْبَابِ وَكَيْفِيَّاتِ تَأْثِيرِهَا وَتَفْوِضُ ذَلِكَ إِلَى  
 خَالِقِهَا الْمُحِيطِ بِهَا إِذْ لَا فَاعِلَ غَيْرَهُ وَكُلُّهَا تَرْتَقِي إِلَيْهِ وَتَرْجِعُ إِلَى قُدْرَتِهِ وَعِلْمَانَا بِهِ إِنَّمَا  
 هُوَ مِنْ حَيْثُ صُدُورُنَا عَنْهُ وَهَذَا مَعْنَى مَا نَقَلَ عَنْ بَعْضِ الصِّدِّيقِينَ الْعَجْزُ عَنِ الْإِدْرَاكِ  
 إِدْرَاكَكَ ثُمَّ إِنَّ الْمَعْتَبَرَ فِي هَذَا التَّوْحِيدِ لَيْسَ هُوَ الْإِيمَانُ فَقَطُّ الَّذِي هُوَ تَصْدِيقٌ  
 حُكْمِي فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَإِنَّمَا الْكَمَالُ فِيهِ حُصُولُ صِفَةٍ مِنْهُ تَنْكِيْفُ  
 بِهَا النَّفْسِ كَمَا أَنَّ الْمَطْلُوبَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْعِبَادَاتِ أَيْضًا حُصُولُ مَلَكََةِ الطَّاعَةِ  
 وَالْإِنْقِيَادِ وَتَفْرِيعُ الْقَلْبِ عَنْ شَوَاغِلِ مَا سِوَى الْمَعْبُودِ حَتَّى يَتَقَلَّبَ الْمُرِيدُ السَّالِكُ  
 رَبَّانِيًّا وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْحَالِ وَالْعِلْمِ فِي الْعَقَائِدِ فَرْقٌ مَا بَيْنَ الْقَوْلِ وَالْإِتِّصَافِ وَشَرْحُهُ أَنَّ  
 كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَعْلَمُ أَنَّ رَحْمَةَ الْيَتِيمِ وَالْمَسْكِينِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا  
 وَيَقُولُ بِذَلِكَ وَيَعْتَرِفُ بِهِ وَيَذْكُرُ مَا خَذَهُ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَهُوَ لَوْ رَأَى يَتِيمًا أَوْ  
 مَسْكِينًا مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ لَفَرَّ عَنْهُ وَأَسْتَنْكَفَ أَنْ يَبَاشِرَهُ فَضْلًا عَنِ التَّمَسُّحِ  
 عَلَيْهِ لِلرَّحْمَةِ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ مَقَامَاتِ الْعَطْفِ وَالْحَنُونِ وَالصَّدَقَةِ فَهَذَا إِنَّمَا حَصَلَ لَهُ

مِنْ رَحْمَةِ الْيَتِيمِ مَقَامَ الْعِلْمِ وَلَمْ يَحْضُرْ لَهُ مَقَامُ الْحَالِ وَالْإِتِّصَافِ وَمِنْ النَّاسِ مَنْ  
 يَحْضُرُ لَهُ مَعَ مَقَامِ الْعِلْمِ وَالْإِعْتِرَافِ بِأَنَّ رَحْمَةَ الْمُسْكِينِ قُرْبَةٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى  
 مَقَامٌ آخَرَ أَعْلَى مِنَ الْأَوَّلِ وَهُوَ الْإِتِّصَافُ بِالرَّحْمَةِ وَحُضُورُ مَلَكَتِهَا فَمَتَى رَأَى يَتِيمًا  
 أَوْ مُسْكِينًا بَادَرَ إِلَيْهِ وَمَسَّحَ عَلَيْهِ وَالتَّمَسَّ التَّوَابَ فِي الشَّنَقَةِ عَلَيْهِ لَا يَكَادُ يَصْبِرُ عَنْ  
 ذَلِكَ وَلَوْ دَفَعَهُ عَنْهُ ثُمَّ يَتَصَدَّقُ عَلَيْهِ بِمَا حَضَرَهُ مِنْ ذَاتِ يَدِهِ وَكَذَا عَلِمَكَ بِالتَّوْحِيدِ مَعَ  
 اتِّصَافِكَ بِهِ وَالْعِلْمُ حَاصِلٌ عَنِ الْإِتِّصَافِ ضَرُورَةً وَهُوَ أَوْثَقُ مَبْنَى مِنَ الْعِلْمِ الْحَاصِلِ  
 قَبْلَ الْإِتِّصَافِ وَلَيْسَ الْإِتِّصَافُ بِحَاصِلٍ عَنِ مُجَرَّدِ الْعِلْمِ حَتَّى يَقَعَ الْعَمَلُ وَيَتَكَرَّرَ  
 مِرَارًا غَيْرَ مُنْخَصَرَةٍ فَيَرْبُخَ الْمَلَائِكَةُ وَيَحْضُرَ الْإِتِّصَافُ وَالتَّحْقِيقُ وَيَجِيءُ الْعِلْمُ الثَّانِي  
 النَّافِعُ فِي الْآخِرَةِ فَإِنَّ الْعِلْمَ الْأَوَّلَ الْمَجْرَدَ عَنِ الْإِتِّصَافِ قَلِيلُ الْجَدْوَى وَالتَّنْفَعُ وَهَذَا  
 عِلْمٌ أَكْثَرُ النَّظَارِ وَالْمَطْلُوبُ إِنَّمَا هُوَ الْعِلْمُ الْحَالِي النَّاشِئُ عَنِ الْعَادَةِ . وَأَعْلَمُ أَنَّ  
 الْكَمَالَ عِنْدَ الشَّارِعِ فِي كُلِّ مَا كَلَّفَ بِهِ إِنَّمَا هُوَ فِي هَذَا فَمَا طَلِبَ اعْتِقَادُهُ  
 فَالْكَمَالَ فِيهِ فِي الْعِلْمِ الثَّانِي الْحَاصِلِ عَنِ الْإِتِّصَافِ وَمَا طَلِبَ عَمَلُهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ  
 فَالْكَمَالَ فِيهَا فِي حُضُورِ الْإِتِّصَافِ وَالتَّحْقِيقِ بِهَا ثُمَّ إِنَّ الْأَقْبَالَ عَلَى الْعِبَادَاتِ وَالتَّوَابِطِ  
 عَلَيْهَا هُوَ الْحَاصِلُ لِهَذِهِ التَّمَرَّةِ الشَّرِيفَةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَأْسِ الْعِبَادَاتِ  
 جَعَلْتُ فِرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ الصَّلَاةَ صَارَتْ لَهُ صِفَةً وَحَالًا يَجِدُ فِيهَا مُنْتَهَى لِدَاتِهِ  
 وَفِرَّةَ عَيْنِهِ وَإِنَّ هَذَا مِنْ صَلَاةِ النَّاسِ وَمَنْ لَهْمُ بِهَا فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ  
 سَاهُونَ اللَّهُمَّ وَفَقِنَا وَاهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ  
 عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكَ مِنْ جَمِيعِ مَا قَرَّرْنَاهُ أَنَّ الْمَطْلُوبَ فِي التَّكْلِيفِ  
 كُلِّهَا حُضُورُ مَلَائِكَةِ رَاسِخَةٍ فِي النَّسْ يَحْضُرُ عَنْهَا عِلْمٌ أَضْطِرَّارِيٌّ لِلنَّسِ هُوَ التَّوْحِيدُ  
 وَهُوَ الْعَقِيدَةُ الْإِيمَانِيَّةُ وَهُوَ الَّذِي يَحْضُرُ بِهِ السَّعَادَةُ وَأَنَّ ذَلِكَ سَوَاءٌ فِي التَّكْلِيفِ  
 الْقَلْبِيِّ وَالْبَدَنِيِّ وَيَتَفَهَّمُ مِنْهُ أَنَّ الْإِيمَانَ الَّذِي هُوَ أَصْلُ التَّكْلِيفِ وَيَنْبُوعُهَا هُوَ بِهَيْدِهِ  
 الْمَتَابَةِ ذُو مَرَاتِبٍ أَوَّلُهَا التَّصْدِيقُ الْقَلْبِيُّ الْمُوَافِقُ لِلسَّانِ وَأَعْلَاهَا حُضُورُ كَيْفِيَّةٍ مِنْ  
 ذَلِكَ الْإِعْتِقَادِ الْقَلْبِيِّ وَمَا يَتَّبِعُهُ مِنَ الْعَمَلِ مُسْتَوْلِيَةً عَلَى الْقَلْبِ فَيَسْتَتَبِعُ الْجَوَارِحَ  
 وَتَتَدَرَجُ فِي طَاعَتِهَا جَمِيعُ التَّصَرُّفَاتِ حَتَّى تَنْخَرِطَ الْأَفْعَالُ كُلُّهَا فِي طَاعَةِ ذَلِكَ التَّصْدِيقِ  
 الْإِيمَانِيِّ وَهَذَا أَرْفَعُ مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ وَهُوَ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ الَّذِي لَا يَقَارِفُ الدُّوْمُنُ

مَعَهُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِذْ حُصِلَ الْمَلَائِكَةُ وَرُسُوحُهَا مَانِعٌ مِنَ الْإِنْخِرَافِ عَنْ مَنَاجِيهِ  
 طَرَفَةَ عَيْنٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَزِيحُنِي الزَّلَازِيُّ حِينَ يَزِيحُنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَفِي حَدِيثِ  
 هِرَقْلَ لَمَّا سَأَلَ أَبَا سَفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَحْوَالِهِ فَقَالَ فِي  
 أَصْحَابِهِ هَلْ يَزِيدُ أَحَدٌ مِنْهُمْ سُخْطَةً لِدِينِهِ قَالَ لَا أَقَالَ وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تَخْلُطُ  
 بِشَاسْتِهِ الْقُلُوبَ وَمَعْنَاهُ أَنَّ مَلَائِكَةَ الْإِيمَانِ إِذَا اسْتَقَرَّتْ عَسْرٌ عَلَى النَّفْسِ مَخَالَفَتَهَا شَأْنَ  
 الْمَلَائِكَةِ إِذَا اسْتَقَرَّتْ فَإِنَّهَا تَحْصُلُ بِمِثَابَةِ الْجِبِلَّةِ وَالْفِطْرَةِ وَهَذِهِ هِيَ الْمَرْتَبَةُ الْعَالِيَةُ  
 مِنَ الْإِيمَانِ وَهِيَ فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْعِصْمَةِ لِأَنَّ الْعِصْمَةَ وَاجِبَةٌ لِلْأَنْبِيَاءِ وَجُوبًا  
 سَابِقًا وَهَذِهِ حَاصِلَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ حُصُولًا تَابِعًا لِأَعْمَالِهِمْ وَتَصْدِيقِهِمْ وَهَذِهِ الْمَلَائِكَةُ  
 وَرُسُوحُهَا يَقَعُ التَّفَاوُتُ فِي الْإِيمَانِ كَالَّذِي يُتَلَى عَلَيْكَ مِنْ أَقَابِلِ السَّلْفِ وَفِي تَرَاجِمِ  
 الْبُخَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَابِ الْإِيمَانِ كَثِيرٌ مِنْهُ مِثْلُ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَيَزِيدُ  
 وَيَنْقُصُ وَأَنَّ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَنَّ تَطَوُّعَ رَمَضَانَ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْحَيَاءَ مِنَ  
 الْإِيمَانِ وَالْمُرَادُ بِهَذَا كُلِّهِ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ الَّذِي أَشْرَفْنَا إِلَيْهِ وَإِلَى مَلَائِكَتِهِ وَهُوَ  
 فِعْلِيٌّ وَأَمَّا التَّصْدِيقُ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ مَرَاتِبِهِ فَلَا تَفَاوُتَ فِيهِ فَمَنْ أَعْتَبَرَ أَوَائِلَ الْأَسْمَاءِ  
 وَحَمَلَهُ عَلَى التَّصْدِيقِ مُنِعَ مِنَ التَّفَاوُتِ كَمَا قَالَ أئِمَّةُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَمَنْ أَعْتَبَرَ أَوَاخِرَ  
 الْأَسْمَاءِ وَحَمَلَهُ عَلَى هَذِهِ الْمَلَائِكَةِ الَّتِي هِيَ الْإِيمَانُ الْكَامِلُ ظَهَرَ لَهُ التَّفَاوُتُ وَلَيْسَ  
 ذَلِكَ بِقَادِحٍ فِي اتِّخَاذِ حَقِيقَتِهِ الْأُولَى الَّتِي هِيَ التَّصْدِيقُ إِذِ التَّصْدِيقُ مَوْجُودٌ فِي جَمِيعِ  
 رُتَبِهِ لِأَنَّهُ أَقَلُّ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْإِيمَانِ وَهُوَ الْخُلُصُ مِنْ عَهْدَةِ الْكُفْرِ وَالْفَيْصَلُ  
 بَيْنَ الْكَافِرِ وَالْمُسْلِمِ فَلَا يَجْزِي أَقَلُّ مِنْهُ وَهُوَ فِي نَفْسِهِ حَقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ لَا تَفَاوُتَ وَإِنَّمَا  
 التَّفَاوُتُ فِي الْحَالِ الْحَاصِلَةِ عَنِ الْأَعْمَالِ كَمَا قُلْنَا هُ فَاذْفَهْمُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الشَّارِعَ وَصَفَ  
 لَنَا هَذَا الْإِيمَانَ الَّذِي فِي الْمَرْتَبَةِ الْأُولَى الَّذِي هُوَ تَصْدِيقٌ وَعَيْنٌ أُمُورًا مَخْصُوصَةً  
 كَلَّفْنَا التَّصْدِيقَ بِهَا بِقُلُوبِنَا وَأَعْتَقَادَهَا فِي أَنْفُسِنَا مَعَ الْأَفْرَارِ بِالْسِّنِّنَا وَهِيَ الْعَقَائِدُ الَّتِي  
 تَفَرَّقَتْ فِي الدِّينِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سُئِلَ عَنِ الْإِيمَانِ فَقَالَ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ  
 وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَهَذِهِ هِيَ الْعَقَائِدُ  
 الْإِيمَانِيَّةُ الْمَقْرَرَةُ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ . وَلِنُشِرَ إِلَيْهَا مُجْمَلَةً لِنَتَبَّنَ لَكَ حَقِيقَةَ هَذَا الْفَنِّ  
 وَكَيْفِيَّةَ حُدُوثِهِ فَتَقُولُ . اَعْلَمُ أَنَّ الشَّارِعَ لَمَّا أَمَرَنَا بِالْإِيمَانِ بِهَذَا الْخَالِقِ الَّذِي رَدَّ

الْأَفْعَالُ كُلُّهَا إِلَيْهِ وَأَفْرَدَهُ بِهِ كَمَا قَدَمْنَاهُ وَعَرَفْنَا أَنَّ فِي هَذَا الْإِيمَانِ نَجَاتَنَا عِنْدَ الْمَوْتِ  
 إِذَا حُضِرْنَا لَمْ يُعْرَفْنَا بِكُنْهِ حَقِيقَةِ هَذَا الْخَالِقِ الْمَعْبُودِ وَهُوَ إِذْ ذَاكَ مُعْتَدِرٌ عَلَى إِدْرَاكِهَا  
 وَمِنْ فَوْقِ طُورِنَا فَكَلَفْنَا أَوْلَا أَعْتِقَادَ تَنْزِيهِهِ فِي ذَاتِهِ عَنِ مُشَابَهَةِ الْخُلُقِيِّينَ وَإِلَّا  
 لِمَا صَحَّ أَنَّهُ خَالِقٌ لَهُمْ لِعَدَمِ الْفَارِقِ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ ثُمَّ تَنْزِيهِهِ عَنِ صِفَاتِ النَّقْصِ  
 وَإِلَّا لَشَابَهَةِ الْخُلُقِيِّينَ ثُمَّ تَوْحِيدِهِ بِالْإِتِّحَادِ وَالْأَلْمِ يَتِمُّ الْخُلُقِيُّ لِلتَّمَانَعِ ثُمَّ أَعْتِقَادُ أَنَّهُ  
 عَالِمٌ قَادِرٌ فَبِذَلِكَ نَتِمُّ الْأَفْعَالُ شَاهِدٌ قَضِيَّتِهِ لِكِمَالِ الْإِتِّحَادِ وَالْخُلُقِيُّ وَمُرِيدٌ وَالْأَلْمُ  
 يَخْصُصُ شَيْئًا مِنَ الْخُلُقِيَّاتِ وَمُقَدَّرٌ لِكُلِّ كَائِنٍ وَإِلَّا فَالْإِرَادَةُ حَادِثَةٌ وَأَنَّهُ يُعِيدُنَا  
 بَعْدَ الْمَوْتِ تَكْمِيلًا لِعُنَايَتِهِ بِالْإِبْجَادِ وَلَوْ كَانَ لِأَمْرٍ فَإِنْ كَانَ عَشَاءً فَهُوَ لِلِقَاءِ السَّرْمَدِيِّ  
 بَعْدَ الْمَوْتِ ثُمَّ أَعْتِقَادُ بَعْثَةِ الرُّسُلِ لِلنَّجَاةِ مِنَ شِقَاءِ هَذَا الْمَعَادِ لِأَخْتِلَافِ أَحْوَالِهِ  
 بِالشَّقَاءِ وَالسَّعَادَةِ وَعَدَمِ مَعْرِفَتِنَا بِذَلِكَ وَتَمَامِ لُطْفِهِ بِنَا فِي الْإِتْيَاءِ بِذَلِكَ وَيَبَيِّنُ  
 الطَّرِيقِينَ وَأَنَّ الْجَنَّةَ لِلنَّعِيمِ وَجَهَنَّمَ لِلْعَذَابِ هَذِهِ أَمَهَاتُ الْعُقَايِدِ الْإِيمَانِيَّةِ مُعَلَّمةٌ بِأَدَلَّتِهَا  
 الْعُقَايِدُ وَأَدَلَّتِهَا مِنَ الْكُتُبِ وَالسُّنَنِ كَثِيرٌ وَعَنْ تِلْكَ الْأَدَلَّةِ أَخَذَهَا السَّلْفُ وَأَرشَدَ  
 إِلَيْهَا الْعُلَمَاءُ وَحَقَّقَهَا الْأَنْمَةُ إِلَّا أَنَّهُ عَرَضَ بَعْدَ ذَلِكَ خِلَافٌ فِي تَفْصِيلِ هَذِهِ الْعُقَايِدِ  
 أَكْثَرَ مَثَارَهَا مِنَ الْآيِ الْمُشَابَهَةِ فَدَعَا ذَلِكَ إِلَى الْحِصَامِ وَالنَّاطِرِ وَالْأَسْتِدْلَالِ  
 بِالْعَقْلِ وَزِيَادَةِ إِلَى الْقَلْبِ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ عِلْمُ الْكَلَامِ وَلِنُبَيِّنَ لَكَ تَفْصِيلَ هَذَا الْمُجْمَلِ  
 وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ وَرَدَّ فِيهِ وَصَفُ الْمَعْبُودِ بِالتَّنْزِيهِ الْمَطْلُوقِ الظَّاهِرِ الدَّلَالَةِ مِنْ غَيْرِ  
 تَأْوِيلٍ فِي آيٍ كَثِيرَةٍ وَهِيَ سُلُوبٌ كُلُّهَا وَصَرِيحَةٌ فِي بَابِهَا فَوَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا وَوَقَعَ فِي  
 كَلَامِ الشَّارِعِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَكَلَامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ تَفْسِيرُهَا عَلَى ظَاهِرِهَا ثُمَّ  
 وَرَدَتْ فِي الْقُرْآنِ آيٌ أُخْرَى قَلِيلَةٌ تُوهِمُ التَّشْبِيهَ وَقَضُوا بِأَنَّ الْآيَاتِ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ  
 فَامْنُوا بِهَا وَلَمْ يَتَعَرَّضُوا لِمَعْنَاهَا بِيَحْتِ وَلَا تَأْوِيلَ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ أَقْرَأُوهَا  
 كَمَا جَاءَتْ أَيُّ آمَنُوا بِأَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَلَا تَتَعَرَّضُوا لِتَأْوِيلِهَا وَلَا تَفْسِيرِهَا لِحُجُوزِ أَنْ  
 تَكُونَ أَبْتِلَاءً فَيَجِبُ الْوَقْفُ وَالْإِدْعَانُ لَهُ وَشَدَّ لِعَصْرِهِمْ مُبْتَدَعَةٌ اتَّبَعُوا مَا تَشَابَهَ مِنْ  
 الْآيَاتِ وَتَوَعَّلُوا فِي التَّشْبِيهِ فَمَرِيقٌ أَشْبَهُوا فِي الذَّاتِ بِأَعْتِقَادِ الْيَدِ وَالْقَدَمِ وَالْوَجْهِ عَمَلًا  
 بِظَوَاهِرِ وَرَدَتْ بِذَلِكَ فَوَعَّلُوا فِي التَّجْسِيمِ الصَّرِيحِ وَمُخَالَفَةِ آيِ التَّنْزِيهِ الْمَطْلُوقِ الَّتِي  
 هِيَ أَكْثَرُ مَوَارِدِ وَأَوْضَحُ دَلَالَةٍ لِأَنَّ مَعْقُولِيَّةَ الْجِسْمِ تَقْتَضِي النَّقْصَ وَالْإِفْتِقَارَ وَتَغْلِبُ

آيَاتِ السُّلُوبِ فِي التَّنْزِيهِ الْمَطْلُوقِ الَّتِي هِيَ أَكْثَرُ مَوَارِدِ وَأَوْضَحُ دَلَالَةٍ أَوْلَى مِنْ  
 التَّعَلُّقِ بِظَوَاهِرِ هَذِهِ الَّتِي لَمَّا عَنَّا غَنِيَةٌ وَجَمَعَ بَيْنَ الدَّلِيلَيْنِ بَتَأْوِيلِهِمْ ثُمَّ يَفْرُونَ مِنْ شَتَاةِ  
 ذَلِكَ يَقُولُهُمْ جِسْمٌ لَا كَالْأَجْسَامِ وَلَيْسَ ذَلِكَ بِدَفَاعٍ عَنْهُمْ لِأَنَّهُ قَوْلٌ مُتَنَاقِضٌ وَجَمَعَ  
 بَيْنَ نَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ إِنْ كَانَ بِالْمَعْقُولِيَّةِ وَاحِدَةً مِنَ الْجِسْمِ وَإِنْ خَالَفُوا بَيْنَهُمَا وَقَفُوا  
 الْمَعْقُولِيَّةَ الْمُتَعَارِفَةَ فَقَدَّ وَاقِفُونَا فِي التَّنْزِيهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا جَعْلُهُمْ لِنَظِّ الْجِسْمِ أَسْمَاءً مِنْ  
 أَسْمَائِهِ وَبِتَوْقُفٍ مِثْلَهُ عَلَى الْأُذُنِ وَفَرِيقٌ مِنْهُمْ ذَهَبُوا إِلَى التَّشْبِيهِ فِي الصِّنَاتِ كَمَا ثَبَتَ  
 الْجِهَةَ وَالِاسْتِوَاءَ وَالنُّزُولَ وَالصَّوْتِ وَالْحَرْفِ وَأَمثالِ ذَلِكَ وَالْقَوْلُهُمْ إِلَى التَّجْسِيمِ  
 فَتَزَعُوا مِثْلَ الْأَوَّلِينَ إِلَى قَوْلِهِمْ صَوْتٌ لَا كَالصَّوْتِ جِهَةٌ لَا كَالجِهَاتِ نُزُولٌ لَا  
 كَالنُّزُولِ يَعْنُونَ مِنَ الْأَجْسَامِ وَأَنْدَفَعُوا ذَلِكَ بِمَا أَنْدَفَعُوا بِهِ الْأَوَّلُ وَلَمْ يَبْقَ فِي هَذِهِ الظُّوَاهِرِ  
 إِلَّا اعْتِقَادَاتُ السَّلَفِ وَمَذَاهِبُهُمْ وَالْإِيمَانُ بِهَا كَمَا هِيَ إِثْمَالًا يَكْفُرُ النَّفْيُ ذَلِي مَعَانِيهَا بِنَفْيِهَا  
 مَعَ أَنَّهَا صَحِيحَةٌ ثَابِتَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ وَلِهَذَا تَنْظُرُ مَا تَرَاهُ فِي عَقِيدَةِ الرَّسَالَةِ لِأَبْنِ أَبِي زَيْدٍ  
 وَكِتَابِ الْمُخْتَصِرِ لَهُ وَفِي كِتَابِ الْحَافِظِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّهُمْ يُحَوْمُونَ ذَلِي هَذَا  
 الْمَعْنَى وَلَا تَعْنُضُ عَيْنُكَ عَنِ الْقُرْآنِ الدَّلَالَةَ عَلَى ذَلِكَ فِي غُضُونِ كَلَامِهِمْ ثُمَّ لَمَّا  
 كَثُرَتِ الْعُلُومُ وَالصَّنَائِعُ وَوَلِعَ النَّاسُ بِالْبُدُودِ وَالتَّبَحُّثِ فِي سَائِرِ الْأَنْحَاءِ وَالْفِ  
 الْمْتَكَلِمُونَ فِي التَّنْزِيهِ حَدَّثَتْ بِدَعَاةِ الْمُعْتَزَلَةِ فِي تَعْمِيمِ هَذَا التَّنْزِيهِ فِي آيِ السُّلُوبِ  
 فَقَضُوا بِنَفْيِ صِفَاتِ الْمَعَانِي مِنَ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ وَالْحَيَاةِ زَائِدَةً عَلَى أَحْكَامِهَا  
 لِمَا يَلْزَمُ عَلَى ذَلِكَ مِنْ تَعَدُّدِ الْقَدِيمِ بِزَعْمِهِمْ وَهُوَ مُرْدُودٌ بِأَنَّ الصِّنَاتِ لَيْسَتْ عَيْنَ الذَّاتِ  
 وَلَا غَيْرَهَا وَقَضُوا بِنَفْيِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِكُونِهِمَا مِنْ عَوَارِضِ الْأَجْسَامِ وَهُوَ مُرْدُودٌ  
 لِعَدَمِ اشْتِرَاطِ الْبَيِّنَةِ فِي مَدْلُولِ هَذَا اللَّفْظِ وَإِنَّمَا هُوَ إِدْرَاكُ الْمَسْمُوعِ أَوْ الْمَبْصَرِ  
 وَقَضُوا بِنَفْيِ الْكَلَامِ لِشَبْهِ مَا فِي السَّمْعِ وَالْبَصَرِ وَلَمْ يَعْقِلُوا صِفَةَ الْكَلَامِ الَّتِي تَقُومُ  
 بِالنَّفْسِ فَقَضُوا بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ بِدَعَاةِ صَرَحِ السَّلَفِ بِخِلَافِهَا وَعَظَمَ ضَرْرُ ذَلِكَ الْبِدْعَةَ  
 وَلَقَنَهَا بَعْضُ الْخُلَفَاءِ عَنْ أُمَّتِهِمْ تَحْمِلَ النَّاسَ عَلَيْهَا وَخَالَفَهُمْ أُمَّةُ السَّلَفِ فَأَسْتَحَلَّ  
 لِخِلَافِهِمْ إِسْرَافُ كَثِيرٍ مِنْهُمْ وَدِمَاؤُهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِانْتِهَاضِ أَهْلِ السُّنَّةِ بِالْأَدَلَّةِ  
 الْعَتَلِيَّةِ عَلَى هَذِهِ الْعُقَايِدِ دَفْعًا فِي صُدُورِ هَذِهِ الْبِدْعِ وَقَامَ بِذَلِكَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ  
 الْأَشْعَرِيُّ إِمَامُ الْمُتَكَلِّمِينَ فَتَوَسَّطَ بَيْنَ الطَّرِيقِ وَنَفَى التَّشْبِيهِ وَاثْبَتَ الصِّنَاتِ

الْمَعْنَوِيَّةُ وَقَصَرَ التَّنْزِيهَ عَلَى مَا قَصَرَهُ عَلَيْهِ السَّلَفُ وَشَهِدَتْ لَهُ الْأَدَلَّةُ الْخُصَّصَةُ لِعُمُومِهِ  
 فَأَثَبَتِ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعُ الْمَعْنَوِيَّةَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْكَلَامَ الْقَائِمَ بِالنَّفْسِ بِطَرِيقِ  
 التَّقْلِيدِ وَالْعَقْلِ وَرَدَّ عَلَى الْمُبْتَدِعَةِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ وَتَكَلَّمَ مَعَهُمْ فِيمَا مَهْدُوهُ لِهَيْدِهِ الْبِدْعِ  
 مِنْ الْقَوْلِ بِالصَّلَاحِ وَالْإِصْلَاحِ وَالتَّحْسِينِ وَالتَّقْضِيحِ وَكَمَّلَ الْعُقَايِدَ فِي الْبُعْثَةِ وَأَحْوَالِ  
 الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالتَّوَابِ وَالْعِقَابِ وَالْحَقُّ بِذَلِكَ الْكَلَامِ فِي الْأِمَامَةِ لِمَا ظَهَرَ حِينَئِذٍ  
 مِنْ بَدْعَةِ الْأِمَامِيَّةِ مِنْ قَوْلِهِمْ إِنَّهَا مِنْ عُقَايِدِ الْإِيمَانِ وَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى النَّبِيِّ تَعْيِينُهَا  
 وَأَخْرُوجَ عَنِ الْعَهْدَةِ فِي ذَلِكَ لِمَنْ هِيَ لَهُ وَكَذَلِكَ عَلَى الْأُمَّةِ وَفَضَارَى أَمْرِ الْأِمَامَةِ  
 أَنَّهَا قِضِيَّةٌ مُصَلِّحَةٌ إِجْمَاعِيَّةٌ وَلَا تُلْحَقُ بِالْعُقَايِدِ فَلِذَلِكَ أَحَقُّوْهَا بِمَسَائِلِ هَذَا الْفَنِّ وَسَمَّوْا  
 مَجْمُوعَةَ عِلْمِ الْكَلَامِ إِمَامًا لِمَا فِيهِ مِنَ الْمُنَاطَرَةِ عَلَى الْبِدْعِ وَهِيَ كَلَامٌ صِرْفٌ وَلَيْسَتْ  
 بِرَاجِعَةٍ إِلَى عَمَلٍ وَإِمَامًا لِأَنَّ سَبَبَ وَضْعِهِ وَأَخْوُصَ فِيهِ هُوَ تَنَازُعُهُمْ فِي اثْبَاتِ الْكَلَامِ  
 النَّفْسِيِّ وَكَثُرَ أَتْبَاعُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَأَقْتَفَى طَرِيقَتَهُ مِنْ بَعْدِهِ تَلْمِيذُهُ  
 كَأَبْنِ مِجَازٍ وَغَيْرِهِ وَأَخَذَ عَنْهُمْ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِيُّ فَتَصَدَّرَ لِلْإِمَامَةِ فِي طَرِيقَتِهِمْ  
 وَهَدَّيَهَا وَوَضَعَ الْمَقْدِمَاتِ الْعَقْلِيَّةَ الَّتِي تُتَوَقَّفُ عَلَيْهَا الْأَدَلَّةُ وَالْإِنْتَظَارُ وَذَلِكَ مِثْلُ اثْبَاتِ  
 الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ وَالْخِلَاءِ وَأَنَّ الْعَرَضَ لَا يَقُومُ بِالْعَرَضِ وَأَنَّهُ لَا يَبْقَى زَمَانَيْنِ وَأَمْثَالُ  
 ذَلِكَ مِمَّا تُتَوَقَّفُ عَلَيْهِ أَدْلَتُهُمْ وَجَعَلَ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ تَبَعًا لِلْعُقَايِدِ الْإِيمَانِيَّةِ فِي وُجُوبِ  
 اعْتِقَادِهَا لِتَوَقَّفِ تِلْكَ الْأَدَلَّةِ عَلَيْهَا وَأَنَّ بَطْلَانَ الدَّلِيلِ يُؤْذَنُ بِبَطْلَانِ الْمَدْلُولِ  
 وَجَمَلَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ وَجَاءَتْ مِنْ أَحْسَنِ الْفُنُونِ النَّظَرِيَّةِ وَالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ إِلَّا أَنَّ  
 صُورَ الْأَدَلَّةِ تُعْتَبَرُ بِهَا الْأَفِيسَةُ وَلَمْ تَكُنْ حِينَئِذٍ ظَاهِرَةً فِي الْمِلَّةِ وَلَوْ ظَهَرَ مِنْهَا  
 بَعْضُ الشَّيْءِ فَلَمْ يَأْخُذْ بِهِ الْمُتَكَلِّمُونَ لِامْتِلَاسَتِهَا لِلْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ الْمُبَايِنَةِ لِلْعُقَايِدِ  
 الشَّرْعِيَّةِ بِالْجَمَلَةِ فَكَانَتْ مَهْجُورَةً عِنْدَهُمْ لِذَلِكَ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ  
 الْبَاقِلَانِيُّ إِمَامًا الْحَرَمِيِّ أَبُو الْعَالِي فَأَمَلَى فِي الطَّرِيقَةِ كِتَابَ الشَّامِلِ وَأَوْسَعَ الْقَوْلَ  
 فِيهِ ثُمَّ لَخَّصَهُ فِي كِتَابِ الْإِرْشَادِ وَأَتَّخَذَهُ النَّاسُ إِمَامًا لِعُقَايِدِهِمْ ثُمَّ انْتَشَرَتْ مِنْ بَعْدِ  
 ذَلِكَ عُلُومُ الْمَنْطِقِ فِي الْمِلَّةِ وَقَرَأَهُ النَّاسُ وَفَرَّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ بِأَنَّهُ  
 قَانُونٌ وَمُعْيَارٌ لِلْأَدَلَّةِ فَقَطَّ يُسَبَّرُ بِهِ الْأَدَلَّةُ مِنْهَا كَمَا يُسَبَّرُ مِنْ سِوَاهَا ثُمَّ نَظَرُوا فِي تِلْكَ  
 الْقَوَاعِدِ الْمَقْدِمَاتِ فِي فَنِّ الْكَلَامِ لِلْأَقْدَمِينَ فَخَالَفُوا الْكَثِيرَ مِنْهَا بِالْبَرَاهِينِ الَّتِي

أَدَلَّتْ إِلَى ذَلِكَ وَرُبَّمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنْهَا مُقْتَبَسٌ مِنْ كَلَامِ الْفَلَّاسِفَةِ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ  
وَالْإِلَهِيَّاتِ فَلَمَّا سَبَرُوها بِمَعْيَارِ الْمَنْطِقِ رَدَّهُمْ إِلَى ذَلِكَ فِيهَا وَلَمْ يَعْتَقِدُوا بَطْلَانَ  
الْمَدْلُولِ مِنْ بَطْلَانِ دَلِيلِهِ كَمَا صَارَ إِلَيْهِ الْقَاضِي فَصَارَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ مِنْ مِصْطَلَحِهِمْ  
مُبَايِنَةً لِلطَّرِيقَةِ الْأُولَى وَتُسَمَّى طَرِيقَةَ الْمُتَأَخِّرِينَ وَرُبَّمَا أَدْخَلُوا فِيهَا الرَّدَّ عَلَى الْفَلَّاسِفَةِ  
فِيمَا خَالَفُوا فِيهِ مِنَ الْعُقَايِدِ الْإِيمَانِيَّةِ وَجَعَلُوهُمْ مِنْ خُصُومِ الْعُقَايِدِ لِتَنَاسُبِ الْكَثِيرِ  
مِنْ مَذَاهِبِ الْمُتَبَدِّعَةِ وَمَذَاهِبِهِمْ وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِي طَرِيقَةِ الْكَلَامِ عَلَى هَذَا الْعَنَى  
الْفَرَّائِي رَحِمَهُ اللَّهُ وَتَبِعَهُ الْإِمَامُ أَبُو الْخَطِيبِ وَجَمَاعَةٌ قَفَوْا أثرَهُمْ وَأَعْتَمَدُوا تَقْلِيدَهُمْ  
ثُمَّ تَوَعَّلَّ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ فِي مُخَالَطَةِ كُتُبِ الْفَلَّاسِفَةِ وَالتَّبَسُّعِ عَلَيْهِمْ شَأْنِ الْمَوْضُوعِ  
فِي الْعِلْمَيْنِ فَحَسِبُوهُ فِيهِمَا وَاحِدًا مِنْ أَشْبَاهِ الْمَسَائِلِ فِيهِمَا وَأَعْلَمَ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ  
أَمَّا كَانُوا يَسْتَدِلُّونَ فِي أَكْثَرِ أَحْوَالِهِمْ بِالْكَائِنَاتِ وَأَحْوَالِهَا عَلَى وُجُودِ الْبَارِي وَصِفَاتِهِ  
وَهُوَ نَوْعٌ اسْتَدِلُّوهُمُ عَلَيْهِ بِالْجِسْمِ الطَّبِيعِيِّ يَنْظُرُ فِيهِ الْفَيْلَسُوفُ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ وَهُوَ  
بَعْضٌ مِنْ هَذِهِ الْكَائِنَاتِ إِلَّا أَنَّ نَظْرَهُ فِيهَا مُخَالَفٌ لِنَظْرِ الْمُتَكَلِّمِ وَهُوَ يَنْظُرُ فِي  
الْجِسْمِ مِنْ حَيْثُ يَتَحَرَّكُ وَيَسْكُنُ وَالْمُتَكَلِّمُ يَنْظُرُ فِيهِ مِنْ حَيْثُ يَدُلُّ عَلَى الْفَاعِلِ  
وَكَذَا نَظَرَ الْفَيْلَسُوفُ فِي الْإِلَهِيَّاتِ إِنَّمَا هُوَ نَظْرٌ فِي الْوُجُودِ الْمَطْلُوقِ وَمَا يَقْتَضِيهِ لِنَاتِهِ  
وَنَظَرَ الْمُتَكَلِّمِ فِي الْوُجُودِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْمَوْجِدِ وَبِالْجَمَلَةِ فَمَوْضُوعُ عِلْمِ  
الْكَلَامِ عِنْدَ أَهْلِهَا إِنَّمَا هُوَ الْعُقَايِدُ الْإِيمَانِيَّةُ بَعْدَ فَرَضِهَا صَحِيحَةً مِنَ الشَّرْعِ مِنْ  
حَيْثُ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَدِلَّ عَلَيْهَا بِالْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ فَتُرْفَعُ الْبِدْعُ وَتَزُولُ الشُّكُوكُ وَتَشْبِهُ  
عَنْ تِلْكَ الْعُقَايِدِ وَإِذَا تَأَمَّلْتَ حَالَ الْفَنِّ فِي حَدُوثِهِ وَكَيْفَ تَدَرَّجَ كَلَامُ النَّاسِ فِيهِ  
صَدْرًا بَعْدَ صَدْرٍ وَكُلُّهُمْ يُفَرِّضُ الْعُقَايِدَ صَحِيحَةً وَيَسْتَنْهَضُ الْحُجُجَ وَالْأَدَلَّةَ عَلِمْتَ  
حِينَئِذٍ مَا قَرَّرْنَا لَكَ فِي مَوْضِعِ الْفَنِّ وَأَنَّهُ لَا يَبْعُدُوهُ وَلَقَدْ اخْتَلَطَتِ الطَّرِيقَتَانِ  
عِنْدَ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَالتَّبَسُّعُ الْمَسَائِلِ الْكَلَامِ بِمَسَائِلِ الْفَلَّاسِفَةِ بِحَيْثُ لَا يَتَمَيَّزُ أَحَدُ  
الْفَنِّينِ مِنَ الْآخَرِ وَلَا يَحْصُلُ عَلَيْهِ طَالِبُهُ مِنْ كُتُبِهِمْ كَمَا فَعَلَهُ الْبِيضَاوِيُّ فِي الطَّوَالِغِ  
وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْعَجَمِ فِي جَمِيعِ تَأْلِيفِهِمْ إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ قَدْ يُعْنَى بِهَا  
بَعْضُ طَلَبَةِ الْعِلْمِ لِلإِطْلَاعِ عَلَى الْمَذَاهِبِ وَالْإِعْرَاقِ فِي مَعْرِفَةِ الْحُجُجِ لَوْفُورِ ذَلِكَ  
فِيهَا وَأَمَّا مُحَاذَاةُ طَرِيقَةِ السَّلَفِ بِعُقَايِدِ عِلْمِ الْكَلَامِ فَإِنَّمَا هُوَ لِلطَّرِيقَةِ الْقَدِيمَةِ

لِلْمُتَكَلِّمِينَ وَأَصْلُهَا كِتَابُ الْإِزْشَادِ وَمَا حَدَا حَدْوَهُ وَمَنْ أَرَادَ إِدْخَالَ الرَّدِّ عَلَى  
 الْفَلَاسِفَةِ فِي عَقَائِدِهِ فَعَلَيْهِ بِكُتُبِ الْغَزَالِيِّ وَالْإِمَامِ ابْنِ الْخَطِيبِ فَإِنَّهَا وَإِنْ وَقَعَتْ فِيهَا  
 مُخَالَفَةٌ لِلْإِصْلَاحِ الْقَدِيمِ فَلَيْسَ فِيهَا مِنَ الْإِخْتِلَافِ فِي الْمَسَائِلِ وَالْإِتْبَاسِ فِي  
 الْمَوْضُوعِ مَا فِي طَرِيقَةِ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَعَلَى الْجُمْلَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ  
 هَذَا الْعِلْمَ الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْكَلَامِ غَيْرُ ضَرُورِيٍّ لِهَذَا الْعَهْدِ عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ إِذِ  
 الْمُلْحَدَةُ وَالْمُبْتَدِئَةُ قَدْ أَنْقَرُوا وَالْأئِمَّةُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ كُنُونًا شَأْنُهُمْ فِيمَا كَتَبُوا  
 وَدَوَّنُوا وَالْأَدَلَّةُ الْعَقَلِيَّةُ إِنَّمَا اخْتَجَرُوا إِلَيْهَا حِينَ دَافَعُوا وَنَصَرُوا وَمَا الْآنَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا  
 إِلَّا كَلَامٌ نَزَّهَ الْبَارِيُّ عَنْ كَثِيرِ إِهْمَامَاتِهِ وَإِطْلَافِهِ وَلَقَدْ سَأَلَ الْجَنِيدُ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ  
 قَوْمٍ مِنْهُمْ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ يَفِيضُونَ فِيهِ فَقَالَ مَا هَؤُلَاءِ فَقِيلَ قَوْمٌ يُزَيِّهُونَ اللَّهُ  
 بِالْأَدَلَّةِ عَنْ صِفَاتِ الْخُدُوثِ وَسِمَاتِ النِّقْصِ فَقَالَ نَفِي الْعَيْبِ حَيْثُ يَسْتَحِيلُ الْعَيْبُ عَيْبٌ  
 لَكِنْ فَائِدَتُهُ فِي إِحَادِ النَّاسِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ فَائِدَةٌ مُعْتَبَرَةٌ إِذْ لَا يَحْسُنُ بِحَامِلِ السُّنَّةِ الْجَهْلُ  
 بِالْحَجَجِ النَّظَرِيَّةِ عَلَى عَقَائِدِهَا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ

## الفصل الحادي عشر

### في علم التصوف

هَذَا الْعِلْمُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ الْحَادِثَةِ فِي الْمِلَّةِ وَأَصْلُهُ أَنَّ طَرِيقَةَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ  
 لَمْ تَزَلْ عِنْدَ سَلَفِ الْأُمَّةِ وَكِبَارِهَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ طَرِيقَةً الْحَقِّ  
 وَالْهُدَايَةِ وَأَصْلُهَا الْعَمُكُوفُ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالْإِنْقِطَاعُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِعْرَاضُ عَنْ  
 زُخْرُفِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَالزُّهْدُ فِيمَا يَقْبَلُ عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ مِنْ لَذَّةٍ وَمَالٍ وَجَاهٍ وَالْإِنْفِرَادُ  
 عَنِ الْخَلْقِ فِي الْخُلُوعِ لِلْعِبَادَةِ وَكَانَ ذَلِكَ عَامًا فِي الصَّحَابَةِ وَالسَّلَفِ فَلَمَّا فَشَا الْإِقْبَالُ  
 عَلَى الدُّنْيَا فِي الْقَرْنِ الثَّانِي وَمَا بَعْدَهُ وَجَحَّ النَّاسُ إِلَى مَخَالَطَةِ الدُّنْيَا اخْتَصَّ الْمُقْبِلُونَ  
 عَلَى الْعِبَادَةِ بِأَسْمِ الصُّوفِيَّةِ وَالْمُتَصَوِّفَةِ وَقَالَ الْقَشِيرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَلَا يَشْهَدُ لِهَذَا الْأَسْمِ  
 اسْتِشْقَاقٌ مِنْ جِهَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَلَا قِيَاسٌ وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَقَبٌ وَمَنْ قَالَ اسْتِشْقَاقُهُ مِنَ الصَّفَا  
 أَوْ مِنَ الصِّفَةِ فَبَعِيدٌ مِنْ جِهَةِ الْقِيَاسِ اللَّغَوِيِّ قَالَ وَكَذَلِكَ مِنَ الصُّوفِ لِأَنَّهُمْ لَمْ  
 يَخْتَصُّوا بِلَبْسِهِ قُلْتُ وَالْأَظْهَرُ إِنْ قِيلَ بِالِاسْتِشْقَاقِ أَنَّهُ مِنَ الصُّوفِ وَهُمْ فِي الْعَالِيَةِ  
 مَخْتَصُونَ بِلَبْسِهِ لِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ مُخَالَفَةِ النَّاسِ فِي لَبْسِ فَآخِرِ الثِّيَابِ إِلَى لَبْسِ الصُّوفِ

فَلَمَّا اخْتَصَّ هُوَ لِأَهْلِ مَذْهَبِ الزُّهْدِ وَالْإِنْفِرَادِ عَنِ الْخَلْقِ وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْعِبَادَةِ اخْتَصَّوْا  
بِمَا خَذَ مَدْرَكَةَ لَوْهَمٍ وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ بِمَا هُوَ إِنْسَانٌ إِنَّمَا يَتَمَيَّزُ عَنْ سَائِرِ الْحَيَوَانِ  
بِالْإِدْرَاكِ وَالْإِدْرَاكُ نَوْعَانِ إِدْرَاكُ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ مِنَ الْيَقِينِ وَالظَّنِّ وَالشَّكِّ وَالْوَهْمِ  
وَالْإِدْرَاكُ لِلْأَحْوَالِ الْقَائِمَةِ مِنَ الْفَرْحِ وَالْحُزْنِ وَالْقَبْضِ وَالْبَسْطِ وَالرِّفْيِ وَالغَضَبِ  
وَالصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ فَالرُّوحُ الْعَاقِلُ وَالْمُتَصَرِّفُ فِي الْبَدَنِ تَنَشَأُ مِنْ  
إِدْرَاكَاتٍ وَإِرَادَاتٍ وَأَحْوَالٍ وَهِيَ الَّتِي يَمَيَّزُ بِهَا الْإِنْسَانَ وَبَعْضُهَا يَنْشَأُ مِنْ بَعْضِ  
كَمَا يَنْشَأُ الْعِلْمُ مِنَ الْأَدَلَّةِ وَالْفَرْحِ وَالْحُزْنُ عَنِ إِدْرَاكِ الْمَوْلَمِ أَوْ الْمَتَلَذِّ بِهِ  
وَالنَّشَاطُ عَنِ الْحَمَامِ وَالْكَسَلُ عَنِ الْأَعْيَاءِ وَكَذَلِكَ الْمُرِيدُ فِي مُجَاهَدَتِهِ وَعِبَادَتِهِ لَا  
يُدَّ وَأَنْ يَنْشَأَ لَهُ عَنِ كُلِّ مُجَاهَدَةٍ حَالٌ نَتِيجَةٌ تِلْكَ الْمُجَاهَدَةِ وَتِلْكَ الْحَالُ إِمَّا أَنْ  
تَكُونَ نَوْعَ عِبَادَةٍ فَتَرْسُخُ وَتَصِيرُ مَقَامًا لِلْمُرِيدِ وَإِمَّا أَنْ لَا تَكُونَ عِبَادَةً وَإِنَّمَا  
تَكُونَ صِنْفَةً حَاصِلَةً لِلنَّفْسِ مِنْ حُزْنٍ أَوْ سُرُورٍ أَوْ نَشَاطٍ أَوْ كَسَلٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ  
الْمَقَامَاتِ وَلَا يَزَالُ الْمُرِيدُ يَتَرَفَّى مِنْ مَقَامٍ إِلَى مَقَامٍ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى التَّوْحِيدِ  
وَالْمَعْرِفَةِ الَّتِي هِيَ الْغَايَةُ الْمَطْلُوبَةُ لِلسَّعَادَةِ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ مَاتَ يَشْهَدُ  
أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ فَالْمُرِيدُ لَا يَدُلُّهُ مِنَ التَّرَفِّي فِي هَذِهِ الْأَطْوَارِ وَأَصْلُهَا  
كُلُّهَا الطَّاعَةُ وَالْإِخْلَاصُ وَتَقَدُّمُهَا الْإِيمَانُ وَيُصَاحِبُهَا وَتَنَشَأُ عَنْهَا الْأَحْوَالُ وَالصِّفَاتُ  
نَتَائِجٌ وَشَمَرَاتٌ ثُمَّ تَنَشَأُ عَنْهَا أُخْرَى وَأُخْرَى إِلَى مَقَامِ التَّوْحِيدِ وَالْعِرْفَانِ وَإِذَا وَقَعَ  
الْقَصِيرُ فِي النَّتِيجَةِ أَوْ خَلَلَ فَنَعْلَمُ أَنَّهُ إِنَّمَا آتَى مِنْ قَبْلِ التَّقْصِيرِ فِي الَّذِي قَبْلَهُ وَكَذَلِكَ  
فِي الْخَوَاطِرِ النَّفْسَانِيَّةِ وَالْوَارِدَاتِ الْقَلْبِيَّةِ فَلِهَذَا يَحْتَاجُ الْمُرِيدُ إِلَى مُحَاسَبَةِ نَفْسِهِ فِي  
سَائِرِ أَعْمَالِهِ وَيَنْظُرُ فِي حَقَائِقِهَا لِأَنَّ حُصُولَ النَّتَائِجِ عَنِ الْأَعْمَالِ ضَرُورِيٌّ وَقُصُورُهَا  
مِنْ الْخَلَلِ فِيهَا كَذَلِكَ وَالْمُرِيدُ يَجِدُ ذَلِكَ بِذَوْقِهِ وَيَحَاسِبُ نَفْسَهُ عَلَى أَسْبَابِهِ وَلَا يَشَارِكُهُمْ  
فِي ذَلِكَ إِلَّا الْقَلِيلُ مِنَ النَّاسِ لِأَنَّ الْغَفْلَةَ عَنِ هَذَا كَانَتْهَا شَامِلَةً وَعَايَةَ أَهْلِ الْعِبَادَاتِ  
إِذَا لَمْ يَنْتَهُوا إِلَى هَذَا النَّوعِ أَنَّهُمْ يَأْتُونَ بِالطَّاعَاتِ مُخْلِصَةً مِنْ نَظَرِ الْفَقْهِ فِي الْأَجْزَاءِ  
وَالْأَمْتِنَالِ وَهَوَلاءِ يَبْحَثُونَ عَنْ نَتَائِجِهَا بِالْأَذْوَاقِ وَالْمَوْاجِدِ لِيَطَاعُوا عَلَى أَنَّهَا خَالِصَةٌ مِنْ  
الْقَصِيرِ أَوْ لَا فَظَهَرَ أَنَّ أَصْلَ طَرِيقَتِهِمْ كُلُّهَا مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ عَلَى الْأَفْعَالِ وَالتَّرُوكِ  
وَالكَلَامِ فِي هَذِهِ الْأَذْوَاقِ وَالْمَوْاجِدِ الَّتِي تَحْضُرُ عَنِ الْمُجَاهَدَاتِ ثُمَّ تَسْتَقِرُّ لِلْمُرِيدِ

مقاماً يترقى منها إلى غيرها ثم لهم مع ذلك آدابٌ مخصوصةٌ بهم وأصطلاحاتٌ في  
 ألفاظٍ تدور بينهم إذ الأوضاع الغوية إنما هي للمعاني المتعارفة فإذا عرض من  
 المعاني ما هو غير متعارف اصطحننا عن التعبير عنه بلفظ يتيسر فهمه منه فلهذا  
 أخص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحدٍ غيرهم من أهل الشريعة الكلام  
 فيه وصار علم الشريعة على صنفين صنف مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا وهي الأحكام  
 العامة في العبادات والعادات والمعاملات وصنف مخصوص بالقوم في القيام بهذه  
 الجهادة ومحاسبة النفس عليها والكلام في الأدواق والمواجد العارضة في طريقها  
 وكيفية الترتيبي منها من ذوق إلى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في  
 ذلك فلما كتبت العلوم ودوت وألفت الفقهاء في الفقه وأصوله والكلام والتفسير  
 وغير ذلك كتب رجالٌ من أهل هذه الطريقة في طريقهم فمنهم من كتب في  
 الورع ومحاسبة النفس على الإفتداء في الأخذ والتترك كما فعله القشيري في كتاب  
 الرسالة والسهروردي في كتاب عوارف المعارف وأمثالهم وجمع الغزالي رحمه الله  
 بين الأمرين في كتاب الأحياء فدوّن فيه أحكام الورع والإفتداء ثم بين آداب  
 القوم وسانهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم وصار علم التصوف في الملة علماً  
 مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط وكانت أحكامها إنما تلتقى من صدور  
 الرجال كما وقع في سائر العلوم التي دوت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه  
 والأصول وغير ذلك ثم إن هذه الجهادة والخلوة والذكر يتبعها غالباً كشف  
 حجاب الحس والإطلاع على عوالم من أمر الله ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها  
 والروح من تلك العوالم وسبب هذا الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس  
 الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس وقويت أحوال الروح وغلب سلطانه  
 وتجدد نشؤه وأعان على ذلك الذكر فإنه كالغذاء لتنمية الروح ولا يزال في نمو  
 وتزايد إلى أن يصير شهوداً بعد أن كان علماً ويكشف حجاب الحس ويثم وجود  
 النفس الذي لها من ذاتها وهو عين الإدراك فيتعرض حينئذ للمواهب الربانية  
 والعلوم اللدنية والفتح الإلهي وتقرب ذاته في تحقيق حقيقتها من الأفق الأعلى  
 أفق الملائكة وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لأهل الجهادة فيدركون من حقائق

الوجود ما لا يدرك سواهم وكذلك يدركون كثيراً من الوافات قبل وقوعها ويتصرفون  
 بهمهم وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية وتصير طوع إرادتهم فالعطاء منهم  
 لا يعتبرون هذا الكشف ولا يتصرفون ولا يخبرون عن حقيقة شيء لم يؤمروا بالتكلم  
 فيه بل يعدون ما يقع لهم من ذلك بحنة ويتعدون منه إذا هاجهم وقد كانت  
 الصحابة رضي الله عنهم على مثل هذه الجاهدة وكان حظهم من هذه الكرامات  
 أوفر الحظوظ لكنهم لم يقع لهم بها عناية وفي فضائل أبي بكر وعمر وعثمان وعلي  
 رضي الله عنهم كثير منها وتبعهم في ذلك أهل الطريقة ممن اشتملت رسالة  
 القشيري على ذكرهم ومن تبع طريقهم من بعدهم ثم إن قومًا من المتأخرين  
 انصرفت عنايتهم إلى كشف الحجاب والمدارك التي وراءه واختلفت طرق  
 الرياضة عنهم في ذلك باختلاف تعليمهم في إماتة القوى الحسية وتغذية الروح  
 العاقل بالذكر حتى يحصل للنفس إدراكها الذي لها من ذاتها بتمام نشوتها وتغذيتها  
 فإذا حصل ذلك زعموا أن الوجود قد انحصر في مداركها حينئذ وانهم كشفوا  
 ذوات الوجود وتصوروا حقائقها كلها من العرش إلى الطش هكذا قال الغزالي  
 رحمه الله في كتاب الأحياء بعد أن ذكر صورة الرياضة ثم إن هذا الكشف  
 لا يكون صحيحاً كاملاً عندهم إلا إذا كان ناشئاً عن الاستقامة لأن الكشف قد  
 يحصل لصاحب الجوع والخلوة وإن لم يكن هناك استقامة كالسحرة وغيرهم  
 من المرتاضين وليس مرادنا إلا الكشف الناشئ عن الاستقامة ومثاله أن المرأة  
 الصفيلة إذا كانت محدبة أو مقعرة وحودي بها جهة المرئي فإنه يشكل فيه معوجاً  
 على غير صورته وإن كانت مسطحة تشكل فيها المرئي صحيحاً فالاستقامة للنفس  
 كالانسياط للمرأة فيما ينطبع فيها من الأحوال ولما عني المتأخرون بهذا النوع  
 من الكشف تكلموا في حقائق الموجودات العلوية والسفلية وحقائق الملك والروح  
 والعرش والكرسي وأمثال ذلك وقصرت مدارك من لم يشاركهم في طريقهم عن  
 فهم أذواقهم ومواجههم في ذلك وأهل الفتيا بين منكر عليهم ومسلم لهم وليس  
 البرهان والدليل بنافع في هذا الطريق رداً وقبولاً إذ هي من قبيل الوجدانيات وربما  
 قصد بعض المصنفين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه فأتى بالأعمض

فَالْأَغْمَضُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ النَّظَرِ وَالْإِصْطِلَاحَاتِ وَالْعُلُومِ كَمَا فَعَلَ الْفِرْعَانِيُّ شَارِحُ  
 قَصِيدَةِ ابْنِ الْفَارُضِ فِي الدِّبَاجَةِ الَّتِي كَتَبَهَا فِي صَدْرِ ذَلِكَ الشَّرْحِ فَإِنَّهُ ذَكَرَ فِي  
 صُدُورِ الْوُجُودِ عَنِ الْفَاعِلِ وَتَرْتِيبِهِ أَنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ صَادِرٌ عَنِ صِفَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ الَّتِي  
 هِيَ مَظْهَرُ الْأَحَدِيَّةِ وَهُمَا مَعًا صَادِرَانِ عَنِ الذَّاتِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي هِيَ عَيْنُ الْوَحْدَةِ لَا  
 غَيْرَ وَيُسَمَّونَ هَذَا الصُّدُورَ بِالْتَّجَلِّيِّ وَأَوَّلُ مَرَاتِبِ التَّجَلِّيَّاتِ عِنْدَهُمْ تَجَلِّيُ الذَّاتِ عَلَى نَفْسِهِ  
 وَهُوَ يَتَضَمَّنُ الْكَمَالَ بِإِفَاضَةِ الْإِبْجَادِ وَالظُّهُورِ لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي يَتَنَاقَلُونَهُ  
 كُنْتُ كَنْزًا مَخْفِيًّا فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الْخَلْقَ لِيَعْرِفُونِي وَهَذَا الْكَمَالُ فِي  
 الْإِبْجَادِ الْمُتَمَزَّلِ فِي الْوُجُودِ وَتَفْصِيلِ الْحَقَائِقِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ عَالَمُ الْمَعَانِي وَالْحَضْرَةِ  
 الْكَمَالِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَفِيهَا حَقَائِقُ الصِّفَاتِ وَالنُّوْحِ وَالْقَلَمِ وَحَقَائِقُ الْأَنْبِيَاءِ  
 وَالرُّسُلِ أَجْمَعِينَ وَالْكَمَلِ مِنْ أَهْلِ الْمَلَكَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ وَهَذَا كُلُّهُ تَفْصِيلُ الْحَقِيقَةِ  
 الْمُحَمَّدِيَّةِ وَيَصْدُرُ عَنْ هَذِهِ الْحَقَائِقِ حَقَائِقُ أُخْرَى فِي الْحَضْرَةِ الْمُهَيَّبَةِ وَهِيَ مَرْتَبَةٌ  
 الْمَثَالِ ثُمَّ عَنْهَا الْعَرْشُ ثُمَّ الْكُرْسِيُّ ثُمَّ الْأَفْلَاكُ ثُمَّ عَالَمُ الْعِنَاصِرِ ثُمَّ عَالَمُ التَّرْكِيبِ هَذَا  
 فِي عَالَمِ الرَّتْقِ فَإِذَا تَجَلَّتْ فِيهِ فِي عَالَمِ الْفَتْقِ وَيُسَمَّى هَذَا الْمَدَهَبُ مَدَهَبُ أَهْلِ التَّجَلِّيِّ  
 وَالْمَظَاهِرِ وَالْحَضْرَاتِ وَهُوَ كَلَامٌ لَا يَقْتَدِرُ أَهْلُ النَّظَرِ إِلَى تَحْصِيلِ مَقْتَضَاهُ لِعُمُومِهِ  
 وَتَغْلِيقِهِ وَبَعْدَ مَا بَيْنَ كَلَامِ صَاحِبِ الْمَشَاهِدَةِ وَالْوُجْدَانِ وَصَاحِبِ الدَّلِيلِ وَرُبَّمَا  
 انْكَرَبَ بظَاهِرِ الشَّرْعِ هَذَا التَّرْتِيبَ وَكَذَلِكَ ذَهَبَ آخَرُونَ مِنْهُمْ إِلَى الْقَوْلِ بِالْوَحْدَةِ  
 الْمَطْلُوقَةِ وَهُوَ رَأْيُ أَعْزَبٍ مِنَ الْأَوَّلِ فِي تَعَقُّلِهِ وَتَفَارِيقِهِ يَزْعُمُونَ فِيهِ أَنَّ الْوُجُودَ لَهُ  
 قُوَى فِي تَفَاصِيلِهِ بِهَا كَانَتْ حَقَائِقُ الْمَوْجُودَاتِ وَصُورُهَا وَمَوَادِّهَا وَالْعِنَاصِرُ إِنَّمَا كَانَتْ  
 بِمَا فِيهَا مِنَ الْقُوَى وَكَذَلِكَ مَادَّتُهَا لَهَا فِي نَفْسِهَا قُوَّةٌ بِهَا كَانَ وُجُودُهَا ثُمَّ إِنَّ الْمُرَكَّبَاتِ  
 فِيهَا تِلْكَ الْقُوَى مُتَضَمِّنَةٌ فِي الْقُوَّةِ الَّتِي كَانَ بِهَا التَّرْكِيبُ كَالْقُوَّةِ الْمَعْدِنِيَّةِ فِيهَا قُوَى  
 الْعِنَاصِرِ بِهِيَ وَلَاهَا وَزِيَادَةُ الْقُوَّةِ الْمَعْدِنِيَّةِ ثُمَّ الْقُوَّةُ الْحَيَوَانِيَّةُ تَتَضَمَّنُ الْقُوَّةَ الْمَعْدِنِيَّةَ  
 وَزِيَادَةُ قُوَّتِهَا فِي نَفْسِهَا وَكَذَا الْقُوَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ مَعَ الْحَيَوَانِيَّةِ ثُمَّ الْفَلَكَ يَتَضَمَّنُ الْقُوَّةَ  
 الْإِنْسَانِيَّةَ وَزِيَادَةَ وَكَذَا الذَّوَاتُ الرُّوحَانِيَّةُ وَالْقُوَّةُ الْجَامِعَةُ لِلْكَلِّ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلِ  
 هِيَ الْقُوَّةُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي اثْبَتَتْ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ كَلِمَةً وَجُزْئِيَةً وَجَمَعَتْهَا وَأَحَاطَتْ  
 بِهَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ لَا مِنْ جِهَةِ الظُّهُورِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الْخِنَاءِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الصُّورَةِ وَلَا مِنْ

جِهَةِ الْمَادَّةِ فَالْكُلُّ وَاحِدٌ وَهُوَ نَفْسُ النَّاتِ الْأَلِيَّةِ وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ وَاحِدَةٌ بَسِيطَةٌ  
 وَالْإِعْتِبَارُ هُوَ الْمَفْصَلُ لَهَا كَالْإِنْسَانِيَّةِ مَعَ الْحَيَوَانِيَّةِ الْأَنْتَرِيَّ أَنْهَا مُنْدَرِجَةٌ فِيهَا وَكَأَنَّهَا  
 يَكُونُهَا فِتَارَةٌ يَمْتَلِئُونَهَا بِالْجِنْسِ مَعَ النَّوعِ فِي كُلِّ مَوْجُودٍ كَمَا ذَكَرْنَا وَتَارَةً بِالْكُلِّ  
 مَعَ الْجُزْءِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمِثَالِ وَهُمْ فِي هَذَا كُلِّهِ يَفْرُقُونَ مِنَ التَّرْكِيبِ وَالْكَثْرَةِ بِوَجْهِ  
 مِنَ الْوُجُوهِ وَإِنَّمَا أَوْجَبَهَا عِنْدَهُمُ الْوَهْمُ وَالْخِيَالُ وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ دَهْقَانَ  
 فِي تَفْرِيرِ هَذَا الْمَذْمَبِ أَنَّ حَقِيقَةَ مَا يَقُولُونَهُ فِي الْوَحْدَةِ شَابِهُةٌ بِمَا نَقُولُهُ الْحُكْمَاءُ فِي  
 الْأَلْوَانِ مِنْ أَنَّ وُجُودَهَا مَشْرُوطٌ بِالضَّوِّ فَإِذَا عُدِمَ الضَّوُّ لَمْ تَكُنِ الْأَلْوَانُ مَوْجُودَةً  
 بِوَجْهِهِ وَكَذَا عِنْدَهُمُ الْمَوْجُودَاتُ الْمَحْسُوسَةُ كُلُّهَا مَشْرُوطَةٌ بِوُجُودِ الْمُدْرِكِ الْعَقْلِيِّ  
 فَإِذَا الْوُجُودُ الْمَفْصَلُ كُلُّهُ مَشْرُوطٌ بِوُجُودِ الْمُدْرِكِ الْبَشَرِيِّ فَلَوْ فَرَضْنَا عَدَمَ الْمُدْرِكِ  
 الْبَشَرِيِّ جَمَلَةً لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ تَفْصِيلُ الْوُجُودِ بَلْ هُوَ بَسِيطٌ وَاحِدٌ فَالْحَرُّ وَالْبَرْدُ وَالصَّلَابَةُ  
 وَاللِّينُ بَلْ وَالْأَرْضُ وَالْمَاءُ وَالنَّارُ وَالسَّمَاءُ وَالْكَوَاكِبُ إِنَّمَا وَجِدَتْ لِوُجُودِ الْخَوَاسِ  
 الْمُدْرِكَةِ لَهَا لِمَا جُعِلَ فِي الْمُدْرِكِ مِنَ التَّفْصِيلِ الَّذِي لَيْسَ فِي الْمَوْجُودِ وَإِنَّمَا هُوَ فِي  
 الْمُدْرِكِ فَقَطْ فَإِذَا فَقِدْتَ الْمُدْرِكَ الْمَفْصَلَةَ فَلَا تَفْصِيلَ إِنَّمَا هُوَ إِدْرَاكٌ وَاحِدٌ وَهُوَ  
 أَنَا لَا غَيْرُهُ وَيَعْتَبِرُونَ ذَلِكَ بِجَمَالِ النَّائِمِ فَإِنَّهُ إِذَا نَامَ وَفَقِدَ الْحِسَّ الظَّاهِرَ فَقَدَ كُلَّ  
 مَحْسُوسٍ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ إِلَّا مَا يَفْصَلُهُ لَهُ الْخِيَالُ قَالُوا فَكَيْدَا الْيَقْظَانَ إِنَّمَا يَعْتَبِرُ تِلْكَ  
 الْمُدْرَكَاتُ كُلُّهَا عَلَى التَّفْصِيلِ بِنَوْعِ مُدْرِكِهِ الْبَشَرِيِّ وَلَوْ قَدِرَ فَقَدَ مُدْرِكِهِ فَقَدَ التَّفْصِيلَ  
 وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِمُ الْمَوْجُودُ لَا الْوَهْمُ الَّذِي هُوَ مِنْ جَمَلَةِ الْمُدْرِكِ الْبَشَرِيِّ هَذَا  
 مُلْخَصٌ رَأَيْتُمْ عَلَى مَا فِيهِمْ مِنْ كَلَامِ ابْنِ دَهْقَانَ وَهُوَ فِي غَايَةِ السَّقُوطِ لِأَنَّ تَفْطَعُ بِوُجُودِ  
 الْبَلَدِ الَّذِي نَحْنُ مُسَافِرُونَ عَنْهُ وَإِلَيْهِ بَقِينَا مَعَ غَيْبَتِهِ عَنْ أَعْيُنِنَا وَبِوُجُودِ السَّمَاءِ الْمَظَلَّةِ  
 وَالْكَوَاكِبِ وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ الْغَائِبَةِ عَنَّا وَالْإِنْسَانَ قَاطِعُ بِذَلِكَ وَلَا يُكَابِرُ أَحَدٌ  
 نَفْسَهُ فِي الْيَقِينِ مَعَ أَنَّ الْمُحَقِّقِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَأَخَّرِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الْمُرِيدَ عِنْدَ  
 الْكَشْفِ رَبِّمَا يَعْزُضُ لَهُ تَوْهَمٌ هَذِهِ الْوَحْدَةَ وَيَسْمَى ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مَقَامَ الْجَمْعِ ثُمَّ  
 يَتَرَقَّى عَنْهُ إِلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمَوْجُودَاتِ وَيَعْتَبِرُونَ عَنْ ذَلِكَ بِمَقَامِ الْفَرْقِ وَهُوَ مَقَامُ  
 الْعَارِفِ الْمُحَقِّقِ وَلَا بَدَلَ لِلْمُرِيدِ عِنْدَهُمْ مِنْ عَقْبَةِ الْجَمْعِ وَهِيَ عَقْبَةُ صَعْبَةٍ لِأَنَّهُ يُخْضِعُ  
 عَلَى الْمُرِيدِ مِنْ وُقُوفِهِ عِنْدَهَا فَتَخَسَّرُ صَفَقَتَهُ فَقَدْ تَبَيَّنَتْ مَرَاتِبُ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ ثُمَّ

ان هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس  
 توعدوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملاوا  
 الصحن منه مثل الهروي في كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن العربي وابن  
 سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفارض والتجيم الإسرائيلي في قصائدهم وكان  
 سلفهم مغالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول واليهية  
 الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط  
 كلامهم وتآبعت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس  
 العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه  
 الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان وقد أشار إلى ذلك ابن سينا في كتاب  
 الإشارات في فصول التصوف منها فقال جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد  
 أو يطاع عليه إلا الواحد بعد الواحد وهذا كلام لا تقوم عليه حجة عقلية ولا دليل  
 شرعي وإنما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما نقوله الرافضة ودأبوا به ثم قالوا  
 بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة في النبأ حتى إنهم لما  
 أسندوا لباس خرقه التصوف يجعلوه أصلاً لطريقتهم وتخليتهم رقعوه إلى علي رضي  
 الله عنه وهو من هذا المعنى أيضاً ولا فعلي رضي الله عنه لم يخص من بين الصحابة  
 بتخليته ولا طريقة في لباس ولا حال بل كان أبوبكر وعمر رضي الله عنهما أزهد  
 الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثرهم عبادة ولم يخص أحد منهم  
 في الدين بشيء يؤثر عنه في الخصوص بل كان الصحابة كلهم أسوة في الدين والزهد  
 والمجاهدة يشهد لذلك من كلام هؤلاء المتصوفة في أمر الفاطمي وما شحنا  
 كتبهم في ذلك مما ليس لسلف المتصوفة فيه كلام بنفي أو إثبات وإنما هو  
 مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومداهبهم في كتبهم والله يهدي إلى الحق ثم إن  
 كثيراً من الفقهاء وأهل الثمنا اتدبوا للرد على هؤلاء المتأخرين في هذه المقالات  
 وأمثالها وشمئوا بالنكير سائر ما وقع لهم في الطريقة والحق أن كلامهم معهم  
 فيه تفصيل فإن كلامهم في أربعة مواضع أحدها الكلام على المجاهدات وما  
 يحصل من الأذواق والمواجب ومحاسبة النفس على الأعمال لمحصل تلك الأذواق التي

تَصِيرُ مَقَامًا وَيَتَرَفَّى مِنْهُ إِلَى غَيْرِهِ كَمَا قُلْنَا؛ وَثَانِيهَا الْكَلَامُ فِي الْكَشْفِ وَالْحَقِيقَةِ  
 الْمُدْرَكَةِ مِنْ عَالَمِ الْغَيْبِ مِثْلَ الصِّفَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ وَالْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ وَالْمَلَائِكَةِ  
 وَالْوَحْيِ وَالنَّبُوءَةِ وَالرُّوحِ وَحَقَائِقِ كُلِّ مَوْجُودٍ غَائِبٍ أَوْ شَاهِدٍ وَتَرْكِيبِ الْأَكْوَانِ فِي  
 صُدُورِهَا عَنْ مَوْجُودِهَا وَتَكْوِينِهَا كَمَا مَرَّ وَثَانِيهَا التَّصَرُّفَاتُ فِي الْعَوَالِمِ وَالْأَكْوَانِ بِأَنْوَاعِ  
 الْكَرَامَاتِ وَرَابِعُهَا الْفَاطُ مَوْهَمَةُ الظَّاهِرِ صَدَرَتْ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ أُمَّةِ الْقَوْمِ يَعْبُرُونَ  
 عَنْهَا فِي أَصْطِلَاحِهِمْ بِالشَّطْحَاتِ تَسْتَشْكِلُ ظَوَاهِرُهَا فَمُنْكَرٌ وَمُحْسِنٌ وَمَتَأَوَّلٌ فَأَمَّا الْكَلَامُ  
 فِي الْمَجَاهِدَاتِ وَالْمَقَامَاتِ وَمَا يَحْصُلُ مِنَ الْأَذْوَاقِ وَالْمَوَاجِدِ فِي تَنَائُجِهَا وَخُحَّاسَةِ النَّفْسِ  
 عَلَى التَّقْصِيرِ فِي سَبَابِهَا فَأَمْرٌ لَا مَدْفَعَ فِيهِ لِأَحَدٍ وَأَذْوَاقُهُمْ فِيهِ صَحِيحَةٌ وَالتَّحَقُّقُ بِهَا هُوَ  
 عَيْنُ السَّعَادَةِ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي كَرَامَاتِ الْقَوْمِ وَأَخْبَارِهِمْ بِالْمَغِيبَاتِ وَتَصَرُّفِهِمْ فِي  
 الْكَائِنَاتِ فَأَمْرٌ صَحِيحٌ غَيْرُ مُنْكَرٍ وَإِنْ مَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ إِلَى انْكَارِهَا فَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ  
 الْحَقِّ وَمَا أَحْتَجُّ بِهِ الْأَسْتَاذُ أَبُو سَمِئِيلَ الْإِسْفَرَائِينِيَّ مِنَ أُمَّةِ الْأَشْعَرِيَّةِ عَلَى انْكَارِهَا  
 لِالتَّبَاسُطِ بِالْمُعْجَزَةِ فَقَدْ فَرَّقَ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ بَيْنَهُمَا بِالْحَدِيثِ وَهُوَ دَعْوَى  
 وَقُوعِ الْمُعْجَزَةِ عَلَى وَفْقِ مَا جَاءَ بِهِ قَالُوا ثُمَّ إِنَّ وَقُوعَهَا عَلَى وَفْقِ دَعْوَى الْكَاذِبِ غَيْرُ  
 مَقْدُورٍ لِأَنَّ دَلَالََةَ الْمُعْجَزَةِ عَلَى الصِّدْقِ عَقْلِيَّةٌ فَإِنَّ صِفَةَ نَفْسِهَا التَّصَدِيقُ فَلَوْ وَقَعَتْ مَعَ  
 الْكَاذِبِ لَتَبَدَّلَتْ صِفَةَ نَفْسِهَا وَهُوَ مُحَالٌ هَذَا مَعَ أَنَّ الْوُجُودَ شَاهِدٌ بِوُقُوعِ الْكَثِيرِ  
 مِنْ هَذِهِ الْكَرَامَاتِ وَإِنْكَارُهَا نَوْعٌ مُكَابِرَةٌ وَقَدْ وَقَعَ لِلصَّحَابَةِ وَالْكَابِرِ السَّافِ كَثِيرٌ  
 مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ مَعْلُومٌ مَشْهُورٌ وَأَمَّا الْكَلَامُ فِي الْكَشْفِ وَإِعْطَاءِ حَقَائِقِ الْعُلُوبَاتِ  
 وَتَرْتِيبِ صُدُورِ الْكَائِنَاتِ فَأَكْثَرُ كَلَامِهِمْ فِيهِ نَوْعٌ مِنَ الْمُتَشَابِهِ لِمَا أَنَّهُ وَجَدَانِيٌّ  
 عِنْدَهُمْ وَفَاقِدُ الْوُجُدَانِ عِنْدَهُمْ بِعَزْلِ عَنِ أَذْوَاقِهِمْ فِيهِ وَاللُّغَاتُ لَا تُعْطَى لَهُ دَلَالَةٌ عَلَى  
 مُرَادِهِمْ مِنْهُ لِأَنَّهَا لَمْ تُوَضَّعْ لِلْمَتَعَارِفِ وَأَكْثَرُهُ مِنَ الْخُشُوسَاتِ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا تَعْرَضَ  
 لِكَلَامِهِمْ فِي ذَلِكَ وَتَبَرُّكُهُ فِيمَا تَرَكْنَاهُ مِنَ الْمُتَشَابِهِ وَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ فَهَمَّ شَيْءٌ مِنْ  
 هَذِهِ الْكَلِمَاتِ عَلَى الْوُجْهِ الْمَوْافِقِ لِظَاهِرِ الشَّرِيعَةِ فَأَكْرَمَ بِهَا سَعَادَةً وَأَمَّا الْأَلْفَاظُ  
 الْمَوْهَمَةُ الَّتِي يَعْبُرُونَ عَنْهَا بِالشَّطْحَاتِ وَيُوَاطِّئُونَ بِهَا أَهْلَ الشَّرْعِ فَاعْلَمَنَّ أَنَّ  
 الْأِنْصَافَ فِي شَأْنِ الْقَوْمِ أَنَّهُمْ أَهْلُ غَيْبَةٍ عَنِ الْحَسِّ وَالْوَارِدَاتِ تَمَلِّكُهُمْ حَتَّى  
 يَنْطَقُوا عَنْهَا بِمَا لَا يَقْصِدُونَهُ وَصَاحِبُ الْغَيْبَةِ غَيْرُ مُخَاطَبٍ وَالْعَبُورُ مَعْدُورٌ وَمَنْ

عِلْمٍ مِنْهُمْ فَضْلُهُ وَأَقْتَدَاوُهُ حُمِلَ عَلَى الْقَصْدِ الْجَمِيلِ مِنْ هَذَا وَأَنَّ الْعِبَارَةَ عَنِ  
 الْمَوْجِدِ صَعْبَةٌ لِتُقَدَّانِ الْوَضْعَ لَهَا كَمَا وَقَعَ لِأَيِّ يَزِيدُ وَأَمْثَالِهِ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَضْلَهُ  
 وَلَا اشْتَهَرَ فَمَوْأَخَذَ بِمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ إِذَا لَمْ يَتَّبِعَنَّ لَنَا مَا يَحْمِلُنَا عَلَى  
 تَأْوِيلِ كَلَامِهِ وَأَمَّا مَنْ تَكَلَّمَ بِمِثْلَيْهَا وَهُوَ حَاضِرٌ فِي حِسِّهِ وَلَمْ يَمْلِكْهُ الْحَالُ فَمَوْأَخَذَ  
 أَيْضًا وَلِهَذَا أَفْتَى الْفُقَهَاءُ وَأَكْبَرُ الْمُتَصَوِّفَةِ بِقَتْلِ الْحَلَّاجِ لِأَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي حُضُورِ وَهُوَ مَالِكٌ  
 لِحَالِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَسَلَفُ الْمُتَصَوِّفَةِ مِنْ أَهْلِ الرَّسَالَةِ أَعْلَامُ الْمِلَّةِ الَّذِينَ أَشْرْنَا إِلَيْهِمْ  
 مِنْ قَبْلُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَرِصٌ عَلَى كَشْفِ الْحِجَابِ وَلَا هَذَا النَّوعِ مِنَ الْإِدْرَاكِ إِنَّمَا  
 هُمُ الْمُتَابِعُ وَالْإِقْتِدَاءُ مَا اسْتَطَاعُوا وَمَنْ عَرَضَ لَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ أَعْرَضَ عَنْهُ وَلَمْ  
 يَحْفَلْ بِهِ بَلْ يَفْرُونَ مِنْهُ وَيَرَوْنَ أَنَّهُ مِنَ الْعَوَائِقِ وَالْمَحْنِ وَأَنَّهُ إِدْرَاكٌ مِنْ إِدْرَاكَاتِ  
 النَّاسِ مَخْلُوقٌ حَادِثٌ وَأَنَّ الْمَوْجُودَاتِ لَا تَتَّخِصِرُ فِي مَدَارِكِ الْإِنْسَانِ وَعَلِمَ اللَّهُ أَوْسَعُ  
 وَخَلَقَهُ أَكْبَرَ وَشَرِيعَتُهُ بِالْهَيْدَايَةِ أَمْلَكُ فَلَا يَنْطِقُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا يُدْرِكُونَ بَلْ حَظَرُوا  
 الْخُلُوصَ فِي ذَلِكَ وَمَنَعُوا مَنْ يَكْشِفُ لَهُ الْحِجَابَ مِنْ أَصْحَابِهِمْ مِنَ الْخُلُوصِ فِيهِ  
 وَالْوُقُوفِ عِنْدَهُ بَلْ يَلْتَزِمُونَ طَرِيقَتَهُمْ كَمَا كَانُوا فِي عَالَمِ الْحِسِّ قَبْلَ الْكَشْفِ مِنَ  
 الْإِتْبَاعِ وَالْإِقْتِدَاءِ وَيَأْمُرُونَ أَصْحَابَهُمْ بِالْتِزَامِهَا وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَالُ  
 الْمُرِيدِ وَاللَّهُ الْمُؤَقِّقُ لِلصَّوَابِ

### الفصل الثاني عشر

في علم تعبير الروايا

هَذَا الْعِلْمُ مِنَ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَهُوَ حَادِثٌ فِي الْمِلَّةِ عِنْدَمَا صَارَتْ الْعُلُومُ صَنَائِعَ  
 وَكَتَبَ النَّاسُ فِيهَا وَأَمَّا الرُّوْيَا وَالتَّعْبِيرُ لَهَا فَقَدْ كَانَ مَوْجُودًا فِي السَّافِ كَمَا هُوَ فِي  
 الْخُلْفِ وَرُبَّمَا كَانَ فِي الْمُلُوكِ وَالْأُمَمِ مِنْ قَبْلِ الْإِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ الْيَنَابِلُ كِنْفَاءً فِيهِ  
 بِكَلَامِ الْمُعْبَرِينَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَإِلَّا فَالرُّوْيَا مَوْجُودَةٌ فِي صِنْفِ الْبَشَرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ  
 وَلَا بَدَّ مِنْ تَعْبِيرِهَا فَلَقَدْ كَانَ يُوسُفُ الصِّدِّيقُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ يُعَبِّرُ الرُّوْيَا كَمَا وَقَعَ  
 فِي الْقُرْآنِ وَكَذَلِكَ ثَبَتَ عَنِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالرُّوْيَا مُدْرِكٌ مِنْ مَدَارِكِ الْغَيْبِ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرُّوْيَا  
 الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ وَقَالَ لَمْ يَبْقَ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ إِلَّا الرُّوْيَا

الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أَوْ تَرَى لَهُ وَأَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَاتِي الصُّبْحِ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَقْتَلَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ  
 رُؤْيَا يَسْأَلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ لِاسْتَبْشِيرٍ بِمَا وَقَعَ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا فِيهِ ظُهُورُ الدِّينِ وَإِعْزَاؤُهُ وَأَمَّا  
 السَّبَبُ فِي كَوْنِ الرُّؤْيَا مُدْرِكًا لِلْغَيْبِ فَهُوَ أَنَّ الرُّوحَ الْقَلْبِيَّ وَهُوَ الْبَخَارُ اللَّطِيفُ الْمُنْبَعِثُ  
 مِنْ تَجْوِيفِ الْقَلْبِ اللَّحْمِيِّ يَنْتَسِرُ فِي التَّبْرِيَّاتِ وَمَعَ الدَّمِ فِي سَائِرِ الْبَدَنِ وَبِهِ  
 تَكْمُلُ أَعْمَالُ الْقُوَى الْحَيَوَانِيَّةِ وَاحْتِسَاسُهَا فَإِذَا أَدْرَكَهُ الْمَلَالُ بِكَثْرَةِ التَّصَرُّفِ فِي  
 الْأَحْسَاسِ بِالْحَوَاسِّ الْخَمْسِ وَتَضَرُّفِ الْقُوَى الظَّاهِرَةِ وَعَشِي سَطْحَ الْبَدَنِ مَا يَغْشَاهُ  
 مِنْ بَرْدِ اللَّيْلِ انْحَبَسَ الرُّوحُ مِنْ سَائِرِ أَقْطَارِ الْبَدَنِ إِلَى مَرْكَزِهِ الْقَلْبِيِّ فَيَسْتَحِمُّ بِذَلِكَ  
 لِمَعَاوَدَةِ فِعْلِهِ فَتَعَطَّلَتِ الْحَوَاسُّ الظَّاهِرَةُ كُلُّهَا وَذَلِكَ هُوَ مَعْنَى النَّوْمِ كَمَا نَقَدَّمْ فِي  
 أَوَّلِ الْكِتَابِ ثُمَّ إِنَّ هَذَا الرُّوحَ الْقَلْبِيَّ هُوَ مَطِيَّةٌ لِلرُّوحِ الْعَاقِلِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَالرُّوحُ  
 الْعَاقِلُ مُدْرِكٌ لِجَمِيعِ مَا فِي عَالَمِ الْأَمْرِ بِذَاتِهِ إِذْ حَقِيقَتُهُ وَذَاتُهُ عَيْنُ الْإِدْرَاكِ وَإِنَّمَا  
 يَمْنَعُ مِنْ تَعَلُّقِهِ لِلْمَدَارِكِ الْغَيْبِيَّةِ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ حِجَابِ الْأَشْتَغَالِ بِالْبَدَنِ وَقُوَاهُ وَحَوَاسِهِ  
 فَلَوْ قَدْ خَلَا مِنْ هَذَا الْحِجَابِ وَتَجَرَّدَ عَنْهُ لَرَجَعَ إِلَى حَقِيقَتِهِ وَهُوَ عَيْنُ الْإِدْرَاكِ فَيَعْمَلُ  
 كُلَّ مُدْرِكٍ فَإِذَا تَجَرَّدَ عَنْ بَعْضِهَا خَفَّتْ شَوَاعِلُهُ فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ إِدْرَاكِ لِحَقِّهِ مِنْ عَالَمِهِ  
 بِقَدْرِ مَا تَجَرَّدَ لَهُ وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ قَدْ خَفَّتْ شَوَاعِلُ الْحِسِّ الظَّاهِرِ كُلُّهَا وَهِيَ الشَّغْلُ  
 الْأَعْظَمُ فَاسْتَعَدَّ لِتَقْبُولِ مَا هُنَاكَ مِنَ الْمَدَارِكِ الْأَلْفِيفَةِ مِنْ عَالَمِهِ وَإِذَا أَدْرَكَ مَا يُدْرِكُ  
 مِنْ عَوَالِمِهِ رَجَعَ إِلَى بَدَنِهِ إِذْ هُوَ مَا دَامَ فِي بَدَنِهِ جِسْمَانِيًّا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَّا  
 بِالْمَدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَالْمَدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ لِلْعِلْمِ إِنَّمَا هِيَ الدَّمَاعِيَّةُ وَالْمَتَصَرِّفُ مِنْهَا  
 هُوَ الْخَيَالُ فَإِنَّهُ يَنْتَزِعُ مِنَ الصُّورِ الْحَسُّوسَةِ صُورًا خَيَالِيَّةً ثُمَّ يَدْفَعُهَا إِلَى الْحَافِظَةِ  
 تَحْفَظُهَا لَهُ إِلَى وَقْتِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا عِنْدَ النَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَكَذَلِكَ تَجَرَّدُ النَّفْسُ مِنْهَا  
 صُورًا أُخْرَى نَفْسَانِيَّةً عَقْلِيَّةً فَيَتَرَفَّى التَّجْرِيدُ مِنَ الْحَسُّوسِ إِلَى الْمَعْقُولِ وَالْخَيَالِ  
 وَاسِطَةً بَيْنَهُمَا وَلِذَلِكَ إِذَا أَدْرَكَتِ النَّفْسُ مِنْ عَالَمِهَا مَا تُدْرِكُهُ أَلْفَتُهُ إِلَى الْخَيَالِ  
 فَيُصَوِّرُهُ بِالصُّورَةِ الْمُنَاسِبَةِ لَهُ وَيَدْفَعُهُ إِلَى الْحِسِّ الْمُشْتَرِكِ فَيَرَاهُ النَّائِمُ كَأَنَّهُ حَسُّوسٌ  
 فَيَنْتَزِلُ الْمُدْرِكُ مِنَ الرُّوحِ الْعَقْلِيِّ إِلَى الْحِسِّيِّ وَالْخَيَالِ أَيْضًا وَاسِطَةً هَذِهِ حَقِيقَةُ

الرُّؤْيَا وَمِنْ هَذَا التَّعْبِيرِ يَظْهَرُ لَكَ الْفَرْقُ بَيْنَ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةِ وَأَضْغَاثِ الْأَحْلَامِ  
الْكَاذِبَةِ فَإِنَّهَا كُلُّهَا صُورٌ فِي أُخْيَالِ حَالَةِ النُّومِ وَلَكِنْ إِنْ كَانَتْ تِلْكَ الصُّورُ  
مُنْتَزِلَةً مِنَ الرُّوحِ الْعَقْلِيِّ الْمُدْرِكِ فَهِيَ رُؤْيَا وَإِنْ كَانَتْ مَأْخُودَةً مِنَ الصُّورِ الَّتِي  
فِي الْحَافِظَةِ الَّتِي كَانَتْ أُخْيَالُ أَوْدَعَهَا إِيَّاهَا مِنْذُ الْبَقْظَةِ فَهِيَ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَأَمَّا مَعْنَى  
التَّعْبِيرِ فَأَعْلَمُ أَنَّ الرُّوحَ الْعَقْلِيَّ إِذَا أَدْرَكَ مُدْرَكَهُ وَأَلْقَاهُ إِلَى أُخْيَالِ فُصُورِهِ فَإِنَّمَا  
يُصَوِّرُهُ فِي الصُّورِ الْمُنَاسِبَةِ لِذَلِكَ الْمَعْنَى بَعْضُ الشَّيْءِ كَمَا يَدْرِكُ مَعْنَى السُّلْطَانِ  
الْأَعْظَمِ فَيُصَوِّرُهُ الْأُخْيَالَ بِصُورَةِ الْبَحْرِ أَوْ يَدْرِكُ الْعُدَاةَ فَيُصَوِّرُهَا الْأُخْيَالَ فِي صُورَةِ  
الْحَيَّةِ فَإِذَا اسْتَيْقِظَ وَهُوَ لَمْ يَعْلَمْ مِنْ أَمْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ رَأَى الْبَحْرَ أَوْ الْحَيَّةَ فَيَنْظُرُ الْمَعْبُورَ  
بِقُوَّةِ الشَّيْبَةِ بَعْدَ أَنْ يَتَيَقَّنَ أَنَّ الْبَحْرَ صُورَةٌ مَحْسُوسَةٌ وَأَنَّ الْمُدْرَكَ وَرَاءَهَا وَهُوَ  
يَهْتَدِي بِقَرَائِنٍ أُخْرَى تَعَيَّنَ لَهُ الْمُدْرَكَ فَيَقُولُ مَثَلًا هُوَ السُّلْطَانُ لِأَنَّ الْبَحْرَ خَلَقَهُ عَظِيمٌ  
يُنَاسِبُ أَنْ يُشَبَّهَ بِهَا السُّلْطَانُ وَكَذَلِكَ الْحَيَّةُ يُنَاسِبُ أَنْ تُشَبَّهَ بِالْعَدُوِّ لِأَنَّهَا عَظِيمٌ ضَرَرُهَا  
وَكَذَا الْأَوَانِي تُشَبَّهُ بِالنِّسَاءِ لِأَنَّهُنَّ أَوْعِيَةٌ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَمِنْ الْمَرْبِيِّ مَا يَكُونُ صَرِيحًا  
لَا يَتَقَرَّرُ إِلَى تَعْبِيرٍ لَجَلَّائِهَا وَوُضُوحِهَا أَوْ لِقُرْبِ الشَّبَّهِ فِيهَا بَيْنَ الْمُدْرَكَ وَشَبَّهِهِ وَلِهَذَا  
وَقَعَ فِي الصَّحِيحِ الرُّؤْيَا ثَلَاثُ رُؤْيَا مِنْ اللَّهِ وَرُؤْيَا مِنَ الْمَلِكِ وَرُؤْيَا مِنَ الشَّيْطَانِ  
فَالرُّؤْيَا الَّتِي مِنَ اللَّهِ هِيَ الصَّرِيحَةُ الَّتِي لَا تَنْتَقِرُ إِلَى تَأْوِيلٍ وَالَّتِي مِنَ الْمَلِكِ هِيَ الرُّؤْيَا  
الضَّادِقَةُ تَنْتَقِرُ إِلَى التَّعْبِيرِ وَالرُّؤْيَا الَّتِي مِنَ الشَّيْطَانِ هِيَ الْأَضْغَاثُ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأُخْيَالَ  
إِذَا أَلْقَى إِلَيْهِ الرُّوحُ مُدْرَكَهُ فَإِنَّمَا يُصَوِّرُهُ فِي الْقَوَالِبِ الْمُعْتَادَةِ لِلْحِسِّ وَمَا لَمْ يَكُنْ  
الْحِسُّ أَدْرَكَهُ قَطُّ فَلَا يُصَوِّرُ فِيهِ فَلَا يَدْرِكُ مِنْ وَدَائِعِ أَعْمَى أَنْ يُصَوِّرَ لَهُ السُّلْطَانُ  
بِالْبَحْرِ وَلَا الْعَدُوَّ بِالْحَيَّةِ وَلَا النِّسَاءَ بِالْأَوَانِي لِأَنَّهُ لَمْ يَدْرِكْ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ وَإِنَّمَا يُصَوِّرُ  
لَهُ الْأُخْيَالَ أَمْثَالَ هَذِهِ فِي شَبَّهَاتِهَا وَمُنَاسِبَاتِهَا مِنْ جِنْسِ مَدَارِكِهِ الَّتِي هِيَ الْمَشْمُوعَاتُ  
وَالْمَشْمُومَاتُ وَيُحْفَظُ الْمَعْبُورَ مِنْ مِثْلِ هَذَا قُرْبًا أَوْ خِطَابًا بِالتَّعْبِيرِ وَقَدْ قَانُونُهُ ثُمَّ إِنْ  
عَلِمَ التَّعْبِيرَ عَلِمَ يَقْوَانِينَ كَلِمَةً يَبْنِي عَلَيْهَا الْمَعْبُورَ عِبَارَةً مَا يَقْصُ عَلَيْهِ وَتَأْوِيلَهُ كَمَا  
يَقُولُونَ الْبَحْرُ يَدُلُّ عَلَى السُّلْطَانِ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَقُولُونَ الْبَحْرُ يَدُلُّ عَلَى الْغَيْظِ وَفِي  
مَوْضِعٍ آخَرَ يَقُولُونَ الْبَحْرُ يَدُلُّ عَلَى الْهَمِّ وَالْأَمْرِ الْفَالِحِ وَمِثْلُ مَا يَقُولُونَ الْحَيَّةُ تَدُلُّ  
عَلَى الْعَدُوِّ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَقُولُونَ هِيَ كَاتِمٌ سِرٍّ وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ يَقُولُونَ تَدُلُّ عَلَى

الْحَيَاةِ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فَيَحْفَظُ الْمَعْبُورُ هَذِهِ الْقَوَانِينِ الْكَلِيَّةَ وَيَعْبُرُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِمَا  
تَقْتَضِيهِ الْقَرَائِنُ الَّتِي تَعَيَّنُ مِنْ هَذِهِ الْقَوَانِينِ مَا هُوَ الْيَقِينُ بِالرُّؤْيَا وَتِلْكَ الْقَرَائِنُ مِنْهَا فِي  
الْيَقِظَةِ وَمِنْهَا فِي النَّوْمِ وَمِنْهَا مَا يَقْدَحُ فِي نَفْسِ الْمَعْبُورِ بِالْخَاصَّةِ الَّتِي خُلِقَتْ فِيهِ وَكُلُّ  
مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ وَلَمْ يَزَلْ هَذَا الْعِلْمُ مُتَنَاقِلًا بَيْنَ السَّافِّ وَكَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ سِيرِينَ فِيهِ  
مِنْ أَشْهَرِ الْعُلَمَاءِ وَكُتِبَ عَنْهُ فِي ذَلِكَ الْقَوَانِينِ وَتَنَاقَلَهَا النَّاسُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَالْفَتْ  
الْكِرْمَانِي فِيهِ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ آتَى الْمُنْكَرِمُونَ الْمَتَأَخَّرُونَ وَأَكْثَرُوا وَالْمُتَدَاوِلُ  
بَيْنَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ لِهَذَا الْعَهْدِ كُتِبَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ الْقَيْرَوَانِي مِنْ عُلَمَاءِ الْقَيْرَوَانِ مِثْلَ  
الْمُمْتَعِ وَغَيْرِهِ وَكُتِبَ الْإِشَارَةُ لِلْسَّالِمِيِّ وَهُوَ عِلْمٌ مُفِيدٌ بِبُورِ النُّبُوَّةِ لِلْمُنَاسِبَةِ الَّتِي  
يَنْبَغُ كَمَا وَقَعَ فِي الصَّحِيحِ وَاللَّهُ عَلَّامُ الْغُيُوبِ

### الفصل الثالث عشر

في العلوم العقلية واصنافها

وَأَمَّا الْعُلُومُ الْعُقَلِيَّةُ الَّتِي هِيَ طَبِيعِيَّةٌ لِلْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ ذُو فِكْرٍ فَبِهِ غَيْرُ  
مُخْتَصَّةٍ بِمِلَّةٍ بَلْ يُوَجِّهُ النَّظْرَ فِيهَا إِلَى أَهْلِ الْمَلَلِ كُلِّهِمْ وَيَسْتَوُونَ فِي مَدَارِكِهَا وَمَبَاحِثِهَا  
وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ مِنْذُ كَانَ عَمْرَانُ الْخَلِيقَةَ وَتَسَمَّى هَذِهِ الْعُلُومُ عُلُومَ  
الْفَلَسَفَةِ وَالْحِكْمَةِ وَهِيَ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى أَرْبَعَةِ عُلُومٍ الْأَوَّلُ عِلْمُ الْمُنْطِقِ وَهُوَ عِلْمٌ يَعْصِمُ  
الذِّهْنَ عَنِ الْخَطَا فِي اقْتِنَاصِ الْمَطَالِبِ الْمَجْبُودَةِ مِنَ الْأُمُورِ الْخَاصَّةِ الْمَعْلُومَةِ وَفَائِدَتُهُ  
تَمْيِيزُ الْخَطَا مِنَ الصَّوَابِ فِيمَا يَلْتَمِسُهُ النَّاطِرُ فِي الْمَوْجُودَاتِ وَعَوَارِضِهَا لِيَقِفَ عَلَى  
تَحْقِيقِ الْحَقِّ فِي السَّكَائِنَاتِ بِدُنْيَتَيْ فِكْرِهِ ثُمَّ النَّظْرُ بَعْدَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ إِمَّا فِي الْحَسُوسَاتِ  
مِنَ الْأَجْسَامِ الْعُنْصُرِيَّةِ وَالْمَكُونَةِ عَنْهَا مِنَ الْمَعْدِنِ وَالنَّبَاتِ وَالْحَيَوَانَ وَالْأَجْسَامِ  
الْفَلَائِكِيَّةِ وَالْحَرَكَاتِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالنَّفْسِ الَّتِي تَتَّبِعُ عَنْهَا الْحَرَكَاتُ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَيَسَمَّى  
هَذَا الْفَنُّ بِالْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ وَهُوَ الثَّانِي مِنْهَا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ النَّظْرُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي وَرَاءَ  
الطَّبِيعَةِ مِنَ الرُّوحَانِيَّاتِ وَيُسَمُّوهُ الْعِلْمَ الْإِلَهِيِّ وَهُوَ الثَّلَاثُ مِنْهَا وَالْعِلْمُ الرَّابِعُ وَهُوَ  
النَّاطِرُ فِي الْمَقَادِيرِ وَيَسْتَمِلُ عَلَى أَرْبَعَةِ عُلُومٍ وَتَسَمَّى التَّعَالِيمِ أَوَّلُهَا عِلْمُ الْهَنْدَسَةِ وَهُوَ  
النَّظْرُ فِي الْمَقَادِيرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِمَّا الْمُنْفَصِلَةِ مِنْ حَيْثُ كَوْنُهَا مَعْدُودَةٌ أَوْ الْمَتَّصِلَةِ  
وَهِيَ إِمَّا ذُو بُعْدٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْخَطُّ أَوْ ذُو بُعْدَيْنِ وَهُوَ السَّطْحُ أَوْ ذُو أبعادٍ ثَلَاثَةٍ وَهُوَ

الْجِسْمِ التَّعْلِيمِيِّ يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْمَقَادِيرِ وَمَا بَعَرَضُ لَهَا إِمَّا مِنْ حَيْثُ ذَاتُهَا أَوْ مِنْ  
 حَيْثُ نِسْبَةُ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ وَتَأْنِيهَا عِلْمُ الْأَرْتَمَاطِيْقِي وَهُوَ مَعْرِفَةٌ مَا بَعَرَضُ لَكُمْ  
 الْمُنْفَصِلِ الَّذِي هُوَ الْعَدَدُ وَيُؤْخَذُ لَهُ مِنَ الْخَوَاصِّ وَالْعَوَارِضِ الْأَلْحَقَةِ وَتَأْلُفِهَا عِلْمُ  
 الْمَوْسِيقِيِّ وَهُوَ مَعْرِفَةٌ نِسْبِ الْأَصْوَاتِ وَالنَّغَمِ بَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ وَتَقْدِيرُهَا بِالْعَدَدِ وَتَمَرُّنُهُ  
 مَعْرِفَةٌ تَلَاْحِيْنِ الْغِنَاءِ وَرَابِعُهَا عِلْمُ الْهَيْئَةِ وَهُوَ تَعْيِينُ الْأَشْكَالِ لِلْأَفْلَاكِ وَحَصْرُ أَوْضَاعِهَا  
 وَتَعَدُّدُهَا لِكُلِّ كَوْكَبٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْقِيَامُ عَلَى مَعْرِفَةِ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ الْحَرَكَاتِ السَّمَاوِيَّةِ  
 الْمَشَاهِدَةِ الْمَوْجُودَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَمِنْ رُجُوعِهَا وَاسْتِقَامَتِهَا وَإِقْبَالِهَا وَإِدْبَارِهَا فَبِهَذِهِ  
 أَصُولُ الْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ وَهِيَ سَبْعَةُ الْمَنْطِقِ وَهُوَ الْمَقْدَمُ مِنْهَا وَبَعْدَهُ التَّعْلِيمُ فَلَا رَتَمَاطِيْقِي  
 أَوْلَانَهُ الْمُهَنْدِسَةُ ثُمَّ الْهَيْئَةُ ثُمَّ الْمَوْسِيقِيُّ ثُمَّ الطَّبِيعِيَّاتُ ثُمَّ الْإِلَهِيَّاتُ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا  
 فُرُوعٌ تُتَفَرَّعُ عَنْهُ فَمِنْ فُرُوعِ الطَّبِيعِيَّاتِ الطَّبُّ وَمِنْ فُرُوعِ عِلْمِ الْعَدَدِ عِلْمُ الْحِسَابِ  
 وَالْفَرَائِضِ وَالْمُعَامَلَاتِ وَمِنْ فُرُوعِ الْهَيْئَةِ الْأَزْيَاحُ وَهِيَ فَوَائِنُ لِحِسَابِ حَرَكَاتِ  
 الْكُوكَبِ وَتَعْدِيلِهَا لِلْوُقُوفِ عَلَى مَوَاضِعِهَا مَتَى قُصِدَ ذَلِكَ وَمِنْ فُرُوعِهَا النَّظَرُ فِي النُّجُومِ  
 عَلَى الْأَحْكَامِ النُّجُومِيَّةِ وَتَحْنُ نَتِكَلِّمُ عَلَيْهَا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ إِلَى آخِرِهَا وَأَعْلَمُ  
 أَنَّ أَكْثَرَ مَنْ عُنِيَ بِهَا فِي الْأَجْيَالِ الَّذِينَ عَرَفْنَا أَخْبَارَهُمُ الْأَمْتَانِ الْعَظِيمَتَانِ فِي  
 الدَّوْلَةِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَهُمَا فَارِسُ وَالرُّومُ فَكَانَتْ أَسْوَاقُ الْعُلُومِ نَاقِفَةً لَدَيْهِمْ عَلَى  
 مَا بَلَّغْنَا لِمَا كَانَ الْعُمَرَانُ مَوْفُورًا فِيهِمْ وَالدَّوْلَةُ وَالسُّلْطَانُ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَعَصَرِهِ لَهُمْ  
 فَكَانَ لَهُدِيهِ الْعُلُومُ بِمَجُورٍ زَاخِرَةٍ فِي آفَاقِهِمْ وَأَمْصَارِهِمْ وَكَانَ لِلْكِلْدَانِيِّينَ وَمَنْ قَبْلَهُمْ  
 مِنَ السَّرِيَانِيِّينَ وَمَنْ عَاصَرَهُمْ مِنَ الْقَبْطِ عَنَابَةٌ بِالسِّحْرِ وَالنَّجْمَةِ وَمَا يَتَّبِعُهَا مِنَ الطَّلَاسِمِ  
 وَأَخَذَ ذَلِكَ عَنْهُمْ الْأَمُّ مِنْ فَارِسَ وَيُونَانَ فَأَخْضَصَ بِهَا الْقَبْطُ وَطَمَى بَجْرَهَا فِيهِمْ  
 كَمَا وَقَعَ فِي الْمَتَلَوِّ مِنْ خَبَرِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَشَأْنِ السِّحْرِ وَمَا تَقَلَّهَ أَهْلُ الْعِلْمِ  
 مِنْ شَأْنِ الْبَرَارِيِّ بِصَعِيدِ مِصْرَ ثُمَّ تَنَابَعَتِ الْمَلَلُ بِحَظَرِ ذَلِكَ وَتَحْرِيْمِهِ فُدْرِسَتْ  
 عُلُومُهُ وَبَطُلَتْ كَانَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا بَقَايَا يَتَبَاقَلُهَا مُنْتَجِلُو هَذِهِ الصَّنَائِعِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ  
 بِصَحَّتِهَا مَعَ أَنَّ سَيُوفَ الشَّرْعِ قَائِمَةٌ عَلَى ظُهُورِهَا مَانِعَةٌ مِنْ اخْتِبَارِهَا وَأَمَّا الْفَرَسُ  
 فَكَانَ شَأْنُ هَذِهِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ عِنْدَهُمْ عَظِيمًا وَنَطَاقُهَا مُتَسَعِّرًا لِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ دُولُهُمْ  
 مِنَ الضَّخَامَةِ وَاتِّصَالِ الْمَلِكِ وَقَدْ يُقَالُ إِنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ إِنَّمَا وَصَلَتْ إِلَى يُونَانَ مِنْهُمْ

حين قتل الإسكندر داراً وعلب على مملكة الكيكية فاستولى على كتبهم وعلومهم  
 مما لا يأخذه أحصر ولما فتحت أرض فارس ووجدوا فيها كتباً كثيرة كتبت سعد  
 ابن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب ليستأذنه في شأنها وتنقيتها للمسلمين فكتب  
 إليه عمر أن أطرحوها في الماء فإن يكن ما فيها هدى فقد هدانا الله بأهدى منه وإن  
 يكن ضلالاً فقد كفانا الله فطرحوها في الماء أو في النار وذهبت علوم الفرس فيها  
 عن أن تصل إلينا. وأما الروم فكانت الدولة منهم أيونان أولاً وكان لهذه العلوم  
 بينهم مجال رحب وحبها مشاهير من رجالهم مثل أساطين الحكمة وغيرهم  
 واختص فيها المشاهير منهم أصحاب الرواق بطريقة حسنة في التليم كانوا يقرأون  
 في رواق يظلمهم من الشمس والبرد على ما زعموا واتصل فيها سند تعليمهم على ما  
 يزعمون من لدن ثمان الحكيم في تلميذه بقراط الذي ثم إلى تلميذه أفلاطون ثم  
 إلى تلميذه أرسطو ثم إلى تلميذه الإسكندر الأفروديسي وتامسطيون وغيرهم  
 وكان أرسطو معلماً للإسكندر ملكهم الذي غلب الفرس على ملكهم وانتزع  
 الملك من أيديهم وكان أرسخهم في هذه العلوم قدماً وأبعدهم فيه صيتاً وكان يسمى  
 المعلم الأول فطار له في العالم ذكر. ولما انقرض أمر اليونان وصار الأمر للقباصيرة  
 وأخذوا بدين النصرانية هجروا تلك العلوم كما تقتضيه الملل والشرايع فيها وبقيت  
 في صحفها ودواوينها مخددة باقية في خزائنهم قد ملكوا الشام وكتب هذه العلوم  
 باقية فيهم ثم جاء الله بالإسلام وكان لأهله الظهور الذي لا كفاء له وأبزو الروم  
 ملكهم فيما أبزوه للأمم وأبدا أمرهم بالسداجة والغفلة عن الصنائع حتى إذا  
 تهبج من السلطان والدولة وأخذ الحضارة بالخط الذي لم يكن لغيرهم من الأمم  
 وتفنونوا في الصنائع والعلوم تشوقوا إلى الأطلاع على هذه العلوم الحكيمية بما  
 سمعوا من الأساقفة والأقسة المعاهدين بعض ذكر منها وبما سمعوا إليه أفكار الإنسان  
 فيها فبعث أوجعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث إليه بكتب التعاليم مترجمة  
 فبعث إليه بكتاب أوقليدس وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون وأطعموا على  
 ما فيها وأزدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها وجاء المأمون بعد ذلك وكانت له في  
 العلم رغبة بما كان ينتحلها فأنبعث لهذه العلوم حرصاً وأوفد الرسل على ملوك الروم

فِي اسْتِغْرَاجِ عُلُومِ الْيُونَانِيِّينَ وَانْتِسَاحِهَا بِالْحِطِّ الْعَرَبِيِّ وَبَعَثَ الْمُتَرْجِمِينَ لِذَلِكَ فَأَوْعَى  
 مِنْهُ وَأَسْتَوْعَبَ وَعَكَفَ عَلَيْهَا النَّظَارُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَحَدِّقُوا فِي فُنُونِهَا وَأَنْتَهَتْ إِلَى  
 الْغَايَةِ أَنْظَارُهُمْ فِيهَا وَخَالَفُوا كَثِيرًا مِنْ آرَاءِ الْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَاخْتَصَّوهُ بِالرَّدِّ وَالْقَبُولِ  
 لَوْ قُوفِ الشُّهْرَةِ عِنْدَهُ وَدَوَّنُوا فِي ذَلِكَ الدَّوَابِينَ وَأَرْبُوعًا عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ  
 وَكَانَ مِنْ أَكْبَرِهِمْ فِي الْمِلَّةِ أَبُو نَصْرِ الْقَارَاطِيُّ وَأَبُو عَلِيٍّ بْنُ سِينَا بِالْمَشْرِقِ وَالْقَاضِي  
 أَبُو الْوَلِيدِ بْنُ رُشْدٍ وَالْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الصَّائِعِ بِالْأَنْدَلُسِ إِلَى آخِرِينَ بَلَّغُوا الْغَايَةَ  
 فِي هَذِهِ الْعُلُومِ وَاخْتَصَّ هَؤُلَاءِ بِالشُّهْرَةِ وَالذِّكْرِ وَاقْتَصَرَ كَثِيرُونَ عَلَى اتِّخَالِ الْعُلَامِ  
 وَمَا يَضَافُ إِلَيْهَا مِنْ عُلُومِ النُّجُومِ وَالسَّحْرِ وَالطَّلَسَمَاتِ وَوَقَفَتْ الشُّهْرَةُ فِي هَذَا الْمُنْتَحَلِ  
 عَلَى مَسْلَمَةَ بْنِ أَحْمَدَ الْحَجْرِيَّيَّ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَتَلْمِيزِهِ وَدَخَلَ عَلَى الْمِلَّةِ مِنْ  
 هَذِهِ الْعُلُومِ وَأَهْلِهَا دَاخِلَةٌ وَأَسْتَهْوَتْ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ بِمَا جَنَحُوا إِلَيْهَا وَقَدِّدُوا آرَاءَهَا  
 وَالذَّنْبُ فِي ذَلِكَ لِمَنْ أَرْتَكِبَهُ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ. ثُمَّ إِنَّ الْمَغْرِبَ وَالْأَنْدَلُسَ لَمَّا  
 رَكَدَتْ رِيحُ الْعُمَرَانِ بِيَهُمَا وَتَنَاقَصَتْ الْعُلُومُ بِتَنَاقُصِهِ أَضْحَلَّ ذَلِكَ مِنْهُمَا إِلَّا قَلِيلًا مِنْ  
 رُؤُوسِهِمْ يَجِدُهَا فِي تَفَارِيقِ مِنَ النَّاسِ وَتَحْتَ رِقَبَةٍ مِنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ وَيَبْلُغُنَا عَنْ أَهْلِ  
 الْمَشْرِقِ أَنَّ بَصَائِعَ هَذِهِ الْعُلُومِ لَمْ تَزَلْ عِنْدَهُمْ مُتَوَفَّرَةً وَخُصُوصًا فِي عِرَاقِ الْعَجَمِ وَمَا  
 بَعْدَهُ فِيمَا وَرَاءَ النَّهْرِ وَأَنْتَهُمْ عَلَى بَيْحِ مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ لَتُوفِّرَ عُمرَانَهُمْ وَأَسْتَحْكِمَ  
 الْحَضَارَةَ فِيهِمْ وَقَدْ وَقَفَتْ بِمِصْرَ عَلَى تَالِيفِ مُتَعَدِّدَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ عِظَمَاءِ هِرَاةٍ مِنْ بِلَادِ  
 خُرَّاسَانَ يُشَهَّرُ بِسَعْدِ الدِّينِ التَّفْتَازَانِيِّ مِنْهَا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَأُصُولِ الْفِقْهِ وَالْبَيَانِ  
 تَشْهَدُ بَأَنَّ لَهُ مَلَكَةً رَاسِخَةً فِي هَذِهِ الْعُلُومِ وَفِي أَتْنَائِهَا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهُ أَطْلَاعًا عَلَى  
 الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ وَقَدَّمَ آيَةً فِي سَائِرِ الْفُنُونِ الْعَقْلِيَّةِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ  
 كَذَلِكَ بَلَّغْنَا لِهَذَا الْعَهْدِ أَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ الْفَلَسَفِيَّةَ بِبِلَادِ الْإِفْرِجِيَّةِ مِنْ أَرْضِ رُومَةٍ وَمَا  
 إِلَيْهَا مِنَ الْعُدُودِ السَّمَالِيَّةِ نَافِقَةٌ الْأَسْوَاقِ وَأَنَّ رُؤُوسَهَا هُنَاكَ مُتَجَدِّدَةٌ وَمَجَاسِسُ  
 تَعْلِيمِهَا مُتَعَدِّدَةٌ وَدَوَّابِنُهَا جَامِعَةٌ مُتَوَفَّرَةٌ وَطَبَّتْهَا مُتَكَثِّرَةٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا هُنَاكَ  
 وَهُوَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ

## الفصل الرابع عشر

في العلوم العددية

وَأَوَّلُهَا الْأَرْثَمَاطِقِيُّ وَهُوَ مَعْرِفَةُ خَوَاصِّ الْأَعْدَادِ مِنْ حَيْثُ التَّأَلُّفُ إِمَّا عَلَى التَّوَالِي  
أَوْ بِالتَّضْعِيفِ مِثْلُ أَنْ الْأَعْدَادَ إِذَا تَوَالَتْ مُتَفَاضِلَةً بَعْدَ وَاحِدٍ فَإِنَّ جَمْعَ الطَّرْفَيْنِ مِنْهَا مُسَاوٍ  
لِجَمْعِ كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدَهُمَا مِنَ الطَّرْفَيْنِ بَعْدَ وَاحِدٍ وَمِثْلُ ضَعْفِ الْوَاسِطَةِ إِنْ كَانَتْ  
عَدَةً تِلْكَ الْأَعْدَادُ فَرْدًا مِثْلَ الْأَفْرَادِ عَلَى تَوَالِيهَا وَالْأَزْوَاجِ عَلَى تَوَالِيهَا وَمِثْلُ أَنْ الْأَعْدَادَ  
إِذَا تَوَالَتْ عَلَى نِسْبَةٍ وَاحِدَةٍ يَكُونُ أَوَّلُهَا نِصْفُ ثَانِيهَا وَثَانِيهَا نِصْفُ ثَالِثِهَا الخ أَوْ يَكُونُ  
أَوَّلُهَا ثُلْثُ ثَانِيهَا وَثَانِيهَا ثُلْثُ ثَالِثِهَا الخ فَإِنَّ ضَرْبَ الطَّرْفَيْنِ أَحَدِهِمَا فِي الْآخِرِ كَضَرْبِ  
كُلِّ عَدَدَيْنِ بَعْدَهُمَا مِنَ الطَّرْفَيْنِ بَعْدَ وَاحِدٍ أَحَدُهُمَا فِي الْآخِرِ وَمِثْلُ مَرْبَعِ الْوَاسِطَةِ  
إِنْ كَانَتْ الْعِدَّةُ فَرْدًا وَذَلِكَ مِثْلَ أَعْدَادِ زَوْجِ الزَّوْجِ الْمُتَوَالِيَةِ مِنْ اثْنَيْنِ فَارْبَعَةٌ  
فَتِمْنَانِيَّةٌ فِسْتَةٌ عَشْرٌ وَمِثْلُ مَا يَحْدُثُ مِنَ الْخَوَاصِّ الْعَدَدِيَّةِ فِي وَضْعِ الْمِثْلَثَاتِ الْعَدَدِيَّةِ  
وَالْمَرْبَعَاتِ وَالنَّخْمَسَاتِ وَالْمَسَدَّسَاتِ إِذَا وُضِعَتْ مُتتَالِيَةً فِي سَطْرِهَا بِأَنْ يُجْمَعَ مِنَ  
الْوَاحِدِ إِلَى الْعَدَدِ الْآخِرِ فَتَكُونُ مِثْلَةً وَتَتَوَالَى الْمِثْلَثَاتُ هَكَذَا فِي سَطْرِهَا تَحْتَ  
الْأَضْلَاعِ ثُمَّ تَزِيدُ عَلَى كُلِّ مِثْلٍ ثُلْثَ الضَّاعِ الَّذِي قَبْلَهُ فَتَكُونُ مَرْبَعَةً وَتَزِيدُ عَلَى  
كُلِّ مَرْبَعٍ مِثْلَ الضَّاعِ الَّذِي قَبْلَهُ فَتَكُونُ نَخْمَسَةً وَهَلُمَّ جَرًّا وَتَتَوَالَى الْأَشْكَالُ  
عَلَى تَوَالِي الْأَضْلَاعِ وَيَحْدُثُ جَدْوَلٌ ذُو طُولٍ وَعَرْضٍ فِيهِ عَرْضُ الْأَعْدَادِ عَلَى تَوَالِيهَا  
ثُمَّ الْمِثْلَثَاتُ عَلَى تَوَالِيهَا ثُمَّ الْمَرْبَعَاتُ ثُمَّ النَّخْمَسَاتُ الخ وَفِي طُولِهِ كُلُّ عَدَدٍ وَأَشْكَالُهُ  
بَالِغًا مَا بَلَغَ وَتَحْدُثُ فِي جَمْعِهَا وَقِسْمَةِ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ طُولًا وَعَرْضًا خَوَاصُّ غَرِيبَةٌ  
أَسْتَقْرَبْتُ مِنْهَا وَأَقَرَّرْتُ فِي دَوَائِبِهِمْ مَسَائِلَهَا كَذَلِكَ مَا يَحْدُثُ لِلزَّوْجِ وَالْفَرْدِ وَزَوْجِ  
الزَّوْجِ وَزَوْجِ الْفَرْدِ وَزَوْجِ الزَّوْجِ وَالْفَرْدِ فَإِنَّ لِكُلِّ مِنْهَا خَوَاصًّا مُخْتَصَّةً بِهِ تَضَمَّنَهَا  
هَذَا الْفَنُّ وَبَسِطَ فِي غَيْرِهِ وَهَذَا الْفَنُّ أَوَّلُ أَجْزَاءِ التَّعَالِيمِ وَأَثْبَتَهَا وَيَدْخُلُ فِي بَرَاهِينِ  
الْحِسَابِ وَلِلْحِكْمَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ فِيهِ تَأَلِيفٌ وَأَكْثَرُهُمْ يَدْرَجُونَهُ فِي  
التَّعَالِيمِ وَلَا يَفْرُدُونَهُ بِالتَّأَلِيفِ فَعَلَّ ذَلِكَ ابْنُ سِينَا فِي كِتَابِ الشِّفَاءِ وَالنَّجَا وَغَيْرِهِ  
مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَإِمَّا الْمُتَأَخِّرُونَ فَهُوَ عِنْدَهُمْ مَهْجُورٌ إِذْ هُوَ غَيْرُ مَبْدَؤٍ وَمَنْفَعَةٍ فِي  
الْبَرَاهِينِ لِأَنَّ فِي الْحِسَابِ فَهْجُورَهُ لِذَلِكَ بَعْدَ أَنْ اسْتَمْتَلَّصُوا زُبْدَتَهُ فِي الْبَرَاهِينِ الْحِسَابِيَّةِ

كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ الْبَنَاءِ فِي كِتَابِ رَفْعِ الْحِجَابِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ . ( ومن فروع  
 علم العدد صناعة الحساب ) . وَهِيَ صِنَاعَةٌ عِلْمِيَّةٌ فِي حِسَابِ الْأَعْدَادِ بِالضَّمِّ وَالتَّفْرِيقِ  
 فَالضَّمُّ يَكُونُ فِي الْأَعْدَادِ بِالْأَفْرَادِ وَهُوَ الْجَمْعُ وَبِالتَّضْعِيفِ تَضَاعُفُ عَدَدًا بِأَحَادٍ عَدَدٍ  
 آخَرَ وَهَذَا هُوَ الضَّرْبُ وَالتَّفْرِيقُ أَيْضًا يَكُونُ فِي الْأَعْدَادِ إِمَّا بِالْأَفْرَادِ مِثْلَ إِزَالَةِ عَدَدٍ  
 مِنْ عَدَدٍ وَمَعْرِفَةِ الْبَاقِي وَهُوَ الطَّرْحُ أَوْ تَفْصِيلِ عَدَدٍ بِأَجْزَاءٍ مُتَسَاوِيَةٍ تَكُونُ عِدَّتُهَا  
 مُحْصَلَةً وَهُوَ الْقِسْمَةُ وَسَوَاءٌ كَانَ هَذَا الضَّمُّ وَالتَّفْرِيقُ فِي الصَّحِيحِ مِنَ الْعَدَدِ أَوْ الْكَسْرِ  
 وَمَعْنَى الْكَسْرِ نِسْبَةُ عَدَدٍ إِلَى عَدَدٍ وَتِلْكَ النِّسْبَةُ تُسَمَّى كَسْرًا وَكَذَلِكَ يَكُونُ بِالضَّمِّ  
 وَالتَّفْرِيقِ فِي الْجُدُورِ وَمَعْنَاهَا الْعَدَدُ الَّذِي يُضْرَبُ فِي مِثْلِهِ فَيَكُونُ مِنْهُ الْعَدَدُ الْمُرَبَّعُ  
 فَإِنَّ تِلْكَ الْجُدُورَ أَيْضًا يَدْخُلُهَا الضَّمُّ وَالتَّفْرِيقُ وَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ حَادِثَةٌ أَحْتِجُ إِلَيْهَا  
 لِلْحِسَابِ فِي الْمَعَامَلَاتِ وَآلَفَ النَّاسُ فِيهَا كَثِيرًا وَتَدَاوَلُوهَا فِي الْأَمْصَارِ بِالتَّعْلِيمِ لِلْوِلْدَانِ  
 وَمِنْ أَحْسَنِ التَّعْلِيمِ عِنْدَهُمُ الْإِتِّدَاءُ بِهَا لِأَنَّهَا مَعَارِفٌ مُتَّضِعَةٌ وَبَرَاهِينٌ مُنْتَظِمَةٌ فَيُنشَأُ  
 عَنْهَا فِي الْعَالِبِ عَقْلٌ مُضِيٌّ دَرَبٌ عَلَى الصَّوَابِ وَقَدْ يُقَالُ مَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ بِتَعْلِيمِ الْحِسَابِ  
 أَوَّلَ أَمْرِهِ إِنَّهُ يَغَابُ عَلَيْهِ الصِّدْقُ لِمَا فِي الْحِسَابِ مِنْ صِحَّةِ الْمَبَانِي وَمُنَاقَشَةِ النَّفْسِ  
 فَيَصِيرُ ذَلِكَ خُلُقًا وَيَتَعَوَّدُ الصِّدْقَ وَيَلْزَمُهُ مَذْهَبًا وَمِنْ أَحْسَنِ التَّلَافِيهِ الْمَبْسُوطَةِ فِيهَا  
 لِهَذَا الْعَهْدِ بِالْمَغْرِبِ كِتَابُ الْحِصَارِ الصَّغِيرِ لِابْنِ الْبَنَاءِ الْمَرَاكِشِيِّ فِيهِ تَلْخِيصٌ ضَابِطٌ  
 لِقَوَانِينِ أَعْمَالِهِ مُفِيدٌ ثُمَّ شَرَحَهُ بِكِتَابِ سَمَاءِ رَفْعِ الْحِجَابِ وَهُوَ مُسْتَعْلَقٌ عَلَى الْمُبْتَدِيَّةِ  
 بِمَا فِيهِ مِنَ الْبَرَاهِينِ الْوَثِيقَةِ الْمَبَانِي وَهُوَ كِتَابٌ جَلِيلٌ الْقَدْرِ أَدْرَكْنَا الْمَشِيخَةَ تَعْظُمُهُ  
 وَهُوَ كِتَابٌ جَدِيدٌ بِذَلِكَ وَإِنَّمَا جَاءَهُ الْأَسْتِغْلَاقُ مِنْ طَرِيقِ الْبُرْهَانِ بَيِّنَاتٍ عُلُومِ  
 التَّعْلِيمِ لِأَنَّ مَسَائِلَهَا وَأَعْمَالَهَا وَاصِحَّةٌ كُلُّهَا وَإِذَا قُصِدَ شَرْحُهَا فَإِنَّمَا هُوَ إِعْطَاءُ الْعِلَلِ  
 فِي تِلْكَ الْأَعْمَالِ وَفِي ذَلِكَ مِنَ الْعُسْرِ عَلَى الْفَهْمِ مَا لَا يَوْجَدُ فِي أَعْمَالِ الْمَسَائِلِ فَتَأَمَّلْهُ  
 وَاللَّهُ يَهْدِي بِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْمَتِينُ . ( ومن فروع الجبر والمقابلة ) . وَهِيَ  
 صِنَاعَةٌ يُسْتَخْرَجُ بِهَا الْعَدَدُ الْجَهُولُ مِنْ قِبَلِ الْعُلُومِ الْمَفْرُوضِ إِذَا كَانَ بَيْنَهُمَا نِسْبَةٌ  
 تَقْتَضِي ذَلِكَ فَاصْطَلَحُوا فِيهَا عَلَى أَنْ جَعَلُوا لِلْجَهُولَاتِ مَرَاتِبَ مِنْ طَرِيقِ التَّضْعِيفِ بِالضَّرْبِ  
 أَوَّلَهَا الْعَدَدُ لِأَنَّهُ بِهِ يَتَعَيَّنُ الْمَطْلُوبُ الْجَهُولُ بِاسْتِخْرَاجِهِ مِنْ نِسْبَةِ الْجَهُولِ إِلَيْهِ وَتَأْتِيهَا  
 الشَّيْءُ لِأَنَّ كُلَّ جَهُولٍ فَهُوَ مِنْ جِهَةِ إِبْهَامِهِ شَيْءٌ وَهُوَ أَيْضًا جُزْءٌ لِمَا يَلْزَمُ مِنْ تَضْعِيفِهِ

فِي الْمَرْتَبَةِ الثَّانِيَةِ وَتَالِثَهَا الْمَالُ وَهُوَ أَمْرٌ مُبْهِمٌ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَى نِسْبَةِ الْأَسْرِ فِي  
 الْمَضْرُوبِينَ ثُمَّ يَقَعُ الْعَمَلُ الْمَفْرُوضُ فِي الْمَسْأَلَةِ فَتَخْرُجُ إِلَى مُعَادَلَةٍ بَيْنَ مُخْتَلِفَيْنِ أَوْ  
 أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ فَيُقَابِلُونَ بَعْضًا بِبَعْضٍ وَيَجْبُرُونَ مَا فِيهَا مِنَ الْكَسْرِ حَتَّى  
 يَصِيرَ صَحِيحًا وَيَحْطُونَ الْمَرَاتِبَ إِلَى أَقَلِّ الْأَسْوَاسِ إِنْ أَمَكْنَ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى الثَّلَاثَةِ  
 الَّتِي عَلَيْهَا مَدَارُ الْجُبْرِ عِنْدَهُمْ وَهِيَ الْعُدَّةُ وَالشَّيْءُ وَالْمَالُ فَإِنْ كَانَتْ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَ وَاحِدٍ  
 وَوَاحِدٍ تَعَيَّنَ فَالْمَالُ وَالْجَدْرُ يَزُولُ إِنْهَامُهُ بِمُعَادَلَةِ الْعُدَّةِ وَيَتَعَيَّنُ وَالْمَالُ وَإِنْ عَادَلَ  
 الْجُدُورَ فَيَتَعَيَّنُ بِعِدَّتِهَا وَإِنْ كَانَتْ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَ وَاحِدٍ وَاثْنَيْنِ أَخْرَجَهُ الْعَمَلُ الْمُهَنْدِسِيُّ  
 مِنْ طَرِيقِ تَفْصِيلِ الضَّرْبِ فِي الْإِثْنَيْنِ وَهِيَ مُبْهِمَةٌ فَيَعِينُهَا ذَلِكَ الضَّرْبُ الْمَفْصَلُ وَلَا  
 يُمَكِّنُ الْمُعَادَلَةَ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَأَكْثَرَ مَا انْتَهتِ الْمُعَادَلَةُ بَيْنَهُمْ إِلَى سِتِّ  
 مَسَائِلَ لِأَنَّ الْمُعَادَلَةَ بَيْنَ عَدَدٍ وَجَدْرٍ وَمَالٍ مُفْرَدَةٍ أَوْ مُرَكَّبَةٍ تُجِي سِتَّةَ وَأَوَّلَ مَنْ كَتَبَ  
 فِي هَذَا الْفَنِّ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْخَوَّارِزْمِيُّ وَبَعْدَهُ أَبُو كَامِلٍ شَيْخُ بَنِي أَسْلَمَ وَجَاءَ النَّاسُ  
 عَلَى آثَرِهِ فِيهِ وَكُتَابُهُ فِي مَسَائِلِهِ السِّتِّ مِنْ أَحْسَنِ الْكُتُبِ الْمَوْضُوعَةِ فِيهِ وَشَرَحَهُ  
 كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فَأَجَادُوا وَمِنْ أَحْسَنِ شُرُوحَاتِهِ كِتَابُ الْفَرُّشِيِّ وَقَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ  
 بَعْضَ أَيْمَةِ التَّعَالِيمِ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ أَنْهَى الْعُمَلَاتِ إِلَى أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ السِّتَةِ  
 الْأَجْنَاسِ وَبَلَّغَهَا إِلَى فَوْقِ الْعِشْرِينَ وَأَسْتَخْرِجَ لَهَا كُلَّهَا أَعْمَالًا وَاتَّبَعَهُ بِرَاهِنٍ هِنْدِسِيَّةٍ  
 وَاللَّهُ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . ( وَمِنْ فُرُوعِهِ أَيْضًا الْعُمَلَاتُ ) . وَهُوَ  
 تَصْرِيْفُ الْحِسَابِ فِي مُعَامَلَاتِ الْمَدِينِ فِي الْبَيْعَاتِ وَالْمَسَاحَاتِ وَالزُّكُوتِ وَسَائِرِ مَا  
 يَعْزُضُ فِيهِ الْعُدَّةُ مِنَ الْعُمَلَاتِ يَصْرِفُ فِي صِنَاعَتِنَا ذَلِكَ الْحِسَابَ فِي الْمَجْهُولِ وَالْمَعْلُومِ  
 وَالْكَسْرِ وَالصَّحِيحِ وَالْجُدُورِ وَغَيْرِهَا وَالغَرَضُ مِنْ تَكْثِيرِ الْمَسَائِلِ الْمَفْرُوضَةِ فِيهَا  
 حُصُولُ الْمِرَانِ وَالذُّرْبَةِ بِتَكَرُّرِ الْعَمَلِ حَتَّى تَرْتَبِعَ الْمَلَكَةُ فِي صِنَاعَةِ الْحِسَابِ  
 وَلِأَهْلِ الصَّنَاعَةِ الْحِسَابِيَّةِ مِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ تَأَلَّفَ فِيهَا مُتَعَدِّدَةٌ مِنْ أَشْهُرِهَا مُعَامَلَاتُ  
 الزُّهْرَاوِيِّ وَابْنِ السَّمْحِ وَأَبِي مُسْلِمِ بْنِ خَلْدُونَ مِنْ تَلْمِيزِ مُسْلِمَةَ الْعَجْرِيَّيْنِ وَأَمثالِهِمْ  
 ( وَمِنْ فُرُوعِهِ أَيْضًا الْفَرَايِضُ ) . وَهِيَ صِنَاعَةُ حِسَابِيَّةٍ فِي تَصْحِيحِ السِّهَامِ لِذَوِي الْفُرُوضِ  
 فِي الْوَرَاثَاتِ إِذَا تَعَدَّتْ وَهَلَكَ بَعْضُ الْوَارِثِينَ وَأَنْكَسَرَتْ سِهَامُهُ عَلَى وَرَثَتِهِ أَوْ  
 زَادَتْ الْفُرُوضُ عِنْدَ اجْتِمَاعِهَا وَتَرَاحُمِهَا عَلَى أَعْمَالِ كُلِّهِ أَوْ كَانَ فِي الْفَرِيضَةِ إِقْرَارٌ

وَإِنْكَارٌ مِنْ بَعْضِ الْوَرَثَةِ فَمُتَّحَجٌّ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَى عَمَلٍ يُعَيِّنُ بِهِ سَهَامَ الْفَرِيضَةِ مِنْ  
 كَمْ تَصِخُّ وَسَهَامُ الْوَرَثَةِ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ مُصَحَّحًا حَتَّى تَكُونَ حَظُوظُ الْوَارِثِينَ مِنْ  
 الْمَالِ عَلَى نِسْبَةِ سَهَامِهِمْ مِنْ جُمْلَةِ سَهَامِ الْفَرِيضَةِ فَيَدْخُلُهَا مِنْ صِنَاعَةِ الْحِسَابِ جُزْءٌ  
 كَبِيرٌ مِنْ صَحِيحِهِ وَكَسْرُهُ وَجَذْرُهُ وَمَعْلُومُهُ وَبُجْهُولُهُ وَتُرْتَبُ عَلَى تَرْتِيبِ أَبْوَابِ الْفَرَائِضِ  
 الْفَقْهِيَّةِ وَمَسَائِلِهَا فَتَشْتَمِلُ حِينَئِذٍ هَذِهِ الصِّنَاعَةُ عَلَى جُزْءٍ مِنَ الْفِقْهِ وَهُوَ أَحْكَامُ الْوَرَاثَةِ  
 مِنَ الْفَرُوضِ وَالْعَوْلِ وَالْإِقْرَارِ وَالْإِنْكَارِ وَالْوَصَايَا وَالتَّوَدِيرُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ مَسَائِلِهَا  
 وَعَلَى جُزْءٍ مِنَ الْحِسَابِ وَهُوَ تَصْحِيحُ السُّهُمَانِ بِاعْتِبَارِ الْحُكْمِ الْفَقْهِيِّ وَهِيَ مِنْ أَجْلِ  
 الْعُلُومِ وَقَدْ يوردُ أَهْلُهَا أَحَادِيثَ نَبَوِيَّةً تَشْهَدُ بِفَضْلِهَا مِثْلَ الْفَرَائِضِ ثَلَاثُ الْعِلْمِ وَأَنَّهَا أَوَّلُ  
 مَا يُرْفَعُ مِنَ الْعُلُومِ وَغَيْرُ ذَلِكَ وَعِنْدِي أَنَّ ظَوَاهِرَ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ كُلِّهَا إِنَّمَا هِيَ فِي  
 الْفَرَائِضِ الْعَيْنِيَّةِ كَمَا تَقْدَمُ لَا فَرَائِضَ الْوَرَاثَاتِ فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَنْ أَنْ تَكُونَ فِي كَمِّيَّاتِهَا  
 ثَلَاثُ الْعِلْمِ وَأَمَّا الْفَرَائِضُ الْعَيْنِيَّةُ فَكَثِيرَةٌ وَقَدْ أَلْفَ النَّاسُ فِي هَذَا الْفَنِّ قَدِيمًا وَحَدِيثًا  
 وَأَوْعِبُوا وَمِنْ أَحْسَنِ التَّالِيفِ فِيهِ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابُ ابْنِ تَابِتٍ وَتَخْتَصِرُ  
 الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ الْحَوْفِيِّ وَكِتَابُ ابْنِ الْمُنَمَّرِ وَالْجَعْدِيِّ وَالصَّرْدِيِّ وَغَيْرِهِمْ لَكِنَّ  
 الْفَضْلَ لِلْحَوْفِيِّ فَكِتَابُهُ مُقَدَّمٌ عَلَى جَمِيعِهَا وَقَدْ شَرَحَهُ مِنْ شَيْوِخِنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ سَلِيمَانُ  
 الشَّطِئِي كَبِيرٌ مَسِيخَةٌ فَاسٌ فَأَوْضَحَ وَأَوْعَبَ وَلَا يُمَامِ الْحَرَمَيْنِ فِيهَا تَالِيفٌ عَلَى مَذْهَبِ  
 الشَّافِعِيِّ تَشْهَدُ بِاتِّسَاعِ بَاعِهِ فِي الْعُلُومِ وَرُسُوخِ قَدَمِهِ وَكَذَا لِلْحَنَفِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ وَمَقَامَاتُ  
 النَّاسِ فِي الْعُلُومِ مُخْتَلِفَةٌ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِمَنْهَ وَكَرَمِهِ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل الخامس عشر

في العلوم الهندسية

هَذَا الْعِلْمُ هُوَ النَّظَرُ فِي الْمَقَادِيرِ إِمَّا الْمَتَّصِلَةِ كَالْحَطِّ وَالسَّطْحِ وَالْجَنَسِ وَإِمَّا  
 الْمُنْفَصِلَةِ كَالْأَعْدَادِ وَفِيمَا يَعْزُضُ لَهَا مِنَ الْعَوَارِضِ النَّاتِيَةِ مِثْلَ أَنْ كُلُّ مِثْلٍ فَرَوَايَاهُ  
 مِثْلُ قَائِمَتَيْنِ وَمِثْلُ أَنْ كُلَّ خَطِّينِ مُتَوَازِيَيْنِ لَا يَلْتَقِيَانِ فِي وَجْهِهِ وَلَوْ خَرَجَا إِلَى غَيْرِ  
 نَهَائِهِ وَمِثْلُ أَنْ كُلَّ خَطِّينِ مُتَقَاطِعَيْنِ فَالزَّاوِيَتَانِ الْمُتَقَابِلَتَانِ مِنْهُمَا مُنْسَاوِيَتَانِ وَمِثْلُ  
 أَنْ الْأَرْبَعَةَ مَقَادِيرَ الْمُتَنَاسِبَةِ ضَرَبُ الْأَوَّلِ مِنْهَا فِي الثَّلَاثِ كَضَرْبِ الثَّانِي فِي الرَّابِعِ  
 وَآمِثَالُ ذَلِكَ وَالْكِتَابُ الْمَتْرَجِمُ لِلْيُونَانِيِّينَ فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ كِتَابُ أَوْقَلِيدِسَ وَيُسَمَّى

كِتَابُ الْأُصُولِ وَكِتَابُ الْأَرْكَانِ وَهُوَ أَبْسَطُ مَا وُضِعَ فِيهَا لِلْمُتَعَلِّمِينَ وَأَوَّلُ مَا تُرْجِمُ  
 مِنْ كِتَابِ الْيُونَانِيِّينَ فِي الْمَلَّةِ أَيَّامَ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَنُسَخُهُ مُخْتَلَفَةٌ بِاخْتِلَافِ  
 الْمُتَرْجِمِينَ فَمِنْهَا لِحْنِيْنِ بْنِ إِسْحَاقَ وَثَابِتِ بْنِ قِرَّةَ وَليُوسُفَ بْنِ الْحُجَّاجِ وَبِسْتَمَلِ عَلَى  
 خَمْسَ عَشْرَةَ مَقَالَةً أَرْبَعٌ فِي السُّطُوحِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْأَقْدَارِ الْمُنَاسِبَةِ وَأُخْرَى فِي  
 نِسْبِ السُّطُوحِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَثَلَاثٌ فِي الْعَدَدِ وَالْعَاشِرَةَ فِي الْمَنْطِقَاتِ وَالْقَوِي عَلَى  
 الْمَنْطِقَاتِ وَمَعْنَاهُ الْجُدُورُ وَخَمْسٌ فِي الْجِسْمَاتِ وَقَدْ اخْتَصَرَهُ النَّاسُ اخْتِصَارَاتٍ كَثِيرَةً  
 كَمَا فَعَلَهُ ابْنُ سِينَا فِي تَعَالِيمِ الشِّفَاءِ أَفْرَدَ لَهُ جُزْءًا مِنْهَا اخْتَصَصَهُ بِهِ وَكَذَلِكَ ابْنُ الصَّلَاتِ  
 فِي كِتَابِ الْأِفْتِصَارِ وَغَيْرِهِمْ وَشَرَحَهُ آخَرُونَ شَرْوَحًا كَثِيرَةً وَهُوَ مَبْدَأُ الْعُلُومِ الْمُهَنْدِسِيَّةِ  
 بِإِطْلَاقٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُهَنْدِسَةَ تَفِيدُ صَاحِبَهَا إِضَاءَةً فِي عَقْلِهِ وَأَسْتِقَامَةً فِي فِكْرِهِ لِأَنَّ  
 بَرَاهِينَهَا كُلَّهَا بَيْنَةُ الْإِنْتِظَامِ جَلِيَّةُ التَّرْتِيبِ لَا يَكَادُ الْعَلَطُ يَدْخُلُ أَفْسِتَهَا لِتَرْتِيبِهَا  
 وَانْتِظَامِهَا فَيَبْعُدُ الْفِكْرُ بِمَارَسَتِهَا عَنِ الْخَطِئِ وَيَنْشَأُ لِصَاحِبِهَا عَقْلٌ عَلَى ذَلِكَ الْمَهْنَعِ  
 وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِ أَفْلَاطُونِ مَنْ لَمْ يَكُنْ مُهَنْدِسًا فَلَا يَدْخُلُ مَنْزِلَنَا  
 وَكَانَ شَيْوِخُنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَقُولُونَ مُمَارَسَةَ عِلْمِ الْمُهَنْدِسَةِ لِلْفِكْرِ بِمِثَابَةِ الصَّابُونِ لِلثَّوْبِ  
 الَّذِي يَغْسِلُ مِنْهُ الْأَقْدَارَ وَيَنْقِيهِ مِنَ الْأَوْضَارِ وَالْأَدْرَانِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ  
 مِنْ تَرْتِيبِهِ وَانْتِظَامِهِ . ( وَمِنْ فُرُوعِ هَذَا الْفَنِ الْمُهَنْدِسَةِ الْمُنْصُوصَةُ بِالْأَشْكَالِ الْكُرْوِيَّةِ  
 وَالْمَخْرُوطَاتِ ) . أَمَّا الْأَشْكَالُ الْكُرْوِيَّةُ فَفِيهَا كِتَابَانِ مِنْ كُتُبِ الْيُونَانِيِّينَ  
 لِثَاوُدُوسِيُوسَ وَمِيلَاوُسَ فِي سَطُوحِهَا وَقُطُوعِهَا وَكِتَابُ ثَاوُدُوسِيُوسَ مُقَدِّمٌ فِي التَّعْلِيمِ عَلَى  
 كِتَابِ مِيلَاوُسَ لِتَوْقُفٍ كَثِيرٍ مِنْ بَرَاهِينِهِ عَلَيْهِ وَلَا بَدَّ مِنْهَا لِمَنْ يُرِيدُ التَّخَوُّضَ فِي عِلْمِ  
 الْهَيْئَةِ لِأَنَّ بَرَاهِينَهَا مُتَوَقِّفَةٌ عَلَيْهِ فَالْكَلَامُ فِي الْهَيْئَةِ كُلُّهُ كَلَامٌ فِي الْكُرَاتِ السَّمَاوِيَّةِ  
 وَمَا يَعْزُضُ فِيهَا مِنَ الْقُطُوعِ وَالِدَوَائِرِ بِأَسْبَابِ الْحَرَكَاتِ كَمَا نَذَكُرُهُ فَقَدْ تَوَقَّفَ عَلَى  
 أَحْكَامِ الْأَشْكَالِ الْكُرْوِيَّةِ سَطُوحِهَا وَقُطُوعِهَا وَأَمَّا الْمَخْرُوطَاتُ فَهُوَ مِنْ فُرُوعِ الْمُهَنْدِسَةِ  
 أَيْضًا وَهُوَ عِلْمٌ يَنْظُرُ فِيْمَا يَقَعُ فِي الْأَجْسَامِ الْمَخْرُوطَةِ مِنَ الْأَشْكَالِ وَالْقُطُوعِ وَيَبْرَهِنُ  
 عَلَى مَا يَعْزُضُ لِذَلِكَ مِنَ الْعَوَارِضِ بِبَرَاهِينِ هَنْدِسِيَّةٍ مُتَوَقِّفَةٍ عَلَى التَّعْلِيمِ الْأَوَّلِ وَفَائِدَتِهَا  
 تَطَهَّرُ فِي الصَّنَائِعِ الْعَمَلِيَّةِ الَّتِي مَوَادُّهَا الْأَجْسَامُ مِثْلَ النَّجَارَةِ وَالْبِنَاءِ وَكَيْفَ تُصْنَعُ  
 التَّمَائِيلُ الْغَرِيبَةُ وَالْهَيْكَلُ النَّادِرَةُ وَكَيْفَ يُحْمَلُ عَلَى جَرِّ الْأَثْقَالِ وَنَقْلِ الْهَيْكَلِ

بِالْهِنْدَامِ وَالْمِخَالِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ أَفْرَدَ بَعْضُ الْمُؤَلِّفِينَ فِي هَذَا الْفَنِ كِتَابًا فِي الْحَيْلِ  
 الْعَلَمِيَّةِ يَتَضَمَّنُ مِنَ الصَّنَاعَاتِ الْغَرِيبَةِ وَالْحَيْلِ الْمُسْتَظْرَفَةِ كُلَّ عَجِيبَةٍ وَرَبَّمَا اسْتَعْلَقَ  
 عَلَى النَّهْمِ الصُّعُوبَةَ بِرَاهِنِهِ الْهِنْدَسِيَّةِ وَهُوَ مَوْجُودٌ بِأَيْدِي النَّاسِ يَنْسِبُونَهُ إِلَى نَبِيِّ شَاكِرٍ  
 وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ (ومن فروع الهندسة المساحة) وَهُوَ فَنٌّ يُحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي مَسْحِ الْأَرْضِ  
 وَمَعْنَاهُ اسْتِخْرَاجُ مَقْدَارِ الْأَرْضِ الْمَعْلُومَةِ بِنِسْبَةِ شِبْرٍ أَوْ ذِرَاعٍ أَوْ غَيْرِهِمَا وَنِسْبَةَ أَرْضٍ  
 مِنْ أَرْضٍ إِذَا قُوِيَ بِتِ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَبِحْتَاجِ إِلَى ذَلِكَ فِي تَوْظِيفِ أَخْرَاجِ عَلَى الْمَزَارِعِ  
 وَالْقُدُنِ وَبَسَاتِينِ الْغِرَاسَةِ وَفِي قِسْمَةِ الْحَوَائِطِ وَالْأَرْضِي بَيْنَ الشَّرَكَاءِ أَوْ الْوَرَثَةِ وَأَمْثَالِ  
 ذَلِكَ وَلِلنَّاسِ فِيهَا مَوْضِعَاتٌ حَسَنَةٌ وَكَثِيرَةٌ وَاللَّهُ الْمُؤَوِّقُ لِلصَّوَابِ بِعَمَلِهِ وَكَرَمِهِ .  
 (المناظرة من فروع الهندسة) وَهُوَ عِلْمٌ يَتَّبِعُ بِهِ أَسْبَابُ الْغَلَطِ فِي الْإِدْرَاكِ الْبَصَرِيِّ  
 بِمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ وَقُوعِهَا بِنَاءً عَلَى أَنَّ إِدْرَاكَ الْبَصَرِ يَكُونُ بِمَخْرُوطٍ شَعَاعِي رَأْسُهُ  
 يَقْطَعُهُ الْبَاصِرُ وَقَاعِدَتُهُ الْمَرْبُوعِي ثُمَّ يَقَعُ الْغَلَطُ كَثِيرًا فِي رُؤْيَةِ الْقَرِيبِ كَبِيرًا وَالْبَعِيدِ  
 صَغِيرًا وَكَذَا رُؤْيَةِ الْأَشْبَاحِ الصَّغِيرَةِ تَحْتَ الْمَاءِ وَوَرَاءَ الْأَجْسَامِ الشَّفَافَةِ كَبِيرَةً وَرُؤْيَةِ  
 السُّقْطَةِ النَّازِلَةِ مِنَ الْمَطْرِ خَطًّا مُسْتَقِيمًا وَالسُّلْقَةِ دَائِرَةً وَأَمْثَالِ ذَلِكَ فَيَتَّبِعُ فِي هَذَا  
 الْعِلْمِ أَسْبَابُ ذَلِكَ وَكَيْفِيَّاتُهُ بِالْبَرَاهِينِ الْهِنْدَسِيَّةِ وَيَتَّبِعُ بِهِ أَيْضًا اخْتِلَافَ الْمَنْظَرِ  
 فِي الْقَمَرِ بِاخْتِلَافِ الْعُرُوضِ الَّذِي يَتَّبِعِي عَلَيْهِ مَعْرِفَةُ رُؤْيَةِ الْأَهْلَةِ وَحُصُولِ الْكُسُوفَاتِ  
 وَكَثِيرٌ مِنْ أَمْثَالِ هَذَا وَقَدْ أَلْفَ فِي هَذَا الْفَنِ كَثِيرٌ مِنَ الْيُونَانِيِّينَ وَأَشْهُرُ مِنْ أَلْفٍ  
 فِيهِ مِنَ الْإِسْلَامِيِّينَ ابْنُ الْهَيْثَمِ وَغَيْرِهِ أَيْضًا تَأَلَّفَ وَهُوَ مِنْ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ وَتَفَارِعِهَا

### الفصل السادس عشر

#### في علم الهيئة

وَهُوَ عِلْمٌ يَنْظُرُ فِي حَرَكَاتِ الْكُوكَبِ الثَّابِتَةِ وَالْمُتَحَرِّكِهِ وَالْمُتَحَرِّزَةِ وَيَسْتَدِلُّ  
 مِنْ تِلْكَ الْحَرَكَاتِ عَلَى أَشْكَالِ وَأَوْضَاعِ الْإِفْلَاقِ لَزِمَتْ عَنْهَا لِهَذِهِ الْحَرَكَاتِ الْمَحْسُوسَةِ  
 بِطَرُقِ هِنْدَسِيَّةٍ كَمَا يَبْزُهُنْ عَلَى أَنَّ مَرَكِزَ الْأَرْضِ مَبَايِنٌ لِمَرَكِزِ فَلَكَ الشَّمْسِ بِوُجُودِ  
 حَرَكَةِ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ وَكَمَا يَسْتَدِلُّ بِالرُّجُوعِ وَالْإِسْتِقَامَةِ لِلْكَوَاكِبِ عَلَى وُجُودِ  
 أَفْلَاقِ صَغِيرَةٍ حَامِلَةٍ لَهَا مُتَحَرِّكَةً دَاخِلَ فَلَكَهَا الْأَعْظَمِ وَكَمَا يَبْزُهُنْ عَلَى وُجُودِ  
 أَفْلَاقِ الثَّمَانِ بِحَرَكَةِ الْكُوكَبِ الثَّابِتَةِ وَكَمَا يَبْزُهُنْ عَلَى تَعَدُّدِ الْأَفْلَاقِ لِلْكَوَاكِبِ

الواحد بتعداد الحيول له و أمثال ذلك وإدراك الموجود من الحركات وكيفياتها  
 وأجناسها إنما هو بالرصد فإننا إنما علمنا حركة الأقبال والإدبار به وكذا  
 تركيب الأفلاك في طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وأمثال ذلك وكان اليونانيون  
 يعتمدون بالرصد كثيرا ويتخذون له الآلات التي توضع لرصد بها حركة الكواكب  
 المعين وكانت تسمى عندهم ذات الحلقى وصناعة عملها والبراهين عليه في مطابقة  
 حركتها بحركة الفلك منقول بأيدي الناس وأما في الإسلام فلم تقع به عناية إلا  
 في القليل وكان في أيام المأمون شيء منه وصنع الآلة المعروفة للرصد المسماة  
 ذات الحلقى وشرع في ذلك فلم يتم ولما مات ذهب رسمه وأغفل واعتمد من بعده  
 على الأرزاد القديمة وليست بمغنية لاختلاف الحركات بإتصال الأحقاب وأن  
 مطابقة حركة الآلة للرصد بحركة الأفلاك والكواكب إنما هو بالتقريب وهذه  
 الهيئة صناعة شريفة وليست على ما يفهم في المشهور أنها تعطي صورة السموات وترتيب  
 الأفلاك والكواكب بالحقيقة بل إنما تعطي أن هذه الصور والهيئات للأفلاك لزمت  
 عن هذه الحركات وأنت تعلم أنه لا يبعد أن يكون الشيء الواحد لازما لمختلفين  
 وإن قلنا إن الحركات لازمة فهو استدلال باللازم على وجود الملزوم ولا يعطي  
 الحقيقة بوجهه على أنه علم جليل وهو أحد أركان التعاليم ومن أحسن التأليف فيه  
 كتاب المحسني منسوب لإبليموس وليس من ملوك اليونان الذين أسماؤهم بطليموس  
 على ما حقه شرح الكتاب وقد اختصره الأئمة من حكماء الإسلام كما فعله  
 ابن سينا وأدرجه في تعاليم الشفاء ولخصه ابن رشد أيضا من حكماء الأندلس  
 وابن السمع وأبى الصلت في كتاب الإفصار ولابن الفرغاني هيئة ملخصة قريبها  
 وحذف برآهينها الهندسية والله أعلم بالإنسان ما لم يعلم سبحانه لا إله إلا هو رب  
 العالمين . (ومن فروع علم الأرياح) وهي صناعة حسابية على قوانين عديدة فيما  
 يخص كل كوكب من طريق حركته وما أدى إليه برهان الهيئة في وضعه من سرعة  
 وبطء واستقامة ورجوع وغير ذلك يعرف به مواضع الكواكب في أفلاكها لأي  
 وقت فرض من قبل حساب حركاتها على تلك القوانين المستخرجة من كتب  
 الهيئة ولهذا الصناعة قوانين كالمقدمات والأصول لها في معرفة الشهور والأيام

والتواريخ الماضية وأصول متقررة من معرفة الأوج والحضيض والميول وأصناف  
 الحركات واستخراج بعضها من بعض يضعونها في جداول مرتبة تسميها على المتعاملين  
 وتسمى الأزياج ويسمى استخراج مواضع الكواكب للوقت المفروض لهذه الصناعة  
 تعديلاً وتقويماً وللناس فيه تاليف كثيرة للمتقدمين والمتأخرين مثل البتاني<sup>(١)</sup>  
 وابن الكمام وقد عول المتأخرون لهذا العهد بالمغرب على زيغ مسوب لابن  
 اسحق من مخمي تونس في أول المائة السابعة ويزعمون أن ابن اسحاق عول فيه على  
 الرصد وأن يهودياً كان بصقلية ماهراً في الهيئة والتعالم وكان قد عني بالرصد وكان  
 يبعث إليه بما يقع في ذلك من أحوال الكواكب وحركاتها فكان أهل المغرب لذلك  
 عنوا به لوثاقه مبتاه على ما يزعمون ولخصه ابن البناء في آخر سماه المنهاج فوَلَعَ بِهِ  
 الناس لما سهل من الأعمال فيه وإنما يحتاج إلى مواضع الكواكب من الفلك لتنبئ  
 عليها الأحكام النجومية وهو معرفة الآثار التي تحدث عنها بأوضاعها في عالم الإنسان  
 من الملك والدول والمواليد البشرية كما نبينه بعد ونوضح فيه أدلتهم إن شاء الله تعالى  
 والله الموفق لما يحبه ويرضاه لا معبود سواه

## الفصل السابع عشر

### في علم المنطق

وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفية للماهيات والحجج  
 المفيدة للتصديقات وذلك أن الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بأحواس  
 الخمس وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الإدراك من الناطق وغيره وإنما يتميز  
 الإنسان عنها بإدراك الكليات وهي مجردة من المحسوسات وذلك بأن يحصل في  
 الخيال من الأشخاص المتفقه صورة منطوقة على جميع تلك الأشخاص المحسوسة وهي  
 الكلية ثم ينظر الذهن بين تلك الأشخاص المتفقه وأشخاص أخرى توافقها في  
 بعض فيحصل له صورة تنطبق أيضاً عليهما باعتبار ما اتفقا فيه ولا يزال يرتقي في  
 التجريد إلى الكل الذي لا يجد كلياً آخر معه يوافقه فيكون لأجل ذلك بسيطاً  
 وهذا مثل ما يجرد من أشخاص الإنسان صورة النوع المنطوقة عليها ثم ينظر بينه

١ قوله البتاني بفتح الموحدة وتشديد المثناة كما ضبطه ابن خلكان في ترجمته قبيل آخر المحمدين

وَبَيْنَ الْحَيَوَانِ وَيَجْرُدُ صُورَةَ الْجِنْسِ الْمُنْطِقَةِ عَلَيْهَا ثُمَّ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ النَّبَاتِ إِلَى أَنْ  
 يَنْتَهِيَ إِلَى الْجِنْسِ الْعَالِيِّ وَهُوَ الْجَوْهَرُ فَلَا يَجِدُ كَلِمًا يُؤَافِقُهُ فِي شَيْءٍ فَيَقِفُ الْعَقْلُ هُنَاكَ  
 عَنِ التَّجْرِيدِ ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ لَهُ الْفِكْرَ الَّذِي بِهِ يَدْرِكُ الْعُلُومَ وَالصَّنَائِعَ  
 وَكَانَ الْعِلْمُ إِمَّا تَصَوُّرًا لِلْمَاهِيَّاتِ وَيَعْنِي بِهِ إِدْرَاكَ سَادِحٍ مِنْ غَيْرِ حَكْمٍ مَعَهُ وَإِمَّا تَصْدِيقًا  
 أَيْ حَكْمًا بَشُوتٍ أَمْرٍ لِأَمْرٍ فَصَارَ سَعْيُ الْفِكْرِ فِي تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبَاتِ إِمَّا بِأَنْ يَجْمَعَ  
 تِلْكَ الْكَلِمَاتُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى جِهَةِ التَّأْلِيفِ فَتَحْضُلُ صُورَةٌ فِي الذِّهْنِ كَلِمَةً مُنْطِقَةً  
 عَلَى أَفْرَادٍ فِي الْخَارِجِ فَتَكُونُ تِلْكَ الصُّورَةُ الذَّهْنِيَّةُ مُفِيدَةً لِمَعْرِفَةِ مَاهِيَّةِ تِلْكَ الْأَخْصَاصِ  
 وَإِمَّا بِأَنْ يَحْكُمَ بِأَمْرٍ عَلَى أَمْرٍ فَيَثْبُتَ لَهُ وَيَكُونُ ذَلِكَ تَصْدِيقًا وَغَايَتُهُ فِي الْحَقِيقَةِ رَاجِعَةٌ  
 إِلَى التَّصَوُّرِ لِأَنَّ فَائِدَةَ ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ إِنَّمَا هِيَ مَعْرِفَةُ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ مُقْتَضَى  
 الْعِلْمِ وَهَذَا السَّعْيُ مِنَ الْفِكْرِ قَدْ يَكُونُ بِطَرِيقٍ صَحِيحٍ وَقَدْ يَكُونُ بِطَرِيقٍ فَاسِدٍ  
 فَاقْتَضَى ذَلِكَ تَمْيِيزَ الطَّرِيقِ الَّذِي يَسْعَى بِهِ الْفِكْرُ فِي تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ الْعِلْمِيَّةِ لِتَمْيِيزِ  
 الصَّحِيحِ مِنَ الْفَاسِدِ فَكَانَ ذَلِكَ قَانُونُ الْمُنْطِقِ وَتَكَلَّمَ فِيهِ الْمُتَقَدِّمُونَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمُوا  
 بِهِ جَمَلًا وَجَمَلًا وَمُفْرَقًا وَلَمْ تَهْدَبْ طَرْفُهُ وَلَمْ يَجْمَعْ مَسَائِلُهُ حَتَّى ظَهَرَ فِي يُونَانَ أَرِسْطُو  
 فَهَدَّبَ مَبَاحِثَهُ وَرَتَّبَ مَسَائِلَهُ وَفُصِّلَهُ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ وَفَاتَحْتَهَا وَلِلذَلِكَ  
 يُسَمَّى بِالْمَعْلَمِ الْأَوَّلِ وَكُتِبَتْهُ بِالْمَخْصُوصِ بِالْمُنْطِقِ يُسَمَّى النَّصَّ وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَمَانِيَةِ  
 كُتُبٍ أَرْبَعَةٌ مِنْهَا فِي صُورَةِ الْقِيَاسِ وَأَرْبَعَةٌ فِي مَادَتِهِ وَذَلِكَ أَنَّ الْمَطْلُوبَ التَّصْدِيقِيَّةَ  
 عَلَى الْأَشْيَاءِ فَمِنْهَا مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ الْيَقِينُ بِطَبْعِهِ وَمِنْهَا مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ  
 الظَّنُّ وَهُوَ عَلَى مَرَاتِبٍ فَيَنْظُرُ فِي الْقِيَاسِ مِنْ حَيْثُ الْمَطْلُوبُ الَّذِي يُفِيدُهُ وَمَا يَنْبَغِي أَنْ  
 تَكُونَ مَقْدَمَاتُهُ بِذَلِكَ الْأَعْتِبَارِ وَمِنْ أَيْ جِنْسٍ يَكُونُ مِنَ الْعِلْمِ أَوْ مِنَ الظَّنِّ وَقَدْ  
 يَنْظُرُ فِي الْقِيَاسِ لَا بِأَعْتِبَارِ مَطْلُوبٍ مَخْصُوصٍ بَلْ مِنْ جِهَةِ إِنتَاجِهِ خَاصَّةً وَيُقَالُ لِلنَّظَرِ  
 الْأَوَّلِ إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ الْمَادَّةُ وَتَعْنِي بِهِ الْمَادَّةُ الْمُنْتِجَةُ لِلْمَطْلُوبِ الْمَخْصُوصِ مِنْ يَقِينٍ  
 أَوْ ظَنْنٍ وَيُقَالُ لِلنَّظَرِ الثَّانِي إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ الصُّورَةُ وَإِنْتِاجُ الْقِيَاسِ عَلَى الْإِطْلَاقِ فَكَانَتْ  
 لِذَلِكَ كُتُبُ الْمُنْطِقِ ثَمَانِيَّةً . الْأَوَّلُ فِي الْأَجْنَاسِ الْعَالِيَةِ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا تَجْرِيدُ  
 الْمَخْصُوسَاتِ وَهِيَ الَّتِي لَيْسَ فَوْقَهَا جِنْسٌ وَيُسَمَّى كِتَابَ الْمَقُولَاتِ . وَالثَّانِي فِي الْقَضَايَا  
 التَّصْدِيقِيَّةِ وَأَصْنَافِهَا وَيُسَمَّى كِتَابَ الْعِبَارَةِ . وَالثَّلَاثُ فِي الْقِيَاسِ وَصُورَةِ إِنتَاجِهِ عَلَى

الإِطْلَاقَ وَيَسْمَى كِتَابَ الْقِيَاسِ وَهَذَا آخِرُ النَّظَرِ مِنْ حَيْثُ الصُّورَةُ ثُمَّ الرَّابِعُ كِتَابُ  
 الْبَرْهَانِ وَهُوَ النَّظَرُ فِي الْقِيَاسِ الْمُنْتَجِجِ لِلْيَقِينِ وَكَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مَقْدَمَاتُهُ يَقِينِيَّةً  
 وَيُخْتَصُّ بِشُرُوطٍ أُخْرَى لِإِفَادَةِ الْيَقِينِ مَذْكُورَةٌ فِيهِ مِثْلُ كَوْنِهَا ذَاتِيَّةً وَأَوَّلِيَّةً وَغَيْرَ  
 ذَلِكَ وَفِي هَذَا الْكِتَابِ الْكَلَامُ فِي الْمَعْرِفَاتِ وَالْحُدُودِ إِذَا الْمَطْلُوبُ فِيهَا إِنَّمَا هُوَ  
 الْيَقِينُ لَوْجُوبِ الْمَطَابَقَةِ بَيْنَ الْحَدِّ وَالْحُدُودِ لَا تَحْتَمِلُ غَيْرَهَا فَلِذَلِكَ اخْتَصَّتْ  
 عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ بِهَذَا الْكِتَابِ . وَالْخَامِسُ كِتَابُ الْجَدَلِ وَهُوَ الْقِيَاسُ الْمَفِيدُ قَطْعَ  
 الْمَشَاغِبِ وَإِفْهَامَ الْخُصْمِ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِيهِ مِنَ الْمَشْهُورَاتِ وَيُخْتَصُّ أَيْضًا  
 مِنْ جِهَةِ إِفَادَتِهِ لِهَذَا الْغَرَضِ بِشُرُوطٍ أُخْرَى مِنْ حَيْثُ إِفَادَتُهُ لِهَذَا الْغَرَضِ وَهِيَ  
 مَذْكُورَةٌ هُنَاكَ وَفِي هَذَا الْكِتَابِ يُذَكَّرُ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَسْتَنْبِطُ مِنْهَا صَاحِبُ الْقِيَاسِ  
 قِيَاسَهُ وَفِيهِ عُمُوسُ الْقَضَايَا . وَالسَّادِسُ كِتَابُ السَّفْسَطَةِ وَهُوَ الْقِيَاسُ الَّذِي يُفِيدُ  
 خِلَافَ الْحَقِّ وَيُغَالِطُ بِهِ الْمُنَاطِرُ صَاحِبَهُ وَهُوَ فَاسِدٌ وَهَذَا إِنَّمَا كَتَبْتُ لِيَعْرِفَ بِهِ  
 الْقِيَاسُ الْمَغَالِطِيَّ فَيُعَدُّ مِنْهُ . وَالسَّابِعُ كِتَابُ الْخُطَابَةِ وَهُوَ الْقِيَاسُ الْمَفِيدُ تَرْغِيبَ  
 الْجُمْهُورِ وَحَمْلَهُمْ عَلَى الْمُرَادِ مِنْهُمْ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَقَالَاتِ . وَالثَّامِنُ  
 كِتَابُ الشَّعْرِ وَهُوَ الْقِيَاسُ الَّذِي يُفِيدُ التَّمَثِيلَ وَالنَّشِيهَ خَاصَّةً لِلِاقْبَالِ عَلَى الشَّيْءِ أَوْ  
 النُّفُورِ عَنْهُ وَمَا يَجِبُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِيهِ مِنَ الْقَضَايَا الْخَيْلِيَّةِ هَذِهِ هِيَ كِتَابُ الْمَنْطِقِيِّ  
 الثَّمَانِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَقَدِّمِينَ ثُمَّ إِنَّ حُكَمَاءَ الْيُونَانِيِّينَ بَعْدَ أَنْ تَهَدَّبَتِ الصَّنَاعَةُ وَرُبِّتَتْ  
 رَأَوْا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْكَلِمَاتِ الْخَمْسِ الْمَفِيدَةِ لِلتَّصَوُّرِ فَاسْتَدْرَكُوا فِيهَا  
 مَقَالَةً تُخْتَصُّ بِهَا مَقْدَمَةٌ بَيْنَ يَدَيِ الْفَنِّ فَصَارَتْ تِسْعًا وَتُرْجِمَتْ كُلُّهَا فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ  
 وَكَتَبَهَا وَتَدَاوَلَهَا فَلِاسْفَةِ الْإِسْلَامِ بِالشَّرْحِ وَالتَّلْخِصِ كَمَا فَعَلَهُ الْفَارَابِيُّ وَأَبْنُ سِينَا  
 ثُمَّ ابْنُ رُشْدٍ مِنْ فَلِاسْفَةِ الْأَنْدَلُسِ وَابْنُ سِينَا كِتَابُ الشِّفَاءِ اسْتَوْعَبَ فِيهِ عُلُومَ الْفَلَسَفَةِ  
 السَّبْعَةِ كُلِّهَا ثُمَّ جَاءَ الْمُتَأَخِّرُونَ فَغَيَّرُوا أَصْطِلَاحَ الْمَنْطِقِيِّ وَالْحَقُوقَ بِالنَّظَرِ فِي الْكَلِمَاتِ  
 الْخَمْسِ ثَمَرَتَهُ وَهِيَ الْكَلَامُ فِي الْحُدُودِ وَالرُّسُومِ نَقَلُوهَا مِنْ كِتَابِ الْبَرْهَانِ وَحَدَّثُوا  
 كِتَابَ الْمَقُولَاتِ لِأَنَّ نَظَرَ الْمَنْطِقِيِّ فِيهِ بِالْغَرَضِ لَا بِالذَّاتِ وَالْحَقُوقَ فِي كِتَابِ الْعِبَارَةِ  
 الْكَلَامِ فِي الْعَكْسِ لِأَنَّهُ مِنْ تَوَابِعِ الْكَلَامِ فِي الْقَضَايَا بَعْضُ الْوُجُوهِ ثُمَّ تَكَلَّمُوا  
 فِي الْقِيَاسِ مِنْ حَيْثُ إِنْتِاجُهُ لِلْمَطَالِبِ عَلَى الْعَمُومِ لَا بِحَسَبِ مَادَّةٍ وَحَدَّثُوا النَّظَرَ فِيهِ

بِحَسَبِ الْمَادَّةِ وَهِيَ الْكُتُبُ الْخُمْسَةُ الْبُرْهَانُ وَالْجُدَلُ وَالْحُطَابَةُ وَالشَّعْرُ وَالسَّفْسَفَةُ  
 وَرَبَّمَا يَلْمُ بَعْضُهُمْ بِالْيَسِيرِ مِنْهَا إِيَّامًا وَأَغْمَلُوهَا كَأَن لَّمْ تَكُنْ هِيَ الْمَهِيْمَةُ الْمَعْتَمَدَةُ  
 فِي الْفَنِّ ثُمَّ تَكَلَّمُوا فِيهَا وَضَعُوهُ مِنْ ذَلِكَ كَلَامًا مُسْتَبْجِرًا وَنَظَرُوا فِيهِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ  
 قَدْ بَرَأَ سِيَهُ لَا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ آلهٌ لِلْعُلُومِ فَطَالَ الْكَلَامُ فِيهِ وَاتَّسَعَ وَأَوَّلُ مَنْ فَعَلَ  
 ذَلِكَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ الْخَطِيبِ وَمِنْ بَعْدِهِ أَفْضَلُ الدِّينِ الْخَوَنِجِيُّ وَعَلَى كُتُبِهِ  
 مَعْتَمَدُ الْمَشَارِقَةِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَهُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ كِتَابٌ كَشَفَ الْأَسْرَارَ وَهُوَ طَوِيلٌ  
 وَأَخْتَصَرَ فِيهَا مَخْتَصَرَ الْمَوْجِزِ وَهُوَ حَسَنٌ فِي التَّعْلِيمِ ثُمَّ مَخْتَصَرَ الْجَمَلِ فِي قَدْرِ أَرْبَعَةِ  
 أَوْزَاقٍ أَخَذَ بِجَمَاعِ الْفَنِّ وَأَصُولِهِ فَتَدَاوَلَهُ الْمُتَعَلِّمُونَ لِهَذَا الْعَهْدِ فَيَنْتَفِعُونَ بِهِ وَهَجَرَتْ  
 كُتُبُ الْمُتَقَدِّمِينَ وَطَرَفُوهُمْ كَأَن لَّمْ تَكُنْ وَهِيَ مُمْتَلِئَةٌ مِنْ ثَمَرَةِ الْمُنْطِقِ وَقَالِدَتِهِ  
 كَمَا قَلْنَا وَاللَّهُ الْهَادِي لِلصَّوَابِ

### الفصل الثامن عشر

#### في الطبيعيات

وَهُوَ عِلْمٌ يَبْتَغِي عَنِ الْجِسْمِ مِنْ جِهَةٍ مَا يَلْحَقُهُ مِنَ الْحَرَكَةِ وَالسُّكُونِ فَيَنْظُرُ فِي  
 الْأَجْسَامِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَرْضِيَّةِ وَمَا يَتَوَلَّدُ عَنْهَا مِنْ حَيَوَانَ وَإِنْسَانَ وَنَبَاتٍ وَمَعْدِنٍ وَمَا  
 يَتَكَوَّنُ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْعُيُونِ وَالزَّلَازِلِ وَفِي الْجَوْوِ مِنَ السَّحَابِ وَالْبَخَّارِ وَالرَّعْدِ وَالْبَرْقِ  
 وَالصَّوَاعِقِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَفِي مَبْدَأِ الْحَرَكَةِ لِلْأَجْسَامِ وَهُوَ عَلَى تَنَوُّعِهَا فِي الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانَ  
 وَالنَّبَاتِ وَكُتُبُ أَرِسْطُو فِيهِ مَوْجُودَةٌ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ تُرْجِمَتْ مَعَ مَا تُرْجِمُ مِنْ عُلُومِ  
 الْفَلَسَفَةِ أَيَّامَ الْمَأْمُونِ وَالْفَتْ النَّاسُ عَلَى حَذْوِهَا وَأَوْعِبَ مِنَ الْفَتْ فِي ذَلِكَ ابْنُ سِينَا فِي  
 كِتَابِ الشِّفَاءِ جَمَعَ فِيهِ الْعُلُومَ السَّبْعَةَ لِلْفَلَسَفَةِ كَمَا قَدَّمْنَا ثُمَّ لَخَّصَهُ فِي كِتَابِ الذِّجَا فِي  
 كِتَابِ الْإِشَارَاتِ وَكَانَتْ يَخَالَفُ أَرِسْطُو فِي الْكَثِيرِ مِنْ مَسَائِلِهَا وَيَقُولُ بَرَأِيَهُ فِيهَا  
 وَأَمَّا ابْنُ رُشْدٍ فَلَخَّصَ كُتُبَ أَرِسْطُو وَشَرَحَهَا مَتَبَعًا لَهُ غَيْرَ مُخَالَفٍ وَالْفَتْ النَّاسُ فِي ذَلِكَ  
 كَثِيرًا لَكِنَّ هَذِهِ هِيَ الْمَشْهُورَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ وَالْمُعْتَبَرَةُ فِي الصَّنَاعَةِ وَلِأَهْلِ الْمَشْرِقِ عِنَايَةٌ  
 بِكِتَابِ الْإِشَارَاتِ لِأَنَّ سِينَا وَابْنَ سِينَا وَابْنَ الْخَطِيبِ عَلَيْهِ شَرْحٌ حَسَنٌ وَكَذَا الْأَمِيدِيُّ  
 وَشَرَحَهُ أَيْضًا نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيُّ الْمَعْرُوفُ بِخَوَاجِهِ مِنْ أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَبَحَثَ مَعَ  
 الْإِمَامِ فِي كَثِيرٍ مِنْ مَسَائِلِهِ فَأَوْفَى عَلَى أَنْظَارِهِ وَبُحُوثِهِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ

وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ

## الفصل التاسع عشر

في علم الطب

وَمِنْ فُرُوعِ الطَّبِيعِيَّاتِ صِنَاعَةُ الطَّبِّ وَهِيَ صِنَاعَةٌ تَنْظُرُ فِي بَدَنِ الْإِنْسَانِ مِنْ حَيْثُ يَمْرُضُ وَيَصِحُّ فَيَحَاوِلُ صَاحِبُهَا حِفْظَ الصِّحَّةِ وَبُرْءَ الْمَرَضِ بِالْأَدْوِيَةِ وَالْأَغْدِيَةِ بَعْدَ أَنْ يَتَبَيَّنَ الْمَرَضُ الَّذِي يَخْضُ كُلُّ عَضْوٍ مِنَ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ وَأَسْبَابَ تِلْكَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَنْشَأُ عَنْهَا وَمَا لِكُلِّ مَرَضٍ مِنَ الْأَدْوِيَةِ مُسْتَدَلِّينَ عَلَى ذَلِكَ بِأَمْزِجَةِ الْأَدْوِيَةِ وَقُوَّاهَا وَعَلَى الْمَرَضِ بِالْعَلَامَاتِ الْمُؤَدِّةِ بِنُضْجِهِ وَقَبُولِهِ الدَّوَاءَ أَوَّلًا فِي السَّخِيَّةِ وَالْفَضَلَاتِ وَالذَّبْصِ مُحَازِينَ لِذَلِكَ قُوَّةَ الطَّبِيعَةِ فَإِنَّهَا الْمُدَبِّرَةُ فِي حَالَتِي الصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ وَإِنَّمَا الطَّبِيبُ يُحَازِيهَا وَيُعِينُهَا بِعَضْءِ الشَّيْءِ بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ طَبِيعَةُ الْمَادَّةِ وَالْفَضْلِ وَالسِّنِّ وَيُسَمَّى الْعِلْمُ الْجَامِعُ لِهَذَا كَلِمَةَ عِلْمِ الطَّبِّ وَرُبَّمَا أَفْرَدُوا بَعْضَ الْأَعْضَاءِ بِالْكَلَامِ وَجَعَلُوهُ عِلْمًا خَاصًّا كَالْعَيْنِ وَعِلَالِهَا وَكُنْهَالِهَا وَكَذَلِكَ الْحَقْوَا بِالْفَنِّ مِنْ مَنَافِعِ الْأَعْضَاءِ وَمَعْنَاهَا الْمَنْعَةُ الَّتِي لِأَجَابِهَا خَلِقُ كُلُّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ الْبَدَنِ الْحَيَوَانِيِّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مِنْ مَوْضِعِ عِلْمِ الطَّبِّ إِلَّا أَنَّهُمْ جَعَلُوهُ مِنْ لَوَاحِقِهِ وَتَوَابِعِهِ وَإِمَامُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الَّتِي تَرُجِمَتْ كُتُبُهُ فِيهَا مِنَ الْأَقْدَمِينَ جَالِينُوسُ يُقَالُ إِنَّهُ كَانَ مُعَاصِرًا لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُقَالُ إِنَّهُ مَاتَ بِصَقْلِيَّةٍ فِي سَبِيلِ تَغْلِبِ وَهَطَاوَعَةِ أُغْتِرَابٍ وَتَأَلَّفَهُ فِيهَا هِيَ الْأَهْبَاتُ الَّتِي أَقْتَدَى بِهَا جَمِيعُ الْأَطِبَّاءِ بَعْدَهُ وَكَانَ فِي الْإِسْلَامِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أئِمَّةٌ جَاءُوا مِنْ وَرَاءِ الْأَغَايَةِ مِثْلَ الرَّازِيِّ وَالْحُجُوسِيِّ وَأَبْنِ سِينَا وَمِنْ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ أَيْضًا كَثِيرٌ وَأَشْهَرُهُمْ أَبُو زُهْرٍ وَهِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي الْمَدِينِ الْإِسْلَامِيَّةِ كَأَنَّهَا نَقَصَتْ لَوْفُوفِ الْعُمَرَانَ وَتَنَاقَصَهُ وَهِيَ مِنَ الصَّنَائِعِ الَّتِي لَا تَسْتَدْعِيهَا إِلَّا الْحِزَازَةُ وَالْتَرَفُ كَمَا نَبَّهَهُ بَعْدُ وَاللِّبَادِيَّةُ مِنَ أَهْلِ الْعُمَرَانَ طِبُّ بَيْنُونَةَ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ عَلَى تَجْرِبَةٍ قَاصِرَةٍ عَلَى بَعْضِ الْأَشْخَاصِ مُتَوَارِتًا عَنْ مَشَايخِ الْحَيِّ وَعَجَائِزِهِ وَرُبَّمَا يَصِحُّ مِنْهُ الْبَعْضُ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى قَانُونِ طَبِيعِيِّ وَلَا عَلَى مُوَافَقَةِ الدَّرَاجِ وَكَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ مِنْ هَذَا الطَّبِّ كَثِيرٌ وَكَانَ فِيهِمْ أَطِبَّاءٌ مَعْرُوفُونَ كَالْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ وَغَيْرِهِ وَالطَّبُّ الْمُنْقُولُ فِي الشَّرْعِيَّاتِ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَلَيْسَ مِنَ الْوَحْيِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ كَانَ عَادِيًّا لِلْعَرَبِ وَوَقَعَ فِي

ذَكَرَ أَحْوَالَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَوْعٍ ذَكَرَ أَحْوَالَ النَّبِيِّ هِيَ عَادَةٌ وَجِلَّةٌ  
لَا مِنْ جِهَةٍ أَنَّ ذَلِكَ مَشْرُوعٌ عَلَى ذَلِكَ النَّحْوِ مِنَ الْعَمَلِ فَإِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا  
بُعِثَ لِيُعَلِّمَنَا الشَّرَائِعَ وَلَمْ يُبْعَثْ لِتَعْرِيفِ الطَّبِّ وَلَا غَيْرِهِ مِنَ الْعَادِيَّاتِ وَقَدْ وَقَعَ لَهُ فِي  
شَأْنِ تَلْفِيحِ النَّخْلِ مَا وَقَعَ فَقَالَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأُمُورِ دُنْيَاكُمْ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ شَيْءٌ مِنْ  
الطَّبِّ الَّذِي وَقَعَ فِي الْأَحَادِيثِ الْمَنْقُولَةِ عَلَى أَنَّهُ مَشْرُوعٌ فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ  
اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا اسْتَعْمَلَ عَلَى جِهَةِ التَّبَرُّكِ وَصَدَقَ الْعَقْدُ الْإِيمَانِيَّ فَيَكُونُ لَهُ أَثَرٌ  
عَظِيمٌ فِي النَّفْعِ وَلَيْسَ ذَلِكَ فِي الطَّبِّ الْمَزَاجِيِّ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ آثَارِ الْكَلِمَةِ الْإِيمَانِيَّةِ  
كَمَا وَقَعَ فِي مَدَاوِةِ الْمَبْطُونِ بِالْعَسَلِ وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى الصَّوَابِ لَا رَبَّ سِوَاهُ

## الفصل العشرون

### في الفلاحة

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ مِنْ فُرُوعِ الطَّبِيعِيَّاتِ وَهِيَ النَّظَرُ فِي النَّبَاتِ مِنْ حَيْثُ تَنْمِيَّتُهُ وَنَشْوُهُ  
بِالسَّقْفِ وَالْعِلَاجِ وَتَعَدُّهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَكَانَ لِلْمُتَقَدِّمِينَ بِهَا عِنَايَةٌ كَثِيرَةٌ وَكَانَ النَّظَرُ  
فِيهَا عِنْدَهُمْ عَامًّا فِي النَّبَاتِ مِنْ جِهَةِ غَرْسِهِ وَتَنْمِيَّتِهِ وَمِنْ جِهَةِ خَوَاصِهِ وَرُوحَانِيَّتِهِ  
وَمَشَاكَلِهَا لِرُوحَانِيَّاتِ الْكَوَاكِبِ وَالْمَهْيَا كُلِّ الْمُسْتَعْمَلِ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي بَابِ السِّخْرِ  
فَعَظُمَتْ عِنَابَتُهُمْ بِهِ لِأَجْلِ ذَلِكَ وَتُرْجِمَ مِنْ كُتُبِ الْيُونَانِيِّينَ كِتَابُ الْفَلَاحَةِ النَّبْطِيَّةِ  
مَنْسُوبَةٌ لِعُلَمَاءِ النَّبْطِ مُشْتَمَلَةٌ مِنْ ذَلِكَ عَلَى عِلْمٍ كَبِيرٍ وَلَمَّا نَظَرَ أَهْلُ الْمِلَّةِ فِيهَا اشْتَمَلَ  
عَلَيْهِ هَذَا الْكِتَابُ وَكَانَ بَابُ السِّخْرِ مَسْدُودًا وَالنَّظَرُ فِيهِ مَحْظُورًا فَأَقْتَصَرُوا مِنْهُ عَلَى  
الْكَلَامِ فِي النَّبَاتِ مِنْ جِهَةِ غَرْسِهِ وَعِلَاجِهِ وَمَا يَعْزُرُ لَهُ فِي ذَلِكَ وَحَدَفُوا الْكَلَامَ  
فِي الْفَنِّ الْآخَرَ مِنْهُ جُمْلَةً وَأَخْتَصَرَ ابْنُ الْعَوَّامِ كِتَابَ الْفَلَاحَةِ النَّبْطِيَّةِ عَلَى هَذَا  
الْمَنْهَاجِ وَبَقِيَ الْفَنُّ الْآخَرُ مِنْهُ مُقْفَلًا نَقَلَ مِنْهُ مَسْلَمَةٌ فِي كُتُبِهِ السِّخْرِيَّةِ أَهْمِيَّاتٍ مِنْ  
مَسَائِلِهِ كَمَا نَذَرُهَا عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى السِّخْرِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَكُتِبَ الْمَتَأَخِّرِينَ  
فِي الْفَلَاحَةِ كَثِيرَةٌ وَلَا يَعْدُونَ فِيهَا الْكَلَامَ فِي الْغَرَّاسِ وَالْعِلَاجِ وَحَفِظَ النَّبَاتِ مِنْ  
حَوَائِجِهِ وَعَوَائِقِهِ وَمَا يَعْزُرُ فِي ذَلِكَ كَلِمَةٌ وَهِيَ مَوْجُودَةٌ

## الفصل الحادي والعشرون

في علم الالهيات

وَهُوَ عِلْمٌ يَنْظُرُ فِي الْوُجُودِ الْمُطْلَقِ فَأَوْلَا فِي الْأُمُورِ الْعَامَةِ لِلْجِسْمَانِيَّاتِ وَالرُّوحَانِيَّاتِ  
 مِنَ الْمَاهِيَّاتِ وَالْوَحْدَةِ وَالْكَثْرَةِ وَالْوُجُوبِ وَالْإِمْكَانِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ثُمَّ يَنْظُرُ فِي  
 مَبَادِي الْمَوْجُودَاتِ وَأَنْبَاءِ رُوحَانِيَّاتِ ثُمَّ فِي كَيْفِيَّةِ صُدُورِ الْمَوْجُودَاتِ عَنْهَا وَمَرَاتِبِهَا  
 ثُمَّ فِي أَحْوَالِ النَّفْسِ بَعْدَ مَفَارِقَةِ الْأَجْسَامِ وَعَوْدِهَا إِلَى الْمَبْدَأِ وَهُوَ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ شَرِيفٌ  
 يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يُوقِفُهُمْ عَلَى مَعْرِفَةِ الْوُجُودِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَأَنَّ ذَلِكَ عَيْنُ السَّعَادَةِ فِي  
 زَعْمِهِمْ وَسِيَاقِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَهُوَ تَالٍ لِلطَّبِيعِيَّاتِ فِي تَرْبِيَّتِهِمْ وَلِذَلِكَ يُسْمَوْنَهُ عِلْمٌ مَا  
 وَرَاءَ الطَّبِيعَةِ وَكُتِبَ الْمَعْلَمُ الْأَوَّلُ فِيهِ مَوْجُودَةٌ بَيْنَ أَيْدِي النَّاسِ وَخَصَّهُ ابْنُ سِينَا  
 فِي كِتَابِ الشِّفَاءِ وَأَنْبَجَا وَكَذَلِكَ لَخَصَّهُ ابْنُ رُشْدٍ مِنْ حِكْمَاءِ الْأَنْدَلُسِ وَلَمَّا وَضَعَ  
 الْمُتَأَخِّرُونَ فِي عُلُومِ الْقَوْمِ وَدَوَّنُوا فِيهَا وَرَدَّ عَلَيْهِمُ الْغَزَالِيُّ مَا رَدَّ مِنْهَا ثُمَّ خَلَطَ  
 الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ مَسَائِلَ عِلْمِ الْكَلَامِ بِمَوْضِعِ الْإِلَهِيَّاتِ وَمَسَائِلَهُ  
 بِمَسَائِلِهَا فَصَارَتْ كَأَنَّهَا فَنٌّ وَاحِدٌ ثُمَّ غَيَّرُوا تَرْتِيبَ الْحِكْمَاءِ فِي مَسَائِلِ الطَّبِيعِيَّاتِ  
 وَالْإِلَهِيَّاتِ وَخَلَطُوهُمَا فَنَّا وَاحِدًا قَدَّمُوا الْكَلَامَ فِي الْأُمُورِ الْعَامَةِ ثُمَّ اتَّبَعُوهُ بِالْجِسْمَانِيَّاتِ  
 وَتَوَابِعِهَا ثُمَّ بِالرُّوحَانِيَّاتِ وَتَوَابِعِهَا إِلَى آخِرِ الْعِلْمِ كَمَا فَعَلَهُ الْإِمَامُ ابْنُ الْخَطِيبِ فِي  
 الْمُبَاحِثِ الْمَشْرِفِيَّةِ وَجَمِيعٍ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الْكَلَامِ وَصَارَ عِلْمُ الْكَلَامِ مُخْتَلِطًا  
 بِمَسَائِلِ الْحِكْمَةِ وَكُتِبَهُ مَحْشُورَةً بِهَا كَانَ الْغَرَضُ مِنْ مَوْضِعَيْهَا وَمَسَائِلِهَا وَاحِدٌ  
 وَالتَّبَسُّدُ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ وَهُوَ صَوَابٌ لِأَنَّ مَسَائِلَ عِلْمِ الْكَلَامِ إِنَّمَا هِيَ عَقَائِدُ مُتَلَقَاةٌ  
 مِنَ الشَّرِيعَةِ كَمَا تَقَلَّبَهَا السَّلَفُ مِنْ غَيْرِ رُجُوعٍ فِيهَا إِلَى الْعَقْلِ وَلَا تَعْوِيلٍ عَلَيْهِ بِمَعْنَى  
 أَنَّهَا لَا تُنْتَبِهُ إِلَّا بِهِ فَإِنَّ الْعَقْلَ مَعزُولٌ عَنِ الشَّرْعِ وَأَنْظَارُهُ وَمَا تَحَدَّثَ فِيهِ الْمُتَكَلِّمُونَ  
 مِنْ إِقَامَةِ الْحُجُجِ فَلَيْسَ بِحُجَّتٍ عَنِ الْحَقِّ فِيهَا فَالتَّعْلِيلُ بِالذَّلِيلِ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا  
 هُوَ شَأْنُ الْفَلَسَفَةِ بَلْ إِنَّمَا هُوَ التَّمَسُّسُ حِجَّةً عَقَلِيَّةً تَعَضُّدٌ عَقَائِدِ الْإِيْمَانِ وَمَذَاهِبِ السَّلَفِ  
 فِيهَا وَتَدْفَعُ شِبْهَ أَهْلِ الْبِدْعِ عَنْهَا الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّ مَدَارَ كُفْرِهِمْ فِيهَا عَقَلِيَّةٌ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ  
 تَفَرَّضَ صَحِيحَةً بِالْأَدِلَّةِ النَّقْلِيَّةِ كَمَا تَقَلَّبَهَا السَّلَفُ وَاعْتَقَدُوهَا وَكَثِيرٌ مَا بَيْنَ الْمَقَامَيْنِ  
 وَذَلِكَ أَنَّ مَدَارِكَ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ أَوْسَعُ لِاتِّسَاعِ نِظَاقِهَا عَنْ مَدَارِكَ الْأَنْظَارِ الْعَقَلِيَّةِ

فَهِىَ فَوْقَهَا وَحِيطَةٌ بِهَا لِاسْتِمْدَادِهَا مِنَ الْأَنْوَارِ الْإِلَهِيَّةِ فَلَا تَدْخُلُ تَحْتَ قَانُونِ النَّظَرِ  
الضَّعِيفِ وَالْمَدَارِكِ الْحَاطِ بِهَا فَإِذَا هَدَانَا الشَّارِعُ إِلَى مَدْرِكٍ فَيَنْبَغِي أَنْ نُقَدِّمَهُ عَلَى  
مَدَارِكِنَا وَنَتَّقِي بِهِ دُونَهَا وَلَا نَنْظُرَ فِي تَصْحِيحِهِ مَدَارِكِ الْعَقْلِ وَلَوْ عَارِضَةً بَلْ نَعْتَمِدْ مَا  
أَمَرْنَا بِهِ أَعْتِقَادًا وَعِلْمًا وَنَسَكْتُ عَمَّا لَمْ نَفْهَمْ مِنْ ذَلِكَ وَنَتَوَضَّعُ إِلَى الشَّارِعِ وَنَعَزِلُ  
الْعَقْلَ عَنْهُ وَالْمُتَكَلِّمُونَ إِنَّمَا دَعَاؤُهُمْ إِلَى ذَلِكَ كَلَامُ أَهْلِ الْإِلْهَادِ فِي مُعَارَضَاتِ  
الْعُقَايِدِ السَّلْفِيَّةِ بِالْبِدْعِ النَّظَرِيَّةِ فَاحْتَأَجُوا إِلَى الرَّدِّ عَلَيْهِمْ مِنْ جِنْسِ مُعَارَضَاتِهِمْ  
وَأَسْتَدْعَى ذَلِكَ الْحُجُجَ النَّظَرِيَّةَ وَمُحَادَاةَ الْعُقَايِدِ السَّلْفِيَّةِ بِهَا وَأَمَّا النَّظَرُ فِي مَسَائِلِ  
الطَّبِيعِيَّاتِ وَالْإِلَهِيَّاتِ بِالتَّصْحِيحِ وَالْبُطْلَانِ فَلَيْسَ مِنْ مَوْضُوعِ عِلْمِ الْكَلَامِ وَلَا مِنْ جِنْسِ  
أَنْظَارِ الْمُتَكَلِّمِينَ فَاعْلَمْ ذَلِكَ لِتَمَيُّزِهِ بَيْنَ الْفَنَيْنِ فَإِنَّهُمَا مُخْتَلِطَانِ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ  
فِي الْوَضْعِ وَالتَّأْلِيفِ وَالْحَقِّ مُعَايِرَةٌ كُلُّ مِنْهُمَا لِصَاحِبِهِ بِالْمَوْضُوعِ وَالْمَسَائِلِ وَإِنَّمَا  
جَاءَ الْإِتْبَاسُ مِنْ اتِّحَادِ الْمَطَالِبِ عِنْدَ الْإِسْتِدْلَالِ وَصَارَ أَحْتِجَاجُ أَهْلِ الْكَلَامِ كَأَنَّهُ  
إِنْشَاءُ طَلَبِ الْأَعْتِدَادِ بِالِدَّلِيلِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ إِنَّمَا هُوَ رَدٌّ عَلَى الْمُتَحِدِّينَ وَالْمَطْلُوبُ  
مَفْرُوضُ الصِّدْقِ مَعَاوِمُهُ وَكَذَا جَاءَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنْ غَلَاةِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ  
بِالْمَوْجِدِ أَيْضًا فَخَلَطُوا مَسَائِلَ الْفَنَيْنِ بَيْنَهُمْ وَجَعَلُوا الْكَلَامَ وَاحِدًا فِيهَا كَلِمًا مِثْلَ  
كَلَامِهِمْ فِي النُّبُوءَاتِ وَالْإِتِّحَادِ وَالْحُلُولِ وَالْوَحْدَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَالْمَدَارِكِ فِي هَذِهِ  
الْفَنُونِ الثَّلَاثَةِ مُعَايِرَةٌ مُخْتَلِفَةٌ وَأَبْعَدُهَا مِنْ جِنْسِ الْفَنُونِ وَالْعُلُومِ مَدَارِكُ الْمُتَصَوِّفَةِ  
لِأَنَّهَا يَدْعُونَ فِيهَا الْوُجْدَانَ وَيَفْرُونَ عَنِ الدَّلِيلِ وَالْوُجْدَانَ بَعِيدٌ عَنِ الْمَدَارِكِ  
الْعِلْمِيَّةِ وَأَبْجَانُهَا وَتَوَابِعُهَا كَمَا بَيْنَاهُ وَبَيَّنَّاهُ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ  
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ

## الفصل الثاني والعشرون

في علوم السحر والطلسمات

وَهِيَ عُلُومٌ بِكَيْفِيَّةِ اسْتِعْدَادَاتِ تَقْتَدِيرِ النُّفُوسِ الْبَشَرِيَّةِ بِهَا عَلَى التَّأَثِيرَاتِ فِي عَالَمِ  
الْعَنَاصِرِ أَمَا بَعْضُهَا مَعِينٌ أَوْ مُبْعِدٌ مِنَ الْأُمُورِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْأَوَّلُ هُوَ السِّحْرُ وَالتَّانِي هُوَ  
الطَّلَسْمَاتُ وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ مَعْجُورَةً عِنْدَ الشَّرَائِعِ لَمَّا فِيهَا مِنَ الضَّرَرِ وَلَمَّا يَشْتَرِطُ  
فِيهَا مِنَ الْوُجُوبَةِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ مِنْ كَوْكَبٍ أَوْ غَيْرِهِ كَانَتْ كُتُبُهَا كَالْمَقْفُودَةِ بَيْنَ النَّاسِ

الْأَمَا وَجَدَ فِي كُتُبِ الْأُمَمِ الْأَقْدَمِينَ فِيمَا قَبَلَ نُبُوهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَ النَّبِطِ  
 وَالْكَلدَانِيِّينَ فَإِنَّ جَمِيعَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَشْرَعُوا الشَّرَائِعَ وَلَا جَاءُوا بِالْأَحْكَامِ  
 إِنَّمَا كَانَتْ كُتُبُهُمْ مَوَاعِظَ وَتَوْحِيدًا لِلَّهِ وَتَذْكِيرًا بِالْحِجَةِ وَالنَّارِ وَكَانَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ  
 فِي أَهْلِ بَابِلَ مِنَ السَّرْيَانِيِّينَ وَالْكَلدَانِيِّينَ وَفِي أَهْلِ مِصْرَ مِنَ الْقَبْطِ وَغَيْرِهِمْ وَكَانَ  
 لَهُمْ فِيهَا التَّلَافُيفُ وَالْأَتَارُ وَلَمْ يُتْرَجَمْ لَنَا مِنْ كُتُبِهِمْ فِيهَا إِلَّا الْقَلِيلُ مِثْلَ الْفَلَاحَةِ  
 النَّبْطِيَّةِ مِنْ أَوْضَاعِ أَهْلِ بَابِلَ فَأَخَذَ النَّاسُ مِنْهَا هَذَا الْعِلْمَ وَتَفَنَّنُوا فِيهِ وَوَضَعَتْ بَعْدَ  
 ذَلِكَ الْأَوْضَاعُ مِثْلَ مَصَاحِفِ الْكُوكَبِ السَّبْعَةِ وَكِتَابِ طَمْطَمِ الْهِنْدِيِّ فِي صُورِ  
 الدَّرَجِ وَالْكَوكَبِ وَغَيْرِهَا ثُمَّ ظَهَرَ بِالْمَشْرِقِ جَابِرُ بْنُ حَيَّانَ كَبِيرُ السَّحْرَةِ فِي هَذِهِ  
 الْعِلْمَةِ فَتَصَفَّحَ كُتُبَ الْقَوْمِ وَاسْتَخْرَجَ الصَّنَاعَةَ وَغَاصَ فِي زَيْدَتِهَا وَاسْتَخْرَجَهَا وَوَضَعَ فِيهَا  
 غَيْرَهَا مِنَ التَّلَافِيفِ وَأَكْثَرَ الْكَلَامِ فِيهَا وَفِي صِنَاعَةِ السِّمِّيَاءِ لِأَنَّهَا مِنْ تَوَابِعِهَا لِأَنَّ  
 أَحَالَه الْأَجْسَامِ النَّوْعِيَّةِ مِنْ صُورَةٍ إِلَى أُخْرَى إِنَّمَا يَكُونُ بِالْقُوَّةِ النَّفْسِيَّةِ لَا بِالصَّنَاعَةِ  
 الْعَمَلِيَّةِ فَهُوَ مِنْ قَبِيلِ السَّحْرِ كَمَا نَذَرُوهُ فِي مَوْضِعِهِ ثُمَّ جَاءَ مُسَلِّمَةُ بْنُ أَحْمَدَ  
 الْمَجْرِيَّيُّ إِمَامُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي التَّعَالِيمِ وَالسَّحَرَاتِ فَلَخَّصَ جَمِيعَ تِلْكَ الْكُتُبِ  
 وَهَدَّيَهَا وَجَمَعَ طَرَفَهَا فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ غَايَةَ الْحَكِيمِ وَلَمْ يَكْتُبْ أَحَدٌ فِي هَذَا  
 الْعِلْمِ بَعْدَهُ. وَلِنَقْدِمَ هُنَا مُقَدِّمَةً يَتَبَيَّنُ بِهَا حَقِيقَةُ السَّحْرِ وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ الْبَشَرِيَّةَ  
 وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً بِالنَّوْعِ فَهِيَ مُخْتَلِفَةٌ بِالْخَوَاصِّ وَهِيَ أَصْنَافُ كُلِّ صِنْفٍ مُخْتَصِّ  
 بِخَاصِيَّةٍ وَاحِدَةٍ بِالنَّوْعِ لَا تُوْجَدُ فِي الصَّنْفِ الْآخَرَ وَصَارَتْ تِلْكَ الْخَوَاصُّ فِطْرَةً وَجِبَلَةً  
 لَصِنْفِهَا فَنَفُوسُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهَا خَاصِيَّةٌ تَسْتَعِدُّ بِهَا لِلْمَعْرِفَةِ الرَّبَّانِيَّةِ  
 وَمَخَاطَبَةِ الْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَمَا مَرَّ وَمَا يَتَسَعَّرُ فِي ذَلِكَ  
 مِنَ التَّأثيرِ فِي الْأَكْوَانِ وَاسْتِحْلَابِ رُوحَانِيَّةِ الْكُوكَبِ لِلتَّصَرُّفِ فِيهَا وَالتَّأثيرِ  
 بِقُوَّةِ نَفْسَانِيَّةٍ أَوْ شَيْطَانِيَّةٍ فَمَا تَأثيرُ الْأَنْبِيَاءِ فَمَدَدُ الْهَيْبَةِ وَخَاصِيَّةُ رَبَّانِيَّةٍ وَنَفُوسُ  
 الْكُهْنَةِ لَهَا خَاصِيَّةُ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْمَغْيِبَاتِ بِقُوَّةِ شَيْطَانِيَّةٍ وَهَكَذَا كُلُّ صِنْفٍ  
 مُخْتَصِّ بِخَاصِيَّةٍ لَا تُوْجَدُ فِي الْآخَرَ وَالنَّفُوسُ السَّاحِرَةُ عَلَى مَرَاتِبِ ثَلَاثٍ يَأْتِي شَرْحُهَا  
 فَأُولَئِهَا الْمُؤَثَّرَةُ بِالْهَيْبَةِ فَقَطْ مِنْ غَيْرِ آلَةٍ وَلَا مَعِينٍ وَهَذَا هُوَ الَّذِي تُسَمِّيهِ الْفَلَسَفَةُ  
 السَّحْرَ وَالتَّأثيرَ بِمَعِينٍ مِنْ مِزَاجِ الْأَفْلَاقِ أَوِ الْعُنَاصِرِ أَوْ خَوَاصِّ الْأَعْدَادِ وَيُسَمُّونَهُ

الطَّلَسَمَاتُ وَهُوَ أَوْعَفُّ رُبَّمَا مِنَ الْأَوَّلِ وَالثَّلَاثُ تَأْثِيرٌ فِي الْقُوَى الْمُتَخَيَّلَةِ يَعْمَدُ صَاحِبُ  
 هَذَا التَّأْثِيرِ إِلَى الْقُوَى الْمُتَخَيَّلَةِ فَيَتَصَرَّفُ فِيهَا بِنَوْعٍ مِنَ التَّصَرُّفِ وَيَلْقِي فِيهَا أَنْوَاعًا  
 مِنَ التَّخَيَّلَاتِ وَالْحَمَّاكَ وَصُورًا مِمَّا يَقْصِدُهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ يَنْزِلُهَا إِلَى الْحَسَنِ مِنَ الرَّائِبِينَ  
 بِقُوَّةِ نَفْسِهِ الْمَوْثِقَةِ فِيهِ فَيَنْظُرُ الرَّائُونَ كَأَنَّهَا فِي الْخَارِجِ وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ كَمَا  
 يَحْكِي عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ يُرَى الْبَسَاتِينَ وَالْأَنْهَارَ وَالْقُصُورَ وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَيُسَمَّى  
 هَذَا عِنْدَ الْفَلَسَفَةِ السُّعُودَةَ أَوِ الشَّعْبَةَ . هَذَا تَفْصِيلُ مَرَاتِبِهِ ثُمَّ هَذِهِ الْخَاصِيَّةُ تَكُونُ  
 فِي السَّاحِرِ بِالْقُوَّةِ شَأْنُ الْقُوَى الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا وَإِنَّمَا تَخْرُجُ إِلَى النُّعْلِ بِالرِّيَاضَةِ وَرِيَاضَةِ  
 السِّحْرِ كُلِّهَا إِنَّمَا تَكُونُ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْأَفْلَاكِ وَالْكَوَاكِبِ وَالْعَوَالِمِ الْعُلُويَّةِ وَالشَّيْطَانِ  
 بِأَنْوَاعِ التَّعْظِيمِ وَالْعِبَادَةِ وَالْخُضُوعِ وَالتَّذَلُّلِ فَيُحْيِي لِذَلِكَ وَجْهَةً إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَتُجَوِّدُ  
 لَهُ وَالتَّوَجُّهَ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ كُفْرٌ فَلِهَذَا كَانَ السِّحْرُ كُفْرًا وَالْكَفْرُ مِنْ مَوَادِّهِ وَأَسْبَابِهِ  
 كَمَا رَأَيْتَ وَلهَذَا اخْتَلَفَ الْفُقَهَاءُ فِي قَتْلِ السَّاحِرِ هَلْ يَكْفُرُهُ السَّابِقُ عَلَى فِعْلِهِ أَوْ لِيَتَصَرَّفَ  
 بِالْإِفْسَادِ وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ الْفَسَادِ فِي الْأَكْوَانِ وَالْكُلُّ حَاصِلٌ مِنْهُ وَلَمَّا كَانَتْ  
 الْمَرْتَبَتَانِ الْأُولَيَانِ مِنَ السِّحْرِ لَهَا حَقِيقَةٌ فِي الْخَارِجِ وَالْمَرْتَبَةُ الْأَخِيرَةُ الثَّلَاثَةُ لَا حَقِيقَةَ  
 لَهَا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي السِّحْرِ هَلْ هُوَ حَقِيقَةٌ أَوْ إِنَّمَا هُوَ تَخْيِيلٌ فَالْقَائِلُونَ بِأَنَّ لَهُ حَقِيقَةَ  
 نَظَرُوا إِلَى الْمَرْتَبَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّ لَا حَقِيقَةَ لَهُ نَظَرُوا إِلَى الْمَرْتَبَةِ الثَّلَاثَةِ  
 الْأَخِيرَةِ فَلَيْسَ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ بَلْ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قَبْلِ اسْتِبْطَاهِ هَذِهِ  
 الْمَرَاتِبِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ وُجُودَ السِّحْرِ لَا مَرِيَّةَ فِيهِ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ مِنْ أَجْلِ التَّأْثِيرِ  
 الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وَقَدْ نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ  
 النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ  
 حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ  
 وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَسِحْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى  
 كَانَ يُخِيلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَلَا يَفْعَلُهُ وَجَعَلَ سِحْرَهُ فِي مِشْطٍ وَمِشَافَةٍ وَجَفَّتْ طَاعَةُ  
 وَدُفِنَ فِي بَيْتِ ذِرْوَانَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ فِي الْمَعْوَدَتَيْنِ وَمِنْ سَرِّ الثَّقَاتِ فِي  
 الْعُقَدِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ لَا يَقْرَأُ عَلَى عُقْدَةٍ مِنْ تِلْكَ الْعُقَدِ الَّتِي سِحْرَ فِيهَا  
 إِلَّا أَنْفَعَتْ وَمَا وَجُودَ السِّحْرِ فِي أَهْلِ بَابِلَ وَهُمْ الْكَلْدَانِيُّونَ مِنَ النَّبْطِ وَالسَّرْيَانِيِّينَ

فَكثِيرٌ وَنَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ وَجَاءَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَكَانَ لِلْسِّحْرِ فِي بَابِلَ وَمِصْرَ أَرْزَانِ بَعَثَهُ  
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَوَاقَ نَافِقَةً وَلِهَذَا كَانَتْ مُعْجِزَةً مُوسَى مِنْ جِنْسٍ مَا يَدْعُونَ وَيَتَنَاغُونَ  
فِيهِ وَيَقِي مِنْ آثَارِ ذَلِكَ فِي الْبَرَارِيِّ بِصَعِيدِ مِصْرَ شَوَاهِدٌ دَالَّةٌ عَلَى ذَلِكَ وَرَأَيْنَا بِالْعِيَانِ  
مَنْ يَصُورُ صُورَةَ الشَّخْصِ الْمَسْحُورِ بِمُخَوَّصِ أَشْيَاءٍ مُقَابِلَةً لِمَا نَوَاهُ وَحَاوَلَهُ مُوجُودٌ  
بِالْمَسْحُورِ وَأَمْثَالِ تِلْكَ الْمَعَانِي مِنْ أَسْمَاءٍ وَصَفَاتٍ فِي التَّالِيفِ وَالتَّفْرِيقِ ثُمَّ يَتَكَلَّمُ  
عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ الَّتِي أَقَامَهَا مَقَامَ الشَّخْصِ الْمَسْحُورِ عَيْنًا أَوْ مَعْنَى ثُمَّ يَنْفُثُ مِنْ رِيقِهِ  
بَعْدَ اجْتِمَاعِهِ فِي فِيهِ بِتَكْرِيرِ مَخَارِجِ تِلْكَ الْحُرُوفِ مِنَ الْكَلَامِ السُّوءِ وَيَعْقُدُ عَلَى  
ذَلِكَ الْمَعْنَى فِي سَبَبِ أَعْدَاءِ لِنَيْكٍ تَفَاوُلًا بِالْعَقْدِ وَاللِّزَامِ وَأَخَذِ الْعَهْدِ عَلَى مَنْ أَشْرَكَ  
بِهِ مِنَ الْجِنِّ فِي نَفْسِهِ فِي فِعْلِهِ ذَلِكَ اسْتِشْعَارًا لِلْعَزِيمَةِ بِالْعَزْمِ وَلِتِلْكَ الْبَيْتَةِ وَالْأَسْمَاءِ  
السَّيِّئَةِ رُوحٌ خَبِيثَةٌ تَخْرُجُ مِنْهُ مَعَ النَّفْثِ مُتَعَلِّقَةٌ بِرِيقِهِ الْخَارِجِ مِنْ فِيهِ بِالْثَفْتِ فَتَنْزِلُ  
عِنْدَهَا أَرْوَاحُ خَبِيثَةٌ وَيَقَعُ عَنْ ذَلِكَ بِالْمَسْحُورِ مَا يَحَاوِلُهُ السَّاحِرُ وَشَاهِدُنَا أَيْضًا مِنْ  
الْمُنْتَحِلِينَ لِلْسِّحْرِ وَعَمَلِهِ مِنْ يُشِيرُ إِلَى كِسَاءٍ أَوْ جِلْدٍ وَيَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ فِي سِرِّهِ فَإِذَا  
هُوَ مُقَطَّوعٌ مُتَخَرِّقٌ وَيُشِيرُ إِلَى بَطُونِ الْعَنَمِ كَذَلِكَ فِي مَرَاعِيهَا بِالْبَعْجِ فَإِذَا أَمَعَاوَهَا سَاقِطَةٌ  
مِنْ بَطُونِهَا إِلَى الْأَرْضِ وَسَمِعْنَا أَنَّ بَارِضَ الْهِنْدِ لِهَذَا الْعَهْدِ مِنْ يُشِيرُ إِلَى إِنْسَانٍ فَيَمْتَحَتُ  
قَلْبُهُ وَيَقَعُ مَيْتًا وَيَنْقَلِبُ عَنْ قَلْبِهِ فَلَا يُوْجَدُ فِي حَشَاهُ وَيُشِيرُ إِلَى الرُّمَانَةِ وَتَفْتَحُ فَلَا  
يُوْجَدُ مِنْ جُوبِهَا شَيْءٌ وَكَذَلِكَ سَمِعْنَا أَنَّ بَارِضَ السُّودَانِ وَأَرْضِ التُّرْكِ مَنْ يَسْحَرُ  
السَّحَابَ فَيَمْطُرُ الْأَرْضَ الْمَخْضُوصَةَ وَكَذَلِكَ رَأَيْنَا مِنْ عَمَلِ الطَّلِسْمَاتِ عَجَابٌ فِي  
الْأَعْدَادِ الْمُتَحَابَّةِ وَهِيَ رَكْرَكٌ دَاحِدُ الْعَدَدَيْنِ مَائَتَانِ وَعِشْرُونَ وَالْآخِرُ مَائَتَانِ  
وَأَرْبَعَةٌ وَتَمَانُونَ وَمَعْنَى الْمُتَحَابَّةِ أَنَّ أَجْزَاءَ كُلِّ وَاحِدٍ الَّتِي فِيهِ مِنْ نِصْفِ وَثَلَاثٍ  
وَرُبْعٍ وَسُدُسٍ وَخُمْسٍ وَأَمْثَالِهَا إِذَا جُمِعَ كَانَ مُتَسَاوِيًا لِلْعَدَدِ الْآخِرِ صَاحِبِهِ فَتَسْمَى  
لِأَجْلِ ذَلِكَ الْمُتَحَابَّةِ وَقَالَ أَصْحَابُ الطَّلِسْمَاتِ أَنَّ تِلْكَ الْأَعْدَادَ اثْرًا فِي الْإِلْفَةِ بَيْنَ  
الْمُتَحَابِّينَ وَاجْتِمَاعِهِمَا إِذَا وُضِعَ لِهَمَّا مِثْلَانِ أَحَدُهُمَا بِطَالِعِ الزُّهْرَةِ وَهِيَ فِي بَيْتِهَا أَوْ  
شَرَفِهَا نَظْرَةٌ إِلَى الْقَمَرِ نَظْرٌ مُودَّةٌ وَقَبُولٌ وَيَجْعَلُ طَالِعُ الثَّانِي سَابِعَ الْأَوَّلِ وَيَضَعُ عَلَى  
أَحَدِ التَّمَثَالَيْنِ أَحَدَ الْعَدَدَيْنِ وَالْآخَرَ عَلَى الْآخَرَ وَيَقْصِدُ بِالْأَكْثَرِ الَّذِي يُرَادُ  
أَمْثَلُهُ أَعْنِي الْمَحْبُوبَ مَا أَدْرِي الْأَكْثَرَ كَمِيَّةً أَوْ الْأَكْثَرَ أَجْزَاءً فَيَكُونُ لِذَلِكَ

مِنَ النَّاسِ الْعَظِيمِ بَيْنَ الْحَتَّابِينَ مَا لَا يَكَادُ يَنْتَكُ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخِرِ قَالَهُ صَاحِبُ  
 الْعَايَةِ وَغَيْرُهُ مِنْ أُمَّةٍ هَذَا الشَّانِ وَشَهِدَتْ لَهُ النَّجْرَةَ وَكَذَا طَابِعُ الْأَسَدِ وَيَسْمَى  
 أَيْضًا طَابِعُ الْحَصَى وَهُوَ أَنْ يُرْسَمَ فِي قَالِبٍ مِندٍ اصْبَعُ صُورَةَ أَسَدٍ شَائِلًا ذَنْبَهُ عَاضًا عَلَى  
 حِصَاةٍ فَدَقَسْمَهَا بِبَنَفَيْنِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ صُورَةَ حَيَّةٍ مُنْسَابَةً مِنْ رِجَالَيْهِ إِلَى قِبَالَةِ وَجْهِهِ  
 فَاغْرَرَةٌ فَأَهَا فِيهِ وَعَلَى ظَهْرِهِ صُورَةُ عَقْرَبٍ تَدْبُ وَيَتَحَيَّنُ بِرِسْمِهِ حُلُولِ الشَّمْسِ بِالْوَجْهِ  
 الْأَوَّلِ أَوْ الثَّلَاثِ مِنَ الْأَسَدِ بِشَرْطِ صَلَاحِ النَّيْرَيْنِ وَسَلَامَتَيْهِمَا مِنَ النُّحُوسِ فَإِذَا  
 وَجَدَ ذَلِكَ وَعَتَّرَ عَلَيْهِ طَبِيعَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فِي مِقْدَارِ الْمِثْقَالِ فَمَا دُونَهُ مِنَ الذَّهَبِ  
 وَغَمَسَ بَعْدَ فِي الزَّعْفَرَانِ مَحْمُولًا بِمَاءِ الْوَرْدِ وَرَفِيعَ فِي خَرْقَةٍ حَرِيرٍ صَفْرَاءَ فَإِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ  
 أَنَّ لِمُسْكِهِ مِنَ الْعَزِّ عَلَى السَّلَاطِينِ فِي مُبَاشَرَتِهِمْ وَخِدْمَتِهِمْ وَتَسْخِيرِهِمْ لَهُ مَا لَا  
 يُعْبَرُ وَكَذَلِكَ لِلْسَّلَاطِينِ فِيهِ مِنَ الْقُوَّةِ وَالْعَزِّ عَلَى مَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ذَكَرَ ذَلِكَ  
 أَيْضًا أَهْلُ هَذَا الشَّانِ فِي الْعَايَةِ وَغَيْرِهَا وَشَهِدَتْ لَهُ النَّجْرَةَ وَكَذَلِكَ وَفَقِ الْمَسْدَسُ  
 الْمُخْتَصُّ بِالشَّمْسِ ذَكَرُوا أَنَّهُ يُوضَعُ عِنْدَ حُلُولِ الشَّمْسِ فِي شَرْفِهَا وَسَلَامَتَيْهَا  
 مِنَ النُّحُوسِ وَسَلَامَةِ التَّمَرِ بِطَالِعِ مُلُوكِي يُعْتَبَرُ فِيهِ نَظَرُ صَاحِبِ الْعَاشِرِ لِصَاحِبِ  
 الطَّالِعِ نَظَرٌ مُودَّةٍ وَقَبُولٍ وَيَصْلُحُ فِيهِ مَا يَكُونُ مِنْ مَوَالِيدِ الْمُلُوكِ مِنَ الْأَدَلَّةِ  
 الشَّرِيفَةِ وَيُرْفَعُ فِي خَرْقَةٍ حَرِيرٍ صَفْرَاءَ بَعْدَ أَنْ يُغَمَسَ فِي الطَّيِّبِ فزَعَمُوا أَنَّ لَهُ أَثَرَ فِي  
 صِحَابَةِ الْمُلُوكِ وَخِدْمَتِهِمْ وَمُعَاشَرَتِهِمْ وَأَمثالُ ذَلِكَ كَثِيرٌ وَكِتَابُ الْعَايَةِ لِمَسَامَةَ بْنِ  
 أَحْمَدَ النَّجْرِيّ هُوَ مُدَوَّنَةٌ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَفِيهِ اسْتِفَاهُهَا وَكَمَالُ مَسَائِلِهَا وَذَكَرَ لَنَا  
 أَنَّ الْأِمَامَ الْفَخْرَ بْنَ الْخَطِيبِ وَضَعَ كِتَابًا فِي ذَلِكَ وَسَمَّاهُ بِالسَّرِّ الْمَكْنُونِ وَأَنَّهُ  
 بِالْمَشْرِقِ يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُهُ وَتَحْنُ لَمْ تَقَفْ عَلَيْهِ وَالْإِمَامُ لَمْ يَكُنْ مِنْ أُمَّةٍ هَذَا الشَّانِ  
 فِيمَا نَظَنُّ وَلَعَلَّ الْأَمْرَ بِخِلَافِ ذَلِكَ وَبِالْمَغْرِبِ صَنَفٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَحَلِّينَ لَهُدِيهِ  
 الْأَعْمَالِ السَّحْرِيَّةِ يُعْرَفُونَ بِالْبُعَاجِينَ وَهُمْ الَّذِينَ ذَكَرْتُ أَوَّلًا أَنَّهُمْ يُشِيرُونَ إِلَى  
 الْكِسَاءِ أَوْ الْجِلْدِ فَيَتَخَرَّقُونَ وَيُشِيرُونَ إِلَى بَطُونِ الْغَنَمِ بِالْبَعْجِ فَتَبْعُجُ وَيَسْمَى أَحَدُهُمْ  
 هَذَا الْعَبْدُ بِاسْمِ الْبُعَاجِ لِأَنَّ أَكْثَرَ مَا يَنْتَحِلُ مِنَ السَّحْرِ بَعْجُ الْأَنْعَامِ يُرْهَبُ بِذَلِكَ  
 أَهْلُهَا لِيُعْطَوْهُ مِنْ فَضْلِهِ وَهُمْ مُسْتَبْرُونَ بِذَلِكَ فِي الْعَايَةِ خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ أَحْكَامِ  
 لِقِيَتِ مِنْهُمْ جَمَاعَةٌ وَشَهِدَتْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ هَذِهِ بِذَلِكَ وَخَبَرُونِي أَنَّ لَهُمْ وَجْهَةً وَرِيَاضَةً

خَاصَّةً بِدَعْوَاتِ كُفْرِيَّةٍ وَإِشْرَاكِ الرُّوحَانِيَّاتِ الْجِنِّ وَالْكُوكِبِ سَطَرَتْ فِيهَا صَحِيفَةٌ  
 عِنْدَهُمْ تُسَمَّى الْخَزِيرِيَّةَ يَتَدَارَسُونَهَا وَأَنَّهُمْ بِهِدِيهِ الرِّيَاضَةِ وَالْوَجْهَةِ يَصِلُونَ إِلَى حُصُولِ هَذِهِ  
 الْأَفْعَالِ لَهُمْ وَإِنَّ التَّأثيرَ الَّذِي لَهُمْ إِنَّمَا هُوَ فِيهِمَا سَوَى الْإِنْسَانِ الْخَرُّ مِنَ الْمَتَاعِ  
 وَالْحَيَوَانَ وَالرَّقِيقِ وَيَعْبِرُونَ عَنْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِمْ إِنَّمَا نَفَعُ فِيهِمَا تَمَشِي فِيهِ الدَّرَاهِمُ أَيَّ مَا  
 يَمْلِكُ وَيُبَاعُ وَيَشْتَرَى مِنْ سَائِرِ الْمُتَمَلِّكَاتِ هَذَا مَا زَعَمُوهُ وَسَأَلْتُ بَعْضَهُمْ فَأَخْبَرَنِي  
 بِهِ وَأَمَّا أفعالُهُمْ فَظَاهِرَةٌ مُوجُودَةٌ وَقَمْنَا عَلَى الْكَثِيرِ مِنْهَا وَعَيْنَتْهَا مِنْ غَيْرِ رِيبةٍ فِي  
 ذَلِكَ هَذَا شَأْنُ السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ وَأَثَرُهُمَا فِي الْعَالَمِ فَأَمَّا الْفَلَّاسِفَةُ فَفَرَّقُوا بَيْنَ  
 السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ بَعْدَ أَنْ أُتْبِتُوا أَنَّهُمَا جَمِيعًا أَثَرٌ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَسْتَدَلُّوا عَلَى  
 وُجُودِ الْأَثَرِ لِلنَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِأَنَّ لَهَا أَثَارًا فِي بَدَنِهَا عَلَى غَيْرِ الْمَجْرِي الطَّبِيعِيِّ وَأَسْبَابِهِ  
 الْجِسْمَانِيَّةِ بَلْ أَتَارُ عَارِضَةٌ مِنْ كَيْفِيَّاتِ الْأَرْوَاحِ تَارَةٌ كَالسُّخُونَةِ الْحَادِثَةِ عَنِ الْفَرَحِ  
 وَالسُّرُورِ وَمِنْ جِهَةِ النُّصُورَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ أُخْرَى كَالَّذِي يَقَعُ مِنَ قَبْلِ التَّوَهُّمِ وَإِنَّ  
 الْمَاشِيَّ عَلَى حَرْفِ حَائِطٍ أَوْ عَلَى حَبْلِ مُنْتَصِبٍ إِذَا قَوِيَ عِنْدَهُ تَوَهُّمُ السُّقُوطِ سَقَطَ بِلا  
 شَكٍّ وَلِهَذَا يَجِدُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَعُودُونَ أَنفُسَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُمْ هَذَا الْوَهُمُ  
 فَتَجِدُهُمْ يَمْشُونَ عَلَى حَرْفِ الْحَائِطِ وَالْحَبْلِ الْمُنْتَصِبِ وَلَا يَخَافُونَ السُّقُوطَ فَتَبَّتْ أَنَّ  
 ذَلِكَ مِنْ أَثَارِ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَتَصَوَّرَهَا لِلسُّقُوطِ مِنْ أَجْلِ الْوَهُمِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ  
 أَثَرًا لِلنَّفْسِ فِي بَدَنِهَا مِنْ غَيْرِ الْأَسْبَابِ الْجِسْمَانِيَّةِ الطَّبِيعِيَّةِ فَجَائِزٌ أَنْ يَكُونَ لَهَا  
 مِثْلُ هَذَا الْأَثَرِ فِي غَيْرِ بَدَنِهَا إِذْ نَسَبَتْهَا إِلَى الْأَبْدَانِ فِي ذَلِكَ النَّوعِ مِنَ التَّأثيرِ  
 وَاحِدَةٌ لِأَنَّهَا غَيْرُ حَالَةٍ فِي الْبَدَنِ وَلَا مُنْطَبِعَةٍ فِيهِ فَتَبَّتْ أَنَّهَا مُؤَثَّرَةٌ فِي سَائِرِ الْأَجْسَامِ  
 وَأَمَّا التَّفَرُّقَةُ عِنْدَهُمْ بَيْنَ السِّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ فَهُوَ أَنَّ السِّحْرَ لَا يَحْتِجُ السَّاحِرُ فِيهِ إِلَى  
 مُعِينٍ وَصَاحِبِ الطَّلَسْمَاتِ يَسْتَعِينُ بِرُوحَانِيَّاتِ الْكُوكِبِ وَأَسْرَارِ الْأَعْدَادِ وَخَوَاصِّ  
 الْمَوْجُودَاتِ وَأَوْضَاعِ الْفَلَكَ الْمَوْثُورَةِ فِي عَالَمِ الْعُنَاصِرِ كَمَا يَقُولُهُ الْمُتَحَيِّمُونَ وَيَقُولُونَ  
 السِّحْرُ اتِّحَادُ رُوحِ بَرُوحٍ وَالطَّلَسْمُ اتِّحَادُ رُوحٍ بِجِسْمٍ وَمَعْنَاهُ عِنْدَهُمْ رَبْطُ الطَّبِيعِ  
 الْعُلَوِيَّةِ السَّمَاوِيَّةِ بِالطَّبِيعِ السُّفَلِيَّةِ وَالطَّبِيعِ الْعُلَوِيَّةِ فِي رُوحَانِيَّاتِ الْكُوكِبِ  
 وَلِذَلِكَ يَسْتَعِينُ صَاحِبُهُ فِي غَالِبِ الْأَمْرِ بِاللَّجَامَةِ وَالسَّاحِرُ عِنْدَهُمْ غَيْرُ مُكْتَسِبِ السِّحْرِ  
 بَلْ هُوَ مَقْطُوعٌ عِنْدَهُمْ عَلَى تِلْكَ الْجِبَالَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِذَلِكَ النَّوعِ مِنَ التَّأثيرِ وَالْفَرْقُ عِنْدَهُمْ

بَيْنَ الْمُعْجَزَةِ وَالسَّحْرِ أَنَّ الْمُعْجَزَةَ قُوَّةُ الْوَيْبَةِ تَبَعَتْ عَلَى النَّفْسِ ذَلِكَ النَّاتِرُ فَبُوَ مُؤَيَّدٌ  
 بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى عِلْمِهِ ذَلِكَ وَالسَّحْرُ إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ لَدُنْ نَفْسِهِ وَبِقُوَّتِهِ النَّفْسَانِيَّةِ  
 وَيَأْتِي مَدَارَ الشَّيَاطِينِ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ فَبَيْنَهُمَا الْفَرْقُ فِي الْعَقُولِيَّةِ وَالْحَقِيقَةِ وَالذَّاتِ  
 فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَإِنَّمَا نَسْتَدِيلُ نَحْنُ عَلَى التَّفَرُّقِ بِالْعَلَامَاتِ الظَّاهِرَةِ وَهِيَ وَجُودُ الْمُعْجَزَةِ  
 لِصَاحِبِ الْخَيْرِ وَفِي مَقَاصِدِ الْخَيْرِ وَالنَّفُوسِ الْمُتَخَصِّصَةِ لِلْخَيْرِ وَالْتِعَدِّي بِهَا عَلَى دَعْوَى  
 النَّبُوَّةِ وَالسَّحْرِ إِنَّمَا يُوْجَدُ لِصَاحِبِ الشَّرِّ وَفِي أَعْمَالِ الشَّرِّ فِي الْغَالِبِ مِنَ التَّخْرِيقِ بَيْنَ  
 الرُّوْبِينِ وَضُرَرِ الْأَعْدَاءِ وَأَمثالِ ذَلِكَ وَالنَّفُوسِ الْمُتَخَصِّصَةِ لِلشَّرِّ . هَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا  
 عِنْدَ الْحُكَمَاءِ الْأَلْبِينِ وَقَدْ يُوْجَدُ لِبَعْضِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَأَصْحَابِ الْكِرَامَاتِ تَأْثِيرٌ أَيْضًا  
 فِي أَحْوَالِ الْعَالَمِ وَلَيْسَ مَعْدُودًا مِنْ جِنْسِ السَّحْرِ وَإِنَّمَا هُوَ بِالْإِمْدَادِ الْإِلَهِيِّ لِأَنَّ طَرِيقَتَهُمْ  
 وَنُحْلَتَهُمْ مِنْ آثَارِ النَّبُوَّةِ وَتَوَابِعِهَا وَلَهُمْ فِي الْمَدَدِ الْإِلَهِيِّ حِفْظٌ عَلَى قَدْرِ حَالِهِمْ وَإِيمَانِهِمْ  
 وَتَمَسُّكُهُمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَإِذَا اقْتَدَرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَعْمَالِ الشَّرِّ لَا يَأْتِيهَا لِأَنَّهُ مُتَّقِدٌ فِيمَا  
 يَأْتِيهِ يَدْرُهُ لِلْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ فَمَا لَا يَقَعُ لَهُمْ فِيهِ الْإِذْنُ لِأَيَّا تَوْنِهِ بِوَجْهِهِ وَمَنْ آتَاهُ مِنْهُمْ فَقَدْ  
 عَدَلَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ وَرُبَّمَا سَلَبَ حَالَهُ وَأَمَّا كَانَتْ الْمُعْجَزَةُ بِإِمْدَادِ رُوحِ اللَّهِ وَالْقُوَى  
 الْإِلَهِيَّةِ فَلِذَلِكَ لَا يَبْعَارُضُهَا شَيْءٌ مِنَ السَّحْرِ وَأَنْظُرْ شَأْنَ سِحْرَةِ فِرْعَوْنَ مَعَ مُوسَى فِي  
 مُعْجَزَةِ الْعَصَا كَيْفَ تَلَقَّفَتْ مَا كَانُوا بِهِ يَأْكُونُونَ وَذَهَبَ سِحْرُهُمْ وَأَضْمَحَلَّ كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ  
 وَكَذَلِكَ لَمَّا أَنْزَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَعْوَدَتَيْنِ وَمِنْ شَرِّ الثَّمَانَاتِ فِي  
 الْعَقْدِ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَكَانَ لَا يَقْرَأُ مَا عَلَى عَقْدَةٍ مِنَ الْعَقْدِ الَّتِي سَحَرَ فِيهَا  
 إِلَّا أَحْتَمَّتْ فَالسَّحْرُ لَا يَنْبُتُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ وَذَكَرَهُ وَقَدْ نَقَلَ الْمُؤَرِّخُونَ أَنَّ زَرَكَشَ  
 كَوَايَانَ وَهِيَ رَايَةُ كِسْرَى كَانَ فِيهَا الْوُفُقُ الْمَيْيُتِيُّ الْعَدَدِيُّ مَنْسُوجًا بِالذَّهَبِ فِي أَوْضَاعٍ  
 فَلِكَيْفِيَّةِ رُصِدَتْ لِذَلِكَ الْوُفُقِ وَوُجِدَتْ الرَّايَةُ يَوْمَ قُتِلَ رُسُومٌ بِالْأَقَادِسِيَّةِ وَاقِعَةً عَلَى  
 الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْهَزَامِ أَهْلِ فَارِسَ وَشَتَاتِهِمْ وَهُوَ فِيمَا تَزَعُمُ أَهْلُ الطَّلَسْمَاتِ وَالْأَوْفَاقِ  
 مَخْضُوضٌ بِالْغَلْبِ فِي الْحُرُوبِ وَأَنَّ الرَّايَةَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا أَوْ مَعَهَا لَا تَنْهَزِمُ أَصْلًا إِلَّا  
 أَنَّ هَذِهِ عَارِضُهَا الْمَدَدُ الْإِلَهِيُّ مِنْ إِيْمَانِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 وَتَمَسُّكِهِمْ بِكَلِمَةِ اللَّهِ فَأَنْحَلَّ مَعَهَا كُلُّ عَقْدِ سِحْرِيٍّ وَلَمْ يَنْبُتْ وَبَطَلَ مَا كَانُوا  
 يَعْمَلُونَ وَأَمَّا الشَّرِيعَةُ فَلَمْ تَفْرُقْ بَيْنَ السَّحْرِ وَالطَّلَسْمَاتِ وَجَعَلَتْهُ كَلِمَةً بَابًا وَاحِدًا مَحْظُورًا

لأن الأفعال إنما أباح لنا الشارع منها ما يهمننا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا  
أو في معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا وما لا يهمننا في شيء منهما فإن كان فيه ضرر  
أو نوع ضرر كالسحر الحاصل ضرره بالوقوع ويُلحق به الطلسمات لأن أثرهما واحد  
والتجامة التي فيها نوع ضرر باعتقاد التأثير فتفسد العقيدة الإيمانية برد الأمور  
إلى غير الله فيكون حينئذ ذلك الفعل محظورا على نسبته في الضرر وإن لم يكن مهيما  
علينا ولا فيه ضرر فلا أقل من تركه قربة إلى الله فإن من حسن إسلام المرء تركه  
ما لا يعنيه فجعلت الشريعة باب السحر والطلسمات والشعوذة بابا واحدا لما فيها من  
الضرر وخصته بالخطر والتحريم وأما الفرق عندهم بين المعجزة والسحر فالذي  
ذكره المشككون أنه راجع إلى التحدي وهو دعوى ووقوعها على وفق ما ادعاه  
قالوا والساحر مصروف عن مثل هذا التحدي فلا يقع منه ووقوع المعجزة على وفق  
دعوى الكاذب غير مقدور لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية لأن صفة نفسها  
التصديق فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصادق كاذبا وهو محال فإذا لا تقع  
المعجزة مع الكاذب بإطلاق وأما الحكماء فالفرق بينهما عندهم كما ذكرناه  
فرق ما بين الخير والشّر في نهاية الطرفين فالساحر لا يصدر منه الخير ولا يستعمل  
في أسباب الخير وصاحب المعجزة لا يصدر منه الشر ولا يستعمل في أسباب الشر  
وكانت على طرفي النقيض في أصل فطرتهما والله يهدي من يشاء وهو القوي  
العزیز لا رب سواه ومن قبيل هذه التأثيرات النفسية الإصابة بالعين وهو تأثير  
من نفس المعيان عندما يستحسن بعينه مدر كما من الذوات أو الأحوال ويفرط في  
استحسانه ويتشا عن ذلك الاستحسان حينئذ أنه يزوم معه سلب ذلك الشيء عن  
اتصف به فيؤثر فسادة وهو جملة فطرية أعني هذه الإصابة بالعين والفرق بينهما  
وبين التأثيرات وإن كان منها ما لا يكسب فصدورها راجع إلى اختيار فاعلها  
والفطري منها قوة صدورها ولهذا قالوا القاتل بالسحر أو بالكرامة يقتل والقاتل  
بالعين لا يقتل وما ذلك إلا أنه ليس مما يريد ويقصده أو يتركه وإنما هو مجبور  
في صدوره عنه والله أعلم بما في الغيوب ومطلع على ما في السرائر

## الفصل الثالث والعشرون

في علم الكيمياء

وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويسرح العمل الذي يوصل إلى ذلك فيتصنحون المكوّنات كلها بعد معرفة أمر جتها وقواها لعلمهم يعثرون على المادة المستعدة لذلك حتى من العضلات الحيوانية كالعظام والرّيش والبيض والعذرات فضلا عن المعادن ثم يشرح الأعمال التي تخرج بها تلك المادة من القوة إلى الفعل مثل حل الأجسام إلى أجزاءها الطبيعية بالتصعيد والتقطير وحمّ الذائب منها بالتكليس وإمهاء الصلب بالقهر والصلابة وأمثال ذلك وفي زعمهم أنه يخرج بهذه الصناعات كلها جسم طبيعي يسمونه الأكسير وأنه يلقي منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب أو الفضة بالاستعداد القريب من الفعل مثل الرصاص والقصدير والنحاس بعد أن يحمي بالنار فيعود ذهباً ابريزاً ويكون عن ذلك الأكسير إذا الغزوا في اصطلاحاتهم بالروح وعن الجسم الذي يلقي عليه بالجسد فشرح هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي الذي يقبل هذه الأجساد المستعدة إلى صورة الذهب والفضة هو علم الكيمياء وما زال الناس يؤلفون فيها قديماً وحديثاً وربما يعزى الكلام فيها إلى من ليس من أهلها وإمام المدونين فيها جابر بن حيان حتى إنهم يخصونها به فيسمنونها علم جابر وله فيها سبعون رسالة كلها شبيهة بالألغاز وزعموا أنه لا يفتح مقفلها إلا من أحاط علماً بجميع ما فيها والطغرائي من حكماء المشرق المتأخرين له فيها دواوين ومناظرات مع أهلها وغيرهم من الحكماء وكتب فيها مسلمة الجربيطي من حكماء الأندلس كتابه الذي سماه رتبة الحكيم وجعله قريباً لكتابه الآخر في السحر والطلسمات الذي سماه غاية الحكيم وزعم أن هاتين الصناعتين هما نتيجتان للحكمة وتمرتان للعلوم ومن لم يقف عليهما فهو فاقد ثمرة العلم والحكمة أجمع وكلامه في ذلك الكتاب وكلامهم أجمع في تأليفهم هي الألغاز يتعدّر فهمها على من لم يعان اصطلاحاتهم في ذلك. ونحن ندكر سبب عدولهم إلى هذه الرموز والألغاز ولابن المعبري من أئمة هذا الشأن كلمات شعرية على حروف الدجيم من أبداع ما يجي

فِي السَّعْرِ مَعْرُورَةً كُلُّهَا لُغَزَ الْأَحَاجِي وَالْمَعَايَا فَلَا تَكَادُ تَفْهَمُ وَقَدْ يَتَسَمَّوْنَ لِلْعَزَالِي  
 رَحِمَهُ اللَّهُ بَعْضَ التَّلَايِفِ فِيهَا وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ تَكُنْ مَدَارِكُهُ الْعَالِيَةَ  
 لَتَقِفَ عَنْ خَطَا مَا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ حَتَّى يَنْتَحِلَهُ وَرُبَّمَا نَسَبُوا بَعْضَ الْمَذَاهِبِ وَالْأَقْوَالِ  
 فِيهَا لِخَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ رَيْبِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَمِنَ الْمَعْلُومِ الْبَيِّنِ أَنَّ خَالِدًا  
 مِنْ الْجَلِيلِ الْعَرَبِيِّ وَالْبِدَاوَةَ إِلَيْهِ أَقْرَبُ فَهُوَ بَعِيدٌ عَنِ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ بِالْجُمْلَةِ فَكَيْفَ  
 لَهُ بِصِنَاعَةِ عَرَبِيَّةِ الْمَنْحَى مَبْنِيَّةٍ عَلَى مَعْرِفَةِ طَبَائِعِ الْمَرْكَبَاتِ وَأَمْرٍ جِتْهَا وَكُتِبَ النَّاطِرِينَ  
 فِي ذَلِكَ مِنَ الطَّبِيعِيَّاتِ وَالطَّبِّ لَمْ تَظْهَرْ بَعْدُ وَلَمْ نُنْزِجْهُمُ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ خَالِدُ بْنُ  
 يَزِيدَ آخَرَ مِنْ أَهْلِ الْمَدَارِكِ الصَّنَاعِيَّةِ تَشَبَّهُ بِاسْمِهِ فَمِمَّا كُنْ . وَأَنَا أَنْقُلُ لَكَ هُنَا  
 رِسَالَةَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ بَشْرُونَ لِأَبِي السَّمْحِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَكِلَاهُمَا مِنْ تَلَامِيذِ مُسَلِّمَةَ  
 فَيَسْتَدِلُّ مِنْ كَلَامِهِ فِيهَا عَلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ فِي شَأْنِهَا إِذَا أَعْطَيْتَهُ حَقَّهُ مِنَ التَّأَمُّلِ قَالَ  
 ابْنُ بَشْرُونَ بَعْدَ صَدْرِ مِنَ الرَّسَالَةِ خَارِجٍ عَنِ الْعَرَضِ وَالْمَقْدِمَاتِ الَّتِي لَهُ فِي الصَّنَاعَةِ  
 الْكُرَيْمِيَّةِ قَدْ ذَكَرَهَا الْأَوَّلُونَ وَأَقْتَصَّ جَمِيعَهَا أَهْلُ الْفَلَسَفَةِ مِنْ مَعْرِفَةِ تَكْوِينِ  
 الْمَعَادِنِ وَتَخَلُّقِ الْأَجْحَارِ وَالْجُوهَرِ وَطَبَائِعِ الْقِنَاعِ وَالْأَمَّا كَيْنَ فَمَنْعَنَا أَشْتَهَارُهَا مِنْ  
 ذِكْرِهَا وَلَكِنْ ابْتَيْنَ لَكَ مِنْ هَذِهِ الصَّنَعَةِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ تَبَدُّلًا بِمَعْرِفَتِهِ فَقَدْ قَالُوا يَنْبَغِي  
 لِطَلَّابِ هَذَا الْعِلْمِ أَنْ يَعْلَمُوا أَوَّلًا ثَلَاثَ خِصَالٍ أَوَّلُهَا هَلْ تَكُونُ وَالثَّانِيَةُ مِنْ أَيِّ  
 تَكُونُ وَالثَّلَاثَةُ مِنْ أَيِّ كَيْفَ تَكُونُ فَإِذَا عَرَفَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ وَأَحْكَمَهَا فَقَدْ ظَفَرَ  
 بِمَطْلُوبِهِ وَبَلَغَ نَهَابَتَهُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ وَأَمَّا النَّبْحُ عَنْ وُجُودِهَا وَالِاسْتِدْلَالُ عَنْ تَكُونِهَا  
 فَقَدْ كَفَيْنَاكَ بِمَا بَعَثْنَا بِهِ إِلَيْكَ مِنَ الْأَكْسِيرِ وَأَمَّا مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَكُونُ فَإِنَّمَا يَرِيدُونَ  
 بِذَلِكَ النَّبْحَ عَنِ الْحَجَرِ الَّذِي يُمَكِّنُهُ الْعَمَلُ وَإِنْ كَانَ الْعَمَلُ مُوجُودًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ  
 بِالْقُوَّةِ لِأَنَّهَا مِنَ الطَّبَائِعِ الْأَزْجَعِ مِنْهَا تَرَكِبَتْ أَبْتِدَاءً وَإِلَيْهَا تَرْجِعُ أَنْبَاءً وَلَكِنْ مِنْ  
 الْأَشْيَاءِ مَا يَكُونُ فِيهِ بِالْقُوَّةِ وَلَا يَكُونُ بِالْفِعْلِ وَذَلِكَ أَنَّ مِنْهَا مَا يُمْكِنُ تَفْصِيلُهَا تَعَالُجٌ  
 وَتَدْبِيرٌ وَهِيَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ وَالَّتِي لَا يُمْكِنُ تَفْصِيلُهَا لَا تَعَالُجٌ وَلَا  
 تَدْبِيرٌ لِأَنَّهَا فِيهَا بِالْقُوَّةِ فَقَطُ وَإِنَّمَا لَمْ يُمْكِنُ تَفْصِيلُهَا لِاسْتِعْرَاقِ بَعْضِ طَبَائِعِهَا فِي بَعْضِ  
 وَفَضْلُ قُوَّةِ الْكَبِيرِ مِنْهَا عَلَى الصَّغِيرِ فَيَنْبَغِي لَكَ وَفَقَكَ اللَّهُ أَنْ تَعْرِفَ أَوْفَقَ الْأَجْحَارِ  
 الْمُنْفَصِلَةِ الَّتِي يُمْكِنُ فِيهَا الْعَمَلُ وَجِنْسُهُ وَقُوَّتُهُ وَعَمَلُهُ وَمَا يَدْبُرُ مِنَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ

وَالْتَنَمِيَةَ وَالتَّكْلِيسَ وَالتَّنْشِيفَ وَالتَّقْلِيبَ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ هَذِهِ الْأَصُولَ الَّتِي هِيَ  
عِمَادُ هَذِهِ الصَّنْعَةِ لَمْ يَنْجُحْ وَلَمْ يَنْظُرْ بِخَيْرٍ أَبَدًا وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ  
يُسْتَعَانَ عَلَيْهِ بَعْضُهُ أَوْ يُكْتَفَى بِهِ وَحْدَهُ وَهَلْ هُوَ وَاحِدٌ فِي الْإِبْتِدَاءِ أَوْ شَارَكَهُ غَيْرُهُ  
فَصَارَ فِي التَّدْبِيرِ وَاحِدًا قَسْمِيًّا حِجْرًا وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ كَيْفِيَّةَ عَمَلِهِ وَكَمِّيَّةَ أَوْزَانِهِ  
وَأَزْمَانِهِ وَكَيْفَ تَرْكِبُ الرُّوحَ فِيهِ وَإِدْخَالَ النَّفْسِ عَلَيْهِ وَهَلْ تَقْدِرُ النَّارُ عَلَى تَفْصِيلِهَا  
مِنْهُ بَعْدَ تَرْكِبِهَا فَإِنَّ لَمْ تَقْدِرْ فَلْيَأْتِ عَلَهُ وَمَا السَّبَبُ الْمَوْجِبُ لِلذَّكَ فَإِنَّ هَذَا هُوَ  
الْمَطْلُوبُ فَأَقْبِهِمْ وَاعْلَمْ أَنَّ الْفَلَّاسَةَ كُلُّهَا مَدْحَتِ النَّفْسِ وَرَعَمَتْ أَمَّا الْمَدْبَرَةُ لِلْجَسَدِ  
وَالْحَامِلَةُ لَهُ وَالِدَاعِفَةُ عَنْهُ وَالْفَاعِلَةُ فِيهِ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَسَدَ إِذَا خَرَجَتْ النَّفْسُ مِنْهُ مَاتَ  
وَبَرَدَ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْحُرْكََةِ وَالْإِمْتِنَاعِ مِنْ غَيْرِهِ لِأَنَّهُ لَا حَيَاةَ فِيهِ وَلَا نُورَ وَإِنَّمَا  
ذَكَرْتُ الْجَسَدَ وَالنَّفْسَ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ شَبِيهَةٌ بِجَسَدِ الْإِنْسَانِ الَّذِي تَرْكِبُهُ عَلَى  
الْغِذَاءِ وَالْعِشَاءِ وَقُوَامُهُ وَتَمَامُهُ بِالنَّفْسِ الْحَيَّةِ النُّورَانِيَّةِ الَّتِي يَفْعَلُ الْعِظَامَ وَالْأَشْيَاءَ  
الْمُتَقَابِلَةَ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُهَا بِالْقُوَّةِ الْحَيَّةِ الَّتِي فِيهَا وَإِنَّمَا أَنْفَعَلُ الْإِنْسَانَ لِاخْتِلَافِ  
تَرْكِبِ طَبَائِعِهِ وَلَوْ اتَّفَقَتْ طَبَائِعُهُ لَسَلِمَتْ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَالتَّضَادِّ وَلَمْ تَقْدِرِ النَّفْسُ عَلَى  
الْخُرُوجِ مِنْ بَدَنِهِ وَلَكَانَ خَالِدًا بَاقِيًا فَسُبْحَانَ مَدْبِرِ الْأَشْيَاءِ تَعَالَى وَاعْلَمْ أَنَّ الطَّبَائِعَ  
الَّتِي يَخْدُثُ عَنْهَا هَذَا الْعَمَلُ كَيْفِيَّةٌ دَائِعَةٌ فِي الْإِبْتِدَاءِ فَيُضَيِّعُ مَحْتَاجَةً إِلَى الْإِنْتِهَاءِ وَلَيْسَ  
لَهَا إِذَا صَارَتْ فِي هَذَا الْحَدِّ أَنْ تَسْتَحِيلَ إِلَى مَا مِنْهُ تَرْكِبَتْ كَمَا فَنَاءَهُ أَنْفَاقًا فِي الْإِنْسَانِ  
لِأَنَّ طَبَائِعَ هَذَا الْجَوْهَرِ قَدْ لَزِمَ بَعْضُهَا بَعْضًا وَصَارَتْ شَيْئًا وَاحِدًا شَبِيهًا بِالنَّفْسِ فِي قُوَّتِهَا  
وَفِعْلِهَا وَبِالْجَسَدِ فِي تَرْكِبِهِ وَمَجَسَّتَهُ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ طَبَائِعَ مُفْرَدَةً بِأَعْيَانِهَا فَيَا عَجَبًا مِنْ  
أَفَاعِيلِ الطَّبَائِعِ إِنَّ الْقُوَّةَ لِلضَّعِيفِ الَّذِي يَقْوَى عَلَى تَفْصِيلِ الْأَشْيَاءِ وَتَرْكِبِهَا وَتَمَامِهَا  
فَلِذَلِكَ قُلْتُ قَوِيٌّ وَضَعِيفٌ وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّغْيِيرُ وَالفَنَاءُ فِي التَّرْكِيبِ الْأَوَّلِ لِلِاخْتِلَافِ  
وَعَدَمِ ذَلِكَ فِي الثَّانِي لِلِاتِّفَاقِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْأَوَّلِينَ التَّفْصِيلَ وَالتَّقْطِيعَ فِي هَذَا  
الْعَمَلِ حَيَاةً وَبَقَاءً وَالتَّرْكِيبَ مَوْتًا وَفَنَاءً وَهَذَا الْكَلَامُ دَقِيقُ الْمَعْنَى لِأَنَّ الْحَكِيمَ  
أَرَادَ بِقَوْلِهِ حَيَاةً وَبَقَاءً خُرُوجَهُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الوجودِ لِأَنَّهُ مَا دَامَ عَلَى تَرْكِبِهِ الْأَوَّلِ  
فَهُوَ فَإِنَّ لَمْ يَحَالَةَ فَإِذَا رُكِبَ التَّرْكِيبُ الثَّانِي عَدِمَ الْفَنَاءُ وَالتَّرْكِيبُ الثَّانِي لَا يَكُونُ إِلَّا  
بَعْدَ التَّفْصِيلِ وَالتَّقْطِيعِ فَإِذَا التَّفْصِيلُ وَالتَّقْطِيعُ فِي هَذَا الْعَمَلِ خَاصَّةٌ فَإِذَا بَقِيَ الْجَسَدُ

الْحَمُولُ أَنْبَسَ فِيهِ لِعَدَمِ الصُّورَةِ لِأَنَّهُ قَدْ صَارَ فِي الْجَسَدِ بِمَنْزِلَةِ النَّفْسِ الَّتِي لَا صُورَةَ  
 لَهَا وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا وَزْنَ لَهُ فِيهِ وَسَتَرَى ذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ  
 أَنَّ اخْتِلَاطَ اللَّطِيفِ بِاللَّطِيفِ أَهْوَنُ مِنْ اخْتِلَاطِ الْعَلِيظِ بِالْعَلِيظِ وَإِنَّمَا أُرِيدُ بِذَلِكَ  
 التَّمَاكُلَ فِي الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَادِ لِأَنَّ الْأَشْيَاءَ تَتَّصِلُ بِأَشْكَالِهَا وَذِكْرُكَ لَكَ ذَلِكَ  
 لَتَعْلَمَ أَنَّ الْعَمَلَ أَوْفَى وَأَبْسَرَ مِنَ الطَّبَائِعِ اللَّطَائِفِ الرُّوحَانِيَّةِ مِنْهَا مِنَ الْعَالِيَةِ الْجِسْمَانِيَّةِ  
 وَقَدْ يَتَّصَرُّ فِي الْعَقْلِ أَنَّ الْأَشْجَارَ أَقْوَى وَأَصْبَرَ عَلَى النَّارِ مِنَ الْأَرْوَاحِ كَمَا تَرَى  
 الذَّهَبَ وَالْحَدِيدَ وَالنُّحَاسَ أَصْبَرَ عَلَى النَّارِ مِنَ الْكِبْرِيَّتِ وَالزُّبُقِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَرْوَاحِ  
 فَأَقُولُ إِنَّ الْأَجْسَادَ قَدْ كَانَتْ أَرْوَاحًا فِي بَدَنِهَا فَلَمَّا أَصَابَهَا حَرُّ الْكَيْفَانِ قَلَبَهَا أَجْسَادًا  
 لِرُجَّةِ غَلِيظَةٍ فَلَمْ تَقْدِرِ النَّارُ عَلَى أَكْلِهَا لِإِفْرَاطِ غَلِيظِهَا وَتَلَزُّجِهَا فَإِذَا أَفْرَطَتِ النَّارُ  
 عَلَيْهَا صَبَّرَتْهَا أَرْوَاحًا كَمَا كَانَتْ أَوَّلَ خَلْقِهَا وَإِنْ تَلِكَ الْأَرْوَاحُ اللَّطِيفَةَ إِذَا أَصَابَتْهَا  
 النَّارُ أَبَقَتْ وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الْبَقَاءِ عَلَيْهَا فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا صَبَّرَ الْأَجْسَادَ فِي هَذِهِ  
 الْحَالَةِ وَصَبَّرَ الْأَرْوَاحَ فِي هَذَا الْحَالِ فَهُوَ أَجَلُ مَا تَعْرِفُهُ أَقُولُ إِنَّمَا أَبَقَتْ تَلِكَ الْأَرْوَاحُ  
 لِاسْتِعَالِهَا وَلَطَافَتِهَا وَإِنَّمَا اسْتَعَلَتْ لِكَثْرَةِ رَطُوبَتِهَا وَلِأَنَّ النَّارَ إِذَا أَحْسَتْ بِالرُّطُوبَةِ  
 تَعَلَّقَتْ بِهَا لِأَنَّهَا هَوَائِيَّةٌ تَشَاكِلُ النَّارَ وَلَا تَنَزَالُ تَعْتَدِي بِهَا إِلَى أَنْ تَفْتَى وَكَذَلِكَ  
 الْأَجْسَادُ إِذَا أَحْسَتْ بِوُجُودِ النَّارِ إِلَيْهَا تَلَزُّجِيًا وَغَلِيظِيًا وَإِنَّمَا صَارَتْ تَلِكَ الْأَجْسَادُ  
 لَا تَشْتَعِلُ لِأَنَّهَا مَرْكَبَةٌ مِنْ أَرْضٍ وَمَاءٍ صَابِرٍ عَلَى النَّارِ فَلَطِيفَةٌ مُتَّحِدَةٌ بِكَيْفِيَّةِ لَطُولِ  
 الطَّبَخِ الْآيِنِ الْمَازِجِ لِلْأَشْيَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مِتْلَاشٍ إِنَّمَا يَتَلَاشَى بِالنَّارِ لِمُفَارَقَةِ  
 لَطِيفِهِ مِنْ كَيْفِيَّةِ وَدُخُولِ بَعْضِهِ فِي بَعْضٍ عَلَى غَيْرِ التَّحْلِيلِ وَالْمُؤَافَقَةِ فَصَارَ ذَلِكَ  
 الْأَنْضِمَامُ وَالْتِمَادُخُلُ مُجَاوِرَةً لَا مُمَازَجَةً فَسَهَّلَ بِذَلِكَ أَفْتِرَاقَهُمَا كَالْمَاءِ وَالذَّهْنِ وَمَا  
 أَشَبَّهُهُمَا وَإِنَّمَا وَصَفْتُ ذَلِكَ لِتَسْتَدِيلِ بِهِ عَلَى تَرْكِيبِ الطَّبَائِعِ وَتَقَابُلِهَا فَإِذَا عَلِمْتَ  
 ذَلِكَ عَلِمَا شَافِيًا فَقَدْ أَخَذْتَ حَظَّكَ مِنْهَا وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْأَخْلَاطَ الَّتِي هِيَ  
 طَبَائِعُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مُؤَافَقَةٌ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ مُفْصَلَةٌ مِنْ جَوْهَرٍ وَاحِدٍ يَجْمَعُهَا نِظَامٌ وَاحِدٌ  
 يَتَدَبَّرُ وَاحِدٌ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ غَرِيبٌ فِي الْجُزْءِ مِنْهُ وَلَا فِي الْكُلِّ كَمَا قَالَ الْفَيْلَسُوفُ  
 أَنَّكَ إِذَا أَحْكَمْتَ تَدَبِيرَ الطَّبَائِعِ وَتَأَلَّفَهَا وَلَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهَا غَرِيبًا فَقَدْ أَحْكَمْتَ مَا  
 أَرَدْتَ إِحْكَامَهُ وَقِيَامَهُ إِذِ الطَّبِيعَةُ وَاحِدَةٌ لَا غَرِيبَ فِيهَا فَمَنْ أَدْخَلَ عَلَيْهَا غَرِيبًا

فَقَدْ زَاغَ عَنْهَا وَوَقَعَ فِي الْخَطْأِ . وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الطَّبِيعَةَ إِذَا حَلَّ لَهَا جَسَدٌ مِنْ قَوَائِمِهَا  
 عَلَى مَا يَتَّبِعِي فِي الْحَلِّ حَتَّى يَشَاكِلَهَا فِي الرِّقَّةِ وَاللَّطَافَةِ انْتَسَطَتْ فِيهِ وَجَرَتْ مَعَهُ حَيْشَمًا  
 جَرَى لِأَنَّ الْأَجْسَادَ مَا دَامَتْ غَلِيظَةً حَافِيَةً لَا تَنْسِطُ وَلَا تَنْزَوِجُ وَحَلَّ الْأَجْسَادُ لَا يَكُونُ  
 بَعْضُ الْأَرْوَاحِ فَافْتَرَمَ هَذَاكَ اللَّهُ هَذَا الْقَوْلَ وَأَعْلَمَ هَذَاكَ اللَّهُ أَنَّ هَذَا الْحَلَّ فِي جَسَدِ الْحَيَوَانِ  
 هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا يَتَمَحَّلُ وَلَا يَنْقُصُ وَهُوَ الَّذِي يَقْلِبُ الطَّبَائِعَ وَيُمَسِّكُهَا وَيُظْهِرُ لَهَا  
 أَلْوَانًا وَأَزْهَارًا عَجِيبَةً وَلَيْسَ كُلُّ جَسَدٍ يَحُلُّ خِلَافَ هَذَا هُوَ الْحَلُّ النَّامُ لِأَنَّهُ مُخَالَفٌ لِلْحَيَاةِ  
 وَإِنَّمَا حَالُهُ بِمَا يُؤَافِقُهُ وَيُدْفَعُ عَنْهُ حَرَقُ النَّارِ حَتَّى يَزُولَ عَنِ الْغَلِظِ وَتَنْقَلِبُ الطَّبَائِعُ  
 عَنْ حَالِهَا إِلَى مَا لَهَا أَنْ تَنْقَلِبَ مِنَ اللَّطَافَةِ وَالْغَلِظِ فَإِذَا بَلَغَتْ الْأَجْسَادَ مَهَابَتِهَا مِنْ  
 التَّحْلِيلِ وَالتَّلَطُّفِ ظَهَرَتْ لَهَا هُنَاكَ قُوَّةٌ تُمْسِكُ وَتَعْوِضُ وَتَقْلِبُ وَتَنْفِذُ وَكُلُّ  
 عَمَلٍ لَا يَرَى لَهُ مُصَدِّقًا فِي أَوَّلِهِ فَلَا خَيْرَ فِيهِ . وَأَعْلَمَ أَنَّ الْبَارِدَ مِنَ الطَّبَائِعِ  
 هُوَ يَبْسُ الْأَشْيَاءَ وَيَعْقِدُ رُطُوبَتَهَا وَالْحَارَّ مِنْهَا يُظْهِرُ رُطُوبَتَهَا وَيَعْقِدُ يَبْسَهَا وَإِنَّمَا أَفْرَدَتْ  
 الْحَرَّ وَالْبَرْدَ لِأَنَّهُمَا فَاعِلَانِ وَالرُّطُوبَةُ وَالْيَبْسُ مُنْفَعِلَانِ وَعَلَى أَنْفِعَالِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا  
 لِصَاحِبِهِ تَحْدُثُ الْأَجْسَامُ وَتَنْكُونُ وَإِنْ كَانَ الْحَرُّ أَكْثَرَ فِعَالًا فِي ذَلِكَ مِنَ الْبَرْدِ لِأَنَّ  
 الْبَرْدَ لَيْسَ لَهُ نَقْلُ الْأَشْيَاءِ وَلَا تَحْوُكُهَا وَالْحَرُّ هُوَ عِلَّةُ الْحَرَكَةِ وَمَتَى ضَعُفَتْ عِلَّةُ الْكُونِ  
 وَهُوَ الْحَرَارَةُ لَمْ يَتِمَّ مِنْهَا شَيْءٌ أَبَدًا كَمَا أَنَّهُ إِذَا أَفْرِطَتْ الْحَرَارَةُ عَلَى شَيْءٍ وَلَمْ يَكُنْ  
 تَمَّ بَرْدٌ أَحْرَقَتْهُ وَأَهْلَكَتَهُ فَمِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْعِلَّةِ أَحْتِجُّ إِلَى الْبَارِدِ فِي هَذِهِ الْأَعْمَالِ  
 لِيَقْوَى بِهِ كُلُّ ضِدِّ عَلَى ضِدِّهِ وَيُدْفَعُ عَنْهُ حَرُّ النَّارِ وَلَمْ يَحْدِرِ الْفَلَسَفَةُ أَكْبَرَ شَيْءٍ إِلَّا  
 مِنَ النَّيِّرَانِ الْمُحَرَّقَةِ وَأَمَرَتْ بِتَطْيِيرِ الطَّبَائِعِ وَالْأَنْفَاسِ وَإِخْرَاجِ دَيْسِهَا وَرُطُوبَتِهَا  
 وَتَقِي آفَاتِهَا وَأَوْسَاطِهَا عَنْهَا عَلَى ذَلِكَ اسْتِقَامَ رَأْيُهُمْ وَتَنْدَبِرُهُمْ فَإِنَّمَا عَمَلُهُمْ إِنَّمَا هُوَ  
 مَعَ النَّارِ أَوْلًا وَإِلَيْهَا بَصِيرٌ آخِرًا فَلِذَلِكَ قَالُوا إِيَّاكُمْ وَالنَّيِّرَانَ الْمُحَرَّقَاتِ وَإِنَّمَا أَرَادُوا  
 بِذَلِكَ تَقِي آفَاتِ الَّتِي مَعَهَا فَتَجْمَعُ عَلَى الْجَسَدِ آفَتَيْنِ فَتَكُونُ أَسْرَعُ لِهَلَاكِهِ وَكَذَلِكَ  
 كُلُّ شَيْءٍ إِذَا بَتَلَاشَى وَيَفْسُدُ مِنْ ذَاتِهِ لِنُضَادِّ طَبَائِعِهِ وَاخْتِلَافِهِ فَيَتَوَسَّطُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ  
 فَلَمْ يَحْدِ مَا يَقْوَى بِهِ وَيَعِينُهُ الْإِقْبَرْتُهُ الْآفَةُ وَأَهْلَكَتَهُ وَأَعْلَمَ أَنَّ الْحُكَمَاءَ كُلَّهَا ذَكَرَتْ  
 تَرْدَادَ الْأَرْوَاحِ عَلَى الْأَجْسَادِ مَرَارًا لِيَكُونَ الزَّمَّ إِلَيْهَا وَأَقْوَى عَلَى قِتَالِ النَّارِ إِذَا هِيَ  
 بَاشَرَتْهَا عِنْدَ الْإِلَافَةِ أَعْنِي بِذَلِكَ النَّارَ الْعُنْصُرِيَّةَ فَاعْلَمَهُ . وَلِنَقْلِ الْآنَ عَلَى الْحَجَرِ الَّذِي

يُمكن منه العمل على ما ذكرته الفلاسفة فقد اختلفوا فيه فمنهم من زعم أنه في  
 الحيوان ومنهم من زعم أنه في النبات ومنهم من زعم أنه في المعدن ومنهم من  
 زعم أنه في الجميع وهذه الدعاوى ليست بنا حاجة إلى استقصائها ومناظرة أهلها عليها  
 لأن الكلام يطول جداً وقد قلت فيما تقدم إن العمل يكون في كل شيء بالقوة  
 لأن الطبائع موجودة في كل شيء فهو كذلك فريد أن تعلم من أي شيء يكون  
 العمل بالقوة والفعل فنقصد إلى ما قاله الحرابي إن الصبغ كله أحد صبغين إما  
 صبغ جسد كالزعفران في الثوب الأبيض حتى يحول فيه وهو مضمحل منتقض التركيب  
 والصبغ الثاني ثقبب الجوهر من جوهر نفسه إلى جوهر غيره ولونه كتقليب  
 الشجر بل التراب إلى نفسه وقلب الحيوان والنبات إلى نفسه حتى يصير التراب نباتاً  
 والنبات حيواناً ولا يكون إلا بالروح الحي والكيان الفاعل الذي له توليد  
 الأجرام وقلب الأعيان فإذا كان هذا هكذا فنقول إن العمل لا بد أن يكون إما  
 في الحيوان وإما في النبات وبرهان ذلك أنهم ما مطبوعان على الغذاء وبه قوامهما  
 وقامهما فإما النبات فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقوة ولذلك قل خوض  
 الحكماء فيه وإما الحيوان فهو آخر الاستحالات الثلاث ونهايتها وذلك أن المعدن  
 يستحيل نباتاً والنبات يستحيل حيواناً والحيوان لا يستحيل إلى شيء هو أطف منه  
 إلا أن يعكس راجعاً إلى الغلط وأنه أيضاً لا يوجد في العالم شيء تتعلق فيه الروح  
 الحية غيره والروح أطف ما في العالم ولم تتعلق الروح بالحيوان إلا بمساكلته  
 إياها فإما الروح التي في النبات فإنها يسيرة فيها غلظ وكثافة وهي مع ذلك مستغرقة  
 كمنة في لغظها وغلظ جسد النبات فلم يقدر على الحركة لغلظها وغلظ روحه والروح  
 المتحركة أطف من الروح الكامنة كثيراً وذلك أن المتحركة لها قبول الغذاء  
 والنقل والتنفس وليس للكامنة غير قبول الغذاء وحده ولا تجري إذا قبست بالروح  
 الحية إلا كالأرض عند الماء كذلك النبات عند الحيوان فالعمل في الحيوان أعلى  
 وأرفع وأهون وأسرفينبغي للعاقل إذا عرف ذلك أن يجرب ما كان سهلاً ويتترك ما  
 يخشى فيه عسراً. وأعلم أن الحيوان عند الحكماء ينقسم أقساماً من الأهمية التي  
 هي الطبائع والحديثة التي هي المواليد وهذا معروف متيسر الفهم فلذلك قسمت

الْحِكْمَاءُ الْعُنَاصِرُ وَالْمَوَالِيدُ أَقْسَامًا حَيَّةً وَأَقْسَامًا مَيِّتَةً فَجَعَلُوا كُلَّ مُخْرَكٍ فَادِلًا  
 حَيًّا وَكُلَّ سَاكِنٍ مَفْعُولًا مَيِّتًا وَقَسَمُوا ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ وَفِي الْأَجْسَادِ النَّائِبَةِ  
 وَفِي الْعَقَائِرِ الْمَعْدِنِيَّةِ فَسَمَوْا كُلَّ شَيْءٍ يَدُوبُ فِي النَّارِ وَيَطِيرُ وَيَشْتَعِلُ حَيًّا وَمَا كَانَ  
 عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ سَمَوْهُ مَيِّتًا فَأَمَّا الْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتِ فَسَمَوْا كُلَّ مَا انفصلَ مِنْهَا طَبَائِعَ أَرْبَعًا  
 حَيًّا وَمَا لَمْ يَنْفصلَ سَمَوْهُ مَيِّتًا ثُمَّ إِنَّهُمْ طَلَبُوا جَمِيعَ الْأَقْسَامِ الْحَيَّةِ فَلَمْ يَجِدُوا لَوْفِقِ هَذِهِ  
 الصَّنَاعَةِ مِمَّا يَنْفصلُ فُضُولًا أَرْبَعَةً ظَاهِرَةً لِلْعِيَانِ وَلَمْ يَجِدُوا غَيْرَ الْحَجَرِ الَّذِي فِي  
 الْحَيَوَانَ فَبَحَثُوا عَنْ جِنْسِهِ حَتَّى عَرَفُوهُ وَأَخَذُوهُ وَدَبَّرُوهُ فَتَكَيَّفَ لَهُمْ مِنْهُ الَّذِي أَرَادُوا  
 وَقَدْ يَتَكَيَّفُ مِثْلُ هَذَا فِي الْمَعَادِنِ وَالنَّبَاتِ بَعْدَ جَمْعِ الْعَقَائِرِ وَخَلَطَهَا ثُمَّ تَفصلَ بَعْدَ  
 ذَلِكَ فَأَمَّا النَّبَاتِ فَمِنْهُ مَا يَنْفصلُ بَعْضُ هَذِهِ الْفُضُولِ مِثْلُ الْأَشْنَانِ وَأَمَّا الْمَعَادِنِ فَفِيهَا  
 أَجْسَادٌ وَأَرْوَاحٌ وَأَنْفَاسٌ إِذَا مَزَجَتْ وَدَبَّرَتْ كَانَ مِنْهَا مَا لَهُ تَأْثِيرٌ وَقَدْ دَبَّرْنَا كُلَّ  
 ذَلِكَ فَكَانَ الْحَيَوَانَ مِنْهَا أَعْلَى وَأَرْزَعٌ وَتَدْبِيرُهُ أَسْهَلُ وَأَيْسَرَ فَيَبْغِي لَكَ أَنْ تَعْلَمَ مَا هُوَ  
 الْحَجَرُ الْمَوْجُودُ فِي الْحَيَوَانَ وَطَرِيقُ وَجُرْدِهِ إِنَّا بَيْنَا أَنْ الْحَيَوَانَ أَرْزَعُ الْمَوَالِيدِ وَكَذَا  
 مَا تَرَكَّبَ مِنْهُ فَهُوَ الْأَطْفُ مِنْهُ كَالنَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ وَإِنَّمَا كَانَ النَّبَاتُ الْأَطْفُ مِنَ الْأَرْضِ  
 لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ جَوْهَرِهِ الصَّافِي وَجَسَدِهِ اللَّطِيفِ فَوَجِبَ لَهُ بِذَلِكَ اللَّطَافَةِ وَالرِّقَّةِ وَكَذَا  
 هَذَا الْحَجَرُ الْحَيَوَانِي بِمَنْزِلَةِ النَّبَاتِ فِي التُّرَابِ وَبِالْجُمْلَةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْحَيَوَانَ شَيْءٌ  
 يَنْفصلُ طَبَائِعَ أَرْبَعًا غَيْرُهُ فَأَفْهَمَ هَذَا الْقَوْلُ فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يَخْفَى إِلَّا عَلَى جَاهِلٍ بَيْنَ الْجِهَالَةِ  
 وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ فَقَدْ أَخْبَرْتُكَ مَا هِيَ هَذَا الْحَجَرُ وَأَعْلَمْتُكَ جِنْسَهُ وَأَنَا أَبِينُ لَكَ  
 وَجُوهَ تَدْبِيرِهِ حَتَّى يَكْمُلَ الَّذِي شَرَطْنَاهُ عَلَى أَنْفُسِنَا مِنَ الْأِنْصَافِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ

(التدبير على بركة الله) خُذِ الْحَجَرَ الْكَرِيمَ فَأَوْدِعْهُ الْقُرْعَةَ وَالْإِنْبِيقَ وَفَصِّلْ  
 طَبَائِعَهُ الْأَرْبَعِ الَّتِي هِيَ النَّارُ وَالْهَوَاءُ وَالْأَرْضُ وَالْمَاءُ وَهِيَ الْجَسَدُ وَالصَّبْغُ فَإِذَا عَزَلْتَ  
 الْمَاءَ عَنِ التُّرَابِ وَالْهَوَاءَ عَنِ النَّارِ فَارْزُقْ كُلَّ وَاحِدٍ فِي إِتَائِهِ عَلَى حِدَةٍ وَخُذِ الْهَابِطَ  
 أَسْفَلَ الْإِنَاءِ وَهُوَ التُّفْلُ فَاعْسِلْهُ بِالنَّارِ الْحَارَّةِ حَتَّى تَذْهَبَ النَّارُ عَنْهُ سَوَادَةٌ وَيَزُولَ  
 غَلْظُهُ وَجَنَابُوهُ وَيَبْضُهُ تَبْيِضًا مُحْكَمًا وَطَبِّرْ عَنْهُ فُضُولَ الرُّطُوبَاتِ الْمُسْتَحْتَجَةِ فِيهِ فَإِنَّهُ  
 يَصِيرُ عِنْدَ ذَلِكَ مَاءً أَيْضًا لَا ظُلْمَةَ فِيهِ وَلَا وَسَخَ وَلَا تَضَادَ ثُمَّ أَعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الطَّبَائِعِ  
 الْأُولَى الصَّاعِدَةِ مِنْهُ فَطَبِّرْهَا أَيْضًا مِنَ السَّوَادِ وَالتَّضَادِ وَكِرِّرْ عَلَيْهَا الْغَسْلَ وَالتَّصْعِيدَ

حَتَّى تَلَطَّفَ وَتَرِقَّ وَتَصْفُو فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَأَبْدَأَ بِالْتَّرَكِيبِ الَّذِي  
 عَلَيْهِ مَدَارُ الْعَمَلِ وَذَلِكَ أَنَّ التَّرَكِيبَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْتَّرْوِيجِ وَالتَّعْفِينِ فَأَمَّا التَّرْوِيجُ  
 فَهُوَ اخْتِلَاطُ اللَّطِيفِ بِالْقَلِيطِ وَأَمَّا التَّعْفِينُ فَهُوَ التَّمَشِيَةُ وَالسَّخُّ حَتَّى يَخْتَلَطَ بَعْضُهُ  
 بِبَعْضٍ وَيَصِيرَ شَيْئًا وَاحِدًا لَا اخْتِلَافَ فِيهِ وَلَا نُقْصَانَ بِمَنْزِلَةِ الْأَمْتِزَاجِ بِالْمَاءِ فَعِنْدَ  
 ذَلِكَ يَقْوَى الْقَلِيطُ عَلَى إِمْسَاكِ اللَّطِيفِ وَنَقْوَى النَّفْسُ عَلَى الْغَوْصِ فِي الْأَجْسَادِ وَالدَّيْبِ  
 فِيهَا وَإِنَّمَا وَجِدَ ذَلِكَ بَعْدَ التَّرَكِيبِ لِأَنَّ الْجَسَدَ الْحَمُولَ لَمَّا أَرْدَوْجَ بِالرُّوحِ مَازَجَهُ  
 بِجَمِيعِ أَجْزَائِهِ وَدَخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ لِنَشَأِ كُلِّهَا فَصَارَ شَيْئًا وَاحِدًا وَوَجِبَ مِنْ ذَلِكَ  
 أَنْ يَعْضُ الرُّوحُ مِنَ الصَّلَاحِ وَالتَّسَادِّ وَالتَّبَاقِ وَالتَّثْبُوتِ وَمَا يَعْضُ لِلْجَسَدِ لِمَوْضِعِ  
 الْأَمْتِزَاجِ وَكَذَلِكَ النَّفْسُ إِذَا امْتَزَجَتْ بِهِمَا وَدَخَلَتْ فِيهِمَا بِخِدْمَةِ التَّدْبِيرِ اخْتَلَطَتْ  
 أَجْزَاؤُهَا بِجَمِيعِ أَجْزَاءِ الْآخَرِينَ أَعْنَى الرُّوحِ وَالْجَسَدِ وَصَارَتْ هِيَ وَهَمَا شَيْئًا وَاحِدًا  
 لَا اخْتِلَافَ فِيهِ بِمَنْزِلَةِ الْجُزْءِ الْكُلِّيِّ الَّذِي سَلِمَتْ طَبَائِعُهُ وَاتَّفَقَتْ أَجْزَاؤُهُ فَإِذَا  
 أَلْقَى هَذَا الْمَرْكَبَ الْجَسَدَ الْحَمُولَ وَالْحَمَّ عَلَيْهِ النَّارَ وَأَظْهَرَ مَا فِيهِ مِنَ الرُّطُوبَةِ عَلَى وَجْهِهِ  
 ذَابَ فِي الْجَسَدِ الْحَمُولِ وَمِنْ شَأْنِ الرُّطُوبَةِ الْأَشْتِعَالُ وَتَعَلَّقَ النَّارُ بِهَا فَإِذَا أَرَادَتْ  
 النَّارُ التَّعَلُّقَ بِهَا مَنَعَهَا مِنَ الْإِتِّحَادِ بِالنَّفْسِ مَازَجَةَ الْمَاءَ لَهَا فَإِنَّ النَّارَ لَا تَتَّحِدُ بِالذَّهْنِ  
 حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا وَكَذَلِكَ الْمَاءُ مِنْ شَأْنِهِ النُّفُورُ مِنَ النَّارِ فَإِذَا لَحَّتْ عَلَيْهِ النَّارُ وَأَرَادَتْ  
 تَطْيِيرَهُ حَبَسَهُ الْجَسَدُ الْيَابِسُ الْمَمَازِجَ لَهُ فِي جَوْفِهِ فَمَنَعَهُ مِنَ الطَّيْرَانِ فَكَانَ الْجَسَدُ  
 عِلَّةً لِإِمْسَاكِ الْمَاءِ وَالْمَاءُ عِلَّةً لِبَقَاءِ الذَّهْنِ وَالذَّهْنُ عِلَّةً لِثَبَاتِ الصَّبْغِ وَالصَّبْغُ عِلَّةً  
 لظُهُورِ الذَّهْنِ وَإِظْهَارِ الدِّهْنِيَّةِ فِي الْأَشْيَاءِ الْمُظْلَمَةِ الَّتِي لَا نُورَ لَهَا وَلَا حَيَاةَ فِيهَا فَهَذَا  
 هُوَ الْجَسَدُ الْمُسْتَقِيمُ وَهَكَذَا يَكُونُ الْعَمَلُ وَهَذِهِ التَّصْفِيَّةُ الَّتِي سَأَلْتَ عَنْهَا وَهِيَ الَّتِي  
 سَمَّيْتُهَا الْحُكْمَاءَ بِيَضَّةً وَإِيَّاهَا يَعْنُونَ لَا بِيَضَّةَ الدَّجَاجِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحُكْمَاءَ لَمْ تُسَمَّهَا  
 بِهَذَا الْأَسْمِ الْغَيْرِ مَعْنَى بَلْ أَشْبَهْتَهَا وَقَدْ سَأَلْتُ مُسَلِّمَةَ عَنْ ذَلِكَ يَوْمًا وَلَيْسَ عِنْدَهُ غَيْرِي  
 فَقُلْتُ لَهُ أَيُّهَا الْحَكِيمُ الْفَاضِلُ أَخْبِرْنِي لِأَيِّ شَيْءٍ سَمَّيْتُ الْحُكْمَاءَ مَرْكَبَ الْحَيَوَانَ  
 بِيَضَّةً اخْتِيَارًا مِنْهُمْ لِذَلِكَ أَمْ لِمَعْنَى دَعَاؤِهِ إِلَيْهِ فَقَالَ بَلْ لِمَعْنَى غَامِضٍ فَقُلْتُ أَيُّهَا  
 الْحَكِيمُ وَمَا ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ مِنَ الْمَنْفَعَةِ وَالْإِسْتِدْلَالِ عَلَى الصَّنَاعَةِ حَتَّى شَبَّهُوهَا  
 وَسَمَّوْهَا بِيَضَّةً فَقَالَ لِشَبَّهَهَا وَقَرَّبَهَا مِنَ الْمَرْكَبِ فَفَكَّرَ فِيهِ فَإِنَّهُ سَيَظْهَرُ لَكَ مَعْنَاهُ

فَبَقِيَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْكَرًا لَا أَقْدِرُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى مَعْنَاهُ فَلَمَّا رَأَى مَا بِي مِنَ الْفِكْرِ  
 وَأَنَّ نَفْسِي قَدْ مَضَتْ فِيهَا أَخَذَ بَعْضِي وَهَزَنِي هَزَةً خَفِيَّةً وَقَالَ لِي يَا أَبَا بَكْرٍ ذَلِكَ  
 لِلنِّسْبَةِ الَّتِي بَيْنَهُمَا فِي كَمِيَّةِ الْأَلْوَانِ عِنْدَ امْتِزَاجِ الطَّبَائِعِ وَتَأْلِفِهَا فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ انْحَجَّتْ  
 عَنِّي الظُّلْمَةُ وَأَضَاءَ لِي نُورٌ قَلْبِي وَقَوِي عَقْلِي عَلَى فَهْمِهِ فَهَضَمْتُ شَاكِرًا اللَّهُ عَلَيْهِ إِلَى  
 مَنْزِلِي وَأَقَمْتُ عَلَى ذَلِكَ شَكْلًا هِنْدَسِيًّا يَبْرَهُنُ بِهِ عَلَى صِحَّةٍ مَا قَالَهُ مُسَلِّمَةٌ وَأَنَا وَاضِعُهُ  
 لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَرْكَبَ إِذَا تَمَّ وَكَمُلَ كَانَ نِسْبَةً مَا فِيهِ مِنْ  
 طَبِيعَةِ الْهَوَاءِ كَنِسْبَةِ مَا فِي الْمَرْكَبِ مِنْ طَبِيعَةِ النَّارِ إِلَى مَا فِي الْبَيْضَةِ مِنْ طَبِيعَةِ النَّارِ  
 وَكَذَلِكَ الطَّبِيعَتَانِ الْأُخْرَيَانِ الْأَرْضُ وَالْمَاءُ فَأَقُولُ إِنَّ كُلَّ شَيْئَيْنِ مُتَنَاسِبَيْنِ عَلَى هَذِهِ  
 الصِّفَةِ هُمَا مُتَشَابِهَانِ وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنْ تَجْعَلَ لِسَطْحِ الْبَيْضَةِ هَزُوحَ فَإِذَا أَرَدْنَا ذَلِكَ فَإِنَّا  
 نَأْخُذُ أَقْلَ طَّبَائِعِ الْمَرْكَبِ وَهِيَ طَبِيعَةُ الْيُبُوسَةِ وَنُضِيفُ إِلَيْهَا مِثْلَهَا مِنْ طَبِيعَةِ الرُّطُوبَةِ  
 وَنُدْبِرُهُمَا حَتَّى تَنْسِفَ طَبِيعَةُ الْيُبُوسَةِ طَبِيعَةَ الرُّطُوبَةِ وَتُقْبَلَ قُوَّتُهَا وَكَانَ فِي هَذَا  
 الْكَلَامِ رَمَزًا وَلَكِنَّهُ لَا يَحْفَى عَلَيْكَ ثُمَّ تَحْمِلُ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا مِثْلَيْهِمَا مِنَ الرُّوحِ  
 وَهُوَ الْمَاءُ فَيَكُونُ الْجَمِيعُ سِتَّةَ أَمْثَالٍ ثُمَّ تَحْمِلُ عَلَى الْجَمِيعِ بَعْدَ التَّدْبِيرِ مِثْلًا مِنْ  
 طَبِيعَةِ الْهَوَاءِ الَّتِي هِيَ النَّفْسُ وَذَلِكَ ثَلَاثَةٌ أَجْزَاءُ فَيَكُونُ الْجَمِيعُ تِسْعَةَ أَمْثَالِ الْيُبُوسَةِ  
 بِالْقُوَّةِ وَتَجْعَلُ بَحْتَ كُلِّ ضَاعِعِينَ مِنَ الْمَرْكَبِ الَّذِي طَبِيعَتُهُ مَحِيطَةٌ بِسَطْحِ الْمَرْكَبِ  
 طَبِيعَتَيْنِ فَتَجْعَلُ أَوَّلًا الضَّاعِعِينَ الْمُحِيطِينَ بِسَطْحِهِ طَبِيعَةَ الْمَاءِ وَطَبِيعَةَ الْهَوَاءِ وَهَذَا ضَاعِعًا  
 أَحَدٌ وَسَطْحُ الْجِدِّ وَكَذَلِكَ الضَّاعِعَانِ الْمُحِيطَانِ بِسَطْحِ الْبَيْضَةِ اللَّذَانِ هُمَا الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ  
 ضَاعِعًا هَزُوحَ فَأَقُولُ إِنَّ سَطْحَ الْجِدِّ يُشْبِهُ سَطْحَ هَزُوحِ طَبِيعَةِ الْهَوَاءِ الَّتِي تُسَمَّى نَفْسًا وَكَذَلِكَ  
 يَجِيءُ مِنْ سَطْحِ الْمَرْكَبِ وَالْحِكْمَاءُ لَمْ تُسَمَّ شَيْئًا بِاسْمِ شَيْءٍ إِلَّا لِشَبْهِهِ بِهِ وَالْكَلِمَاتُ  
 الَّتِي سَأَلْتُ عَنْ شَرْحِهَا الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ وَهِيَ الْمُنْعَقِدَةُ مِنَ الطَّبَائِعِ الْعُلَوِيَّةِ وَالسَّنَلِيَّةِ  
 وَالنَّحَاسُ هُوَ الَّذِي أُخْرِجَ سَوَادُهُ وَقُطِعَ حَتَّى صَارَ هَبَاءً ثُمَّ حَمَرَ بِالزَّاجِ حَتَّى صَارَ  
 مُحَاسِيًا وَالْمَغْنِيسِيًّا حَجْرَهُمُ الَّذِي تَجَمُّدُ فِيهِ الْأَرْوَاحُ وَتَخْرُجُهُ الطَّبِيعَةُ الْعُلَوِيَّةُ الَّتِي  
 تَسْتَجِبُ فِيهَا الْأَرْوَاحُ لِتُقَابَلَ عَلَيْهَا النَّارُ وَالْفَرْفَرَةُ لَوْنٌ أَحْمَرٌ فَإِنَّ يُعَدُّهُ الْكِيَانُ  
 وَالرِّصَاصُ حَجْرٌ لَهُ ثَلَاثُ قُوَى مُخْتَلِفَةٌ الشُّخُوصُ وَلِكِنِّهَا مُتَشَاكِلَةٌ وَمُتَجَانِسَةٌ  
 فَأَلْوَادُهُ رُوحَانِيَّةٌ نَبْرَةٌ صَافِيَةٌ وَهِيَ الْفَاعِلَةُ وَالثَّانِيَةُ نَفْسَانِيَّةٌ وَهِيَ مُتَحَرِّكَةٌ حَسَّاسَةٌ

غَيْرَ أَنَّهَا أَغْظُ مِنَ الْأُولَى وَمَرَكَزُهَا دُونَ مَرَكَزِ الْأُولَى وَالثَّلَاثَةُ قُوَّةُ أَرْضِيَّةٍ  
 حَاسَّةٍ قَابِضَةٌ مُعَكِّسَةٌ إِلَى مَرَكَزِ الْأَرْضِ لِثِقَالِهَا وَهِيَ الْمَاسِكَةُ الرُّوحَانِيَّةُ وَالنَّفْسَانِيَّةُ  
 جَمِيعًا وَالْمُحِيطَةُ بِهِمَا وَأَمَّا سَائِرُ الْبَاقِيَةِ فَمُبْتَدَعَةٌ وَخَيْرَةٌ الْبَاسَاءُ عَلَى الْجَاهِلِ وَمَنْ  
 عَرَفَ الْمَقْدَمَاتِ اسْتَعْنَى عَنْ غَيْرِهَا . فَبِذَا جَمِيعٌ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ وَقَدْ بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ  
 مُفَسِّرًا وَتَرْجُومًا يَتَوَفَّقُ لِي اللَّهُ أَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ وَالسَّلَامُ أَنْتَهَى كَلَامَ ابْنِ بَشْرُونَ وَهُوَ مِنْ  
 كِبَارِ تَلَامِيذِ مَسَلَمَةَ الْمَجْرِيطِيِّ شَيْخِ الْأَنْدَلُسِ فِي عُلُومِ الْكِيمِيَاءِ وَالسِّيَمِيَاءِ  
 وَالسَّحْرِ فِي الْقَرْنِ الثَّلَاثِ وَمَا بَعْدَهُ وَأَنْتَ تَرَى كَيْفَ صَرَفَ الْفَظَاهِمُ كُلَّهَا فِي الصَّنَاعَةِ  
 إِلَى الرَّمْزِ وَالْأَلْغَازِ الَّتِي لَا تَكَادُ تَبِينُ وَلَا تُعْرَفُ وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِصِنَاعَةٍ  
 طَبِيعِيَّةٍ . وَالَّذِي يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ فِي أَمْرِ الْكِيمِيَاءِ وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي بَعْضُهُ الْوَاقِعُ نَهَى  
 مِنْ حِنْسِ آثَارِ النُّفُوسِ الرُّوحَانِيَّةِ وَتَصَرُّفِهَا فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ إِمَّا مِنْ تَوْعِ الْكِرَامَةِ  
 إِنْ كَانَتْ النُّفُوسُ خَيْرَةً أَوْ مِنْ تَوْعِ السَّحْرِ إِنْ كَانَتْ النُّفُوسُ شَرِّيرَةً فَاجِرَةً فَأَمَّا  
 الْكِرَامَةُ فَظَاهِرَةٌ وَأَمَّا السَّحْرُ فَلِأَنَّ السَّاحِرَ كَمَا ثَبَتَ فِي مَكَانٍ تَحْقِيقُهُ يَقْلِبُ الْأَعْيَانَ  
 الْمَادِيَّةَ بِقُوَّتِهِ السَّحْرِيَّةِ وَلَا يَدُلُّهُ مَعَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ مَادَّةٍ يَقَعُ فِعْلُهُ السَّحْرِيُّ فِيهَا  
 كَتَخْلِيْقِ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ مَادَّةِ التُّرَابِ أَوْ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ وَبِالْجُمَّلَةِ مِنْ غَيْرِ  
 مَادِيَّتِهَا الْخَصُوصَةَ بِهَا كَمَا وَقَعَ لِسَحْرَةِ فِرْعَوْنَ فِي الْحِبَالِ وَالْعِصِيِّ وَكَمَا يُنْقَلُ عَنْ  
 سَحْرَةِ السُّودَانَ وَالْهُنُودِ فِي قَاصِيَةِ الْجَنُوبِ وَالتُّرْكِ فِي قَاصِيَةِ الشَّمَالِ أَنَّهُمْ يَسْحَرُونَ  
 الْحَيَوانَ لِلْأَمْطَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ . وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ تَخْلِيْقًا لِلذَّهَبِ فِي غَيْرِ مَادَّتِهِ الْخَاصَةِ بِهِ  
 كَانَ مِنْ قَبِيلِ السَّحْرِ وَالْمُتَكَلِّمُونَ فِيهِ مِنْ أَعْلَامِ الْحُكَمَاءِ مِثْلَ جَابِرِ وَمَسَلَمَةَ  
 وَمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنْ حُكَمَاءِ الْأُمَّمِ . إِنَّمَا تَحْوَاهَذَا الْمُنْحَى وَلِهَذَا كَانَ كَلَامُهُمْ فِيهِ  
 أَلْغَازًا حَذَرًا عَلَيْهَا مِنْ إِنْكَارِ الشَّرَائِعِ عَلَى السَّحْرِ وَأَنْوَاعِهِ لِأَنَّ ذَلِكَ يَرْجِعُ إِلَى  
 الضَّنَانَةِ بِهَا كَمَا هُوَ رَأْيِي مَنْ لَمْ يَذْهَبْ إِلَى التَّحْقِيقِ فِي ذَلِكَ وَانْظُرْ كَيْفَ سَمَّى مَسَلَمَةُ  
 كِتَابَهُ فِيهَا رُتْبَةَ الْحَكِيمِ وَسَمَّى كِتَابَهُ فِي السَّحْرِ وَالطَّلَسِمَاتِ غَايَةَ الْحَكِيمِ إِشَارَةً  
 إِلَى عُمُومِ مَوْضُوعِ الْغَايَةِ وَخُصُوصِ مَوْضُوعِ هَذِهِ لِأَنَّ الْغَايَةَ أَعْلَى مِنَ الرُّتْبَةِ فَكَانَ  
 مَسْأَلُ الرُّتْبَةِ بَعْضُ مَسْأَلِ الْغَايَةِ وَتَشَارِكُهَا فِي الْمَوْضُوعَاتِ وَمَنْ كَلَامِهِ فِي الْفَنَيْنِ  
 يَتَبَيَّنُ مَا قُلْنَاهُ وَنَحْنُ نَبِينُ فِيهَا بَعْدُ غَلَطٌ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ مَدَارِكَ هَذَا الْأَمْرِ بِالصَّنَاعَةِ

## الفصل الرابع والعشرون

في ابطال الفلسفة وفساد منتحلها

هَذَا الْفَصْلُ وَمَا بَعْدَهُ مُهِمٌّ لِأَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ عَارِضَةٌ فِي الْعُمُرَانِ كَثِيرَةٌ فِي الْمَدِينِ  
وَضَرَرُهَا فِي الدِّينِ كَثِيرٌ فَوَجِبَ أَنْ يُضَدَعَ بِشَأْنِهَا وَيُكْشَفَ عَنِ الْمُعْتَقِدِ الْحَقِّ فِيهَا  
وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا مِنْ عَقَلَاءِ النَّوْعِ الْإِنْسَانِيِّ زَعَمُوا أَنَّ الْوُجُودَ كُلَّهُ أَحْسَبِيٌّ مِنْهُ وَمَا وَرَاءَهُ  
الْحَسْبِيُّ تُدْرِكُ أَدْوَانَهُ وَأَحْوَالَهُ بِأَسْبَابِهَا وَعِلَالِهَا بِالْأَنْظَارِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْأَفْسَسَةِ الْعَقْلِيَّةِ  
وَأَنَّ تَصْحِيحَ الْعُقَايِدِ الْإِيمَانِيَّةِ مِنْ قِبَلِ النَّظَرِ لِأَنَّ جِهَةَ السَّمْعِ فَإِنَّهَا بَعْضٌ مِنْ مَدَارِكِ  
الْعَقْلِ وَهَوَالِئِهِ يَسْمَوْنَ فَلِاسْفَةِ جَمْعِ فَيْلَسُوفٍ وَهُوَ بِاللِّسَانِ الْيُونَانِيِّ يُحِبُّ الْحِكْمَةَ  
فَبَحَثُوا عَنْ ذَلِكَ وَتَمَرُّوا لَهُ وَحَوَّموهُ عَلَى إِصَابَةِ الْفَرَضِ مِنْهُ وَوَضَعُوا قَانُونًا يَهْدِي بِهِ الْعَقْلُ  
فِي نَظَرِهِ إِلَى التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَسَمَّوْهُ بِالْمَنْطِقِ وَحَصَلَ ذَلِكَ أَنَّ النَّظَرَ  
الَّذِي يَفِيدُ تَمْيِيزَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ إِنَّمَا هُوَ لِلذَّهْنِ فِي الْمَعَانِي الْمُنْتَزَعَةِ مِنَ  
الْمَوْجُودَاتِ الشَّخْصِيَّةِ فَيَجْرُدُ مِنْهَا أَوْلَا صُورٌ مُنْطَبِقَةٌ لِي جَمِيعِ الْأَشْخَاصِ كَمَا يَنْطَبِقُ  
الطَّابِعُ عَلَى جَمِيعِ النُّقُوشِ الَّتِي تَرْسُمُهَا فِي طِينٍ أَوْ شَمْعٍ وَهَذِهِ مُجْرَدَةٌ مِنَ الْحَسُوسَاتِ  
تُسَمَّى الْمَعْقُولَاتِ الْأَوَّلَاتِ ثُمَّ تَجْرُدُ مِنْ تِلْكَ الْمَعَانِي الْكُلِّيَّةِ إِذَا كَانَتْ مُشْتَرَكَةً  
مَعَ مَعَانٍ أُخْرَى وَقَدْ تَمَيَّزَتْ عَنْهَا فِي الذَّهْنِ فَتَجْرُدُ مِنْهَا مَعَانٍ أُخْرَى وَهِيَ الَّتِي أَشْرَكَتْ  
بِهَا ثُمَّ تَجْرُدُ ثَانِيًا إِنْ شَارَكَهَا غَيْرُهَا وَثَالِثًا إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ التَّجْرِيدُ إِلَى الْمَعَانِي الْبَسِيطَةِ  
الْكُلِّيَّةِ الْمُنْطَبِقَةِ عَلَى جَمِيعِ الْمَعَانِي وَالْأَشْخَاصِ وَلَا يَكُونُ مِنْهَا تَجْرِيدٌ بَعْدَ هَذَا وَهِيَ  
الْأَجْنَاسُ الْعَالِيَةُ وَهَذِهِ الْمَجْرَدَاتُ كُلُّهَا مِنْ غَيْرِ الْمَحْسُوسَاتِ هِيَ مِنْ حَيْثُ تَأْلِيفٍ  
بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ لِتَحْصِيلِ الْعُلُومِ مِنْهَا تُسَمَّى الْمَعْقُولَاتِ الثَّوَانِيَّةِ فَإِذَا نَظَرَ الْفِكْرِيُّ فِي هَذِهِ  
الْمَعْقُولَاتِ الْمَجْرَدَةِ وَطَلَبَ تَصَوُّرَ الْوُجُودِ كَمَا هُوَ فَلَا يَدُ لِلذَّهْنِ مِنْ إِضَافَةٍ بَعْضُهَا  
إِلَى بَعْضٍ وَتَنَفَّى بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ بِالْبُرْهَانِ الْعَقْلِيِّ الْيَقِينِيِّ لِيُحْصَلَ تَصَوُّرُ الْوُجُودِ تَصَوُّرًا  
صَحِيحًا مُطَابِقًا إِذَا كَانَ ذَلِكَ بِقَانُونٍ صَحِيحٍ كَمَا مَرَّ وَصِنْفُ التَّصْدِيقِ الَّذِي هُوَ تِلْكَ  
الْإِضَافَةُ وَالْحُكْمُ مُتَقَدِّمٌ عِنْدَهُمْ عَلَى صِنْفِ التَّصَوُّرِ فِي النِّهَايَةِ وَالصَّوْرُ مُتَقَدِّمٌ عَلَيْهِ  
فِي الْبِدْءَةِ وَالتَّعْلِيمِ لِأَنَّ التَّصَوُّرَ النَّامَ عِنْدَهُمْ هُوَ غَايَةُ الطَّلَبِ الْإِدْرَاكِيِّ وَإِنَّمَا

التَّصَدِيقُ وَسَيْلَةٌ لَهُ وَمَا تَسَمَّعَهُ فِي كُتُبِ الْمَطْطِقِيِّينَ مِنْ نَقْدِ النَّصُورِ وَتَوْفِيقِ  
 التَّصَدِيقِ عَلَيْهِ فِيمَعْنَى الشُّعُورِ لَا بِمَعْنَى الْعِلْمِ النَّامِ وَهَذَا هُوَ مَذْهَبُ كَبِيرِهِمْ أَرْسَطُو  
 ثُمَّ يَزْعُمُونَ أَنَّ السَّعَادَةَ فِي إِدْرَاكِ الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا مَا فِي الْحَسِّ وَمَا وَرَاءَ الْحَسِّ  
 بِهَذَا النَّظَرِ وَتِلْكَ الْبَرَاهِينُ وَحَاصِلُ مَذَارِكِهِمْ فِي الْوُجُودِ عَلَى الْجُمْلَةِ وَمَا آتَى إِلَيْهِ وَهُوَ الَّذِي  
 فَرَعُوا عَلَيْهِ فَضَايَا أَنْظَارِهِمْ أَنَّهُمْ عَثَرُوا أَوَّلًا عَلَى الْجِسْمِ السُّفْلِيِّ بِحُكْمِ الشُّهُودِ وَالْحَسِّ ثُمَّ تَرَقَّى  
 إِدْرَاكِهُمْ فَلْيَلْشَعُرُوا بِوُجُودِ النَّفْسِ مِنْ قِبَلِ الْحَرَكَةِ وَالْحَسِّ فِي الْحَيَوَانَاتِ ثُمَّ أَحْسَوْا مِنْ  
 قُوَى النَّفْسِ بِسُلْطَانِ الْعَقْلِ وَوَقَّتْ إِدْرَاكِهُمْ فَقَضُوا عَلَى الْجِسْمِ الْعَالِيِّ السَّمَاوِيِّ بِخَوْفٍ مِنَ الْقَضَاءِ  
 عَلَى أَمْرِ الذَّاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَوَجَبَ عِنْدَهُمْ أَنْ يَكُونَ لِلنَّفْسِ عَقْلٌ كَمَا لِلْإِنْسَانِ ثُمَّ  
 أَنَّهُمْ ذَلِكَ نِهَايَةَ عَدَدِ الْأَحَادِ وَهِيَ الْعَشْرُ تِسْعَ مُفَصَّلَةٍ ذَوَاتِهَا جَمَلٌ وَوَاحِدٌ أَوَّلٌ مُفْرَدٌ  
 وَهُوَ الْعَاشِرُ وَيَزْعُمُونَ أَنَّ السَّعَادَةَ فِي إِدْرَاكِ الْوُجُودِ عَلَى هَذَا الْخَوْفِ مِنَ الْقَضَاءِ مَعَ  
 تَهْدِيبِ النَّفْسِ وَتَخَلُّقِهَا بِالْفَضَائِلِ وَأَنَّ ذَلِكَ مُمَكِّنٌ لِلْإِنْسَانِ وَلَوْ لَمْ يَرِدْ شَرْعٌ لِتَمْيِيزِهِ  
 بَيْنَ الْفَضِيلَةِ وَالرَّذِيلَةِ مِنَ الْأَفْعَالِ بِمُقْتَضَى عَقْلِهِ وَنَظَرِهِ وَمِثْلِهِ إِلَى التَّحْمُودِ مِنْهَا  
 وَأَجْتِنَابِهِ لِلْمَذْمُومِ بِفِطْرَتِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ إِذَا حَصَلَ لِلنَّفْسِ حَصَلَتْ لَهَا الْبَهْجَةُ وَاللَّذَّةُ وَأَنَّ  
 الْجَهْلَ بِذَلِكَ هُوَ الشَّقَاءُ السَّرْمَدِيُّ وَهَذَا عِنْدَهُمْ هُوَ مَعْنَى النَّعِيمِ وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ إِلَى  
 خَبَطِ لَهُمْ فِي تَفَاصِيلِ ذَلِكَ مَعْرُوفٌ فِي كَلِمَاتِهِمْ وَإِمَامٌ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ الَّذِي حَصَلَ  
 مَسَائِلُهَا وَدَوَّنَ عِلْمَهَا وَسَطَّرَ حُجُجَهَا فِيمَا بَلَّغْنَا فِي هَذِهِ الْأَحْقَابِ هُوَ أَرْسَطُو الْمَقْدُونِيُّ مِنْ  
 أَهْلِ مَقْدُونِيَّةٍ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ مِنْ تَلَامِيذِ أَفْلَاطُونٍ وَهُوَ مُعَلِّمُ الْأَيْسْكَانْدَرِ وَيُسَمَّوْنَهُ  
 الْمُعَلِّمَ الْأَوَّلَ عَلَى الْأِطْلَاقِ يَعْنُونَ مُعَلِّمَ صِنَاعَةِ الْمَطْطِقِ إِذْ لَمْ تَكُنْ قَبْلَهُ مَهْدَبَةٌ  
 وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ رَتَّبَ قَانُونَهَا وَأَسْتَوْفَى مَسَائِلَهَا وَأَحْسَنَ بَسْطَهَا وَأَقْدَأَ أَحْسَنَ فِي ذَلِكَ الْقَانُونِ  
 مَا شَاءَ لَوْ تَكْفَّلَ لَهُ بِقَضَائِهِمْ فِي الْإِلَهِيَّاتِ ثُمَّ كَانَ مِنْ بَعْدِهِ فِي الْإِسْلَامِ مَنْ أَخَذَ  
 بِتِلْكَ الْمَذَاهِبِ وَاتَّبَعَ فِيهَا رَأْيَهُ حَذْوُ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ وَذَلِكَ أَنَّ كُتُبَ  
 أَوْلِيَّكَ الْمُتَقَدِّمِينَ لَمَّا تَرَجَّمَهَا الْخُلَفَاءُ مِنْ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنَ اللِّسَانِ الْيُونَانِيِّ إِلَى اللِّسَانِ  
 الْعَرَبِيِّ تَصَفَّحَهَا كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَلَّةِ وَأَخَذَ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ مَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ مِنْ مُنْتَحَلِي  
 الْعُلُومِ وَجَادَلُوا عَنْهَا وَاخْتَلَفُوا فِي مَسَائِلَ مِنْ تَفَارِيعِهَا وَكَانَ مِنْ أَشْهَرِهِمْ أَبُو نُصَيْرٍ الْفَارَابِيُّ  
 فِي الْمِائَةِ الرَّابِعَةِ لِعَهْدِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَأَبُو عَلِيٍّ بْنُ سِينَا فِي الْمِائَةِ الْخَامِسَةِ لِعَهْدِ نِظَامِ

الْمَلِكِ مِنْ بَنِي بُوَيْهٍ بِأَصْبَهَانَ وَعَبْرَهُمَا. وَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الرَّأْيَ الَّذِي ذَهَبُوا إِلَيْهِ بَاطِلٌ  
 بِجَمِيعِ وَجْهِهِ فَأَمَّا اسْتِنَادُهُمُ الْمَوْجُودَاتِ كَمَا إِلَى الْعَقْلِ الْأَوَّلِ وَاسْتَفَادَتِهِمْ بِهِ فِي  
 التَّرَقِّي إِلَى الْوَاجِبِ فَبُورُ فَضْرُ عَمَّا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ رُتَبِ خَلْقِ اللَّهِ فَالْوُجُودُ أَوْسَعُ نِطَاقًا  
 مِنْ ذَلِكَ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَكَانَتْهُمْ فِي اقْتِصَارِهِمْ عَلَى اثْبَاتِ الْعَقْلِ فَقَطُّ وَالْعَمَلَةَ عَمَّا  
 وَرَاءَهُ بِمِثَابَةِ الطَّبِيعِيِّينَ الْمُقْتَصِرِينَ عَلَى اثْبَاتِ الْأَجْسَامِ خَاصَّةً الْمَعْرُضِينَ عَنِ النُّقْلِ  
 وَالْعَقْلِ الْمُعْتَقِدِينَ أَنَّهُ لَيْسَ وَرَاءَ الْجِسْمِ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ شَيْءٌ وَأَمَّا الْبَرَاهِينُ الَّتِي يَزْعُمُونَهَا  
 عَلَى مَدْعِيَاتِهِمْ فِي الْمَوْجُودَاتِ وَيَعْرِضُونَهَا عَلَى مَعْيَارِ الْمَنْطِقِ وَقَانُونِهِ فِيهَا قَاصِرَةٌ وَغَيْرُ  
 وَافِيَةٍ بِالْفَرْضِ أَمَّا مَا كَانَ مِنْهَا فِي الْمَوْجُودَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَيُسَمُّونَهُ الْعِلْمَ الطَّبِيعِيَّ فَوَجْهُ  
 قُصُورِهِ أَنَّ الْمُطَابَقَةَ بَيْنَ تِلْكَ النَّتَائِجِ الذِّهْنِيَّةِ الَّتِي تُسْتَخْرَجُ بِالْحُدُودِ وَالْأَفْسَسَةِ كَمَا  
 فِي زَعْمِهِمْ وَبَيْنَ مَا فِي الْخَارِجِ غَيْرُ بَاقِيٍّ لِأَنَّ تِلْكَ أَحْكَامَ ذَهْنِيَّةٍ كَالِيَّةٍ عَامَّةٍ  
 وَالْمَوْجُودَاتِ الْخَارِجِيَّةِ مُتَشَخَّصَةٌ بِمَوَادِّهَا وَلَعَلَّ فِي الْمَوَادِّ مَا يَمْنَعُ مُطَابَقَةَ الذِّهْنِيِّ  
 الْكُلِّيِّ لِلْخَارِجِيِّ الشَّخْصِيِّ اللَّهُمَّ إِلَّا مَا لَا يَشْهَدُ لَهُ الْحِسُّ مِنْ ذَلِكَ فَدَلِيلُهُ شَهْرَدُهُ  
 لَا تِلْكَ الْبَرَاهِينُ فَإِنَّ الْيَقِينَ الَّذِي يَجِدُونَهُ فِيهَا وَرَبَّمَا يَكُونُ تَصَرُّفُ الذِّهْنِ أَيْضًا  
 فِي الْمَعْقُولَاتِ الْأَوَّلِ الْمُطَابَقَةَ لِلشَّخْصِيَّاتِ بِالصُّورِ الْخَيَالِيَّةِ لَا فِي الْمَعْقُولَاتِ التَّوَاتِي  
 الَّتِي تَجَرِّدُهَا فِي الرُّتْبَةِ الثَّانِيَةِ فَيَكُونُ الْحُكْمُ حِينَئِذٍ بَقِيْنِيًّا بِمِثَابَةِ الْمَحْسُوسَاتِ إِذِ  
 الْمَعْقُولَاتِ الْأَوَّلِ أَقْرَبُ إِلَى مُطَابَقَةِ الْخَارِجِ لِكَمَالِ الْأَنْطَبَاقِ فِيهَا فَسَلِّمْ لَهُمْ حِينَئِذٍ  
 دَعَاؤَهُمْ فِي ذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ يَنْبَغِي لَنَا الْإِعْرَاضُ عَنِ النَّظَرِ فِيهَا إِذْ هُوَ مِنْ تَرْكِ الْمُسْلِمِ  
 إِمَّا لَا يَعْنِيهِ فَإِنَّ مَسَائِلَ الطَّبِيعِيَّاتِ لَا تَهْمُنَا فِي دِينِنَا وَلَا مَعَاشِنَا فَوَجِبَ عَلَيْنَا تَرْكُهَا .  
 وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْهَا فِي الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي وَرَاءَ الْحِسِّ وَهِيَ الرُّوحَانِيَّاتُ وَيُسَمُّونَهُ الْعِلْمَ  
 الْأِلَهِيَّ وَعَلِمَ مَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ فَإِنَّ ذَوَاتَهَا مَجْهُولَةٌ رَأْسًا وَلَا يُمْكِنُ التَّوَصُّلُ إِلَيْهَا وَلَا  
 الْبُرْهَانُ عَلَيْهَا لِأَنَّ تَجْرِيدَ الْمَعْقُولَاتِ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ الْخَارِجِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ  
 مُمْكِنٌ فِيمَا هُوَ مُدْرِكٌ لَنَا وَنَحْنُ لَا نُدْرِكُ الذُّوَاتِ الرُّوحَانِيَّةِ حَتَّى نَجْرِدَ مِنْهَا مَا هِيَ  
 أُخْرَى بِحِجَابِ الْحِسِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا فَلَا يَتَأْتِي لَنَا بُرْهَانٌ عَلَيْهَا وَلَا مُدْرِكٌ لَنَا فِي اثْبَاتِ  
 وُجُودِهَا عَلَى الْجُمْلَةِ إِلَّا مَا نَجِدُهُ بَيْنَ جَنْبِنَا مِنْ أَمْرِ النَّسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَحْوَالِ مَدَارِكِهَا  
 وَخُصُوصًا فِي الرُّوْيَا الَّتِي هِيَ وَجِدَانِيَّةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ حَقِيقَتِهَا وَصِفَاتِهَا

فَأَمْرٌ غَامِضٌ لَا سَبِيلَ إِلَى الْوُفُوفِ عَلَيْهِ وَقَدْ صَرَخَ بِذَلِكَ مُحَقِّقُوهُمْ حَيْثُ ذَهَبُوا إِلَى أَنَّ  
مَا لَا مَادَّةَ لَهُ لَا يُمَكِّنُ الْبُرْهَانَ عَلَيْهِ لِأَنَّ مُقَدِّمَاتِ الْبُرْهَانِ مِنْ شَرْطِيَّاتٍ أَنْ تَكُونَ ذَاتِيَّةً  
وَقَالَ كَبِيرُهُمْ أَفَلَا طُونَ إِنَّ الْأَلْهِيَّاتِ لَا يُوصَلُ فِيهَا إِلَى الْيَنِينِ وَإِنَّمَا يُقَالُ فِيهَا بِالْأَخَاقِي  
وَالْأَوَّلَى بِعِنَى الظَّنِّ وَإِذَا كُنَّا إِنَّمَا نَحْصُلُ بَعْدَ النَّعْبِ وَالنَّصَبِ عَلَى الظَّنِّ فَقَطْ فَيَكْفِينَا  
الظَّنُّ الَّذِي كَانَ أَوَّلًا فَأَيُّ فَائِدَةٍ لِهَذِهِ الْعُلُومِ وَالِاشْتِعَالِ بِهَا وَنَحْنُ إِنَّمَا عِنَابَتُنَا بِتَحْصِيلِ  
الْيَقِينِ فِيمَا وَرَاءَ الْحِسِّ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ وَهَذِهِ هِيَ غَايَةُ الْأَفْكَارِ الْإِنْسَانِيَّةِ عِنْدَهُمْ  
وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي ادْرَاكِ الْمَوْجُودَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ بِتِلْكَ الْبُرَاهِينِ فَقَوْلٌ  
مُزَيَّفٌ مُرْدُودٌ وَتَفْسِيرُهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَرَكَّبٌ مِنْ جُزْءَيْنِ أَحَدُهُمَا جِسْمَانِي وَالْآخَرُ  
رُوحَانِي مُمْتَزَجٌ بِهِ وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْجُزْءَيْنِ مَدَارِكٌ مُخْتَصَةٌ بِهِ وَالْمَدْرِكُ فِيهَا وَاحِدٌ  
وَهُوَ الْجُزْءُ الرُّوحَانِي يُدْرِكُ تَارَةً مَدَارِكَ رُوحَانِيَّةٍ وَتَارَةً مَدَارِكَ جِسْمَانِيَّةٍ إِلَّا أَنَّ  
الْمَدَارِكَ الرُّوحَانِيَّةَ يُدْرِكُهَا بِذَاتِهِ بَعِيرٍ وَاسِطَةٍ وَالْمَدَارِكَ الْجِسْمَانِيَّةَ بِوِاسِطَةِ آتٍ  
الْجِسْمِ مِنَ الدِّمَاغِ وَالْحَوَاسِ وَكُلُّ مَدْرِكٍ فَلَهُ ابْتِهَاجٌ بِمَا يُدْرِكُهُ وَاعْتِبَرَهُ بِحَالِ الصَّبِيِّ  
فِي أَوَّلِ مَدَارِكِهِ الْجِسْمَانِيَّةِ الَّتِي هِيَ بِوِاسِطَةِ كَيْفٍ يَبْتَهِجُ بِمَا يُبْصِرُهُ مِنَ الضُّوءِ وَبِمَا  
يَسْمَعُهُ مِنَ الْأَصْوَاتِ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِبْتِهَاجَ بِالْإِدْرَاكِ الَّذِي لِلنَّفْسِ مِنْ ذَاتِهَا بِغَيْرِ  
وَاسِطَةٍ يَكُونُ أَشَدَّ وَالدَّ فَالْنَّفْسُ الرُّوحَانِيَّةُ إِذَا شَعَرَتْ بِإِدْرَاكِهَا الَّذِي لَهَا مِنْ  
ذَاتِهَا بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ حَصَلَ لَهَا ابْتِهَاجٌ وَلَذَلِكَ لَا يُعْبَرُ عَنْهُمَا وَهَذَا الْإِدْرَاكِ لَا يَحْصُلُ بِنَظَرٍ وَلَا  
عِلْمٍ وَإِنَّمَا يَحْصُلُ بِكَشْفِ حجابِ الْحِسِّ وَنِسْيَانِ الْمَدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ بِالْجَمَلَةِ وَالْمَتَّصِقَةِ  
كَثِيرًا مَا يُعْنُونَ بِحُصُولِ هَذَا الْإِدْرَاكِ لِلنَّفْسِ بِحُصُولِ هَذِهِ النُّبْجَةِ فَيَحَاوِلُونَ بِالرِّيَاضَةِ  
إِيمَانَةَ الْقُوَى الْجِسْمَانِيَّةِ وَمَدَارِكِهَا حَتَّى الْفِكْرِ مِنَ الدِّمَاغِ وَيَحْصُلُ لِلنَّفْسِ إِدْرَاكِهَا الَّذِي  
لَهَا مِنْ ذَاتِهَا عِنْدَ زَوَالِ الشَّوْغِبِ وَالْمَوَانِعِ الْجِسْمَانِيَّةِ يَحْصُلُ لَهُمْ نُبْجَةٌ وَلَذَلِكَ لَا يُعْبَرُ  
عَنْهَا وَهَذَا الَّذِي زَعَمُوهُ بِتَقْدِيرِ صِحَّتِهِ مُسَلَّمٌ لَهُمْ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ وَافٍ بِمَقْصُودِهِمْ فَأَمَّا  
قَوْلُهُمْ إِنَّ الْبُرَاهِينَ وَالْأَدَلَّةَ الْعَقْلِيَّةَ مُخْتَصَّةً لِهَذَا النَّوعِ مِنَ الْإِدْرَاكِ وَالْإِبْتِهَاجِ عَنْهُ فَبَاطِلٌ  
كَمَا رَأَيْتَهُ إِذِ الْبُرَاهِينُ وَالْأَدَلَّةُ مِنْ جَمَلَةِ الْمَدَارِكِ الْجِسْمَانِيَّةِ لِأَنَّهَا بِالْقُوَى الدِّمَاغِيَّةِ  
مِنَ الْخَبَائِلِ وَالْفِكْرِ وَالذِّكْرِ وَنَحْنُ نَقُولُ إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ نَعْنِي بِهِ فِي تَحْصِيلِ هَذَا الْإِدْرَاكِ  
إِيمَانَةَ هَذِهِ الْقُوَى الدِّمَاغِيَّةِ كُلِّهَا لِأَنَّهَا مُنَازَعَةٌ لَهُ قَادِحَةٌ فِيهِ وَتَجِدُ الْمَاهِرَ مِنْهُمْ عَاكِفًا

عَلَى كِتَابِ الشَّفَاءِ وَالْإِشَارَاتِ وَالنَّجَاءِ وَتَلَاخِيصِ ابْنِ رُشْدٍ لِلْقَصِّ مِنْ تَأْلِيفِ أَرِسْطُو  
 وَغَيْرِهِ يُعْتَرُ أَوْرَاقَهَا وَيَتَوَقَّعُ مِنْ بَرَاهِينِهَا وَيَلْتَمِسُ هَذَا الْقِسْطَ مِنَ السَّعَادَةِ فِيهَا وَلَا  
 يَعْلَمُ أَنَّهُ يَسْتَكْثِرُ بِذَلِكَ مِنَ الْمَوَانِعِ عَنْهَا وَمُسْتَنْدَهُمْ فِي ذَلِكَ مَا يَنْقُلُونَهُ عَنْ  
 أَرِسْطُو وَالْفَارَابِيِّ وَأَبْنِ سِينَانَ مَنْ حَصَلَ لَهُ إِدْرَاكُ الْعَقْلِ الْفَعَّالِ وَاتَّصَلَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ  
 فَقَدْ حَصَلَ حِظُّهُ مِنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ وَالْعَقْلُ الْفَعَّالُ عِنْدَهُمْ عِبَارَةٌ عَنْ أَوَّلِ رُتْبَةٍ يَنْكَشِفُ  
 عَنْهَا الْحُسْنُ مِنْ رُتْبِ الرُّوحَانِيَّاتِ وَيَحْمَلُونَ الْإِتِّصَالَ بِالْعَقْلِ الْفَعَّالِ عَلَى الْإِدْرَاكِ الْعِلْمِيِّ  
 وَقَدْ رَأَيْتُ فَسَادَهُ وَإِنَّمَا يَعْنِي أَرِسْطُو وَأَصْحَابُهُ بِذَلِكَ الْإِتِّصَالَ وَالْإِدْرَاكِ إِدْرَاكَ النَّفْسِ  
 الَّتِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا وَبِغَيْرِ وَاسِطَةٍ وَهُوَ لَا يَحْصُلُ إِلَّا بِكَشْفِ حِجَابِ الْحُسْنِ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ  
 إِنَّ الْبَهْجَةَ النَّاشِئَةَ عَنْ هَذَا الْإِدْرَاكِ هِيَ عَيْنُ السَّعَادَةِ الْمَوْعُودِ بِهَا فَبَاطِلٌ أَيْضًا لِأَنَّ  
 إِنَّمَا تَبَيَّنَ لَنَا بِمَا قَرَّرُوهُ أَنَّ وَرَاءَ الْحُسْنِ مَدْرَكًا آخَرَ لِلنَّفْسِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ وَأَنَّهَا يَتَّبِعُ  
 بِإِدْرَاكِهَا ذَلِكَ أَتْبَهَاجًا شَدِيدًا وَذَلِكَ لَا يَعِينُ لَنَا أَنَّهُ عَيْنُ السَّعَادَةِ الْآخِرُويَّةِ وَلَا بَدْ  
 بَلْ هِيَ مِنْ جُمْلَةِ الْمَلَادِ الَّذِي لِتِلْكَ السَّعَادَةِ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ السَّعَادَةَ فِي إِدْرَاكِ هَذِهِ  
 الْمَوْجُودَاتِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فَقَوْلٌ بَاطِلٌ مَبْنِيٌّ عَلَى مَا كُنَّا قَدَّمْنَاهُ فِي أَصْلِ التَّوْحِيدِ مِنْ  
 الْأَوْهَامِ وَالْأَغْلَاطِ فِي أَنَّ الْوُجُودَ عِنْدَ كُلِّ مَدْرَكٍ مُنْخَصَرٌّ فِي مَدَارِكِهِ وَبَيْنَنَا فَسَادُ  
 ذَلِكَ وَإِنَّ الْوُجُودَ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يَحْطَاطَ بِهِ أَوْ يَسْتَوْفَى إِدْرَاكُهُ بِجُمْلَتِهِ رُوحَانِيًّا أَوْ جِسْمَانِيًّا  
 وَالَّذِي يَحْصُلُ مِنْ جَمِيعِ مَا قَرَّرْنَاهُ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّ الْجُزْءَ الرُّوحَانِيَّ إِذَا فَارَقَ الْقُوَى  
 الْجِسْمَانِيَّةَ أَدْرَكَ إِدْرَاكًا ذَاتِيًّا لَهُ مُخْتَصًّا بِصِنْفٍ مِنَ الْمَدَارِكِ وَهِيَ الْمَوْجُودَاتُ الَّتِي  
 أَحَاطَ بِهَا عِلْمُنَا وَلَيْسَ بَعَامِ الْإِدْرَاكِ فِي الْمَوْجُودَاتِ كُلِّهَا إِذْ لَمْ تَنْخَصِرْ وَأَنَّهُ يَتَّبِعُ  
 بِذَلِكَ النَّحْوِ مِنَ الْإِدْرَاكِ أَتْبَهَاجًا شَدِيدًا كَمَا يَتَّبِعُ الصَّبِيَّ بِمَدَارِكِهِ الْحَسِيَّةِ فِي أَوَّلِ  
 نُشُوئِهِ وَمَنْ لَنَا بَعْدَ ذَلِكَ بِإِدْرَاكِ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ أَوْ بِحُصُولِ السَّعَادَةِ الَّتِي وَعَدْنَا  
 بِهَا الشَّارِعَ إِنْ لَمْ نَعْمَلْ لَهَا هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ مُسْتَقِلٌّ  
 بِتَهْدِيبِ نَفْسِهِ وَإِصْلَاحِهَا بِإِلَابَسَةِ الْحَمْدِ مِنَ الْخَلْقِ وَمُجَانَبَةِ الْمَذْمُومِ فَأَمْرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى  
 أَنَّ أَتْبَهَاجَ لِلنَّفْسِ بِإِدْرَاكِهَا الَّذِي لَهَا مِنْ ذَاتِهَا هُوَ عَيْنُ السَّعَادَةِ الْمَوْعُودِ بِهَا لِأَنَّ  
 الرِّذَائِلَ عَائِقَةٌ لِلنَّفْسِ عَنْ تَمَامِ إِدْرَاكِهَا ذَلِكَ بِمَا يَحْصُلُ لَهَا مِنَ الْمَلَكَاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ  
 وَالْوَالِيَّاتِ وَقَدْ بَيَّنَّا أَنَّ أَثَرَ السَّعَادَةِ وَالسَّقَاوَةِ مِنْ وَرَاءِ الْإِدْرَاكِاتِ الْجِسْمَانِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ

فَبِهَذَا التَّهْدِيْبِ الَّذِي تَوَصَّلُوا إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِنَّمَا نَفَعُهُ فِي الْمَهْجَةِ النَّاشِئَةِ عَنِ الْإِدْرَاكِ  
 الرَّوْحَانِيِّ فَقَطُّ الَّذِي هُوَ عَلَى مَقَائِسِ وَقَوَائِنِ وَأَمَّا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ السَّعَادَةِ الَّتِي وَعَدْنَا  
 بِهَا الشَّارِعُ عَلَى امْتِنَالِ مَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَخْلَاقِ فَأَمْرٌ لَا يُحِيطُ بِهِ مَدَارِكُ  
 الْمُدْرِكِينَ وَقَدْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ زَعِيمِهِمْ أَبُو عَلِيٍّ أَيْنَ سَيْنَا فَقَالَ فِي كِتَابِ الْمَبْدَأِ وَالْمَعَادِ  
 مَا مَعْنَاهُ إِنَّ الْمَعَادِ الرَّوْحَانِيَّ وَأَحْوَالَهُ هُوَ مَا يُتَوَصَّلُ إِلَيْهِ بِالْبُرَاهِينِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْمَقَابِيْسِ  
 لِأَنَّهُ عَلَى نِسْبَةِ طَبِيعِيَّةٍ مَحْفُوظَةٍ وَوَبَرِيَّةٍ وَاحِدَةٍ فَلَنَا فِي الْبُرَاهِينِ عَلَيْهِ سَعَةٌ وَأَمَّا الْمَعَادِ  
 الْجَسْمَانِيُّ وَأَحْوَالُهُ فَلَا يُمْكِنُ إِدْرَاكُهُ بِالْبُرْهَانِ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى نِسْبَةِ وَاحِدَةٍ وَقَدْ  
 بَسَطَهُ لَنَا الشَّرِيعَةُ الْحَقَّةُ الْمُحَمَّدِيَّةُ فَلْيَنْظُرْ فِيهَا وَلْيَرْجِعْ فِي أَحْوَالِ إِلَيْهَا فَهَذَا الْعِلْمُ  
 كَمَا رَأَيْتَهُ غَيْرَ وَافٍ بِمَقَاصِدِهِمُ الَّتِي حَرَمُوا عَلَيْهَا مَعَ مَا فِيهِ مِنْ مُخَالَفَةِ الشَّرَائِعِ وَظَوَاهِرِهَا  
 وَلَيْسَ لَهُ فِيهَا عِلْمٌ إِلَّا ثَمَرَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ شَحْدُ الذَّهْنِ فِي تَرْتِيبِ الْأَدَلَّةِ وَالْحُجُجِ  
 لِتَحْمِيلِ مَلَائِكَةِ الْجُودَةِ وَالصَّوَابِ فِي الْبُرَاهِينِ وَذَلِكَ أَنْ نَنْظُمَ الْمَقَابِيْسَ وَتَرَكِيْبَهَا  
 عَلَى وَجْهِ الْأَحْكَامِ وَالْإِنْفَانِ هُوَ كَمَا شَرَطُوهُ فِي صِنَاعَتِهِمُ الْمُنْطَقِيَّةِ وَقَوْلُهُمْ بِذَلِكَ  
 فِي عُلُومِهِمُ الطَّبِيعِيَّةِ وَهُمْ كَثِيرًا مَا يَسْتَعْمَلُونَهَا فِي عُلُومِهِمُ الْحِكْمِيَّةِ مِنَ الطَّبِيعِيَّاتِ  
 وَالنَّعَالِمِ وَمَا بَعْدَهَا فَيَسْتَوْلِي النَّظَارُ فِيهَا بِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِ الْبُرَاهِينِ بِشُرُوطِهَا عَلَى  
 مَلَائِكَةِ الْإِنْفَانِ وَالصَّوَابِ فِي الْحُجُجِ وَالْأَسْتِدْلَالَاتِ لِأَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ وَافِيَّةٍ  
 بِمَقْصُودِهِمْ فَهِيَ أَصَحُّ مَا عِلْمَانَهُ مِنْ قَوَائِنِ الْأَنْظَارِ هَذِهِ ثَمَرَةٌ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ مَعَ  
 الْأَطْلَاعِ عَلَى مَذَاهِبِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَأَرَائِهِمْ وَمَضَارِبِهَا مَا عَلِمْتَ فَلْيَكُنِ النَّظَارُ فِيهَا مَتَحَرِّزًا  
 جَهْدَهُ مِنْ مَعَاطِبِهَا وَلْيَكُنْ نَظْرٌ مِنْ يَنْظُرُ فِيهَا بَعْدَ الْإِمْتِلَاءِ مِنَ الشَّرْعِيَّاتِ وَالْإِطْلَاعِ عَلَى  
 التَّفْسِيرِ وَالْفِقْهِ وَلَا يُكْبَنُ أَحَدٌ عَلَيْهَا وَهُوَ خُلُوٌّ مِنْ عُلُومِ الْمَلَلَةِ فَقُلْ أَنْ يَسْلَمَ لِذَلِكَ مِنْ  
 مَعَاطِبِهَا وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلصَّوَابِ وَالْحَقِّ وَالْهَادِي إِلَيْهِ وَمَا كُنَّا نَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ

### الفصل الخامس والعشرون

فِي ابْطَالِ صِنَاعَةِ النُّجُومِ وَضَعْفِ مَدَارِكِهَا وَفِدَادِ غَايَتِهَا  
 هَذِهِ الصَّنَاعَةُ يَزْعُمُ أَصْحَابُهَا أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ بِهَا الْكَائِنَاتِ فِي عَالَمِ الْعُنَاصِرِ قَبْلَ حَدُوثِهَا  
 مِنْ قَبْلِ مَعْرِفَةِ قُوَى الْكَوَاكِبِ وَتَأَثِيرِهَا فِي الْمَوْلَدَاتِ الْعُنْصَرِيَّةِ مُفْرَدَةً وَمُجْتَمِعَةً  
 فَتَكُونُ لِذَلِكَ أَوْضَاعُ الْأَفْلَاكِ وَالْكَوَاكِبِ دَلَّةً عَلَى مَا سَيَحْدُثُ مِنْ تَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ

الكائنات الكليّة والشخصيّة فالمتقدّمون منهم يرون أنّ معرفة قوى الكواكب  
 وتأثيراتها بالتجربة وهو أمرٌ تقصّر الأعمار كلها لو اجتمعت عن تحصيله إذ التجربة  
 إنّما تحصل في المرات المتعدّدة بالتكرار ليحصل عنها العلم أو الظنّ وأدوار  
 الكواكب منها ما هو طويل الزمن فيحتاج تكرّره إلى آحاد وأحباب متطاولة  
 يتقاصر عنها ما هو طويل من أعمار العالم وربما ذهب ضعفاء منهم إلى أنّ معرفة  
 قوى الكواكب وتأثيراتها كانت بالوحي وهو رأيٌ فإلّ وقد كفونا مؤنة إبطاله  
 ومن أوضح الأدلّة فيه أنّ تعلم أنّ الأنبياء عليهم الصلوة والسلام أبعده الناس عن  
 الصنّاع وأنهم لا يتعرّضون للإخبار عن الغيب إلّا أنّ يكون عن الله فكيف  
 يدعون استنباطه بالصنّاعة ويشيرون بذلك لتابعيهم من الخلق وأما بطليمس ومن  
 تبعه من المتأخّرين فيرون أنّ دلالة الكواكب على ذلك دلالة طبيعيّة من قبل مزاج  
 يحصل للكواكب في الكائنات العنصريّة قال لأنّ فعل التّيزين وأثرهما في العنصريّات  
 ظاهر لا يسع أحداً حمده مثل فعل الشمس في تبدل الفصول وأمزجتها ونضح التّمار  
 والزّرع وغير ذلك وفعل القمر في الرّطوبات والماء وإنضاج المواد المتعفّنة  
 وفواكه الفناء وسائر أفعاله ثمّ قال ولنا فيما بعدها من الكواكب طريقان الأوّل التقليد  
 لمن نقل ذلك عنه من أئمة الصنّاعة إلّا أنّه غير مقنع للنفس الثّانية الحُدس والتّجربة  
 بقياس كلّ واحدٍ منها إلى النّير الأعظم الذي عرفنا طبيعته وأثره معرفة ظاهرة  
 فننظر هل يزيد ذلك الكوكب عند القران في قوته ومزاجه فتعرف موافقته له في  
 الطّبيعة أو ينقص عنها فتعرف مضادته ثمّ إذا عرفنا قواها مفردة عرفناها مركّبة وذلك  
 عند تناظرها بأشكال التّثليث والتّربيع وغيرهما ومعرفة ذلك من قبل طبائع  
 البروج بالقياس أيضاً إلى النّير الأعظم وإذا عرفنا قوى الكواكب كلها فبهي  
 مؤثّرة في الهواء وذلك ظاهر والمزاج الذي يحصل منها للهواء يحصل لما تحته من  
 المولّدات وتتخلق به النطف والنّطف والبرز فتصير حالاً للبدن المتكوّن عنها ولينفس  
 المتعلّقة به الفائضة عليه المكتسبة لما لها منه ولما يتبع النّفس والبدن من الأحوال  
 لأنّ كميّات البرزرة والنّفطة كميّات لما يتولّد عنهما وينشأ منهما قال وهو مع ذلك  
 ظنيّ وليس هو أيضاً من القضاء الإلهي يعي القدر إنّما هو من جملة الأسباب

الطَّبِيعِيَّةِ لِلْكَائِنِ وَالْقَضَاءِ الْإِلَهِيِّ سَابِقٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ هَذَا مُحْصَلُ كَلَامِ بَطْلِمَسُ  
 وَأَصْحَابِهِ وَهُوَ مَنْصُوصٌ فِي كِتَابِهِ الْأَرْبَعِ وَغَيْرِهِ وَمِنْهُ يَتَبَيَّنُ ضَعْفُ مُدْرِكِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
 وَذَلِكَ أَنَّ الْعِلْمَ الْكَائِنَ أَوْ الظَّنَّ بِهِ إِنَّمَا يُحْصَلُ عَنِ الْعِلْمِ بِجُمْلَةٍ أَسْبَابِهِ مِنَ الْفَاعِلِ  
 وَالْقَابِلِ وَالصُّورَةِ وَالغَايَةِ عَلَى مَا يَتَبَيَّنُ فِي مَوْضِعِهِ وَالْقُوَى النُّجُومِيَّةِ عَلَى مَا قَرَّرُوهُ  
 إِنَّمَا هِيَ فَاعِلَةٌ فَقَطُّ وَالْجُزْءُ الْعَنْصَرِيُّ هُوَ الْقَابِلُ ثُمَّ إِنَّ الْقُوَى النُّجُومِيَّةَ لَيْسَتْ هِيَ الْفَاعِلُ  
 بِجُمْلَتِهَا بَلْ هُنَاكَ قُوَى أُخْرَى فَاعِلَةٌ مَعَهَا فِي الْجُزْءِ الْمَادِيِّ مِثْلَ قُوَّةِ التَّوَلِيدِ لِلْأَبِ  
 وَالنُّوعِ الَّتِي فِي النُّطْفَةِ وَقُوَى الْخَاصَّةِ الَّتِي تَمَيِّزُ بِهَا صِنْفٌ مِنَ النَّوعِ وَغَيْرُ ذَلِكَ فَالْقُوَى  
 النُّجُومِيَّةُ إِذَا حَصَلَ كَمَا لَهَا وَحَصَلَ الْعِلْمُ فِيهَا إِنَّمَا هِيَ فَاعِلٌ وَاحِدٌ مِنْ جُمْلَةِ الْأَسْبَابِ  
 الْفَاعِلَةِ لِلْكَائِنِ ثُمَّ إِنَّهُ يُشْتَرَطُ مَعَ الْعِلْمِ بِقُوَى الدُّجُومِ وَتَأْثِيرَاتِهَا مَزِيدٌ حُدْسٌ وَتَخْمِينٌ  
 وَحَيْثُئِذْ يُحْصَلُ عِنْدَهُ الظَّنُّ بِوُقُوعِ الْكَائِنِ وَالْحُدْسُ وَالتَّخْمِينُ قُوَى لِلنَّاطِرِ فِي فِكْرِهِ  
 وَلَيْسَ مِنْ عِلَلِ الْكَائِنِ وَلَا مِنْ أَصُولِ الصَّنَاعَةِ فَإِذَا فُقِدَ هَذَا الْحُدْسُ وَالتَّخْمِينُ رَجَعَتْ  
 أَدْرَاجِيًّا عَنِ الظَّنِّ إِلَى الشَّكِّ هَذَا إِذَا حَصَلَ الْعِلْمُ بِالْقُوَى النُّجُومِيَّةِ عَلَى سِدَادِهِ وَلَمْ  
 تَعَرَّضْهُ آفَةٌ وَهَذَا مُعَوِّزٌ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْرِفَةِ حِسَابَاتِ الْكَوَاكِبِ فِي سَيْرِهَا لِتَعَرُّفِ  
 بِهِ أَوْضَاعِهَا وَلِمَا أَنَّ اخْتِصَاصَ كُلِّ كَوْكَبٍ بِقُوَّةٍ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ وَمُدْرِكِ بَطْلِمَسُ فِي  
 إِثْبَاتِ الْقُوَى لِلْكَوَائِبِ الْخُمْسَةِ بِقِيَاسِهَا إِلَى الشَّمْسِ مُدْرِكٌ ضَعِيفٌ لِأَنَّ قُوَّةَ الشَّمْسِ  
 غَالِبَةٌ لِجَمِيعِ الْقُوَى مِنَ الْكَوَائِبِ وَمُسْتَبَوِلَةٌ عَلَيْهَا فَقَلَّ أَنْ يُشْعَرَ بِالزِّيَادَةِ فِيهَا أَوْ  
 النُّقْصَانِ مِنْهَا عِنْدَ الْمَقَارَنَةِ كَمَا قَالَ وَهَذِهِ كُلُّهَا قَادِحَةٌ فِي تَعْرِيفِ الْكَائِنَاتِ الْوَاقِعَةِ  
 فِي عَالَمِ الْعَنَاصِرِ بِهَذِهِ الصَّنَاعَةِ ثُمَّ إِنَّ تَأْثِيرَ الْكَوَائِبِ فِيهَا يُحْتَمَى بِاطِّلٍ إِذْ قَدْ تَبَيَّنَ  
 فِي بَابِ التَّوْحِيدِ أَنَّ لِفَاعِلِ إِلَّا اللَّهُ يَطْرُقُ اسْتِدْلَالِيٌّ كَمَا رَأَيْتَهُ وَاحْتِجَّ لَهُ أَهْلُ  
 عِلْمِ الْكَلَامِ بِمَا هُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْبَيَانِ مِنْ أَنَّ إِسْنَادَ الْأَسْبَابِ إِلَى الْمُسَبَّبَاتِ مَجْهُولُ  
 الْكَيْفِيَّةِ وَالْعَقْلُ مِنْهُمْ عَلَى مَا يَقْضَى بِهِ فِيمَا يَظْهَرُ بِأَدْيِ الرَّأْيِ مِنَ التَّأْثِيرِ فَلَعَلَّ  
 اسْتِدْلَالَهَا عَلَى غَيْرِ صُورَةِ التَّأْثِيرِ الْمُتَعَارَفِ وَالْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ رَابِطَةٌ بَيْنَهُمَا كَمَا  
 رَبَطَتْ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ عَلْوًا وَسَفْلًا سِيمَا وَالشَّرْعُ يَرُدُّ الْحَوَادِثَ كُلَّهَا إِلَى قُدْرَةِ اللَّهِ  
 تَعَالَى وَيَبْرَأُ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ وَالتَّنْبُؤَاتُ أَيْضًا مِنْكَرَةٌ لِشَأْنِ النُّجُومِ وَتَأْثِيرَاتِهَا وَاسْتِقْرَآءُ  
 الشَّرْعِيَّاتِ شَاهِدٌ بِذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يُخْسَفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا

لِحَيَاتِهِ وَفِي قَوْلِهِ أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطْرِنَا بِفَضْلِ اللَّهِ  
وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوَاكِبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطْرِنَا بِنُوءِ كَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ  
بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوَاكِبِ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ فَقَدْ بَانَ لَكَ بَطْلَانُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مِنْ طَرِيقِ  
الشَّرْعِ وَضَعْتُ مَدَارِكَهَا مَعَ ذَلِكَ مِنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ مَعَ مَا لَهَا مِنَ الْمَضَارِّ فِي الْعُمُرَانِ  
الْإِنْسَانِيِّ تَمَا تَبَعَتْ مِنْ عَقَائِدِ الْعَوَامِّ مِنَ الْفَسَادِ إِذَا اتَّفَقَ الصِّدْقُ مِنْ أَحْكَامِهَا فِي  
بَعْضِ الْأَحْيَانِ اتِّفَاقًا لَا يَرْجِعُ إِلَى تَعَالِيلٍ وَلَا تَحْقِيقٍ فَيُلْهَجُ بِذَلِكَ مَنْ لَا مَعْرِفَةَ لَهُ وَبِظَنِّ  
أَطْرَادِ الصِّدْقِ فِي سَائِرِ أَحْكَامِهَا وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَيَقَعُ فِي رَدِّ الْأَشْيَاءِ إِلَى غَيْرِ خَالِقِهَا ثُمَّ  
مَا يَنْشَأُ عَنْهَا كَثِيرًا فِي الدُّوَلِ مِنْ تَوْفَعِ الْقَوَاطِعِ وَمَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ ذَلِكَ التَّوَفُّعُ مِنْ  
تَطَاوُلِ الْأَعْدَاءِ وَالْمُتَرَبِّصِينَ بِالِدَوْلَةِ إِلَى الْفَتْكِ وَالثَّوَرَةِ وَقَدْ شَاهَدْنَا مِنْ ذَلِكَ كَثِيرًا  
فَيَبْغِي أَنْ تُحْظَرَ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْعُمُرَانِ لِمَا يَنْشَأُ عَنْهَا مِنَ الْمَضَارِّ فِي  
الدِّينِ وَالدُّوَلِ وَلَا يَفْدَحُ فِي ذَلِكَ كَوْنُ وُجُودِهَا طَبِيعِيًّا لِلبَشَرِ بِمَقْتَضَى مَدَارِكِهِمْ  
وَعُلُومِهِمْ فَأَخْبِرُ وَالشَّرُّ طَبِيعَتَانِ مُوجُودَتَانِ فِي الْعَالَمِ لَا يُمَكِّنُ نَزْعَهُمَا وَإِنَّمَا يَتَعَلَّقُ  
النَّكَالُ بِأَسْبَابِ حُصُولِهِمَا فَيَتَعَيَّنُ السَّعْيُ فِي اكْتِسَابِ الْخَيْرِ بِأَسْبَابِهِ وَدَفْعِ  
أَسْبَابِ الشَّرِّ وَالْمَضَارِّ هَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ عَرَفَ مَفَاسِدَ هَذَا الْعِلْمِ وَمَضَارَّهُ وَلِعَلَّكُمْ  
مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَتْ صَاحِبَةً فِي نَفْسِهَا فَلَا يُمَكِّنُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ تَحْصِيلَ  
عِلْمِهَا وَلَا مَلَكَتِهَا بَلْ إِنْ نَظَرَ فِيهَا نَظْرًا وَظَنَّ الْإِحَاطَةَ بِهَا فَهُوَ فِي غَايَةِ الْقُصُورِ فِي  
نَفْسِ الْأَمْرِ فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ لَمَّا حَظَرَتْ النَّظَرَ فِيهَا فَقَدْ اجْتَمَعَ مِنْ أَهْلِ الْعُمُرَانِ لِقِرَاءَتِهَا  
وَالْتَحْقِيقِ لِعَلْمِهَا وَصَارَ الْمَوْلَعُ بِهَا مِنَ النَّاسِ وَهُمْ الْأَقْلُ وَأَقْلُ مِنَ الْأَقْلِ إِنَّمَا يَطَالِعُ  
كُتُبَهَا وَمَقَالَاتِهَا فِي كِسْرٍ يَبْتَدَأُ مِنْهَا عَنِ النَّاسِ وَتَحْتَ رُبْقَةِ الْجُمْهُورِ مَعَ تَشَعُّبِ  
الصَّنَاعَةِ وَكَثْرَةِ فُرُوعِهَا وَأَعْتِيَاصِهَا عَلَى الْفَهْمِ فَكَيْفَ يَحْصُلُ مِنْهَا عَلَى طَائِلٍ وَنَحْنُ  
نَجِدُ الْفَقْهَ الَّذِي عَمَّ نَعْنَعُهُ دِينًا وَدُنْيَا وَسَهَلَتْ مَا خِذَهُ مِنَ الْكُتُبِ وَالسُّنَنِ وَعَكَفَتْ  
الْجُمْهُورُ عَلَى قِرَاءَتِهِ وَتَعَلِيمِهِ ثُمَّ بَعْدَ التَّحْقِيقِ وَالتَّجَمُّعِ وَطُولِ الْمُدَارَسَةِ وَكَثْرَةِ الْجَمَالِسِ  
وَتَعَدُّدِهَا إِنَّمَا يَحْدُقُ فِيهِ الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ فِي الْأَعْصَارِ وَالْأَجْيَالِ فَكَيْفَ يُعَلِّمُ  
مَهْجُورٌ لِلشَّرِيعَةِ مَضْرُوبٌ دُونَهُ سُدَّ الْخَطَرَ وَالنَّحْرُومُ مَكْتُومٌ عَنِ الْجُمْهُورِ صَعَبُ  
الْمَاخِذِ مُخْتَاخٌ بَعْدَ الْمُمَارَسَةِ وَالتَّحْصِيلِ لِأَصُولِهِ وَفُرُوعِهِ إِلَى مَزِيدِ حَدْسٍ وَتَحْمِينِ

يَكْتَنِفَانِ بِهِ مِنَ النَّظْرِ فَأَيْنَ التَّخْصِيلُ وَالْحِذْقُ فِيهِ مَعَ هِدْيِهِ كُلِّهَا وَمَدَعَى ذَلِكَ مِنَ  
النَّاسِ مَرْدُودٌ عَلَى عَقْبِهِ وَلَا شَاهِدَ لَهُ يَقُومُ بِذَلِكَ لِعَرَابَةِ الْفَنِّ بَيْنَ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَقَلَّةِ  
حَمَلَتِهِ فَأَعْتَبِرْ ذَلِكَ يَتَبَيَّنُ لَكَ صِحَّةُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ  
أَحَدًا . وَمِمَّا وَقَعَ فِي هَذَا الْمَعْنَى لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ الْعَصْرِ عِنْدَمَا غَلَبَ الْعَرَبُ  
عَسَاكِرَ السُّلْطَانِ أَبِي الْحَسَنِ وَحَاصِرُوهُ بِالْقَيْرَوَانَ وَكَثُرَ إِرْجَافُ الْفَرِيقَيْنِ الْأَوْلِيَاءِ  
وَالْأَعْدَاءِ وَقَالَ فِي ذَلِكَ أَبُو الْقَاسِمِ الرَّوحِيُّ مِنْ شِعْرَاءِ أَهْلِ تُونِسَ

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ حِينٍ      قَدْ ذَهَبَ الْعَيْشُ وَالْهَنَاءُ  
أَصْبَحَ فِي تُونِسٍ وَأَمْسِي      وَالصُّبْحُ لِلَّهِ وَالْمَسَاءُ  
الْخَوْفُ وَالْجُوعُ وَالْمَنِيَا      يُحَدِّثُهَا الْهَرْجُ وَالْوَبَاءُ  
وَالنَّاسُ فِي مَرِيَّةٍ وَحَرْبٍ      وَمَا عَسَى يَنْفَعُ الْمَرَاءُ  
فَأَحْمَدِي يَرَى عَلِيًّا      حَلَّ بِهِ الْهَلَاكُ وَالْتَوَاءُ  
وَأَخْرَهُ قَالَ سَوْفَ يَأْتِي      بِهِ إِلَيْكُمْ صَبًا رَخَاءُ  
وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ ذَا وَهَذَا      يَقْضِي لِعَبْدِيهِ مَا يَشَاءُ  
يَا رَاصِدَ الْخَنَسِ الْجَوَارِي      مَا فَعَلْتَ هَذِهِ السَّمَاءُ  
مَطَلْتُمُونَا وَقَدْ زَعَمْتُمْ      أَنْكُمْ الْيَوْمَ أَمْلِيَاءُ  
مَرَّ خَمِيسٌ عَلَى خَمِيسٍ      وَجَاءَ سَبْتُ وَأَرْبَعَاءُ  
وَنِصْفُ شَهْرٍ وَعِشْرُ ثَانٍ      وَتَالَتْ أَضْمَهُ الْقَضَاءُ  
وَلَا بَرَى غَيْرَ زُورٍ قَوْلٍ      أَذَاكَ جَهْلٌ أَمْ أَزْدِرَاءُ  
إِنَّا إِلَى اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا      أَنْ لَيْسَ يُسْتَدْفَعُ الْقَضَاءُ  
رَضِيْتُ بِاللَّهِ لِي إِلَهًا      حَسْبُكُمْ الْبَدْرُ أَوْ ذِكَاةُ  
مَا هَذِهِ الْأَنْجُمُ السُّوَارِي      إِلَّا عَبَادِيدُ أَوْ إِمَاءُ  
يُقْضَى عَلَيْهَا وَلَيْسَ نَقْضِي      وَمَا لَهَا فِي الْوَرَى أَقْضَاءُ  
صَلَّتْ عَقُولُ تَرَى قَدِيمًا      مَا شَأْنُهُ الْجُرْمُ وَالْفَنَاءُ  
وَحَكَمْتُ فِي الْوُجُودِ طَبْعًا      يُحَدِّثُهُ الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ  
لَمْ تَرَ حُلُومًا إِزَاءَ مَرٍّ      تَغْدُوهُمْ تُرْبَةُ وَمَاءُ

اللَّهُ رَبِّي وَلَسْتُ أَدْرِي      مَا الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ وَالْخَلَاءُ  
 وَلَا أَلْمُؤَلَّى الَّذِي تَنَادِي      مَا لِي عَنْ صُورَةِ عَرَاهُ  
 وَلَا وُجُودٌ وَلَا أُنْعَامٌ      وَلَا ثُبُوتٌ وَلَا انْتِفَاءُ  
 وَالْكَسْبُ لَمْ أَدْرِ فِيهِ إِلَّا      مَا جَلَبَ الْبَيْعُ وَالشِّرَاءُ  
 وَإِنَّمَا مَذْهَبِي وَدِينِي      مَا كَانَتْ لِلنَّاسِ أَوْلِيَاءُ  
 إِذْ لَا فُضُولٌ وَلَا أُصُولٌ      وَلَا جِدَالَ وَلَا رِيَاءُ  
 مَا تَبِعَ الصَّدْرَ وَاقْتَفَيْنَا      يَا حَبِذَا كَانَتْ الْأَقْفَاءُ  
 كَانُوا كَمَا يَعْلَمُونَ مِنْهُمْ      وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ أَلْهَاءُ  
 يَا أَشْعَرِي الزَّمَانِ إِنِّي      أَتَعَرَّبِي الصَّبْفُ وَالشِّتَاءُ  
 لَمْ أُجْزَ بِالشَّرِّ غَيْرَ شَرٍّ      وَأَخْبِرُ عَنْ مِثْلِهِ جَزَاءُ  
 وَإِنِّي إِنْ أَكُنْ مُطِيعًا      فَلَسْتُ أَعْصِي وَلِي رَجَاءُ  
 وَإِنِّي تَحْتَ حُكْمِ بَارٍ      أَطَاعَهُ الْعَرْشُ وَالْتِرَاءُ  
 لَيْسَ أَنْتَصِرَ بِكُمْ وَلَكِنْ      أَتَاحَهُ الْحُكْمُ وَالْقَضَاءُ  
 لَوْ حَدِثَ الْأَشْعَرِيُّ عَمَّنْ      لَهُ إِلَى رَأْيِهِ انْتِمَاءُ  
 لَقَالَ أَخْبِرُهُمْ بِأَنِّي      مِمَّا يَقُولُونَهُ بَرَاءُ

### الفصل السادس والعشرون

في انكار ثمره الكيمياء واستحالة وجودها وما ينشأ من المفساد عن انتحالها

إِعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعَاجِزِينَ عَنْ مَعَاشِهِمْ تَحْمِلُهُمُ الْمَطَامِعُ عَلَى انْتِحَالِ هُدُو  
 الصَّنَائِعِ وَيَرَوْنَ أَنَّهَا أَحَدُ مَذَاهِبِ الْعَمَاشِ وَوُجُوهِهِ وَأَنَّ اقْتِنَاءَ الْمَالِ مِنْهَا أَيْسَرُ  
 وَأَسْهَلُ عَلَى مُبْتَدِئِهِ فَيَزِيغُ تَكْبُونُ فِيهَا مِنَ الْمَتَاعِيبِ وَالْمَشَاقِقِ وَمَعَانَاةِ الصَّعَابِ وَعَسْفِ  
 الْحُكْمِ وَخِسَارَةِ الْأَمْوَالِ فِي النِّفَقَاتِ زِيَادَةً عَلَى التَّيْلِ مِنْ عَرَضِهِ وَالْعَطَبِ آخِرًا  
 إِذَا ظَهَرَ عَلَى خِيْبَةٍ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا وَإِنَّمَا أَطْعَمَهُمْ فِي ذَلِكَ رُؤْيَةَ أَنَّ  
 الْمَعَادِنَ تَسْتَحِيلُ وَيَنْقَلِبُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضِ الْمَادَّةِ الْمَشْتَرِكَةِ فَيَحْتَالُونَ بِالْعِلَاجِ  
 صَيْرُورَةَ الْفِضَّةِ ذَهَبًا وَالنَّحَاسِ وَالْقَصْدِيرِ فِضَّةً وَيَحْسِبُونَ أَنَّهَا مِنْ مُمْكِنَاتِ عَالَمِ  
 الطَّبِيعَةِ وَلَهُمْ فِي عِلَاجِ ذَلِكَ طُرُقٌ مُخْتَلِفَةٌ لِاخْتِلَافِ مَذَاهِبِهِمْ فِي التَّنْدِيرِ وَصُورَتِهِ

وَفِي الْمَادَّةِ الْمَوْضُوعَةِ عِنْدَهُمْ لِلْعِلَاجِ الْمَسْمُوعَةِ عِنْدَهُمْ بِالْحَجَرِ الْمَكْرَمِ هَلْ هِيَ  
 الْعَذْرَةُ أَوْ الدَّمُ أَوْ الشَّعْرُ أَوْ الْبَيْضُ أَوْ كَذَا أَوْ كَذَا مَا سِوَى ذَلِكَ وَجُمْلَةُ الدَّبِيرِ  
 عِنْدَهُمْ بَعْدَ تَعْيِينِ الْمَادَّةِ أَنْ تَمْنَى بِالْقَهْرِ عَلَى حَجَرٍ صَلَدٍ أَمَلَسَ وَتُسْفَى أَثْنَاءَ إِهْبَاتِهَا  
 بِالْمَاءِ وَبَعْدَ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهَا مِنَ الْعُقَاوِيرِ وَالْأَدْوِيَةِ مَا يَنَاسِبُ الْقَضْمَ مِنْهَا وَيُؤَثَّرُ فِي  
 أَنْقِلَابِهَا إِلَى الْمَعْدِنِ الْمَطْلُوبِ ثُمَّ تُجَنَّفُ بِالشَّمْسِ مِنْ بَعْدِ السَّفْيِ أَوْ تُطْبَخُ بِالنَّارِ أَوْ  
 تُصْعَدُ أَوْ تُكَلَّسُ لِاسْتِخْرَاجِ مَائِهَا أَوْ تَرَابِهَا فَإِذَا رَضِيَ بِذَلِكَ كُلُّهُ مِنْ عِلَاجِهَا وَتَمَّ  
 تَدْبِيرُهُ عَلَى مَا اقْتَضَتْهُ أَصُولُ صَنَعَتِهِ حَصَلَ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ تَرَابٌ أَوْ مَرَاغٌ يُسَدُّونَهُ  
 الْإِكْسِيرَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِذَا أُلْقِيَ عَلَى الْفِضَّةِ الْحَمَامَةِ بِالنَّارِ عَادَتْ ذَهَبًا أَوْ النُّحَاسِ  
 النُّحَمَى بِالنَّارِ عَادَ فِضَّةً عَلَى مَا قُصِدَ بِهِ فِي عَمَلِهِ وَيَزْعُمُ الْمُحَقِّقُونَ مِنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ  
 الْإِكْسِيرَ مَادَّةٌ مَرَكَبَةٌ مِنَ الْعُنَاصِرِ الْأَرْبَعَةِ حَصَلَ فِيهَا بِذَلِكَ الْعِلَاجِ الْخَاصُّ وَالنَّبْدِيرُ  
 مِرْجَاحٌ ذُو قُوَى طَبِيعِيَّةٍ تَصْرِفُ مَا حَصَلَتْ فِيهِ إِلَيْهَا وَتَقْلِبُهُ إِلَى صَوْرَتِهَا وَمِنْ أَجْرَابِهَا وَتَبَثُّ  
 فِيهِ مَا حَصَلَ فِيهَا مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ وَالْقُوَى كَالْحَمِيرَةِ لِلخَبزِ تَقْلِبُ الْعَجِينَ إِلَى ذَاتِهَا وَتَعْمَلُ  
 فِيهِ مَا حَصَلَ لَهَا مِنَ الْإِنْفِشَاشِ وَالْمَشَاشَةِ لِيُحَسِّنَ هَضْمَهُ فِي الْمَعْدَةِ وَيَسْتَحِيلُ سَرِيعًا  
 إِلَى الْغَدَاءِ وَكَذَا إِكْسِيدُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ فِيمَا يَحْصُلُ فِيهِ مِنَ الْمَعَادِنِ يَصْرِفُهُ إِلَيْهِمَا  
 وَيَقْلِبُهُ إِلَى صَوْرَتِهِمَا هَذَا مُحْصَلُ زَعْمِهِمْ عَلَى الْجُمْلَةِ فَجَدُّهُمْ عَاكِفِينَ عَلَى هَذَا الْعِلَاجِ  
 يَبْتَعُونَ الرِّزْقَ وَالْمَعَاشَ فِيهِ وَيَتَنَاقَلُونَ أَحْكَامَهُ وَقَوَاعِدَهُ مِنْ كِتَابٍ لِأَمَّةِ الصَّنَاعَةِ  
 مِنْ قَبْلِهِمْ يَتَدَاوَلُونَهَا بَيْنَهُمْ وَيَتَنَاقَرُونَ فِي فِهْمِ لُغُزْهَا وَكَشَفِ أَسْرَارِهَا إِذْ هِيَ فِي  
 الْأَكْثَرِ تُشْبِهُ الْمَعْمَى كَتَابِيفِ جَابِرِ بْنِ حَيَّانٍ فِي رِسَالَتِهِ السَّبْعِينَ وَمَسْأَلَةِ الْحَجَرِ طَبِيعِيَّ  
 فِي كِتَابَةِ رُتْبَةِ الْحَكِيمِ وَالطُّغْرَائِيِّ وَالْمَغِيرِيِّ فِي قِصَائِدِهِ الْعَرَبِيَّةِ فِي إِجَادَةِ النِّظْمِ  
 وَامْتَالِهَا وَلَا يَخْلُونَ مِنْ بَعْدِ هَذَا كُلِّهِ بِطَائِلٍ مِنْهَا . فَمَا وَضَعْتُ يَوْمًا شَيْخَنَا أَبَا الْبَرَكَاتِ  
 التَّلْفِيْقِيَّ كَبِيرَ مَشِيخَةِ الْأَنْدَلُسِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ وَوَقَفْتُهُ عَلَى بَعْضِ التَّالِيْفِ فِيهَا فَتَصَفَّحَهُ  
 طَوِيلًا ثُمَّ رَدَّهُ إِلَيَّ وَقَالَ لِي وَأَنَا الضَّامِنُ لَهُ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَى بَيْتِهِ إِلَّا بِالْخَيْبَةِ ثُمَّ مِنْهُمْ  
 مَنْ يَقْتَصِرُ فِي ذَلِكَ عَلَى الثَّلَاثَةِ فَقَطْ إِمَّا الظَّاهِرَةَ كَتَمُوهُ بِالفِضَّةِ بِالذَّهَبِ أَوْ النُّحَاسِ  
 بِالْفِضَّةِ أَوْ حَاطَهَا عَلَى نِسْبَةِ جُزءٍ أَوْ جُزءَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ أَوْ خَلْفِيَّةٍ كَالِقَاءِ الشَّيْءِ بَيْنَ  
 الْمَعَادِنِ بِالصَّنَاعَةِ مِثْلَ تَبْيِضِ النُّحَاسِ وَتَلْبِيسِهِ بِالرُّزْقِ الْمُصْعَدِ فَيَجِيءُ جِسْمًا مَعْدِنِيًّا

شَيْبًا بِالْفِضَّةِ وَيَخْنَى الْأَعْلَى الْقَادِ الْمَهْرَةَ فَيَقْدِرُ أَصْحَابُ هَذِهِ الدُّسِّ مَعَ دُسْتِهِمْ  
هَذِهِ سَكَّةٌ يَسْرُبُونَهَا فِي النَّاسِ وَيَطْبَعُونَهَا بِطَائِعِ السُّلْطَانِ تَمْوِيهَا عَلَى الْجُمْهُورِ بِالْخُلَاصِ  
وَهَوْلَاءُ أَحْسُ النَّاسِ حِرْفَةً وَأَسْوَأُهُمْ عَاقِبَةً لِيَتَلَبَّسَهُمْ بِسَرِقَةِ أَمْوَالِ النَّاسِ فَإِنَّ صَاحِبَ  
هَذِهِ الدُّسَّةِ إِنَّمَا هُوَ يَدْفَعُ نَحَاسًا فِي الْفِضَّةِ وَفِضَّةً فِي الذَّهَبِ لِيَسْتَخْلِصَهَا لِنَفْسِهِ فَهُوَ  
سَارِقٌ أَوْ شَرٌّ مِنَ السَّارِقِ وَمَعْظَمُ هَذَا الصَّنْفِ لَدَيْنَا بِالْمَغْرِبِ مِنْ طَابَةِ الْبَرِّبَرِ الْمُتَشَبِّهِينَ  
بِأَطْرَافِ الْقِيَاحِ وَمَسَاكِنِ الْأَعْمَارِ يَاوُونَ إِلَى مَسَاجِدِ الْبَادِيَةِ وَبِمَوَاهُونَ عَلَى الْأَغْيَاءِ  
مِنْهُمْ يَأْنُ بِأَيْدِيهِمْ صِنَاعَةَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنَّفُوسُ مُوَلَّعَةٌ بِحُبِّهِمَا وَالْأَسْتِهْلَاكُ فِيهِ  
طَلَبُهُمَا فَيَحْضُرُونَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَعَاشٍ ثُمَّ يَبْقَى ذَلِكَ عِنْدَهُمْ تَحْتَ الْخَوْفِ وَالرَّقَبَةِ إِلَى  
أَنْ يَظْهَرَ الْعِجْزُ وَتَنْفَعِ الْفِضِيحَةُ فَيَفْرُونَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ وَيَسْتَجِدُونَ حَالًا أُخْرَى فِي  
أَسْتِهْوَاءِ بَعْضِ أَهْلِ الدُّنْيَا يَأْطِمُوا عَلَيْهِمْ فِيمَا لَدَيْهِمْ وَلَا يَزُولُونَ كَذَلِكَ فِي ابْتِغَاءِ مَعَاشِهِمْ  
وَهَذَا الصَّنْفُ لَا كَلَامَ مَعَهُمْ لِأَنَّهُمْ بَلَّغُوا الْغَايَةَ فِي الْجَهْلِ وَالرَّدَاءَةِ وَالْإِحْتِرَافِ بِالسَّرِقَةِ  
وَلَا حَاسِمَةَ لِعَالَتِهِمْ إِلَّا الْأَشْتِدَادُ الْحُكَامَ عَلَيْهِمْ وَتَنَاوَلَهُمْ مِنْ حَيْثُ كَانُوا وَقَطَعُ أَيْدِيهِمْ  
مَتَى ظَهَرُوا وَعَلَى شَأْنِهِمْ لِأَنَّ فِيهِ إِفْسَادًا لِلْسَكَّةِ الَّتِي تَعْمُ بِهَا الْبَلُورَى وَهِيَ مَتَمُولُ النَّاسِ  
كَأَفَّةً وَالسُّلْطَانُ مَكْتَفٍ بِإِصْلَاحِهَا وَالْإِحْتِيَاطِ عَلَيْهَا وَالْأَشْتِدَادِ عَلَى مُسْئِدِهَا وَأَمَّا  
مَنْ اتَّخَلَ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ وَلَمْ يَرْضَ بِجَهَالِ الدُّسَّةِ بَلْ اسْتَنَكَفَ عَنْهَا وَتَزَهَّ نَفْسَهُ عَنِ إِفْسَادِ  
سَكَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَتَقْوَدِيمِ وَإِنَّمَا يَطْلُبُ إِحَالََةَ الْفِضَّةِ لِلذَّهَبِ وَالرِّصَاصِ وَالنَّحَاسِ  
وَالْقَصْدِيرِ إِلَى الْفِضَّةِ بِذَلِكَ النَّحْوِ مِنَ الْعِلَاجِ وَبِالْإِكْسِيرِ أَحْصَلَ عِنْدَهُ فَلَمَّا مَعَ هَوْلَاءِ  
مُتَكَلِّمٌ وَنَجَّحَ فِي مَدَارِكِهِمْ لِذَلِكَ مَعَ أَنَا لَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ أَهْلِ الْعَالَمِ تَمَّ لَهُ هَذَا  
الْغَرَضُ أَوْ حَصَلَ مِنْهُ عَلَى بَغْيَةٍ إِنَّمَا تَذَهَبُ أَعْمَارُهُمْ فِي التَّدْبِيرِ وَالْفَهْرِ وَالصَّلَابَةِ  
وَالتَّصْعِيدِ وَالتَّكْلِيسِ وَأَعْيَامِ الْأَخْطَارِ بِجَمْعِ الْعَقَاقِيرِ وَالنَّجَّحَ عَنْهَا وَيَتَنَاقَلُونَ فِي ذَلِكَ  
حِكَايَاتٍ وَقَعَتْ لغيرِهِمْ مِمَّنْ تَمَّ لَهُ الْغَرَضُ مِنْهَا أَوْ وَقَفَ عَلَى الْوُصُولِ يَقْنَعُونَ بِأَسْتِغَايَا  
وَالْمُفَاوِضَاتِ فِيهَا وَلَا يَسْتَرِيبُونَ فِي تَصْدِيقِهَا شَأْنَ الْكَلْفَيْنِ الدَّغْرَمِينَ بُوَسَاوِسِ  
الْأَخْبَارِ فِيمَا يُكَلِّفُونَ بِهِ فَإِذَا سُئِلُوا عَنْ تَحْقِيقِ ذَلِكَ بِالْمَعَابِنَةِ أَنْكَرُوهُ وَقَالُوا إِنَّمَا  
سَمِعْنَا وَلَمْ نَرَهُ كَذَا شَأْنِهِمْ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَجِيلٍ وَأَعْلَمُ أَنَّ اتِّجَالَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ قَدِيمٌ  
فِي الْعَالَمِ وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِيهَا مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُتَأَخِّرِينَ فَلَنَنْقُلَ مَذَاهِبَهُمْ فِي ذَلِكَ

ثم نلوه بما يظهر فيها من التحقيق الذي عليه الأمر في نفسه فنقول إن مبنى الكلام  
 في هذه الصناعة عند الحكماء على حال المعادن السبعة المتطرفة وهي الذهب  
 والفضة والرصاص والقصدير والنحاس والحديد والخارصين هل هي مختلفات بالفصول  
 وكلها أنواع قائمة بأنفسها أو إنها مختلفة بخصوص من الكيفيات وهي كلها أصناف  
 لنوع واحد فالذي ذهب إليه أبو النصر الفارابي وتابعة عليه حكماء الأندلس أنها  
 نوع واحد وأن اختلافها إنما هو بالكيفيات من الرطوبة واليوسه واللين والصلابة  
 والألوان من الصفرة والبياض والسواد وهي كلها أصناف لذلك النوع الواحد والذي  
 ذهب إليه ابن سينا وتابعة عليه حكماء المشرق أنها مختلفة بالفصول وأنواعها  
 متباينة كل واحد منها قائم بنفسه متحقق بحقيقته له فصل وجنس شأن سائر الأنواع  
 وبني أبو نصر الفارابي على مذهبه في اتفاقها بالنوع إمكان انقلاب بعضها إلى بعض  
 لإمكان تبدل الأعراض حينئذ وعلاجها بالصنعة فمن هذا الوجه كانت صناعة  
 الكيمياء عنده ممكنة سهلة المآخذ وبني أبو علي بن سينا على مذهبه في اختلافها  
 بالنوع إنكار هذه الصنعة واستحالة وجوبها بناء على أن الفصل لا سبيل بالصناعة  
 إليه وإنما مخلقه خالق الأشياء ومقدرها وهو الله عز وجل والفصول مجهولة الحقائق  
 رأساً بالتصور فكيف يحاول انقلابها بالصنعة وغططه الطغرائي من أكابر أهل هذه  
 الصناعة في هذا القول ورد عليه بأن التدبير والعلاج ليس في تخليق الفصل وإبداعه  
 وإنما هو في إعداد المادة لقبوله خاصة والفصل يأتي من بعد الإعداد من لدن خالقه  
 وبارئه كما يفرض النور على الأجسام بالصلق والإمهاء ولا حاجة بنا في ذلك إلى  
 تصوره ومعرفة قال وإذا كنا قد عثرنا على تخليق بعض الحيوانات مع الجهل بفصولها  
 مثل العقرب من التراب والنتن ومثل الحيات المتكونة من الشعر ومثل ما ذكره  
 أصحاب الفلاحة من تكوين النحل إذا فقدت من عجائب البقر وتكوين القصب  
 من قرون ذوات الطلائ وتصويره سكرًا بحشو القرون بالعسل بين يدي ذلك الفلح  
 للقرون فما المانع إذا من العثور على مثل ذلك في الذهب والفضة فنتخذ مادة تضيفها  
 للتدبير بعد أن يكون فيها استعداد أول لقبول صورة الذهب والفضة ثم تحاويلها  
 بالعلاج إلى أن يتم فيها الاستعداد لقبول فصلها انتهى كلام الطغرائي بمعناه وهو

الَّذِي ذَكَرَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ سِينَا صَحِيحٌ لَكِنَّ لَنَا فِي الرَّدِّ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ  
مَا خَلَدًا آخَرَ يَتَبَيَّنُ مِنْهُ اسْتِحْجَالُهُ وَجُودُهَا وَبَطْلَانُ مَرْمُومِهِمْ أَجْمَعِينَ لَا الطُّغْرَانِيَّ وَلَا ابْنَ  
سِينَا وَذَلِكَ أَنَّ حَاصِلَ عِلَاجِهِمْ أَنَّهُمْ بَعْدَ الوُقُوفِ عَلَى المَادَّةِ المُسْتَعِدَّةِ بِالإِسْتِعْدَادِ  
الأَوَّلِ يَجْعَلُونَهَا مَوْضُوعًا وَيَحَازُونَ فِي تَدْبِيرِهَا وَعِلَاجِهَا تَدْبِيرَ الطَّبِيعَةِ فِي الجِسْمِ الدَّعْدِي  
حَتَّى أَحَالَتَهُ ذَهَبًا أَوْ فِضَّةً وَيَضَاعِفُونَ القُوَى الفَاعِلَةَ وَالمُنْتَعَلَةَ لِئَتِمَّ فِي زَمَانٍ أَقْصَرَ  
لِأَنَّهُ تَبَيَّنَ فِي مَوْضِعِهِ أَنَّ مَضَاعِفَةَ قُوَّةِ الفَاعِلِ تَنْقُصُ مِنْ زَمَنِ فِعْلِهِ وَتَبَيَّنَ أَنَّ الذَّهَبَ  
إِنَّمَا يَتِمُّ كَوْنُهُ فِي مَعْدِنِهِ بَعْدَ أَلْفِ وَتَمَانِينَ مِنَ السِّنِينَ دَوْرَةَ الشَّمْسِ الكُبْرَى فَإِذَا  
تَضَاعَفَتِ القُوَى وَالكَيْفِيَّاتُ فِي العِلَاجِ كَانَ زَمَنُ كَوْنِهِ أَقْصَرَ مِنْ ذَلِكَ ضَرْوْرَةً عَلَى  
مَا قُلْنَا أَوْ يَتَحَرَّرُونَ بِعِلَاجِهِمْ ذَلِكَ حُصُولَ صُورَةٍ بِزَاجِيَةٍ لِتِلْكَ المَادَّةِ تُصَيِّرُهَا  
كأَلْخَمِيْرَةٍ فَتَفْعَلُ فِي الجِسْمِ المَعَالِجَ الأَفَاعِيلَ المَطْلُوبَةَ فِي أَحَالَتِهِ وَذَلِكَ هُوَ الإِكْبَادُ  
عَلَى مَا نَقَدَّمَ. وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مُتَكَوِّنٍ مِنَ المَوْلَدَاتِ العُنْصُرِيَّةِ فَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ أَجْتِمَاعِ  
العُنْصُرِ الأَزْبَعَةِ عَلَى نِسْبَةٍ مُتَفَاوِتَةٍ إِذْ لَوْ كَانَتْ مُتَكَافِئَةً فِي النِّسْبَةِ لَمَاتَمَّ امْتِرَاجُهَا  
فَلَا بُدَّ مِنَ الجُزْءِ الغَالِبِ عَلَى الكُلِّ وَلَا بُدَّ فِي كُلِّ مُمْتَزَجٍ مِنَ المَوْلَدَاتِ مِنْ  
حَرَارَةٍ غَرِيزِيَّةٍ هِيَ الفَاعِلَةُ لِكَوْنِهِ الحَافِظَةُ لِصُورَتِهِ ثُمَّ كُلُّ مُتَكَوِّنٍ فِي زَمَانٍ فَلَا بُدَّ  
مِنْ اخْتِلَافِ أَطْوَارِهِ وَانْتِقَالِهِ فِي زَمَنِ المُتَكَوِّنِ مِنْ طَوْرٍ إِلَى طَوْرٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى  
غَايَتِهِ وَانظُرْ شَانَ الأِنْسَانِ فِي طَوْرِ النُّطْفَةِ ثُمَّ العَاقِلَةِ ثُمَّ المَضْغَةِ ثُمَّ النُّصُورِ ثُمَّ الجَنِينِ  
ثُمَّ المَوْلُودِ ثُمَّ الرُّضِيعِ ثُمَّ إِلَى نِهَآئِهِ وَنِسْبِ الأَجْزَاءِ فِي كُلِّ طَوْرٍ تَخْتَلِفُ فِي مَقَادِيرِهَا  
وَكَيْفِيَّاتِهَا وَإِلَّا لَكَانَ الطَّوْرُ الأَوَّلُ يُعِينُهُ هُوَ الآخِرُ وَكَذَا الحَرَارَةُ الغَرِيزِيَّةُ فِي كُلِّ  
طَوْرٍ مُخَالَفَةٌ لَهَا فِي الطَّوْرِ الآخِرِ فَانظُرْ إِلَى الذَّهَبِ مَا يَكُونُ لَهُ فِي مَعْدِنِهِ مِنْ  
الأَطْوَارِ مِنْذُ أَلْفِ سَنَةٍ وَتَمَانِينَ وَمَا يَنْتَقِلُ فِيهِ مِنَ الأَحْوَالِ فَيَحْتَاجُ صَاحِبَ الكِيمِيَاءِ  
إِلَى أَنْ يَسَاقِ فِعْلَ الطَّبِيعَةِ فِي المَعْدِنِ وَيَحَازِيَهُ بِتَدْبِيرِهِ وَعِلَاجِهِ إِلَى أَنْ يَتِمَّ وَمِنْ  
شَرْطِ الصَّنَاعَةِ أَدْبًا تَصَوَّرَ مَا يَقْصُدُ إِلَيْهِ بِالصَّنْعَةِ فَمِنْ الأَمْثَالِ السَّائِرَةِ لِلْحِكْمَاءِ أَوَّلُ  
الْعَمَلِ آخِرُ الفِكْرَةِ وَآخِرُ الفِكْرَةِ أَوَّلُ العَمَلِ فَلَا بُدَّ مِنْ تَصَوُّرِ هَذِهِ الحَالَاتِ لِلذَّهَبِ  
فِي أَحْوَالِهِ المُتَعَدِّدَةِ وَنِسْبَتِهَا المُتَفَاوِتَةِ فِي كُلِّ طَوْرٍ وَاخْتِلَافِ الحَارِّ الغَرِيزِيِّ عِنْدَ  
اخْتِلَافِهَا وَمَقْدَارِ الزَّمَانِ فِي كُلِّ طَوْرٍ وَمَا يَنْبُؤُ عَنَّهُ مِنْ مَقْدَارِ القُوَى المُضَاعِفَةِ وَيَقُومُ

مقَامَهُ حَتَّى يُحَاذِيَ بِذَلِكَ كُلَّهُ فِعْلَ الطَّبِيعَةِ فِي الْمَعْدِنِ أَوْ تُعَدُّ لِبَعْضِ الْمَوَادِّ صُورَةً  
 مِرَاجِيَةً كَصُورَةَ الخَمِيرَةِ الخَبْزِ وَتَفْعُلُ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ بِالْمُنَاسِبَةِ لِقُوَاهَا وَمَقَادِيرِهَا  
 وَهَذِهِ كُلُّهَا إِنَّمَا يَحْضُرُهَا الْعِلْمُ الْمُحِيطُ وَالْعُلُومُ الْبَشَرِيَّةُ قَاصِرَةٌ عَنِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا حَالُ  
 مَنْ يَدْعِي حَمَلَهُ عَلَى الذَّهَبِ بِهَذِهِ الصَّنَعَةِ بِمِثَابَةِ مَنْ يَدْعِي بِالصَّنَعَةِ لِتَخْلِيقِ إِنْسَانٍ مِنَ  
 الْعَمِيِّ وَمَنْ إِذَا سَلَّمْنَا لَهُ الْإِحَاطَةَ بِأَجْزَائِهِ وَنَسَبَتِهِ وَأَطْوَارِهِ وَكَيْفِيَّةَ تَخْلِيقِهِ فِي رَجْمِهِ  
 وَعَلِمَ ذَلِكَ عِلْمًا مُتَّصِلًا بِتَفَاصِيلِهِ حَتَّى لَا يَشُدُّ مِنْهُ شَيْءٌ عَنِ عِلْمِهِ سَلَّمْنَا لَهُ لِتَخْلِيقِ هَذَا  
 الْإِنْسَانِ وَإِنِّي لَهُ ذَلِكَ وَلِتَقَرَّبَ هَذَا الْبُرْهَانُ بِالْإِحْتِصَارِ لَيْسَهُلَ فِيمَهُ فَتَقُولُ حَاصِلُ  
 صِنَاعَةِ الْكِيمِيَاءِ وَمَا يَدْعُونَهُ بِهَذَا التَّدْبِيرِ أَنَّهُ مُسَاوِفَةُ الطَّبِيعَةِ الْمَعْدِنِيَّةِ بِالْفِعْلِ الصَّنَاعِيِّ  
 وَمَحَازِنَاتِهَا بِهِ إِلَى أَنْ يَتَمَّ كَوْنُ الْجِسْمِ الْمَعْدِنِيِّ أَوْ تَخْلِيقِ مَادَّةٍ بِقُوَى وَأَفْعَالٍ وَصُورَةٍ  
 مِرَاجِيَّةٍ تَفْعُلُ فِي الْجِسْمِ فِعْلًا طَبِيعِيًّا فَتَصِيرُهُ وَتَقْبَلُهُ إِلَى صُرَّتِهَا وَالْفِعْلُ الصَّنَاعِيُّ مَسْبُوقٌ  
 بِتَصَوُّرَاتِ أَحْوَالِ الطَّبِيعَةِ الْمَعْدِنِيَّةِ الَّتِي يَقْصِدُ مُسَاوِفَتَهَا أَوْ مُحَازِنَاتِهَا أَوْ فِعْلِ الْمَادَّةِ  
 ذَاتِ الْقُوَى فِيهَا تَصَوُّرًا مُفْصَلًا وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى وَتِلْكَ الْأَحْوَالُ لَا نِهَائِيَةَ لَهَا وَالْعِلْمُ  
 الْبَشَرِيُّ عَاجِزٌ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِمَا دُونِهَا وَهُوَ بِمِثَابَةِ مَنْ يَقْصِدُ تَخْلِيقَ إِنْسَانٍ أَوْ حَيَوَانٍ  
 أَوْ نَبَاتٍ هَذَا مُحْصَلُ هَذَا الْبُرْهَانِ وَهُوَ أَوْثَقُ مَا عَلِمْتُهُ وَلَيْسَتْ الْإِسْتِحَالَةُ فِيهِ مِنْ جِهَةِ  
 الْفُضُولِ كَمَا رَأَيْتُهُ وَلَا مِنَ الطَّبِيعَةِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ تَعَدُّرِ الْإِحَاطَةِ وَفُضُولِ الْبَشَرِ عَنْهَا  
 وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ سَيْنَا بِمَعْزَلٍ عَنِ ذَلِكَ وَهُوَ وَجْهٌ آخَرٌ فِي الْإِسْتِحَالَةِ مِنْ جِهَةِ غَايَتِهِ وَذَلِكَ  
 أَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ فِي الْحَجَرَيْنِ وَتَدْوَرُّهُمَا أَنَّهُمَا قِيمٌ لِمَكَّاسِبِ النَّاسِ وَمَتَمَّوَلَاتِهِمْ  
 فَلَوْ حَصَلَ عَلَيْهِمَا بِالصَّنَعَةِ لَبَطَلَتْ حِكْمَةُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ وَكَثُرَ وَجُرْدُهُمَا حَتَّى لَا يَحْصَلَ  
 أَحَدٌ مِنْ أَفْنَانِهِمَا عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ وَجْهٌ آخَرٌ مِنَ الْإِسْتِحَالَةِ أَيْضًا وَهُوَ أَنَّ الطَّبِيعَةَ لَا تَتْرُكُ  
 أَقْرَبَ الطَّرِيقِ فِي أَفْعَالِهَا وَتَرْتَكِبُ الْأَعْوَصَ وَالْأَبْعَدَ فَلَوْ كَانَ هَذَا الطَّرِيقُ الصَّنَاعِيُّ  
 الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ صَحِيحٌ وَأَنَّهُ أَقْرَبُ مِنَ طَّرِيقِ الطَّبِيعَةِ فِي مَعْدِنِهَا أَوْ أَقْلُ زَمَانًا لَمَا تَرَكَتْ  
 الطَّبِيعَةَ إِلَى طَّرِيقِهَا الَّذِي سَاكِنَتَهُ فِي كَوْنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ وَتَخْلَقُهُمَا وَأَمَّا تَشْبِيهُ  
 الطُّغْرَاءِيِّ هَذَا التَّدْبِيرِ بِمَا عَثَرَ عَلَيْهِ مِنْ مُفْرَدَاتٍ لِأَمثَالِهِ فِي الطَّبِيعَةِ كَالْعَقْرَبِ وَالْحَجَلِ  
 وَالْحَيَّةِ وَتَخْلِيقِهَا فَأَمْرٌ صَحِيحٌ فِي هَذِهِ آدَى إِلَيْهِ الْعَثُورُ كَمَا زَعَمُوا وَأَمَّا الْكِيمِيَاءُ فَلَمْ  
 يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنَ أَهْلِ الْعَالَمِ أَنَّهُ عَثَرَ عَلَيْهَا وَلَا عَلَى طَّرِيقِهَا وَمَا زَالَ مُتَحَلِّوْهَا يَخْطُونُ

فِيهَا عَسَوَاءٌ إِلَىٰ هَلْمٍ جَرًّا وَلَا يَظْفَرُونَ إِلَّا بِالْحِكَايَاتِ الْكَاذِبَةِ وَلَوْ صَحَّ ذَلِكَ لِأَحَدٍ  
 مِنْهُمْ لَحَفَظَهُ عَنْهُ أَوْلَادُهُ أَوْ تَلْمِيزُهُ وَأَصْحَابُهُ وَتَنَوَّلَ فِي الْأَصْدِقَاءِ وَضَمَّنَ تَصَدِيقَهُ صِحَّةَ  
 الْعَمَلِ بَعْدَهُ إِلَىٰ أَنْ يَنْتَشِرَ وَيَبْلُغَ الْبِنَاءَ وَإِلَىٰ غَيْرِنَا. وَأَمَّا قَوْلُهُمْ إِنَّ الْإِكْسِيرَ بِمَثَابَةِ  
 الْحَمِيرَةِ وَإِنَّهُ مَرْكَبٌ يُعْمَلُ مَا يُحْصَلُ فِيهِ وَيَقَابَلُهُ إِلَىٰ ذَلِكَ فَاعْلَمَنَّ أَنَّ الْحَمِيرَةَ إِنَّمَا  
 أَقْلَبُ الْعَجِينَ وَتُعَدُّ لِلْبُضْمِ وَهُوَ فُسَادٌ وَالنُّسَادُ فِي الْمَوَادِّ سَهْلٌ يَقَعُ بِأَيْسَرِ شَيْءٍ مِنَ  
 الْأَفْعَالِ وَالطَّبَائِعِ وَالْمَطْلُوبُ بِالْإِكْسِيرِ قَلْبُ الْمَعْدِنِ إِلَىٰ مَا هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ وَأَعْلَىٰ  
 فَهُوَ تَكْوِينٌ وَصَلَاحٌ وَالتَّكْوِينُ أَصْعَبُ مِنَ الْفُسَادِ نَالًا يَقَاسُ الْإِكْسِيرُ بِالْحَمِيرَةِ  
 وَتَحْقِيقُ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْكِيمِيَاءَ إِنْ صَحَّ وُجُودُهَا كَمَا تَزْعُمُ الْحُكَمَاةُ الْمُسْتَكَلِمُونَ  
 فِيهَا مِثْلُ جَابِرِ بْنِ حَيَّانَ وَمَسْلَمَةَ بْنِ أَحْمَدَ الْجَعْرِيَّيْنِ وَأَمْثَالِهِمْ فَلَيْسَتْ مِنْ بَابِ  
 الصَّنَاعِ الطَّبِيعِيَّةِ وَلَا تَنِمُّ بِأَمْرِ صِنَاعِيٍّ وَلَيْسَ كَلَامُهُمْ فِيهَا مِنْ مَفْهُمِ الطَّبِيعِيَّاتِ إِنَّمَا  
 هُوَ مِنْ مَفْهُمِ كَلَامِهِمْ فِي الْأُمُورِ السَّخْرِيَّةِ وَسَائِرِ اخْوَارِقِ وَمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ لِلِحَلَاكِ  
 وَغَيْرِهِ وَقَدْ ذَكَرَ مَسْلَمَةَ فِي كِتَابِ الْغَايَةِ مَا يُشْبِهُ ذَلِكَ وَكَلَامُهُ فِيهَا فِي كِتَابِ رُتْبَةِ  
 الْحَكِيمِ مِنْ هَذَا الْمَفْهُمِ وَهَذَا كَلَامُ جَابِرٍ فِي رِسَالَتِهِ وَتَحْوُ كَلَامِهِمْ فِيهِ مَعْرُوفٌ وَلَا  
 حَاجَةَ بِنَاءً إِلَىٰ شَرْحِهِ وَبِالْجُمْلَةِ فَأَمْرُهُمَا عِنْدَهُمْ مِنْ كَلِمَاتِ الْمَوَادِّ أَخْرَاجَةَ عَنْ حُكْمِ  
 الصَّنَاعِ نَكَمًا لَا يَتَدَبَّرُ مَا مِنْهُ الْخَشَبُ وَالْحَيَوَانُ فِي يَوْمٍ أَوْ شَهْرٍ خَشَبًا أَوْ حَيَوَانًا  
 فِيمَا عَدَا مَجْرَى تَخْلِيقِهِ كَذَلِكَ لَا يَتَدَبَّرُ ذَهَبٌ مِنْ مَادَّةِ الذَّهَبِ فِي يَوْمٍ وَلَا شَهْرٍ وَلَا  
 يَتَغَيَّرُ طَرِيقَ عَادَتِهِ إِلَّا بِإِزْفَادِ مَا وَرَاءَ عَالَمِ الطَّبَائِعِ وَعَمَلِ الصَّنَاعِ نَكَمًا كَذَلِكَ مَنْ  
 طَلَبَ الْكِيمِيَاءَ طَلَبًا صِنَاعِيًّا ضَعَّفَ مَالَهُ وَعَمَلَهُ وَيُقَالُ لِهَذَا التَّدْبِيرِ الصِّنَاعِيِّ التَّدْبِيرُ  
 الْعَقِيمُ لِأَنَّ نَيْلَهُ إِنْ كَانَ صَحِيحًا فَهُوَ وَاقِعٌ مِمَّا وَرَاءَ الطَّبَائِعِ وَالصَّنَاعِ كَالْمَشْيِ عَلَى  
 الْمَاءِ وَامْتِطَاءِ الْهَوَاءِ وَالنَّفُوزِ فِي كُنَائِفِ الْأَجْسَادِ وَتَحْوُ ذَلِكَ مِنْ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ  
 الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ أَوْ مِثْلِ تَخْلِيقِ الطَّيْرِ وَتَحْوُهَا مِنْ مُعْجَزَاتِ الْأَنْبِيَاءِ قَالَ تَعَالَى وَإِذْ تَخْلَقُ  
 مِنَ الطِّينِ كَيْمِيَّةَ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَعَلَىٰ ذَلِكَ فَسَيَبُلُّ تَبْسِيرَهَا  
 مُخْتَلَفٌ بِحَسَبِ حَالٍ مَنْ يُؤْتَاهَا فَرُبَّمَا أُوتِيَهَا الصَّالِحُ وَيُؤْتِيهَا غَيْرُهُ فَكَوْنُ عِنْدَهُ مَعَارَةً  
 وَرُبَّمَا أُوتِيَهَا الصَّالِحُ وَلَا يَمْلِكُ إِبْنَاءَهَا فَلَا تَنِمُّ فِي يَدِ غَيْرِهِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ يَكُونُ  
 عَمَلُهَا سَخْرِيًّا فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهَا إِنَّمَا تَفْعَلُ بِتَأْثِيرَاتِ النُّفُوسِ وَخَوَارِقِ الْعَادَةِ إِمَّا مُعْجَزَةً أَوْ

سِعْرًا وَلِهَذَا كَانَ كَلَامُ الْحُكَمَاءِ كُلِّهِمْ فِيهَا إِعْزَازًا لَا يَظْفَرُ بِحَقِيقَتِهِ إِلَّا مَنْ حَاضَ لُجَّةَ  
 مِنْ عِلْمِ السِّعْرِ وَأَطَّلَعَ عَلَى تَصَرُّفَاتِ النَّفْسِ فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ وَأُمُورِ خَرَقِ الْعَادَةِ غَيْرِ  
 مُنْحَصِرَةٍ وَلَا يَقْضِدُ أَحَدٌ إِلَى تَحْصِيلِهَا وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَأَكْثَرُ مَا يَحْمِلُ عَلَى  
 التَّمَسُّكِ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَاتِّخَالُهَا هُوَ كَمَا قُلْنَا هُ الْعِزُّ عَنِ الطَّرِيقِ الطَّبِيعِيِّ لِلْمَعَاشِ  
 وَابْتِغَاؤُهُ مِنْ غَيْرِ وَجُوهِهِ الطَّبِيعِيَّةُ كَالْفَلَاحَةِ وَالتَّجَارَةِ وَالصَّنَاعَةِ فَيَسْتَصْعِبُ الْعَاجِزُ  
 ابْتِغَاءَهُ مِنْ هَذِهِ وَيَرُومُ الْحُصُولَ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْمَالِ دَفْعَةً بُوْجُوهٍ غَيْرِ طَبِيعِيَّةٍ  
 مِنَ الْكِيمِيَاءِ وَغَيْرِهَا وَأَكْثَرُ مَنْ يَعْنِي بِذَلِكَ الْفُقَرَاءُ مِنْ أَهْلِ الْعُمَرَانِ حَتَّى فِي الْحُكَمَاءِ  
 الْمُنْتَكَلِمِينَ فِي انْكَارِهَا وَاسْتِحَالَتِهَا فَإِنَّ ابْنَ سِيدِنَا الْقَائِلَ بِاسْتِحَالَتِهَا كَانَ عَلَيْهِ الْوُزْرَاءُ  
 فَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى وَالثَّرْوَةِ وَالنَّارِيَةِ الْقَائِلَ بِإِمْكَانِهَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَقْرِ الَّذِينَ يُعَوِّزُهُمْ  
 ادْتِنَ بَلْغَةً مِنَ الْمَعَاشِ وَأَسْبَابِهِ وَهَذِهِ تِهْمَةٌ ظَاهِرَةٌ فِي أَنْظَارِ النَّفُوسِ الْمَوْلَعَةِ بِطَرْفِهَا  
 وَاتِّخَالِهَا وَاللَّهُ الرَّازِقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينِ لَا رَبَّ سِوَاهُ

### الفصل السابع والعشرون

في ان كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل

إِعْلَمَ أَنَّهُ مِمَّا أَضْرَبَ بِالنَّاسِ فِي تَحْصِيلِ الْعِلْمِ وَالْوُفُوفِ عَلَى غَايَاتِهِ كَثْرَةُ التَّأْلِيفِ  
 وَاخْتِلَافُ الْأَصْطِلَاحَاتِ فِي التَّعَالِيمِ وَتَعَدُّدُ طُرُقِهَا ثُمَّ مَطَالَبَةُ الْمُتَعَلِّمِ وَالتَّلْمِيذِ بِاسْتِحْضَارِ  
 ذَلِكَ وَحِينَئِذٍ يُسَلِّمُ لَهُ مَنْصِبُ التَّحْصِيلِ فَيُحْتَاجُ الْمُتَعَلِّمُ إِلَى حِظِّهَا كُلِّهَا أَوْ أَكْثَرِهَا  
 وَمُرَاعَاةِ طُرُقِهَا وَلَا يَبِي عُمُرُهُ بِمَا كُتِبَ فِي صِنَاعَةٍ وَاحِدَةٍ إِذَا تَجَرَّدَ لَهَا فَيَقَعُ الْقُصُورُ وَلَا  
 يَدُونَ رُتْبَةَ التَّحْصِيلِ وَيُمَثِّلُ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِ الْفِقْهِ فِي الْمَذْهَبِ الْمَالِكِيِّ بِالْكَتَبِ  
 الْمَدُونَةِ مِثْلًا وَمَا كُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الشُّرُوحَاتِ الْفِقْهِيَّةِ مِثْلَ كِتَابِ ابْنِ يُونُسَ وَاللَّخْمِيِّ  
 وَابْنِ بَشِيرٍ وَالتَّنْبِيْهَاتِ وَالْمَقْدَمَاتِ وَالْبَيَانَ وَالتَّحْصِيلِ عَلَى الْعُبَيْتِيَّةِ وَكَذَلِكَ كِتَابُ ابْنِ  
 الْحَاجِبِ وَمَا كُتِبَ عَلَيْهِ ثُمَّ إِنَّهُ يُحْتَاجُ إِلَى تَمْيِيزِ الطَّرِيقَةِ الْقَيْرَوَانِيَّةِ مِنَ الْقُرْطُوبِيَّةِ  
 وَالبَغْدَادِيَّةِ وَالْمِصْرِيَّةِ وَطُرُقِ الْمُتَأَخِّرِينَ عَنْهُمْ وَالْإِحَاطَةَ بِذَلِكَ كُلِّهِ وَحِينَئِذٍ يُسَلِّمُ  
 لَهُ مَنْصِبُ الْفِتْيَانِ وَهِيَ كُلُّهَا مُتَكَرِّرَةٌ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ وَالتَّحْصِيلُ مُطَالَبٌ بِاسْتِحْضَارِ جَمِيعِهَا  
 وَتَمْيِيزِ مَا بَيْنَهَا وَالتَّمَرُّمُ بِتَقْضِي فِي وَاحِدٍ مِنْهَا وَلَوْ اقتصَرَ الْمُعَلِّمُونَ بِالمُتَعَلِّمِينَ عَلَى  
 الْمَسَائِلِ الْمَذْهَبِيَّةِ فَقَطْ لَكَانَ الْأَمْرُ دُونَ ذَلِكَ بِكَثِيرٍ وَكَانَ التَّعَلِيمُ سَهْلًا وَمَا خَذَهُ

قريباً ولكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد عليه فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحوّلها ويمثل أيضاً علم العربية من كتاب سيبويه وجميع ما كتب عليه وطرق البصريين والكوفيين والبغداديين والاندلسيين من بعدهم وطرق المتقدمين والمتأخرين مثل ابن الحاجب وابن مالك وجميع ما كتب في ذلك كيف يطالب به المتعلم وينقضي عمره دونه ولا يطعم أحد في الغاية منه إلا في القليل النادر مثل ما وصل إلينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من أهل صناعة العربية من أهل مصر يعرف بابن هاشم ظهر من كلامه فيها أنه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل إلا لسيبويه وابن جني وأهل طبقتهم العظمى بمكته وما أحاط به من أصول ذلك الفن وتفاريعه وحسن تصرفه فيه ودل على أن الفضل ليس مختصراً في المتقدمين سيما مع ما قدمناه من كثرة الشواغب بتعدد المذاهب والطرق والتأليف ولكن فضل الله بؤتيه من يشاء وهذا نادر من نوادر الوجود والأفاظ أظهر أن المتعلم ولو قطع عمره في هذا كله فلا يفي له بتحصيل علم العربية مثلاً الذي هو آلة من الآلات وسيلة فكيف يكون في المقصود الذي هو الثمرة ولكن الله يهدي من يشاء

### الفصل الثامن والعشرون

في ان كثرة الاختصارات المولفة في العلوم مخلة بالتعليم ذهب كثير من المتأخرين إلى اختصار الطرق والأبحاث في العلوم يولعون بها ويدونون منها بزائجا مختصراً في كل علم يشتمل على حصر مسائله وأدلتها باختصار في الألفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن وصار ذلك مخلاً بالبلغة وعسراً على الفهم وربما عمدوا إلى الكتب الأمهات المطولة في الفنون للتفسير والبيان فأختصروها تقريباً الخنط كما فعله ابن الحاجب في الفقه وابن مالك في العربية وأخونجي في المنطق وأمثالهم وهو فساد في التعليم وفيه إخلال بالتحصيل وذلك لأن فيه تخليطاً على المبتديء بالقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم كما سيأتي ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم باتباع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل

مِنْ بَيْنَهَا لِأَنَّ الْفَاطَ الْمُخْتَصِرَاتِ تَجِدُهَا لِأَجْلِ ذَلِكَ صَعَمَةً عَوِيصَةً فَيَنْقَطِعُ فِي فَهْمِهَا حَظُّ  
صَالِحٍ عَنِ الْوَقْتِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ فَالْمَلَكَةُ الْحَاصِلَةُ مِنَ التَّعْلِيمِ فِي تِلْكَ الْمُخْتَصِرَاتِ إِذَا  
تَمَّ عَلَى سَدَادِهِ وَلَمْ تَعْقِبْهُ أَقْفَةٌ فِيهِ مَلَكَةٌ قَاصِرَةٌ عَنِ الْمَلَكَاتِ الَّتِي تَحْصُلُ مِنَ  
الْمَوْضُوعَاتِ الْبَسِيطَةِ الْمَطْوَلَةِ بِكَثْرَةِ مَا يَقَعُ فِي تِلْكَ مِنَ التَّكْرَارِ وَالْإِحْوَاطِ الْمَفِيدِينَ  
لِحُصُولِ الْمَلَكَةِ التَّامَّةِ وَإِذَا افْتَصَّرَ عَلَى التَّكْرَارِ فَصَّرَتِ الْمَلَكَةُ لِقَلْبِهِ كَشَانَ  
هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ الْمُخْتَصِرَةَ فَقَصَدُوا إِلَى تَسْهِيلِ الْخُطْبِ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ فَأَرَكُوهُمْ صَعْبًا  
يَقْطَعُهُمْ عَنِ تَحْصِيلِ الْمَلَكَاتِ النَّافِعَةِ وَتَمَكَّنَهَا وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ  
يُضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل التاسع والعشرون

في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته

اعْلَمَنَّ أَنَّ تَلْقِينَ الْعُلُومِ لِلْمُتَعَلِّمِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مَفِيدًا إِذَا كَانَ عَلَى النَّدْرِ بِحِجِّ شَيْئًا  
فَشَيْئًا وَقَلِيلًا قَلِيلًا يُلْقَى عَلَيْهِ أَوَّلًا مَسَائِلُ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْفَنِّ هِيَ أُصُولُ ذَلِكَ الْبَابِ  
وَيُقَرَّبُ لَهُ فِي شَرْحِهَا عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ وَيُرَاعَى فِي ذَلِكَ قُوَّةَ عَقْلِهِ وَأَسْتَعْدَادَهُ لِقَبُولِ  
مَا يَرِدُ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ وَعِنْدَ ذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ مَلَكَةٌ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ  
إِلَّا أَنَّهَا جُزْئِيَّةٌ وَضَعِيفَةٌ وَعَايَتُهَا أَنَّهَا هِيَ أَيْهَا لِفَهْمِ الْفَنِّ وَتَحْصِيلِ مَسَائِلِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ  
إِلَى الْفَنِّ ثَانِيَةً فَيَرْفَعُهُ فِي التَّلْقِينَ عَنِ تِلْكَ الرَّثْبَةِ إِلَى أَعْلَى مِنْهَا وَيَسْتَوْفِي الشَّرْحَ  
وَالْبَيَانَ وَيَخْرُجُ عَنِ الْإِجْمَالِ وَيَذْكَرُ لَهُ مَا هُنَالِكَ مِنَ الْخِلَافِ وَوَجْهِهِ إِلَى أَنْ  
يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ فَتَجُودُ مَلَكَتُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ وَقَدْ شَدَّ فَلَا يَتْرُكُ عَوِيصًا وَلَا مِمْسًا  
وَلَا مَغْلَقًا إِلَّا وَضَحَهُ وَفَتَحَ لَهُ مَقْفَلَهُ فَيَخْلُصُ مِنَ الْفَنِّ وَقَدْ اسْتَوْلى عَلَى مَلَكَتِهِ هَذَا  
وَجْهَ التَّعْلِيمِ الْمَفِيدِ وَهُوَ كَمَا رَأَيْتَ إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي ثَلَاثِ تَكَرُّرَاتٍ وَقَدْ يَحْصُلُ لِلْبَعْضِ  
فِي أَقَلِّ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يَخْتَلِقُ لَهُ وَيَتَيَسَّرُ عَلَيْهِ وَقَدْ شَاهَدْنَا كَثِيرًا مِنَ الْمُعَلِّمِينَ  
لِهَذَا الْعَهْدِ الَّذِي أَدْرَكْنَا يَجْهَلُونَ طُرُقَ التَّعْلِيمِ وَإِفَادَاتِهِ وَيَحْضُرُونَ لِلتَّعْلِيمِ فِي أَوَّلِ  
تَعْلِيمِهِ الْمَسَائِلَ الْمُقْفَلَةَ مِنَ الْعِلْمِ وَيُطَابُونَهُ بِإِحْضَارِ ذَهْنِهِ فِي حَالِهَا وَيَحْسِبُونَ ذَلِكَ  
مِرَانًا عَلَى التَّعْلِيمِ وَصَوَابًا فِيهِ وَيُكَلِّفُونَهُ رَعِي ذَلِكَ وَتَحْصِيلَهُ وَيَخْطُونَ عَلَيْهِ بِمَا يَقُونَ  
لَهُ مِنْ غَايَاتِ الْفَنُونِ فِي مَبَادِيهَا وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِفَهْمِهَا فَإِنَّ قَبُولَ الْعِلْمِ وَالْإِسْتَعْدَادَاتِ

لَفَهْمِهِ تَنْشَأُ تَدْرِيجًا وَيَكُونُ الْمُتَعَلِّمُ أَوَّلَ الْأَمْرِ عَاجِزًا عَنِ الْفَهْمِ بِالْجُمْلَةِ إِلَّا فِي الْأَقْلِ  
وَعَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ وَالْإِجْمَالِ وَالْأَمْثَالِ الْحَسِيَّةِ ثُمَّ لَا يَزَالُ الْأَسْتَعْدَادُ فِيهِ  
يَتَدَرَّجُ قَلِيلًا قَلِيلًا بِمُخَالَفَةِ مَسَائِلِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَتَكَرُّرِهَا عَلَيْهِ وَالْأَسْتَعْدَادُ ثُمَّ فِي  
التَّخْصِيلِ وَيُحِيطُ هُوَ بِمَسَائِلِ الْفَنِّ وَإِذَا أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْغَايَاتُ فِي الْبِدَائِ وَهُوَ حِينئِذٍ  
عَاجِزٌ عَنِ انْفَهْمِهَا وَالْوَعْيِ وَبَعِيدٌ عَنِ الْأَسْتَعْدَادِ لَهُ كُلُّ ذَهْنُهُ عَنْهَا وَحَسِبَ ذَلِكَ مِنْ  
صُعُوبَةِ الْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ فَتَكَاسَلَ عَنْهُ وَأُخْرَفَ عَنْ قَبُولِهِ وَتَمَادَى فِي هُجْرَانِهِ وَإِنَّمَا آتَى  
ذَلِكَ مِنْ سُوءِ التَّعْلِيمِ وَلَا يَنْبَغِي لِلدُّعَلَمِ أَنْ يَزِيدَ مُتَعَلِّمَهُ عَلَى فِهْمِ كِتَابِهِ الَّذِي أَكَبَّ  
عَلَى التَّعْلِيمِ مِنْهُ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ قَبُولِهِ لِلتَّعْلِيمِ مُبْتَدِئًا كَانَ أَوْ مُتَمَرِّبًا وَلَا يَخْطُ  
مَسَائِلَ الْكِتَابِ بغيرِهَا حَتَّى يَبْعَثَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَيُحْصِلُ أَغْرَاضَهُ وَيَسْتَوْجِبُ مِنْهُ  
عَلَى مَلَكَتِهَا يَنْفَعُ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا حَصَلَ مَلَكَتَهُ مَا فِي عِلْمِهِ مِنَ الْعُلُومِ  
أَسْتَعَدَّ بِهَا لِقَبُولِ مَا بَقِيَ وَحَصَلَ لَهُ نَشَاطٌ فِي طَلَبِ الْمَزِيدِ وَالنُّهُوسِ إِلَى مَا فَوْقَ حَتَّى  
يَسْتَوْجِبُ عَلَى غَايَاتِ الْعِلْمِ وَإِذَا خَاطَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ عَجِزَ عَنِ الْفَهْمِ وَأَدْرَكَهُ الْكِلَالُ  
وَأَنْظَمَ سَ فِكْرَهُ وَبَيَّسَ مِنَ التَّخْصِيلِ وَهَجَرَ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَكَذَلِكَ  
يَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تَطُولَ عَلَى الدُّعَلَمِ فِي الْفَنِّ الْوَاحِدِ بِتَفْرِيقِ الْجِبَالِسِ وَتَقْطِيعِ مَا  
بَيْنَهَا لِأَنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى النَّسِيَانِ وَأَنْقِطَاعِ مَسَائِلِ الْفَنِّ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فَيَعْسُرُ حُصُولُ  
الْمَلَكَتِ بِتَفْرِيقِهَا وَإِذَا كَانَتْ أَوَائِلُ الْعِلْمِ وَأَوَاخِرُهُ حَاضِرَةً عِنْدَ الذِّكْرَةِ مُجَانِبَةً  
لِلنَّسِيَانِ كَانَتْ الْمَلَكَتُ أَيْسَرَ حُصُولًا وَأَحْكَمَ أَرْبَابًا وَأَقْرَبَ صِبْغَةً لِأَنَّ الْمَلَكَاتِ  
إِنَّمَا تَحْصُلُ بِتَتَابُعِ الذِّعْلِ وَتَكَرُّرِهِ وَإِذَا تَنَوَّسِي الذِّعْلُ تَنَوَّسِيَتِ الْمَلَكَتُ النَّاشِئَةُ عَنْهُ  
وَاللَّهُ عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ وَمِنْ الْمَذَاهِبِ الْجَمِيلَةِ وَالطَّرِيقِ الْوَاجِبَةِ فِي  
التَّعْلِيمِ أَنْ لَا يَخْطُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ عِلْمَانُ مَعًا فَإِنَّهُ حِينئِذٍ قَلَّ أَنْ يَظْفَرَ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَا  
فِيهِ مِنْ تَفْسِيمِ الْبَالِ وَأَنْصِرَفِهِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى تَفْهَمِ الْآخَرِ فَيَسْتَعْلِقَانِ مَعًا  
وَيَسْتَصْعَبَانِ وَيَعُودُ مِنْهُمَا بِالْخَبِيَةِ وَإِذَا تَفَرَّغَ الْفِكْرُ لِلتَّعْلِيمِ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مُقْتَصِرًا عَلَيْهِ  
قَرُبَمَا كَانَ ذَلِكَ أَجْدَرَ لِتَخْصِيلِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُؤْتَفِقُ لِلصَّوَابِ وَأَعْلَمُ أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُ  
أَنِّي أُخَفِّكُ بِقَائِدَةٍ فِي تَعْلَمِكَ فَإِنْ تَلَقَّيْتَهَا بِالْقَبُولِ وَأَمْسَكْتَهَا بِيَدِ الصَّنَاعَةِ ظَفَرْتَ  
بِكَنْزٍ عَظِيمٍ وَذَخِيرَةٍ شَرِيفَةٍ وَأَقْدَمُ لَكَ مُقَدِّمَةٌ تَعِينُكَ فِي فَهْمِهَا وَذَلِكَ أَنَّ الْفِكْرَ

الْإِنْسَانِيَّةَ طَبِيعَةً مَخْصُوصَةً فَطَرَهَا اللَّهُ كَمَا فَطَرَ سَائِرَ مُبْتَدِعَاتِهِ وَهُوَ وَجَدَانُ حَرَكَةٍ لِلنَّفْسِ  
 فِي الْبَطْنِ الْأَوْسَطِ مِنَ الدِّمَاغِ تَارَةً يَكُونُ مَبْدَأًا لِلأَفْعَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَلَى نِظَامٍ وَتَرْتِيبٍ  
 وَتَارَةً يَكُونُ مَبْدَأًا لِعِلْمٍ مَا لَمْ يَكُنْ حَاصِلًا بِأَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَطْلُوبِ وَقَدْ يَصُورُ طَرَفِيَّةً  
 يَرُومُ نَيْتَهُ أَوْ إِبْتَاهَهُ فَيُلَوِّحُ لَهُ الْوَسْطَ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا أَسْرَعَ مِنْ لَمَحِ الْبَصَرِ إِنْ  
 كَانَ وَاحِدًا أَوْ يَنْتَقِلُ إِلَى تَحْصِيلِ آخَرَ إِنْ كَانَ مُتَعَدِّدًا وَيَصِيرُ إِلَى الظَّنِّ بِمَطْلُوبِهِ  
 هَذَا شَأْنٌ هَذِهِ الطَّبِيعَةُ الْفِكْرِيَّةُ الَّتِي تَمَيَّزُ بِهَا الْبَشَرُ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ ثُمَّ الصَّنَاعَةُ  
 الْمَنْطِقِيَّةُ هِيَ كَيْفِيَّةُ فِعْلِ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ النَّظَرِيَّةِ تَصْنَعُهُ لِتَعْلَمَ سَدَادَةَ مِنْ خَطَائِهِ  
 وَأَنْبَأَ وَإِنْ كَانَ الصَّوَابُ لَهَا ذَاتِيًّا إِلَّا أَنَّهُ قَدْ بَعِثَ لَهَا الْخَطَأَ فِي الْأَوَّلِ مِنْ تَصَوُّرِ  
 الطَّرْفَيْنِ عَلَى غَيْرِ ضَرْمَتِهِمَا مِنْ أَشْتَبَاهِ الْهَيْئَاتِ فِي نِظْمِ الْقَضَايَا وَتَرْتِيبِهَا لِلنِّتَاجِ فَتُعَيِّنُ  
 الْمَنْطِقُ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ وَرْطَةِ هَذَا الْفَسَادِ إِذَا عَرَّضَ فَالْمَنْطِقُ إِذَا أَمَرَ صِنَاعِيًّا مُسَاقِمًا  
 لِلطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَمَنْطِقِيًّا عَلَى صُبْرَةٍ فِعْلِيًّا وَلِكُونِهِ أَمْرًا صِنَاعِيًّا اسْتغْنَى عَنْهُ فِي الْأَكْثَرِ  
 وَأَمَّا كَثِيرًا مِنْ فِعْوَ النَّظَارِ فِي الْخَلِيقَةِ يَحْضُرُونَ عَلَى الْمَطْلَبِ فِي الْعُلُومِ دُونَ  
 صِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ وَلَا سِيَّامَا مَعَ صِدْقِ النِّيَّةِ وَالنَّعْزُضِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ مَعْنَى  
 وَيَسْأَلُونَ بِالطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ عَلَى سَدَادَتِهَا فَيُفْضِي بِالطَّبَعِ إِلَى حُصُولِ الْوَسْطِ وَالْعِلْمِ  
 بِالْمَطْلُوبِ كَمَا فَطَرَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ ثُمَّ مِنْ دُونِ هَذَا الْأَمْرِ الصِّنَاعِيِّ الَّذِي هُوَ الْمَنْطِقُ  
 مُقَدِّمَةٌ أُخْرَى مِنَ التَّعْلِيمِ وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْأَلْفَاظِ وَدَلَالَتِهَا عَلَى الْمَعَانِي الذَّهْنِيَّةِ تَرُدُّهَا مِنْ  
 مَشَافَهَةِ الرُّسُومِ بِالْكِتَابِ وَمَشَافَهَةِ اللِّسَانِ بِالْخَطِّابِ فَلَا يَدْرِيهَا الْمُتَعَلِّمُ مِنْ مَجَاوَزَتِكَ  
 هَذِهِ الْحُجْبُ كُلُّهَا إِلَى الْفِكْرِ فِي مَطْلُوبِكَ فَأَوْلَى دَلَالَةَ الْكِتَابَةِ الْمَرْسُومَةِ عَلَى الْأَلْفَاظِ  
 الْمَقُولَةِ وَهِيَ أَخْفَى ثُمَّ دَلَالَةَ الْأَلْفَاظِ الْمَقُولَةِ عَلَى الْمَعَانِي الْمَطْلُوبَةِ ثُمَّ الْقَوَائِدِ فِي تَرْتِيبِ  
 الْمَعَانِي لِلِاسْتِدْلَالِ فِي قَوَائِمِهَا الْمَعْرُوفَةِ فِي صِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ ثُمَّ تِلْكَ الْمَعَانِي مُجَرَّدَةٌ فِي  
 الْفِكْرِ اشْتِرَاطًا يَقْتَضِي بِهَا الْمَطْلُوبُ بِالطَّبِيعَةِ الْفِكْرِيَّةِ بِالنَّعْزُضِ لِرَحْمَةِ اللَّهِ وَمَوَاهِبِهِ  
 وَلَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَتَجَاوَزُ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ بِسُرْعَةٍ وَلَا يَقْطَعُ هَذِهِ الْحُجْبُ فِي التَّعْلِيمِ بِسَهُولَةٍ  
 بَلْ رُبَّمَا وَقَفَ الذَّهْنُ فِي حُجْبِ الْأَلْفَاظِ بِالْمُنَاقَشَاتِ أَوْ عَثَرَ فِي اشْتِرَاكِ الْأَدَلَّةِ بِشَغْبِ  
 الْجِدَالِ وَالثُّبُهَاتِ وَقَعَدَ عَنْ تَحْصِيلِ الْمَطْلُوبِ وَلَمْ يَكْدِ يَتَخَلَّصُ مِنْ تِلْكَ الْعَمْرَةِ إِلَّا  
 قَلِيلٌ مِمَّنْ هَدَاهُ اللَّهُ فَإِذَا أَبْثَلْتَ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَعَرَّضَ لَكَ أَرْبَابُكَ فِي فَهْمِكَ أَوْ

تَسْعِيْبُ الشُّبُهَاتِ فِي ذَهْنِكَ فَاطْرَحْ ذَلِكَ وَانْتَبِذْ حُجْبَ الْأَلْفَاظِ وَعَوَاقِبَ الشُّبُهَاتِ  
وَأَتْرِكْ الْأَمْرَ الصَّنَاعِيَّ جُمْلَةً وَأَخْلُصْ إِلَى فِضَاءِ الْفِكْرِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي فَطَرَتْ عَلَيْهِ  
وَسَرَحَ نَظْرَكَ فِيهِ وَقَرَّخْ ذَهْنَكَ فِيهِ لِلْغَوْصِ عَلَى زَمَانِكَ مِنْهُ وَاضْعًا لَهَا حَيْثُ وَضَعَهَا  
أَكْبَارُ النَّظَارِ قَبْلَكَ مُسْتَعْرِضًا لِلْفَتْحِ مِنْ اللَّهِ كَمَا فَتَحَ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَهْنِهِمْ مِنْ رَحْمَتِهِ  
وَعَلَّمَهُمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أَشْرَقَتْ عَلَيْكَ أَنْوَارُ الْفَتْحِ مِنْ اللَّهِ  
بِالظَّفْرِ بِطُلُوبِكَ وَحَصَلَ الْإِمَامُ الْوَسْطُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ مُفْتَضِيَاتِ هَذَا الْفِكْرِ  
وَنَظَرِهِ عَلَيْهِ كَمَا قُلْنَا هُ وَحِينَئِذٍ فَارْجِعْ بِهِ إِلَى قَوَالِبِ الْأَدَلَّةِ وَصُورِهَا فَأَفْرِغْ فِيهَا  
وَوَفِّهِ حَقَّهُ مِنَ الْقَانُونِ الصَّنَاعِيِّ ثُمَّ أَكْسِهِ صُورَ الْأَلْفَاظِ وَأَبْرِزْهُ إِلَى عَالِمِ الْخَطَابِ  
وَالْمُشَاهَدَةِ وَثَبِّتِ الْعُرَى صَوِيحِ الْبَيَانِ وَأَمَّا إِنْ وَقَفْتَ عِنْدَ الْمُنَاقَشَةِ وَالشُّبُهَةِ فِي الْأَدَلَّةِ  
الصَّنَاعِيَّةِ وَتَمَحَّيْصِ صَوَابِهَا مِنْ خَطَايَاهَا وَهَدْيِهِ أُمُورٌ صِنَاعِيَّةٌ وَضَعِيَّةٌ تَسْتَوِي جِهَاتِهَا  
الْمُتَعَدِّدَةَ وَتَشَابُهَ لِأَجْلِ الْوَضْعِ وَالْإِضْطِلَاحِ فَلَا تَتَمَيَّزُ جِهَةٌ الْحَقِّ مِنْهَا إِذْ جِهَةٌ  
الْحَقِّ إِنَّمَا تَسْتَبِينُ إِذَا كَانَتْ بِالطَّبِيعِ فَيَسْتَمِرُّ مَا حَصَلَ مِنَ الشُّكِّ وَالْإِزْتِيَابِ وَتَسُدُّ  
الْحُجْبَ عَلَى الْمَطْلُوبِ وَتَقْعُدُ بِالنَّظَرِ عَنْ تَحْصِيلِهِ وَهَذَا شَأْنُ الْأَكْثَرِينَ مِنَ النَّظَارِ  
وَالْمُتَأَخِّرِينَ سِيَمَا مَنْ سَبَقَتْ لَهُ عَجْمَةٌ فِي لِسَانِهِ فَرَبَطَتْ عَنْ ذَهْنِهِ وَمَنْ حَصَلَ لَهُ شُغْبٌ  
بِالْقَانُونِ الْمَنْطِقِيِّ تَعَصَّبَ لَهُ فَأَعْتَقَدَ أَنَّهُ الذَّرِيعَةُ إِلَى إِدْرَاكِ الْحَقِّ بِالطَّبِيعِ فَيَقَعُ فِي  
الْحَبْرَةِ بَيْنَ شُبُهَةِ الْأَدَلَّةِ وَشُكُوكِهَا وَلَا يَكَادُ يَخْلُصُ مِنْهَا وَالذَّرِيعَةُ إِلَى إِدْرَاكِ الْحَقِّ  
بِالطَّبِيعِ إِنَّمَا هُوَ الْفِكْرُ الطَّبِيعِيُّ كَمَا قُلْنَا إِذَا جَرَّدَ عَنْ جَمِيعِ الْأَوْهَامِ وَتَعَرَّضَ لِلنَّظَرِ  
فِيهِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمَّا الْمَنْطِقُ فَإِنَّمَا هُوَ وَاصِفٌ لِنَعْلِ هَذَا الْفِكْرِ فَيَسَاوِفُهُ  
فِي الْأَكْثَرِ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ وَاسْتَمِطِرْ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى مَتَى أَعُوذُكَ فَهَمُّ الْمَسَائِلِ  
تُشْرِقُ عَلَيْكَ أَنْوَارُهُ بِالْإِلْهَامِ إِلَى الصَّوَابِ وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى رَحْمَتِهِ وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا  
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

### الفصل الثلاثون

في ان العلوم الالهية لا توسع فيها الانظار ولا تفرع المسائل  
اعلم ان العلوم المتعارفة بين اهل العمران على صنفين علوم مقصودة بالذات  
كالمشروعات من التفسير والحديث والفقه وعلم الكلام وكالطبيعيات والالهيات

مِنَ الْفَلْسَفَةِ وَعُلُومٍ هِيَ وَسِيلَةٌ أَيْلَهُ هَذِهِ الْعُلُومُ كَالْعَرَبِيَّةِ وَالْحِسَابِ وَغَيْرِهِمَا لِلشَّرْعِيَّاتِ  
 كَالْمَنْطِقِ لِلْفَلْسَفَةِ وَرُبَّمَا كَانَ اللَّهُ لِعِلْمِ الْكَلَامِ وَإِصُولِ الْفِقْهِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُتَأَخَّرِينَ  
 فَأَمَّا الْعُلُومُ الَّتِي هِيَ مَقَاصِدُ فَلَا حَرَجَ فِي تَوْسِعَةِ الْكَلَامِ فِيهَا وَتَفْرِيعِ الْمَسَائِلِ  
 وَاسْتِكْشَافِ الْأَدَلَّةِ وَالْأَنْظَارِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ طَالِبَهَا تَمَكُّمًا فِي مَلَكَتِهِ وَإِيضًا حَافَا  
 لِمَعَانِيهَا الْمَقْصُودَةِ وَأَمَّا الْعُلُومُ الَّتِي هِيَ آلَةٌ لِغَيْرِهَا مِثْلَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْمَنْطِقِ وَأَمْثَالِهَا فَلَا  
 يَنْبَغِي أَنْ يُنْظَرَ فِيهَا إِلَّا مِنْ حَيْثُ هِيَ آلَةٌ لِذَلِكَ الْغَيْرِ فَقَطْ وَلَا يَوْسَعُ فِيهَا الْكَلَامُ وَلَا  
 تُفْرَعُ الْمَسَائِلُ لِأَنَّ ذَلِكَ مُخْرَجٌ لَهَا عَنِ الْمَقْصُودِ إِذَا الْمَقْصُودُ مِنْهَا مَا هِيَ آلَةٌ لَهُ لَا غَيْرُ  
 فَكَلَّمَا خَرَجَتْ عَنِ ذَلِكَ خَرَجَتْ عَنِ الْمَقْصُودِ وَصَارَ الْأَشْغَالُ بِهَا لِعَوَامِعَ مَا فِيهِ  
 مِنْ صُعُوبَةٍ أَحْصُولٌ عَلَى مَلَكَتِهَا بِطَوْلِهَا وَكَثْرَةِ فُرُوعِهَا وَرُبَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ عَائِقًا عَنِ  
 تَحْصِيلِ الْعُلُومِ الْمَقْصُودَةِ بِالذَّاتِ لِطَوْلِ وَسَائِلِهَا مَعَ أَنَّ شَأْنَهَا أَهْمٌ وَالْعُمُرُ يَقْصُرُ عَنِ  
 تَحْصِيلِ الْجَمِيعِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ فَيَكُونُ الْأَشْغَالُ بِهَذِهِ الْعُلُومِ الْآلِيَّةِ تَضْيِيعًا لِلْعُمُرِ  
 وَشُغْلًا بِمَا لَا يَبْنِي وَهَذَا كَمَا فَعَلَ الْمُتَأَخَّرُونَ فِي صِنَاعَةِ النُّحُودِ وَصِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ وَأُصُولِ  
 الْفِقْهِ لِأَنَّهُمْ أَوْسَعُوا دَائِرَةَ الْكَلَامِ فِيهَا وَأَكْثَرُوا مِنَ التَّفَارِيعِ وَالِاسْتِدْلالاتِ بِمَا  
 أَخْرَجَهَا عَنِ كَوْنِهَا آلَةً وَصَبَّرَهَا مِنَ الْمَقَاصِدِ وَرُبَّمَا يَقَعُ فِيهَا أَنْظَارٌ لَا حَاجَةَ بِهَا فِي  
 الْعُلُومِ الْمَقْصُودَةِ فِيهِ مِنْ نَوْعِ اللَّغْوِ وَهِيَ أَيْضًا مُضِرَّةٌ بِالْمُتَعَلِّمِينَ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِأَنَّ  
 الْمُتَعَلِّمِينَ أَهْتَمَّامُهُمْ بِالْعُلُومِ الْمَقْصُودَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَهْتَمَّامِهِمْ بِوَسَائِلِهَا فَإِذَا قَطَعُوا  
 الْعُمُرَ فِي تَحْصِيلِ الْوَسَائِلِ فَحَتَّى يَنْظُرُونَ بِالْمَقَاصِدِ فَلِهَذَا يَجِبُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِينَ لِهَذِهِ  
 الْعُلُومِ الْآلِيَّةِ أَنْ لَا يَسْتَجِرُّوا فِي شَأْنِهَا وَيُنْبِهُوا الْمُتَعَلِّمَ عَلَى الْغَرَضِ مِنْهَا وَيَقْفُوا بِهِ عِنْدَهُ  
 فَمَنْ تَزَعَّتْ بِهِ هِمَّتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ التَّوَعُّلِ فَلْيَبْرُقْ لَهُ مَا شَاءَ مِنَ الْمَرَاقِي صَعْبًا  
 أَوْ سَهْلًا وَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ

### الفصل الواحد والثلاثون

فِي تَعْلِيمِ الْوِلْدَانِ وَاخْتِلَافِ مَذَاهِبِ الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي طَرِيقِهِ  
 اعْلَمْ أَنَّ تَعْلِيمَ الْوِلْدَانِ لِلْقُرْآنِ شِعَارُ الدِّينِ أَخَذَ بِهِ أَهْلُ الْمِلَّةِ وَدَرَجُوا عَلَيْهِ  
 فِي جَمِيعِ أَمْصَارِهِمْ لِمَا يَسْبِقُ فِيهِ إِلَى الْقُلُوبِ مِنْ رُسُوحِ الْإِيمَانِ وَعَقَائِدِهِ مِنْ  
 آيَاتِ الْقُرْآنِ وَبَعْضِ مُتُونِ الْأَحَادِيثِ وَصَارَ الْقُرْآنُ أَصْلَ التَّعْلِيمِ الَّذِي يَنْبَغِي عَلَيْهِ

مَا يَحْصُلُ بَعْدَ مِنَ الْمَلَكَاتِ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ التَّعْلِيمَ فِي الصَّغَرِ أَشَدُّ رُسُوخًا وَهُوَ  
 أَصْلٌ لِمَا بَعْدَهُ لِأَنَّ السَّابِقَ الْأَوَّلَ لِلْقُلُوبِ كَالْأَسَاسِ لِلْمَلَكَاتِ وَعَلَى حَسَبِ الْأَسَاسِ  
 وَأَسَالِيهِ يَكُونُ حَالٌ مِنْ يَبْنِي عَلَيْهِ وَاخْتَلَفَتْ طُرُقُهُمْ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ لِلْوِلْدَانِ  
 بِاخْتِلَافِهِمْ بِاعْتِبَارِ مَا يَنْشَأُ عَنْ ذَلِكَ التَّعْلِيمِ مِنَ الْمَلَكَاتِ فَأَمَّا أَهْلُ الْمَغْرِبِ  
 فَمَدَّهِبُهُمْ فِي الْوِلْدَانِ الْأَفْتِصَارَ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ فَقَطُّ وَأَخَذَهُمْ أَثْنَاءَ الْمُدَارَسَةِ  
 بِالرَّسْمِ وَمَسَائِلِهِ وَاخْتِلَافِ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ فِيهِ لَا يَخْلُطُونَ ذَلِكَ بِسِوَاهُ فِي شَيْءٍ مِنْ  
 مَجَالِسِ تَعْلِيمِهِمْ لِأَمِنْ حَدِيثٍ وَلَا مِنْ فَهْمٍ وَلَا مِنْ شِعْرِ وَلَا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَى أَنْ  
 يَحْذِقَ فِيهِ أَوْ يَنْقَطِعَ دُونَهُ فَيَكُونُ انْقِطَاعُهُ فِي الْغَالِبِ انْقِطَاعًا عَنِ الْعِلْمِ بِالْجُمْلَةِ وَهَذَا  
 مَذْهَبُ أَهْلِ الْأَمْصَارِ بِالْمَغْرِبِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ قُرَى الْبَرْبَرِ أُمَّةٍ الْمَغْرِبِ فِي وِلْدَانِهِمْ  
 إِلَى أَنْ يُجَاوِزُوا حَدَّ الْبُلُوغِ إِلَى الشَّيْبَةِ وَكَذَا فِي الْكَبِيرِ إِذَا رَجَعَ مُدَارَسَةَ الْقُرْآنِ  
 بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنْ عُمُرِهِ فَهُمْ لِذَلِكَ أَقْوَمُ عَلَى رَسْمِ الْقُرْآنِ وَحِفْظِهِ مِنْ سِوَاهُمْ وَأَمَّا أَهْلُ  
 الْأَنْدَلُسِ فَمَدَّهِبُهُمْ تَعْلِيمَ الْقُرْآنِ وَالْكِتَابِ مِنْ حَيْثُ هُوَ وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُرَاعُونَهُ فِي  
 التَّعْلِيمِ إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْقُرْآنُ أَصْلَ ذَلِكَ وَأَسَسَهُ وَمَنْبَعَ الدِّينِ وَالْعُلُومِ جَعَلُوهُ أَصْلًا  
 فِي التَّعْلِيمِ فَلَا يَقْتَصِرُونَ لِذَلِكَ عَلَيْهِ فَقَطُّ بَلْ يَخْلُطُونَ فِي تَعْلِيمِهِمْ الْوِلْدَانَ رِوَايَةَ الشَّعْرِ  
 فِي الْغَالِبِ وَالتَّرْسُلَ وَأَخَذَهُمْ بِقَوَانِينِ الْعَرَبِيَّةِ وَحَنْظَهَا وَتَجْوِيدِ الْخَطِّ وَالْكِتَابِ وَلَا  
 تَخْتَصُّ عِنَايَتَهُمْ فِيهِ بِالْخَطِّ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِهَا إِلَى أَنْ يُخْرَجَ الْوَلَدُ مِنْ عُمُرِ الْبُلُوغِ إِلَى  
 الشَّيْبَةِ وَقَدْ شَدَّ بَعْضُ الشَّيْءِ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَالشَّعْرِ وَالبَصْرِ بِهِمَا وَبَرَزَ فِي الْخَطِّ وَالْكِتَابِ  
 وَتَعَلَّقَ بِأَذْيَالِ الْعِلْمِ عَلَى الْجُمْلَةِ لَوْ كَانَ فِيهَا سَنَدُ تَعْلِيمِ الْعُلُومِ لَكِنَّهُمْ يَنْقَطِعُونَ عَنْ  
 ذَلِكَ لِانْقِطَاعِ سَنَدِ التَّعْلِيمِ فِي أَفَاقِهِمْ وَلَا يَحْصُلُ بِأَيْدِيهِمْ إِلَّا مَا حَصَلَ مِنْ ذَلِكَ  
 التَّعْلِيمِ الْأَوَّلِ وَفِيهِ كِفَايَةُ لِمَنْ أَرشَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَسْتَعْدَادُ إِذَا وَجِدَ الْمُعَلِّمَ وَأَمَّا  
 أَهْلُ أFRِيقَةِ فَيَخْلُطُونَ فِي تَعْلِيمِهِمْ لِلْوِلْدَانِ الْقُرْآنَ بِالْحَدِيثِ فِي الْغَالِبِ وَمُدَارَسَةَ قَوَانِينِ  
 الْعُلُومِ وَتَلْقِينَ بَعْضَ مَسَائِلِهَا إِلَّا أَنَّ عِنَايَتَهُمْ بِالْقُرْآنِ وَأَسْتِنَظَارَ الْوِلْدَانَ إِيَّاهُ وَوُقُوفَهُمْ  
 عَلَى اخْتِلَافِ رِوَايَاتِهِ وَقِرَاءَاتِهِ أَكْثَرَ مِمَّا سِوَاهُ وَعِنَايَتَهُمْ بِالْخَطِّ تَبِعَ لِذَلِكَ وَبِالْجُمْلَةِ  
 فَطَرَبَهُمْ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ أَقْرَبُ إِلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَأَسْتَقْرُوا بِنُوسٍ وَعَنْهُمْ  
 أَخَذَ وِلْدَانُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَشْرِقِ فَيَخْلُطُونَ فِي التَّعْلِيمِ كَذَلِكَ عَلَى مَا بَلَغْنَا

وَلَا أَدْرِي بِمِ عَنَابَتِهِمْ مِنْهَا وَالَّذِي يُنْقَلُ لَنَا أَنَّ عَنَابَتَهُمْ بِدِرَاسَةِ الْقُرْآنِ وَصُحُفِ الْعِلْمِ  
 وَقَوَائِنِهِ فِي زَمَنِ النَّبِيَّةِ وَلَا يُخَالِطُونَ بِتَعْلِيمِ الْخَطِّ بَلْ لِعَلِيمِ الْخَطِّ عِنْدَهُمْ قَانُونٌ  
 وَمُعَلِّمُونَ لَهُ عَلَى أَنْفِرَادِهِ كَمَا نَتَعَلَّمُ سَائِرَ الصَّنَائِعِ وَلَا يَتَدَاوُلُونَهَا فِي مَكَائِبِ الصَّبِيَانِ وَإِذَا  
 كَتَبُوا لَهُمُ الْأَلْوَاحَ فَيُخَطُّ قَاصِرٍ عَنِ الْأَجَادَةِ وَمَنْ أَرَادَ تَعَلَّمَ الْخَطَّ فَعَلَى قَدْرِ مَا يَسْتَسَخِرُ  
 لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْهِمَّةِ فِي طَلَبِهِ وَبِتَبَعِيهِ مِنْ أَهْلِ صَنْعَتِهِ فَأَمَّا أَهْلُ أُفْرِيْقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ  
 فَأَادَهُمُ الْإِقْتِصَارُ عَلَى الْقُرْآنِ الْقُصُورَ عَنِ مَلَكَةِ اللِّسَانِ جُمْلَةً وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا  
 يَنْشَأُ عَنْهُ فِي الْعَالِبِ مَلَكَةٌ لِمَا أَنَّ الْبَشَرَ مَضْرُوفُونَ عَنِ الْإِيْتَانِ بِمِثْلِهِ فِهِمْ مَضْرُوفُونَ  
 لِذَلِكَ عَنِ الْأَسْتِعْمَالِ عَلَى أَسَالِيْبِهِ وَالْإِحْتِدَاءِ بِهَا وَلَيْسَ لَهُمْ مَلَكَةٌ فِي غَيْرِ أَسَالِيْبِهِ  
 فَلَا يَحْضُلُ لِصَاحِبِهِ مَلَكَةٌ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَحِظَةُ الْجُمُودِ فِي الْعِبَارَاتِ وَقِلَّةُ التَّصَرُّفِ  
 فِي الْكَلَامِ وَرُبَّمَا كَانَ أَهْلُ أُفْرِيْقِيَّةَ فِي ذَلِكَ أَخْفَ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ لِمَا يُخَالِطُونَ  
 فِي تَعْلِيمِهِمُ الْقُرْآنَ بِعِبَارَاتِ الْعُلُومِ فِي قَوَائِنِهَا كَمَا قُلْنَا هُ فَيَقْتَدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ  
 التَّصَرُّفِ وَمُحَادَاةِ الْمِثْلِ بِالْمِثْلِ إِلَّا أَنَّ مَا كَتَبْتُمْ فِي ذَلِكَ قَاصِرَةٌ عَنِ الْبَلَاغَةِ كَمَا  
 سَيَأْتِي فِي فَصْلِهِ وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَأَادَهُمُ التَّفَنُّنُ فِي التَّعْلِيمِ وَكَثْرَةُ رَوَايَةِ الشِّعْرِ  
 وَالتَّرْسُلِ وَمُدَارَسَةُ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَوَّلِ الْعُمُرِ حُصُولَ مَلَكَةِ صَارُوا بِهَا أَعْرَفَ فِي  
 اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَقَصُرُوا فِي سَائِرِ الْعُلُومِ لِبُعْدِهِمْ عَنِ مُدَارَسَةِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ  
 أَضَلُّ الْعُلُومِ وَأَسَاسُهَا فَكَانُوا لِذَلِكَ أَهْلَ حِظٍّ وَأَدَبٍ بَارِعٍ أَوْ مُقْصِرٍ عَلَى حَسَبِ مَا  
 يَكُونُ التَّعْلِيمُ الثَّانِي مِنْ بَعْدِ تَعْلِيمِ الصَّبِيِّ وَقَدْ ذَهَبَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ فِي  
 كِتَابِ رِحْلَتِهِ إِلَى طَرِيقَةِ غَرِبَةٍ فِي وَجْهِ التَّعْلِيمِ وَأَعَادَ فِي ذَلِكَ وَابِدًا وَقَدَّمَ تَعْلِيمَ  
 الْعَرَبِيَّةِ وَالشِّعْرِ عَلَى سَائِرِ الْعُلُومِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ قَالَ لِأَنَّ الشِّعْرَ دِيْوَانُ  
 الْعَرَبِ وَيَدْعُو عَلَى تَفْدِيهِهِ وَتَعْلِيمِ الْعَرَبِيَّةِ فِي التَّعْلِيمِ ضَرُورَةٌ فَسَادَ الْأَعْيُنُ ثُمَّ يَنْتَقِلُ مِنْهُ  
 إِلَى الْحِسَابِ فَيَتِمَّرَنُ فِيهِ حَتَّى يَرَى الْقَوَائِنَ ثُمَّ يَنْتَقِلُ إِلَى دَرَسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يَتَبَسَّرُ  
 عَلَيْكَ بِهَذِهِ الْمَقْدِمَةِ ثُمَّ قَالَ وَيَا غَفْلَةَ أَهْلِ بِلَادِنَا فِي أَنْ يُؤْخَذَ الصَّبِيُّ بِكِتَابِ اللَّهِ فِي  
 أَوَامِرِهِ يَقْرَأُ مَا لَا يَفْهَمُ وَيَنْصَبُ فِي أَمْرِ غَيْرِهِ أَهْمٌ مَا عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَنْظُرُ فِي أُصُولِ  
 الدِّينِ ثُمَّ أُصُولِ الْفِقْهِ ثُمَّ الْجَدَلِ ثُمَّ الْحَدِيثِ وَعُلُومِهِ وَنَهَى مَعَ ذَلِكَ أَنْ يُخَالِطَ فِي التَّعْلِيمِ  
 عِلْمَانَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْمُتَعَلِّمُ قَابِلًا لِذَلِكَ بِجُودَةِ الْفَهْمِ وَالنَّشَاطِ هَذَا مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْقَاضِي

أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهُوَ لِعَمْرِي مَذْهَبٌ حَسَنٌ إِلَّا أَنَّ الْعَوَائِدَ لَا تُسَاعِدُ عَلَيْهِ وَهِيَ أَمَلِكُ  
بِالْأَحْوَالِ وَوَجْهِهَا مَا اخْتَصَّتْ بِهِ الْعَوَائِدُ مِنْ تَقَدُّمِ دِرَاسَةِ الْقُرْآنِ إِثَارًا لِلتَّبَرُّكِ وَالنُّوَابِ  
وَخَشْيَةِ مَا يَعْزُضُ لِلوَالِدِ فِي جُنُونِ الصَّبِيِّ مِنَ الْآفَاتِ وَالْقَوَاطِعِ عَنِ الْعِلْمِ فَيَمُوتُهُ الْقُرْآنُ  
لِأَنَّهُ مَا دَامَ فِي الْحَجْرِ مُنْقَادًا لِلْحُكْمِ فَإِذَا تَجَاوَزَ الْبُلُوغَ وَأَتَمَّلَ مِنْ رِبْقَةِ الْقَهْرِ قُرْبَمَا  
عَصَفَتْ بِهِ رِيَّاحُ الشَّبَابِ فَأَلْقَتْهُ بِسَاحِلِ الْبَطَالَةِ فَيَعْتَمِدُونَ فِي زَمَانِ الْعَجْرِ وَرِبْقَةِ  
الْحُكْمِ تَحْصِيلَ الْقُرْآنِ لِمَلَأَ يَدَهُبَ خُلُوعًا مِنْهُ وَلَوْ حَصَلَ الْيَقِينُ بِاسْتِمْرَارِهِ فِي طَلَبِ  
الْعِلْمِ وَقَبُولِهِ التَّعْلِيمَ لَكَانَ هَذَا الْمَذْهَبُ الَّذِي ذَكَرَهُ الْقَاضِي أَوَّلَى مَا أَخَذَ بِهِ أَهْلُ  
الْمَغْرِبِ وَالْمَشْرِقِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُشَاءُ لَا مَعْقِبَ لِلْحُكْمِ

### الفصل الثاني والثلاثون

في ان الشدة على المتعلمين مضره بهم

وَذَلِكَ أَنَّ إِرْهَافَ الْحَدِّ بِالتَّعْلِيمِ مُضِرٌّ بِالتَّعْلِيمِ سِيمَا فِي أَصَاغِرِ الْوَالِدِ لِأَنَّهُ مِنْ سُوءِ  
الْمَمْلَكَةِ وَمَنْ كَانَ مَرْبَاهُ بِالْعَسْفِ وَالْقَهْرِ مِنَ الْمُتَعَلِّمِينَ أَوْ الْمَمَالِكِ أَوْ الْخَدَمِ  
سَطَا بِهِ الْقَهْرُ وَضَيَّقَ عَنِ النَّفْسِ فِي انْبِسَاطِهَا وَذَهَبَ بِنَشَاطِهَا وَدَعَاهُ إِلَى الْكَسَلِ وَحَمَلَ  
عَلَى الْكُذْبِ وَالْحُبْتِ وَهُوَ التَّظَاهُرُ بِغَيْرِ مَا فِي ضَمِيرِهِ خَوْفًا مِنْ انْبِسَاطِ الْأَيْدِي بِالْقَهْرِ  
عَلَيْهِ وَعِلْمُهُ الْمَكْرُ وَالْخُدَيْعَةُ لِلذَّكَ وَصَارَتْ لَهُ هَذِهِ عَادَةً وَخُلُقًا وَفَسَدَتْ مَعَانِي  
الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي لَهُ مِنْ حَيْثُ الْاجْتِمَاعُ وَالتَّمَرُّنُ وَهِيَ الْحَمِيَّةُ وَالْمُدَافَعَةُ عَنِ نَفْسِهِ وَمَنْزِلُهُ  
وَصَارَ عِيَالًا عَلَى غَيْرِهِ فِي ذَلِكَ بَلْ وَكَسَلَتِ النَّفْسُ عَنِ اكْتِسَابِ الْفَضَائِلِ وَالْخُلُقِ  
الْجَمِيلِ فَأَنْقَبَضَتْ عَنْ غَايَتِهَا وَمَدَى إِنْسَانِيَّتِهَا فَأَزْكَسَ وَعَادَ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ وَهَكَذَا  
وَقَعَ لِكُلِّ أُمَّةٍ حَصَلَتْ فِي قَبْضَةِ الْقَهْرِ وَنَالَ مِنْهَا الْعَسْفُ وَأَعْتَبِرُهُ فِي كُلِّ مَنْ يَمْلِكُ  
أَمْرُهُ عَلَيْهِ وَلَا تَكُونُ الْمَمْلَكَةُ الْكَافِلَةَ لَهُ رَفِيقَةً بِهِ وَتَجِدُ ذَلِكَ فِيهِمْ اسْتِقْرَاءً  
وَأَنْظَرُهُ فِي الْيَهُودِ وَمَا حَصَلَ بِذَلِكَ فِيهِمْ مِنْ خُلُقِ السُّوءِ حَتَّى إِنَّهُمْ يُوصَفُونَ فِي كُلِّ  
أَفْقٍ وَعَصْرٍ بِالْحَرَجِ وَمَعْنَاهُ فِي الْأَصْطِلَاحِ الْمَشْهُورِ التَّخَابُثُ وَالْكَيدُ وَسَبَبُهُ مَا قَلْنَاهُ  
فَيَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ فِي مُتَعَلِّمِهِ وَالْوَالِدِ فِي وَلَدِهِ أَنْ لَا يَسْتَبِدَّ عَلَيْهِمَا فِي التَّأْدِيبِ وَقَدْ قَالَ  
مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي كِتَابِهِ الَّذِي أَلْفَهُ فِي حُكْمِ الْمُتَعَلِّمِينَ وَالْمُتَعَلِّمِينَ لَا يَنْبَغِي  
لِمُؤَدِّبِ الصِّبْيَانِ أَنْ يَزِيدَ فِي ضَرْبِهِمْ إِذَا أَحْتَا جُرَا إِلَيْهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَسْوَاطٍ شَيْئًا وَمَنْ

كلام عمر رضي الله عنه من لم يؤد به الشرع لا أدبه الله حرصاً على صون النفوس  
 عن مدلة التأديب وعلماً بأن المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملاك له فإنه أعلم  
 بمصلحته ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لعلم وإله محمد الأمين  
 فقال يا أحمراً إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه فصير يدك عليه  
 منسوبة وطاعته لك واجبة وكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين أقرئه القرآن  
 وعرفه الأخبار ورواه الأشعار وعلّمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدنه وأمنعه  
 من الضحك إلا في أوقاته وخذ به تعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ورفع  
 مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مفتنم كأنه تفيده  
 أيها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ولا تمنع في مسأخته فيستجلي الفراغ ويألفه  
 وقومه ما استطعت بالقرب والألابة فإن أباهما فعليك بالشدّة والعظيمة انتهى

### الفصل الثالث والثلاثون

في ان الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعلم  
 والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما يتحلون به من  
 المذاهب والفضائل تارة علماً وتعليماً وإلقاءً وتارة محاكاةً وتلقيناً بالمباشرة إلا أن  
 حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً فعلى قدر  
 كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها والأصطلاحات أيضاً في تعليم  
 العلوم مخالطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا بدفع عنه  
 ذلك إلا بمباشرة لأختلاف الطرق فيها من المعلمين فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ  
 يفيد تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم  
 أنها أمحاء تعليم وطرق توصل وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في الممكن  
 وتصح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثيرتها  
 من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية  
 فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة  
 الرجال والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

## الفصل الرابع والثلاثون

في ان العلماء من بين البشر ابعد عن السياسة ومذاهبها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ مُعْتَادُونَ النَّظَرَ الْفِكْرِيَّ وَالْعَوَظَ عَلَى الْمَعَانِي وَأَنْبَزَاعَهَا  
 مِنَ الْخُشُوسَاتِ وَتَجَرِيدَهَا فِي الذِّهْنِ أُمُورًا كَلِيَّةً عَامَةً لِيُحْكَمَ عَلَيْهَا بِأَمْرِ الْعُمُومِ  
 لَا بِخُصُوصِ مَادَّةٍ وَلَا شَخْصٍ وَلَا جِيلٍ وَلَا أُمَّةٍ وَلَا صِنْفٍ مِنَ النَّاسِ وَيُطَبِّقُونَ مِنْ بَعْدِ  
 ذَلِكَ الْكَلْبِيَّ عَلَى الْخَارِجِيَّاتِ وَأَيْضًا يَقْسِمُونَ الْأُمُورَ عَلَى أَشْبَاهِهَا وَأَمْثَلِهَا بِمَا أَعْتَادُوهُ  
 مِنَ الْقِيَاسِ الْفَقْهِيِّ فَلَا تَزَالُ أَحْكَامُهُمْ وَأَنْظَارُهُمْ كَمَا فِي الذِّهْنِ وَلَا تُصِيرُ إِلَى  
 الْمُطَابَقَةِ إِلَّا بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ النَّبْحِ وَالنَّظَرِ وَلَا تُصِيرُ بِالْجُمْلَةِ إِلَى الْمُطَابَقَةِ وَإِنَّمَا يَتَفَرَّغُ  
 مَا فِي الْخَارِجِ عَمَّا فِي الذِّهْنِ مِنْ ذَلِكَ كَالْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَإِنَّهَا فُرُوعٌ عَمَّا فِي الْحَفْظِ  
 مِنْ أَدَلَّةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَتَطْبُقُ مُطَابَقَةً مَا فِي الْخَارِجِ لَهَا عَكْسُ الْأَنْظَارِ فِي الْعُلُومِ الْعُقَلْبِيَّةِ  
 الَّتِي تَطْلُبُ فِي صِحَّتِهَا مُطَابَقَتَهَا لِمَا فِي الْخَارِجِ فَهِيَ مُتَعَوِّدُونَ فِي سَائِرِ أَنْظَارِهِمُ الْأُمُورَ الذِّهْنِيَّةَ  
 وَالْأَنْظَارَ الْفِكْرِيَّةَ لَا يَعْزِفُونَ سِوَاهَا وَالسِّيَاسَةَ يَحْتَاجُ صَاحِبُهَا إِلَى مُرَاعَاةِ مَا فِي الْخَارِجِ وَمَا  
 يَلْحَقُهَا مِنَ الْأَحْوَالِ وَيَتَّبِعُهَا فَإِنَّهَا خَفِيَّةٌ وَلَعَلَّ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَا يَمْنَعُ مِنَ الْحَاقِقِ شِبْهِهُ أَوْ  
 مِثَالِ وَيُنَاقِضُ الْكَلْبِيَّ الَّذِي يُحَاوَلُ تَطْبِيقَهُ عَلَيْهَا وَلَا يَقَاسُ شَيْءٌ مِنْ أَحْوَالِ الْعُمَرَانِ عَلَى  
 الْآخِرِ كَمَا اسْتَبْهَأَ فِي أَمْرٍ وَاحِدٍ فَلَعَلَّهُمَا ائْتَلَفَا فِي أُمُورٍ فَتَكُونُ الْعُلَمَاءُ لِأَجْلِ مَا  
 تَعَوَّدُوهُ مِنْ تَعْمِيمِ الْأَحْكَامِ وَقِيَاسِ الْأُمُورِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ إِذَا نَظَرُوا فِي السِّيَاسَةِ  
 أَفْرَعُوا ذَلِكَ فِي قَالِبِ أَنْظَارِهِمْ وَنَوْعِ اسْتِدْلَالِهِمْ فَيَقْعُونَ فِي الْغَلْطِ كَثِيرًا وَلَا  
 يُؤْمِنُ عَلَيْهِمْ وَيَلْحَقُ بِهِمْ أَهْلُ الذِّكَاةِ وَالْكَيْسِ مِنَ أَهْلِ الْعُمَرَانِ لِأَنَّهُمْ يَنْزِعُونَ  
 بِثَقُوبِ أَذْهَانِهِمْ إِلَى مِثْلِ شَأْنِ الْفُقَهَاءِ مِنَ الْعَوَظِ عَلَى الْمَعَانِي وَالْقِيَاسِ وَالْمَحَاكَاةِ  
 فَيَقْعُونَ فِي الْغَلْطِ وَالْعَامِيُّ السَّيِّمُ الطَّبَعِ الْمَتَوَسِّطُ الْكَيْسِ لِقُصُورِ فِكْرِهِ عَنِ ذَلِكَ  
 وَعَدَمِ اعْتِبَادِهِ إِيَّاهُ بِقِتْصُرِ لِكُلِّ مَادَّةٍ عَلَى حُكْمِهَا وَفِي كُلِّ صِنْفٍ مِنَ الْأَحْوَالِ  
 وَالْأَشْخَاصِ عَلَى مَا أَخْصَصَ بِهِ وَلَا يَبْدِي الْحُكْمَ بِقِيَاسٍ وَلَا تَعْمِيمٍ وَلَا يَفَارِقُ فِي أَكْثَرِ  
 نَظَرِهِ الْمَوَادَّ الْخُشُوسَةَ وَلَا يَجَاوِزُهَا فِي ذَهْنِهِ كَالسَّابِحِ لَا يَفَارِقُ الْبَرَّ عِنْدَ الْمَوْجِ  
 قَالَ الشَّاعِرُ

فَلَا تُوعَلْنَ إِذَا مَا سَبَّحَتْ م فَإِنَّ السَّلَامَةَ فِي السَّاحِلِ

فَيَكُونُ مَأْمُونًا مِنَ النَّظَرِ فِي سِيَاسَتِهِ مُسْتَقِيمَ النَّظَرِ فِي مُعَامَلَةِ أَبْنَاءِ جَانِسِهِ فَيَحْسُنُ  
 مَعَاشَهُ وَتَنْدَفِعُ آفَاتُهُ وَمَصَارُهُ بِاسْتِقَامَةِ نَظَرِهِ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ وَمِنْ هُنَا يَتَبَيَّنُ  
 أَنَّ صِنَاعَةَ الْمَنْطِقِ غَيْرُ مَأْمُونَةٍ الْغَلْطِ لِكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْإِتْرَاعِ وَبَعْدَهَا عَنِ الْمَحْسُوسِ  
 فَإِنَّهَا تَنْظُرُ فِي الْمَعْقُولَاتِ الثَّوَانِي وَلَعَلَّ الْمَوَادَّ فِيهَا مَا يَمْنَعُ تِلْكَ الْأَحْكَامَ وَيُنَافِيهَا  
 عِنْدَ مُرَاعَاةِ التَّطْبِيقِ الْيَقِينِي وَأَمَّا النَّظَرُ فِي الْمَقُولَاتِ الْأَوَّلِ وَهِيَ الَّتِي تَجْرِي بِهَا قَرِيبٌ  
 فَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا خَيَالِيَّةٌ وَصُورُ الْمَحْسُوسَاتِ حَافِظَةٌ مُؤَدَّةٌ بِتَصْدِيقِ انْطِبَاقِهِ  
 وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الخامس والثلاثون

في ان حملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم

مِنَ الْغَرِيبِ الْوَاقِعِ أَنَّ حَمَلَةَ الْعِلْمِ فِي الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَكْثَرُهُمُ الْعَجْمُ لَا مِنَ  
 الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَلَا مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ النَّادِرِ وَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ الْعَرَبِيُّ فِي  
 نِسْبَتِهِ فَمَوْعِجِي فِي لُغَتِهِ وَمَرْبَاهُ وَمُسْتَجِيبُهُ مَعَ أَنَّ الْأُمَّةَ عَرَبِيَّةً وَصَاحِبَ شَرِيعَتِهَا عَرَبِيٌّ  
 وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْأُمَّةَ فِي أَوَّلِهَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا عِلْمٌ وَلَا صِنَاعَةٌ لِمُقْتَضَى أَحْوَالِ  
 السَّادَةِ وَالْبَدَاوَةِ وَإِنَّمَا أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي هِيَ أَوْامِرُ اللَّهِ وَنَوَاهِيهِ كَانَ الرِّجَالُ  
 يَتَقَلَّبُونَ فِي صُدُورِهِمْ وَقَدْ عَرَفُوا مَا خَذَهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِمَا تَلَقَّوهُ مِنْ صَاحِبِ  
 الشَّرْعِ وَأَصْحَابِهِ وَالْقَوْمُ يَوْمئِذٍ عَرَبٌ لَمْ يَعْرِفُوا أَمْرَ التَّعْلِيمِ وَالتَّأْلِيفِ وَالتَّدْوِينِ وَلَا  
 دَفَعُوا إِلَيْهِ وَلَا دَعَتَهُمْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَجَرَى الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ زَمَنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَكَانُوا  
 يُسَمُّونَ الْمُخْتَصِينَ بِحَمَلِ ذَلِكَ وَنَقَلَهُ إِلَى الْقُرَّاءِ أَيِّ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ وَلَيْسُوا أُمَّيِّينَ  
 لِأَنَّ الْأُمَّةَ يَوْمئِذٍ صِنْفٌ عَامَّةٌ فِي الصَّحَابَةِ بِمَا كَانُوا عَرَبًا قَبِيلَ حِمَاةِ الْقُرْآنِ يَوْمئِذٍ قُرَاءٌ  
 إِشَارَةٌ إِلَى هَذَا فَهُمْ قُرَاءٌ لِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَّةِ الْمَأْثُورَةِ عَنِ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا  
 الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ إِلَّا مِنْهُ وَمِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي هُوَ فِي غَالِبِ مَوَارِدِهِ تَفْسِيرُهُ لَهُ وَشَرَحَهُ  
 قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ  
 وَسُنَّتِي فَلَمَّا بَعُدَ النُّقْلُ مِنْ لَدُنْ دَوْلَةِ الرَّشِيدِ فَمَا بَعْدَ أَحْتِيجَ إِلَى وَضْعِ التَّفَاسِيرِ الْقُرْآنِيَّةِ  
 وَتَفْسِيرِ الْحَدِيثِ مَخَافَةَ ضَيَاعِهِ ثُمَّ أَحْتِيجَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْأَسَانِيدِ وَتَعْدِيلِ النَّاقِلِينَ لِلتَّحْمِيلِ  
 بَيْنَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَسَانِيدِ وَمَا دُونَهُ ثُمَّ كَثُرَ اسْتِخْرَاجُ أَحْكَامِ الْوَاقِعَاتِ مِنَ

الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَفَسَدَ مَعَ ذَلِكَ اللِّسَانُ فَأَحْتِجَ إِلَى وَضْعِ الْقَوَانِينِ النَّحْوِيَّةِ وَصَارَتْ  
 الْعُلُومُ الشَّرْعِيَّةُ كُلُّهَا مَلَكَاتٍ فِي الْأَسْتِنْبَاطَاتِ وَالْإِسْتِخْرَاجِ وَالتَّنْظِيرِ وَالْقِيَاسِ  
 وَأَحْتَاجَتْ إِلَى عُلُومٍ أُخْرَى وَهِيَ الْوَسَائِلُ لَهَا مِنْ مَعْرِفَةِ قَوَانِينِ الْعَرَبِيَّةِ وَقَوَانِينِ ذَلِكَ  
 الْأَسْتِنْبَاطِ وَالْقِيَاسِ وَالذَّبِّ عَنِ الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ بِالْأَدَلَّةِ لِكَثْرَةِ الْبِدْعِ وَالْإِلْحَادِ  
 فَصَارَتْ هَذِهِ الْعُلُومُ كُلُّهَا عُلُومًا ذَاتَ مَلَكَاتٍ مُحْتَاجَةً إِلَى التَّعْلِيمِ فَأَنْدَرَجَتْ فِي جُمْلَةِ  
 الصَّنَائِعِ وَقَدْ كُنَّا قَدَمْنَا أَنَّ الصَّنَائِعَ مِنْ مُنْتَحَلِ الْحَضَرِ وَأَنَّ الْعَرَبَ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنِهَا  
 فَصَارَتْ الْعُلُومُ لِذَلِكَ حَضَرِيَّةً وَبَعْدَ عَنِهَا الْعَرَبُ وَعَنْ سُوقِهَا وَالْحَضَرُ لِذَلِكَ الْعَهْدِ هُمُ  
 الْعَجْمُ أَوْ مَنْ هُمْ فِي مَعْنَاهُمْ مِنَ الْمَوَالِي وَأَهْلُ الْخَوَاصِرِ الَّذِينَ هُمْ بِوَمُئِدٍ تَبَعٌ لِلْعَجْمِ فِي  
 الْحِضَارَةِ وَأَحْوَالِهَا مِنَ الصَّنَائِعِ وَالْحَرْفِ لِأَنَّهُمْ أَقَوْمٌ عَلَى ذَلِكَ لِلْحِضَارَةِ الرَّاسِخَةِ فِيهِمْ  
 مِنْذُ دَوْلَةِ الْفَرَسِ فَكَانَ صَاحِبُ صِنَاعَةِ النَّحْوِ سَابُوتِيهِ وَالْفَارِسِيُّ مِنْ بَعْدِهِ وَالزُّجَاجِيُّ مِنْ  
 بَعْدِهِمَا وَكُلُّهُمْ عَجْمٌ فِي أَنْسَابِهِمْ وَإِنَّمَا رُبُّوا فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَأَكْتَسَبُوهُ بِالْمَرْبِيِّ  
 وَمُخَالَطَةِ الْعَرَبِ وَصَرُوهُ قَوَانِينُ وَفَنَاءُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ وَكَذَا حَمَلَةَ الْحَدِيثِ الَّذِينَ حَضِرُوهُ عَنْ  
 أَهْلِ الْإِسْلَامِ أَكْثَرُهُمْ عَجْمٌ أَوْ مُسْتَعْمِدُونَ بِاللُّغَةِ وَالْمَرْبِيُّ وَكَانَ عُلَمَاءُ أَصُولِ الْفِقْهِ  
 كُلُّهُمْ عَجْمًا كَمَا يُعْرَفُ وَكَذَا حَمَلَةَ عِلْمِ الْكَلَامِ وَكَذَا أَكْثَرَ الْمُفْسِّرِينَ وَلَمْ يَقُمْ  
 بِحِفْظِ الْعِلْمِ وَتَدْوِينِهِ إِلَّا الْأَعْجَمُ وَظَهَرَ مُصَدِّقُ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ تَعَلَّقَ الْعِلْمُ  
 بِأَكْثَرِ السَّمَاءِ لَنَالَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ فَارَسٍ وَأَمَّا الْعَرَبُ الَّذِينَ أَدْرَكُوا هَذِهِ الْحِضَارَةَ  
 وَسُوقَهَا وَخَرَجُوا إِلَيْهَا عَنِ الْبِدَاوَةِ فَشَغَلَتْهُمْ الرِّئَاسَةُ فِي الدَّوْلَةِ وَحَامِيَّتُهَا وَأُولِي سِيَاسَتِهَا  
 مَعَ مَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْإِنْتِنَةِ عَنِ انْتِحَالِ الْعِلْمِ حِينَئِذٍ بِمَا صَارَ مِنْ جُمْلَةِ الصَّنَائِعِ وَالرُّؤُوسَاءِ  
 أَبْدَاءً يَسْتَنْكِفُونَ عَنِ الصَّنَائِعِ وَالْمِهِنِ وَمَا يُجْرِي إِلَيْهَا وَدَفَعُوا ذَلِكَ إِلَى مَنْ قَامَ بِهِ مِنَ  
 الْعَجْمِ وَالْمَوْلُودِينَ وَمَا زَالُوا يَرَوْنَ لَهُمْ حَقَّ الْقِيَامِ بِهِ فَإِنَّهُ دِينُهُمْ وَعُلُومُهُمْ وَلَا يَحْتَقِرُونَ  
 حَمَلَتَهَا كُلَّ الْأَحْقَارِ حَتَّى إِذَا خَرَجَ الْأَمْرُ مِنَ الْعَرَبِ جُمْلَةً وَصَارَ لِلْعَجْمِ صَارَتْ الْعُلُومُ  
 الشَّرْعِيَّةُ غَرِيبَةً النَّسَبِ عِنْدَ أَهْلِ الْمَلِكِ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبُعْدِ عَنِ نَسَبِهَا وَأَمْتِنُ حَمَلَتَهَا  
 بِمَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ بَعْدَاءُ عَنْهُمْ مُشْتَعَلِينَ بِمَا لَا يُغْنِي وَلَا يُجْدِي عَنْهُمْ فِي الْمَلِكِ وَالسِّيَاسَةِ  
 كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي تَقْلِ الْمَرَاتِبِ الدِّيْنِيَّةِ فَبِذَا الَّذِي قَرَّرْنَاهُ هُوَ السَّبَبُ فِي أَنَّ حَمَلَةَ  
 الشَّرِيعَةِ أَوْعَامَتُهُمْ مِنَ الْعَجْمِ وَأَمَّا الْعُلُومُ الْعَقَلِيَّةُ أَيْضًا فَلَمْ تَظْهَرْ فِي الْمِلَّةِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ

تَمَيَّزَ حَمَلَةُ الْعِلْمِ وَمَوْلُوهُ وَاسْتَقَرَّ الْعِلْمُ كُلُّهُ صِنَاعَةً فَاخْتَصَّتْ بِالْعَجْمِ وَتَرَكْتُمَا الْعَرَبَ  
 وَأَنْصَرَفُوا عَنْ أَنْجَالِهَا فَلَمْ يَحْمِلْهَا إِلَّا الْمَعْرَبُونَ مِنَ الْعَجْمِ شَأْنُ الصَّنَائِعِ كَمَا قُلْنَا أَوْلَا  
 فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ فِي الْأَمْصَارِ مَا دَامَتِ الْحِضَارَةُ فِي الْعَجْمِ وَبِلَادِهِمِ مِنَ الْعِرَاقِ وَخَرَّاسَانَ  
 وَمَا وَرَاءَ النَّهْرِ فَلَمَّا خَرِبَتْ تِلْكَ الْأَمْصَارُ وَذَهَبَتْ مِنْهَا الْحِضَارَةُ الَّتِي هِيَ سِرُّ اللَّهِ فِي  
 حُصُولِ الْعِلْمِ وَالصَّنَائِعِ ذَهَبَ الْعِلْمُ مِنَ الْعَجْمِ جُمْلَةً لِمَا شَمَلْتُمُ مِنَ الْبِدَاوَةِ وَأَخْضَصَ  
 الْعِلْمُ بِالْأَمْصَارِ الْمَوْفُورَةِ الْحِضَارَةَ وَلَا أَوْفَرَ الْيَوْمَ فِي الْحِضَارَةِ مِنْ مِصْرَ فِيهِ أُمُّ الْعَالَمِ  
 وَإِيْوَانُ الْأِسْلَامِ وَيَبْشُرُ الْعِلْمِ وَالصَّنَائِعِ وَيَبْقَى بَعْضُ الْحِضَارَةِ فِي مَا وَرَاءَ النَّهْرِ لِمَا  
 هُنَاكَ مِنَ الْحِضَارَةِ بِالذُّوَلَةِ الَّتِي فِيهَا فَلَمْ يَكُنْ بِذَلِكَ حِصَّةً مِنَ الْعُلُومِ وَالصَّنَائِعِ لَا تَنْكُرُ  
 وَقَدْ دَلَّنَا عَلَى ذَلِكَ كَلَامُ بَعْضِ عُلَمَائِهِمْ مِنْ تَأْلِيفِ وَصَلَتِ الْيَنَا إِلَى هَذِهِ الْبِلَادِ وَهُوَ  
 سَعْدُ الدِّينِ التَّفَازَانِيُّ وَمَا غَيْرُهُ مِنَ الْعَجْمِ فَلَمْ تَرَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ الْإِمَامِ ابْنِ الْخَطِيبِ  
 وَنَصِيرِ الدِّينِ الطُّوسِيِّ كَلَامًا يُعُولُ عَلَى نَهَائِيهِ فِي الْإِصَابَةِ فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ وَتَأَمَّلْهُ تَرَجُّبًا  
 فِي أَحْوَالِ الْخَلْقَةِ وَاللَّهِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ  
 شَيْءٍ قَدِيرٌ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

### الفصل السادس والثلاثون

في علوم اللسان العربي

أَنَّ كُنْهَ أَرْبَعَةٌ وَهِيَ اللَّغَةُ وَالنَّحْوُ وَالْبَيَانُ وَالْأَدَبُ وَمَعْرِفَتُهَا ضَرُورِيَّةٌ عَلَى أَهْلِ  
 الشَّرِيعَةِ إِذْ مَا خُذَ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ كُلِّهَا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَهِيَ بِاللَّغَةِ الْعَرَبِ  
 وَنَقَلَتْهَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ عَرَبٌ وَشَرَحَ مُشْكَلَاتِهَا مِنْ لُغَاتِهِمْ فَلَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ  
 الْعُلُومِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذَا اللِّسَانِ لِمَنْ أَرَادَ عِلْمَ الشَّرِيعَةِ وَتَفَاوُتِ فِي التَّأْكِيدِ بِتَفَاوُتِ  
 مَرَاتِبِهَا فِي التَّوْفِيقِ بِمَقْصُودِ الْكَلَامِ حَسْبَمَا يَتَّبِعُ فِي الْكَلَامِ عَلَيْهَا فَنَّا فَنَّا وَالَّذِي  
 يَتَحَصَّلُ أَنَّ الْأَهْمَ الْمَقْدَمَ مِنْهَا هُوَ النَّحْوُ إِذْ بِهِ تَنْبِيهُنَّ أُصُولُ الْمَقْاصِدِ بِالذَّلَالَةِ فَيَعْرِفُ  
 الْفَاعِلُ مِنَ الْمَفْعُولِ وَالْمُبْتَدَأُ مِنَ الْخَبَرِ وَلَوْلَاهُ لَجُهِلَ أَصْلُ الْإِفَادَةِ وَكَانَ مِنْ حَقِّ عِلْمِ  
 اللَّغَةِ التَّقْدِيمُ لَوْلَا أَنَّ أَكْثَرَ الْأَوْضَاعِ بَاقِيَةٌ فِي مَوْضِعَاتِهَا لَمْ تَتَغَيَّرْ بِخِلَافِ الْأَعْرَابِ  
 الدَّلَالِ عَلَى الْإِسْنَادِ وَالْمُسْنَدِ وَالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ تَغَيَّرَ بِالْجُمْلَةِ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ أَثَرٌ فَذَلِكَ  
 كَانَ عِلْمُ النَّحْوِ أَهَمَّ مِنَ اللَّغَةِ إِذْ فِي جِهَلِهِ الْإِحْطَالُ بِالتَّفَاهِمِ جُمْلَةً وَلَيْسَتْ كَذَلِكَ

اللُّغَةُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### علم النحو

أَعْلَمُ أَنَّ اللُّغَةَ فِي الْمَتَعَارِفِ هِيَ عِبَارَةُ الْمُتَكَلِّمِ عَنِ مَقْصُودِهِ وَتِلْكَ الْعِبَارَةُ فِعْلٌ لِسَانِي فَلَا بُدَّ أَنْ تَصِيرَ مَلَكَةً مُتَقَرَّرَةً فِي الْعَضْوِ الْفَاعِلِ لَهَا وَهُوَ اللِّسَانُ وَهُوَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ بِحَسَبِ أَصْطِلَاحَاتِهِمْ وَكَانَتِ الْمَلَكَةُ الْحَاصِلَةَ لِلْعَرَبِ مِنْ ذَلِكَ أَحْسَنَ الْمَلَكَاتِ وَأَوْضَحَهَا إِبَانَةً عَنِ الْمَقَاصِدِ لِلدَّلَالَةِ غَيْرِ الْكَلِمَاتِ فِيهَا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْمَعَانِي مِنَ الْجَرُورِ أَعْنِي الْمَضَافَ وَمِثْلَ الْحُرُوفِ الَّتِي تُفْعَلُ بِالْأَفْعَالِ إِلَى الذَّوَاتِ مِنْ غَيْرِ تَكْلِيفِ الْفَظِّ أُخْرَى وَلَيْسَ يُوْجَدُ ذَلِكَ إِلَّا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ وَأَمَّا غَيْرُهَا مِنَ اللُّغَاتِ فَكُلُّ مَعْنَى أَوْ حَالٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْفَظِّ مُخْصًةً بِالدَّلَالَةِ وَلِذَلِكَ نَجِدُ كَلَامَ الْعَجَمِ مِنْ مَخَاطَبَاتِهِمْ أَطْوَلَ مِمَّا نُقَدِّرُهُ بِكَلَامِ الْعَرَبِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْتِيَتْ جُورَامِعُ الْكَلِمِ وَأَخْضِرَ لِي الْكَلَامُ أَخْضَارًا فَصَارَ لِلْحُرُوفِ فِي لُغَتِهِمْ وَالْحَرَكَاتِ وَالْهَيْئَاتِ أَيِ الْأَوْضَاعِ اعْتِبَارٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ غَيْرِ مُتَكَلِّفِينَ فِيهِ لِصِنَاعَةِ يَسْتَفِيدُونَ ذَلِكَ مِنْهَا إِنَّمَا هِيَ مَلَكَةٌ فِي السِّنْتِيمِ بِأَخْذِهَا الْآخِرُ عَنِ الْأَوَّلِ كَمَا تَأْخُذُ صَبِيَانًا لِهَذَا الْعَهْدِ لِعَانَتِنَا فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَفَارَقُوا الْحِجَازَ طَابَ الْمَلِكُ الَّذِي كَانَ فِي أَيْدِي الْأُمَمِ وَالذُّوْلُ وَخَالَطُوا الْعَجَمَ تَغَيَّرَتْ تِلْكَ الْمَلَكَةُ بِمَا أَلْفِي إِلَيْهَا السَّمْعُ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ الَّتِي لِلْمُسْتَعْرَبِينَ وَالسَّمْعُ أَبُو الْمَلَكَاتِ السَّانِيَةِ فَفَسَدَتْ بِمَا أَلْفِي إِلَيْهَا مِمَّا يُغَايِرُهَا لِحُجُوجِهَا إِلَيْهِ بِاعْتِبَارِ السَّمْعِ وَخَشِيَ أَهْلُ الْعُلُومِ مِنْهُمْ أَنْ تَفْسُدَ تِلْكَ الْمَلَكَةُ رَأْسًا وَيَطُولَ الْعَهْدُ بِهَا فَيَنْغَايِقَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ عَلَى الْمَفْهُومِ فَاسْتَنْبَطُوا مِنْ مَجَارِي كَلَامِهِمْ قَوَانِينَ لِتِلْكَ الْمَلَكَةِ مُطَرِّدَةً شَبَهَ الْكَلِمَاتِ وَالْقَوَاعِدَ يَقْيَسُونَ عَلَيْهَا سَائِرَ أَنْوَاعِ الْكَلَامِ وَيَلْحَقُونَ الْأَشْبَاهَ بِالْأَشْبَاهِ مِثْلَ أَنَّ الْفَاعِلَ مَرْفُوعٌ وَالْمَفْعُولُ مَنْصُوبٌ وَالْمَبْتَدَأُ مَرْفُوعٌ ثُمَّ رَأَوْا تَغْيِيرَ الدَّلَالَةِ بِتَغْيِيرِ حَرَكَاتِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فَاصْطَلَحُوا عَلَى تَسْمِيَتِهِ إِعْرَابًا وَتَسْمِيَةَ الْمُوجِبِ لِذَلِكَ التَّغْيِيرِ عَامِلًا وَمِثَالِ ذَلِكَ وَصَارَتْ كُلُّهَا أَصْطِلَاحَاتٍ خَاصَّةً بِهِمْ فَفَيَّدُوهَا بِالْكِتَابِ وَجَعَلُوهَا صِنَاعَةً لَهُمْ مُخْصُوصَةً وَاصْطَلَحُوا عَلَى تَسْمِيَتِهَا بِعِلْمِ النَّحْوِ وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ فِيهَا أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّؤَلِيٌّ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَيُقَالُ بِإِشَارَةِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأَنَّهُ رَأَى تَغْيِيرَ الْمَلَكَةِ فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِحِفْظِهَا فَفَزِعَ إِلَى

ضبطها بالقوانين الحاضرة المستقرّة ثم كتبت فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى  
الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد وكان الناس أخرج إليها الذهاب تلك الملكة  
من العرب فهذب الصناعة وكمال أبوابها وأخذها عنه سبويه فكمّل تفاريعها واستكثر  
من أدلتها وشواهدها ووضع فيها كتابه المشهور الذي صار إماماً لكل ما كتبت فيها  
من بعده ثم وضع أبو علي الفارسي وأبو القاسم الزجاج كتباً مختصرة للمتعلمين يحدون  
فيها حدّ الإمام في كتابه ثم طال الكلام في هذه الصناعة وحدث الخلاف بين أهلها  
في الكوفة والبصرة المصيرين القديمين للعرب وكثرت الأدلة والحجج بينهم وتباينت  
الطرق في التعليم وكثر الاختلاف في إعراب كثير من آي القرآن باختلافهم في  
تلك القواعد وطال ذلك على المتعلمين وجاء المتأخرون بمداهمهم في الاختصار  
فأختصروا كثيراً من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع ما نقل كما فعله ابن مالك في  
كتاب التسهيل وأمثاله أو اقتصرهم على المبادئ للمتعلمين كما فعله الزمخشري  
في المفصل وابن الحاجب في المقدمة له وربما نظموها ذلك نظماً مثل ابن مالك في  
الأزجرتين الكبرى والصغرى وابن معطي في الأزجرتين الألفية وبالجملة فالتأليف  
في هذا الفن أكثر من أن تحصى أو يحاط بها وطرق التعليم فيها مختلفة فطريقة  
المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين والوفيون والبصريون والبغداديون  
والاندلسيون مختلفة طرقهم كذلك وقد كادت هذه الصناعة تؤذن بالذهاب لما  
رأينا من النقص في سائر العلوم والصناعات بتناقص العمران ووصلنا إلى المغرب  
لهذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى جمال الدين بن هشام من علمائها استوفى  
فيه أحكام الإعراب مجمّلة ومفصّلة وتكلم على الحروف والمفردات والجمّل  
وحذف ما في الصناعة من المتكرّر في أكثر أبوابها وسماه بالعربي في الإعراب  
وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظم  
سائرهما فوقنا منه على علم جم يشهد بعلم قدره في هذه الصناعة ووفور بضاعته  
منها وكأنه ينحو في طريقته منحة أهل الموصل الذين اقتنوا اثر ابن جني واتبعوا  
مصطلح تعليمه فأتى من ذلك بشيء عجيب دال على قوة ملكته وإطلاعه والله  
يزيد في الخلق ما يشاء

## علم اللغة

هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية وذلك انه لما فسدت مملكة اللسان العربي  
 في الحركات المستأمة عند أهل النحوي بالاعراب واستنبطت القوانين لحفظها كما  
 قلناه ثم استمر ذلك الفساد بملازمة العجم ومخالطتهم حتى تآدى الفساد إلى  
 موضوعات الألفاظ فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضعه عندهم ميلاً مع  
 هجنة المستعربين في اصطلاحاتهم الخالفة لصريح العربية فاحتجج إلى حفظ الموضوعات  
 اللغوية بالكتاب والتدوين خشية الذرور وما يتشاعنه من الجهل بالقرآن والحديث  
 فشر كثير من أئمة اللسان لذلك وآملوا فيه الدواوين وكان سابق الحلبه في ذلك  
 الخليل بن أحمد الفراهيدي ألف فيها كتاب العين فحصر فيه مر كبات حروف المعجم  
 كلها من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي وهو غاية ما ينبغي إليه التركيب في  
 اللسان العربي وتأتي له حصر ذلك بوجوه عديدة حاضرة وذلك ان جملة الكلمات  
 الثنائية تخرج من جميع الأعداد على التوالي من واحد إلى سبعة وعشرين وهو دون  
 نهاية حروف المعجم بواحد لأن الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة  
 والعشرين فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية ثم يؤخذ الثاني مع الستة والعشرين  
 كذلك ثم الثالث والرابع ثم يؤخذ السابع والعشرون مع الثامن والعشرين فيكون  
 واحداً فتكون كلها أعداداً على التوالي الأعداد من واحد إلى سبعة وعشرين فتجتمع  
 كما هي بالعمل المعروف عند أهل الحساب ثم تضاعف لأجل قلب الثنائي لأن  
 التقديم والتأخير بين الحروف معتبر في التركيب فيكون الخارج جملة الثنائيات  
 فيما يجمع من واحد إلى ستة وعشرين لأن كل ثنائية يزيد عليها حرفاً فتكون ثلاثية  
 فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد مع كل واحد من الحروف الباقية وهي ستة  
 وعشرون حرفاً بعد الثنائية فتجتمع من واحد إلى ستة وعشرين على التوالي العدد وتضرب  
 فيه جملة الثنائيات ثم تضرب الخارج في ستة جملة مقلوبات الكلمة الثلاثية فيخرج  
 مجموع تركيبها من حروف المعجم وكذلك في الرباعي والخماسي فاحصرت له  
 التركيب بهذا الوجه ورتب أبوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف واعتمد  
 فيه ترتيب الخارج فبدأ بحروف الخلق ثم بعده من حروف الحنك ثم الأضراس ثم

الشفة وجعل حروف العلة آخرًا وهي الحروف الهوائية وبدأ من حروف الحلق بالعين  
 لأنه الأضمر منها فلذلك سمي كتابه بالعين لأن المتقدمين كانوا يذهبون في تسمية  
 دواوينهم إلى مثل هذا وهو تسميته بأول ما يقع فيه من الكلمات والألفاظ ثم  
 بين المهمل منها من المستعمل وكان المهمل في الرباعي والخماسي أكثر لقلة  
 استعمال العرب له لثقله ولحق به الثنائي لقلة دورانه وكان الاستعمال في الثلاثي  
 أغلب فكانت أوضاعه أكثر لدورانه وضمن التحليل ذلك كله في كتاب العين  
 واستوعبه أحسن استيعاب وأوعاه وجاء أبو بكر الزبيدي وكتب لهشام المؤيد  
 بالأندلس في المائة الرابعة فأختصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل  
 كله وكثيراً من شواهد المستعمل ولخصه للفظ أحسن تلخيص وألف الجوهري  
 من المشاركة كتاب الصحاح على الترتيب المتعارف للحروف المعجم فجعل البداية منها  
 بالهمزة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الأخير من الكلمة لأضرار الناس في  
 الألفاظ إلى آخر الكلام وحصر اللغة أفنداء بحضر التحليل ثم أتت فيها من الأندلسيين ابن  
 سيده من أهل دانية في دولة علي بن مجاهد كتاب المحكم على ذلك المنحى من الاستيعاب  
 وعلى نحو ترتيب كتاب العين وزاد فيه التعرض لأشتقاق الكلام وتصريفها فجاء من  
 أحسن الدواوين ولخصه محمد بن أبي الحسين صاحب المستنصر من ملوك الدولة الحفصية  
 بتونس وقلب ترتيبه إلى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار أو آخر الكلام وبناء التراجم  
 عليها فكانا توأمي رحم وسابلي أبو هذه أصول كتب اللغة فيما علمناه وهناك  
 مختصرات أخرى مختصة بصنف من الكلام ومستوعبة لبعض الأبواب أو كلها إلا  
 أن وجه الحصر فيها خفي ووجه الحصر في تلك جلي من قبل التراكيب كما رأيت ومن  
 الكتب الموضوعية أيضاً في اللغة كتاب الزمخشري في النجاشي بين فيه كل ما تجوزت  
 به العرب من الألفاظ وفيما تجوزت به من المدلولات وهو كتاب شريف الإفادة  
 ثم لما كانت العرب تضع الشيء على العموم ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظاً  
 أخرى خاصة بها فوق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال واحتاج إلى فقه في اللغة  
 عزيز المأخذ كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض ثم أخذ ما فيه  
 بياض من الخيل بالأشهب ومن الإنسان بالأزهر ومن النعم بالأمع حتى صار استعمال

الأيض في هذه كلها حتماً وخروجاً عن لسان العرب وأخص بالتأليف في هذا المعنى  
 الثعالي وأفرده في كتاب له سماه في اللغة وهو من أكد ما يأخذ به الغوي نفسه  
 أن يعرف استعمال العرب عن مواضعه فليس معرفة الوضع الأول يكافئ في الترتيب  
 حتى يشهد له استعمال العرب لذلك وأكثر ما يحتاج إلى ذلك الأدب في قني  
 نظميه ونثره حدراً من أن يكثر لحنه في الموضوعات اللغوية في مفرداتها وتراكيبها  
 وهو أشد من اللحن في الأعراب والفحش وكذلك ألف بعض المتأخرين في الألفاظ  
 المشتركة وتكفل بحصرها وإن لم تبلغ إلى النهاية في ذلك فهو مستوعب لئلا أكثر  
 وأما المختصرات الموجودة في هذا الفن الخصوصة بالتداول من اللغة الكثير  
 الاستعمال تسهيلاً لحفظها على الطالب فكثيرة مثل الألفاظ لابن السكيت والفصح  
 لتعلب وغيرهما وبعضها أقل لغة من بعض لاخلاف نظرهم في الأهم على الطالب  
 للحفظ والله الخلاق العليم لا رب سواه

### علم البيان

هذا العلم حادث في الأمة بعد علم العربية واللغة وهو من العلوم الإنسانية لأنه  
 متعلق بالألفاظ وما تبيده ويقصد بها الدلالة عليه من المعاني وذلك أن الأمور التي  
 يقصد المتكلم بها إفادة السامع من كلامه هي إما تصور مفردات تسند ويسند  
 إليها وبضبي بعضها إلى بعض والدالة على هذه هي المفردات من الأسماء والأفعال  
 والحروف وإما تمييز المسندات من المسند إليها والأزمنة وبدل عليها بتغير الحركات  
 من الأعراب وأبنية الكلمات وهذه كلها هي صناعة النحو وبقي من الأمور  
 الممكنة بأواقعات المحتاجة للدلالة أحوال المتخاطبين أو الفاعلين وما يقتضيه  
 حال الفعل وهو محتاج إلى الدلالة عليه لأنه من تمام الإفادة وإذا حصلت له تكلم  
 فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه وإذا لم يشتمل على شيء منها فليس من جنس كلام  
 العرب فإن كلامهم واسع ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الأعراب  
 والأبانة ألا ترى أن قولهم زيد جاء في مغاير لقولهم جاءني زيد من قبل أن  
 المتقدم منهما هو الأهم عند المتكلم فمن قال جاءني زيد أفاد أن أهميته  
 بالبحسب قبل الشخص المسند إليه ومن قال زيد جاءني أفاد أن أهميته بالشخص

قَبْلَ الْحِجْيِ الْمُسْنَدِ وَكَذَا التَّعْبِيرُ عَنْ أَجْزَاءِ الْجُمْلَةِ بِمَا يَنَاسِبُ الْمَقَامَ مِنْ مَوْصُولٍ أَوْ  
 مَبْنِيٍّ أَوْ مَعْرِفَةٍ وَكَذَا تَأْكِيدُ الْأَسْنَادِ عَلَى الْجُمْلَةِ كَقَوْلِهِمْ زَيْدٌ قَائِمٌ وَإِنْ زَيْدًا قَائِمٌ  
 وَإِنْ زَيْدًا لِقَائِمٍ مُتَعَابِرَةٌ كُلُّهَا فِي الدَّلَالَةِ وَإِنْ اسْتَوَتْ مِنْ طَرِيقِ الْأَعْرَابِ فَإِنَّ  
 الْأَوَّلَ الْعَارِيَّ عَنِ التَّأْكِيدِ إِنَّمَا يُفِيدُ الْخُلْيُ الْذِّهْنِ وَالثَّانِي الْمَوْكَدَّ بَيِّنًا يُفِيدُ  
 الْمُتَرَدِّدَ وَالثَّلَاثَ يُفِيدُ الْمُنْكَرَ فِيهِ مُخْتَلِفَةٌ وَكَذَلِكَ نَقُولُ جَاءَ فِي الرَّجُلِ ثُمَّ نَقُولُ مَسْكَانُهُ  
 يَعْنِيهِ جَاءَ فِي رَجُلٍ إِذَا فَصَدَتْ بِذَلِكَ التَّنْكِيرِ تَعْظِيمُهُ وَآنَهُ رَجُلٌ لَا يُعَادِلُهُ أَحَدٌ مِنْ  
 الرِّجَالِ ثُمَّ الْجُمْلَةُ الْأَسْنَادِيَّةُ تَكُونُ خَبَرِيَّةً وَهِيَ الَّتِي لَهَا خَارِجٌ نَطَاقُهُ أَوَّلًا وَإِنْشَائِيَّةً  
 وَهِيَ الَّتِي لَا خَارِجَ لَهَا كَالطَّلَبِ وَأَنْوَاعِهِ ثُمَّ قَدْ يَتَّعَيْنُ تَرْكُ الْعَاطِفِ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْنِ إِذَا  
 كَانَ لِلثَّانِيَةِ مَحَلٌّ مِنَ الْأَعْرَابِ فَيُشْرِكُ بِذَلِكَ مَنزِلَةَ التَّابِعِ الْمَفْرَدِ نَعْتًا وَتَوْكِيدًا وَبَدَلًا  
 بِإِلَّا عَطْفٍ أَوْ يَتَّعَيْنُ الْعَطْفُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلثَّانِيَةِ مَحَلٌّ مِنَ الْأَعْرَابِ ثُمَّ يَقْتَضِي الْمَحَلُّ  
 الْأَطْنَابَ وَالْإِيْجَازَ فَيُورَدُ الْكَلَامُ عَلَيْهِمَا ثُمَّ قَدْ يَدُلُّ بِاللَّفْظِ وَلَا يُرَادُ مَنْطُوقُهُ  
 وَيُرَادُ لِأَزْمِهِ إِنْ كَانَ مَفْرَدًا كَمَا نَقُولُ زَيْدٌ أَسَدٌ فَلَا تُرِيدُ حَقِيقَةَ الْأَسَدِ الْمَنْطُوقَةَ  
 وَإِنَّمَا تُرِيدُ شَجَاعَتَهُ الْأَزْمِيَّةَ وَتُسْنِدُهَا إِلَى زَيْدٍ وَتُسَمَّى هَذِهِ اسْتِعَارَةً وَقَدْ تُرِيدُ بِاللَّفْظِ  
 الْمُرَكَّبِ الدَّلَالَةَ عَلَى مَلْزُومِهِ كَمَا نَقُولُ زَيْدٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ وَتُرِيدُ مَا لَزِمَ ذَلِكَ عَنْهُ  
 مِنَ الْجُودِ وَقَرَى الضَّيْفِ لِأَنَّ كَثْرَةَ الرَّمَادِ نَاشِئَةٌ عَنْهُمَا فِيهِ دَالَّةٌ عَلَيْهِمَا وَهَذِهِ كُلُّهَا  
 دَلَالَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى دَلَالَةِ الْأَلْفَافِ مِنَ الْمَفْرَدِ وَالْمُرَكَّبِ وَإِنَّمَا هِيَ هَيْئَاتٌ وَأَحْوَالٌ لِوَأَفْعَالٍ  
 جَعَلَتْ الدَّلَالَةَ عَلَيْهَا أَحْوَالٌ وَهَيْئَاتٌ فِي الْأَلْفَافِ كُلِّ بِحَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ مَقَامُهُ فَاشْتَمَلَتْ  
 هَذَا الْعِلْمُ الْمُسَمَّى بِالْبَيِّنِ عَلَى الْبَحْثِ عَنْ هَذِهِ الدَّلَالَةِ الَّتِي لِلْهَيْئَاتِ وَالْأَحْوَالِ  
 وَالْمَقَامَاتِ وَجَعَلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ الْأَوَّلُ يُبْحَثُ فِيهِ عَنْ هَذِهِ الْهَيْئَاتِ  
 وَالْأَحْوَالِ الَّتِي نَطَاقُهَا بِاللَّفْظِ جَمِيعَ مَقْتَضِيَّاتِ الْحَالِ وَيُسَمَّى عِلْمُ الْبَلَاغَةِ وَالصَّنْفُ  
 الثَّانِي يُبْحَثُ فِيهِ عَنِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْأَزْمِ اللَّفْظِيِّ وَمَلْزُومِهِ وَهِيَ الْإِسْتِعَارَةُ وَالْكَنْيَاةُ كَمَا  
 فُلْنَاهُ وَيُسَمَّى عِلْمُ الْبَيِّنِ وَالْحَقْوَاهِمِهَا صِنْفًا آخَرَ وَهُوَ النَّظَرُ فِي تَرْبِيْنِ الْكَلَامِ وَتَحْسِينِهِ  
 بِنَوْعٍ مِنَ التَّنْمِيقِ إِمَّا بِسَمْعٍ بَفَصْلَةٍ أَوْ بِتَجْنِيسِ شِبَاهِهِ بَيْنَ الْأَلْفَافِ أَوْ تَرْصِيعٍ يَقْطَعُ  
 أَوْ تَوْرِيَّةٍ عَنِ الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ بِإِيْهَامٍ مَعْنَى أَخْفَى مِنْهُ لِاشْتِرَاكِ اللَّفْظِ بَيْنَهُمَا وَأَمْثَالُ  
 ذَلِكَ وَيُسَمَّى عِنْدَهُمْ عِلْمُ الْبَدِيعِ وَأُطْلِقَ عَلَى الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ اسْمُ

الْبَيَانُ وَهُوَ اسْمُ الصَّنْفِ الثَّانِي لِأَنَّ الْأَقْدَمِينَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّمُوا فِيهِ ثُمَّ تَلَا حَقَّتْ مَسَائِلُ  
 الْفَنِّ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى وَكَتَبَ فِيهَا جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى وَابْنُ جَعْفَرٍ وَابْنُ يَحْيَى وَابْنُ جَعْفَرٍ وَابْنُ يَحْيَى  
 غَيْرَ وَافِيَةٍ فِيهَا ثُمَّ لَمْ تَزَلْ مَسَائِلُ الْفَنِّ تَكْمَلُ شَيْئًا فَشَيْئًا إِلَى أَنْ نَحَصَّ السَّكَّاكِيُّ زَيْدَتَهُ  
 وَهَدَّبَ مَسَائِلَهُ وَرَتَّبَ أَبْوَابَهُ عَلَى نَحْوِ مَا ذَكَرْنَاهُ أَنْفَاءً مِنَ التَّرْتِيبِ وَأَلَّفَ كِتَابَهُ الْمُسَمَّى  
 بِالْمِفْتَاحِ فِي النَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ وَالْبَيَانِ فَيَجْعَلُ هَذَا الْفَنَّ مِنْ بَعْضِ أَجْزَائِهِ وَأَخَذَهُ  
 الْمَتَأَخِّرُونَ مِنْ كِتَابِهِ وَنَحَصُوا مِنْهُ أُمَّهَاتٌ هِيَ الْمَتَدَاوِلَةُ لِهَذَا الْعَهْدِ كَمَا فَعَلَهُ السَّكَّاكِيُّ  
 فِي كِتَابِ التَّبَيَانِ وَابْنُ مَالِكٍ فِي كِتَابِ الْمَصْبَاحِ وَجَلَّالُ الدِّينِ الْقَزْوِينِيُّ فِي كِتَابِ  
 الْأِيضَاحِ وَالتَّلْخِصِ وَهُوَ أَصْغَرُ حِجْمًا مِنَ الْأِيضَاحِ وَالْعُنَايَةِ بِهِ لِهَذَا الْعَهْدِ عِنْدَ أَهْلِ  
 الْمَشْرِقِ فِي الشَّرْحِ وَالتَّعْلِيمِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ وَبِالْجُمْلَةِ فَالْمَشَارَقَةُ عَلَى هَذَا  
 الْفَنِّ أَقْوَمُ مِنَ الْمَغَارِبَةِ وَسَبَبُهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَنَّهُ كَمَا لِيَ فِي الْعُلُومِ اللَّسَانِيَّةِ وَالصَّنَائِعِ  
 الْكَمَالِيَّةِ تُوْجِدُ فِي الْعُمَرَانَ وَالْمَشْرِقِ أَوْفَرَ عُمَرَانًا مِنَ الْمَغْرِبِ كَمَا ذَكَرْنَاهُ أَوْ  
 تَقُولُ لِعُنَايَةِ الْعَجْمِ وَهُمْ مُعْظَمُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ كَتَفْسِيرِ الرَّخْشِيرِيِّ وَهُوَ كُلُّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى  
 هَذَا الْفَنِّ وَهُوَ أَصْلُهُ وَإِنَّمَا اخْتَصَّ بِأَهْلِ الْمَغْرِبِ مِنْ أَضْوَافِهِ عِلْمُ الْبَدِيعِ خَاصَّةً  
 وَجَعَلُوهُ مِنْ جُمْلَةِ عُلُومِ الْأَدَبِ الشَّعْرِيَّةِ وَفَرَعُوا لَهُ الْأَقْبَابَ وَعَدَدُوا أَبْوَابًا وَتَوَعَّوْا أَنْوَاعًا  
 وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ أَحْصَوْهَا مِنْ لِسَانِ الْعَرَبِ وَإِنَّمَا حَمَلْتُمْ عَلَى ذَلِكَ الْوَلُوعَ بِتَرْيِينِ الْأَلْفَاظِ  
 وَأَنَّ عِلْمَ الْبَدِيعِ سَهْلُ الْمَأْخُذِ وَصَعِبَتْ عَلَيْهِمْ مَا خِذَ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ لِدِقَّةِ أَنْظَارِهِمَا  
 وَغَمُوضِ مَعَانِيهِمَا فَتَجَافَوْا عَنْهُمَا وَمِمَّنْ أَلَّفَ فِي الْبَدِيعِ مِنْ أَهْلِ أَفْرِيْقِيَّةِ ابْنُ رَشِيْقٍ  
 وَكِتَابُ الْعُمْدَةِ لَهُ مَشْهُورٌ وَجَرَى كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ أَفْرِيْقِيَّةِ وَالْأَنْدَلُسِ عَلَى مَنْحَاهُ وَأَعْلَمُ  
 أَنَّ ثَمَرَةَ هَذَا الْفَنِّ إِنَّمَا هِيَ فِي فَهْمِ الْإِعْجَازِ مِنَ الْقُرْآنِ لِأَنَّ إِعْجَازَهُ فِي وِفَاءِ الدَّلَالَةِ  
 مِنْهُ بِجَمْعِ مُقْتَضِيَاتِ الْأَحْوَالِ مَنْطُوقَةً وَمَفْهُومَةً وَهِيَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْكَلَامِ مَعَ  
 الْكَمَالِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِالْأَلْفَاظِ فِي انْتِقَائِهَا وَجُودَةِ رَضْفِهَا وَتَرْكِيْبِهَا وَهَذَا هُوَ الْإِعْجَازُ  
 الَّذِي نَقَصَرُ الْأَفْهَامُ عَنْ إِدْرَاكِهِ وَإِنَّمَا يُدْرِكُ بَعْضُ الشَّيْءِ مِنْهُ مَنْ كَانَ لَهُ ذَوْقٌ  
 بِمُخَالَطَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَحُصُولِ مَلَكَتِهِ فَيُدْرِكُ مِنْ إِعْجَازِهِ عَلَى قَدْرِ ذَوْقِهِ فَالْهَذَا كَانَتْ  
 مَدَارِكُ الْعَرَبِ الَّذِينَ سَمِعُوهُ مِنْ مَبْلَغِهِ أَعْلَى مَقَامًا فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ فُرْسَانُ الْكَلَامِ  
 وَجَهَابِدَتُهُ وَالذَّوْقُ عِنْدَهُمْ مُوجُودٌ بِأَوْفَرٍ مَا يَكُونُ وَأَصْحَهُ وَأَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى هَذَا

الْفَنِّ الْمَفْسُورُونَ وَأَكْثَرُ تَفَاسِيرِ الْمُتَقَدِّمِينَ غُفِلَ عَنْهُ ظَهَرَ جَارُ اللَّهِ الرَّمَحْشَرِيُّ وَوَضَعَ  
 كِتَابَهُ فِي التَّفْسِيرِ وَتَمَّعَ آيَ الْقُرْآنِ بِأَحْكَامِ هَذَا الْفَنِّ بِمَا بِيَدِي الْبَعْضُ مِنَ  
 إِعْجَازِهِ فَأَنْفَرَدَ بِهَذَا الْفَضْلِ عَلَى جَمِيعِ التَّفَاسِيرِ لَوْلَا أَنَّهُ يُؤَيِّدُ عَقَائِدَ أَهْلِ الْبِدْعِ عِنْدَ  
 اقْتِبَاسِهَا مِنَ الْقُرْآنِ بِوُجُوهِ الْبَلَاغَةِ وَلِأَجْلِ هَذَا يُحَامَاهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مَعَ وَفُورِ  
 بَضَاعَتِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ فَمَنْ أَحْكَمَ عَقَائِدَ السُّنَّةِ وَشَارَكَ فِي هَذَا الْفَنِّ بَعْضَ الْمَشَارِكَةِ  
 حَتَّى يَقْتَدِرَ عَلَى الرَّدِّ عَلَيْهِ مِنْ جِنْسِ كَلَامِهِ أَوْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَدْعُو فَيُغْرَضُ عَنْهَا وَلَا تُضَرُّ  
 فِي مُعْتَقِدِهِ فَإِنَّهُ يَتَبَعِنَ عَلَيْهِ النَّظْرُ فِي هَذَا الْكِتَابِ لِلظَّفَرِ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَعْجَازِ مَعَ السَّلَامَةِ  
 مِنَ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ وَاللَّهُ الْهَادِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ

### علم الادب

هَذَا الْعِلْمُ لَا مَوْضِعَ لَهُ يُنْظَرُ فِي اثْبَاتِ عَوَارِضِهِ أَوْ نَقِيهَا وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ مِنْهُ عِنْدَ  
 أَهْلِ اللِّسَانِ ثَمَرَتُهُ وَهِيَ الْإِجَادَةُ فِي فَنِّي الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ عَلَى أَسَالِبِ الْعَرَبِ  
 وَمَنَاجِيهِمْ فَيَجْمَعُونَ لِدَلِكِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ مَا عَسَاهُ تَحْصُلُ بِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ شِعْرِ  
 عَالِي الطَّبَقَةِ وَسَجَّعَ مُتَسَاوٍ فِي الْإِجَادَةِ وَمَسَائِلَ مِنَ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ مَبْثُوتَةً أَثْنَاءَ ذَلِكَ  
 مَتَفَرِّقَةً يَسْتَقْرِي مِنْهَا النَّظْرُ فِي الْعَالِيِّ مُعْظَمَ قَوَائِنِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَ ذِكْرِ بَعْضِ مِنْ أَيَّامِ  
 الْعَرَبِ يَفْهَمُ بِهِ مَا يَقَعُ فِي أَشْعَارِهِمْ مِنْهَا وَكَذَلِكَ ذَكَرَ الْمُهَيَّبُ مِنَ الْأَسْبَابِ الشَّهِيرَةِ  
 وَالْأَخْبَارِ الْعَامَّةِ وَالْمَقْصُودُ بِذَلِكَ كُلِّهِ أَنْ لَا يَخْفَى عَلَى النَّظِيرِ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ  
 وَأَسَالِبِهِمْ وَمَنَاجِيهِمْ بِالْإِعْتِمَادِ إِذَا تَصَفَّحَهُ لِأَنَّهُ لَا تَحْصُلُ الْمَلَكَةُ مِنْ حِفْظِهِ إِلَّا بَعْدَ  
 فَهْمِهِ فَيَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيمِ جَمِيعِ مَا يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فَهْمُهُ ثُمَّ إِنَّهُمْ إِذَا أَرَادُوا حَدَّ هَذَا الْفَنِّ  
 قَالُوا الْأَدَبُ هُوَ حِفْظُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا وَالْأَخْذُ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ يَطْرَفُ يُرِيدُونَ  
 مِنْ عُلُومِ اللِّسَانِ أَوْ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مِنْ حَيْثُ مَتَوَنَّنَا فَقَطُّ وَهِيَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ إِذْ لَا  
 مَدْخَلَ لِغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعُلُومِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُتَأَخِّرُونَ عِنْدَ كَلْفِهِمْ  
 بِصِنَاعَةِ الْبِدْعِ مِنَ التَّوْرِيَّةِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَتَرَسَّلِهِمْ بِالْأَصْطِلَاحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ فَاحْتَاجَ  
 صَاحِبُ هَذَا الْفَنِّ حِينَئِذٍ إِلَى مَعْرِفَةِ أَصْطِلَاحَاتِ الْعُلُومِ لِيَكُونَ قَائِمًا عَلَى فَهْمِهَا وَسَمْعِهَا  
 مِنْ شَيْخِ خِنَائِي بِمَجَالِسِ التَّعْلِيمِ أَنَّ أُصُولَ هَذَا الْفَنِّ وَأَرْكَانَهُ أَرْبَعَةٌ دَوَاوِينُ وَهِيَ أَدَبُ  
 الْكِتَابِ لِابْنِ قُتَيْبَةَ وَكِتَابُ الْكَامِلِ لِلْمُبَرِّدِ وَكِتَابُ الْبَيَانِ وَالْتَبْيِينِ لِلْجَاحِظِ

وَكِتَابُ النُّوَادِرِ لِأَبِي عَلِيٍّ الْقَاسِيِ الْبَغْدَادِيِّ وَمَا سَوَى هَذِهِ الْأَزْجَةِ فَتَمَعُ بِهَا وَفُرُوغُ  
عَنْهَا وَكُتُبُ الْمُحَدِّثِينَ فِي ذَلِكَ كَثِيرَةٌ وَكَانَ الْغِنَاءُ فِي الصَّدْرِ الْأَوَّلِ مِنْ أَجْزَاءِ هَذَا  
الْفَنِّ لِمَا هُوَ تَابِعٌ لِلشَّعْرِ إِذَا الْغِنَاءُ إِنَّمَا هُوَ تَلْحِينُهُ وَكَانَ الْكِتَابُ وَالْفَضْلَانُ مِنَ  
الْخَوَاصِّ فِي الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ بِأَخْذِ مَنْ أَنَفَسَهُمْ بِهِ حِرْصًا عَلَى تَحْصِيلِ أَسَالِيبِ الشَّعْرِ  
وَفُنُونِهِ فَلَمْ يَكُنْ اتِّخَالَهُ قَادِحًا فِي الْعَدَالَةِ وَالْمُرُوءَةِ وَقَدْ آلَفَ الْقَاسِيِ أَبُو الْفَرَجِ  
الْأَصْبَهَانِيُّ كِتَابَهُ فِي الْأَغْنِيِ جَمَعَ فِيهِ أَخْبَارَ الْعَرَبِ وَأَشْعَارَهُمْ وَأَنْسَابَهُمْ وَأَيَّامَهُمْ  
وَدَوْلَهُمْ وَجَعَلَ مَبْنَاهُ عَلَى الْغِنَاءِ فِي الْمِائَةِ صَوْتًا الَّتِي اخْتَارَهَا الْمُغْنُونَ لِلرَّشِيدِ فَاسْتَوْعَبَ  
فِيهِ ذَلِكَ أَنْتُمْ اسْتَبْعَابٌ وَأَوْفَاهُ وَلَعَمْرِي إِنَّهُ دِيْوَانُ الْعَرَبِ وَجَامِعُ أَشْبَاتِ الْمُحَاسِنِ  
الَّتِي سَلَفَتْ لَهُمْ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الشَّعْرِ وَالتَّأْرِيخِ وَالْغِنَاءِ وَسَائِرِ الْأَحْوَالِ وَلَا  
يُعَدُّ بِهِ كِتَابٌ فِي ذَلِكَ فِيمَا نَعْلَمُهُ وَهُوَ الْغَايَةُ الَّتِي يَسْمُوْنَ بِهَا الْأَدِيبُ وَيَقِفُ عِنْدَهَا  
وَإِنِّي لَهُ بِهَا وَنَحْنُ الْآنَ نَرْجِعُ بِالْحَقِيقِ عَلَى الْإِجْمَالِ فِيمَا تَكَلَّمْنَا عَلَيْهِ مِنْ عُلُومِ  
اللِّسَانِ وَاللَّهُ أَهْدِيَ لِّلصَّوَابِ

### الفصل السابع والثلاثون

في ان اللغة ملكة صناعية

إِعْلَمُ أَنَّ الْأَلْفَاتِ كُلَّهَا مَلَكَاتٌ شَبِيهَةٌ بِالصَّنَاعَةِ إِذْ هِيَ مَلَكَاتٌ فِي اللِّسَانِ  
الْعِبَارَةِ عَنِ الْمَعْنِيِّ وَجُودَتِهَا وَفُضِرَتْهَا بِحَسَبِ تَمَامِ الْمَلَكَةِ أَوْ نُقْصَانِهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ  
بِالنَّظَرِ إِلَى الْمَفْرَدَاتِ وَإِنَّمَا هُوَ بِالنَّظَرِ إِلَى التَّرَاكِبِ فَإِذَا حَصَلَتِ الْمَلَكَةُ التَّامَّةُ  
فِي تَرْكِيبِ الْأَلْفَاطِ الْمَفْرَدَةِ لِلتَّعْبِيرِ بِهَا عَنِ الْمَعْنِيِّ الْمَقْصُودَةِ وَمُرَاعَاةِ التَّأْلِيفِ الَّذِي  
يُطَبِّقُ الْكَلَامَ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ بَلَغَ الْمُتَكَلِّمُ حَيْثُئِذِ الْغَايَةَ مِنْ إِفَادَةِ مَقْصُودِهِ  
لِلسَّمْعِ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْبَلَاغَةِ وَالْمَلَكَاتُ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِتَكَرُّرِ الْأَنْعَالِ لِأَنَّ الْعَمَلَ  
يَقَعُ أَوَّلًا وَتَعُودُ مِنْهُ لِلذَّاتِ صِنْفٌ ثُمَّ تَتَكَرَّرُ فَتَكُونُ حَالًا وَمَعْنَى الْحَالِ أَنَّهَا صِنْفٌ  
غَيْرُ رَاسِخَةٍ ثُمَّ يَزِيدُ التَّكَرُّارُ فَتَكُونُ مَلَكَةً أَيْ صِنْفَةً رَاسِخَةً فَالْمُتَكَلِّمُ مِنْ  
الْعَرَبِ حِينَ كَانَتْ مَلَكَتَهُ اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ مَوْجُودَةً فِيهِمْ يَسْمَعُ كَلَامَ أَهْلِ جِيلِهِ  
وَأَسَالِيهِمْ فِي مَخَاطَبَتِهِمْ وَكَيْفِيَّةِ تَعْبِيرِهِمْ عَنْ مَقَاصِدِهِمْ كَمَا يَسْمَعُ الصَّبِيُّ اسْتِعْمَالَ  
الْمَفْرَدَاتِ فِي مَعَانِيهَا فَيَلْقَاهَا أَوَّلًا ثُمَّ يَسْمَعُ التَّرَاكِبَ بَعْدَهَا فَيَلْقَاهَا كَذَلِكَ ثُمَّ لَا يَزَالُ

سَمِعَهُمْ لِذَلِكَ يَتَجَدَّدُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَمِنْ كُلِّ مُنْكَلِمٍ وَأَسْتَعْمَالَةٍ يَتَكَرَّرُ إِلَى أَنْ  
يَصِيرَ ذَلِكَ مَلَكَهً وَصَفَةً رَاسِخَةً وَيَكُونُ كَأَحَدِهِمْ هَكَذَا تَصَيَّرَتِ الْأَلْسُنُ وَاللُّغَاتُ  
مِنْ جِيلٍ إِلَى جِيلٍ وَتَعَلَّمَهَا الْعَجَمُ وَالْأَطْفَالُ وَهَذَا هُوَ مَعْنَى مَا أَقُولُهُ الْعَامَّةُ مِنْ أَنَّ  
اللُّغَةَ لِلْعَرَبِ بِالطَّبَعِ أَيَّ بِالْمَلَكَةِ الْأُولَى الَّتِي أَخَذَتْ عَنْهُمْ وَلَمْ يَأْخُذُوا عَنْ غَيْرِهِمْ  
ثُمَّ إِنَّهُ لَمَّا فَسَدَتْ هَذِهِ الْمَلَكَةُ لِمَضَرِّ بِمُخَالَطَتِهِمْ الْأَعَاجِمَ وَسَبَبِ فُسَادِهَا أَنَّ النَّاشِئَ  
مِنْ الْجِيلِ صَارَ يَسْمَعُ فِي الْعِبَارَةِ عَنِ الْمَقَاصِدِ كَيْفِيَّاتٍ أُخْرَى غَيْرَ الْكَيْفِيَّاتِ الَّتِي  
كَانَتْ لِلْعَرَبِ فَيَعْبُرُ بِهَا عَنْ مَقْصُودِهِ لِكثْرَةِ الْمُخَالَطِينَ لِلْعَرَبِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَيَسْمَعُ  
كَيْفِيَّاتِ الْعَرَبِ أَيْضًا فَاخْتَلَطَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ وَأَخَذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ فَاسْتَحْدَثَ مَلَكَهً  
وَكَانَتْ نَافِصَةً عَنِ الْأُولَى وَهَذَا مَعْنَى فُسَادِ اللَّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَلِهَذَا كَانَتْ لُغَةُ فُرَيْشٍ  
أَفْصَحَ اللَّغَاتِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَصْرَحَهَا لِبُعْدِهِمْ عَنِ بِلَادِ الْعَجَمِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ ثُمَّ مَنْ  
اكتَنَفَهُمْ مِنْ تَقِيفٍ وَهَذِيلٍ وَخَزَاعَةَ وَبَنِي كِبَانَةَ وَغَطَفَانَ وَبَنِي أَسَدٍ وَبَنِي تَمِيمٍ وَأَمَّا  
مَنْ بَعُدَ عَنْهُمْ مِنْ رَيْبَعَةَ وَنَجْرٍ وَجُدَامٍ وَغَسَّانٍ وَإِبَادٍ وَقُضَاعَةَ وَعَرَبِ الْيَمَنِ الْجَوَارِينِ  
لَأَمْرِ الْفَرَسِ وَالرُّومِ وَالْحَبَشَةِ فَلَمْ تَكُنْ لِعُتْمِهِمْ تَامَةً الْمَلَكَةُ بِمُخَالَطَةِ الْأَعَاجِمِ  
وَعَلَى نِسْبَةِ بُعْدِهِمْ مِنْ فُرَيْشٍ كَانَ الْإِحْتِجَاجُ بِلُغَاتِهِمْ فِي الصِّحَّةِ وَالْفُسَادِ عِنْدَ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ  
الْعَرَبِيَّةِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ بِهِ التَّوْفِيقُ

### الفصل الثامن والثلاثون

في ان لغة العرب لهذا العهد مستقلة معايرة لغة مضر وحمير

وَذَلِكَ أَنَّا نَجِدُهَا فِي بَيَانِ الْمَقَاصِدِ وَالْوَفَاءِ بِالِدَّلَالَةِ عَلَى سُنَنِ اللَّسَانِ الْمُضَرِّيِّ  
وَلَمْ يَفْقَدْ مِنْهَا إِلَّا دَلَالَةَ الْحُرُكَاتِ عَلَى تَعْيِينِ الْفَاعِلِ مِنَ الْمَعْمُولِ فَأَعْتَاضُوا مِنْهَا بِالتَّقْدِيمِ  
وَالتَّأخِيرِ وَبِقِرَائِنِ تَدُلُّ عَلَى خُصُوصِيَّاتِ الْمَقَاصِدِ إِلَّا أَنَّ الْبَيَانَ وَالبَلَاغَةَ فِي اللَّسَانِ  
الْمُضَرِّيِّ أَكْثَرُ وَأَعْرَفُ لِأَنَّ الْأَلْفَافِ بِأَعْيَانِهَا دَالَّةٌ عَلَى الْمَعَانِي بِأَعْيَانِهَا وَبَقِيَ مَا  
تَقْتَضِيهِ الْأَحْوَالُ وَيَسْمَى بِسَاطِ الْحَالِ مُتَّجَا إِلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ وَكُلُّ مَعْنَى لَا بَدَأَ وَأَنَّ  
تَكْتَفِيهِ أَحْوَالٌ مُخْصَةٌ فَيَجِبُ أَنْ نُعْتَبِرَ تِلْكَ الْأَحْوَالَ فِي تَأْدِيَةِ الْمَقْصُودِ لِأَنَّهَا صِفَاتُهُ  
وَتِلْكَ الْأَحْوَالُ فِي جَمِيعِ الْأَلْسِنِ أَكْثَرُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهَا بِالْفَلَاظِ مُخْصَهَا بِالْوَضْعِ وَأَمَّا فِي  
اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَيْهَا بِأَحْوَالِ وَكَيْفِيَّاتٍ فِي تَرَكَيبِ الْأَلْفَافِ وَتَأْلِيفِهَا مِنْ

تَقْدِيمٌ أَوْ تَأْخِيرٌ أَوْ حَذْفٌ أَوْ حَرَكَةٌ أَعْرَابٍ وَقَدْ يُدَلُّ عَلَيْهَا بِالْحُرُوفِ غَيْرِ الْمُسْتَقْبَلَةِ  
وَلِذَلِكَ تَفَاوُتَ طَبَقَاتُ الْكَلَامِ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الدَّلَالَةِ عَلَى تِلْكَ  
الْكَيْفِيَّاتِ كَمَا قَدِمْنَا فَكَانَ الْكَلَامُ الْعَرَبِيُّ لِذَلِكَ أَوْجَزَ وَأَقْلَ الْفَاطَاً وَعِبَارَةً  
مِنْ جَمِيعِ الْأَلْسُنِ وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُوتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ وَأَخْتَصِرَ  
لِي الْكَلَامِ اخْتِصَارًا وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ بِمَا يُحْكِي عَنْ عَيْسَى بْنِ عَمْرٍو وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ  
النُّحَاةِ إِنِّي أَجِدُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ تَكَرُّرًا فِي قَوْلِهِمْ زَيْدٌ قَائِمٌ وَإِنْ زَيْدًا قَائِمٌ وَإِنْ  
زَيْدًا لِقَائِمٍ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ فَقَالَ لَهُ إِنَّ مَعَانِيهَا مُخْتَلِفَةٌ فَالْأَوَّلُ لِإِفَادَةِ الْخُلَاطِي الدِّهْنِ مِنْ  
قِيَامِ زَيْدٍ وَالثَّانِي لِمَنْ سَمِعَهُ فترددَ فِيهِ وَالثَّلَاثُ لِمَنْ عَرَفَ بِالْإِضْرَارِ عَلَى إِسْكَارِهِ  
فَاخْتَلَفَتِ الدَّلَالَةُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَمَا زَالَتْ هَذِهِ الْبَلَاغَةُ وَالْبَيَانُ دَيْدَنُ الْعَرَبِ  
وَمَدَّهَبُهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلَا تَلْتَفِتَنَّ فِي ذَلِكَ إِلَى خَرْفَةِ النُّحَاةِ أَهْلِ صِنَاعَةِ الْإِعْرَابِ  
الْقَاصِرَةِ مَدَارِكُهُمْ عَنِ التَّحْقِيقِ حَيْثُ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْبَلَاغَةَ لِهَذَا الْعَهْدِ ذَهَبَتْ وَأَنَّ  
اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ فَسَدَ اعْتِبَارًا بِمَا وَقَعَ فِي أَوَاخِرِ الْكَلِمِ مِنْ فَسَادِ الْإِعْرَابِ الَّذِي يَتَدَارَسُونَ  
قَوَائِنَهُ وَهِيَ مَقَالَةٌ دَسَمَهَا الشُّعْبُ فِي طِبَاعِيهِمْ وَالْفَاهَا الْقُصُورُ فِي أَفْتِدِيهِمْ وَإِلَّا فَتَحْنُ  
نُجْدَ الْيَوْمِ الْكَثِيرِ مِنَ الْفَاطَاِ الْعَرَبِ لَمْ تَزَلْ فِي مَوْضُوعَاتِهَا الْأُولَى وَالتَّعْبِيرِ عَنِ الْمَقَاصِدِ  
وَالْتَعَاوُنِ فِيهِ يَتَفَاوُتُ الْإِبَانَةُ مَوْجُودَةٌ فِي كَلَامِهِمْ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَسَالِبُ اللِّسَانِ  
وَقَوَائِنُهُ مِنَ النِّظْمِ وَالتَّرْتِيبِ مَوْجُودَةٌ فِي مُخَاطَبَاتِهِمْ وَفِيهِمُ الْخُطْبُوبُ الْمَصْطَفَعُ فِي مَحَافِلِهِمْ  
وَمَجَامِعِهِمْ وَالشَّاعِرُ الْمُفْلِقُ عَلَى أَسَالِبِ لُغَتِهِمْ وَالدُّوقُ الصَّحِيحُ وَالطَّبْعُ السَّلِيمُ  
شَاهِدَانِ بِذَلِكَ وَلَمْ يَفْقِدَا مِنْ أَحْوَالِ اللِّسَانِ الْمُدُونِ إِلَّا حَرَكَاتُ الْإِعْرَابِ فِي أَوَاخِرِ  
الْكَلِمِ فَقَطْ الَّذِي لَزِمَ فِي لِسَانِ مُضَرَ طَرِيقَةٌ وَاحِدَةٌ وَمِهْمَعًا مَعْرُوفًا وَهُوَ الْإِعْرَابُ  
وَهُوَ بَعْضُ مِنْ أَحْكَامِ اللِّسَانِ وَإِنَّمَا وَقَعَتِ الْعِنَايَةُ بِإِسَانِ مُضَرَ لِمَا فَسَدَ بِمُخَالَطَتِهِمْ  
الْأَعَاجِمَ حِينَ اسْتَوُوا عَلَى مَمَالِكِ الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِضَرَ وَالْمَغْرِبِ وَصَارَتْ مَلَكَتُهُ  
عَلَى غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي كَانَتْ أَوْلًا فَانْقَلَبَ لُغَةٌ أُخْرَى وَكَانَ الْقُرْآنُ مِزْلًا بِهِ وَالْحَدِيثُ  
النَّبَوِيُّ مَنْقُولًا بِلُغَتِهِ وَهُمَا أَصْلَا الدِّينِ وَالْمِلَّةِ فَخُشِي تَنَاسِيهِمَا وَانْغَلَاقُ الْأَفْهَامِ عَنْهُمَا  
بِفَقْدَانِ اللِّسَانِ الَّذِي نَزَلَا بِهِ فَاحْتِجَّ إِلَى تَدْوِينِ أَحْكَامِهِ وَوَضَعَ مَقَابِسَهُ وَأَسْتَبَاطَ  
قَوَائِنِهِ وَصَارَ عَلِيمًا ذَا فُضُولٍ وَأَبْوَابٍ وَمُقَدَّمَاتٍ وَمَسَائِلَ سَمَّاهُ أَهْلُهُ بِعِلْمِ النُّحُوِّ وَصِنَاعَةِ

الْعَرَبِيَّةَ فَأَصْبَحَ فَنَّا مَحْفُوظًا وَعِلْمًا مَكْتُوبًا وَسَلَامًا إِلَى فَنَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ  
 وَافِيًا وَلَعَلَّنَا لَوْ اعْتَنَيْنَا بِهَذَا اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ لَهَذَا الْعَهْدِ وَأَسْتَقْرَبْنَا أَحْكَامَهُ نَعْتَاضُ  
 عَنِ الْحُرَكَاتِ الْأَعْرَابِيَّةِ فِي دَلَالَتِهَا بِأُمُورٍ أُخْرَى مَوْجُودَةٍ فِيهِ تَكُونُ بِهَا قَوَانِينُ  
 تَخْصُصُهَا وَاعْلَاهَا تَكُونُ فِي أَوَاخِرِهِ عَلَى غَيْرِ الْمُنْهَاجِ الْأَوَّلِ فِي لُغَةٍ مُضَرٍّ فَلَيْسَتْ اللَّغَاتُ  
 وَمَلَكَاتُهَا مِجَانًا وَلَقَدْ كَانَ اللِّسَانُ الْمُضَرِّيُّ مَعَ اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ بِهَذِهِ الدُّنْيَا وَتَغَيَّرَ  
 عِنْدَ مُضَرٍّ كَثِيرٌ مِنْ مَوْضِعَاتِ اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ وَتَصَارِيفِ كَلِمَاتِهِ تَشْهَدُ بِذَلِكَ  
 الْأَنْتِقَالُ الْمَوْجُودَةُ لَدَيْنَا خِلَافًا لِمَنْ يَحْمِلُهُ الْقُصُورُ عَلَى أَنَّهَا لُغَةٌ وَاحِدَةٌ وَيَأْتِمِسُ إِجْرَاءُ  
 اللَّغَةِ الْحِمَيْرِيَّةِ عَلَى مَقَابِيسِ اللَّغَةِ الْمُضَرِّيَّةِ وَقَوَانِينِهَا كَمَا يَزْعُمُ بَعْضُهُمْ فِي اسْتِنْقَاقِ  
 الْقِيلِ فِي اللِّسَانِ الْحِمَيْرِيِّ أَنَّهُ مِنْ الْقَوْلِ وَكَثِيرٌ مِنْ أَشْبَاهِ هَذَا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِصَحِيحٍ  
 وَلُغَةُ حِمَيْرٍ لُغَةٌ أُخْرَى مُغَايِرَةٌ لِلَّغَةِ مُضَرٍّ فِي الْكَثِيرِ مِنْ أَوْضَاعِهَا وَتَصَارِيفِهَا وَحُرَكَاتِ  
 أَعْرَابِهَا كَمَا هِيَ لُغَةُ الْعَرَبِ لِعَهْدِنَا مَعَ لُغَةِ مُضَرٍّ إِلَّا أَنَّ الْعِنَايَةَ بِلِسَانِ مُضَرٍّ مِنْ أَجْلِ  
 الشَّرِيعَةِ كَمَا قُلْنَا هُ حَمَلَ ذَلِكَ عَلَى الْأَسْتِنْبَاطِ وَالْإِسْتِقْرَاءِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا لِهَذَا الْعَهْدِ مَا  
 يَحْمِلُنَا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ وَيَدْعُونَا إِلَيْهِ وَمِمَّا وَقَعَ فِي لُغَةِ هَذَا الْجِيلِ الْعَرَبِيِّ لِهَذَا الْعَهْدِ حَيْثُ  
 كَانُوا مِنَ الْأَنْطَارِ شَأْنُهُمْ فِي النُّطْقِ بِالْقَافِ فَإِنَّهُمْ لَا يَنْطِقُونَ بِهَا مِنْ مَخْرَجِ الْقَافِ  
 عِنْدَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ كَمَا هُوَ مَذْكَورٌ فِي كُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ أَنَّهُ مِنْ أَقْصَى اللِّسَانِ وَمَا فَوْقَهُ  
 مِنَ الْحَنَكِ الْأَعْلَى وَمَا يَنْطِقُونَ بِهَا بِضَاءٍ مِنْ مَخْرَجِ الْكَافِ وَإِنْ كَانَ أَسْفَلَ مِنْ مَوْضِعِ  
 الْقَافِ وَمَا بَلِيهِ مِنَ الْحَنَكِ الْأَعْلَى كَمَا هِيَ بَلْ يَجْمَعُونَ بَهَا مَتَوَسِّطَةً بَيْنَ الْكَافِ وَالْقَافِ  
 وَهُوَ مَوْجُودٌ لِلْجِيلِ أَجْمَعَ حَيْثُ كَانُوا مِنْ غَرْبٍ أَوْ شَرْقٍ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ عِلَامَةً عَلَيْهِمْ  
 مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ وَالْأَجْيَالِ مُخْتَصًّا بِهِمْ لَا يُشَارِكُهُمْ بِهَا غَيْرُهُمْ حَتَّى إِنْ مَنْ يُرِيدُ التَّقَرُّبَ  
 وَالْإِنْتِسَابَ إِلَى الْجِيلِ وَالِدُخُولِ فِيهِ يُحَاكِمُهُمْ فِي النُّطْقِ بِهَا وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُ إِنَّمَا يَتَمَيَّزُ  
 الْعَرَبِيُّ الصَّرِيحُ مِنَ الدُّخِيلِ فِي الْعَرُوبِيَّةِ وَالْحَضْرِيِّ بِالنُّطْقِ بِهَذِهِ الْقَافِ وَيَظْهَرُ بِذَلِكَ  
 أَنَّهَا لُغَةٌ مُضَرٍّ بَعِينًا فَإِنَّ هَذَا الْجِيلَ الْبَاقِينَ مُعْظَمُهُمْ وَرُؤَسَاؤُهُمْ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي وَادِ  
 مَنْصُورِ بْنِ عَمْرٍةَ بْنِ خَصْفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بْنِ سُلَيْمِ بْنِ مَنْصُورٍ وَمِنْ بَنِي عَامِرِ  
 ابْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هُوَازِنِ بْنِ مَنْصُورٍ وَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ أَكْثَرُ الْأُمَمِ  
 فِي الْمَعْمُورِ وَأَغْلَبُهُمْ وَهُمْ مِنْ أَعْقَابِ مُضَرٍّ وَسَائِرِ الْجِيلِ مِنْهُمْ فِي النُّطْقِ بِهَذِهِ الْقَافِ

أَسْوَةٌ وَهَذِهِ اللُّغَةُ لَمْ يَتَدَعِهَا هَذَا الْجِيلُ بَلْ هِيَ مُتَوَارِثَةٌ فِيهِمْ مُتَعاقِبَةٌ وَيَظْهَرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا لُغَةٌ مُضَرُّ الْأَوَّلِينَ وَلَعَلَّهَا لُغَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَيْنَهَا قَدِ ادَّعَى ذَلِكَ فَضَاءَهُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَزَعَمُوا أَنَّ مَنْ قَرَأَ فِي أُمَّ الْقُرْآنِ إِهْدَانًا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بِغَيْرِ الْقَافِ الَّتِي لِهَذَا الْجِيلِ فَقَدْ لَحَنَ وَأَفْسَدَ صَلَاتَهُ وَلَمْ أَدْرِ مِنْ أَيْنَ جَاءَ هَذَا فَإِنَّ لُغَةَ أَهْلِ الْأَمْصَارِ أَيْضًا لَمْ يَسْتَحْدِثُوهَا وَإِنَّمَا تَنَاقَلُوهَا مِنْ لَدُنْ سَلَفِهِمْ وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنْ مُضَرٍّ لَمَّا نَزَلُوا الْأَمْصَارَ مِنْ لَدُنْ الْفَتْحِ وَأَهْلُ الْجِيلِ أَيْضًا لَمْ يَسْتَحْدِثُوهَا إِلَّا أَنَّهُمْ أَبَعَدُ مِنْ مَحَاظَةِ الْأَعَاجِمِ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ فَهَذَا يَرْجَحُ فِيهِمَا يُوْجِدُ مِنَ اللُّغَةِ لِدَيْهِمْ أَنَّهُ مِنْ لُغَةِ سَلَفِهِمْ هَذَا مَعَ اتِّفَاقِ أَهْلِ الْجِيلِ كُلِّهِمْ شَرْقًا وَغَرْبًا فِي النُّطْقِ بِهَا وَأَنَّهَا الْخَاصِيَّةُ الَّتِي يَشْتَمِزُ بِهَا الْعَرَبِيُّ مِنَ الْعَجَمِيِّ وَالْحَضَرِيِّ فَتَفَهَّمْ ذَلِكَ وَاللَّهُ الْهَادِي الْمُبِينُ

### الفصل التاسع والثلاثون

في ان لغة اهل الحضرة والامصار لغة قائمة بنفسها للغة مضر

إِعْلَمُ أَنَّ عَرَفَ الْمُخَاطَبِ فِي الْأَمْصَارِ وَبَيْنَ الْحَضَرِ لَيْسَ بِلُغَةٍ مُضَرِّ الْقَدِيمَةِ وَلَا بِلُغَةِ أَهْلِ الْجِيلِ بَلْ هِيَ لُغَةٌ أُخْرَى قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا بَعِيدَةٌ عَنِ لُغَةِ مُضَرٍّ وَعَنِ لُغَةِ هَذَا الْجِيلِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي لَعِهْدْنَا وَهِيَ عَنِ لُغَةِ مُضَرٍّ أَبَعَدُ فَمَا إِنَّمَا لُغَةٌ قَائِمَةٌ بِنَفْسِهَا فَهِيَ ظَاهِرٌ يَشْهَدُ لَهُ مَا فِيهَا مِنَ التَّغَايُرِ الَّذِي يَعُدُّ عِنْدَ صِنَاعَةِ أَهْلِ النَّحْوِ لِحْنًا وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَمْصَارِ فِي أَصْطِلَاحَاتِهِمْ فَلُغَةُ أَهْلِ الْمَشْرِقِ مُبَايِنَةٌ بَعْضُ الشَّيْءِ لِللُّغَةِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَكَذَا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ مَعَهُمَا وَكُلُّ مِنْهُمْ مُتَوَصِّلٌ بِلُغَتِهِ إِلَى تَأْدِيَةِ مَقْصُودِهِ وَالْإِبَانَةُ عَمَّا فِي نَفْسِهِ وَهَذَا مَعْنَى اللِّسَانِ وَاللُّغَةِ وَفَقْدَانُ الْإِعْرَابِ لَيْسَ بِضَائِرٍ لَهُمْ كَمَا قُلْنَا فِي لُغَةِ الْعَرَبِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَأَمَّا إِنَّمَا أَبَعَدُ عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ مِنْ لُغَةِ هَذَا الْجِيلِ فَلِإِنَّ الْبَعْدَ عَنِ اللِّسَانِ إِنَّمَا هُوَ بِمِخَالَفَةِ الْعَجْمَةِ فَمَنْ خَالَطَ الْعَجْمَ أَكْثَرَ كَانَتْ لُغَتُهُ عَنِ ذَلِكَ اللِّسَانِ الْأَصْلِيِّ أَبَعَدَ لِأَنَّ الْمَلَكَهَ أَنَّمَا تَحْصُلُ بِالتَّعْلِيمِ كَمَا قُلْنَا وَهَذِهِ مَلَكَهٌ مُتَمَرِّجَةٌ مِنَ الْمَلَكَهَةِ الْأُولَى الَّتِي كَانَتْ لِلْعَرَبِ وَمِنَ الْمَلَكَهَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي لِلْعَجْمِ فَعَلَى مَقْدَارِ مَا يَسْمَعُونَهُ مِنَ الْعَجْمِ وَيَرَوْنَ عَلَيْهِ يَبْعُدُونَ عَنِ الْمَلَكَهَةِ الْأُولَى وَاعْتَبِرْ ذَلِكَ فِي أَمْصَارِ أَفْرِيْقِيَّةِ وَالْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ وَالْمَشْرِقِ أَمَّا أَفْرِيْقِيَّةُ وَالْمَغْرِبُ فَخَالَطَتِ الْعَرَبُ فِيهَا الْبَرَابِرَةَ مِنَ الْعَجْمِ يُوْفُورُ عُمْرَانِهَا بِهِمْ وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُو عَنْهُمْ مُضَرُّ

وَلَا جِيلٌ فَغَلَبَتْ الْعُجْمَةُ فِيهَا عَلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي كَانَ لَهُمْ وَصَارَتْ لُغَةٌ أُخْرَى مُتَمَرِّجَةً وَالْعُجْمَةُ فِيهَا أَغْلَبَ لِمَا ذَكَرْنَاهُ فِيهِ عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ أَعْبَدُ وَكَذَا الْمَشْرِقُ لَمَّا غَلَبَ الْعَرَبُ عَلَى أُمَّهِ مِنْ فَارِسَ وَالتَّرْكِ نَحْوِ الطُّومِ وَتَدَاوَلَتْ بَيْنَهُمْ لُغَاتُهُمْ فِي الْأَكْرَةِ وَالْفَلَاحِينَ وَالسُّبْيِ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُمْ حَوْلًا وَدَائِبَاتٍ وَأَذْأَارًا وَمَرَاضِعَ فَفَسَدَتْ لُغَتُهُمْ بِفَسَادِ الْمَلَائِكَةِ حَتَّى انْقَابَتْ لُغَةٌ أُخْرَى وَكَذَا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ مَعَ عَجْمِ الْجَلَالِقَةِ وَالْأَنْفَرِجَةِ وَصَارَ أَهْلُ الْأَمْصَارِ كُلِّهِمْ مِنْ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ أَهْلَ لُغَةٍ أُخْرَى تَخْصُوصَةً بِهِمْ تَخَالَفَ لُغَةً مُضَرًّا وَيَخَالَفُ أَيْضًا بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا نَذَرُوهُ وَكَانَتْ لُغَةُ الْأُخْرَى لِاسْتِحْكَامِ مَلَائِكَتِهَا فِي أَجْبَالِهِمْ وَاللَّهُ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ وَيَقْدِرُ

### الفصل الرابعون

في تعليم اللسان المنضري

إِعْلَمُ أَنَّ مَلَائِكَةَ اللِّسَانِ الْمُضَرِّي لِهَذَا الْعَهْدِ قَدْ ذَهَبَتْ وَفَسَدَتْ وَلُغَةُ أَهْلِ الْحَيْلِ كُلِّهِمْ مُغَايِرَةٌ لِلُّغَةِ مُضَرِّ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ وَإِنَّمَا هِيَ لُغَةٌ أُخْرَى مِنْ أَمْزَاجِ الْعُجْمَةِ بِهَا كَمَا قَدَّمَ نَاهُ إِلَّا أَنَّ اللُّغَاتِ لَمَّا كَانَتْ مَلَائِكَاتٍ كَمَا مَرَّ كَانَ تَعَلُّمُهَا مُمَكِّنًا شَأْنِ سَائِرِ الْمَلَائِكَاتِ وَوَجْهَ التَّعَلُّمِ لِدُنِّ بِنَيْغِي هَذِهِ الْمَلَائِكَةِ وَيُرْوَمُ تَخْصِيلُهَا أَنْ يَأْخُذَ نَفْسُهُ بِحِفْظِ كَلَامِهِمُ الْقَدِيمِ الْجَارِي عَلَى أَسَالِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَكَلَامِ السَّالِفِ وَمُخَاطَبَاتِ فُحُولِ الْعَرَبِ فِي اسْتِجَاعِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ وَكَلِمَاتِ الْمُؤَلَّدِينَ أَيْضًا فِي سَائِرِ فُنُونِهِمْ حَتَّى يَتَنَزَّلَ لِكثْرَةِ حِنِظِهِ لِكَلَامِهِمْ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ مَنْزِلَةً مِنْ نَشَأِ بَيْنَهُمْ وَلِقِنِ الْعِبَارَةِ عَنِ الْمَقَاصِدِ مِنْهُمْ ثُمَّ يَتَصَرَّفُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي التَّعْبِيرِ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ عَلَى حَسَبِ عِبَارَاتِهِمْ وَتَأْلِيفِ كَلِمَاتِهِمْ وَمَا وَعَاهُ وَحَنِظَهُ مِنْ أَسَالِيهِمْ وَتَرْتِيبِ الْفَاطِظِهِمْ فَتَحْصُلُ لَهُ هَذِهِ الْمَلَائِكَةُ بِهَذَا الْحَنِظِ وَالِاسْتِعْمَالِ وَيَزْدَادُ بِكثْرَتِهِمَا رُسُوحًا وَقُوَّةً وَيَحْتَاجُ مَعَ ذَلِكَ إِلَى سَلَامَةِ الطَّبَعِ وَالتَّنْفِهِمِ الْحَسَنِ لِمَنَارِعِ الْعَرَبِ وَأَسَالِيهِمْ فِي التَّرَاكِبِ وَمُرَاعَاةِ التَّطْبِيقِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَقْضِيَاتِ الْأَشْوَالِ وَالذُّوقِ يَشْهَدُ بِذَلِكَ وَهُوَ يَشَاءُ مَا بَيْنَ هَذِهِ الْمَلَائِكَةِ وَالتَّبَعِ السَّلِيمِ فِيهِمَا كَمَا نَذَرُوهُ وَعَلَى قَدَرِ الْحَفُوظِ وَكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ تَكُونُ جُودَةُ الْمَقُولِ الْمَصْنُوعِ نَظْمًا وَتَثْرًا وَمَنْ حَصَلَ عَلَى هَذِهِ الْمَلَائِكَاتِ فَقَدْ حَصَلَ عَلَى لُغَةٍ مُضَرِّ وَهُوَ النَّاقِدُ الْبَصِيرُ بِالْبَلَاغَةِ فِيهَا وَهَكَذَا يَنْبَغِي

أَنْ يَكُونَ تَعْلَمَهَا وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ

## الفصل الحادي والاربعون

في ان ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ صِنَاعَةَ الْعَرَبِيَّةِ إِنَّمَا هِيَ مَعْرِفَةُ قَوَائِنِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَمَقَابِلِهَا  
خَاصَّةً فَهُوَ عِلْمٌ بِكَيْفِيَّةِ لَانْتِسِ كَيْفِيَّةِ فَلَيْسَتْ نَفْسُ الْمَلَكَةِ وَأَنَّمَا هِيَ بِمِثَابَةِ مَنْ يَعْرِفُ  
صِنَاعَةَ مِنَ الصَّنَائِعِ عِلْمًا وَلَا يُحْكِمُهَا عَمَلًا مِثْلَ أَنْ يَقُولَ بَصِيرٌ بِالْخِيَاطَةِ غَيْرُ مُحْكِمٍ  
لِلْمَلَكَةِ فِي التَّعْبِيرِ عَنْ بَعْضِ أَنْوَاعِ الْخِيَاطَةِ هِيَ أَنْ يُدْخَلَ الْخَيْطُ فِي خَرْتِ الْأَبْرِقِ  
ثُمَّ يَغْرِزُهَا فِي لَفْقِي الثُّوبِ مُجْتَمِعِينَ وَيُخْرِجُهَا مِنْ الْجَانِبِ الْأَخْرَ بِمِقْدَارِ كَذَا ثُمَّ  
يُرْدُهَا إِلَى حَيْثُ أَبْتَدَأَتْ وَيُخْرِجُهَا قَدَامَ مَنْفِذِهَا الْأَوَّلِ بِمَطْرَحٍ مَا بَيْنَ الثَّقْبَيْنِ  
الْأَوَّلَيْنِ ثُمَّ يَتِمَادَى عَلَى ذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْعَمَلِ وَيُعْطِي صُورَةَ الْحَبْكِ وَالتَّثْبِيتِ وَالتَّفْتِيحِ  
وَسَائِرِ أَنْوَاعِ الْخِيَاطَةِ وَأَعْمَالِهَا وَهُوَ إِذَا طُولَبَ أَنْ يَعْمَلَ ذَلِكَ بِيَدِهِ لَا يُحْكِمُ مِنْهُ  
شَيْئًا وَكَذَا لَوْ سُئِلَ عَالِمٌ بِالنَّجَارَةِ عَنْ تَفْصِيلِ الْخَشَبِ فَيَقُولُ هُوَ أَنْ تَضَعَ الْمِشَارَ عَلَى  
رَأْسِ الْخَشْبَةِ وَتُمْسِكُ بَطْرَفَهُ وَآخَرَ قِبَالَتِكَ مُمْسِكٌ بَطْرَفَهُ الْأَخْرَ وَتَتَعَابَاهُ بَيْنَكَمَا  
وَأَطْرَافُهُ الْمَضْرَسَةَ الْمُحَدَّدَةَ تَقَطِّعُ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ ذَاهِبَةً وَجَائِبَةً إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى  
آخِرِ الْخَشْبَةِ وَهُوَ لَوْ طُولَبَ بِهَذَا الْعَمَلِ أَوْ شَيْءٌ مِنْهُ لَمْ يُحْكِمْهُ وَمَكَذَا الْعِلْمُ بِقَوَائِنِ  
الْإِعْرَابِ مَعَ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فِي نَفْسِهَا فَإِنَّ الْعِلْمَ بِقَوَائِنِ الْإِعْرَابِ إِنَّمَا هُوَ عِلْمٌ  
بِكَيْفِيَّةِ الْعَمَلِ وَلِذَلِكَ يُجَدُّ كَثِيرًا مِنْ جِهَابِذَةِ النُّحَاةِ وَالْمَهْرَةِ فِي صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَمِيطِينَ  
عِلْمًا بِنَلِكِ الْقَوَائِنِ إِذَا سُئِلَ فِي كِتَابَةِ سَطْرَيْنِ إِلَى أَخِيهِ أَوْ ذِي مَوَدَّتِهِ أَوْ شَكْوَى  
ظُلَامَةٍ أَوْ قَصْدٍ مِنْ قُصُودِهِ أَخْطَأَ فِيهَا عَنِ الصَّوَابِ وَأَكْثَرَ مِنَ اللَّحْنِ وَلَمْ يُجَدِّ تَأَلَّفَ  
الْكَلَامِ لِذَلِكَ وَالْعِبَارَةَ عَنِ الْمَقْصُودِ عَلَى أَسَالِبِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَكَذَا يُجَدُّ كَثِيرًا  
مِمَّنْ يُحْسِنُ هَذِهِ الْمَلَكَةَ وَيُجِدُّ النَّبْنَ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ وَهُوَ لَا يُحْسِنُ إِعْرَابَ  
الْفَاعِلِ مِنَ الْمَنْعُولِ وَلَا الْمَنْعُولِ مِنَ الْجَرُورِ وَلَا شَيْئًا مِنْ قَوَائِنِ صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَعِن  
هَذَا تَعَلَّمَ أَنَّ تِلْكَ الْمَلَكَةَ هِيَ غَيْرُ صِنَاعَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَنَّهَا مُسْتَعْنِيَةٌ عَنْهَا بِالْحُمْلَةِ وَقَدْ  
يُجَدُّ بَعْضُ الْمَهْرَةِ فِي صِنَاعَةِ الْإِعْرَابِ بِصِيرًا بِحَالِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَهُوَ قَلِيلٌ وَاتَّفَاقِيٌّ  
وَأَكْثَرُ مَا يَقَعُ لِلْحَمِيطِينَ لِكِتَابِ سَبْيُونِيهِ فَإِنَّهُ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى قَوَائِنِ الْإِعْرَابِ فَقَطُّ

بَلْ مَلَأَ كِتَابَهُ مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ وَشَوَاهِدِ أَشْعَارِهِمْ وَعِبَارَاتِهِمْ فَكَانَ فِيهِ جُزْءٌ صَالِحٌ  
 مِنْ تَعْلِيمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فَيَجِدُ الْعَاكِفَ عَلَيْهِ وَالْمُحْصِلَ لَهُ قَدْ حَصَلَ عَلَى حَظٍّ مِنْ كَلَامِ  
 الْعَرَبِ وَانْدَرَجَ فِي مَحْفُوظِهِ فِي أَمَاكِينِهِ وَمَفَاصِلِ حَاجَاتِهِ وَتَنَبَّهَ بِهِ لِشَأْنِ الْمَلَكَةِ فَأَسْتَوْفَى  
 تَعْلِيمَهَا فَكَانَ أَبْلَغَ فِي الْإِفَادَةِ وَمِنْ هُوَ لِأَنَّ الْخُلَاطِينَ لِكِتَابِ سَبْيَوِيهِ مِنْ يَغْمَلُ عَنِ  
 التَّفَطُّنِ لِهَذَا فَيَحْصِلُ عَلَى عِلْمِ اللِّسَانِ صِنَاعَةً وَلَا يَحْصِلُ عَلَيْهِ مَلَكَةٌ وَأَمَّا الْخُلَاطُونَ  
 لِكِتَابِ الْمُتَأَخِّرِينَ الْعَرَابِيَّةِ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا مِنَ الْقَوَائِنِ النَّحْوِيَّةِ مُجَرَّدَةً عَنْ أَشْعَارِ  
 الْعَرَبِ وَكَلَامِهِمْ فَقَلَّ مَا يَشْعُرُونَ لِذَلِكَ بِأَمْرِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ أَوْ يَنْتَبِهُونَ لِشَأْنِهَا فَتَجِدُهُمْ  
 يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ قَدْ حَصَلُوا عَلَى رُتْبَةٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَهُمْ أَبْعَدُ النَّاسِ عَنْهُ وَأَهْلُ صِنَاعَةِ  
 الْعَرَبِيَّةِ بِالْأَنْدَلُسِ وَمَعْلُومًا أَقْرَبَ إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَتَعْلِيمِهَا مِنْ سِوَاهُمْ  
 لِقِيَامِهِمْ فِيهَا عَلَى شَوَاهِدِ الْعَرَبِ وَأَمْثَالِهِمْ وَالتَّفَقُّهُ فِي الْكَثِيرِ مِنَ التَّرَاكِبِ فِي مَجَالِسِ  
 تَعْلِيمِهِمْ فَيَسْبِقُ إِلَى الْمَبْتَدِئِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَلَكَةِ أَثْنَاءَ التَّعْلِيمِ فَتَنْقَطِعُ النَّفْسُ لَهَا  
 وَتَسْتَعِدُّ إِلَى تَحْصِيلِهَا وَقَبُولِهَا وَأَمَّا مِنْ سِوَاهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَأَفْرِيقِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ فَأَجْرُوا  
 صِنَاعَةَ الْعَرَبِيَّةِ مُجْرَى الْعُلُومِ بَحْثًا وَقَطَعُوا النَّظَرَ عَنِ التَّفَقُّهِ فِي تَرَكَيبِ كَلَامِ الْعَرَبِ  
 إِلَّا إِنْ أَعْرَبُوا شَاهِدًا أَوْ رَجَعُوا مَذْهَبًا مِنْ جِهَةِ الْاِئْتِضَاءِ الذِّهْنِيِّ لَا مِنْ جِهَةِ مَحَامِلِ  
 اللِّسَانِ وَتَرَكَيبِهِ فَأَصْبَحَتْ صِنَاعَةُ الْعَرَبِيَّةِ كَأَنَّهَا مِنْ جُمْلَةِ قَوَائِنِ الْمَنْطِقِ الْعَقْلِيَّةِ أَوْ  
 الْجَدَلِ وَبَعُدَتْ عَنِ مَنَاحِي اللِّسَانِ وَمَلَكَتِهِ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِعُدُولِهِمْ عَنِ الْبَحْثِ فِي  
 شَوَاهِدِ اللِّسَانِ وَتَرَكَيبِهِ وَتَمْيِيزِ أَسَالِيهِ وَخَفَلْتِهِمْ عَنِ الْمِرَانِ فِي ذَلِكَ لِاحْتِمَالِ نَهْوِ  
 أَحْسَنَ مَا نَفِيْدُهُ الْمَلَكَةُ فِي اللِّسَانِ وَتِلْكَ الْقَوَائِنِ إِنَّمَا هِيَ وَسَائِلُ لِلتَّعْلِيمِ لِكُنْهِمْ  
 أَجْرُومًا عَلَى غَيْرِ مَا قُصِدَ بِهَا وَأَصَارُومًا عِلْمًا بَحْثًا وَبَعْدُوا عَنِ تَمَرُّبِهَا وَتَعَلَّمَ مِمَّا قَرَنَاهُ  
 فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ حُصُولَ مَلَكَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ إِنَّمَا هُوَ بِكَثْرَةِ الْخِنْطِ مِنْ كَلَامِ  
 الْعَرَبِ حَتَّى يَرْتَسِمَ فِي خَيَالِهِ الْمُنْوَالُ الَّذِي تَسْجُو عَلَيْهِ تَرَكَيبُهُمْ فَيَنْسَجُ هُوَ عَلَيْهِ  
 وَيَنْزِلُ بِذَلِكَ مَنَزَلَةً مَنْ نَسَأَ مَعَهُمْ وَخَالَطَ عِبَارَاتِهِمْ فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى حَصَلَتْ لَهُ  
 الْمَلَكَةُ الْمَسْتَقَرَّةُ فِي الْعِبَارَةِ عَنِ الْمَقَاصِدِ عَلَى نَحْوِ كَلَامِهِمْ وَاللَّهُ مُقَدِّرُ الْأُمُورِ كُلِّهَا  
 وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْغَيْبِ

## الفصل الثاني والاربعون

في تفسير الذوق في مصطلح اهل البيان وتحقيق معناه وبيان انه لا يحصل

لمستعربين من العجم

إِعْلَمَ أَنَّ لَفْظَةَ الذَّوْقِ بَدَأُوا لَهَا الْمَعْنُونَ بِفُنُونِ الْبَيَانِ وَمَعْنَاهَا حُصُولُ مَلَكَةِ  
 الْبَلَاغَةِ لِلْسَّانِ وَقَدْ مَرَّ تَفْسِيرُ الْبَلَاغَةِ وَأَنَّهَا مَطَابِقَةُ الْكَلَامِ لِمَعْنَى مِنْ جَمِيعِ وُجُوهِهِ  
 بِمُخَوَّصٍ نَفَعَ لِلتَّرَاكِبِ فِي إِفَادَةِ ذَلِكَ فَأَلْمَسْتَكَلِمُ لِسَانَ الْعَرَبِ وَالْبَلِيغُ فِيهِ يَتَحَرَّى  
 أَهْمِيَّةَ الْمَفِيدَةِ لِذَلِكَ عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ وَأَنْحَاءِ مَخَاطَبَاتِهِمْ وَيَنْظِمُ الْكَلَامَ عَلَى ذَلِكَ  
 الْوَجْهِ جُهْدَهُ فَإِذَا اتَّصَلَتْ مَقَامَاتُهُ بِمَخَاطَبَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَةُ فِي نَظْمِ  
 الْكَلَامِ عَلَى ذَلِكَ الْوَجْهِ وَسَمِلَ عَلَيْهِ أَمْرُ التَّرَكِيبِ حَتَّى لَا يَكَادُ يَنْجُو فِيهِ غَيْرَ مَنْحَى  
 الْبَلَاغَةِ الَّتِي لِلْعَرَبِ وَإِنْ سَمِعَ تَرْكِيبًا غَيْرَ جَارٍ عَلَى ذَلِكَ الْمَنْحَى بَجَهِّ وَتَبَا عَنْهُ سَمِعَهُ  
 بِأَدْنَى فِكْرٍ بَلٍ وَبِعَبْرٍ فِكْرٍ إِلَّا بِمَا اسْتَنَادَ مِنْ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ فَإِنَّ الْمَلَكَاتِ  
 إِذَا اسْتَقَرَّتْ وَرَمَحَتْ فِي مَحَالِّهَا ظَهَرَتْ كَأَنَّهَا طَبِيعَةٌ رَجِيئَةٌ لِذَلِكَ السَّحْلِ وَلِذَلِكَ يَنْظُرُ  
 كَثِيرٌ مِنَ الْمُغْفَلِينَ مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ شَأْنَ الْمَلَكَاتِ أَنَّ الصَّوَابَ لِلْعَرَبِ فِي لُغَتِهِمْ  
 إِعْرَابًا وَبَلَاغَةً أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ وَيَقُولُ كَانَتْ الْعَرَبُ تَنْطَلِقُ بِالطَّبَعِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ  
 مَلَكَةٌ لِسَانِيَّةٌ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ تَمَكَّنَتْ وَرَمَحَتْ فَظَهَرَتْ فِي بَادِيءِ الرَّأْيِ أَنَّهَا  
 جَيِّلَةٌ وَطَبِيعٌ وَهَذِهِ الْمَلَكَةُ كَمَا أَتَقَدَّمَ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِمُحَارَسَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَتَكَرُّرِهِ  
 عَلَى السَّمْعِ وَالْفِطْنِ لِمُخَوَّصٍ تَرَكَيبِهِ وَلَيْسَتْ تَحْصُلُ بِمَعْرِفَةِ الْقَوَانِينِ الْعِلْمِيَّةِ فِي ذَلِكَ  
 الَّتِي اسْتَنْبَطَهَا أَهْلُ صِنَاعَةِ اللِّسَانِ فَإِنَّ هَذِهِ الْقَوَانِينِ إِنَّمَا تُبَيِّدُ عِلْمًا بِذَلِكَ اللِّسَانِ وَلَا  
 تُبَيِّدُ حُصُولَ الْمَلَكَةِ بِالْفِعْلِ فِي مَحَلِّهَا وَقَدْ مَرَّ ذَلِكَ وَإِذَا تَفَرَّرَ ذَلِكَ فَهِيَ الْمَلَكَةُ الْبَلَاغَةُ  
 فِي اللِّسَانِ تَهْدِي الْبَلِيغَ إِلَى وُجُودِ النَّظْمِ وَحُسْنِ التَّرَكِيبِ الْمُوَافِقِ لِلتَّرَاكِبِ الْعَرَبِ  
 فِي لُغَتِهِمْ وَنَظْمِ كَلَامِهِمْ وَلَوْ رَامَ صَاحِبُ هَذِهِ الْمَلَكَةِ حَيْدًا عَنْ هَذِهِ السَّبِيلِ الْمَعِينَةِ  
 وَالتَّرَاكِبِ الْمَخْصُوصَةِ لَمَا قَدَرَ عَلَيْهِ وَلَا وَافَقَهُ عَلَيْهِ لِسَانُهُ لِأَنَّهُ لَا يَتَعَادُهُ وَلَا تَهْدِيهِ  
 إِلَيْهِ مَلَكَتُهُ الرَّاسِخَةُ عِنْدَهُ وَإِذَا عَرَضَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ حَائِدًا عَنْ أُسْلُوبِ الْعَرَبِ  
 وَبَلَاغَتِهِمْ فِي نَظْمِ كَلَامِهِمْ أَعْرَضَ عَنْهُ وَجَعَهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ الَّذِينَ  
 مَارَسَ كَلَامَهُمْ وَرُبَّمَا يَعْجِزُ عَنِ الْإِحْتِجَاجِ لِذَلِكَ كَمَا تَصْنَعُ أَهْلُ الْقَوَانِينِ النَّحْوِيَّةِ

وَالْبَيَانِيَّةُ فَإِنَّ ذَلِكَ اسْتِدْلَالٌ بِمَا حَصَلَ مِنَ الْقَوَائِنِ الْمَفَادَةِ بِالِاسْتِقْرَاءِ وَهَذَا أَمْرٌ  
وَجَدَانِي حَاصِلٌ بِمُمَارَسَةِ كَلَامِ الْعَرَبِ حَتَّى يَصِيرَ كَوَاحِدٍ مِنْهُمْ وَمِثَالُهُ لَوْ فَرَضْنَا  
صَبِيًّا مِنْ صِبْيَانِهِمْ نَشَأَ وَرَبِّي فِي جِيلِهِمْ فَإِنَّهُ يَتَعَلَّمُ لُغَتَهُمْ وَيَحْكُمُ شَأْنَ الْأَعْرَابِ  
وَالْبَلَاغَةِ فِيهَا حَتَّى يَسْتَوِيَ عَلَى غَايَتِهَا وَلَيْسَ مِنَ الْعِلْمِ الْقَانُونِي فِي شَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ  
بِحُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكََةِ فِي لِسَانِهِ وَنُطْقِهِ وَكَذَلِكَ تَحْضُلُ هَذِهِ الْمَلَكََةُ لِمَنْ بَعْدَ ذَلِكَ  
الْجِيلِ بِحِفْظِ كَلَامِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ وَخَطَبِهِمْ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى ذَلِكَ بِحَيْثُ يُحْصَلُ الْمَلَكََةُ  
وَيَصِيرُ كَوَاحِدٍ مِمَّنْ نَشَأَ فِي جِيلِهِمْ وَرَبِّي بَيْنَ أَجْيَالِهِمْ وَالْقَوَائِنُ بِمَعْرُوفٍ عَنْ هَذَا  
وَأَسْتَعِيرُ لِهَذِهِ الْمَلَكََةِ عِنْدَمَا تَرَسُّخٌ وَتَسْتَقَرُّ أَسْمُ الدُّوْقِ الَّذِي اصْطَلَحَ عَلَيْهِ أَهْلُ  
صِنَاعَةِ الْبَيَانِ وَإِنَّمَا هُوَ مَوْضِعٌ لِإِدْرَاكِ الطُّعُومِ لَكِنْ لَمَّا كَانَ مَحَلُّ هَذِهِ الْمَلَكََةِ  
فِي اللِّسَانِ مِنْ حَيْثُ النُّطْقُ بِالْكَلامِ كَمَا هُوَ مَحَلُّ لِإِدْرَاكِ الطُّعُومِ اسْتَعِيرَ لَهَا اسْمُهُ  
وَأَيْضًا فَهُوَ وَجَدَانِي اللِّسَانِ كَمَا أَنَّ الطُّعُومَ مَحْسُوسَةٌ لَهُ فَحِيلَ لَهُ ذَوْقٌ وَإِذَا تَبَيَّنَ لَكَ  
ذَلِكَ عَلِمْتَ مِنْهُ أَنَّ الْأَعْجِمَ الدَّخِيلِينَ فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ الطَّارِئِينَ عَلَيْهِ الْمُضْطَرِّبِينَ  
إِلَى النُّطْقِ بِهِ لِحَاظَةِ أَهْلِهِ كَالْفَرَسِ وَالرُّومِ وَالرُّكَّ بِالْمَشْرِقِ وَكَالْبَرْبَرِ بِالْمَغْرِبِ  
فَإِنَّهُ لَا يُحْصَلُ لَهُمْ هَذَا الذَّوْقُ لِقُصُورِ حَظِّهِمْ فِي هَذِهِ الْمَلَكََةِ الَّتِي قَرَرْنَا أَمْرَهَا لِأَنَّ  
قُصَارَاهُمْ بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الْأَعْمُرِ وَسَقَى مَلَكَةً أُخْرَى إِلَى اللِّسَانِ وَهِيَ لُغَاتُهُمْ أَنْ يَعْتَمُوا  
بِمَا يَتَدَاوَلُهُ أَهْلُ مَضَرِّ بَيْنَهُمْ فِي الْحَاوِرَةِ مِنْ مُنْرَدٍ وَمَرْكَبٍ لِمَا يُضْطَرُّونَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ  
وَهَذِهِ الْمَلَكََةُ قَدْ ذَهَبَتْ لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ وَبَعَدُوا عَنْهَا كَمَا نَقَدَمَ وَإِنَّمَا لَهُمْ فِي  
ذَلِكَ مَلَكَةٌ أُخْرَى وَلَيْسَتْ هِيَ مَلَكَةُ اللِّسَانِ الْمَطْلُوبَةِ وَمَنْ عَرَفَ تِلْكَ الْمَلَكََةَ  
مِنَ الْقَوَائِنِ الْمُسْطَرَّةِ فِي الْكُتُبِ فَايَسَ مِنْ تَحْصِيلِ الْمَلَكََةِ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا حَصَلَ  
أَحْكَامُهَا كَمَا عَرَفَتْ وَإِنَّمَا تَحْضُلُ هَذِهِ الْمَلَكََةُ بِالْمُمَارَسَةِ وَالْأَعْيَادِ وَالْتِكْرَارِ  
لِلْكَلامِ الْعَرَبِيِّ فَإِنْ عَرَضَ لَكَ مَا تَسْمَعُهُ مِنْ أَنَّ سَبِيحِيهِ وَالْفَارِسِيَّ وَالزَّمَخْشَرِيَّ وَمِثْلَهُمْ  
مِنْ فُرْسَانَ الْكَلَامِ كَانُوا أَعْجَامًا مَعَ حُصُولِ هَذِهِ الْمَلَكََةِ لَهُمْ فَأَعْلَمُ أَنَّ أَوْلِيكَ  
الْقَوْمِ الَّذِينَ تَسْمَعُ عَنْهُمْ إِنَّمَا كَانُوا عَجَمًا فِي سَبِيحِهِمْ فَقَطُّ وَأَمَّا الْمَرْبِيُّ وَالنَّشَاءُ فَكَانَتْ  
بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الْمَلَكََةِ مِنَ الْعَرَبِ وَمَنْ تَعَلَّمَهَا مِنْهُمْ فَأَسْتَوُوا بِذَلِكَ مِنَ الْكَلَامِ  
عَلَى غَايَةِ لَأَشْيَاءٍ وَرَاءَهَا وَكَانَتْهُمْ فِي أَوَّلِ نَشَأَتِهِمْ مِنَ الْعَرَبِ الَّذِينَ نَشَأُوا فِي أَجْيَالِهِمْ

حَتَّى أَدْرَكُوا كُنْهُ اللُّغَةِ وَصَارُوا مِنْ أَهْلِهَا فَهَمُّ وَإِنْ كَانُوا عَجْمًا فِي النَّسَبِ فَلَيْسُوا بِأَعْجَامٍ  
 فِي اللُّغَةِ وَالْكَلَامِ لِأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا أَلْمَلَةَ فِي عُنُقِهَا وَاللُّغَةَ فِي شَبَابِهَا وَلَمْ تَذْهَبِ  
 آثَارُ الْمَلَكَةِ وَلَا مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ ثُمَّ عَكَفُوا عَلَى الْمُمَارَسَةِ وَالْمُدَارَسَةِ لِكَلَامِ  
 الْعَرَبِ حَتَّى اسْتَوْوَأَ عَلَى غَايَتِهِ وَالْيَوْمَ الْوَاحِدِ مِنَ الْعَجْمِ إِذَا خَالَطَ أَهْلَ اللِّسَانِ  
 الْعَرَبِيِّ بِالْأَمْصَارِ فَأَوَّلُ مَا يَجِدُ تِلْكَ الْمَلَكَةَ الْمَقْصُودَةَ مِنَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ مُنْتَجِبَةً  
 الْآثَارَ وَيَجِدُ مَلَكَتَهُمْ الْخَاصَّةَ بِهِمْ مَلَكَةً أُخْرَى مُخَالَفَةً لِمَلَكَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ  
 ثُمَّ إِذَا فَرَضْنَا أَنَّهُ أَقْبَلَ عَلَى الْمُمَارَسَةِ لِكَلَامِ الْعَرَبِ وَأَشَاعَرَهُمْ بِالْمُدَارَسَةِ وَالْحَفِظِ  
 يَسْتَفِيدُ مَخْصِيلاً فَقَدْ لَانَ يَحْضُلُ لَهُ مَا قَدَّمَ نَاهُ مِنْ أَنَّ الْمَلَكَةَ إِذَا سَبَقَتْهَا مَلَكَةٌ  
 أُخْرَى فِي الْحِكْلِ فَلَا تَحْضُلُ إِلَّا نَاقِصَةً مَخْدُوشَةً وَإِنْ فَرَضْنَا أَعْجَبِيًّا فِي النَّسَبِ سَلِمَ  
 مِنْ مَخَالَطَةِ اللِّسَانِ الْعَجْمِيِّ بِالْمَلَكَةِ وَذَهَبَ إِلَى تَعَلُّمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِالْمُدَارَسَةِ  
 فَرَبَّمَا يَحْضُلُ لَهُ ذَلِكَ لِكِنَّةٍ مِنَ الدُّورِ بِيْحِثُ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ بِمَا نَقَرَّرَ وَرَبَّمَا يَدْعِي كَثِيرٌ  
 مِمَّنْ يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الْقَوَانِينِ الْبَيِّنَاتِ حُصُولَ هَذَا الذُّوقِ لَهُ بِهَا وَهُوَ غَلَطٌ أَوْ مَخَالَطَةٌ وَإِنَّمَا  
 حَصَلَتْ لَهُ الْمَلَكَةُ إِنْ حَصَلَتْ فِي تِلْكَ الْقَوَانِينِ الْبَيِّنَاتِ وَلَيْسَتْ مِنْ مَلَكَةِ الْعِبَارَةِ فِي  
 شَيْءٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ

### الفصل الثالث والاربعون

في ان اهل الامصار على الاطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة

اللسانية التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم ابعد عن

اللسان العربي كان حصولها له اصعب واعسر

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا يَسْبِقُ إِلَى الْمُتَعَلِّمِ مِنْ حُصُولِ مَلَكَةٍ مُنَافِيَةٍ لِلْمَلَكَةِ الْمَطْلُوبَةِ  
 بِمَا سَبَقَ إِلَيْهِ مِنَ اللِّسَانِ الْحَضْرِيِّ الَّذِي أَفَادَتْهُ الْعِجْمَةُ حَتَّى نَزَلَ بِهَا اللِّسَانُ عَنِ  
 مَلَكَتِهِ الْأُولَى إِلَى مَلَكَةٍ أُخْرَى هِيَ لُغَةُ الْحَضَرِ لِهَذَا الْعَهْدِ وَلِهَذَا يَجِدُ الْعُلَمَاءُ  
 يَذْهَبُونَ إِلَى الْمَسَابِقَةِ بِتَعَلِيمِ اللِّسَانِ لِلْوِلْدَانِ وَتَعْتَقِدُ النَّحَاةُ أَنَّ هَذِهِ الْمَسَابِقَةَ  
 بِصِنَاعَتِهِمْ وَلَيْسَ كَذَلِكَ وَإِنَّمَا هِيَ بِتَعَلِيمِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِمَخَالَطَةِ اللِّسَانِ وَكَلَامِ  
 الْعَرَبِ نَعْمَ صِنَاعَةٌ اتَّخُوْا قُرْبًا إِلَى مَخَالَطَةِ ذَلِكَ وَمَا كَانَ مِنْ لُغَاتِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ أَعْرَقَ  
 فِي الْعِجْمَةِ وَأَبْعَدَ عَنِ اللِّسَانِ مَضْرُوقًا بِصَاحِبِهِ عَنِ تَعَلُّمِ اللُّغَةِ الْمَضْرُوبَةِ وَحُصُولِ

مَلَكَتْهَا تَمَكُّنَ الْمُنَافَاةِ حَيْثُ دَوَّعَتْ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الْأَمْصَارِ فَأَهْلُ أFRِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ  
 لَمَّا كَانُوا أَعْرَقَ فِي الْعُجْمَةِ وَأَبْعَدَ عَنِ اللِّسَانِ الْأَوَّلِ كَانَ لَهُمْ قُصُورٌ تَامٌ فِي تَحْصِيلِ  
 مَلَكَتْهَا بِالتَّعْلِيمِ وَقَدْ نَقَلَ ابْنُ الرَّفِيقِ أَنَّ بَعْضَ كُتَّابِ الْقَيْرَوَانِ كَتَبَ إِلَى صَاحِبِ  
 لَهُ يَا أَخِي وَمَنْ لَا عِدْمَتْ فَقَدَهُ أَعْلَمَنِي أَبُو سَعِيدٍ كَلَامًا أَنَّكَ كُنْتَ ذَكَرْتَ أَنَّكَ  
 تَكُونُ مَعَ الَّذِينَ تَأْتِي وَعَاقِفَنَا الْيَوْمَ قَلِمٌ يَتَهَيَّأُ لَنَا الْخُرُوجُ وَأَمَّا أَهْلُ الْمَنْزِلِ الْكَلَابُ مِنْ  
 أَمْرِ السِّينِ فَقَدْ كَذَّبُوا هَذَا بَاطِلًا لَيْسَ مِنْ هَذَا حَرْفًا وَاحِدًا وَكُتَابِي إِلَيْكَ وَأَنَا مُشْتَاقٌ  
 إِلَيْكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ وَهَكَذَا كَانَتْ مَلَكَتْهُمْ فِي اللِّسَانِ الْمَضْرِيِّ شَبِيهٌ بِمَا ذَكَرْنَا  
 وَكَذَلِكَ أَشْعَارُهُمْ كَانَتْ بَعِيدَةً عَنِ الْمَلَكَةِ نَازِلَةً عَنِ الطَّبَقَةِ وَلَمْ تَنْزَلْ كَذَلِكَ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ وَلِهَذَا مَا كَانَ بِأَفْرِيقِيَّةَ مِنْ مَشَاهِيرِ الشُّعْرَاءِ إِلَّا ابْنُ رَشِيقٍ وَابْنُ شَرْفٍ وَأَكْثَرُ  
 مَا يَكُونُ فِيهَا الشُّعْرَاءُ طَارِئِينَ عَلَيْهَا وَلَمْ تَنْزَلْ طَبَقَتُهُمْ فِي الْبَلَاغَةِ حَتَّى الْآنَ مَائِلَةٌ إِلَى  
 الْقُصُورِ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ أَقْرَبُ مِنْهُمْ إِلَى تَحْصِيلِ هَذِهِ الْمَلَكَةِ بِكَثْرَةِ مُعَانَتِهِمْ  
 وَأَمْتَلَانِهِمْ مِنَ الْمُحْفُوظَاتِ الْغَلَوِيَّةِ نَظْمًا وَنَثْرًا وَكَانَ فِيهِمْ ابْنُ حَيَّانَ الْمُوَرِّخُ إِمَامُ  
 أَهْلِ الصَّنَاعَةِ فِي هَذِهِ الْمَلَكَةِ وَرَافِعُ الرَّايَةِ لَهُمْ فِيهَا وَابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ وَالْقَسْطَلِيُّ  
 وَمِثْلَهُمْ مِنْ شُعْرَاءِ مُلُوكِ الطَّوَائِفِ لِمَا زَخَرَتْ فِيهَا بِحَارُ اللِّسَانِ وَالْأَدَبِ وَتَدَاوَلُ  
 ذَلِكَ فِيهِمْ مِثِينَ مِنَ السِّنِينَ حَتَّى كَانَ الْإِنْفِضَاضُ وَالْجَلَاءُ أَيَّامَ تَغْلِبِ النُّصْرَانِيَّةِ وَسَعِلُوا  
 عَنْ تَعَلُّمِ ذَلِكَ وَتَنَاقَصَ الْعُمَرَانُ فَتَنَاقَصَ لِذَلِكَ شَأْنُ الصَّنَائِعِ كَمَا فَصَّصَتْ الْمَلَكَةُ  
 فِيهِمْ عَنْ شَأْنِهَا حَتَّى بَلَغَتْ الْحُضِيضَ وَكَانَ مِنْ آخِرِهِمْ صَالِحُ بْنُ شَرِيفٍ وَمَالِكُ بْنُ  
 مَرْحَلٍ مِنَ تَلَامِيذِ الطَّبَقَةِ الْأَشْبِيلِيَّةِ بِسَبْتَةِ وَكُتَابُ دَوْلَةِ ابْنِ الْأَحْمَرِ فِي أَوْلِيهَا  
 وَأَلْقَتْ الْأَنْدَلُسُ أَفْلَادَ كَيْدِهَا مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْمَلَكَةِ بِالْجَلَاءِ إِلَى الْعُدُودِ لِعُدُودِ  
 الْأَشْبِيلِيَّةِ إِلَى سَبْتَةِ وَمِنْ شَرَفِي الْأَنْدَلُسِ إِلَى أَفْرِيقِيَّةَ وَلَمْ يَلْبَثُوا إِلَى أَنْ نَقَرَضُوا وَأَنْقَطَعَ  
 سِنْدُ تَعْلِيمِهِمْ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لِعَسْرِ قَبُولِ الْعُدُودِ لَهَا وَصُعُوبَتِهَا عَلَيْهِمْ بِعُوجِ السُّنَنِ  
 وَرُسُوخِهِمْ فِي الْعُجْمَةِ الْبَرْبَرِيَّةِ وَهِيَ مُنَافِيَةٌ لِمَا فُلِنَاهُمْ ثُمَّ عَادَتْ الْمَلَكَةُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ  
 إِلَى الْأَنْدَلُسِ كَمَا كَانَتْ وَنَجَّمَ بِهَا ابْنُ بَشْرِينَ وَابْنُ جَابِرٍ وَابْنُ الْجِيَابِ وَطَبَقَتُهُمْ ثُمَّ  
 إِبْرَاهِيمُ السَّاحِلِيُّ الطَّرِيعِيُّ وَطَبَقَتُهُ وَقَفَّاهُمْ ابْنُ الْخَطِيبِ مِنْ بَعْدِهِمُ الْهَالِكُ لِهَذَا الْعَهْدِ  
 شَهِيدًا بِسَعَايَةِ أَعْدَائِهِ وَكَانَ لَهُ فِي اللِّسَانِ مَلَكَةٌ لَا تَدْرُكُ وَاتَّبَعَ أَثَرَهُ تَلْمِيذُهُ وَبِالْجُمْلَةِ

فَسَانِ هَذِهِ الْمَلِكَةَ بِالْأَنْدَلُسِ أَكْثَرُ وَتَعَلِيمُهَا أَيْسَرُ وَأَسْهَلُ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ لِهَذَا  
 الْعَهْدِ كَمَا قَدَّمَاهُ مِنْ مُعَانَاةِ عُلُومِ اللِّسَانِ وَحِفَافَتِهِمْ عَلَيْهَا وَعَلَى عُلُومِ الْأَدَبِ وَسَنَدِ  
 تَعَلِيمِهَا وَإِنَّ أَهْلَ اللِّسَانِ أَنْجَمِي الَّذِينَ تَفَسَّدُ مَلَكَتُهُمْ إِتْمَانُهُمْ طَارُونَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَتْ  
 عَجْمَتُهُمْ أَصْلًا لِغُةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَالْبَرْبَرِ فِي هَذِهِ الْعُدُوةِ وَهُمْ أَهْلُهَا وَلِسَانُهُمْ لِسَانُهَا  
 إِلَّا فِي الْأَمْصَارِ فَقَطْ وَهُمْ فِيهَا مُتَعَمِّسُونَ فِي بَعْضِ عَجْمَتِهِمْ وَرَطَانَتِهِمْ الْبَرْبَرِيَّةِ فَيَضَعُ  
 عَلَيْهِمْ تَحْصِيلُ الْمَلِكَةِ اللِّسَانِيَّةِ بِالتَّعَلِيمِ بِخِلَافِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَأَعْتَبَرْنَا ذَلِكَ بِحَالِ أَهْلِ  
 الْمَشْرِقِ عَهْدِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَالْعَبَّاسِيَّةِ فَكَانَ شَأْنُهُمْ شَأْنَ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ فِي تَمَامِ  
 هَذِهِ الْمَلِكَةِ وَاجْتَادَتَهَا لِبُعْدِهِمْ لِذَلِكَ الْعَهْدِ عَنِ الْأَعَاجِمِ وَحَفَافَتِهِمْ إِلَّا فِي الْقَلِيلِ  
 فَكَانَ أَمْرُ هَذِهِ الْمَلِكَةِ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ أَقْوَمَ وَكَانَ فُحُولُ الشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابُ أَوْفَرَ  
 لِتَوْفُرِ الْعَرَبِ وَأَبْنَائِهِمْ بِالْمَشْرِقِ وَأَنْظَرُوا مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ كِتَابُ الْأَغَانِي مِنْ نَظْمِهِمْ  
 وَنَثَرِهِمْ فَإِنَّ ذَلِكَ الْكِتَابَ هُوَ كِتَابُ الْعَرَبِ وَدِيُونُهُمْ وَفِيهِ لُغَتُهُمْ وَأَخْبَارُهُمْ وَأَيَّامُهُمْ  
 وَمِثْلَتُهُمْ الْعَرَبِيَّةُ وَسِيرَتُهُمْ وَأَثَارُ خُلَفَائِهِمْ وَمُلُوكِهِمْ وَأَشْعَارُهُمْ وَعِنَاؤُهُمْ وَسَائِرُ مَعَانِيهِمْ  
 لَهُ فَلَا كِتَابَ أَوْعَبَ مِنْهُ لِأَحْوَالِ الْعَرَبِ وَبَقِيَ أَمْرُ هَذِهِ الْمَلِكَةِ مُسْتَحْكِمًا فِي الْمَشْرِقِ  
 فِي الدَّوْلَتَيْنِ وَرُبَّمَا كَانَتْ فِيهِمْ أَبْلَغُ مِنْ سِوَاهُمْ مِنْ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَمَا نَدَّ كُرُهُ  
 بَعْدُ حَتَّى تَلَأَشَى أَمْرُ الْعَرَبِ وَدُرِسَتْ لُغَتُهُمْ وَفَسَدَ كَلَامُهُمْ وَأَنْقَضَى أَمْرُهُمْ وَدَوَّلَتُهُمْ  
 وَصَارَ الْأَمْرُ لِلْأَعَاجِمِ وَالْمَلِكُ فِي أَيْدِيهِمْ وَالغُلْبُ لَهُمْ وَذَلِكَ فِي دَوْلَةِ الدَّلِيمِ وَالسُّلْجُوقِيَّةِ  
 وَخَالَطُوا أَهْلَ الْأَمْصَارِ وَالْحَوَاضِرِ حَتَّى بَعَدُوا عَنِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَمَلَكَتِهِ وَصَارَ  
 مَتَعَلِّمًا مِنْهُمْ مُقْصِرًا عَنْ تَحْصِيلِهَا وَعَلَى ذَلِكَ تَجِدُ لِسَانَهُمْ لِهَذَا الْعَهْدِ فِي فَنِّي الْمَنْظُومِ  
 وَالْمَنْثُورِ وَإِنْ كَانُوا مُكْثَرِينَ مِنْهُ وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى  
 عِلْمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ لِأَرْبِّ سِوَاهُ

### الفصل الرابع والاربعون

في انقسام الكلام الى في النظم والنثر

إِعْلَمُ أَنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى فَنَيْنِ فِي الشُّعْرِ الْمَنْظُومِ وَهُوَ الْكَلَامُ  
 الْمَوْزُونُ الْمُقَفَّى وَمَعْنَاهُ الَّذِي تَكُونُ أَوْزَانُهُ كُلِّهَا عَلَى رُويٍّ وَاحِدٍ وَهُوَ الْقَافِيَةُ وَفِي  
 النَّثْرِ وَهُوَ الْكَلَامُ غَيْرُ الْمَوْزُونِ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَنَيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى فُنُونٍ وَمَذَاهِبٍ

فِي الْكَلَامِ فَأَمَّا الشَّعْرُ فَمِنْهُ الْمَدْحُ وَالنَّهْيُ وَالرِّثَاءُ وَأَمَّا النَّثْرُ فَمِنْهُ السَّجْعُ الَّذِي  
 يُؤْتَى بِهِ قِطْعًا وَيُلْتَزَمُ فِي كُلِّ كَلِمَتَيْنِ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ يُسَمَّى سَجْعًا وَمِنْهُ الْمُرْسَلُ  
 وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ فِيهِ الْكَلَامُ إِطْلَاقًا وَلَا يَقْطَعُ أَجْزَاءً بَلْ يُرْسَلُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ  
 تَقْسِيمٍ بِقَافِيَةٍ وَلَا غَيْرِهَا وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْخُطْبِ وَالِدُّعَاءِ وَتَرْغِيبِ الْجُمْهُورِ وَتَرْهِيْبِهِمْ وَأَمَّا  
 الْقُرْآنُ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمُنْثَوْرِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ الْوَصْفَيْنِ وَابْتَسَى يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا  
 وَلَا مُسَجَّعًا بَلْ تَفْصِيلُ آيَاتِ بِنْتَهِي إِلَى مَقَاطِعِ يَشْهَدُ الذُّوقُ بِانْتِهَاءِ الْكَلَامِ عِنْدَهَا  
 ثُمَّ يَعَادُ الْكَلَامُ فِي الْآيَةِ الْآخِرَى بَعْدَهَا وَيَثْنَى مِنْ غَيْرِ النِّزَامِ حَرْفٌ يَكُونُ سَجْعًا  
 وَلَا قَافِيَةً وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَفْسَعِرُ مِنْهُ  
 جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَقَالَ قَدْ فَصَلْنَا الْآيَاتِ وَيُسَمَّى آخِرُ الْآيَاتِ مِنْهَا فَوَاصِلٌ  
 إِذْ لَيْسَتْ أَسْجَاعًا وَلَا التَّزْمُ فِيهَا مَا يُلْتَزَمُ فِي السَّجْعِ وَلَا هِيَ أَيْضًا قَوَافٍ وَأُطْلِقَ اسْمُ  
 الْمَثَانِي عَلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا عَلَى الْعُمُومِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَأَخْتَصَّتْ بِأَمِّ الْقُرْآنِ لِلْغَلْبَةِ  
 فِيهَا كَالنَّجْمِ لِلثَّرِيَا وَلِهَذَا سُمِّيَتْ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَأَنْظَرَ هَذَا مَعَ مَا قَالَهُ الْمَفْسِرُونَ فِي تَعْلِيلِ  
 تَسْمِيَّتِهَا بِالْمَثَانِي يَشْهَدُ لَكَ الْحَقُّ بِرُخْجَانِ مَا قُلْنَا . وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ  
 النَّوْنِ أَسَالِيبَ مُخْتَصَّةً بِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ وَلَا تَصْلُحُ لِلْفَنِّ الْآخِرِ وَلَا تُسْتَعْمَلُ فِيهِ مِثْلَ النَّسِيبِ  
 الْمُخْتَصِّ بِالشَّعْرِ وَالْحَمْدِ وَالِدُّعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالْخُطْبِ وَالِدُّعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالْمُخَاطَبَاتِ  
 وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ وَمَوَازِينَهُ فِي الْمُنْثَوْرِ مِنْ كَثْرَةِ  
 الْأَسْجَاعِ وَالْتِزَامِ التَّقْفِيَةِ وَتَقْدِيمِ النَّسِيبِ بَيْنَ يَدَيِ الْأَعْرَاضِ وَصَارَ هَذَا الْمُنْثَوْرُ إِذَا  
 تَأَمَّلْتَهُ مِنْ بَابِ الشَّعْرِ وَفِيهِ وَلَمْ يَفْتَرِ قَالًا إِلَّا فِي الْوِزْنِ وَأَسْتَمَرَ الْمُتَأَخِّرُونَ مِنَ الْكُتَّابِ  
 عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَأَسْتَعْمَلُوها فِي الْمُخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَقَصَرُوا الْأَسْتَعْمَالَ فِي الْمُنْثَوْرِ  
 كُلِّهِ عَلَى هَذَا الْفَنِّ الَّذِي أَرْتَضُوهُ وَخَلَطُوا الْأَسَالِيبَ فِيهِ وَهَجَرُوا الْمُرْسَلَ وَتَنَاسَوْهُ  
 وَخُصُوصًا أَهْلَ الْمَشْرِقِ وَصَارَتْ الْمُخَاطَبَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ لِهَذَا الْعَهْدِ عِنْدَ الْكُتَّابِ  
 الْغَزَلِ جَارِيَةً عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ لِمَا  
 يُلَاحِظُ فِي تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ مِنْ أَحْوَالِ الْمُخَاطَبِ وَالْمُخَاطَبِ وَهَذَا  
 الْفَنُّ الْمُنْثَوْرُ الْمُقْتَضَى أَدْخَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ فِيهِ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ فَوَجَبَ أَنْ نَنْزِعَ الْمُخَاطَبَاتِ  
 السُّلْطَانِيَّةَ عَنْهُ إِذَا أَسَالِيبُ الشَّعْرِ تَنَافَيْهَا اللَّوْذَعِيَّةُ وَخَلَطَ الْجِدُّ بِالْهَزْلِ وَالْإِطْنَابُ فِي

الْأَوْصَافِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَكَثْرَةِ التَّشْبِيهَاتِ وَالْإِسْعِمَارَاتِ حَيْثُ لَا تَدْعُو ضَرُورَةً  
 إِلَى ذَلِكَ فِي الْخُطَابِ وَالتَّرَامِ التَّقْفِيَةِ أَيْضًا مِنَ اللُّوذَعَةِ وَالتَّرْيِينِ وَجَلَالِ الْمَلِكِ  
 وَالسُّلْطَانِ وَخُطَابِ الْجُمْهُورِ عَنِ الْمُلُوكِ بِالْتَرْتِيبِ وَالتَّرْتِيبِ بِنَافِي ذَلِكَ وَيَأْتِيهِ وَالْحَمْدُ  
 فِي الْمَخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ الرَّسُلِ وَهُوَ إِطْلَاقُ الْكَلَامِ وَإِرْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيعٍ  
 إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَحَيْثُ تُرْسَلُهُ الْمَلَكَةُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ لَهُ ثُمَّ إِعْطَاءُ  
 الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَإِنَّ الْمَقَامَاتِ مُخْتَلَفَةٌ وَلِكُلِّ مَقَامٍ أُسْلُوبٌ  
 يَخُصُّهُ مِنْ إِنْطَابِ أَوْ إِيكَازِ أَوْ حَذْفِ أَوْ إِثْبَاتِ أَوْ تَصْرِيحٍ أَوْ إِشَارَةٍ أَوْ كِبَايَةِ  
 وَاسْتِعَارَةٍ وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْمَخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا الدَّجْوِ الَّذِي هُوَ عَلَى أَسَالِبِ  
 الشِّعْرِ فَمَذْمُومٌ وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصْرِ إِلَّا أَسْبِيْلًا الْعُجْمَةَ عَلَى السِّنْتِهِمْ وَقُصُورُهُمْ  
 لِذَلِكَ عَنِ إِعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَعَجَزُوا عَنِ الْكَلَامِ  
 الْمُرْسَلِ لِبُعْدِ أَمْدِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَانْقِسَاحِ خَطُوبِهِ وَوَلَعُوْهُ هَذَا الْمَسْمُوعِ يَلْفُقُونَ بِهِ مَا  
 نَقَصَهُمْ مِنْ تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَقْصُودِ وَهُوَ مُقْتَضَى الْحَالِ فِيهِ وَيَجْبُرُونَهُ بِذَلِكَ الْقَدْرِ  
 مِنَ التَّرْيِينِ بِالْأَسْجَاعِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعَةِ وَيَغْفَلُونَ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ وَأَكْثَرُ مَنْ أَخَذَ  
 بِهَذَا الْفَنِّ وَبَالَغَ فِيهِ فِي سَائِرِ أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كِتَابُ الْمَشْرِقِ وَشِعْرَاؤُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ حَتَّى  
 أَنَّهُمْ يَلْغُونَ بِالْإِعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالتَّصْرِيفِ إِذَا دَخَلَتْ لَوْحٌ فِي تَجْنِيسٍ أَوْ  
 مُطَابَقَةٍ لَا يَجْتَمِعَانِ مَعَهَا فَيُرْجِحُونَ ذَلِكَ الصَّنْفَ مِنَ التَّجْنِيسِ وَيَدْعُونَ لِإِعْرَابِ وَيَفْسِدُونَ  
 بِنِيَةِ الْكَلِمَةِ عَسَاهَا تُصَادَفُ التَّجْنِيسِ فَمَا مَلَّ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَ نَاهُ لَكَ نَقْفٌ عَلَى صِحِّهِ مَا  
 ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ الْمُؤَفِّقُ لِلصَّوَابِ بَيْنَهُ وَكَرَمِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

### الفصل الخامس والاربعون

فِي أَنَّهُ لَا يَنْتَقِ الْإِجَادَةَ فِي فَنِّي الْمَنْظُومِ وَالْمَنْثُورِ مَعَ الْإِلَاقِ  
 وَالسَّبَبِ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ كَمَا يَبْنَاهُ مَلَكَةٌ فِي اللِّسَانِ فَإِذَا تَسَبَّغَتْ إِلَى مَحَلِّهِ مَلَكَةٌ  
 أُخْرَى فَصَرَّتْ بِالْمَحَلِّ عَنِ تَمَامِ الْمَلَكَةِ الْأَحْقِيقَةِ لِأَنَّ تَمَامَ الْمَلَكَاتِ وَحُصُولَهَا  
 لِلطَّبَائِعِ الَّتِي عَلَى الْفِطْرَةِ الْأُولَى أَسْهَلُ وَأَيْسَرُ وَإِذَا تَقَدَّمَتْهَا مَلَكَةٌ أُخْرَى كَانَتْ  
 مُنَازَعَةً لَهَا فِي الْمَادَةِ الْقَابِلَةِ وَعَائِقَةً عَنِ سُرْعَةِ الْقَبُولِ فَوَقَعَتِ الْمُنَافَاةُ وَتَعَدَّرَ التَّمَامُ  
 فِي الْمَلَكَاتِ الصَّنَاعِيَّةِ كَلِّهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ وَقَدْ بَرَهْنَا عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ بِنَحْوِ مِنْ هَذَا

الْبُرْهَانَ فَاعْتَبِرْ مِثْلَهُ فِي اللُّغَاتِ فَإِنَّهَا مَلَكَاتُ اللِّسَانِ وَهِيَ بِمَنْزِلَةِ الصَّنَاعَةِ وَانظُرْ مَنْ  
 تَقَدَّمَ لَهُ شَيْءٌ مِنَ الْعُجْمَةِ كَيْفَ يَكُونُ قَاصِرًا فِي اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ أَبَدًا فَلَا عَجْمِي الَّذِي  
 سَبَقَتْ لَهُ اللُّغَةُ الْفَارْسِيَّةُ لَا يَسْتَوِي عَلَى مَلَكََةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَلَا يَزَالُ قَاصِرًا فِيهِ  
 وَلَوْ تَعَلَّمَهُ وَعَلَّمَهُ وَكَذَا الْبَرْبَرِيُّ وَالرُّومِيُّ وَالْأَفْرَنْجِيُّ قُلْ أَنْ تَجِدَ أَحَدًا مِنْهُمْ مُحْكَمًا  
 لِمَلَكََةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِمَا سَبَقَ إِلَى أَسْنَتِهِمْ مِنْ مَلَكََةِ اللِّسَانِ الْآخِرِ  
 حَتَّى إِنْ طَلَبَ الْعِلْمَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْأَلْسِنِ إِذَا طَلَبَهُ بَيْنَ أَهْلِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ جَاءَ  
 مُقَصِّرًا فِي مَعَارِفِهِ عَنِ الْغَايَةِ وَالْتَحْصِيلِ وَمَا أُوتِيَ إِلَّا مِنْ قَبْلِ اللِّسَانِ وَقَدْ تَقَدَّمَ لَكَ  
 مِنْ قَبْلِ أَنْ الْأَلْسِنِ وَاللُّغَاتِ شَبِيهَةٌ بِالصَّنَائِعِ وَقَدْ تَقَدَّمَ لَكَ أَنَّ الصَّنَائِعَ وَمَلَكََاتِهَا لَا  
 تَزْدَحِمُ وَإِنْ مِنْ سَبَقَتْ لَهُ إِجَادَةٌ فِي صِنَاعَةٍ فَقُلْ أَنْ يُجِيدَ فِي أُخْرَى أَوْ يَسْتَوِي فِيهَا عَلَى  
 الْغَايَةِ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ

### الفصل السادس والاربعون

في صناعة الشعر ووجه تعليمه

هَذَا النَّثْرُ مِنْ فُنُونِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالشَّعْرِ عِنْدَهُمْ وَيُوجَدُ فِي سَائِرِ  
 اللُّغَاتِ إِلَّا أَنَّا الْآنَ إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ فِي الشَّعْرِ الَّذِي لِلْعَرَبِ فَإِنْ أَمْكَنْ أَنْ تَجِدَ فِيهِ  
 أَهْلُ الْأَلْسِنِ الْآخِرِي مَقْصُودُهُمْ مِنْ كَلَامِهِمْ وَإِلَّا فَلِكُلِّ لِسَانٍ أَحْكَامٌ فِي الْبِلَاغَةِ  
 تَخْصُهُ وَهُوَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ غَرِيبٌ النَّزْعَةُ عَزِيزُ الْمَنْحَى إِذْ هُوَ كَلَامٌ مُفْصَلٌ قِطْعًا  
 قِطْعًا مُتَسَاوِيَةٌ فِي الْوِزْنِ مُتَّحِدَةٌ فِي الْحَرْفِ الْآخِرِ مِنْ كُلِّ قِطْعَةٍ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَاتِ  
 عِنْدَهُمْ بَيْتًا وَيُسَمَّى الْحَرْفُ الْآخِرُ الَّذِي تُتَّفَقُ فِيهِ رَوِيًا وَقَافِيَةً وَيُسَمَّى جُمْلَةً  
 الْكَلَامِ إِلَى آخِرِهِ قَصِيدَةٌ وَكَلِمَةٌ وَيَنْفَرِدُ كُلُّ بَيْتٍ مِنْهُ بِإِفَادَتِهِ فِي تَرَائِيهِ حَتَّى  
 كَأَنَّهُ كَلَامٌ وَحْدَهُ مُسْتَقِلٌّ عَمَّا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ وَإِذَا أُفْرِدَ كَانَ تَامًا فِي بَابِهِ فِي مَدْحٍ  
 أَوْ تَنْشِيبٍ أَوْ رِثَاءٍ فَيُحْرَصُ الشَّاعِرُ عَلَى إِعْطَاءِ ذَلِكَ الْبَيْتِ مَا يَسْتَقِلُّ فِي إِفَادَتِهِ ثُمَّ  
 يَسْتَأْنِفُ فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ كَلَامًا آخَرَ كَذَلِكَ وَيَسْتَطْرِدُ لِلخُرُوجِ مِنْ فَنٍّ إِلَى فَنٍّ وَمِنْ  
 مَقْصُودِ إِلَى مَقْصُودٍ بَأَنَّ يُوَظَّي الْمَقْصُودِ الْأَوَّلِ وَمَعَانِيهِ إِلَى أَنْ تَنَاسَبَ الْمَقْصُودُ الثَّانِي  
 وَيُبْعَدُ الْكَلَامَ عَنِ التَّنَافُرِ كَمَا يَسْتَطْرِدُ مِنَ التَّشْبِيبِ إِلَى الْمَدْحِ وَمِنْ وَصْفِ الْبَيْدَاءِ  
 وَالطُّولِ إِلَى وَصْفِ الزِّكَابِ أَوْ الْخَيْلِ أَوْ الطَّيْفِ وَمِنْ وَصْفِ الْمَمْدُوحِ إِلَى وَصْفِ

قَوْمِهِ وَعَسَا كَرِهَ وَمِنْ التَّنَجُّعِ وَالْعَزَاءِ فِي الرِّثَاءِ إِلَى النَّاسِ وَأَمثالِ ذَلِكَ وَيُرَاعَى فِيهِ  
 اتِّفَاقُ الْقَصِيدَةِ كُلِّهَا فِي الْوِزْنِ الْوَاحِدِ حَدْرًا مِنْ أَنْ يَسَاهَلَ الطَّبَعُ فِي الْخُرُوجِ مِنْ  
 وَزْنٍ إِلَى وَزْنٍ يُقَابَرُهُ فَقَدْ يَخْفَى ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْمُقَابَرَةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَلِهَذَا  
 الْمَوَازِينُ شُرُوطٌ وَأَحْكَامٌ تَضَمَّنَهَا عِلْمُ الْعَرُوضِ وَلَيْسَ كُلُّ وَزْنٍ يَنْفَقُ فِي الطَّبَعِ  
 اسْتَعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ فِي هَذَا الْفَنِّ وَإِنَّمَا هِيَ أَوْزَانٌ مُخْصَّصَةٌ أَسْمِيهَا أَهْلُ تِلْكَ الصَّنَاعَةِ  
 الْبُحُورُ وَقَدْ حَصَرُوهَا فِي خَمْسَةِ عَشَرَ بَحْرًا بِمَعْنَى أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا لِلْعَرَبِ فِي غَيْرِهَا مِنْ  
 الْمَوَازِينِ الطَّبِيعِيَّةِ نَظْمًا . وَأَعْلَمُ أَنَّ قَبْلَ الشُّعْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَلَامِ كَانَ شَرِيفًا عِنْدَ  
 الْعَرَبِ وَلِذَلِكَ جَعَلُوهُ دِيْوَانَ عُلُومِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ وَشَاهِدَ صَوَابِهِمْ وَخَطَأِهِمْ وَأَصْلًا  
 يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فِي الْكَثِيرِ مِنْ عُلُومِهِمْ وَحِكْمِهِمْ وَكَانَتْ مَلَكَتُهُ مُسْتَحْكِمَةً فِيهِمْ شَأْنُ  
 الْمَلَكَاتِ كُلِّهَا وَالْمَلَكَاتُ الْإِسْمِيَّةُ كُلُّهَا إِنَّمَا تُكْتَسَبُ بِالصَّنَاعَةِ وَالْإِلْتِمَاضِ  
 فِي كَلَامِهِمْ حَتَّى يَحْصُلَ شَبَهُهُ فِي تِلْكَ الْمَلَكَاتِ وَالشُّعْرُ مِنْ بَيْنِ الْكَلَامِ صَعْبُ الْمَأْخِذِ  
 عَلَى مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَكْتَسِبَ مَلَكَتَهُ بِالصَّنَاعَةِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ لِاسْتِفْهَالِ كُلِّ بَيْتٍ مِنْهُ  
 بِأَنَّهُ كَلَامٌ نَامٌ فِي مَقْصُودِهِ وَيَصْلُحُ أَنْ يَنْفَرِدَ دُونَ مَا سِوَاهُ فَيَحْتَاجُ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ إِلَى  
 نَوْعٍ تَلَطَّفَ فِي تِلْكَ الْمَلَكَاتِ حَتَّى يَفْرَغَ الْكَلَامَ الشُّعْرِيَّ فِي قَوْلِهِ الَّتِي عُرِفَتْ  
 لَهُ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى مِنْ شِعْرِ الْعَرَبِ وَيَبْرُزُهُ مُسْتَقِيلًا بِنَفْسِهِ ثُمَّ يَأْتِي بِبَيْتٍ آخَرَ  
 كَذَلِكَ ثُمَّ يَبِيْتُ وَيَسْتَكْمِلُ الْفُنُونَ الْوَاقِيَةَ بِمَقْصُودِهِ ثُمَّ يَنْسَابُ بَيْنَ الْبَيْتِ فِي  
 مُوَالَاةٍ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْفُنُونَ الَّتِي فِي الْقَصِيدَةِ وَلِصُعُوبَةِ مَنْحَاهُ  
 وَغَرَابَةِ فَنِهِ كَانَ مَحْكَمًا لِلْقِرَاحِ فِي اسْتِجَادَةِ أَسَالِيْبِهِ وَشَحْذِ الْأَفْكَارِ فِي  
 تَنْزِيلِ الْكَلَامِ فِي قَوْلِهِ وَلَا يَكْفِي فِيهِ مَلَكَتُ الْكَلَامِ الْعَرَبِيِّ عَلَى الْإِطْلَاقِ بَلْ  
 يُحْتَاجُ بِمُقْصُودِهِ إِلَى تَلَطُّفٍ وَمُحَاوَلَةٍ فِي رِعَايَةِ الْأَسَالِيْبِ الَّتِي اخْتَصَّتْهَا الْعَرَبُ بِهَا وَسَمِعْنَا لَهَا  
 وَلِنَذَكُرْ هُنَا سُلُوكَ الْأَسْلُوبِ عِنْدَ أَهْلِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَمَا يُرِيدُونَ بِهَا فِي إِطْلَاقِهِمْ  
 فَأَعْلَمُ أَنَّهَا عِبَارَةٌ عِنْدَهُمْ عَنِ الْمُنُوَالِ الَّذِي يُنْسَجُ فِيهِ التَّرَاكِيْبُ أَوْ الْقَالِبُ الَّذِي يَفْرَعُ  
 فِيهِ وَلَا يُرْجَعُ إِلَى الْكَلَامِ بِاعْتِبَارِ إِفَادَتِهِ أَصْلَ الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ وَظَيْفَةُ الْإِعْرَابِ  
 وَلَا بِاعْتِبَارِ إِفَادَتِهِ كَمَالَ الْمَعْنَى مِنْ خَوَاصِّ التَّرَاكِيْبِ الَّذِي هُوَ وَظَيْفَةُ الْبَلَاغَةِ وَالْبَيَانِ  
 وَلَا بِاعْتِبَارِ الْوِزْنِ كَمَا اسْتَعْمَلَتْهُ الْعَرَبُ فِيهِ الَّذِي هُوَ وَظَيْفَةُ الْعَرُوضِ فَهَذِهِ الْعُلُومُ

الثَلَاثَةُ خَارِجَةٌ عَنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّعْرِيَّةِ وَإِنَّمَا يُرْجَعُ إِلَى صُورَةِ ذَهْنِيَّةِ التَّرَاكِبِ  
 الْمُنْتَظَمَةِ كَلِمِيَّةً بِاعْتِبَارِ انْتِطَابِقِهَا عَلَى تَرْكِيبِ خَاصٍّ وَتِلْكَ الصُّورَةُ يَنْتَزِعُهَا الذَّهْنُ مِنْ  
 أَعْيَانِ التَّرَاكِبِ وَأَشْخَاصِهَا وَيُصَيِّرُهَا فِي الْخَيَالِ كَالْقَالِبِ أَوْ الدِّنْوَالِ ثُمَّ يَنْتَقِي  
 التَّرَاكِبِ الصَّحِيحَةَ عِنْدَ الْعَرَبِ بِاعْتِبَارِ الْأَعْرَابِ وَالْبَيَانَ فَيَرُدُّهَا فِيهِ رِصًا كَمَا يَفْعَلُهُ  
 الْبِنَاءُ فِي الْقَالِبِ أَوْ النَّسَاجِ فِي الدِّنْوَالِ حَتَّى يَتَسَّخَّ الْقَالِبُ بِحُصُولِ التَّرَاكِبِ الْوَاقِعَةِ بِمَقْصُودِ  
 الْكَلَامِ وَيَقَعُ عَلَى الصُّورَةِ الصَّحِيحَةَ بِاعْتِبَارِ مَلَكَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فِيهِ فَإِنَّ لِكُلِّ  
 قَنْ مِنْ الْكَلَامِ أَسَالِيبَ تَخْتَصُّ بِهِ وَتُوجَدُ فِيهِ عَلَى أَنْحَاءٍ مُخْتَلَفَةٍ فَسَوْأَلُ الطُّلُولِ فِي  
 الشَّعْرِ يَكُونُ بِخُطَابِ الطُّلُولِ كَقَوْلِهِ يَا دَارَ مِيَّةَ بِالْعَلَمَاءِ فَالْسِّنْدُ وَيَكُونُ بِاسْتِدْعَاءِ  
 الصَّحْبِ لِلْوُفُوفِ وَالسُّؤَالِ كَقَوْلِهِ . فَمَا نَسَأَلُ الدَّارَ الَّتِي خَفَتْ أَهْلَهَا . أَوْ بِاسْتِغَاةِ الصَّحْبِ  
 عَلَى الطَّلَلِ كَقَوْلِهِ . فَمَا نَبِكَ مِنْ ذَكَرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ . أَوْ بِالِاسْتِفْهَامِ عَنِ الْجَوَابِ  
 لِمُخَاطَبِ غَيْرِهِمْ كَقَوْلِهِ . أَلَمْ تَسَأَلْ فَتُخْبِرَكَ الرَّسُومُ . وَمِثْلُ نَحْمَةِ الطُّلُولِ بِالْأَمْرِ  
 لِمُخَاطَبِ غَيْرِ مُعَيَّنٍ بِنَحْوِهَا كَقَوْلِهِ . حَيِّ الدِّيَارِ بِجَانِبِ الْعَزْلِ . أَوْ بِالِدَّعَاءِ لَهَا  
 بِالسُّقْيَا كَقَوْلِهِ

أَسْقَى طُلُومَهُمْ أَحْشَى هَزِيمٍ      وَعَدَّتْ عَلَيْهِمْ نُضْرَةً وَنَعِيمٍ

أَوْ سُؤَالِهِ السُّقْيَا لَهَا مِنَ الْبَرْقِ كَقَوْلِهِ

يَا بَرْقُ طَالِعٍ مَتَزَلًّا بِالْأَبْرِقِ      وَأَحَدِ السَّحَابِ لَهَا حِدَاءِ الْإَيْتِقِ

أَوْ مِثْلَ التَّنَجُّعِ فِي الْجَزَعِ بِاسْتِدْعَاءِ الْبُكَاءِ كَقَوْلِهِ

كَذَا فَلْيَسْجِلْ الْخُطْبُ وَيَلْفِدِحِ الْأَمْرُ      وَلَيْسَ لِعَيْنٍ لَمْ يَفِضْ مَاؤُهَا عَذْرُ

أَوْ بِاسْتِعْظَامِ الْحَادِثِ كَقَوْلِهِ . أَرَأَيْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ . أَوْ بِالِاسْتِجْلَالِ عَلَى  
 الْأَسْكَوَانِ بِالْمُصِيبَةِ لِقَدْحِهِ كَقَوْلِهِ

مَنَابِتِ الْعُشْبِ لَا حَامٍ وَلَا رَاعٍ      مَضَى الرَّدَى بِطَوِيلِ الرَّشْحِ وَالْبَاعِ

أَوْ بِالِالْتِمَازِ عَلَى مَنْ لَمْ يَنْفَجِعْ لَهُ مِنَ الْجَمَادَاتِ كَقَوْلِ الْخَارِجِيَّةِ

أَيَّا شَجَرِ الْخَابُورِ مَالِكٍ مُورِقًا      كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفِ

أَوْ بِتَهْنِئَةِ قَرِيبِهِ بِالرَّاحَةِ مِنْ ثِقَلِ وَطْأَتِهِ كَقَوْلِهِ

الْفَى الرَّيْحِ مَاحٍ رَيْبَعَةُ بْنُ نِزَارٍ      أَوْ دَى الرَّدَى بِفَرِيقِ الْمَغْوَارِ

وَأَمثال ذلك كثيرٌ من سائر فنون الكلام ومداهيه وتنظيم التراكيب فيه  
 بالجمل وغير الجمل إنشائية وخبرية إسمية وفعلية مثقفة وغير مثقفة مفصلة وموصولة  
 على ما هو شأن التراكيب في الكلام العربي في مكان كل كلمة من الأخرى يعرف  
 فيه ما استفيده بالأرتياض في أشعار العرب من القالب الكلي المجرد في الذهن  
 من التراكيب المعينة التي ينطبق ذلك القالب على جميعها فإن مؤلف الكلام هو  
 كاتبه أو الساج والصورة الذهنية المنطقية كالقالب الذي يبني فيه أو المنوال  
 الذي ينسج عليه فإن خرج عن القالب في بنائه أو عن المنوال في نسجه كان فاسداً  
 ولا نقول إن معرفة قوانين البلاغة كافية ذلك لانا نقول قوانين البلاغة إنما هي قواعد  
 علمية قياسية تفيد جواز استعمال التراكيب على هيئتها الخاصة بالقياس وهو قياس  
 علمي صحيح مطرد كما هو قياس القوانين الإعرابية وهذه الأساليب التي نحن  
 نقرؤها ليست من القياس في شيء إنما هي هيئة ترسخ في النفس من تتبع التراكيب  
 في شعر العرب لجرانها على اللسان حتى تستحسكم صورتها فيستفيد بها العمل على مثالها  
 والأخذاء بها في كل تركيب من الشعر كما قدمنا ذلك في الكلام بإطلاق وإن  
 القوانين العلمية من العربية والبيان لا يفيد تعليمه بوجه وليس كل ما يصح في قياس  
 كلام العرب وقوانينه العلمية استعملوه وإنما المستعمل عندهم من ذلك أنحاء  
 معروفة يطالع عليها الحافظون لكلامهم تدرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية  
 فإذا نظر في شعر العرب على هذا النحو وبهذه الأساليب الذهنية التي تصير كقوالب  
 كان نظراً في المستعمل من تراكيبهم لا فيما يقتضيه القياس ولهذا قلنا إن المحصل  
 لهذه القوالب في الذهن إنما هو حفظ أشعار العرب وكلامهم وهذه القوالب كما  
 تكون في المنظوم تكون في المتنوع فإن العرب استعملوا كلامهم في كلا الفنين  
 وجاهوا به مفصلاً في النوعين ففي الشعر أقطع الموزونة والقوالب المقيدة  
 وأستقلال الكلام في كل قطعة وفي المتنوع يعتبرون الموازنة والتشابه  
 بين القطع غالباً وقد يقيدونه بالأسجاع وقد يرسلونه وكل واحد من هذه معروفة  
 في لسان العرب والمستعمل منها عندهم هو الذي يبني مؤلف الكلام عليه تأليفه  
 ولا يعرفه إلا من حفظ كلامهم حتى يتجرد في ذهنه من القوالب المعينة الشخصية

قَالَبُ كَيْفِي مُطْلَقٌ يَحْدُو حَدْوَهُ فِي التَّأْلِيفِ كَمَا يَحْدُو الْبِنَاءُ عَلَى الْقَالَابِ وَالنَّسَاجُ  
 عَلَى الْمَنَوَالِ فَلِهَذَا كَانَ مِنْ تَأْلِيفِ الْكَلَامِ مُنْفَرِدًا عَنْ نَظَرِ النَّحْوِيِّ وَالْبَيِّنَاتِي وَالْعَرُوضِيِّ  
 نَعْمَ إِنَّ مُرَاعَاةَ قَوَائِنِ هَذِهِ الْعُلُومِ شَرْطٌ فِيهِ لَا يَتِمُّ بِدُونِهَا فَإِذَا تَحَصَّلَتْ هَذِهِ الصِّنَاتُ  
 كَلَّمَا فِي الْكَلَامِ اخْتَصَّ بِنَوْعٍ مِنَ النَّظَرِ لَطِيفٍ فِي هَذِهِ الْقَوَالِبِ الَّتِي يُسَمُّونَهَا أَسَالِيبَ  
 وَلَا يَفِيدُهُ إِلَّا حِفْظُ كَلَامِ الْعَرَبِ نَظْمًا وَنَثْرًا وَإِذَا تَقَرَّرَ مَعْنَى الْأَسَالِيبِ مَا هُوَ فَانْتَدَى كُرُّ  
 بَعْدَهُ حَدًّا أَوْ رَسْمًا لِلشَّعْرِ بِهِ تَهَمُّ حَقِيقَتُهُ عَلَى صُعُوبَةٍ هَذَا الْغَرَضُ فَإِنَّا لَمْ نَقِفْ عَلَيْهِ  
 لِأَحَدٍ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ فَمَا رَأَيْنَاهُ وَقَوْلُ الْعَرُوضِيِّينَ فِي حَدِّهِ إِنَّهُ الْكَلَامُ الْمَمُوزُونَ  
 الْمَقْفِيُّ لَيْسَ بِحَدِّ لِهَذَا الشَّعْرِ الَّذِي نَحْنُ بِصَدْرِهِ وَلَا رَسْمٌ لَهُ وَصِنَاعَتُهُمْ إِنَّمَا تَنْظُرُ فِي  
 الشَّعْرِ بِاعْتِبَارِ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعْرَابِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْوِزْنِ وَالْقَوَالِبِ الْخُلَاصَةِ فَلَا جَرَمَ إِنْ  
 حَدَّهُمْ ذَلِكَ لَا يَصَاحُ لَهُ عِنْدَنَا فَلَا بَدَّ مِنْ تَعْرِيفِ يُعْطِينَا حَقِيقَتَهُ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ فَنَقُولُ  
 الشَّعْرُ هُوَ الْكَلَامُ الْبُلِيغُ الْمَبْنِيُّ عَلَى الْأِسْتِعَارَةِ وَالْأَوْصَافِ الْمَفْصَلِ بِأَجْزَاءٍ مُتَّفِقَةٍ  
 فِي الْوِزْنِ وَالرَّوْيِ مُسْتَقِلٌّ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا فِي غَرَضِهِ وَمَقْصِدِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ الْجَارِي  
 عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ الْمَخْصُوصَةِ بِهِ فَقَوْلُنَا الْكَلَامُ الْبُلِيغُ جِنْسٌ وَقَوْلُنَا الْمَبْنِيُّ عَلَى  
 الْأِسْتِعَارَةِ وَالْأَوْصَافِ فَضْلٌ عَمَّا يَخْلُو مِنْ هَذِهِ فَإِنَّهُ فِي الْغَالِبِ لَيْسَ بِشَّعْرِ وَقَوْلُنَا  
 الْمَفْصَلُ بِأَجْزَاءٍ مُتَّفِقَةٍ الْوِزْنِ وَالرَّوْيِ فَضْلٌ لَهُ عَنِ الْكَلَامِ الْمَمُوزِ الَّذِي لَيْسَ  
 بِشَّعْرِ عِنْدَ الْكَلِّ وَقَوْلُنَا مُسْتَقِلٌّ كُلُّ جُزْءٍ مِنْهَا فِي غَرَضِهِ وَمَقْصِدِهِ عَمَّا قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ  
 بَيَانٌ لِلْحَقِيقَةِ لِأَنَّ الشَّعْرَ لَا تَكُونُ آيَاتُهُ إِلَّا كَذَلِكَ وَلَمْ يُفْصَلْ بِهِ شَيْءٌ وَقَوْلُنَا الْجَارِي  
 عَلَى الْأَسَالِيبِ الْمَخْصُوصَةِ بِهِ فَضْلٌ لَهُ عَمَّا لَمْ يَجْرُ مِنْهُ عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ الْمَعْرُوفَةِ  
 فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ لَا يَكُونُ شِعْرًا إِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ مَنْظُومٌ لِأَنَّ الشَّعْرَ لَهُ أَسَالِيبٌ مُخْصَةٌ لَا  
 تَكُونُ لِلْمَمُوزِ وَكَذَا أَسَالِيبُ الْمَمُوزِ لَا تَكُونُ لِلشَّعْرِ فَمَا كَانَ مِنَ الْكَلَامِ مَنْظُومًا  
 وَلَيْسَ عَلَى تِلْكَ الْأَسَالِيبِ فَلَا يَكُونُ شِعْرًا وَهَذَا الْإِعْتِبَارُ كَانَ الْكَثِيرُ مِنْ لِقِينَاهُ  
 مِنْ شَيْخُونَا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْأَدَبِيَّةِ يَرُونَ أَنَّ نَظْمَ الْمُنْتَهِي وَالْمَعْرِي لَيْسَ هُوَ مِنْ  
 الشَّعْرِ فِي شَيْءٍ لِأَنَّهُمَا لَمْ يَجْرِبَا عَلَى أَسَالِيبِ الْعَرَبِ مِنَ الْأَمْرِ عِنْدَمَا يَرَى أَنَّ الشَّعْرَ  
 يُوجَدُ لِلْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ وَمَنْ يَرَى أَنَّهُ لَا يُوجَدُ لِغَيْرِهِمْ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذَلِكَ وَيَقُولُ مَكَانَهُ  
 الْجَارِي عَلَى الْأَسَالِيبِ الْمَخْصُوصَةِ وَإِذَا قَدْ فَرَعْنَا مِنَ الْكَلَامِ عَلَى حَقِيقَةِ الشَّعْرِ فَلَنَرْجِعْ

إلى الكلام في كيفية عمله فنقول . اعلم أن لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً  
أولها الحفظ من جنسه أي من جنس شعر العرب حتى تنشأ في النفس ملكة يسبح  
على منوالها ويتخير المحفوظ من الخمر النقي الكثير الأساليب وهذا المحفوظ المختار  
أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الإسلاميين مثل ابن أبي ربيعة وكثير  
وذي الرثمة وجريز وأبي نواس وحبيب والبخاري والرضي وأبي فراس وأكثره  
شعر كتاب الأغاني لأنه جمع شعر أهل الطبقة الإسلامية كلها والمختار من شعر  
الجاهلية ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصراً ردي ولا يعطيه الرنق والحلاوة  
إلا أكثره المحفوظ فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر وإنما هو نظم ساقط  
وأجنب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ ثم بعد الامتلاء من الحفظ وتخذ القرية  
للسبح على المنوال يقبل على النظم وبالأكثر منه تستحکم ملكته وترسخ  
وربما يقال إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتسحي رؤسوه الحرفية الظاهرة إذ  
هي صادرة عن استعمالها بعينها فاذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الأسلوب  
فيها كأنه منوال يؤخذ بالسبح عليه بأمثالها من كلمات أخرى ضرورية ثم لا بد له  
من الخلو واستجداء المكان المنظور فيه من المياه والأزهار وكذا السمعوع  
لاستنارة القرية باستجماعها ونشيطها بما لاذ السرور ثم مع هذا كله فشرطه أن  
يكون على جمام ونشاط فذلك أجمع له والنشط للقرية أن تأتي بمثل ذلك المنوال  
الذي في حفظه قالوا وخير الأوقات لذلك أوقات البكر عند الهبوب من النوم  
وقرأغ المعدة ونشاط الفكر وفي هؤلاء الجمام وربما قالوا إن من بواعثه العشق  
والإنتشاء ذكر ذلك ابن رشيقي في كتاب العمدة وهو الكتاب الذي انفرد بهذه  
الصناعة وإعطاء حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله قالوا فإن استصعب  
عليه بعد هذا كله فليتركه إلى وقت آخر ولا يكره نفسه عليه وليكن بناء البيت  
على القافية من أول صوغه ونسجه بعضها وبني الكلام عليها إلى آخره لأنه إن غفل  
عن بناء البيت على القافية صعب عليه وضعها في محلها وربما تجي نافرة قلقة وإذا سمح  
الخطر بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليتركه إلى موضعه الأليق به فإن كل  
بيت مستقل بنفسه ولم تبق إلا المناسبة فليتخير فيها كما يشاء وليراجع شعره بعد

الْخُلَاصِ مِنْهُ بِالْتَّنْقِيحِ وَالنَّقْدِ وَلَا يَضُنُّ بِهِ عَلَى التَّرْكِ إِذَا لَمْ يَبْلُغِ الْإِجَادَةَ فَإِنَّ  
 الْإِنْسَانَ مَفْتُونٌ بِشِعْرِهِ إِذْ هُوَ نَبَاتٌ فَكْرِهِ وَأَخْبِرَاعٌ قَرِيحَتِهِ وَلَا يَسْتَعْمَلُ فِيهِ مِنْ  
 الْكَلَامِ إِلَّا الْأَفْصَحَ مِنَ التَّرَاكِبِ وَالْخَالِصَ مِنَ الضَّرُورَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ فَيَمْجُرُهَا فَإِنَّمَا  
 تَنْزِلُ بِالْكَلامِ عَنِ طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ وَقَدْ حَظَرَ أئِمَّةُ اللِّسَانِ الْمُؤَلَّدَ مِنَ أَرْكَابِ  
 الضَّرُورَةِ إِذْ هُوَ فِي سَعَةِ مِنْهَا بِالْعُدُولِ عَنْهَا إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمُثَلَّى مِنَ الْمَلَكَةِ وَيَحْتَنِبُ  
 أَيْضًا الْمُعَقَّدَ مِنَ التَّرَاكِبِ جَهْدُهُ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ مِنْهَا مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَاطِلَةَ إِلَى  
 الْفَهْمِ وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الْمَعَانِي فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ فَإِنَّ فِيهِ نَوْعَ تَعْقِيدٍ عَلَى الْفَهْمِ وَإِنَّمَا  
 الْخُحْتَارُ مِنْهُ مَا كَانَتْ الْفَاطِلَةُ طَبَقًا عَلَى مَعَانِيهِ أَوْ أَوْفَى فَإِنَّ كَانَتْ الْمَعَانِي كَثِيرَةً  
 كَانَ حِشْوًا وَاسْتَعْمَلَ الذِّهْنُ بِالْغَوْصِ عَلَيْهَا فَمَتَعَ الذُّوقَ عَنِ اسْتِيفَاءِ مُدْرَكِهِ مِنَ  
 الْبَلَاغَةِ وَلَا يَكُونُ الشَّعْرُ سَهْلًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَاطِلَةَ إِلَى الذِّهْنِ وَلِهَذَا  
 كَانَ شَيْوَحْنَا رَحِمَهُمُ اللَّهُ يَعْبُونَ شِعْرَ أَبِي بَكْرٍ <sup>(١)</sup> بِنِ خَنَاجَةَ شَاعِرِ الْأَنْدَلُسِ لِكَثْرَةِ  
 مَعَانِيهِ وَأَزْدِ حَادِيهَا فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ كَمَا كَانُوا يَعْبُونَ شِعْرَ الْمُتَنَبِّيِّ وَالْمَعْرِيِّ بِعَدَمِ  
 السَّجْعِ عَلَى الْأَسَالِيبِ الْعَرَبِيَّةِ كَمَا مَرَّ فَكَانَ شِعْرُهُمَا كَلَامًا مَنْظُومًا نَازِلًا عَنِ طَبَقَةِ  
 الشَّعْرِ وَالْحَاكِمُ بِذَلِكَ هُوَ الذُّوقُ وَيَحْتَنِبُ الشَّاعِرُ أَيْضًا الْخَوْشِيَّ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمُقْصِرَ  
 وَكَذَلِكَ السُّوقِيَّ الْمُبْتَدِلَ بِالتَّنَادُلِ بِالإِسْتِعْمَالِ فَإِنَّهُ يَنْزِلُ بِالْكَلامِ عَنِ طَبَقَةِ  
 الْبَلَاغَةِ أَيْضًا فَيَصِيرُ مُبْتَدَلًا وَيَقْرُبُ مِنْ عَدَمِ الْإِفَادَةِ كَقَوْلِهِمُ النَّارُ حَارَةٌ وَالسَّمَاءُ فَوْقَنَا  
 وَبِمِقْدَارِ مَا يَقْرُبُ مِنْ طَبَقَةِ عَدَمِ الْإِفَادَةِ يَبْعُدُ عَنِ رَتْبَةِ الْبَلَاغَةِ إِذْ هُمَا طَرَفَانِ وَلِهَذَا  
 كَانَ الشَّعْرُ فِي الرِّبَائِيَّاتِ وَالنَّبَوِيَّاتِ قَلِيلَ الْإِجَادَةِ فِي الْعَالَمِ وَلَا يَخْتَدِقُ فِيهِ إِلَّا  
 الْفُحُولُ وَفِي الْقَلِيلِ عَلَى الْعَشْرِ لِأَنَّ مَعَانِيهَا مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ الْجُمْهُورِ فَتَصِيرُ مُبْتَدَلَةً لِذَلِكَ وَإِذَا  
 تَعَدَّرَ الشَّعْرُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيُرَاوِضْهُ وَيَعَاوِدْهُ فَإِنَّ الْقَرِيحَةَ مِثْلَ الضَّرْعِ يَدْرُ بِالْأَمْرِاءِ  
 وَيَحِفُّ بِالْتَّرْكِ وَالْإِهْمَالِ وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَعَلِمَهَا مُسْتَوْفَى فِي كِتَابِ الْعَمْدَةِ  
 لِابْنِ رَشِيْقٍ وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا حَضَرْنَا بِحَسَبِ الْجُهْدِ وَمَنْ أَرَادَ اسْتِيفَاءَ ذَلِكَ فَعَلَيْهِ  
 بِذَلِكَ الْكِتَابِ فَفِيهِ الْبُعْيَةُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ نُبْدَةٌ كَافِيَةٌ وَاللَّهُ الْعَمِيعُ وَقَدْ نَظَّمَ النَّاسُ  
 فِي أَمْرِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الشَّعْرِيَّةِ مَا يَجِبُ فِيهَا وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِي ذَلِكَ وَأَخْطَاهُ لِابْنِ رَشِيْقٍ

(١) قولة ابي بكر في نحة ابي اسحاق الخ

لَعَنَ اللَّهُ صَنَعَةَ الشَّعْرِ مَاذَا  
يُؤْتِرُونَ الْغَرِيبَ مِنْهُ عَلَى مَا  
وَبَرُونَ الْحَمَالَ مَعْنَى صَحِيحًا  
يَجْهَلُونَ الصَّوَابَ مِنْهُ وَلَا يَدْرُونَ  
فَهُمْ عِنْدَ مَنْ سِوَانَا يُلَامُونَ  
إِنَّمَا الشَّعْرُ مَا يَنْسَبُ فِي النَّظْمِ  
فَأَتَى بَعْضُهُ بِشَاكِلٍ بَعْضًا  
كُلُّ مَعْنَى أَنَاكَ مِنْهُ عَلَى مَا  
فَتَنَاهَى مِنَ الْبَيَانِ إِلَى أَنْ  
فَكَانَ الْأَلْفَاظُ مِنْهُ وَجُوهٌ  
إِنَّمَا فِي الْمَرَامِ حَسَبُ الْأَمَانِي  
فَإِذَا مَا مَدَحْتَ بِالشَّعْرِ حُرًّا  
فَجَعَلْتَ السَّبَبَ سَهْلًا قَرِيبًا  
وَتَنَكَّبْتَ مَا يُهَيِّجُ فِي السَّمْعِ  
وَإِذَا مَا عَرَضْتَهُ بِهَجَاءٍ  
فَجَعَلْتَ الضَّرِيحَ مِنْهُ دَوَاءً  
وَإِذَا مَا بَكَيْتَ فِيهِ عَلَى الْعَالَمِ  
حَلَّتْ دُونَ الْأَسَى وَذَلَّتْ مَا كَامَ  
ثُمَّ إِنْ كُنْتَ عَاتِبًا جِئْتَ بِالْوَعْدِ  
وَعِيدًا وَبِالصُّعُوبَةِ بَيْنَا  
فَتَرَكْتَ الَّذِي عَتَبْتَ عَلَيْهِ  
حَدْرًا أَمِنَّا عَزِيزًا مَهِينًا  
وَأَصْحَ الْقَرِيضِ مَا قَارَبَ النَّظْمِ  
وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا مُسْتَبِينًا  
فَإِذَا قِيلَ أَطْمَعَ النَّاسَ طَرًّا  
وَإِذَا رِيَمَ أَعْجَزَ الدُّعْجَزِينَ

ومن ذلك ايضاً قول بعضهم

الشَّعْرُ مَا قَوَّمَتْ رَبْعَ صُدُورِهِ  
وَرَأَيْتَ بِالْإِدْنَابِ شَعْبَ صُدُوعِهِ  
وَشَدَّدَتْ بِالْتَهْدِيدِ أَسَّ مَتُونِهِ  
وَفَتَحَتْ بِالْإِيْجَارِ عُدَّ عِيُونِهِ

وَجَمَعَتْ بَيْنَ قَرِيْبِهِ وَبَعِيْدِهِ  
 وَإِذَا مَدَحَتْ بِهِ جَوَادًا مَاجِدًا  
 أَصْفِيَتْهُ بِتَفَنُّشٍ وَرَضِيَتْهُ  
 فَيَكُونُ جَزَلًا فِي مَسَاقِ صُنُوفِهِ  
 وَإِذَا بَكَيْتَ بِهِ الدِّيَارَ وَاهْلِهَا  
 وَإِذَا أَرَدْتَ كِتَابَةً عَنْ رِيْبَةٍ  
 جَعَلْتَ سَامِعَةً يَسُوبُ شُكُوكَهُ  
 وَجَمَعَتْ بَيْنَ شَحْمِهِ وَمَعِينِهِ  
 وَقَضَيْتَهُ بِالشُّكْرِ حَقَّ دِيُونِهِ  
 وَخَصَصْتَهُ بِخَطِيْرِهِ وَثَمِينِهِ  
 وَيَكُونُ سَهْلًا فِي اتِّفَاقِ فُنُونِهِ  
 أَجْرِيَتْ لِلْحَزُونِ مَاءَ شَوْوْنِهِ  
 بَأَيْتٍ بَيْنَ ظَهْرِهِ وَبَطُونِهِ  
 بِشِيُوْنِهِ وَظَنُونِهِ يَبْقِيْنِهِ

### الفصل السابع والاربعون

في ان صناعة النظم والنثر انما هي في الالفاظ لا في المعاني

اعلم ان صناعة الكلام نظماً ونثراً انما هي في الالفاظ لا في المعاني وانما  
 المعاني تبع لها وهي اصل فالصانع الذي يحاول مملكة الكلام في النظم والنثر  
 انما يحاولها في الالفاظ يحفظ امثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريته  
 على لسانه حتى تستقر له الملكة في لسان مضر وبخاص من العجمة التي ربي عليها  
 في جيله ويفرض نفسه مثل وليد نشأ في جيل العرب ويلقن لغتهم كما يلقنها  
 الصبي حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم وذلك انا قدمنا ان لسان مملكة  
 من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل والذي  
 في اللسان والنطق انما هو الالفاظ واما المعاني فهي في الضمائر وايضا فالمعاني  
 موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى فلا يحتاج  
 الى صناعة وتاليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة  
 القوالب للمعاني فكما ان الاواني التي يغترف بها الماء من البحر منها انية الذهب  
 والفضة والصدف والزجاج والحزف والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الاواني  
 المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء كذلك جودة اللغة وبلانها في  
 الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه باعتبار تطبيقه على المقاصد  
 والمعاني واحدة في نفسها وانما الجاهل بتاليف الكلام واساليبه على مقتضى ملكة  
 اللسان اذا حاول العبارة عن مقصوده ولم يحسن بمثابة المقعد الذي يروم النهوض

وَلَا يَسْتَطِيعُهُ لِفَقْدَانِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ

### الفصل الثامن والاربعون

في ان حصول هذه الملكة بكثرة الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ

قَدْ قَدَّمْنَا أَنَّهُ لَا بَدَّ مِنْ كَثْرَةِ الْحِفْظِ لِمَنْ يَرُومُ تَعْلَمَ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ وَعَلَى قَدْرِ  
 جُودَةِ الْحَفُوظِ وَطَبَقَتِهِ فِي جِنْسِهِ وَكَثْرَتِهِ مِنْ قَلْتِهِ تَكُونُ جُودَةُ الْمَلِكَةِ الْحَاصِلَةَ  
 عَنْهُ لِلْحَافِظِ فَمَنْ كَانَ مُحَفَّوظُهُ شِعْرَ حَبِيبٍ أَوْ الْعَتَابِيِّ أَوْ ابْنِ الدُّعْتَزِيِّ أَوْ ابْنِ هَانِيٍّ أَوْ  
 الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ أَوْ رَسَائِلِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ أَوْ سَهْلِ ابْنِ هَارُونَ أَوْ ابْنِ الزِّيَّاتِ أَوْ الْبَدِيعِ  
 أَوْ الصَّايِّ تَكُونُ مَلِكَتُهُ أَجُودَ وَأَعْلَى مَقَامًا وَرْتَبَةً فِي الْبَلَاغَةِ مِمَّنْ يَحْفَظُ شِعْرَ ابْنِ  
 سَهْلِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ أَوْ ابْنِ النَّبِيِّ أَوْ تَرْسُلِ الْبَيْسَانِيِّ أَوْ الْعِمَادِ الْأَصْبَهَانِيِّ لِنُزُولِ  
 طَبَقَتِهِ هُوَ لِأَنَّ عَنْ أَوْلَئِكَ يَظْهَرُ ذَلِكَ لِلْبَصِيرِ النَّاقِدِ صَاحِبِ الذُّوقِ وَعَلَى مَقْدَارِ جُودَةِ  
 الْحَفُوظِ أَوْ الْمَسْمُوعِ تَكُونُ جُودَةُ الْأَسْتِعْمَالِ مِنْ بَعْدِهِ ثُمَّ إِجَادَةُ الْمَلِكَةِ مِنْ  
 بَعْدِهِمَا فَيَا زَيْنَاءَ الْحَفُوظِ فِي طَبَقَتِهِ مِنَ الْكَلَامِ تَرْتَقِي الْمَلِكَةُ الْحَاصِلَةَ لِأَنَّ الطَّبَقَ  
 إِنَّمَا يَنْسُجُ عَلَى مَبْوَالِهَا وَتَنْمُو قُوَى الْمَلِكَةِ بِتَغْدِيَتِهَا وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ وَإِنْ كَانَتْ فِي  
 جِبَلَتِهَا وَاحِدَةً بِالنَّوْعِ فَهِيَ تَخْتَلِفُ فِي الْبَشَرِ بِالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ فِي الْإِدْرَاكَاتِ وَأَخْتِلَافِهَا  
 إِنَّمَا هُوَ بِأَخْتِلَافِ مَا يَرِدُ عَلَيْهَا مِنَ الْإِدْرَاكَاتِ وَالْمَلَكَاتِ وَالْأَلْوَانِ الَّتِي تُكَيِّفُهَا  
 مِنْ خَارِجٍ فِيهِدِيهَا بِتَمِّ وَجُودِهَا وَتَخْرِجُ مِنَ الْقُوَّةِ إِلَى الْفِعْلِ صُورَتَهَا وَالْمَلَكَاتِ الَّتِي  
 تَحْصُلُ لَهَا إِنَّمَا تَحْصُلُ عَلَى التَّدْرِيجِ كَمَا قَدَّمْنَاهُ فَالْمَلِكَةُ الشَّعْرِيَّةُ تَنْشَأُ بِحِفْظِ الشَّعْرِ  
 وَمَلِكَةُ الْكِتَابَةِ بِحِفْظِ الْأَسْجَاعِ وَالتَّرْسِيلِ وَالْعِلْمِيَّةُ بِحِفْظِ الْعُلُومِ وَالْإِدْرَاكَاتِ  
 وَالْأَبْحَاطِ وَالْأَنْظَارِ وَالْفِقْهِيَّةُ بِحِفْظِ الْفِقْهِ وَتَنْظِيرِ الْمَسَائِلِ وَتَفْرِيغِهَا وَتَخْرِيجِ الْفُرُوعِ  
 عَلَى الْأَصُولِ وَالتَّصَوُّفِيَّةُ الرَّبَّانِيَّةُ بِالْعِبَادَاتِ وَالْأَذْكَارِ وَتَعْلِيلِ الْحَوَاسِّ الظَّاهِرَةِ  
 بِالْحَلُوتِ وَالْإِنْفِرَادِ عَنِ الْخَلْقِ مَا اسْتَطَاعَ حَتَّى تَحْصُلَ لَهُ مَلِكَةُ الرُّجُوعِ إِلَى حِسِّهِ الْبَاطِنِ  
 وَرُوحِهِ وَيَقْبَلُ رَبَّانِيًّا وَكَذَا سَائِرُهَا وَلِلنَّفْسِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا لَوْ تَكَيِّفُ بِهِ وَعَلَى  
 حَسَبِ مَا نَشَأَتِ الْمَلِكَةُ عَلَيْهِ مِنْ جُودَةٍ أَوْ رَدَاءَةٍ تَكُونُ تِلْكَ الْمَلِكَةُ فِي نَفْسِهَا  
 فَمَلِكَةُ الْبَلَاغَةِ الْعَالِيَةِ الطَّبَقَةِ فِي جِنْسِهَا إِنَّمَا تَحْصُلُ بِحِفْظِ الْعَالِيِ فِي طَبَقَتِهِ مِنْ  
 الْكَلَامِ وَهَذَا كَانَ الْفَقْهَاءُ وَأَهْلُ الْعُلُومِ كُلِّهِمْ قَاصِرِينَ فِي الْبَلَاغَةِ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ

يَسْبِقُ إِلَى مَحْفُوظِهِمْ وَيَمْتَلِي بِهِ مِنَ الْقَوَائِنِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْعِبَارَاتِ الْفَقِيهِيَّةِ الْخَارِجَةِ عَنْ  
 أُسْلُوبِ الْبَلَاغَةِ وَالنَّازِلَةِ عَنِ الطَّبَقَةِ لِأَنَّ الْعِبَارَاتِ عَنِ الْقَوَائِنِ وَالْعُلُومِ لَا حِظَّ لَهَا فِي  
 الْبَلَاغَةِ فَإِذَا سَبَقَ ذَلِكَ الْمَحْفُوظُ إِلَى الْفِكْرِ وَكَثُرَ وَتَلَوَّنَتْ بِهِ النَّفْسُ جَاءَتِ الْمَلَكَةُ  
 النَّاشِئَةُ عَنْهُ فِي غَايَةِ الْقُصُورِ وَانْحَرَفَتْ عِبَارَاتُهُ عَنْ أُسَالِيْبِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهِمْ وَهَكَذَا  
 تَجِدُ شِعْرَ الْفُقَهَاءِ وَالنُّحَاةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ وَالنُّظَّارِ وَعَبْرَهُمْ مَنْ لَمْ يَمْتَلِي مِنْ حِظِّ النَّقِيِّ  
 الْحَرِّ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ . أَخْبَرَنِي صَاحِبُنَا الْفَاضِلُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ رِضْوَانَ كَاتِبُ الْعَلَمَةِ  
 بِالدَّوْلَةِ الْمُرْنِيَّةِ قَالَ ذَكَرْتُ يَوْمًا صَاحِبَنَا أَبَا الْعَبَّاسِ بْنَ شُعَيْبٍ كَاتِبَ السُّلْطَانِ  
 أَبِي الْحُسَيْنِ وَكَانَ الْمَقْدَمَ فِي الْبَصْرِ بِاللِّسَانِ لِعَهْدِهِ فَأَنْشَدْتُهُ مَطْلَعُ قَصِيدَةِ ابْنِ النَّحْوِيِّ  
 وَلَمْ أَنْسِبْهَا لَهُ وَهُوَ هَذَا

لَمْ أَدْرِ حِينَ وَقَفْتُ بِالْأَطْلَالِ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ جَدِيدِهَا وَابْنِهَا  
 فَقَالَ لِي عَلَى الْبَدِيهَةِ هَذَا شِعْرٌ فَقِيهِ فَقُلْتُ لَهُ وَمَنْ آيُنَ لَكَ ذَلِكَ فَقَالَ مِنْ قَوْلِهِ مَا  
 الْفَرْقُ إِذْ هِيَ مِنْ عِبَارَاتِ الْفُقَهَاءِ وَلَيْسَتْ مِنْ أُسَالِيْبِ كَلَامِ الْعَرَبِ فَقُلْتُ لَهُ اللَّهُ أَبُوكَ  
 إِنَّهُ ابْنُ النَّحْوِيِّ . وَأَمَّا الْكِتَابُ وَالشُّعْرَاءُ فَلَيْسُوا كَذَلِكَ لِتَغْيِيرِهِمْ فِي مَحْفُوظِهِمْ  
 وَمَخَالَطَتِهِمْ كَلَامَ الْعَرَبِ وَأَسَالِيْبِهِمْ فِي التَّرْسُلِ وَانْتِقَائِهِمْ لَهُمْ الْجَيِّدَ مِنَ الْكَلَامِ .  
 ذَكَرْتُ يَوْمًا صَاحِبَنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَطِيبِ وَزَيْرَ الْمُلُوكِ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ بَنِي  
 الْأَحْمَرِ وَكَانَ الصِّدْرَ الْمَقْدَمَ فِي الشُّعْرِ وَالْكِتَابَةِ فَقُلْتُ لَهُ أَجِدَ اسْتِصْعَابًا عَلَيَّ فِي  
 نَظْمِ الشُّعْرِ مَتَى رَمْتُهُ مَعَ بَصْرِي بِهِ وَحِظِّي لِلْجَيِّدِ مِنَ الْكَلَامِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَفَنُونِ  
 مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ وَإِنْ كَانَ مَحْفُوظِي قَلِيلًا وَإِنَّمَا آتَيْتُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنْ قَبْلِ مَا حَصَلَ فِي  
 حِظِّي مِنَ الْأَشْعَارِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْقَوَائِنِ التَّالِيفِيَّةِ فَإِنِّي حَفِظْتُ قَصِيدَةَ الشَّاطِبِيِّ الْكُبْرَى  
 وَالصُّغْرَى فِي الْفَرَاءَاتِ وَتَدَارَسْتُ كِتَابِي ابْنَ الْحَاجِبِ فِي الْفِقْهِ وَالْأَصُولِ وَجُمَلَ  
 الْخَوْجَنِيِّ فِي الْمَنْطِقِ وَبَعْضَ كِتَابِ التَّسْمِيْلِ وَكَثِيرًا مِنْ قَوَائِنِ الْعَلْمِ فِي الْمَجَالِسِ  
 فَأَمْتَلًا مَحْفُوظِي مِنْ ذَلِكَ وَخُدِشَ وَجْهَ الْمَلَكَةِ الَّتِي اسْتَعَدَدْتُ لَهَا بِالْمَحْفُوظِ الْجَيِّدِ مِنَ  
 الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ تَعَاقُ الْقَرِيحَةَ عَنْ بُلُوغِهَا فَنَظَرْتُ إِلَيْ سَاعَةٍ مُعْجِبًا ثُمَّ قَالَ  
 اللَّهُ أَنْتَ وَهَلْ يَقُولُ هَذَا إِلَّا مِثْلَكَ . وَيَظْهَرُ لَكَ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ وَمَا تَقَرَّرَ فِيهِ سِرٌّ آخَرُ  
 وَهُوَ إِعْطَاءُ السَّبَبِ فِي أَنَّ كَلَامَ الْأِسْلَامِيِّينَ مِنَ الْعَرَبِ أَعْلَى طَبَقَةٍ فِي الْبَلَاغَةِ وَأَذْوَابِهَا

مِنْ كَلَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي مَشْهُرِهِمْ وَمَنْظُومِهِمْ فَإِنَّا نَجِدُ شِعْرَ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَعُمَرَ بْنِ  
 أَبِي رَبِيعَةَ وَالْحُطَيْبَةَ وَجَرِيرَ وَالْفَرَزْدَقَ وَنَضِيبَ وَغِيْلَانَ ذِي الرُّمَّةِ وَالْأَحْوَصَ وَبِشَارَ  
 ثُمَّ كَلَامَ السَّلَفِ مِنَ الْعَرَبِ فِي الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَصَدْرًا مِنَ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ فِي  
 خُطْبِهِمْ وَتَرْسِيلِهِمْ وَمَحَاوِرَاتِهِمْ لِلْمَلُوكِ أَرْفَعُ طَبَقَةَ فِي الْبَلَاغَةِ مِنْ شِعْرِ النَّبَاغَةِ وَعَنْتَرَةَ  
 وَأَبْنِ كَثُومٍ وَزُهَيْرَ وَعَلْقَمَةَ بْنَ عَبْدَةَ وَطَرْفَةَ بْنَ الْعَبْدِ وَمِنْ كَلَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي مَشْهُرِهِمْ  
 وَمَحَاوِرَاتِهِمْ وَالطَّبَعُ السَّلِيمُ وَالذُّوقُ الصَّحِيحُ شَاهِدَانِ بِذَلِكَ لِلنَّافِدِ الْبَصِيرِ بِالْبَلَاغَةِ وَالسَّبَبِ  
 فِي ذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْإِسْلَامَ سَمِعُوا الطَّبَقَةَ الْعَالِيَةَ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْقُرْآنِ  
 وَالْحَدِيثِ اللَّذِينَ عَجَزَ الْبَشَرُ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلَيْهِمَا لِكُونِهَا وَلَجَتْ فِي قُلُوبِهِمْ وَنَشَأَتْ  
 عَلَى أَسَالِيهَا تُؤَسِّمُهُمْ فَهَضَّتْ طَبَاعَهُمْ وَأَزْنَقَتْ مَلَكَتُهُمْ فِي الْبَلَاغَةِ عَلَى  
 مَلَكَاتٍ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ مِمَّنْ لَمْ يَسْمَعْ هَذِهِ الطَّبَقَةَ وَلَا نَشَأَ عَلَيْهَا  
 فَكَانَ كَلَامُهُمْ فِي نَظْمِهِمْ وَتَرْجُمِهِمْ أَحْسَنَ دِيْبَاجَةً وَأَصْفَى رَوْنَقًا مِنْ أَوْلَيْكَ وَأَرْصَفَتْ  
 مَبْنَى وَأَعْدَلَتْ تَثْقِيْفًا بِمَا اسْتَفَادُوهُ مِنَ الْكَلَامِ الْعَالِيِ الطَّبَقَةَ وَتَأَمَّلْ ذَلِكَ يَشْهَدُ لَكَ  
 بِهِ ذَوْقُكَ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الذُّوقِ وَالْبَصْرِ بِالْبَلَاغَةِ . وَلَقَدْ سَأَلْتُ يَوْمًا شَيْخَنَا الشَّرِيفَ  
 أَبَا الْقَاسِمِ قَاضِي غَرْنَاطَةَ لِعَهْدِنَا وَكَانَ شَيْخَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَخَذَ بِسَبْتَةٍ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ  
 مَسِيخَتِيهَا مِنْ تَلَامِيذِ السَّلُوبِيِّنِ وَأَسْتَبَجَرَ فِي عِلْمِ اللِّسَانِ وَجَاءَ مِنْ وَرَاءِ الْعَالِيَةِ فِيهِ فَسَأَلْتُهُ  
 يَوْمًا مَا بَالُ الْعَرَبِ الْإِسْلَامِيِّينَ أَعْلَى طَبَقَةَ فِي الْبَلَاغَةِ مِنَ الْجَاهِلِيِّينَ وَلَمْ يَكُنْ  
 لِيَسْتَدْرِكُ ذَلِكَ يَدْوِقَهُ فَسَكَتَ طَوِيلًا ثُمَّ قَالَ لِي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي فَقُلْتُ أَعْرَضَ عَلَيْكَ  
 شَيْئًا ظَهَرَ لِي فِي ذَلِكَ وَلَعَلَّهُ السَّبَبُ فِيهِ وَذَكَرْتُ لَهُ هَذَا الَّذِي كَتَبْتُ فَسَكَتَ مُعْجِبًا  
 ثُمَّ قَالَ لِي يَا فُقَيْهَ هَذَا كَلَامٌ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُكْتَبَ بِالذَّهَبِ وَكَانَ مِنْ بَعْدِهَا يُؤْتَرُ  
 مَحَلِّي وَيُصَيِّحُ فِي مَجَالِسِ التَّعْلِيمِ إِلَى قَوْلِي وَيَشْهَدُ لِي بِالنَّبَاهَةِ فِي الْعُلُومِ وَاللَّهِ خَلَقَ  
 الْإِنْسَانَ وَعَلَّمَهُ الْبَيَانَ

### الفصل التاسع والاربعون

في ترفع اهل المراتب عن التحال الشعر

اعْلَمْ أَنَّ الشَّعْرَ كَانَ دِيْوَانًا لِلْعَرَبِ فِيهِ عُلُومُهُمْ وَأَخْبَارُهُمْ وَحِكْمَتُهُمْ وَكَانَ رُؤْسَاءَ  
 الْعَرَبِ مُنَافِسِينَ فِيهِ وَكَانُوا يَقْفُونَ بِسُوقِ عِكَاظٍ لِإِنْشَادِهِ وَعَرَضَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ

دِيَابِجَهُ عَلَى فُحُولِ الشَّانِ وَأَهْلِ الْبَصْرِ لِتَمْيِيزِ حَوْلِهِ حَتَّى أَنْتَهَوْا إِلَى الْمَنَاعَةِ فِي تَعْلِيْقِ  
 أَشْعَارِهِمْ بِأَرْكَانِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ مَوْضِعِ حَجَّتِهِمْ وَبَيْتِ إِبْرَاهِيمَ كَمَا فَعَلَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ  
 ابْنُ حَجْرٍ وَالنَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى وَعَنْتَرَةُ بْنُ شَدَادٍ وَطَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ  
 وَعَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِةَ وَالْأَعَشَى وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمَعْلَقَاتِ السَّبْعِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا كَانَ يَتَوَصَّلُ  
 إِلَى تَعْلِيْقِ الشَّعْرِ بِهَا مَنْ كَانَ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْمِهِ وَعَصَبِيَّتِهِ وَمَكَانِهِ فِي مَضَرٍّ عَلَى  
 مَا قِيلَ فِي سَبَبِ تَسْمِيَّتِهَا بِالْمَعْلَقَاتِ ثُمَّ أَنْصَرَفَ الْعَرَبُ عَنْ ذَلِكَ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ بِمَا  
 شَغَلَهُمْ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ وَالنَّبُوَّةِ وَالْوَحْيِ وَمَا أَدهَشَهُمْ مِنْ أَسْلُوبِ الْقُرْآنِ وَنَظْمِهِ  
 فَأَخْرَسُوا عَنْ ذَلِكَ وَسَكَنُوا عَنِ الْخَوْضِ فِي النِّظْمِ وَالنَّثْرِ زَمَانًا ثُمَّ اسْتَقَرَّ ذَلِكَ وَأَوَّلَسَ  
 الرُّشْدُ مِنَ الْمِلَّةِ وَلَمْ يَنْزِلِ الْوَحْيُ فِي تَحْرِيمِ الشَّعْرِ وَحَظَرِهِ وَسَمِعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
 وَسَلَّمَ وَأَثَابَ عَلَيْهِ فَرَجَعُوا حِينَئِذٍ إِلَى دِينِهِمْ مِنْهُ وَكَانَ لِعُمَرَ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ كَبِيرُ  
 قُرَيْشٍ لِذَلِكَ الْعَهْدِ مَقَامَاتٌ فِيهِ عَالِيَةٌ وَطَبَقَةٌ مَرْتَبَعَةٌ وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُعْرَضُ شِعْرُهُ عَلَى  
 ابْنِ عَبَّاسٍ فَيَقِفُ لِاسْتِمَاعِهِ مُعْجِبًا بِهِ ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْمَلِكُ وَالِدُ الْوَلَةِ الْعَزِيزَةُ  
 وَتَقَرَّبَ إِلَيْهِمُ الْعَرَبُ بِأَشْعَارِهِمْ يَمْتَدِحُونَهُمْ بِهَا وَيُحَيِّزُهُمُ الْخُلَفَاءُ بِأَعْظَمِ الْجَوَائِزِ عَلَى  
 نِسْبَةِ الْجُودَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ وَمَكَانِهِمْ مِنْ قَوْمِيهِمْ وَيَحْرُصُونَ عَلَى اسْتِهْدَاءِ أَشْعَارِهِمْ بِطَاعُونَ  
 مِنْهَا عَلَى الْأَنَارِ وَالْأَخْبَارِ وَاللُّغَةِ وَشَرَفِ اللِّسَانِ وَالْعَرَبُ يُطَالِبُونَ وَوَلَدُهُمْ بِحَفْظِهَا وَلَمْ  
 يَزَلْ هَذَا الشَّانُ أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةٍ وَصَدْرًا مِنْ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ وَأَنْظَرَ مَا نَقَلَهُ صَاحِبُ الْعِقْدِ  
 فِي مُسَامَرَةِ الرَّشِيدِ لِلْأَحْمَعِيِّ فِي بَابِ الشَّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ تَجِدُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الرَّشِيدُ مِنَ  
 الْمَعْرِفَةِ بِذَلِكَ وَالرُّسُوخِ فِيهِ وَالْعِنَايَةِ بِالتَّحَالِهِ وَالتَّبَصُّرِ بِجَيِّدِ الْكَلَامِ وَرَدِّيئِهِ وَكَثْرَةِ  
 مَحْفُوظِهِ مِنْهُ ثُمَّ جَاءَ خَلْقٌ مِنْ بَعْدِهِمْ لَمْ يَكُنِ اللِّسَانُ لِسَانَهُمْ مِنْ أَجْلِ الْجُمُوعَةِ وَتَقْصِيرِهَا  
 بِاللِّسَانِ وَإِنَّمَا تَعَلَّوْهُ صِنَاعَةً ثُمَّ مَدَحُوا بِأَشْعَارِهِمْ أُمَّرَاءَ الْعَجَمِ الَّذِينَ لَيْسَ اللِّسَانُ لَهُمْ  
 طَالِبِينَ مَعْرُوفِهِمْ فَقَطَّ لَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَعْرَاضِ كَمَا فَعَلَهُ حَيْبُ بْنُ الْبَحْرِيِّ وَالْمَتَنَبِيُّ  
 وَابْنُ هَانِيٍّ وَمَنْ بَعْدَهُمْ وَهَلُمَّ جَرًّا فَصَارَ غَرَضُ الشَّعْرِ فِي الْعَالِيَةِ إِنَّمَا هُوَ الْكُذْبُ  
 وَالْاسْتِجْدَاءُ لِلذَّهَابِ الْمَنَافِعِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِ لِلأَوَّلِينَ كَمَا ذَكَرْنَا مِنْهَا وَأَنْفَ مِنْهُ لِلنَّكَالِ  
 أَهْلُ الْعَجَمِ وَالْمَرَاتِبِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ وَتَغْيِيرِ الْحَالِ وَأَصْبَحَ تَعَاطِيهِ هُجْنَةً فِي الرَّئِيسَةِ  
 وَمَدْمَةً لِأَهْلِ الْمَنَاصِبِ الْكَبِيرَةِ وَاللَّهُ مُقَابِلُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

## الفصل الخمسون

في اشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد

اعلم ان الشعر لا يختص باللسان العربي فقط بل هو موجود في كل لغة سواء كانت عربية  
 او عجمية وقد كان في الفرس شعراء وفي يونان كذلك وذكروا منهم ارسطو في كتاب  
 المنطق اوميروس الشاعر واثنى عليه وكان في حدير ايضا شعراء متقدمون ولما فسد  
 لسان مضر ولغتهم التي دوت مقابيسها وقوانين اعرابها وفسدت اللغات من بعد بحسب  
 ما خالطها ومازجها من العجمة فكانت تحيل العرب بانفسهم لغة خالفت لغة سالفهم  
 من مضر في الاعراب جملة وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات  
 وكذلك اخصر اهل الامصار نشأت فيهم لغة اخرى خالفت لسان مضر في الاعراب  
 واكثر الاوضاع والتعاريف وخالفت ايضا لغة الجبل من العرب لهذا العهد  
 واختلفت هي في نفسها بحسب اصطلاحات اهل الافاق فالاهل الشرق وامصاره لغة  
 غير لغة اهل المغرب وامصاره وتخالفتها ايضا لغة اهل الاندلس وامصاره ثم لما  
 كان الشعر موجودا بالطبع في اهل كل لسان لان الموازين على نسبة واحدة في  
 اعداد المحركات والسواكن وتقابلها موجودة في طباع البشر فلم يهجر الشعر  
 بفقدان لغة واحدة وهي لغة مضر الذين كانوا تحولوه وفرسان ميدانه حسبا اشتهر  
 بين اهل الحليقة بل كل جيل واهل كل لغة من العرب المستعجمين والخصر  
 اهل الامصار يتعاطون منه ما يطاوعهم في انتحاله ورضف بنائه على مبع كلامهم  
 فاما العرب اهل هذا الجبل المستعجمون عن لغة سالفهم من مضر فيقرضون الشعر  
 لهذا العهد في سائر الاعراب على ما كان عليه سالفهم المستعربون ويأتون منه  
 بالمطولات مشتملة على مذاهب الشعر واعراضه من التسبب والمدح والرتاء  
 والهجاء ويستطردون في الخروج من فن الى فن في الكلام وربما هجموا على  
 المقصود لأول كلامهم واكثر ابتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ثم بعد ذلك  
 ينسبون فاهل امصار المغرب من العرب يسمون هذه القصائد بالاصمعيات نسبة الى  
 الاصمعي زاوية العرب في اشعارهم واهل المشرق من العرب يسمون هذا النوع من  
 الشعر بالبدوي وربما يلحنون فيه اَلحانا بسيطة لا على طريقة الصناعة الموسيقية ثم

يَعْنُونَ بِهِ وَيَسْمُونَ الْعَنَاءَ بِهِ بِاسْمِ الْخُورَانِي نِسْبَةً إِلَى خُورَانَ مِنْ أَطْرَافِ الْعِرَاقِ  
وَالشَّامِ وَحِي مِنْ مَنَازِلِ الْعَرَبِ الْبَادِيَةِ وَمَسَاكِينِهِمْ إِلَى هَذَا الْعَهْدِ. وَلَهُمْ فِي آخِرِ كَثِيرٍ  
الدَّوَالِ فِي نَظْمِهِمْ يَجِيئُونَ بِهِ مُعَصَّبًا عَلَى أَرْبَعَةِ أَجْزَاءٍ يُخَالِفُ آخِرُهَا الثَّلَاثَةَ فِي رُويِهِ  
وَيَلْتَزِمُونَ الْقَافِيَةَ الرَّابِعَةَ فِي كُلِّ بَيْتٍ إِلَى آخِرِ الْقَصِيدَةِ شَدِيدًا بِالْمَرْبَعِ وَالْمَخْمَسِ  
الَّذِي أَحَدَتُهُ الْمُتَأَخَّرُونَ مِنَ الْمُؤَلِّدِينَ وَإِهْؤُلَاءِ الْعَرَبِ فِي هَذَا الشَّعْرِ بِلَاغَةٌ فَائِقَةٌ  
وَفِيهِمْ الْفُحُولُ وَالْمُتَأَخَّرُونَ وَالْكَثِيرُ مِنَ الْمُتَحَلِّينَ الْعُلُومَ لِهَذَا الْعَهْدِ وَخُصُوصًا عِلْمَ  
اللِّسَانِ يَسْتَنْكِرُ صَاحِبُهَا هَذِهِ الْفُنُونَ الَّتِي لَهُمْ إِذَا سَمِعَهَا وَيَبْجُ نَظْمُهُمْ إِذَا أُشِيدَ وَيَعْتَقِدُ  
أَنَّ ذَوْقَهُ إِنَّمَا نَبَأَ عَنْهَا لِاسْتِجَابَتِهَا وَفَقْدَانِ الْإِعْرَابِ مِنْهَا وَهَذَا إِنَّمَا أَتَى مِنْ فِقْدَانِ  
الْمَلَكَةِ فِي لُغَتِهِمْ فَلَوْ حَصَلَتْ لَهُ مَلَكَةٌ مِنْ مَلَكَاتِهِمْ لَشَهِدَ لَهُ طَبَعُهُ وَذَوْقُهُ بِبِلَاغَتِهَا  
إِنْ كَانَ سَلِيمًا مِنَ الْآفَاتِ فِي فِطْرَتِهِ وَنَظَرِهِ وَإِلَّا فَلَا لِلْإِعْرَابِ لَا مَدْخَلَ لَهُ فِي الْبِلَاغَةِ  
إِنَّمَا الْبِلَاغَةُ مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِلْمَقْصُودِ وَلِمَقْتَضَى الْحَالِ مِنَ الْوُجُودِ فِيهِ سِوَاهُ كَانَ  
الرَّفْعُ دَالًّا عَلَى الْفَاعِلِ وَالنَّصْبُ دَالًّا عَلَى الْمَفْعُولِ أَوْ بِالْعَكْسِ وَإِنَّمَا يُدَلُّ عَلَى ذَلِكَ  
قَرَائِنُ الْكَلَامِ كَمَا هُوَ فِي لُغَتِهِمْ هَذِهِ فَالدَّلَالَةُ بِحَسَبِ مَا يَصْطَلِحُ عَلَيْهِ أَهْلُ الْمَلَكَةِ  
فَإِذَا عُرِفَ أَصْطِلَاحٌ فِي مَلَكَةٍ وَاسْتَشْهَرَ صِحَّةُ الدَّلَالَةِ وَإِذَا طَاقَتْ تِلْكَ الدَّلَالَةُ  
الْمَقْصُودَ وَمَقْتَضَى الْحَالِ صَحَّتْ الْبِلَاغَةُ وَلَا عِبْرَةَ بِقَوَائِنِ النُّحَاةِ فِي ذَلِكَ وَأَسَالِبِ الشَّعْرِ  
وَفُنُونِهِ مَوْجُودَةٌ فِي أَشْعَارِهِمْ هَذِهِ مَا عَدَا حَرَكَاتِ الْإِعْرَابِ فِي آخِرِ الْكَلِمِ فَإِنَّ  
غَالِبَ كَلِمَاتِهِمْ مَوْفُوقَةٌ الْآخِرِ وَيَتَمَيَّزُ عِنْدَهُمُ الْفَاعِلُ مِنَ الْمَفْعُولِ وَالْمُبْتَدَأُ مِنَ الْخَبَرِ  
بِقَرَائِنِ الْكَلَامِ لَا بِحَرَكَاتِ الْإِعْرَابِ

(الموشحات والازجال للاندلس)

وَأَمَّا أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ فَلَمَّا كَثُرَ الشَّعْرُ فِي فِطْرِهِمْ وَتَهَدَّبَتْ مَنَاحِيهِ وَفُنُونُهُ وَبَلَغَ  
النَّتْمِيقُ فِيهِ الْعَالِيَةَ اسْتَحْدَثَ الْمُتَأَخَّرُونَ مِنْهُمْ فَنَاءً مِنْهُ سَمُوهُ بِالْمَوْشَحِ يَنْظُمُونَهُ أَسْمَاطًا  
أَسْمَاطًا وَأَعْصَانًا أَعْصَانًا يَكْثُرُونَ مِنْ أَعَارِضِهَا الْمُخْتَلِفَةِ وَيَسْمُونَ الْمُشْتَعَدَّ مِنْهَا بَيْتًا  
وَاحِدًا وَيَلْتَزِمُونَ عِنْدَ قَوَائِنِ تِلْكَ الْأَعْصَانِ وَأَوْزَانِهَا مُنْتَالِيًا فِيمَا بَعْدَ إِلَى آخِرِ الْقِطْعَةِ  
وَأَكْثَرُ مَا تَنْتَهِي عِنْدَهُمْ إِلَى سَبْعَةِ آيَاتٍ وَيَشْتَمِلُ كُلُّ بَيْتٍ عَلَى أَعْصَانٍ عِدَدَهَا  
بِحَسَبِ الْأَعْرَاسِ وَالْمَدَاهِبِ وَيَنْسَبُونَ فِيهَا وَيَمْدَحُونَ كَمَا يُفْعَلُ فِي الْقَصَائِدِ وَتَجَارُوا

فِي ذَلِكَ إِلَى الْعَايَةِ وَاسْتَظَرَفَهُ النَّاسُ جُمْلَةً اخْتِصَاصًا وَالْكَافَّةَ لِسُهولةِ تَنَاوُلِهِ وَقُرْبِ طَرِيقِهِ وَكَانَ الْخُتْرَعُ لَهَا يَجْزِيْرَةَ الْأَنْدَلُسِ مُقَدِّمَ بْنِ مُعَاوِرِ الْفَرِيرِيِّ مِنْ شُعْرَاءِ الْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ الْمَرْوَانِيِّ وَأَخَذَ ذَلِكَ عَنْهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ صَاحِبُ كِتَابِ الْعَقْدِ وَلَمْ يَظْهَرْ لِهَمَا مَعَ الْمُتَأَخِّرِينَ ذِكْرٌ وَكَسَدَتْ مَوْشِحَاتُهُمَا فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَرَعَ فِي هَذَا الشَّانِ عِبَادَةُ الْقُرَازِ شَاعِرِ الْمُعْتَصِمِ ابْنِ صَمَادِحِ صَاحِبِ الْمِرْيَةِ

بدرُ تم . شمسُ ضحا . غصنُ نقا . مسكُ شم

ما اتم . ما اوضحا . ما اورقا . ما انم

لا جرم . من لمحا . قد عشقا . قد حرم

وَزَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَسْبِقْهُ وَشَاحُ مِنْ مُعَاَصِرِيهِ الَّذِينَ كَانُوا فِي زَمَنِ الطَّوَائِفِ

وَذَكَرَ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْمَشَائِخِ أَنَّ أَهْلَ هَذَا الشَّانِ بِالْأَنْدَلُسِ يَذْكُرُونَ أَنَّ جَمَاعَةً

مِنَ الْوُشَاحِينَ اجْتَمَعُوا فِي مَجْلِسٍ بِأَسْبِيلِيَّةٍ وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَصْطَنَعَ مَوْشِحَةً

وَتَأْتَقُ فِيهَا فَتَقْدَمُ الْأَعْمَى الطَّلِيطِيُّ لِلْإِنْشَادِ فَلَمَّا أَفْتَتَحَ مَوْشِحَتَهُ الْمَشْهُورَةَ يَقُولُهُ

ضاحكُ عَنْ جُحَانَ . سَافِرٌ عَنْ دُرِّ ضَاقَ عَنْهُ الزَّمَانُ . وَحَوَاهُ صَدْرِي

صَرَفَ ابْنُ بَقِيٍّ مَوْشِحَتَهُ وَتَبِعَهُ الْبَاقُونَ وَذَكَرَ الْأَعْلَمُ الْبَطْلِيُّوسِي أَنَّهُ سَمِعَ ابْنَ زُهَيْرٍ يَقُولُ

مَا حَسَدْتُ قَطُّ وَشَاحًا عَلَى قَوْلِ إِلَّا ابْنُ بَقِيٍّ حِينَ وَقَعَ لَهُ

أَمَا تَرَى أَحْمَدَ . فِي مَجْدِهِ الْعَالِي لَا يَلْحَقُ أَطْلَعَهُ الْغَرْبُ . فَأَرَانَا مِثْلَهُ بِأَمَشْرِقِ

وَكَانَ فِي عَصْرِ هَمَا مِنَ الْمَوْشِحِينَ الْمَطْبُوعِينَ أَبُو بَكْرٍ الْأَيْضُ وَكَانَ فِي عَصْرِ هَمَا أَيْضًا

الْحَكِيمُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ بَاجَةَ صَاحِبُ التَّلَاحِينَ الْمَعْرُوفَةِ وَمِنَ الْحِكَايَاتِ الْمَشْهُورَةِ

أَنَّهُ خَضَرَ مَجْلِسَ مَخْدُومِهِ ابْنِ تَيْفَلُوبِتِ صَاحِبِ سِرْقَسْطَةَ فَأَتَى عَلَى بَعْضِ فَيُنَاتِهِ مَوْشِحَتَهُ

جَرَّرِ الدَّيْلَ أَيَّمَا جَرِّ وَصَلِ الشُّكْرَ مِنْكَ بِالشُّكْرِ

فَطَرِبَ الْمَمْدُوحُ لِذَلِكَ لَمَّا خَتَمَهَا يَقُولُهُ

عَقَدَ اللَّهُ رَايَةَ النَّصْرِ لِأَمِيرِ الْعَلَاءِ أَبِي بَكْرِ

فَلَمَّا طَرَقَ ذَلِكَ التَّلَحُّينُ سَمِعَ ابْنَ تَيْفَلُوبِتِ صَاحِ وَاطْرَبَاهُ وَشَقَّ ثِيَابَهُ وَقَالَ مَا

أَحْسَنَ مَا بَدَأَتْ وَخَتَمَتْ وَحَلَفَتْ بِالْأَيْمَانِ الْمَغْلُظَةِ لَا يَمْسِي ابْنُ بَاجَةَ إِلَى دَارِهِ إِلَّا

عَلَى الذَّمِّ فَنَظَفَ الْحَكِيمُ سُوءَ الْعَاقِبَةِ فَأَحْتَالَ بِأَنْ جَعَلَ ذَهَبًا فِي نَعْلِهِ وَمَشَى عَلَيْهِ

وَذَكَرَ أَبُو الْخَطَّابِ بْنُ زُهَيْرٍ أَنَّهُ جَرَى فِي مَجْلِسِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ زُهَيْرٍ ذِكْرُ أَبِي بَكْرٍ الْأَيْضِ  
 الْوَشَّاحِ الْمَتَّقِمِ الَّذِي كَرِهَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ فَقَالَ كَيْفَ تَعْصُمَنَّ يَقُولُ  
 مَا لَدِّي شَرَابٌ رَاحَ " عَلَى رِيَاضِ الْأَفَاحِ لَوْلَا هَضِيمُ الْوَشَّاحِ " إِذَا أَسَا فِي الصَّبَاحِ  
 أَوْ فِي الْأَصِيلِ " أَضْعَى يَقُولُ مَا لِلشَّمُولِ " لَطَمْتَ حَدِيَّ  
 وَلِلشَّمَالِ " هَمَّتْ فَمَالِي غَضُنْ أَعْتَدَالِ " ضَمَّهُ بُرْدِي  
 مِمَّا أَبَادَ الْقُلُوبَا " يَمْشِي لِنَا مُسْتَرِيَا يَا لِحِظَةِ رُدِّ ثُوبَا " وَيَا لِمَاهُ الشَّيْبَا  
 بُرْدٌ غَالِي " صَبَّ عَلِيلِ لَا يَسْتَحِيلِ " فِيهِ عَنِّ عَهْدِي  
 وَلَا يَزَالُ فِي كُلِّ حَالٍ يَرْجُو الْوَصَالَ " وَهُوَ فِي الصَّدِّ  
 وَاشْتَهَرَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ فِي صَدْرِ دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْفَضْلِ بْنِ شَرَفٍ قَالَ  
 الْحَسَنُ بْنُ دَوْدَةَ رَأَيْتُ حَاتِمَ بْنَ سَعِيدٍ عَلَى هَذَا الْإِفْتِيحِ

شمس قاربت بدرًا راح ونديم

وابن بهرودس الذي له باليلة الوصل والسعود بالله عودي

وَأَبْنُ مُؤَهَّلِ الَّذِي لَهُ مَا أَلْعِيدُ فِي حَالَةٍ وَطَاقٍ . وَشَمَّ وَطِيبَ . وَإِنَّمَا الْعِيدُ فِي التَّلَاقِ . مَعَ الْحَبِيبِ  
 وَأَبُو سِنَاقِ الرَّوْبِيِّ قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ سَهْلَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ إِنَّهُ دَخَلَ عَلَى  
 ابْنِ زُهَيْرٍ وَقَدِ اسَنَّ وَعَلَيْهِ زِيُّ الْبَادِيَةِ إِذْ كَانَ يَسْكُنُ بِحَضْنِ سَبْتَةَ فَلَمَّ يَعْرِفُهُ  
 فَجَلَسَ حَيْثُ أَنْتَهَى بِهِ الْمَجْلِسُ وَجَرَّتِ الْمُحَاضِرَةُ فَأَنشَدَ لِنَفْسِهِ مَوْشِحَةً وَقَعَ فِيهَا

كحل الدجى بجري من مقله الفجر على الصبح

ومعصم النهر في حلل خضر من المطاح

فَتَحَرَّكَ ابْنُ زُهَيْرٍ وَقَالَ أَنْتَ تَقُولُ هَذَا قَالَ اخْتَبِرْ قَالَ وَمَنْ تَكُونُ فَعَرَّفَهُ فَقَالَ أَرْتَفَعُ  
 فَوَاللَّهِ مَا عَرَفْتُكَ قَالَ ابْنُ سَعِيدٍ وَسَابِقُ الْحَلْمَةِ الَّذِي أَدْرَكَ هَوْلًا أَبُو بَكْرٍ بْنُ زُهَيْرٍ  
 وَقَدْ شَرَفَتْ مَوْشِحَاتُهُ وَغَرَبَتْ قَالَ وَسَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ سَهْلَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ قِيلَ لِابْنِ  
 زُهَيْرٍ لَوْ قِيلَ لَكَ مَا أَبْدَعُ وَأَرْفَعُ مَا وَقَعَ لَكَ فِي النَّوْشِيعِ قَالَ كُنْتُ أَقُولُ

مَا لِلْمَوْلَةِ مِنْ سَكْرِهِ لَا يُفِيقُ . يَالَهُ سَكْرَانِ . مِنْ غَيْرِ خَمَرٍ . مَا لِلْكَيْبِ الْمَشُوقِ . يَنْدُبُ الْاَوْطَانَ

هل تستعاد ايامنا بالخليج . وليالينا

او نستفاد من النسيم الاربيع . مسك دارينا

واد يكاد . حسن المكان البيح . ان يحينا

نهر اظلة . دوح عليه اتيق . موريق فينان . والماء يجري . وعائم وعريق . من جنى الريحان  
ومن محاسن الموشحات للمتأخرين موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبته من  
بعدها فمنها قوله

هل دري ظبي الحمي ان قد حمي

فهو في نار وخفي مثل ما

وقد لسخ على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله ابن الخطيب شاعر الأندلس  
والمغرب لعصره وقد مر ذكره فقال

جادك الغيث اذا الغيث همي

لم يكن وصلك الا حلما

اذ يقود الدهر اشبات المنى

زمرًا بين فرادى وثنا

والحيا قد جلل الروض سنى

وروى النعمان عن ماء السما

فكساه الحسن ثوبًا معلما

في ليال كتبت نير الهوى

مال نجم الكأس فيها وهوى

وطر ما فيه من عيب سوى

حين لذ النوم منا أو كما

غارت الشهب بنا أو ربما

أي شيء لا يرى قد خلاصا

تمب الأزار فيه الفرصا

فاذا الماء يناجي والحصا

تبصر الورد غيرا برما

وترى الآس ليبا فهما

قلب صب حله عن مكس

لعبت ريح الصبا بالقبس

أبو عبد الله ابن الخطيب شاعر الأندلس

يا زمان الوصل بالاندلس

في الكرى أو خلسة الخنفس

ينقل الخطو على ما يرسم

مثل ما يدعو الوفود الموسم

فتغور الزهر فيه تبسم

كيف يزوي مالك عن انس

يزدهي منه بأبى مابس

بالدجى لولا شمس الغرر

مستقيم السير سعد الأثر

أنه مر كلمج البصر

هجم الصبح هجوم الحرس

أثرت فينا عيون النرجس

فيكون الروض قد مكن فيه

أمنت من مكره ما ثقيه

وخلا كل خليل بأخيه

يكتسي من غيظه ما يكتسي

يسرق الدمع بأذني فرس

يَا أَهْيَلِ الْحَيِّ مِنْ وَادِي الْغَضَا  
ضَاقَ عَنِ وَجْدِي بِكُمْ رَحْبُ الْفَضَا  
فَأَعِيدُوا عَهْدَ أَنَسٍ قَدْ مَضَى  
وَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَحْيُوا مُغْرَمًا  
حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرَمًا  
وَيَقْلِبِي مِنْكُمْ مُقْتَرِبًا  
فَمَرًّا أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَغْرِبُ  
قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَوْ مُذْنِبٌ  
سَاحِرُ الْمُقَلَّةِ مَعْسُولُ اللَّحْمَى  
سَدَدَ السَّهْمِ فَأَصْمَى إِذْ رَمَى  
إِنْ يَكُنْ جَارٌ وَحَابَ الْأَمَلِ  
فَهَوَّ لِلنَّفْسِ حَيْبٌ أَوَّلُ  
أَمْرُهُ مَعْتَمَلٌ مُمْتَلٌ  
حَكَمَ اللَّحْظُ بِهَا فَاحْتَكَمَا  
يُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِمَّنْ ظَلَمَا  
مَا لِقَابِي كَلَّمَا هَبْتَ صَبَا  
كَانَ فِي اللَّوْحِ لَهُ مُكْتَتَبَا  
جَلَبَ اللَّهُمَّ لَهُ وَالْوَصْبَا  
لَا عَجْزَ فِي أَضْلَعِي قَدْ أَضْرِمَا  
لَمْ يَدْعُ مِنْ مَهْجَتِي إِلَّا الدَّمَا  
سَلِمِي يَا نَفْسَ فِي حُكْمِ الْقَضَا  
وَأَتْرَكِي ذِكْرِي زَمَانَ قَدْ مَضَى  
وَأَصْرَفِي الْقَوْلَ إِلَى الْمَوْلَى الرَّضَى  
الْكَرِيمِ الْمُنْتَهَى وَالْمُنْتَمَى  
يَنْزِلُ النَّصْرُ عَلَيْهِ مِثْلَمَا

وَيَقْلِبِي مَسْكِرٌ أَنْتُمْ بِهِ  
لَا أَبَالِي شَرْقَهُ مِنْ غَرْبِهِ  
تُنْقِدُوا عَانِيَكُمْ مِنْ كَرْبِهِ  
يَتَلَاشَى نَفْسًا فِي نَفْسِ  
أَفْتَرِضُونَ خَرَابَ الْحَبْسِ  
بِأَحَادِيثِ الْمُنَى وَهَوِّ بَعِيدِ  
شَقْوَةَ الْمَغْرَى بِهِ وَهَوِّ سَعِيدِ  
فِي هَوَاهُ بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعِيدِ  
جَالَ فِي النَّفْسِ مَجَالَ النَّفْسِ  
بِفُؤَادِي نَبْلَةَ الْمَفْتَرِسِ  
وَفُؤَادِ الصَّبِّ بِالشَّوْقِ يَدُوبُ  
لَيْسَ فِي الْحُبِّ لِحُبِّبٍ ذُنُوبُ  
فِي ضُلُوعٍ قَدْ بَرَاهَا وَقُلُوبُ  
لَمْ يَرَأِقِبْ فِي ضَعْفِ الْأَنْفُسِ  
وَيَجَازِي الْبَرَّ مِنْهَا وَالْمَسِي  
عَادَهُ عِيدٌ مِنَ الشَّوْقِ جَدِيدِ  
قَوْلُهُ إِنْ عَدَائِي لَشَدِيدِ  
فَهُوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جَهْدِ جَهْدِ  
فَهِيَ نَارٌ فِي هَشِيمِ الْيَسِ  
كِبْقَاءِ الصُّبْحِ بَعْدَ الْعَاسِ  
وَأَعْبُرِي الْوَقْتَ بِرُجْعِي وَمَتَابِ  
بَيْنَ عَتِي قَدْ نَفَضْتَ وَعَتَابِ  
مُلْهِمِ التَّوْفِيقِ فِي أَمِّ الْكِتَابِ  
أَسَدِ السَّرْجِ وَبَدْرِ الْحَجَاسِ  
يَنْزِلُ الْوَحْيُ بِرُوحِ الْقُدْسِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَذْوَاقَ كُلَّهَا فِي مَعْرِفَةِ الْبَلَاغَةِ إِنَّمَا تُحْصَلُ لِمَنْ خَالَطَ تِلْكَ اللُّغَةَ وَكَثُرَ  
 اسْتِعْمَالُهُ لَهَا وَتَحَاوَلَتْهُ بَيْنَ أَجْيَالِهَا حَتَّى يُحْصَلَ مَلَكَتْهَا كَمَا قُلْنَا فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ  
 فَلَا الْإِتِّدَانُ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ وَلَا الْمَغْرِبِيُّ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ  
 أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَشْرِقِ وَلَا الْمَشْرِقِيُّ بِالْبَلَاغَةِ الَّتِي فِي شِعْرِ الْأَنْدَلُسِ وَالْمَغْرِبِ لِأَنَّ  
 اللِّسَانَ الْحَضْرِيَّ وَتَرَاجِمَهُ مُخْتَلِفَةٌ فِيهِمْ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مُدْرِكٌ لِبَلَاغَةِ لُغَتِهِ وَذَائِقٌ  
 لِمَحَاسِنِ الشُّعْرِ مِنْ أَهْلِ جِلْدَتِهِ وَفِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ السِّنِّكُمْ  
 وَأَلْوَانِكُمْ آيَاتٌ وَقَدْ كِدْنَا نَخْرُجُ عَنِ الْغَرَضِ وَلِذَلِكَ عَزَمْنَا أَنْ نَقْبِضَ الْعِنَانَ عَنِ الْقَوْلِ فِي  
 هَذَا الْكِتَابِ الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ طَبِيعَةُ الْعُمَرَانِ وَمَا يَعْرُضُ فِيهِ وَقَدْ اسْتَوْفَيْنَا مِنْ مَسَائِلِهِ  
 مَا حَسَبْنَاهُ كِفَايَةً وَعَلَّلْنَا مِنْ يَأْتِي بَعْدَهَا مِمَّنْ يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ بِفِكْرٍ صَحِيحٍ وَعِلْمٍ مَبِينٍ يَغُوصُ  
 مِنْ مَسَائِلِهِ عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا كَتَبْنَا فَلَيْسَ عَلَى مُسْتَنْبِطِ الْفَنِّ إِحْصَاءُ مَسَائِلِهِ وَإِنَّمَا عَلَيْهِ  
 تَعْيِينُ مَوْضِعِ الْعِلْمِ وَتَنْوِيعُ فُصُولِهِ وَمَا يَتَكَلَّمُ فِيهِ وَالْمَتَأَخَّرُونَ يُلْحِقُونَ الْمَسَائِلَ مِنْ  
 بَعْدِهِ شَبْهُاً فَشَيْئاً إِلَى أَنْ يَكْمُلَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

قال مؤلف الكتاب عفي الله عنه اتمت هذا الجزء الاول بالوضع والتاليف قبل النسخ  
 والتهذيب في مدة خمسة اشهر آخرها منتصف عام تسعة وسبعين وسبعائة ثم نحتته بعد  
 ذلك وهذبتة والحقت به تواريح الامم كما ذكرت في اوله وشرطته وما العلم الا من عند  
 الله العزيز الحكيم

لقد تم بجوله تعالى طبع هذا الكتاب طبعة ثالثة في المطبعة الادبية وعلى نفقتها زفه  
 الى طلبة اللغة العربية الشريفة تحفة كريمة من تحف المتقدمين نهديه للمتأخرين مثلاً يقتدى  
 به ومناولاً ينسجون عليه وقد عني بشكله جناب الكاتب البليغ رشيد افندي عطيه احد  
 محرري جريدة لسان الحال ثم نظر فيه وصحح ما احالته عن اصله ايدي النساخ والطباع  
 جناب العالم المدقق واللغوي المحقق الكاتب البليغ العلم عبد الله افندي البستاني متوخياً  
 بذلك خدمة خالصة للعلم والادب نسأله تعالى ان يشييه على هذه الخدمة النافعة وينفعنا  
 بمعارفه وقد جعلنا ثمن النسخة من هذا الكتاب خمسة وعشرين غرشاً تسهيلاً لافتتائه ولا  
 سيما للتلاميذة المدارس ومن طلب منه كمية تفوق الخمسين نسخة جهلنا له اسقاطاً لقاء اهتمامه  
 نسأله تعالى ان يوفقنا الى ما فيه خدمة الدولة العلية والوطن







